(فهرست الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر لقطب الواصلين وامام العارفين العالم الصمدانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو شرح لما أغلق من الفتوحات المكية وبيان مافيها من العلوم الربانية للقطب الغوث الشيخ الاكبر الامام ابن العربى نفعنا الله تعالى بعلومه والمسلمين آمين)

صحيفة

(فهرست الجزء الثانى من كتاب اليواقيت والجواهر)

صحيفة

(تمت)

كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر
للامام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

(وبهامشه كتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)

صحيفة

(تمت)

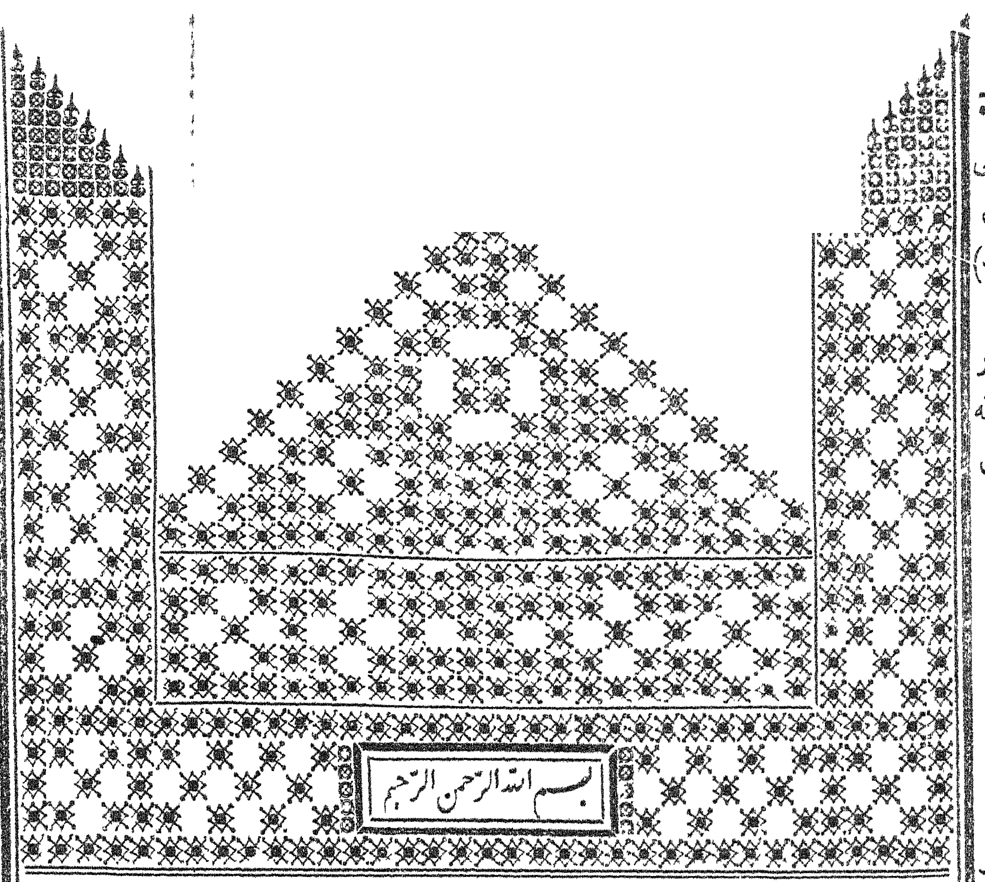
الفتوحات مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الاسلام ويحققوا الحق ويبطلوا الباطل ان وجدوه فلا تظن يا أخي أني ذكرتها لكوني أعتقد صحتها وأرضاها في عقيدتي كما يقع فيه المتهورون في أعراض الناس فيقولون لولا أنه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره في مؤلفه معاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين وأعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم فان في الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى فليتأمل ويحرر ونحو ذلك اظهارا للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله يقول لا يخلو كلام الائمة عن ثلاثة أحوال لانه اما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما ان يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى * وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه قال لانه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لان الشارع أمنه على شريعته انتهى فلهذا تتبعت المسائل التي أشاعها الحسدة عنه وأجبت عنها لان كتبه المروية الشائعة عنه بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلماء فمن شك في قول أضفته اليه وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر في محله من الاصل الذي أضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا مني واعلم يا أخي ان المراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الاشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي منصور الماتريدي وغيره رضي الله تعالى عنهم وقد كان الماتريدي اماما عظيما في السنة كالشيخ أبي الحسن الاشعري ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة فان أتباع الماتريدي ماوراء النهر سيحون فقط وأما اتباع الشيخ أبي الحسن الاشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الاشعري مطلقا كما أشار الى ذلك في شرح المقاصد وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسائل كمسئلة الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان انا مؤمن ان شاء الله تعالى ونحو ذلك انتهى وكان سفيان الثوري يقول أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي * ثم اعلم يا أخي ان من كان تابعا لاهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين * وقد حبب لي ان أقدم بين يدي هذا الكتاب مقدمة نفيسة تتعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى التي صدر بها الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه في شئ من عقائد الكتاب فان الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة وتشتمل أيضا على أربعة فصول

(الفصل الاول) في ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان أن ما وجد في كتبه مخالفا لظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفي بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب يرجع الى عبارته رضي الله عنه

(الفصل الثاني) في تأويل بعض كلمات نسبت الى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه جهل أكثر الناس معانيها وفي ذكر شئ مما ابتلي به أهل الله سلفا وخلفا في كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم أو تنفيرا لهم عن الركون الى الناس وذلك لان الله تعالى لا يصطفي عبدا قط وهو يركن الى سواه الا باذنه

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس منهم وحاصله

ازدادا علما الى علمه واطلع على أسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبويه فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقرئ فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوي فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى بتنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علم علوم الاولياء فان علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف مطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه الى ذلك في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات بقوله وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد الا للشارع صلى الله عليه وسلم وبقوله في الكلام على الاذان واعلم اني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شئ منه وبقوله في الباب الخامس والستين وثلثمائة واعلم أن



الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين *(أما بعد)* فيقول العبد الفقير الى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراني عفا الله عنه هذا كتاب ألفته في علم العقائد سميته باليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لان المدار في العقائد على هاتين الطائفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما أهل نظر واستدلال واما أهل كشف وعيان وقد ألف كل من الطائفتين كتبا لاهل دائرته فربما ظن من لا غوص له في الشريعة ان كلام احدى الدائرتين يخالف الاخرى فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالاخرى وهذا أمر لم أر أحدا سبقني اليه فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته فان منازع الكلام دقيقة جدا وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه لابي اسحق المزني عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلأن يقال لك اخطأت خير لك من أن يقال كفرت وأنا أسأل بالله العظيم كل من نظر في هذا الكتاب من العلماء ان يصلح كل ما رآه فيه من الخطأ والتحريف أو يضرب عليه ان لم يظهر له جواب نصيحة للمسلمين واعلم أني لا آذن لاحد ان يكتب له من هذا الكتاب نسخة الا بعد أن يطالع عليه علماء الاسلام السالمين من الحسد ويجيزوه ويضعوا عليه خطوطهم فان عمري الآن قد ضاق عن كل تحرير وأوصي كل من عجز عن الوصول الى تعقل كلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل وذلك لان عقائد أهل الكشف مبنية على أمور تشهد وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها فهذا ميزانهم في كل مالم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف لقلة سالكي طريقهم * ثم اعلم يا أخي اني طالعت من كلام أهل الكشف مالا يحصى من الرسائل وما رأيت في عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربي العارفين الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله ولذلك شحنت هذا الكتاب بكلامه من الفتوحات وغيرها دون كلام غيره من الصوفية لكني رأيت في

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمى بلواقح الانوار القدسية الذي كنت اختصرته من الفتوحات المكية خاص فهمه بالعلماء الاكابر وليس لغيرهم منه الا النظر وقد اشتمل على علوم واسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيته فيه وقد (سميته) بالكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر ومرادي بالكبريت الاحمر اكسير الذهب ومرادي بالشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كرتبة اكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير الى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله في أبواب فتوحاته والكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى لعزته (واعلم) يا أخي أنني قد طالعت من كتب القوم مالا أحصيه وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب الفتوحات المكية لاسيما الاحكام فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم فان نظر فيه مجتهد في الشريعة

تعالى بايجاد شئ حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه اذ يستحيل فى العقل أن يريد مالا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده كما يستحيل ان توجد هذه الحقائق من غير حى كما يستحيل ان تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات الا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده فكيف يوجد المختار مالا يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيأ لم يرده الله تعالى لهم ان يريدوه ما أرادوه أو ان يفعلوا شيأ لم يرد الله ايجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الارادة المنزلة الازلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا أن يشاء الله وانه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق فى الورى من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد فى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان كما سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما ان بصره من غير حدقة ولا أجفان كما ان ارادته من غير قلب ولا جنان كما ان علمه من غير اضطرار ولا نظر فى برهان كما ان حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الاركان كما ان ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن وجوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له فى ملكه ولا مدبر معه فيه ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف فى ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفى يوم النشور لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله فى عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ولم يعترض عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان أو شقياً لما كان فى ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقى والسعيد هنا وفى يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه وقال تعالى هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد لتصرفى فى ملكى وانفاذ مشيئتى

وذلك شبيه بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها وبقوله فى الباب الثانى من الفتوحات اعلم ان العارفين انما كانوا لا يتقيدون بالكلام على ما بوبوا عليه فقط لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز منها فمهما برز لها أمر بادرت لامتثاله والقته على حسب ما حد لها فقد تلقى الشئ الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربها وبقوله فى الباب السابع والاربعين اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هى من الفيض الالهى انتهى والله أعلم * وانا أسأل بالله العظيم كل ناظر فى هذا الكتاب أن يصلح ما يراه فيه من الزيغ والتحريف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق (قال) الشيخ رحمه الله فى الباب الثانى من الفتوحات فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان الشعر محل الاجمال واللغز والرمز والتورية أى مارمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال فى ذلك * وقال فيه أقل درجات أهل الادب

ان ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الا بتوقيف منهم غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين كما أشار الى ذلك القشيرى فى رسالته

(الفصل الرابع) فى بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها كل من يريد تحقيق علم الكلام اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق

(بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد)

اعلم رحمك الله يا أخى أنه ينبغى لكل مؤمن ان يصرح بعقيدته وينادى بها على رؤس الأشهاد فان كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى وان كانت غير ذلك بينوا له فسادها ليتوب منها وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ويسألهم فى ذلك الموقف العظيم الاهوال حتى يؤدى كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار ولهذا يدبر الشيطان اذا سمع الاذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى فى سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له الى الخير البتة واذا كان العدو لا بد أن يشهد لك كما أشهدته به على نفسك لان المشهد الحق يعطى ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وأحرى ان تشهد أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخوانى ويا أحبابى رضى الله عنا وعنكم أشهدكم انى أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع انى أقول قولا جازما بقلبى ان الله تعالى اله واحد لا ثانى له منزه عن الصاحبة والولد المالك لا شريك له الملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر اليه فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئى بالقلوب والابصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده كما ان العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لانه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحى الذى لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه اذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسماء اخترع اللوح والقلم الاعلى وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق بالذى خلق أنزل الارواح فى الاشباح أمناء وجعل هذه الاشباح المنزلة اليها الارواح فى الارض خلفاء وسخر لها ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فلا تتحرك ذرة الا به وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلا بد أن يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وكيف لا يعلم شيأ هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الانشاء بعلمه أتقن الاشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل النظر والاتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المدبر للكائنات فى عالم الارض والسموات لم تتعلق قدرته

جميع ما أتكلم فيه فى مجالسى وتصانيفى انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فانى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله فى باب الاسرار والنفث فى الروع من وحى القدوس لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام وبقوله فى الباب السادس والستين وثلثمائة واعلم ان جميع ما أكتبه فى تآليفى ليس هو عن روية وفكر وانما هو عن نفث فى روعى على يد ملك الالهام وبقوله فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه فى هذا الكتاب انما هو من املاء الهى والقاء ربانى أو نفث روحانى فى روح كيانى كل ذلك بحكم الارث للانبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال وبقوله فى الباب التاسع والثمانين من الفتوحات والباب الثامن والاربعين وثلثمائة منها واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده

مجد الدين على ذلك فكتب اليه الشيخ مجد الدين ان كان يكمل هذا الكتاب فأحرقه فانه افتراء من الاعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الامام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد * وكذلك دسوا على الامام الغزالي عدة مسائل في كتاب الاحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر باحراقها * وكذلك دسوا على أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا برىء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت اليهم النسخة التي عليها خطوطهم * وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الامام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ثم ان بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة ان علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من نسب الينا اننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان * وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وادين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شيء مما ينسب الى على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه في آخر نسخة العهود وعقب اجازته التي كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الامام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى * اذا علمت ذلك فيحتمل ان الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا فانه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم آمين * وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم انه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب في حياته وبعد وفاته الى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط وكتب مسائل في درج وأرسلها الى العلماء ببلاد الاسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل * قال الفيروزابادي ولا أدري أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده * قال والذي أقوله وأتحققه وادين الله تعالى به ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصى عنه الانواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتعترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أنني ما أنصفته

وما علي اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
ان الذي قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلي زدت نقصانا

قال وأما كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزواخر التي ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها أنه ما واظب أحد على مطالعتها الا وتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبدا * قال وأما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر * قال وقد قدم والي مرة سؤالا صورته ما تقول في الكتب المنسوبة الى الشيخ محيي الدين بن العربي كالفصوص والفتوحات

والمحل قابل على الدوام فاما يقبل الجهل واما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها واذا صفا القلب حصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس وكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس اعلم ان آدم عليه السلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم * وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه الا أن يكون المثني هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام وسلام عليه وقول عيسى عليه السلام والسلام علي فعلم أن من حصل الذات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى حاصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر وأيضا فلحضرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا تضعيف على تضعيف فنحن الاخوان وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه

في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الافكار ولا الضمائر الا بوهب الهي وجود روحاني لمن اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك في حضرة اشهاده فعلم حين أعلم ان الالوهية أعطت هذا التقسيم وانها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين * وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بالايمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما نزل من ربه اليه وادى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت قالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وأني مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فمما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت ان سؤال فاتني القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الاليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبتت منه على الصراط القدمان انه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة

ولنشرع في الاربعة فصول فنقول وبالله التوفيق

(الفصل الاول) في بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه * كان رضي الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم انه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه الى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ولم يزل سائحا في الارض يقيم في كل بلد بحسب الاذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان آخر اقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه * وكان رضي الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشرع من يده لحظة هلك وسيأتي قوله وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيأ مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات * وقد دس الزنادقة تحت وسادة الامام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته * وكذلك دسوا على شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه الى أبي بكر الخياط اليمني البغوي فأرسل يلوم الشيخ

مع العموم التسليم لهم تجديدا يقولون وأعلاها القطع بصدقهم وما عدا هذين المقامين فحرمان * وقال فيه الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لان الكمل ينظرون كل شئ بعينه ومن هنا قالوا الكامل يكى بابي العيون (وقال) في قوله تعالى لا تدركه الابصار أي الابصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أي لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم وضعفهم عن حمل تجليه الاقدس على ما تعطيه الالوهية * وقال في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقيه على الامة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله وقل رب زدني علما أي بتفصيل ما أجمل من المعاني في التوحيد والاحكام لا زدني أحكاما كما توهمه بعضهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اتركوني ما تركتكم فاعلم ذلك (وقال) أيضا في الباب الثاني منها اعلم يا أخي أنه لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت في أقرب مدة ولكنها موارد تتوالى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار

لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق قال فى شرح المهذب ثم اذا أول فليؤول كلامهم الى سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ماذاك الا تعنت انتهى * وممن أثنى عليه أيضا الامام ابن أسعد اليافعى وصرح بولايته العظمى كما نقل ذلك عن شيخ الاسلام زكريا فى شرحه للروض وكان اليافعى يجيز رواية كتب الشيخ محيى الدين ويقول ان حكم انكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ازالته من مكانه بنفختها قال ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله وان كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود فى النار انتهى * وممن أثنى عليه أيضا من مشايخنا محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى وترجمه بانه مربى العارفين كما ان الجنيد مربى المريدين وقال ان الشيخ محيى الدين روح التنزلات والامداد وألف الوجود وعين الشهود وهاء المشهود الناهج منهاج النبى العربى قدس الله سره وأعلى فى الوجود ذكره انتهى * قلت وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومى كتابا فى الرد عن الشيخ محيى الدين وقال كيف يسوغ لاحد من أمثالنا الانكار على مالم يفهمه من كلامه فى الفتوحات وغيرها وقد وقف على مافيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول * قال وقد شرح كتابه الفصوص جماعة من الاعلام الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه فى الامصار وقرئت متنا وشرحا فى غالب البلاد ورووها بالقراءة الظاهرة فى الجامع الاموى وغيره بالاسناد وتغالى الناس قديما وحديثا فى شرائها ونسخها وتبركوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الاخلاق * وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم فى بحر علمه كلا شئ وهل ينكر على الشيخ الا جاهل أو معاند * قال الفيروزابادى رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيى الدين ثم ان الشيخ محيى الدين كان مسكنه الشام وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها * قال وقد كان قاضى القضاة الشيخ شمس الدين الخونجى الشافعى يخدمه خدمة العبيد وأما قاضى القضاة المالكى فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزابادى فى ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما أنكر على الشيخ الا بعض الفقهاء القح الذين لاحظ لهم فى شرب المحققين وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بانه امام أهل التحقيق والتوحيد وانه فى العلوم الظاهرة فريد وحيد * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ماوقع انكار من بعضهم على الشيخ الا رفقا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرا لا يوافق الشرع فيضلوا ولو أنهم صحبوا الفقراء لعرفوا اصطلاحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة * قال شيخ الاسلام المخزومى وقد كان الشيخ محيى الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة المقدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى * وقال الفيروزابادى قد كان الشيخ محيى الدين بحرا لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم فى كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بخزائن مكة الى الآن أصدق شاهد على ماقلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيها الفتوحات المكية كتبها عن ظهر قلب جوابا بالسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشى ولما فرغ منها وضعها فى سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما اذن للناس فى كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك * قال وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقينى انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيى الدين فكذب وزور ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التى تسير بها الركبان فى

أمد اينتهى اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لانهاية لها فى الدوام ثمانية آلاف سنة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب التاسع كان الجان فى الارض قبل آدم بستين ألف سنة قال وأول من سمى من الجن شيطانا وأول من عصى هو الحارث فأبلسه الله وأبعده وليس هو بأب للجن كما توهم انما هو واحد منهم وهو أول الاشقياء من الجن كما ان قابيل أول الاشقياء من البشر * وقال فى الباب الحادى عشر بلغنا انه وجد مكتوبا بالقلم الاول على الاهرام انها بنيت والنسر الطائر فى الاسد وهو الآن فى الجدى يعنى على أيام الشيخ محيى الدين فاحسب مابينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد مضى ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلى وهو اليوم فى الدلو فقد قطع نحو عشرة ابراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى (قلت) وسيأتى فى الباب التسعين وثلثمائة قول الشيخ ولقد ذكرنا فى التاريخ المتقدم ان تاريخ اهرام مصر بنيت والنسر فى الاسد وهو اليوم عندنا فى الجدى فاعمل بحساب ذلك تقرب من علم

هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا * فأجبت نعم هي من الكتب المسموعة المقروءة وقد قرأها عليه الحافظ البرزلي وغيره * ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق ولقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده ووقعوا في عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الامور

على نحت القوافي من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى * وكان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة ومن أبغضهم تنصر ومات على ذلك ومن أطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله بموت القلب * وكان أبو عبد الله القرشي يقول من غض من ولي لله عز وجل ضرب في قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة * وكان أبو تراب النخشبي يقول اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليائه * قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي وقد رأيت اجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب ورأيت في آخرها وأجزت له أيضا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مؤلف منها تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما واصطفاه الله لحضرته ومنها تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين ومنها كتاب الرياض الفردوسية في بيان الاحاديث القدسية فهل يحل لمسلم أن يقول لا تجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك الا كفر وتعصب وعناد * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ كمال الدين الزملكاني رحمه الله وكان من أجل علماء الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين فقال وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له قال وقد أنشدني الشيخ بلفظه من جملة أبيات

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

* وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء مصر وقال من أراد أن ينظر الى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله * وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه الفصوص انه ما صنعه الا باذن من الحضرة النبوية فقال الحافظ ما أظن ان مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا مع ان الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفته الصوفية هو وابن تيمية * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محيي الدين كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ولا يقدح فيه الا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال الانبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم * وكان الشيخ مؤيد الدين الجندي يقول ما سمعنا باحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه انه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات مع ان هؤلاء الاشياخ كانوا من أشد الناس انكارا على من يخالف ظاهر الشريعة * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما * وسئل الامام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا انه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام

وسلم ...ا... سواق و... العامل منا أيضا أحق خمسين ممن يعمل بعملهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم (وقال) في الباب السادس أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد انه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شيء يسمع صوت المؤذن من رطب و يابس يشهد له ولا يشهد الا من علم ذلك عن كشف لا عن استنباط عن نظر وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع اعلم ان الانسان آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات قال وأكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد أن انتهى من مدة خلق العالم الطبيعي باربع وخمسين ألف سنة ثم خلق الآخرة أعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة وسميت الدنيا الاولى لانها خلقت قبلها ولم

زن دين وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال شخص من الطلبة مثل من فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربي ولم ينطق الشيخ عز الدين بشئ قال الخادم فلما قدمت له عشاءه وكان صائما سألته عن القطب من هو فقال لأوى القطب في زماننا هذا الا الشيخ محيي الدين ابن العربي وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال مالك فذلك مجلس الفقهاء ماوسعني فيه غير السكوت قال المخزومي فهذا هو الذي رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله الشيخ المخزومي في كتابه المسمى بكشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين * (قلت) وقد صنف شيخنا الجلال السيوطي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين سماه تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي وكتابا آخر سماه قمع المعارض في نصرة ابن الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما

(الفصل الثاني) في تأويل كلمات أضيفت الى الشيخ محيي الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم ليكون للشيخ اسوة بهم * اعلم رحمك الله انه لايجوز الانكار على القوم الا بعد معرفة مصطلحهم في ألفاظهم ثم اذا رأينا بعد ذلك كلامهم مخالفا للشريعة رميناه وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة لايجوز لاحد أن ينكر على القوم ببادي الرأي لعلو مراتبهم في الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشئ يهدم الدين ولانهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولاغيرهما من فروض الاسلام ومستحباته انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرح بها في كتاب ولاسنة ولكن أكابر العلماء العاملين قدير دون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لايفهم بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم تذكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ماوجدت قال لم أفهم من كلامهم شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى * وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التي هي فرع المعجزات فلابدع أن يعطيهم من العبارات مايعجز عن فهمه فحول العلماء * وكان شيخ الاسلام المخزومي يقول لايجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا أن يسلك طريقهم ويرى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة وأما الاشاعة عنهم فلايجوز الانكار عليهم ولاسيهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فأقل مايتعين على المنكر حتى يسوغ له الهم بالانكار ان يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها ويعتقد أن الاولياء يرثون الانبياء في جميع معجزاتهم الا مااستثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات واخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها تبحره في علم الاصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبر واعنه من التجلي الذاتي والصوري وماهو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات وبين الاحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم انتهى وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضي الله عنه وقدمها الى سيدي الشيخ مدين ليكتب له عليها اجازة فكتب له على ظاهرها ما أحسن ما قال بعضهم

بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام اذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحي جديد فعلم انه مابقي للاولياء الاوحي الالهام على لسان ملك مغيب لايشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الالهام من غير شهود للملك اذ لايجمع بين شهود الملك وسماع خطابه الا الانبياء وأما الولي فان سمع صوتا لايرى صاحبه وان رأى الملك لايسمع له كلاما اذ لا تشريع في وحي الاولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثاني والعشرين والله أعلم * وقال في الباب الخامس عشر الابدال السبعة للاقاليم السبعة انما هم مستمدون من روحانية الانبياء الكائنين في السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم الصلاة والسلام قال وأما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون فقد كان بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الانبياء وكذلك تتنزل العلوم عليهم في أيام الاسبوع لكل يوم علم يتنزل لمن رقائق نبي من هؤلاء * وقال في الباب السادس عشر مادخل التلبيس على السوفسطائية

الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية * فمن جملة ما ترجمه به الامام السبكي كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وان الفضل في زمانه رمى بمقاليده اليه وقال لا أعرف الا اياه * ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سئل عنه اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فانه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلة وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الاشارات ثم انه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سألوا من يسلكهم الى ايضاحه وذلك ان كلام الشيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط واشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولو أنهم نظروا الى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات المرادة ولم يباينوا اعتقادهم اعتقاده * قال ولقد كذب والله وافترى من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في اسرار كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وجدت الله عز وجل اذلم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومي رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني وذلك في عام اربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم الائمة وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * قال المخزومي فقوي بذلك نفسي وكثر اعتقادي في الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤس أهل السنة والجماعة قال المخزومي ولقد بلغنا ان الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه المنهاج في حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف قال مع ان السبكي قد صنف كتابا في الرد على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلمية في الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيأ في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الاموي وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم * وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين * ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على انكارهما على الشيخ محيي الدين الى ان ماتا فهو مخطئ انتهى * قال ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني ان الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ في موضعين من كتاب الفصوص أرسل له كتابا من جملته يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على أولياء الله وان كنت ولابد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والافدع * وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطئ وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك * وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال ما لكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته انتهى قال شيخ الاسلام المخزومي وأما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان يقول ابن عربي زنديق فكذب وزور فقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسي صاحب الفوائد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا في درس الشيخ عز الدين في باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم هذه اللفظة عربية أو عجمية فقال بعض العلماء فارسية معربة أصلها

تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على ان بانيها من الناس بالقطع فاذا كان هذا عمر الاهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم *وقال في الباب الثالث عشر لم يتقدم خلق العرش من الملائكة احد سوى الملائكة المهيمين في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الاعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر في العماء والقلم أول ملائكة التدوين والتسطير وأطال في ذكر المخلوقات الاول على الترتيب *وقال في الباب الرابع عشر جملة الاقطاب المكملين في الامم السابقة من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد أقدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم المفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي والمصلح والباقي انتهى قال وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة والله أعلم *وقال في الوحي

ان الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الائمة مردود * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول الولي أفضل من الرسول * والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك وانما قال اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل والذي أقول به ان ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم وبقي مسائل كثيرة نسبت للشيخ وسيأتي بيان انها افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها ان شاء الله تعالى وفي المثل السائر * ويعيا المداري في طريق المخالف * والله أعلم وقد قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون * وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة ما صورته ومما أنعم الله به علي ان أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي اسوة بالانبياء والاولياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم في مستدركه وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام لا يفقد نبي حرمته الا في بلده * وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى الخولاني كيف تجد قومك لك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة اذن وايم الله ما كان رجل حليم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وأخرج ابن عساكر مرفوعا أزهد الناس في الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين وكان أبو الدرداء يقول أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه ان كان في حسبه شيء عيروه وان كان عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى قال الجلال السيوطي رحمه الله واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو من السفلة اذ الاشراف لم تزل تبتلي بالاطراف فكان لآدم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان لداود جالوت واضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الاولى بختنصر وفي الثانية الدجال وكان لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل وكان لابن عمر عدو يعبث به كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته قال ما شأني فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الازرق كان يؤذيه أشد الاذى ويقول انه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة وشكوه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه لا يحسن ان يصلي * وأما الائمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك ما قاساه الامام الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس وما قاساه البخاري حين أخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وأحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشيعوا ذا النون المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ورموا سمنون المحب أحد رجال القشيري بالعظائم وأرشوا امرأة من البغايا فادعت عليه انه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة وأخرجوا سهل بن عبد الله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤس الاشهاد فصار يقرره في قعر بيته الى ان مات وكان من أشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط وكان اذا سمع أحدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من اجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والايمان بها على علم الله فيها ولما أرادوا

والبرهان يحدد ذلك لا يكون وان جاءك من خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وان جاءك من يمينك الذي هو الجهة الموصوفة بالقوة ليضعف يقينك وايمانك بالقاء الشبه في أدلتك فكن موسوي المقام وتذكر قصته مع السحرة حتى آمنوا وان جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فان الخلف للمعطلة أو المشركين كما ان اليمين للضعف والامام للتشكيك في الحواس ومن هنا دخل اللبس على السوفسطائية كما مر وسيأتي بسطه قريبا * وقال في الباب السابع عشر ليس في نظر الله تعالى للوجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة عنده في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا ادراك الحق للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فتنوعت الاحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لا حالة لم تكن عليها فما أوجد الله الاعيان الا لها لا له لانها على حالتها بأماكنها وأزمانها في العلم الالهي وأما الاعيان فيكشف لها عن أحوالها شيأ فشيأ على التوالي والتتابع الى ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه المسئلة فان قليلا من عثر عليها لخفائها فانها متعلقة بسر

سار ت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ثم أرسلها الى الحافظ فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم أذعن لاهل الطريق وصحب سيدي مدين الى ان مات * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول مما يدلك على ان أهل الطريق ما تعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك على يد أحد ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى * وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي يقول لا ينبغي لاحد من أهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فان علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر * وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالانوار الساطعة الى يوم التلاقي ومن تعرض لتخطئته مثله أو تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بهفوات لسانه انتهى وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحياء عن بعض العارفين انه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لاهله كما ان من لم يتغلغل في علم الشريعة يخاف عليه الزيغ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا اله الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد ان الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثبات لك اذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفى وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليأجره الله على ذلك وحاشى الشيخ ان يصرح بفساد قول لا اله الا الله هذا لا يقوله عاقل لانه سامن القرآن العظيم فافهم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه مرارا لا موجود الا الله * فالجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه انه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار اليه حديث * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ومن كان حقيقته كذلك فهو الى العدم أقرب اذا هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا تخلص لاحد الطرفين فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما قال ذلك عند ما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله جعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا أطعته كما في قوله تعالى اذكروني أذكركم وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني باجابة دعائي كما قال تعالى لا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوه والا فليس أحد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى * ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين والفتوحات من أواخر مؤلفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين * قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال أبو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وايمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يقول بجواز اباحة المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لولانا عبد الله بن عباس والامام أحمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر

الا من تشكيك ابليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم فلما أظهر لهم ابليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم وهو من جملة الاغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما أدخل عليهم ابليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة وانما الحاكم على الحس هو الذي يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو مرا في نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجد أنه الحلاوة ولو ان صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ان الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطئ ويصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا في الباب الرابع والثلاثين فراجعه * وقال في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم انما لم يذكر العلو والسفل لان هذه الجهات الاربع المذكورة هي التي يأتي الشيطان منها الى الانسان فان جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف

من نفسه بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه فكأنه مازال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك هذا شأن المريد الصادق وأما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح له قبل اخلاصه في الارادة وطلبه لها أحد من القوم ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالامام أحمد بن سريج حضر يوما مجلس الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا أدري ما يقول ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم أو في تآليفهم لا غير ثم قال ولا يخفى ان أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما ينشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأطال في ذلك ثم قال وأشد الناس عداوة لاصحاب علوم الوهب الالهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الرامين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بمن سن قبلهم وان الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخلص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلوا بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم في مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى اذا جاؤا بشئ يغمض عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون في أهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لاسيما ان لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ان أحدا لا ينال علما الا على يد معلم وصدقوا في ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه باعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان ما لم يعلم وقال في عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم وأخطؤا في اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد في الدنيا وآثروها على الآخرة وعلى ما يقرب الى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم اذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله فان الذين قالوا أولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم يريدوا نفي علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشياء كليات وجزئيات علما واحدا فلا يحتاج في علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا تنزيهه عن توقف علمه على التفصيل فأخطؤا في التعبير فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف وأطال في ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لاهل الله في دعواهم العلم من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك الا من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى له من طريق

كان هو في الحقيقة أمرا لان الحديث مهله فليتأمل * وقال في الباب الخامس والعشرين كنت لا أقول بلباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة (قلت) ذكر الحافظ بن حجر ان حديث لبس الخرقة متصل ورواته ثقات كما أوضحت ذلك في مختصر الفتوحات والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين انما أمر صلى الله عليه وسلم بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان في ذلك تنبيه لهم على ان المصلي من شأنه أن يكون ماشيا في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فان لكل آية منزلا ينزله القارئ والقاعد لا يلبس النعلين قال وانما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لان الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي منافانه في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل اليها موسى عليه السلام ولو صلح له دخولها الامر كذلك بخلع النعلين فان حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه أدبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فأردنا أن يبدلهما

اخراجه قال لا أخرج الان حتى اتم فى عنقى حبلا وجرّ بى فى أسواق البلد وقالوا هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وأخرجوه فالتفت اليهم وقال يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم ثلاث من بلخ صوفى أبدا مع انها كانت أكثر بلاد الله صوفية وأخرجوا الامام يوسف ابن الحسين الرازى وقام عليه زهاد الرى وصوفيوها وأخرجوا أبا عثمان المغربى من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الامام أبا بكر النابلسى مع فضله وكثرة علمه واستقامته فى طريقه من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا ان يفتتنوا به وكذلك سلخوا النسيمى بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك أنهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة محبة وقبول فضعها لنا فى أطباق النعل ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيدة فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا الى نائب حلب وقالوا له بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمى كتب قل هو الله أحد وجعلها فى طباق نعله وان لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة وأخبرنى بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشد موشحات فى التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الى الذى يسلخه ويتبسم ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلى من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه الله من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا فى كلمة قالها فى عقيدته وحرشوا السلطان عليه ثم حصل له اللطف ذكره ابن أمين فى رسالته ورموا الشيخ تاج الدين السبكى بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر واللواط وأنه يلبس فى الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوى فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه وأنكروا على سيدى ابراهيم الجعبرى وسيدى حسين الجاكى ومنعوهما أن يجلسا على كرسى الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه فى مقدمة كتاب الطبقات وانما ذكرنا لك يا أخى محن هذه الائمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لك لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لاسيما الشيخ محيى الدين لان هؤلاء الائمة تناؤهم عندنا كالمسك الاذفر فكما لا يقدح فى كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح ما قيل فى كمال الشيخ محيى الدين والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث) فى بيان اقامة العذر لاهل الطريق فى تكلمهم فى العبارات المغلقة على غيرهم رضى الله عنهم * اعلم رحمك الله ان أصل دليل القوم فى رمزهم الامور ما روى فى بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابى بكر الصديق أتدرى يوم يوم فقال أبو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتنى عن يوم المقادير * وروى أيضا انه قال له يوما يا أبا بكر أتدرى ما أريد أن أقول فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى بعض كتبه وذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه اعلم ان أهل الله لم يضعوا الاشارات التى اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح فى ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيأ لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا قال ومن أعجب الاشياء فى هذه الطريق بل لا يوجد الا فيها انه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف منهم لا بد من ذلك الا أهل هذه الطريق خاصة فان المريد الصادق اذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم فى الخوض فى ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك

القدر * وقال فى الباب الثامن عشر لا يحسن ثمرة التهجد ودوامه الفياضة على أصحابه كل ليلة الا من كانت فرائضه كاملة فان كانت فرائضه ناقصة كملت من نوافله فان استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك

* وقال فى الباب العشرين حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب فى حال عدم توقعه فلا أمان لهم بطريق الاخبار من الله تعالى بقوله لا يفتر عنهم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثانى والعشرين فى قوله وكل شئ أحصيناه فى امام مبين اعلم ان قوله أحصيناه يدل على انه تعالى ما أودع فيه الا علوما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا قال وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لاحد حصر أمهات هذه العلوم فقال نعم هى مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم لا يعلمها الا الله تعالى

* وقال فى الباب الرابع والعشرين أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد ربه دعاء لا أمرا محمد بن على الترمذى الحكيم رضى الله تعالى عنه وكان من الاوتاد وما سمعنا بهذا الاصطلاح من أحد سواه وهو أدب عظيم وان

الناظرين فى رسائلهم من بعدهم فيظفر وا من تلك المعانى بمايرقيهم و يبعث سحائب الرحمة على قلوبهم
وعلى ألسنتهم فتشرق ارض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بأثر هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم
فى نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم
فى تدوين دواء امراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى فى جميع الامور المشروعة فان لكل مقام
حضوراوأدبا يخصه * فان قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدوّن فيه الأئمة المجتهدون كتبا
ولا نرى لهم فى ذلك كتابا واحدا * فالجواب انما لم يضعوا فى امراض القلوب كتبا لانها لم تكن ظاهرة
على أهل زمانهم ولو أنها كانت ظهرت فى زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها ورسائل مستقلة كما فعل
من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لانها من الكبائر بخلاف الزمن الذى بعدهم ظهر فيه الرياء
والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دوّن الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فانما لم يدون المجتهدون فى
طريق القوم كتبا لانهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها
ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك اذا حصل لهم زيغ ولولا قواعد
الشريعة التى مهدها المجتهدون ماعرف أحد موازين الاعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الأئمة
المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الامة فافهم
فعلم ان لائمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه فانه كما
كان فى الكلام فى علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظنى الموجب للعمل واشراقه فى مظاهر المرشدين
وكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين واشراقها فى مظاهر الهادين بالحق
* فان قيل فلم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشى على ظاهر الكتاب والسنة فقط أليس ذلك كان يكفيهم
كما كفى غيرهم * فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الائمة المجتهدين ومقلديهم فانهم لم يقفوا
على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص مالا يحصى من الاحكام والوقائع كما هو
مشاهد فان رددت يا أخى استنباط العارفين لزمك ان ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك فكما لا يجوز ذلك
الاعتراض على كلام الائمة المجتهدين لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة فكذلك لا يجوز ذلك
الاعتراض على العارفين المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآداب الظاهرة والباطنة فكما
أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة فى دولة الظاهر فكذلك
العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا فى دولة الاعمال الباطنة فالاجتهاد واقع
فى الدولتين ولا غنى باحداهما عن الاخرى فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعنى ناقصة
* فان قيل فلم رمز القوم كلامهم فى طريقهم بالاصطلاح الذى لا يعرفه غيرهم الا بتوقيف منهم كما مر ولم
يظهروا معارفهم للناس ان كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤس الاشهاد كما يفعل علماء
الشريعة فى دروسهم فان فى اخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة وفتحا لباب رمى الناس
لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية * فالجواب انما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم كما مر
فى كلام الشيخ محيى الدين أوائل الفصل وقد كان الحسن البصرى وكذلك الجنيد والشبلى وغيرهم
لا يقررون علم التوحيد الا فى قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون
أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك الا
لدقة مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام
ولا يجوز لاحد ان يعتقد فى هذه السادة انهم ما يخفون كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك
فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التى دونت وكان من حقها ان لا تذكر الا مشافهة ولا توضع فى
الطرس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله ان لم يدون دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على أسرار

لما أمامكم فهذا سبب عدم
ذكر الباء فى قوله والنهار
واكتفى بالليل (وقال) فى
قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة
لاولى الابصار هو من العبور
لا من الاعتبار فمعنى الآية
لا تقفوا على ظاهر الصور بل
اعبروا من ظاهر تلك الصورة
الى باطنها المراد منها كما ان
الذى يراه الانسان فى حال
نومه ما هو مراد لنفسه وانما
هو مراد لغيره فيعبر من تلك
الصورة المرئية فى حال النوم
الى معناها المراد بها فى عالم
اليقظة اذا استيقظ من نومه
وكذلك حال الانسان فى الدنيا
ما هو مطلوب للدنيا فكل
ما يراه من حال وقول وعمل
انما هو مطلوب للآخرة
فهناك يعبر ويظهر له فى الدنيا
حالة اليقظة وأطال فى ذلك
* وقال فى الباب الثالث
والثلاثين اعلم ان النية فى
جميع أفعال المكلفين كالمطر
لما تنبته الارض فان النية
من حيث ذاتها واحدة
وتختلف بالمتعلق وهو المنوى
فتكون النتيجة بحسب
المتعلق به لا بحسبها فان حفظ
النية انما هو القصد للفعل
أو تركه وكون الفعل حسنا
أو قبيحا أو خيرا أو شرا ما هو
من أثر النية فهو أمر عارض
عرض ميزه الشارع وعينه
للمكلف فليس للنية أثر البتة
من هذا الوجه خاصة كالماء
فان منزلته انه ينزل ويسيح
فى الارض وكون الارض
الميتة تحيا به أو يهدم بيت

الالهام اذالفكر لا يصل الى ذلك * وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامى يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علومنا عن الحى الذى لا يموت * وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا من أصحابه يقول فى حكاية أخبرنى بها فلان بن فلان يقول لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يعنى لا تحدثوا الا بفتوح كم الجديد الذى فتح الله تعالى به على قلوبكم فى كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهى حى لا يموت وليس له محل فى كل عصر الا قلوب الرجال انتهى وسيأتى بسط ذلك أيضا فى آخر المبحث السابع والاربعين * قال شيخ الاسلام سراج الدين المخزومى رضى الله عنه فى رمز الاشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن افشاء أسرار الربوبية من غير ذوق فيقع فى افشائه أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم الثانى أن فى ذلك اشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا فى العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مشاهدة وذوقا الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه الا كل جواد فى العلوم شديد فى علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازى يقول ما أذن لى فى تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنتى عشرة ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذى يخوض فيه القوم * وقد قال الامام الشافعى للربيع الجيزى اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت انتهى وسئل الاستاذ على بن وفا رضى الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التى تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وان لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل أليس الذى اطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع اضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا أن يقول نعم هو تعالى عليم حكيم فان قال صح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخرى يربو على هذه المفاسد قلت وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق تعالى لم يترك اظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة لابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغى لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها وأطال فى ذلك ثم قال وحسبك جوابا أن من دون المعارف والاسرار لم يدونها بالجمهور بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها لنهاه عنها * وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا وكذلك لا يجوز لاحد أن ينقل كلامنا الا لمن يؤمن به فمن نقله الى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع أهل الغفلة والحجاب بل تعدوا حدود القوم وأظهروا كلامهم لغير أهله فكانوا كمن نقل المصحف الى أرض العدو الذى لا يؤمن به مع ان الله تعالى نهاه عن ذلك فمكنوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسنة معوجة فطائفة تستهزئ به وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه فى الضلال والطغيان والانكار على أهل الاسلام وأطال فى ذلك * ثم قال وهل دون المجتهدون رضى الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والامراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا فكما ان المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذى يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجرنيتهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجرنيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب

قرنهما بنون الجمع انما قال أردنا لان تحت هذا اللفظ أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره فى نظر موسى عليه السلام وفى مستقر العادة فما كان من خير فى هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر فى ظاهر الامر فى نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخيرية به أضاف الامر الى الله ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه قال ولو أن الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى يعنى الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما لم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فجعل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه فى ضمير واحد فقال فى خطبة رويناها عنه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى فافهم * وقال فى قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار اعلام يقول تعالى وبالنهار ليحقق لنا انه يريد انا فى منام فى حال يقظتنا المعتادة أى أنتم فى منام مادمتم فى هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة

نردعلى اعقابنا بعد اذ هدانا الله * وكان بعض العارفين رحمه الله يقول ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهى لاصحابهم عربية هذا كله فى حق المتمكنين من الاولياء أما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح * وقد بلغنا ان عصفورا راود عصفورة فى قبة سليمان بن داود فأبت عليه فقال لها قد بلغ بى من حبك ما لو قلت لى اقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الى سليمان فأرسل خلفه وقال ما حملك أن تقول ما لم تقدر عليه فقال مهلا يا نبى الله انى عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والتحقيق فأعجب ذلك سليمان انتهى وفى ذلك عذر عظيم للعشاق فى طريق أهل الله عز وجل كسيدى عمر بن الفارض واضرابه رضى الله عنهم أجمعين وفى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وان كان الذى وقع من موسى انما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فان فى هذه القصة اقامة عذر لمن أنكر ولمن أنكر عليه لكن من شأن أهل الطريق أن لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بينى وبينك ولو أن أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور والمبين فلا تظن يا أخى أنهم عاجزون عن اقامة الحجة وتنسبهم الى العامية * وايضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدى على بن وفا فى كتابه الوصايا ان فى القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للاولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم ان اقتضى الشرع منك انكار شئ من كلامهم أو من أحوالهم فلك انكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان يتشبه بهم فى ذلك من ليس هو فى مقامهم والا فالموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعانى التى أبداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة فى ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كى لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا وقال خشيت ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به فى ظاهر الشرع أيضا قال وقول الولى وما فعلته عن أمرى ليس مسوغا لمثل هذه الاعمال فى الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول فعلم أن الانكار ما وقع من موسى أولا الا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا ان يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل فى خواص أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعلم موسى عند ذلك ان لله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم الموهوبة وانه ليس لاحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وان كان المعترض أعلى درجة فافهم ولا يخفى ان جملة العلوم ثلاثة علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار * فعلم العقل هو كل علم ضرورى بديهى أو حاصل عقب نظر فى دليل شرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم * وأما علم الاحوال فلا سبيل اليه الا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظرى فلا يلتذ به اذا جاء من غير معصوم الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل فى ميزان العقول وعلامة العلم الوهبى ان لا يقبله ميزان العقول من حيث افكارها بل تمجه غالبا * وأما علم الاسرار فهو العلم الذى فوق طور العقل ولذلك يتسارع الى صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام الذى يختص به النبى والولى وعلامته أنه اذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الافهام دركه وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التى لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر ان يوصل ذلك العلم الى الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل *وكان الشيخ محيى الدين بن العربى يقول من شأن العارفين أنهم ان كانوا فى سلطان الحال أجابوا بالنصوص

تدبيره فلم يبق للجسم من تحفظة عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض وأطال فى ذلك * وقال فيه انما كان الحيوان الذى يمشى على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذى عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته باصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما رد الى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفا مسكينا لان أصله حكم عليه لما قرب منه ثم اذا شفى واستوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله فى حال صحته كحاله فى مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم * وقال فى الباب الرابع والثلاثين اعلم ان لله عبادا خرق لهم العادة فى ادراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلمت علم الاولين والآخرين فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا لا يبعد أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث * وقال انما أنزل القرآن كله فى ليلة القدر اشارة الى أن به تعرف مقادير الاشياء وأوزانها قال وكان نزوله فى الثلث الآخر منها

* وقال فى الباب السادس

اللهان تذاع بين المحجوبين وأنشدوا فى ذلك

ألا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب فى الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الاعادى
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى الفساد

أى كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه يقول نعم ما دعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا فى أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريد ان يطالع فى رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى وكان سيدى على بن وفا رضى الله عنه اذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كانسان دخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى فى بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هنالك حذرا منهم أليس يدل اختفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على انه عليم حكيم أو هو بضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيق جسده وأكل لحمه وكان هو الملقى بنفسه الى التهلكة وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين فى رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها فأمره ان لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ولا يخفيه عمن يؤمن به فكما لم يدل اخفاء النبى صلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح فى صحتها كذلك لا يدل اخفاء العارفين كلامهم عن المجادلين بغير علم على بطلانه ومخالفته للشريعة فافهم لكن ان هيأ الله تعالى للعارف أسباب ظهور رشأنه وقدر على قهر المنكرين عليه بالحال أو بادحاض أقوالهم بالحجج الواضحة حتى صاروا يقرون له بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ اظهار معارفه على رؤس الاشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤس الكفار حين تهيأت أسباب الظهور وتمكن فى أمره وصار له أنصار يحفظونه من الاذى فعلم ان للعارفين فى ذلك الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الى الآن فى طلبك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف فى الغار أكثر من ثلاثة أيام وقد بان لك أنه ليس للانسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم الا ان علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والانصار * فان قيل فلم يترك هذا العارف اظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له * فالجواب أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فحيثما سلك سلكوا كما مر عن الامام أحمد بن حنبل آنفا فكما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الامر من الله تعالى باظهار ما معه من الحق فكذلك ورثته قال سيدى على بن وفا يقال لهذا المعترض أيضا على القوم فى رمزهم معارفهم أرأيت لو أنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم أينبغى له أن يوافقهم على جنونهم فيتجنن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الانسان الكائن بين الذئاب الضوارى اذا لم يرضوا ان يقيم بينهم الا أن يمشى على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوى كعيهم أينبغى له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع أنه يمكنه الفرار منهم والاقامة على طريقة الانسانية لا والله لا ينبغى لله در على الخير أن ينسلخ منه ليرضى أهل الشر فالله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فنعوذ بالله ان

ترد

الجوز القصيرة بزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من حيث مزاج البقعة أو طيبها أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فان نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وان نوى شرا أثمر شرا انتهى وسيأتى فى الباب الثامن والستين ماله تعلق بالنية والله أعلم * وقال فيه العارف يأكل فى هذه الدار الحلوى والعسل والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس * وقال فى قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعلى الله قصد السبيل الحق تعالى ينزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعى وانما المراد ان العلم الالهى اذا تعلق ازلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه بمعنى انه لا بد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذى تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا فى ذلك * وقال فى سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن

كل شئ وأثبت الجن بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأثبت ان الجن يدخلون الجنة بقوله
تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأثبت حشر الاجساد بقوله تعالى اذا بعثر ما فى القبور والى أمثال ذلك
مما هو مذكور من الادلة الصحيحة فى كتب العقائد كوجوب الايمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض
والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ
وأثبت المعجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فى كتابه العزيز قل فأتوا بسورة مثله فان القرآن
كله معجزته صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين فعلم أنه لا ينبغى لمؤمن أن ينسى حدود ربه التى كلفه
بها فى هذه الدار ويستغرق غالب عمره فى الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين فى بلاده وبدفع شبه يمكن أن
تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة أقطع وأردع وفى الحديث الصحيح أمرت ان أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بى وبما جئت به ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا حضروا
انما هو الجهاد بالسيف ان عاندوا فى الحق قال وهذا هو جل اشتغال الناس اليوم فقطعوا عمرهم فى
الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح
فيتخيل لصاحب الكلام فى مثل ذلك أنه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف
رضى الله تعالى عنهم ما وضعوا كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا فى عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم
بقصدهم قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها
ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة
ثم ان احتاج انسان الى رد خصم حدث فى بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر فى رد
مذهبه لكن بالامور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمى مثلا فانه لا يقبل دليل الشرع على
ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذى يقدح فى الشريعة فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه فلا
نثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده بالنظر العقلى فنداويه بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك فى هذه المسئلة وحقق
النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن
العظيم كما مر فانه متواتر قطعى معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن
يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخى الى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا
عليهم سورة قل هو الله أحد ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى الله أحد أثبت الوجود
للاحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفى الجسمية لم يلد ولم يولد نفى
الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد نفى الصاحبة والشريك أفيطلب صاحب الدليل العقلى البرهان على صحة
هذه المعانى بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعى ان ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعرى من يطلب معرفة الله
تعالى من حيث الدليل ويكفر من لا ينظر فيه كيف كانت حالته هو قبل النظر وفى حال النظر هل هو مؤمن
أم لا وهل كان ثبت عنده ان الله تعالى موجود وان محمدا عبده ورسوله أم لا وهل كان يصلى ويصوم أم لا فان
كان معتقدا لهذا كله فهذه هى حالة العوام فليتركهم على ما هم عليه ولا يكفر أحدا منهم وان كان لا يعتقد
هذه الامور الا بعد النظر فى علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء
النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول ليس من شأن أهل الله تعالى أن
يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الا ان خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع فمن تصدى للرد
على أحد منهم فلا يأمن أنه ينكر عليهم أمرا هو حق فى نفس الامر فان أهل الاسلام ما داموا فى دائرة
الاسلام لا يعتقدون الا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج عن الاسلام انتهى (وقال) فى الباب
الثلاثين من الفتوحات من شأن أهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم
البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذى تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت

تعالى يقول تلقف ما صنعوا
وهم ما صنعوا الحبال
والعصى بسحرهم وانما
صنعوا فى أعين الناظرين
صور الحيات وهى التى تلقفته
عصى موسى عليه السلام
ولو كان الامر على ما توهمه
بعضهم لقال تعالى تلقف
عصيهم وحبالهم قال فكانت
الآية عند السحرة خوف
موسى وأخذ صور الحيات
من الحبال والعصى وحاصل
ما توهمه بعضهم ان الذى جاء
به موسى حينئذ من قبيل
ما جاءت به السحرة الا انه
أقوى منهم سحرا وأطال فى
ذلك ثم قال والسحر مأخوذ
من السحر وهو ما بين الفجر
الاول والفجر الثانى وحقيقته
اختلاط الضوء والظلمة فما
هو بليل لما خالطه من ضوء
الصبح ولا هو بنهار لعدم
طلوع الشمس للابصار
فكذلك ما فعله السحرة ما هو
باطل محقق فيكون له عدم
فان العين أدركت أمرا لا
تشك فيه وما هو حق محض
فيكون له وجود فى عينه فانه
ليس هو فى نفسه كما تشهد
العين ويظنه الرائى انتهى
وأشار الى ذلك أيضا فى الباب
السادس عشر من الاصل
(قلت) وهو كلام نفيس
ما سمعنا بمثله قط * وقال فى
الباب الحادى والاربعين
يقول الله عز وجل فى بعض
الهواتف الربانية يا عبدى
الليل لى لا للقرآن يتلى ان لك
فى النهار سبحا طويلا فاجعل

وان كانوا فى المقام أجابوك بظواهر الادلة فهم بحسب أوقاتهم فقد بان لك ان علوم الاسرار لاتنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة أو الالهام الصحيح وماشا كل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفائدة فى قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن من أمتى محدثون فهو عمر ذكره الشيخ محيي الدين فى رسالته التى كتبها الى الشيخ فخر الدين الرازى وهى نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدران الانكار لم يقع فى الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبى هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم يعنى مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أنى ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى يتنزل الامر بينهن لرجمتمونى أو لقلتم انى كافر * ونقل الامام الغزالى فى الاحياء وغيره عن الامام زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنه أنه كان يقول

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال المسلمين دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالى والمراد بهذا العلم الذى يستحلون به دمه هو العلم اللدنى الذى هو علم الاسرار لامن يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم لان ذلك لا يستحل علماء الشرع بعدم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى فتأمل فى هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى هداك

(الفصل الرابع) فى بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها من يريد التبحر فى علم الكلام

* اعلم رحمك الله ان علماء الاسلام ماصنفوا كتب العقائد ليثبتوا فى أنفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة فى هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطالب علماء الاسلام اقامة الادلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لاغير وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التى ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام فى ذلك ويكفى فى المصر الواحد واحد من هؤلاء وأطال الشيخ محيي الدين فى صدر الفتوحات من الكلام فى ذلك * ثم قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول الى أدلة العقول مجردة عن الشرع فان القرآن دليل قطعى سمعى عقلى فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزه عن أن يشبهه شئ من المخلوقات أو يشبه هو شيأ منها بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ونحوهما من الآيات وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين فى الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى فى الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفى الاحاطة بقوله تعالى لاتدركه الابصار وبقوله تعالى انه بكل شئ محيط وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شئ قدير وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى أحاط بكل شئ علما وأثبت كونه مريدا للخير والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وأثبت كونه تعالى سميعا لخلقه بقوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى والله بما تعملون بصير وبقوله ألم يعلم بان الله يرى وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وأثبت كونه حيا بقوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله محمد رسول الله وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثا بقوله تعالى وخاتم النبيين وأثبت ان كل ما سواه خلقه بقوله تعالى الله خالق

والثانى فى قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم ان المخاطب بهذا علماء الامة لقوله ورثة الانبياء وما قال ورثة نبى خاص وكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الانبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم * وقال فى الباب الاول بعين انما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون قولهم رب موسى وهرون لانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياى عنوا فزادوا رب موسى وهرون أى الذى يدعو اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال قال وكان فى خوف موسى من عصاه حين ظهرت فى صورة حية اعلام للسحرة ان ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لان أحدا لا يخاف من فعله هو لعلمه بانه لا حقيقة له من خارج قال وكان صورة تلقف عصى موسى انها تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هى فى نفس الامر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة فى عصا موسى والتبس عليهم

وتأتيني انما هو من حضرة القرآن العظيم فاني أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط في علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه * وقال في الكلام على الاذان من الفتوحات اعلم اني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شئ من تصانيفي * وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما أكتبه في تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث في روعي من ملك الالهام وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندي بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطا * وقال في الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما نقوله الا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الالفاظ * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه انما هو عن املاء الهى والقاء رباني أو نفث روحاني في روعي كياني كل ذلك لي بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام ووحي الاشارة والعبارة ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الالهام تكن من العلماء الاعلام * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هي من الفيض الالهى * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجل الهى والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق وبالنظر الصحيح * وقال في الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وانما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن من الفتوحات اعلم ان العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشئ الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم * وقال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين اعلم ان العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية اذ العلم النظري لا يحصل الا أن يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضروري على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان * وقال في الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان العقائد الصحيحة هي كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق اذا جاءه من غير ذلك الوجه الذي تقيد به فاذن الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد ونظر في كل قول من أين انتحله قائله وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان الانسان اذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل الامور ورجع الى نفسه واستقل بالنظر فالعلماء في ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر في الدليل حتى يعرف الحق ولكل منهما وجه انتهى * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجري على لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حاله فيحميه حاله ويعذر كالسكران واذا صحا ذهبت الحماية * وقال في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر في كتب الملل الباطلة والنحل الزائغة لاحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أي وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم في ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح انتهى * وقال في الباب الخامس والسبعين ومائتين من الفتوحات يجب على كل عارف ستر ما تعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الاسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه التنكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ

مخاصا لا يعلمه الا الله اللهم الا أن يكون أحد نا مقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع * وقال في الباب الخامس والاربعين الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة الى الله وبين ستر المقام فيدعو الى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى لا يعرفهم العامة الا بانهم نقلة لا يتكلمون من أحوالهم (قلت) وكان على هذا القدم سيدي الشيخ ابراهيم الجعبري وسيدي أحمد الزاهد وسيدي حسين الجاكي رضي الله تعالى عنهم * وقال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة ابراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى له حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فكذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى بعد ذلك الى ارشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله أعلم * وقال في الباب السابع والاربعين ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله تعالى الا بالاذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد

وهل يؤثر ذلك فى سعادتهم أم لا هذا احظاهم من البحث فى علم الكلام فعلم ان عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التى تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التى فطر الله الموحدين عليها اما بتقليد الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد فى ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الائمة وهم على صواب فى عقائدهم مالم يتطرق أحدهم الى التأويل فان التأويل قد لا يكون مراد الشارع وان تطرق أحدهم الى التأويل للآيات والاخبار فقد خرج عن حكم العامة فى ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تاويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة فتأمل فى ذلك فانه نفيس * وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول تصوير التقليد فى مسائل الايمان عسر جدا فقل أن ترى واحدا مقلدا فى الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فان كلامهم فى الاسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو ان يسمع الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شئ يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة ادراك هؤلاء تحسينا لظنه بهم وتكبير الشأنهم عن الخطأ فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب * وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل سقط هو غيران التقليد عرضة لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف الاستدلال فان فيه حفظه عن ذلك انتهى ونقل الشيخ أبو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسى أجل أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله قال لما حضرت الشيخ أبا الحسن الاشعرى الوفاة فى دارى ببغداد قال لى اجمع أصحابى فجمعتهم فقال لنا اشهدوا على انى لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبى الحسن الاشعرى أنه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه ايمان انتهى * وقال الشيخ تاج الدين بن السبكى التحقيق الدافع للتشنيع على الاشعرى فى هذه المسئلة ان المقلد ان كان آخذا القول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفى ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذا القول الغير بغير حجة لكن جزما فيكفى ايمان المقلد عند الاشعرى وغيره قال الجلال المحلى وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازانى وغيره التحقيق فى مسئلة ذم الخوض فى علم الكلام أن النظر فى ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية فى حق المتأهلين له فيكفى قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع فى الشبه المضلة فليس له الخوض فيه قال الجلال المحلى وهذا محمل نهى الامام الشافعى وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيي الدين بن العربى يقول محل النهى عن الخوض فى علم الكلام انما هو فى حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر اذ الفكر كثير الخطا فى الالهيات أما من يتكلم فى التوحيد ولوازمه من طريق الكشف فلا يدخل فى نهى السلف لان صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الامور من حيث ما هى عليه فى نفسها فلا يخطئ انتهى (قلت) ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكرى لا سيما ما كان من كلام الشيخ محيي الدين رضى الله عنه فقد قال فى الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به فى مجالسى

الليل كلامى وما طلبتك اذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك الى جنتى وما أعددت فيها لاوليائى فأين أنا اذا كنت فى جنتك مع الحور متكئا على فرش بطائنها من استبرق وآية تذهب بك الى جهنم فتعاين ما فيها من انواع العذاب فأين أنا اذا كنت مشغولا بما فيها وآية تذهب بك الى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر الا لتجمع بقلبك على وأما استنباط الاحكام فلها وقت آخر ومقام رفيع وأرفع وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث والاربعين فى حديث استفت قلبك وان افتاك المفتون فى هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فانهم اذا بحثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت اخت بشر الحافى لما سألت الامام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة اذا مرت فى الليل وقال لها الامام أحمد من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فيها ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رابها فكانت تدع ذلك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فانه صلى الله عليه وسلم انما أعطانا ذلك ليزان فى قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس خاصا

موسى كف عن الخضر آخر الامر فلولا ان موسى فهم ان الخضر على حق لانكر عليه آخرا كما أنكر عليه أولا انتهى * وقال فى الباب الاحد وعشرين وخمسمائة من الفتوحات اعلم ان قطاع الطريق فى سفر المعقولات هى الشبه التى تطرق الناظر بعقله وقطاع طريق السفر فى المشروعات هى التأويلات ولا يخلو المسافر من ان يكون فى احدى هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد انتهى سيره انتهى * وقال فى الباب الثانى والسبعين اعلم ان موازين الاولياء المكملين لا تخطئ الشريعة أبدا فهم محفوظون من مخالفة الشريعة وان كانت العامة تنسبهم الى المخالفة فما هى مخالفة فى نفس الامر وانما هى مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن هو دونهم فى الدرجة ثم ان ذلك لا يقدح فى علم أهل الله تعالى وأطال فى ذلك ثم قال والموازين ثلاثة ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد المطلق وما عدا هؤلاء الثلاثة فهى آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها * وقال فى الباب السادس والستين ومائتين اياك ان تجد مسئلة استدل لها صاحبها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها الاستدلال لهذه المسئلة ببادئ الرأى بل تربص فى ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى ان يقبل جميع ما فسره به المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك فى غيره وأطال فى ذلك * ثم قال لكن لا يخفى ان من شرط من فسر القرآن ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد ان من فسر القرآن برأيه فقد كفر انتهى * وقال فى مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسئلة قالها فيلسوف أو معتزلى مثلا وتقول هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى ان تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها أو أحد من علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين * وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة بالحكم والتبرى من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح موافق للشرائع فلا تبادر يا أخى الى الرد فى مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تجد النظر فقد يكون ذلك حقا موافقا للشريعة لكون الشارع قال تلك المسئلة أو واحد من علماء شريعته وأما قولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من فيلسوف أو طالعها فى كتب الفلاسفة مع ذهولك عن كونها من الحق الذى وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب أما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من الفلاسفة أو طالعها فى كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا أقيمت عندك بذلك بينة عادلة وأما الجهل فكونك لم تفرق فى تلك المسئلة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم والصدق وانخرطت فى سلك أهل الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن طريق أهل الحق بالحمية الجاهلية * فخذ يا أخى ما أتاك به الفيلسوف أو المعتزلى مثلا ثم تربص واهتد على نفسك قليلا قليلا حتى يتضح لك معناه أحسن من أن تقول يوم القيامة ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين * وقال فى الباب السادس والعشرين ومائتين من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة ما ذمت لمجرد هذا الاسم وانما ذمت لما أخطؤا فيه من العلم المتعلق بالالهيات فان معنى الفيلسوف هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليونانى هو الحكمة وكل عاقل بلا شك يحب الحكمة غير ان أهل الافكار خطؤهم فى الالهيات أكثر من اصابتهم سواء كان معتزليا أو فيلسوفيا أو كان من أصناف أهل النظر انتهى * وقال الشيخ محيى الدين فى كتاب لواقح الانوار لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرأيت الخطأ انما دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك لانهم أخذوا العلم عن ادريس عليه السلام فلما رفع الى السماء اختلفوا فى فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا فأحل هذا ما حرم هذا وبالعكس انتهى * وقال فى مقدمة الفتوحات مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى ان من أخذ ايمانه تقليدا جازما للشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها اذا كان حاذقا فطنا من الحيرة والدخيل فى أدلته وايراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها

عند الله فيكون كالقرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا لا أنا جعلنا له أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا وأطال فى تفسير الآية * ثم قال ومعنى طاعة أولى الامر اى فيما اذا أمرونا بما هو مباح فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه وأطعناهم أجرنا فى ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لاولى الامر ان يشرعوا شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل فى أولى الامر أطيعوا مثل ما قال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * وقال فيه انما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله واسجد واقترب وبحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بأن الحق تعالى فى نسبة الفوقية اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده وبقوله يخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحتية اليه سواء فان الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو اذا رفع وجهه فى حال الدعاء ويديه وقد جعل الله السجود حال قرب من الله اليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى سماء الدنيا فهو معنا أينما كنا فى حال كونه فى السماء

أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار لا يسع الصديقين الآن ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة * قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور ونحن بواسطة اظهارنا المعارف والاسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الاذى وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه الاقليل واعدى عدو لنا المقلدون لافكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم ويا ليتهم اذلم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة انما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لانها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله ويدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه ويفرح لزوالها من يده وأما مع ميله الى الدنيا فلا سبيل له الى فهم الغوامض أبدا انتهى * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة من الفتوحات من اراد الدخول الى فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه ويقدم بين يديه شرع ربه ويقول لعقله ان نازعه انما أنت عبد مثلي فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى الى نفسه من آيات الصفات مثلا لعجزك أنت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولو انك ألزمت نفسك الانصاف لالزمت حكم الايمان والتلقي وحدات النظر والاستدلال في غير ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر الهي بصورة علم الهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالاخسرين أعمالا انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة من الفتوحات اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فان ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا كأهل بدر اذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في الدنيا وانما سقطت عنهم في الدار الآخرة على ان العبد لو قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل اسقطت عنك الحدود فالحاكم الذي يقيم عليه هذا الحد والتعزير ماجور * قال ومن علامة صاحب الحال ان يحمي نفسه من متولي الحدود فتيبس يده مثلا فلا يستطيع ان يحركها نحوه انتهى * وقال في الباب الثالث والستين ومائتين اعلم ان عين الشريعة هي عين الحقيقة اذ الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى فالعليا لاهل الكشف والسفلى لاهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ما قاله أهل الكشف فلم يجدوه في دائرة فكرهم قالوا هذا خارج عن الشريعة فأهل الفكر ينكرون على أهل الكشف وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان علوم الفكر أحد طرفي الشريعة فكذلك علوم أهل الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع بين الطريقين عزيزا فرق أهل الظاهر بينهما والا فما

التلاوة كالة احوالها در دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال في ذلك * ثم قال في حديث للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اعلم أنه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذي هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم ألا تراه قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والصوم لا ينقسم فافهم * وقال فيه للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالاعمال كما لا يترقى في العلم والعمل ولو ان الملائكة ما كانت ترقى في العلم ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما بالاسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك * وقال في الباب الثامن والاربعين في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ الينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وانما المراد بطاعته صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من

ثنين لجاز ان يريد أحدهما شيأ و يريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتي بسطه في آخر مباحث هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء قال جمهور المتكلمين والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أي لا يكون بينه و بين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء اذلو كان له ابتداء وانتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول الآحاد أربعة أقسام * الاول أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر الى محل وهو الباري جل وعلا * الثاني أحد يتحيز و ينقسم و يفتقر الى محل وهو الجسم * الثالث أحد يتحيز ولا ينقسم و يفتقر الى محل وهو الجوهر * الرابع أحد لا يتحيز ولا ينقسم و يفتقر الى محل وهو العرض انتهى * وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد تعالى ان يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء اذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث نفي الحلول والاتحاد ان شاء الله تعالى * فان قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهما في الغار حين خاف من المشركين ما ظنك باثنين الله ثالثهما * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في باب الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الابهام والتساوي في مرتبة واحدة ولو انه قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما في الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الله ثالثهما أي حافظهما في الغار من الكفار والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلاثين ومائة من الفتوحات المكية وانما لم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فانه يكفر فتأمل فان الله تعالى واحد أبدا الكل كثرة وجماعة ولا يدخل معها في الجنس لانه اذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس أربعة فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ * قال وليس عندنا في العلم الالهي أغمض من هذه المسئلة لان الكثرة ما ثم في عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه اذ لا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة من الفتوحات أيضا في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية اعلم ان الله تعالى مع الخلق أينما كانوا سواء كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم اذ صفته التي ظهرت مشاهد لا يمكن ان تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدا في انتقالوا الى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى الى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم * قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا * فان قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع ان تعددها الا وجه عقلا * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان الذي أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذي جاء من قوله تعالى وما من اله الا اله واحد فهذا هو الذي جرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار ان يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الاوثان في قولهم عن آلهتهم التي اتخذوها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا الا ليقربونا الى اله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب في ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله من هنا أنكر والا له اله واحد ولولا انهم كانوا أنكر والله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين فيمن

هو المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يعملوا بذلك في باسم الله مجراها ومرساها واقرأ باسم ربك (قلت) وقد ذكر الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلثمائة ما نصه الاوجه عندي ان سورة الانفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وان كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وذلك ان البسملة موجودة في كل سورة أولها ويل وأين الرحمة من الويل انتهى *وذكر أيضا في الباب السابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جماني في ذلك على بينة من ربي ان اختصاص البسملة في أول كل سورة انما هو تتويج الرحمة الالهية في منشور تلك السورة وأن الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فانها علامة الله على كل سورة انه امنه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فان به يقع القبول و به يعلم انه من عند الله هذا الاخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل ولله الحمد لكن في حجاب عن شهود المحل الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر) أيضا في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة

فيخاف عليه الهلاك أو أطال في ذلك قال وتأمل كلام العقلاء تجدهم اذا نظروا واستوفوا في نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الامر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به و يقدح فيه ويرون ان ذلك الاول كان خطأ وانهم ما استوفوا أركان دليلهم وانهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لاتردد فيه اذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما نتج من العقل فانه مدخول يقبل الشبه والتردد ومن هنا كان دليل الاشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الاشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال ثم انهم كلهم يتصفون باسم الاشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الاستاذ والاستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون انهم أشعرية كما يقع لاهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان أهل النظر لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وأن التقليد مذموم فيما أخبر به الحق بالعلم أقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الامم السالفة ان أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وانما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره * وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين اعلم انه لا يصح من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يخزنه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيأ انتهى * وقال في صدر الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الامور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا بأحكام الدنيا فان تعلق حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الامر كما وصل الي فأنا مؤمن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد الا ما صح من طريق القطع اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهناك يعتقد النص و يترك دليل العقل و يجب على المؤمن ان يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الامر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الايمان * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول علوم النظار أوهام اذا قرنت بعلوم الالهام * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط و يكفرون من خالفهم وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لاقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره في الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم * انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ولنشرع في ذكر مباحث علم الكلام مبسوطة بذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص يقبلها فان لكل شئ دهليزا يدخل اليه منه * وصدرت مباحث الكتاب بنقول المتكلمين تمهيدا لفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبتها بنقولهم فلا أزال أسأل وأجيب بالنقول في ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكالات التي في ذلك المبحث ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق

(المبحث الاول في بيان ان الله تعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له)

* اعلم أيدك الله تعالى ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله

في حال كونه مستويا على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الارض في حال كونه أقرب الى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم * وقال في الباب التاسع والاربعين اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات ان المتوجه على ايجادهم اسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهي فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء الا في نفوسهم فلذلك تكبروا وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لهم أن يعرفوا للكبرياء طعما وأطال في ذلك * وقال فيه انما جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لان السور تحتوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك تقدم أسماء الرحمة تأنيسا و بشرى للمؤمنين ولهذا قالوا في سورة التوبة انها والانفال سورة واحدة ومن قال ان كل واحدة سورة مستقلة تحتاج الى بسملة قال ان بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة

فدل على ان من يدع مع الله الها آخر فقد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحض اذ كل شئ يتخيل فيه انه شئ فهو هالك فى عين شيئيته عن نسبة الالوهية اليه لا عن شيئيته فى نفسه فان وجه الحق تعالى فيه باق اذ هو معلوم علم الله تعالى فالله تعالى هو ثم المعلوم المجهول انتهى * فان قلت لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذى وحد ربه وفى ذلك رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك * فالجواب ما قاله فى الفتوحات فى الباب الثالث والسبعين ان الحق تعالى غنى عن توحيد عباده له فانه الواحد لنفسه ووحدانيته ما هى بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذى هو المقدس أثرا لهذا العمل فتفطنوا أيها الاخوان لهذه النكتة فانها دقيقة جدا * قال الشيخ وانما تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم فأخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه وعباده انما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان * فان قيل عطف الملائكة وأولوا العلم على شهادته لنفسه بالواو وقد يوهم الاشتراك فى الوقت ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولوا العلم محدثون بلا شك * فالجواب أنه لا اشتراك الا فى الشهادة قطعا وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هى حين أظهرهم فافهم * فان قيل فلم خص فى الآية أولى العلم بالشهادة دون أولى الايمان * فالجواب أنه تعالى انما خص أولى العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق الايمان وانما هى عن تجل الهى لقلوبهم أفادهم العلم الضرورى بتلك الشهادة لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هى عن اخبار عن غيره حتى تكون ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن له به واخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بأن المراد بأولى العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظرى وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكأنه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى الذى استفادوه من التجلى لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الادلة فشهدت لى يعنى الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسى وشهد بذلك أيضا أولو العلم بالنظر العقلى الذى جعلته لهم انتهى * قلت ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال يعلم وأفرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود الخبر كما مر وذلك متوقف على مجىء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم الا اله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله له قل ذلك له وحينئذ يسمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقولها لو كان عالما هو بها فى نفسه من غير واسطة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أى آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شريعة موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشريعة محمد الآن وكذلك الحكم فى أهل الفترات يؤمرون كذلك بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذى قذفه الله فى قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذى يزن واضرابهما * فعم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضرورى وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمى سعيدا ويدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا بأى طريق كان توحيده * فان قيل فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث السابق ويعلم ان محمدا رسول الله مع أنه لا بد من ذلك فى طريق سعادة المؤمن * فالجواب كما قاله القصرى فى شرح شعب الايمان انه انما لم يأت بها فى الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فى حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل فاذا قالها لقوله له قل فهو عين اثبات رسالته

ثم ما فعل العلماء فى انكارهم ونعم ما فعل أهل الله فى عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته وأطال فى ذلك (وقال) فى الباب الحادى والخمسين من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال فى المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ثم ان هذا الامر لا يكون لهم الا بعد التضييق الشديد فى التورع وهنالك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم باعطائهم تلك العلامة فى المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك انهم أكلوا حراما وليس كذلك وقال فى الباب الثانى والخمسين اعلم ان نسبة الانسان الى أمه أولى من نسبته الى أبيه وذلك لانه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة وقال فى الباب الثالث والخمسين يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهى الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال فى بيان كل واحد منها * وقال فى الباب السابع والخمسين فى قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها انما قدم الفجور على التقوى فى الذكر لينبه تعالى على أن الفجور هو الغالب على

يشركون اذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا وما قالوا اجعل الآلهة الله فان الله تعالى
ليس عند المشركين بالجعل * قال الشيخ محيي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على أحد وما عصم
اطلاق لفظ اله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولله تعالى فى ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر فى
فى كتاب لان الكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله * فان قيل فما ألطف الاوثان وما أكثفها * فالجواب
كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والسبعين ومائتين ان ألطف الاوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال
المشركون لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية أجعل الآلهة الها واحدا فرد الله عليهم بقوله ان هذا الشئ
عجاب فهو من قول الله تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان التعجب الواقع من جهة
الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا أجعل الآلهة الها واحدا لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية
وانه اله واحد وهم يعتقدون كثرتها أى فآخر مقالة الكفار هو قولهم الها واحدا وأما قوله ان هذا الشئ
عجاب فليس من قولهم * قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان المتعجب لا يتعجب الا مما ورد عليه
من الامور الغريبة التى لا تعمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك * قال الشيخ رحمه الله تعالى عقلا ان الاله
لا يكون بجعل جاعل فانه اله لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أتعبدون
ما تنحتون لما علم فى ضرورة العقل ان الاله لا يتأثر وقد كان هذا الاله الذى اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان
او حجر يستجمر به ثم أخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويتأله اليه فى الشدائد ويفتقر اليه ويدعوه
خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم
المحجوبين ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقى اليها ربها
وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل ومن عقل محبوس فى كن ومن عقل طبع على مرآته
صدأ * فعلم أن العقول لو كانت تعقل بنفسها لما أنكرت توحيد موجدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول
الكفار انتهى * فان قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه فى ذلك خلقه * فالجواب كما قاله
الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ان عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فان آدم عليه
الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند السائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه
الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى * قلت فقوله تعالى ان هذا الشئ عجاب يحتمل أن يكون للتعجب وهو
المسمى عند علماء الرسوم بالتعجيب أى من شأن ذلك الامر ان يتعجب منه السامع وان لم يكن المتكلم متعجبا
منه لاستحالة التعجب الحقيقى عليه فيصرف الى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون
من جهة الكفار اما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة وأما من جهة الكفار فمن كون الاله واحدا
فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين * فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم العبد نفسه أو الى
ظلم غيره من الخلق أو الى ظلم صفات الالوهية * فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والسبعين من
الفتوحات ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيأتى يوم
القيامة من أشركوه مع الله تعالى فى الالوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يا رب خذ لى مظلمتى من
هذا الذى جعلنى الها ووصفنى بما لا ينبغى لى فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده فى النار مع شريكه
ان كان حجرا أو حيوانا غير انسان أما الانسان فلا يخلد فى النار مع عبدته الا ان رضى بما نسب اليه من الالوهية
أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو على بن أبى طالب فلا يدخلون النار مع من عبدهم لان هؤلاء ممن
سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى * فان قيل فهل لقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان
له به مفهوم * فالجواب كما قاله فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا مفهوم له لان الاجتهاد
فى الاصول ممنوع عند المحققين فيأثم من أخطأ فيه * فان قيل فما وجه تنكير قوله تعالى الها فى هذه
الآية * فالجواب انه انما نكره لانه لم يكن موجودا ثم اذ لو كان موجود التعين ولو تعين لم يصح تنكيره

ما نصه اعلم ان الله تعالى جعل
البسملة أول كل سورة من
القرآن حاكمة على كل وعيد
فيها لاحد من المسلمين فآل
كل موحد الى الرحمة لاجل
بسم الله الرحمن الرحيم وهى
بشرى عظيمة لزوال كل صفة
توجب الشقاء على أحد من
عصاة الموحدين وأما سورة
التوبة عند من لم يجعلها من
سورة الانفال فجعل لها اسم
التوبة وهى الرجعة الالهية
على العباد بالرحمة والعطف
فقام اسم التوبة مقام البسملة
فان الرجعة على عباده تعالى
لا تكون الا بالرحمة والله
أعلم * وقال فى الباب الخمسين
سبب الحيرة فى الله تعالى
طلبنا معرفة ذاته تعالى باحد
الطريقين اما بطريق الادلة
العقلية واما بطريق تسمى
المشاهدة فالدليل العقلى يمنع
من المشاهدة والدليل السمعى
قد أومأ اليها وما صرح وقد
منع الدليل العقلى من ادراك
حقيقة ذاته تعالى من طريق
الصفة الثبوتية النفسية التى
هو فى نفسه عليها فلم يدرك
العقل بنظره الا الصفات السلوب
لا غير وقد سمى ذلك معرفة
وكلما زادت الحيرة زاد العلم
بالله تعالى ولذلك كانت
حيرة أهل الكشف أعظم
وقال لو لا منازعة الانكار من
العلماء وأولى الامر على أهل
الله عز وجل لاتوا بنظير
ما جاءت به الانبياء من صفات
الله تعالى من تعجب وفرح
وضحك ونزول ومعية ولكن

يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له فى نفس الامر * فالجواب ما قاله الشيخ فى الباب الحادى وثلثمائة انه لا يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما يتبرأ من المشرك من حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه وبغضه والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها الان متعلق البراءة عدم انتهى * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لا تصح الشركة بالله أبدا لان شرط صحتها عدم تمييز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى فى هذا الشئ المسمى مشتركا * وقال فى الباب الثانى والسبعين لا تصح الشركة فى الوجود لانه كله فعل واحد فما الشركة مصدر تصدر عنه فتحقق يا أخى هذا التنبيه فى الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيرى وان كان يعرفه فانه يغلب عليها الجبن الذى فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا فى المخلوق وأنه يشرك بربه وما شعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود فالعبد هو الذى أشرك وما فى نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذى ان قلته لا تغلب وما سوى ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى وأطال فى ذلك (فان قيل) فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ما قاله فى الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فاما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله وأما شركه فلانه نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذى يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ فى تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ما قال لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين (الاول) أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك فى توحيد الله (الثانى) أن يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله انه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال فى ذلك (فان قيل) من أين جاء للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم أجابوا بالاقرار بالربوبية لله وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثلثمائة انهم ما ادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع أنه عدم فى نفس الامر فانه لو صح شريك للحق ما صح من العباد لاقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ما صح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق ومن أجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بأنه تعالى ربهم هو عين نفى الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا التوحيد لفظا أصلا وانما المعنى يعطيه فعلم أن الشريك منفى من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وجدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وجدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شئ * قال ولكن لا يخفى أن ما ذهبت اليه الاشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين أصحاب توحيد شرعى انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به أى لان الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذ الغفر والستر لا يكون الا لمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهى كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أى

ذلك اليوم للشمس فانه فى أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث انه يستوى فى رأى العين وجود الليل والنهار قال وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث فى آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هى فتظهر الحركات التى عملها أهل علم الهيئة ومجارى النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال ولو كان ذلك اليوم الذى هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلاة بل كنا ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلى الظهر المشروع ولو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة أو أكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال وقد اختلف الناس فى معقول لفظة الزمان ومدلولها فاكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث بسئل عنه بحى والعرب يريدون به الليل والنهار قال وهو مطلوبنا فى هذا الباب والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والستين انما شرط بعضهم القصد الذى هو النية فى التراب دون الماء لان الماء سر الحياة فهو يعطى الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد بخلاف التراب لانه كثيف لا يجرى على العضو ولا يسرى فى وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف

فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله على انها قد جاءت في رواية أخرى انتهى ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عمن قال لا اله الا الله فقد ورد عنه أن من مات عليها دخل الجنة ثم ان الله تعالى أمره بأن يكلفهم بالايمان بالرسول آخر الامر لما خف عنهم الحسد الذي كان عندهم أوائل البعثة وأذعنوا له كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالاحكام شيأ فشيأ ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم * فان قيل فأي التوحيد أعلى توحيد من ينظر في الادلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات * فالجواب كما قاله سيدي على الخواص ان توحيد من لا ينظر في الادلة أعلى اذا كان توحيده كشفا فان كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الادلة أعلى منه والله أعلم بل سمعته يقول من توقف في توحيد الله عز وجل على دليل فهو جاهل لان كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الانسان اذا نظر في الادلة ان ينتهي أمره الى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له * فان قيل فهل يصح لعبد ان يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات الحدث ام لا يصح له الترقي عن ذلك * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب العشرين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبدا فكل عبد ينزه ربه عن كل ما هو عليه اذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق لا ينزه الا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى موجد يوجده قال وفي هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ما ثم الا جسم أو جوهر او عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى * فان قيل فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلي فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثاني والسبعين ومائتين انه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته ذوقا لان الاحدية تمحق وجود العابد فكأنه تعالى يقول لا تعبدوني الا من حيث ربوبيتي فان الربوبية هي التي تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لاحد تعلق الا بها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التي تمحق الاغيار فعلم ان ما سوى الله لا أحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه أهل الله تعالى في تقديرهم المعاني وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ما سواه تعالى كما في هذه الآية ويؤيد ما قررناه قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد أي لا يشاركه أحد في صفة الاحدية * قال الشيخ محيي الدين وأما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية وما أنا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية اذ الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى * فان قيل قد أجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجي صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم يعني هل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه فكل حق صدق وليس كل صدق حقا * فعلم ان المشرك صادق في انه مشرك وما هو صادق في ان الشركة في الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا فاق الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان

الانسان ويرجع العبد الى ربه في كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال والالهام بالفجور من باب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس امارة بالسوء من حيث ذاتها الان مرتبتها المباح الشرعي لا تتعداه وأما قول الله ان النفس لامارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وانما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الاجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين في حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم قد توهم بعضهم ان هذا الطول انما هو من شدة الاهوال في ذلك الزمان وليس كذلك فان تمام الحديث قد رفع الاشكال بقول عائشة رضي الله تعالى عنها فكيف نفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال اقدروا له فلولا أن الامر في حركات الافلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعلم بها الاوقات في أيام التعيم اذ لا ظهور فق

ماقررناه علم أن الاله الذي أدركه العقل لا يحتاج الى تأويل شئ من صفاته التي أدركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى فيها العقولنا فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تأويل انتهى * قلت فما احتاج الى تأويل الامن ظن أن الاله الذي كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التي لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها في على ذاته ومرتبة تتنزل منها العقول عباده فما عرف الخلق منه الا الرتبة التنزل لا غير لان الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى * وقد قال الشيخ أيضا في الباب الثاني والسبعين ان التنزيه سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى * وقد أنشد سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقول * قد قلب القلب منك القال والقيل
نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول
قد عشت قبلك دهرا في مكابدة * ولى فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى * فعلم أنه مارقى عن الاوهام الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الاوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لانفسهم وانما أولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالي ومخاطبتنا منه لنتعقل عن أمره ونهيه فاذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كأنها جفاء وبقي معنا العلم وهذا نظير ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا لا نتعقله الا ان كان بصوت وحرف ولو أنه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالى اذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس في صورة ولو أنه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقد ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ان للحق أن يناقش الموحدين ويقول لهم فبماذا وحدتموني ولماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي فان كنتم توحدوني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والافعال فما وحدتموني لان العقول لا تبلغ اليها والخبر لم يجئكم بها من عندي وان كنتم وحدتموني في الالوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فبم وحدتموني هل بعقولكم أو بي فكيفما كان ما وحدتموني لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فان توحيدكم اياي بي هو توحيدي وتوحيدكم بعقولكم هباء منثور كيف تحكمون على بحكم من خلقته ونصبته وان كان الذي اقتضى توحيدي هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عنى فأين التوحيد وان قلتم ان الذي اقتضى توحيدكم هو أمري وأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصل اليكم وان قلتم انه هو ما رأيتموه مني فمن ذا الذي رآه منكم وان لم تروه مني فأين التوحيد وأنتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود ومعقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذي ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه أنه اذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شئ خارج عن حكمه وارادته وأطال في ذلك * ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك في العلم وقد كان تعالى ولا شئ معه يتصف بالوجود لا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فافتح العالم عينه على نفسه الا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكر عليه القول فقال لا أدري ولا أعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها وأطال في ذلك * ثم قال في باب الوصايا من الفتوحات

ثم قال أواخر الباب الذي أقول به ان الاستجمار بحجر واحد لا يجزئ لان ذلك نقيض ما سمي به الاستجمار فان الجمرة هي الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتر به * وقال في الكلام على الرمي من كتاب الحج اعلم انه لا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد اذا كان له ثلاثة حروف فان العرب لا تقول في الحجر الواحد انه جمرة اه وتأمله وحرره والله أعلم * وقال فيه مما يدلك على ان المراد بوجه الشئ حقيقة المسمى وعينه وذاته قوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة فان الوجوه التي هي في مقدم الانسان لا توصف بالظن وانما الظن لحقيقة الانسان وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أن المراد وجه الشئ الذي يكنى عنه بحجب الذنب فانه لا يفنى كما صرحت به الاحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فان ذلك لا يحتاج الى التنبيه عليه والله تعالى أعلم * قلت وسيأتي في الباب الحادي والثمانين وثلثمائة ان شاء الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي أي لانه صلى الله عليه وسلم لما انقلب الى عالم الخيال ورأى صورته هنالك وهو قد نام على طهارة ولم ير أن تلك الصورة أحدثت

لانه لاوجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع أنه لاوجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن الخالدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لابد فيه من اضافة الفعل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة وهو أنه يجب على الانسان أن ينزه ربه عن الشريك لا عن الشركة فى الفعل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شىء منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد اجتمعوا معنا فى كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما خالفونا فى الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغى لمن ينبغى فهو الله حقا لا اله الا هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فأخطؤا فسمينا نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم أنفه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد المشركين شرعا فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل اذا علة أخرى فى برهان التمانع غير الفساد فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح أن يكون فى الوجود الهان لصح أن يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى أن يكون له مثل بخلاف الاسماء فانه يصح اجتماعها فى عين واحدة لعدم التشبيه بالكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة فى جوهر واحد ويستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين فى ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين أو الباطنين انتهى * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى * وقد قيل للشيخ محيى الدين رحمه الله ان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذى أدركه العقل وأحاط به علما أم هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به * فأجاب الشيخ فى الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذى أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله فى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذى أدركه النظر العقلى اذ الاله الذى دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته سائر الحقائق وأطال فى ذلك فليتأمل ثم قال ومن عرف

الماء فانه تعالى قال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا مثل ما قال فى التراب صعيدا طيبا قال فان قالوا انما الاعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل بماء فالماء تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع فيحتاج الى نية أخرى عند الشروع فى الفعل كما يفتقر العمل بالماء فى الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية وأطال فى ذلك وقد تقدم ماله تعلق بالنية أيضا فى الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه وقال فيه أجمع أهل العلم فى كل ملة ونحلة على أن الزهد فى الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل وأما المال الذى فيه شبهة تقدح فيه فليس له اسم بل هو ورع ما هو الزهد وأطال فى ذلك * وقال فيه انما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الاوتار لان الجمرة هى الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذى هو الحق مشهود الخلق ولو فى حال الاستجمار وأطال فى ذلك

الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يمكن للمدلول أن يتوصل اليه الا به فكان يبطل غناه تعالى عن العالمين انتهى * وقال أيضا فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتأمل مع ما قبله (فان قيل) فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين أنه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده فى وجوده منه فهذا هو الباب الذى دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد فى نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية فى الوجود وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمى الازلى لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى فى حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة فى العلم الازلى لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى ربا فى حال عدمنا وفى حال وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له وأطال فى ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذى ذكرناه زلت به قدم الغرور وفى مهواة من التلف أى لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال أما الارتباط الجسمانى فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شئ فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوى كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم بأحكامها ونسبتها واضافتها وهى التى استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الالوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهى تطلبه والذات المقدس غنى عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظهور ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التى هى مرتبة للذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بأن العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولابد انتهى (وقال) فى هذا الباب فى قول الامام الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان أبدع مما كان هذا كلام فى غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس فى الامكان شئ يقبل الزيادة والنقص على خلاف ما سبق فى العلم أبدا * وقال أيضا فى باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان كل أمر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى الها وكل أمر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فمهما أتاك من كلام أهل التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل ما قلتموه من كون الالوهية طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس بمضاه للعلة والمعلول لان العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الالوهية فهى عندنا نسبة عدمية لا وجودية فاياك والغلط انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول فى الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر نسبة شئ من ذاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ما قال بالعلل الا القائل بأن العالم لم يزل وانى للعالم بالقدم وماله فى الوجود وجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود * وقال فى الباب التاسع والستين العالم

تكون باستماع القول الاحسن فانه ثم حسن فأحسن فاعلاه حسنا ذكر الله فى القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فانه فيه حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأه من نفسه أو غيره فعلم ان ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله ما لا ينبغى *وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك وأطال فى ذلك *وقال فيه اعلم ان الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الرأس بحديث مسلم فى المسح على العمامة معلول أعله ابن عبد البر وغيره فان المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معا فقد (٤) الماء الشعر وحصل حكم الاصل فى مذهب من يقول بمسح

اعلم انه لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق الا الحق وأما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق محال أن يصحبه هم أو حزن أو اختيار أو جبر يأسة أو بغض أحد من الخلق لان الوجود كله في قبضة قهره وتصريفه فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائة بعد كلام طويل فاذن التوحيد الشرعي هو التعمل في حصول العلم في نفس الانسان بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته وأما الوحدة فهي صفة الحق والاسم صفة الاحد والواحد وأما الوحدانية فهي قيام الوحدة بالواحد من حيث انها لا تعقل الا بقيامها بالواحد وان كانت نسبته في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل في نفس العالم أن الله تعالى واحد فهو موحد وأطال في ذلك * (خاتمة) * قال الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات اياكم ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولاية حرمت محاربته وانما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله ظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ثم قال واذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله تعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث وأمعن النظر فيه فانك لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(المبحث الثاني في حدوث العالم)

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققي المتكلمين في هذه المسئلة ثم بنقول محققي الصوفية رضي الله تعالى عنهم فأقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلي محقق أهل الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال من محدث بكسرها ولا بد أن يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة المحدث أنه يعرض له التغير أي على الوجه الذي يشاهد فانا نشاهد تغير الحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فان كثيرا من اجزاء العالم لا نشاهده كما في باطن الارضين وما في السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل قال وتمام التقرير لعلة الحدوث المذكور ان يقال العالم أعيان واعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فان العدم ينافي القدم وأما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى (وأما كلام أهل الطريق) فمن أكثرهم في هذه المسئلة اطنابا سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه وها أنا أجلي عليك عرائس كلامه رضي الله تعالى عنه * فقال في أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم وأعدمه انتهى أي لان عدم العدم وجود لانه موجود في العلم الالهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث باجماع فمن قال انه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثاني عشر ان شاء الله تعالى نقلا ونثرا عن الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين ومائتين ان شبهته وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد الا بوجود الآخر (فان قيل) فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائة أنه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد للدلالة عليه لما صح للحق تعالى

ما أوجب الوضوء فعلم ان جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه ولهذا يقولون ان النوم سبب الحدث ما هو حدث قال ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة اه والله أعلم وقال فيه انما أمر العبد بالاستنشاق بالماء في الانف لان الانف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أي أنزلك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب فان الارض قد سماها الله ذلولا على المبالغة وأذل الاذلاء من وطئه الذليل ثم ان الكبرياء لا يندفع من الباطن الا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له اجعل الماء في انفك ثم انتثر والماء هنا هو عملك بعبوديتك فاذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار * وقال انما أمر العبد أن يستر عورته في الخلوة وان كان الحق تعالى لا يحجبه شئ لان حكمه تعالى في أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف * وقال

برد على أحد شيأ ويتدين هو به والله ان هذا البهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمى الذات علة الوجود والاشعرية تسمى تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين من الفتوحات أنه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذى هرب منه الاشعرية وشنعوا على الحكماء لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم في سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء أكان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زمانى ولا تقدير زمانى لان كلا منافى وجود أول ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول لحدوثها عقلا لا لحدوثها وجوديا واذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زمانى فلم يبق الا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك * ثم قال على أن من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتى ينتفى معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادى والسبعين وثلثمائة اعلم أنه انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقد مر ذلك أوائل المبحث وسيأتى آخر المبحث الحادى عشر ماله تعلق بهذا المبحث تراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد بدوذلك ان أكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذى لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والابصار لا تدرك حركتها لظهور ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحا بطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها القصيرة فان كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى أن ينتهى اليها فاجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فتحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم ان اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفى نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدى فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلى في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر * قال الشيخ محيى الدين رحمه الله ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أنى طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدونى بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا اجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لى أما تعرفنى فقلت له لا فقال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لى بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لابينا آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لى عن أى آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق مائتى ألف آدم فقلت في نفسى قد يكون الجد الذى نسبنى ذلك الشخص اليه من أولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له انى رأيت شخصا في الطواف فاخبرنى أنه من أجدادى فسألته عن زمان موته فقال لى أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أى آدم تسأل عن آدم الاقرب

لا يشبهه فليس له دواء الا النظر

العقلى فنداويه بقولنا انظر بعقلك في المسئلة * وقال فيه الذى أقول به وجوب الوضوء من أكل لحوم الابل لكن تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه لم ينقض طهارة الآكل له فتصح صلاته بالوضوء المتقدم على الاكل وهو عالم أنه لم يتوضأ من لحوم الابل وقال وهذا القول ما أعلم أن أحدا قاله قبلى قال وان نوى في هذا الوضوء رفع المانع فهو أحوط قال ودليل من قال ان أكل لحوم الابل ينقض الطهارة ما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به * وقال فيه الذى أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور أى قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع لنا الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة * وقال فيه الاوجه عندى أن الخف اذا تخرق مسح عليه ما دام ينطبق عليه اسم الخف وان تفاحش خرقه قال ولا نص في هذه المسئلة صريحا في كتاب ولا في سنة واذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شئ مسح على ما ظهر منه ومن الخف ما دام يسمى خفا * وقال فيه

كله موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد أوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلى الوجود لان حقيقة الموجد أن يوجد ما لم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لانه يوجد ما كان موجودا أزلا فان ذلك محال فاذن العالم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام * وقال فى موضع آخر من هذا الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفى الاولية لله تعالى أى لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين الاول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاوليات المخلوقة وأطال فى ذلك * ثم قال فالحق تعالى يقال فى حقه انه مقدر الاشياء أزلا ولا يقال فى حقه موجدها أزلا فانه محال من وجهين (الاول) هو ان كونه موجدا انما هو بأن يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدوم ومحال بأن يتصف المعدوم بأنه موجود أزلا اذ هو انما صدر عن موجد أوجده فمن المحال أن يكون العالم أزلى الوجود (الوجه الثانى) من المحال وهو أنه لا يقال فى العالم انه موجود أزلا وذلك لان معقول لفظة لازل نفى الاولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل لانه يرجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه أزلا انتهى * وقال فى كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الاشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب وبين من يقبل الاولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل الافتقار وانما يقال انه تعالى أوجد الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود فى أعيانها ثم انها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن بغنى واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه عليها وجودى ولو كان العدم أمرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود الى موجود ويكون له عين قائمة فى الازل وذلك محال انتهى * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائة مما استند اليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى ما أضاف التكوين اليه تعالى وانما أضافه الى الذى تكون فان الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو أنه تعالى أضاف التكوين الى نفسه أو الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى أن قالوا ان للحق تعالى تجليا يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قال والحق الذى نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق به العلم القديم انتهى * فهذه نصوص الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى قوله بحدوث العالم فكذب من افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم فى الفتوحات فى نحو ثلثمائة موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع فى مثل هذا الجهل الذى يؤدى الى انكار الصانع جل وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أو ببقائه أو شك فى ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها فى الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى اثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوى والاخروى والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ برىء من هذا كله * وقد قال فى الباب الخامس والستين من الفتوحات اعلم أن سبب غلط منكرى النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش فى نفسه ما فى العالم العلوى من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط وقال الشيخ والامر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه فى بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبى ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحتوى عليه حاله فى كل نفس الى حين وفاته أبدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك الا أن يشاء الله فانظر يا أخى كيف غلط الشيخ رضى الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ أنه

يرد

البعض * وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال والآية تحتمل العدول عن الظاهر الاعلى مذهب من يرى أو ينقل على العرب أن المسح لغة فى الغسل فيكون من الالفاظ المترادفة قال ومذهبنا أن الفتح فى لام أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية تنصب تقول قام زيد وعمرا وأطال فى ذلك (قلت) قوله ومذهبنا أى من حيث النحو لا من حيث الاحكام والله أعلم * وقال فيه ليس فى مقدور البشر مراقبة الله تعالى فى السر والعلن مع الانفاس فان ذلك من خصائص الملا الاعلى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا فى جميع أحواله فلا يوجد الا فى واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم واليه الاشارة بقول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقال فيه اذا وقع فى القلب خاطر ريب يقدح فى الشرع وجب على الانسان أن يجرد النظر فى ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمى الذى ينكر الشريعة فانه لا يقبل الدليل الشرعى على ابطال هذا القول الذى انتحله فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه وهو

فقــدان الــكلاء والماء واحساسها بالهــلاك والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السمــاء هــذا كله مركوز فى جبــلة الحيوانات فضــلا عن الانسان العاقــل وهى الفطرة المذكورة فى القــرآن والحــديث ولــكن أكثر الناس قد ذهــلوا عن ذلك فى حالة السراء وانما يردون اليه فى الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحــر ضــل من تدعون الا اياه (وحكى) ان رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاســتدلال فــلم يصغ اليــه فقال هــل ركــبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى الساحــل فانفلت منى اللوح حــين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنــك اللوح كنت ترجو السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الاســباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذى ترجوت السلامة منه هو الله الذى خلقك فأسلم الرجل (فان قيل) قوله صــلى الله عليــه وســلم عليكم بدين العجائز فيه نهى عن الاســتدلال العقلى أم لا (فالجواب) ليس فى ذلك نهى عن الاســتدلال العــقلى وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التى غفل عنها أصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ أبو طاهر القزوينى انه رأى فى كتاب ديانات العرب ان النبى صــلى الله عليــه وســلم قال لعمران بن حصــين كم لك من اله فقال عشرة قال فمن لغــمك وكربك والامر العظــيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النــبى صــلى الله عليــه وسلم فمالك يا ابن حصين من اله الا الله فأسلم * ومن هذا القبيــل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وأيضا فان عامة الناس فى جميع أقطار الارض دعت أنفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد وأهل البوادى وأقاصى الهند والصــين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم اســتغنوا بشهادة أنفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجــدوا من استجابة دعائهــم بدعوتهم ودرك المناجح ومفاجأة الفرج فى حوادث عظام دهمتهم بعــد القنوط عن السلامة وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبتخلصهم من أيدى الاعداء فى مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها فى الآفاق وفى أنفســهم فكانت نفوســهم شــهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفى الله شــك ورأى اعرابى مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبــول الثعلبان برأســه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شــك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعللهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما أتونا ليدعونا الى التوحيــد قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله والخلق انما أشركوا بعــد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أو لنفى واجب من صفاته أو لاثبات مستحيل منها أو لانــكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن ســبكتكين رحمه الله بلاد سومنات الهنــد أتى اليــه براهب قد طعن فى الســن وكان يمهــهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وأنتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شــيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ٣ وهــذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعــلم أنه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعــلم ان لك الها وكذلك القول فى قوله تعالى وليعلموا أنما هو اله واحــد (فان قيل) فلاى شئ سلك أهل الاصول طريق الاستدلال على هــذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التى تشرئب الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة أقرب الى الخالق وأسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان

الناس الا وا سئد وجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغــرض صحيح شرعى لا يقدح فى العدالة بــل هــو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال قال وأما امتناع حبيب العجمى من الكــذب لما طلب الحجاج الحسن البصرى ليقتله فكان خوفا من اطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلا ساذجا ولــكل مقام رجال وقال والذى أقول فيه أنه لا يجوز لاحــد أن يصدق فيما يضر الناس الا أن يكون له حال يحمى من غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك يحمل حال حبيب العجمى والله أعلم * وقال فيه ينبغى لكل عالم أن لا يلقى علمه الا فى محــل قابل لذلك العلم عطشان اليه فان لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملا على هذا الوجه ويحتاج الى صبر شديد * وقال فيه ينبغى أن يقيد قول من قال لا تجب النية فى التيمم بمن نشأ فى الاسلام اما الكافر اذا أسلم فانه لا بد له من نية قطعا لانه لم يكن عنده شئ من القربة الى الله قبل اسلامه بل كان يرى ان ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل * وقال فيه الذى أقول به ان الطهارة بالتيمم ليست بدلا من الوضوء والغســل وانما هى طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع ان التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة

أم غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص انى نبى الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال فى المخلوقات بانتهاء المدد لا انتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة وقلت له يا نبى الله عرفنى بشرط من اشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال فى الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر الدنيا لا يحصى بآلاف آلوف * وقال فى الباب السابع أيضا قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء أحد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعى ثم قال لما انتهى خلق العالم الطبيعى وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون الف سنة خلق الله الآخرة التى هى الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهى اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لا نهاية لها فى الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الارض لصفو الهواء من تلك العفونات التى لو خالطت الهواء الذى أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلولا مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث فى وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه)

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفونى فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الاصابع بالكف فأقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصر له الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالاصبع المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان مقدار عقدة ثم انتقل الى شئ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم انتقل الى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل أصبع ثلاث عقد فنفد عمره هذا وهو فى أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم أن يشرك معهم فى السلوك غيرهم انتهى * ثم اعلم ان المعرفة عند أئمة الاصول هى العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها (فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان المطلق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التى تحصل العقول البهائمية لان الانسان اذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بد أن يستند الى اله يتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه فى كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد فى الوحوش والبهائم أيضا فانهم اظاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند

يستحب لقارئ القرآن فى المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها ثم أخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد * وقال فى المضمضة والاستنشاق فى الغسل الذى أقول به ان الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ فى اغتساله لا من حيث انه مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق فى غسله الا فى وضوئه فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا فى اختلافهم فى وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندى راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد فى الاغتسال من الجنابة وأطال فى ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج فى حال الصحة ولذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما أمسكه بقدرته فى الرحم ثم أرسله الا ليزلق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج الدم معينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال واعلم انما تعود أحد الكذب على

به و بالغ فى فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى لجميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك ان تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق الخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله فى تأويل الصفات فان العقل قد أجمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فالعبد منازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخى علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هى المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذى لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه من علمه ومن استخلافه فى الارض يولى ويعزل ويعفو وينتقم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون معناه ان يعرف نفسه بالافتقار فى وجوده ويحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لابد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بانفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله فى الآفاق تحذير العبد ان يتخيل انه بقى فى الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العالم كله * فانظر يا أخى كثرة حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد أن يعرف الله تعالى من كل طريق للخلق اليها سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من أهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طريق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى شهده بسره القائم بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذى يخاطب الحق تعالى من سره القائم بها كل الخلق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لى منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عند هذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا فى الاصول ولا فى الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيي الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلى الالهى للقلوب دائم بوجود المعارف ام يكون بقلب دون قلب وفى وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلى الالهى لجميع القلوب الاسلامية دائم لاحجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم اسمعه كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على أعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهى معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها اسارعت لترى ما ثم لان فى قوتها الرؤية كما فى قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور وزال العدم ثم فتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذى أمره بالتكوين فأفاده التجلى علما بما رآه لا علما بانه هو الذى أعطاه الوجود فلما انصبغ فى النور التفت الى اليسار فرأى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث فى الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه

بالتراب دون غيره مما له اسم الارض فان كل شئ فارق الارض لا يتطهر به الا ان كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به ولو فارق الارض فان الله أبقى اسم الارض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وأيضا فان الله ما قال انه خلق الانسان من حجر ولا زرنيخ وانما قال خلقه من تراب والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والستين اعلم ان الصلاة مشتقة من المصلى وهو الذى يلى السابق فى الحلبة والسابق هنا التوحيد والمصلى الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وان الشارع راعى الترتيب أنكروا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له قل وصوم رمضان والحج اشارة الى ان الشارع أراد الترتيب فى القواعد والصلاة ثانية فى القواعد قال وانما جعل الزكاة تلى الصلاة لان الزكاة تطهر قال تعالى قد أفلح من زكاها أى طهرها بالطاعات يعنى النفس قال ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة الى جانبها لكونها طهارة للاموال التى يكون بها جل قوتهم وملبسهم وجعل

على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى أم من يجيب المضطر اذا دعاه أم من يبدأ الخلق ثم يعيده أم من جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التى كلها استفهامات تقريرية كانه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشئ ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله أفى الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا أمر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس الا وجهه العزيز فان الركون الى معتقد محصل يمثل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال الامام أبو طاهر القزوينى رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفى المكان فلا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسى وقوله ولا تمييز أى لان التمييز انما يكون بين الجنسين أحدهما عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا تمايز بشئ عن جنسها وانما يتمايز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل أى محاط به ينتهى الفكر اليه بالاحاطة وفى الحديث مرفوعا كلكم فى ذات الله حمقى والله تعالى أعلم * وذكر الانصارى فى نكت الادلة ان القاضى أبا بكر الباقلانى أثبت لله تعالى أخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد أشار أبو اسحق الاسفراينى الى هذا المعنى وقال امام الحرمين لا عقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل رب زدنى علما انتهى ولعله يعنى بالمزية كمال قوة ثاقبة فى النظر قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه وسيأتى فى المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين * وأما مقالات الصوفية فهى واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير أمر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فاتقلد العبد ربه سبحانه وتعالى فى العلم به وايضاح ما قلناه من أن العبد لا يعلم شيأ الا بأمر زائد على ذاته أن الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التى أعطاها الله تعالى له وهى الحواس والعقل فالانسان لا بد أن يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه فى نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد فهناك يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا أخى على أمر ما طرق سمعك أبدا فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون انهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم فى مقام التقليد لقوتهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا فقد غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذى جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد فى علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخى بما أمرك الله تعالى

مشروعة قال وانما قلنا مشروعة لانها ليست بطهارة لغوية فما هى بدل وانما هى عبادة مشروعة مخصوصة مبينة لحال مخصوص شرعها الذى شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهى ناشئة عن استخراج الحكم فى تلك المسئلة من نص ورد فى الكتاب أو السنة يدخل الحكم فى هذه المسئلة فى مجمل ذلك الكلام وهو القياس فى الدين قال ولا يحتاج فيها الى قياس وأطال فى ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذى أقول به انه لا يشترط الطلب للماء فى صحة التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لا بد من الطلب وينبنى ذلك على ان المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده فى الاصول أو الفروع فمن قال لا يشترط طلب الماء قال لا يلزم المقلد البحث ومن قال يشترط طلب الماء قال يلزم المقلد أن يسأل المسؤل عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة وأطال فى ذلك وقال الذى أقول به ان حديث الضربة الواحدة فى التيمم اثبت من حديث الضربتين قلت ذكر الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن من شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك أبقى النص على التطهر

بحسب المواطن وأطال في ذلك * ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة ويتميز هو خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده شديد الحياء يعلم مكارم الاخلاق من سفسافها وينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه بحسن المجمع البراءة منه يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر الا لعارف مثله وأطال في ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة رباني ومقام العلم الهي قال وبه أقول ووافقني على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة الهي ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فانهم ان أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي ويشهد لنا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم انما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتأمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كأنه تعالى يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بأدلتكم العقلية فتحرمون الايمان بها فتشقون شقاء لابد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر وما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه من شفقة ورحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه فانه تعالى أعلم بنفسه وأصدق في قوله والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع في وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة في الدنيا لاحد)

وقال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس في الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلي وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به في الحقيقة وانما يتوقف على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال له وما رب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيأ في هذه المسئلة والتي قبلها * وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا انما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسئلة من كلام محققي المتكلمين * وأما كلام محققي الصوفية من أهل الكشف فنجلي عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس ان شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لاسيما الشيخ محيي الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فأقول اعلم ان الخلق ما تخبطوا وخبطوا عشوا في آيات الصفات وكثر اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق والا فلو شهدوا ذلك لم يقفوا في شئ من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحد منهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا * وايضاح ذلك أن تنظر يا أخي الى صفات الخلق

الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين ليفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا أدري من قاله ولا أين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستندا من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر وأطال في ذلك وقال فيه مذهبنا أن للواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وايضاح ذلك أن مقام الدعوة الى الله يقتضي الاجرة فانه ما من نبي دعا الى الله الا قال ان أجري الا على الله فأثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك وسيأتي أيضا في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه * وقال فيه مذهبي أن الاذان قبل الفجر ليس بأذان حقيقة وانما هو ذكر الله عز وجل بصورة الاذان تحريضا للناس على الانتباه لذكر الله تعالى فاذا طلع الفجر فهنالك الاذان المشروع اعلاما بدخول وقت الصلاة قال ولهذا ابتدع السلف الصالح

انما هو من حيث ما تواجهني من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست أنا فأنا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك وأنت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن امكانك واذا أعرضت عن امكانك جهلتني ولم تعرفني فانه لا دليل لك على اني الهك وربك وموجدك الا امكانك وهو شهودك ظلك ولا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك فتدعى انك أنا فتقع في الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عني فانه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت لك عينين الا لتشهدني بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى وأطال في ذلك * ثم قال واعلم أن من أجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص في الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسماء الالهية من أسماء الحنان والامتنان وأسماء القهر والانتقام فلولا العاصي ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلمنا ان من كمال الوجود وجود النقص النسبي فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله أعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ أصلا حتى النقص أعطاه خلقه ووفاه اياه وقوله ثم هدى أي بين الامور التي خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقصرها على اسم النقص كما أقرها الحق تعالى فافهم (فان قلت) فهل ظهرت النقائص في شئ غير الانسان أم هي خاصة بالانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة ان النقص المعنوي لم يظهر في شئ من العالم كله الا في الانسان فقط وان كان في الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب أحكام كثيرة عن الله جاء بها الشرع اذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا هو الكمال الذي يليق به سبحانه وتعالى فحيرته لي العقول ولو أنه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق فان القوى الحسية والخيالية تطالبه بذواتها أن ترى موجدها والعقول تطالبه بذواتها وأدلتها من نفي واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شئ منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوه عيانا آثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد والاله منزه ومشبه بعد فهذا هو الكمال الالهي وبقي الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين والذي نقول به ان المعرفة ليس لها طريق الا المعرفة بالنفس انتهى والله تعالى أعلم وسيأتي في هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم

(خاتمة) في بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ان العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان يهابه كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فصل كثير الحياء في قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف قط على شئ لكونه لا يرى غير الله طائر مدا الدهر تبكي عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب لا يقضي وطره قط من شئ وذلك لدوم افتقاره الى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدي الله يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته وان اختلفت الواردات

الصوم الى الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة الى الزكاة جعل الى جانبها فلم يبق للحج مرتبة الا المرتبة الخامسة فكان فيها (قلت) وسيأتي في الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فراجعه * وقال من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أوليته ربه في خلقه المخلوقات لا من حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الاسباب فهذه هي الصلاة لاول الوقت فاذا عبده العارف في تلك الاولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شئ انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا وبين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين (وقال) فيه انما اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل ان يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وذكر صلاة الوتر وشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة واثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة

ان العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ماهو ناظر و باحث ابدا لان برهانه الذى يستند اليه الحس أو
الضرورة أو التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو أن هذا الناظر والباحث
نظر بعقله الى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم
أن الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلى وان غاية علم العقل أن يعلم انه تعالى موجود وان العالم
كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى تحيير العقول
فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائتين ان الحق تعالى انما حير
عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التى
موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها التعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتصوير يده
الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب
أيضا العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بأيدينا
منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال ولذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة
فى وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا أحاط أحد به علما وقد تقدم هذا أيضا فى مبحث التوحيد
انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح فى بعض الوجوه
* (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع فى
مثل ذلك أبو حامد الغزالى فهو بضرب من التكلف وبمرمى بعيد من الحقائق فأى نسبة بين المحدث
والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا
الا العلم بوجوده وألوهيته لا غير وأما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لا مناسبة بينه وبين ربه فكيف
تصح مناسبة من بينه وبين ربه وسائط لا تحصى انتهى (فان قيل) فعلى ما قدرتموه لا يصح لاحد مراقبة
ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب
السادس والعشرين ومائة من الفتوحات انا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل
الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى أنه ليس كمثله
شئ ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل
الامر وهنالك يعنى عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم فى وقت ذلك الاعتقاد وأن
علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة فى الاعيان لا غير واذا كان الامر
كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار
وما ثم الا عن مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من
يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من يكيفه أحوال
ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع
حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عثرت
الا على صورة اعتقادك * قال ولهذا اختلفت المقالات فى تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة
تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما قال الكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته
ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال فى ذلك ثم قال فاذن
لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام (فان قلت) فعلى ما قدرتموه جميع الامور
المعلومة معلولة والكيفية فى حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق
من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد فى علمه بعدم العلل فأصل الابد من الازل وقد خابت المثلات بأهل
التفكر والمحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك

وربى الجمار وغير ذلك والله
أعلم * وقال فيه لولا ان
الاجماع سبقنى لم أقل ان
التوجه الى الكعبة شرط
فى صحة الصلاة لان قوله تعالى
فأينما تولوا فثم وجه الله نزلت
بعد قوله وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره فهى آية
محكمة غير منسوخة ولكن
انعقد الاجماع على هذا
وجاء قوله فأينما تولوا فثم وجه
الله محكما فى الحائر الذى جهل
القبلة فيصلى حيث يغلب على
ظنه باجتهاده بلا خلاف
انتهى فليتأمل ويحرر والله
أعلم * وقال فيه ما معناه اعلم
ان قبلتك فى الصلاة انما هو
ما استقبلت من الكعبة ولا
يضرك استدبارها فى غير
جهة وجهك اذا صليت
داخلها فان الشارع لم يتعرض
للاستدبار انما تعرض
للاستقبال فقط فانا انما نحن
مع الحق على حكم ما نطق فلا
يقتضى الامر بالشئ النهى
عن ضده فى كل المواضع فاذا
لم تعمل بما أمرك به فقد
عصيت أمره ولو كان الامر
بالشئ نهيا عن ضده لكان على
الانسان خطيئتان أو خطايا
كثيرة بقدر ما لذلك المأمور من
الاضداد وهذا لا قائل به فلا
يؤاخذ الانسان الا بترك
ما أمره به الحق لا غير فهو
ذو وزر واحد وسيئة واحدة
ولا يجزى الا مثلها انتهى وهو
كلام نفيس فى نفسه وان رجع
جماعة من أهل الاصول
خلافه فليتأمل ويحرر والله

كلها او تنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من دوائهم فليس الحق
تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شئ ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ وقوع شئ مما أراده
بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم
وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه أبدا الا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي
ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة مانصه اعلم انه
لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى
عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة ولذلك
تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون
ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطالب ما وانما تدخل تحت مطالب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه
هل هو محقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال اشعارا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان
رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون لتنفير الهمم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا أن يتبعوه * وقال في الباب
الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق أو يعرفه أحد الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير
ألا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها
يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك المتجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون
فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى
الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا فقوله زور وكيف يدعي ذلك وعند ما تجلى له أنكره فما عبده
تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه أي عينا فافهم
(فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع أن العلم هو الذي يكشف عن حقائق الامور
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم
ذلك وانما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت
فما علم الحق تعالى حقيقة الا علمك لا أنت وعلمك انما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في
العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلي الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين
أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم نعلم انه ليس مشهود كل أحد من الحق الا علمه فاياك ان
تجري على أسلوب الحقائق ان تقول انك علمت المعلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذي
هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر صعب عسير
بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحس بها انها على عين
بصيرة الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فأحرى من خلقها
(فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة تقدمت قبل هذه المعرفة بامر آخر
يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه
بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا في الباب الثاني من الفتوحات
ان المراد بمعرفته الآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض
المختصين علما لا يصح التعبير عنه أبدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب في مسئلة
العلم الالهي من انه عين أو غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه في سائر شؤنه
فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كاملة لم
تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد جاء على حال نفسه وقاسه عليها (فان
قلت) فهل يصح لاحد معرفة ربه من حيث الدليل العقلي (فالجواب) لا يصح لاحد ذلك لان من المعلوم

المؤذنين الدعاء والتذكير
بآيات القرآن والمواعظ
وانشاد الشعر الحاث على قيام
الليل وعلى الزهد في الدنيا
ليعلموا الناس ان الاذان
الاول ما كان الا لعرض
الايقاظ للنائمين لا لدخول
الوقت * وقال فيه معنى قول
المؤذن قد قامت الصلاة انما
قال قامت بلفظ الماضي مع
ان الصلاة بشرى من الله
لعباده لمن جاء الى المسجد
ينتظر الصلاة أو كان في
الطريق آتيا اليها أو كان
في حال الوضوء بسببها أو كان
في حال القصد الى الوضوء وقبل
الشروع فيه ليصلي بذلك
الوضوء فهم في بعض هذه
المواطن قبل وقوع الصلاة
منه فبشره الله بان الصلاة قد
قامت له في هذه المواطن كلها
فله أجر من صلاها ان كانت
ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ
الماضي ليحقق الحصول فاذا
حصلت بالفعل أيضا فله أجر
الحصول كذلك وقد ورد ان
أحدكم في صلاة ما انتظر
الصلاة قال وقد ذكر الشيخ
أيضا في أواخر كتاب الحج في
الكلام على نحر البدن انه
انما قال صلى الله عليه وسلم
قد قامت بلفظ الماضي قبل
قيام العبد لها تنبيها على
قيام صلاة الله على العبد ليقوم
العبد الى الصلاة فيقوم
بقيامه نشأتها كما قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم قال
فالقيام معتبر في سائر
العبادات كالوقوف بعرفة

والار بعين ومائة انما منعوا التفكر لانه لايتعدى أحد أمرين اما الجولان فى المخلوقات واما الجولان فى الاله
وأعلى درجات جولانه فى المخلوقات أن يتخذها دليلا ومعلوم أن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول
فى حد عند الناظر أبدا وأما جولانه فى الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب مالا يخفى لانه طلب
الحق لغيره أى ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لاشئ أدل على الشئ من
نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أو هل يصح اجتماع اثنين فى العلم
بالله على حكم التساوى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان
بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه فى نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد فى الله تعالى من جميع
الجهات أبدا كما أنه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد فى الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت
عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى * وقال فى الباب السادس والتسعين
ومائة قد جاء النهى عن التفكر فى ذات الله فزل العقل فى ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط
أن نعلم كيف ذاته وانما أمرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل
جرى بنظره وفكره الى مالا حاجة له به حتى انه وقع فى ذلك جماعة انتموا الى أهل الله كأبى حامد وغيره انتهى
* وقال فى الباب الثامن ومائتين اجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فان قلت)
أيما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع
والسبعين ومائتين ان خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى فى التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو
اللهم انى أسئلك لان الحقائق تعطى انك ما حضرت الا مع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك
اذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم * وقال فى الباب الثانى
والسبعين من الفتوحات اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحديد وخطابه بضمير الغائب تمييز ولا بد للعبد
من واحد منهما ولكن الثانى أقوى فى التنزيه * وقال فى الباب التاسع والاربعين ومائة كما لا يجتمع
الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك فى حد ولا حقيقة فانه الخالق وأنت المخلوق * وقال الشيخ
أيضا فى باب الاسرار اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك ان تقف مع الحق مع كونه دليلا على
نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط فى حد * وقال فيه أيضا
لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوى البصير والاعمى
* وقال فيه أيضا لو كانت العلة فى الازل لكان المعلول لم يزل فاياك من ظهور الشبه فى صور الادلة فانها
مضلة فما عرفه تعالى سواه * وقال فيه أيضا اعلم أن البراهين لا تخطئ فانها نوبة السلطان وانما الخطأ
راجع الى المبرهن واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به معلوما
من جهاته فما علمته لانك ما علمت به * وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين
وذلك لا يصح ولا يوجد فى العين * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن كل ما يعقل له عقل مثله وليس
للحق تعالى حتى مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعى
معرفة ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وأما فى حال فنائك فما عرفه تعالى هنالك الا هو فحل معنى
التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) فما سبب وقوع الحيرة فى الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ
فى الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته بأحد الطريقين اما بطريق الادلة
العقلية واما بطريق المشاهدة فالدليل العقلى يمنع من المشاهدة والدليل السمعى قد اومأ اليها وما صرح وقد
منع الدليل العقلى من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التى هو عليها تعالى فى ذاته فلم
يدرك العقل بنظره الا صفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة (فان قلت) فاذن كلما ازدادت حيرة العبد
ازداد علما بالله تعالى لكون العقل يعجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة أهل

تعالى لا يشاركه فى مثل هذه
الكبرياء كون من الاكوان
وأطال فى ذلك * وقال فى قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم باعد
بينى وبين خطاياى كما باعدت
بين المشرق والمغرب وقد ثبت
انه كان يقول ذلك بين تكبيرة
الاحرام وقراءة الفاتحة انما
لم يقل فيه كما باعدت بين السواد
والبياض لان اللونية تجمع
بينهما ولذلك ذكر المشرق
والمغرب اللذين هما ضدان
لا يجتمعان أبدا قال والسبب
فى ذلك ان الحق اذا دعا العبد
الى مناجاته فقد خصه بمحل
القربة منه واذا أشهده
خطاياه فى مواطن القرب
وهى فى محل البعد من تلك
المكانة كان العبد فى محل
البعد على طلب الحق منه من
القرب فلذلك أمر أن يدعو
الله قبل الشروع فى المناجاة
أن يحول بينه وبين مشاهدة
خطاياه أن تعرض له فى قلبه
فى هذا الموطن بتخيل أو تذكر
فانظر ما أحكم هذا التعليم
وما أخفاه وأدقه حيث تأدب
مع الله أن يبعده من خطاياه
ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا
يكون فى ذلك الموطن ساعيا
فى حظ نفسه وأطال فى ذلك
بكلام نفيس * وقال فيه انما
كان لا يجب أن يوافق المأموم
امامه فى النية لان النية أمر
غيبى والائتمام لا يكون الا
فيما يشاهد من الافعال
ولذلك فصل الشارع ما أجمله
فى الائتمام فذكر الافعال
بقوله فاذا كبر فكبروا الخ

بالدليل فليس الى معرفته ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلابد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الاول انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا الا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد * وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا هى لدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (وقال) فيه أيضا اعلم ان التنزيه وان جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لابد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه فأين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى وقال فيه أيضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما أنس بنور أعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضدية بعد * وقال الشيخ فى كتاب العبادلة تنتهى همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم فى المعرفة ولم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدى على ابن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هى علمنا بانه ليس كمثله شئ وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى (فان قيل) ما مراد من قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه موجود حقيقة (فالجواب) ان الذى نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهودهم وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينيا أن الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه فى جميع الصفات التى تنزل فيها العقول عباده وتأمل يا أخى السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله بصوت وحرف ورؤيته فى التجلى الاخروى فى صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى فى غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى الا فى صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل) فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه أن الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم أن الذات غنى عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال فى ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر فى ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أى أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كلكم حمقى فى ذات الله أى فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر فى ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطى الحفظ فلا يدرى أيصيب صاحبه أم يخطئ * وقال فى الباب الخامس

والاربعين

أعلم * وقال فيه انما أمرت المرأة بتغطية رأسها فى الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور فى العالم برياستها والمرأة مظهر النفس فى الاعتبار فأمرت النفس أن تغطى وجه رياستها فى الصلاة بين يدى ربها اظهارا لذلها وانكسارها على ان مذهبي ان عورة المرأة هى السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى الستر للسوأتين فليس المراد بالستر فى الصلاة من حيث كونها كلها عورة وانما ذلك حكم شرعى ورد بالستر ثم لا يلزم أن يستر الشئ لكونه عورة اه فليتأمل ويحرر * وقال مذهبي ان عورة المرأة هى السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى ستر العورتين وهما السوأتان فالمرأة وان أمرت بالستر فى الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة وانما ذلك حكم شرعى ورد بالستر ولا يلزم من الامر بالستر لشئ أن يكون ذلك عورة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال معنى قول المصلى الله أكبر بلسان الظاهر الله أكبر أن يتقيد بحال من الاحوال بل هو تعالى فى كل الاحوال أكبر قال وانما سميت احراما أى تكبيرة مع اشارة الى انه

مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فمن هم أهل الانكار فى التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر مافوقه لانه ماثم الا أربعة أقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام أنكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما أنكره بعض أهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما أنكره بعض أهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما أنكره بعض أهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ فى الباب الستين وأربعمائة ان كل من لم يذق شيأ فى هذه الدار أنكره فى الآخرة فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات كالانبياء وكمل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والسبعين وماتين انه لا خلاف فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر عندنا وعند أهل الحقائق ثم أنشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص

وليس تنال الذات فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص

ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

* فان قيل فاذا قلتم يمتنع وقوع التجلى الذاتى فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وماتين أن الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص اذلو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته فلا بد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الامر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلى فى صور المعتقدات والمعقولات واقع أو هو ممنوع كالتجلى الذاتى (فالجواب) أنه واقع وذلك لان صور المعتقدات والمعقولات انما هى جسور يعبر عليها بالعلم أى يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذى لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا انتهى كلام الشيخ فى الباب التاسع والتسعين وماتين (فان قلت) فاذن من خاض فى الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة نعم هو عاص لله ورسوله وما أمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ماقدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هى داخلة فيه أو خارجة عنه أو لا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذى يتحرك به هذا الجسم الحيوانى ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع هل لواحد أو كثيرين وهل يرجع الى جوهر أو عرض أو جسم ويطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية ما وجد لذلك دليلا عقليا أبدا ولا عرف ان للارواح بقاء ووجودا بعد الموت أبدا انتهى (فان قيل) فاذن عبادة الناس كلهم لله تعالى انما هى على الحس والسماع الا من شاء الله لعدم رؤيتهم له فى هذه الدار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انه لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلا بد من تعلق العبادة بما هو مشهود أو كالمشهود كما أشار اليه خبر اعبد الله كانك تراه ويكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو أخذ الله أصحاب العقائد من طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد أوصاف ربه فى معرفته هو من طريق عقله ونظره وحصره به فى كذا دون كذا ولا ينبغى أن ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق فى هذا التقييد وعفا عنهم اذ قد بذلوا وسعهم فى طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند كل معتقد اسلامى لكان العبد يعبد عدما من حيث ان الحق تعالى اذا وجد معه وراء عند عبد لزم أن يكون مفقودا عند العبد الآخر * فعلم ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه وبرهان ما قلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات

قال وهذا أقوى دليل يوجد فى فرض قراءة الحمد فى الصلاة اه * وذكر الشيخ فى الباب الخامس والتسعين وماتين مانصه اعلم ان القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ماهى كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها أهل اللسان فاما شيوخنا فى القراءة فانهم لا يعقدون القاف ويزعمون انهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم فى الاداء الى أن وصلوا الى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك اداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقى على لسانه ماتغير كبنى فهم فانى رأيتهم يعقدون القاف وهكذا جميع العرب فما أدرى من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها فى القرآن اه والله أعلم * قال وانما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك فى القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين يديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع فى ذلك العرف وأطال فى ذلك * وقال انما أمرنا الحق أن نقول اياك نعبد واياك نستعين بنون الجمع اشارة الى أن الحق يريد منا أن نعبده

الكشف أعظم لادراكهم التجليات مع الآيات فلا يستقر لهم في معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال في باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا الها غير معقول ولا يمكن قط في العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هي فأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التي بين نفسك وبدنها فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهيه لانها لا تعقل نفسها قط الا في مركب انتهى * وعبارة الشيخ في شرح ترجمان الاشواق اعلم أن اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا أخرى الا وهي مدبرة لمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهي عرية عن مركبها من غير علاقة أبدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل أبدا الآباد بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها المركب هو وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى

* وقال في باب الاسرار قد تكون المعرفة بالشئ هي العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشئ الا أن يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى * وقال في كتاب لواقح الانوار من سلك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره وقال في باب الاسرار حقيق على الخلق أن لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلي في ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة في الصور * وقال فيه أيضا اذا لمع القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يعجبنك حديث أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هي راجعة لما يقوم في قلب العبد من شدة التعظيم أو قلته وليست راجعة لذات الحق في نفسها لادراك العبد الزيادة والنقص في علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اعلم ان العظمة الالهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هي راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أو معنوية ومعلوم أن قيام صفات المعاني بذاته تعالى محال كما يستحيل أن تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات في الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا أن تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج ملك متنكرا في غير هيئته المعروفة ومشى في شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم في قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه في حال تنكره انتهى * وقال في هذا الباب أيضا احذر ان تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فان ذلك سوء أدب فما في صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب أن تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أو ردها فقد أخطأ طريق الصواب فان في التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة في جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تؤول أخبار الصفات فان في ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الايمان الا بما أوله بعقله ففاته الايمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما أعلى معارف الاولياء وهل يدرك أحد كيف الحق اذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين ان أعلى المعارف للاولياء أن يعرف أحدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وذلك لان الذات مجهولة في الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا

وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الامام الا في الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى * وقال الذي أقول به ان قوله وجهت وجهي الخ لا ينبغي أن يكون الا في صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في الفرائض والوقوف عند ما ورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر انه ورد في الفرائض أيضا * وقال من شأن الاديب العالم أن لا يناجي ربه الا بكلامه الجامع ولذلك قال لا صلاة الا بام القرآن والام هي الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسير الذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) وقد ذكر الشيخ في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلي في الصلاة من قال ان الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فانه ما قال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة

قربي و بعدي الامسافة * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن أتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلا بي واسأل الجهل عني تجده جاهلا بي فاني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غيري لا يصح فان أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك وانظر من قبل الكون فهنالك مقامك فأقم فيه ناظرا الى كيف أخلق الامور * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن أتعرف لك فاخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي ضده العلم وعن المعرفة التي ضدها الفكر وأطال في ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والالفاظ الواردة في الكتاب والسنة فهل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهل بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الالهي * قال وايضاح ذلك أن من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه * وقال الشيخ أيضا في لواقح الانوار اعلم أن من الناس من أوغل في تحرير الادلة وغرق في التفتيش وكلما قام بباطنه أمر نفاه فكان غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شئ فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من أول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب والمعارف * وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعلم أن غاية أمر من خاض في الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عموا الله عز وجل بذلك واحتجبوا بأمور وهي عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم في أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة اليه والحال انهم في ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيل) فما أعلى المحامد التي يثني بها العبد على الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شئ اذ لا يصح لعبد أن يثني على ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقي الا أن يثني عليه العبد بما يعطيه له فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل شئ علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هي التوبة من التوبة وايضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص في جانب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه فافهم * وقال أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم أن من فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شئ لم يفكر قط في كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعي أنه من فحول العلماء من أصناف النظار الا وقد تكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع في ذلك أبو حامد الغزالي رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى علي أن حفظني من التفكر في ذاته فلم أعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلا في هذه الحضرة فشكرني فكري على ذلك وقال الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فاني كنت قد بايعت فكري أن لا يتعب في التفكر في ذات الله وأن يصرف تعبه في الاعتبار فبايعني على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذي لم يخلق له واستعماله في الشغل الذي خلق له انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الثالث والسبعين اعلم ان أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة في صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا بعض تلويحات نحو قوله ليس كمثله شئ وقوله سبحان

وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم في الطهارة والتقديس والتلفظ وغير ذلك * وذكر في الباب الثالث والسبعين في الجواب الموفي مائة من أسئلة الحكيم الترمذي ما نصه اعلم ان معنى آمين أجب يارب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام أي قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة في الاجابة اذ الخفة تقتضي الاسراع في الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاؤه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدي الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا والله أعلم * قال وأما قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيجمعهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لا يخلو قولهم آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فان قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليه بالاتيان بلفظ آمين أي بترتيب هذه الحروف وأما ان قالوها غير متجسدين فلم يبق معنى الموافقة الا أن يقولها العبد بالحال الذي يكون عليها الملك وأطال في ذلك بكلام دقيق فراجعه

فيه من كل من جاء من عند الله من رسول وولي ملهم قال ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما أنتجه العقل من فكره بترتيب مقدمته في معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه يولد فأين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان كان مؤمنا كان ذلك طعنا في ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه انه ليس بمؤمن انتهى * وكذلك قال في باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ما ولدته العقول في حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما هي عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى (فان قلت) فعلى ما قررتموه لا يسلم لاحد من أهل النظر الفكري معرفته بل لا بد في طريق معرفته من حصول أوهام وخيالات (فالجواب) نعم ذلك أمر لازم له وذلك انه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فيجعل هذا نفسه في جانب والحق تعالى في جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادي ربه بالتاء المشعر بالبعد مع انه ما ثم بعد في نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلثمائة * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكري أبدا وليس عندنا ذنب أكبر من ذنب الخائضين في ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل ثم انهم لما أعطاهم الفكر خلاف ما جاءت به الرسل احتاجوا الى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو أنهم لزموا الادب ووقفوا على حد ما ورد من أخبار الصفات ووكلوا علم كيفية ذلك الى الله تعالى ولم يتأولوا الا عطاهم الله تعالى الفهم في ذلك باعلام آخر ينزله في قلوبهم فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم انتهى (فان قلت) فهل تزول الحيرة من أحد في جانب الله تعالى اذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة ان الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له في غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة ويعلم عند ذلك من الله ما لم يكن يعلم قبل ذلك التجلي لكن لا يقدر أحد على تعيين ما قد تجلى له من الحق الا كونه تجلى له في غير مادة لا غير (فان قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من الحق (فالجواب) أن سبب ذلك كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين ما تجلى به لعبد آخر أبدا فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذي هو عالم المواد صحبه تجلي الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا ويرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه أولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك أبدا الا نه تعالى ما تجلى لقلب عبد في شئ من المعارف واحتجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك ثم قال وفي هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم * وقد قدمنا في هذا البحث أن علم كيفية تجلي الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب * ويؤيده قول الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة ان الحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبد الجبار النفري في المواقف أوقفني الحق تعالى وقال لي وعزتي وجلالي ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه * وقال أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي اعلم ان حجابي الجهل بي فيوم دائما امام حضرتي فلا معلوم خلق الا يجهلهم بي لعدم احاطتهم بي * وقال أيضا أوقفني الحق وقال لي اعلم أني لا أظهر لعبد الا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه ويدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهناك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لي الحق لي معرفة لا جهل فيها الا تقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شئ من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادي من التعرفات لا يحتمل تعرفي الذي لا يبدو فاني لا أنا التعرف ولا أنا العلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذي عرفه عبادي هو القرب الذي أعرفه أنا فلا قربي عرفوا ولا بعدي عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالي عرفوا انا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون

والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا في قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدني عبدي لا يكون له ذلك الحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فما حمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدني عبدي وانما يقول حمدني لسان عبدي وذلك لان الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتي في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى أن الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار مثلثا أي بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوي فينعم حسا وخيالا وعقلا كما يذكر حسا وخيالا وعقلا وأطال في ذلك والله أعلم * وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاته مطلقا أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي الحق في خاطره والله أعلم * وقال في حديث قسم

تعالى لما يعصى الله تعالى مثلا فهى راجعة الى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذى بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الا على هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه * وقال فى الباب الحادى والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم * وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذى لا يخفى وسبحان الخفى الذى لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته وأعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان المراد به أدعو الى طريق الله تعالى الخاصة التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لا شئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى * وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربى من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد الحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم حال دعائهم اليها وما دعت الا كابر قومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية فى توجهنا له تعالى فلماذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص فى الصلاة وغيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الحكمة فى تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا نجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان أحدنا ذو جهة فلا يقبل أن يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وأوجبوا على العبد ان ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع همنا عليه سبحانه وتعالى والا فسائر الجهات فى حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله * قال واعلم انه من أعجب الامور ان العبد يعلم ويتحقق ان الحق تعالى ليس فى جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على عقله فلا يشهد الحق تعالى الا متعاليا فى جهة الفوق وربما استدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس فى الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعنى من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذى مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار والملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه * قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد * قال الشيخ وليحذر المصلى حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا فى جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية فى وجه الحق تعالى عند المحقق ومن توهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورتها ظاهرة وبقى الحق فى نفسه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا لرأى نفسه لم تحط بها الجهات وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد الحق فى غير جهة وأما ظاهر الجسد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدسة الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم

وعلى عباد الله الصالحين بالالف واللام أيضا لتشمل جميع السلام بأجناسه على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بأن كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية اجزائه وعلله حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله وسلم على نفسه كما أمر أن يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذى يشهده فى قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على ان المراد بالصالحين المستعملين فى أمور مطلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين فى العرف * قال وانما لم يعطف المصلى السلام الذى سلم به على نفسه بالواو على السلام الذى سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا انه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى المرتبة التى لا تنبغى لنا فلذا بدأنا بالسلام عليه فى طورنا من غير عطف انتهى (قلت) وفى هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبى بعدى * وقد ذكر فى شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان

ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذى لا يوصل اليه تفكر ولا عقل انتهى (فان قلت) فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه الحالى عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الثانى والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه فى شئ مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة فى الارض اذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر أى ان الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله له فهذا هو معنى الصورة اه * وذكر الجلال السيوطى أن الحديث وارد على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على صورته فينبغى لك اكرام صورته اه فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم (فان قلت) فما معنى حديث الطبرانى رأيت ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت فى عالم الخيال ومن شأن الخيال أن يجسد ما ليس من شأنه التجسد من المعانى فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا فى الدين ونحو ذلك فلا شئ فى الكون أوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله فى قبلة أحدكم خطابا لمن هو فى حضرة الخيال وانما خص وجود الحق بالقبلة فتحا لباب تخيله تعالى فى القبلة ليراقبه العبد ويستحى منه ويستفهم من ربه الآية اذا أرتجت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب فى صلاته فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الانسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أى كأنك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلى يمنع من كأن لانه تخيل بدليله الشبيه والبصر ما أدرك شيأ سوى الجدار وأطال فى ذلك * ثم قال فما خاطبك الشارع بما قلنا الا لتتخيل انك مواجه للحق فى قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق الا كذلك ما دمت محبوسا فى دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق تعالى القوة التى فوق طور العقل فحينئذ تشهد الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت أن من شأن الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصور انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين انما سمى العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له فى معرفة الحق تعالى فى مرتبة الاطلاق انتهى * وقال فى الباب الثامن والستين اعلم ان أدنى حجاب يحجب العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التى تقع فى ذهن العبد بتجلى الحق فيها فانه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن يرقى عن التجلى الصورى الا ان خرج عن عالم المواد انتهى (فان قلت) فما حكمة منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك أن تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شئ وما احتاجت الى الحق تعالى فى شئ وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بأنه أقرب الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فأين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التى أخبرنا الشارع بأنها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق

ان شئت والله أعلم * وقال فيه فى الكلام على التشهد اعلم ان الالف واللام فى لفظة السلام عليك أيها النبى للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله فى الشمول والعموم أى السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبى دون الرسول لان النبوة فى حق ذات النبى أعم وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به فى نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذى هو منه رسول فقط قال وانما أتى المصلى به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه فى حال قربه منه باحضاره فى ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب فى قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطى الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول يا رسول الله أنت فى أمان من اعتراضى عليك فى نفسى وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما تسليمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضى الاعتراض واللوم منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الانسان قلت لنفسى كذا فقالت لا انتهى قال وانما أمر المصلى أن يقول السلام علينا

كلام على هذا المبحث بقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ
في الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز أن يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور أسمائه
وصفاته الى وجود العالم لانه الغني على الاطلاق * قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول
ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع العقلاء
كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم
أو بموجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق الا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه
[illegible] (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شيء فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو
قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له أن يخالف ما أوجب على نفسه من
الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى
أن يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من الذم من ترك ذلك الواجب
لانه تعالى فعال لما يريد فله تعالى أن يخالف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان
هذا المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو ألزمها لا يبرمها الوجوب بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ بالنذر
فان الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم اذا لم يوف بنذره مع انه قد رتب ذلك كالعقوبة له لكونه
أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق في التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهي اذا تعلق أزلا بما فيه
سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أي لا بد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك
[illegible] الذي تعلق به العلم وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شيء ولو أوجب هو على نفسه
فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر
أن يشرك به فهذه لا يصح شرعا أن يخالف ما أخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده
أدبا فقط ولا يحملوا نصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ أيضا في الباب
[illegible] والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق
ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو
قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل
وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية فهذا جود مقيد بالوجود لان هذه
بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فالتوبة والاصلاح من الجود
وقد قابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره والعبد بين هذين الجودين كله عرض
اه قال وقد بان لك أن وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما أنه تعالى حجر اطلاق نسبة
[illegible] وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدي * قال
والعقل يدل على الاحالة في الولد دلالة دقيقة وفي نحو قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين دلالة عقلية
[illegible] لفظا أو على أنه تعالى مخير في نفسه ان شاء أمر أمضاه وان شاء لم يشأه فقد وردت ورود الاخبار
كثيرة ومع ذلك فالعقل يحيله وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه ان الحق تعالى انما أوجب
[illegible] بعض أمور تأنيسا لنا فيما أوجبه على أنفسنا من الصلاة والقربات الشرعية فان أوجبناه
[illegible] سبحانه وتعالى كالنذر أوجبه علينا لنميز عنه فنعصي بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما أوجبه على
نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا الا من حيث ما أوجبه الحق علينا
[illegible] بذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجب تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه

عليه هو الحق وهو من جم
عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده
والوجه الثاني انه كان يقام
في صلاته في مقام الملائكة مثلا
ثم يخاطب نفسه من حيث
المقام الذي أقيم فيه أيضا من
كونه نبيا فيقول السلام عليك
أيها النبي فعل الاجنبي فكأنه
جرد من نفسه شخصا آخر قال
وانما قال وأشهد أن محمدا
رسول الله ولم يقل نبي الله لان
الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة
فكان يحتاج الى ذكر الرسالة
بعد النبوة ليظهر اختصاصه
على من ليس له مقام الرسالة
من عباد الله النبيين قال وأما
قوله في تشهد ابن عباس سلام
عليك أيها النبي [illegible]
ووجهه انه راعى حضور [illegible]
كل مصل فجاء بسلام [illegible]
ليأخذ كل مصل [illegible]
حسب حاله من [illegible]
على النبي صلى الله عليه [illegible]
ومن مقام السلام على [illegible]
وعلى الصالحين من عباد [illegible]
ولذلك اختص [illegible]
لفظ الشهادة في الرسالة [illegible]
بالواو لما فيها من قوة [illegible]
واسقط في هذه الرواية [illegible]
لفظ العبودية لتضمن الرسالة
لها انتهى فتأمل يا أخي هذا
المحل المتعلق بالتشهد [illegible]
لا تكاد تجده في كتاب والله
يتولى هداك * وقال انما
أمرنا بالاستعاذة من فتنة
المسيح الدجال لما يظهره الخالق
في دعواه الالوهية وما يحصل
من الامور [illegible]

* وقال الشيخ في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ما هو الحق تعالى عليه من الحقيقة التي لا تعرف في الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم * وقال في الباب الستين وثلثمائة ما حرم النظر بالفكر في ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدي صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذي عقل سليم * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من خلق الله تعالى فهو وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيي الدين في جميع أبواب الفتوحات المكية وغيرها فتأمل يا أخي فيه فانك لا تكاد تجده في كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضي الله عنه بلغ في مقام التنزيه لله تعالى ما لا يكاد يرى أحدا من الاولياء بلغه وانه رضي الله عنه برىء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح في عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال في باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه في سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) كان الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور في الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخي ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما نزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا ما يشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه اقررناه في موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة اليه مع اعتقادنا انه ليس كمثله شيء فليس التنزيه الذي أمر به العبد هو عين التنزيه الذي نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب) كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص في جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الا في صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هناك فعلم ان التقديس أكمل في حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ في باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص مما من بعض العبيد حين حملوا الحق تعالى على صفاتهم في بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع في التوهم المشعر بنقص ما رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك في مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس في وجوب اعتقاد أنه تعالى أحدث العالم كله)
من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه

وانما علمه تعالى به سبق فلا بد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين وانبسط

قام المحمدي ... وع من
دوله لما وغاية معرفته به
ظر اليه كما ننظر الكواكب
السماء وكما ينظر أهل
نة السفلى الى من هو في
ين قال وقد فتح للشيخ أبي
يد البسطامي من مقام النبي
خرم ابرة تجليا الا دخولا
حترق فكذب والله من
ى على الشيخ وخاب مسعاه
لله أعلم * قال وانما لم يكن
شهد الاول وجلوسه واجب
ن هذا الجلوس عارض
ض لاجل القيام بعده الى
كعة الثالثة والعارض
نزل منزلة الفرض ولهذا
جد من سها عنه بخلاف
لوس الاخير قال وهو من
تجليات البرزخيات فانه
حانه دعا عبده أن يسلم عليه
اشرع فيه من التحيات فلما
ى ان ذلك المقام يدعو الى
حية جالس قال والحكمة
ذلك ان الصلاة تقتضي
شفعية لقوله تعالى قسمت
صلاة بيني وبين عبدي
طال في ذلك * قال رضي
عنه واعلم انا لم نقف على
واية عن النبي صلى الله عليه
سلم في تشهده الذي كان
يه في الصلاة هل كان يقول
ينا السلام عليك أيها النبي
كان يقول السلام على أو
لا يقول شيأ من ذلك
كتفي بقوله السلام علينا
ى عباد الله الصالحين قال
كان يقول مثل ما أمرنا
قول من ذلك فله وجهان
وجها أن يكون المسلم

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه فى كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك
* وقال أيضا فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الله اغنى عن العالمين اى غنى عن وجود العالم
لكن لما أظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظر بعضهم فقال ان الله تعالى غنى
عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور ومع
غفلته عن كون ذلك فعل مختار فى الاصل غنى عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور وفى مهواة من التلف فانه لا يلزم
من كون العالم ثابتا فى العلم الالهى الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بافتقار
اليه واذا تعارض عند العاقل منزلات الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر
جناب الحق * قال وايضاح ذلك أن تعلم يا أخى ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيه اكتفى بذلك ثم
ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار اليه
بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار
أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فانها سألت بلسان ثبوتها فى علم واجب الوجود
أن يخرجها من العدم ويوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغنى عن وجودها
وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها فى ترك الدلالة أظهر من وجودها فأى شئ
رجع من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال ولهذا قلنا ان غناه عن العالم
هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم فى الازل وكون الازل
لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته فى العلم وذلك انه من حيث ماهو ممكن فى نفسه استوى فى
حقه القبول للحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه فى حال فرضه
فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن أزلا فى حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح
ذلك) أن الترجيح من المرجح الذى هو اسم فاعل لا يكون الا مع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر
حكمها فى كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وان كان معقولا
أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى *وحاصل كلام الشيخ أنه لا يقال ان الحق تعالى غنى
عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن
قال ان الله تعالى غنى عن ثبوت المعلومات فى علمه كانه قال ان الحق تعالى غنى عن علمه على حد سواء وذلك
محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غنى عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غنى عن ثبوته فى
علمه فليتأمل ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى
البارئ اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غنى عن العالمين لكن لابد من تخيل وجود العالم
لنا فى الذهن ليثبت له تعالى الغنى عنه كما يقال فى صاحب المال انه غنى بالمال عن المال اذ المال هو الموجب
له صفة الغنى عنه فلابد من وجود المال لنتصور صفة الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة
الكشف فان العالم سبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا يتنزه عن صفاتنا الا بنا فما
وقع الثناء عليه الا مع تصور وجودنا فهو غنى عنا بنا فى الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما
هو بغناه عنا فلابد من ثبوت هذا الغنى له نعتا فلو من أراد أن يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى
ماسمى الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن
يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد
الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج
عنها انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أى غنى
عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول

تعالى فى الصلاة الذل والمسكنة
والتكتف شغل العبد الذليل
فى حال مناجاة سيده وقد وردت
السنة بذلك وهو عندى
احسن من اسبال اليدين قال
وايضاح ما قلناه ان الله تعالى
قسم الصلاة بينه وبين عبده
نصفين فجزء منها خالص لله
من أولها الى قوله مالك يوم
الدين فهذا بمنزلة اليد اليمنى
من العبد اشارة للقوة الالهية
قال تعالى لاخذنا منه باليمين
والجزء الآخر خالص للعبد
من قوله اهدنا الى آخر السورة
فهذا بمنزلة اليد اليسرى التى
هو الجانب الاضعف الاصغر
قال ولما كان جزء منها بين الله
وبين عبده وهو قوله اياك
نعبد واياك نستعين جمع
العبد بين يديه فى الصلاة لجامع
المناجاة فكملت صفة العبد
بجمعه بين يديه ولو أسبل
يديه لم تكمل صفته فانظر الى
هذه الحكمة ما اجلاها
لذى عينين انتهى ثم لا يخفى
انه اذا كان جعل اليدين على
الصدر يشغل العبد عن مناجاة
ربه فارسالهما أولى فالتحقيق
ان جعل اليدين على الصدر
للكمل الذين لا يشغلهم ذلك
عن الله وان ارسالهما أولى
لغير الكمل اذ مراعاة
وضعهما على الصدر يشغل
عن كمال التوجه فليتأمل والله
اعلم * وقال معنى قول العبد
فى حال اعتداله عن الركوع
ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى
لا ينفع من كان له حظ فى الدنيا
من جاه ومال استناده

وأما الحق تعالى اذا وفى بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم أخـلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصـدر منـه تعالى الا وهو خـير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذى لا تكرهه النفوس والخـير الممتزج هو الذى فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه وصاحب هذا الخير كالمعـذب المرحوم يجد عـذابه اذا تأمله رحمة وتأديبا هذا حكم عصاة الموحدين وأما من حقت عليـه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك فى شر محض لا رحمـة فيـه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السـنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليـه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف منى انى عرفتـه فوقع بينى وبينـه مناظرة فقال لى وقلت له وعـلا بيننا الـكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحـار وحرت فكان آخر ما قال لى ياسهـل ان الله تعالى قال ورحمتى وسعت كل شئ نعم ولا يخفى عليك انى شئ ولفظـة كل تقتضى الاحاطـة والعموم الا ما خص وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته أنا وجميع العصاة فبأى دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سـياقه وظفره بمثل هـذه الآيـة وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمـه فبقيت حائرا متفكرا وأخـذت أردد الآية فى نفسى فلما جئت الى قـوله تعالى فسأكتبها للـذين يتقـون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت أنى قد ظفرت بحجة وظهرت عليـه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قـد قيـدها بنعوت مخصوصـة تخـرجها عن ذلك العـموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال ياسهل التقـييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال ياسهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهـل بالله ما رأيت ولا ظننت انك هاهنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسى وغصصت بريقى وأقام الماء فى حلقى وما وجـدت له جوابا ولا سـددت فى وجهـه بابا وعلمت انه طمع فى مطمع وانصرف وانصرفت والله ما أدرى بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هـذا الاشكال فبقى الامر عندى على المشيئة منـه فى خلقه لا أحكم عليـه فى ذلك الا بما حكم به على نفسـه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيى الدين وكنت قـد بما أقول ما رأيت أقصر حجـة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التى حكاها عنه سهل رضى الله تعالى عنـه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما لا جهل فيه فلا رتبة الافادة اسهل فى هذه المسئلة انتهى فقـد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمـه الله فى الباب الثانى والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره اليـه وانما الاشياء فى حال عـدمها الامكانى لما طلبت وجودها من هى مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها الذاتى من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها الا من حاجة قامت به اليها الا انها كانت مشهودة له تعالى فى حال عدمها النسبى كما هى مشهودة له فى حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ما هو عليه فى حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحـد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبـد فان الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد ايجاد شئ لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبـد الا ما ليس عنـده ليكون عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهـذه مسـئلة لو ذهبت عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلا فى حقها فانها مزلة قـدم زل فيها كثـير من أهـل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى فى قوله لقـد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قـد نقـل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الـكل مفتقر ما الـكل مستغنى * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكنى

ثبتت به الروايات وجعل
ما يات له على صدق دعواه
وهـذه مسـئلة فى غاية
شكال لانه ما تقدح فيما قرره
السكلام فى العلم بالنبوات
طال بهذا لفتنة كل دليل
روه وأى فتنة أعظم من
ة تقدح فى الدليـل الذى
جب السعادة للعباد فالله
لنا من أهـل الكشف
وجود انتهى فليتأمل
حرر * وقال انما كان
لى وسلم تسليمتين لانه له
حال الى حال فيسلم بالاولى
من انتقل عنه و بالثانية
من قدم عليه قال وكل
ل لم يغب فى صلاته عن
الله عز وجل فما برح
الاكوان فعلى من يسلم
وما برح مع الكون فهلا
يحيى هـذا المسلم من الله
ث يرى الناس بسلامه
بهم انه كان غائبا عند الله
حول ولا قوة الا بالله العلى
ظيم * وقال الحكمة فى
الايدى فى الصلاة الاعلام
شئ حصل فى البدن قد
ما عند رفعها وكأن الحق
الى يقول معلما العبد اذا
ت بين يدى فقف فقيرا
لا لك شيأ وكل شئ
كته يداك فارم به وقف
فر اليدين واجعل ذلك
ظهرك فانى فى قبلتك
و لهذا يستقبل بكفيه
(فان قلت) ذكر الشيخ فى
التاسع والستين
ثمانمائة ما نصه اعلم ان من
الوقوف بين يدى الله

واحدة أبدا وغاية الامر أن يجتمع بين العبد والرب في الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر ولهذا تنعى اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غير موجودة انتهى * وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين الذين قد صارا واحدا في النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى (فان قيل) فما معنى حديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و رجله التي يمشي بها و يده التي يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الى آخره ان ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتب الشهودي جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقوير الوجودي قاله الاستاذ سيدي علي بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين في الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه و بصره الى آخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لانه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر اليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة ثم لكونها هي التي تهيئ للقوى الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى لما وندا وباله ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما وصل تعالى نفسه منا في الحكم كذلك وصلنا نحن أنفسنا عنه ولا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك و بينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فاثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولا حتى اتصل والشيء الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال في باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل انتهى * وقال في هذا الباب أيضا أنت أنت وهو هو فاياك ان تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال فيه أيضا اياك أن تقول انا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه أيضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق أو حل فيه

من لا يعتقده بافادتك قال سبحان ربي الذي أعتقده واعرفه انا دون غيري والله أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق في علم كيف يعبد ربه قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لا تصح امامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدي به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لان الامام الذي هو المتنفل ما فعل الا ما هو فرض عليه أن يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم * وقال انما سميت الصفوف في

ولما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ في الباب الستين من الفتوحات في قوله تعالى ان الله غنى عن العالمين أى غنى عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له بعجز نفسه وفقرها وحاجتها الى لانه ما ثم في الوجود دليل على لانه لو كان في الوجود دليل على لربطني به فكنت مقيدا به وأنا الغنى الذى لا يقيدني وجود الادلة ولا يدل على أدلة الحدثان قال وأكثر الناظرين في هذه المسئلة يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون في نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم ينظرون راجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم فان ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فبماذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اهـ * وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التى نصبها الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شئ فأوقف العالم كله في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقاديرهم انتهى * وقال في باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدوه ممن هو علامة على من فما ثم الا الله وفعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك أنه رضى الله تعالى عنه برىء من القول بأن الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغنى على الاطلاق وان العالم لا ينفك طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما أظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى أوجدنا لنا لا لحاجة منه الينا لنقوم بالتكليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم * (خاتمة) * ان قيل هل يصح لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والعشرين ومائة أنه لا يصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب جلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع الاسباب الا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما ستغنى أحد الا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لا بالله فاذا جاع أمر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لا بالاكل فافهم والله تعالى أعلم

* (المبحث السادس في وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم في ذاته حادث وانه لا حلول ولا اتحاد) *

اذ القول بذلك يؤدى الى أنه في أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم أن هذه المسئلة مما أشاعها الحدون على الشيخ محيى الدين كما مر في خطبة الكتاب وها أنا أجلى عليك عرائس كلامه في أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض * فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ في عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها * وقال في عقيدته الوسطى اعلم أن الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شئ أو يحل هو في شئ أو يتحد بشئ * وقال في الباب الثالث من الفتوحات اعلم أنه ليس في أحد من الله شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال في باب الاسرار لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقيل * وقال في الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين فان الرب لا يجتمع مع عبده في مرتبة

الى ذلك دون الله فاذا انكشف العطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى والله أعلم (وقال) انما جوز الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ترك الطمأنينة في الاعتدال وبين السجدتين خوفا من ترك المسارعة الى الخيرات المأمور بالمسارعة اليها فخاف ان اطمأن أن يفوته ذلك مع انه رضى الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا القول ان الطمأنينة لا تنافى المسارعة الى الخيرات والله أعلم * وقال انما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة واختلفوا في وجوبه على الانف لان الانف ليس بعظم خالص بل هو الى العضلية أقرب منه الى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة هى المقصود الاعظم وفي الحديث أمرت ان أسجد على سبعة أعظم وبدأ بالجبهة فافهم * وقال انما أمر العبد ان يقول سبحان ربى الاعلى وسبحان ربى العظيم باضافة الرب الى ياء النسبة لان الرب يتفاضل العلم به من كل عبد وكل عبد يعتقد في ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم في الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح الا ربه الذى اعتقده ربا وكم شخص لا يعتقد في الرب ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره في اعتقاده في ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل

الله تعالى * وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول المراد بكون الحق في السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيي الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه في الرد عنه وذلك انه قال لا أعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك أني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طعما قال وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أنله بعمل انما هو اختصاص الهي وأرجو من الله أن يمسك على هذا المقام ولا يحول بيني وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى أعلم فتأمل يا أخي في هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله في حكم خلقه)

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه في سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذي أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان ولا أينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدي محمد المغربي الشاذلي انه لا ايهام لان الاينية في هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون في الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب اين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه في وجه من الوجوه انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا بأين لان من لا أينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل انتهى * وقال أيضا في الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربه في قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى في نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء في حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ قط من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربنا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت في كتاب البهجة المنسوبة لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه ما نصه اعلموا ان عباداتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه وتعالى في جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات في القرآن العظيم في هذا المعنى لا يمكنني ذكرها لاجل جهال الجاهل ورعونته انتهى فلا أدري أذلك الكلام دس على الشيخ في كتابه أم وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق فان من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا * وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وان كان السجود في أسفل سافلين وأما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤسهم هذ

أقعده قعد ما دام في سلطانه والخليفة وان كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرؤسا قال وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب * قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب اضافة البيت اليه ولذلك أمرنا أن نحييه بركعتين وان لا نعمل فيه الا ما أذن لنا في عمله * وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيأ من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزى فيها نفس عن نفس شيأ بخلاف ما ليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان مقاما من حيثما هو مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الابعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الابعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار اليه خبر كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين * وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من

لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى * وقال فى الباب الرابع عشر وثلثمائة لو صح أن يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله من كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال فى الباب الثامن والاربعين لا يصح أن يكون الخلق فى رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول فى رتبة العلة * وقال فى لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد فى وقت ما فليس هو بعارف وانما هو فى ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحي بهرون عليه السلام فى بعض الوقائع فقلت له يا نبى الله كيف قلت فلا تشمت بى الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لى السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت فى مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم فى نفس الامر كما هو فى مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم فقلت له العالم باق فى نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله فى ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله فأفادنى عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندى انتهى * وقال فى باب الاسرار لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم ولو تركت الاغيار لتركت التكاليف التى جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى * وقال فى لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول ان العالم عين الحق أو اتحد به أبدا وانظر الى ذاتك يا أخى فتعلم قطعا انك واحد لكن تعلم ان عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك وأن هذه الاعضاء تفاصيل فى عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن فهم ما أومأنا اليه فهو الذى يفهم قوله تعالى قل الروح من أمر ربى فلم يحدث بابتداعه العالم فى ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال أيضا فى الباب الثانى والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه ولا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو ما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد أنشد الشيخ محيي الدين فى هذا المعنى

ومن عجبي أني أحن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معى
وتبكيهم عيني وهم فى سوادها * وتشتاقهم روحى وهم بين أضلعى

وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن الذات الاطلاق لذاتها وتساوى النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء فى كلام القوم فناء مراد العبد فى مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد

وعلمك أن كل الامر أمرى * هو المعنى المسمى باتحاد

انتهى ولعمرى اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على ان يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن بأولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال فى حقهم رضى الله تعالى عنهم اذ ما من ولى الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شئ محيط * وسمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى فى كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض لايهامه أنه يحل بذاته فى ذلك المكان انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثامن ان شاء

...وقوفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الائمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بادمان ذلك التذكر (قلت) وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ما نصه انما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل كما هو شأن المفرد لانه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف فى صفهم خلفه ولو انه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك لو ان الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كان يشاهد من يصلى من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم ذلك المأموم وليس حكم من يشاهد الامور ببصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله * وذكر الشيخ أيضا فى الباب الاحد والثلاثين وأربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه أى ولو كان الامام الاعظم فى حق آحاد رعيته فانه تحت حكم رب البيت حينئذ...

فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون ان فى هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لاتعلمون ونحوه فلما قال ولكن لاتبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقى المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ماقلناه لان أفعل من يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى فى نسبة أقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على ان قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لاتعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر وقال له العلائى فما قولكم فى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم أن الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لايلزم من ذلك فى حقه تعالى المكان لان أين فى الآية انما أطلقت لاثبات معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمناه فهو مع صاحب كل أين بلا أين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال ماجمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الامر ذوقا أو سماعا فقالوا سماعا فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها ثابتة فى علمه أزلا يقينا بلا بداية لانه سامتعلقة به تعلقا ليس يحيل عليها العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم بناء على وفق مافى العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت فى عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى مالانهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ماقررته لكم فى المعية واعتمدوه ودعوا ماعداه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان أراد أحدكم أن يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه فى ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل ياأخى فى هذا الموضع وتدبره فانك لاتجده فى كتاب الآن * وأما قول الشيخ محيى الدين رحمه الله فى هذه المسئلة فكان يقول فى حديث كان الله ولا شئ معه ان المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من الفعل الماضى ولم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شئ معه فهو تعالى مع الاشياء ولا يقال ان الاشياء معه لانه لم ترد قال وايضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول انا معه لانا لانعلم ذاته بخلاف حضرات الاسماء والصفات التى هى المرتبة فلابد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولابد من حضرة تحكم فيها هذه الاسماء بالفعل أو بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقدمر تقريره فى المبحث الذى مر (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق وهو الآن على ماعليه كان كما أدرجه بعضهم (فالجواب) انما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الآن نص فى وجود الزمان ولو جعلناه ظرفا للهوية البارى لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فانه حرف وجودى من الكون الذى هو عين الوجود فكانه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شئ معه

الاقوال والافعال فرائض بها فعلم انه لايصح نفل الا بعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروضا ونوافل بما فيه من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم * وقال مذهب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على ان الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية باوهم وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى أنا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لايقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه ان صلاة الجمعة قبل الزوال أولى لانه وقت لم يشرع فيه فرض * (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله أعلم * وقال الذى أذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا أذن الثلاثة واحد بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة ويقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم

هو الاعتقاد الحق * قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق انه تعالى في جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التي قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت في السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا في حال كونه في السماء في حال كونه مستويا على العرش في حال كونه في السموات وفي الارض في حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد)

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم مثلا ورؤيته لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن أبي منصور في رسالته انه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما انه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة فلا نقول على الله مالم نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الاسماء الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه أتبع الضحك توابعه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجلس في الجامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شيء لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو مع معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيز بن لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي ان قول المعتزلة وجمهور النجارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الالمن كانت صفته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على أنه يلزم من القول بأن الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله

في

والسبعين وثلاثمائة فراجعه فيما سيأتي * وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيأ فان الله لا يقبلها ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها نقص كملت بعضها من بعض ثم أدخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين واما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ماله أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أجورهم شيأ قال ولما لم يكن من قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا جبرا للفرائض بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل فانها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه

هى ظرف ثالث لاظرف زمان ولاظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال ومارأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ماهى ثم أنشد رضى الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لاتعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لاتجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

قال والضمير فى قوله لها يعود على الظرفية وفى قوله هما يعود على عندية الحق والخلق انتهى وسيأتى ايضاح هذا المبحث فى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ما نصه قد وقع فى الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان فى حق البارى جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله فى ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يجرح تعالى ذلك الاعتقاد ولاصوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه أيضا لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنزيها لهذه الكلمة التى هى من الالفاظ المشتركة كالعين والمشترى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شئ واذا كان ليس كمثله شئ فمن المحال ان يضبطه اصطلاح لان ما يشهده منه زيد ماهو عين ما يشهده منه عمرو وجملة واحدة ذكره الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط فى مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا فى المعرفة مقام * قال وأما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد فى الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا فى عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد * قال ولهذا الذى قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة ما يشهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التى يتفرع منها سائر الاعتقادات الاسلامية وأقر عقائد الاسلام بحق وكان سيدى على وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلى الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلى الالهى آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه باعظم من نفى المثل ولا مثل له تعالى (فان قيل) فهل الكاف فى قوله تعالى ليس كمثله شئ كاف الصفة أو زائدة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما فى نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هى أصلية أو زائدة انتهى (فان قيل) ان أفراد العالم يشارك الحق تعالى فى كونه لا مثل له فانا اذا اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لابد أن يزيد أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا قال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال فى العالم معقولة وان كانت غير موجودة ويكفينا فى التمييز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهى يقتضى ان لا مثلية بجميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية ان لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى من لا مثل

احتوى ذلك الفعل فرائض جوزيناه لفرائض بما فيه من الفر ومثال ذلك نادلة الصلاة والحج فانها عبادة تحتوى أركان وسنن وأما صلاة التطوع فما فيها شئ من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر فى هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى أنه يصلى فتسبيحه عن هذا التخيل الذى تخيله النفس من قوله يصلى فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانها شرعت فى صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبتها لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة فى الصلاة تناسب ماذكره الامام فى الخطبة وقد قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة * وقال شرط من يناجى ربه أن يشاهده بقلبه ومتى تحدث فى صلاته مع غير الله فما هو المصلى الذى يناجى ربه ويشاهده بل لا ينبغى لمخلوق قط أن يحدث من هذه حالته * وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء

فى وجوده الذاتى فان وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة فى الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولا سيما فى هذا الموضع (فان قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انما من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى فى الكون هذا التصريف الذى يلحق الافعال لزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فان من أشبه شيأ فى أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخى ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه فى كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات من زاد فى حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فان الله تعالى قال كل يوم هو فى شان وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقد كان ولا أيام ولا شؤن فى تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى وقال فى هذا الباب ايضا لا يشترط فى المجاورة الجنس لان ذلك علم فى لبس فان الله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فان قيل) فما الحكمة فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التى شكوا فى اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها أين الله فاشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على البارى جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ فى ألسنة العالم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هى الحقائق عليه فى نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له فى ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلى على استحالة حصر الحق تعالى فى أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذى عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو ان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلى فانه تعالى لا اينية له فى نفسه وانما الانسان لقصور ادراكه لا يشهد الحق تعالى الا فى أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا أنه لم يكن فى قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته فى نفسها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله فى السماء كما قال تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم أن من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية من الوجه الذى يليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذى يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذى هو الظهور (فان قلت) فما تقولون فى نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى فان ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة أن عندية الحق تعالى حيث أطلقت فى الكتاب والسنة

الآخر انتهى فليتأمل ويحرر (وقال) الذى أقول به جواز اقامة جمعتين فى مصر واحد لانه لم يأت فى المنع من ذلك نص فى كتاب ولا سنة قال وكذلك أقول ان خطبة الجمعة ليست بفرض انما هى سنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا ينبغى لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الائمة يصلون بالخطبة كما فى صلاة العيدين مع اجماعنا ان خطبتهما سنة قال ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يعنى سماع المواعظ فى الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا واطال فى ذلك ثم قال وما لم يرد لنا نص فى ايجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسى لا على طريق الوجوب قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذى وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة

وانما حجب كل أحد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه
قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق فقال
موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالهباء التى فى كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها
لا تراها فهى موجودة فى الشهود مفقودة فى الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد
استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر
فى حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف
عن بصائرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ فى أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم ان العبد لا يكمل شهوده وعبادته
لله تعالى الا ان شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن ان يتقدمها أولية لا من حيث أولية العبد عن
أوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هنالك على كل عبادة
عبدها أحد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد * وقال الشيخ
أيضا فى الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم ان تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى ان
يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شئ من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية ان
يتجلى للعالم فى اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا يجد الانسان فى فطرته الاستناد اليه والافتقار
اليه من غير نظر فى دليل ويرجع فى أموره كلها اليه الثالثة أن يتجلى فى اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص
بالانبياء وكمل ورثتهم انتهى فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

(المبحث الحادى عشر فى وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الاشياء قبل وجودها فى عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها)

لم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كله موجودا فى علم الحق
فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر من الفتوحات
ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علمه بنفسه لم يكن عنده لا انه استفاد حالا لم يكن عليها (وايضاح ذلك)
ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى فى مراتبها بتعداد صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها
بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات فى حال عدمها ووجودها وتنوعات
الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود
نفسها وهى فى العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها فى خيالها فما أوجد الله الاعيان الا ليكشف لها عن
أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ على التتالى والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها
كانت معلومة للحق تعالى أى معلوم علمه وهذه المسألة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا
من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الاضافى
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى
فى حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فانها تتقلب فى لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ
بعد شئ ما هى مثل المرآة تتقلب الصور فيها بسرعة ولا هى جسم صقيل فقد أدركت يا أخى فى الحس تقلب الحرباء
فى الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها فى ذلك الجسم الذى أنت ناظر اليه ولا فى أعيانها فى علمك فمن
تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم فى حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى انتهى
ومما يقرب لك أيضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان فى حال عدمها قول الشيخ فى باب الاسرار العجب كل العجب
من رؤية الحق فى القدم أعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا فى الاعيان بحدودهم
لكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو ان الله تعالى أوجد فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك

اول النهار الى وقت النداء وسمى واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية *وقال فى فصول صلاة السفر الذى أقول به ان القصر جائز فى كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأطال فى استدلاله على ذلك *وقال قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذى أذهب اليه انه لا يجوز الجمع فى غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغى أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد فى ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال وأما الجمع بين الصلاتين فى الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس فى جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين فى الحضر من غير عذر أنه أراد أن لا يحرج أمته قال وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر

له موجود فاذن المثلية أمر معقول لا محقق فان المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز شئ في العالم عن شئ مما يقال هو مثل له فكان الذي امتاز به الشئ عن ذلك الشئ الآخر هو عين ذلك الشئ اذ ليس هنالك ما يميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من أغمض المسائل لانه ما ثم على ما قررناه مثل يوجد أصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود لا غير اهـ * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهي علم انه لا يتكرر شئ في الوجود وانما وجود الامثال في الصور يخيل لك انها أعيان ما مضى وانما هي أمثالها لا اعيانها ومثل الشئ ما هو عينه (مثله) في الاشكال التربيع في كل مربع والاستدارة في كل مستدير فالشكل يريك كل متشكل لا يتغير والذي وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وانما هو الشكل فالشكل هو المعقول * وقال في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة من المحال ان يظهر أمر في صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو مثله في النسبة لا مثله في العين و يسمى هذا في صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير وكاد العروس أن يكون أميرا * وقال في باب الاسرار ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو تخيلته هنالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب

(المبحث العاشر في وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن)

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان في الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا في أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل اخوانه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى أول من عين ما هو آخر وظاهر و باطن وآخر من عين ما هو أول و باطن وظاهر و باطن من عين ما هو ظاهر وأول وآخر ففي كل صفة ما في أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ما حده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطى سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة في كون الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى أن القوى التي خلق الانسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى * وقال في موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محمل النسب والاضافات وانما ينبغي ان يحمل على انه أمر ذاتي يوصف به على الوجه الذي يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم ان الازل والابد في حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقي اذ من شأن الاول البقاء السرمدي فاياك يا أخي ان تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا في الازل أو قدر كذا في الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم في زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول انما لا يتعقل اذ العقل الانساني انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى فهو أول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها وأطالت في ذلك رضي الله تعالى عنها * وقال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار انما أخبرنا تعالى بأنه الاول والآخر والظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب في طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول الذي تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تصغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت في الادلة وصارت كل شئ ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الامر على ما هو عليه فكان طلبها لما غاب عنها هو عين حجابها ولو تدرت الذي ظهر لها حق قدره لشغلها بما تخيلت انه بطن عنها والله ما بطن عنها شئ هو من مقامها

لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لامور عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لا لاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تتكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض قال وانما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تنتظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكان المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب الا الحيوان الذي يؤكل دون غيره * وقال الذي أقول به ان الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع * قال والسعي الى الجمعة سعيان

تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدى الى أنه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة أنه عالم بكل شئ أزلا وأبدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا فى علمه تعالى ولو قدرنا أنا لم نكن كذلك فى علمه لخرجنا للوجود على حد مالم يعلمه الله تعالى وذلك محال لان مالا يعلمه لا يريده ومالا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون اذن نحن موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بأنفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا من عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أى اضافى لا عدم محض كما مر بيانه فى المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا انا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعنى فى العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما أشار اليه الشيخ فى شعره فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذى رأينا * لما نطقت الذى رأيتا
فظاهر الامر كان قولى * وباطن الامر أنت كنتا
قد أثبت الشئ قول ربى * لو لم يكن ذلك ما وجدنا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين وقل صدقتا
لو لم تكن ثم يا حبيبى * اذ قال كن لم تكن سمعتا
فأى شئ قبلت منه * السكون أو كون أنت انتا

وقد أشار الشيخ أيضا الى نحو هذا المعنى بقوله فى شعره أيضا فى الباب الثامن والثلثمائة

عجبى من قائل كن لعدم * والذى قيل له لم يك ثم
ثم ان كان فلم قيل له * ليكن والقول مالا ينقسم
فلقد أبطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر لا تحفل به * واتركنه مثل لحم ووضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فبه فلتعتصم
واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم مالكم فيه قدم
مثل ما قد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى أضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الا مشافهة لا هله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخلق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخلقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق وأما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسئلة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهد بى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى أعلم

وسلم أمر الامام أن يصلى بصلاة المريض وذوى الحاجة قال وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بابى بكر وأبو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه كان يخفف من أجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالامام فى مثل هذه الحالة يكون مؤتما بوجه اماما بوجه فلهذا لم يترجح عندى نظر فى رواية الانتظار انتهى فليتأمل ويحرر * وقال اذا كثرت وسوسة العبد فى الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلى على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها فى المحاربة ويؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور وانه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره بالايماء بعينيه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه الظاهر قال وان وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع فى الجهاد على الاخلاص ثم عرض له فى اثنائه أن يقاتل رياء وسمعة فلا يبالى بذلك لان الاصل صحيح فى أول نشأة القتال فلا ينبغى أن يبطل عمله ويقع فى مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان * وقال فى صلاة المريض الذى أذهب اليه فى دفع المار أن يدفعه

الامر على ضعفاء العقول نترى الامور التى لاوجود لها فى عينها قبل كونها وترى الساعة فى مجلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة ثم ما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فان تفطنت يا أخى فقد رميت لك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى * وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هى له مفقودة فهى فى حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن فى تصور ذلك فان الله على كل شئ قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشئ الذى وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافى (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة فى العلم الذى هو العدم الاضافى وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيد هذا قول الشيخ فى لواقح الانوار فى قوله ان الله على كل شئ قدير أى قدير على شئ تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشئ وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ فى باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشئ موجود فى علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشئ مما لم يتضمنه علمه القديم * قال وايضاح ذلك ان لا شئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شئ ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شئ محكوم عليه بأنه لا شئ أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى ان وجود كل شئ فى الخارج عينه وليس بشئ زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشئ أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكى والجلال المحلى الحق ما قاله الاشعرى وعليه فالمعدوم ليس فى الخارج بشئ ولا ذات ولا ثابت أى لا حقيقة له فى الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلى ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضا * قال وذهب كثير من المعتزلة الى أن المعدوم الممكن فى الخارج شئ أى له حقيقة متقررة انتهى ما قاله الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قولى الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولى الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث فى الظهور قديم فى العلم الالهى فمن قال انه حادث من الوجهين أخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذى خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك فى الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط فى هذا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى فى تمام الآية تعالى الله عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى للحق فالباء هنا عين اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده فى تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى عشر فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى أبدع العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده)

فان أحدا منهم لا يقدر بارادة الله على اختراع شئ الا ان أنشأه فى نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسى على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال فى حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه أزلا كما مر فى المبحث قبله قال الشيخ محيى الدين ولا يجوز أن يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق

تعالى

وخالفهم الجمهور (قلت) رأيت فى كتاب رحمة الامة فى اختلاف الائمة عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن وراءه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك عادة وقد وقع لى أننى حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فظن شخص من الحسدة أنى أفتيته به فاشاع عنى ذلك فى مكة ومصر هذا مع سماعه منى حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين فى الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله اعلم * وقال الذى أقول به جواز الجمع فى الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال فى صلاة الخوف الذى أذهب اليه أن الامام مخير فى الصور التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فبأى صلاة صلى اجزأته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التى فيها الانتظار بالسلام فانه عندى فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا رضى الله عنه متبوعا قال وسبب ذلك من غير جزم من طريق بلغنى ان النبى صلى الله عليه

تفسير الفخر بن بما يحوز انفكاك أحدهما عن الآخر قال وقد نبه الجلال المحلي على ان الاسم المسمى عند الاشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الاول لان مدلوله الذات من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف * وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فانه تعالى جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تتحرك بها الشفتان وانما تتحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فما التحقيق في أقسام الاسماء الالهية كم هي ترجع الى قسم (فالجواب) هي ترجع الى ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضي التنزيه كالكبير والعلي والغني والاحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضي طلبه العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثاني والسبعين وثلثمائة منها * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم اننا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذي يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم لله تعالى ما فيه سوى العلمية أبدا الا ان كان ذلك في علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله أبدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا لنثني بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هي أسماء اعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمه بها عينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال ويؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها لا باعتبارها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت أسماء الله حسنى ليكون لها مقابل غير حسن وانما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة وأما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا اسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته الك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار في هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده *. وقد قال الشيخ محيي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعون ومائة وما قلناه من العلمية هو في مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به

ونومه وليس ذلك وقتها في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها واذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هي صلاة المنافق ثم المصور الذي يقال له يوم القيامة أحي ما خلقت فلا يقدر وايضاح ذلك ان الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد اقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وانما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى أعلم * وقال الذي أقول به ان تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لانه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الاجماع على انه آثم فينبغي له أن يسلم اسلاما جديدا اهـ فليتأمل ويحرر * وقال لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع اليه فان أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء الا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور الا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع اليه في نظره اهـ فليتأمل ويحرر * وقال في سجود السهو الذي أذهب اليه في موضع السجود للسهو ان المواضع التي يسجد

(المبحث الثالث عشر في وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعانى أسمائه وصفاته و بيان ما يقتضى التنزيه والعلمية وما لا يقتضيها)

اعلم ان هذا المبحث من أجل المباحث فلنبسط الكلام فيه بكلام محققى المتكلمين ثم بكلام محققى الصوفية وأقول و بالله التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلى معانى الاسماء والصفات هو كل مادل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما نه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهى مادل عليها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة أودل عليها التنزيه له عن النقص من سمع و بصر وكلام وبقاء قال وأما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هى حادثة من حيث انها متجددة اذ هى اضافات تعرض للقدرة وتتعلق بها حين أوقات وجودها وأطال فى ذلك ثم قال فان أريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالى انتهى كلام الجلال المحلى قال ابن أبى شريف رحمه الله فى حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس فى كلام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ولا متقدمى أصحابه أن صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما أخذ ذلك متأخرو أصحابه من معنى قوله فى كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق وذكروا أوجها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفى كلام أبى حنيفة أيضا مانصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما انه محيى الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بأنه على كل شئ قدير انتهى كلام الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه قال البرماوى فقول أبى حنيفة ذلك بأن الله على كل شئ قدير تعليل و بيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق فى الازل صحيح لمن له قدرة الخلق فى الازل هذا ما يقوله الاشاعرة قال الكمال فى حاشيته وانما بينت لك هذه العبارة مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلى ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتى الكلام على صفات الحق هل هى عينه أو غيره فى الخاتمة آخر المبحث ان شاء الله تعالى (فان قيل) فهل الاسم عين المسمى أو غيره (فالجواب) ان الاصح كما قاله ابن السبكى ان الاسم عينه و به قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلى والمراد بما قاله الاشعرى بالنظر لاسم الله اذ مدلوله الذات من حيث هى بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الاشعرى لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم أو غيره انتهى قال ابن أبى شريف فى حاشيته على انه لم يظهر لى فى هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما أوضح ذلك البيضاوى فى أول تفسيره فقال اعلم ان الاسم يطلق لمعان ثلاثة الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثانى ذات الشئ والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شئ منها محلا للنزاع لانه ان أريد بالاسم المعنى الاول الذى هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك فى كونه غير المسمى اذ لا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وان أريد به المعنى الثانى الذى هو ذات الشئ وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ الى الاستدلال وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وان أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأى الاشعرى انقسم عنده انقسام الصفة اذ هى عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع الى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع الى الافعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع الى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمى ولا غيره فان المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذى ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على

وجوده فى الارض فاذا حال بينه و بين موضع سجوده فذلك المأمور بان يدفعه و يقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلى دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار فى القدر الذى يسمى بين يديه عند العرب اذ لم نجد عن الشارع فى ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال *وقال اختلفوا فى النفخ فى الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى فى الطائر باذن الله هل يقطع حضوره معه به الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذنى معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اه فليتأمل ويحرر *وقال الذى أقول به ان المصلى يرد السلام على من سلم عليه لانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة فى التشهد فى الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء فى الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله اللهم اغفر لى ولوالدى وفى القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فجاء بالفاء فلا ينبغى التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر لله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر *وقال الذى أقول به ان صلاة الناسى والنائم اذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لان النائم والناسى غير مخاطب بتلك الصلاة فى حال نسيانه

كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فنسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذى حاج عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم فى نفسه معترف به عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل فى أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وان عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة أن أسماء الله تعالى متساوية فى نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها أئمة وفيها سدنة وفيها ما تحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلى بالنظر للاحوال المشاهدة فالذى يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحى العالم المريد القادر والاخير فى النظر العقلى هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقى من الاسماء كالسدنة لهذه الاسماء ثم يلى هذه الاسماء الاربعة فى ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفصل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى * وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل فى الاسماء ويقول فى قوله تعالى وكلمة الله هى العليا هو الاسم الله فانه أعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم فى التسمية وفى نحو قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم على ما ذكر مما يعطف عليه من الاسماء وأجمع المحققون على انه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها قال ونظير ذلك أيضا ولذكر الله أكبر أى ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى * قال الشيخ محيى الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التى يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال أيضا فى الباب الثانى والثمانين فى قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذى هو الله لان فى عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة فى سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) فان قلت هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاربعين وما ئتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من أسماء الله تعالى أبدا انما حقيقة الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لا غير ومن قال انه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار ان الذى أعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر فى السؤال انتهى * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهى يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهى يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوى عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء فى الشهود قال وهذا مقام أطلعنى الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من أهل عصرى انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية الذى هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كبقية الاسماء الالهية التى يصح التخلق بها لاحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا

ربه فلو ان الشيطان كان يقترب من العبد فى سجوده للسهو لسها فى سجود سهوه وكان يتسلسل الامر قال ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها فى سجود سهوه ثم انه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه سجد والترغيم الثانى من حيث كون وسواسه لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان وانما سببه مغيب المصلى عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد او خوف مزعج أو غير ذلك * وقال الذى أقول به ان الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لانا ما رأينا الشرع فرق بين الامام والمأموم فى الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلى خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزى نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم

اذا نادينا فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت هذه الاسماء على هذا المعنى فهى اعلام واذا قيلت على أسماء المدح فهى أسماء صفات قال وبهذا وردت جميع أسماء الله الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى قال وأما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظى فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) هل أسماء الضمائر تدل على الذات كالاسماء الصريحة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انها تدل على الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست أعلاما وان كانت أقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وأسماء الضمائر لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم اضمير الغائب وهو أعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانه يدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو وأما ذا فهو من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم وكذلك القول فى لفظة نحن وانا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال ذلك انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذى هو آخر الفتوحات اعلم ان الاسم الله انما مسماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذى بيده ملكوت كل شئ وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان كل اسم الهى يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفى أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى فى معرض الحجة على من نسب الالوهية لغير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها انتهى (قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ فى قوله ان الاسم الله علم أو غير علم فانه ذكر أولا فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة انه اسم علم ثم ذكر فى الباب الذى هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غير علم ثم ذكر فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة انه علم فليحرر والله تعالى أعلم (فان قلت) فعلى ما قررتموه من أن المراد من الاسماء الالهية انما هو معانيها لا ألفاظها تكون جميع الاسماء التى بأيدينا أسماء للاسماء الالهية التى سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما (فالجواب) نعم وهو كذلك فتضع الشرح الذى كنا نوضح به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التى بأيدينا فانه تعالى تسمى بها من حيث ظهورها للعالم ولها من الحرمة ما للاسماء القائمة بالذات كما قلنا فى الحروف المرقومة فى المصحف انها كلام الله تعالى وان كان لها تحقيق آخر يعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل يعم تعظيم الاسماء جميع الالفاظ الدائرة على ألسنة الخلق على اختلاف طبقاتهم وألسنتهم (فالجواب) نعم هى معظمة فى كل لغة لرجوعها الى ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداى وبلسان الحبشة واق وبلسان الفرنج كريطور وابحث على ذلك فى سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهى معظما فى كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر بالمصحف الى ارض العدو وهو بلا شك خط أيدينا وأوراق مرقومة بأيدى المحدثات بمداد مركب من عفص وزاج مثلا فلولا هذه الدلالة التى فى الاسماء والحروف لما وقع لها تعظيم وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه (فان قلت) فاذن يحرم علينا التسمى بنظير أسماء الله تعالى كنافع ونور ووكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والاربعين نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا أسماءها على أحد فانما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به

سهارسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التى سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام قال وأما غير ذلك مما سها فيه المصلى فهو مخير ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء بعد السلام قال والمواضع التى سها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعا للامة خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمسا ساهيا فسجد قال واختلف الناس فى سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهوه فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان والذى أقول به أنه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان (وقال) انما شرع للمصلى أن يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق فى محل القرب أن يكون مدركا بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان * وقال انما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لان السهو أغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر الا بصفة لا يتمكن للشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها وهو السجود اذ الساجد فى حال سجوده محفوظ من الشيطان لقربه من شهود

أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * وأما ما قاله في الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا أخي أن الاستقراء السقيم لا يصح في العقائد لان مبناها على الادلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله أن لا يكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا أن الحق تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم يكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذلو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشيء زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صفات الحق تعالى انها غيره فاخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعاني بقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم أن من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك في كل علم يدركه الانسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى أمر آخر فاداور دعليه ما لا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتأمل كانه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك واياك والغلط * وأما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم أنه لا يجوز الحكم على الله بشيء لانه خير الحاكمين ومن هنا يعلم انه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها ولا هو عينها وقد زل في هذه المسئلة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك رحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * وأما ما قاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فما عرف الحق تعالى منك الا علمك لا أنت وغير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب أي عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ما هي غيره فقط ويقف وأما قولهم بعد هذا القول ولا هي هو فما ذلك لما رأوا من أنه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم بصفته فقال وما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق هي هو ولا هي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقول لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا اذا قلنا نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا نخالف كشفنا بأن الصفات الالهية عين قال من يقول انها غير واقع في قياس الحق تعالى على الخلق بزيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الذين قالوا ان الله فقير الا بحسن العبارة فقط فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ أنه قائل باثبات الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك

(المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية)

لا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الاسماء اللائق معناها به تعالى وان لم يرد بها شرع ومال الى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وليس الكلام في أسمائه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في

ما نصه ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لانه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقى تعالى اليه في خاطره وأطال في ذلك والله أعلم * وقال الذي أذهب اليه في القراءة في ركعتي سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخي فاشبهت النائم في كونه يرى في نفسه أمورا والذي الى جانبه لا يعرف ما هو فيه فمعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس في الاشياء * وقال في قيام رمضان الذي اختاره أن يصلي ثلاث عشرة ركعة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفي مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة

أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ما قلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية أو الاحدية أو الغنى عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد قال أيضا في باب الاسرار اعلم أن التخلق بالاسماء على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك يا أخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

(المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين أو غير أو لا عين ولا غير)

اعلم يا أخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن أبي شريف في حاشيته وانما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا فمعنى أنه متكلم أنه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسي وزعمهم أن لا كلام الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال في ذلك ثم قال ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضي والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول الدين قال وانما نفى المعتزلة الصفات على ما مر تقريره فرارا من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته انتهى ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين*وأما ما قاله الصوفية رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله اعلم ان الذات شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها أو كالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل) فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من الفتوحات أن الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الاوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة انتهى*وذكر أيضا في الباب السادس عشر وأربعمائة عن شيخه أبي عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب أنه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي عقبه أن من الادب أن نسمي الصفات أسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة الآتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم أن جميع الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هنالك كثرة بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلومة بها ثم لا يخلو أن تكون هي عين الاله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم ان الشيء المعلول لا يكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون الها الا بها فبطل

وان مكحولا كل عينه في هذه المسئلة بكحل الاصابة فانجلت عين بصيرته (وقال) الذي أقول به أن الانسان اذا رفع عنه التكليف لغلبة حال أو جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور قال وايضاح ما قلته أنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فان الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف بالاجماع بالاباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان كما أفتى الامام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال في ذلك*وقال في حديث هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع أي فهو عليك فيجب عليك الوفاء باتمامه كما يجب في فروض الاعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم*وقال فينبغي اذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شيء جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة فان الخاطر الاول له مرتبة على الثاني (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثامن

الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى * وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب أن تسمى الصفات أسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذ توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال أديان الله تعالى شيء الا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه است بشيء لاني لو كنت شيأ لجمعتني الشيئية فيقع التماثل وأنا لا أماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك المنع كل ما لم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر في حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي)

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق اعلم يا أخي ان الاسم الحي له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فجعل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والاسماء ويستحيل وجود حقائق شيء من الاسماء من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شيء الا بعد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل في العقل أن يريد تعالى ما لم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده تعالى كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال ويلي الاسم الحي في الظهور الاسم البارى وكأن لسان حال الاسماء الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت لبعضها بعضا لو يدظهور أحكامنا التتميز حضرات أعياننا باسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذاته فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما * فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التي بها يظهر سلطاننا وأحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التي بطلبها حقائق العالم الى الاسم البارى جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا اذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال البارى ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته قال وكان أصل هذا كله ان الممكنات في حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت للاسماء ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطانكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هذا الامر تحت حيطة المريد فلا توجد عين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل فاذا أمره بالتكوين وقال كن

ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمي عيدا * وقال انما لم يشرع في العيدين الاذان والاقامة لتوفر دواعي الناس على الخروج في هذين اليومين الى مصلى العيد مع ما شرع من الذكر المستحب للخارجين والاذان والاقامة انما شرعا للاعلام ليتنبه الغافلون والتهيئ هنا حاصل * وقال في صلاة الجنازة انما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتي ان شاء الله تعالى في الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن انه تهود أو تنصر والحال انه ناطق باسم ذلك النبي الاثر حا بقدومه عليه لكونه وارثا له فراجعه والله أعلم * وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد في معركة الكفار لانه حي يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حي

الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في شرح المواقف وقال المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما اتصف البارى جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه أمرا لا يليق بكبرياء الله تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما يسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شئ وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغى مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رأيته من كلام المتكلمين وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه اعلم انه لا يجوز اجماعا أن نشتق له اسما من نحو والله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذى أضاف ذلك الى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ونخاطبنا بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم أنشد

ان الملوك وان جلت مناصبها * لها مع السوقة الاسرار والسمر

فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعنى الواردة في الكتاب والسنة وما ثم الا حسنى لانه لا يصح أن يكون لها مقابل انتهى وقد مر ذلك في المبحث قبله * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف أو النظر الصحيح * وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا أن نسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه والا فلا فانما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز أن يقال في الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ في كتاب القصد لا ينبغى أن يقال في الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلى والابدى قال وكذلك لا ينبغى أن يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حى كما ورد وذلك لقول الله تعالى خالق الموت والحياة وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع أن الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع أحد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر أهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى وقال الشيخ محيى الدين في الباب العشرين وأربعمائة والذى نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذى علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز أنه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى (قلت) والذى ذهب اليه القلانسى وعبد الله بن سعيد أنه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسى وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكرى الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى في الادب أن تسمى

والطمأنينة في محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والا فتركه أولى وأطال في ذلك * وقال الذى يتأكد المواظبة عليه من السنن المطوق بها في السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل توتر بالاخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو حسن ولكن اتباع السنة في كل الامور أحسن (قلت) ذكر الشيخ في الباب الحادى والعشرين وأربعمائة ليس للملائكة نافلة انما هم دائما في فرائض بعدد أنفاسهم ولا نفل عندهم بخلاف البشر * وقال في صلاة التحية الذى أقول به ان التحية لا تستحب للداخل للمسجد الا ان أراد القعود في المسجد فان وقف أو عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوى بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقى فافهم وحرره وان كان فيه شئ * وقال في صلاة العيدين انما سمى العيدان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فعادله

الالهية يون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية يون معقول
حقيقة لارتباط الاسماء كلها بأسمائها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا
بالياء المشعر بالبعد مع انه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت
يحكم في أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى
فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتي فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهي يعطي حكمه
لعبد موافقة ما أمر به العبد أو نهي عنه فان الاسم الالهي الذي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به أو نهي
عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغي لندائه فيكون تحت حكمه فهو
عدم الموافقة فيما أمره به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم أو حفظ (فان قلت)
فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضي
حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة
واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطلب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا
يخلو عبد من أن يكون في محل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ
كما مر والله تعالى أعلم اهـ ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحي وتوابعه (وأما الاسم العالم)
فقال الجلال المحلي محقق الزمان العالم هو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه ان يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير
متناهية قال تعالى أحاط بكل شيء علما وقال وأحصى كل شيء عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات
وجزئيات أما الكليات فعلى الاطلاق وأما الجزئيات فباجماع من أهل النظر واتفاق (فان قلت)
كيف أجريت خلافا في كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة ايمانك (فالجواب) انى أجريت تبعا لغيري في
الاشارة للخلاف في تعلق العلم بالجزئيات والا فانا اعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شيء ولا يعزب عن علمه شيء وقد
سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بأرض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شيء
فما أدري أين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الائمة ذلك ولعل من
حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن
الظاهر ان الائمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات
اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى
بالجزئيات بل علمه بها مندرج في علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل بل في طريق علمه بها كما هو شأن
الخلق فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفي العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان
الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسي بها عند التفصيل وقصدوا التنزيه فأخطؤا في التعبير من حيث ان عبارتهم
أوهمت ما أضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من
قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق أنهم كانوا كافرين قبل ذلك
من وجه آخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال في باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال ان يكون في علم
الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال في المعاني محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما
المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات
فان ظاهر ذلك يقتضي ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب في
فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ في الباب الرابع عشر وخمسمائة من
الفتوحات اعلم انه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو
حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود ولولا عدلك لما كنت مقصودا فصح حدوثك

وقد أذن لنا أن نشفع في هذا
الميت بالصلاة عليه فكل
مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك
قال وأما السلام بعد التكبيرة
الرابعة فهو سلام انصراف
عن الميت أي لقيت من ربك
السلامة فعلم أنه متى ذكر
هذا المسلم الميت بسوء فقد
كذب يقينه في قوله السلام
عليكم فانه لم يسلم منه لذكره
بسوء بعد موته فافهم وحرره
ان كان فيه شيء والله يتولى
هداك (وقال) في قوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون
على النبي في هذه الآية
تشريف عظيم للملائكة
بجمعهم مع الله في ضمير واحد
في قوله يصلون وانما نصب
الملائكة بالعطف ليتحقق ان
الضمير جامع للمذكور قبله
فتأمل * وقال ينبغي للمصلي
على الميت اذا شفع فيه بالدعاء
عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه
بل يعم كل ذنب ويعترف عن
الميت بجميع السيئات لتعم
الميت الرحمة وان لم يعمم المصلي
فالميت تحت المشيئة فان شاء
الحق عمه بالتجاوز والمغفرة
وان شاء عامل الميت بحسب
ما وقعت فيه الشفاعة من
الشافع قال ولهذا ينبغي
للمصلي على الميت أن يسأل
الله تعالى له التخليص من
العذاب لا في دخول الجنة فقط
لانه ما ثم دار ثالثة انما هي
جنة أو نار واذا سأل في دخول
الجنة قبل سؤاله ولكن ربما
يرى في الطريق ما يهوله فلهذا

مكنا من نفسه وتعلقا بايجاده فيكون اه من حينه * فلجؤا الى الاسم المريد عسى أن يرجح أو يخصص جانب
الوجود على جانب العدم فحينئذ اجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له
انا سألنا الاسم القادر في ايجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن
ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فأخصص أولم يسبق فاني
تحت حيطته فسيروا الى الاسم العالم واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد
فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بايجادكم ولكن الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي
حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم
الله فقال ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم وأنا دليل على مسمى
ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له
ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته
في الممكنات فاني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني أنا الغني والمرتبة
هي التي تطلب الممكنات لتظهر آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبة لا لي الا الاحد خاصة فانه اسم
خصص بي فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى
فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما
ظهرت الاعيان والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من
الاسماء فادى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف أن يفسد علينا نظام حضرتنا ونلتحق بالعدم الذي
هو عدم ظهورنا كما كنا قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان
حكمكم أيها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه ليحفظ علينا وجودنا ويحفظ عليكم
تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجأوا الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده
والا هلكتم وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذي ينهي أمركم
فانهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ
وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم
توقنون الذي هو الامام يعني الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون
الامر عليه في نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة وليبلوهم أيهم أحسن
عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى
(فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم في كلام عنقاء مغرب
فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالم الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم
يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدي مسماها
كما تتراص الملائكة بين يدي ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل)
فما أول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أولها الحي والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ
لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت
والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيي فهكذا صفوف
الاسماء كما رأيناه ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها
أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ في التكوين دخلت الشياطين
كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو
من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء

تعالى في الشهداء عند ربهم
يرزقون تنبيها على ان الشهيد
حاضر عند الله والميت انما
يغسل ويطهر ليحضر عند ربه
طاهرا ويلقاه في البرزخ على
طهارة والشهيد حاضر عند
ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج
الى غسل فافهم وسيأتي في
الباب التاسع والخمسين
وخمسمائة مزيد على ذلك
*وقال لا يكون الرجل كاملا
في العلم حتى يجمع بين علم
الظاهر والباطن قال تعالى
في معرض الذم لقوم يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون (وقال)
رضي الله عنه انما شرعت
الفاتحة في صلاة الجنازة لان
الميت في حال جمعته بلقاء ربه
فناسب قراءة الفاتحة لانها
قرآن أي جمع وأيضا فلما
فيها من الثناء على الله وذكر
الثناء بين يدي الشفاعة أمكن
لقبول الشفاعة ولذلك ورد
انه صلى الله عليه وسلم لما يريد
الشفاعة يوم القيامة يتقدم
بين يدي الله ويثني على الله
تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى
اياها لا يعلمها الآن ثم يشفع
والله أعلم * وقال ما شرع
الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة
على الميت الا وهو يريد أن
يقبل شفاعتنا فيه فان أذن
من الله لتنافي الشفاعة فيه
هو تعالى لا يأذن لنا في
السؤال وفي علمه انه لا يقبل
ه قال تعالى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن أذن له

في الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل في الوجود متناه والبارى تعالى هو الوجود الحقيقى فما هو داخل في هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فيتناهى بدخوله فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهى وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على سبب بدء العالم الذى هو تأثير الاسماء في الممكنات كما مر من أن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص بافراد من كمل الورثة المحمديين * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من الفتوحات اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم أزلا بايجاده فكون تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم وأما نحن فأطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو أن الاسماء الالهية المؤثرة في هذا العالم وهى المفاتح الاول التى لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا أدرى أعطى الله ذلك لاحد من أهل عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا ما شهد من صور المعلومات على ما هى عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغييراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ما هى عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادى عشر وأربعمائة أن معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشئ الذى تعلق به العلم الى حضرة الوجود على الهيئة التى كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا ذوقا الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤية الانسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذى يشهد الامور قبل تكوينها في حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب اذ الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التى ظهر في وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان علمت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال أن يتعلق العلم الالهى الا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو أن أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذنى لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك وأنصف في كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل يصير هو يقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى أيضا وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات يعنى فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم الا بما ظهروا به في الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتى بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان أن لله الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق (فالجواب) أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيي الدين بعد ذكره هذا الجواب وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهى مسئلة دقيقة ما في علمى ان أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى الى الآن كان وما وصل الينا وما من أحد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الازلى له فهو مساو للعلم الالهى ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن في كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة لكانت كفاية في شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين

في الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود ويفرقه عنه لا سيما ان كانت الجنازة انثى فانه يتوهم أنه اذا وقف وسطها يسترها بذلك الوقوف عمن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر في نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح في حضور المصلى مع الحق فانه انما يستقبل الحق من المصلى قلبه والقلب قد تفرق بتقين باستحضار ما لا ينبغى استحضاره من عورة المرأة وأطال في ذلك * وقال الذى أقول جواز الصلاة على القبر من غير مدة معينة لان شرط الصلاة انما هو مواراته عن الابصار بكفن أو بتراب وأطال في ذلك ثم قال فان كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به الى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وان كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الارض أو تحت الارض فان الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع الى أصله فالتحق الروح منه بالارواح والتحق العنصرى بالعنصر فليتأمل ويحرر * وقال في حديث صلوا على من قال لا اله الا الله فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه قولها كالصبى الرضيع صلينا عليه فان الرضيع يلحق بابيه في

[illegible]

ولولاما كان علمك به معدوما ماصح ان تريد العلم به وهذا من أعجب مافى الوجود واشكاله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الابك فان الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التى اليها ينتهى وماثم بعده الا أنت ومثلك علمك وما بقى بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع مافى الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الثانى والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا أخى ان الخبير هو الذى حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل لعقولنا فى آية الاستواء وفى النزول الى سماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافى صفات التنزيه انتهى وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار فى قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فما علمه من حيث كونه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما وردفيها منقول * وقال فى معنى هذه الآية فى موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان العالم ان يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه الى نفسه أم يتوقف * وقال فى موضع آخر من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال فى موضع آخر من باب الاسرار من أعجب ما فى البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار فى البصائر والابصار * وقال فى موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظار هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهرى الله أعلم فالولى الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخى الذى علمك مالم تكن تعلم وأطال فى ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعليم يعم فى وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت فى ذلك فتأمل فى قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد فقط بعقلك دون نقلك فان التقييد فى التقليد وعلم الحق لما قد يكون معلوما وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة السلام ولا أعلم ما فى نفسك فانى لست من جنسك اه كلام الشيخ فى باب الاسرار فتأمله * وقال فى الباب الرابع وأربعمائة اعلم أن من أشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق أعنى تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها فى العلم اذ هى معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بأنها لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما أشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى فى هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الالهى بالتفصيل لعدم التناهى فى ذلك ولكون ذلك غير داخل فى الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء فى هذه الآية لاضطراب افكارها قال الشيخ وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال فى هذه المسئلة فالحق تعالى فى قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهى عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفى البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التى ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم أن المعلومات هى متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى موجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخى لذلك فانه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول

بان يحيى الله ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وانفع وفى الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة فى كل مسلم وان كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لابد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك * وقال رفع الايدى فى التكبيرات مؤذن بالافتقار فى كل حال كأن الشافع يقول ما بأيدينا شئ من أحوالنا والامر كله لك يا ربنا قال وانما استقر الامر فى الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بان اكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم أنه لا ركوع فى صلاة الجنازة بل هى كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال فى ذلك * وقال الذى أقول به انه لا ترجيح فى مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكرا كان أو أنثى وذلك لان مقصود المصلى انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه فى الشفاعة فى حق هذا الميت واحضار الميت بين يديه فلا يبالى أين يقوم منه الا أن يرد عن الشارع فيه شئ فيتبع قال وأيضا فان التردد

ما يجاد المحال كتجسد المعاني وايجاد شخص في مكانين أو أمكنة في آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمانين ومائتين أن قدرة الله تعالى مطلقة وله ايجاد المحالات العقلية وأطال في ذلك * وقال في كتابه اللوامع في قول الامام حجة الاسلام ليس في الامكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة ومعناها في غاية الوضوح وذلك انه ما ثم لنا الا مرتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اهـ * وقال في الباب الثامن من الفتوحات في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الارض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الارض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره في هذه الارض وأطال في ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم

(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذي تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى انه يوجده أراده فأوجده وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم وعلم ان القدر خيره وشره كائن بارادته وهو ايجاد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الاشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الاشاعرة * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو ارادته تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت لوقوع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم في القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال في الباب الثالث عشر وأربعمائة فان قيل فهل يجب الرضا بالمقضي كالقضاء فالجواب الذي عليه أهل السنة والجماعة انه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي (وايضاح ذلك) ان الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الاجمال فانه اذا فصل انقسم الى ما يجوز لنا الرضا به والى ما لا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ بقضاء وقدر أي بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضا ببعضه وصورة الايمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى أدبا كما أشار اليه خبر والشر ليس اليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسموات كما مر بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل وما تشاؤن الا أن يشاء الله (فان قلت) فهل يطلق على الارادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذي عليه الجمهور انه يطلق على الارادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الارادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لان المشيئة تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فتعلقها العدم الاضافي فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما أمره أي مشيئته اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهي أعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فان قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى (فالجواب) انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والارادة لانه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة

هذا التأويل فان في الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فلم يبق الا ما ذكرناه اهـ فليتأمل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده ايمانا انه حي كونه انقطع عمله فهو وان كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد في درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله * وقال الذي أقول به في الاطفال المسبيين من أهل الحرب اذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل انه يصلى عليهم فانهم على فطرة الاسلام كما في حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه قال وما قلنا أولى ممن قال لا يصلى عليهم لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل والسكب ولما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه اهـ فليتأمل ويحرر * وقال الوالي أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على

وحسه الله في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة
تحدث لهذه [illegible] من المعلومات المعدومة حين المعلوم لكونه [illegible] هذا حقيقته فثمرة العلم على التحقيق هي
المعلومات وهي [illegible] قد يشهد أحد من الأكابر ولو ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم
وليس لها عند المحقق [illegible] لا [illegible] علم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به
وعلمك به [illegible] نفسه [illegible] العلم به أنه محال فمن هنا يعلم أن العلم لا أثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه
أصحاب النظر وقد ظهر لك أن ايجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الالهي كشفا وشرعا وصدر عن القدرة
الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به
معدوما اه (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شيء عليم هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة أن بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول
كقتيل وجريح [illegible] قوله تعالى [illegible] عليم فهو بمعنى عالم وبمعنى معلوم من أجل الباء في قوله بكل شيء بمعنى في فهو
تعالى في كل شيء معلوم [illegible] يحيط أي له في كل شيء احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا الله وان
علمه [illegible] والأصل في ذلك كله أن الظرفية هل هي أصلية في الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا
وهي في حق الحق بحسب ما يليق بجلاله وظهرت في العالم بالفعل كما في قوله في الحديث للجارية أين الله اه
فتأمل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) ذكر سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى أحاط بكل شيء علما ما نصه كل ما كان من
صفاتك فهو في الأصل علمه تعالى فوجودك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك
علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شيء معلوما لم تتم له
تعالى هذه الاحاطة العلمية والله تعالى أعلم (وأما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون
القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع
والغاء بر وابقوا اسم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان
كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان
الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل
لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده تعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله
تعالى ان الله على كل شيء قدير فانه تعالى أثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته متعلق (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات المراد بالشيء الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم
ما تعلق به القدرة توجده في عالم الحس فهو قدير على كل شيء تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه القديم وايضاح
ذلك أن كل من علم استحالات الأعيان في الأعيان وتقلب الخلق في الأطوار علم أن الله على كل شيء قدير لا على
ما ليس بشيء في علمه فان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا
ولا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء بعده أبدا وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع
أحد من الأولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا الله
(فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الأشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الأفراد
قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك لما يحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر
عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري يوم لا يوم فقال أبو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير أو كما
قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى (فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق

مشعو لا بامه التي هي النفس ماعنده خبر من أبيه الذي هو الروح ولا يزال هذا في ظلمة الكون وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم أن من كان في حجاب كون وظلمة فلا يسمع كلام الداعي الى الله ولا يفهم على وجه الانتفاع به * وأما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفي آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة * وأما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ وطبع يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدا والطبع انما يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعي الشرع * وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا ألم تقفل على قلوبنا بهذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فمنعنا يا رب من قفلك وختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذي اقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء قال الشيخ محيي الدين وكان عمر بن الخطاب من أهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الاسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شيء وان كل واقع في الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا أن يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلي وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب أي ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق اخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا انه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد في هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصي وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال في غير قصاص الآخرة والاصل عدمه فان كلام الائمة انما هو في الايلام في الآخرة لا في الدنيا اذ وقوع الايلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه * أما ايلام الدواب والاطفال في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواهما الامام أحمد قال الجلال المحلي رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام في الدنيا للدواب والاطفال يكفي ذلك عن ايلامهم في الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة ويكون محل خلاف الائمة في ايلام الدواب والاطفال في الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا في الدنيا (فالجواب) نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم ان الله تعالى قال في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد في حق الامة لانه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسئلة ايلام البريء والطفل فان

وضعها فنصرناك الخ فذكر ما كان منهم في صلى الله عليه وسلم الله قادرا على نصره من سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذ اسرار المعرفة فاجعل (وقال) في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر اسمه الآية معنى ر تمييزها عن البيوت المنسو الى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح له يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لا تلهيهم أي لا تشغلهم تجارة أي بيع وشراء ولا بيع أي وحده وأطال في تفاصيل ذلك * وقال في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلي بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بامر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وان لم ينو هو ذلك فانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره

والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة وكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذي قاله المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهي وأما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهي فليس بصحيح لان به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) ان الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية في الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهي صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هي على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفة على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندي ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه في القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصي من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب أن يقال في الشر قضاه وقدره ولا يقال أمر به وان كانت الارادة أقوى في النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصى بارادة الله تعالى وأيضا فان الامر موضوع تسميته انما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهي في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى اعلم أنه يصح أن يقال كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ما هو عينها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان ألزمنا ذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناه في الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها أعراضا فلا يقدح ايماننا بما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل ويحرر فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معاني هذه الامور فنقول وبالله التوفيق * أما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيد العبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ فان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط * وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط أي لا مع الداعية لعدم تأثيرها * وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف سحاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح وخفت أن ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخرة بأن تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا أو على وجه الحفظ ان كان وليا * وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال في العبد الذي هو الاضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد في بيت الطبيعة

مشغولا

في هذه المسئلة بصلاة الجماعة
وصلاة الجمعة أولى من
الحاقه بالولي في مواراته ودفنه
وذلك أن الوالي له اطلاق
الحكم في العموم والخصوص
فهو أقوى ممن له الحكم في
بعض الامور فهو أولى
بالشفاعة عند الله في الميت
فانه نائب الشارع ونظر
الشارع الى من استخلفه
أعظم من نظره الى غيره
وكلامه أقبل عنده لكونه
فوض اليه الحكم فيما ولاه
* وقال في قوله تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته انما
فصل تعالى بين صلاته علينا
وبين صلاة الملائكة دون
صلاته تعالى على محمد صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الله
وملائكته يصلون على النبي
انما لتخصيصه صلى الله عليه
وسلم على غيره من الخلق مع
أنه صلى الله عليه وسلم دخل
معنا أيضا في صلاة الحق في قوله
عليكم فحصل له صلى الله عليه
وسلم الصلاة عليه جمعا
وافرادا * وقال من غيرة الله
تعالى انه ما من مخلوق الا
ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما
فان أراد مخلوق الفخر على
مخلوق بما أسداه اليه من
الخير نكس رأسه ما كان من
مخلوق آخر اليه لتكون المنة
لله وحده ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم للانصار لما ذكر لهم
أن الله تعالى هداهم به صلى
الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم
جئتنا طريدا فآويناك

كيفها كيفية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو أمر يذوقه النبي أو الملك فى نفسه لا يستطيع أن يكيفه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا ما قدر على ايصال الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت ألفاظ الكلام الى عربى وسريانى وعبرى مع انه واحد فى نفسه غير متميز (فالجواب) صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربى بالله تعالى والفارسى بخداى تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا أو بالسريانية كان انجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فان قيل) فما أول كلام شق اسماع الممكنات من الحق تعالى (فالجواب) هو ما أشرنا اليه فى المبحث السابق ان أول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهى هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان فينفخ الرحمن الروح فى شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك التكوين بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهى نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك فى جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب فى مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ فى صدورنا بألفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلى ونبهوا بقولهم لا المجاز فى الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشئ كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو فى المصاحف ولا فى الصدور ولا فى الالسنة وانما المراد بها مقابل المجاز أى يصح أن يطلق على القرآن حقيقة انه مكتوب محفوظ مقروء أى ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقى فى كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انه اسناد مجازى (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح ان يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق أى موجود أزلا وأبدا اتصافاله باعتبار الوجودات الاربعة التى هى لكل موجود وهى الوجود الخارجى والوجود الذهنى والوجود فى العبارة والوجود فى الكتابة وهى تدل على العبارة وهى على ما فى الذهن وهو على ما فى الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهنى محفوظ فى الصدور وباعتبار الوجود اللسانى مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابى مكتوب فى المصاحف وباعتبار الوجود الخارجى وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر ولا بالالسنة ولا فى المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها أصوات هى اعراض والله أعلم * وقال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين أحدهما الكلام النفسى القائم بالذات المقدس الثانى اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك أو هو فى الثانى مجاز مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر لعلماء أصول الدين وبالمعنى الثانى محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله قال ووجه الاضافة فى تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة لله تعالى وبالمعنى الثانى انه تعالى أنشأه برقومه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ أو بحروفه فى لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبى لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا لمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر فى التسمية بالقرآن بالمعنى الثانى خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه أولا يعتبر فى التسمية الا خصوص التأليف الذى لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثانى لانا نقطع ان ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع

الامر بالفرض لله كما ورد باعطاء الزكاة وأطال فى الاستدلال على ذلك * ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أى لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير قال وانما سماها الله صدقة تنبيها على انها أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أى صلب شديد قوى اذ النفس تجد لاخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب وأطال فى ذلك * ثم قال ولو ان ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ان شاء الله تعالى لفعل ولم يبخل قال وانما لم يأخذها منه النبى صلى الله عليه وسلم لاخبار الله تعالى ان ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكى وتطهر من أخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضى الله عنهما فلما ولى عثمان رضى الله عنه أخذها منه متأولا وقال انها حق الاصناف الذين أوجب الله

الاشعرى يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ماجائز واقع قال الشيخ وكل مااحتج به الاشعرية
على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان أطلقوا محل انفاذه ولم يقيدوه الا
حيث يعينه الله تعالى فى الدنيا أوفى الآخرة فاذا أنفذه فى الدنيا بمرض او ألم نفسى أوحسى كان ذلك كفاية فى
صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك ستراله عن عقوبة الآخرة انتهى وقال أيضا فى الباب الرابع والستين ومائتين
اعلم انه لابد لجميع بنى آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ فى أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو
النار فأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم
وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكى فان مات بعد ذلك فقد أخذ بحظه من
البلاء وان عاش فلابد له فى الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلابد له من الالم
أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أوعلى غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه
حكم الالم وصحبه النعيم أبد الآبدين وان دخل النار فهو فى الم لاانتهاء له ان كان من أهل النار الذين هم أهلها
والاصحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال فى باب الاسرار فى قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر
بما كسبت أيدى الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد أخبر فى هذه الآية أن كل ماحصل للعبد من الامور
المؤلمة فهو جزاء ماهو ابتداء فما ابتليت البرية وهى بريئة وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان
كبيرتان منعت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ماقام فى غرضها وهو عين مرضها قال
وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن فى الدنيا امر مؤلم قط الا وهو جزاء ماهو
ابتداء كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم
والله ماقصدت الانفعك بما أمرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب
اذا مرض ولم يدر من أى باب دخل عليه المرض هذا الالم الذى أصابك انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ
جزاء مافعلته وان كان ذلك الالم ماقصدته اه وسيأتى فى مبحث أن أحدا لايخرج عن التكليف أن أول
درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى أعلم * وأما الكلام على اسمه تعالى السميع
البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة فى تقديم الاسم السميع على الاسم البصير وعلى
الاسم العليم فى الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائة أن الحكمة
فى تقديم الاسم السميع على غيره فى الذكر كون أول شئ علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن
فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون لوجود اه وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب
السابع والتسعين وسيأتى بعضه فى المبحث عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذين الاسمين لايعقل
كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع ويرى ماتحرك أوسكن أو بطن فى الورى فى العالم الاسفل
والاعلى فيسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى الوادفى
الظلماء والماء فى الماء لايحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لايحجب سمعه البعد فهو
القريب ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه فى حد أوحقيقة
* وقال فى لواقح الانوار من خصائص الحق تعالى انه لايشغله مايبصره عما يسمعه ولا مايسمعه عما يبصره بل
يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شأن عن شأن
انتهى * وقال فى باب الاسرار من أعجب مايعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن وبعيد
عمن هو أقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو راجع الى شهود العبد فان أطاع
ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى
متكلما) فاعلم يا أخى ان هذا المحل وقع للعلماء اضطراب فى تعقله ونحن نشير الى طرف صالح من كلام
المتكلمين والصوفية فنقول وبالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة أى صفة الكلام لايتعقل

وهو محتاج اليه اهو عاص
صدقته لهواه لالله لان الشارع
قال له ابدأ بنفسك واذا خرج
الانسان بصدقته فأول ما يلقاه
نفسه قبل كل نفس وهو انما
خرج بها للمحتاجين وقد
شرع الحق لنا أيضا أن نبدأ
فى الهدية بالاقرب فالاقرب
من الجيران فان رجحنا الابعد
فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا
عند حدود ربنا * وقال فى
قوله صلى الله عليه وسلم فى حق
قوم ينصب لهم يوم القيامة
منابر فى الموقف ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء المراد بالشهداء
هنا الرسل اذ هم شهداء على
أممهم وانما كانوا يغبطون
هؤلاء القوم لما هم فيه من
الراحة وعدم الحزن والخوف
فى ذلك الموطن لانهم لم يكن لهم
أمم ولا اتباع كالانبياء والرسل
والائمة المجتهدين فهم آمنون
على أنفسهم والانبياء والائمة
خائفون على أممهم واتباعهم
فلذلك ارتفع الخوف والحزن
عن هؤلاء القوم فى ذلك اليوم
فى حق غيرهم والانبياء تخاف
على أممها دون أنفسها قال
وهذه مسئلة عظيمة الخطاب
جليلة القدر لم نر أحدا ممن
تقدمنا تعرض لها ولا قال
فيها مثل ماقلنا الا ان كان
وما وصل الينا * وقال فى الباب
السبعين فى اسرار الزكاة فى
قوله تعالى أقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأقرضوا الله
قرضا حسنا القرض الحسن
هنا هو صدقة التطوع فهو

الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها اه (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فأضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط اه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتب لا يكتب الا بصوت وحرف * وسمعته يقول أيضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فأكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني اه وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فكما ان الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر الا بمناسبة تكون بينهما وهو مثله في النسبة لا مثله في العين وكما ان الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لا طلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لم يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقية كما قلنا في الصوت والحرف اه * وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط في حال المنازلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهي السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا في تجليه له في صورة حاجته التي هي النار اه * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال في القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن ما دام في القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة التي يظهر بها في ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذ منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف وصوت ويقيده به سمع الآذان وقد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابي بسمع اذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أي من حيث الحروف والاصوات ويصح

أجر المشقة وأجر التلاوة قال ولا يخفى ان الذي يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد * وقال في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذي أقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاءنا بها الينا قبلناها منه وجعلناها في بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الذي أقول به انه لا يجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذي هو في ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو في يد القابض * وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها ليطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له * وقال المستحب أن يقدم في العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا

السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان أو في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا
أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى
* وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على ان القرآن كلام
الله غير مخلوق من غير بحث منهم بانه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على انهم اذا زاروا
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير
بحث انه شخصه أمر وحه وأطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث
القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بألفاظها كالقرآن وهي كلام الله
تعالى بلاشك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب)
ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
(فان قلت) فهل يجوز لاحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيئا من القرآن على المعنى
(فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا
للناس رؤية فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال أن يغير صلى الله عليه
وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل
بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل فأي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف في صورة
ما نزل من الحروف العظيمة لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما لم ينزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم
وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس
والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحي اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب)
ان مثال ظهور الوحي بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية فان جبريل لم يكن
حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا في حالة واحدة فكما تعددت صورته في
أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدي يتمثل باللسان العربي
تارة وباللسان العبري تارة وباللسان السرياني أخرى وهو في ذاته أمر واحد أزلي فالكافر والمشرك يسمع
كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما
واحدا لبطل الاصطفاء * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة
الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزر فهما
وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم
بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه
اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم
فأمروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقي اذ قد صح ايمان المؤمنين
بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقرؤها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري
ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الائمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسئلة رضي الله تعالى
عنهم * قال الحافظ الذهبي رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان
المأمون كان فقيها ماهرا فسد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من
أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في
مسئلة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك
باغراء أحمد بن أبي دواد مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة اه والله تعالى أعلم * وأما قول الشيخ محيي

الدين

على أنهم هذا الاهدى على
هذا المال قال الشيخ وهذا
الفعل من جملة ما انتقد على
عثمان رضي الله عنه ولا ينبغي
الانتقاد عليه لانه مجتهد فعل
ما اداه اليه اجتهاده وقد قرر
الشرع حكم المجتهد ولم ينه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحدا من أمرائه أن يأخذ
من هذا الشخص صدقته ولا
يلزم غير النبي صلى الله عليه
وسلم أن يطهر ويزكي مؤدي
الزكاة فهو يأخذها الامام
العام باعطائها وان كان ذلك
لا يطهر المتصدق والله أعلم
* وقال في قوله تعالى يوم
يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم انما
خص الكي بهذه الثلاثة
أعضاء والله أعلم لان السائل
اذا رآه صاحب المال مقبلا
اليه انقبضت أسارير جبهته
لعلمه انه جاء يسأله من ماله
فتكوى جبهته ثم ان المسؤل
يتغافل عن السائل ويعطيه
جانبه كأنه ما عنده منه خبر
فيكوى بها جنبه فاذا عرف
من السائل انه يطلب منه ولا
بد أعطاه ظهره وانصرف
فهذا حكم مانعي زكاة الذهب
والفضة وأطال في ذلك
* ثم قال ونرجو من فضل
الله تعالى أن يضاعف الاجر
لمن أخرج صدقته بمشقة على
نفسه فيكون له أجر المشقة
وأجر الاخراج كما ورد في الذي
يتتعتع عليه القرآن انه
يضاعف له الاجر المشقة التي

هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغير والزوال اذ هي في محل يقبل ذلك وأما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها في محل لا تقبل التغير (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله فاذا قرأت الفرقان مع انه من أسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس ولا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيدعو ابليس الى الحضور فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس بأحد من أولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولوا العزم أقوى منه بيقين (فالجواب) انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية أما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه في حضرة الارادة التي قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذى هو الله دون غيره فأى طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذى لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كما ان العارف يأخذ كلام الحق الذى قاله ابتداء بغير الوجه الذى قاله تعالى استدعاء وكما انه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذى يحكيه عنهم باللفظ ＊وقد قال الشيخ في الباب الثانى والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى ＊ مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لا تحزن ان الله معنا ＊ ومثال الثانى قوله تعالى حكاية عن قول فرعون ياهامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية وغيره عن بعضه بعضا نحو قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على ذلك ما يشا كله فى القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لاحد قدما فيه من أهل عصرى فالحمد لله الذى أهلنا لذلك فانه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل أحد أوتى مفاتيح الفهم فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى الحروف التى هى أوائل السور المرموزة (كالم) و(المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الايمان بها ولم يفهموا اهـ فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال ان أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لانا نقول انه لا بد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا لو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له فى الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم ان فى القرآن حشوا ورأيت فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة قال وقد اجتمعت بهم فى بعض الوقائع وما منهم ملك الا وأفادنى علما لم يكن عندى فهم من جملة أشياخى من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم الى أسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول فى (المص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا فى منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق)

عضب الله يحمل على الوجه الذى يليق به فان الغضب الذى خاطبنا به معلوم عندنا لا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذى هو الغضب قال ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدى الى أن الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به ＊ قال وأما سوء الخاتمة فهو أن يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاء اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقى ＊ وقال فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل فى ذلك انفاق العبد قواه فى سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فاذا أنفقها فى سبيل الله فله الجنة ＊ وقال طلب العبد الاجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فانه العبد فى صورة أجير ماهو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبى والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضى الاجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل واذا يأخذها العامل الذى هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير فى قبض الاجرة وفارقه بالاستحقاق فليتأمل ＊ وقال فى قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل فى العلم اذا كان أهلا لما سأله فيتصدق الله عليه بالعلم ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى

اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتى بسطه قريبا فى باب الاسرار والقلب بيت الرب اه ذكره فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال فى باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك الامن عرفه ولا يضم المعنى سوى حروفه ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه فى اللسان ونظم حروفه بمارقم باليراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام اه وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الامن كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان تولاه * وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف اه * وقال فيه أيضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله * وقال فيه أيضا أصدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذى لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكتابى وهو اللفظ بلاريب فأين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق اه * وقال فيه أيضا لا تقل أنا باه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف اه * وهذا لا يتمشى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر * وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة فى ذلك (فالجواب) أنه لو جاء فى القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذى هو الجرح والتأثير فاذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخى بين القول والكلام كالفرق بين الوحى والالهام وبين ما يأتيك فى اليقظة والمنام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام اه فيه أيضا ما العجب الامنا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هى شبهات من أكثر الجهات اه (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية فى الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين انها تتشكل فى الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق به المتكلم فاذا تشكلت فى الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها اشكالها وان انقضى عملها فان عملها وتأثيرها انما يكون فى أول ما تتشكل فى الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير فى كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق انها يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها الا انها انشأت مسبحة لله لا يعلم بما على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يحمد ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى فى حق الله تعالى من الكفر والسب وهى كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فان قلت) فاذن

على البداءة فى الطواف بالصفا وكذلك كل شئ قدمه الله فى الذكر نحوه والذى يسيركم فى البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا فى جميع أحواله * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم المعتدى فى الصدقة كمانعها أى لان تكليف النفس ما لا سم ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا لها من الخير فى عين ما أراده من الخير * وقال فى قول أحد الملكين اللهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا اعلم ان الملائكة لسان خير صرف فمعنى قول الملائكة اللهم أعط ممسكا تلفا أى مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى اتلف ماله الذى كان عنده فتعطفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق ولن كنت بار بنا لم تقسم له أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب خيرا فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فان الملك لا يدعو قط على أحد بشر ولا سيما فى حق المؤمن قال ولا شك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول لطهارته والثانى انه دعاء فى حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال فى ذلك * وقال فى حديث الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان

عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وان يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج وكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقى صاحب العقل حائرا لا يدرى أين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل الا ما كان فى جهة ما دام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله فى نور ايمانه تكافأت عنده الجهات فى جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات فى القرب منه تعالى قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم أن الشرع ما تبع العرف الا فى حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان فى السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات (فان قلت) فما الحكمة فى اخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة فى ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا واعلامنا انه كما لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وأيضا فان فى اعلامه تعالى لنا بأنه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده فى مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كأنه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كأنهم فى مجالس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى واعلم يا أخى أن صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق محدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بأنه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوى على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا أخى بعقلك فما تعقله فى معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا فى الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاء وملاء من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذى وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شئ يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى بالوجود أبدا فقد عجز العقل والله فى تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيأ لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلى ان الحق تعالى اذا حيطهم به أحاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة لمخلوق على الوجه المعقول فى حق الخلق اللهم الا أن يريد الشبلى بالاحاطة الاحاطة بأنه لا تأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب الاجوبة عما يتوهم فى جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الاحاطة والتناهى (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أوضحه الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيرها وما لا يتناهى لا يكون محاطا به الا أنه تعالى لا يتناهى فقد أحاط تعالى علما بأنه لا تناهى له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه فى سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع أحدا يقول ان الحق لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه ويقول بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التى تتعقلها الخلق

* وقال فى حديث الذى تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بانها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فافهم ثم اعلم ان اخفاءها يكون على وجوه منها ان لا يعلم بك من تصدقت عليه بان أعطيتها الشخص فاعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه ومنها ان تعطى صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية ولا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذى أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس فى الاخفاء أخفى من هذا

* وقال فى حديث مسلم أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث اعلم أنه ينبغى لمن وصل الى هذا الحد وأراد أن يعطى أحدا شيأ فليحضر فى نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الافضل والله أعلم

* وقال فى حديث من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين المراد بالافضل الذى أعطيه هذا هو العلم بالله فانه أفضل

و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصور ها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال فى ذلك ثم قال فمن نظر فى هذه الحروف وهذا الباب الذى فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التى هى هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات انتهى

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربى وجميع المتشابه أعجمى ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وما ثم عجمة الا فى الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما فى المعانى فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعانى وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة فى الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقى تعالى) فاعلم أن الباقى هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحى عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هى سبعة فى الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحى تعالى لان الحى من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم فى مبحث كون الصفات الالهية عينا أو غيرا ان الاصوليين اختلفوا فى صفة البقاء وان الاشعرى وأكثر اتباعه على انها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضى والامامين قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة فى كتب أصول الدين والله تعالى أعلم

(المبحث السابع عشر فى معنى الاستواء على العرش)

اعلم ان هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا أخى الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز أن يطلق على الذات العلى انه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف فى جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به فى كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا أن نقول على الله ما لا نعلم فكما انه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم أن غاية العقل فى تنزيه البارئ عن كيفية الاستواء أن يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا فى استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء البشر الذى هو مخلوق من استواء البارئ جل وعلا فتأمل وسيأتى بسط ذلك فى الخاتمة آخر المبحث الآتى بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث عشر من الفتوحات

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
وأى حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل

وأطال فى ذلك (فان قلت) فما وجه الحكمة فى كون الاستواء لم يكن يجىء فى الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائتين ان وجه الحكمة فى ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يرد لنا بالايجاد الا رحمة الموجودين كل أحد بما يناسبه من رحمة الامداد أو رحمة الامهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الاسماء حكما فى المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يرد لنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب المحتوى على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى اعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص فى جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة أن الحكمة فى ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك انه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه

بر افضلا على من علمه ولا يطلب منه خدمة ولا أدبا فى نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهى طريقنا ان شاء الله تعالى *وقال فى مسئلة الغنى الشاكر والفقير الصابر وهى مسئلة طويلة وغاية ما قال الناس فيها ان الغنى أفضل لتصدقه والذى عندى فى ذلك انه انما كان أفضل لاجل تشبهه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا فرضنا مال الرجلين على التساوى وانما وجه التفضيل ان الذى تصدق بالاكثر كان دخوله الى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه الى جانب الفقر لا غير قال وهذا لا ينكره من له ذوق فى المقامات والاحوال والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقى على أصله لا شىء له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام *وقال فى قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ان لا يطلب مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل

فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه أى استتم ذلك الزرع وقوى واذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض فى الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف فى معنى آية الاستواء وذكروا فى تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الائمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالى فى ذلك سر مع أن الآية بمعزل عما فهموه كما ذكرنا قال وايضاح ذلك أن الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش فى جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك فى ستة مواضع (الاول) فى سورة الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش (الثانى) فى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) فى سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع (السادس) فى سورة الحديد هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض (والمعنى) فى هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أى استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيأ كما يقال استقر الملك على الامر الفلانى واستقر الامر على رأى القاضى أى ثبت وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال استوى استقر اه وهو بمعنى استتم واستكمل قال وأصل الاستواء فى العربية المساواة قال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال فى ذكر السفينة واستوت على الجودى ولما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض وأتمه قال فسواهن سبع سموات وقال فى تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته وقال ونفس وما سواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء فى الآيات السابقة بالمساواة أحق وأصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أى استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضى والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج المصدر المقصود بفعل ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أى استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه أى فى الجعل ومنه قول الشاعر * اذا نهى السفيه جرى اليه * أى الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله فى الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف أى استوى بناؤه على السقف يعنى استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض فى الآيات كما يتراءى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك فى قوله تعالى فى سورة طه الرحمن على العرش استوى وفى سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب أن الشبهة انما وقعت فيهما من جهة النظم والا فالقصة فى جميع الآيات واحدة وللنظم طرق عجيبة فى القرآن فاما قوله فى طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذى يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى فى آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة وأما قوله فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير فى الآية تقديره الذى خلق السموات والارض هو الرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدأ خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذى خلق كما تقول الذى جاءك زيد وقوله ثم

الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه فى نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة لتأذى بالروائح الخبيثة قال وما انفرد بادراكها أطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل فى جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا أدرى هل الحيوان يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا لانى ما أقامنى الحق تعالى فى صورة حيوان غير انسان كما أقامنى فى أوقات فى صور الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم وقال فى حديث يدع طعامه وشرابه من أجلى انما قدم الطعام على الشراب فى الذكر لان الطعام هو الاصل فى الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فى عود نفسه الامساك عن الماء وان عطشت أياما والله الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير فى المزاج ولا فى البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التى فى الطعام وأطال فى ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال فى حديث اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل فى

وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها لا تدرك في حقه ولا حق غيره أعني يدركها بعد أن يدركها أنها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفي البدء والنهاية درجة من درجاته التي تميز تعالى عن العالم بها كما قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كأنه تعالى يقول ليس لي نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا ويدرك أنها لا تدرك نفي للتشبيه واثبات التنزيه قال ومن هنا يقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان أي لأن كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق ولو خلق تعالى ما خلق أبد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسي والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لأنها أول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع أن في معنى الحديث كل شئ خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلاثمائة أن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء بالقوة فان الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فانه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع أن السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فما هذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) أن جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لأهله لأن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله أعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراءه لانه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل ويكفينا الايمان في مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هي مترادفة أم لا (فالجواب) أنها غير مترادفة فهو من حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث تنزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام والله أعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسئلة الاستواء على العرش وها أنا ملخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله تعالى قد خلق لنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات والارض طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى أي استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزيد في مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره قال وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ أشده واستوى أي استتم شبابه وقال تعالى كزرع أخرج شطأه

* وقال اذا ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطي للفقير الاشياء النفيسة وذلك ان المنادي ينادي يوم القيامة أين ما أعطى لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخليع من الثياب ثم ينادي أين ما أعطى لغير وجه الله فيؤتى بالاموال الجسام والاطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل * وقال كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهي * وقال في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لي غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد في الصوم أنه لا مثل له أي من العبادات وذلك لانه وصف سلبي اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه في وقت مخصوص وأطال في ذلك * وقال في حديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعطى أحدا من

النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لأجل هذا اه وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما أنزل الله على مراد الله اذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالكفر في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل اه * وسمعته رحمه الله يقول أيضا ماثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا المراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا المراد المتكلم فعلم أنه ماثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم اه ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام في قيد العقل فاذا اطلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان اذا أخطؤا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله اه وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان الغلط ما دخل على الفلاسفة الا من تأويلهم وذلك انهم أخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرم العالم الآخر قال الشيخ وما علمت الخطأ الا من ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فأخذت علمه عنه على وجه الحق اه وقال أيضا في باب الاسرار اياك والتأويل فانك لا تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو بما أنزل الله من الالفاظ لا بما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخره * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد أقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط اه * وقال في الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم ان من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم التكييف كما جاءت فانا لا ندري اذا أولنا على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراده فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وانا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم الكيف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأي وجه كان هذا أيضا لا يبعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين اه على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد خرج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير ان نعقل له معنى في الباب الخامس وأربعمائة فقال من آمن بلفظ من غير أن يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا في الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا عبثا لانهم جعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاءهم هذا

الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر قال الشيخ والذي أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم * وقال الذي أقول به انه لا كفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها في الجماع في الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة في حديث الاعرابي ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي للمؤمن ان يشرع شيأ فيما سكت عنه الشارع (وقال) الذي أقول به ان العارف اذا كشف له أنه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر في ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصي ولا بد لا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد راعى حكم الشرع في الظاهر على ان هذا الامر ليس عندنا بواقع أصلا وان كان

استوى على العرش اعتراض فى الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش بمعنى استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر فى كلامى يبادر الى ملامى ويقول انك ابتدعت لهذه الآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفى مخالفتهم خرق للاجماع وانى والله أعذره فى ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذى أقوله ان الذى ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك أننا اذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بعلو بنائه اذا ترقينا بأوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسى واذا ترقينا من الكرسى رأينا العرش الذى هو منتهى المخلوقات التى هى بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا اندرجنا بالفكر من العرش الذى هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هنالك لان مطار الفكر ينتهى بانتهاء الاجسام فنرى اذ ذاك بعلو بناء وقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسى لان فوقية العرش على الكرسى لا تكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان اه والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن عشر فى بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محظور كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى)

ولنبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيى الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وما صح فى الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وننزه عند سماع المشكل منه كما فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل يؤول المشكل أم يفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح فى اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل الى الخطا أقرب مع ما فى التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن الا بعين اللفظ الذى أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذى أولناه يرضاه الله تعالى مع أن من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل ان تجتمع فى شخص من أهل هذا الزمان وهى التبحر فى معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص فى معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر فى علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف فى سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخلق قال وقولهم وما صح فى الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على ان الصفات الواردة فى الكتاب والسنة غير منحصرة فى الصفات الثمانية المشهورة فقد ورد فى الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان القاعدة الشاملة لحكم الجميع وهى اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض فى المشكل المعنى (وأما كلام الشيخ محيى الدين فى ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الا ان خفنا على انسان وقوعه فى محظور اذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله فى حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدنى فان العبد لما توقف فى ذلك وقال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لوجدتنى عنده الى آخر

تحمل مستور وليس له عين وجودية كما مر أول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر والخفاء وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فان النار اذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك فى باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التى هى صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال فى ذلك *وقال الذى أقول به وهو مذهب ابن الشخير أيضا اذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل بأكبر المقدارين وانما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين *وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة *وقال الصوم نسبة الهية فأثبت كل أمر فى موضعه *وقال فى الكلام

ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطريق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند العقل شئ من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه اه * وقال في الباب الثالث من الفتوحات اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فاننا ما وصفناه به من عند أنفسنا وانما هو تعالى هو الذي وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الاعلى غير الوجه الذي ينسبه الينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته في هذه الدار وفي الآخرة لا ندري كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى في نسبته ذلك اليه مثل نسبته الينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهي تجليته تعالى في نحو ليس كمثله شئ وأما نسبة التنزل للخيال فهي تجليته في قوله تعالى وهو السميع البصير وفي نحو قوله في الحديث اعبد الله كأنك تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله في قبلة أحدكم وفي وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التي تطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها ولولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الالهي قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح انما الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا نحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا وأطال في ذلك ثم قال وقد ورد في القرآن قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على أن تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ في كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد أن يكون لليدي معنى خلاف ما ذكرناه مما يعطي التشريف ولا نعلم أن اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما في قوله في الحديث فلما خلق تعالى الكرسي تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهي اللذين هما مظهر اهل الجنة والنار فافهم فهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع دليل فكره أو نظره خاصة ومشبه بما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لهؤلاء وهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل للعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين اه * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف قال وقد أخبر الله تعالى عن نفسه

يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطا أسود وعلى اسم السعيد خط أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقي فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كأنه يحتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضي ان ماعدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا * وقال من كان في مقام السلوك ودعي الى طعام أو شراب وهو صائم ولا ينبغي له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت ان للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثاني من الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك انها لما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود في ذلك

فقد أبان صلى الله عليه وسلم لنا كما أمر الله تعالى (قال) وأخبث الخائضين فى الصفات بغير علم من طعن فى الرسل وجعلهم فى ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل أعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا فى الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ماهو الامر عليه فى نفسه فانه محال ولسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه الى ربهم بحسن عبارة كما يقوله الانسان اذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث لا يعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدى فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) فى ذلك من قال لا نقول بالتنزل فى العبارة لى افهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا أمر موجود فى اللسان الذى جاء به الرسول فهذا أشبه حالا ممن تقدم الا انهم متحكمون فى ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره فى الباب الخامس وأربعمائة * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة عليك يا أخى بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فان أكثر الناس ولين هالكون وأخف الطرائق حالا من قال لا نشك فى صدق رسولنا ولكنه أتانا فى نعت الله الذى أرسله الينا بأمور ان وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر هل لذلك مصرف فى اللسان فان الرسول انما يرسل بلسان قومه وما تواطؤا عليه فنظروا فأداهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك أمران الاول القدح فى الادلة فانا بالادلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح فى الادلة العقلية فان فى ذلك قدحا فى الادلة على صدقه (الامر الثانى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذى أرسله ليس كمثله شئ ووافق ذلك الادلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله فى الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق ولذلك أخذنا فى التأويل اثباتا للطرفين اه وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير كله فى الايمان بما أنزل الله والشر كله فى التأويل فمن أول فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغى له ذلك وفى الحديث كذبنى عبدى ولم يكن ينبغى له ذلك فلا بد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة ويقول له كيف أضيف الى نفسى شيأ فتنزهنى عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخى ان تنزه ربك عن أمر أضافه الى نفسه على ألسنة رسله كائنا ما كان ولا تنزهه بعقلك مجردا جملة واحدة فقد نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية فى الالهيات وأطال فى ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الرابع ومائتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول فى أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقائق فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفى المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال فى حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كنا لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعى اه * وقال فى الباب الثامن والخمسين من الفتوحات اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التى جعلها الحق تعالى خديعة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها فى العجز عن أن يكون لها حكم قوة أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة فى معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه فى كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ فى العالم من الغلط وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا أخى ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيأ مما

* وقال انما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر اذا أفطر فى رمضان لان الرطب أحدث عهدا بربه كما قال ذلك حين اغتسل فى المطر * وقال السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب لانه له وجه الى النهار ووجه الى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحورا الا ما كان فى هذا الوقت (وقال) الذى أقول به ان المفطر من صوم التطوع ان كان لهوى نفسه فعليه القضاء وان كان لشغله بمقام أو حال فلا قضاء عليه * وقال فى حديث مسلم صوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله أى فلا يؤاخذ من صامه بشئ مما جناه فى السنة كلها وانما قال احتسب على الله مع أنه على علم من الله أنه يكفر ذلك أدبا مع الله لان العارف اذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وانما يقولها عن تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى فى أمر مقطوع به فالاستثناء فى نحو ذلك أدب الهى والله أعلم * وقال فى حديث وأتبعه بست من شوال اعلم ان هذه الايام بدل من السنة أيام التى نهى عن صيامها وهى يوما العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك قال وأما حديث اذا انتصف شعبان فلا تصوموا لا تتقدموا ليلة النصف من شعبان

يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحة منه شيء البتة وانما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده حساوقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فانما ذكرها لان اليمين محل التصريف المطلق القوي اذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى الى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم الى التلقي لها بالقبول والله أعلم * ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهناك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لاجله أو يفرح له فرجع المعنى الى ان مثل ذلك انما هو تنزل للعقول ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الامر فان حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب اذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر الى الاذهان فان ذلك محال على الحق فانه خالق لا فعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم وأما الغضب الاخروي فيكون على أهل النار خاصة أما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم * ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وانه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله أعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث اني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين أتوه من قبل اليمن وأزال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق لم يتوقف قط في اضافة صفة أضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا الى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم انه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شيء الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشيء نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولو لم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فاذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء ان يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الاحاطي الاعظم أو على الملك فاخرج هذا عن التشبيه فان غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شيء ألا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم قد استوى بشر على العراق * وأين استواء بشر على العراق الذي هو عبد من استواء الخالق جل وعلا على ان الشيخ قال في مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يتولى الملك على ملكه فأي شيء أنكره على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق أحد الامرين لكان

تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس الى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد انها ليلة القدر ولعلها شبهة من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم * وقال الذي أقول به جواز الاعتكاف في غير المسجد الا انه خلاف الاولى واذا اعتكف في غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لان الشهود للحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع الى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل في الصلاة فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين في اسرار الحج أركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهي وملكي ونفسي وشيطاني فالالهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذي أقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي رفعته أمه وقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فانه نسب

على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأصبعا وأصبعين وأصابع وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا وإتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وصوتا وأمثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب الايمان فانه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى * وقال الشيخ في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجاز أصلا انما هو حقيقة وذلك انهم وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا اليد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوز وا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان أسد وضعوا هذا حقيقة في اسائهم أن كل شجاع يسمى أسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه انما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عدا هذين الامرين انما هو ألفاظ اشتراك فنسبها تنسب متى جاءت الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات اه * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فان ملوك العرب كان عندها المكرم المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب * وقال في الباب الثالث منها أيضا اعلم انه ما ضل من ضل من المشبهة الا بالتأويل على حسب ما سبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والاخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ البتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله لافلحوا وكان يكفيهم ليس كمثله شئ فني جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شئ فما بقي الا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه أبدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها فمنها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه يأخذ بعد ذلك في تأويله بجور على ذلك اللفظ اذلم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها ما لم أذكره لك * فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فبأي وجه يحمل الاصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك ويترك وجها للتنزيه فاما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه واما أن يسكت ويكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولا بد اللهم الا أن يقوم لنا مبتدع فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب أهل الحق من هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد والله أعلم * ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي

وساوته في الفضيلة وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله * وقال في حديث من فطر صائما فله مثل أجره أي أجر فطره لا أجر صومه لان الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه اذا فطر عند الغروب من تمام الصوم ومن أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي اليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما ان كل نبي يعطى أجر الامة التي بعث اليها سواء آمنوا به أو كفروا وأطال في ذلك * وقال في حديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله المراد احياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي * وقال الذي أقول به ان ليلة القدر تدور في السنة كلها قال لاني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرة في العشر الاوسط منه في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فانا على يقين من انها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه قال ولم ينقل الينا ان احدا رأى ليلة القدر في العشر الاول من رمضان أبدا وذلك لانها ليلة تجلي الهي ولم يرد لنا حديث في ان الحق تعالى يتجلى لنا في الثلث الاول من الليل أبدا (قلت) ورد أن الله

من العرش نظر الى المحظورات فلا يعدها الا بالرحمة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهذا يكون مآل من لم يسبق له شقاوة الى الرحمة ويكون من الكرسي نظر الى الاعمال المكروهة فيعدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمة الكرسي دون رحمة العرش اذ الرحمة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين ولذلك عمت رحمة الكرسي جميع من فعل المكروه ورحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الكرسي محل بروز الامر والنهي على ما قررناه أسرع في العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الاعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه ويؤجر تاركه والله أعلم (فان قلت) فما صورة خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسي والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان أول ما خلق الله القلم الاعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها في اللوح ثم انه ذكر في الباب الستين منها أن مقدار أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها من أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص اهـ وقال في الباب الثالث عشر اعلم ان الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو في محل التعليم الذهني قذف تعالى فيه ما يريد ايجاده في خلقه لا الى غاية فأوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعها اياها القلم ثم ان الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التي هي في مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم في صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعندما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور المتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبنيه الارض ثم خلق في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقاء اهـ (فان قلت) قد ورد في الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الابدي لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلثمائة انما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بامور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف أمور الآخرة فان القلم لا يقدر يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود اهـ (فان قلت) فما وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات ان هناك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواحا أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار اليه حديث الاسراء وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا ذكره الشيخ في الفتوحات في الباب المتقدم آنفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما في ألواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الاحكام

والسراويل وكل مخيط وانما جاز الازار والرداء للمحرم لانهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري * وقال وانما كان لبس النعل في الاحرام هو الاصل فلا يلبس الخف الا اذا عدم النعل لان النعل ما جاء اتخاذه الا للزينة والوقاية من الاذى الارضي فاذا عدم عدل الى الخف فاذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافيا فانه لا خلاف في صحة احرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الامر بقطع الخف فالتحق بالمنطوق وتعين الاخذ به فانه ما قطعهما المحرم الا ليلحقهما بدرجة النعل لما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يسترا الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر انه ان لبسه عند الاحرام قبل عقده فله ان يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وان لبسه ابتداء في زمان بقاء الاحرام فعليه الفدية وان لبسه عند الاحلال جاز هذا هو الاظهر عندي الآن يرد نص جلي في النهي عن المعصفر ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده

اطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء في الحديث بمعنى السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسي
في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة انتهى (تتمة) نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيي الدين
في الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من آيات
الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من كمل العارفين
الوارثين للرسل فان البحر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء
به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا لما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشرع فيا ليت
الناس اذ لم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم اهـ فتأمل في
هذا المبحث وتعقله فانك لا تجد ما فيه في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر في الكلام على الكرسي واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا أخي ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسي محل بروز
الاوامر والنواهي المعبر عنهما في حديث الكرسي بتدلي القدمين من العرش اليه اذ العرش محل أحدية
الكلمة العلية المشتملة على الراحة كما أشار الى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن وأما الكرسي فقد
انقسمت الكلمة فيه الى أمرين ليخلق تعالى من كل شيء زوجين فظهرت الشفعية في الكرسي بالفعل وكانت
في العرش بالقوة فان قدمي الامر والنهي لما تدلتا الى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء
للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فاستقرت كل قدم في مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى
استقرارهما فسمي أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ
محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة وما ذكرناه من ان المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسي
هما الامر والنهي هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ
في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القدمين في الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر
وكلاهما صحيح لان الخير والشر الامر والنهي فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجد تأويله في كتاب (فان
قيل) فما محل استقرار أعمال بني آدم اذا صعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن
والخمسين من الفتوحات أنه ينتهي صعودها الى سدرة المنتهى فان كل شيء يرجع نهايته الى ما منه بدا
(فان قيل) ان الكرسي هو موضع القدمين اللذين هما الامر والنهي فلا يتأخر عن الكرسي عمل
(فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التكليف فان أصله انما هو منقسم من السدرة فقطع
أربع مراتب قبل السدرة والسدرة هي المرتبة الخامسة وايضاح ذلك ان التكليف ينزل من قلم الى لوح
الى عرش الى كرسي الى سدرة ومعلوم ان أحكام التكليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام
ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسي
والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة الى السدرة والى أصولها
وهي الزقوم ينتهي نفوس عالم الاشقياء فاذا صعدت الاعمال التي نشأت من هذه الاحكام الخمسة المذكورة
كان غايتها الى الموضع الذي منه ظهرت انتهى (فان قيل) فما صورة صعود الاعمال مع انها اعراض
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم
تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذي هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى
يصل العمل الى محل انتهائه الذي هو محل بروزه الاول (فان قيل) فما وجه تخصيص هذه الاماكن
بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب
الثامن والخمسين أن وجه التخصيص كون كل محل يمد ما يرى زمنه فيكون من القلم نظرا الى الاعمال الواجبة
فيمدها بحسب ما يرى فيها أو يكون من اللوح نظرا الى الاعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها أو يكون

الحج لمن لا قصد له فيه عند من
لا كشف عنده من العلماء
وعندنا أن الشارع لولا علم
قصده بوجه ما صح ان ينسب
الحج اليه وكان ذلك كذبا قال
الشيخ وقد اتفق لي مع بنت
كانت لي عمرها دون سنة قالت
يا ابنية فأصغت الى ما تقول لي
في رجل جامع امرأته فلم ينزل
ماذا يجب عليه فقالت يجب
عليه الغسل فغشي على جدتها
من نطقها هذا شهدته بنفسي
وأطال في ذلك وسيأتي بسط
القصة في الباب الثمانين
وأربعمائة ان شاء الله تعالى
وعدد من تكلم في المهد
راجعه * وقال الذي أقول به
في وجوب الحج على العبد ان
استطاع اليه سبيلا لقوله
تعالى ولله على الناس حج
البيت فعم ولم يقل الاحرار منهم
قال وان منعه السيد أثم
انتهى فليتأمل ويحرر
هو وما قبله * وقال انما حرم
المخيط على الرجل في الاحرام
دون المرأة لان الرجل وان
كان خلق من مركب فهو الى
البسائط أقرب وأما المرأة فقد
خلقت من مركب محقق فانها
خلقت من الرجل فبعدت من
البسائط والمخيط تركيب فقيل
للمرأة ابقي على أصلك لا تلحقين
بالرجل وقيل للرجل ارتفع
عن تركيبك فهذا سبب أمره
بالتجرد عن المخيط ليقرب من
بسيطه الذي لا تخييط فيه وان
كان مركبا من حيث انه
منسوج ولكنه أقرب
الى البساطة من القميص

لا يتعقل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف مرادهم بغير الازل التي تكتب فيها الملائكة رزق الانسان وأجله وشقيا أو سعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق التبديل الى ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لا يدرى الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه اهـ (قلت) وفيه تأييد لما قدمناه من أمر ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هي المرادة في لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم في الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في بعض كتبه ان ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر في الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير تقديم فافهم اهـ (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير في نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وأبقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة وأين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله في الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام أشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدي في خلقها فقال مما عملت أيدينا أنعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الايدي على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا بأولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال في حق الحق وكذلك القول في الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم في الدهر الذي جعلوه الها انه زمان فلكي اذ الفلكي لا حقيقة له في زمان الله الذي لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى أعلم

(المبحث العشرون في بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه الصلاة والسلام)

اعلم يا أخي ان المعتزلة قد انكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هنالك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال وتوجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطا والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسئلة والذي يظهر لي انهم انما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى

أصحاب الاجماع في اطلاقهم الفساد (قلت) الذي يظهر لي ان النكتة في ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذي أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامه بهما من الحرم وأما استدلالهم بقصة خروج السيدة عائشة الى التنعيم فانما هو لاجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد تميزت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد ونقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد ادرك الحج والحج عرفة

المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلات الشرائع والصحف
والكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع
الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح و بين
موسى عليه الصلاة والسلام في شأن الصلوات الخمس وكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه
الالواح الى أن أثبت فيها الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى الى محمد ما يبدل القول لدي فما رجع
موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة
الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح أيضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى
عنده * ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبض نسمة عبده المؤمن حين موته مع أنه تعالى
هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كنى عنها بالتردد
يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد في فعل ما
هل يفعله أم لا ومازال ذلك الحال به حتى وقع أحد الامور التي كان تردد فيها وزال التردد فذلك الامر الواقع
هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه أيضا أمر الواح المحو
والاثبات وايضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه
فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح
تمد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة
وتنقطع بمحوها فاذا أبصر القلم موضعها من اللوح محوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل
والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص
ذلك الخاطر الذي هو نقيض الاول ثم ان أراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا
الشخص وثبتت ليفعل ذلك الامر أو يتركه بحسب ما في اللوح فاذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله
محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب
أمرا آخر هكذا الامر دائما فعلم أن القلم الاعلى أثبت في لوحه كل شئ تجري به هذه الاقلام من محو واثبات
ففي اللوح المحفوظ اثبات المحو في هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر
فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا يعني من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو في الذوات
كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رضي الله عنه لا يدخل المحو في الذوات وانما هو خاص
بالاحوال والاعمال كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث اهـ (فان قلت)
فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الاعلى في اللوح الى يوم القيامة (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وأنا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد
ماسطر في اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ماسطر في اللوح من الآيات التي أنزلت
على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم وقال
هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذي
هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيي الدين في الباب
الثاني والعشرين والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة
ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة اهـ (فان قلت)
فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى في الازل سعيدا والشقي من كتبه الله تعالى في الازل
شقيا هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى

على اني أقول ان تطيبه صلى
الله عليه وسلم عند الاحرام
وعند الحل ليس هو متعينا
لاجل احرامه وحله فانه من
قول عائشة لا من قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما
يأتي فهو أمر فهمته على
حسب ما اقتضاه نظرها أو عن
نص صريح منه لها في ذلك
فتطرق الاحتمال ثم قال
والذي أقول به استحباب
بقاء الطيب الذي دخل به في
الاحرام وعدم طلب ازالته
ولو وجدت رائحته لانه صلى
الله عليه وسلم لم يغسله وقول
عائشة طيبت رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحله واحرامه
انما أرادت به قبل وجود
الاحرام منه وقبل التحلل فانها
لم تقل طيبته لآخر احرامه
حين قرب انقضاؤه وتعقبه
الاحلال وانما أرادت الاحلال
في آخر أفعال الحج وهو طواف
الافاضة انتهى وهو كلام
يحتاج الى تحرير (وقال)
اذا جامع المحرم قبل الوقوف
بعرفة و بعد الاحرام فالحكم
فيه عند العلماء قاطبة الفساد
كحكمه بعد الوقوف قال ولا
أعرف لهم دليلا على ذلك
ونحن وان قلنا بقولهم
واتبعناهم في ذلك فان
النظر يقتضي ان الوطء اذا
وقع قبل الوقوف أنه يرفض
ما مضى و يجدد الاحرام
و يهدي فان كان بعد فوات
الوقوف فلا لانه لم يبق للوقوف
زمان وهناك بقي زمان للاحرام
لكن ماقال بهذا أحد فتبعنا

اذا البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمي لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين (فان قلت) ومتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذي يظهر انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم في ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى (فان قيل) فما الحكمة في أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك في دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (فان قيل) فهل أعادهم الى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا (فالجواب) الذي يظهر انه لما أعادهم الى ظهره قبض أرواحهم بناء على انه لما أراد في الدنيا ان يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) أين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره (فالجواب) ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان أخرجوا من ظهره لان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الاباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض في ظهر آدم ثم أخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال أخرجهم من ظهورهم صح واذا قال أخرجهم من ظهره صح أيضا ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدفة ثم أودع الصدفة في خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة في حقة وأودع الحقة في درج وأودع الدرج في صندوق ثم أدخل يده في الصندوق فأخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد في الخبر أن كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيي الدين في كتاب الحج من الفتوحات قال لما أودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلي الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وأنا أنظر اليها بعيني في صورة سلك وانفتح في الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه فقلت لي هذه أمانة لك عندي ارفعها لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وفي يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال ان في الكتاب الذي في يدي اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذي في يدي الاخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا أراد أن يكتب هذه الاسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكى ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله أن ينزل له رقعة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك وأوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كما قلبت الورقة انقلبت الكتابة فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم

بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت لينا الملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتهليل الى أن دخلنا سماء أبينا آدم فأطال في ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مقطوع عند غالب الناس من أهل الله ويكشف بالعامة في ذلك فالحمد لله الذي من علي بصلة رحمي ووصلتها من أصحابي بسببي وكان ذلك عن توفيق الهي فاني لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي على أثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا بابينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى يا أخت هرون وأين زمان هرون منها انتهى وأطال في ذكر اسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه اعلم انه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما يردها من ردها بالجهل بها فان طريق القوم لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول وانما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الامور يقينا لا ظنا وتخمينا * وقال انما نكر تعالى علما في قوله في حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التي

أخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان قيل) ففي أى محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط به آدم من الجنة وقال الكلبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال علي بن أبي طالب كان أخذ العهد والميثاق في الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء في الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصئبان وهذا غير بعيد في العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه أمر بعض ملائكته بالمسح ونسب ذلك الى نفسه لانه بأمره كما يقال مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها الا أعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل في العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغايتنا في كل مسئلة ان نثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد قوما (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذي انه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت في شعاب الجبال والكهوف الخالية الذى يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن أحد في الارض غير آدم وانما هو محاكاة للصوت الاول ولا حقيقة له وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزويني في ذلك ثم قال والصحيح عندي أن قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك ان الله تعالى سألهم عن ربهم ولم يسألهم عن الههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ في زمان التكليف وانما كانوا في حالة التخليق والتربية وهى الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا في ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده في قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو أنه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد أن يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نتذكره اليوم (فالجواب) انما كنا لا نتذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور وعليها في أصلاب الآباء وأرحام الامهات ثم زاد الله تعالى في تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها في الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما أوجب الوقوع في النسيان وكان على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربى وأعرف من كان هنالك عن يمينى ومن كان عن شمالى قال وانما أخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لا غير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى انه كان يقول أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم ولم تزل الطيفتى تربيهم في الاصلاب حتى وصلوا الى في هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمى أم لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شئ الا أن الاقرب في العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة

فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال في قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أى موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم في تحصيل نظير تلك المقامات التى كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلنى أواها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا في القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه يذل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته امرة لدبلة طلعت في جانبي قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبرى كالزفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندى ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغى لكل مؤمن أن يصل نسبه باجداده وآبائه المسلمين من آدم الى أبينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد في العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابي

يسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله ان الحق
تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام بألفي عام كما ورد خبأها في مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيأ في علمه
لكل ذرة منها روحا في الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا للارواح كما قال
تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها أي مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق
منهم أهبط بقدرته تلك الارواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم
الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها في الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة في الارحام * قال
الشيخ ورأيت في تفسير الانجيل ان روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم تسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق
فعاد فعهد الله تعالى الى جبريل عليه السلام فامسكه الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى ان أمره بنفخه
فنفخه في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله
روحا دون غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية وكان مكثه في الارض بقدر ما فيه من الطين
ومكثه في السماء بقدر ما فيه من النور * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو في المهد من قوله
وجعلني مباركا أينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعني أينما كنت في السماء والارض ويؤيد ذلك
قول أبي بن كعب ان الله تعالى لما رد أرواح بني آدم الى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى
فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه وروح منه (فان
قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارحام ويتولون تصوير الاجنة هم أعوان عزرائيل أو اسرافيل
(فالجواب) هم أعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور وأما هو عليه السلام فانما هو ناظر
الصور والخليقة المصورة تحت العرش فان في الحديث ان لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في
ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه لصور بني آدم تشابه وتشاكل في الخليقة لانهم على
صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك في الصور التي تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق آدم على صورته وفي رواية أخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التي صورها الرحمن في العرش
واللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل
ناظر الى الصور المنقوشة في العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وتلك الصور
كلها حكاية عما في علمه الازلي سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة
المخلقة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين في الرحم فيصوره بتلك الصورة المعينة
فالقاء الصورة انما يكون بالقاء نسختها التي تليق بها وانما أضاف تعالى التصوير في الارحام اليه بقوله
والذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره اجراء للعادة الحسنى
وهو تعالى مصور للصور ومصور مصورهم الا خالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من
اتخذ الاصنام والله تعالى أعلم فأمعن النظر في هذا المبحث فانك لا تجده في كتاب والله تعالى يتولى هداك

*(المبحث الثاني والعشرون في بيان انه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة
لهم بالابصار بلا كيف في الدنيا والآخرة أي بعد دخول الجنة وقبله)*

ثبت في أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة أيضا لقوله
تعالى لا تدركه الابصار أي لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم في
الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي
يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بابعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من
الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما أن الحق تعالى
يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فاذا اقتضت عقلا كون أحدهما

والولاية فان كان رسولا زاد
عليهم بذوق مقام الرسالة
لانه رسول نبي ولي مؤمن
وقد لا يكون له ذوق في ذلك
قال الخضر لموسى عليهما
السلام ما لم تحط به خبرا والخبر
الذوق * قال الشيخ ثم ان
العلم من شرائط الولاية لا من
شرائط الايمان لان الايمان
مستنده الخبر الذي بلغه عن
الصادق فاذا لم يكن هناك خبر
كايام الفترات ووحد الله تعالى
منهم أحد فهو سعيد مع كونه
لا يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون
الا موحدا واما الموحد بنور
قذفه الله في قلبه فقد لا يكون
مؤمنا فتأمله وحرره * وقال
انما سميت العبارة عبارة لانك
تجوز منها الى المعنى المقصود
منها وانما سمي الوحي وحيا
لسرعته فان الوحي عين الفهم
عين الافهام عين المفهوم منه
كما يذوقه أهل الالهام من
الاولياء * وقال ليس فوق
الانسان الكامل مرتبة الا
مرتبة الملك في المخلوقات وكون
الملائكة تلمذت له حين علمهم
الاسماء لا يدل على انه خير
من الملك وانما يدل على انه
أكمل نشأة من الملك لا غير
*(قلت) هذا كان مذهب
الشيخ أولا ثم رجع عنه كما
نبه عليه في الباب الثامن
والتسعين ومائة والباب
الثالث والثمانين وثلثمائة
من الفتوحات * وقال الخلاف
في غير محمد صلى الله عليه وسلم
اما هو فهو أفضل الخلق على
الاطلاق فراجعه وقد عرفت

(المبحث الحادي والعشرون في صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام)

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما أوقع التشبيه في عدم الابوة الذكرانية من أجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى في براءة أمه وانما لم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل محلا لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفي خلق حواء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس محلا لما صدر عنه من الولادة وكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحواء لان ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم وايضاح ذلك ان أول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام وكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن آدم أباً ثانياً سماه أماً فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدورة بمثل ما به بدأها في ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى وحواء اخوان وكان آدم ومريم أبوان لهما اذكر ذلك الشيخ محيي الدين في الفتوحات وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تعرض له ولاحام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه * وقال في الباب السابع منها (فان قيل) كم أنواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هي أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر في التشبيه مع الاجتماع في الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوة الالهية أو الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطي بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة في وجه صاحبها بان أظهر هذا النشء الانساني بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة أنواع في آية من القرآن وهو قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بني آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق في علم الله انه لا بد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا (فان قلت) فما الحكمة في تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة في ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لاجل الانحناء الذي في الضلع فحنو الرجل على المرأة انما هو حنو على نفسه في الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت أي من ضلعه والضلع فيها انحناء وانعطاف قال الشيخ وعمر الله تعالى الموضع الذي خرجت منه حواء من آدم بالشهوة لئلا يبقى في الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت حواء اليه لكونه موطنها الذي نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حواء حب الموطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا اذ كانت عينه وأما المرأة فأعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفاء اذ الوطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصور الله تعالى في ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه في جسم آدم فكان نشء آدم في صورته كنشء الفاخوري فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء كنشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذي هو التناسل وأطال في ذلك في الباب السابق (فان قيل) فما وجه تسمية

حصل بها أصحاب منازل القربة الذين الخضر رأسهم وهي علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور العلم اللدني * قال ومنزل أهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم * وقال لولا القول اللين ما انكسرت غلاظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر * وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد *(قلت) وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أخذه الطريق عن الملائكة المسمين بأسماء الحروف أوائل السور كما سيأتي ونقل ابن سيد الناس في سيرته في قصة اسلام سلمان الفارسي ما يشهد للشيخ في نزول عيسى الى الارض بعد رفعه قبل اليوم الموعود وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا يدع ان ينزل مرارا والله أعلم * وقال المراتب التي تعطى السعادة للانسان أربعة وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولأهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون نبي ذوقه في مرتبة الايمان

لاتناسب جلال الصمدية في معنى ما فالرائي ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ماهو عليه في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الامر والنائم لايرى شيأ في المنام الا بصورة ومثل (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد في منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير اذا النفس بالآلات الخيالية لاتستطيع رؤية من لاصورة له ولكن تتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الامثلة كالذي بديذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما ان كلام الله القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف في اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن في الحفظ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فعلم أنه لايلزم من كون الشئ لاصورة له ان لايرى في صورة على ماقررناه الاترى أن كثيرا من الاشياء التي لاتشخص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى ولا توجب التشبيه ولا التمثيل وذلك كالمعاني المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك فاما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يارسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لاشكل له ولاصورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤي بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولاشك أن بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتجسد المعاني لاينكره العلماء بالله تعالى قال وموضع الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين المثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لايشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء والحياة لاصورة لها ولاشكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم أنه لامثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى في السموات والارض قال ومن هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده في المنام كما مر في الامثال وأطال في ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها أمور ذوقية لاتضبطها عبارة والله تعالى أعلم هذا مارأيته في كتب المتكلمين * وأما مارأيته في كتب الصوفية فمن أفصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فقال في الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لاينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لانه لاشئ في الاكوان أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والاسلام قبة والثبات في الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلنا قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير فعلم ان كل ماجاز وقوعه في المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتجليه لمن شاء في اليقظة والحياة الدنيا اه * وقال أيضا في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لايصح لانسان قط أن يعبر عن حقيقة ماطريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال في ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لافضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجبلية ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولايدرك بصرا فقد لاعب علمه بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ماهي عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لايفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغي لاحد الكلام معه في شئ من الامور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامر اذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما اجترأ على طلب الرؤية مافعل فان سماع

عليها رائحة رعونة ودعوى عريضة وهي نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله اذا ذكروا تذكروا فاستغفروا منها وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة * وقال في الباب الرابع والسبعين العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف وأما العزم على انه لايعود فليس ذلك في يده حقيقة انما هو اظهار أدب أي لو كان الامر في يدي ماعصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) في الباب السابع والسبعين ينبغي لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قائلها على انه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولابد * قال وهذا مشهد غريب قل ان ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس * وقال في الباب الموفي تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لان الملونات كلها تستحيل اليه ولا يستحيل هو اليها قال واعلم أن البياض على نوعين أحدهما ما يكون لونا في ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال ويلحق به

في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى في الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز ودليل جوازها في اليقظة هو ان موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال أرني أنظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلي رحمه الله تعالى واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم وتعنتهم في طلبها لا لامتناعها في نفسها اه وقد استدل الجمهور على منع الرؤية في الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح جمعهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية في الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية وأما دليل امتناعها في النوم فلان المرئي فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجوز لها انه لا استحالة في الرؤية في المنام وقد ذكر العلماء وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام أحمد وحمزة الزيات والامام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال اني نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وأنا اخترتك فقال تعالى وانا اخترناك فهي قراءة برزخية وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى في المنام وانما بالغ ابن الصلاح في انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء وأما رؤية الحق جل وعلا في اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن تراني وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة في وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلي رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القائل بالوقوع في الجملة لكن روى مسلم عن أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أي حجبني النور المغشي للبصر عن رؤيته اه ما قاله الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتاب سراج العقول في هذه المسئلة واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى في المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا في ذلك بأن ما يراه النائم يكون من صور الامثلة ولا صورة للرب تعالى وانه يراه بواسطة مثال متناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شيء وقال ولم يكن له كفوا أحد قال فمن رأى من ذلك شيأ وتخيل انه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك في اليقظة وأطال في ذلك ثم قال والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله تعالى في صورة في المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه في المنام يدخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه في ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما ان الكلام الازلي منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور في القرآن في قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذي يوجب المماثلة من كل وجه أما اذا رآه في صورة

بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكره جزاء وفاقا * وقال قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى انه يجوز لنا ان نسأل لانفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون له قال لانه صلى الله عليه وسلم لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مأمورون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه أبدا لانعقاد الاجماع على انها لا تكون الا له صلى الله عليه وسلم والله أعلم (وقال) اذا غلق باب التوبة حبس على المؤمن ايمانه بغلق الباب عليه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبدا لانه ليس للايمان باب يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة

ماسمى شاهدا الا لكونه رآه يشهد بصحة مااعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أى يشهد له بصحة مااعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك وما قال أشهدنى لانه تعالى كان مشهودا له ماغاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة بالانبياء فى الآخرة ليعجلها الله تعالى له فى الدنيا حين طلب مقامه ذلك وأما شهوده الحق تعالى مثل مايشهده الاولياء فذلك حبوة وزيادة من حيث مقام ولايته انتهى * وقال فى كتاب اللواقح أيضا من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ماتمسكه فى نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كأنك تراه بقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذى أقمته فى نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقى منها الى درجة الخصوص وهى علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك ضبطت شهوده تعالى فى قلبك عند صلاتك مثلا فى جهة القبلة فقد أحلت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الاحاطة به تعالى لانك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق اليك لامع نظرك أنت اليه لان نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام اه (فان قلت) فمتى يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدى على ابن وفا رحمه الله أنه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من أقطار السموات والارض وأعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال وأمامن تقيد كشفه بالسموات والارض أو البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا فى جهة اه (فان قلت) فاذن مارأى أحد ربه الا بصورة استعداده فى نفسه وتعالى الله عن ذلك فى علو ذاته (فالجواب) نعم مارأى عبد ربه الا بقدر وسعه غير ذلك لا يكون اذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ولرقى الاولياء فى سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن مارأى العبد الا صورة نفسه فى مرآة معرفة الحق ومارأى الحق حقيقة (فالجواب) نعم وهو كذلك فحكمه كالانسان الذى رأى وجهه فى المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة * قال الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلى من رؤية الشاهد وجهه فى المرآة واجهد يا أخى فى نفسك عندماترى الصورة فى المرآة أن ترى جرم المرآة لاتراه أبدا بل تنطبع صورتك فى المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك ولا تطمع ولا تتعب نفسك فى أن ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده الا العدم المحض اه فليتأمل ويحرر فانه يوهم أن المرئى فى الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى مافيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس فى الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئى سبحانه وتعالى لاتقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون فى مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا فى الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون فى الآخرة كما تفاوتوا فى الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم فى الآخرة فرع عن تفاوتهم فى الدنيا وقد قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة تابعة لاعتقادهم الذى كانوا عليه فى دار الدنيا ليجنى كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر مافهموه ممن قلدوه من العلماء وكماانهم متفاضلون فى النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر اليه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد فى علمه بالله بحسب ماألقى اليه عالمه أو على حسب ماعنده من العلم واما على قدر مايخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما أكمل الرؤية التى تقع للخلق (فالجواب) أكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا فى مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم أن عدد

القدم * وقال فى الباب الثامن والتسعين من شرط الولى الكامل ان لا ينام له قلب بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة (قلت) ذكر الشيخ فى الباب الحادى والتسعين انه يجب على الورع انه يجتنبه فى خياله كما يجتنبه فى ظاهره لان الخيال تابع للحس * قال ولهذا كان المريد اذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لان الاحتلام برؤيا فى النوم أو فى التصور فى اليقظة لايكون الا من بقية شهوة فى خياله فاذا احتلم صاحب كمال فانما ذلك لضعف اعضائه الباطنة لمرض طرأ فى مزاجه لا عن احتلام لا فى حلال ولا فى حرام انتهى فتأمله والله أعلم * وقال فى الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقيادالوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * وقال الشهوة آلة النفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة ارادة لالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به * قال والذى أقول به ان صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذى جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد

كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتأويل فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال اه وقال أيضا في الباب التسعين من الفتوحات اعلم أن أعظم نعيم في الدنيا والآخرة نعيم رؤية الباري جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي أن الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التي تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بأن يحصل له الالتذاذ برؤيته أقام له مثالا يتخيله في عقله مطابقا له لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم في الكتاب أن مراد من يقول ان الحق تعالى اذا حيط عبدا به أحاط به هو علمه بأنه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة اذا أراد الله عز وجل أن يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلي وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما تراه الملائكة اذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده والتذ برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب فيقع التلذذ بالمشاهد قال وهذه مسئلة من الاسرار ما أظهرتها باختياري وانما كنت في اظهارها كالمجبور اه * وعبارته في كتاب لواقح الانوار اعلم انه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية الباري جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لان النفس أحدية الذات ليس في قدرتها أن تشتغل بأمرين معا في آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لادراك الرؤية أو قولها فاذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه واذا كلمك أوجدك لانه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب والا فلا فائدة للخطاب اه * وكان أبو العباس السري أحد شيوخ الطائفة الا كابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لانها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ في الفتوحات وقال في لواقح الانوار أيضا اذا أقامك الحق تعالى في مشهد ما وأشهدك نفسك معه فانت من أبعد الابعدين لان نفسك كون وأين الكون في الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه المجاورة لا يتعقلها الا أهل الكشف * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشيء من حس تلك الحجب الا زهقت اه وفي رواية أخرى ان لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (فان قيل) فكيف رؤية الباري جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائة أن صورة نظر الحق تعالى الى العالم أنه ينظر اليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو أنه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله بسبحات وجهه كما مر آنفا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعماء الذي أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ في باب الاسرار اذا عوين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته اه * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم أن من علامة صدق من يدعي أنه يشاهد الحق تعالى انه اذا عكس مرآة قلبه الى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فان قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين ومائتين أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الاقرار والانكار في الرؤية يوم القيامة لانهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فانه لا يكون فيه الا الاقرار لا الانكار وايضاح ذلك أن الشاهد

شابة أيضا زرقة السماء
انما هو في نظر العين وان
كانت في نفسها على لون يخالف
لون الزرقة * وقال فيه انما
اختار الحق تعالى من الشهور
رمضان لمشاركته لاسم الله
الصمد وردان رمضان من
أسمائه تعالى فتعينت له
مزية ما هي لسائر شهور السنة
قال وانما جعله الشارع من
الشهور القمرية لتعم بركته
جميع شهور السنة فيحصل
لكل يوم من أيام السنة حظ
منه فان أفضل الشهور عندنا
رمضان ثم شهر ربيع الاول
ثم رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة
ثم شوال ثم القعدة ثم المحرم
الى هنا انتهى علمي في فضل
الشهور القمرية واما بقية
الشهور وهي صفر وربيع
الآخر والجماديان فهي
متساوية في الفضل فيما يغلب
على ظني فاني ما تحققت فيها
فاضلا فلم يتمكن لي ان أقول
ما ليس لي به علم * وقال في
الباب الثاني والتسعين ينبغي
لكل مؤمن ان يتورع ان
يكن ورعا قال ومما يقع
فيه غالب المتورعين ان
أحدهم اذا رأى شخصا على
المخالفة للشرع في افعاله أو اقواله
وعقائده ثم فارقه بلحظة
واحدة لا يجوز له الحكم
عليه بما وقع منه قبل تلك
اللحظة ومتى ظن بذلك
الشخص انه باق على مخالفته
خرج عن مقام الورع وصار
من أهل الوقوع في الشبهات
الوقا[illegible]

ترانى والنكتة فى سبب قوله لن ترانى كونه قال أنظر اليك بالهمزة ولو أنه قال ننظر اليك بالنون أو التاء لربما لم يكن الجواب لن ترانى مع أن السؤال مجمل فى قوله انظر والجواب كذلك مجمل فى قوله لن ترانى وايضاح ذلك أن الرؤية بادرة الى رؤية العين أى لن ترانى بعينك لان المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئى وأنت لا تزال ترى فى كل رؤية خلاف ما رأيته فى الرؤية التى تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئى فى رؤيتك له تعالى أبدا فصح قوله لن ترانى لانى ما أقبل من حيث ما أنا عليه فى ذاتى التنوع وأنت لا ترى ربك اذا رأيته الا متنوعا فى الصفات وأنت ما تنوعت أيضا فما رأيتنى ولا رأيت نفسك وقد رأيت فلابد أن تقول رأيت الحق وأنت ما رأيتنى حقيقة وكذلك لابد أن تقول رأيت نفسى وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم الا أنت والحق تعالى ولا واحدا من الحق والخلق رأيت وأنت تعلم انك رأيت فما هذا الذى رأيت فرجع المعنى لن ترانى بعينك الان أمددتك بالقوة الالهية قال وهذا من مشاهد الحيرة * وقال فى الباب الاحد والاربعمائة انما قال تعالى لموسى لن ترانى لان كل مرئى لا يصح للرائى أن يرى منه الا على قدر منزلته ورتبته لا غير ولو كان الرائى يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم أقل حجاب يحجب العبد عن الاحاطة شغله برؤية نفسه حال تجلى الحق له فحجاب العبد عن ربه رؤية نفسه فما حجبنا الا بأنفسنا على انا ولو زلنا عنا أيضا ما رأيناه لانه لم يبق ثم بعد ذو والناظر يراه واذا لم نزل نحن فما رأيناه فى المرآة الصافية حينئذ الا أنفسنا وقد نتوسع فى العبارة فنقول انا رأيناه فلا يخرج أحد عن الحيرة فى الله تعالى اه (فان قلت) فاذن فما خر موسى صعقا الا لما كان عنده من العلم بالله تعالى قبل سؤال الرؤية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن وأربعين وأربعمائة نعم ما أصعقه الا ذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال تبت اليك أى لا أطلب رؤيتك على الوجه الذى كنت طلبتها أولا وانى قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك وأنا أول المؤمنين أى بقولك لن ترانى لانك ما قلت ذلك الا لى وهو خبر فلذلك ألحقه موسى عليه الصلاة والسلام بالايمان دون العلم ولو أنه عليه الصلاة والسلام أراد مطلق الايمان بقوله لن ترانى ما صحت له الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم فى ايمان وهو مشهد عزيز فان العبد اذا انتقل من الايمان الى العلم الذى هو أوضح فكيف يبقى معه حجاب الايمان فلذلك كان خاصا بالكمل فيؤمنون بما هم به عالمون ليحوزوا أجر الايمان مع أجر العلم وقال فى أحدهم انه مؤمن بما هو به عالم من عين واحدة وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه ان شئت * وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول من أعجب الامور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى أى مع قولك م كونك ترانى على الدوام ولا تشعر بان الذى تراه هو أنا اه (فان قلت) فهل يعلم الحق تعالى بالكشف (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار لا يصح أن يعلم الحق تعالى بالكشف وانما يرى به فقط كما انه تعالى يعلم بالعقل ولا يرى به قال وهل ثم لنا مقام يجمع بين الرؤية والعلم لا أدرى اه (فان قلت) فكم ترجع صور التجلى الالهى الى مرتبة من العدد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة انها ترجع كلها الى صورتين صورة تنكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما قال وقد ورد أن الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام تجلى له فى اثنى عشر ألف صورة وفى كل صورة يقول له ياموسى ليتنبه موسى فيعلم انه لو كان جميع التجلى بصورة واحدة لم يقل له فى كل صورة وكلمة ياموسى اه (فان قلت) فكيف ثبت موسى عليه الصلاة والسلام لسماع كلام الله ولم يثبت لرؤيته (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخمسين وأربعمائة انه انما ثبت لسماع كلام الله لان الحق تعالى كان سمعه عند النجوى يعنى مؤيدا ومقويا لسمع موسى عليه الصلاة والسلام لانه محبوب لله بلا شك وقد أخبر الحق تعالى انه اذا أحب عبدا كان سمعه وبصره الحديث لكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء فى هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على التدريج شيأ بعد شئ فلذلك صعق موسى عند التجلى اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك

المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ومن جملتهم الاحداث والنسوان فلا ينبغى له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم عنده من حيث انهم خلق الله حتى الحائط فمحبوبه هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا يستوحش انتهى (قلت) فالواجب على من بلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والاحداث جملة واحدة ثم اذا بلغ أيضا فشرطه على ما قالوه أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فان أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به فى ذلك والله أعلم * وقال الفرق بين الشهوة والارادة ان الارادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان المراد محبوبا أو غير محبوب وأما الشهوة فلا تتعلق الا بما للنفس فى نيله لذة خاصة وأيضا فان محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الارادة الروح ذكره فى الباب التاسع ومائة * وقال فى الباب الثانى عشر ومائة تكون مخالفة النفس فى ثلاثة أمور فقط فى المباح والمكروه والمحظور لا غير وأما اذا وقعت لها لذة فى طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات فى فنون

رؤية كل عبد للحق في الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى في جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام (قلت) وانما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل المرايا لانها حاوية لجميع مرايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك في المرتبة من يرى ربه في مرآة نبي من الانبياء ثم في مرآة أحد من الاولياء فعلم أن الكامل من لا يطأ مكانا الا يرى فيه قدم نبيه أبدا (فان قلت) فالذين ينكرون الحق تعالى في تجليات الآخرة هل هم مسلمون (فالجواب) نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي فاذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا أنت ربنا وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر في كتاب والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا وقع الانكار من هؤلاء فهل يكون المقرون من الانبياء والاولياء حاضرين فان كانوا حاضرين فلم يرشدوهم الى أن المتجلي لهم هو الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق أن الانكار اذا وقع يكون الانبياء والعارفون واقفين بجانب عن هؤلاء المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى انه طلب منهم أن يستروه عن أولئك المنكرين ليجني كل أحد ثمرة علمه به في دار الدنيا (فان قيل) فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار انما صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه أبد الآبدين ودهر الداهرين انتهى (فان قيل) فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصر العين كما في الدنيا أم تكون بجميع عيونهم (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ان رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدي فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم أبصار قال وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط اهـ (فان قيل) فهل يلزم أن يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية الحق جل وعلا أو رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بأن ذلك المرئي هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الامر عليه فيما يراه اذ لا يدرك أحد الحق تعالى الا هكذا وأما بالنظر والفكر فلا كما مر في مبحث أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق (فان قيل) فهل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال نور أنى أراه يقول كيف أراه وهو نور شعشعاني والاشعة تذهب بالابصار وتمنع من ادراك من تنشق عنه تلك الاشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا (فان قيل) من شرط الرائي ان تعطيه رؤيته العلم بالمرئي والاحاطة به ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال انه رأى ربه عز وجل (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والاربعين وأربعمائة أن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها احاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم أن يعلم الرائي له عند الرؤية انه ما رآه والا فلو صح له أن يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات على قلبه في حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني أنظر اليك قال لن

أملس لاثبات بعارضية نذكر مقام تجريده وانه حديث عهد بربه كالمطر بخلاف الكبير فيراعي ذلك الامر كما راعى ذلك المطر من حيث قربه من التكوين هذا مشهد الكمل * قال ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق الله ان لم يكن من أهل الكشف والوجدان يجتنب كل أمر يؤدي الى تعلق القلب بغير الله فانه فتنة في حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين مما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الارفاق فان القلوب تميل الى كل من أحسن اليها بحكم الطبع وليس هناك قوة الهية على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه قال ولا يخفى ان من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وان كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردي به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق في الطريق اللوم في ذلك قال ثم الذي ينبغي للمريد اذا ادعى انه صاحب الاحداث أو النسوان الا لله أن يزن حاله فان وجد ألما ووحشة عند فقده اياهم وهيجانا الى لقائهم وفرحا باقبالهم فليعلم ان صحبته لهم معلولة وان وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا

عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فالا يحتاج الى دليل سمعى فى ذلك لكشفنا عن حياة كل شئ عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلى ما وقع منه الالمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ماندك اذ الذوات لاتؤثر فى بعضها من حيث هى ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن فى نفوسهم ثم اذا لقيه فى تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتادب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذى يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له فى الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الاما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتأمل فعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هى رتبة نسبية أعطته التحكم فى العالم الذى هو تحت حكمه اه (فان قلت) قد وردفى الحديث أن العبد يناجى ربه فى الصلاة فى هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجى الا من يتخيله مناجيا له كذلك ثم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تميز الدار الآخرة بكون العبد هنالك يعرف من يناجيه و يسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف للعبد فى الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا فى هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال فى الدار الآخرة مامن أحد الاسيكلمه ربه كفاحا ليس بينه و بينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشئ من القوى الظاهرة أو الباطنة التى فى الانسان لابد أن يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ماسكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيل والخيال لا يصح ان يضبط أمرا أبدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من أهل الكشف فى الدنيا انكار لشئ من التجليات الأخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهل الكشف شئ من الانكار للتجلى الاخروى وانما يقع ذلك من أصحاب النظر العقلى وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما أدت اليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا فى الآخرة ماقيدوه بعقولهم فى الدنيا أنكروه ضرورة ألا تراهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما أنكروه فعلم ان أهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى * وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى فى تجل من تجليات الآخرة الاأهل التنزيه المطلق الذى هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهذا هو سر العيان الذى يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحدا لا ثانى له فى نفس الامر فمن أين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه و يخطئ غيره وهو تعالى فى نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هى التى تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله فى على ذاته عن ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه فى هذه الدار على الكشف القلبى (فالجواب) علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيى الدين فى الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هى رؤية أهل الجنة فى الجنة اذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين وأربعمائة أن وجهه اطلاق الابصار فى الآية أى لاتدركه الابصار من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لاترى الا بالبصر وأعين الوجوه لاترى أيضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك فيسمى البصر فى القلب عين البصيرة و يسمى فى الظاهر بصر العين فكما ان العين فى الظاهر محل البصر كذلك البصيرة فى الباطن محل العين الذى هو بصر فى عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو فى نفسه كما

الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى الخير بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى يمسح بيده على أعرافها وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا لان الانبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ماوقع لايوب عليه السلام حين أرسل الله له جرادا من ذهب فصار يحثو فى ثوبه منه و يقول لا غنى لى عن بركتك يارب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذى أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها على وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال واما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافى ذلك ماقلناه اذ كانت منة الله الخيل

ولو أنه تعالى أيده بقوة فى بصره كما أيده بها فى سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام اذ لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى الا بتأييد الهى اه (فان قلت) فما السبب الذى دعا موسى عليه الصلاة والسلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الانبيا مقربون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة أن السبب الداعى له الى طلب الرؤية زيادة التقريب على غيره من الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم فان الحق تعالى لما أقام موسى فى مقام التقريب لم يتمالك أن يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم منعه الادب أن يسأل ذلك مع أنه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام بيقين فلما سلك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وأرسل له براقا يركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ما منع من الرؤية الا لكونه سألها عن غير وحى الهى ومقام الانبياء يقتضى المؤاخذة بالذرات ولذلك كان الجواب له لن ترانى من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب راح حده فى موسى من حيث سؤله الرؤية بغير أمر من الله تعالى فقال له تعالى ولكن انظر الى الجبل فأحاله على الجبل فى استقراره عند التجلى حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف أن الجبل رأى ربه وان الرؤية هى التى أوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى أن يرى ربه فى حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفى على الاستقبال والآية محتملة وكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلى للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغى له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين يعنى بوقوع هذا الجائز اه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما أطمع موسى فى طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك البصرى كما ينبغى لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال فى الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت يعنى ان ثبت الجبل اذا تجليت له فترانى من حيث ما فى ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أى فاذا كان الجبل الذى هو أقوى صار دكا عند التجلى فكيف يثبت لرؤيتى جبل موسى الذى هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هى التى أمسكت صورته على ما هى عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) قد قال أهل الكشف ان الجماد كالحى فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور * قال الشيخ ومن أعظم دليل سمعى على حياة الجماد قوله تعالى وان منها يعنى الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حى دراك ولكن قد أخذ الله تعالى بأبصار الانس والجن

خاصة وان وجدت المشقة فى العمل المقرب الآخر الذى هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانه ان اعتادت المساعدة فى مثل هذا أثرت فى المساعدة فى المحظور والمكروه والمباح وقال فى الباب الخامس عشر ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا غيبة فى فاسق الذى فهمته من هذا الحديث انه نهى لا نفى وعلى ذلك جرى أهل الورع فى فهم هذا الحديث أى لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة فى مواضع مذكورة فى كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين الا ان ترتب على ذلك حكم شرعى * وقال فى الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها فى اللسان وهى المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى فى الظالمين يوم القيامة مقنعى رؤسهم أى الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم أن من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى [illegible] ركن الى الظالمين

واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة ويقول له معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الامور من تجسيد المعاني وجعله ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والتسعين ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا أنه يريك الجسم في مكانين فيكون الانسان نائما في بيته ويرى في منامه ان عين جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره لا ان أدرك الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرض المحال فانه لولا صورته في نفسه ما قدر على فرضه * قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو عند الله حي يرزق ويأكل وروى الترمذي في حديث القبضتين مرفوعا ان الحق لما فتح قبضته أي كما يليق بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم في هذه القصة في القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث وأطال في ذلك هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وأربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السؤال من رؤيتك لله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى الا منزها عن تلك الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا ولا يحصل لك به احاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته في موطن ينعدم منك في موضع آخر فما عندك من العلم به ينفد وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه في المنام أبدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ في لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائي الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لانه أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل أتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لان النصوص لا يدخلها تأويل ولا احتمال ولا تردد انتهى (فان قلت) فما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة أن السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا الموت فمعنى الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا في حال حياتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الا لمن أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم في العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم وأما محله في الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيي الدين ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر في موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى

(قلت) وأكثر من يقع في الرضا بالمعاصي أصحاب حضرة التوحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم خوطبوا بامر من الله خلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما نهى عن شيء على لسان رسله ويبيحه من وراءهم لاحد من أممهم أبدا فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والاربعين ومائة اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر لما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فانه مكر نفساني في صورة علم الهي من حيث لا يشعر قال وقد وقع ما بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون في ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشيء ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام في شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال في ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهي يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الامر من الشرع المحمدي وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم

لاتدركه العيون بابصارها كذلك لاتدركه البصائر بأعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له فى المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعالى بعينى رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له أحق مايقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لايعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حالة اتصال شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره الظاهر رأى ماشهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لايدرى قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسن ادصاحه رضى الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلى وقد تراءى لى مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لى فيه صورة تنادينى ياعبد القادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدنى وان شئت فاترك فقلت له اخسأ يالعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبنى اللعين وقال لى ياعبد القادر نجوت منى بعلمك بأحكام ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت انه شيطان فقال باحلاله لى ماحرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لايحرم شيأ على السنة رسله ثم يبيحه لاحد فى السر أبدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى أخبر انه أقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون أى لشدة قربى منكم وقد أطال الشيخ فى تفسير قوله تعالى لاتدركه الابصار فى الباب الخامس والعشرين وأربعمائة وفى الباب الحادى وعشرين ومائتين * وقال فى كتابه شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لايحيط به مع أنه ألطف من الادراك الحسى فكيف يدركه البصر الذى هو الا كثف انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى لاتدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية البارى وبين قول من نفاها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من أثبت رؤية الله عز وجل وبين من أنكرها ونفاها ان من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لايحيط بشئ كأنه مارآه مع انه رآه انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالى لايرتفع أبدا كما أشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الارداء الكبرياء فى جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لايرتفع فما وقعت الرؤية دائما الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح أن يرى ومن قال لايصح ان يرى بحمله على هاتين الحالتين انتهى * وأما الكلام على رؤيته تعالى فى المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاصل فى صحة الرؤيا مارواه الطبرانى وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء فى معنى هذا الحديث وفى صحته فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم وتوقف فى معناه وأوله ولايحتاج الامر الى تأويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا فى عالم الخيال الذى هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ماليس من شأنه ان يكون جسدا لان حضرته تعالى ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فانك ترى فيه

ولابد يكون اختباره اذا رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو أحبها عينها فأخبر عليه السلام أنه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لاعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لايكون لاحد من بعده فأجابه الحق الى ماسال فى المجموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ماينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل فى شئ من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل فى شئ منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان فى غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى فى بعضه * وقال فى الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضى فلاينبغى الرضا بالمعاصى ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك فى فعلها وان لم ترها فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر

الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كخلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة والأربعين جزأ من حديث الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة ووقعت له الرؤيا اول الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر الى ستة وأربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في عماية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى اعلم

(خاتمة) في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبشرات خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاءه الشيطان وجنوده حتى دخلوا مكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع أسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها هذا هو السبب في كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الخلق بالتصور بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فلذلك جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم اني أنا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس في صورة غيرها ردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أي رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة (فالجواب) ان رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي وذلك لا يستدعي حضور المرئي بل يرى من المشرق الى المغرب وتخوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم أن العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فما الحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) أن هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير ادا

في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما أن يكون ظاهريا محضا متعلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله فهو فهذا أيضا مذموم شرعا واما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك *وقال في الباب الثالث والخمسين ومائة في قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي باعطائهم ما في قوتهم من المصالح المعلومة في الكون وتسخير بعضهم لبعض الاعلى للادنى وعكسه وهذا لا ينكره عاقل لانه الواقع وتأمل الملك الذي هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخرا في مصالحهم كلهم فهم مسخرون كذلك في مصالحه فهذه هي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض *وقال في الباب الرابع والخمسين ومائة الملائكة على ثلاثة أصناف صنف يهيمون في جلال الله تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هام فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الاعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف

ربه في الدنيا وانما يراه في الآخرة فقط فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بغيب الشمس وأما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها او دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الارض (فان قلت) فما السبب في عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين وثلثمائة ان السبب في ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هنالك بسرعة يقظانه فكأنه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب للحدث ما هو عين الحدث (فان قلت) فمن أصدق الناس رؤيا (فالجواب) أصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه في حضرة حياله الذي هو فيه فهذا هو الذي تصدق رؤياه أبدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هي صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا اخطأت فما اخطأت وانما الذي عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الاترى صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا أصبت بعضا واخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن اخطأ في التأويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما في حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الحليم ان الرؤيا هي رؤيا الامر على ما هو عليه في نفسه وأما الحلم فهو رؤيا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لانه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا أخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذي ظهر بها فردها الى أصلها كما أفسد الحلم العلم وأظهره في صورة اللبن فليس باللبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضي الله عنه فقال اني رأيت اني أرد الزيت في الزيتون فقال له أمك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها وأين صورة نكاح الرجل أمه من رد الزيت في الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الامر على ما هو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان في النوم أو في اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائتين ان الله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما شاء الحق تعالى أن يريه لهذا النائم من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك حتى انه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ما عبر أحد الرؤيا حيث عبرها الابعد ان تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر في الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا أراد ان يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية وجانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت

أنه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال في ذلك * ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب علي في النصح والله أعلم * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله هو الجامع لاحكام الاسماء فيكشف المذموم والمحمود وحركات السعادة والشقاء فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحة والخيانة وخفة العقل والفسوق فان هذا ليس بقاعدة كلية وأطال في أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة أوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه لا يخلو الانسان في معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وهذا رجل لا يؤدي الى تعطيل

الحالث في امكان رؤية النبي والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون في مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربي رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لابد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية في اليقظة * وكان رضي الله عنه يقول أيضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رآه الصحابة فهو كاذب وان ادعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لان من بالغ في كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا أحب الحق تعالى عبدا كان في نومه من كثرة نورانية قلبه كأنه يقظان قال وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح اه * فعلم أن المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائي العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على أحد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصا صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه في المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الا حقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم حق لانه من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تأويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تأويل كما وقع في قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن ووجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع أهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ أبو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا ان الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس واشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم (فان قلت) فكم أصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردي ان أصول الخلق أربعة أشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق وأما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا في الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فان مولى القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين * قال الماوردي ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين

لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول اذا كان مثل الانبياء وقعوا في مثل ذلك فايش أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة (قلت) وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان العامة اذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بافعالهم والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا أو القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبي والرسول ان النبي انسان أوحي اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث

قابلت وجه انسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة
طويلا وفي المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات في ذلك راجعة الى اختلاف أشكال الرائي لا الى وجه المرئي
وكذلك الرائي للنبي صلى الله عليه وسلم أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته
واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائي
قال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله تعالى واني لارى جماعة من الحمق تشمئز طباعهم من ضرب الامثال
بالمرآة ونحوها في مثل هذا الذي ذكرناه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة
وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل
الله تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعني والله أعلم في الصغر والحقارة فالامثال
أعظم شئ في تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعني ان عين القلب ترى في الامثال من صور المعاني
ماتراه عين الرأس في المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
والكتب المنزلة من السماء اكثرها أمثال مضروبة فعلم ان الرائي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
تلك الصور والاشكال المختلفة رأى له حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهي في الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا
الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الماء فيكون المثال واسطة
لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك
من عجائب قدرته التي تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقي بعيني وبين قولك
رأيت وجه صديقي في الماء اذ المرئي في الحالتين واحد غير أن الله تعالى أجرى العادة أن من نظر في صقيل
كالماء والمرآة يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظن أن في ذلك الصقيل شيأ رآه هو مثال لوجهه وذلك خيال باطل
لان الصقيل في ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد في حالة واحدة فعلى هذا من رأى
النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآني وأطلق
كما انه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي يراه حقيقة
لا مثالا قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله وكان الغزالي رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم ير حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالي أيضا انه
كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل
وشبه رؤية الله في المنام بذلك فلا أدري ما أراد به رحمه الله اه (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد أخبرني الشيخ الصالح عطية
الابناسي والشيخ الصالح قاسم المغربي المقيم في تربة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه والقاضي
زكريا الشافعي انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له في مرة منها اهل أنا من أهل الجنة يارسول الله فقال نعم
فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع
بالسلطان الغوري في ضرورة وقعت لي فقال لي ياعطية أنا أجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة
وأخشى ان اجتمعت بالغوري أن يحتجب صلى الله عليه وسلم عني ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة
تسلم عليه فاكتوى في جسده لضرورة فلم تسلم الملائكة بعد ذلك عقوبة له على الاكتواء اه قال الشيخ
قاسم المذكور وأكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال
وليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هي جمعية خيالية وحالة برزخية
وأمر وجداني لا يدرك حقيقته الا من باشره اه وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير

أصحاب تدبير الاجسام كلها
من جميع أجناس العالم
أطال في ذلك * وقال في الباب
الخامس والخمسين ومائة اعلم
ان النبوة التي هي الاخبار عن
شئ سارية في كل موجود عند
أهل الكشف والوجود لكنه
لا ينطلق على أحد منهم اسم
نبي ولا رسول الا على الملائكة
الذين هم رسل فقط أما غير
الرسل منهم فلا يقال فيهم
ذلك وانما يقال على أحدهم
روح وذلك كالارواح المخلوقة
من أنفاس الذاكرين الله قال
واعلم أن الله تعالى سمى
نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا
مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا
وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا
وأطعنا وليست النبوة بأمر
زائد على هذا وأطال في
أمثلة الامر والنهي (وقال)
في الباب السابع والخمسين
ومائة ينبغي للواعظ ان يراقب
الله في وعظه ويجتنب كل ماكان
فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات
مما ذكره المؤرخون عن
اليهود من ذكر زلات الانبياء
كداود ويوسف عليهما السلام
مع كون الحق تعالى أثنى
عليهم واصطفاهم ثم الداهية
العظمى أن يجعل ذلك في
تفسير القرآن ويقول قال
المفسرون كذا وكذا مع كون
ذلك كله تأويلات فاسدة
بأسانيد واهية عن قوم
غضب الله عليهم وقالوا في الله
تعالى ما قصه علينا في كتابه
وكل واعظ ذكر نحو ذلك في
[illegible]

(فالجواب) حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها ولو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيأ (فان قلت) فهل يقدر أحدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو فى غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحانى على ذلك أبدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم أول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمرج فى اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة فلم أبقى عليهم اسم الجنس الذى هو الجان (فالجواب) انما أبقى عليهم اسم الجن لان الجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان ومعلوم ان الجان عنصرى ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخى النشأة فله وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه الى النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الاشارة اليه فى كلام الماوردى وأعطاه الاسم اللطيف نه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته فى صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف فى العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه وما لا يرى وأما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحانى فى اليقظة الممثلة فى صور لاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم فى نومه مما يشبه بالاجسام ويعطيه الحس وليست هذه الامور فى نفسها بأجسام اه (فان قلت) فهل المرئى بواسطة الصور التى يتطورون فيها الجنى أو الملك هو الملك حقيقة او الجنى (فالجواب) نعم الملك والجنى حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا * وقد سئل بعضهم عن حد الجنى فقال هو حيوان هوائى ناطق من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبر قسمه أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الانس قال الشيخ أبو طاهر ويقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانها اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجنى فيحضرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بنى آدم دخول النار فى الفضة المذابة ترى اهاتضطرب فى البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه فى الحديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود لما خضرهم النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة فى دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور فى التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعنى الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة اه وقال الضحاك يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بأن يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أى آتيناه الحكمة عملا وفصل الخطاب قولا قال والحكمة هى علم بمعلوم خاص ومن شرطها أنها تحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمى الرسن الذى يحكم به الفرس حكمة وكل علم له هذا النعت فهو النعت * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة ليس من شأن أهل الله ان يتصرفوا بلفظة كن اذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختبارا وجعلوا بدلها بسم الله فى كل فعل أرادوه قال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه بعض اسرار الله فى خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات فى جميع ما ورد علينا فى الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف فى ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا فى مذهب من لا يرى أنه مشتق من شئ ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا بيزيد على طريق العلمية وان كان هو فعلا من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو فى جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت على هذا فهى أعلام واذا

صاعدين لصعود أصلهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط أصلهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه عبارات من ألفاظ المنكرين اهالا الاستدلال باسان الخصوم يكون أوقع عندهم وأدعى الى التزام الحجة اه * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لا بد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة أصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما وبشرة الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها المختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصورة الله لهم هيآت اطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان لتلك الانوار أشكالا وصورا لطيفة لائقة بذواتها يتمايز بعضها كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة في اختلافاتها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن أبصارنا العادية اطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتطورون فيها أحيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان أجسامهم لغاية اللطافة والرقة كأنها تمتزج بالهواء فيتصور الهواء بما شاؤا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل قال وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤا كما أقدرنا أن نظهر في أي لباس شئنا وكما ان أشكال اللبس لنا مسخرة كذلك كانت اشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء يعني في سرعة التطور ودقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن اذا أراد الله عز وجل أن يرينا الملك أو الجني كيف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأي شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لان الهواء اذا تكاثف أمكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءني بنيف وسبعين سؤالا في التوحيد يطلب جوابها مني وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فأجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون محجوبين عنا في الجنة كما في الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التي تطوروا فيها أم هم باقون على أصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف أصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها اذ الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفونا (فالجواب) يخالفونا في البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا في جميع الامور وذلك لان أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف

نبوة التشريع التي ليست للاولياء فعلم ان كل رسول لم يختص بشئ في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والستين ومائة قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيي الدين والحق أن مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في حمدهم ولا ثنائهم عليه فان مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال في ذلك * ثم قال فمن لم يكن غني النفس عما بايدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشئ الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين ومائة في قوله تعالى

تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وكان روحا تجسد على صورة سليمان فاذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له فى صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقى ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه فى معاصى الله تعالى أدناها ان يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال فى حال طاعاتك وفى حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو ان المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما أوجد الله ابليس انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الالوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه فى بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون حملهم من ذلك كالقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالانس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع من الفتوحات نعم ويقع منهم حروب عظيمة قال وبعض الزوابع قد يكون من حروبهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدى ذلك المنع الى الدور والمشهور فى الغبرة فى الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن أول من سمى من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث فأبلسه الله تعالى أى طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين باجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقى منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح فى حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس ويصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس فى ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فأسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم أى فأسلم انا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد الا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن أعانني الله عليه فأسلم وفى بعض طرق الحديث فلا يأمرنى الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه فى الجملة ٣ فان ابليس قد أنظره الله تعالى الى يوم الدين يعنى الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح ان يسلم أبدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله أحد فانه لا يصح فى الوجود كله معصيته من أحد الا بواسطته اما بنفسه واما باعوانه والله أعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس أول من عصى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والامر كذلك فكما كان قابيل أول الاشقياء من البشر فكذلك كان ابليس أول الاشقياء من الجن ولذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن أى من هذا الصنف المخلوقين الاشقياء (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال للانسان اكفر فلما كفر يقول له انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطنا (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لانه أول من سن الشرك فى العالم ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا انه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فانه لا بد أن يموت على الكفر قطعا فافهم (فان قلت) ان الكفر الذى أمر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هى له مع عدم وجود اله ثان فى عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى الها آخر فمن أين جاء أن ابليس أول من سن الشرك فى العالم (فالجواب) أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى فى آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك ان المراد بالايمان فى قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد فعلم النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات ثم

لا يعلمها الا هو وأطال فى ذلك *قلت وذكر الشيخ أيضا فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه ثم أسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيى والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك وثم أسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تستروح منها نفس من أسماء العالم كالغنى والعزيز والقدوس وأمثال هذه الاسماء *قال وما وجدنا لله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فانه ما ثم اسم الا على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذى يستدعى العالم ولا بد واما يدل على تنزيه وهو الذى يستروح منه صفات نقص كونى تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصلا الا ان كان ذلك فى علمه وما استأثر به فى غيبه مما لم يبده لنا *قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم أصلا لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام المعانى التى تدل عليها وتلك المعانى هى التى يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعانى هى المسماة بهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقادر فان الاسماء

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح انهم ممنوعون منه الى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا بالخبر ونبأ ما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها قولين قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجني ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود (فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور في أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس بأب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أي يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التي تخفى ان يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها أو يفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد في ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه * ومن دسائسه أيضا انه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والاهلك * ومن دسائسه التي تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولي فان رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على ان ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه أو سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء للناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأي عداوة أشد عداوة ابليس لآدم أم عداوته لذريته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس وعشرين وثلثمائة ان عداوته لبني آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذي في التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء في ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء أشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لتحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذي جعله مقابلا له غيبا بغيب اه (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسي ولا هو جني كما قيل (فالجواب) نعم وذلك في صورة واحدة اذ الشيطان في سائر مراتبه حسي الا في صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوي لا انسي ولا جني (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم ان الشيطان الانسي أو الجني يفتح أحدهما باب الالقاء في قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبها وأمورا لم يقصدها ابليس ولا غيره * قال الشيخ محيي الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذي فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقوها قال وقد أعطى الشيطان قوة التجسد قال

قبلت على طريق المدح فهي أسماء صفات وبهذا ورد جميع الاسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظي فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله بعضهم قال وأما أسماء الضمائر فانما تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وأما ذا فهي من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدني وأقم الصلاة لذكري وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة نا من قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكني عنه وأمثال هذه ومع ذلك فليست اعلاما ولكنها أقوى في الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال وأما لفظة هو فهي أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع [illegible]

حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب للموجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الاشعري وممن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسئلة أظهرها ان كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني واستدل بأن الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل ترجع الى أمر زائد عليها وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلو أن يكون تعلق القدرة باحداهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما أو يكون تعلق القدرة باحداهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من أمرين أيضا اما أن تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما أن تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو أثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين أن التأثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فانها لا تؤثر الا في حال الوجود فقالوا للقاضي قد أثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فأجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الآن بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تيسير الفعل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ أبي الحسن الاشعري انه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيرها في المقدور ولو انه كان في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شئ البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر وقد غلا أبو المعالي اذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير انه لم يثبت للعبد استقلالا بالايجاد ما لم يستند الى سبب آخر ثم سلسل الاسباب في سلسلة الترقي الى الباري جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال في بعض كتبه ان القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة لانها من أثرها * وقال في مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة في ايقاع الفعل ومقدمة عليه * وقال في موضع آخر منه نحن نقول بأن قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلها على شرط الاتصال * وقال في النظامي ان القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد في بيع ماله باذن سيده في البيع قال الشيخ أبو طاهر وحاصل الامر أن أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة في هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الامر أن من زعم ان لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد أشرك وابتدع وما بقي مورد التكليف الا ما يجده العبد في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفي الاضطرار مضطر على الاختيار والله تعالى أعلم هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين * وأما كلام الصوفية في هذه المسئلة فأكثر من أن يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها وزوال اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق

بجملة واحدة * وقال في حديث ان لله تعالى تسعة وتسعين سما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ما أخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فانها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لان الاحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شئ وكل اسم الهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وان كان دعوناه به في نفوسنا لما يؤدي اليه ذلك من الانكار علينا وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة معنى حبنا لربنا ان نحب الاشياء من أجله ونبغض الاشياء من أجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا كما ورد * وقال في قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة في هذه الآية دليل على ان الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول في نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بامر لم تقسم لنا فعله أو تنهانا

قال ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك الى الله فمن أعلمه الله بما أراده في كلامه قال به والا كف عن ذلك انتهى (فان قلت) فهل مجالسة الجان ردية أو محمودة (فالجواب) هي ردية غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحدا جالسهم وحصل له أبدا خير وذلك لان أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع اليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة الانس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة اذهم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع في العالم ومن العالم ان ذلك من كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم ان يطلعوه على شيء من خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم الا العلم الذي ذمته الشرائع قال ومما جربناه ان من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والاخبار انتهى * وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والعشرون في ان الله تعالى خالق لافعال العباد كما هو خالق لذواتهم)

وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة في قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف رحمه الله وقد كان الاوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله تعالى يتحاشون عن اطلاق لفظ الخالق ويكنون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو علي الجبائي وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم الى الوجود تجاسروا على اطلاق لفظ الخالق واعلم يا أخي ان مسئلة الكسب من أدق مسائل الاصول وأغمضها ولا يزيل اشكالها الا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون في ادراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك ان افعال الانس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انكار لها من أحد ثم اذا رجعنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكما جليا بحيث لا يبقى منها حزازة في الصدر * وها أنا أجلي عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان أبو الحسن الاشعري رحمه الله يقول ليس للقدرة الحادثة أثر وانما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التأثير وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول القضيات العقلية في هذه المسئلة ثلاثة وهي اما أن تكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان وأما الثالثة وهي أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهي اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهي بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بما في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما لوجب انه اذا منع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال * بقي ان يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع لوجهان في حالتين يعني كأن يقع الوجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث

فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسن والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها ولا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا انتهى * وذكر أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه اعلم ان الاسم الله بالوضع انما مسماه ذات الحق تعالى عينها الذي بيده ملكوت كل شيء وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحديه الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الاسماء الالهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال في معرض الحجة على من نسب الالوهية الى غير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما قالوا الا بغير الاسم الله فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها وأطال في ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك * وقال ليس في أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الالهي

دلك ومنهم من لم يشهد ذلك قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذى هداه
هو الذى حفظه من دعوى الفعل لنفسه حقيقة وأما القسم الذى لم تحق عليه الضلالة فهو الذى حار ولم يدروهم
القائلون بالكسب وأما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم اه وقال فى الباب الاحد
وثمانين وأربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى فى حال العبادة وفى ذلك تنبيه
عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لا هو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لا غير
* وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة اعلم ان أعمالنا حقيقة لله وحده وانما أضافها الينا ابتلاء
واختبارا المنظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة
أو نضيفها اليه فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف
اليه تعالى ما أضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع فى سوء الادب اه وقال فى
الباب السابع عشر وثلثمائة ومن أراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق
فلينظر فى خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق فى تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب
الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها فالامر كذلك فى صور العالم كله والناس
أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهناك يعرف من أين أتى عليهم فالصغار فى ذلك المجلس يفرحون
ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون ان الله تعالى ما نصب هذا
الامثال لعباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هى حجاب
سر القدر الذى لا يجوز لاحد كشفه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس عشر وأربعمائة مما يدل ذلك
على ان أفعال العبد لله حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب فى حديث كنت سمعه وبصره ويده
ورجله ومعلوم ان العمل ليس هو بجسم الانسان مما هو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف فى باطن
العبد الا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة انهم يخلقون أفعال نفوسهم
لحجابهم عن شهودهم مقوى قواهم انتهى * وقال فى الباب التسعين وأربعمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند
الله أن تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان للمقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه
عند الله تعالى أكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك العمل ولا سيما اذا رأى غيره قد عمل بما سمعه
منه وأطال فى ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الاشارة يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون ان الفعل
لكم وما هو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم ما لا تفعلون حقيقة ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله
صفا أى يقاتلون فى سبيله من ينازع الحق فى اضافة الافعال لى نفسه ويقول ان الفعل لى كالمعتزلة حتى يرجع
الى الحق ويترك النزاع فيضيف الافعال كلها الى الله تعالى * وقال فى الباب الحادى والستين وثلثمائة
اعلم ان الانسان مجبور فى عين اختياره عند كل ذى عقل سليم مع ان جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن
يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال اعراض
والاعراض لا تظهر الا فى جسم وهذا وان كان صدقا معتقدا فنفس أهل الله أن يصرحوا به وانما قالوا الاعمال
لله خلقا وللعبد اسنادا مجازا انتهى * وسمعت أخى الشيخ زين العابدين المرصفى رحمه الله يقول مرار الاختيار
العباد غير مفوض اليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض
لقوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال ان كان خالق أعمالهم وحده فكيف يعذبهم
لانا نقول الثواب والعقاب انما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه لصرف
الاستطاعة التى تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيى الدين فى باب
الوصايا أنت محل للعمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر العمل صورة لانه عرض * وقال فى لواقح الانوار أيضا
محال من الحكيم أن يقول امش بلا مقعد أو افعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقى نسبة الفعل الى

وإزالة الغل للناس والحسد
والحقد لهم وطهارة القلب
من كل صفة مذمومة وتحليته
بالمحمود مع الانفاس ومراعاة
حقوق الله فى نفسه وفى الاشياء
ومراعاة انفاسه فى دخولها
وخروجها وتلقاها بالادب
ويخرجها وعليها خلعة
الحضور فهذه كلها هى
الكرامات عندنا فانه لا يدخلها
مكر ولا استدراج بخلاف
كرامة العامة وايضاح ذلك
ان الكرامة عند الخواص
من لازمها العلم الصحيح
والوفاء بالعهود ومعلومات
الحدود الشرعية لا تنصب
حبالة للمكر الالهى وليست
الدنيا بمحل لخرق العوائد
وانما محل ذلك الدار الآخرة
وأطال فى ذلك * وقال فى
الباب الخامس والثمانين
ومائة اعلم ان ميزان الشرع
الموضوعة فى الارض هى
ما بايدى العلماء من الشريعة
فمهما خرج ولى عن ميزان
الشرع المذكورة مع وجود
عقل التكليف انكرنا عليه
ذلك فان غلب عليه الحال سلم
له حاله ما لم يعارض نصا أو اجماعا
وأما مخالفته لما طريقه الفهم
فلا قال فان ظهر بأمر يوجب
حدا فى ظاهر الشرع ثابت
عند الحاكم أقيمت عليه
الحدود ولا بد ولا يعصمه من
اقامة الحد احتمال أن يكون
كأهل بدر لان المؤاخذة انما
سقطت عن أهل بدر فى الدار
الآخرة ومن قيل له افعل
ما شئت فقد غفرت لك يقتضى

ذكر الشيخ الاكبر في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات أن صورة مسئلة خلق الافعال صورة لام ألف في حروف الهجاء فان الرائي لايدري أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف ويسمى هذا الحرف الذي هو لام ألف حرف الالتباس في الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ماصح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا اه وقال الشيخ أيضا في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة انما أضاف تعالى الاعمال الينا لانها محل الثواب والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا اضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الاحسنا فهو تعالى فاعل فينا ونحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا أضفناه اليه خلقا والينا محلا وما كان من سيء أضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة في ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيآتنا حسنات تبديل حكم لاتبديل عين انتهى * وقال أيضا في الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق مادل العبد على الرب ولا قبل التخلق باخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالامر والنهي وبها بعينها كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق مانبهتك عليه فاني أظن انه ماطرق سمعك قط وان لم تكن كذلك فاتك أدب كثير * وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم أزل أنفي التجلي الالهي في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم انه لايفعل افعل اذ لاقدرة له على الفعل وقد ثبت الامر الالهي للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلابد أن يكون له في المفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا واذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لابد من ذلك وحاصله أن العبد ماصحت له نسبة الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الارض ولو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسماء قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها تلميذي اسماعيل حفظه الله تعالى ولما أفادها لي لم يعرف أحد قدر مادخل على من السرور انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصورى بفتحهما ماكان للاسباب عين ولا ظهر عندها أثر وأنت تعلم أن استناد العالم أكثره الى الاسباب ولولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استند اليها مخلوق فانا لم نشاهد أثرا الامنها وماعقلناه الا عندها فمن الناس من قال بها ولابد ومن الناس من قال عندها ولابد ونحن ومن جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها أي عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الاما لهم فيه تعمل فلابد من حقيقة تكون هنا تعطي صحة الاضافة في العمل اليك مع كون عملك خلقا لله والله خلقكم وما تعملون أي وخلق ماتعملون قال وبعض أهل الاشارة جعلوا ماههنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ فما أضافه تعالى اليك هو عين ما أضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف المعنى ومافعل لك الا ليعلمك ان الامر الواحد له وجوه فمن حيثما هو عمل هو لك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فانه لطيف خفي انتهى (قلت) ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك لان المعنى تعلم مافي نفسي التي هي لك ملك ولا أعلم مافي نفسك التي خلقتها ونفختها في فالنفس في الموضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين خلقا واسنادا والى العبد اسنادا فقط والله تعالى أعلم * قال الشيخ أيضا في الباب التسعين وأربعمائة اعلم ان الحق تعالى ما أضاف الفعل الى العبد الا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل الا لله تعالى غير أن من عباد الله من أشهده

هو ضع لايسئل عما يفعل * وقال بلغني ان العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بي من حبي لك أن لو قلت لي اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فأرسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذي تعجز عنه فقال مهلا يا نبي الله ان المحبين انما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفي هذه عذر عظيم لنحو سيدي عمر بن الفارض واضرابه في تغزلاتهم فلا ينبغي اقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لانهم انما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الاولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية للعامة والمعنوية للخاصة قال والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها [illegible]

وتأمل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شئ من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهى لم ترد لهم امتثال الامر فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بأنفسكم من غير ارادتى وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذى هو الامر الالهى بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أفعال العباد فى حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها والا كانت الصلاة تظهر فى غير مصل والجهاد فى غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها فيمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلى أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا أن العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذى هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التى جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا فى الخطاب والتكليف ومناهاة للمحسن وكان لا يوثق بالحسن فى شئ وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السادس والثمانين ومائتين * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذى يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة فى الظاهر أبواب للحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستر وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون بأن الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى اليه وأخطؤا الشريعة وقوم لا يشهدون ويشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغى أن يقال العبد مجبور فى عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا لان فى ذلك سوء أدب ويرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اه وسيأتى بسط ذلك فى المبحث عقبه * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به فى عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك أن تقف فى حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع فى مهواة من التلف ولا ترى لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفى ذلك هدم للشرائع كلها اه (فان قلت) فما منشأ الخلاف فى مسئلة خلق الافعال بين الفرق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الى ماذا يرجع ذلك التمكن الذى أعطاه الله تعالى للعبد ويجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى كون القدرة الحادثة لها فيما أثر فى تلك العين الموجودة عن تمكنها أو عن الارادة المخلوقة فيما فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبنى كون الانسان مكلفا لعين التمكين الذى يجده من نفسه ولا يحقق بعقله الى ماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور فى اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذى يجده من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال أعطاها لا شئ * وقال فى الباب الاحد وتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوا المشركين فأظهر آمرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل كان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم نقل فيها

آنا نشترط أمر المريد كرة الاستاذ وهو أن نقول الآن أقام الولى بذلك الامر المعجز على تصديق النبى لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولى ما كان معجزة للنبى على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ لقال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذى ذهب اليه الاستاذ هو الذى يعطيه النظر العقلى الا أن يقول الرسول فى وقت تحديه بالمنع فى الوقت خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه وأما ان أطلقه فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * وقال فى الباب الثامن والثمانين ومائة فى حديث ان رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت اعلم ان لله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات فى يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته فى يقظته ما يدركه النائم فى نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذى محله مقدم الدماغ فيفيض عليها

الفاعل ينبغي أن يعرف اهـ (وقال) في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة اعلم انه لا أثر لمخلوق في الاعمال التي تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وانما له فيها حكم لا أثر وأ كثر الناس لا يفرقون بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا أراد ايجاد حركة أو معنى من الامور التي لا يصح وجودها الا في موادها لانها لا تقوم بنفسها فلابد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الامر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم في الايجاد لهذا الممكن وماله فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا تحققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة في الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا اثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذي كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد أضافه اليه وانما المراد ان العبد يمقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى في ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة في الملك دون الشركة في الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه اذ لابد من شركة العبد في الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزه ربه عن الشركة مطلقا فاته مقام الكمال * وقال في الباب الثاني والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الاعلى ونحوها فان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذي هو كانه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من لا آلة ولا دليل في العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود أسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها اهـ * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ في القرآن واثبته ضمير التثنية في القرآن اهـ * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شيء طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئته لا عجزا عن تنفيذه ومثاله طلب من أبي جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبي جهل ان ابايته ما كانت الا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهداكم أجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن في محل أبي جهل أو خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان في محل المخاطب فكونه واجدا انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن وما هي حضرة لوجدان اهـ وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق يتقدم الامر الالهي كما في قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه في الذكر وخلق ايجاد وهو الذي يساوق الامر الالهي فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن للتكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من أنه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذي نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهور المكون لعالم الشهادة بعد أن كان غيبا في علم الله تعالى والسلام * وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصى العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال الرسول أو نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولابد

ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون اسقطت عنك الحدود فعلم ان القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينها واقعة الحلاج وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا ان خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم وحروف بطوالع وذلك لاهل الرصد ومنها ما يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان * وقال في الباب السابع والثمانين ومائة اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي فالجمهور أجازوا ذلك الا الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني فانه منع من ذلك قال الشيخ والصحيح عندنا الا

ر بهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين من الفتوحات ان قوله
أردنا تحته أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل
فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى في ذلك الوقت كان للخضر من
حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه الى الخيرية به أضاف الامر الى الله
تعالى ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه ولو أن الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى كان
يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا
يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة في قوله تعالى ان
الله وملائكته يصلون على النبي فتأمل يا أخي فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق
وقد قالوا لابي بكر رضي الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني فهو وان شهد الامر
من الله تعالى لم يراع ادب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذي نراه
أن السيد أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما
ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة
والسلام والله أعلم * وقال في الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخي أن مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه
الكسب منها من أصعب المسائل قال وقد مكثت دهري كله أستشكلها ولم يفتح لي بالحق فيها على ما هو الامر
عليه الا ليلة تقييدي لهذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح علي بذلك يعسر علي تصور
الفرق بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن
قد عرفت تحقيق هذه المسئلة على القطع الذي لا شك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك
أن الحق تعالى أوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الاول الذي لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده
وقال لي انظر هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة قلت لا يا رب فقال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد
فيه أثر ولا شيء من الخلق فانا الذي أخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتتكون عن أمري خلقت
النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له يا رب فنفسك اذن خاطبت بقولك افعل ولا تفعل فقال لي
اذا طالعتك بشيء من علمي فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يا رب وهذا عين ما نحن فيه
ومن يحاقق ومن يتأدب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وان خلقت الادب فلا
بد من وجوده قال هو ذلك فاسمع وأنصت قلت ذلك لك يا رب اخلق السمع حتى أسمع والانصات حتى أنصت وما
يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لي ما أخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق
به علمي في الازل ولي الحجة البالغة اه وسيأتي ايضاح ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا أخي
في هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال في
الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسئلة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله هذه مسئلة لا يزول اشكالها
في الدنيا وهو معذور في قوله والله تعالى أعلم * (خاتمة) * (ان قيل) ما المراد باضافة الخلق الى عيسى
عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق أن لا يخلق ولا يقدر على ذلك
(فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام للطير انما كان باذن الله تعالى
فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين في الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير
من جملة العبادة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له في ذلك قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون
الله أروني ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في تفسير هذه
الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها اسم العظمة تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو

ولابد كما خلق آدم من تراب
ونحن من ماء مهين وأطال في
ذلك * ثم قال وانما كان صلى
الله عليه وسلم اذا أصبح يقول
لاصحابه هل رأى أحد منكم
رؤيا لان الرؤيا من أجزاء
النبوة لانها مبتدأ الوحي
فكان صلى الله عليه وسلم يحب
أن يشهدها في أمته والناس
في غاية الجهل بهذه المرتبة التي
كان صلى الله عليه وسلم يعتني
بها ويسأل كل يوم عنها
والجهلاء في هذا الزمان اذا
سمعوا بأمر وقع في النوم أو في
الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به
رأسا وقالوا بالمنامات يريد
هؤلاء أن يدركوا مدارك
الصالحين ويستهزؤن بالرائي
اذا اعتمد عليها وهذا جهل
بمقامها قال واعلم ان محل الرؤيا
النشأة العنصرية وليس للملك
رؤيا وذلك لان مكان الرؤيا
ما تحت مقعر فلك القمر خاصة
ولو قدر أن شخصا خرج من
مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك
رؤيا لانه لا يقوم به صفة النوم
وأطال في ذلك (قلت) ذكر
الشيخ شروطا فيمن يرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الباب التاسع عشر وأربعمائة
وكذلك في الباب الخامس
والثلاثين وثلثمائة والباب
الاربعين وخمسمائة فانه
تعلق برؤية الله ورؤية رسوله
صلى الله عليه وسلم وذكر في
الباب الثالث والستين
وثلثمائة الفرق بين الرؤيا
والمبشرات وان الرؤيا أعم

انها القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو قاتلهم * وقال في باب الاسرار ما أجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة له تعالى اهـ وقال في الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد أثرها في نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام في الصلاة وهذه القدرة هي التي أظهرها الفتح الالهي في الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لاحد نافل واياك نستعين فان في الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة في اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعي وأخطأت في اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية في اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعي وعقلي اهـ وقال في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على أن خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وانها ليست من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا ان له من نفسه اختيارا استقلالا * وقال في باب الاسرار ما أمر الله تعالى عباده بنصره الا وأعطاهم الاشتراك في أمره فمن قال لا قدرة لي ويعني الاقتدار وقد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكليف الحق تعالى لم بالعبث اهـ * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها أضفنا اليه أحكام تلك الحضرة وليس سلطان حضرة الخفض الا في المحدث الاتيان ولو كان قرآنا فانه حدث عندهم باتيانه ألا ترى حروف الخفض هي الخافضة للاسماء مع انها دونها في الدرجة وعلو الاسماء فيما يقول العبد أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهي التي تخفض الهاء من الكلمة فاثرت فيما هو أعلى منها الذي هو الاسماء فالعالم وان كان في مقام الخفض في الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض في اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف في أدوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وأبقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر في الطريق التي نحن فيها اذا أثر المحدث في المحدث لم يشركه اثر فيه غير أن يكون محدثا فالحدوث له بمنزلة البناء للحرف والاثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق تعالى قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذي يسمع به وقال فأجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله مع قوله ما على الرسول الا البلاغ اهـ وقال في باب الاسرار ما في الوجود الا فعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش اهـ * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أي ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعني اسناد الا ايجادا وتأمل يا أخي قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا أمرضني بل أضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ولم يقل أمسني الضر فارحمني بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تأمل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فأردت أن أعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف أضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى في قوله تعالى فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فأردنا أن يبدلهما

ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم أو الغائب أو الفاني من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك فيرى الحق في صورة وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزينا من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما جعلها في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال اما عرض أو جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر منه خلقت

الجواب ثم قال وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وأمثالنا
نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن أين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة من يأخذ الحجة على وجه الايمان
ان لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو أن الحق تعالى مكنني من الاحتجاج حين يسألني عن
ذلك لقلت له يارب أنت فعلت بي ذلك ولكنك لا تسئل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام
الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده لا حجة لك على ولو بقلبه فتأمل فى ذلك
وقد قال الشيخ فى الباب السابع والخمسين وأربعمائة فى تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ما وجه
كون حجة الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابع للمعلوم وتميز الحق تعالى انما هو
رتبة الفاعلية اذا لخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه يقوله وكأن
لسان الحق تعالى يقول للعبد الجدل ما تعلق علمي بك حال عدمك الشخصى وأنت فى عالم الغيب عن هذا العالم
الا على ما أنت عليه فانى ما أبرزتك الى الوجود الاعلى قدر ماقبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق
وهنالك تندحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ماهى عين ما
يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعنى بالحجة فوق
عباده وهو الحكيم الخبير أى حيث يظهر على كل صنف صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه ولولا اطلاق
التكليف ما كان خصما ولا عمل لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده
وطلب منهم النصف انتهى فليتأمل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائة فى قوله
تعالى قل فلله الحجة البالغة اعلم ان فى هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم
نحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة
البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعنى فى أصل القسمة الازلية فهذا موضع
لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هناك يسأل الحق تعالى انتهى وسيأتى أوائل المبحث التاسع والعشرين
علم بديع لبعض اليهود فى تصوير وجه محق الغة العبد للقدرة الالهية وانما ذلك غير ممكن فراجعه * وقال
الشيخ فى باب الاسرار من احتج عليك بما سبق فى علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم
جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
لكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الاجهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها
لكانت علما ونفحت فهما وأورثت فى الفؤاد كما دونه تجز القمم لما تؤدى اليه من درس الطريق الاهم
الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ
ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع
بيد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم * وقال الشيخ فى كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه يارب كيف
تؤاخذنى على أمر قدرته على قبل ان أخلق لقال له الحق تعالى اما أنت محل لجريان اقدارى فلا يسعه الا أن
يقول نعم يارب انا محل لجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن تذهب اعتراضك على فان شئت
جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له فحينئذ يقام
عليك ميزان العدل فى قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع
الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا أن ابليس قال يارب كيف تقدر على عدم السجود لآدم ثم تؤاخذنى به
فقال جل وعلا متى علمت أنى قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بعدها فقال
الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذى ينصب للطير وهو الولب المدفون فى
التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدى لها وانما
يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما التقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع فى

عباده اذا هم يستبشرون اعلم
ان السحاب انما يثقله الماء
فاذا ثقل استبشر الناس
بنزوله فينزل كما صعد بما فيه
من الحرارة واذا أثقل اعتمد
على الهواء فانضغط الهواء
فاخذ سفلا خلف وجه الارض
فتقوت الحرارة فى الهواء
فطلب الهواء بما فيه من
الحرارة القوية الصعود الى
الركن الاعظم فوجد السحاب
متراكما فمنعه من الصعود فكاثفه
فاشتعل الهواء فخلق الله من
تلك الشعلة ملكا فسماه برقا
فاضاءبه الجو ثم انطفأ بقوة
الريح كما ينطفئ السراج فزال
ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه
برقا وبقى العين كونا يسبح الله
ثم يصدع الوجه الذى يلى
الارض من السحاب فاذا
مازجه كان كالنكاح فيخلق
الله تعالى من ذلك الالتحام
ملكا سماه رعدا فسبح بحمد
الله فكان بعد البرق لابد من
ذلك فكل برق لابد أن لرعد
يعقبه لان الهواء يصعد مشتعلا
فيخلقه الله ملكا يسميه برقا
وبعد هذا يصدع اسفل
السحاب فيخلق الله الرعد
فيسبح بحمد ربه لما أوجده
وأطال فى ذلك * ثم قال وقد
خلق الله ملك الرعد من
الهواء كما خلقنا تعالى من
الماء وذلك الصوت المسمى
عندنا بالرعد يسبحه وفى ذلك
الوقت يوجده الله فعينه نفس
صورته ويذهب كما يذهب
البرق وذوات الاذناب قال

المرجوع اليه فى هذا الفن فان بعض المنتحلين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا فى كلام العرب جمع من يعقل جمع مالا يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى فى هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا قال وقول سيبويه أولى والسلام وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة حلقت النفخ فى عيسى وخلقت التكوين فى الطائر الى آخره وهذا أمر لا اشكال فيه والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه فى هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها أم الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة أن من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن فى هذه الدار لا يتصرفون بها الان محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها فى بعض الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له فى اظهار المعجزات وهذه المسئلة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فكان أبا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق انه يخلق انسانا باذن الله تعالى أم غاية أمر الخلق أن يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام فى خلقه الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال أورده الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا وفرض فهل هو انسان أو حيوان فى صورة جسم انسان لان الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التى هى أكمل الصور ولكن قد ذكر لنا فى الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المنى الانسانى بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة يفتح عينه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا أدرى أكان انسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا فى صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والعشرون فى بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم)

فلو قدر أن عبدا قال يا رب كيف تؤاخذنى بما قدرته على قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمى بك الا بما أنت عليه ولا افتتاح لعلمى ولا لمعلومى قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فاتى بمثل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك فى علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ الى ذوق هذا العالم والحجج انما تقام فى الاصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى فى شئ أضافه الحق تعالى اليه أو اليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه لا يجرى على العبد الا ما كان هو عليه فى العلم الالهى فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان فى علمه تعالى وما فوق اقامة الحجة هو موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التى كانوا عليها فى علمه تعالى الذى لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما تعلق بهم الا بحسب ما هم عليه وانه تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبى من الانبياء بعض ما أصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه كم تشكونى ولست باهل ذم هكذا بدء شأنك فى علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك الى آخر ما ورد فعلم ان كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيي الدين فى

ترى ما يحدث به نفسه وما
ب به الشيطان أو يحزنه
لم يكن لذلك أثر فيمن رآها
نسه أو رؤيت له ما أثبت
شارع لذلك الخوف مزيلا
سو أمر صاحب الرؤيا
فزعة أن يتفل عن يساره
ثا ويستعيذ بالله من شر
رأى فانها لا تضره ثم يتحول
ن شقه الذى كان نائما عليه
ين الرؤيا الى شقه الآخر
نها تتحول بتحوله ولا تضره
لك كما يحول الانسان رداءه
الاستسقاء فيحول الله حالة
لجدب بالخصب والله أعلم
وقال فى الباب الثامن
التسعين ومائة فى حديث
ن نفس الرحمن يأتينى من
ل اليمن المراد بالنفس هو
عماء الذى هو البخار المسمى
لحق المخلوق به السموات
لارض وما بينهما وليس
و الهواء ولهذا قال صلى الله
يه وسلم فى صفة العماء الذى
ان الحق تعالى فيه من غير
بل قبل أن يخلق الخلق ليس
حته هواء وليس فوقه هواء
نى ان له صفة الفوق والتحت
الفوق فمن كون الحق نسب
نفسه انه فيه واما التحت فمن
يث كون العلم فيه فلو كان
عماء هواء لكان مخلوقا
لحديث أثبت ان العماء
ن قبل خلق الخلق فافهم
تحته * وقال فى قوله تعالى
تر أن الله يزجى سحابا ثم
لف بينه ثم يجعله ركاما
ى الودق يخرج من خلاله

ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف فمراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير عمل منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لأشق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتي بعبادة الا بمشقة وكلفة كأنني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد التي كلفنا بها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من أنفي ودخوله وذلك اني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر أي متعب وهذا أمر لا يذوقه الا من سلك الطريق فاين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى في كل نفس * واعلم يا أخي ان من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا في قبة أرين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما اتهم الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام أمارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا أو كسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلي شيأ ونحن والله لانقطع الصلاة ولكن لنا أماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلي فيها (وأخبرني) الشيخ محمد أيضا ان سيدي ابراهيم المتبولي ما رئي قط يصلي الظهر في مصر أبدا حتى كان بعض الناس يقول كأن الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه في الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدي علي الخواص فكان يصلي في الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوي رحمه الله يقول له ياشيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ (وأخبرني) الشيخ يوسف الكردي انه صلى مع سيدي ابراهيم الظهر في الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذي يؤم فيه وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كأن لونه الزعفران انتهى وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطوني بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فأرباب الاحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع فعلم ان الله تعالى لا يحرم شيأ أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد من أوليائه أبدا لان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مرادا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لا يجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا مع التلبس بالمرض أو غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لا يجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وان كان ذلك جائزا عقلا اذ كره الشيخ في باب أسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد أبحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لاترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو أني بقيت ألف

ومثال الثاني قوله عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الامور اذا وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظا أو معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجما عنهم أقررنا وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا الى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية قولهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا الى هنا قول الله انا معكم انما نحن مستهزؤن حكاية قول المنافقين وقس على ذلك (وقال) في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمى قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين توحيد الغم والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعدما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله في أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضب الله ومن

معصية الا وهو غافل عن شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذى كان فيه هلاكه الابعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سأل فى الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له صلى الله عليه وسلم بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو فى حال الذلة والصغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شئ وخلقنى للغواية وما بيدى من الغواية لنفسى ولا لغيرى شئ وأنزل الله تصديق ذلك انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء والله تعالى أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تحتج بأن ابليس أوقعك فى المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ فى خطبته فى النار ممن أطاعه فى دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين فى تلك الخطبة جهل أهل المعاصى ويقول فى آخرها فلا تلومونى ولوموا أنفسكم فانى ما أغويتكم بوسوستى الا بعد أن ملتم بنفوسكم الى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لى عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلومونى ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبل وسوستى فان نفسكم كلسان الميزان الذى فى الفلك وانا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان فى فلكه لم يخرج فأنتم محفوظون منى فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية خبثه نفذت ارادتكم بالوقوع فأنا تابع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له فى ذلك الموضع ويتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم فى ذلك مستقلا وانما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية وأكثر من ذلك لا يقال * قلت فحاصل هذا المبحث ان العبد هو الذى ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فانه تعالى لا يخبر الا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هى معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيأ ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذى قررناه ما وقعوا فى قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشرى لا يعتقد انه يخلق اعمال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول فى جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول فى الاعمال نفسها فلو قال قائل لله لم تعذبنى على ما ليس من خلقى لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمى بك الا معاقبا على أعمالك ولا يسع العبد الا أن يقول نعم ما تعلق علمك بى الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذى ذكرته لم أر له ذائقا من أهل عصرى وغاية أمرهم ان أحدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم يد لا تقدر أن تعضها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما استشهد بقول الشاعر

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما فى العلم الالهى لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتأمل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم

(المبحث السادس والعشرون فى بيان ان أحدا من الانس والجن لا يخرج عن التكليف ما دام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ما سيأتى بيانه)

اعلم يا أخى ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل ما بقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين

ان

هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق فليتأمل ويحرر * وقال أرجى آية للمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فمن نظر فى الدلائل جهد الطاقة فاداه ذلك الى تخيل شبهة انها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا فى زعم الناظر والا فمن المحال أن يكون ثم دليل فى نفس الأمر على اله آخر فلم يبق الا ان تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس فى قوته أكثر من هذا وأطال فى ذلك بنحو ثلاثة أوراق * ثم قال وانما نكر الها لانه لم يكن ثم اذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على ان من ادعى مع الله الها آخر فقد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم لانه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحقق وأطال فى ذلك (قلت) وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم انه لا يتمشى الا على مذهب من يقول ان المخطئ فى الاصول لا وزر عليه كما لو أخطأ فى الفروع وهو مذهب بعضهم خلافا للجمهور * وقال اذا تلوت القرآن فاعلم بمن تترجم فان الله تعالى تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الاول قوله لا تحزن ان الله معنا

مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن أكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا أن الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم لعظيم ما شاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحي ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجى بثوبه ويرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ما جاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين ومعلوم ان مواجيده صلى الله عليه وسلم التي كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة يبقين من نزول ملك أو وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستندا لذلك الهول ونعلم أنه لولا أن الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ما رد الله عليهم عقولهم فلذلك أعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين في كل عصر فافهم * واعلم أيضا انه ما ثم وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط في ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي والنبي وقالوا النبي يصرف الاحوال عنه والولي تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين أحوالهم والاولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ما ذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لا يحس بجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق * واعلم أن حالة أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التي جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه في حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه في حال بسط فعمره كله بسط وضحك أو تبسم وان جذبه في حال كلام دنيوي فكذلك أو أخروي فكذلك حتى اني رأيت بعض القضاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول لا حقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا الى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت في نصبه وخفضه الى آخره فتأمل في هذا المبحث فانك لا تجده مجموعا في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون في بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولا يقال انها بالحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لا يصح أن يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم انه لا ينبغي أن يعلل أفعال الحق بالحكمة * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين وثلثمائة في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الباء في قوله بالحق بمعنى اللام أي للحق قال وهي عين اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان الله تعالى لا يخلق شيأ بشيء في الغالب وانما يخلق شيأ عند شيء وعلم أيضا انه تعالى اذا أخبر انه خلق شيأ بشيء فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذ خلقه تعالى لا يعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم أيضا أنه تعالى ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه (فان قيل) فما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي ولا أبالي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتي سبقت غضبي في حق أهل الجنة وحقت كلمتي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا في حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذ هي سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لا يبالي بالفريقين واعلم ان الاسم الرب مع أهل الجنة لانها دار أنس وجمال وتنزل الهي لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانها دار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال الصرف أم بالجلال الممزوج كما في دار الدنيا (فالجواب) لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف

وسكت عما عداه وتقدم قوله في الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ ولعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الارض فراجعه والله تعالى أعلم * وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لا ينتفع بنفسه بخلافه اذا ولد في سبعة أو تسعة وذلك لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأطال في ذلك * وقال العرش مستدير الشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوي بان الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة وشبهه بشكل مستدير وهي الحلقة وكذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى

عام مانقصت من أو زادى شيأ الا بعذر شرعى انتهى * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبى فى غير زمان تكليفه فلو قتل أحدا لم يقم عليه حد وانما يحبس الى ان يبلغ و يقتل بما قتل فى صباه الا ان يعفو ولى الدم فقد آخذه بما لم يفعله فى زمان تكليفه وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا معنويا لما هو عقوبة ماجرى منه فى الزمان الذى لم يكن فيه مكلفا من الافعال التى تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدى وكل خير يفعله الصبى يكتب له حتى الحج ولوليه الذى حج به أجر المعونة التى لا يقدر الصبى على فعلها انتهى وقد سبق فى مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبى وانفاذ الوعيد فى حق البرىء فراجعه * وقال الشيخ فى الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذى أقول به ان من غلب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا فهو تحت خطاب الشارع حالا لبعضهم وذلك لانه ما ثم حال ولا صفة فى مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد أباح للصبى والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهى حكم شرعى فعلى هذا فما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل والمجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات فى حالة شهود دوامت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفى القبر انتهى (فان قلت) فلم سمى المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات انه انما سمى مجذوبا لجذب الحق تعالى له وأخذه باعطافه ولولا انه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو أحلى وألذ فان أحوال المجاذيب فى لذاتهم لا يعادلها لذة لكون اللذة معنوية فى غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هى أعلى وأجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته أم تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيى الدين وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا لذته حلاوة قط (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كونى من غذاء أو جوع أو فزع ونحو ذلك وأما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلى الالهى الذى جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول ويسمى هؤلاء عقلاء المجانين أى المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة أقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه بصرفه الحال ولا تدبير له فى نفسه وكان أبو عقال المغربى من أهل هذا المقام (الثانى) من يمسك عليه عقله فى حضرة الله تعالى ويبقى عليه عقل حواسه فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويتناول العيش الطبيعى كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال ورجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن روية وتدبير

مثل

أجل الله فامدلهم فى التمتع بمقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كانوا فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثى شبر * وقال انما كنت اذهب الى تفضيل الملا الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى الدليل على ذلك فى واقعة وقعت لى وكنت قبل هذه الواقعة لا اذهب فى هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلى رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى وتقدم ذلك أيضا عنه فى الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتى فى الباب الثالث والستين وثلثمائة قوله بعد كلام طويل ليس يدرك ما قلناه سوى رجل قد جاوز الملأ العلوى والرسل وهام فيما يطلب الخلق أجمعه تحصيله وسها عن نفسه وسلا ذلك الرسول رسول الله أحمد نا رب الوسيلة فى أوصافه كملا فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل

رزقه الذي قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقيت الله خير لكم وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التي تقويهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ما تقوى به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه اه وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ومرادنا به والانسان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا لها وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر اه * وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد في حديث أغنني بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز

(خاتمة) في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا لان الحق تعالى جعل الرزق على حالين فما سبق في علم الله أنه يأتيك محمولا بلا سعي لا يقال فيه ان السعي أفضل وما سبق في علم الله انه لا يأتيك الا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي أفضل فان الرزق في طلب صاحبه دائر والمرزوق في طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شئ رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا فاقتراهم يتعاطونه وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما في أيدي الناس فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا اه وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه لا بد من حيث كونه حيا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه ولا يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب اه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وان لامه أحد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه ان يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ وينظر فان وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا

كان هو الذي تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير اهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه قال وأما ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيي الدين في الفتوحات المصرية ان الذي يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعالى شئ لانعقاد الاجماع على ذلك والله أعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور الا أهل الكشف والوجود فانها املائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم في واقعة وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه يقول القارئ ألم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول في ألف لام ميم صاد وأخواتها وهم أربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد

افقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالاة باهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم التهمم بامرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بأمرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدي عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بأمرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام أبي القاسم بن قسي لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من الصفتين ليس محلا للحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم فضله ولا يقال في هذا انه حكم فضله في عدله اذ محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والعشرون في بيان انه لا رازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مؤوي وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال أهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة أو نحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب ما لا يملك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم أيضا أنه لا يكون رزق الله تعالى الا حلالا لاستناده الى الله تعالى في الجملة وما أسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح أن يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسبابه * قال أهل السنة و يلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا أنه عليه وان كان لا يجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء في نحو حديث اني حرمت الظلم على نفسي الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا بأخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده الى الله تعالى في الجملة أي لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وقال بعضهم الذي يظهر لي ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافي لا مطلق ويحتمل أن يكون أكابر المعتزلة ما نفوا اضافة الرزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب أنه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث والخير كله في يديك والشر ليس اليك أي لا يضاف اليك على وجه التشريف ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم أغنني بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لاسيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظي فلا بأس به وان أرادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اهـ وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى يوصل لكل مخلوق

وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته ان يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات وأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش و بين الاستواء على العرش فان من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال فعلم ان هذا العرش الذي تحف به الملائكة هو الذي يأتي الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذي عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن اما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء وقال زيارة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته في دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه *وقال ينبغي لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهل الكشف ان يبحث ويسأل علماء الشريعة عن كل شئ ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات في الجنة حين يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الكشف أنه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو أن

لامعارضة بذلك فعلم أن مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه فى دعواه الالوهية فى غاية الاشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الاصول فى العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذى أوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع مايقع على يد الدجال ليس هو بأمور حقيقية وانما هى أمور متخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف مايقع على يد الانبياء فانها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ ويشرع دعاء لامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل فى صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك فى ان ماجاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيي الدين فى لواقح الانوار نحن لانشترط المعجزة على الرسل عليهم الصلاة والسلام لانها ماخرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا أتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز فى ذلك عدم الاتيان ممن أرسل اليهم بمثل ذلك الذى تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه فى نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزة الى الايمان فرأينا ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم وأما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب فى الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء انتهى وقد نظم بعض اليهود بالشام أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوى وطلب الجواب عنها وأجابه الشيخ رحمه الله وهى

أيا علماء الدين ذمى دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ماقضى ربى بكفرى بزعمكم * ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب دونى فهل الى الدخول سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالمقضى ياقوم راضيا * فربى لايرضى بشؤم بليتى
وهل لى رضا ماليس يرضاه سيدى * وقد حرت دلونى على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وماقد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس بسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كما الرى بعد الشرب والشبع الذى * يكون عقيب الاكل فى كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاء الاله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطى أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب مما رفضته * مع الامن والايمان لفظ الشهادة

العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم ان الهواء لايسمى ريحا الا اذا تحرك وتموج فاذا اشتدت حركته كان زعزعا وان لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجرى به الجوارى ويطفأ به السراج وتشتعل النار وتتحرك المياه والاشجار ويموج البحر وتزلزل الارض ويزجى السحاب * قال واعلم ان روح الماء من الهواء ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ فى العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمى بدنه فى زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده مايجده من الحرارة لما فى الهواء من برودة الماء فان صورة الهواء من الماء * وقال فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اعلم ان الله تعالى ماجعل تكون دواب البحر الملح الا فى العذب منه خاصة فان الله تعالى أجرى فى قعره عيونا وانهارا عذبة وجعل للارض نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فتتكون حيوانات البحر الملح فى الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ماتكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الاعظم فيستحيل

في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب اه والله تعالى أعلم * (انتهت مباحث الالوهية وتوابعها) * ولنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول وبالله التوفيق

*(المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) *

اعلم ان الحق تعالى ما أرسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمن الله تعالى عليهم بأن أقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة يزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في ارساله لك فانه لا فرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شيء من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لا غير فان جميع الآيات انما وقعت على يدي الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر ألا ترى الى قصة الاسراء لما صرح الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرائه وما وقع له مع ربه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا ذلك أثرا في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون اليه اذا رأوه قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة بكان لا يراه أحد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل اليه فمسح أبو مدين عينيه بثوب أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لا يعرفه أبو يعزى ولا غيره قال الشيخ فمن جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة اه * فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا لتأسيس الانقياد قومهم لهم اذ من شأن البشر أن لا ينقاد لبعضه بعضا الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلناه تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة فأظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهوره ذلك دليلا على صدقه نازلا منزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وأصل التحدي أنه تفعل من الحداء أي تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر اه * وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ

ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس ويس وحم وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبأيديها من شعب الايمان ما يحفظ عليه ايمانه * وقال في قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشيء الا أثرت فيه ولولا الاثير الذي هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الارض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم * قال واعلم ان الاثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فما في الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير أثر فيه لتحركه اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فيحدث الكواكب ذوات الاذناب لانها هواء محترق مشتعل وهي سريعة الاندفاع وان أردت تحقيق هذا فانظر الى شرر النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي

الاول أن يمكن صرفه فيدعي في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة اذا أتيت به دليل على صدق دعواى فان الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته ذلك بعد العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف * الضرب الثاني أن يأتي بامر لا يكون في مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على طريق العلم انه حي في نفس الامر عزيز لا يدركه الا أهل الكشف منا فانا رأينا عصا موسى حية وعصى السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين ولهذا كان الوصول الى علم ذلك عزيزا جدا اه (فان قلت) فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصى لا حيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لا ان الحبال والعصى انعدمت اذ لو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصا موسى فكانت الشبهة تدخل عليهم في عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط وبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا افتنبه يا أخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال والعصى بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصى وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة الا أن سحره أقوى من سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من عصاه ليعلم السحرة ان ذلك ليس هو بسحره فان أحد الايخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له في نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان في ضمن السحر الكفر لان الارواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمي السحر سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا بسكون الحاء ما هو باطل محقق فيكون عدما فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله أعلم فعلم ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم في المعجزة أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظر الى قدرة الله تعالى وانما هي من آثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن احياء الموتى الانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لا بد أن يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه ان مرادهم بقولهم القرآن معجزة أن نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة

له شفاء حياته الا الحرارة واليبس فكان يقال في ذلك الحال وجعلنا من النار كل شيء حي ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شيء حي ولو افرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال في هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شيء حي وأطال في ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم ان الحرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا (قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة في الشبهات وليكونوا في حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطعمة التي بها غذاؤها والله أعلم * وقال في قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم الآية اعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء

فانت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعى اذ قضى لى بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم فى مبحث خلق الافعال ان هذه المسئلة من أشكل الامور فراجعه والله أعلم * ورأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ أبى طاهر القزوينى رحمه الله مانصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهى فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوّة مقترنا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولى تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان فى ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يامعشر الحاضرين انى رسول هذا الملك واليه آية صدقى أن الملك يقوم و يرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك فى الحال و يرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعى أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولى قال وانما راعى فى ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعى فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعى للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم لسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وعلم محمدا القرآن ثم قال فأتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبى الذى هو أول الانبياء وعلى صدق النبى الذى هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه له تأثير و ينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه اه كلام الشيخ أبى طاهر رحمه الله * وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله يقول تعرف نبوّة النبى بامور منها أن يدعو الى طاعة الله و ينهى عن معاصيه * ومنها أن لا يخالف مايدعو الناس اليه و يعرف هو نبوّة نفسه * ومنها أن يخلق الله له علما ضروريا فيعرف أنه رسول * ومنها أن يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها أن يخبره الله بما فى قلبه وصدره فيضطر النبى الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا أخى ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدى والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ فى الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالغلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء بها وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة فى ناظر عين الرائين لا فى نفس الامر وأطال فى ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا ان خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها الطبعى الى الانقياد للشرع فى كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا أول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفى الحقيقة الامر جديد ابدا وما ثم مايعود فما ثم خرق عادة وانما هو أمر يظهر نرى مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب الناس عن هذه الحقيقة بل مارأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصرى وقد نبهتك على ماهو الامر عليه ان كنت تعقل ما أقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثمانين ومائة *

منه مايستحيل و يلحق بعنصره مايلحق على قدر ماسبق فى علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج واليه يعود * وقال فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم ان طبقات الارض سبع كطبقات السموات فى كونها واحدة فوق واحدة قال صلى الله عليه وسلم فمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع أرضين وذلك أنه اذا غصب شيأ من الارض كان ماتحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد فى سجود العبد على الارض من أن يطهر الله ذلك الموضع بسجدته الى سبع أرضين وقوله يتنزل الامر بينهن أى بين السموات والارضين ولو كانت أرضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذى قررناه هو الظاهر وهو الذى أعطاه كشفنا والله أعلم * وقال فى قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون اعلم ان العالم كله فى قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض فى المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه مايرطبه وقوله أفلا يؤمنون أى فلا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلا الذى هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه اليبس والرطوبة هلك ولم يكن

الى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد فى تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وأنكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد والسبعين وماتتين فى قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن فى جميع أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع أظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير فى أهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع اه (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدى يقوم مقام تصديق الله تعالى النبى بالقول كما مر وأما الكهانة فهى كلمات تجرى على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبى لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبى اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجه ذلك ان الناس قد أشبعوا القول فى استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم انه تعالى يظهر الآيات على أيدى الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم ان ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) انا انما جوزنا الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدى الى المحال فان كل ما أدى الى المحال فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما أن يقع على خلاف المعلوم واما أن يتناقض الدليل والمدلول فيه وأما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما أن يؤدى الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربعة وجوه تؤدى الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدى نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وأنت رسولى كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له أنت رسولى صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم وقد ذكر الشيخ أبو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذى نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال فى ذلك فى كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وأن يكون فى أيام التكليف لان الذى يظهر فى القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدى لانه قد يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هنالك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى أعلم فتأمل فى هذا المبحث فانه نفيس والله أعلم

(المبحث الثلاثون فى بيان حكمة بعثة الرسل فى كل زمان وقع فيه ارسال عليهم الصلاة والسلام)

وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه فى المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه فى الوضع فلا يسمى الشئ بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما فى حديث سيأتى على أمتى زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أى فتح الباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الامام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لاجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو تزبيرا فاستحلوها بالاسم وقالوا انما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الاضافة فهو مثل قول الخضر فاردت أن أعيبها وقال فاردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فاراد ربك لتخلص المحمدة فيه فافاد أن الشئ الواحد يكتسب ذما بالنسبة الى جهة ويكتسب حمدا بالاضافة الى جهة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السفر فى الطاعة وحال السفر فى المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الادب فى الاعداد فهو أن لا يزيد فى أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذى هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن فى العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه فى مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان جمهور العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى وخالف فى ذلك المعتزلة والشيخ أبو اسحق الاسفراينى فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبى أن يكون مثله كرامة لولى من سائر الخوارق وانما مبالغ الكرامة اجابة دعوة أو موافاة ماء فى بادية لاماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذى قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا انى أشترط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو أنا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولى الا أن يقوم ذلك الولى بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبى دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا أن يقول ذلك الرسول فى وقت تحديه بمنع وقوعها فى ذلك الوقت خاصة أو فى مدة حياته خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه وأما ان أطلق ذلك النبى ولم يقيد فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * قال اليافعى اليمنى رحمه الله ولا يرد على قولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبى الى آخره القرآن العظيم لزوم التحدى فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبى أن يتحدى بها ويظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولى اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبى وكان اليافعى رحمه الله يقول يجب على الولى اخفاء الكرامة الا عن ضرورة أو اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذى غرف عسلا من الهواء ووضعه بين يدى مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما ان المعجزة تقع عند قصد النبى صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولى وقال بعضهم يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولى وانما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدى والكرامة لا يتحدى بها الولى وقال بعضهم يجوز للولى أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته اذا رأى فى ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك أن الولى اذا ادعى بفعل خارق للعادة انه ولى فان ذلك لا يقدح فى معجزة النبى بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبى فانه يكذب فى دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى ولا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدى الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدى الاولياء عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال اه (فان قلت) هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أما الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هى أو أثرها بعد النبى زمانا والسحر سريع الزوال وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبى على رؤس الاشهاد وعظماء البلاد والشعبذة انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزوينى رحمه الله وقد اختلف الناس فى السحر وأثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فينقلب الانسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان أمثال هذه خرافات العوام واسمار النسوة وأطال فى ذكر النيرنجيات والقلفطيريات فى كتابه سراج العقول قال والسحر فى اللغة اراءة الباطل فى صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهى منسوبة

الآن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وذلك مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا أمر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ماقسمه الحق تعالى لنا أم لم يقسمه ولا يسع الرسول الا أن يقول افعلوا ما قسمه لكم فاذا قالوا هل نفعله فى الوقت الذى قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول فى الوقت الذى قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهى متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك فى الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد أفتى المالكية بكفر من قال ان فى كل جنس من الحيوانات نذيرا منه اليها (فان قلت) فما تقولون فى قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير وفى قوله الا أمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد فى الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بأن لها نذيرا منها فاياك والغلط (فان قلت) فمتى ينقطع حكم التكليف فى حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف فى حق أهل الجنة وأهل النار بالموت ماعدا أهل الاعراف الى أن يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا أن تكليفهم باق الى ذلك الوقت ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها (فان قلت) فما أول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هى مكلفة من يوم ألست بربكم فلو أن تكليفها وفعلها موجود ذلك اليوم ماخوطبت ولا أجابت وعلى ماورد فى الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول فى ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم فى دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف أمره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى فى عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت فى كتاب سراج العقول للامام أبى طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه اعلم ان الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للكون أثر ولا للمكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم فى الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجئ اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقى * وزاد النزاع وجد القدم

بعثت اليك برحل الرسول * وناجاك عنى لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ه ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ لا يجب عليه تعالى شئ البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوّة (فالجواب) هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولى واصطفيتك لنفسى كما مر فى المبحث قبله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوّة مكتسبة أو موهوبة (فالجواب) ليست النبوّة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوّة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوّة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهى الى المعاينة وهى من فضل الله ورحمته وتدبيره فى الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوّة صفة راجعة الى اصطفاء الله شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذى هو النبى حتى انه يقال استحق النبوّة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوّة مأخوذة من النبأ وهو الخبر واذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر فلا يقال له حكم النبوّة

الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم والعارف متخلق بأخلاق الحق فى ذلك ويؤيد هذا الذى قررناه ان الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزأ من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة فى الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الاجزاء علينا وما قارب الشئ أعطى حكمه فافهم والله أعلم * وقال فى الباب السابع ومائتين اعلم أن معاصى الخواص ليست كمعاصى غيرهم حتى يقعوا فى المعاصى بحكم الشهوة الطبيعية وانما تكون معاصى الخواص بالخطأ فى التأويل وايضاح ذلك ان الحق تعالى اذا أراد ايقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع فى ذلك العمل بتأويل لان معرفة العارف تمنعه من الوقوع فى المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فان العارف لا يقع فى انتهاك الحرمة أبدا ثم اذا وقع فى ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذى أداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التأويل كما ان المجتهد فى زمان فتواه بأمر ما اعتقادا أن ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة لا يوصف بخطأ ثم

اعلم ان الاصل فى هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عاند بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدى قال الشيخ محيى الدين رحمه الله واعلم أن جميع الحدود التى حدها الله أى قدرها الرب سبحانه وتعالى فى هذه الدار لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء الاعيان الممكنات فى هذه الدار وسلامتها من الفساد فاما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقى فى نظر نفوس الاكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون النواميس فى كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذى تقتضيه طباع تلك الناحية فاحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس فى الاصطلاح هو الذى يأتى بخير عكس الجاسوس فهذه هى النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الالهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه اه * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم أنه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية فى أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك أجرا تاما من باب ان الله لا يضيع أجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين فى زمن الشرائع فلا ينبغى استعمالها الان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وقال أيضا فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم ان الشرع شرعان شرع منزل الهى وشرع حكمى سياسى عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن نذير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة فى حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعى هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) انه لم يكن لهم علم بذلك كما انه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من أحوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم فى أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء فى كل زمان على ابقاء الصلاح فى هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم فى ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا فى البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فأورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها فى حق العالم فلما أورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع وثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى أعلم * وأما القسم الثانى المسمى بشريعة حقيقة فهو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التى ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما مر فى مبحث المعجزات اذ لو اشتغلت العقول بأمور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا أن كل انسان منا يجهل بالضرورة مآله والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد أو شقاوته ان شقى وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهى له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من أهل القبضتين عن الآخر * فعلم أن بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقى من شقى الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر فى ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدى من أحببت وكذلك ليس لابليس أثر فى الاضلال انما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب فى النار ويقول ما كان لى عليكم من سلطان

وكذا القول فى أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد فى الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه فى المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه فى المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذى باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال فى الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل للنفس شيأ بعد شئ حتى يلتحق بدرجة العبيد الخالص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تمييز عندها فى ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضى سيده وتحمل الفاجر لحلم الله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وبنعمه وجحده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم انه كلما اتسعت دائرة العبد فى المعارف كلما طولب بتحمل الاذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وانه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لقهر ولم يصبر وفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات فى ذاتها لا تنقلب حتى تقوم

كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية ولولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيأ فى ضوء النهار ولذلك من أعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لانها طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهى اليه * فعلم ان الماشى فى هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والاهبت عليه رياح زعازع أطفأته وأذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شئ يؤثر فى نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعنى السراج حتى يحار فى الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى فى فروع الشريعة وهى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط فى وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة نعم يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى يبنى عليه وجوب امتثال أمره واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر أو باشراق نور فى القلب فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا فى غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول وحينئذ ان جحد بعدما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه اليه كما مر وفى هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما انطوى الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدى ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد أن يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذى منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى فانهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون أى حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعفو بقلب من يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع فى نفس الامر فى حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) أن من شروط الداعى الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعاه بغير الحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ فى آخر الباب الثانى والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهدوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك أن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما أشعرها فى صفحة سنامها الايمن الذى هو أرفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التى كانوا عليها فى نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان فى ذلك اشعار من الله تعالى أن يصفح عمن هذه صفته اذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل فى رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التى كانت فى البدن اذ لا يصفع بالنعال الا ذو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقى عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهى من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين فى ترقيهم فى مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة

جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أى فاذا كان الجبل الذى هو الاقوى صار دكا عند التجلى فكيف يكون موسى من حيث جبلته الصغيرة يثبت لرؤيتى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب العاشر ومائتين من أراد أن يعرف بغض الحق أو محبته له فلينظر الى حاله الذى هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم ان الله تعالى يحبه والا فليحكم بان الله يبغضه والانسان على نفسه بصيرة * وقال فى الباب الحادى عشر ومائتين فى قوله تعالى لا تدركه الابصار يحتمل ذلك وجهين احدهما انه نفى ان تدركه الابصار على طريق التنبيه على الحقائق أى على معنى ان المدرك له تعالى ليس هو الابصار وانما يدركه

باق عليه أبدا حيا اوميتا كما أن حكم نكاحه كذلك * وفي الحديث زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة وفي الحديث أيضا الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله أعلم (فان قيل) هلا أرسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بينهم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول أبشرا منا واحدا نتبعه (فالجواب) أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكا لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا فان عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة باعيانهم وصفاتهم في صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمي من صورة الملك الذي يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق عجائب في أعالي الهند وأقاصي بلاد الصين وجزائرها أناسا اذا أبصروا أحدا منا خروا على وجوههم ميتين ولو أبصر منا واحد صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم الا تراءى عليهم فمات لوقته ولقد ربطوا انسانا بحبال وثيقة وقالوا له أنظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعا قطعا * وحديث بدء الوحي مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولا بحراء قاعدا على كرسي بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملوني فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا الى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا استماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون أي لماتوا من هيبته في الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى أيضا وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق في قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجئ لنا الا بمساعدة الطبع فلا ندري من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التي جبل عليها الانسان لا تتبدل فانها اذا ثبتت له في هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وأمثال ذلك ثم لما سبق في علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها اليها حكما مشروعا فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلى ٣ عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها ان تقع في شئ ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير أيضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل في المواطن التي أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وعاداه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير في حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات في المصارف التي ندب الحق تعالى اليها لمجاهدها بها ولملائكته ورسله وبيان ذلك أيضا ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما أهلك الناس الا سلطان الاغراض فانه الذي أدخل الالم عليهم والمكر ولو انهم كانوا صرفوا أغراضهم الى ما أراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك (فالجواب)

في ثاني الحال اذا ظهر له بالدليل انه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر انه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن لعبد ان يعصي ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبدا قال وأما قول أبي يزيد لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافي ذلك أي لان من ادب العارفين مع ربهم ان لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشئ فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التأويل والتزيين فاعلم ذلك * وقال في الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفي بابليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائما في غير معمل فكلما وسوس لولي في شئ خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلا ونهارا وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم * وقال في الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤيته به لان من صفات الجبل الثبوت أي فان ثبت الجبل اذا تجليت له فانك ستراني من حيث ما في ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان

كما

(الجزء الثاني)
من كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر
للامام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

*(بحلى الهوامش بقية كتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم
الشيخ الاكبر لصاحب اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف
الله تعالى له أسنى الاجور)*

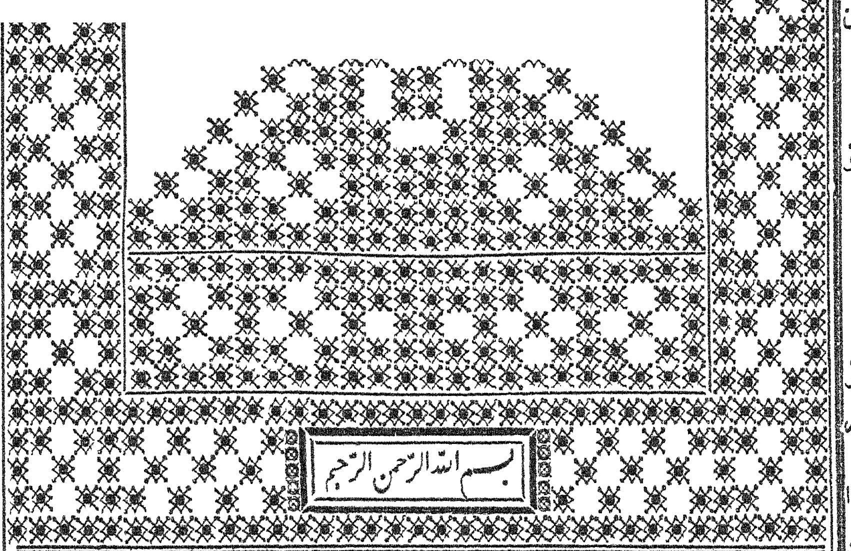
الله لهما ويرقوا أهلها في درجاتها والله أعلم * (خاتمة) * في آثار بعثة الرسل اعلم ان من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيده به خاصة فكل ماتمنى في ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان في أمة بعث فيها رسول أو خلق في أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) أن الله تعالى ماجعل هذين القرينين في حق المولود نفسه وانما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيهم فيهزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيئا مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف سببا مثيرا في الغير ضجرا وسخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لا لاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود في زمن لاشرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية أم لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود في أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الى أن يموت مالم يرسل اليه رسول أو يدخل هو في دين الهي يتعبد به أي دين كان مشروعا من الله أو غيره مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده ان يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لا يدرك ان ثم آخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشرا بعد الموت ولا يعرف هذا المدرك أنه ماهو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر في مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس في دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى في الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس في دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله وتسبيح بحمده لا يعصى الله ما أمره وكذلك أعضاء جسد الانسان وجسد الجني ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لا على جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل يتعشقون بذلك كلا من الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والانس في الجنة والنار فانه لا على طريق القربة لكونهم لا تنفع لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هنالك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هنالك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد ورفع التكليف والوقوع في المخالفات فلا يصير القرين يحدثه بشئ يكتبه والله تعالى أعلم

(تم الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر ويليه الجزء الثاني أوله المبحث الحادي والثلاثون)

المبصرون بالابصار * والوجه الثاني لاتدركه الابصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الالهي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نور اني اراه لمن سأله هل رأيت ربك يعني بالبصر المقيد بالجارحة فعلم ان الابصار اذا لم تتقيد بالجارحة ادركته تعالى بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث عشر ومائتين ماذكر الله تعالى قط احد عن غفلة بجوارحه كلها الا اللسان الذي هو المترجم قد ذكروا انما الغفلة عن شعور الذاكر بانه ذاكر فالذاكر باللسان أجوذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة * وقال في الباب السادس عشر ومائتين من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من امامه بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد * وقال في الباب التاسع عشر ومائتين في قوله تعالى أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون انما قال سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم يقل أأنتم تخلقون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين ايجاده منيا خاصة والاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره وهو قوله تعالى في أي صورة ماشاء ركبك يعني شاء الاسم المصور

من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول فى حديث انه ليغان على قلبى فاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبى مما اطلعت عليه مما يقع لامتى بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم أكثر من سبعين مرة اه وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب وأجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من كان فى حجاب عن مقامهم وأى فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك لا والله بل ذلك الى الاثم أقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل كما روى فى الصحيح ان جبريل أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان فى مكانه * قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أو دم يصيبه وحاشى حشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك * قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب توقف العقول الضعيفة وقوع الاشتباه فى مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات وذلك قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال فى ذلك * وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الدرينى رضى الله عنه لا يجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماها الله تعالى فى حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لا ذوق لولى فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من أمثالنا وذلك لانهم معصومون من الوقوع فى ذنوبنا وغاية خطاياهم انما هو مثل نظره الى مباح أو لفظة زائدة تهار عونة ومكر وهو باطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى ما دعوه اليه من اللهو واللعب أى مائل الى السقم ونحو ذلك اه وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء مما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه بأكبر الكبائر وذلك كمسئلة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما نظروا فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك فى احياء الله الموتى معاذ الله ان يشك نبى فى مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأى وجه منها يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيى الله الموتى فما كان السؤال الا عن معرفة الكيف لا غير وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم أنبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين اه * وقال أيضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله تعالى فى أنبيائه وملائكته

وظهر اجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باحاطته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذى فعله الحق تعالى فى ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فاجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ولذلك لا تفتح لهم أبواب السماء اذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقى فافهم هداك الله تعالى * وقال فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخى هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم ان المتصف به ممكور به * وقال فى الباب الرابع والثلاثين ومائتين من النكت الجليلة التى ينبغى التنبيه عليها ان تعلم يا أخى ان المؤمن لا يأتى قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فانه لابد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فى حال عملها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله



بسم الله الرحمن الرحيم

(المبحث الحادى والثلاثون)

فى بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الاكمل وذلك لدوام عكوفهم فى حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون أنه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور فى حقه مخالفة قط حقيقية وانما هى مخالفة صورية كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها عصم الانبياء وحفظ الاولياء فالأولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن أقام فيها من الاولياء كسهل بن عبد الله التسترى وسيدى ابراهيم المتبولى فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين فى مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ فى دين الله قطعا وفاقا للاستاذ أبى اسحق الاسفراينى وأبى الفتح الشهرستانى والقاضى عياض والشيخ تقى الدين السبكى وغيرهم وقال جماعة لا ينبغى اجراء الخلاف فى الانبياء والمرسلين أبدا وانما الخلاف فى الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو أدبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة وأيضا فان الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو أنه صدق عليه الوقوع فى معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصى ولا قائل بذلك أبدا وعبارة الشيخ محيى الدين فى الفتوحات ويشترط فى حق الرسول العصمة فى جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم فى غير ما يبلغه فمن مقام آخر كان يخاطب بالتأسى به فيصير ذلك التأسى أصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز اه وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف فى الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لابد أن ينبهوا عليها على الفور وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة كل يوم فكان لاجل الترقى فى المقامات فكان يستغفر

لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى أى بل آمنت ولكن لوجود الاحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته بأربع عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته بيديك ومنهم من أوجدته ابتداء ومنهم من أوجدته عن خلق آخر فطلبت العلم بكيفية الامر فان كان واحدا فاى واحد من هذه الامور والانواع فاذا أعلمتنى به اطمأن قلبى وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمر تنابه فاحال سبحانه وتعالى ابراهيم على الكيفية بالطيور الاربعة التى هى مثال الطبائع الاربعة اخبارا بان وجود الآخرة طبيعى يعنى فتحشر الاجسام الطبيعية اذ كان ثم من يقول لا تحشر الاجسام وانما الحشر حشر النفوس بالموت الى النفس الكلية مجردة عن الهيا كل الطبيعية فاخبر الله تعالى ابراهيم ان الامر ليس هو كما زعم هؤلاء فاحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما بان الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعى الا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف

قال الشيخ أبو مدين انما خلد أهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم (فان قلت) فهل قوله حين تبرأ من الذين كفروا بقوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به أم لا (فالجواب) ليس هو بتوحيد لانه لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره فى نفسه على الصورة التى اذا حصلت فى نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها فى نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا فى نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر أن صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك فى نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم ان ابليس أول مشرك بالله وأول من سن الشرك فهو أشقى العالمين (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فى آدم عليه السلام عصى وفى ابليس أبى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة ان ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا مشافهة لاهله (فان قلت) فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام (فالجواب) هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما أمرت الانبياء به ولولا علمه بها لربما التبس عليه الامر فامر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ فى باب الحج من الفتوحات ان من أغرب الامور ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف فى عرفة وانما يقف فى عرنة بفتح الراء وهى من عرفات فيقف يبكى على ما فاته من طاعة الله عز وجل ويحزن على ما فاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء أن تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرنة لعلمهم بان عنده معرفة الله عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز فى الجملة اه (فان قلت) فما الحكمة فى وقوع آدم عليه السلام فى أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التى هى دون الحضرة التى كان فيها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثلاثين ان الحكمة فى ذلك كله تأنيس العلماء والاولياء اذا وقعوا فى زلة فانحطوا عن مقامهم العلى وظنوا انهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذى أحسوا به فى نفوسهم لا يقضى بشقائهم ولا بد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوى والسفلى كله حضراته فليست السماء التى أهبط منها أقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولى فى عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقى فقد انتقل بالزلة الى مقام أعلى مما كان فيه لان علو الولى انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولى بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى ما لم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقى فعلم أن من فقد هذه الحالة فى زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو فى أسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات أهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابى يزيد البسطامى أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصى ولانه يعصى أدبا مع الله تعالى ومعنى وكان أمر الله قدرا مقدورا أى ان معصية أهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح فى حقهم أن يقعوا فى المعاصى قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان فى ذلك انها كالحرمات الله تعالى وأهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصى والتلذذ بها فان الايمان المكتوب فى قلوبهم يمنعهم من ذلك * قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ومن حكمة وقوع العبد فى المخالفة للاوامر وقوعه فى مقام الادلال بالطاعات وعجبه بها فان توالى الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهودا أنهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على أحد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذى أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الادلال فهو كاذب اه (فان قلت) قد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان أن ذلك يؤذن بان آدم

بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبى ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا فى ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تطمينا له صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التى جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم فى دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أحبنائهم فافهم هذا اعتقادنا الذى نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائتين لا بد لطالب طريق الله تعالى من رمى ما بيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدى الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا وباطنا ولا يبقى له قط ملكا قال ولا ينبغى له ان ينتظر حالة ينشرح لاخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان فى باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا عما بايدينا من المال اذ لم يكن لنا اذ ذاك شيخ نحكمه فى ذلك قال ثم انى لم أسأل ما جرى لذلك المال الى يومى هذا وأطال فى الاستدلال على ذلك * وقال

و يستحيي من الله عز وجل و يجتنب الطامات في وعظه كالقول في ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد أثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود وقال ثم ان الداهية العظمى حملهم ذلك تفسير الكلام الله تعالى ويقولون في تفسيرهم قال المفسرون في قصة داود انه نظر الى امرأة أوريا فأعجبته فأرسله في غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم في قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم في قصة قوم لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد العجز والتحري ونحو ذلك و يعتمدون على تأويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل ذلك دهليزا ومهادا لمن في قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصي و يحتج بما سمعه منه في حق الانبياء و يقول اذا كان الانبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصي ولكن قد ورد انه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ و يعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه اه (فان قلت) فما الفرق بين العصمة والحفظ (فالجواب) الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح اذا التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين في آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية * وقد حبب لي أن أذكر لك بعض أجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا الباب الاجوبة عن باقيهم فأقول و بالله التوفيق

اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهي عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في المنهي عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون قط من حال الا الى أعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم أبدا * قال ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام أهبط بصدق الوعد السابق بأن يكون خليفة في الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه و بعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام في مقابلة قول ابليس أنا خير منه الخ فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا أوامر ربنا فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كاهو وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية أن كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن و رجم لنحذر من أن نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة له دون آدم فما هبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانه أهبط للخلافة والترقي في الدرجات فان جميع حسنات بنيه في صحائفه وليس عليه من أوزارهم شئ (فان قلت) ان معصية ابليس لا تقتضي تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها أقرب الى اسمه تعالى النور لما فيها من الاضاءة بخلاف الطين (فالجواب) انما جاء الشقاء الابدي من اعتراضه على الله ونسبة أفعاله الى غير الحكمة مع اضماره في نفسه أنه لو بقي أبد الآبدين لوسوس للناس بالضلال فجوزي بنظير فعله ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد

اجبة الوقوع فلا بد له من توبة وحاصل الامر انه وعمل صالح من ثلاثة وجوه ذو عمل سئ من وجه واحد نامر * وقال في قوله تعالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره م يتعرض سبحانه في هذه لآية للمؤاخذة به ولكن لابد من رؤيته لكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين لا يجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله في السماع ان يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال في الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار لانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن أمور تدق عن عقولنا لانه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب (قلت) ويصح حمل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليهم من حيث

كما أشار اليه قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها لا لاجل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدى حدوده ومجاهرته بالمعاصى (فان قلت) فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عبده سيآته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار اليه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فالجواب) لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان فى نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بانه يبدل سيآته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الاربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا الا لامر عظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أنسى الله تعالى خواص أوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكأنه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفاء فى وقت الصفاء جفاء انتهى * وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه أشد من الذنب اصفاء الحضرة التى كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مر لانها ذنوب بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما بلغنا ان شخصا من العارفين مر على جدار فانحبس عنده بالبكاء فقيل له ما سبب هذا البكاء فقال وقع لى أننى تيممت من تراب بغير اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكى عليه أحد ولو من صالحى زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع ومائتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتألم النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا فى صورة دحية وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه فى أى صورة شاء وكان دحية أجمل أهل زمانه فكأن الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بينى وبينك الا صورة الجمال والحسن لانك أعظم حبيب وفى آداب الملوك انه ينبغى للوزراء أن لا يكون فى أحدهم عاهة من برص أو جذام أو تشويه خلقة وأن لا يحضر بين يديهم قط أحد فى بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن يقفوه بين يدى السلطان فافهم وكان من كمال دحية انه ما رآه حامل دخل المدينة الا ألقت ما فى بطنها لما أدركها فى نفسها من شهود ذلك الجمال واعلم تلق الحوامل ما فى بطنها عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه أجمل من دحية بالا يتقارب لانه مشرع والناس مأمورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر أحد برؤيته (فان قلت) ما صورة تبديل السيآت بالحسنات هل تصير نفس المعصية التى وقعت حسنة فى صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه فالجواب كما قاله بعض أهل الكشف أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة فى الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تشاكلها فان كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر أعظم عنايات الله تعالى بالعبدان صح لانه يعطى النفس حظها فى الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له فى صحيفته أعمالا صالحة لم يعمل عينها فعلم أن الله تعالى اذا بدل سيآت العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم عليه (فان) قيل فهل يصح أن يعصى أحد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى فى اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه (فالجواب) لا يصح ذلك لعارف أبدا الا ان المخصوص بما كشف بقلبه فى حضرة الاحسان على الدوام ولو قدر أنه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه فى ذلك الفعل (فان قيل) قد تقدم قول أبى يزيد حين سئل ايعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فجوز وقوع العارف فى سائر المعاصى (فالجواب) وهو كذلك فجائز فى حق الولى أن يكفر بعد ايمان فضلا عن المعاصى الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوز أبو يزيد ذلك وعدمه أدبا مع الله تعالى أن يحكم عليه بشئ معين كما مر أوائل المبحث أى ان كان الله تعالى قدر على العارف

الخاصة أو يريد عموم الحكم فى ذلك فان حد الرامى انما كان لرميه ولكونه ما جاء باربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور فى نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم فى المرمى فيقتل وله الاجر التام فى الآخرة مع ثبوت الحكم عليه فى الدنيا وعلى شهود الزور والمفترى العقوبة فى الاخرى وان حكم الحق فى الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم وانكم لتختصمون الى ولعل أحدكم يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله حقا مع كونه معاقبا عليه فى الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونهما صدقا فما كل صدق فى الشرع تقترن به السعادة وأطال فى ذلك * ثم قال فى الباب الثالث والستين ومائتين فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصرى والوجود الحسى النافى للشك جملة اذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبدا فان الشريعة من جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المنال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى فليتأمل

عليه السلام أثرت فيه المعصية نقصانًا (فالجواب) ليس اسوداده علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك أورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج من الجنة وهو أبيض فلا بد من أثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا اذا رجع الى الجنة ويتميز به عن اقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الالهي فجعله يمين الله في الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما لنا بأنه صار سيدا بخروجه من الجنة الى الدنيا (قلت) ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود وكذلك عمائم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة فعلم ان معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم أي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة له للتناسل والترقي (فان قلت) فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه (قلنا) وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام وبنيه بسبب خطاياهم (فان قلت) فلم أمر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به (فالجواب) انما أمروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها وبالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فأمرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع انه أنقص رتبة منهم فمنهم من أطاع فرضي الله تعالى عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه * (فان قلت) قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في أكله من الشجرة * (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع ومائتين أن المعرفة تمنع العارف بلا شك ولكن اذا أراد الله تعالى ان يوقع أحدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبقت بها علمه فلا بد أن يزين الله تعالى له الوقوع في ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب في المعصية بذلك التأويل أظهر الله له فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انها عصت وأما في حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه انه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك (فان قلت) فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب أشد أم عقوبة الجاهلين (فالجواب) أن عقوبة العارفين بالله تعالى أشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل أشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة أشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك أشد من العقوبة الشديدة في يوم وتنقضي كما قال تعالى والفتنة أشد من القتل ولهذا المعنى الذي ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه اياه لانه لو تذكره لاستحى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة أعظم من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه حتى ان صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيأ مذكورا كما قالت الكاملة ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع أن حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها ولا بأبيها وأمها

في الباب الاحد وخمسين ومائتين في قوله تعالى وقل رب زدني علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شئ فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو الهي فما قال بالري الا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فينا فالعلوم الى غير نهاية وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الامر قال بكل جماعة قال والمسئلة تحتاج الى سبر ادلة وتحقيق نظر فان العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وان صدقوا اذا لم يأتوا بأربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها ولا جاؤا عليه بأربعة شهداء كما قرر في الحكم فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هم يلبهذه الاشارة هذه القضية

في هذا الوجود ما كان مكنونا في علمي وبحكم أسمائي في أهل حضراتها من السعداء والاشقياء وتظهر حجتي على عبادي قبل أن أخرجهم من جواري فان علمي سبق بذلك وانا كريم ومن شأن الكريم أن لا يخرج أحدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ما قلته لك من سري فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم أني أذنت لك في القرب منها فاقرب لأقيم عليك الحجة وأخرجك الى دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التي أنت فيها الآن لا تكليف فيها ولا ترقي لاحد باعماله كما هي أعمال أهل الجنة التي يؤول أمر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الان يبادر الى ما أذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي أسره الحق لآدم عليه السلام وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق في فعل شئ والامر به واحد في تلك الحضرة كما صرح به الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والثلاثين من أسئلة الحكيم الترمذي وانما افرق بينهما في لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة في أحكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اكتفى الحق تعالى فيها بالجاء العبد في الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ أبو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشئ الفلاني الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية اهـ * فعلم ان في نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما للذرية المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له في أكله من الشجرة سرا على ما مر في كلام أبي مدين تشريعا للذريته فكان بكاؤه صوريا * فان قلت فلم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها (فالجواب) انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معاصيه تعالى ولو أنه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثيرة من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * وأما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف أن يشتد عليهم غضب الله تعالى أكثر مما كانوا فيه وقد أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدنا اذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسي حاشا الانبياء من ذلك وقال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي يعتذر بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق تعالى يربي أنبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى أدبني ربي فأحسن تأديبي اهـ * وأما الجواب عن السيد أيوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما أمطر الله تعالى عليه رجلا ٣ من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن خيرك وبركتك * فالجواب أن أكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم أخذ الدنيا وامساكها فان كان أيوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند أهل الله تعالى ليست هي الا كتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدي به قومه فما فعل الا ما هو أولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لا سيما وأيوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسئلة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة

في قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين الآية اعلم ان علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شوهد فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينيا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فاذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشئ الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فطالب الكثرة حتى يصح وجودها وأطال في بيان الفرق بين هذه المراتب فليتأمل فانه نفيس * وقال في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله

المعصية فلابد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل أو تزيين أو غفلة أو سهو كما أشار اليه حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم الحديث يعني العقول الذاكرة انها بين يدي الله عز وجل حال عصيانهم الاعقول التكاليف فافهم ذلك والغلط والله تعالى أعلم (فان قلت) قد قال الحق جل وعلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وآدم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة في أكل آدم عليه السلام من الشجرة (فالجواب) ان ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور * من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله تعالى انه له من الناصحين * ومنها أنه قال له انما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن أكل ثمرها ومنها كما هو مشهور في الاجوبة عن آدم عليه السلام فما أتاه من صورة ما نهى عنه وانما أتاه من صورة ما لم ينهه عنه الذي هو الاكل * وايضاح ذلك ان ابليس اذا أراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة أو الحفظ محيطا به تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولي مثلا انه انسان لا شيطان ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل عليه فيما يجر عليه تأويلا ادناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فاذا أصغى اليه يقول له افعل فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس يعلم ان الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين فاذا أعطاه ابليس هذا الاصل صار العبد من أهل الاجتهاد في وقوعه في الذنب أو تركه فان أخطأ فله أجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ مادام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسي ما قاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام * قال الشيخ محيي الدين وانما أكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد أن أحدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم أن تلك الاكلة أعقبته الخلد في جنته وملكا لا يبلى على رغم أنف ابليس لكن من غير ما قصده ولآدم انما كان قصده له ان يقع في الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له (فان قلت) فهل يمكن ان يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الخير الذي آل أمر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا (فالجواب) لا يصح من ابليس قصد ذلك أبدا لانه ليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى رد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه ويصطفيه ضد ما قصده ابليس * وكان الشيخ أبو العباس العريني شيخ الشيخ محيي الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان في ظهره من ذريته الذين هم أهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر أولاده وكان الشيخ أبو مدين التلمساني يقول لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها وفي رواية أخرى لو علم آدم حين أكله من الشجرة ما يؤول أمره اليه من الخير لأكل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته في الباب الخامس وثلثمائة فراجعه ترى العجب في غرائب تلك العلوم * وقد سنح لي أن أضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق أبيك عليه الصلاة والسلام فأقول وبالله التوفيق * اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قضى في سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلابد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتحا القبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا لقبضة السعادة فابليس شقي وآدم عليه السلام سعيد وذريته الذين اقتفوا آثاره في التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بأن ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وأضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا في معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصي من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه اني أريد أن أظهر

ويحرر هداك الله تعالى * وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه اعلم انه لابد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيئا بعد شيء الى دخولهم الجنة فأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلابد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا نقل الى البرزخ فلابد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح أي من أين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فانهم ما قالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا كما قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال في الباب التاسع والستين ومائتين

فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة الملذوذة فانها كانت محلا له * قال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذ كان متعلقه الخيل ولابد فيكون اختباره اذا رآها هل يحبها عن ذكر ربه لها أو يحبها لعينها فأخبر عليه السلام انه أحبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها اجزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فأجابه الحق تعالى الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين فى الدنيا فان كل شئ تنعموا به فى الدنيا نقص من نعيمهم فى الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكن شئ يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع فى الدنيا ومحال أن يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه أو يحببهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم وقد ذكر الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر ما سألوا الله تعالى التوسع فى الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما أحكموا الزهد فى الدنيا والقناعة منها بالقليل أمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشئ فسألوا الله التوسع فى الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وايتلذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا أهل الجدة والسعة فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى اليهم فى ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام لم يقدح فى كماله سؤاله الدنيا أن تكون له بأسرها لفقد العلة التى كرهت الدنيا من أجلها * وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الامان فأعطاها فقالت ما ملكك الذى اعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمى فقالت أف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التى يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغى لاحد من بعدك انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ فى هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلى به على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة * وأما قول بعض العلماء ان الضمير فى توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها على اذ الشمس ليس ردها فى يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل فى رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذى فى توارت وردوها الشمس دون الخيل اتبعناه والله أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ثم مقام يقتضى طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة اه * وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التى استغفر منها وخر راكعا وأناب فكانت نظرة فجاة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة أخى داود النظر وذلك انه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد أنه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم أن مؤاخذة الاكابر فى الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من ان خطيئة داود كانت هى النظر الى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك فى حديث والله أعلم وقد بسط ذلك فى مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات انه وجد اجتمعت بروح يوسف

والسبعين ومائتين فى قوله تعالى ثم قضى أجلا وهو نهاية عمر كل حى يقبل الموت وأجل مسمى عنده وهو ميقات حياة كل من كان قبل الموت فى حياته الاولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعنى فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم فى كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية فى البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل أجل الموت مسمى لانه اذا نفخ فى الصور صعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله واستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والسبعين ومائتين فى قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما نزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فان أول كلام الله فقد أضجعه بعدما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط فى حق كل أحد قال والمراد بقوله لأكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعنى العلم المكتسب وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائتين فى قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى فقد أهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر

مقنعى رؤسهم أى رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسئلونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم أن من سأل غير ربه فهو ظالم الان يرى أن ذلك الغير باب من أبواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه أو الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه أى الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الرابع والتسعين اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما أمسكوا الدنيا الا باطلاع عرفانى انتج لهم ما شغفهم فى الامساك من نفع الانفس بالاقوات التى قدر الله تعالى وصولها الاصحابها فى أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو فى ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو يقول لاغنى لى عن بركتك اه * وأما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله أن لن نقدر عليه أن يونس عليه السلام ظن أن الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أى ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الالهى على نفسه فقط ولم ينظر ذلك فى حق غيره من أمته فلما ظن أن رحمة الله تعالى لا تنالهم أثر غضبه ظلمة فى ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فأسكن فى ظلمة بطن الحوت ماشاء الله تعالى لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا فى بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان فى ذلك الموطن يتصور منه أن يغضب أو يغاضب بل كان فى كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه فرده تعالى الى هذه الحالة فى بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أى سبحانك يارب تفعل ماتريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله كنت من الظالمين أى أثر غضبى رجع على ما أنت ظلمتنى لان علمك ماتعلق بى الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق بكمال النبوة فى قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم وقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بنى آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم ورباه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فعطاه الله تعالى هذه الشجرة التى من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن فى النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ فى الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات * وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء لا يخاف أحدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها انه يجب على الكامل الفرار من كل شئ يؤذى بدنه أو يلحقه بالعدم وان خالف ذلك أثم ومنها أن فى الخوف عدم تعطيل الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم * وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو أن تعلم يا أخى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكنهم انما المراد انه لما أحب الخير الذى هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه واعلامه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب الا للاخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى أتانى الخير من حيث المحبة كالخير فى حبه ولهذا لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد اشتاق اليها

فقال

تعالى الطلاق من ثان الآية

اعلم ان الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين فى أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشياطين فانهم فى ذلك تحت اذن الهى قال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال فى الباب الثانى والسبعين ومائتين فى قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذى لا يشارك فى أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا فى القرآن هل اطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين فى هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فانه صفة تقبل الاشتراك ولهذا أطلقت الاحدية على كل سوى الله فى القرآن فى نحو قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان كان مذهبنا اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع

معصوما عن كل ما ينقص مقامه الا كمل قبل النبوة و بعدها كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل الى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللعب فاذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان فى ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر * وفى المثل السائر من العصمة أن لا تجد و يسمى هذا المقام علم الحاصل فى عين الفائت كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فكان فى ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل اه وقد تقدم أوائل المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فأستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وان المراد بذلك انه كان دائم الترقى وكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام أرفع * وفى باب الوصايا للشيخ محيى الدين اذا كان الحق تعالى يجيب دعوة الداعى اذا دعاه وينبغى للعبد أن يتحدث فى مناجاته للحق تعالى بما علمه قبل ذلك فانه تضييع للوقت وانما ينبغى له أن يطلب دائما أمرا جديدا انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الخامس والخمسين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد بهذا الخطاب و جميع العتاب الذى عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غيره من الامة نحو يا أيها النبى اتق الله لئن أشركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فكان من فتوته صلى الله عليه وسلم انه تحمل عن أمته صولة الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا أحسن الاجوبة * قال وأما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هى لكون الحق تعالى ستر عنهم فى هذه الدار العلم بأن جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما ينكشف لهم ذلك كله فى الدار الآخرة وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم من قولنا ان المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك غيره أن الحق تعالى من شأنه أن يؤدب الكبير بالصغير وكما أدب تعالى الامة بتأديب رسولها التملغ باستعمال ذلك الادب الى نيل مأمولها فالمخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه بالحث عليه اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية هو من باب قولهم اياك أعنى واسمعى ياجاره كما يشهد لذلك قرائن الاحوال * قال والحكمة فى ذلك مقابلة لاعراض الكفار عن استماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك أعرض الحق عنهم فى الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فأسمعهم فى غيرهم عقوبة لهم واستهانة بامرهم اه * وقال الشيخ فى الباب السابع والأربعين ومائتين اعلم انه لا يشترط فى استغفار الاكابر أن يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف أن يبدو منهم ما كان ينبغى ستره من الاحوال التى لم يؤمروا بذكرها لقومهم ولهذا ما نقل عن نبى قط أنه ندم على ما قاله مما أوحى به اليه ولا سمع منه كلام عادى فى حال الوحى حتى يفرغ من تنزله عليه فاذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع * قال وأما ما كان عن نظر من غير وارد وحى فقد يمكن أن يندم على ما جرى منه كما وقع له فى أسارى بدر انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وما الذى أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات أن سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم فى خشيته من الناس قوله فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام لو كنت مكانه لأجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وذلك ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف فى اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته اذ لو بقى الاحتمال لقدح فى عدالته وهو رسول من الله عز وجل فلا بد لأمته فى طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشى صلى الله عليه وسلم من الناس أن يعيبوا عليه تزوجه بزوجة من تبناه حتى

تطالب السكون كالرحيم والغفار ونحوهما فانها متقابلات لذاتها بمثل هذه المقابلة كان المقتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذى له وجد العصر وقد ألفيت بك على مدرجة لكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض فى شكواه لاخيه ما به من المرض كما يستعين باخيه واذا انفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح * وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين فى قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس الآية اعلم ان ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حى والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم فى موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذى هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا العلم بالله سبق الى كل نفس فى الاخذ الميثاقى حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الانفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم

عليه الصلاة والسلام في بعض الاسرا آت الروحية فقال له يانبي الله مامعنى الاشتراك في اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين في ماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على أحدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل النسوة فما ذكرت المرأة الا انها راودتني عن نفسي وماذكرت اني راودتها فافهم ماقلته لك فانه بديع ولما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى أمر همي وهمها وقلت له يانبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني على ما كانت أرادت مني وهممت أنا بها لأقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها فكأنه تعالى يقول ولقد همت به يعني في عين ماهم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء في قصتي قط أني راودتها عن نفسها فأراني الله تعالى البرهان غير ارادتي القهر في دفعها عني أولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا أي لاتعنف عليها يايوسف وسسها فانها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال قال الشيخ محيي الدين فقلت له أفدتني أفادك الله تعالى فاعلم ذلك * وأما الجواب عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان روحه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له ياأبت لم قلت ولكن ليطمئن قلبي مع انك من المؤمنين بذلك بلاشك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من أوجده الله تعالى عن كلمة كن ومنهم من أوجده بيديه ومنهم من أوجده ابتداء ومنهم من أوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا أعلمني به اطمأن قلبي * قلت وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الخامس والعشرين ومائتين والله أعلم ولنرجع الى المعنى الذي نحن فيه * قال الشيخ وقلت له ياأبت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فماذا أردت باشارتك بقولك هذا قال لي أنت تعلم المراد بها فقلت اني أعلم انها اشارة ابتداء وخبر محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسألوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال هي نسبة المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت فهو يشفين مع انه في الحقيقة لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي فكان في اضافة المرض الى نفسي ثم طلبي المغفرة من تلك الاضافة أدبا فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الانبياء في الدنيا والآخرة فقال لان الصالح من شرطه أن لايضيف الى نفسه شيأ الا باضافة الله تعالى وقد أضفت الى نفسي وغيرها ماليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى بقولي واذا مرضت وقولي اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا * فقلت له ياأبت فما قولك في الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي ألا ترى الى ما قال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد قومي في الاله الا أنه نمرود ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمرود الههم وانما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرأ نمرود أن ينسب الاحياء والاماتة الى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال أنا أحيي وأميت فعدل الى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني علمت قصور أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب في افهامهم بذكر اتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتي بها من المغرب فبهت الذين كفر تعجيزا له من الله تعالى * ولنختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لاتحصى ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل

بالشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة الا العصر فهي غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف في ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهور وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك في كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر أخواتها فلذلك عظمها النبي صلى الله عليه وسلم للمناسبة التي فيها الصفات الحق من حيث نفي الحدود وقد أنشد

صلاة العصر ليس لها شبيه
لنظم الشمل فيها بالحبيب

أي لان العصر حقيقة ضم شئ الى آخر لاستخراج مطلوب ما وهو هنا ضم ذات عبد مطلق في عبودية لايشوبها ربوبية بوجه من الوجوه الى ذات حق مطلق لايشوبها عبودية أصلا بوجه من الاسماء التي

المقسطين * وهنا نكتة ينبغي لك يا أخي أن تعرفها وهي أن الملك العزيز في قومه ما جاء اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه بخلاف ظهره قبل أن يأتيك فما أتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبر وتلك في نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وأنزله أنت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وأدخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد * وكان سيدي علي الخوّاص رحمه الله تعالى يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التي تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغي له الاقبال على كل نعت الهي من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع أن أحدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة أخرى فعلم انه لا ينبغي القياس على هذا العتاب وطرده في حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا باكرام كريم كل قوم اذا أتانا كما مر فافهم وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو من تعظيم الرب جل وعلا وأما تعظيم الفقراء فانما ذلك جبر لقلوبهم لانكسارها انتهى * وقال في تفسير هذه الآية أيضا في الباب الثالث والستين ومائة اعلم أن الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغني الحميد أي هو الذي يستحق أن يثنى عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو الصفة الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الالهية فيهم فانها تعطي بذاتها الشرف والرفعة في ذلك الوقت الذي تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعليم أمته أن يتصدوا لكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا في ذلك المقام أمروا بالترقي الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شيء منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما أخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم أن أكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم أطاعوه وأحبوه وأسلموا فاسلم باسلامهم خلق كثير قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم أي ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم (فان قلت) فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذي قدمناه (فالجواب) انما عاتبه واعلمنا بذلك تأديبا لنا فان الانسان محل العلات وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضي عرض له من حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التي ظهرت في الاغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى في الآية أما من استغنى بسين الطلب وما قال أما من هو غني فكان مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء اليه قال الشيخ وأكثر الناس غافلون عن هذا الادب الثاني فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون أن اقبال العارفين على أحد من الرؤساء والاغنياء انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان أهل الله تعالى اذا خافوا ان أحدا من العوام يتبعهم على تعظيم الاغنياء من غير فهم المعنى الذي قصدوه وخافوا ان يزدادوا بذلك الفعل رغبة في الدنيا فلهم اظهار الانفة على الاغنياء والرؤساء تقديما للمصلحة المحجوبين وتأمل قولهم شرط الداعي الى الله عز وجل أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم في شيء يمنون به عليه فعرف أنه ينبغي له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغي له قبول صدقاتهم واحسانهم لانه يهون بذلك في أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بأيديهم وكف نفسه عنهم اما بمال أو قناعة قال تعالى ادع الى سبيل

مال اليهم بقلبه وشهادة الزور هي الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل اليهم تعشقا لصفة الموت أن تحل به فان الميت لا حكم له في نفسه وانما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا اباية ولا جحد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر أن يكون ميتا في اعماله الظاهرة والباطنة التي يتعلق بها التكليف ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شيء لا المقضي والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثمانين ومائتين ليس للشيطان على قلوب الانبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الاولياء ألا ترى ان الشيطان لعنه الله لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة من العصمة أن يصل الى قلبه كيف جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة من نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان ان يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فانه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولي فان الشيطان يلقي اليه في قلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع ان يلبس عليه حاله وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائتين ينبغي للعارف اذا كان في مجلسه من

لا يردوا دعوة الحق عليه فعلم أن الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح في كماله صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول وأي رسول ثم انه تعالى لما أذاقه ألم الجرح في مقامه داواه بابانته عن العلة في ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الحرج في مثل ذلك عن المؤمنين فأذاق الحق تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذاق يوسف حين لم يجب الداعي وطلب أن تكون البراءة في غيبته لكونها أكثر تنزيها له لانه لو حضر ربما قيل ما ذكروه الا في وجهه حياء منه ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية في كل ما لم يؤمر بفعله حتى يأتيه أمر الله فهنالك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لأجبت الداعي الثناء على يوسف بالقوة في عدم خروجه من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقر في نفوس أمته ما يقبلون به دعاء ربه في كل ما يدعوهم اليه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج طلبا للبراءة بجد الى عن نفسي لتثبت براءتي عند من أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة أن ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كأنه تعالى يقول أفعلت يا محمد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا فاما أن يقول عند ذلك نعم أولا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لاسيما مع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفا مطلقا لان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى وبمواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذي يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات أيضا في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ذكر أهل التفسير انه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم قال والذي عندنا نحن من العلم الالهي أن هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام لمن أنصف وأعطى كلام الله تعالى حقه في الفهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى آخر النسق هل معناه على ظاهره أم المراد به غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع وثلثمائة ليس ذلك العتاب على ظاهره وانما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ليعلمه انه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك وايضاح ذلك أن الحق تعالى يغار لعبده المنكسر القلب من أجل ربه أشد مما يغار لمن تظاهر بصفات العظمة فاذا حضر عندك ملك مطاع نافذ الامر زائرا ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فأقبل على الفقير أكثر من الملك الا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التي جاءك لاجلها * فعلم أن تجلي الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل في غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق بأهل الجنة في الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لاجل صفة عز أو قهر ظهرت في غير محلها وأطال في ذلك * وأما معنى قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ في الباب التاسع والاربعين وخمسمائة ان معناه العتاب في حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غني أو فقير وفي الحديث اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب

جود الله اذ كان من ضرورة
عقل العلم بوجود الله فلهذا
سماه ميتا فلما رد اليه علمه
حيي به كما ترد الارواح الى
أجسامها في الدار الآخرة
يوم البعث وقوله كمن مثله
في الظلمات يريد مقابلة النور
الذي يمشي به في الناس وما
يوعين الحياة اذ الحياة
الاقرار بوجود الله والنور
المجعول بتوحيد الله والموت
الجهل بوجود الله والظلمات
الجهل بتوحيد الله ولهذا لم
يذكر الحق تعالى في الاخذ
الميثاق الا الاقرار بوجود الله
لا بتوحيده فما تعرض للتوحيد
فقال ألست بربكم قالوا بلى
فأقروا له بالربوبية التي هي
السيادة وأطال في ذلك
* وقال في قوله تعالى ألهاكم
التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم
ان شهود الكثير يوجب للعبد
الجهل بنفسه وذلك لان
الروح لا يعقل نفسه الا مع
هذا الجسم محل الكم
والكثرة ولم يشهد نفسه قط
وحده مع كونه في نفسه واحدا
ولا تعرف انسانيته الا مع
وجود هذا الجسم ولا تعقل
أحديته في ذاته أبدا وانما
تعقل أحدية الجنس لا الاحدية
الحقيقية والذي يحصل له
بالاكتساب انه واحد في عينه
علم دليل فكري لا علم ذوق
شهودي كشفي وأطال في ذلك
* ثم قال واعلم ان الزيارة
مأخوذة من الزور وهو الميل
فمن زار قوما فقد مال اليهم
بنفسه فان زارهم بمعناه فقد

شهادة من لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى (فان قيل) فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور أن أول ما ظهر بعد فتق العماء هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو أبو الروحانيات كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام أبا الجسمانيات كلها انتهى وسيأتي قريبا تحقيق الاولية في كلام الشيخ محيي الدين وأن أول ما خلق الله الهباء فراجعه (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس وثلثمائة من الفتوحات معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل أخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما أشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف في ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من أعطى في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فما من فلك من الافلاك التسعة الا وللانسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك الى وصول وقتها ووجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذ انا لما قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك انه رأى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الاناسي والحيواني والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد ممن تولد عنها لما رأى نفسه مثلا لهم وهم أمثال له فقال انما أنا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الى فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وأن هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب فتخرج لنا في هذه الدار عن تلك الصورة * قال الشيخ رحمه الله تعالى ولنا أيضا صورة فوق ما ذكرناه لا تدرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرع فسكتنا عنها وذلك أن لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة في العماء وصورة في العدم هذا كله مرئي لاصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم (فان قلت) فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند أخذ الميثاق بما يحتوي عليه ظهره من الصور (فالجواب) لم يكن له علم بذلك كما أنه لا علم لفلك من الافلاك التي فيها صورة من صور بنيها (فان قيل) فلم كان الاخذ من الظهر دون غيره (فالجواب) انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو أنه تعالى أخذنا من بين يدى آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة في صورة فشهدكم شهدنا * قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما أخذ منه أو يعلمه ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا بما يكون الامر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع

انتقاله في الاصلاب وهو نطفة من يوم ألست بربكم الى مستقراره في الجنة أو النار والله تعالى أعلم * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائتين اعلم ان الحواس لا تخطئ لان ادراكها للاشياء ادراك ذاتي وان حصل علة عارضة فهي لا تؤثر في الذاتيات وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان ادراك العقل على قسمين ادراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ وادراك غير ذاتي وهو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر وبالآلة التي هي الحس فالخيال يعلو الحس بما يعطيه والفكر ينظر في الخيال فيجد الامور مفردات فيحب ان ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات الى بعض فقد يخطئ في النسبة للامر على ما هو عليه وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ ويصيب فالعقل مقلد ولذلك اتصف بالخطا ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا الى الطريقة التي لا لبس فيها فاخذوا الاشياء من عين اليقين وأطال في ذلك والله اعلم * وقال في الباب السابع والثمانين ومائتين ما من كلمة يتكلم بها العبد الا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فان كانت خيرا كان ملك رحمة وان كانت شرا كان ملك نقمة فان تاب الى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فان قال العبد تبت اليك يارب من كل شئ

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فأما الحكمة فهو غناه عما بأيدي المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساطا للمدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون الى فعل ما ندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم في ذلك من المصلحة وفي القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب في كل ما فيه اكرام وانه لا ينبغي لفقير أن يراعي أحدا من الاكابر بعد ما تبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام *(خاتمة)* لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا في بعض الاوقات كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم في مسئلة تلقيح النخل أنتم أعلم بأمر دنياكم وذلك انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما أرى ذلك يجدي شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا التلقيح فجاءهم تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فأخبروه بذلك فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم يعني في كل ما لم يوح اليه فيه شئ * قال الشيخ محيي الدين وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو أن ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا أعرف الناس بأمر الدنيا لكن لا يخفى أن حجابهم عن تدبير الكون انما هو لهم في بعض الاوقات لا كلها كما أشار اليه خبر لي وقت لا يسعني فيه غير ربي * قال بعض العارفين وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عز وجل وعلى الخلق معا في آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق (فان قلت) فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقي الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة ما لم يلقه الى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم

(المبحث الثاني والثلاثون)

في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه أفضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك

* اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك أجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد (فان قيل) ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعوه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها ويثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه أحد وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن فعدة من أيام أخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل ان يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل (فان قيل) هل الدليل على تصديق الرسول في ادعائه أنه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام أو يفتقر الى دليل آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات أنه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) أيهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي أو شهادتنا بالمعاينة (فالجواب) أن شهادتنا بالوحي أتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة كان شهد

لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه ان لا يتكلم بشئ من الدقائق فان سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالادب منه أن يقول انما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الارض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد سلي من يدقني * وقال فيه اعلم ان الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة ذلك الى الله تعالى فاذا رأيت يا أخي عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك في العمل فلا تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة في ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم * وقال قد يطلع الله الولي على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح الى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما في جيب نفسه لان العارف انما هو مع الله بحسب ما يطلعه (قلت) وقد شهدت ذلك من الشيخ محيسن المجذوب بمصر رحمه الله فكان يخبر الشيخ بما فعله في صباه في أرض خلاف بلاده رضي الله عنه وأما شيخنا سيدي علي الخواص فسمعته يقول لا يكمل الرجل عندنا

اذهو قطب الاقطاب كما سيأتي بسطه في مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبي و ولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب وممد أيضا لكل ولي لاحق به فيوصله بذلك الامداد الى مرتبة كماله في حال كونه موجودا في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين (فان قلت) قد ورد في الحديث أول ما خلق الله نوري وفي رواية أول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما (فالجواب) أن معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الانبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي أن هداهم هو هداك الذي سرى اليهم منك في الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لما قال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث وضع الله تعالى يده بين ثديي أي كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموه في الظهور وعند غيبة جسمه الشريف وايضاح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم كما أنزل عليه القرآن أولا من غير علم جبريل ثم أنزل عليه به جبريل مرة أخرى ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أي لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل بل اسمعه من جبريل وأنت منصت اليه كأنك ما سمعته قط وقد عملت التلامذة الموفقون بذلك مع استاذيهم ذكر ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من الفتوحات وفي غيره من الابواب (قلت) وفي تصريح الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم أطلع على ذلك في حديث فليتأمل (فان قلت) فاذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هي روح عالم الخير كله وهي النفس الناطقة فيه كله (فالجواب) نعم والامر كذلك كما ذكره الشيخ في الباب السادس وأربعين وثلثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد السوي وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يبعث انتهى (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسأل الله أن يصلي عليه كما صلى على ابراهيم والقاعدة أن يكون المشبه به أفضل من المشبه (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الاذهان وانما النكتة في قوله كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسؤلا في تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما قالوا له كيف نصلي عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم وأنت اذا قلت لانسان علمني ألفاظا أعظمك بها لا يقدر ينطق لك بألفاظ تعطي التفخيم مع كونك أقل حياء من الشارع صلى الله عليه وسلم بيقين فافهم (فان قلت) فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه آدم صلى الله عليه وسلم وأقوى استعدادا منه مع انه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس من الفتوحات انه انما كان أفضل من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام لان آدم عليه الصلاة والسلام كان حاملا لألفاظ الاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهي جوامع الكلم المشار اليها بحديث أوتيت جوامع الكلم فمن حصل على الذات حصل على الاسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الاسماء لا يكون محصلا للذات الذي هو المسمى قال ولهذا فضلت الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الاجر للحسرة الغيبية التي لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والارض اعلم انه لولا النورية التي في الاجسام الكثيفة ما صح للمكاشف ان يكشف ما وراء الجدران وما تحت الارض وما فوق السموات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الاولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شئ من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك * وقال في الباب التسعين ومائتين اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت ان تنتقل الى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهة لذلك الامر والا هلكت * وقال من أراد ان يطلق الله عليه الالسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا وباطنا وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فيا عناءه ويا تعبه على العارفين كلهم في هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف امسوا عند الناس لانهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف ان يلتفتوا لغير الله عز وجل * وقال في الباب الحادي والتسعين ومائتين ما من سائل عن شئ الا وفيه أهلية الجواب عن سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا سأله وهو بين ظهراني أصحابه

على أن آدم كان يعلم الصور التي أخذت من ظهره وأخذهم دالموضع من هذا الكتاب (قلت) قد أخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله أن الله تعالى أطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون الاشقياء قال وعددهم ما تحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى أعلم* قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ماذكرناه من أن ما في كل فلك صورة ليست احداهما أحق بنا من الاخرى وليمطر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان أي كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من أضوئهم فقال من هذا يارب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يارب كم كتبت له من العمر فقال أربعين سنة فقال يارب وكم كتبت لي فقال الله تعالى ألف سنة فقال يارب قد أعطيته من عمري ستين سنة قال الله له أنت وذاك فما زال آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقي من عمري ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صور قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق تعالى فما بالك بما نحن تقرر به في هذا الموضع وتنكره علينا في قولنا بتعدد الصور في الافلاك فلو كان هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا ولا جائز النسبة اذ الحقائق لا تتبدل* قال وأكثر من هذا التأنيس لك فلا أقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس وأربعين وثلثمائة (فان قلت) فهل أعطى أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم يبلغنا أن أحدا أعطى ذلك انما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة (فان قلت) فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا أو كنت موجودا (فالجواب) انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه أعطى النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى (فان قلت) فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص أو المراد به الخلق على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس أن المراد به خلق مخصوص وذلك ان أول ما خلق الله الهباء وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو أول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شئ في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن أحد أقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم وأول موجود* قال الشيخ محيي الدين وكان أقرب الناس اليه في ذلك الهباء على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الجامع لاسرار الانبياء أجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام على رضي الله تعالى عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام في حق الشيخ أبي مدين التلمساني فقال فيه حين سئل عنه انه جامع لاسرار المرسلين لا أعلم أحدا في عصري هذا أجمع لاسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات أن مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم

لا يرشدك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فان كل تدل على الكثرة فهي تبت الى الله من كل شئ تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا كما تقول زيد دون تريد زيد او زيد او زيدا ثم قال ان ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وأطال في ذلك* وقال في الباب الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى خلق الانسان من علق انما خلقه تعالى من علق اشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فانه خليفته في الارض وأيضا فان العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق الا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل* وقال في اسم الله الاعظم اعلم ان أسماء الله كلها عظيمة فاصدق واسأل حاجتك بأي اسم الهي شئت وقد قال شخص لابي يزيد البسطامي علمني اسم الله الاعظم فقال له ابو يزيد فأرني الاصغر ووبخه على ذلك* وقال انما سمي الانسان انسانا لانه به حصل الانس لمراتب الكمال في الوجود فلم يكن احد يطلع عليه مراتب الوجود غير الانسان والالف والنون فيه زائدة مثل عمران وأطال في ذلك* وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى الله نور السموات

انه أعطاه علم الاحوال كلها لكونه أرسل الى جميع الناس كافة ومعلوم ان أحوالهم مختلفة فلابد أن تكون رسالته تعم الكل بجميع أحوالهم ومنها أنه أعطاه علم احياء الاموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة المعنوية وهى حياة العلوم وحصل أيضا الحياة الحسية وهو ما أتى فى قصة ابراهيم تعليما واعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ومنها انه أعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره ان يهتدى بهدى الانبياء لابهم ومنها انه اختص بشرع لم يكن لغيره كما أشار اليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبى قبلى فهذه أمور رخص بها لم يعطها أحد غيره ومما خص به أيضا لواء الحمد فى المقام المحمود الذى يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد (فان قلت) فهل لواء الحمد واحدا وهو متعدد (فالجواب) هو سبعة ألوية تسمى بألوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمديين وفى تلك الالوية أسماء الله التى يثنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا أقيم فى المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل فى الشفاعة فأحمد الله تعالى بمحامد يعلمنيها لا أعلمها الآن أى أثنى عليه تعالى بهذه الاسماء التى يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يثنى على الله الا بأسمائه الحسنى وهى لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم أن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم انا لا نعلم أيضا ما أخفى لنا من قرة أعين وما من شئ من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهى الذى أظهره بخلاف الاسم الالهى الذى امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلابد أن نثنى عليه به ونحمده به اما ثناء تسبيح واما ثناء اثبات قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على عدد تلك الاسماء المرقومة فى الالوية فقيل لى ان قدرها ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسما فرقم فى كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من أحصاها فى موطن القيامة دخل الجنة يعنى قبل الناس وليس احصاؤها الا لرجل الكامل من نبى أو ولى اه (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمى لواء لانه يلتوى على جميع المحامد ولا يخرج عنه حمد كما أشار اليه حديث آدم ومن دونه تحت لوائى وايضاح ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام عالم بالاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم أيضا الملائكة (فالجواب) نعم لانها كانت تحت ذلك اللواء فى زمان آدم فكذلك يكونون فى الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع اه * (فان قلت) فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والاثنين وثلثمائة أن منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلى على العرش وأما منزلته يوم القيامة فهى بين يدى الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية فى العالم فالكل عنه يأخذ فى ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله يفهم عنه ويرونه لسانا ويسمعونه صوتا وحرفا اه * (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره أم يصح أن تكون لغيره لقوله فى الحديث لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والسبعين فى الجواب الثالث والتسعين أن الذى نقول به أنه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى هدانا الله به وايثارا له أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتأليفا لما نظير المشاورة

بها وجه الله فلا أحكم لك بشئ انتهى * وقال فى الباب الثالث والتسعين ومائتين فى قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ اعلم أن الله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى ان التوبة والاصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره * قال وحكى عن سهل بن عبد الله عالمنا وامامنا انه قال لقيت ابليس فعرفته وعرف منى أنى عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لى يا سهل ان الله تعالى يقول ورحمتى وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك أنى شئ بلا شك لان لفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أفهم وعلمه من دلالتها ما أعلم فبقيت حائرا متفكرا

وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل مثل عمل أصحابه كما ورد انتهى وأما كونه صلى الله عليه وسلم أقوى استعدادا من أبيه آدم فلانه خلق من امتزاج الابوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا وهما فجمع صلى الله عليه وسلم استعداد الاثنين فلهذا كان كماله أعظم من كمال أبيه ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج من الفتوحات * قال ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له في النشأة هذا الكمال الا أن الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا أثر في التخليق انتهى * وقال الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني اعلم انه صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء للعهد الذي أخذ على الانبياء باسيادته عليهم ونبوته في قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية نعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يختص نبي بشئ الا ان كان ذلك الشئ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاصالة انتهى * وكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم في بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه الجلال السيوطي في أول الخصائص (فان قلت) قد تقدم أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة في ذلك (فالجواب) انما نزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن اجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الاولياء وذلك أن التدريج في الامور انما هو للتحمل ولا تحمل للارسال بخلاف الاولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهي مفصلة فقط لان منها جهة الترقي والتكسب فالنبوة وهب والولاية كسب * وقال في الباب العاشر من الفتوحات في قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر انما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام نواب له صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما أبان عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي وصدق صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم الى زمان وجوده لكان جميع بني آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبي الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرائع الانبياء هي بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعا له (فالجواب) لا يخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد أشهدنا النسخ في شرعه الظاهر مع اجتماعنا واتفاقنا على انه شرعه الذي نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الانبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم كون عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم بشرع نفسه الذي كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث به الى أمته ولو أن الشرع الذي يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الابه (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس الحديث هل هو منسوخ أو قاله تواضعا (فالجواب) هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فهو يعلم انه أفضل خلق الله تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه أشكر خلق الله تعالى لله ولا يكون ذلك الا بمعرفته كل ما أنعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لا تفضلوني من ذوات نفوسكم لجهالكم بالامر وليس معناه لا تفضلوني مطلقا فانه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب (فان قلت) فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ما تحتمله الالفاظ (فالجواب) نعم له ذلك ولكن الكامل لا يعتمد في جميع ما يقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ما تحتمله الالفاظ والله أعلم (فان قلت) فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم تورث لاتباعه من الانبياء والاولياء أم يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يصح لاحد منهم أن يرثها منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الانبياء منها انه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي البشارات وانزاله على القلب والاذن وبالعروج به الى السماء ونحو ذلك ومنها

فقال يارسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم تنسج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون من جاهل سأل عالما ياهذا الرجل انها تشقق عنها ثمر الجنة وأجابه صلى الله عليه وسلم بما أرضاه وعلمه ما يجهله وازال خجل السائل بتعليم أصحابه الادب معه حين سأل وانقلب الاعرابي عالما فرحا مسرورا * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين في قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اعلم ان العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضا لامر خاص أم لا والتحقيق أن الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شئ ولا يصح ان يطلب لذاته وانما يريد الطالب معرفة وجه ربه أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى واذا لم يكن عينه فقد يصح أن يكون عوضا كما ان من عبد الله تعالى كأنه يراه يجزاه في الآخرة رؤيته وأطال في ذلك * ثم قال وقد ترافع اثنان الى مالك بن أنس رضي الله عنه ادعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له ماذا ابتغيتم بها حين أعطيتها له ان كنت ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا فخذها منه ان كانت عينها باقية والا فمثلها وان كنت ابتغيت

المرسل هو اللبن اهـ * وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة اعلم أن الرسالة نعت كونى متوسط بين مرسل ومرسل اليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لا نقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هى التى أرسل بها وبلغها وهكذا وردت فى القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روح قدسى ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل روحى لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو وجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعنى بواسطة روح قدسى (فان قلت) فما الفرق بين النبى والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو أن النبى اذا ألقى اليه الروح شيأ اقتصر به ذلك النبى على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبى وأعنى بها نبوة التشريع التى لا تكون للاولياء * فعلم أن كل رسول لم يخص بشئ من الحكم فى حق نفسه فهو رسول لا نبى وان خص مع التبليغ بشئ فى حق نفسه فهو رسول ونبى فما كل رسول نبى على ما قررناه ولا كل نبى رسول بلا خلاف والله أعلم هكذا ذكره الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له فى العمل به يطلق عليه نبى أيضا من حيث انه مخبر والله أعلم (فان قلت) فهل كان الوحى للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل فى اليقظة أم فى المنام (فالجواب) لم أر فى ذلك شيأ عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديرينى فى كتابه المسمى بالدرر الملتقطة أن الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحى اليهم فى المنام على لسان جبريل اهـ فلا أدرى ما دليله فى ذلك فليتأمل (فان قلت) فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى عبده من غير روح ملكى بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية يجدها فى نفسه من الغيب أو فى تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعانى الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت انه من عند الله تعالى أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذى أرسل اليه وأمرنا باتباعه أبدا (القسم الثانى) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدى الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى فى حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا فى الائمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به اهـ (فان قلت) هل ثم أحد من البشر ينال فى الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وتسعين وأربعمائة ليس أحد ينال علما فى الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال فى ذلك كما تقدم بسطه فى المبحث قبله (فان قلت) فهل أطلع الله تعالى أحدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة اعلم أن عدد الانبياء والمرسلين من بنى آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد فى الحديث ولا بد من هذا العدد فى الاولياء فى كل عصر وقد يزيدون * قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بينى وبين جميع أنبيائه فى واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد الا وعرفته وكذلك جمعنى على من هو على أقدامهم من الاولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا فى الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت فى كشفى جميع الانبياء والمرسلين وأممهم كما سيأتى مشاهدة على من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة أظهرهم

فيه فهو استاذ سهل فى ذلك والله أعلم * وقال فى قوله تعالى وجعل الشمس سراجا اعلم ان النور المنبسط على الارض الذى هو من شعاع الشمس السارى فى الهواء ليس له حقيقة وجودية الا بنور البصر المدرك لذلك فاذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الاشراق بوجود السحاب الحائل لان العين فارقت العين الاخرى بوجود السحاب قال وهى مسئلة فى غاية الغموض لانى أقول لو بقيت الشمس فى جو السماء وما فى العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط فى الارض أصلا فان نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود أبصارنا ووجود الشمس ظهر النور المنبسط قال ولا يخفى ان الحرباء يظهر لونه بحسب ما تتقلب فيه من خضرة أو حمرة أو غيرها ولا وجود لتلك الالوان فى جسمها فقد أدركت يا أخى ما لا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على الارض قال ومن هنا يعلم ان العالم مدرك لله فى حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى فيه (قلت) وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الخامس والتسعين ومائتين معنى كون الشمس

فتعين علينا أدبا وإيثارا ومروءة ومكارم أخلاق أن الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو الأولى بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لأنفسنا ما ذكره العلماء في الخصائص من تحريم خطبة المرأة التي عرض عليه الصلاة والسلام لولها بتزويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من إجابة عمر حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها اهـ (وقد رأيت) في نسخة من نسخ الفتوحات بمصر ما نصه يجوز لكل مسلم أن يسأل لنفسه الوسيلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضي الله عنه في الباب السابع وثلاثين وثلثمائة إن منزلته صلى الله عليه وسلم في الجنان هي الوسيلة التي يتفرع منها جميع الجنان وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لأهل تلك الجنة وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها انتهى فإياك أن تضيف إلى الشيخ ما في النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه والله أعلم

(المبحث الثالث والثلاثون في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة رسولين معا في عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التي لا توجد في كتاب)

اعلم يا أخي أنه قد ورد في الصحيح أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الحديث (فإن قلت) ما حقيقة بدء الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد ببدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال سواء كان ذلك في نوم أو يقظة (فإن قلت) فإذن هو من مدركات الحس (فالجواب) نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما في قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا قال الشيخ محيي الدين وفي حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الأمة من أجزاء النبوة فإن مطلق النبوة لم يرتفع وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به هذه النبوة بلا شك وقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعدي ولا رسول المراد به لا مشرع بعدي (فإن قلت) فما الحكمة في كون الرؤيا الصادقة جزأ من ستة وأربعين جزأ من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) إنما خصت الأجزاء بهذا العدد لأن نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة أشهر إلى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ فلا يلزم أن تكون هذه الأجزاء لنبوة كل نبي فقد يوحى إلى نبي أكثر من ذلك فتكون الأجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم (فإن قلت) هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للأنبياء (فالجواب) أن ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى وفي حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أو نبوة أو إيمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لا بد أن يكون نبيا وكل نبي لا بد أن يكون وليا وكل ولي لا بد أن يكون مؤمنا (فإن قلت) فإلى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة (فالجواب) أما الرسالة فتستمر إلى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فإنها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا (فإن قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة أن حقيقة الرسالة إبلاغ كلام الله من متكلم إلى سامع وهو حال لا مقام إذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالإتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل إليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لأن

وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الآية سررت وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له يا ملعون إن الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون إلى آخر النسق فتبسم إبليس وقال والله يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت أنك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى قال سهل فرجعت إلى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي ووالله ما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت أنه طمع في مطمع وانصرفت وانصرف ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك إلا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الإيمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيي الدين واعلم رحمك الله أني تتبعت ما حكي عن إبليس فما رأيت أقصر منه حجة ولا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسئلة التي حكاها عنه سهل بن عبد الله تعجبت وعلمت أنه قد علم الأسما

تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمى حديثا وخبرا وسنة ورأيا قال الشيخ وقد ينزلون أيضا بالامر الالهى من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فما معنى هذا النسيان (فالجواب) معناه ليس ربك نسيا فيما شاهدناه من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال كونهم أعيانا ثابتة فى علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسيا لانه حكاية أمر محقق فى وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ولم تشهده هى لعدم وجودها لنفسها وقد روى عن الزهرى انه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثنى فلان عنى أنى قلت كذا وكذا وذلك أن الزهرى لما قال حدثنى فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ فى الباب السابع والثمانين وسيأتى بسط الكلام على أحوال الملائكة فى المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم (فان قلت) هل النبوّة مكتسبة كالولاية أى ولاية النبى فى نفسه كما قيل أم هى موهوبة (فالجواب) الولاية فى كل من النبى والولى مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوّة وايضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق فى علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء أنبياء والاولياء أولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل أحد بأحد وليس لمخلوق تعمل فى مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجرى أحد فى غير مجراه ولا يمشى أحد فى مدرجة أحد اذ لو سلك أحد فى مدرجة أحد لكانت النبوّة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع اهـ وقال الشيخ أيضا فى الباب التاسع تشرلكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقى أحد فى سلم أحد لكانت النبوّة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوّة مكتسبة (فالجواب) شبهته فى ذلك كونه رأى الانبياء قبل رسالتهم لابد أن ينقطعوا ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحى ليرجعوا الى الحالة التى كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكرى النبوات المعهودة (فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الاخلاق العرفية صار نبيا من غير وحى اليه على لسان ملك قالوا فانه اذا صفى قلبه انتقش فى قلبه جميع ما فى العالم العلوى من العلوم السماوية التى فى اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهنالك يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ فى الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفى جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوى عليه حاله فى كل نفس أبدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا وأطال فى رد أقوال منكرى النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ فلسفى كما مر فى مبحث حدوث العالم * وقد قال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال ان النبوة مكتسبة أخطأ لان النبوة اختصاص الهى قطعا قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة زعمه انها ليست من الله تعالى وانما هى من فيض العقل والارواح العلوية اهـ * وقال أيضا فى الباب الرابع والثمانين اعلم ان كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب اهـ (فان قلت) فهل كل رسول خليفة ام الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والاربعين أنه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فاجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فان قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق

واهه الى فعل الصلوات فى أوقاتها فقال الحمد لله الذى لم يجر عليه لسان ذم أو قال ذنب قال وانما قال الجنيد ذلك خوفا على من لم يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محق فيخطئ فيقع فى الذنب وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائتين فى قوله تعالى نور على نور هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية فلابد للماشى فى طريق الشرع من هذين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما درى العبد كيف يسلك لانه فى طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين ينتهى به ثم الماشى فى هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الاهواء أن تطفئه بهبوبها فانه ان هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تؤثر فى نور توحيده وايمانه بخلاف غير الزعزع فانها لا تطفئ نور السراج وانما تميل لسانه حتى يحير فى الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى فى فروع الشريعة كالوقوع فى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه فوالله لقد خلقنا لامر عظيم (وقال فى قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته الآية اعلم ان القرين لا يكون الا فى أمة بين أظهرها شرع فان لم يكن بين أظهرهم شرع فما

الحق تعالى في صعيد واحد قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطاني علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرني بمسئلة كانت وقعت في الوجود وما علمتها الا منه * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم * قال ورأيت في هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لاحظ لي في الشقاء ومنها اني رأيت نفسي في السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله على ذلك * وقال أيضا في الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الانبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعالي بالثبات في الدين حيا وميتا وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك * وكان يقول لي يا حبيبي وأمرني أول اجتماعي عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للامانة لم يأخذه في الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود اهـ * وقال أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت في واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون الى يوم القيامة وعرفت خاصهم وعامهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم فلا يخفى علي الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت في هذا الكشف جميع مراتب الانبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو في العالم العلوي والسفلي وشهدت ذلك كله عيانا وما زحزحني ذلك الذي رأيته وشاهدته عن ايماني ولم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لي قل كذا وافعل كذا لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت في شهودي بين الايمان والعيان في آن واحد لئلا يفوتني ثواب الايمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتي هذا وان كنت أعلم أن في رجال الله تعالى من ناله لكني لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أني ما علقت خاطري قط من جانب الحق تعالى بشيء يطلعني عليه من الكون وانما علقت خاطري مع الله تعالى أن يستعملني فيما يرضيه ولو خالف ذلك هوى نفسي وأن لا يحجبني عنه بوقوع ما يباعدني عنه وعن شهوده فاني أنا العبد المحض الذي لا أرى لي شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وانما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا لباب تنشيط الاخوان لطلب نيل مقامات الرجال اهـ (فان قلت) فما معنى قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذي ألقاه لان صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا اله الا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا اله الا هو فالوسائط مرتفعة في هذا المنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح والملقي هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك (فان قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح غير مجهول وليس نورانيا والملك روح في نور * قال الشيخ في الباب الثامن وثلاثين ومائتين وهذا الروح لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا يتنزلون الا بأمر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقي اليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم في صورة من يتنزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الانزال والنزول بما وجده في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم في الصورة التي عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها في الارض فينزلون عليه ويلقون اليه ما ألقي اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي فان كان منسوبا الى الله

سراجا أن يضيء به العالم وتبصر به الاشياء التي كان يسترها الظلام فيحدث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس والارض قال والليل هو ظلمة الارض الحاجبة عن انبساط نور الشمس والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذي ينسب اليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الابصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نورها شيء قال وأول من شرع في تعليم الناس علم الحوادث التي تكون في الارض باقترانات الكواكب هو ادريس عليه السلام وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع في نظر هؤلاء لا في نفس العلم وهو من علوم الاسرار الالهية والله تعالى أعلم بالصواب * وقال في الباب السابع والتسعين ومائتين من رحمة الله عز وجل بعباده أن رفع عنهم الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله في الدنيا ولا في الآخرة فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب واختلفوا في الحكم وقد سئل الجنيد عن الشبلي

[illegible]

لاصلى ماله على سيده استحقاق الامالابد منه فهو يأكل و يلبس من سيده و يقوم بواجبات أموره ولا يزال
فى دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه سيده فى شغل فهو فى شغله الدنياوى مع الله تعالى وكذلك هذا حاله
يوم القيامة وفى الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك والاجير ليس له الا
ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره
ولا تصرف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل
بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطلب من استأجره الا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث
خلفه و يخالبه و يخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار فى الجنة
كما هى فى الدنيا (فالجواب) لا يكون فى الآخرة عبودية اضطرار أبدا لعدم التحجير فان تفطنت
بأخى لما نبهتك عليه علمت من أى مقام قالت الانبياء ان أجرى الا على الله مع كونهم هم العبيد الخلص
الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى
دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هنالك وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار وهم فى الحقيقة عبيد الذات
وهم لها ملك والاسماء دائما تطالبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمرى وأنا أعطيكم
كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه فى الدخول تحت أى اسم شاؤا فلا يزال أحدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى
يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى و يقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمره به حينئذ
رجع الى أى اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة و يبادر
الى أداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل فى أى نافلة شاء (فان قلت) فمن أى حضرة كان أجر الانبياء
على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذى استخدمهم فى التبليغ (فان قلت) فهل
يكون زيادة أجر النبى صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب و لراحة من جهة
المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وأربعمائة ان أجر كل نبى يكون على قدر ما ناله
من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون لاجر ليس هو بمعلوم
القدر عند الرسول أو لواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم
الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما
يستحقه المدعى عليهم (فان قلت) فهل للرسول أجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم
للرسول أجر فى ذلك لكن كما يؤجر المصاب فمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بالغوا من
العدد ما بلغوا كما ان الذى يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم و يؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل
لاستجماع الشرائع كلها فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذى يطلع الله تعالى عليه
رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من أحكام
التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وعشرين وثلثمائة ان
المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذى غاب عن العباد ولم تستقل عقولهم بادراكه
ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقى الى الرسول ما يعمل به فى نفسه من التكليف الذى
جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهى ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التى يبلغها
الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان
الشياطين لم تلق اليهم أعنى الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل
ذلك القدر الذى يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أم هو بلا واسطة ملك
(فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة فى الوحى تحف أنوارها بالرسول كالهالة
حول القمر وتكون الشياطين من وراء الهالة لا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول

كذلك فان المنعم بما تصدقه
ولا بد اما ان يركب به أو يحمله
عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله
ان احتاج اليه فشبهه صلى الله
عليه وسلم بما يتحقق الانتفاع
به ليعلم المتصدق انه ينتفع
بما تصدق به ولا بد ومن
الانتفاع بها انها تظله يوم
القيامة من حر الشمس حتى
يقضى بين الناس (قلت)
و يحتمل أيضا انه انما مثل
بالعلو دون الولد لان الولد ليس
هو بمال يتصدق به بخلاف
العلو والله أعلم * وقال فى
الباب الثالث والثلثمائة
اختلف العلماء فى الموت هل
هو طلاق رجعى أو بائن
فذهب قوم الى ان المرأة اذا
ماتت كانت من زوجها
كالاجنبية ولا بد فليس له أن
يكشف عليها وذهب آخرون
الى بقاء حرمة الزوجية فله ان
يغسلها وحاله معها كحاله فى
حياتها فان كان رجعيا فان
الازواج ترد الى أعيان هذه
الاجسام من حيث جواهرها
فى البعث وان كان بائنا فقد
ترد اليها مع اختلاف التأليف
وقد ينشئ الله تعالى اجساما
أخرى وأحسن لاهل
النعيم ولاهل الشقاء بالعكس
ولكن الاول أظهر لقوله
تعالى بعثر ما فى القبور فالموت
طلاق رجعى والله أعلم
* وقال فى حديث من حفظ
القرآن فقد أدرجت
النبوة بين جنبيه انما لم يقل
فقد أدرجت النبوة فى صدره
أو بين عينيه أو فى قلبه لان تلك

بين الخليفة والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمر الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهى فى كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح ان يسمى الرسول الذى لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا من حيث انه نائب عن الحق فى خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم ان للخليفة أن يشرع كل ما أراده مالم يأمره الحق به صريحا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم أى أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه ان الله يأمركم بكذا وأطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمرى ولا قال لكم انه من عندى ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وأطيعوا الرسول ففصل أمر الله الذى يطيعه فيه من طاعة رسوله ولو كان يعنى بذلك ما بلغه الينا عن أمر الله الذى أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعته صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو انه من عند الله وسيأتى بسط ذلك فى مبحث وجوب الاذعان والطاعة للرسل ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل يقدح فى كمال عبودية الرسل بالنظر الى مقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما أشاروا اليه بقولهم ان أجرى الا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب اسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح فى عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه الصلاة والسلام ان أجرى الا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطلب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فان العبد فى صورة الاجير ما أنت أجير اذ حقيقة الاجير من استؤجر وهو أجنبى عن عبودية المستأجر له والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضى الاجرة وهو لا يأخذها وانما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة من الله تعالى فاشبه الاجير فى قبض الاجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فان قلت) فهل الافضل ترك الاجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الكلام على الاذان ان مذهب المحققين أخذ الاجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الاخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فالكمل طلب الاجرة وأخذها من باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ماتوكل ويتمتع به فعلم ان مقام الدعوة الى الله تعالى يقتضى الاجرة ومامن نبى دعا قومه الى الله تعالى الا قال لا أسألكم عليه أجرا فثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) ويؤخذ من هذا ان للواعظ منا أو المدرس أو المفتى بعلم أن يأخذ أجرا على ذلك اذ هو من عمل يقتضى الاجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضا أن يترك الاخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه ملكه وعين ماله * وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس عشر وثلثمائة * اعلم ان استخدام الحق العبد على حالين للعبد فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه انما له ما عين به على عبده من النعم التى هى أفضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته فى أمور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوبة فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده أعطاه أجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير فى الاجارة فالفرض له الجزاء الذى يقابله من حيث انه هو العهد الذى بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الاجور وهى قوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث فاذن أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة فى ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه وأما فى الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم ان بين الانسان فى عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد

قرين اذا الشيطان الذى هو القرين لا يكون الا فى مقابلة الملك الذى يأمر العبد بالخير بلسان الشرع وأما اذا لم يكن شرع فانما العبد متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة ولا يوكل به القرينان الا ان دخل فى دين الهى يتعبد نفسه به فان العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب الى الله تعالى وأطال فى ذلك فليتأمل ويحرر (وقال) قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر اليه بعد ما استعاذت منه وبعد أن عرفها انه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها اللذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها الى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب اللذة فيها فهو من ماء أمه فقط *وقال فى الباب ... وثلثمائة فى حديث ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله انما قال ذلك ولم يقل كما يربى أحدكم ولده لان الولد قد لا ينتفع به اذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى ان الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس هما

لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت في مسند الامام سندا مرفوعا كان آدم عليه
الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فان قلت) قوله تعالى وان من أمة الا
خلا فيها نذير هل هو نص في الرسالة (فالجواب) ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث
عشر وثلثمائة قال وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وبأمور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول
اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم
رسل وانما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شرعهم ومن
شاء لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وانما قيل فيه
صديقا نبيا فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام (فان قلت) فهل كان عدم اجابة
أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة
تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين أثر في المدعو بن جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس
ذلك من علو همة الداعي وانما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك
ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو
ينصرانه أو يمجسانه كما ورد فعلم انه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لأسلم كل من شافهه
الرسول بالخطاب كالناس كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط
قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لأثر وعظه في قلوب السامعين فانه لا أصدق من الرسل ومع
ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم
دعائي الا فرارا فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا ان الهمة ما لها أثر جملة
واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب
العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدي أي من جاءه من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحي الذي جاء به
المشرك حق على كل حال وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي
ظهر به (فان قلت) فما ايضاح ذلك (فالجواب) ان تنظر في حال المدعو فان رأيته في حال سماعه يسمع
من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم ان ذلك التأثير لم يكن من حيث
قوله الحق وانما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع
سوى نفسه وفي القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم أي ليس عليك أن توفقهم لقبول
ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي الذين قبلوا التوفيق على مزاج
خاص فالهادي الذي هو الله تعالى الابانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين الا الابانة فقط ذكره الشيخ في
الباب التاسع والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان القرآن
جاء على لغتهم فما السبب الداعي الى احتياجهم الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك
ان كل كلام لا بد فيه من اجمال وما كل أحد يعرف المجمل ولذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الالهية
من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى في
تفصيل ما أجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه في كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال
سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع
كلام الله وهو ما أنزل خاصة وأما ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فان البيان وقع
بعبارة أخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة (فان قلت) فهل النبوة من النعوت الالهية
أو الكونية (فالجواب) هي من النعوت الالهية أثبت حكمها في الجناب الالهي الاسم السميع وأثبت
حكمها صيغة الامر الذي في الدعاء المأمور به واجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول

فللزمان حكم في التقدم من
حيث هو لا في المرتبة كالخلافة
بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي كان من حكمة الله
تعالى اعطاؤها لابي بكر ثم
عمر ثم عثمان ثم علي بحسب
أعمارهم التي قدرها الله وقوعها
أيام ولاية كل واحد على
التعيين وكل لها أهل في وقت
أهليته الذي قبله ولا بد من
ولاية كل واحد منهم وخلع
المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى
لمن لا بد له عند الله في سابق
علمه من الولاية فرتب الله
الخلافة ترتيب الزمان للاعمار
حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق
من كل واحد من متقدم ومتأخر
بما علم الصحابة ذلك الا بالموت
* قال ومع هذا البيان بقي
أهل الاهواء في خوضهم
يلعبون مع ابانة الصبح لذي
عينين بلسان وشفتين انتهى
* وقال أيضا في الكلام على
اسمه تعالى الآخر من الباب
المذكور ما نصه اعلم ان حد
الآخر من الثاني الذي يلي
الاول الى ما تحته فهو المسمى
بالآخر لان له حكم التأخر
عن الاولية بلا شك وان استحق
الاولية هذا المتأخر فما تأخر
عن الاول الا لامر أثبته الزمان
لان وجود الاهلية فيه من
جميع الوجوه فالحكم في
تأخيره وتقدم غيره للزمان
لا للافضلية في الحقيقة كخلافة
أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي
رضوان الله عليهم أجمعين
فما من واحد الا وهو مترشح
للتقدم والخلافة مؤهل لها

على ماشاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر قال الشيخ محيي الدين وليس في الفتوحات المكية ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق و يسمى الغيب الحالي المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما كان محالا لانه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وكان هذا مما وضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فان قلت) فما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة في ذلك ان الرسول اذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك و روح الرسول ثم ان الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم اذا سري عن ذلك النبي وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانعشت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الانساني و يتلقى ان هذا بالاصغاء وذلك بالالقاء وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج و يشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال ثم اذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطاء وزيادة الثياب ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم (فان قلت) فلم اختار الانبياء النوم على ظهورهم دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة انهم انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو أفقه ومعلوم ان الافق نوعان نوع أدون وهو الارض ونوع أعلى وهو السماء ولذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وايضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين هو ان تعلم ان الوارد الالهي الذي هو صفة لقيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهي من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ثم ان الروح اذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير جسده فأقامه من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط أنه تخبط واضطرب عند نزول الوحي أبدا والله أعلم (فان قلت) فما ثم اذن في العباد أقوى من الانبياء لتحملهم ثقل الوحي (فالجواب) نعم ما ثم أقوى من الانبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحي حين نزل اليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا ان الانبياء أقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الانبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لانه تعالى تجلى للانبياء في نحو حضرة قوله تعالى لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة لا لاطلاق الالهي ما لم تعلمه السموات والارض والجبال فأنتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد ان لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فان قلت) فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) لم يبلغنا في كتاب ولا سنة انه كان قبل نوح رسل وانما كانوا كلهم أنبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما انه اذا أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا وأما من

رتبة النبي لا رتبة الولي وأمن الاكتساب من التخصيص فمن تعمل في تحصيل الولاية حصلت له وان كان نفس التعمل في تحصيلها اختصاصا من الله أيضا يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية الا بالمشي في نور النبوة وأطال في ذلك *وقال كانت القوة التي ظهرت في أبي بكر الصديق يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي فتقوى حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم في الامامة الا صاحٍ غير سكران فكان هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع الى الله فانه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى (قلت) ذكر الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي ما نصه اعلم ان الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما أمرنا بها للتقدم في الزمان فيها

رسول الاوقد أسري به راكباعلى ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرائه بامور تعرفها أهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولوانه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك لاتراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب وانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يامحمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطاربه البراق في الهواء واخترق به الجو عطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فأتاه جبريل باناء من لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء عمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء عمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هنالك في أشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو عينه لاغيره فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة الواحدة والمرايا فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج في البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها وحكمه فيها

* قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله تعالى على يديه وتبناوله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمى له مايراه من هؤلاء الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس عليه السلام بجسمه فانه مامات الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو هذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بهرون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبابه ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور والضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها وأخبر أن أولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه في نهر الحياة فان له في كل يوم غمسة فيه ثم عرج به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ماغشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها الا ان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسل واللبن في الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطى لشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الاذواق في الدنيا وأخبره أن اعمال بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح

انما كان بسبب الاسجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلثمائة وسيأتي ذلك ملخصا في الباب المذكور ان شاء الله تعالى (قلت) الذي نعتقده ان تقديم الخلفاء الاربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم فليتأمل ويحرر والله واسع عليم * وقال في الباب الرابع وثلثمائة ماعظم الزهاد في أعين الملوك والامراء والاغنياء الالغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو انهم طلبوا من الناس شيأ من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ماطلبوا مع كون الاغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو أن الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلا قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصا عظيما وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن وثلثمائة في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا أي قد أتى على الانسان * واعلم ان آخر صورة ظهر فيها الانسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لانه كان قبلها له في كل مقام وحضرة وفلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصور ولا عصى ربه فيها ولا يموت الا فيها

* قال ولا يخفى ان حقيقة مسمى الانسان هي اللطيفة والجسم مطوشرفه عارض لاذاتي فان شرفه انما هو بما أعطاه الله من العلم والخلافة والسلطنة

زائد على هذا الذى ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق فى الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبر وأنبأ وسمع دعاء فاذكره الشيخ فى الباب الخامس وخمسين ومائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبى مع انهم معصومون منه (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقة انما هى من العمل بما يلقى لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة فى السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقى اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاءه فى الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها فى وجهه وكان غرض الشيطان ان يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ماله فى الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبنى آدم بالطبع فتأخر النبى صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه *(خاتمة)* ان قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا فى آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما لا أن يكونا ينطقان فى رسالتهما بلسان واحد فى آن واحد كموسى وهرون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لاسيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو أفصح منى لسانا انتهى والله أعلم

(المبحث الرابع والثلاثون فى بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه فى الارض لاغير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه فى الارض)

اعلم ان الاصل فى قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيى الدين والضمير فى قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا وأطال فى ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى الا بتلك الآية كأنه تعالى يقول ما أسريت بعبدى الا لرؤية الآيات لا الى لانه لا يحوينى مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة وكيف أسرى بعبدى الى وأنا معه حيث كان (قلت) فما بقى الا أن رؤية الملك فى دسكرة مملكته وجنوده أعلى فى التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش وما تحت التخوم فان صعد العرش الى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا ومن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك * قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والستين وثلثمائة ولما أراد الله سبحانه وتعالى ان يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء أنزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التى وضعها فى العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذى تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذى تولد من جنس واحد وذلك لحكمة يعلمها اهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم وأخذه جبريل عليه السلام وسار به فى الهواء قال الشيخ محيى الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذى يخرجه المرسل للمرسل اليه ليركبه تهمما به فى الظاهر وأما فى الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدرى مواقع الامور فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التى تربطها بها الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من

فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان الا الزمان فلما سبق فى علم الله ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل على والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى فى الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة وما قدم من قدم من الاربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم فى علمنا فلم يبق الا حكم الآجال والعناية وفى الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس احد الثلاثة دون أبى بكر فلا بد لابى بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فان خلع أحد الثلاثة وولى أبو بكر كان عدم احترام فى حق المخلوع ونسب الساعى فى خلعه الى انه خلع عن الخلافة من يستحقها ونسب الى الهوى والظلم والتعدى فى حقه ولو لم يخلع لمات أبو بكر فى أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة ان ليها فى علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب وعثمان وعلى والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الاهلية * وقال وما علم الناس ذلك الا بعد ان بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحدا بعد آخر اذا التقدم

ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش (قال) وانما سمع صوت أبي بكر تأنيسا له وقد أعطت المعرفة بأن الانس لا يكون الا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى و بين عبيده وان أضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم * قال الشيخ وانما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يأنس به في الارض فحن لذلك وأنس به وتعجب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاءه من العلو وقد تركه في الارض (فان قلت) فهل ثم في المعراج الى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات (فالجواب) نعم منها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بصفاتها فاذا مر على الرحيم كان رحيما أو على الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما أو على الحليم كان حليما أو على الشكور كان شكورا أو على الجواد كان جوادا وهكذا فما يرجع من ذلك المعراج الا وهو في غاية الكمال ومنها شهود الجسم الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في أشخاص بني آدم السعداء حين اجتمع به في السماء الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم في قبورهم في الارض حال كونهم ساكنين في السماء فانه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت ابراهيم وأطلق وما قال رأيت روح آدم ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى في السماء وهو بعينه في قبره في الارض قائما يصلي كما ورد فيا من يقول ان الجسم الواحد لا يكون في مكانين كيف يكون ايمانك بهذا الحديث فان كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان العلم يمنعك وليس لك الاختبار فانه لا يخبر الا الله وليس لك ان تتأول أن الذي في الارض غير الذي في السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هنالك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب أنه موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة في النوم ومعلوم ان المرئي كان في منزله على حالة غير الحالة التي رآه عليها ولكن في موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على الاولياء مثل هذا في تطورات هم وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور في أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب ان الله على كل شيء قدير ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين * وقال في الباب السابع وأربعمائة اعلم أن العبد محمول بالقدرة الالهية في جميع أحواله لا استقلال له بشيء ولهذا اما أسري برسول قط الا على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به في النوم كما يقع للاولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها اذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم (فان قلت) فهل يكون الوارث للانبياء عليهم الصلاة والسلام له في هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود في جميع أحواله (فالجواب) نعم ولذلك قال تعالى في حق سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فاقامه في العبودية المطلقة ونزع منه الدعوى والربوبية على شيء من العالم وجرده عن كل شيء حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما أضاف السرى اليه فانه لو قال سبحان الذي دعا عبده لأن يسري اليه أو الى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول ذلك ولكن المقام منعه ان يقول فجعله مجبورا لا حظ له في الدعوى لفعل من الافعال * ومنها أي من فوائد الاسراء أيضا التنويه بشرف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير مدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه فان العرش أعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف في العلو ولا أرض في السفل وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمح أبصار المؤمنين وأما العارفون من الانبياء وكمل اتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة في الهواء ليس لها سقف ترسى عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره وفي كلام سيدي علي بن وفا رحمه الله في صف جاهه

وقد نفذت من الاقطار أجمعها * وقد تجاوز حد الخفض والرفع

فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذا الحال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج من البدن قويا بانجمار المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فاذا سرى عن ذلك النبي أو عن صاحب الحال وانصرف الملك سكن المزاج وانتعشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج ويستولي على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي ان كان نبيا أو من الالهام ان كان وليا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي عشر وثلثمائة لم أعرف اليوم أحدا تحقق بمقام العبودية أكثر مني فانه ان كان هنالك أحد فهو مثلي فقط وذلك لاني بلغت من مقام العبودية غايته فان العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها علي ولم أنلها بعمل بل اختصاص الهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها علي ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فبذلك

ليفرحوا هو خير مما يجمعون (قلت) وقوله فانا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ الى الحلول والاتحاد والله أعلم * وقال فيه في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر

فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهنالك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق هذه المنصة وجيء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا اقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما أسرى الله تعالى بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل وودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشي به الى ان ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام والاقلام في الالواح وهي تكتب بما يجريه الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم ير معه وبقي لايدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفئه وكان سبب الهيمان سماع ايقاع تلك الاقلام وصريفها أي صوتها في الالواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه الى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم أن الرفرف ما تدلى له الا ليكون له البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف فلو أن الحق تعالى أراد لجبريل الصعود فوق ذلك المقام لما صعد الا محمولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عروجه انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك المقام الرفرفي لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به في النور وغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ في الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتي الكلام على عروج الملائكة في مبحثه ان شاء الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال أعطاه الله تعالى في نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الاذن في الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فرأى صوتا يشبه صوت أبي بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب وقال في نفسه أربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر رضي الله عنه فتلا عليه هو الذي يصلي عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان خلقه لاصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا تتعدى بها أزمانها ولا أمكانها لما سبق في علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية أي فان ربك قد سبق في علمه انه لا يجمع بين شغلين يترتب أحدهما على الآخر في آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقيمه في مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهي للعقول فهو تنبيه على العناية به والله أعلى وأجل في نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة الشريفة وأوحى الله تعالى اليه في تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى في شأن الصلوات الى ان قال ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا الى الارض قبل طلوع الشمس * قال الشيخ وكان هذا الاسراء بجسمه الشريف ولو كان الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد من قريش ولا نازعه فيه وانما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الاسراء كان بجسمه الشريف في تلك المواطن التي دخلها كلها (فان قلت) فكم كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر وثلثمائة انها كانت أربعا وثلاثين مرة واحدة بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدلك على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه أحدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على

لاغير * وقال في الباب التاسع وثلثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم * عباد وصوفية وملامية وهم كمل الرجال فضابط العباد انهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة لا يرون شيأ فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله * وضابط الصوفية انهم رجال فوق هؤلاء العباد انهم يرون الافعال كلها لله مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شئ ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لاهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى وضابط الملامية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة وقد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم أرفع الرجال مقاما رضي الله عنهم أجمعين * وقال في الباب العاشر وثلثمائة في قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم ان ويحكم في تلك الصورة الروح الانساني فاذا تلاقيا هذا بالالقاء وهذا بالاصغاء انعقد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية

اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحي به اليه جبريل وأطال في ذلك
* وقال في الباب العاشر وثلثمائة اعلم أن الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلا ولا يأمر غير نبي بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به أبدا فانه ان أمره بفرض كان الشارع أمره به وأخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت أو نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه أو أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه أو نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له فان قال ان الله أمرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا في حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصي العبد بتركه وان أبقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الامر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي فان قال لم يجئني بذلك ملك وانما أمرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا أعظم من الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك أو قال لك ما كان يلقي اليك في كلامه الاعلوما وأخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك بأمر جملة واحدة اه * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشيء فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم الاسماع أمرها ولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظن انه عن الله لان ابليس قد أعطاه الله تعالى ان يصور عرشا وكرسيا وسماء ويخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن اه وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فقد بان لك ان أبواب الاوامر الالهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة (فالجواب) لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن أمري فان زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحي اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم الا أن يخصه دليل وقد قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أن يخالف شرعه انما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع فيأمر وينهى وأما قوله تعالى وأولي الامر منكم فالمراد بطاعتنا لهم فيما اذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله أعلم وقال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحي الذي

*وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة متى خرج كشف ولي في العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولاية بل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم انه لا يتعدى كشف ولي في العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا (وقال) في قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلي يناجي ربه أي بارتفاع الوسائط كما سيكلمه في القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة الا بكون العبد يعرف هنالك من يكلمه وهنا لا يعرفه وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة في قوله تعالى وكان عرشه على الماء اعلم ان على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء كما ان الانسان في الماء أي منه تكون فان الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شيء وكل ما سوى الله حي ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال وتأول ذلك بعض الناس وقال انما هو تسبيح حال والخلاف انما ينبغي أن يكون في سبب حياته لا في حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء اذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيها صور العالم الذي هو ملك الله وأطال في ذلك * وقال الفرق بين الموت والنوم ان الموت اعراض الروح عن الجسم بالكلية فيزول بذلك جميع القوى كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس باعراض بالكلية عن الجسم انما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها أو دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة

* وقال أيضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى * وقال الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم أنه لما كان الاستواء على العرش تمدحا لله عز وجل جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهي اليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على أن الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الاعراب في حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وأتى بحرف الغاية الذي هو حتى اشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب العاشر ومائة ما نصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله على الاولياء في المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما أن تنزل الوحي على النبي يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوته مشهودة له وأما تنزله على الاولياء فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحي لهم في الظهر لا في الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت أبو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن أي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والثلاثون في كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما صرح به القرآن)

اعلم ان الاجماع قد انعقد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيامة (قلت) وأما اجتهاد الائمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع أن مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على أصل فانه من السنة أيضا وهو المراد بالاستنباط وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل أصلا رابعا كما جعلوا الاجماع أصلا ثالثا وقالوا ان الائمة لا تجمع على أمر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء أعلمنا لهم دليلا في ذلك أم لم نعلم والله أعلم * وقال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم أن حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله اليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا أيضا وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقي للاولياء وحي الالهام الذي لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط قال ولو ان الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام

جبريل أن يظهر بصورة اسرافيل ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الانسان ما ليس في قوة الملك وأطال في الفرق بينهما * وقال في الباب الثاني عشر وثلثمائة في معرفة وحي الاولياء الالهامي اعلم أن الحق تعالى اذا أراد أن يوحي الى قلب ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الحق الى قلب ذلك الولي برفع الحجب بينهم الولي من ذلك التجلي [illegible] يد الحق أن يعلم ذلك الولي به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم العلم بالضربة بين ثدييه وفي شربه اللبن ومن الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول وجدت في خاطري كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم * وقال في الباب الثالث عشر وثلثمائة اعلم ان أول رسول أرسل نوح عليه السلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافرا قال وأما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فليس هو بنص في الرسالة وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وباليوم الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها * قال ونحن نقول انه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان اذا ادريس عليه السلام منهم ولم يجئ له نص في القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا فأول شخص افتتح به الرسالة نوح عليه السلام وأطال في ذلك

الا ية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم * قال الشيخ كمال الدين بن أبي
شريف في حاشيته وفي نقل البيهقي ذلك عن الحليمي اشعار بالتبري من عهدته و بتقدير أن لا اشعار فيه فلم
يصرح بأنه مرضي عنده قال و أما الحليمي فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة
على الانبياء وما نقل عنهما أي من أنه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه
وأطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال ومع ذلك فالاليق بالعلماء الوقف عن الخوض في هذه المسألة على وجه
يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين اه (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين
الاول انه أرسل الى الملائكة والثاني لم يرسل اليهم والذي صححه السبكي وغيره انه أرسل اليهم و زاد البارزي
رحمه الله انه أرسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب
الخصائص ونقل فيها أيضا عن السبكي انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء فهو كالسلطان
الاعظم و جميع الانبياء كأمراء العساكر ولو أدركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى
جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة وكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي
بعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها اه * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول كان
صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق أجمعين في عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته)
يقول الملائكة على ثلاثة أقسام (قسم) أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهي معا وهم
الملائكة الارضيون وما بين الارض والسماء الاولى (وقسم) أرسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات
فانهم لا يذوقون للنهي طعما انما هم في الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون
(وقسم) لم يرسل اليهم أصلا لا بأمر ولا نهي وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام
انكار أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها
لا يحتاجون الى رسول بل هم مهيمون في جلال الله تعالى لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره اه
فتأمل القسم الاول وحرر فانه غريب في كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة أخرى يقول ملائكة
الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم بالنهي ولا يرسل نبي الى
أحد بالنهي الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبي الى نبي ومن
بني ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا فقالوا
الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم في قصة آدم عليه
الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم
في الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه اه وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من
قال انه أرسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهي معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل اليهم مطلقا كذلك فما
حقق الامر ومن فصل في ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر
في المشاهد ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال (ان قيل) كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض
في قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة
الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض وما بينها و بين السماء لكونهم لا عصمة
عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام
الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة تصريح بأن هذا النزاع وقع
من الملائكة السماوية والارضية وانما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم
عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة

غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يخلص لاحد الجانبين وقد حارت الخلائق في هذا الغيب فانه ما هو محال فيكون عدما محضا ولا
هو واجب الوجود فيكون
وجودا محضا ولا هو ممكن
يستوي طرفاه ولا هو غير
معلوم بل هو معقول فلا يعرف
له حد فهذا هو الغيب الذي
انفرد به الحق حيث قال عالم
الغيب * وقال في الباب الثاني
والعشرين وثلثمائة انما
وجب نصب امام واحد في
العالم تنبيها على ان الاله للعالم
واحد فهو واجب شرعا مع
كون طلب الامام موجودا
في فطر العالم كلهم فانهم مهما
توفرت في كل بلدة أو قرية أو
جماعة أن يكون لهم رئيس
يرجعون اليه و يكونون
تحت أمره (فان قلت) ان
الشارع لم ينص على الامر
باتخاذ الامام فمن أين يكون
واجبا (قلنا) ان الله تعالى
قد أمرنا باقامة الدين بلا شك
ولا سبيل الى اقامته الا بوجود
الامان في أنفس الناس على
أنفسهم وأموالهم وأهليهم
من تعدي بعضهم على بعض
وذلك لا يصح أبدا ما لم يكن
ثم من يخاف سطوته وترجى
رحمته يرجع أمرهم اليه
و يجتمعون عليه فاذا زال
الخوف الذي كانوا يخافونه
على أنفسهم وأموالهم
وأهليهم تفرغوا لاقامة الدين
الذي أوجب الله عليهم اقامته
وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو واجب فاتخاذ
الامام واجب ثم انه يجب ان
يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد وامتناع وقوع المصلحة * وقال في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى كبر مقتا عند
الله أن تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان العبد ما دخل عليه مقت الله الا من باب اضافة الفعل الى نفسه من غير مشيئة الله تعالى فلو انه قرن العمل

كان به لوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه قوت أرواحهم اه * وقال فى الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لانبى بعدى ولا رسول بعدى أى ما ثم من يشرع بعدى شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الروم والفرس ومازال الملك فى الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وتسمى ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلى يقول أوتى الانبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أى حجر علينا اسم النبى مع أن الحق تعالى يخبرنا فى سرائرنا بمعانى كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء الاولياء فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطؤا فيها لا غير اه (فان قلت) فما الحكم فى تشريع المجتهدين (فالجواب) أن المجتهدين لم يشرعوا شيأ من عند أنفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم فى الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذى شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذى أعطى المجتهد المادة التى اجتهد فيها من الدليل ولو قدر أن المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله أعلم *(خاتمة)* مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ فى علوم الباب الاحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لاحد من الخلق علم بماله فى الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتى علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم فى العلم الذى أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا أخى أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه أعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك أن تخطئ أحدا من علماء أمته من غير دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطى الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذى بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذى هو رسول زمانه لا فائدة ولنحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك أم لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام أبو القاسم بن قسى فى كتابه خلع النعلين وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(المبحث السادس والثلاثون فى عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ما سيأتى فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين)

وقد ورد فى صحيح مسلم وغيره وأرسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما أيضا من بلغ فى قوله تعالى وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أى بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضا العالمين فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلى رحمه الله (فان قلت) فهل تكاليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكاليف ألزمهم به الحق تعالى ابتداء أو ألزموا به أنفسهم ليشاركونا فى الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ فى الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدرى اه فمن ظفر فى ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا فى الملائكة هل أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمى أنه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمى أيضا فى الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفى تفسير الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى تفسير

ىلم يقع ادراك الشمس لذلك الذى حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم * وقال فى الباب العشرين وثلاثمائة فى قوله تعالى
ن السمع والبصر والفؤاد
ل أولئك كان عنه مسؤلا
ان اسم كان هنا هو النفس
يسئل النفس عن سمعه
وبصره وفؤاده فيقال له
ا فعلت برعيتك كما يسئل
لوالى الجائر اذا أخذه الملك
عذبه عند استغاثة رعيته
نه * وقال فى قوله تعالى فلا
ظهر على غيبه أحدا الا
ن ارتضى من رسول المراد
بهذا الغيب الذى يطلع عليه
سوله هو علم التكليف الذى
غاب عنه العباد ولم تشتغل
عقولهم بدركه ولهذا جعل
لملائكة له رصدا حذرا من
لشياطين ان تلقى اليه
ما يعمل به فى نفسه من
التكليف الذى جعله الله
تعالى سعادة للعباد من أمر
ونهى فهذا الغيب هو علم
الرسالة ولهذا قال ليعلم أن
قد أبلغوا رسالات ربهم
فأضاف الرسالة الى قوله
يهم لما علموا ان الشياطين
م تلق اليهم أعنى الرسل شيأ
تيقنون ان تلك الرسالة من
الله تعالى لا من غيره ثم هل
هذا القدر الذى يطلع عليه
من ارتضاه من رسول هل هو
اعلام الملك له أو هو بلا
واسطة ملك الظاهر الثانى
وتكون الملائكة تحف
نوارها برسول الله صلى الله
عليه وسلم كالهالة حول
قمر والشياطين من ورائهم
تجد سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذى خفى عنه وعن العباد علمه قال وأيس فى كتابنا هذا الآية
لا ضبيرة أصعب من تصور الغيب الذى انفرد به الحق ويسمى الغيب المطلوق الكلانه لا يظهر عنده شئ أبدا يتصف بالشهادة وقتا أو حالا ما فهو

الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيأ مما أمر بتبليغه ان هو الا وحى يوحى وما كان ربك نسيا وما قرر تعالى من الشرائع الا ما تقع به المصلحة فى العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أو لم يعمل بما قرره الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقرره من الاحكام وقد عاب بعض أكابر الصحابة على عائشة رضى الله تعالى عنها فى قولها لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان ذلك يقع من الناس وأطال الشيخ محيي الدين فى ذلك ثم قال فعلم ان من سلك كمال الادب لا يجد قط فى نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قولا عاما اللهم الا أن يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا مانع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغى له أن يغار الا فى مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهى خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان أن يغار على كشف زوجته وجهها فى الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى أغير من جميع خلقه كما فى الصحيح ان سعدا الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى ومن غيرته انه تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكأنه ادعى انه أغير من الله تعالى لكونه غار على أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما أحسن قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وأدخله فى هذا الميزان لعلم أنه بعيد عن مقام الايمان الذى ذكره الله تعالى فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فانها ما نزلت باستدعاء بعض النفوس وأهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهى اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهى اذا نزل مطلوبا بالبعض العباد وكأنه تعالى سئل فى تنزيله فأجاب السائل اذ لولا ذلك ما نزل وفى البخارى عن محمد بن كعب القرظى التابعى الجليل انه كان يقول ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من أجل مسئلته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الاحكام لئلا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج أكل عام يا رسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا وأطال فى ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف أن يعتنى بالامر المنزل ابتداء أشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لا نخرج عنه ومارجح أحدهم وامشيأ سكت الشارع عن بيانه كخطبة العيد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة أو مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى أن يفعلها على وجه التأسى به صلى الله عليه وسلم ويقطع النظر عن كونها واجبة أو مندوبة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا تمنى يوم القيامة انه لم يكن رجح شيأ ثم ان المرجحين بأهويتهم خلاف مارجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثانى يغلب رفع الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله أقرب منزلة من الذى يغلب الحرمة اذ الحرمة أمر عارض عرض للاصل ورافع الحرج دائر مع الاصل واليه يعود حال الناس فى الجنان يتبوؤن من الجنة حيث شاؤا وما أغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يا أخى وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا فى هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت أهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يتقحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه

الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر الى حكمة الله تعالى فيما زاد المرأة على الرجل فى الاسم فقال فى الرجل المرء وقال فى الانثى المرأة فزادها هاء فى الوقف تاء فى الوصل على اسم المرء الرجل فلها على الرجل درجة فى هذا المقام ليس للمرء فى مقابلة قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة فى المرأة وأطال فى ذلك * قال ولو لم يكن فى شرف التأنيث الا اطلاق لفظ الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فان فى ذلك جبر القلب المرأة الذى يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الامر (قلت) ذكر الشيخ فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ما نصه لما قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد نفيا للصاحبة لان المراد بالكفء هنا الصاحبة لاجل من قال ان المسيح ابن الله والعزير ابن الله فان الكفاءة هى المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبدا فان الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفء فان المنفعل ما هو كفء لفاعله والعالم كله منفعل عن ارادة الله فما هو كفء لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفء من هذا الوجه ولما قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا وقال لها انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل فى صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثله بشرا وحالحهم

للصحابة قال ويؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فما وقع منهم النزاع الامن علمهم بأحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لايفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحدهم دم في جسمه يسيل أبدا وأطال في ذلك ثم قال وقد بان لك ان الاعتراض والطعن في آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لايكون الامن ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها لايكون الاعلى حكم الاصل اهـ قال بعضهم ولعل مرادهم هؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والارض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له (فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام في قوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون وفي قوله في الحديث قال يارب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو في الاعتراض على أحكام الله وتقديره في خلقه وانما خصامهم في بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى انهم يتبادرون الى بني آدم يدعونهم بالسنتهم ويرغبونهم في فعل مافيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما أجره يسير فهم كالرجالين المتناظرين في مسائل الحيض التي لانصيب فيها للرجال (فان قيل) فهل هم في هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم يسبحون الليل والنهار لايفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو في ذلك ذاكر لله تعالى لايتحرك ولا يسكن الا في أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم لان الله تعالى ماشرع لعباده أمرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين في الاجر والثواب (فالجواب) نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة الا بالفهم وان يكونوا مخلصين في عملهم لايشوبهم غرض نفساني فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى في تفرقة الدين ولو باللازم فقد أضجعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال في دين الله بغير نص وقال عند نبي لاينبغي التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده في الادب كحكم حضورهم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

*(المبحث السابع والثلاثون في بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ماجاء به
صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم الاعتراض على شئ منه)*

اعلم انه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ماشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيي الدين أواخر الحج من الفتوحات مانصه اياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة وتقول لو أن الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فترجح نظرك في ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط في سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يمارسوا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التي أباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها أي شئ أصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره في نفسه على استعمال الناس شرع ربهم وهذا من أعظم مايكون من سوء الادب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس في العصر الاول وأما اليوم فقد فشا في غالب الناس ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم أن

ثيثة الالهية لم تعقه الله تعالى فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الالهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لايحنث أيضا من
شئ اذا حلف على فعل
تقبل فانه اضافه الى الله
الى لا الى نفسه قال وهذا
نافي اضافة الافعال الى
مخلوقين من حيث الحكم
العبد حكما في ظهور العمل
اله أثر في ايجاده وفرق بين
ثر والحكم قال وبهذا
رتفاوتت درجات العقلاء
ترى الحق تعالى كيف
يا أيها الذين آمنوا لم
قولون مالا تفعلون ولم يقل
ولي الالباب ولا يا أولي
علم لان العالم العاقل لايقول
لا يفعل الا بالاستثناء لعلمه
ن خالق الفعل لله لاله وأطال
ذلك وسيأتي تفسير الآية
وضح من هذا ان الانسان
الذي عقت نفسه عند الله
من ينكشف له ان العمل
لا للعبد فيخجل من ذلك
وقال في الباب الرابع
العشرين وثلثمائة في قول
ول الله صلى الله عليه
لم لن يفلح قوم ولوا أمرهم
أة اعلم ان المرأة تلحق
جال في الابوة وتلحقهم
ة في بعض المواضع فتقوم
أة مقام الرجلين ويقطع
كم بشهادتها كما يقطع
شهادة الرجلين وذلك في
ل الحاكم قولها في حيض
دة وقبول الزوج قولها
ن هذا ولده مع الاحتمال
طارق الى ذلك وقبول قولها
الحائض فقد تنزلت ههنا
ة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فقد انحلا في الحكم فهذه تولية لها من الله وأما الحديث فانما هو الشارع
[illegible]

زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه في ذلك اليوم
مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل في القضا بان لنفسك عليك حقا واللهو واللعب
والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخي ظالما لنفسك وأعطها حقها اه (فان قلت) فهل
يلحق بالسنة الصحيحة في وجوب الاذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ
في الباب الثاني والستين ومائتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما أشار اليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم وكما أشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا
وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره
اذا لم يكن على شرع من الله معين يحشر أمة وحده يعني بغير امام يتبعه فجعله خيرا والحقه بالاخيار كما قال في حكيم
ابن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها في الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم
وأمثال ذلك وقال أيضا في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى
اليه وفي الحديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان
لم يعلم هو ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء
من الوحي على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على أيدي
الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى أعني من الوجه الخاص
بطريق الالهام وجب علينا أخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى أن نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى
وما نهاكم عنه فانتهوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته وعلم ان أخذك من الرسول
واجب على الاطلاق وأخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما أخذته بغير
واسطة فانظر ما أعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد
مع انه تعالى مطلق فان في هذا ظهور الاطلاق والتقييد في الجانبين وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالى ما أرسل
رسوله ليمكر بنا وانما أرسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا أطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف عند قوله من
غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالى من طريق
الالهام ليس أحد على أمان من المكر فيه فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالى في
عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يجعل للرسل هذه الصفة
ولم يجعل لهم فيها قدما لانهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق وأعطى رسوله الميزان الموضوع
ومن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه في ذلك الميزان
فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله اهمله لله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال
ذلك فان كان من عند الله ثبت وأخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجده عند قوله
لا خلابة اذ الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى
بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه حين ظن به خيرا كما في حديث فليظن بي خيرا
وأطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب الثامن والاربعين أيضا في قوله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أي لاني جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا الى
عبادنا * وقال فيه أيضا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف
بقوله أطيعوا الله عن قوله وأطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه تعالى ليس
كمثله شيء فلذلك استأنف القول وصرح بقوله وأطيعوا الرسول بخلاف طاعة أولي الامر لم يستأنف فيها بقوله

أو لا مترجم عنه يحتاج الى ايضاح وأطال في ذلك * ثم قال وقد صح في ذلك في الخبر ان الله تعالى يتجلى في القيامة في صور مختلفة
فيعرف وينكر ومن كانت
حقيقته تنكر تقبل التجلي
في الصور فلا يبعد ان يكون
يتكلم بالحروف كما يليق
بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه
لقوله تعالى ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير فنفى ان
يماثل مع عقل المعنى وجهل
النسبة فليتأمل وسيأتي
مزيد على ذلك في الباب التاسع
والعشرين وثلثمائة فراجعه
* وقال في قوله تعالى يا أيها
الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين وفي
قوله قد جاءكم من الله نور وفي
قوله وضياء وذكرى للمتقين
أما كون القرآن نورا فلما
فيه من الآيات التي تطرد
الشبه المضلة مثل قوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقوله لا أحب الآفلين
وقوله فاسئلوهم ان كانوا
ينطقون وقوله فأت بها من
المغرب ونحو ذلك واما كونه
موعظة فظاهر واما كونه
شفاء فكفاتحة الكتاب
وآيات الادعية كلها واما كونه
هدى فكقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون
وقوله فمن عفا وأصلح فأجره
على الله ونحو ذلك من كل
نص ورد في القرآن لا يدخله
احتمال ولا يفهم منه الا
الظاهر بأول وهلة كهاتين
الآيتين واما كونه رحمة
فلما فيه من البشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ورحمتي وسعت كل شيء وكل آية فيها رجاء وأما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة
للامور والحقائق مثل قوله كل يوم هو في شأن وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقوله والله خلقكم وما

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهذه وأشار الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى أن يجيبه الى ان أنعم له فيها فأتى معه فأقبلا يتدافعان يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فأين اتباعك اليوم ولو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا لتأسيت برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران في أذيالهما ثم عاد الى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلي لما سمع قارئا يقرأ أن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم فقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى اللهم لا تجعلني منهم وقالوا للشبلي ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وأنهم هم وأزواجهم في ذلك الشغل وما عرفنا تعالى بمن تفكهوا هم وأزواجهم فبماذا يحكم الشبلي عليهم بأنهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محيي الدين وقد عد واهذا من قصور نظر الشبلي حيث جرح أهل الجنة ببادي الرأي ولعل ذلك كان في بدايته وأطال في ذلك ثم قال فعليك يا أخي بالعبرة الاعتيادية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغي الاعتراض عليه وأما في الآخرة فلانه يؤدي الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه ومعه من الاعتراض بالحال على الله تعالى في أحكامه وحصول الكراهية في النفس مما أباحه الله تعالى انتهى وقال أيضا في الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال في يوم العيد فمن أدب المؤمن أن لا يشتغل في هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما فعله فيه من النوافل في ذلك اليوم يشبه الاركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في أفعال تشبه أفعال المصلي ولهذا سمي يوم العيد أي لانه يعود على العبد بالاجر في كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم انما سمي عيدا لعوده بالسرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبط بالزينة (قلنا) والزينة مشروعة في كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأيضا فان الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء النفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع في ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم في المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفي هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر أن ينهاهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد وأطال الشيخ في ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع أيضا تكرار التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال وبما قررناه يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذ المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الايام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وأيضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال

بين الصورتين فكان روحا من حيث (194) عينه بشرا من حيث تمثله في صورة البشر والله أعلم وليتأمل ذلك مع ما هنا * وقال في الباب الخامس والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وفي قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة اعلم ان عداوة ابليس لبني آدم أشد من معاداته لابيهم آدم عليه السلام وذلك ان بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام فيجمع بينه وبين ابليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما اقسم له بالله انه لناصح وما صدقه الابناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الابناء أشد من عداوة الاب له * قال ولما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك الابصار جعل الله لنا في القلب من طريق الشرع علامة نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنحفظ بتلك العلامة من القائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله الله مقابلا له غيبا بغيب وأطال في ذلك * وقال فيه ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت بحرف وأطال في ذلك * ثم قال والمفهوم من كون القرآن نزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله زمان حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منظومة هل هي لكلام الله الذي هو صفته

(المبحث الثامن والثلاثون في بيان ان أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء الذين أرسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونسكت عن الخوض في تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الابنص صريح)

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال الامام صفي الدين بن أبي المنصور والذي نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان خواص الملائكة أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة أفضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لاحد معهم مشاركة بالمقام النبوي الا بحكم الارث التبعي وسيأتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى وعبارة صاحب المواقف لانزاع في ان الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع في الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوي رحمه الله الانبياء من بني آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم أفضل من عوامهم وبنات آدم أفضل من الحور العين انتهى * وعبارة شيخ السنة الامام أبي الحسن البيهقي رحمه الله والاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة يعني الصلحاء من البشر أفضل من الصلحاء من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم فاسق قاله ابن أبي شريف انتهى * وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم أفضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولابد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم أنه لاذوق لنا في مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية أمرنا ان نتكلم بحسب الارث المناسب لمقامنا وأين المقام من المقام فلا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول الارسول ولا في مقام الانبياء الانبي ولا في مقام الوارثين الارسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه سيد ولد آدم لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهى * وقال في الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات لقد أطلعني الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل على الترتيب ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتفضلوا بين الانبياء لعينت ذلك ولكن تركته لما يؤدي اليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا محققا قال به انتهى * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة لانعرف مراتب الرسل والانبياء الامن الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم وأما نحن فلا سبيل لنا الى ذلك انتهى * وقال في شرحه لترجمان الاشواق لاذوق لنا في مقام الانبياء حتى نتكلم عليه انما نراه كما نرى النجوم في الماء كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث الولاية * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل الانبياء على التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا لا يؤخذ منه تفضيل أحدهما على الآخر على القطع للجهل بأي المقامين أفضل الخلة أو الكلام انتهى * وسمعته أيضا

الكبش ونظم السؤال هو قوله

فداء نبي ذبح ذبح لقربان
وأين مقام الكبش من بوس انسان
وعظمه الله الكريم عناية
به أو بنا لا أدر من أي ميزان
فياليت شعري كيف ناب منابه
شخيص كبيش عن خليفة رحمن

الى آخرها قال انتهى فليتامل ويحرر والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى للقلم اكتب يعني في اللوح علمي في خلقي الى يوم القيامة انما خص الكتابة بأمر الدنيا فقط لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم انما لم يقل ولكم فيها ماتريد نفوسكم لانه ما كل مراد مشتهى فان الارادة تتعلق بما يلتذ وبما لا يلتذ به بخلاف الشهوة فانها لا تكون الا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك ثم قال فالسعداء أخذوا الاعمال بالارادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له

نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة قال وأكثر الناس لذة بعمالهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف * وقال فيه في قوله صلى الله عليه وسلم سبق درهم ألف درهم أي لان صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا

تعملون ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم ان لكل اسم من هذه الاسماء كلمات تخصه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال

في الباب السادس والعشرين والثلثمائة اعلم أن أعلم الارواح بالله عز وجل أرواح الجماد لكونهم لاحظ لهم في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لان الثلاثة الاول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ولا شهوة وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة وأما الجن والانس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال وانما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة الى الميزان الشرعي ولم يوجد الله لهم العقل لاجل اقتناء العلوم لان ذلك انما هو للقوة المفكرة التي أعطاها لهم وأطال في ذلك (قلت) وقد ذكر في كتابه الفصوص نظما يوافق ما هنا فقال

فما ثم أدلى من جماد وبعده * نبات على قدر يكون وأوزان
وذو الروح بعد النبت والكل عارف * بخلاقه كشفا وايضاح برهان
وأما المسمى آدم فمقيد * بعقل وفكر أو قلادة ايمان
بذا قال سهل والمحقق مثلنا * لانا واياهم بمنزل احسان
ومن عرف الامر الذي قد ذكرته * (البحث
يقول بقولي في خفاء واعلان * ولا يلتفت قولا يخالف قولنا
ولا يبذر السمراء في أرض عميان * هم الصم البكم الذين أتى بهم * لاسماعنا المعصوم

وأطيعوا أولي الامر منكم فهم لا تشريع لهم انما هو بحكم التبع للشارع وأطال في ذلك * وقال في باب أسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولي الامر بما لم يعمل هو به أن ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل أنت به اذ لا يشترط في الداعي ان يكون عاملا بكل ما يدعو اليه وقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منهم صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو أمان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو أن مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم كان مقامهم يعطي التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا ان نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له أنت يا رسول الله في أمان منا أن نعترض عليك في شئ أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذا شرع ما شرع له الامته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفي الحديث انى شرعت لكم مثل القرآن أو أكثر رواه الطبراني وغيره فدل على أن اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما أدركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لابد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصي الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى (فان قلت) فهل تخلف أحد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والاحجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالانس والجن (فالجواب) لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية أحدا غير الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلاء وانما خلقهم ليذلوا في المستقبل وأما ما سوى الثقلين فانه خلقهم اذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على الرسل الا الثقلين (فان قلت) فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب المذكور آنفا أن سبب تكبرهم كون المتوجه على ايجادهم من الاسماء أسماء اللطف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهي فلما أبرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت في وجودها الى لطف وعطف لكون الحق تعالى لم يبد لهم شيأ من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم الى الدنيا فقالوا بنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدوني أي لتكونوا أذلاء بين يدي ولم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو أنه تعالى قال لهم ما خلقتكم الا لاذلالكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهي ولم يتمكن لاحد منهم أن يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا ان يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده في كتاب والله تعالى أعلم

على غيرنا أو من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لاغير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا ان ذلك ابتلاء ما وصلوا به انتهى * وقال الشيخ في أواخر الباب السابع والستين وثلثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤى في المنام قط الا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائي في المنام في كل صورة في العالم ومن هنا يعلم ان المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها ممتدة في العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك مقام معلوم أو ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق في علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهي كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادي من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوك المقام الذي عين له فمنهم شقي وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو في مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج أن يؤمر بالسلوك اليه لاقامته فيه سواء كان ذلك ملكا أو حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك ان الثقلين داخلان في قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله أعلم * واعلم يا أخي ان القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رأيته في نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا في الخطبة ان نسخ مصر مدسوس فيها على الشيخ والذي رأيته في النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلا

ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملا

انتهى

فاياك أن تنسب الى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

(المبحث التاسع والثلاثون في بيان صفة الملائكة وأجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بهم لا توجد في كتاب أحد ممن صنف في الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة)

اعلم انه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه والذي يخصنا هنا ان تعلم أن الملائكة عند أهل الحق أجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما سيأتي ايضاحه في هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل النجوم والشمس والقمر أملاك أو منصات أملاك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لان الله تعالى قد جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من أحوال المملكة السماوية والارضية والاملاك هذه المنصات منهم جنود وأمراء ووزراء وملوك وأطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذي يليق بهم فقد استحق العزل (فان قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمدهم الى ولاة أهل الارض بالعدل

المقدر لا غير فالقاضي حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال في ذلك (قلت) وقد بسطنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه فراجعه * وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم ان موسى عليه السلام ما قال رب أرني أنظر اليك الا لما قام عنده من التقريب الالهي فطمع في الرؤية وسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محارات العقول ومعلوم ان الرسل أعلم الناس بالله تعالى وأنهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك فان الابصار لا تدركه مع انها آلة يدرك العبد بها رؤية ربه قال وانما منع موسى الرؤية لانه سألها من غير وحي الهي بها ومقامهم الادب فلهذا قيل له لن تراني ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى ان حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحي بالاحالة على الجبل في استقراره عند التجلي اذ الجبل من الممكنات فلما تجلى الحق للجبل واندك علم موسى انه فيما لم يكن ينبغي له وان كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين بوقوع هذا الجائز وأطال في صفات الناس في رؤية الله عز وجل (وقال) فيه في قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم اعلم ان الهوى أعظم من عبد من دون الله فانه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه في الانسان ما أثر مثل هذا الاثر فيمن هو على علم بأنه ليس باله أطال في ذكر من ادعى الالوهية من العبيد ومن ادعت فيه ولم يدعها ومن ادعاها في سكر ثم قال وكان الحلاج ممن ادعاها في سكر بقي فقال

يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل وكذلك الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وانما فضل الانبياء والرسل بأحوال أخر ليست هي عين ماوقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام الا وهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ماوقع به المفاضلة يؤدي الى التساوي كما هو مذهب الامام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بامر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذي عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ماعند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع مايفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى * ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ماحرر القول على مايقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من أهل الكشف قال والذي نقول نحن به أن معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا مالم نعط هذا وأعطينا هذا مالم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف (فمنهم) من فضله الله بان خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام (ومنهم) من فضله بالخلة كابراهيم (ومنهم) من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وأيضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكأنه يقول الاسماء الالهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى وأما التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار لم يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل أن يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم الا أن يقال ان التفاضل حقيقة انما هو في الحقائق التي هي الارواح وأرواح البشر ملائكة فالملك اذن جزء من الانسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقي في العلم والملك لا ترقي له ولم يقيدوا ويصفوا لامرتبة من المراتب التي يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقي في العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق في العلم وحرمت المزيد فيه ماقبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما الهيا بالاسماء لم تكن عندهم فسبحوه تعالى وقدسوه (فان قلت) فاذن الملائكة مساوون لنا في الترقي بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن في الجنة بالاعمال التي نفعلها هناك لزوال التكليف فنحن واياهم في ذلك سواء في الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا بالعلوم والاعمال من باب الشرف لنا

على الله تعالى وصاحب الالف أعطى ماعنده وترك منه مايرجع اليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول ولو ان صاحب الالف بذل جميع ماعنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وانما اعتبر مايرجع اليه المعطى بعد العطاء فهو لما يرجع اليه وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه * وقال في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى الرحمن علم القرآن اعلم ان القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد الذي لا يبلى ويظهر في قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها في ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر في القلب احدى العين فيجسده الخيال ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلمة ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الآذان وقد قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فكلام الله بلا شك والترجمة متكلم به كان من كان فان قلب بيت الرب فافهم وقال في الباب الثلاثين والثلثمائة اعلم ان القضاء والقدر أمران متباينان فالقضاء هو الحكم الالهي على الاشياء بكذا على القضاء في الحكم في جميع الامور وأما القدر فهو الوقت المعين لاظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في

رضي الله تعالى عنه محمد غني الله والعجب أعني الى آخر ما قاله فاعلم ذلك وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الخامس وخمسمائة

عنا فلا نراهم الا اذا شاء أن نظهر والذي ذكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الحفظة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا أراد الله عز وجل لاحد من الانس أن يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لمن يراهم أو يرفع الغطاء عنا فنراهم رأى العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولي فان رأى الملك لا يراه مكلما له وان كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبي (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذي أمرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه في أحسن تقويم أو لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه في أحسن تقويم وسيأتي قريبا ان سبب السجود كان عن اغضاب خفي على الملائكة (فان قلت) فلم أمروا بالسجود لآدم قبل أن يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما أمروا بذلك قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله من الاسماء امتحانا للملائكة ولولا أن السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما أبى ابليس ولا قال أنا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال أأسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أقرب الى اسم النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعد ما أخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأتى بالماضي من الافعال وباذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا ما اذا نهى الشرع أن يسجد انسان لانسان فانه سجود الشئ لنفسه فانه مثله والشئ لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحناء أيضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة أولا مر آخر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن اغضاب خفي لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الارض ولو أنها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد اغضاب خفي أو جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ بها (فان قلت) فقد ورد صفوا يعني في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انها تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربها أيضا (فالجواب) نعم وايضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لما كان آدم فامامنا يسجد لله والله تعالى في قبلة الامام كما يليق بجلاله والامامة لها الملائكة ما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهي والامر اذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلى الى يوم القيامة كما عصى آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل أخاه هابيل ظلما فما زال القتل في بني آدم ظلما الى يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما الفرق بين السجودين أعني سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق بين آدم وبنيه ان الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم

ما نصه اعلم قال تعالى فانك باعيننا ليعلمه أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم الا بما هو الاصلح له عنده سواء سره أم ساءه هذا مراده بقوله باعيننا أي ما أنت بحيث نجهلك وننساك والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلثمائة قال ابليس للحق جل وعلا يا رب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جل وعلا متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبل ذلك فقال ابليس ما علمت بذلك الا بعد ما وقعت مني الاباية فقال الله عز وجل له بذلك آخذتك فلله الحجة البالغة * وقال في حديث البخاري في الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم أن من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام تلاوته للقرآن انما يتلو حروفا ممثلة في خياله وحصلت له من الفاظ معلمه ان كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة ان كان أخذه عن كتابة فاذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر اليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا فهم ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله قال ولهذا التالي أجر الترجمة لا أجر القرآن لانه ما تلا المعاني وانما تلا حروفا تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ الى اللسان يترجم به لا يجاوز حنجرته الى القلب الذي في صدره فلا يصل الى قلبه منه شئ وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة من شرف

مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذى امتد اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والى عدل وامام فضل وأما من كان استعداده رديأ فانه يقبل ذلك الامر الطاهر فيرده الى شكله من الرداءة والقبح فكان والى جور ونائب ظلم فلا يلومن الانفسه اه وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى التنزلات الموصلية (فان قلت) فهل فى قوة الملك أن يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر أول المبحث (فان قلت) فهل فى قدرة الكامل من البشر أن يظهر فى صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى عشر وثلثمائة ان فى قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر فى صورة غيره من البشر وليس فى قوة الكامل من الملائكة أن يظهر فى صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر فى صورة اسرافيل ولا عكسه وعلم ان فى قوة الانسان ما ليس فى قوة الملك (فان قلت) فأى الملائكة أكرم مقاما على الاطلاق كما هو الحال فى محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغى لاحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل أفضل من اسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذى هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فان قلت) فهل يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملأ الاعلى بانهم أنبياء أو أولياء لانهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الاسماء التى علمها لهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة باسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فان قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم أعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذى يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بأن ينفقه فى مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لان الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم أعط ممسكا تلفا أى اجعل الممسك ينفق ماله فى مرضاتك فتخلفه عليه وان كنت يا رب لم تقدر فى سابق علمك ان ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كما مر لا كما ظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعو بشر لا سيما فى حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك أن دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثانى كونه دعاء فى حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه أى الملك غاير بين اللفظين والله أعلم (فان قلت) فهل فى قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد (فالجواب) ليس فى قوة البشر أن ينزل واحدا من الاملاك من السماء باقسام عليه أو غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك فلا يؤثر فى مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بأمر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تنزل بالاسماء والبخورات وأشباه ذلك لانه تنزل معنوى ومشاهدة صور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح فى السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها فى عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الرى عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور ومن قولهم فى الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك (فالجواب) المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا فى مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين أعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب

بعيد وان شقى به آخرون أطال فى ذلك ثم قال واذا كان يوم القيامة تجسد الله الهوى كما تجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه فى صورته تلك تجسد المعانى لا ينكره العلماء بالله تعالى فان كان من اتبع هواه مسلما خرج من النار بعد انتهاء العقوبة حدها وبقى صورة هواه معذبة وان كان كافرا بقى مع صورة هواه أبد الآبدين * وقال فى الباب الثانى والثلاثين وثلثمائة فى قوله تعالى فيه شفاء للناس أى العسل اعلم أنه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وان كان بعض الامزجة يضره استعماله لان الشفاء هو المقصود الاعظم منه كما أن المقصود بالغيث ايجاد الرزق الذى يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة فى حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لان هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذى نزل له المطر وانما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل انما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام (قلت) وقد تقدم نحو ذلك فى الكلام على النية من حيث انها موضوعة بالاصالة للاخلاص والله أعلم

* وقال فيه فى قوله تعالى تجرى بأعيننا انما جمع العيون هنا وفى قوله فانك بأعيننا لان المراد بهذا الجمع عيون ... عنا

[illegible]

المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أو غير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين ومائة ان المراد بالصحف المكرمة هي علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أى محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا أراد الله تعالى انفاذ أمر في خلقه أوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسى فيلقى الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بان يوحى به الى من يليه ويوحى اليه ان يوحى الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا وينادى ملك الماء فتوضع تلك الرسالة في الماء وينادى ملائكة الالمات وهم ملائكة القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتى بأمثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده في القلوب وهى الخواطر قبل التكوين بانه كان كذا واتفق كذا ما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك الماء اذا ألقى ما أوحى به اليه في الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين اه (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك أنهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن في التجلى الاجمالى دنيا وآخرة والاجمال هنالك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحى كأنه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذى هو نظير المحكم فينا فالامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات ومع الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكور من الملأ الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم لكن من غير فرق لانهم على مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك ان الملائكة أرواح في أنوار ولها أجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحى على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان كما مر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا أى يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بان كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أى الحق يقول وهو العلى الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلى الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله أعلم (فان قيل) فهل للعالم البشرى التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة قال وما عدا هذين الصنفين فما للعالم البشرى عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم ان العالم النورى من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشرى عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنده الا بامر ربه فمن أراد ان ينزل واحدا منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك اسعافا لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء (فان قيل) فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذى هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن عدوا الى الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذى يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدى اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل في الملائكة أحد يجهل صفات الله عز وجل كما يقع لعوام الجن والانس

أضاف تعالى الخلق الا لاذن الله وعيسى عليه السلام عبد والعبد لا يكون الها قال وانما جئنا بهذه المسئلة في هذه الآية لعموم كلمة ما فانها تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه في العلم باللسان فان بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على من يعقل وانما قلنا هذا لئلا يقال في قوله ما تدعون من دون الله انما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب قال وقول سيبويه أولى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة كل علم لم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا * وقال في الباب الحادى والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر في كتب الملل والنحل لاحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أى وجه تفرعت أقوالهم لا غير وهو آمن من موافقتهم في الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح * وقال في الباب الثانى والاربعين وثلثمائة مما يؤيد قول من يقول ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربى وليس هو غير أسمائه فانه القائل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال ولو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربى فافهم (وقال) في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انما قال الله تعالى في الحديث القدسى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال والفكر

للمعلم فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله أعلم (فان قلت) فلم لم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المنفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف في صفهم ولو انه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغي ان يقال في الجواب عن الرجل الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بأن السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الامام فنحن عند الله في حال امامتنا كامر والملائكة تبع لامامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربهم الان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام لمن خلفه بالغا ما بلغ (فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله تعالى بنافلة أبدا انما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم (فان قلت) فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي أخبر الحق تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر النسق كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا أيضا من حيث انه ليس لهم فكرة وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم أيضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم اه (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيحفظه له عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل وهي تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود وسبب ذلك أنه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الكون فعن القول الالهي فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا أتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذي هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلا بد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال أيضا لكون الله تعالى أخبر أنهم يعلمونها وما يعلمونها الا ليكتبوها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم (فان قلت) فما

هذه الامة المحمدية على سائر الامم ان الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالم قبل ظهوره فانه تعالى اعطى خلفاءه من الانبياء التشريع وأعطى هذه الامة الاجتهاد في نصب الاحكام وأمرهم ان يحكموا بما أدى اليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الانبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فان المتأخر يرث المتقدم بالضرورة وأطال في ذلك * وقال فيه في معنى حديث جعلت لي الارض مسجدا اعلم أن في هذا الحديث اشارة الى أن جميع الارض بيت الله يلازم العبد الادب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فأهل الادب من هذه الامة جلساء الله على الدوام لانهم في مسجد وهي الارض أحياء وأمواتا فانهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الارض الى بطنها وحرمة المسجد الى سبع أرضين * وقال فيه قد أنزل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الانبياء وهي أنه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات وانزاله على القلب والاذن وأعطاه انتهاء علم الاحوال كلها لانه أرسله الى جميع الناس كافة وأحوالهم مختلفة بلا شك فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الاحوال وأعطاه أيضا علم احياء الاموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل نخص بها (وقال) فيه في قوله تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض المراد علم ان تخلق عيسى للطير انما كان باذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها الى الله لانه مأذون له في ذلك فما

تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم * الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه ولا تكتسب قط مقاما وان زادت علوما وليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان (فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة هو القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الا فيما كان من مقامها ولا تتعدى مقام صاحبها من الاملاك كما مر في مبحث الاسراء آن غاية كل شئ أن يرجع للمحل الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة الا لينزلوا بها الى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوي بلا أجنحة ويصعد بها فان أجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فعلم ان الاصل في أجنحة الطائر أن تكون للصعود والاصل في أجنحة الملائكة أن تكون للهبوط فالطير اذا نزل نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له أن يتصرف الا على قدر ما حد له (فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم اليها عروجا أيضا لظهار الاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له جهة العلو على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلو سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك ان الله تعالى أعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شئ ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من أي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع الى الحق من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول الى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (فالجواب) المراد به استكبرت أي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله أخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من آدم فهذا جهل ابليس (فان قلت) فهل العالون أرواح أو ملائكة (فالجواب) هم أرواح ما هم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح كجبريل وأمثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فانه ما ذكر أنه خاطب الا الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون نصب ابليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس أم كنت من العالين أي من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود في اللسان هو التطأطؤ لان آدم خلق من تراب وهو أسفل الاركان لا أسفل منه وسمعت بعض أشياخنا يقول انما لم يؤمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلانهم ما جرى لهم ذكر في تعريف الله ايانا ولولا ما ذكر الله تعالى ابليس بالاباية ما عرفنا انه أمر بالسجود ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة * وقال في الباب السابع والخمسين ومائة ارفع الارواح العلوية

ما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما في العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك وأطال في ذلك * ثم قال فالحمد لله حيث جاء بنا في الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا في أوراق سوادا في بياض ولم نطالب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو انا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته صلى الله عليه وسلم هل كان يغلب علينا داء الحسد ولا نطيعه أم نغلب نحن نفوسنا ونطيعه فكفانا الله ذلك فله الحمد على كل حال * وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة في الكلام على العندية الالهية في نحو قوله تعالى وما عند الله باق وفي قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال وعنده مفاتح الغيب وفي الحديث صفوا كما تصف الملائكة عند ربها * وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اعلم ان هذه العندية اختلفت اضافاتها بحسب ما أضيف اليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث فانه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان خاص بل ما هو ظرف مكان جملة واحدة على الاطلاق قال وكذلك في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فجعل لما عندية وما هي ظرف مكان في حقنا قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والاسماء وأطال في ذلك ثم قال فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة انه ليس في الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة ثم قال في حق الناس وأولو العلم قائما بالقسط فلم يذكر طائفة في الملائكة وأصنف في ذلك الناس فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود لعلم كل عالم بالوجود بخلاف التوحيد في الذات وفي المرتبة فيجهله بعض الناس (فان قيل) فهل احتجبت الملائكة عن البشر بشئ من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك انهم احتجبوا عن علم الذي لا يعرفه أحد من البشر الا ان تجرد عن شريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة وقوم في عبادتهم لله تعالى في مقام الملائكة في عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك وسنه الجدول لاخوان السالك علماهدا العلم لاحد يدعيه كذب بالمباهلة منها ما تقربه العيون (فان قيل) فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة كما فطر غيرهم أم لا شهوة له أصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس لملك شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم انما حاق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فان قيل) فعلى ما فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص في الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية وليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهم الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلوم غايتها آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا بها الشهوة في هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف انما هو من طريق الفكر بالموافقة وعلم ان العلوم التي في الانسان انما هي بالفطرة والصبر وزوال الاوهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلوم التي فطره الله عليها لا غير فهو يرى ما يعلمه وأما بالفكر فمحال أن يصل به الى العلم (فان قيل) فمن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس لم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهي وذلك أن النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا ولهذا ان الفكر الصحيح غاية أمره أن لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كان غاية مقام يصل اليه العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله تعالى الحيرة في الله وهذا مبتدأ البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج عنها ولا يقدر أبدا (فان قيل) فكم أصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ في الباب الرابع وخمسين وثلثمائة الاول الصنف المهيمون في جلال الله تعالى كما أوجدهم فانه تعالى تجلى لهم في اسمه الجليل فهيمهم وأفناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا أدركناهم من طريق كشفنا فهم في الحيرة سكارى وقد أوجدهم الله تعالى من أبنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء فيجعل ما بينهما وهم أرواح في هياكل أنوار كسائر الملائكة الآن وليس لها ولا للملائكة من الولاية الاولاية المكملات * الثاني ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة البنا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن في الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين باللمات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين أفضل من هؤلاء كما مر في المبحث قبله * واعلم ان رأس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجود هؤلاء مع العالم المهيم غير ان الله

والحفظ والتصوير والوهم والعقل لان هذه مفتقرة الى الحواس والحق مفتقرة من هنا يعرف عمره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فانها انما هي مفتقرة الى الله تعالى لا الى غيره فتنزلت الى ان هو مفتقر اليه لم يشرك به أحدا فعلم ان الحواس أتم لكونها هي التي تهب القوى الروحانية ما تتصرف فيه وما به تكون حياتها العلمية * وقال لما كان تجلي الحق تعالى في الثلث الاخير من الليل يعطي العلوم والمعارف أكثر مما يعطي الثلث الاول والاوسط كان علم أهل الثلث الاخير من مدة عمر هذه الامة أكمل وأتم وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة الا الى الايمان خاصة ولم يظهر لهم شيأ من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه الى عموم ذلك القرن فكان الصحابة أتم في مقام الايمان والتابعون أتم في العلم وتابع التابعين أتم في العمل * قال والحكمة في كون الصحابة أقوى ايمانا ان نشأة الانسان فطرت على الحسد فلما بعث النبي من جنسهم لم يؤمن به الا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان مقام أتباعهم بما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار فان تفرغوا على ما بقوة الايمان تعالى ولكن حيرانه مما حاطه لما التصديق بما نقل لنا عنهم من التشريع فحصل لنا درجة الايمان بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا تقدم ذوقهم أتم

صلى الله عليه وسلم فى الآخرة وللشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى هذه المسئلة ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وأن من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وفى القرآن العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما أراد نحر عبد الله فى قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد بأى وجه كان توحيده كما سيأتى قريبا فى حكم أهل الفترات قال الجلال السيوطى وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى أحيى أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادى وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص ابن شاهين والسهيلى والقرطبى ومحب الدين الطبرى وابن المنير وابن سيد الناس والصفدى وابن ناصر الدمشقى وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين ولفظ السهيلى بعد ايراد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبويه فقال ماسألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى القائم يومئذ المقام المحمود قال ففى هذا الحديث تلويح بأنه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما فى ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذى يقع يوم القيامة كما ورد فى عدة أحاديث قال المحب الطبرى والله تعالى قادر على أن يحيى أبويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما أكرم الله تعالى به سيد الاولين والآخرين اه وقال القرطبى ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم بممتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد فى القرآن احياء قتيل بنى اسرائيل حتى أخبر بقاتله اه (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل احياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم أى الى تكملة آجالهم وعلى ذلك فما آمن أبوا النبى صلى الله عليه وسلم الا فى زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض المحققين فى سجدة أهل الاعراف من أن ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع انها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخى له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة والله أعلم وكان الامام أبو بكر بن العربى المالكى الفقيه المحدث يقول ما عندى أحد أشد أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان أبويه فى النار وفى حديث مسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فيحرم حرمات يقال ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى النار اه قال الشيخ جلال الدين السيوطى خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد صرح جماعات كثيرة بأن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية فى الفقه والاشاعرة فى الاصول ونص على ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطى رحمه الله ومما يوضح لك أنهما لم تبلغهما الدعوة أنهما ماتا فى حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائى وغيره أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت فى حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب فى التوحيد على القول بأن الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع أن ذلك الزمان الذى كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة اه * ولنذكر لك جملة من أحكام أهل الفترتين ليدخل أبوا النبى صلى الله عليه وسلم فى أشرف أقسامهم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الموحد سعيد بأى وجه كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك أن متعلق الايمان انما هو الخبر الذى يأتى به الانبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهرى أهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما وحينئذ يصح أن يلغز بذلك فيقال لنا شخص مات على غير الايمان ويدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده فى قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيى الدين أهل الفترتين فى الباب العاشر من

للاجسام الشفافة وفى الثلث الآخر للاجسام الكثيفة وأطال فى ذلك وتقدم نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه * وقال الشمس غير غائبة عن الارض فى طلوعها وغروبها وانما تطلع وتغيب عن العالم الذى بها والظلام الحادث فى الارض انما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسميه ظل الارض لما هى عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ولا نهار الله نور السموات والارض أى منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم * وقال لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف فى الخاص والعام كلما قربت الساعة كان الكشف فى الناس أكمل وأتم * وقال يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما تغير طعمهما عما كانا عليه فى الجنة من مزاج الارض فاذا كان يوم القيامة عادا الى الجنة (قلت) ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم الى دخول الجنة أم لا أحد يشرب حتى يدخل الجنة أو يرد الحوض فمن وجد شيأ فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير * وقال فى قوله ان أحسنت أمتى فلها يوم وان أساءت فلها نصف يوم يعنى من أيام الرب الذى هو كألف سنة مما تعدون والمراد باحسانها نظرها الى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم وانما قال صلى الله عليه وسلم ان أحسنت وان أساءت ولم يقطع بشئ لعلمه صلى الله عليه وسلم

العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مألكة والالوكة الرسالة ولا تختص بجنس دون جنس ولهذا ادخل ابليس في الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل في الرسالة في الجملة والملائكة جنس يعم الارواح البررة السفرة والجن والانس وكل صنف فيه من أرسل وفيه من لم يرسل والاسوة الملكية المهيمونة لا ينالها الا الطائفة الاولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أو الافراد من ملائكة الكرسي والسموات وملائكة العروج قال وآخرى من الملائكة اسمعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فاعترفوا أن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا أوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحي فضربوا بأجنحتهم وأطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التي استندت اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء في ايجادهم وأحكامهم (فالجواب) هي سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كانه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتموني وقدستموني بهذه الاسماء قط مع انكم ادعيتم تسبيحي وتقديسي وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة في الارض ولم يكن ينبغي لكم ذلك (فان قلت) فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة تتعلق بأمر من الامور رفعهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان (فان قلت) فهل في الارواح قوة مصورة كما في الانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذي هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الارواح التي فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين في جلال الله والله أعلم وفي هذا القدر من أحوال الملائكة كفاية وسيأتي نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

(المبحث الاربعون في مطلوبية بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)

اعلم انه يستحب بر الانبياء كلهم والدعاء لهم بان الله يزيد في درجاتهم رجاء رضا الله عز وجل عنا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة اعلم انه ينبغي لكل مؤمن بر أجداده وآبائه المسلمين وغيرآبائه من أكابر الاولياء من آدم الى أبيه الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم عليه السلام وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصى عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة أبينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس قال ولقد ألهمني الله تعالى صلتها فوصلتها ووصلت بسببي أيضا وكان ذلك عن توقيف الهي لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يابني آدم الا ليذكرنا تعالى بأبينا آدم عليه الصلاة والسلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه أحد لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا أخت هرون وأين زمن هرون من مريم * وأما وجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي النبي

ال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هو ما يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم * وقال في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة في قوله تعالى مثل [نو]ره كمشكاة فيها مصباح [الا]ية اعلم أن الشجرة التي [توق]د منها المصباح مثال لهويته [تع]الى فان هويته تعالى لا هي [ش]رقية ولا هي غربية ولا تقبل [الج]هات والزيتونة هنا هي [الما]دة الزيت الذي هو المادة [...]روكني عن الهوية بالشجرة [لا]ن الشجرة مأخوذة من [الت]شاجر وهو التضاد لان [اله]وية حاملة للاسماء المتقابلة [...]لها كالمعز والمذل والنافع [و]الضار فانظر يا أخي ما أكمل [ع]بارات الالهية في الاخبار [...]اهو الامر عليه وأطال في [ذل]ك * وقال في قوله صلى الله [عل]يه وسلم أعمار أمتي ما بين [ال]ستين الى السبعين وأقلهم [من] يجوز ذلك اعلم ان في [هذ]ا الحديث اشارة الى أمة [...]خصوص وهم الاولياء [المحم]ديون خاصة فمن زاد على [...]ين سنة فما هو محمدي [المق]ام وانما هو وارث لمن شاء من الانبياء من آدم عليه [الس]لام الى خالد بن سنان عليه [السلا]م وأطال في ذلك * وقال [في ح]ديث السبعين الذين [يدخ]لون الجنة بغير حساب [...]يكن ذلك في حسابهم [...]فعلوه قبدا لهم من الله [ما لم ي]كونوا يحتسبونه وأطال [...]ح كلمات الحديث [...]ال التجلي الرباني في الليل [ث]لاثة أقسام وكذلك تجليه [بالنه]ار فيتجلى تعالى في الثلث الاول من الليل للارواح المهيمة وفي الثلث الاوسط للارواح المسخرة وفي الثلث الا[خير] للارواح [...] صلى [...]هجة المدبرة للاجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول منه للاجسام اللطيفة التي لا تدركها الابصار [...] الاجسام

منهى عنه الا ويقابله أمر مأمور به يكون كفارة له) *

اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التي أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهيرا لمحلها انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يخفى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في محظور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينقلون قط من مقام أو حال الا الى أعلى منه كما مر بسطه في مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهرا لارتكاب بنيه المنهي فعلا أو همّا حراما أو مكروها أو خلاف الاولى ولكل أهل وان تفاوتت مراتب الناس فادونهم من يرتكب خلاف الاولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصي في حق الانبياء فمعدول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فانما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فلهم في ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له وأما معاصي غير الانبياء فان كان الولي محفوظا لحفظه المكروه ما دامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون في الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم في ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الاولى معصية وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامة أحد الا وقد وقع في النهي ولو في خلاف الاولى الذي هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرناه وكان في أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر في كل ما يتحركون ويسكنون فيه من أمر ونهي ومباح * ولنبين لك أحكام التكاليف من حيث انها كفارة من باب الطهارة الى باب أمهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من شجرة النهي الذي هو فعل خلاف الاولى بغير اذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال ظنه ان ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه بأنه جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة المقذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت الشريعة بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته وزادت حواء وبناتها على آدم وذكور بنيها الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة التي بينها لآدم عليه السلام الاكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف في ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحسن لها أشد ممن أتاها مستقبحا لها اذ التأويل يذهب قبح المعصية واعلم يا أخي ان تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك انزلا الى الارض التي هي محل العفونات ثم لما نزلا اليها تولد في ذاتهما من تلك الاكلة التي أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أو غيره وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمنامهم زيادة على ذلك وهو الجنون والاغماء بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرناه ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط الا وهو متولد

الجهل بالله ويظنون انهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فجمعوا بين جهالتين (٢٠٩) وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآية اعلم ان الانسان مجبول على حب من أحسن اليه لاجل احسانه وعلى استجلابه الود من أشكاله بالتودد اليهم ولما علم الله ان الانسان مطبوع على ما ذكرناه لم يكتف تعالى بقوله لا تتخذوا عدوي فقط لعلمه أنا لا نقوم في هذا النهي في جانب الحق مقام من يخافه حقا بل زاد تعالى وعدوكم لنبغضهم بالبنا بدل محبتهم التي كانت عندنا ولا نؤثرهم على مرضاته تعالى قال وليس في حقنا ذم في القرآن أعظم من هذا فانه تعالى لو علم منا اننا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله عدوي وأطال في ذلك * وقال في الباب الستين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه فيه اشارة الى مباينة نور الحق لسائر الانوار فلا يدرك لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور ادرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلا وحسا وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في هذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول هل سبحتموني أو قدستموني بهذه الاسماء حيث قلتم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فركتم

ن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومهم هذا مقدار معلوم عندنا بل ميزانه لا يعلمه الا الله (قلت) وقد أحسنت ولله

الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة ولاربعة بالشقاء والثلاثة بأنهم تحت المشيئة (فأما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فان قسا كان اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال وأما سعيد بن زيد فكان يسجد ويقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول أيضا اني لانتظر نبيا من ولد اسمعيل من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد انه نبي ومن طالت به مدة ورآه مرة فليقرئه مني السلام اه * ذكره ابن سيد الناس في سيرته قال الشيخ محيي الدين ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث أمة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خاص غير ممتزج بفكر في كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابرياء (وقسم) ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضياء بين من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر وا تبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء حين علم وأعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ويتميز في زمرته في ظاهر يته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر (وقسم) طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم لاسيما ان كان قد أتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهر ية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران فهؤلاء ستة أقسام كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (وأما) الاشقياء (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء نظر وتقليد فذلك شقي (وقسم) أشرك عن تقليد محض فذلك شقي (وأما) من هو تحت المشيئة (فقسم) عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه اضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعدما أثبت عن نظر بالغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) أقسام أهل الفترات التي بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك ان تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم نجده لغيره والله أعلم

*(المبحث الحادي والاربعون في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك انها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل

لحمد وجاوزت الجسمانية نية المحسوبة من ولاية معاوية بالحمد لله رب العالمين * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة حتى لم يبق أحد منهم الا رأيته وعرفته وكذلك جمعني تعالى على ورثتهم من الاولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون في كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة قد ذهب بعض العلماء الى أن الاكراه على الزنا لا يصح وذلك لان الآلة لا تقوم الا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال وعندنا انه مجبور في مثل هذا مكره على ان يريد الوقاع ولا يكون الوقاع الا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أو ضرب أو حبس ان لم يفعل فصح الاكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فانه يقنع فيه بالظاهر وان خالفه الباطن فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة من حيث ايمانه ولولا ان الشهوة ارادة بالالتذاذ لقلنا انه غير مريد لما اشتهاه وأنشد

من يشتهي الامر قد تراه
غير مريد لما اشتهاه

* لكنه اضطر فاشتهاه في ظاهر الامر اذ رآه * وقال في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة من أدب العارف بالله تعالى منه ...
اذا أصابه ألم أن يرجع الى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدبا مع الله واظهارا للعجز حتى لا يقاوم القهر الالهي كما يفعله أهل

الجنابة بخروج المنى لانه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن فى ذلك الامن حيث اللذة لامن حيث الاستقذار فان الجامع لما كان يحس باللذة انها قد عمت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذى حصل للبدن عقب خروج المنى ولكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضى الله عنه ان القهقهة فى الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الامن قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها انما شأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء (فالجواب) أن وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم فى محلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة ولذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان أعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصى لواقعة من العبد فاذا غسل المتوضئ الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء لوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصى واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصى ربما لا تخر له خطايا بغسل أعضائه بالماء فافهم بخلافه اذا تاب وندم فان خطاياه تخران قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التى هى الصلاة على أكمل حال يليق به (فان قيل) فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمى دون البهائم التى تؤكل مع أن الآدمى أشرف من البهائم كلها (فالجواب) أنا نقول وما جاءنا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه الامن جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم ثم فلما أكل من شجرة النهى بالمعنى السابق أول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف فى بولها وغائطها والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح المقرب ويؤاخذ المبعد وكان ينبغى لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من المآكل والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا ووصنانا حين صاحبته نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (فان قيل) يفهم من تقريركم هذا أن من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته أن يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أفتى به شيخ الاسلام البلقينى والسبكى والجلال السيوطى وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقينى والله لو وجدت شيأ من بول النبى صلى الله عليه وسلم وغائطه لأكلته وشربته وفى الحديث ما يؤيد ذلك فروى الطبرانى وغيره نحن معاشر الانبياء بنيت أجسادنا على أجسام أهل الجنة اه ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم وأما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبى صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم كان يتنزه عنه ويغسل ما أصابه منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشرى (فان قيل) فلم لم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمى كلها من مخاط وبصاق وعرق ابطه لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر فيها وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا لون أصلهما (فان قيل) فما وجه الامر بالجمع بين الماء والتراب فى نجاسة الكلب (فالجواب) وجهه ان الله تعالى جعل سؤره نجسا بعيث الغالب اذا أكل أو شرب ومعلوم أن من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدى لتوبة اذا وقع فى ذنب وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان وكما سماها تعالى رجسا من حيث

يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوق وهو معكم أينما كنتم يحفظ عليكم وجودكم وكنتم أمرا وجوديا بلا شك لا يعلم منه الا الايجاد والوجود ولهذا لا يقال للموجود كن عدما ولا كن معدوما لاستحالة ذلك * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة انما لم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله فى الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالايمان كقس ابن ساعدة واضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها أو بصاحبها فقس رضى الله عنه موحد لا مؤمن فتأمل * وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله الآية فانث ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فان النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لاجل التناسل الواقع بين الذكر والانثى ولذلك جاء فى الايجاد الالهى القول وهو مذكر والارادة وهى مؤنثة فأوجد العالم عن قول وارادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر فقال انما قولنا لشئ والقول مذكر اذا أردناه والارادة مؤنثة أن نقول له كن فيكون فظهر التكوين فى الارادة عن القول والعين واحدة وأطال فى ذلك بكلام نفيس فى التوحيد والله أعلم * وقال فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى فى آدم لما خلقت بيدى بالتثنية اعلم ان كل مخلوق فى العالم فهو مضاف خلقه الى يد الهية قال تعالى مما عملت أيدينا أنعاما فجمع الايدى وقال فى الحديث ان الله تعالى غرس شجرة طوبى

من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة في عدم وقوعه في شئ ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما لم نذكره فان الملائكة لا تبول ولا تغوط ولا يجرى لها دم أصلا وكذلك لا تشتهى لذة اللمس ولا الجماع ولا تجن ولا يغمى عليها ولا تنام ولا تعصى الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان العبد لا يعصى قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل و يشرب فلولا انه حجب بالاكل والشرب ماوقع في معصية قط فصح قول الامام على رضى الله عنه من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو صليبا فليتوضأ ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما ألحقه بالمريض أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم وأتباعه المجتهدون بالتطهر بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شئ تولد من الاكل والشرب وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء أو التراب بل أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بنضح السراويل التي يمسها الفرج وقال بذلك أمرنى جبريل عليه السلام وكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررناه ذلك * وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لى فيه بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذى هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتهما وانما هما لكونهما محلا لخروج الناقض وملامسته اذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع أعضاء البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونمت به وقد جاءت أقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة في النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط في الناقض وفي الماء الذى يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا في النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذى فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولى النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين في أيام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص في ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا بعذر شديد وكذلك القول في كل ماجاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم أن الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا انما الناقض حقيقة ما على الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هى التى تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس في الحصاة والعود اثارة شهوة ولو بلعهما المكلف ثم خرجا منه وأما ابطال الصوم ببلعهما فانما حكم به العلماء سدا للباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذى هو المقصود بالنهى وكما حكموا ببطلان الصوم بأكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان أصل علة التحريم هى الاسكار وقس على ذلك دخول الميل في ذكر الصائم أو دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا (فان قيل) فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المنى مع انه دون الغائط في الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن في الغسل من

الجنابة

نفوسكم وجرحتم خليفتي في ارضي ولم يكن ينبغي لكم ذلك فما قدروني حق قدري قال فالمراد بالاسماء هنا الاسماء الالهية التي استند اليها المشار اليهم بهؤلاء في ايجادهم وأحكامهم وأطال في ذلك * وقال ليس للملك والحيوان والنبات ارادة تتعلق بامر من الامور فهم مع مافطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه واما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان * وقال في قول أبي يزيد بطشى أشد أى من حيث نفسه الحيوانية وذلك لانه يبطش بمن لا يخافه ولا رحمة له فيه والحق تعالى اذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة في بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد * وقال الانكار في التجلى الاخروى خاص باهل النظر العقلى لا باهل الكشف وذلك لان أهل النظر العقلى قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به في الآخرة أنكروه ألا تراهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو أنه كان تجلى لهم أولا بهذه العلامة لما أنكروه فافهم وقال في قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم ثم قال وصدقت بكلمات ربها وما هو الا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لانه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ومن حيث ان كل جزء منه باطنا وظاهرا هو كلمة فلهذا قال وصدقت بكلمات ربها فافرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار * وقال في قوله تعالى الدرك هو الخلاق العليم اعلم ان الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الامر على ماقاله مخالفو أهل الحق من بقاء الاعراض لم يصح أن

ارتكاب المتطهر من الكبائر والصغائر أوانهم ارتكبوها وكفرت عنهم بأعمال أخر وما أتوا الماء للطهارة الا وليس عليهم خطيئة اللهم الا أن يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل أعمالا تكفر عنه ما جناه فهذه ربما يندب للمتورع أن يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء أهل الرواية الاولى فرضي الله تعالى عن الامام أبي حنيفة ما أدق نظره وما أنصحه لدين الله ولعباده ورضي الله عن بقية المجتهدين آمين * ثم لا يخفى أن التراب قائم مقام الماء عند فقده ولا يقال انا اسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا أسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لابد من غسل الرجلين أو مسح الخف والله تعالى أعلم * فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة بلا كل فتأمله فانه نفيس * وأما وجه تعلق مشروعية الصلاة بأنواعها بأكل من شجرة النهي كل أحد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فهو أن تعلم أن الصلاة ما شرعت الا توبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا لباب رضا الحق سبحانه وتعالى عنا حين أكلنا من شجرة النهي أو هممنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفيرا لذلك وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يا بني آدم قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها وقد جمع لنا الحق تعالى في الصلاة جميع عبادات الملا الاعلى والاسفل لمن يعقلها (فان قلت) فما وجه تكرارها في الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصي والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما توضأ وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلي لرأى ذنوبه تتحدر يمينا وشمالا عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التي هي أقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجي ربه عز وجل في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة الا كفرت بالافعال والاقوال التي في الصلاة فأي فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعي كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصي أو يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى أو يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالي الغفلات أو يضعف أو يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيي ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى في صلاته فيعبد الله تعالى كأنه يراه فهو ما بين تكبير لله عز وجل وتحميد له وثناء عليه بما هو أهله وسؤال أن الله تعالى يعينه على أداء ما كلفه به في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة الامام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه أي الخاصة بالصلاة والا فقد ورد أن من توضأ كما أمره الله خرجت خطايا أعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فمرادنا بالذنوب التي تبقى الى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم انه لا يخرج مع الوضوء الا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التي تخرج في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق لغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشريعة شئ يكفره فافهم * وقد قدمنا ان كل منهي له مأمور يكفره هذا اذا أتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب أسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما أظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات أن المراد بالسيئات هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا في أحكام الدنيا وأما أحكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة لزان برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم أمرنا بالنوافل (فالجواب) انما أمرنا

طلق ويراد بها الامر والشأن والحكم أي جعل آدم يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويصفح ويرحم ونحو ذلك فهذا هو المراد بالصورة فافهم * وقال الانسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الاعمال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال لا تظهر أحكامها الا في جسم (قلت) وان كان هذا حقا وصدقا فهو أخذ بطرف دون طرف والكمال ان تقول ان الاعمال لله خلقا ولنا اسنادا فنضيفها الى الله بوجه والينا بوجه كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان ذلك حكاية عن قول السيد ابراهيم فقد أقره الحق وارتضاه من حيث ان مقام الانبياء يجل عن أن يحكى خلاف ما الامر عليه في نفسه والله أعلم * وقال في الباب الثالث والستين وثلثمائة من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الايمان بها اذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فان الخبر واحد واذا لم يؤمنوا بما جاءت به الاولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الانبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الايمان بما جاءت به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاءت به الاصل كذلك نسلم ما جاءت به الفروع بجامع الموافقة وأطال في ذلك * وقال الكلام في كاف ليس كمثله شئ فضول فان ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر بل يرجع الى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما في نفس المتكلم الا بافصاحه عما في نفسه ولم يفصح لنا سبحانه وتعالى عن هذه

ما تورثه من الصدء عن ذكر الله وعن الصلاة وكذلك صح تشبيه بعض العلماء الكلب بالنفس لما تورثه من
القساوة في الانسان ووجب على العلماء التباعد عنه ولذلك أمر الشارع بالجمع بين الماء والتراب في الغسل من
سؤره أو غيره لذلك من فضلاته لكون الماء والتراب إذا اجتمعا أنبتا الزرع بخلاف أحدهما بمفرده إذا وضع
على الحب لا ينبت ثمره ولا ينمو له نبات وكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء فقط أو التراب فقط بأن مسحها
به لا يزيل ذلك الاثر الذي يميت القلب (فإن قلت) فأي المذهبين أولى بالعمل من يقول بطهارته أو من يقول
بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته أولى وأحوط في الدين وإن لم يصرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع
الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب فلم يجده واستدل على نجاسته بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن
أكل ثمن الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم الله تعالى علينا أكل ثمنه انتهى * وقد وقع لسيدي علي الخواص
رحمه الله أنه نهى شخصا من المالكية عن شرب لبن شرب منه الكلب فقال له الفقيه مذهبي أنه طاهر فقال له
الشيخ إن شربت فضلته عميت قلبك فلم يسمع للشيخ فشربها فأقام تسعة شهور وصار يجيء للشيخ ويقول يا سيدي
تبت إلى الله تعالى فإن قلبي صار لا يحن إلى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك فلم تسمع
ولولا أن هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ وما رأيت أحدا نبه على هذه العلة غيره رضي
الله عنه (فإن قيل) فما الوجه الجامع بين أقوال الأئمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم
في ذلك (فالجواب) أن ملحظهم الاعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط
في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء
الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل إنباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طولب
باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط لا أن يكون مستحبا ولا شك أن الماء الذي لم يستعمل أنعش لبدن
العاصي ومن شك فليجرب وللامام أبي حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات (أحدها) أن المستعمل في
الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) أنه كبول البهائم سواء (ثالثها) أنه طاهر في نفسه غير
مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه أعدل الروايات وأما الامام مالك فجوز الطهارة بالماء متكررا ما لم يتغير
جدا على ما بلغنا فهو أوسع الأئمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية
الأولى الأخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كأنها غسالة الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر ومرافعة
في الناس وغيبة في العلماء العاملين والأولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر إذا خرجت في ماء قذرته ضرورة
وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة
(فإن قيل) إن الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك
سوء ظن إنما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم
بنجاسة الماء المستعمل إثبات المعاصي في حقهم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا
إنما قال الامام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لأنه كان من أهل الكشف فكان إذا رأى في الماء عرف
غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لأنه
يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدي علي رحمه الله يقول من كشف الله عن
بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما اهـ وأما وجه الرواية الثانية
فهو أن غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها صغائر والأصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك
بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم أن الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه
حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها وأما وجه الرواية الثالثة من قول
الامام أبي حنيفة ومن وافقه رضي الله عنه فهو أن احسان الظن بالمسلمين واجب بالأصالة ولأن الأصل عدم

يخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فوحد اليد وثناها وجمعها أولا وبما أضاف الخلق الى آدم أي خلقه بيديه الاثنين اعلى
عنده وان هو المقصود
عالم فان الانعام خلقها
به مع انها تحت تسخير
آدم وايضاح ذلك ان
ية برزخ بين الجمع
فراد فهي تقابل الطرفين
فلها درجة الكمال فان
دلا يصل الى الجمع الا
لجمع لا ينظر الى المفرد
افافهم (قلت) وقد ذكرنا
وذلك في أجوبة شيخنا
الله عنه والله أعلم * ثم
في قوله تعالى ولقد خلقنا
سان من صلصال من حمأ
ون لما أراد الله تعالى
آدم أخذ ترابا لازبا
طه بالماء فصيره طينا
ه تعالى كما يليق بجلاله
س كمثله شيء ثم تركه مدة
ر بما مر عليه من الهواء
الذي يتخلل اجزاء
ه فتخمر وتغيرت رائحته
ن حمأ مسنونا متغير الريح
لشيخ ومن أراد أن يرى
ن ذلك ان كان في ايمانه
فليحك ذراعه بذراعه
و يا حتى يجد الحرارة
جلد ذراعه ثم يستنشقه
يجد فيه رائحة الحمأة وهي
التي خلق جسمه منها
ال في ذلك بكلام نفيس
ه الكشف * وقال من
من ادعى انه صار يذكر
الله أن يجد الاحتراق
انه حسا حتى يحرق لسانه
كون له أثر في النطق
يشاهد هذا الحرق من الاشياخ فليس هو ذاكرا الله بالله وانما ذلك توهم قال وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ارتكاب
ست ساعات ثم رده لي لساني فذكرته بالحق ورممه لا به وأطال في ذلك فراجعه * وقال في حديث ان الله خلق آدم على صورته اضطراب الصورة

بالاكل وكذلك الحكمة فى مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذ ذاك الفرح فى العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلى للعلماء والنساء والبنات فلا ينبغى لمؤمن أن يفارقه العيد وفى قلبه كراهية لاحد من المسلمين الا بطريق شرعى وهذا وان كان مطلوبا فى كل وقت ففى العيد آكد لاسيما الحجاج فى الحرم المكى فان الله تعالى توعد بالعذاب من أراد فيه بأحد سوأ ولو لم يفعله (وأما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا أو كسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل وأمرنا الشارع باقامة الحد عليه وان أدى الى قتله كفارة لذلك الفعل الا أن يترك الصلاة جحدا لوجوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهى والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى فظاهر وذلك اننا لما أكلنا مالا ينبغى لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى فى الاموال والاقوات فادعينا الملك بها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشححنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا أن تعطى منه شيأ لمحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلى الذى لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشى والنقود من المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى ألزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور أمرنا الشارع باخراج نصيب معين من كل نوع من أموال الزكاة تطهيرا للاموال واخذا من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة فى الرزق ومامنعها الله تعالى زكاة الا لينبه المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله اذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة * وأما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو أن العبد اذا أكل مالا ينبغى حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فأخرجها كاره لها أو ناقصة العدد أو رديئة فأمرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره فى نوافل الصلاة * وأما زكاة الفطر فانما أمرنا بها ليصعد صومنا الى محل القبول فقد ورد فى الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض حتى تؤدى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع فى الصوم من حجاب الاكل فى الليل ولولا الاكل مانقص للمكلف عمل ولكان يأتى به كاملا من غير أن يخرقه بغيبة أو نميمة أو شتم أو أكل حرام أو نظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو أن الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى فى قبول توبتنا من سائر الذنوب التى وقعنا فيها المانحتجنا بالاكل وذلك أن الصوم يورث رقة القلب وزوال الحسد ويسد مجارى الشياطين التى انفتحت بالاكل فى سائر البدن حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط ولم يزد فى السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجارى حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام جنة يعنى على البدن مالم يخرقه بغيبة ولانميمة ولو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعى ولم يخرق صومه بشئ لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان رمضان ثلاثين يوما أو تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب) قد ورد أن تلك الاكلة التى أكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت فى بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة فى بنيه فلولا أكله عليه السلام من الشجرة التى هى مظهر خلاف

لالعلمى ولا الشهودى أنا فوانحيث بين الايمان والعيان قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال وكذلك أشهدنى الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم الى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة انه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة فى صعيد واحد وانه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله فى الطريق وموسى أعطاه علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار قال ومن حين حصل عندى هذا العلم زال الليل وبقى النهار فى اليوم كله فلم تغب شمسى ولم تطلع وكان لى هذا الكشف اعلاما بأنه لاحظ لى فى الشقاء فى الدار الآخرة قال ولم يكلمنى الا هود عليه السلام انتهى وقد ذكرنا فى أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه الا هود عليه السلام فراجعها والله أعلم * وقال سعى الانسان فى عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعى فى حق الغير لا فى حق نفسه وذلك لامور تطرأ فانه اذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعى فى العدالة لهذا قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم الا اعلام أمته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة ولا يمشون فى ذلك اليوم الى نبى بعد نبى كما تمشى الامم فيقتصرون على محمد صلى الله

ف هل هي أصلية أم زائدة وأطال في ذلك (قلت) قد ذكر الشيخ في الباب الستين وثلثمائة السابق انه ما قال ان الكاف زائدة

بالنوافل جبر ما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا اخلال ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمل قوله لك تعثر على م قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك أيضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما قيس (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها أن يكمل الخلل الذي في أركان الفرائض بأركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالاذكار المستحبة بالسنن التي في النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات والله أعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل دون بعض (فالجواب) وجهه أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على أمته اذ لو أكدها كلها لكان بما شق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على أمته ويقول اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي شققت على أمتي انتهى أي اذا تأسوا بي في ذلك فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء انتهى أي كراهة أن يشدد أحد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهي (فالجواب) وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا احتجب تكاسل عن العبادات وملّ منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة الشرع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب نظام ديننا أو يضعف ولو علم الشارع أن نظام الدين في الصلاة يحصل بلا جماعة ما أمرنا بها في الجمعة والصلوات الخمس وما ألحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم أن أصل ذلك كله الاكل فان من لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل من عبادة ولا يأنف من طاعة امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو أبدا فان الخوف انما حصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر وأصل ذلك (فان قيل) فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا أو كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهي فانهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لا سيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التي تبلغها عقولنا أو تكبيره عن أن يخرج شئ في الوجود عن ارادته ومعلوم أن من يأكل الشهوات لا يؤدي حق اخوانه لا أحياء ولا أمواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حق اخواننا التي أخللنا بها في حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى أن يغفر لهم وان يسامحهم (وأما) الحكمة في مشروعية جماعة العيدين فهي تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاححة فيها حتى ربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه ولا يكون وأصل ذلك كله الحجاب

شئ الا من لا معرفة له
ثق قال والحق أنهم اكاف
انتهى فليتأمل ويحرر
ل في الباب الخامس
ين وثلثمائة في قوله
فاذكروني أذكركم
وحديث ان الله لا يمل
لوا اعلم ان الحق تعالى
ل عباده الا بما يعاملونه
تعالى بحكم التبعية
ذلك وان كان ابتداء
منه ولكن هكذا اعلمنا
الينا فننسب اليه تعالى
به لنفسه ولا يمكن لنا
ث فهي من حكم تبعية
تعالى للمخلوق تنزلا
ل وأطال في ذلك * وقال
سبب غلط منكري
ق من الحكماء قولهم ان
ن اذا صفي جوهرة نفسه
دورات الشهوات وأتى
م الاخلاق العرفية
ن في نفسه ما في العالم
لوى من الصور بالقوة
بالغيوب واستغنى عن
ئا والامر عند أهل
س كذلك وان جاز
ع ما ذكروه في بعض
اص وذلك انه لم يبلغنا
أحد من نبي ولا حكيم
اط علما بما يحوي عليه
كل نفس الى حين
ل يعلم بعضا ويجهل
لو مثل اللوح المحفوظ
ط الحق تعالى فيه من
ا عرف ذلك وأطال
ل المنكري النبوة (وقال) فيه لقد عملت على تحصيل ايماني بما جاء من عند الله ولما كتب بالسماع حتى علمت من بالا كل
شئ بما اذا آمنت لكن بجملا وما رحني علم ما رأيته وعاينته من ايماني فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم

ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم في مبحث عصمة الأنبياء أن ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا في الحقيقة وإنما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه إذا وقعوا في مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفيرا لتلك الأكلة التي صورتها صورة المخالفة فافهم (فإن قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة في العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما (فالجواب) إنما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا لضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة لاسيما في حق أهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة في عمره لم تمسه النار أبدا (فإن قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك إشارة إلى أن من أدب كل داخل للحضرة الإلهية أن يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته لأن الإمدادات الإلهية إنما هي الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد أجمع أهل الله قاطبة على أنه لا يصح دخول حضرة الله قط لغني ولا متكبر قال تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرناه استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكأن المحرم يولد هنالك ولادة جديدة ثم لا يخفى أن سبب دعوى الغنى والتكبر إنما هو الأكل فإنه لما أكل حجب فنازع الصفات الإلهية في الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة إمداده تعالى (فإن قيل) فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة (فالجواب) أن ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه إذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه وإلا فمن أدب الأكابر عدم التعلق بأستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من أكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها إلا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وإنما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من أجل أن الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لا بد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد إليه عقله بعد الزلة ومعلوم أن الندم هو معظم أركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الأركان وقد ورد أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال يا رب اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل أما أنت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت وأما بنوك فمن أتاني لا يشرك بي شيأ غفرت له ذنوبه فهذا كان أصل مشروعية الحج وتعلقه بالأكل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر إلى خلاف الأولى وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالأكلة المذكورة فهو أن الإنسان إذا أكل حجب وإذا حجب حاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعي دفعا للحيف والجور فإن الإنسان إذا حجب ربما أكل أموال الناس بالباطل ضرورة شرهت نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى إنه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين إلا إن راباهم وربما باع وندم أو اشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الأموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع أو الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشتري أو اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له أحكام باب بيع الأصول والثمار وأمر بإعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع إليهم عند التنازع كما هو الغالب على أهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله إنما هو الأكل فإنه لما أكل حجب عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم إن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم تجاذب أمته بالأكل عن إرفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة بأخوة الإسلام وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه دين للناس ولا يجد لها قضاء حتى إن المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فإن الله تعالى قد جعلها له قياما وأصل وجود السفه في الإنسان

أنهم لا يقدمون شيأ على سماع القرآن لأنه أشرف أرزاقهم وأعلاها ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجالس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن قال واعلم أن جميع ما تكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتح الفهم فيه والإمداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه اعلم أن حركات جميع الأئمة العادلة لا تكون قط إلا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالأصالة فإذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذي كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش إلى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه في حق الغير قال ولقد لقيت الخضر بإشبيلية وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وأن لا أنازعهم وإن كانوا مخطئين في نفس الأمر (وقال) في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا مراده بهؤلاء الذين أتى بهم باسم الإيمان هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله كما قال تعالى وإن يشرك به تؤمنوا فسمى المشرك مؤمنا أطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بعيسى عليه السلام في السماء الثانية وتبت على يديه

الاولى كما من افترض صوم رمضان عليه وعلى نبيه لاسيما من أكل من الحرام والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع في صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة فلما علم الشارع من أمته أنهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده اما باعتبار البنية في نظر أهل الحجاب واما ظهار الحصول سيادته بذلك في نظر العارفين اذ الانبياء لا ينتقلون قط من حالة الا الاعلى منها الدوام ترقيهم في المقامات لعصمتهم كما مر بسطه في مبحث عصمة الانبياء وأمره الله تعالى لما اسود جسده أن يصوم ثلاثة أيام الليالي البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع في مخالفة الامر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته وما منا الا من وقع ولو في مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضي الله عنه انه نظر الى أمرد جميل فاسود وجهه في الحال حتى صار كالزفت الاسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة في صوم هذه الثلاثة أيام أيضا ان كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب شاكرا لما صنع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتالييه (فالجواب) انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو في وسط المدة أو قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على أثر الاكرام (فان قيل) هل تحصل السنة بصيام الثلاثة أيام متفرقة في غير الثالث عشر وتالييه (فالجواب) نعم لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة لمن جامع في نهار رمضان بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهي العقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الاكل فانه لما أكل ما لا ينبغي له بحجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للمظاهر والقاتل والحانث فان البلاء اذا أراد أن ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصي في ظل جناحها او اكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا * وأما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكما ادخل المسجد في أي وقت شاء بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا أكل حجب فغفل فنسي مراقبة الله عز وجل فوقع في المخالفات فشرع الشارع للعبد كل قليل أن يعتكف بقلبه وبدنه في بيت الله الخاص مستشعرا انه بين يدي الله تعالى ليجبر ذلك الحال الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان في تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع ان يباشر امرأته أو حليلته في المسجد لاسيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الادلال في حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الى العطف فلا يناسبها الا الخوف المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافي الادب ولو انه وقع في شيء من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم في الاعتكاف سدا لباب الترفه جملة واحدة أدبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغي للمعتكف ان يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه في حضرة الله الكبرى والعبادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وارفع والله أعلم وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو أن الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التي لا يكفرها شيء الا الحج وقد تقدم في الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة أن الاكل مأمور شرعي تكفيرا خاصا المنهي خاص وأصل وقوعنا في الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخرما وجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه في تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن عباس والكلمات هي قوله ربنا

عليه وسلم بما اعلمهم من ذلك بان الرجوع اليه آخر الامر والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جملة الامور التي ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة الدماء والاعراض والاموال لا غير * وقال فيه في قوله تعالى غضب الله عليهم الآية اعلم ان غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر باقامته عليهم من الحدود والتعزيرات واما غضبه في الآخرة فهو ما يعقبه من الحدود على من استوجب النار وهو تطهير الا في حق الكفار فانهم * وقال انما نهى الحاكم عن الحكم حالة الغضب لانه ربما خالط مع اقامة الحدود التشفي من المحدود لحظ نفسه فيحرم الاجر من تلك الحيثية لان الامر لا يحتمل الشركة وعلامة الصادق في انه خاص من حظ نفسه أن يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من اقامة الحد حتى ربما قام اليه وعانقه وآنسه وأظهر له السرور والبشاشة من حيث ان الله تعالى طهره قال تعالى ونبلو أخباركم فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فاذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها بخطاب الحق أم عملوها لغير ذلك وهو قوله تعالى يوم تبلى السرائر وأطال في ذلك ثم قال وان كان ولا بد للحاكم من الفرح باقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما أسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة * قال وليس عندنا في مسائل الاحكام المشروعة أصعب من الزنا خاصة فانه ولو أقيم عليه الحد فانه يبقى عليه بعد اقامته ظلامنا مطالبات من مظالم العباد انتهى فليتأمل ويحرر وقال من أراد الاجر التام فلا يقدم شيأ على تلاوة القرآن لاجل سماع الملائكة السياحين

في مهماته ليلا ونهارا * وأما وجه تعلق هدايا الاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالاكلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولي والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولي والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة أسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج وأصل وقوع المنغصات كلها من الاكل فانه اذا اكل حجب واذا حجب عمي عن اكرام أصهاره ومن أمره الله تعالى بهم الاتيم من المسلمين وكذلك القول في سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الاكل فلولا الاكل لما حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض النفسانية حينئذ وكذلك لولا الاكل لما أخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغي لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الانبياء والاولياء * وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالاكلة المذكورة فسببه أيضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطرت جوارحه فخاصم وفجر وكان من أقرب الناس اليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسراري حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخالعها أو طلقها ابتداء من غير عذر بطرا وطاب أن يتزوج أعلى منها وحلف أن لا يطأها وظاهر منها ثم اذا راقت نفسه من ذلك التكدير والخصام وربما طلب مراجعتها ولم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكر أو أنثى أو موت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به ولئلا يتزوج الانسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة بأجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل * وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين فانما كان ذلك لحجابنا بالاكل فانا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب ما احتجنا الى أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في ايجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا * وأما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شيء لا يستطيع أحدنا الاقامة عليه * وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا الى البلاد البعيدة التي لا يستطيع أحدنا أن يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا امتعتنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان أصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الاكل والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالاكلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر فان الانسان اذا أكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو أو جرحه أو شج الرأس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جناه فأحوج الناس الى أن تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة ويكثر من الصادقة ويبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه أن يعطيه لاحد من عباد الله الا ان شفى الله تعالى مريضه أو رد ضالته أو أخذ بيده في الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه انه ما تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته في الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الاكل ولو انه ترك الاكل جملة أو جاع وأكل سد الرمق أو الاكل الشرعي أضعفت جوارحه عن تعدي هذه الحدود التي قدمناها كلها بل ربما يكلمه أخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الاكل ما حجب العبد حتى ادعى الدعاوى الباطلة التي يقول الله له فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو أنه كان لا يأكل طعاما أو أكل الاكل المشروع فقط

شيأ الا للحق وهو أن يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به وأطال في ذلك فليتأمل * وقال (٢١٩) في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلاف أصحابنا في هذا النوع هل ينقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه ومن كشف قال بعدم انتهائه وان التوالد في النوع الانساني باق في الجنة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أي فما لكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به فان الشرع كله حديث وخبر الهي بما يقبله الوهم والعقل ويا علماء بالله انما تعلمون قدما وان حدث عندكم فما هو حديث العين قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو الا كلام الله الازلي فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الاتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل أن يأتي وقد جاء القرآن في مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه وأطال في ذلك * وقال لا يطالب العبد بأن يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات الى الله عز وجل وكل من أولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فما أعظمها من حسرة * وقال ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم محققون بالكفر لا بالشرك وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره اعلم ان الاشارة بهذا السر والله أعلم الحال الذي وقع له رضي الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

انما هو من الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وأمرهم ان يقروا بما عليهم من الحقوق فى هذه الدار قبل الدار الآخرة وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته أن يضمنوا بعضهم بعضا ويصالحوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن أمته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم فى احياء الموات وأمرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع اخوانهم وأصل حجابهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا فى خير ولا يقعون فى شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع فى شئ من هذه الامور لعدم حجابهم وأما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهى نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة فى دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبرا للخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال فى يده فلو كان كل من وجده محتاجا أعطاه حاجته أولا فأولا ما شدد عليه فى تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالاكل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما أكل حجب فشرهت نفسه عن أن يعطى غيره من مال مورثه شيأ فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية فى مرض الموت أو غيره كالنافلة مع الفريضة لجبر خلل ما أخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى فى بعضه أى فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالاكلة المذكورة والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة فظاهر وذلك ان شهوة النكاح ما نشأت الا من الاكل فلولا الاكل لما وجد فى الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عزابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعى شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحى من فعل ذلك بل أكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا عن فعله وأيضا فانما أمرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى فى حال جماعه كما يحضر معه فى حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وأيضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذرارينا ليستغفروا لنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فاننا كنا محلا لوجودهم فينا ومنا وليس علينا من أوزارهم شئ كما انه ليس على آدم عليه السلام من أوزار أولاده المخالفين لامر الله عز وجل شئ ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وأن يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل فى الغرض بالنكاح * وأما حكم دفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من أولادنا * وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما أكل ما لا ينبغى أظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا * وأما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالاكلة من الشجرة فلان نفرة أحد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات انما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منها الملك لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالاكل ما خفى عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه

وكان له بى عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتى الى الآن وأطال فى ذكر ما وقع له معه وكذلك الانبياء الذين فى السموات ثم قال ولما اجتمعت بابراهيم عليه السلام قلت يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التى اتخذوها فقلت له فما اشارتك بقولك هذا فقال لى أنت تعلمها فقلت له انى أعلم أنها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم منهم فقال لى عليه السلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما قولك فى الانوار الثلاثة يعنى الكوكب والقمر والشمس أكان ذلك عن اعتقاد فقال لا انما كان عن تعريف اقامة للحجة على القوم ألا ترى الى قول الحق تعالى فى كتابكم وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد القوم فى الاله الا أنه نمرود بن كنعان لا تلك الانوار قال ولم يكن القوم يعتقدون فى النمرود أنه الاله الحق لانهم انما كانوا يعبدون الآلهة التى نحتوها وأطال فى ذلك بكلام دقيق فليتأمل ويحرر (وقال) فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اعلم ان جماعة من أهل الله غلطوا فى هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى فى تمام الآية تعالى عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى للحق والباء هنا هى عين اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فما خلق الله

في الفتوحات ان مقام الولاية التي في نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى وانها لدوام في الدنيا والآخرة والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد احد من القوم بقولهم صب الخلاف بين اطلاق الولاية ورسالة الانبياء فان هذا لا يقوله الا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الاولياء من ذلك * وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح انها تفضل ولاية نبي فقال لم يرد لنا في ذلك شيء والذي نقول ان ولاية كل نبي فاضلة على ولاية أعظم الاولياء وهو الذي يليق بمقامهم لان الولاية آخذة من النبوة كما مر * واعلم ان من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين انه يقول مقام الولاية أتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه بريء من ذلك فقد قال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان الحق تعالى قد ختم بظهور الاولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ولو أن أحدا من الاولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الى وحي على لسان غيره وانما غاية لطف الله تعالى بالاولياء انه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي اه * وقال أيضا في الكلام على التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وانه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا اه * وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق الارث النظر اليه كما ينظر من هو في أسفل الجنة الى من هو في أعلى عليين وكما ينظر أهل الارض الى كواكب السماء وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد أن يحترق * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الارث فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم على الماء * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به اه فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه أنه يقول الولاية أعظم من النبوة والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والاربعون في بيان ان أفضل الاولياء المحمديين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين)

وهذا الترتيب بين هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعي عند الشيخ أبي الحسن الاشعري ظني عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومما تشبث به الروافض في تقديمهم عليا رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه حديث أنه صلى الله عليه وسلم أتي بطير مشوي فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فأتاه علي رضي الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأفرد له الحافظ الذهبي جزأ وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله في المستدرك ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهو نص صريح في أنه أفضلهم وفي البخاري عن ابن عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا * وقال الشيخ أبو الحسن الاشعري ومما فضل به أبو بكر رضي الله عنه انه ما زال بعين الرضا من الله عز وجل أي بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اذ حكم السعداء قبل مع حكم التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذي جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتب في زمن الفترة التي قبل

البصر والبصيرة لان غاية الناس مرتبة الاحسان ثم الايقان المشار اليها بقوله اعبد الله كأنك تراه فمن ثم الله في نحو المأمور بها ولم يحجر الشارع علينا الا أن نجعل معبودنا محسوسا كالاصنام لا أن نتخيله صورة فان الشارع يعلم ان مرتبة الخيال أن يجسد ويصور ما ليس بجسد ولا صورة وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شيء ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو امامه فانه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الايمان بالله فانه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك * وقال الماسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه يأتي نساءه وهو لم يأتهن وأتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا ان السحر له وجه الى الحق ووجه الى الباطل اذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لاحد الجانبين قال ومن أراد ابطال السحر فلينظر الى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كانت ما كانت فان نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شيء ضرورة فلا يزول السحر الا بحل جميع العقد والسلام قال وهذا من العلوم الالهية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث في روعي ولا يكون النفث الا ريحا بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فانه ريح مجرد وأطال في ذلك بذكر غرائب * وقال انما كان حديث النفس معفورا ما لم تعمل أو تتكلم لان الكلام عل ... واحد لعينه من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فانه يؤاخذ بحسب ما يؤدي اليه ذلك اللفظ وان كان تلفظ به وله ... على التلفظ به لم يعمل به فما عليه

لما وقع منه شيء من ذلك فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه العبادات أن ينقادوا لأصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا للنظام الوجودي عن الفساد الحاصل بالأكل وإنما شرع في بعض الحدود الكفارة بعتق أو إطعام أو كسوة أو صوم لزيادة القبح في ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصي كما مرت الإشارة إليه في الكلام على صوم رمضان والله أعلم (وأما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الأولاد بالأكلة المذكورة) فهو أن سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا أن الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة الحجابية بالأكل عن إدراك قبح تحصل من خلائق إذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وإنما الملك فيه لله رب العالمين ولو أن الله عز وجل جعل لرقيق ضعيف العقل ما أدخله تحت تحجير عبد آخر لكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل في يد وليه لولا إضاعة مصالحه فإنهم ويؤيد ما قلناه حديث إخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم * وأما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع أمهات الأولاد بالأكلة المذكورة فهو أن السيد لما أكل ما لا ينبغي حجب ونسي حقوق أم ولده عليه حين كانت له فراشا مع أن ماءها اختلط بمائه في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الأكل والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية نصب الإمام الأعظم وسائر نوابه بالأكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فإنه لولا الإمام الأعظم ونوابه ما نفذ شيء من الأحكام ولا أقيم شيء من الحدود ولا قام لدين الإسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله وأصل الإخلال بذلك كله حجاب الخلق بالأكل فلولا الأكل ما تعدى أحد حدود الله ولا احتاج الناس إلى إمام ولا حاكم ولا قاض وكان الإنسان يعطي الحقوق التي عليه لأربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الأولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة إلى الحكام ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وأيضا فلولا الإمام الأعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الإسلام فكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين والحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الآن في حكمة وجود التكاليف التي جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والأربعون في بيان أن الولاية وإن جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهودا ووجودا)

فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو أن وليا تقدم إلى العين التي يأخذ منها الأنبياء لاحترق وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الإمداد ولا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبدا وقد تقدم في المباحث السابقة أن جميع الأنبياء والأولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة إبراهيم عليه السلام وغيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما أوحي به إليه وكذلك القول في الولي غايته الإلهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لأن نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الإلهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فإذا صح للولي قدم الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة فهنالك يصح أن يرشد الأمة المحمدية ويتصدر لدعائهم إلى الله عز وجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني الآية فقد بان لك أن الولاية لا تلحق النبوة أبدا ومن قال من العارفين إن مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين

من الثبات حين اضطرب سائر الصحابة ذلك اليوم وقال ما لا يمكن أن يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وثبت أبو بكر رضي الله عنه لم يتغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة واستحق الإمامة والتقدم وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه السر الذي وقر في صدره أو من كان في محل نظر من ذلك أو متأولا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر إلا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل ثبات أبي بكر وصوله إلى مقام شهد فيه أن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وأنه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهنالك تجرد أبو بكر بقلبه إلى جانب الحق وتوكل على الله وحده ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وأنه صار يترقب لما يوحي الله به إليه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال (قلت) ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزانا للكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه محلا لجريان الأقدار وأن الأمر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه إذا فقد بموت أو سفر بعد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله واستحق الفطام وأطال في ذلك وتقدم في الباب الثالث والثمانين الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الأربعة فراجعه وقال فيه من قال إن الحق تعالى يحل في الصور فهو أعمى

عليها كفلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على امارته وكانت امارة على رضى الله عنه باجتماع كبراء المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضى الله عنهم اه كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة مما يدل على فضل أبي بكر رضى الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فتحه مع شيخه و بذلك استحق الخلافة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد أبو بكر الى جانب الحق جل وعلا و رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا خالصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى * وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أبو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شيء يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه ما من أحد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل نظر من ذلك أو منا أولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه بشيء في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر انه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم انه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة و بلغت فيه الغاية فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شيء من دعوى الربوبية على شيء من العالم قال ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري انه قال لو اجتمع الناس على ان ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخشية والتواضع لم يستطيعوا فانا وان كان الناس يستفيدون مني العلوم فانا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ في كتاب لواقح الانوار أن الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما أخبرت به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته (فان قلت) فهل في الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تفاضل في الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذي وقر في قلب أبي بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر * وقال في الباب التاسع وثلثمائة اعلم ان رأس الاولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون في الاسواق و يتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون في العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الامام أبي بكر رضى الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفى من أحواله

جاء الخبر في نصرة الظالم ان تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلا بد ان تكون النصرة واردة على شيء فافهم * وقال الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فانه لم يكن حاضرا وانما قال أشهد بتصديقك يارسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لانها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام الاثنين و بذلك حفظ الله علينا لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فما وجدها الا هذه الآية * وقال مما يدل على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله سواء فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط (وقال) في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية اعلم ان الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط الا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الايمان بالله وعلما من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صاحب النظر العقلي وان سعد لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله الا من حيث ايمانه وتقواه وهذا هو وارث الانبياء في هذه الصفة قال وما بلغنا انه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله

النبوة حتى يتعلق به ايمان أبي بكر رضي الله عنه أو ايمان غيره فصح حينئذ قولهم ان أبا بكر ما زال بعين الرضا قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذي ذكرنا اما الصحابة فلانهم شاهدوا فضل أبي بكر بقرائن الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم وبفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى وأما التابعون فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم أعرف بعقائد الصحابة في أبي بكر وغيره * قال العلماء وانما كان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خليفته في أمر الرعية واستخلفه للصلاة بالناس في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فأبو بكر أفضل الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخل في قولنا ان أبا بكر أفضل الاولياء المحمديين أولياء الامم السالفة فأبو بكر أفضل منهم بناء على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم في حق من تقدمه وفي حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا في الترجمة بعد الانبياء والمرسلين يعني الاحياء والاموات غير عيسى عليه السلام فانه أفضل من أبي بكر بيقين وكذلك خرج الخضر عليه السلام فان مقامه برزخي بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ في الفتوحات وعبارته ومقام الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما أخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال ويسمى مقام القربة وأنكر الامام الغزالي هذا المقام اه * (قلت) وذكر النووي في تهذيب الاسماء واللغات ما نصه الخضر عليه السلام نبي وانما اختلف في رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته اه والله أعلم وعبارة الشيخ في الباب الثالث والتسعين من الفتوحات اعلم انه ليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من أبي بكر غير عيسى عليه السلام وذلك انه اذا نزل بين يدي الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر في زمرة الرسالة بلواء الرسالة وحشر في زمرة الاولياء بلواء الولاية اه * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته الذي يتجه ان عيسى عليه السلام لا يعد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل في دعوته فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة اه وقال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته و يعتقد ان أبا بكر رضي الله عنه أفضل من سائر الامة المحمدية وسائر أمم الانبياء وأصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى في ميثاق الانبياء ولذلك كان أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الشيخ في الباب الثالث وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان السر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه وفضل به على غيره هو القوة التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة فقوي حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضي الله عنه هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهية بعض الناس فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض كرها لا طوعا فكيف بحال أبي بكر أو غيره فعلم انه لا بد من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فبتقديم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في خلافتهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة أهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور وكان ترتيب الخلفاء الاربعة كما ذكرنا متعينا لترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامة * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته اعلم ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلالة مجموعها على تقديم أبي بكر حتى يظهر ذلك للواقف

الاو ز وعبر ماتلفظ به فهو مسؤل عند الله من حيث لسانه قال ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس كما توهم اذا الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن لمن يريد في الحرم المكي الحادا بظلم يذيقه الله من عذاب أليم سواء وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع وأما في غير الحرم المكي فانه غير مؤاخذ بالهم وان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك من أجل الله خاصة فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسي والارادة التي هي الهم (قلت) وسيأتي ان شاء الله تعالى في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة قول الشيخ اعلم ان الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد أن الله تعالى يؤاخذ فيه من يريد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه فانه ليس في قوة الانسان ان يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك قال وقد أخبرني سليمان الدنبلي على وجه التحدث بالنعم أن له منذ خمسين سنة ما أخطر الحق تعالى في قلبه خاطر سوء انتهى قال وانما ذكر تعالى الظلم بقوله بظلم ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم من كبير وصغير والله أعلم * وقال في حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما أما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فأن تنصره على ابليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد اليه فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته اذا كان ظالما وكذا عليها

بخوف أو حياء أو رجاء أو غير ذلك في علم الله تعالى خرجت عن هذه الثلاثة ولا خامس لهذه الاربعة فتأمل * وقال في قوله تعالى وانشقت

خلع أحدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة
في الكلام على اسمه تعالى المعطي * وقال في هذا الباب أيضاً في الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم أن
الخلفاء الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب أعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه
فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق في علم الله تعالى ان أبا بكر
يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في
الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة ولو في الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر
منهما لو قدر ان الناس بايعوا أحداً من الثلاثة دون أبي بكر مع كونه لا بد لابي بكر من الخلافة في ذلك الزمان
فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وان قدر خلع أحد من الثلاثة وولي أبو بكر
الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من
يستحقها ثم ان قدر أن من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير ان يلي الخلافة وقد سبق
في علم الله انه لا بد له أن يليها وخلاف ما سبق في العلم محال وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي الخوض في
مثل ذلك الامر الا بوجود نص صريح مع اننا قد ثبت عندنا ترتيب هؤلاء الخلفاء الاربعة كما عليه الجمهور وانما
خالفناهم في علة التقديم فهم يقولون هي الفضل ونحن نقول هي تقدم الزمان ولو أن كل من تأخر كان مفضولا
لكان من تقدم محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل منه ولا قائل بذلك من المحققين اهـ فليتأمل ويحرر وقالوا
وأفضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن
الخوض في تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الاولياء * وقال المحدثون أفضل
الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من أهل
بدر أو من أهل أحد أو من صلى للقبلتين في ذلك أقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه * (خاتمة) *
ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السادس والاربعين وثلاثمائة ان أهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم
الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة في العلم وكان تابع التابعين أتم من
غالب التابعين في العمل (فان قيل) فما الحكمة في كون الصحابة أقوى في الايمان مع انهم عاصروه صلى الله
عليه وسلم ورأوا معجزاته وأخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب أشد في حق صاحبه من الايمان بالحاضر
(فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى أمة رسول
من جنسها ثار الحسد في الناس فلم يؤمن به الا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف ولا سيما
اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول
الاسلام وكان اشتغالهم بمجاهدة دفع سلطان الحسد أن يقوم بهم منعهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار
لنا ففاقونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب
في شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله
ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم
غيرهم في ذلك فالحمد لله الذي جاء بنا في الزمن الاخير وجبر خللنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه
منقولاً في أوراق سواد في بياض ولم نطالب على ذلك بدليل ولا ظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف تكون أحوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه
أم تغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعي رضي
الله عنه في رسالته القديمة والصحابة رضي الله عنهم فوقنا في كل علم وايمان وآراؤهم عندنا أجل من آرائنا
لانفسنا انتهى

السماء فهي يومئذ واهية
انما انشقت لذهاب عمدها
الذي كان يمسكها وهو الانسان
الكامل فاذا زال سقطت الى
الارض والسماء معلوم أنها
جسم شفاف صلب فاذا هوت
السماء على حر جهنم والنار
فعادت دخانا أحمر كالدهان
السائل مثل شعلة النار كما
كانت أول مرة وزال ضوء
الشمس فطمست النجوم فلم
يبق لها نور وسجرت في النار
لكن على غير الوجه الذي كانت
في الدنيا عليه من التسيير وأطال
في ذلك ثم قال اعلم أن آخر من
تقبض روحه من بني آدم
الانسان الكامل الذي يقوم
ذكره مقام ذكر جميع العالم
لو فقد فقده وهذا هو المشار
اليه بقوله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى لا يبقى
أحد على وجه الارض يقول
الله الله فما أمسك الله تعالى
صور السموات أن تقع على
الارض الا لاجل هذا
الانسان الواحد الذي لا يمكنه
أن يتكلم بالنفي اذ ليس في
خاطره الا الله الواحد الاحد
قال وهذا الذكر الذي هو
الله الله هو ذكر الله الاكبر
المشار اليه بقوله تعالى ولذكر
الله أكبر ولا يعترض علينا
بالعطلة فانهم كالعضو الاشل
من الانسان الكامل وأطال
في ذلك * وقال في قول عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه أي في جميع الاحوال فيما ثبت الحالية من رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن ربه عز وجل في جميع الاحوال وليس كل عبد يعبر به على ذوق ذكره له فلما علمت عائشة ذلك الشأن من كشفها أو امارات برها

فكانت أعماله قلبية مع ان كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضي الله عنه * قال الشيخ رضي الله عنه ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شيء يقوتهم فأتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا أبا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضي الله عنه بذلك فأتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث * وقال الشيخ في الباب الثامن والاربعين ومائتين وجه التفضيل انه صلى الله عليه وسلم لم يحد لهما في مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه والا فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الا بيان ظهور فضيلة أبي بكر على عمر رضي الله عنهما قال وفي قول أبي بكر تركت لاهلي الله ورسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى ففتح الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر أنه رد على أبي بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لاهله يعولهم فما حكم أبو بكر في ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا أخي ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا أسبق أبا بكر بعد اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على أبي بكر شيأ من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في المحبة فانه لو رد على أبي بكر شيأ من ماله لتطرق الاحتمال في حق أبي بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على أبي بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فانه جاء مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه اهـ وقال الشيخ في بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف بامور منها نص من يجب قبول قوله من نبي أو امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم عمر بنص أبي بكر رضي الله عنه عليه * ٣ ثم عثمان بنص عمر عليه ثم علي بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم علي المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام علي رضي الله عنهما باطل ويلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضي الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول تقديم أبي بكر في الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره ظني قال والذي أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا ابراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمار التي قدرها الله عز وجل أيام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله انه لابد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر ان المتأخر تقدم فلابد من خلعه حتى يلي أحدهم من لابد له من الولاية عند الله تعالى فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع

أبدا ولا ينبغي له ذلك قال وكل من تقدم له من الاولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب وأطال في ذلك (قلت) وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلثمائة ان استدلال السيد ابراهيم بالكواكب انما كان لاقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم * وقال للملك ان يعفو الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وافشاء سره والقدح في الملك * وقال في الباب السبعين وثلثمائة لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ولابد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع انه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائرا لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل الا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش واحاطة بالجهات كلها بقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وبقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وحاصله ان الله خلق الامور كلها للمراتب لا للاعيان والله أعلم * وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به كان له أجران اتبع جميع الانبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الايمان بهم لا أجرين على احكامهم كلها فانهم * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة لو أن العاصي علم ان الله يؤاخذه على المعصية لا بما عصى فلا يصح ان يكون على بصيرة في العقاب أبدا قال وهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم الا من حماه الله تعالى

وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه انتهى * وقال فى الفتوحات فى الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب فى كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعانى جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه ان يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ فى خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة فى دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفى الروحانية حقها على الحد الالهى يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الوقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده طاهر ذاته بالعبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد فى الزينة والاشخاص تأتيه الارواح فى أحسن الصور يذوب عشقا بغار لله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق فى الظاهر من غير تقييد لا تقهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا صور نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها ويدل عليها ويجرى بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وتصرف فيها تصرف عبد فى مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تتشوف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا يحابس عن حاجته الا ضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الى الله تعالى فى حاجة طبيعته لانه مسؤل عنها ومتول عليها ثم ينتظر الاجابة من الله فيما سأل فان شاء تعالى أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الالحاح فى الدعاء والشفاعة فى حق طبيعته بخلاف أصحاب الاحوال فان الاشياء كلها تتكون عن هممهم لان الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم فى الجنة فهم بائنون والقطب منزه عن الحال ثابت فى العلم فان أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشى فى هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شئ من خرق العوائد الا فى النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية فى شئ أكثر مما يتحقق به فى النكاح لا يرغب فى النكاح للنسل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل فى نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلوّ مراقى هذا المقام جهله أكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الاكثار منها * واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذى حصل الاربعة دنانير التى كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضى الله عنه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذى بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقى الله عز وجل فهو كالحاجب الذى ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى الا صفة الخطاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب فى توليته الى مبايعة فى دولة الباطن كما هى الخلافة فى الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم ان الحق تعالى لا يولى قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا

لا يبالى بذلك لان رحمته سبقت غضبه فى حق الموحدين أو فى حق المشركين ويكون المراد بأن رحمة الايجاد من العدم لا تم سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالى بما فعل بالفريقين قال ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم انما وقع الاخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فالامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى أم الله الواحد القهار اعلم ان القهر عذاب ومن أراد ان يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر فى كل ما يقع فى العالم وفى نفسه فيجعله كالمراد له فليتلقه ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال من هذه حالته مقيما فى النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة * قال وما رأيت لهذا المقام ذائقا غيرى وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو فى غيره فان اقتضى ذلك الواقع التغيير له تغير لطالب الحق تعالى منه التغيير وكان هذا التغيير هو المطلوب لانه هو الواقع اذ ذاك وليس بمقهور فيه بل هو ملتذ بالموجب للتغيير فتأمل قال وايضاح ذلك ان الانسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لامر ما واذا كانت حقيقة الانسان ظهور الطالب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين الا من جهة واحدة وهو ان يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله فى العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر فلا يعتريه الرضا والفرح والبشر والسخط والكراهة ومن عرف هذا

(المبحث الرابع والاربعون في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة و وجوب اعتقاد أنهم مأجورون)

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا بالاحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد فان تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور وقال ابن الانباري وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شئ يقدح في عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض أهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لاسيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسئلة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة نزاع بين أولاده وأصحابه قال الكمال بن أبي شريف وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان رأى ان تأخير تسليمهم أصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب أمر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى *(خاتمة)* قال العلماء ويجب اعتقاد براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ما قاله المحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجوب محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما ٣ من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص وننكره كل من آذى شريفا ولو تجره ولو كان من أعز أصحابنا وفاء بقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف أو طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والاربعون في بيان ان أكبر الاولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم القطب ثم الافراد على خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضي الله عنهم أجمعين)

فأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يتمكن القطب أن يقوم في القطابة الا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل الم والمص ونحوهما فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم يرد دعواهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمس عشرة علامة أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفصل بين الموجودين وانفصال الاول عن الاول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأطال في ذلك * وقال خلق الله الارض مثل كرة وهي مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها الى بعض ولما خلق الله السماء بسط الارض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت فخلق الله الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة وجعل أطراف قبة السماء عليها قال وأما الزرقة التي ينسبها الناس الى السماء فانما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال اذا بعدت سودا وزرقا وهي بيض * وقال ما أخذ الله من أخذ من الامم الا في آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فان اليوم دائرة الفلك الاطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين الى آخر السنة فاذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعني زوجته وذلك لان أسباب التأثير الالهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما أثرت فيه فدل على ان العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما اذ كان النكاح موضوعا للالتذاذ أو للتناسل أولهما معا أو في حق طائفة بكذا وفي حق أخرى بكذا وفي حق أخرى للمجموع وكذلك اليوم في حق من أخذ من الامم اذا انقضت دورته وقع الاخذ الالهي آخره * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة في قوله هؤلاء الجنة ولا أبالي وهؤلاء النار ولا أبالي اعلم ان الجنة دار جمال وأنس ومنزل الهي لطيف واما وما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وانما كان الحق تعالى

لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بأمر هذا الامام الذي بايعته وأطال الشيخ في ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المراد بقولهم القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد به أن العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو في الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسل الاحياء بأجسادهم في الدنيا أربعة ثلاثة مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدني وهو الخضر عليه السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفي له أربعة أركان كاركان البيت وهم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون والرسالة هي الركن الجامع للبيت واركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوي والسفلي قال الشيخ محيي الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجودا في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجودا في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلهم في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حي بجسمه اذ هو قطب العالم الانساني ولو كانوا في العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس في السماء الرابعة وعيسى في السماء الثانية والياس والخضر في الارض ومعلوم ان السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها صورة فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الآخرة فان في يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعني يبدلن بغيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا بأنها السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهي نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد أبقى الله في الارض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون في الارض بالدين الحنيفي فما زال المرسلون ولا يزالون في هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السلام وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان وأربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه مع وجودهم وأكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد الا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا خصوا بها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقي في سري من اظهارها ما أظهرتها اهـ (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهم بالقطب في عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون في هذا الاطلاق فيسمون القطب في بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان الا واحد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمي وسيدي أحمد الزاهد وسيدي مدين واضرابهم (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل ان يلمع سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به وما ظهر على يديهم من

قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم اعلم ان المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فاذا انقلب تخلص الى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للايمان اذ لو تخلص هنا للايمان ولم يكن برزخا لكان اذا انقلب لا ينقلب الا الى الله في دار كرامته فما أخذ المنافق الا بامر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فلو أنهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم أي لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم انما نحن مستهزؤن فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فما أخذوا الا بما أقروا به والا فلو انهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا الا ترى ان الله تعالى لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما أخذهم بقولهم انا معكم وانما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم انما نحن مستهزؤن كما ورد في الحديث مداراة الناس صدقة والمؤمن يداري الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيأ من الاستهزاء فيجني ثمرته قال فتفطن لذلك فانه سر غامض في القرآن ووضوحه أخفاه وانظر الى صورة كل منافق تجده ما أخذ الا بما زاد على النفاق قال فالمؤمن المداري منافق لكنه ناج وفاعل خير لانه اذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض الى ذكر الفريق الآخر الذي ليس بحاضر عنده فاذا انقلب الى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن في الحالتين مع الله عز وجل وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وذلك من المداراة فانه يتخيل في ذلك

في حضرة المثال يقعد عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبئ صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى علما بكل شئ ولله المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلابد أن يخلع عليه جميع الاسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حاملا وزينة متوجا مسورا مدملجا متعمما الزينة علوا وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره ودخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهي ظاهر على لسان رسول واعلم ان أول من يدخل عليه الملأ الاعلى على مراتبهم الاول فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شئ الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لها طعما لعدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا و يسأله عن مسئلة من العلم الالهي فيقول له ياهذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسئلة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا أحد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد ان جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الاول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا العالين من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذهم كل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضي أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وانما هو بسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء أبدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ما ورد في الآخرة من ان الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهموا واكتم اه * ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب أن يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف أيضا قطب الوقت كأبي بكر وعمر في وقتهما وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما أنها قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين * قال الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد الاربعة وسألته عن مقام الامام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم المراد بأولي الامر الاقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا أمرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فحصل

الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال فقال لمن قال له ماتريد أريد أن لا أريد وانما الحق انه كان يقول أريد ما تريد فيتصف بالارادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مراد معين وأطال في ذلك * وقال رؤية الله تعالى لا تكون بالطلب لانها امتنان من الله تعالى وما كان امتنانا لا يصح طلبه انما يصح طلب ما كان سعاية وأطال في ذلك ثم قال واذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لان مطلوبه من المرئي انما هو أن يراه على ما هو عليه في نفسه وذلك محال فان التجلي لا يقع لعبد الا على صورة علمه به والا أنكره فما تجلى تعالى لطالب الرؤية الا في غير ما طلبه فلهذا كانت الرؤية اذا وقعت امتنانا على العبد لا استحقاقا وجزاء ثم اذا وقع الالتذاذ بما رآه وتخيل انه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلي امتنانا الهيا وأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كتنعيم أهل الجنان قال وهذه مسئلة ما نبه عليها احد غيري فيما أعلم وأطال في ذلك وقال في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اعلم ان كل جاهل منتعم بجهله بالامور لكن لا يعلم انه جاهل بها فانه لو علم ان ثم علما خلاف ما يعلمه هو لادركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا وانما ذلك في لمن الآخرة وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم وقال في قوله تعالى في المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم

الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء قال وكذلك أمداد الايام السبعة تنزل من هؤلاء الابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل (فان قلت) فهل يزيد الابدال و ينقصون بحسب الشؤن التي يبدلها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون (فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون و بهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الامور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة (فان قلت) فلم سموا أبدالا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين انهم سموا ابدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي انه ذلك البدل (فان قلت) فهل ترتيب الاقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائتين يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء العليا كما قاله فالاقليم الاول للسماء السابعة وهكذا (وايضاح ذلك) ان تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الارض التي نحن عليها سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الابدال وجعل لكل بدل اقليما يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الاول ينزل الامر اليه من السماء الاولى التي هي السابعة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثاني ينزل الامر اليه من السماء الثانية وينزل اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الامر الالهي من السماء الثالثة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب هرون ويحيى بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم الرابع ينزل اليه الامر والنهي الالهي من السماء الرابعة قلب الافلاك كلها و ينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الى الآن والاقطاب فيناوبه كثير والاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السماء الخامسة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل اليه الامر من السماء السادسة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من السماء الدنيا و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام * قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الابدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا علي وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا أكثر شغلا منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم الا شقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضي الله عنه وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الاولياء في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم

(المبحث السادس والاربعون في بيان وحي الاولياء الالهامي والفرق بينه و بين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك)

اعلم ان وحي الانبياء لا يكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة واما وحي الاولياء فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة و يقع هذا كثيرا للاولياء وبه كان يوحى لابي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة اه (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من

عباده فله تعالى أن يخالف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيئا كالنذر يدخل تحت حد الواجب فإنهم الناذر اذا لم يفعله عوقب لانه حيث أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه و زاحم في التشريع ولهذا نهى الشارع عن النذر فانهم ثم اذا وفوا بنذرهم أجرهم الله عليه ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة * وقال في حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة انظروا لعبدي فريضة من تطوعه أي ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذي في النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التي في النوافل كل شيء بمثله * قال واعلم ان النوافل هي كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فان لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة في الاجر ليست للنوافل * وقال في حديث لا يقبل من صلاة الرجل الا ما عقل منها اعلم ان في حديث قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين اشارة الى أن أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فانه قال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وما ذكر النصف الا في الفاتحة فعلمنا المعنى تعينا في جميع افعال الصلاة وأقوالها في جميع ما كلفنا من الاعمال فاما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث الرحمن الرحيم الرابع مالك يوم الدين الخامس اياك نعبد

الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطابة ستة عشر عالما احاطها الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا أمر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور فالجواب هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات أن الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب المكملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدسي في حضرة برزخية وانا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماضي والماحق والعاقب والمنحور وبحر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي والاصلح والباقي فهؤلاء هم الاقطاب الذين سموا الناس من آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة واعلم ان لكل بلد أو قرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه * قال الشيخ وقد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام التوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الاندلس وصحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشار الي فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار علي ان استره عن الحاضرين ففعلت (فان قلت) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي (فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الى يوم الى ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الارضية كلها ملوكها ورعاياها * وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما تؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا أقطابا بلا شك انتهى * وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء لانه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فان قلت) فهل للقطب تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده (فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض الاقطاب سأل الله أن تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر واما الارث الباطن فذلك الى الله وحده الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى فعلم انه ما حفظ من حفظ من الاولياء وغيرهم من جهة انه الاربع الابدال والاوتاد الذين كان منهم الامام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قدرة تمده من روحانية الانبياء

المقام الذي معه * قال الشيخ رحمه الله ولما صح لي هذا المقام وتحدث بالملوك والسلاطين ما قضيت لأحد من الناس حاجة الا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا لي شفاعة في أحد قط وذلك أني كنت أبسط للملك بساطا استدرجه فيه حتى يكون هو السائل في قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال ولقد كان السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب في حوائج كثيرة للناس تقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معي ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لي قال ومن علم ان الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جدا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وثلثمائة وجه من قال انه ليس للحاكم ان يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة الا بعد اقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام في الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ومن هنا يعلم ان الحق تعالى لا يؤاخذ عباده الا على صورة ما شرعه لهم في الدنيا ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر به رب احكم بالحق يعني بالحق الذي بعثتني به وشرعت لي أن أحكم به فيهم أي لانه رحمة فسأله الرحمة لامتهم بذا القول على سبيل التضرع * وقال فيه في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحوهما من الآيات اعلم ان الحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لانه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على

أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه علما مرويا من غير سبب ظاهر ان ذلك المروي هو الرسول ان كان الرسول أو الحق تعالى ان كان

قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الخفي فمن دساها فقد أخفى هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل
بالتقوى وما فرق في موضع التفريق فأخطأ فوقع بسبب خطئه وجهله ميزان الشرع بسقطه من يده ولو أن الميزان
كانت في يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهي عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) فقد ذكر الغزالي
في بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحي على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان الولي
يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لابد له في الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ
في الباب الرابع والستين وثلثمائة أن ذلك غلط والحق ان الكلام في الفرق بينهما انما هو في كيفية ما ينزل
به الملك لا في نزول الملك اذ الذي ينزل به الملك على الرسول أو النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فان
الملك لا ينزل على الولي التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه بحيث قال العلماء بضعفه
مثلا فيخبره ملك الالهام بأنه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لا مطلقا وقد
ينزل الملك على الولي بشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا
وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده * قال الشيخ وسبب غلط الغزالي وغيره
في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم انهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم
يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ان ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء
الذين منعوا قائلون بزيادة الثقة ولهذا أهل الله كلهم ثقات قال ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم
بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك الالهام بما
لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا ولله الحمد (فان قلت)
فهل ينزل ملك الالهام على أحد من الاولياء بأمر أو نهي (فالجواب) أن ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب
العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بأمر ونهي أبدا وانما للاولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا
الصالحة يراها الرجل أو ترى له وهي حق ووحي غالبا لانها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحي
المبشرات في غير النوم كما هو في النوم (فالجواب) نعم وهي على كل حال فهي رؤيا بالخيال وبالحس لا في
الحس والخيال قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من بخار تشكل روحاني وهو التجلي المعروف عند القوم
اذا كان المزاج مستقيما بالحق وهو خيال حقيقي وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول
اذا اعترضوا عليه في فعله أمرا من الامور ما فعلت ذلك الا بأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدي عبد القادر
الجيلي رضي الله عنه أنه ما قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى الا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح
(فالجواب) الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن يطلق على المباح شرعا
بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب
الثاني والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى أمره بشيء فهو تلبيس لان الامر من قسم
الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) أنه ليس في الحضرة
الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء الا سماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشيء كان لهم المناجاة
واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم أن المناجاة لا أمر فيها ولا نهي انما هي حديث وسمر وكل
من قال من أهل الكشف انه مأمور بأمر الهي مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان
كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن أن بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا
محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن أن الحق تعالى كلمه وانما كلم روح محمد
صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالاحكام الشرعية لا تشريعا جديدا فان ذلك باب قد أغلق
بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (فان قلت) فاذن وحي المبشرات هو الاعم الاغلب (فالجواب)

هو الحق وذلك المروي انه حقا
في نفسه مطابق لما هو الامر
عليه فيجزم أن هكذا العلم بانه
لا يقبل الا هكذا وأما النظر
والفكر فلا * وقال في قوله
صلى الله عليه وسلم فاقول
سحقا سحقا لمن غير في حق
الطائفة الذين أخذتهم ذات
الشمال انما قال صلى الله عليه
وسلم وهو الرؤوف الرحيم
سحقا سحقا لان من كان
عالما بالامور لا يرتجى لحكم
ما يقضي به الوقت ولذلك قالوا
الصوفي ابن وقته ثم انه اذا
زال الحال تلطف في المسألة
وتشفع في كل موحد حتى يتولاه
الرحيم من أمته في مكان حقيق
* وقال في قوله تعالى واذا
الارض مدت اعلم ان مد
الارض هو دك جبالها
حتى تصير أرضا لما كان منها
عاليا في الجو اذا انبسط زاد
في بسط الارض قال ولهذا
جاء في الخبر ان الله يمد الارض
يوم القيامة مد الاديم فشبه
مدها بمد الاديم لان الانسان
اذا مد الاديم طال من غير ان
يزاد فيه شيء لم يكن في عينه
فما زاد الا لما كان فيه من
التقبض والنتوء فلما مد
انبسط عن قبضه وفرش ذلك
النتوء الذي كان فيه فزاد
في سعة الارض ورفع
المنخفض منها حتى بسطه
فزاد فيها ما كان من طول من
سطحها الى القاع منها كما يكون

في الجلد سواء فلا ترى في الارض عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع من في الموقف لا حجاب
من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله في الفصل والقضاء في عباده وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع

عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) ان علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعرفة من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها الآن وافقت الشريعة التي بين أظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فالهمني الله تعالى اني قلت لها انوي بقلبك انه اذا فتح الله كفك أن تبتلعيها فنوت وقربت يدها الى فيها فدخلت الورقة في فيها فقهرا علمها فقالوا لها بم عرفت ذلك فقالت ألهمت ان الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحد عليها قال وقد أطلعني الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه اهـ (فان قلت) فما حقيقة الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود ومنها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التي هي الوحي فانها ذات المشار اليه والوحي هو المفهوم الاول والافهام الاول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذي يكون للاولياء ألا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه اهـ (فان قلت) فما صورة تنزل وحي الالهام على قلوب الاولياء (فالجواب) صورته ان الحق تعالى اذا أراد ان يوحي الى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الامر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى ان يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم العلم في الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلثمائة * وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم انه لم يجئ لنا خبر الهي أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي تشريع أبدا انما لنا وحي الالهام قال تعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحيا أبدا وقد جاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام وكان ممن أوحي اليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمن الا بنا أي بشريعتنا وسنتنا مع ان له الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذي يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهي (فالجواب) نعم وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الالهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في انكاره أن الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق ويعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحي اليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الالقاء وأشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد (فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أي ان الله تعالى ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك

فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه القسمة الاقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر الى النصف فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة لأن حكم الله تعالى في الاشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده الى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست بآية منها جعل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فانها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على القسمة نعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام انه لا يقبل منها الا ما عقل فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيأ في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فان لم تف قراءتها في النوافل فما انتقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وان كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك

* وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون قال
هو ذلك المطلوب له الا باعلام الله و بجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينقص من عبوديته بقدر ما يحصل له من الحرية فمن أراد أن لا ينقص ولياً من مقام عبوديته فليسد باب العلم الذي لا ينال إلا من باب الحق تعالى لعلمه أنه أولى له من أسرار الولي انتهى (فإن قلت) فهل جميع الأولياء يعرفون نزول الروح الذي يلقي عليهم العلم

(فالجواب) ليس كل الأولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم التي تنزل على قلبه ولا يدري من جاءه به ثم يقع للكهنة وأصحاب الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الأوهام فكثير من هؤلاء يجدون العلم في نفوسهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم وذلك بالقوة الأدبية ويأخذون عنه بالأدب رضي الله عنهم أجمعين ﴿ وقد قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الجواب عن أسئلة الحكيم الترمذي اعلم أن مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم في نفوسهم ثم ما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال ورأس المحدثين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والناس كلهم من الأمة ورثته في ذلك (فإن قلت) فمتى يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الإلهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الإلهي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني وحفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبي حامد الغزالي وابن سيدبون رجل بوادي آش قولهم إذا ارتقى الولي من عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لأنه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وإنما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم إن صح أن أحداً ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلاً فقد لا يحفظ من التلبيس إلا أن يكون له علامة في ذلك كما مر وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن الشيطان لا يزال مراقباً قلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لأن له حرصاً على الإغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش إبليس بالفرح ويقول لعل وعسى فإن رأى إبليس باطن العبد محفوظاً وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل إلى حسد ذلك العبد فظهر له في صورة الحس أو راح يأخذهم بالإذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم يره على باطنه سبيلاً جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فإذا عجز عن أن يوقعه في شيء يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك الولي فإن رأى أن من عادته الأخذ للمعارف من الأرض أقام له أرضاً متخيلة ليأخذ منها فإن أيد الله تعالى ذلك العبد ومنحه الاطلاع حينئذ على الفرق بين الأرضين المتخيلة والمحسوسة فهو يأخذ الكامل من إبليس ما ألقاه إليه من الهلاك من إبليس فيرده أيضاً خاسئاً وكذلك إن رأى إبليس أن حال ذلك الولي الأخذ من السماء أقام له سماء متخيلة تماثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيما يلهم العارف بما قلناه في شأن الأرض المتخيلة والأصلية وإن رأى أن حال ذلك الولي الأخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة الشخص ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى إليه ما عرف أن ذلك الملك يلقيه إليه من ذلك المقام فإن كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وإن كان محفوظاً حفظه منه فطرد عنه إبليس ويرجع ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن إبليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وإن رأى الشيطان أن حال ذلك الولي الأخذ من العرش أو العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً بميزان وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين (فإن قلت) فهل يصح أن الحق تعالى يمكر بإبليس فيجعله طريقاً لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح أن الله تعالى يمكر بإبليس كما ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين وعبارته واعلم أن من مكر الله تعالى بإبليس أن يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر إبليس وذلك أنه يوسوس في قلب العبد بأمر فيجد ذلك العبد يعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته إبليس الأجر ولو علم إبليس

فلا يكون مشهوداً ولا مشهوداً بخلاف أصحاب الغفلات من الصوفية فإن همهم حضرة الخيالات ([illegible]) وهم [illegible] تلك العادات تجردت لهم في نفوسهم حالات أخر تكون تلك العادات التي وصلوا إليها بدايات لهذه الحالات الأخر فحكم تلبسهم الحالات بالطلب لها ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً بخلاف الكمل من الرجال ﴿ وقال فيها اعلم أن للخيال سلطاناً عظيماً على الطبيعة حتى أنه يجعل ما ليس من شأنه التجسد في علم الإسلام قبة والقرآن سماً وعسلاً والقيد ثباتاً في الدين قال ومن أراد تحقيقه ولده فليتمثل في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وإن أراد أن يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلاً من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضاً لامرأته ويستفرغان في النظر إلى حسنه فإنه إن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد فإن لم يخرج كذلك فإنما هو لأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران قال وبعين ما ذكرناه عند العامة بالتوهم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما تخيلاه حساً وقبحاً وأطال في ذلك ثم قال وتأمل كيف أثر الخيال في زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولاً يعني منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله أن يهبه ولداً من لدنه ولياً أي من عنديته الله من حيث الرحمة والحنين والعطف وكانت مريم في خياله من

نعم اذ هو الوحي الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فيناجيه منه في سره حال سجوده وغيره فلا يجد أحداً أقرب اليه من الله تعالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضاً بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين اعلم أن الفرق بين وحي الاولياء ووحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون الملك النازل بخلاف النبي والرسول فان شهد الولي الملك لا يشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لا يشهد الملك فيعلم أنه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولي وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما أغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة في دعائهم الى الله بها كما كان مورثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو أخذ لا يتطرق اليه تهمة قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فما ظنك بعلم علم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الاصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل وأما في الاصول فلما يتطرق الى الناظر في الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخالل وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين أي حق استقراره في القلب فلا يزلزله شيء عن مقره يقال تر الماء في الحوض اذا استقر وهنالك يحصل له السكون والاستقرار ويزول التردد والاوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار ان أضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان أضيف الى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وان أضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان أضيف الى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين لما أغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان ابقى عليهم اسم الولي الذي هو من جملة أسمائه تعالى جبراً لمصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول اللذين لا يليقان بالله شرفاً له صلى الله عليه وسلم أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤوف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بياناً لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوماً خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمته من تجرع كأس انقطاع الوحي والرسالة جعل لخواص أمته نصيباً من الرسالة ليكونوا بذلك عبيداً اتباعاً له صلى الله عليه وسلم اذ أشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفاً بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربها باللفظ الذي يلقيه الله اليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التي سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروي الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكأنه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة في صفوف الرسل الامين بلغ الوحي من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحي على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلاً بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا في المبلغ الينا انه رسول رسول الله وان شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل أو من شاء من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان تسمية العبد بالولي

والسبعين وثلثمائة انما سمي القرآن قرآناً لانه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل فيها ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحة ان الله تعالى أعطاها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة الا في القرآن خاصة * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحد وان أباكم واحد انما لم يقل صلى الله عليه وسلم ان أبويكم اثنان يعني حواء وآدم كما وقع في الظاهر لان حواء عين آدم اذ هي عين ضلعه فلم يكن الا أب واحد في صورتين مختلفتين وليس أبوك الا من أنت عينه فما ثم الا أب واحد وأطال في ذلك * وقال في حديث حبب الي النساء والطيب لم يبين صلى الله عليه وسلم من حببه اليه ذلك ولكن نحن نعلم يقيناً من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى اليه ذلك فانه معصوم عن أن يحب لطمع أو طبع أو حذر فعلم ان من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلاً فليس بوارث للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وسيأتي معنى وجعلت قرة عيني في الصلاة في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم انه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بادراكه دون الاخبار فان ذلك ليس بوراثة وانما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بادراكه من حيث نظرها بل تحكيه بذاتها اذا علم ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين وثلثمائة انما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لان مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك

لكان رسولا مثله أو نبيا بشرع يخصه يأخذها عن أخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس اه (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون أو مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيلها العقول من حيث نظرها وليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بادراك علمهم فان ذلك لا يكون وارثه فافهم ﷺ واعلم انه لا يصح ميراث لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا او خليفة لا وارثا ﷺ قال في الباب الثمانين والثلثمائة ولا يخفى ان الارث كله يرجع الى نوعين معنوي ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وأما المعنوي فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها واكثر ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو أعظم الورثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين ان أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فأما ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فعلم أن عيسى عليه السلام وان كان بعده ومن أولي العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم أول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى ﷺ قال الشيخ وأما ختم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو في زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به في سره من العلوم الربانية وأطال في ذلك ﷺ ثم قال واعلم أن الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغي التسليم لهم ما لم يخرج أحدهم عن الشرع كأن زعم أحدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفي القرآن العظيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمي الانسان بشرا (فالجواب) سمي بشرا لمباشرته للامور التي لا تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو أنه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزأه باق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان أهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما ان مقام الكلام لا بد أن يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمتهجدين في الاسحار يناجون الحق ويساررونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لاحد من الاولياء ويقول المراد بحديث ان يكن من أمتي محدثون فعمر هو المناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكليف وذلك ان النبوة لا بد فيها من علم التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه بجملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاعدهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدي أنبيائهم ولكن ليس لهم أتباع

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اعلم ان المحكم من الآيات كله عربي والمتشابه كله مو موى لانه أعجمي والعجمية عند أهل العجم عربية والعربية عند الاعاجم عجمية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما المعاني فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادعى علم المعاني وقال بالتشابه فلا علم له أصلا بما ادعى انه علمه من ذلك فان المعاني كالنصوص عند أهل الالفاظ لانها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود ﷺ وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لبلال بم سبقتني الى الجنة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم أن السبق له هو أي بم صرت مطرقا بين يدي في الجنة كالمطرقين في الدنيا بين يدي الملوك قال فانه صلى الله عليه وسلم أن من فعل مثل بلال من أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبلال الاولية وغيره تبع له ﷺ وقال في الباب الخامس والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تعقل موجدها الا على ما تتصوره في نفسها فلو أنه خاطبها بغير ما تتصوره في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة يعني

أن ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما ألقى اليه شيأ قال ومارأيت أحدا من أهل الله نبه على هذا المكر أبدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم بأحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت وفي بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والاربعون في بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضي الله عنهم أجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء في المعارف والاحوال التي ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لابد لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه في كل منزل من العلوم مالا يحصى قال الشيخ محيي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها أحد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت أظن قبل أن يطلعني الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كوني وارثا لهم أن من الادب أن يقال فلان على قدم الانبياء ولا يقال انه على قلبهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الانبياء لنالوا ما نالته الانبياء أصحاب الشرائع فلما أطلعني الله على مقامات الانبياء علمت أن للاولياء معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لكن من حيث هم أولياء أو ملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الانبياء أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة اعلم ان ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التي تفهم ببادي الرأي وقد يرث هؤلاء أيضا الانبياء في الاحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولي والا فالعلماء حقيقة هم الاولياء فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولي عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم في الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما به علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه أول مبحث المعجزات * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة من علامة الوارث المحمدي ان يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت صورته خلف جميع الانبياء يصير يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين فأي ولي رأى قدما أمامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على الكمال أبدا لانه لو ورثه على الكمال

حيث مرتبتها الجامعية على صورتها حصورا أي منقطعا عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال قال واسمها حنة ومريم لقب لها * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة في قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اعلم ان الحق تعالى ختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه انه رب اله بل كل أحد منهم يعلم من نفسه انه عبد ذليل مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار أن لا يدخله كبر الهي أبدا لختمه على باطن كل عبد أن يدخله تأله وأما الالسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الالوهية كما لم تعصم الانفس ان تعتقد الالوهية في غيرها فعصمت ان تعتقدها في نفسها دون أمثالها وأطال في ذلك * وقال من أراد الدخول الى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله أنت عبد مثلي كيف أترك ما نصه الحق الى نفسه لعجزك عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة ربك ولو ألزمت نفسك الانصاف للزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك وأطال في ذلك * ثم قال في قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث اعلم انه لا يلزم من حدوث الامر عندك أن يكون حادثا في نفسه لا عقلا ولا عرفا ولا شرعا فانك تقول حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه في نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه لكان موجودة من قبل بنحو سبعين سنة وأكثر وأطال في ذلك وقد ذكرنا ذلك أيضا في أجوبة شيخنا والله أعلم * وقال في قوله تعالى منه آيات

يرونه فيما اندرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فيرون ما يرونه في نفوسهم اشارة
ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع
خطابات الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على أن ينص ما تأوله أهل الله
وغيرهم في كتابه ومع ذلك ما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية التي نزلت على لسان العامة علوم معاني
الاختصاص التي فهمها الخاص قال ولو أن هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا نظروا
في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في
الكلام في معنى تلك الآية مثلا ويقر القاصر منهم بفضل الافضل والقاصر بفضل غير القاصر فيه وكلهم في
مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشيء مما يغمض عن
ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل الا بالتعلم المعتاد في عرفهم
وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحاني الرباني فهم عاكفون على حضرته ينتظرون
ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وقال في
حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطؤا في اعتقادهم
أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هي العلم وجاء
بمن وهي نكرة ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على
ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم
أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم
في سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معاني كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقي وأطال في ذلك

* ثم قال فاذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا ينكرون الاشارات
وأين هؤلاء المنكرون من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم
سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدني الذي أعطاه الله تعالى في القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد
كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه في زمانه قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت
وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا
القديد أطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة أصحابه كأنه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم
الجديد في فهمكم لكلام الله أو كلام رسوله فعلم ان أهل الله تعالى ما وضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها
فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ما هم
فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيأ لا يصل اليه عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب أن ما أحد
أنكر شيأ على أحد من العارفين الا وحرم ذلك الشيء عقوبة له وأطال في ذلك ثم قال وأصل الانكار كله الحسد
المشتمل عليه النوع البشري ولو أن الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى
وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيي الدين الكلام على ذلك في
الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون في بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة
وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والاسرار كما هو شأن الائمة المجتهدين في الفروع الشرعية

ان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر لابد أن يكون للبشر صفة غير معلومة
ولا معينة تحصل لذلك
الشخص الجزاء الذي لم يخطر
على قلب بشر موازنة لمجهول
بمجهول وقال كل عمل لم يظهر
به الشارع تعليلا من جهته
فهو تعبد محض والعبادة مع
عدم معرفة العلة أظهر من
العمل المعلل فان العمل اذا
علل ربما يكون الباعث
للعبد على ذلك العمل حكمة
تلك العلة واذا لم يعلل لم
يقمه الى ذلك العمل الا العبادة
المحضة امتثالا لامر الله لا غير
(وقال) ثم مقام الانبياء يطلب
منهم أن يطلبوا رؤية الحق
تعالى ولذلك طلب موسى
الرؤية وأطال في ذلك والله
أعلم * وقال في الباب التاسع
والثمانين وثلاثمائة من أراد
فهم المعاني الغامضة في
الشريعة فليتعمل في تكثير
النوافل في الفرائض وان
أمكنه ان يكثر من نوافل
النكاح فهو أولى اذ هو أعظم
نوافل الخيرات فائدة لما فيه
من الازدواج والانتاج فيجمع
بين المعقول والمحسوس فلا
يفوته شيء من العلم بالعالم
الصادر عن الاسم الظاهر
والباطن فيكون اشتغاله بمثل
هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل
ما يرومه فانه اذا فعل ذلك
أحبه الحق واذا أحبه صار
من أهل الله كأهل القرآن
واذا صار من أهل القرآن كان
محلا لالقائه وعرشا لاستوائه
وسماء لنزوله وكرسيا لامره ونهيه فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
ولملئت منهم رعبا اعلم ان الانبياء لا تنهزم ولا تقتل في مصاف وقد وصف الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن

اعلوّمقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لايحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم أتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور أيضا (فان قلت) قد رأينا في كلام بعضهم تكفير الاولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التي قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين من عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ماثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لانه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذر وا به قولهم لو صدقت القوم في كل مايدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لايضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيي الدين ونعم مافعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك الولي مخطئ في مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان أقل الاحوال أن ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لايصدقونهم ولا يكذبونهم اه وكذلك قال الشيخ أيضا في أواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة ولفظه اعلم ان من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والاولياء فان البحر واحد وبالبتهم اذ لم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغي الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ماتهب نفحة من نفحات الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة في الالفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا في الاصل فكذلك نسلم في الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران اه * وقال أيضا في الباب الاحد وثلثمائة كثيرا مايرد على أهل الكشف من الاولياء أمور ولا تقبلها العقول وترمى بها واذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاولياء اذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهي تكشف لهم عما شاء الله من أعيان تلك الامور والالهية التي قبلت من الانبياء فاذا جاء بها ولي كفر ومع انهم يؤمنون بها عينها اذا جاءهم بها النبي فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين وأقل الامور أن يقولوا له ان كان ماتقول حقا وانك خوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من أهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد ورد في الخبر النبوي مايشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع في كتاب ولا سنة اه (فان قلت) فان سلمنا للاولياء ماجاؤا به فما حكمه اذا خالف ماجاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولي اذا أتى في كشفه بما يخالف ما كشف الرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان ذلك الولي قد طرأ عليه في كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقوم مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر بما رأى وكشفه صحيح ولكن أخطأ في التعبير فان الكشف لايخطئ أبدا وانما المتكلم في مدلول ذلك يخطئ ويصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى في ذلك اه قال الشيخ أبو تراب النخشبي رحمه الله اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم أنهم لابد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية أو حديث له عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه

مصدقة بوجود الله ولم يقل انها عاقلة لانها صدقت قول الله تعالى وهو الله في السموات ولو كانت عاقلة لم تقيده بالسماء فعلم ان للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلا لعقله والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل قال وايضاح ماقررناه في الاينية ان الشرائع كلها انما نزلت بحسب ماوقع عليه التواطؤ في ألسنة الامم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ماهى الحقائق عليه وقد لايكون والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وماوعدبه وأوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الاينية في حق الحق الا من أجل التواطؤ الذى عليه لسان الرسل اليهم قال ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فانه لااينية لله تعالى فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا انه تنزل للجارية والله أعلم * وقال في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ليس المراد به المناجاة وانما المراد به شهود من ناجاه فيها قال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وقال اعبد الله كأنك تراه خطابا لمن ليس في مقامه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان يراه في عبادته ما كان كأنه يراه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال مالا يخطر بالبال * وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ... وفي العلم عما أخفي لهم من قرة عين فعلنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشيء من الادراكات وفي الحديث

بلاشك فان العالم لا يصح له مرتبة الاولية لانه مفعول الله تعالى * وقال فى الباب الاحد والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم

بان لك أن سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم كالأئمة المجتهدين وانه لا ينبغى لاحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد ان يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم ويجمعون من شطح عن ظاهر الشريعة فانما هو دخيل فيهم أو غالب عليه حال أو كان مبتدئا فى الطريق وأما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب محرر المذهب اذهم حماة الدين رضى الله عنهم أجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبى القاسم الجنيد بالتقويم وان كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلى وغيره طريق خالية عن البدع دائرة على التسليم والتفويض لله تعالى والتبرى من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهى كطريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد أن طريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية طريق مثلى لكونها بين التفريط والافراط قال الجلال المحلى ولا التفات الى من تكلم فى الشيخ أبى الحسن من أهل الزيغ ويكفينا فى امامته وجلالته اكباب علماء الاسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قوله فى العقائد وكذلك يكفينا فى امامة أبى القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما يسلم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا اذا رأيتم شخصا متربعا فى الهواء فلا تلتفتوا اليه الا ان رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله أو ليس لى فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفى غير الله وهدم أحكام التكاليف كما قال الجلال المحلى وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيد فى جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى انه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا أنهم كلهم أمسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم وكان يتستر بالفقه والافتاء على مذهب أبى ثور وكان اذا تكلم فى علوم القوم أغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصرى رضى الله عنه وكانا يقولان أتحبون ان يرمى أولياء الله بالزندقة وراوهم بما لا يعرف أحد من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد انه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن أبى يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلى ولما بسط النطع لضرب أعناق الصوفية الذين أمسكوا تقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن النورى وقال للسياف اضرب عنقى قبل أصحابى فقال له السياف لم ذلك فقال لاوثر أصحابى بحياة ساعة فبهت السياف وأنهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضى اسمعيل بن اسحق المالكى فسأل النورى عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فقبل القاضى قوله وأرسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضى الله عنهم أجمعين * وحكى ابن أبى فى رسالته عن الامام أحمد رضى الله عنه انه كان فى أول أمره ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم فى الليل من الهواء فسألوه عن مسائل فى الشريعة حتى أعجز وهم ثم صعدوا فى الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم أدركوا من خشية الله وأسرار شريعته مالم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسئلة يقول للشيخ أبى حمزة البغدادى ما تقول فى هذا يا صوفى فاذا أجابه بشئ أخذ به * وحكى القشيرى عن ابن سريج أنه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رأيت فى كلام هذا الرجل فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم ان الانكار لم يزل فى العلماء على الصوفية فى كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة فى نفس الامر معاذ الله ان تقع الاولياء فى ذلك وان جاز ذلك فى حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى

ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل ولرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة قال وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوهم فأظهر أمرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل فكان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم يقل فيها انها القاتل بل الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة الينا فافهم * وقال فى الباب الثانى والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء له مما يجده من ألم الغضب وصدقة الانسان على نفسه من أفضل الصدقات ثم اذا رحم نفسه وزال الغضب لابد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذى يجده الانسان فى نفسه اذا عاقب أحدا ويقول لو شاء الله لكان العفو عنه أحسن لابد أن يقول ذلك اما دنيا أو أخرى يعنى فى انتقامه لنفسه لا يتقبل أن اقامة الحدود من هذا القبيل لان اقامة الحدود شرع من عند الله ما للانسان فيها تعمل وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يأت

ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وأبطلوا أي مجتهدو القوم العبادات والعقود بالاخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه وهذا شأنهم رضي الله عنهم فما من أحد منهم حوله قدم الولاية الا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الامة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون اهـ * ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودي أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عادي لها يقولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن أدهم رضي الله عنه فاذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب في الدنيا لا تصغي لهم ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ولا يهتدي لطريق الى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولو أن المنكر لزم الادب لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت في كتاب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تتزلزل * قال ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من المنقول ثم يقول من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطل يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالي رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين أولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة أي لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق ان الاشتغال بالفقه ليس هو بطالة انما هو أساس للطريق فان من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالي ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل في حاله لعرف ما قلناه من أن الفقه أساس الطريق وأن غاية الصوفي انه عالم عمل بعلمه لا غير (وقد كان) سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله يقول لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن أحد منهم انه دوّن شيأ في علاج الامراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لاي شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتجلى قلوبهم كما فعل الصوفية فانه لا يقول عاقل قط عن أحد يعني من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو غلا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو أنهم علموا أن فيهم شيأ من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فانهم فقد

قوله لرؤية أجسامهم لانهم اناس مثلنا وانما توليه من شهود أمر يحول له مما قام بهم قال وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لانا ما شهدنا منهم الا صور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع انه صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الاسراء أمورا مهولة ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشي على جبريل ولم يغش علي من ذلك فعلمت فضل جبريل علي في العلم بذلك قال وهنا نكتة وهي ان الله تعالى ما ذكر الا رؤيته عينهم بذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف أن يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعبا لئلا يؤثر واقعه تأثير الادنى في الاعلى الرضاعة والسخط عليه فلذلك كان حقيقا أن يولي منهم فرارا كما يفر الانسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه * وقال في الباب التسعين وثلثمائة لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا
بهذا البيت طرا أجمعينا

وقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أو عن غيره فتذكرت حديثا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك البلد الذي نسبني اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم

بل ربما وضعوا على الحواشي حواشي والسر في ذلك أن غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم على حكم شرعي لا يمكنه أن يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يفصح عنها في تلك العبارة بل ينسى أكثر الاحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فانه لا يتكلم الا بوحي من ربه عز وجل معصوم من الخطأ ونقص المعاني وصحة الإرادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم أن أهل كل دور رحمة على من بعدهم كما أن للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث عاد عليه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك في صحائفه فعلوم جميع الامة المحمدية وعلومهم في صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم المادة التي يستنبطون منها الاحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم انما لهم المنة على من قلدهم الى يوم القيامة فلولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق في كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما أجمل في القرآن بأحاديث الشريعة لبقي القرآن على اجماله الى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل في الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام في كل دور بعدهم الى يوم القيامة يفصل كل دور ما أجمل في كلام من قبله ومن زعم أن المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده (وايضاح ذلك) انه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما أن كشف الاولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقدير أنه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفي سنن البيهقي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك في كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسأل عنه أحدا وما لم يتبين لك في كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فآمرني ولا أرى مؤامرتك اياي الا أسلم لك اه وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول في دين الله بالرأي كما أوضحنا ذلك في مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف في الاسلام مثله فراجعه * وملخص أقوالهم في ذلك أن البيهقي روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول اذا أفتى الناس هذا رأي عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر ويقول أستغفر الله وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس رضي الله عنهم انهم كانوا يقولون ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه انه كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه اذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب وكان الامام مالك يقول ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا ولا في قياس ولا في شيء وما ثم الا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنهم من التبري من الرأي في كراسة وكان الامام أحمد رضي الله عنه يقول ليس لأحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا أبدا في الفقه وجميع مذهبه الآن انما هو ملفق من

أنهم حين لم يعلموا أنه الملك فان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت يده فتأمل ذلك فانه نفيس * وقال في الباب السادس والتسعين وثلاثمائة اذا قصد الحق تعالى من عباده تحصيل جميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فاته المقصود والاعظم وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها فما منها علم الا وهو طريق للعلم بالله تعالى ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين على أصحاب هذه العلوم حيث حجبتهم عما فيها من الدلالة وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع والتسعين وثلاثمائة انما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلي بالتصريف في الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لان مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح واظهار العلو على أمثاله وأشكاله بل على من هو أعلى منه في مقامه قال وهذا المقام وان كان رفيعا فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الادب واظهار الذل والمسكنة قال ومن شطح على أحكام الله أكثر أدبا ممن شطح على عباد الله لان الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف الخلق لضيقه قال وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود في حضرة شبابة فهؤلاء لا كلام لنا معهم لانهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم أنهم لا يرعون بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم

مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والاربعون في بيان ان جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما أدى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان أخطؤا)

على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا أخي ان مبحث الجواب عن الائمة يكتفي فيه بأي وجه كان وأما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغي الاعتراض علينا اذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين أولى من الغاء أحدهما وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء ومن وصل الى مقام الكشف وجد جميع الائمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شئ من أقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا أخي الايمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثلا ومنها ما هو مأخوذ من المفهوم أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الاصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولكن كلما قرب الشخص منه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقليد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق بصره هذه الادوار كلها حتى يشهد اتصال أقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها في سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الاولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الاسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال وعلى ما قررناه ينزل القولان من أن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والباقي مخطئ وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربي وغيره وبالثاني قال الجمهور اهـ وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا أوضحت فيها أدلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الاكباب على قول امامهم وعدم التدين بأقوال غيره الا الضرورة تركت عنه (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا وأصله مجمل في الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفي بتبليغه القرآن من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا المعبر ناب الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى في تفصيل ما أجمله تعالى في كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام في تفصيل ما أجملوه في كلامهم وناب أتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما أجملوه من كلامهم وهكذا القول في كلام أهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا ففصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذي قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشرح حديثهم الذي

الشاكرين خير الغافرين وأما خير الماكرين فلحكمة لا ينبغي أن نذكرها الا بين أهل الله تعالى فتأمل ما تحته * وقال في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة في قول الله تعالى وان منها أي الحجارة لما يهبط من خشية الله هذا دليل على شهود الحجارة بالخشية ولا يخشى الا من درى ذلك قال وقد أخذ الله بأبصار الانس والجان عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها قال وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولا ما عنده من العظمة لما اندك لان الذوات لا تؤثر في أمثالها ذلك وانما يؤثر في الاشياء معرفتها بقدر من تجلى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذي أثر لا الذات التي لها المنزلة الكامنة فيها قال وانظر الملك اذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا القيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فاذا رأى الناس الذين لا يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك وان منزلته تعطي أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل الا مع الملك سارت اليه أبصارهم بل وخشعت أصواتهم وأوسعوا له وتبادروا لرؤيته واحترامه فهل أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فيما احترموه حينئذ الا وهو رؤية لانها كانت مشهودة

و بجانبه عالم من علماء هذه الامة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم منهم له درجة الاستاذية في علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى أن ينتهي الامر في ذلك لختم الائمة المجتهدين محمد بن عبد الله الذي هو المهدي عليه السلام اه ✱ وقال أيضا في باب الجنائز من الفتوحات انما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله اذا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدون من الوحي مثل ما كان لآل ابراهيم الذين هم اسحق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم وجعل وحي المجتهدين في اجتهادهم اذا المجتهد لم يحكم الا بما أراه الله تعالى في اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى اليه الاجتهاد كما حرم على الرسل أن تخالف ما أوحي به اليهم فعلم أن الاجتهاد قطعة من قطعات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم أي كما جعلت آل ابراهيم أنبياء ورسلا في المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحي فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص أمتي مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا اه ✱ وقال في الباب الحادي والستين ومائة اعلم أن جميع المجتهدين لهم في مقام الارث النبوي القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام ولذلك ناظر بعضهم بعضا لسريان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطالب كل واحد من صاحبه أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكانهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما كان كل نبي تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء في التشريع لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التي أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور فقد قامت لهم أدلتهم مقام الوحي للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بأمر جديد يرد عليهم من الله تعالى ينسخ حكمه فهم في حال علمهم وفي حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأي نفوسهم كما أشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله وقال في خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فخص سبحانه وتعالى حكم محمد وغيره بما أراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه في قصة عائشة وحفصة تشريعا للناس فقال يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين أن المراد بقوله بما أراك الله أي ما أوحي به اليك لا ما تراه من رأيك فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من كل رأي وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرته نفسه فكيف برأي من ليس بمعصوم والخطأ أقرب اليه من الاصابة وأطال في ذلك ثم قال وقد دل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس الحكم في المسئلة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك تشريع لم يأذن به الله (فان قلت) فما اشتقاق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمم بعضهم الحكم في حصول الاجر للمجتهد اذا أخطأ ولو في الاصول ولكن الجمهور خصصوا الاجر بمن أخطأ في الفروع دون الاصول مع ان تخصيص الخطأ بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه مخالفته

صبار شكور يعني في حق راكب البحر اذا اشتد عليه الريح ويرد فيه ما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة والخوف يطلب منه الصبر قال ومما يغفل عنه كثير من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك ان ما من نعمة ينعمها الله على عباده الا وهي محتفة ببلاء وذلك ان الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها بالايجاد وصرفها في الوضع الذي أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الامور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون في حقه نعمة خالصة وكذلك القول في البلايا والرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا وهي محتفة بطلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق في رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا أو بالصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة في المصائب ما فيها من الاجر في الآخرة وتواضع النفس في الدنيا للخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة ✱ وقال في الباب السادس عشر وأربعمائة اعلم أن كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب يقول ✱ وقال في الباب السابع عشر وأربعمائة في قوله تعالى عن نوح عليه السلام ان أجري الا على الله انما كان أجرهم على الله لانه تعالى هو الذي استخدمهم في التبليغ وأطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا يعلم ذلك الا الله فمن طلب الاجر

صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسئلة وسأله رجل مرة عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة اه وهو محمول على من أعطي قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهلا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل فان الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيأ ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على أمته تطالبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من ثقل تلك التكاليف فلما بقي حائرا أخذ يطلب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وأمضى ذلك في أمته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الاحكام باذن الله تأنيس لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا يستوحش مع ان ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا فان موسى لا بد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثرها على العبيد وعلم أيضا أن الله تعالى لو أمضى عليهم الخمسين صلاة فلا بد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله في شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك سر بهذا القول وعلم أن من القول الالهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما أجرأ الائمة على استنباط الاحكام قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فافهم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن في قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن في حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لنه بتقرير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسئلة يقع في محظورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من الفتوحات * وقال في باب الوصايا منها اياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل مقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيوب بذوقهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم اه * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل في مدح المجتهدين فعلم ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم في منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أباح لهم الاجتهاد في الاحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبي معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الانبياء والرسل لا في صفوف الامم فما من رسول الا

وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة في قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله اما غيرة واما تعظيما وقوله مثنى أي بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله وفرادى أي بالله خاصة أو برسوله خاصة * وقال لا يجوز لاحد المبادرة الى الانكار اذا رأى رجلا ينظر الى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للانكار الا فيما لا يتطرق اليه احتمال قال وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لان صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الانكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى الى حسن الظن بالناس لا الى سوء الظن بهم فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لانه يعلم ان بعض الظن اثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض واثمه أن ينطق به وان وافق العلم في نفس الامر وذلك انه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان له ذلك قال ومعلوم ان سوء الظن بنفس الانسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه ان فلانا أساء الظن بنفسه لانه عالم بنفسه وانما عبر بأسوء الظن بنفسه اتباعا للتعبير بأسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام ومجانبه قال والى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل

تحريمه وما هو محال على تحليله فلم يحرم على علي نكاح ابنة أبي جهل اذا كان ذلك حلالا وانما قال ان أراد
ابن أبي طالب ذلك الى آخره فرجع ابن أبي طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين أن يحرم ما أحل
الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وما فعل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم
صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ في الباب الثاني والمائتين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بحديث
العلماء ورثة الانبياء هل هم الاولياء أم الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون بجمعهم في الارث بين
القال والحال كما كان عليه علماء السلف في الزمن الماضي فان حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا
النبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل سماهم الناس فقهاء لا صوفية وانما
قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبي مخصوص لان كل عالم على قدم نبي ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه
وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل ما قلناه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فانه ذكر أن الارث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه
وطلبا للثواب فحملها مشاق التكاليف التي لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعدها في الآخرة وذلك كحال
أبي الدرداء وأمثاله من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا وأخذوا بالعزائم دون الرخص
فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقام أكمل منه
كما أشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر في الآية ما ظلم نفسه الا ابتغاء مرضاة الله
فاحتقر عملها في جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصي اذا مات على
الاسلام لانه مصطفى في العموم بالنسبة للكفار فالمصطفى في الخصوص ومصطفى في العموم فافهم انتهى
(وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول أكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور
قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بخلاف الصوفية عرفا فانهم معدودون لتعليم الاخلاق
الباطنة في الغالب اه (وسمعته) أيضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع لكون الشارع
أمره أن يعمل بكل ما أدى اليه اجتهاده (وسمعته) أيضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظن فقد يكون
منتهاه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب)
حقيقة علم اليقين انه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو
ما أعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بباطن ذلك الامر المشهود
مثال علم اليقين علم العبد بأن لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة
ويطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل في
النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد
وجه اضافة ذلك البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم باعلام الله تعالى تلك الخصوصية فكان
علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذي حق استقراره في القلب فلم
يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار والا فان يقين الانبياء
من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء في الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح في علم اليقين وجود
اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك في
علم اليقين وان كان هبوب النفس في ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك في علمه
لاعتقاده أن الحق تعالى هو الفاعل فان شاء أزال ذلك الامر بالاسباب أي عندها وان شاء أزاله بغير ذلك
فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهي دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني
والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي

ما يفعلون لا يكتبونه (قلت) يرد على كلامه رضي الله تعالى عنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الا أن يكون النسخ حمل
الاستنساخ على خلاف
الكتابة والله أعلم انتهى
فليتأمل ويحرر * وقال في
الباب الثامن عشر وأربعمائة
في قوله تعالى وقالوا قلوبنا في
أكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر وفي قوله كلا بل
ران على قلوبهم وقوله تعالى
أم على قلوب أقفالها ونحو
ذلك اعلم ان المراد بالكن ان
يكون العبد في بيت الطبيعة
مشغولا بأمه عما عنده من خبر
من أبيه الذي هو الروح فلا
يزال هذا في ظلمة الكن
وهو حجاب الطبيعة المشار
اليه بقوله ومن بيننا وبينك
حجاب ومن كان في حجاب كن
وظلمة فلا يسمع كلام دعاة
الشرع ولا يفهم واما الوقر
فهو ثقل الاسباب الدنياوية
التي تصرفه عن الاشتغال بما
ينفعه في الآخرة واما الران
فهو صدأ وطخاء في مرآة
القلب يحدث من النظر الى
ما لم يأمره الله بالنظر اليه
وجلاؤه يكون بذكر الله
وتلاوة كلامه واما القفل فهو
لاهل الاعتذار يوم القيامة
من الموحدين فانهم يقولون
يا ربنا انك لم تقفل على قلوبنا
وانما وجدناها مقفلا عليها
ولم نعرف من قفلها فرمنا
الخروج بخلفها من قفل الختم
والطبع فبقينا ننتظر الذي
قفل عليها حتى يكون هو
الذي يتولى فتحها فلم يكن
بأيدينا من ذلك شيء قال وكان عمر بن الخطاب وأضرابه ممن أسلم من الصحابة من أهل تلك الاقفال فلما أراد الله فتحه أسلم فشد الله به الاسلام
وعضده رضي الله عنه (وقال) من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا انما كثرها لما فيها من الوجوه

(فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد سؤالا للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك أما بعد فانك يا أخي امام هدى وحكم الله في هذه المسئلة ما أدى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران (فالجواب) أن المراد بالخطأ في هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسئلة من الكتاب أو السنة فهذا له أجر واحد وهو أجر التتبع ولو أنه كان وجد الدليل لكان له أجران أجر التتبع وأجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهري وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم أن الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا أو للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا أخطأ في الحكم بل هو مأجور وهذا على ان المراد بخطأ المجتهد خطؤه في نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهري فلا يصح خطأ المجتهدين في الحكم لانه لو صح خطؤه في الحكم لخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا أجر فافهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية أم هو فيها وفي غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة أم لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ في الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدي عليه السلام فله أجر مجتهد قال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا أن يكون دليل شيخه أوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ما شرعه المجتهد سنة أو يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة وأما قول عمر بن الخطاب في التراويح نعمت البدعة فلا يقدح في ذلك فان قوله ونعمت البدعة هي مدح لها فرجعت الى انها حسنة (فان قلت) ما قررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح في ان الاجتهاد كان في الامم قبلنا لانه من جملة ما نفس الله به عن عباده وذلك يقتضي العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا لانهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة يقتضيها أدلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى أثنى على من رعاها حق رعايتها وما أثنى عليه الا لحسن القصد والنية في ذلك مع انهم انما شرعوها لانفسهم لا للناس قال وعلى هذا ففي الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فما ذموا الا من حيث تركهم اعاتهم لما ابتدعوه لا غير اه وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا من ورثة الانبياء أم هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أيضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع أما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد أبدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ أو وجوبه أو استحبابه أو كراهيته فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدر أن مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب في قصة تزويج علي على فاطمة ابنة أبي جهل ان فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها وانه ليس لي تحريم ما أحل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن ان أراد ابن أبي طالب ذلك يطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد أبدا فما طالبه صلى الله عليه وسلم مع معرفته بهذا الوجه الالهي الا ابقاء لما هو محرم على

المجهول عند الرسول من الله لان الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخالق لا بد من تقديره قبل الطلب قال فكل من رد رسالة نبي ولم يؤمن به أصلا فان لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد أكثر أجرا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي امته اجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته خارجين عن الاجابة وأطال في ذلك *وقال في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله المراد بالاصلاح هنا أن يحسن الى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله اذا عفوا ما جازى أحد أحدا باساءة وما كان في العالم الا عفو اصطلحا ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليست سوى الاغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة ومن أحسن الى من أساء عليه فقد أزال ما قام به من الموجب للاساءة ولا شك ان ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في احسانه المعبر عنه بالاصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شئ لكان فيه كفاية في الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار اليه قوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسئ باساءته اساءة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملائكة الكتاب تحريه لا يكتبون على العبد من أفعال السوء الا ما يتكلم به وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو الكاتب فهم وان كانوا يعلمون

ان يكون كرامة لولي بما اذا أظهر الولي الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع وبيا
اذا لم يقل النبي هذه المعجزة لا تكون لاحد بعدي فراجعه وبالجملة فان غالب الصالحين بالصدق وخالفهم رأى
كراماتهم عيانا وعرف صدقهم (فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما
يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعي رحمه الله وقال لا فرق بين
وقوعها على يده أو يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولي أن يخفي نفسه وأحواله بالحال والكرامة
(فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا في
المقام فهو كمال في العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب انه خلق من تراب كما وقع
لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه لان غايته أنه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفي وقوعه ولا انه
خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم فليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما
الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعي رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر
على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة وأما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ في
الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي والناس في انكار الكرامات على أقسام
فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل
زمانه فهؤلاء كبني اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه
حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من
جميع الامداد في عصره وبعضهم اذا رأى أحدا من أولياء زمانه متربعا في الهواء قال هذا استخدام للجن
لا ولاية وأطال اليافعي في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي لاحد التوقف في الايمان بكرامات الاولياء لانها جائزة
عقلا وواقعة نقلا أما جوازها عقلا فلانها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال أهل
السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين * وأما
وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا الآية وفي قوله تعالى لها أيضا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك في غير أوان
الرطب * ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش
بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء * ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب
حين قال من أبوك قال فلان الراعي * ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح
أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام
البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها اني لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث كما في الصحيحين * ومن ذلك
أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكل مع ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة ربو من أسفلها أكثر
منها حتى شبع الضيوف وهي أكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن
أبي وقاص في الرجل الذي كذب عليه كما في الصحيحين وكان يقول أصابتني دعوة سعد * ومن ذلك ما رواه أبو
نعيم في الحلية ان عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام في الشمس أظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخاري
في قصة خبيب حين كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب ومن ذلك
قصة الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول اسق حديقة فلان كما في الصحيح ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرمي
حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة وحال بين الجيش وبين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى
ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ومن ذلك تسبيح القصعة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء
حتى سمع تسبيحها الحاضرون وروى هذا والذي قبله الحافظ أبو نعيم وغيره * ومن ذلك ان عمران بن الحصين

في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي اعلان من التوفيقات الالهية المبشرات ومن الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له
ذلك وله العمل بما فهمه من الحكم في حق نفسه فقط بشرط أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصورة المحمدية التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل اليه من الوجه الذي صح عنده حتى انه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية العليا فان لم ير هذه العلامة فما هو ذاك وان تحقق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياه لكن رآه شيخا أو شابا مغاير الصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها أو رآه في حسن أزيد مما وصف له أو في أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك راجع الى الرائي لا اليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لا سيما ان خالف نصا صريحا في الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك قال وقد رأيناه على الصورة التي كان عليها وسألناه عن عدة أحاديث قيل بضعفها فأخبرنا صلى الله عليه وسلم بصحتها فعملنا بها وقد ذكر الامام مسلم في صدر كتابه عن شخص انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في ذهنه انها صحيحة فأثبت له صلى الله

عليه وسلم من الالف ستة أحاديث وأنكر صلى الله عليه وسلم ما بقي فعلم أن من رآه صلى الله عليه وسلم في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فان الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا فهو معصوم الصورة حيا وميتا فمن رآه فقد رآه في أي صورة

وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وأن مذاهب الأئمة كلها منسوجة من الكتاب او السنة سداها ولحمتها منهما او وجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا او يقينا واما نظرا واستدلالا واما أدبا وتسليما وما بقي لك عذر في تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول أحد غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كأنه قد خرج عن الشريعة فأين دعواه انه يعتقد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا وبالجملة فلا يصل الى اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون في ان كرامات الاولياء حق اذ هي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع المعجزات وان من لا حال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة في العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدم في مبحث المعجزات ان كرامات الاولياء ثابتة متشائعة بين أهل السنة والجماعة وانما أنكرها أكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من أدل دليل على انهم أهل بدعة كما تقدم بسطه في المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة في انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها على يد الاولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة (والجواب) لا تعجيز لان المعجزة هي التي تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم ان ذلك يؤدي الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان أبو منصور الماتريدي رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج وصاحب الكرامة لا يأمن ان يكون حاله كحال بلعام ابن باعوراء قال وانما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران بدعوة النبي ألا ترى ان آيات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزة انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال ان تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فان الانبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين والاولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لابد له أن يخرق له العادة اذا شاءها وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال ومن أدل دليل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها أفعالا خارقة للعادة فاذا لم تؤد الى سد باب النبوة جاز ظهورها على أيدي الاولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته جيشه وهو أي الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش يا سارية الجبل محذرا له ممن وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفي ذلك كرامتان احداهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا ثعبانا واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق * وقال الاستاذ أبو اسحق القشيري رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكي وهذا حق يخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي أي فلا فارق بينهما الا التحدي فقط وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز

قال وايضاح ذلك ان الفهم في الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم واما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم فاذا علم السامع اللفظة من الالفاظ بها أو رأى الكتابة ففيه تفصيل فان علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وان لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم في القرآن وانما أعطى العلم بمدلولات تلك الالفاظ بالاصطلاح الذي عرفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان كلام الله تعالى قد أنزل بلسان العرب فاذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة أو الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها وذلك لان الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها الا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضا لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فان خرج عن لسان العرب فلا فهم ولا علم قال وليس هذا الحكم الذي قررناه لكلام أحد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه ان غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم من رآني

ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوي فلا تقع كرامة لولي الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تبرع صفات صاحبه فهو الى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة ويعزل ويولي كما عليه بعض الطوائف بأفريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص بأهل الاسلام (فالجواب) نعم هو مختص بأهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى في الهواء أو قتل بالهمة فذلك باستعمال عقاقير أو أوزان معلومة فيفعل بها ما أراد وهذا بخلاف حال أهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو ان أهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة في اتباع الشريعة بخلاف الكفار فان حكمهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع الاسلام (فان قلت) فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الاولياء كمال فيهم أم نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد أعطى الشيخ أبو السعود بن الشبلي مقام التصريف في الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلاني مع انه تلميذه كذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة وأيضا فان الكامل لا يجد في الوجود شيئا حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير في عين صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقير فيمنع مع حقارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل أو المرض ونحو ذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته ويسرقون سترة وثيابه بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولي الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا اه (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من أجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولي لا يجب عليه اظهار الكرامة لأنما الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك لان الولي تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار كرامة على ان يتبعه الناس على ما دعاهم اليه * وقال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولي متبع فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول الذي ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج الولي الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع ويريد نسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى اه وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى ان الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فاذا أحيى كبشا مثلا أو دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع الامر الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطاور الذي يقع للاولياء كمال أم نقص (فالجواب) هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كاهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا فان من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور اذ التطور من خصائص الارواح * وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين

بالبصيرة في دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيي الدين فاني حاولت جمعا فلم يحصل لي سوى أن المتفق عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ولا بعين القلب فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفي الجميع انما يتأتى اذا قررنا الكلام على رؤيته تعالى في دار الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم أما رؤيته في الآخرة ورؤيته في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن بان ذلك بعين الرأس قطعا والله أعلم * وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة قد عفا الله عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بحكم كما رأيناه في الباب التاسع والستين وثلثمائة * وقال في قوله تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون في الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا احسانا في ظاهر بدنه وأراد حسنا في باطنه وأما الذي خفت موازينه وهو الشقي فلانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد قال ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن الا كفة الخير لا كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل الذي يخرجه الله من النار وما عمل خيرا قط فميزان هذا ليس في كفة اليمين منه شيء اصلا

كان يسمع تسليم الملائكة عليه * ومن ذلك مارواه أبونعيم عن عبد الله بن شقيق انه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا أمطرت علينا فتمطر في الحال * ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس كان يعطي عطاءه فيضعه في حجره و يصير يقبض منه و يعطي الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شئ * ومن ذلك ان عبد الرحمن بن أبي نعيم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شئ احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شئ قبل ذلك * و بالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان في غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم و يؤيد ذلك قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها في بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها و يقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا اهـ (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تنخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة نعم والامر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف ولفظه اعلموا انه ليس عند المحققين عوائد تنخرق أبدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم في نفس الامر عوائد تنخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هنالك ما يعود وانما هي خرق العوائد في أبصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد أي في الصفات لا في الذوات فافهم اهـ * وقال في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة اعلم ان أكابر الاولياء يشهدون كونهم في حال خرق العادة في عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم و بين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شمة لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لابد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أو سكرا ونحوهما فلم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسموه خرق عادة اهـ (فان قلت) فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هي غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولي الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة موروثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع ان عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بلا يتقارب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه أسري به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها و ورثناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير ألا ترى ان المماليك الذين يكونون نعال أساتيذهم من الامراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاساتيذهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ في الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم في

لكن منها ما هو أوضح وقد تقدم الكلام (٢٥٠) على الرؤيا في الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه (قلت) وكان شيخنا سيدي محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كما يقول به بعضهم المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لان من بلغ في كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق واذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى والله أعلم (وقال) في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة في قوله تعالى لا تدركه الابصار يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب فان القلوب ما ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الادراك لكن يسمى البصر في العقل عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين اذ العين في الظاهر محل البصر كما ان البصيرة في الباطن محل لبصر العين التي في الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بابصارها كذلك لا تدركه البصائر باعينها (قلت) وقد أخبرواسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ان شخصا زعم انه رأى ربه بعين بصره فقال هذا شخص ملبس عليه وهو انه خرق من عين بصيرته خرق الى باصره عين وجهه فرأى ربه حينئذ فظن انه رآه بعين بصره انتهى ففي هذه الحكاية اشارة الى صحة الرؤية ترجمة

لا يعلمون قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين وأكثر ما يقع المكر الخفي للمتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه في المخالفات وفيمن رزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو رزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخي هذا الحال من نفسك او من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى ما أخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما أعاد الضمير في يعلمون الا على الضمير في سنستدرجهم * وقال أيضا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمير قوله هم هو الضمير في مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لا يشعرون وأطال في ذلك ثم قال وكل من لا يدعو الى الله على بصيرة وعلم يقيني فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم

(المبحث الحادي والخمسون في بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجد هنا دون الاسلام كما يأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى)

واعلم ان الاسلام الشرعي هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية لا تخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم مجيء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل في حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له * قال أئمة الاصول والتكليف بذلك تكليف باسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التي هي مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية وأشار وا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال ان التصديق أحد قسمي العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب أن تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار ومباشرة الاسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معنى التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذي هو أول المبادي في النظر ليس هو باختيار العبد أيضا لانا نقول ما رقي فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي نهى العلماء عن افشائه والايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق أو غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة وأما من حيث هو اقرار من العبد وإذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ من أعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال أئمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به عن عهدة التكليف بالايمان الا مع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لان الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وحاصل هذه المسألة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى أن الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجيء الرسول به في أحكام الدنيا والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ورأيت على حاشية الحاشية

كان ذلك فقد صح كلام الشيخ * وقال في الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فقد نفى تعلق العلم لا نفي العلم مع ان نفي العلم علم لمن فهم * وقال في الباب الخامس والثلاثين وأربعمائة في حديث من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير انما عوقب هذا بالكفارة لان فيه حثا على فعل مكارم الاخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الاخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا اشارة الى ان لنا اخلاف الوعيد اذا لم يكن حدا مشروعا وكان لنا الخيار فيه وعلمنا ان تركه أولى من فعله عند الله فلنا ان لا نفي به وان نتصف بالخلف فيه وأطال في ذلك * ثم قال وهذا دقيقة وهو ان من اساء الينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا انه لم يحسن الينا أحد مثل ما أحسن الينا ذلك المسيء ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي ان يكون جزاء المسيء اليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجزيه ويكفيه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله أو يحسن اليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما أشار اليه قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين الآية فتأمل ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والثلاثين وأربعمائة للعبد أن يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والانكاد والموت بقصد أن لا يزيد تشفي به وانما يكون ذلك خوفا عليه ان يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن الدعاء لمن آذاه بالاصلاح أولى من ان يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه اعلم * وقال في الباب

وأربعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسميه بيت العظمة فكان اذا دخله ملأه كله بذاته في عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى علم السيمياء لجهله بأحوال الفقراء في تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان في ذلك البيت فما قدر أحد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل في قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبي غير منسوب * الى شيء من الحيف
سقاني ثم حياني * كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذا جزاء من يشرب * مع التنين في الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم في تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم في ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذ المناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها ذكره الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولي (وأما) الكرامة المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على أداء الواجبات والسنن في أوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الاشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانه أرسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التي يعرفها العامة فانه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد أن يجعلها الله عز وجل هي حظ جزاء أعمال ذلك الولي فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهي بل هي عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شيء من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار اليه فيه ما عدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل أحد به قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وسمعته) أيضا يقول أسنى ما أكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التي لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو العلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فانما موطنه الدار الآخرة انتهى * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة ان أعظم الكرامات ان يصل العبد الى حد لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولي مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش في جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جزى ذلك الولي أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذي يحفظ الولي من المكر الخفي الذي في الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رميه ميزان الشريعة من يده ليزن بها حاله في كل نفس لان في الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث

وليس عنده الا ما في قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضروري وليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق في الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا في ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الخير والشر وأما اذا وقع الوزن للعبد فيكون هو في احدى الكفتين وعمله في الاخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال في الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لانها العلو والشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها وتخف كفة عمله فيهوي في النار وهو قوله فأمه هاوية فكفة ميزان العمل هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وليس الا ما تعطيهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى فليتأمل ويحرر * وقال في الباب الرابع والعشرين وأربعمائة العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون الا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق في المحبة من الكاذب لا وأطال في ذلك * ولا يرد على الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه لانا نقول محبة العبد لله عز وجل من لازم محبة الله العبد وحيث

الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كما ان أهله على قسمين (القسم الاول) من آمن من نظر واستدلال و برهان فهذا الاوثق بثبات ايمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لايخالط بشاشة نور ايمانه القلوب لانه لاينظر الامن خاف حجاب دليله ومامن دليل من أدلة أصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لايمكن صاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذى بينه و بينه (القسم الثانى) من كان برهانه حين حصول الايمان فى قلبه لامر آخر ضرورى وهذا هو الايمان الذى يخالط بشاشة القلوب ولايتصور فى حق صاحبه شك لان الشك لايجد محلا يعمره فان محله الدليل وماثم دليل فماثم مايرد عليه الدخل ولا الشك ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين * وقال قبله فى الباب الخامس من الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة أقسام ايمان عن تقليد وايمان عن علم وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة أقسام فهى للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلاسبيل الى بيانها انتهى وتقدم فى المقدمة أول الكتاب ان من أخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة (فان قلت) فأى الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى ايمانا (فالجواب) أعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كاهل زماننا رأينا سوادا فى بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا أساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لايزيد ولاينقص و بين قول الجمهور انه يزيد وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما ان يحمل قول من قال انه لايزيد ولاينقص على ايمان الفطرة ويحمل قول من قال انه يزيد وينقص على مابين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان لايموت الا على مافطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين ومائتين ان يقال الايمان الاصلى الذى لايزيد ولاينقص هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية فى الاخذ الميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل فى حصر الطبيعة فى هذا الجسم الذى هو محل النسيان جهل الحالة التى كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر فى الادلة على وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التى يعطيها النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فاذا نظر العبد فى الادلة الا ليرجع الى الحالة التى كان عليها عند أخذ الميثاق كالذى يكون مسافرا والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لايعرف جهة قصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتى قريبا ايضاح ذلك (فان قلت) فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شركه ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الائمة التى هو فيها (فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لان التوبة تجب ماقبلها فكان ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقى لاغيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه أشرك به حين حال بينه و بين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فأيهما أقرب الى الايمان المشرك أو المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى المعطل أقرب الى الايمان من المشرك فانه لابد لكل انسان أن يجد فى نفسه مستندا فى وجوده الى أمر ما لايدرى ماهو فيقال له ذلك الذى لاتدرى ماهو هو الله الذى خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر كان فى محل النظر الذى فى ذلك أو يقلد من يعتقده من الموحدين فما ثم على هذا ايمان محدث بل هو مكتوب فى قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تتعلق السعادة و بنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يعنى فى العهد الميثاقى آمنوا أى لقول رسولنا لكم آمنوا فلولا ان الايمان كان موقرا عندهم ماوصفوا به فقد

صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا حسان فان روح القدس يؤيدك مادمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجعل صلى الله عليه وسلم للشيطان على حسان سبيلا وأطال فى ذلك * وقال نشأة الآخرة تشبه فى بعض الاحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهى واحدة فى صور كثيرة وفى أماكن مختلفة فى الآن الواحد فيدخل الانسان من أبواب الجنة الثمانية فى آن واحد من غير تقديم ولا تأخير بل يجد الانسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر فما على من يدخل منها كلها يارسول الله بأس الحديث قال ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم فى كل موطن يقتضيه ذلك الطالب فى الوقت الذى يجده الطالب الآخر فيه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الحادى والاربعين وأربعمائة اعلم ان العلم والمعرفة والفهم فى الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينها تمييز معقول فى الدلالة كالتمييز الواقع فى ألفاظهم فيقال فى الحق انه عالم ولا يقال فيه عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة ألقاب فى الانسان قال ولما أثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم أكثر مما أثنى به على من أعطاه المعرفة علمنا ان اختصاصه بمن شاركه فى الصفة أعظم عندنا وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث والاربعين وأربعمائة فى قول الصديق رضى الله عنه مارأيت شيئا الا رأيت الله قبله أثبت رضى الله عنه أنه يرى انفعال الاكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه أثر البتة وليس هذا المشهد

بخطه أيضا انتهى حاصل الكلام في هذه المسئلة أن الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف في أنهما مترادفان أم لا خلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين بن السبكي وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذي هو الشهادة شرط للايمان أو شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي انه ليس بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح ذلك ان يقال في التلفظ هل هو شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما فيكون غير داخل في مسمى الايمان أو هو شطر منه أي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام البزدوي من الحنفية وكثير من الفقهاء الى الثاني وألزمهم القائلون بالاول بان من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازي وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ أي يتبعض (فالجواب) أن الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء منه في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو منه ذهب الايمان في القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ما وجدته عن أئمة الاصول * وأما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين وأربعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيأ من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى تجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في اعتقاده بين هذه النعوت أنكر مضرورة في كل ما لم يذقه في دار الدنيا اه * وقال أيضا في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم أن الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر ويرجع عنه برجوع المخبر لان نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من أشكل المسائل في الوجود فان الاحكام المشروعة أخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للاحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الاول وانما هو أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم أن صدق الايمان نور كشفي لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه أصلا اه (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) أنهما شيآن لان الحق ما وجب فعله والصدق ما أخبر به على الوجه الحق الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعني فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا * ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمجرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل رده ويحمود كما أن الغيبة والنميمة وافشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لان الصادق يسئل عن صدقه ولا يسئل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة وأشباهها صدق لا حق والسلام (فان قلت) فكم ينقسم نور الايمان

الثامن والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية الآية كانت السكينة في بني اسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله في هذه الامة في قلوبهم فلم تكن في قلوب بني اسرائيل والسكينة هي الطمأنينة كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فعلوم هذه الامة كلها وأسرارهم في قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منها الا ما كان فيه اقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر وتأمل في قصة الاسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة وذكر لاصحابه ما وقع له في تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثرا في الظاهر وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح الرائي اليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائي له عند رؤية وجهه قال الشيخ وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسوي المقام فكان لا يرى أحد وجهه الا عمي وممن رآه شيخنا أبو مدين فعمي فمسح أبو مدين عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال في ذلك ثم قال فمن جعل الله نوره في قلبه فقد ملأ يديه من الخير فتأمل والله أعلم * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة ما تولى الله عز وجل عبدا من عبيده الا وأسمعه كلامه من قلبه نثرا ونظما كما أشار اليه بقوله

الاشهاد (قلت) رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه ان وراء مقام الاحسان مقام الايقان ولم أر ذلك في كلام أحد

لم يزل محفوظا من النقص بل تكمل صاحبه وهو ومدد فضل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين
الا لاجل لهم في الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في بعض كتب الفتوحات والذي نظهر أن اسناد
الامر بالاخلاص عام في كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى
ما قرره الشيخ محيي الدين يكون الخطاب بالاخلاص لامته حقيقة لا له صلى الله عليه وسلم الا من باب الخطاب
بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص أمته لا يحتاجون الى تقرير العهد الميثاقي فكيف به صلى الله عليه
وسلم الذي هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقدح في الايمان عدم ايماننا بحياة
الجماد (فالجواب) نعم يقدح ذلك في ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وثلثمائة
انه يجب على كل مؤمن حفظا لايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده
فان الله تعالى ما نفى حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فأهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل
الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا للذين هم اهل
الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الاجل وعدم حكمها في العاجل لما علم الله في عباده من حرم الكشف
والايمان الكامل وهم عبيد الافكار من العقلاء وأطال في ذلك * ثم قال فأهل الكشف يقولون سمعنا
نطق الجمادات ورأيناه وأهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون
ما سمعنا ولا رأينا قال وتأمل في قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى
لا يوقنون أي لا يستقر الايمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي
قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتي في مبحث عذاب القبر
وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب التعفف
من قبول هدية من أمر الله تعالى بمعاداته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان في الحديث تهادوا
تحابوا والعطاء أثره قادح في الايمان اذا أحسن محبوب للنفس فهو أثر إيمانها وهذه مسئلة خطرة في حق كل
محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطالب من يرى العطاء من الخلق أن لا يحب الكفار والظلمة
المصرين على المعاصي اذا قبل برهم واحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق الا من شاء الله لانه خروج عن
الطبع فهو وان لم يكن له أثر في الظاهر فله أثر في الباطن اه (فان قلت) فأوضح لنا ما نعرف به المؤمن
الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب وقوله تعالى
بالايمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا للاعتقاده في ذلك الفعل ولهذا
قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يريد ما قدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه
وسلم المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وفي رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه (وسمعت) أخي
أفضل الدين رحمه الله يقول من شرط كمال الايمان ان يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسري منه
الامان في نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير ان
يتخلل ذلك الامان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل
نفسه في كمل المؤمنين (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله
عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا وأكثر فان وجده لا يتوقف
في اعطاء أحد من المحتاجين شيئا ولو أنفقت جميع ما بيدها فليعلم ان ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله
عز وجل وان توقفت عن العطاء مع وجود قوت يومها أو ليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى

غيره والله أعلم * وقال في
الباب الثاني والستين
وأربعمائة اعلم انه لا ذوق
لنا في مقامات الرسل لنتكلم
عليها وانما غاية ذوقنا في
الوراثة خاصة فلا يتكلم في
الرسل الا رسول ولا في الانبياء
الا نبي ولا في الاولياء الا ولي
هذا هو الادب الالهي
* وقال لابد في كل اقليم أو
بلد أو قرية من ولي لله عز
وجل به يحفظ الله تلك الجهة
سواء كان أهل تلك الجهة
مؤمنين أو كفارا * وقال في
الباب الثالث والستين
وأربعمائة ما ورد في تفضيل
بعض السور أو الآيات على
بعض هو راجع الى التالي
لا الى المتلو لان المتلو لا تفاضل
فيه لانه كله كلام الله تعالى
فالتفاضل راجع الى ما هي الآية
عليه من حيث كونهم متكلما
بها لا في الكلام فليتأمل
ويحرر * وقال في قوله صلى
الله عليه وسلم يؤتى بشيخ يوم
القيامة بين يدي الله عز وجل
فيقول له ما فعلت من الحسنات
فيقول يا رب فعلت كذا
وكذا والله يعلم أنه كاذب
فيأمر الله به الى الجنة فتقول
الملائكة يا رب انه كاذب فيقول
الله تبارك وتعالى قد علمت
ذلك ولكني استحييت منه أن
أكذب شيبته اعلم ان في هذا
الحديث حثا لنا أن نظهر
لمن كذب علينا بصورة من
أصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فان الشارع ما أخبرنا بذلك الا لنكون بهذه الصفة فنفع الناس
* وقد سأل بعض الاقطاب ربه عز وجل أن يعطيه مقامه أو الفه فقال له الحق تعالى في سره مقام انت لا تقدر لا يكون بالوراثة اعطاه لك في العلوم

بان لك بهذا التقرير أن ايمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد وهذا الايمان يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو فيما طرأ في العمر والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المراتب التي تعطي السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولي لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فأول مرتبة للعلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولي جاهل به أبدا وقد تقدم في مبحث أهل الفترات أنه يصح ان يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسئلة عظيمة أغفلها العلماء فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وأربعمائة ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بي أي لا بنفوسهم فيرون لها مدخلا في الايمان بل الواجب أن يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطي الايمان بتوحيد الله وانما تعطي مشاهدة ميثاق الذرية حين أشهدنا الحق تعالى على أنفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى الا وهم مشركون أي حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطر ظهر الشرك في الاكثر ممن يزعم أنه موحد وما أداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق أكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم ان لهم اقتدارا نفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو أنهم علموا أن الله تعالى ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوى في نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم انه لو كان المراد بالايمان في الآية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون فدل على انه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما أراد الايمان بالوجود اه (فان قلت) فمن أين شقي الكفار (فالجواب) شقوا بحكم القضاء الذي لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق أبد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فان الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وانما أشركوا معها ربوبية أخرى وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا اشقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ في الباب الرابع وأربعين وأربعمائة في قوله تعالى ألا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذي تخلص لنفسه في وفاء العهد به وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة في جنة فانه قد يكون الباعث للمكلف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطي المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله أي غير مائلين به الى جانب الحق الذي شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين في كتابه فقال في طائفة انهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعاني فان قرائن الاحوال هي التي تميز فالعهد الخالص هو الذي أخذه الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بني آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أحد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالص النفسه في نفس الامر طاهرا مطهرا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري وأضرابهما يقولون ما نقص نامن ميثاق الحق تعالى شيئا بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لانه قد لا يقدر العبد من غير استخلاص

لغير المقام الصديقي فافهم * وقال في الباب الثامن والاربعين وأربعمائة في قول موسى رب أرني أنظر اليك الى قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين اعلم ان مراده بقوله تبت اليك أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فاني علمت حين تدكدك الجبل ما لم أكن أعلمه منك يارب وأنا أول المؤمنين أي بقولك لن تراني لانك ما قلت ذلك الالي وهو خبر فلذلك ألحقه بالايمان لا بالعلم ولولا أن المراد بالايمان الايمان بقوله لن تراني ما صحت الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة لا ينبغي للاشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الاحساس بمن في المجلس ولا تسلم له حركته الا ان غاب وهو ما أحس بمن في المجلس تعين عليه أن يجامر الآن يعرف الحاضرين انه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على ان هذه الحالة غير محمودة بالنظر الى ما فوقها * وقال في الباب الموفي ستين وأربعمائة في حديث مسلم في تجلي الحق يوم القيامة في الصور حين يقع الانكار من قوم اعلم ان صاحب مقام الاحسان هو الذي لا ينكره تعالى في تجل من التجليات لانه جاوز مقام الاسلام والايمان وصاحب مقام الايمان ينكره في تجليه في مقام الاحسان وصاحب مقام الاسلام ينكره في تجلي مقام الايمان والاحسان فان كل انسان انما ينكر ما لم يذقه في دار الدنيا ولا يخفى ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الاسلام الانقياد وشرط الايمان الاعتقاد وشرط الاحسان

فهو الذى أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم أيضا فى المباحث السابقة ان من كمل العبد أن يواخى بين العيان والايمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز * قال الشيخ محيى الدين فى باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى أن الايمان والاسلام مقدمة الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام تال والامام يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فأوتره الاحسان لانه أول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم ان الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر فى التخيل فلا بد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهى آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم ير يد الحق التى هى تأييده له ولا تخيلها فما انقاد الا كرها والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت فى كلام سيدى على بن وفا رضى الله عنه أن وراء مقام الاحسان مقاما آخر يسمى مقام الايقان ولم أر ذلك فى كلام غيره فليتأمل وقد تقدم فى مبحث الاجوبة عن الانبياء ان أهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية ما داموا فى حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء فى حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها فى أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان أن يقعوا فى خلاف الاولى لا فى حرام ولا مكروه كما مر فى الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والخمسون فى بيان أنه يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا فى الحال)

قال الجلال المحلى رحمه الله ومنع الامام أبو حنيفة رضى الله عنه ذلك * وحكى فى المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفى فى عقائده ولا ينبغى أن يقول العبد أنا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على أن الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين أنه لا خلاف بين الفريقين حقيقة فى المعنى لانه ان أريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل فى الحال وان أريد ما يترتب عليه النجاة والثواب فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله فى الحال فمن قطع بالحصول أراد الاول ومن فوض الى المشيئة أراد الثانى اهـ وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد أنا مؤمن ان شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك فى الحال فى ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان فى الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التى يرجو حسنها ويسأل من فضل ربه تحقيقها انتهى ودليل الامام أبى حنيفة ومن تبعه فى عدم جواز الاستثناء فى الايمان قول الله تعالى فى السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يستثنوا وقوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثن وأيضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله وأجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم أن من يستثنى منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع *(خاتمة)* اذا أشرك المؤمن فى عمله رياء وسمعة فلا أجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشى وقال انه الظاهر وأما الامام الغزالى فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوى فلا أجر له وان كان الاغلب هو باعثه الدينى فله أجره بقدره وان تساويا تساقطا والله أعلم

(المبحث الرابع والخمسون فى بيان أن الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة فى زعمهم انه يزيله يعنى انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلى وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن

بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق بخلاف العبد اذا خلق الله على يديه شيأ لا يخلقه الا عن تقدم تصور أى تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثالها أو يبدع مثالها فعلى الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا الايضاح * وقال فى الباب الخامس والستين وأربعمائة أعل هبل أعل هبل هو صنم كان يعبد فى الجاهلية وهو الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه وباطنه الاول فوقه البلاط * وقال فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى الحمد عندنا بلا خلاف عقلا وشرعا قولنا ليس كمثله شئ لانه لا يصح ان يثنى على الله تعالى بما لا يعقله العبد فما بقى الا أن يثنى عليه بما يعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فمتى علمت شيأ أو عقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هى التوبة من التوبة اذ التسبيح تنزيه ومعلوم انه لا نقص فى جانب الحق قال واذا كان كل شئ يسبح بحمده فسبح بعد ذلك أو لا تسبح فانك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت وأطال فى ذلك ثم قال واعلم انا لا نحمد الله الا بما علمنا أن نحمده به فان حمدنا مبناه على التوقيف اذ التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح الا من جهة الشرع ومن هنا كان لا ينبغى للعبد ان يثنى على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وان كان ذلك داخلا فى قول العبد الحمد لله خالق كل شئ ولكن لا ينبغى فى الادب التعيين للمحقرات لئلا ينسب العبد الى سوء العقيدة مع ان ذلك صحيح لو قاله العبد قال ولا أمثل به لانى استحيى ان يقرأ فى كتابى مع انى ما أرى

ولو أن يهوديا جاس بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله تعالى اللطف (ومعنى ما) يقول أيضا فى قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا أخى من يدعى كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم انه فى ذلك الحال ناقص الايمان بمرة فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأينا هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بد أن تقول ان ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة فلا نرى أحدا يتوقف عن العمل بما أمر به الا وفى نفسه احتمال ومن قام له فى شئ أخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان مع انك لو سألته لقال لا أشك فى صدق ما أخبرنا الله به ورسوله فتنبه يا أخى لنفسك فانك لأن تأتى الله تعالى وأنت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من أن تأتيه بأعمال الثقلين وفى ايمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والخمسين ومائة ان الايمان علم ضرورى يجده المؤمن فى قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه فى مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه القادحة فى ايمانه اذ هو ايمان نظرى لا ضرورى والنظرى صاحبه أسير الدليل فكل شئ ترجح عنده فى وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط فى وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه أيضا وجد ممن لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده لا بدليل ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر غامض لا يعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم * (خاتمة) * قال الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة اعلم انه لا يموت أحد من أهل التكليف الا مؤمنا عن عيان وتحقيق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والايمان به خاصة وما بقى الا هل ينفعه ذلك الايمان أم لا وفى القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال فى أدلة أنه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين أنه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على أنه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضى أبو بكر الباقلانى وبعض الحنابلة قالوا الان الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا اه وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن فى البأس لان من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان البأس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولان متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والخمسون فى بيان حقيقة الاحسان)

اعلم ان حقيقة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به فى حديث سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلى رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى فى جميع العبادات الشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها فى حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم فى مبحث مسئلة خلق الافعال والكسب ان علم العبد بان الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهوده هو للحق لانه لا يشهده الا بقدر دائرته هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا ان فى الحديث اشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كأنه يراه لم يجد الفعل الا لله وحده وليس للعبد فيه أثر وانما له حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد

أو الاموال * وقال قد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه قال وقد وقع لى ذلك وأفدت الطالب علوما لم تخطر لى قط على بال قبل سؤاله (وقال) من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدى جميع النبيين * وقال قد أجمعنا على أنه لا موجد الا الله وانه حكيم يضع الامور كلها فى مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا ان كل ما ظهر فى العالم فهو حكمه وضعه فى محله لكن مع هذا المشهد لا بد من الانكار لما أنكره الشارع فاياك والغلط * وقال كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع فى أول دخولى الطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشرة سنة حتى خفت على نفسى المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفهمنى الله معنى حبب علمت ان المراد أن لا يحبهن طبعا وانما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عنى وأنا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لانى فى ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعى وأطال فى ذكر قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية (قلت) وتقدم الكلام على هذه الآية أيضا فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات فراجعه ترى العجب والله أعلم * وقال انما نسب الحق تعالى الخلق الى عباده فى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فهو فانه أثبت انهم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا وذلك أنه تعالى اذا خلق شيأ يخلقه عن شهود فى علمه فيكسوه الخلق حلة الوجود

والثلاثين ومائتين أيضا اعلم ان من لازم المؤمن الكامل انه لا يأتى معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه الندم عند الفراغ منها وفي الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أى من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لابد للمؤمن الكامل ان يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شر عاذ وعمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها ومن تأمل في قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر وانما ذكر انه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته في كلام بعضهم وعليه فتكون الحكمة في الطائفة التى تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا تقبل فيه شفاعة ليعرف الناس مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم * وقال الشيخ في الباب السابع والتسعين ومائتين في معنى حديث لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم ان من رحمة الله تعالى بخلقه انه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم في دار التكليف فان المعاصى والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد في هذه الدار فلابد من وقوعها منهم ولو انها وقعت منهم على الكشف والتجلى لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده ويراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فاذلك حجب الله تعالى العاصى عن ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى * وقال في أواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد الى بابه خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين وأطال في ذلك اه وفي كلام ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا اه وسيأتى في المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والخمسون في بيان أن المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية)

فاما ان يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما ان يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أو مع شفاعته أو شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووى في الاخير وهو كلام القاضى عياض قال الشيخ تقى الدين السبكى وانما تردد النووى في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد في السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهى في اجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وزعمت المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما مستندا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهى محكمة غير منسوخة هكذا رأيته في تفسير الامام سند بن عبد الله الازدى من أقران الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وأجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بانه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك الآن أضربك وأحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الاصول * وأما قول الشيخ محيى الدين فقال في الباب السابع والاربعين ومائة اعلم ان من قتل انسانا ولم يقتل به في الدنيا فأمر القاتل الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه قال وأما قوله في الحديث القدسى فيمن قتل نفسه بادرنى عبدى حرمت عليه الجنة فالمراد به انه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول كما في نظائره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزانى ونحو من

تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول في هذه الآية نفى المحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولى وأما السوء الفعلى فقد وقع التصريح بالنهى عنه في آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الاولى والمراد بالجهر به ظهور افشائه من العبد كما في حديث من بلى منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر يعنى لا يجهر بها وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن السوء على نوعين سوء شرعى وسوء بسوءك وان حمده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوءك لا أن السوء فيه حكم الله كما في السيئة الثانية في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فان السيئة الاولى في الآية شرعية لان صاحبها تعدى حد الله والسيئة الثانية التى هى جزاء ليست بشرعية وانما سميت سيئة لانها تسوء المجازى بها فان الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما أطلق في الاصطلاح في اللسان على السئ والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فانهم سموا سوأة قالوا ان ثم سوأ فاخبرنا الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم أى لا يحب السوء الذى سميتموه أنتم سوأ لكونه لا يوافق أغراضكم فانه الاحسن بالنسبة سيئ بالنسبة في الحقيقة ولكن كل ما وافق الاغراض من القول فهو حسن كما أن كل شئ من الله حسن ساعد الغرض أم لا فتأمل وحرر * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون اعلم أن من الادب أن تمشى حيث مشى بك الشرع وتقف حيث وقف بك فتقف فيما قال فيه

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفي الايمان * قال الشيخ نجم الدين البكري والحق الذي نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن أي بأن الله يراه أي حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع ان يعصي حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتى يقع في المعصية وأقل الحجاب ان يقع في تأويل أو تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وبعيد أن الله تعالى يؤاخذ مثلك ما دمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا افعل ما قدر عليك فانك لا تستطيع أن ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب * وقد أجمع أهل الكشف على انه لا يصح لعارف ان يعصي الله تعالى على الكشف والشهود أبدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض ان العاصي يشهد أن الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير راض عنه في تلك المعصية * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التي تسلب العقول التي تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها الا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى أحدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية أن ينتفي عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ما عدا كون الله تعالى يراه فانه لا بد من حجابه فيه ليقضي الله أمرا كان مفعولا والا كان ذلك في غاية قلة الحياء مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص في كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذي هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي بأني أنصرهم فاني عند ظن عبدي بي وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكري في تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي أربعة أشياء لا خامس لها وهي الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء في ثوابه وعدم التقدير في علم الله تعالى فمعنى الحديث ان صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أي لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع في المعصية ثلاثة أشياء وهي الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة الباقية كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان معناه كما قلنا في الخوف سواء انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة في ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا انه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لا يقاومه شيء وقد أشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان * قال وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه في الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وهنا نكتة جليلة خفية وهي ان العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد ان يشوبها طاعة وتلك الطاعة هي ايمانه بأنها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم أي يرجع عليهم بالرحمة * قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم * وقال في الباب الرابع والخمسين والثمانمائة أيضا في معنى حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع في الذنب كما اذا أوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة نحرقك بالنار لا يزني بها قط ولو مكنتنا امرأة مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم * وقال في الباب الرابع

شيأ في الوجود حقيرا من حيث ان الله تعالى اعتنى به وابرزه في الوجود والله أعلم * وقال في الباب الحادي والسبعين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث اعلم ان عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فيها رائحة دعوى لانها كالتواضع ومعلوم ان التواضع تعمل لا يقوم الا ممن له سهم في الرفعة والعبد ليس له سهم في السيادة ولهذا قالوا العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وايضاح ذلك ان علم العبد بربه ينقص بقدر ما اعتقده من الفضل بل من أول قدم يضعه في النفل يتصف بالنقص في العلم بما هو الأمر عليه وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار اليه حديث اذا قال العبد لاخيه أنا أحبك فأحبه الآخر فانه لا يلحقه في درجته في الحب أبدا لان حب الاول ابتداء وحب الثاني جزاء فلن يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للانبياء أعلى من حب الكرامة للاولياء (قلت) ومن هنا كان الائمة الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض الا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى انهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فانه لا نفل الا عن كمال فرض ونعم ما فهموا ولكن تمام ما هو أعلى وهو أن يكثروا من النوافل لو طلبتها الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض ما في فرائضهم من النقص والله أعلم * وقال في الباب الثاني والسبعين وأربعمائة في قوله

* وقال في الباب السابع والاربعين والثمانمائة لولا ان رحمة الحق تعالى بالمؤمن مخزوجة بغضبه لم يبق للعاصي أثر على وجه الارض فالمؤمن حال مؤاخذته الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع في معصية الا وهو مؤمن بأنها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد في النار الا كافر والسلام

(المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)

أي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك الذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى المتوب منه وقيل انها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم ان من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث انها معصية ليخرج مالو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمن لكونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بأن لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان النائم مؤمن بالاتفاق وأيضا فلو في التكليف بتذكر الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور وتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه ليستوفيه أو يبرئ منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج عما يتحقق به عنها لانه لا بد منها في كل توبة اهـ قال الكمال في حاشيته وقولهم وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال في المقاصد انه التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب اهـ قال ابن السبكي وغيره واذا أحس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى استغفار آخر لأن اللسان اذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الامام السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات ولو وهي أوجب على ذلك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك لا بدي باستدراجك من معصية الى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر أي مقدمته فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل بها وقلة عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسر مع الخاسرين وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب

لاوجعة فيه الاتراها انها اذا ماتت قبل الوصول الى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلى بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيأ قال واعلم ان الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة من العلوم علم يعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجري على لسان عبد مختص الا في مضايق الاحوال لا غير * وقال في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لا بد أن يوصل الى كل مخلوق رزقه الذي قسمه له قال وليس ذلك من اهانته له ولا كرامته به تعالى رزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد ان يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى بقية الله خير لكم أي ما أحل لكم تناوله من الشيء الذي تقوون به على طاعة ربكم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما يجمعه ويدخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم في الغيث انه حديث عهد بربه أي قريب التكوين وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصري لم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان في خلافته ولم يكن ثم ما يغيبه عن صدر عنه فقال وهو صبي في المهد مخبرا عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة أمه وان أهل الله يتلقفه كانوا أنكروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين وتحقيق الجذع اليه هو الشاهد الثاني وقد اكتفى بالشاهدين العدلين في الحكومات ولا أعدل من هذين قال

الفجر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * وقال أيضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم أن الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وان النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا ان الشارع انما أخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا فكما أن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا فيقوي بعضه بعضا وأطال في ذلك ثم قال والمراد بقوله فمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أي حرمت عليه الجنة قبل رؤيتي لا سيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو لا يليق ان يحمل عليه لفظ الخبر الا ان يأتي لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل وأطال في ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشرع يعرف ماقلناه وفي الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما أولناه اه (قلت) وفي هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم * وقال في باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد أن يقبل شفاعتنا فيه واعلامنا بأن سؤالنا فيه مقبول وانه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشيء يقتضي رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه مخلد في النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذي لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود في النار على زعمهم واما على قول أهل السنة والجماعة فلا يخلد في النار مؤمن ولا موحد وفي الحديث أيضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهي نكرة تعم وما أمرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد أن يرحمه اما بعدم دخوله النار أصلا واما باخراجه منها بعد ان أخذت العقوبة حدها * وقال في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم أن في هذه الآية ردا على من يقول بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار في شأن الانتقام بما وقع منه والحق تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ماهو غفار وعفو ومتجاوز ورؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيآت الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم أو الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخوانه قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي * قال ومعنى الآية أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا بسيآتهم مغفرتي وشمول رحمتي ساء ما يحكمون بل السبق لي بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم * قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصي منهم اذا مات تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله ان يلقاه فيه وأما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فذلك في حق الكافر وأما في حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغي تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما عمله من المخالفات فخاف أن يؤاخذ اه فليتأمل

العقل وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه انظر يعني تفكر وتسلم فيما قال لك فيه سلم وذلك لان الآيات وردت في القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولي النهى وآيات لاولي الالباب وآيات لاولي الابصار ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعد الى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خاطب بها واجعل نفسك مخاطبا بها فانك مجموع ما ذكر فانك منعوت بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والابصار وغير ذلك فانظر بنظرك في تلك الصفة التي نعتك بها وانظر بها لتكن ممن جمع له القرآن وأعطي الفرقان * وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فالاشراك عدم واذا كان الاشراك عدما فلا يغفره الله اذ الغفر الستر ولا يستر الا من له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به انه لا وجود له ولو وجد لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلم أن شعائر الله أعلامه وأعلامه الدلائل عليه الموصلة الى وقال معرفته ويا عجبا كيف يصل اليه من هو عينه قال ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أي تجرح ليعلم انها من شعائر الله وما هي لله

لانه اوجدت وكذلك لا ينافي الاستغفار فعل شيء في المستقبل لان الاستغفار ورد بما وقع من العبد على ذلك كل ما مر والله أعلم * وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات بعد كلام طويل في باب الحج فلا يخفو اعهد الذي يعاهد ربه على ترك شيء أو فعل في المستقبل الا ان يكون ممن أعلمه الله تعالى انه لا يقع منه زلة في المستقبل أصلا فان كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح فلا يؤاخذ الله معاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان كان لم يعلمه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان أعلمه الله على انه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار وعلى كل حال لا تأكيد للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل لا للذي علم ولا للذي جهل والتوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده الآن فعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذنب والتوبة منه والاستغفار والتأوه ويباوا مر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بان يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصي ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هي الفلكية أو غيرها وكما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث اذا أذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل من شرطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأورده بالشرطية كما أوردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم وكذلك افرادهم رد المظالم الى أهلها والله أعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هي باقية مادام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان المؤمن لا يغلق له باب عنه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان في قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مؤمن أبدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ في الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية * وقال في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فان أخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون اهـ (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله أعلم (فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التي ما بعدها ذنب (فالجواب) اذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصي فهذا يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو أراد أن يعصي ربه لم يجد ما به يعصي وما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما تركه الحق تعالى سدى بل أمره بالتوبة * وقد قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يصح له عصيان الامر الالهي وسلطان الارادة عليه فمن أطاع الامر أطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة وبالله التوفيق يتعلق التوبة ويقول هذا مقدر على لا أستطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اعلم أن من علامة من قبل الله توبته وبدل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيأ من ذنوبه لكونها انمحت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل اهـ ويؤيده حديث الطبراني

علم ذوقا لانه قد ورد مثل ذلك في ذلك الزمان والسن لا يصح الاذواق فانما كان الحكم صبيا وهو حكم النبوة الذي لا يكون الا ذوقا * قال الشيخ وقد قلت مرة لبنتي زينب وهي في سن الرضاعة قريبا من عمرها سنة ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت والدتها في الحج فجاءت مع الحاج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني أمها هذا أبي وضحكت ورمت نفسها الي قال وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو في بطنها وكان اسمها الشيخ عبد القادر بدمشق وكذلك ذكره أيضا في الباب الثالث والثلثمائة وقال شهد على الثقات بذلك ولم يذكر انه سمعه وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها (قلت) وقد تقدم في الباب الثاني والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله بقوله

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم

ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مر بالامة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

وبنت لمحيي الدين قدس سره ... وعم بناجعا وذا لثمهم * وقال في الباب الاحد والثمانين وأربعمائة الاحسان هو العمل على استحضار رؤية أنك ممن عظمة الله وجلاله حتى يصير

الذي سبق منك أو لاستحضار عظمة من عصيت فخف عقاب ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو لترجع عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة واعلم يا أخي ان التوبة من أعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة من الاصرار وهكذا أبدا ما عشنا وما ثم لنا داء بلا دواء أبدا فان لم يصح لنا شيء من ذلك كله فلله رحمة خاصة يمن بها على من مات مصرا من أهل الاسلام واعلم أن حقيقة التوبة هي الرجوع الى شهود أن الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى حديث اذا أذنب العبد فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك فلا يكفيه العلم بأن له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم ✻ قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا خالفوا باعلامهم بمضمون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محبوبا وليس هذا التعليم الا لسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون أي ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وانما كان محض نفوذ أقدار لا غير قال وأما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فان في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا أن يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال اهـ فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بني اسرائيل انه قال يا رب لو فرغتني لعبادتك ووكلتني الى نفسي لا ريت لك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقائع الاكابر الا لنتأدب بما أدبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شيء محمود وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل وانما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا فعل ما هو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل لا ينافي مجاهدة النفس وردخواطرها الان ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان

وكان نطقه أن قال اني عبد الله في الحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لانه لم يك ثم آتاني الكتاب فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه وجعلني نبيا في الحكم بان النبوة بالجعل وجعلني مباركا أي مخصوصا بزيادة لم تحصل لغيري وتلك الزيادة هي ختمه لدورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة في المرآة المحمدية التي هي أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرى وأوصاني بالصلاة يعني المفروضة في أمة محمد ان أقيمها اذا نزلت لانه جاء بالالف واللام فيها والزكاة كذلك ما دمت حيا زمان التكليف وهو الحياة الدنيا وبرا بوالدتي لانها حملت تكوينه ولم يجعلني جبارا شقيا وذلك لا يكون الا من الجهل والانبياء تنزه عن ذلك والسلام على يوم ولدت ومعناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج ويوم أموت تكذيبا لمن افترى عليه انه قتل لانه لم يقتل ويوم أبعث حيا في القيامة الكبرى فكان في اتيانه الحكم صبيا رضيعا في المهد بيان تمام وصلة بربه وأنه أتم من يحيى ابن خالته لان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعى فيه أنه اله ويحيى سلم عليه ربه تعالى وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن الناس انما كانوا يستغربون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير لانهم ما عهدوا الا الحكمة الحاصلة عن الفكر لانها والرؤية وليس الصبي في العادة محلا لذلك فيقولون انه منطق بها فتظهر عناية الله بهذا العبد الطاهر فزادهم يحيى وعيسى بأنهما على علم بما نطقا به

وقوعه منه على صفة معينة كحضور ونحوه ولا بأس عليه في وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لان اجتماع
هذا العمل أولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المعينة مقصودة فان قصدها صار الرياء
مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه [illegible] الحال الثاني وهو أن يكون الخاطر مذموما فلا يتبع المبادرة
الى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فهو من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولو لم يقع
فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما ألقي في القلب مشكوكا فيه فلم يظهر له أهو
مأمور به أو منهي عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع في المنهي وبه قال الشيخ
أبو محمد الجويني رحمه الله اذا شك المتوضئ في غسلة ثالثة فيكون مأمورا بها أو رابعة فيكون منهيا عنها فلا
يغسل خوف الوقوع في المنهي وقال الكمال في حاشيته والمعتمد انه يغسل لان الاصل عدم غسلها ولم
يتحقق فعل هذه الغسلة فيأتي بها انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيته * وأما كلام الشيخ محيي الدين
في الخواطر فقال في الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان لله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر
لا اقامة لهم في قلب العبد الا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة ثم يذهبون
وهم سبعون ألف خاطر في اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يرجعون ولا يعقبون
فلا تغفل يا أخي عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك [illegible] ولا يثبتون فيها وحدوك [illegible] يقبله
فهو المقصود [illegible] على باب التيقظ فان تيقظت فانهم لا يعوقون
وان لم تتيقظ لمرورهم تركوك ورجعوا الى ربهم وأطال في ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق
تعالى لك لتمشي عليها على القلب وتمشي على الطريق لواحد وجوبا والثاني ندبا والثالث حظرا والرابع
كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى في كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد
بضد ما يأمره به الشيطان من الخواطر الا الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفا الله تعالى عن هذه الخواطر
في حق كل الناس أم العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى
وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة أو منسوخة في حق العامة دون الخاصة أما
عند من يقول انها منسوخة فهي عامة في حق كل الامة لكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر
في هذه الدار وذكر الشيخ في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفا عن
الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم
فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضي الله عنه فان الانسان ليس
في قدرته أن يمنع قلبه عن الخواطر التي تناقض مقامه الا أن يكون معصوما أو محفوظا وانما نكر في الآية
قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى * وقال في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان
حديث النفس انما كان معفوا عنه اذا لم يعمل أو يتكلم والكلام محل [illegible] فيؤخذ به العبد من حيث ما هو
متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك ويسئل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشيء في
حديث النفس لان الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك [illegible] يريد في
الحرم المكي الحادا بظلم فان الله أخبر انه يذيقه من عذاب أليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذي أراده أم لم
يقع وأما في غير المسجد الحرام المكي فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يعمل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك
لله خاصة فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التي هي
الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان في الصلاة (فالجواب) كما قاله
الشيخ في باب صلاة شدة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلي صلاة شدة الخوف فهو أي الشيطان
مع المصلي في حرب عظيم فيصلي من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها في محاربة الشيطان فيؤدي الاركان

[illegible] في [illegible] (١٢) [illegible] سارع لذلك ولما أحد
من جزاء الا في اضافته الى
الله تعالى واما ما يضاف الى
الطبع وأطال في ذلك * وقال
في الباب التاسع والثمانين
وأربعمائة في حديث اذا
مات ابن آدم انقطع عمله الا من
ثلاث صدقة جارية أو علم
ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
المراد بالعلم المنتفع به في
الحديث هو ما يسنه من السنن
الحسنة ليعمل بها المجتهدون
والمراد بالصالح المسلم
والصدقة الجارية مثل حفر
الآبار ونحو ذلك * وقال في
الباب التسعين وأربعمائة
في قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله أن تقولوا
ما لا تفعلون الآية اعلم ان
للمقت درجات بعضها أكبر
من بعض ومن قال قولا ولم
يفعل هو به مقت بسبعين عند
الله أكبر المقت اذا اطلع على
ما حرمه من الخير بترك الفعل
ولا سيما اذا رأى غيره قد انتفع
به عملا قال والناس يأخذون
في هذه الآية غير مأخذها
فيقولون ان الله مقتهم وما
يحققون قوله تعالى عند الله
أي تمقتون أنفسكم أكبر
المقت عند الله اذا رجعتم اليه
في الدنيا أو الآخرة وأطال
في ذلك ثم قال وملخص القول
ان الحق تعالى كأنه يقول
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ان الفعل لكم وما هو كذلك
فانه لي فكيف تضيفون الى أنفسكم ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا أي يقاتلون من ينازع الحق في اضافة الافعال ويقول ان
الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ويضيف الافعال كلها الى الله قال فالمراد بالعبد بهذا هو شهود الحق فاعلا وحده ويمقته نفسه [illegible]

إذا تاب الله على عبد نسى حفظته ذنبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه وهي فاصمة الظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم (فإن قلت) إن من رجال الله من يقع في المعاصي ولا يهتدي لكونها معصية كالمجاذيب وأرباب الأحوال فما حكم هؤلاء في التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف في مباح لزوال التكليف وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الأمر أن أهل الله عز وجل في وقوعهم في المعاصي على قسمين رجال لا تخطر المعاصي لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال أطلعهم الله تعالى على ما قدره عليهم من المعاصي لكن من حيث إنها أفعال لا من حيث كونها معاصي فيبادر والى فعل ما رأوه مقدرا عليهم مع فنائهم عن شهود ما يقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصي فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة تقضي عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله في الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدري أطاعة هو أم معصية * قال الشيخ وهذا شيء عرفت أطلعني الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم أر من رجاله أحدا مع علمي بأن من رجال الله من ذاقه انتهى (فإن قلت) فإذا اطلع الولي على ما قدره الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ وأن ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة إلى فعله ليستريح من شهوده فإن صور المعاصي قبيحة بين العبد وبين ربه (فالجواب) لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتي وقتها فيقع بحكم القضاء والقدر كما أنه لا يجوز لمن أطلعه الله على أنه يمرض في يوم من رمضان أنه يصبح مفطرا إنما يجب عليه الإمساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فإن قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده أن يدوم مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا أو ظاهرا ولا يكون له سريرة يفتضح بها وقط ولا ذنوب يبعد بها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لا يرى توبته هل تقبل لعدم خلوصها واتهاما لنفسه فلا يقال إن مراد هذا القائل أن التوبة يجب تركها فإن ذلك باطل فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب السبعين وثلاثمائة ما نصه وهذه مسئلة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهي أن العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة في بعض الأحوال وذلك إذا كشف الله تعالى له أنه هو الفاعل وحده ولا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيئا من الأمر ويجد الأمر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة أم لا فإنه يرى نفسه مسلوب الأحوال ثم إنه إذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فإن شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه وسلب جميع أفعاله وهو أصعب الأحوال فإن قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح إنما يكون ممن هو خلف حجاب إضافة الفعل للعبد وهذا لم يخرج شيء عن الحق في هذا الكشف عند التعبد حتى يوصف بأن الله تعالى يتقبله منه بل هو في يد الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول إنما هو ممن يأتي بشيء ليس في مشهده أنه في ملك الحق قال الشيخ والذي أقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذي ظهر لي أن الجزء البشري المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل إليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فإن الله لا يؤاخذ العبد إلا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم

(المبحث السابع والخمسون في بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

* قال في جمع الجوامع لابن السبكي رحمه الله وإذا ألقي في قلبك أنحى أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من ثلاثة أحوال إما أن يكون مأمورا به أو منهيا عنه أو مشكوكا فيه قال ويعبر عن هذا الذي ألقي في القلب بالخاطر في اصطلاح العلماء فالحال الأول وهو أن يكون مأمورا به فلا ينبغي التأخير فيه بل يبادر العبد إلى فعله لأنه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به إن أراد به الخير حيث أخطره بباله ليفعله فإن خشي العبد

كأنه في حضرة الحق ومشاهدته في العبادة وفي ذلك تنبيه عجيب فإنه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله لا هو وأن العبد إنما هو محل لناهو وذلك العمل لا غير * وقال في الباب السادس والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله اعلم أنه لم يرد من نص الرسول فقد عصى الله وذلك لأن طاعة الرسول لله ذاتية ومعصيته عارضة لأنها بالواسطة ولو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن تعالى إلها وهو الله فما عصى من عصى مما لا يحب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله قال ونحن اليوم أبعد في معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه إلى من دونهم إليهم لأنا ما عصينا الأولى أمر بأنا وقتنا دهم العلماء مما يجب أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما في الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فإنما فعل ذلك لكونه لم يقل منكم * وقال في الباب السابع والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة من الحياة الطيبة أن يبدل الله سيآت العبد حسنات حتى إنه يود أن لو كان أتى بسائر المعاصي الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل قال ورأيت من أهل هذا المقام في عمري كله رجلين أحدهما شيخنا أبو العباس العريبي بغرب الأندلس والثاني رجل بمكة * وقال في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى وفي السماء رزقكم ورزق ربك خير وأبقى اعلم أن رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فإن كان لك فلا بد من وصوله إليك وما ليس لك فلا يصل

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) *

قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن أمثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن أمثلة ما قيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى أو خلقه أفعال عباده أو عدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * أما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم ومنكري البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على ما مر في مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع في كفرهم لانكارهم بعض ما علم مجيء الرسول به ضرورة * قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى القول بكفر أهل البدع والذنوب من أهل القبلة الى الاشعري * وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ أبو الحسن الاشعري قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف * قال وقد اختلفنا في عبارات كثيرة والمشار اليه واحد قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ما هو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر قال وأما المعتزلة فانهم وان اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار أحكامها فهم كفار بذلك قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع في المواقف ما يقتضي تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه ان علمه كفر لالتزامه اياه والله أعلم انتهى وقد ذكر الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول انه روى في بعض طرق حديث ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ما نصه كلها في الجنة الا واحدة رواها ابن النجار * قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التي هي في النار هم الزنادقة قال القزويني وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها في النار الا واحدة أي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراط ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغي لمتدين أن يكفر أحدا من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الاسلام * قال وأمهات هذه الفرق الواردة في الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنتي عشرة فرقة فاضرب الستة في اثني عشر فما خرج فهو العدد الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه بمخالفة نص مقطوع به أو بمخالفة الاجماع وفيهما تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى أربعة أقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه * الثاني تكذيب المنكرين لاصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم أيضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب في صورة التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسل وقد علم قطعا ان معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذه نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فانكروا الشرائع وأباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما ثم الا فروج تدفع وأرض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسل ولكن اعتقدوا ان جميع ما أخبر به الرسل من الشرائع ومنكرون كبير والحشر والنشر ونحو ذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة أصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون ان روح الاله حلت

لا التوحيد اذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون مع ثبوت الايمان (قلت) وقال بعضهم المراد بالشرك ههنا هو الاعتماد على الاسباب انتهى فتأمل وحرر * وقال في الباب الموفي خمسمائة في قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اعلم ان من جعل نفسه الها فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك أخبر ان جزاء هذا القائل ان يكون في غاية الشقاوة التي هي غاية البعد عن طريق السعادة الذي هو رد الى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فينزل في قعرها لكونه طغى الى مقام الالوهية التي لها الاستواء على العرش يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر قال واعلم انه لم يبلغنا ان أحدا وقع في هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ثم انه جعل ذلك ظنا بعد شك في قوله لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس وخمسمائة في قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون اعلم ان كل من شعر بالمكر فليس بممكور به الا في حال واحد وهو ان يشعر بمكر الله في أمر أقامه فيه ثم انه ان داوم عليه بعد علمه بأنه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى وأضله الله على علم وأطال في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب السابع والعشرين وخمسمائة في قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآيات اعلم ان كل خطاب خاطب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم مؤدبا له فانما هو تأديب لامته فذلك

الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور نه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان في ذلك لم يضره وسوسته في صلاته فان كان قد جعل المصلي في نفسه انه يصلي رياء وسمعة وكان قد أخلص في أول شروعه في الصلاة فلا يبالي فان الاصل صحيح في أول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو ان يترك العبد العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم بسبب تلك الشبهة التي يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها في ثلاثة أمور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة قال وأما اذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فتخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت الى المساعدة في المحظور والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فصلاته صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر الشيطاني الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسي ومعنوي ثم الحسي ينقسم الى قسمين لان الشياطين قسمان شيطان انسي وشيطان جني قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي وذلك ان شيطان الانس والجن اذا ألقى في قلب الانسان أمرا عاما يبعده بذلك عن الله فقد يلقي أمرا خاصا أو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقي أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا الى أمور لا يفطن لها الجني ولا الانسي يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه أمورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الاسلوب العام الذي ألقاه اليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما أرادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا أن في قوته وفطنته ان يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه أصلا صحيحا وعول عليه فلم يزل التفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء فان الشياطين ألقت اليهم أولا أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فنسبت ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان في تلك المسئلة تلميذ لهم يتعلم منهم قال وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما في الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين أولا حب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق بين الخواطر لا يفلح في طريق أهل الله أبدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا أن يجهلوا في الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم في المبحث الثالث والعشرين في اثبات الجن زيادة على ذلك وكذلك في مبحث الولاية فراجعه والله أعلم

* (المبحث الثامن والخمسون في بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان ان ما ورد في تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالى

الرجوع عن اضافة الفعل لنفسه الاعلى وجه ما وبذلك يسعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر * وقال في الباب الثاني والتسعين وأربعمائة العلم المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذي يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذي هو الالهام على انه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فعلمت علم الاولين والآخرين وأنت يا أخي من الآخرين بلا شك فلا تقل قد حجرت واسعا لاني ما حجرت عليك العلم مطلقا وانما حجرت عليك ان لا يأتيك الا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل قال وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم ابن قسي وما رأيت هذا النفس لغيره * وقال في الباب الخامس والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى لكل جعلنا منكم أي أيها الانبياء شرعة ومنهاجا فالضمير في منكم للانبياء عليهم السلام لا للامم اذ لو كان المراد به الامم لم يبعث قط رسول في أمة قد بعث فيها رسول الا ان يكون مؤيدا لمن قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الامر كذلك قال وقد تكلف في التأويل شططا من جعل الضمير في منكم للامم والرسل جميعا فكون الضمير راجعا الى الرسل أقرب الى الفهم وأوصل الى العلم وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أي يشركون نفوسهم في الايمان فيرون انهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا ان الله تعالى هو الذي من عليهم بالايمان هذا هو المراد بالشرك هنا فافهم فان المراد بالايمان هنا هو الايمان بالوجود ومن

لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أى الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك أى طاعته قال وبحجة من قال بعدم تكفير المتأولين أنه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا أن الخطأ فى التأويل كفر والا فلابد من دليل على ذلك من نص أو اجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو اجماع ولم نجد من ذلك شيأ فبقى القوم على الاسلام فان اتفق فى زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ فى التأويل موجب الكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد مثل ذلك فى مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزنى رحمه الله عن مسئلة فى علم العقائد فقال حتى أنظر وأتثبت فانه دين الله وكان ينكر على من يبادر الى تكفير أهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التى يقعون فيها لطائف تدق عن النظر العقلى وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع فى غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان أبو المحاسن الرويانى وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر أحد من أهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعى صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام فى تكفير أهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا أخى وفقنى الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من فى قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير أهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكأنه اخبر عن ذلك الانسان بأن عاقبته فى الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وأنه فى الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجرى عليه أحكام أهل الاسلام فى حياته ولا بعد مماته والخطأ فى قتل مسلم أرجح فى الاثم من ترك قتل ألف كافر ثم ان تلك المسائل التى يحكم فيها بتكفير هؤلاء المبتدعة فى غاية الدقة والغموض لكثرة شبهها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعى أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء فى معرفة الخطأ بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور فى علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن القول بتكفير أهل الاهواء والبدع يحتاج الى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما فى القلب وتخليصه مما يشوبه مع تعذر أن الشخص ينطق عندحاكم بما يعرف أنه يكون قتله هذا أمر أعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما فى قلب الشخص يتعذر اقامتها * الثانى أن الحكم بأن ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهواء والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على أسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل أن يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه فى عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره فى عبارة فلابد من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الاهواء والبدع لا سيما وغالب أهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا أن يخالفوا النصوص الصريحة التى لا تحتمل التأويل عنادا وجحدا فلا ملام فى ذلك النظر اه كلام الشيخ تقى الدين السبكى ومن خطه نقلت

الآخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم * وقال فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه اعلم ان الرجل الكامل واقف مع ما يسلك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله قال وكان وقوع ما ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم مكان قوله لو كنت موضع يوسف لاجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ليثبت عنده براءته فلا تصحبه المنة عليه فى اخراجه من السجن والرسول طالب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع فى نكاح زوجة من تبناه اذ كان ذلك مما يقدح فى المروءة عند العرب فلذلك أبان الله عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية فرفع الحرج عن المؤمنين فى هذا الفعل فكان من الله تعالى فى حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب الداعى سواء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما أجاب الداعى ولقال مثل ما قال يوسف فعلم انه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعى لا تعظيم يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم وقد تقدم بسطه فى الكتاب فليتأمل ويحرر (قلت) ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام لاجبت الداعى ولم أراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وان نسبت الى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله

فيهم وان الله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التي ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك الصابئة ادعوها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر علي بن أبي طالب باحراقهم بالنار فصاروا يصرخون في النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع ائمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحلولية بأهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون و ينهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأي العلماء عليه من قتل أو عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدقوا الرسول في قوله ولكنهم اخطؤا في التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الائمة هل الخطأ في التأويل يبلغ حد التكفير فيلحقوا بالتكفير أم لا فصاروا في ذلك فرقتين الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول في شيء أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار أو الخطأ في التأويل وأجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم و بين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا حرموهم بفتواهم بل أجروا عليهم أحكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته كما ورد في الحديث المراء في القرآن كفر وكما ورد بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبي أنت أخي أو ولدي على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن في فتاوى الامام الكردي في آخر الفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشى أن يلعب أمناء الله أعني علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدى اجتهاد الامام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال هذا الذي حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه وما عليه الجمهور أولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربي الله ومحمد نبيي و يؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا للرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله فأخطؤا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بخطئه قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله وأول ما وقع مفارقة أهل السنة في زمن الامام علي رضي الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية * قال وقد سئل الامام علي رضي الله عنه عنهم أكفار هم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أي شيء هم فقال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابي وانما

فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالادب اصالة ونحن المقصودون بالتأسي به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا لقي أحدا من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث معه صلى الله عليه وسلم قال وانما قيد تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لانه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب وأطال في ذلك (قلت) انما أمر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لان الكامل تصير عباداته روحانية لا جسمانية فرجوعه الى الكثائف من أصعب الامور عليه الا ان يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين والى ذلك الاشارة بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم * وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة لابد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم اذا حصلت فاما ان يعقبها رجوع الى الحال الاول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الالهية واما أن لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبدا فيصير من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل * وقال للدنيا أبناء وللآخرة أبناء والمجموع لم أبناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابنا للدنيا والآخرة انتهى ولا يخفى ان من طلب الدنيا بالآخرة فهو ابن لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد

م في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور * وقال الآمدي في الابكار الامام خلافا بين أصحابنا انه تعالى ليس له على من علم إصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللأشعري فيها قولان وميل القاضي ابي بكر الى الاثبات ثم أشار الى أن الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق أسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان أبو العباس السارى رضى الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين انه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي أو عدمي ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف * وقال أبو زكريا الطبيب ان اللذة أمر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بأن الانسان قد يلتذ بالشيء من غير سبق ألم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى يجعل تلك اللذة مخلصة من ألم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم أو كنز مال فجأة من غير خطور ذلك بالبال وألم الشوق اليها وقال السمرقندي في الصحائف الحق أن الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفي المحصول ان الصواب انها لا تحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى في الطوالع وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصوص بدار المحنة وأما دار الكرامة التي هي الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول في العقوبات فان أول عقوبات الآخرة لا يبقى معها في هذه الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتي أحدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم

*(المبحث الستون في بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته
وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا على الله عز وجل
وانه لا يشترط كون الامام أفضل أهل الزمان بل يجب علينا
نصبه ولو مفضولا وذلك لسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح المسلمين)*

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم ما زجر الناس عما يضرهم ولا نفذت أحكامهم ولا أقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس في كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال في حاشيته نصب الامام واجب سمعا أي شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخي والبصري من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة في تعيين الائمة وأما أهل السنة فذهبوا الى أن الامام يعرف بأمور اما بنصب من يجب أن يقبل قوله كنبي أو امام أو باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالاجماع أبا بكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص أبي بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل أمر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا فاجتمع الناس على امامة عثمان ثم عليا المرتضى وأجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني

انه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي مختصة بالامام الواحد من الامامين والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة وهو باب جمع فيه أسرار الفتوحات كلها من أولها الى آخرها اعلم أن التنزيه يرجع الى تحديد المنزه والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه والكمال الجمع بين المرتبتين كما ورد * وقال ما ان العلم علامة بدوية من هو علامة على من تمام الاله جهله وما لا يسع جهله * وقال ما نشأ الخلاف الا من عدم الانصاف * وقال كل علم أنتجه الفكر فلا يعول عليه لان التكبير يسارع اليه * وقال لا ضلال الا بعد هداية كما أنه لا عزل الا بعد ولاية * وقال لا يشترط في المجاورة الجنس لانه علم في ابس فالله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية * وقال لولا الشبه ما كان الشبه * وقال من أعجب ما ورد أنه لم يرد وعند ظهور العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد * وقال من تعددت له الاضافات فهو صاحب آفات * وقال لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته * الكثرة معقولة وما ثم علة الا وهي معلولة * وقال من الامر

الكبريت الأحمر ... بالنار لان الشيطان الرجيم ... ومن علم الالهام * وقال الزمان ظرف للظروف كما ... مع الظروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الظرف ... فالحق في التنزيه عن التشبيه فاين

رحمه الله وهو كلام فى غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام أحمد بن زاهر السرخسى أخص أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى يقول لما حضرت الوفاة أبا الحسن الاشعرى فى دارى ببغداد أمر بجمع أصحابه ثم قال اشهدوا على انى لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم اهـ فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى أعلم *(خاتمة)* أخبرنى شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى بمصر المحروسة ان شخصا وقع فى عبارة فى التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر فأفتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلى غائبا عن المجلس فلما حضر قال من أفتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقينى وجماعة نحن أفتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم فى ذلك فقال الشيخ صالح أفتى بذلك والدى شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى فى نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبينا بفتوى والدك ثم أخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ أحد يتبعه رضى الله عنه * وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومى أفتيت مرة بقتل يهودى انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبنى على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقينى وقال هلا كنت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا أمره وأرحت نفسك من تبعته قال المخزومى رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهرى رحمه الله بقتل رجل سب أمنا عائشة وكان قد نم اه فلم يتبه فلما خرجوا به يجرونه للقتل قال بأعلى صوته يا زهرى ما حجتك عند الله أتقتلون رجلا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبى فكان الزهرى بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكى ويقول انى أخاف من قتل ذلك الرجل ان يؤاخذنى الله به يوم القيامة اهـ هذا الخوف فى حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الافتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها الغالط حجابه * وكان الامام الغزالى رحمه الله يقول من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها * وقال فى كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا ما لا يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومى قد نص الامام الشافعى على عدم تكفير أهل الاهواء فى رسالته فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب وفى رواية عنه ولا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب وفى رواية أخرى عنه ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومى رحمه الله أراد الامام الشافعى رحمه الله بأهل الاهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة وأراد بأهل القبلة أهل التوحيد اهـ فقد علمت يا أخى مما قررناه لك فى هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لاحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والخمسون فى بيان ان جميع ملاذ الكفار فى الدنيا من أكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى)

حيث يعلم مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهى نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر * وقال بعض المحققين جميع ما يرزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بأنه يرزقه ما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتبه له أو عليه اهـ قالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه فى دار الدنيا من صحة فى البدن وتوسعة فى الرزق وغير ذلك وليس له فى الآخرة من نصيب فانه تعالى أخبر انه لا يضيع أجر من أحسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كغفر الآبار للعطش واطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر

تعالى لاسيما وقد ورد أمرنى ربى بمداراة الناس كما أمرنى باداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام نحن أولى بالشك من ابراهيم حيث يتمشى على ما يتبادر الى الاذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام فى الآية المذكورة قبل ان يوقفه الله من مقامه الشريف على ما هو الارفع والله أعلم * وقال فى الباب الرابع والاربعين وخمسمائة فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ليس المراد بهؤلاء الملائكة الحفظة وانما المراد بهم ملائكة التسخير وهم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والخمسين وخمسمائة قد أطلعنى الله على جميع الاولياء المتقدمين والمتأخرين الى يوم القيامة وما منعنى أن أعين للناس الاقطاب والابدال وغيرهم من أهل زماننا الا خوف الانكار عليهم وعدم التصديق لهم فأكون بذلك سببا فى مقتهم على ان الله لم يكلفنا باظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها قال وقد فعل مثل هذا القشيرى رحمه الله فى رسالته فانه ذكر الاوائل من الرجال فى أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذى وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم انه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج أولا وصدر بها الكلام ليزيل بذلك ما فى نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضى الله عنهم وقال فى الباب السادس

كتب الفقه وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر فى أحوال رعيته ولا يمشى
فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة فى نفس الامر دون الظاهر قال وعندى ان الحاكم اذا جار
أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما أمره الله أن يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا ان نخرج يدا من
طاعة ولا نخص بذلك واليا دون آخر ومن هنا قلنا انه انعزل فى نفس الامر دون الظاهر انتهى فعلم انه ليس
للامام مخالفة الشريعة أبدا لكن رأيت فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فى الكلام على علم السياسة
أن للملوك ان يعفوا عن كل شئ الا عن ثلاثة أشياء وهى التعرض للحرم وافشاء السر والقدح فى ملكهم
انتهى * ورأيت فى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى ان ذلك من كلام أبى جعفر المنصور وكذلك رأيت
فى الاحكام السلطانية ان للوالى أن يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضى المتأمل ذلك * وقال فى
علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن فى الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه
وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن فى الملوك والخلفاء وأخبر أن
قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطفها علينا وأمرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة
بهم فى العامة أعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى فى قضاء الحوائج فى أهل الارض سواء كانوا فاسقين
أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى * وقال فى الكلام
على الامامة من صلاة الجماعة فى أبواب الصلاة من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر
وفاجر المراد بالفاجر هنا هو العاصى المسلم لا الكافر فما دام الامام فيه ربقة الاسلام فلنا الصلاة خلفه وان كان
ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بامر متيقن لا مظنون لانه يبعد من
المؤمن الكامل اعتقاد الفسق فى أحد باطنا انتهى * وقال فى الكلام على الطواف من باب الحج من
الفتوحات انما جوزنا امامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل للصلاة الا حتى يتوضأ
الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال فى خير وعبادة ما دام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم
من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل هو فى طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج
وكفى به فاسقا وأيضا فانه ما من معصية تقع من المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبه فالحجاج ونحوه فى حال
صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شئ فضعف جانب المعصية
فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه
بالمعصية فى الصلاة وانما هى من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة ولذلك كانت امامته
مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية فى قولهم يشترط أن يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم
قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجى الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته فى الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون
بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا وأصل هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم
يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة
فانه ما من امام الا ويقع له السهو فى صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو
عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهى فيها وأطال فى ذلك فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة
ومما يؤيد عدم القول بعصمة الائمة أيضا ما قاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم
ان الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذى هو السلطان الباطن الا بعين الاهلية ولو انه تعالى نظر الى السلطان
الظاهر بهذه العين ما جار امام قط كما تراه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت
الامامة غير ملحوظ بها ثم أمره الله تعالى ان يقوم فيهم بالعصمة لله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة

وهمته كانت فى الدنو لصاحب العلو * وقال اذا حققت الاصول فلا زهد الا فى الفضول وأما ما تدعو الحاجة اليه فذلك المعول عليه
* وقال لو تعطلت الاجور
لاانبتت الامور وقال المباح
أتم شرع شرع للانسان
وعليه جميع الحيوان ألا
ترى أن لهم الكشف التام
فى اليقظة والمنام ولهم الكتم
فيما يرونه من عذاب القبر
الجم * وقال كل جزء فى العالم
فقير الى العظيم والحقير
فالكل عبيد النعم ومن النعم
الامان من حلول النقم
والامراض فى وسى والاذى من
حال قوله صلى الله عليه
وسلم نور أنى أراه وقوله
انكم سترون ربكم فاثبتها
لنا ونفاها عنه لما علم منه
* وقال ليس من شرط البيان
حركة اللسان فان لسان
الاحوال أفصح ومبين انها فى
الابانة عن نفس صاحبها
أرجح ومن سكت ربما رمى
بالخرس وقام له مقام الجرس
فظهر سره وان جهل أمره
وكثرت فيه المقالات وتطرقت
اليه الاحتمالات فقطع بصمته
أبواب الالسنة وعم بلازمه
بينه جميع الامكنة * ما شرف
موسى عليه السلام الا بما
نسب اليه من الكلام
وبالكلام وجد العالم
وظهر على أتم نظام وكل قول
برز فهو بحسب حقيقة
القائل فمنه الدائم ومنه الزائل
ومنه ما يكون الا بحرف وهو
لمعنى القول كالظرف ومنه
ما لا حرف فيه ولا ولقد أثبت
ذلك عن الاصول * وقال ان أردت ان تكون من أهل الله فالتزم الادب التزام الافتقار الادم (وقال) صاحب علم سر القدر لا يقول قط أنا الله وحاشاه
من هذا القول حاشاه بل يقول أنا العبد الذليل فى المسير والقبيل * وقال الايمان برزخ بين الاسلام والاحسان فله من الاسلام ما يطالبه عالم الاجسام

العباس وأجمع أكثر أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى أن جرى ما جرى * وأما قول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم على علي رضي الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين * وقالت الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شيء ولو أوجبه على نفسه أو حرمه كما في قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما في قوله تعالى في الحديث القدسي اني حرمت الظلم على نفسي وذلك لان حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير وبذلك باين خلقه اذ التحجير لا يكون الا من أعلى على أدنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء أي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها اللطف بان يفعل بعباده ما يقربهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء ومنها فعل الاصلح لهم في الدنيا من حيث الحكمة وقولنا في ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم في ذلك فقالوا لا يكفي نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منسوبون الى اسمعيل بن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها في بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والا رموا به وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحلته أفكارهم سواء وافق الشريعة أو خالفها فافهم وقد تقدم في مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو أكمل من القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بانه لابد في العالم من واحد يرجع اليه أمر الناس فتعين القطبية لا بأولوية فكذلك القول في مبحث الامامة هنا لا يشترط أن يكون الامام أفضل الرعية والله أعلم * واعلم أنه لا يشترط في الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق وفي كتب أصحاب امامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط أن يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط فكناني فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل أولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر في كتب الفقه هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على أنفس الناس وأهليهم وأموالهم ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فما لم يأمنوا على أنفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذي أوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد في الكون كما أن اله العالم واحد وكما ان القطب الغوث في العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا انتهى (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بجنده من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الامامة كما هو مقرر في

الراحة التي أعطتها المعرفة وأين الوجود من هذه الصفة * وقال اذا استقصيت الحقوق حوسب الانسان على ما اختزنه في الصندوق * وقال في قوله تعالى كل من عليها فان اعلم أن ما كل كل في كل موضع ترد فيه تكون للحصر لانها قد تأتي ويراد بها القصر مثل قوله في الريح العقيم تدمر كل شيء بامر ربها وفي آية أخرى ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وقد مرت على الارض وما جعلتها كالرميم وقال الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت ولذلك يورث ماله وتنكح عياله فهو لاحقه بشبه تعاليق الحاكم على الغائب وان كان حيا فقد أبعد في المذاهب وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرار ولا ضرر وقد علم أن الشهيد بدار الخلود لا سبيل الى رجعته ولا الى انزاله من رفعته مع كونه حيا يرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الاموات وان كانوا أحياء عند ربهم فعطاؤهم عندنا رفات وماله الامارة ولا نحكم الا بما شهدناه فاستمع تنتفع * وقال الاشتراك بالاجسام من الاوهام لان الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال * وقال المال مالك وصاحبه هالك ان أمسكه أهلكه البخل وان منحه أضر به البذل وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج * لا يتحصن الا صاحب دعوى فمن ادعى فقد تعرض للبلوى * وقال ليس الوقوف خلف الباب بحجاب اذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فاذن الباب عين المطلوب كذب

* وقال من اتقى الله في موطن التكاليف على كل حال جاز درجة الكمال عند الارتحال * وقال انما يجب انطلاق الا [illegible] قيل لانه رآه يطالب السائل

لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لأن يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال في آدم اني جاعل في الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمك الاسماء كلها وقال في داود انا جعلناك خليفة في الارض فسماه فاعلم الله تعالى في سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على أبيه من وجه بشرية بحسب النشأة قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وأمره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد وأطال الشيخ في ذلك ‎*‎(خاتمة)‎*‎ ذكر الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذي يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته فقد عزل نفسه في نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى أهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالي الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم

‎*‎(المبحث الحادي والستون في بيان انه لا يموت أحد الا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذي
كتب الله في الازل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا
وأجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنتا عشرة صورة)‎*‎

اعلم ان كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت بأجله وانما القاتل قطع بقتله أجل المقتول وانه لو لم يقتله لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد أجله ينقضي الا بقتله بالسيف فان للحق تعالى أن يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الاجل المضروب له في علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء أجله فلا بد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لاحالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا لانهم أهل اسلام بلا شك ولا ينبغي حمله على اعتقاد ان الله تعالى أراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يرده فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن ان يريده مثل الزمخشري واضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا أن القاتل قطع عمر المقتول فهمامن نحو حديث بادرني عبدي فيمن قتل نفسه وهو فهم خطأ لا يصلح أن يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقي اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكأنه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به ‎*‎ قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته ومن مشهور أدلة أهل السنة قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة أحاديث في الصحيحين وغيرهما صرحت بأن بعض الطاعات تزيد في العمر كحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه ‎*‎ قال وعن ذلك أجوبة أصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في أوقات العمر بأن يصرف عمره في الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان في طاعة وهذا أجمع بين الادلة قال وأما نحو حديث الطبراني ان المقتول يتعلق

يقطع أمله أشهوده أجله واذا بدل الله سيئات عبده حسنات ود أنه لو كان أكثر تراب الارض خطايا بأوحل ذنوب جميع البرايا

لما يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيود المذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فخشوا يا اخواني طلبكم بربكم تفوزوا بقربكم ‎*‎وقال الاخذ بالعزائم نعت رجال الحزم وأولوا العزم من الرسل هم الذين اقوا الشدائد في تمهيد السبل ‎*‎ما احتيج الى الرخص الا من يقع في الغصص من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر فما أثقل ظهرك سوى وزرك فهنا تحط الاثقال أثقال الاعمال والاقوال فاحذر من الابتداع في حال الاتباع ‎*‎وقال التخلق بالاسماء الالهية على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيه من الخلاف والوفاق فاياك أن تظهر مثل هذا عنك قبل أن تشهد مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ الى من لاذ انظر ‎*‎وقال موافقة الامر من شأن الرجال ومن ألزم نفسه بحال فهو شديد المحال فان الرباط ملازمة والملازمة في الالهيات مقاومة وقال جنة النعيم لاصحاب العلوم وجنة الفردوس لاصحاب الفهوم وجنة المأوى لاهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لاهل الكرامة ‎*‎وقال الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال الادبار الحال انظر في وجود الخلق تجده عن ارادة الحق والارادة انحراف بلا خلاف فأين الاعتدال والاصل ميال فما ثم الا ميل عن ميل لطالب النيل أو

والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من أعطيها يعنى الامارة بغير مسئلة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب أن يقال انه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى فى حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع اشارة من أشار عليك بما يخالف ما أوحينا به اليك من فعل الاولى لا المكروه ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة وأنشد فى ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحى والتحقيق ماثم الا هو

الى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام فى ذلك أيضا فى الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان فى الحديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ومن أقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة أو الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم فى مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك أن الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه انه يعرف علم الاسماء ولا مصارفها فليس هو بخليفة فى العالم * وقال فى الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصورى من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين الاول الخلافة عن التعريف الالهى بمنشور والثانى خلافة لا عن تعريف الهى مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفى الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فأيهما أتم (فالجواب) الخلافة بغير تعريف الهى أتم فى القرب المعنوى فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر يبعد من المستخلف فى الصورة فان حكمه فى العالم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو أقرب الى الصفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور لكن هذا أقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته أمر الهى اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم فى العالم أو التسليم (فالجواب) هو مخير فى ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلى وان شاء سلم وترك التصريف له به فى عباده مع التمكن منه كابى السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا ان يقترن بذلك أمر الهى كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد أمر الله فانه من الهوى الذى نهى الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان رضى الله عنه نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما الحق تعالى فى ذلك وأما من لم يقترن بحكمه أمر الهى فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع ان ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم ان الاولياء قد يلحقون بالانبياء فى الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرسول الحاكم ثم ان استخلف فله التحكم أيضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذى هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء أو تشريف (فالجواب) هو ابتلاء له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه فى الآخرة فى دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وأيضا فلو كانت تشريفا لما نسب فى التحكم الى عدل ولا الى جور ولا كان يتولى الخلافة فى العالم الا أهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وأمرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فأيهما أكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة فقال اعلم ان الحق تعالى

وله من الاحسان ما يشهد به الخسان فمن آمن فقد أسلم وأحسن ومن جمع الطرفين فقد فاز بالحسنيين * الاسلام صراط قويم والايمان خلق كريم والاحسان شهود القديم اذا صح الانقياد كان علامته خرق المعتاد * المسلم لا يحتاج الى تأويل فهو معرس فى أحسن مقيل وقال من مال الى الآمال اخترمته الآجال ليس بالمواتى من اشتغل بالماضى والآتى والحليم الاواه من كان مشتغلا بالله ومن كان عبدا لغير الله فما عبد الا هواه لان العدو أخذ به عن طريق هداه * وقال فى قوله تعالى حتى نعلم من علم الشئ قبل كونه فعلمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال لا تقل نحن اياه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فانت الترجمان والمتكلم الرحمن فقيده كلام الله بالامكنة بكونه فى المصاحف والالسنة يقول القارئ قال الله ثم انه يتلو * الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فاذا انطقت فاشهد بمن تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد وقال فى حديث شتمنى ابن آدم من اشتكى الى غير مشتكى فقد حاد عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الاذى ماشكا الحق اليه فالخلق مشتكى الحق والحق مشتكى الخلق ومن شكا الى جنسه فما شكا الا الى نفسه * وقال من ذل لله لما فقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد أشبه الاصول فالرجوع الى الفروع أولى من الوصول الى الاصول * وقال اذا أراد الحق تعالى بعبده أن

ادراك الشمس لذلك الذى حال بينه و بين السماء ذلك السحاب اثرا كم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهى أمره اليه وهو اليقين المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * قال الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائة واعلم ان كل محتضر يرد عليه اثنتاعشرة صورة يشهدها كلها أو بعضها لابد له من ذلك وهى صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من أسماء الافعال وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فأما الذى يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيي الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم أن صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجمل في التجلي من صورة النظر والاستدلال لما يفارقهما من الشبه وكلا الصورتين لابد أن يفرح بهما العبد فان صحبه في علمه دعوى نفسيه كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس في جمال صورة التجلي يكون على قدر نياتهم * وأما الذى يتجلى له عمله عند الموت فيكون في صورة حسنة أو قبيحة لابد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشأه العامل من الكمال والنقص فان كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أحسن صورة وكان براقا وحمله يسرى به عليه الى أعلى عليين وان كان انتقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله أجمل * وأما الذى يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه في دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل في صورة دحية وترى صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب ذلك المشاهد * وأما الذى يتجلى له صورة مقامه فهو الذى لحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لايدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين وأما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * وأما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان انبسط في محل كان الادب به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو ابراهيم أو محمدا أو أى نبي كان على جميعهم أفضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبي الذى ورثه عندما يأتيه فرحا به لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤية ذلك النبي بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسيؤن به الظن و يعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى وهذا أمر لا يعرفه الا أهل الكشف وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذى شاركه في المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فيفرح بما يسمعه عند الموت باسمه ويتهلل وجهه لكن هذا الايكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتتغير وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم في أعمالهم وأحوالهم وعلومهم * وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذى كان غالبا عليه من أسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارى والمصور والرازق والمحيي وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده في أعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له في أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله في تلك الاعمال كسل أو غفلة أو فتور كان في صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله

واعلم انه لو كان نسبتنا اليه حقا ما ذم أحد خلقا ولو ذمه لكفر ولو كان ما استتر نهو تعالى المعروف بأنه غير معروف والحق الذى يقال ما قبح وذم فما وما حسن وحمد فما خرج عنا * وقال العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة لكن اسوداد السيادة فلما كان عليه من العبادة فان وجه الشئ كونه وذاته وعينه * وقال في قوله وقل رب زدني علما الانسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه لو ما انه قنع فان قنع فقد جهل وأساء الادب ومن هذا كان العارف لا يزهد قط في الطلب وما أراد منك بذلك الا دوام الافتقار في الليل والنهار فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ولا يقبل الحق من العباد الاعمال به عليهم جاذبة بدر الجود واليه يعود فيا من يطلب القديم أنت عديم فقل لربك انما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك وفى عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألنا من الشهادة تنقصنا من العبادة * وقال لا يؤثر الحرص في القدر الا اذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الامر من القائل من قصرت همته عن طلب المزيد فليس من كمل العبيد لا تستكثر ما وهبك الحق فانه لو وهبك كل ما دخل في الوجود لكان قليلا بالنظر الى ما دخل في خزائن الجود فما بالك والزهد في المواهب فانه سوء أدب مع الواهب فانه ما وهبك الا ما خلق لك * وقال لما علم الا كابر ان الامور كلها في يديه اعتمدوا واستندوا عليه فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحجابات وزالت الغايات لبطلت الحكمة وزالت الظلمة ولاحت الاسرار وزال كل شئ عنده بمقدار وذهب الاعتبار وهذا الارتفاع فلابد من الاعتماد

بقاتلهِ يوم القيامة و يقول يارب انه ظلمني وقتلني وقطع أجلي فقد تكلم الحفاظ في اسناده و بتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علم الله انه لولم يقتل لكان يعطى أجلا زائدا الا ان معنى قولنا المقتول ميت باجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لولم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ماذكره في شرح المقاصد اه * (قلت) وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد واما نقص العمر في نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبني هذا على ان الموت وجودي بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفي الحديث أيضا يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه فيضجعه الروح الامين و يأتي يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على انه عدمي ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف في ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسماني والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لابد أن يبقى بعد المذوق * وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقي وهي نص في بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى و يقول ما أنتم بأسمع منهم فتأمل وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم أو اعتبارا كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى لكون لوا بقية آجالهم المقدرة في علم الله تعالى فنعتقد بان ذلك أنه لا يموت أحد الا بأجله وان معنى حديث بادرني عبدي أي لكونه قتل نفسه بغير أمري فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر المعاصي الواقعة في هذا الوجود والله أعلم * وأما معنى قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون فالمراد بقوله ثم قضى أجلا هو الاجل المقضي لكل حي يقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلك وأجل مسمى عنده فالمراد به أجل الروحانية الذي هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم أنتم تمترون يعني في البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم في كل حيوان فما وقعت المرية الا في البعث الذي هو الاجل المسمى عنده تعالى وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الرابع والسبعين ومائتين ثم قال وانما لم يجعل أجل الموت مسمى عنده لانه اذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون فاما أن يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا او يكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ممن صعق واما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا اه (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بني آدم (فالجواب) آخر من يقبض روحه الانسان الموحد الذي يقوم مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيي الدين في الموت هل هو عدمي أو وجودي (فالجواب) هو عنده عدمي وعبارته في الباب السابع عشر وثلثمائة اعلم ان الموت حقيقة انما هو للسلب وأما الحياة فهي دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح الا حي ولكن لما أعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى و بين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها او دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع

ثم اعتدال ما هو ى انسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا الايضح في العين لو كان ثم اعتدال لكان في لوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفه من قال بالاستواء والزوال قال بالانحراف والاعتدال وله ما سكن في الليل والنهار وما ثم ساكن في الاغيار لا في البصائر ولا في الابصار الا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانظروا واعتبر * وقال الحق في الاعتدال فمن جار أو عدل فقد مال لكن ان مال لك فقد أفضل وان مال عليك فقد أبخس ثم * وقال انما اشترك الزوجان في الالتحام لانه نظام التسوية والتعديل والا فالاولى التباعد اذ التباعد فيه التنزيه والانتظام فيه التشبيه وانما وجدناه فيمن تولد عنه بوجود بناه من قال انه وحد فقد ألحد اذ الاحدية لله لا تكون بتوحيد أحد ولم يكن له كفوا أحد يحجبا في تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وجد ما وجد من العالم من ذي روح وجسم وجسد ثم ان ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول وشرائع ما فيه جناح وأما ما تولد عن نكاح الشبه في العقول والاشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت المفتاح * وقال لما دعا الله تعالى الارواح من هياكلها بعثنا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا وقعت الى عادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع * وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وافشاء السر فهو مذموم وان كان صدقا فلذلك قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم أي هل أذن لهم في افشائه أولا فيا كاصدق ... ادراك

البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما قالوا ذلك في الحور والعين * وقال بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها وفيه لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور لكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروي خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فمن رآها في كشفه الصوري حال خمودها قال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها باقية * قال والذي كشف لي أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا لوعد وتمييز الصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لانه ما ثم حي ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار قال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا لان الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا فتخصيص عدم الاجابة المذكورة بمن صعق أي فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد اه (فان قلت) فما الصحيح في عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشؤن قال العلماء وهو في أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه في المحل محل أصل الذنب من ذوات الاربع * وقال المزني رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وتأول الحديث بأنه لا يبلى بأكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت اه ووافق المزني على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرض لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبراني وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه فان مات لم يدود أي لم يأكله الدود قال في النهاية وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشيء الثابتة في علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها في العلم الالهي لانها معلوم علم الله عز وجل وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول في قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا ولم يخلط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشيء الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان اه * (خاتمة) * يستثنى من بلاء الاجساد أجساد الانبياء والشهداء في قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في جسمه سريان الماء في العود وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك في الشيخ نور الدين الشوني شيخ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي جدي الشيخ علي رحمه الله أما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت بعد سنة وتسعة أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك أني سمعت قائلا يقول من أراد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول أبا هريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للامام علي رضي الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت أتطلب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينتشر من جبهة الشيخ نور الدين الى أصابع رجليه فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشيء مثل هذه الرؤيا وان

مع ان طلب المريد مركوز في الجبلة في كل مخلوق وما جعل القضاء الا آخرا لان القضاء المقدر لو كانت اهلته في الازل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الادلة البراهين لا تخطئ فانها قوية السلطان وانما الخطأ راجع (٢٨١) الى المبرهن واذا كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فالى علمه من سبيل من علمت به معلوما وجهلته فما علمت لانك ما علمته فانتبه (وقال) الموت للمؤمن تحفة والنعش له نحفة لانه ينقله من الدنيا الى محل لا فتنة فيه ولا بلوى فليس بخاسر ولا مغبون من كان أمله المنون فان فيه اللقاء الالهي والبقاء الكوني * وقال الحصاد في القبر والبيدر في الحشر والاختزان في الدار الحيوان وان ذبح الموت وان كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة أين الردف الحافرة من قوله وننشئكم فيما لا تعلمون ذبح الموت علامة للخلود في النحوس والسعود وفي ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله * وقال ان لله تعالى رجالا يساقون الى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب * وقال من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم وان سئلت فقل الله أعلم العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم في جميع المحافل فأين تذهبون انه هو الاذكر للعالمين * وقال اذا

وربما تعالى منه بتشبيه بلو فهو لو شاء الله كذا وما شاء ولو شاء لصح المشاء ولو سرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع اذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من أمر زائد وليس العجب عند العليم الا تنوع ارادة القديم * وقال بدليل

فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول له انا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في أقبح صورة فتقول له أنا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاسماء اه (فان قلت) فما معنى قول الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا هل المراد بالغطاء الذي ينكشف غطاؤه رضي الله عنه أو غطاء غيره فانه رضي الله عنه كان كامل الايمان بلا شك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذي ينكشف هو غطاؤه هو اذ لا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضي الله عنه أثبت ان ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعني في علم اليقين ان كان ذا علم أو في عينه ان كان ذا عين أو في حقه ان كان ذا علم حق لانه لا بد بكشف الغطاء أمر لم يكن عنده اذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمي وانما هو وجودي وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة فهو كايمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه ولكن هذا في حق العامة اما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان أهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وما سوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم اه وتصريح الشيخ بأن ايمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقبول ايمان فرعون لانه انما آمن عند اليأس والله أعلم *(خاتمة)* (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة ان المراد به ان من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم تألمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة وأما من وافق نفسه في هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع تلك الآلام التي فاتته حين لم يجاهد وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة الدنيا فماتوا في حين حياتهم عن جميع حركاتهم وارادتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم التي لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فما ذاقوا الا الموتة الاولى وهي التي ماتوا في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر رضي الله عنه أي لانه رضي الله عنه كان ميتا في حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها لمذهق التسليم لله تعالى جميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في حال حياته كحاله معه في حال عدمه اه وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين اعلم أن من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف فقد وفى مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الافعال الظاهرة ليقوم بالامر والنهي ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضي والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والستون في بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت أو معذبة وفي فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان ان أجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم أن العلماء اختلفوا في فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول الاظهر أن الروح لا تفنى أبدا لان الاصل في بقائها بعد الموت استمراره أي البقاء

في العباد لان العبودية تطالب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة * وقال ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة * وقال كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس في غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون * وقال الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جيل ولا قبيل الا وهو بلوث التطهير والنقير والفتيل فأكثر الناس تائه ولهذا قنعوا بالتافه ليس في الكثرة زيادة الا في عالم الشهادة وأما في عالم الغيب فما في التساوي ريب من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل ومن لم يأنه غرضه طال في الدنيا مرضه * قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا منا ومنه * وقال لا يرضى بالقليل الا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالحقير يدل على أنه كبير لا يخفى عن ذي عينين ان لله عناية بكل ما في الكونين واخراج الشيء من العدم الى الوجود برهان على أنه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب يفي بلا خلاف واذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الامة الا من لم يجد الطول وقال ما بينك وبين حقك الا عجلتك فما تلتفت الرزق مقسوم لا ينقص ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد

واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالي الى أن معنى قوله تعالى قل الروح من أمر ربي أي من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ماقاله الغزالي رحمه الله وذلك انا نقول كل ما أوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر أي قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكل ما أوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذي وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة اهـ وقال في الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم أن اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من أين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا وكذا وقد سمى الله تعالى الوحي روحا في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا اهـ (فان قلت) فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفي عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أي قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة في الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب أو الرسام فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فاذا جاء وقت الكتابة أو الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة * وقال في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من أمر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما أوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء اهـ * وقال في الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهي من حيث النفخ الالهي غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعللة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقها لا يقال مذمومة فان أفعاله كلها محمودة اهـ وقال في الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى في آدم ونفخت فيه من روحي بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم انك شريف الاصل فاياك أن تفعل ما يخالف أصلك من أفعال الاراذل اهـ وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هي خاضعة لبارئها على الدوام اهـ * وقال في الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ما هو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان في نفسه وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما أشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الاغلب وهو وجود الابوين والذي يربيه هو له بمنزلة أبويه * وقال الشيخ في الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم أن كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا لازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة وبالموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير وأطال في ذلك ثم قال وما ثم أعرف بالله تعالى من أرواح الصور التي لاحظ لها في التدبير

تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولهذا فضلهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله واذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون فكيف مع الشدة والغلظة لا ينفرون الا في يتقي ضيرها مع أنه يرجى خيرها الذي من جملة عقاقير الترياق الذي يرد النفس اذا بلغت التراق ومع ذلك فما قام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولي الابصار * وقال من استحيا أمات وأحيا من لا يكون الا مايريد لا يستحيي من العبيد وان استحيا في حال ماذا طلب الاسم المسمى لولا التكليف ماظهر فضل العفيف واذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبها الكثيف * وقال الرفيق رفيق وصحبة الرفيق الاعلى أولى وقد اختار هذا الرفيق من أبان الطريق فانه خير فاختار ورحل عنا ومار وذلك ليلحق بالتقدم السابق ويلحق به المتأخر اللاحق ولعلمه انه لابد من الاجتماع اختار الخروج من الضيق الى الاتساع ألا ترى يونس لما نادى ربه نجاه من الغم وكان في بطن الحوت فقذفه على ساحل اليم وأنبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن حومته فهذا الغزل الدقيق من اشفاق الرفيق * وقال الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا لذكر القرآن أمان وبه يصح الايمان أنه كلام الرحمن مع تقطيع حروفه في اللسان ونظمها فيما رقمه باليراع البنان فقد ثبت الالواح والاقلام وماحدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الاحلام * وقال الذكر القديم هو ذكر الحق وان نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الخلق وان كان هو كلام الحق اذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ومراجعه بالعبد من

صح منامك باولدى لا يبلى لى جسد فكان الامر كما ذكرناه وأما جدى رضى الله عنه فكان يبالغ فى الورع
ويقول من أحكم أكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام أحد من مشايخ البلاد ولا
طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام أحد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لا كلها من
زرع الناس وترك آخر عمره أكل العسل النحل لما أخبره أهل برشوم الصغرى ان نحل بلاده يعدى البحر
ويأكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدى بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه
هكذا أخبرنى الذى دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

*(المبحث الثالث والستون فى بيان ان الارواح مخلوقة وانها من أمر الله
تعالى كما ورد وكل من خاض فى معرفة كنهها بعقله فليس هو على
يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن)*

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فنمسك عنها أدبا ولا يعبر عنها بأكثر من
موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شئ استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع
عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود واليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبي
وابن عطية وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير
منهم انها عرض وهى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضى أبو بكر الباقلانى ويدل للاول
وصفها فى الأخبار بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ قاله السهروردى وهذا شأن الاجساد
لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو
جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فى البدن ولا خارج
عنه وهذا رأى الفلاسفة وهو كلام ساقط والذى ظهر لى أن العبد بتقدير أنه يطلع على كنه الروح لا يستطيع
أن يعبر عنها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها لان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول أحدنا لنفسه
اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر فى الذات فاننا اذا
كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم وفى كلام
الامام على رضى الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أى لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان
الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كأنه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة
نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده فى حد
ولا حقيقة اهـ قال الكمال بن أبى شريف فى حاشيته فان قيل كيف خاض الناس فى معنى معرفة الروح
وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين *الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما
بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب
عن الروح تصديقا لما تقدم فى كتبهم من وصفه بذلك * الثانى ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليط
وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح أمر مشترك بين روح الانسان
وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال أيضا لصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو أنه
صلى الله عليه وسلم كان أجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم وأذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك
جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معانى الروح اهـ كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى
الدين فى لواقح الانوار انما كانت الروح من أمر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها
كونى فكانت كما قال فى عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير

العقول قد يخالف ما صح عندها من المنقول ايالك واتباع المتشابه أيها الواله فما يتبعه الا الزائغ وما يترك تأويله الا العاقل البالغ فان جاءه من ربه
فى ذلك الشفا فهو المعبر عنه بالمصطفى (٢٨٢) *وقال لو راقب الناس مولاهم فى دنياهم لأمنوه فى أخراهم ومن ارتفع فى هذه الدار سقط وهذا
وقع الغلط * وقال ذبح
النفوس أعظم فى الالم من
الذبح المحسوس ومخالفة
الآراء أعظم فى الشدة من
مقابلة الاعداء ومجانبة
الاعراض غاية الامراض.
ومن فاز بمخالفة نفسه سكن
حضرة قدسه * وقال السيد
خادم فهو فى طاعة عبده قائم
السيد أحق باسم الخادم من
الغير لان بيده جميع الخير
يحكم فى عبده لعبده فهو يحكم
عبده لو حكم لنفسه لبقى فى
قدسه لا تكن من الملوك لان
الملك مملوك من صحت سيادته
صح تعبده وكبر والله نصبه هم
لازم وغم دائم فانه لو ترك
خدمة عبده انعزل وكان ممن
عصى المرتبة فزل كالحكم راع
ومسؤل عن رعيته * وقال
اذا مزحت فقل ولا تعال
ومازح العجوز وذا النغير ولا
تقل الا الخير كما قال الشارع
يا أبا عمير ما فعل النغير وقال
العجوز لا تدخل الجنة لرده
تعالى عليها شبابها وان لم يكن
المزح هكذا فهو أذى والاذاية
من الكريم محال ولولا صلابة
الدين ما كان من المازحين
لانه يذهب بالهيبة والوقار
عند المطموسين الابصار ألا
تنظر الى رب العباد فى قصة
هناد حين أخرجه واستدرجه
الى ان قال له أتهزأ بى وأنت
رب العالمين فأضحكه وهذا
القول كان المقصود من الله به ولهذا ما أهلكه بل أعطاه وخوله وملكه فسرت هذه الحقيقة فى كل طريقة ولو لم يصح بها واسطة
النعيم ما اتصف بها النبى الكريم *وقال لا تفرط فى الرخاوة تسكن غشاوة وهى مذمومة كالقساوة مع ان الرخاوة فى الدين من الدين ولهذا امتن الله

ظنى لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلى السابق فترد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقى منه اشارة للخلاف فى ذلك فان الحليمى يقول ترد الروح الى جسده كله وابن جرير الطبرى وامام الحرمين يقولون ترد الروح الى ما بقى منه وقولنا أول المبحث خلافا لبعض المعتزلة والروافض المراد بالروافض الجهمية وحجتهم فى انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شئ زمانا لم يقع فلو انه تحرك للعذاب أو غيره لتحرك ذلك الشئ عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه و يسألانه ومن هنا أنكروا تسبيح الجمادات أيضا (والجواب) ان العقل عاجز عن ادراك هذه الاشياء بمجرده وقد ورد تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الخالق يعنى لضعف العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم أيها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة فى ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين أى مرة فى القبر ومرة فى القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب فى الحياة والعذاب فى القبر وقوله فى الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أى فى البرزخ بدليل قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفى حديث القبرين ان هذين يعذبان وما يعذبان فى كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها انما هو تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا أفناه عدوه لان الروح ملكية اه وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا عادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس بشئ لما صح فى أبى داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد وأما انكار الجهمية و بعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وان تأتى نافية ومنه قوله تعالى ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وان منكم الا واردها ان أردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان الاستثناء من النفى اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا فى تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكى فى شرحه لعقيدة الامام الماتريدى أبى منصور رحمه الله المختار ان كل شئ يسبح ربه نطقا وانه ليس فى العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وفى صحيح البخارى أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم مرفوعا انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت ان هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالمقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازى وأكثر المعتزلة الى ان الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود * وقال بعضهم ان كل حى ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت فى حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم فى الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين اشارة الى انهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق فى مبحث الايمان مزيد كلام فى حياة الجماد فراجعه والله أعلم اه كلام المتكلمين وكان الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يتعينان الا متشكلين لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فيهما بوابان للبرزخ لا يدخل أحد البرزخ الا ويمر عليهما أو يمران عليه فيسألان العبد

مقابلة الروح بالعرفان ... السلطان ناطق والعرفان صامت ... فهم العرفان * وقال الاخبار يعرب عن الاسرار والاخبار كما يشهد للمؤمن بالايمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فان شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الايمان والا لحق بالبهتان لو كان مطلق الايمان يعطى السعادة لكان المؤمن بالباطل فى أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فقاله غير عاطل * وقال قسم الشارع سبله الى ثلاثة أقسام اسلام وايمان واحسان فبدأ بالاسلام وقرن به عمل الاجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالايمان وهو ما يشهد به الجنان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الآخر الى الدار الحيوان وثلث بالاحسان وهو انزال المعنى منزلة المحسوس فى العيان وليس الاعلام كالعيان * وقال الترك وان كانت عدما فهى نعوت فالزم السكون الامر بالشئ نهى عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك الاغيار الا الاغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه فمن كمال التخلق باسماء الحسنى الاشتغال بالله وبالخلق لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التى جاءت بها الاخبار ولو انك تركت التكاليف لكنت معاندا عاصيا أو جاحدا * وقال نصرة القوى محال فكيف الحال فى قوله ان تنصروا الله ينصركم وان لم تنصروه يخذلكم واذا أخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فنصرته من جـ... ما أخذ علينا فى عهده فيما أهل العهود أوفوا بالعقود بما أمركم الله نصرة الا وأعمال كم الاشتر الذى فى أمره فى قال لا ... وفى معنى الاقتدار وفى ...

وهى أرواح الجماد ودونها فى الرتبة أرواح النبات ودونها فى الرتبة أرواح الحيوان ودونهم أرواح المتمردين من الانس أما الصالحون فانهم اعلى من معرفة أرواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لا حظ للروح السعيدة فى الشقاء فى الدنيا والآخرة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين فى أشخاص نوع الانسان وان روح زيد هى روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ماهو الامر عليه وشبهتهم فى ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلى الصورى فى جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الالهى الذى كان منتشرا غير متعين اذ لم يكن ثم من يعينه وهى جسم العالم به ضمن جسمه أجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء أنه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح فى العالم هى عين الروح الاخرى وأطال فى ذلك ثم قال ولا يخفى أن من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله اعلم *(خاتمة)* فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهد من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد أقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل ابن عبد الله التسترى وأبي يزيد البسطامى واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف فى الظهور من أخذ الله الميثاق على الذرية وهم فى صلب آدم قالوا ولم نزل نراعى تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية فى تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب أو جنبا لوجه أو جنبا لظهر يكونون فى هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والستون فى بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض)

فاما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان فى قبره أو فى بطون الوحوش أو الطيور أو مهاب الريح بعد أن أحرق وذرى فى الريح قال الجلال المحلى رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقى منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع فى مقدور الله عز وجل قال الكمال فى حاشيته وقول أهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيحس بالعذاب من أكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له وعما أوقعهم فى التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره أتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة لجزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا نشاهده لان أحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد أشياء لا يشاهدها اليقظان الذى هو فى جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم فى ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا قال الجلال المحلى رحمه الله ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة قطعية ودليل استثنائها

ذ سنيم ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * وقال لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الامور كلها معلولة والكيفية من الله مجهولة انفرد بعلم العلل فأصله الابد من الازل حاكت المثلات باهل التفكر فى المحدثات لانه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق لا يدرك بالدليل فليس الى معرفته سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه والنقل ضم معها صفة التشبيه فعلى ماهو المعول الآخر أو الاول * وقال الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف المقت لا فتى الا على لانه الوصى والولى الفتى من كان على قدم حذيفة فى علم السر * وقال ما فتى من زعم انه فتى الفتى هو الكليم ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طلبا للتعليم الفتى من لا يزال طالبا ومن الجهل هاربا * وقال الغيور سريع النفور فيخطئ أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف لا تأخذه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تميز الارواح والزنا لا بد فى الوجود منه وقد قال لصاحبه استتر منه وصنه هذا مع انه يعلمه ويراه وقدره وامضاه ثم مع ذلك ثم اه فهو وان استتر عن أبناء جنسه فما استتر عمن هو أقرب اليه من نفسه * وقال الامر بين قرنين وما جعل الله لرجل فى جوفه من قلبين لكن جعل لكل قلب وجهين لانه تعالى خالق من كل زوجين اثنين فبنى الجمع على الشفع وما ثم الاوترية الحق وهذه اسرار ما عليها غبار وان عميت عنها الابصار واليها الاشارة بنعم عقبى الدار وأنت الدار وعليك الدار * وقال القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لان القرآن لا يجور والسلطان قد يجور فلا يحتج بما قلناه ان الله يزع بالسلطان

المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى *وقال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل فى قبره بعمله الذى كان يعمله فى دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البنانى التابعى الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلى وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى أن يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان أهل الاعراف بالسجدة التى يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى أحكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بها ميزانهم فهى آخر ما بقى من أعمال أهل التكليف قال واما جميع من يرى فى المنام أو اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شئ محقق الا ارواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف أرواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس لها خروج من البرزخ فان رؤى أحدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه وأطال فى ذلك بنحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان للجسد عندهم حقائق وعوالم تقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقى الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق التى تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تقديره وان من شئ يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه البارى جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ انتهى وتقدم فى مبحث الايمان ماله تعلق بحياة الجماد فراجعه وقد بان لك يا أخى مما قررناه انه لا يقدح فى صحة نعيم القبر وعذابه كون أبصار أهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار *قال الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض أهل الله فى كشفهم فانهم اذا اطلعوا بشئ من أحوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هى الدنيا أظهرها الله تعالى لهم فى عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم فى صورة ما جهلوه من أحكام الدنيا فى اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار وأين الاتساع من الاتساع ومعلوم ان القيامة ما هى الآن موجودة واذا رؤيت فى الحياة الدنيا فما هى الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفى الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال فى عرض هذا الحائط بين الدار الدنيا وذكر انه رأى فى النار صاحبة الهرة التى حبستها وعمرو بن لحى الذى سيب السوائب وكان ذلك كله فى صلاة الكسوف فى اليقظة وفى حديث آخر مثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط وتمثل الشئ ما هو عين الشئ بل هو شبيهه فقط ولا معنى لقول من قال ان أهل النار اليوم فى النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى قبورهم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا (قلت) ويكفى أحدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتى فى مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والستون فى بيان ان جميع أشراط الساعة التى أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة)

وذلك كخروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن

الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع أنه لو جهر بها كانت علما ونقمت فهمنا وأورثت فى الفؤاد كلما دونه تعجز الفهم لما يؤدى اليه من دروس الطريق الامم الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة مأخوذ بناصيتها *وقال انما ذهب بعض أهل الكلام الى انعدام العرض لنفسه لا الاجسام ليكون الخالق خلاقا على الدوام والعالم مفتقر اليه ومعول فى وجوده عليه وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع الاعيان فى كل زمان وما خصوا عينا من عين ولا كونا من كون وأما من يعلم أن المتحيز هو كل ما قام من الاعراض فهو جامع بين المذاهب والاغراض *وقال الطلب من الادب لانه تعالى ما أوجدك الا لتسأل فانك الفقير الاول فاسأل من كريم لا يبخل فانه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه *وقال معنى قول العارفين من وحد فقد ألحد أى مال الى الحق لان الملحد هو المائل فى لغة كل قائل *وقال الاتحاد لا بد منه ولا محيص لمخلوق عنه ألا ترى أصحاب الاعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلا هم مع الاشرار ولا مع المصطفين الاخيار فلولا ما تفضل الحق عليهم من السجود اليه ما برحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والتحقوا بدار السرور *وقال الجاهل المرتحل من يكرر تلاوة ما أنزل فانتهاؤه عين ابتدائه ولكن من تكرر عنده المعنى فى تلاوته فما تلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته فى كل مرة علما أفادته حكما فهو التالى لمن هو فى وجوده له تال *وقال من استدل من غير ما جمعه فهو ناقص الهمة وانما كان من عرف نفسه عرف ربه لان علم قلبه وسع ربه لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت

بعد ردروحه اليه كله أو ما بقى منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان أو كفر أو شك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول في هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق في الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذي كان يدعيه في رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا أدرى فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف أم لا الذى أعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة او النطق أو ما كان فهو ذلك وان اقتضت الذات أن تكون هى عين الكلام كان ذلك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله * قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار لنألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا ان علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه أنه فى عذاب وشر ورأو فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو أبصروا شيأ من أحوال الموتى لاخبروا بعضهم بعضا كما أشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لدعوت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر وفى رواية أخرى لولا أن تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر فعلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة أن كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى أوليائهم ليجادلونا وان الله تعالى ما أخذ باسماع الجن والانس وأبصارهم الا طلبا للستر فان المكاشف لو أفشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهى من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار ان لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عمن أرسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسئلون عنه تكريما كما نسئل نحن عمن أرسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر فحضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدى ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذى ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذى ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن فلا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت فى قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بالحس لا فى الحس كما ان جميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن فان الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية فى حضرة البرزخ الذى هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هنالك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه أيام تكليفه فى قمقم الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق فى البرزخ وفى الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما قوم فرعون فيعرضون على النار فى تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب

الاخبار وكان ممن نكث وألحق تكليف الحق بالعبث * وقال أصدق الاخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فاذا كان العطاء ارتفع الغطاء * وقال ان الله عند لسان كل قائل وما تكلم الا اللسان والقائل فى الشاهد هو الانسان وفى الايمان الرحمن لقوله كنت سمعه الذى يسمع به ولسانه الذى يتكلم به الحديث فمن كذب العيان كان قوى الايمان ومن تردد فى الايمان تردد فى العيان فلا ايمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الايمان كان فى أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب الا القلب وأنت ترجمان الحق الى الخلق فأين الكذب عند هذا المشاهد وما ثم ناطق الا الحق الصمد الواحد * وقال الروح واسطة وهو بين الرسول البشرى والحق رابطة يوحى به اليه اذا نزل بالوحى عليه وقد أمر بالادب معه حتى يجمعه لانه ما عجل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له اكتم السر حتى لا يعلمه الملك بما لك وقال اذا كان الرسول حسن الصورة فذلك اشارة الى جمال المرسل اليه وقد حصل ادراك البغية بنزول جبريل فى صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان أين النار من الجنان * وقال النفث فى الروع من وحى القدوس وهو عين الالهام لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة وما ثم الا الهام وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الاول لان النفث لا يكون له مكث فاوله انتقاله وورده زواله * وقال من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهى حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقبلها وان عدل الشرع عن مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر

الخصوص

العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليهم ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى الى أن يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه أفضل الامناء قال الشيخ محيي الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء واعلم ان المهدي لا يفعل شيأ قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هنالك وأما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان أحدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة الا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر أخوان * قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامته خليفة من خمس الى تسع للشك الذي وقع في وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أحوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة * قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم في مرج عكا في المأدبة الالهية التي جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل هو ممن استثنى الله في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله أو هو يموت في تلك النفخة * قال الشيخ محيي الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدي اماما في الدنيا ولم أقطع في ذلك بشيء لاني ما طلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى ان أسأله في شيء من ذات نفسي قال ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى لي واحدا من أهل الله عز وجل فدخل علي وذكر لي عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لي هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدي لابد أن يكون تسع سنين فاني عليم بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع ما تحتاج اليه وزراؤه وان كانوا أكثر من واحد فما يكونوا أكثر من تسعة فانه اليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعني في اقامة المهدي تشجيعا لخواص أصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال لما يعلمهم الا القليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدي في قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهي عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر والرحمة في الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج اليه في الكون في مدته خاصة * فهذه تسعة أمور ولابد أن تكون في وزراء المهدي من واحد فأكثر وأطال الشيخ في شرح هذه الامور بنحو عشرة أوراق ثم قال واعلم أن ظهور المهدي عليه السلام من اشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من أرض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من اصبهان وحدها سبعون ألفا

المعهودة في العرف اذ في ذلك الجهل الصرف فان الكون كله سماع عند صاحب الاستماع والايقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون فانه أشبه الاذن بالجارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة * وقال كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هي كرامة فاحذر من الاستدراج في المزاج القرآن كله قال الله وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد الا ترى قوله وكلم الله موسى تكليما كيف سلك به نحوا قويما فأثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فاذا أثر القول فما هو لغيره فافهم وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال والاكرام كما تفرق بين الوحي والالهام في اليقظة والمنام * وقال لو تكرر شيء في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به يتباهى من قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما تحقق الطلاق الرجعي رجعة بالجاهل الغبي لو قلنا في الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فانه نكاح جديد فمذهب أهل الاسرار أن لا تكرار مع ثبوت العبادة والايمان بالاعادة * وقال ما من آية في القرآن الا هي أكبر من أختها وان تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم في القدر من الوالد ولكن في الشاهد لا في الغائب الا في موضع واحد وهو ما لولاه ما عرفتك من العلم بك من معرفتك بنفسك وان كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الوالد عند كل أحد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فانه مذهب فاسد

وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته وكل هذه الآيات تقع في المائة الاخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله ان صلحت أمتي فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون * قال بعض العارفين وأول الالف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته مهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم أن بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تأخذ في ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر فهنالك يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الامام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق الى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي بمصر المحروسة عن الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمهما الله تعالى * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الارض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده حسن العسكري ابن الامام علي النقي بالنون ابن محمد التقي بالتاء ابن الامام علي الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين علي ابن الامام الحسين ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضمها اذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو أجلى الجبهة أقنى الانف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية يأتيه الرجل فيقول يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهدا وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم ان المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر

فالاطلاق تقييد في حق السادات والعبيد فان الخلق مع الانفاس في خلع ولبس ولا يشعر بذلك الا القليل من الناس الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا الدليل مدلولة فان وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط * وقال الاحباب أرباب والمحبون خلف الباب وانما كان المحب صاحب بلوى لانه رب دعوى ولذلك اختبر بخلاف المحبوب * وقال في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم أين هذا من قوله أنا سيد ولد آدم فدا الخليل كان لآدم السجود ولمحمد المقام المحمود فياليت شعري هل تقوم الخلة مقام كون رسالة محمد تعم كل ملة محمد صاحب الوسيلة في جنته ما نالها الا بدعاء أمته أين أمته منه في الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعو له ارفع بيقين من الداعي فلتكن اقوالنا كما صليت على ابراهيم الحافظ الواعي * وقال الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق الا العشاق من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق * وقال من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الاذلال فما له وللدلال وما له وللسؤال ان لم يكن الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل اذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب * وقال اذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الاشارة بالاكمام والمشي الى خلف والى قدام والتمايل من جانب الى جانب والتغير بين راجع وذاهب وقد أجمع الشيوخ على ان مثل هذا محروم مطرود والسماع لا يتقيد بالنغمات

بمعنى الى كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها أى اليها قال وعند وقوف الشمس فى وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم و يقولون فى المثل السائر الدولاب اذا تعطل تكسر وهنالك يظهر الشمس والقمر فى وسط السماء كالفراتين وفى رواية أخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا ثانيا الى المغرب لانهما يغربان فى المشرق كما توهمه بعضهم وفى الحديث أنهما يطلعان من المغرب مكورتين كالفراتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور أقل من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج (فان قيل) قد ورد فى الحديث أنهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دوران على حساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع أخرى ثم تقف هكذا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم فى مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى حين ينزل و يجتمعون عليه وأنكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى فى عيسى عليه السلام وانه لعلم للساعة وقرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير فى انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفى الحديث فى صفة الدجال فبينما هم فى الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين يديه مهرذبتان واضعا كفه على أجنحة ملكين والمهرذبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع والحق أنه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه الله اليه قال أبو طاهر القزوينى واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه فى السماء الى أن ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا أن نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى وأطال فى ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم فى انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) أن الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش فى الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فيحلل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته فى هذه الخطة الغبراء وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته و يغنيه عن الطعام والشراب كما أغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربى يطعمنى و يسقينى وفى الحديث مرفوعا ان بين يدى الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفى السنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها وفى السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له أسماء بنت يزيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس * قال الشيخ أبو طاهر وقد شاهدت رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بأبهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد أن يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله أعلم بجميع ذلك * وأما خروج الدابة التى يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من أجياد وهى دابة كثيرة الشعر

من باب سد الذريعة فلما فيه من نفى الخوف بالنظر شنيعة لا تحرزها الشريعة فى القوى فى وقت الفعل يظهر عليه شئ من الشطح ألا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين فى انفاذ الامر أنا سيد ولد آدم ولا فخر فانظر الى أدبه فى حكايته كيف تأدب مع ربه وما ذكر غير اخوته * وقال ما أصعق الكليم الا الذى دك الجبل العظيم وما أفاق الكليم من صعقته الا لما بقى عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أن يكون أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الامر واكتم * وقال من كان جميع أمرك بيده فانت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه لم يوجد خبر بالصفات لما فهمنا من الآفات بخلاف الاسماء ألا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موصوفا ولفظ الموصوف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفا أن الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله الى صفاته والحق باجماع كل واحد ليس بأمر زائد * وقال لولا الاغيار ما كانت الاسرار والسر ما كان بينك وبينه واخفى من السر ما ستر عنك عينه * وقال ما أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب ممن بعد عمن هو أقرب من حبل الوريد الى جميع العبيد * وقال الاتصال ليس من مقامات الرجال كيف يتصل به أجنبى لا يقول بهذا الا غبى فى الكتاب المنزل المتلو وانما الاعمال بالنية * وقال ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لا دواء لدائه ولا طبيب يسعى فى شفائه من فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذى يسمع به فما أثبتك باعادة الضمير اليك ليدل عليك ثم قال بالاتحاد الا أهل الالحاد وأما

مطلسين وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا * قال الشيخ محيي الدين فلا أدرى هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية أو أراد به كفر من الاسماء الان الالف حذفت كما حذفها العرب فى خط المصحف فى مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون (فان قلت) فـ صورة ما يحكم به المهدى اذا خرج هل يحكم بالنصوص أو بالاجتهاد أو بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه يحكم بما ألقى اليه ملك الالهام من الشريعة وذلك أنه يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به كما أشار اليه حديث المهدى انه يقفو أثرى لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وانه معصوم فى حكمه اذ لا معنى للمعصوم فى الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد أخبر عن المهدى أنه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء فى ذلك الحكم قال الشيخ فعلم أنه يحرم على المهدى القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا فى صحة حديث أو حكم رجعوا اليه فى ذلك وأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وأطال فى ذلك ثم قال فللامام المهدى أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى أن يحدثه من الشؤن قبل وقوعها فى الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة الرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وقوله (فان قلت) فاذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف ألحقها فى الحكم بالمباحات فيعلم بعدم التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من الرأى والقياس فى الدين اذ القياس ممن ليس بنبى حكم على الله فى دينه بما لا يعلم فانه طرد علة وما يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو أنه كان أرادها لأبانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأبان بطردها وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على أحد من الائمة بعده أن يقفو أثره لا يخطئ الا المهدى خاصة فقد شهد له بعصمته فى خلافته وأحكامه كما شهد الدليل العقلى بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له فى عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فبأى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة أنه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو وأصحابه فى نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر وأتاه فى السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى * وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد فى الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز فى العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفى ذلك رد على نمرود لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى وأصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد أجرى العادة بأن كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها رجع منعكسا ثم تقف فيم تنكرون أن الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام

فرحم الله أبا حنيفة ووقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب * وقال حكم وحى النائم المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان وهو بمنزلة الصاحب فى الاستماع عند أهل الاتباع (٢٩٠) لكن لا ينبغى له أن يتخذ ذلك شرعا يتعبد به وان كان يحمده وهذه فائدة مرجها منثور قد ثمر شجرة مباركة من تشاجر الاسماء ويكفيك هذا الايماء * وقال السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الاحباب * وقال انما كان المسافر فردا شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الامان غالبا فى السفر لما عليهم من الخفرا تثليث من أجل المحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وانما كفر بقوله ثالث ثلاثة فلو قال ثالث اثنين لاصاب الحق وزال المين ما ظنك باثنين الله ثالثهما يريد أن الله تعالى حافظهما يعنى فى الغار فى زمان هجرة الدار * وقال البقاء لا يصح على شأن واحد لما فى المحدثات من طلب الزائد اذ الامر شؤن فلا يزال يقول للاشياء كن فتكون الوجود كله نصب وتعب ولهذا قال فاذا فرغت فانصب فما فرغ الا اشتغل ولا قضى منه عمل الا استعمل وقد كان فى العمل صاحب راحة لانه استراحة اذا كان الرحمن كل يوم فى شأن فما ظنك بالاكوان فما قال بأن العدم شر الا من جهل الامر فليس الشر الا العدم الذى ما فيه عين ولا يجوز على المتصف به كون وليس هذا الا الحال الذى هو شر محض على كل حال بخلاف العدم الذى تتضمن الاعيان * وقال الشطح فخ يدعى فمن شطح يحق فما شطح وهذا من أعظم الملح الا أنه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصا بعض الناس

ما يدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا له فتأمل فإن غالب الأوهام على أن اليوم الواحد يطول المدة التي ذكرها في الحديث من جمعة أو شهر أو سنة والله أعلم بحقيقة الحال

*(المبحث السادس والستون في وجوب اعتقاد أن الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة
وبيان كيفية تهيئة الأجساد لقبول الأرواح وبيان صورة الصور وإحياء
من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث)*

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر قول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم أن عود الجسم بعد الإعدام بجميع أجزائه الأصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى بعثر ما في القبور مع ما ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي لا تقبل التأويل حتى إن ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الإجماع على كفر من أنكر البعث جوازا أو وقوعا وقد أنكرت الفلاسفة إعادة الأجسام وقالوا إنما تعاد الأرواح بمعنى أنها بعد موت البدن تعاد إلى ما كانت عليه ملتذة بالكمال أو متألمة بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم بقولهم إن الجسم يعاد بجميع أجزائه الأصلية أي الباقية من أول العمر إلى آخره لا أن الأجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهي ما إذا أكل إنسان إنسانا بحيث صار المأكول جزأ من الآكل فإذا أعاد الله تعالى ذينك الإنسانين بعينهما فتلك الأجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت للآكل إما أن تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين أو يعاد في أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه الاندفاع أن المعاد هو الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره دون الأجزاء الفضلية والأجزاء الأصلية التي كانت للمأكول هي فضلة في الآكل فإنا نعلم أن الإنسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه وإذا كانت فضلة لم يجب إعادتها في الآكل بل في المأكول اهـ والله أعلم وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم أن من أنكر البعث والإعادة في الأجسام كفر وصورة الإعادة أن الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه الأرض فتنشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة قائمة على عجب الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا وهو أصلها الذي لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الأرواح ثم إذا أنشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش اليابسة التي فيه لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالأرواح التي فيها فإذا نفخ إسرافيل في الصور الذي هو الحضرة البرزخية التي ينتقل إليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي احتوى عليها الصور فأطفأتها كلها فيقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد وإذا نفخ النفخة الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل إنسان بما كان عليه عند موته واعلم أن كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل أن كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه * وقال في باب الأسرار في قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فإن عين المخلوق ما زالت من الوجود وإن اختلفت عليها الأطوار في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فإن عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال إنه توجد وإنما هو انتقال في علم الله تعالى من وجود إلى وجود ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وإيضاح ذلك أن نشأة الآخرة ابتداء لا إعادة حقيقة إذ لو كانت إعادة حقيقة لعاد

أهل السنة من الورى * وقال المؤمن دليل على المعدلين يراد في سورة الرحمن كل يوم هو في شأن إنما كان الثاني الآخر من الليل فيه البركة لأن به الحركة ولا ينبغي لقول من قال كل يوم تتلون * عبرهذا بك أحسن * وقال جميع ما في الوجود أدب له مع أنه حرم الفواحش وسلم ولا تناقش * وقال إن الله لا يمل حتى تملوا وترحلوا أو ترحلوا قيد نفسه تعالى في عهدكم فقال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم تنبيها لكم على الأدب وحرو حالكم عن الريب * وقال من نظر إلى صله علم أن حكمه في الحركة والسكون من أصله فتحريك حركته لا تحريكه فالبال والابتداع * وقال من قام بالحق صدق في كل ما نطق من قوم بالسيف وإن عدل صاحب حيف وإذا كان الأصل معلول فصاحبه مخذول لأنه أصل فاسد يحرم العبد العوائد * وقال الطريق سائقة وقائدة إلى شقاوة أو سعادة فاعرف الطريق وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق * وقال لا تكثر الوراد إلا على باب الأجواد فإن البخيل بابه مغلق والجواد جوده مطلق نادى الكريم عن شهود جوده في حال جوده فهو الدليل على صحة وجده ووجوده فإنه ما أعطى للخلق إلا ما كان لهم في خزائن الحق ومع هذا فله الأجر في استعماله في هذا الأمر ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد إذ المنة أذى فاعلم ذا * وقال لا يتعدى قط حكيم ما رتبه العليم فما حكم به الولي في الخلق يمضيه له الحق وإن رده الحاكم الجائر فلا يلتفت إلى رده فإنه من صدق وعده موه ولا يخاف الميعاد فلا بد من رد أهل الإلحاد * وقال قد كان الحق ولا شيء معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق تارة يتجلى في اسمه الأول وتارة في اسمه الآخر * وقال من كان هول النبأ دخيف عليه الفساد ولكنه

القائلون بالحلول فهم اهل الجهل والفضول

قصل والشئ الواحد لاتصل بنفسه الا ادلتعرأ والواحد لا يصح فيه انقسام الامام زائد على ذاته وهم الامعصومانه (قلت) فكذب والله

لا يعرف فلها من دبرها فتمسح في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا فتنو باو شمالا فيرتقم بمسحها في جبين كل شخص ماهو عليه في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من تمسحه مؤمنا لمن تمسحه كافرا يا كافر أعطني كذا وكذا يعصب من ذلك لاسم لعلامة بانه مكتوب في جبينه كتابة لاتكمه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن ثم أولا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المسوب اليها في العموم سوى ماوسمته به الوجوه بمسحها وان كان لها كلام مع من يجالسها في سائر أصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث ذات تميما الداري عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لانه أفادما أفاده الكلام ألا ترى العاقل من أهل النظر اذا أراد أن يوصل اليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا يدفاء غرضه مملكا سواء علامات بالامر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد أو رأس أو بما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق اعلامك به فيو حد عليك أن تعرف منه مافي نفسه ويسمى هذا كلاما فصار رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم وأطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * وأما رفع القرآن فروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يعدى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكما كنا نعلم شيأ ثم يقعون في الشعر * قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * وأما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السواح * وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان سيدي ابراهيم المتبولي كل سنة يسافر اليه وفي هذا السد فيحصره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات * قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا اه وأحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما نحن بانا بعقائد الاشارة بذكر طرف منها لاجل الايمان بها لاغير والله أعلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر أيامه كايامكم معنى يوم كجمعة أن الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة أيام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا أرباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد أن اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى في رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب في نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فاذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي عملها أهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أي للصلوات فلما قرر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها قال ولو أن ذلك اليوم الذي كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لانصلي الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لانصلي الظهر ولو مكثنا أكثر من سنة فتحصل من هذا ان المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا أي في رأى العين لا في نفس الامر فانه في نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وان اليوم الذي كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لاترى شهرا أو سبعة أيام * (قلت) هذا الذي ذكره الشيخ محيي الدين خلاف

من افترى على الشيخ رحمه الله بانه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم * وقال لو انقطع الاصل لانقطع النسل المتواصل بسبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح * وقال ان نظرت بعين عقلك فقد درت بعظيم بينه وبينه هو فصله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من أسماء الاضداد كالقرء في الطهر والحيض فاعتقد * وقال ليس من الملة القول بالعلة اذ الحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون له علة لانه تعالى قد كان ولا أنا فلما دار العنان كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله لو فارقه ما كان دليلا ولا كان الآخر عليلا ما قال بالعلة الا من جهل ما تعطيه الادلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس الى مخالفته سبيل فان أحكام الحق في عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل * وقال ما أظهر الشتاء والقيظ الا تنفس جهنم من الغيظ فعطاها خلفنا في العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضا فاقرضها الله فينا قرضا نرجو أن يكون ما يصيب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها يحول في القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها في الدنيا بالجود عنه في الاخرى فتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فالادباء الاعلام يعتقدون القضاء ويحاسبون نفوسهم ... ما على ما مضى * وقال لا يلزم من الايمان بالفوقية للحق تعالى الجهة ولا لزام التشبيه الجهة وان وردت والفوقية قد ثبتت فانظر اذا ترى وكن مع

تجرى بحكم طبعها فى الاشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة بحمده فمن المخالف والعاصى المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع الهيئة القائمة بالانسان أمراً آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو ذلك الحادث الذى حدث وما هو حقيقته اه وقد أجاب بعضهم بأن الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم أو عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل وأما بيان تهيئة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام أبو طاهر فى كتابه معراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجافى الغليظ الجافى مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور والابعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهى الى التسوية وهيهات وقالوا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية لم تقصر عما كانت عليه فى الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء فى الآخرة على ما عهدوه فى الدنيا من اجراء الله العادة فى خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك فى الابتداء وأخبروا به لكانوا أشد انكارا على أنا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور فى تغيرات نوازل الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك فى تخمير طينة آدم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة فى خلق الجنين هى كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار فى حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حمأ مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين فثم عدل أعضاء آدم هنالك وأعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك فى حق آدم فى أربعين صباحا التى هى مدة التخمير وتم ذلك فى خلق الجنين من أولاده فى مائة وعشرين يوما من ثلاث أربعينات وفى هذا المقام تساوى الاب والولد فى استتمام الخلقة غير أن صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر أن تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو التسوية فى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وقال فى الجنين ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية مبينة بأن هذه الاطوار أيضا تعاور على التراب عند النشأة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض كفات أودعت ذرات الاموات بعد اختلاطها وتفرقها فى جهات الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وفنيت الجماعة وأراد الله تعالى أن يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعد النشور غشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهى الهائلة والجوائح المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ فى الصور ألا ترى انه تعالى أخبر أولا بالزلازل ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شئ عظيم كلا اذا دكت الارض دكا دكا فقل ينسفها ربى نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم يسيرها فى مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى ويوم نسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تتلاحق أجزاء الارض والجبال فتصير كالرمال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا فلعله تعالى يصير ذرات الارض فى هذه الدكادك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدى جواهرها التى هى متهيئة لقبول الارواح وهى معنى قوله اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور فتبقى بعد

للقرون والكتاب المكنون لا يمسه الا المطهرون * وقال انما حرمت الخمرة فى هذه الدار لانها تبدى الاسرار وترفع الاستار فحرمت فى الدنيا لقوة سلطانها وهى لذة للشاربين حيث كانت لكنها فى الدنيا محرمة وفى الآخرة مكرمة وهى أنهار الجنات ولها مقام الاحسان * وقال لا يقطع العبد على ربه بأمر لانه يفعل ما يريد وما عصى الا بعلمه وما خولف الا بحكمه وكذلك حكم من أطاعه الى قيام الساعة * وقال ليس لاهل الجنان عقل يعرف انما هو شهوة وهوى يتصرف العقل فى أهل النار ومقيله وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف فاذا زال التكليف تأخر العقل * وقال الحق نزوله سرى الى السماء التى تلى الورى ذو ساميرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالاذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند أرباب العقول الخوف ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فان الله ما كلف نفسا الا ما آتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع فى أحكامه المباح وجعله سببا للنفوس الى السراح والاستراح ما قال فى الدين برفع الحرج الا من على منهج الشارع درج دين الله يسر فما مازجه عسر ومن شدد على هذه الامة بعث يوم القيامة فى ظلمه * وقال ما لحجب الامن قوله اليه يرجع الامر كله كيف قيل يرجع اليه وما برح لديه ولم تزل فى يديه ستور مسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهى شبهات مع أكثر الجهات * وقال اذا لمع القلب شهود الحق فهو حينئذ ضعيف فلولا يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل

حكمهما معهما من التكليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هي أطوار تتوارد عليه وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لما دعا الارواح من هيا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا وقت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع اهـ فليتأمل وقال الباب الثاني والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة الابتداء فما هي اعادة اهـ * وقال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا في الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية اهـ فليحرر وسيأتي أيضا عن الغزالي في جواب السؤال الثاني من شبه المنكرين للبعث فراجعه * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور واعلم انه اذا بعثر ما في القبور وأخرجت الارض أثقالها لم يبق في بطنها سوى عينها فأخرج ما كان فيها اخراجا لا نباتا وذلك ليفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة فان الدنيا أنبتناهم فيها من الارض نباتا كما ينبت النبات شيأ بعد شئ على التدريج وقبول الزيادة في الجرم طولا وعرضا وأما نشأة الآخرة فهي اخراج من الارض على الصورة التي يشاء الحق تعالى ان يخرجنا عليها قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا أخرجت الارض أثقالها وحدثت بأنه لم يبق فيها مما اختزنته شئ جيء بالعالم الى الظلمة التي دون الحشر فألقى الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والارض حين يقع فتمد الارض أولا مد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهي الساهرة اذ لا نوم فيها لكونها بعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها اهـ وقال في الباب الثالث وثلثمائة اعلم ان الناس قد اختلفوا في صفة الاعادة بناء على اختلافهم في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن وفرعوا على ذلك ما اذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية قطعا فليس له ان يكشف عليها وقال قوم حرمة الزوجية باقية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله حال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها في البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها ويختلف التأليف وقد ينشأ لها أجسام أخر لاهل النعيم أصفى وأحسن ولاهل العذاب بالعكس قال والحق انها ترد الى أعيان هذه الاجسام التي كانت مكلفة حتى تنعم أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد اهـ * وقال في الباب الستين ومائتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هي والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لا خبر لها بما تنويه النفس في الاعمال ولا تدري هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه في ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضي ذلك انما تقتضي ان الفرج مثلا يقول أنا دخلت في فرج فلانة ويقول الفم أنا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك حراما أم لا وسيأتي عبارة الشيخ أبي طاهر في بيان شبهة المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولا خبر للجارحة بما تنويه النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار والايدي والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها الا علم لها بكون صاحبها تعدى حدود الله أم لا * قال الشيخ وليس في العلوم أصعب تصورا من هذه المسئلة فان الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لا دخل لها في الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية

أي من المفاد ما يعود المفاد الا بحكم الاتفاق فليس من خلق الانقياد من مكارم الاخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم * وقال من كانت همته عالية لم يظهر لهمته تأثير في هذه الدار الفانية فانها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها * وقال المشكور قد عكر به فان من أوصل حقا الى مستحقه فقد أدى اليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بذل ولا فضل وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر * وقال عطاء الله كل بذل وان كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وان تجافات المؤمن فقد باع نفسه من الله والمبيع لمن اشتراه وحق الله أحق لكن الدعوى أوقعت العبد في البلوى اذ ينفعك مقدما لها على أبناء جنسك * وقال من رأى الكون عينا مستقلة فهو صاحب علة ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وأنى للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجوبي قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد في لبس من خلق جديد فاعرف تجدد الاعيان الا أهل الحسبان وأثبت ذلك الاشعري في العرض وتخيل الفيلسوف فيه انه صاحب مرض لجهله بسواد الزنجي وصفرة الذهب * وقال الوقت سيف ومنه الخوف كل الخوف زمانك حالك وفي اقامتك ارتحالك فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوع تطير وقال لو كتم العبد سر الماقيل له لقد تشبه أمرا ولا نكرا ولو ترك السر محزونا ما كان الكلام معلوما بان هي الا تتقل من شدة الشوق عن ذوق * وقال العذاب الحاضر تعلق الخاطر بحرى من نفس استراح وخرج من العبيد ورواح الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضد يبعد الانس بالانس لا يكون الا

في المقعد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء في الفردوس وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر في قناديل معلقة تحت العرش وأرواح أطفال المسلمين في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين في الجنان وليس لها مأوى يخدمون أهل الجنة وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة في الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يرضى الخصماء وأرواح الفساق المصرين تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في بئر برهوت وأرواح الكفار في سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقي هذه الارواح كلها في أماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح في الصور في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور فانه يضبطها الى يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله أن يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض في الاحاديث فكل من تأمل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ في القبور الى يوم يبعثون وبرزخ في الصور فبرزخ القبور يحبس اجسادهم وبرزخ الصور يحبس أرواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ معرب لان أصله برزه وهو المكان المرتفع وسمي به القبر لارتفاعه عن الارض ولذلك سمي به الصور لارتفاعه الى العرش * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وانما سمي الصور صورا والصورة أي ميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك القرن يكون مميلا فكأن الصور بانحنائه تطوق بالعالم كله وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان موكلا بحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور للارواح على ما هي عليها في الدنيا كما ذكر وان لها صورة الانسان * قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح لطائف كالرياح وانما تدخل في تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها أولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي نفخ جبريل روحه فيه باذني قالت الدهرية النفخ شئ واحد فكيف يميت مرة ويحيي أخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهي تطم الاجساد وتصم الآذان بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد بدنها وتفارقها الارواح بشدتها وأما النفخة الثانية فنفخة روح وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها كما قال الشاعر

منك صلاحي وفسادي معا * كالنفخ مطفي النار والمذكي

فاذا عرفت يا أخي صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت أن ذرات الاجساد المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بما لطفها الله به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل * ان الحوادث صيقل الاحرار * وانها صارت اذ ذاك أرض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول أرواحها كالارض الطيبة المهيأة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها اذ ذاك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال في مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق في الدار ديار أتى الله الروح الى اسرافيل أولا فيحييه كما مر وذلك قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ثم يأمره أن ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أي يخرجون من الارض متخلصين مما ليس من ذراتهم من غرائب أجزاء

وجودت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو في بطن أمه فلا يخجلنك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا فان ذلك مثل من رد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا فلا يلزم من العالم حضوره دائما مع علمه وهكذا (٢٩٧) حال الجنين اذا خرج من بطن أمه * وقال العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعيانا أخرجها العدم ثم اذا أبرزهم الى وجودهم تميز وافي الاعيان بحدودهم انظر وحقق ما انتهك عليه واستتر أوجد الله في عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الامور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها ويرى الساعة في مجلاها والحق يحكم فيها بين عباده حين يجلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة تمارآها شهدت فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فان تفطنت وقدرت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق * وقال في قوله يا أيها النبي اتق الله اعلم ان من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الامة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الادب الى تحصيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه فابحث عليه * وقال قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا فاخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداء فما بدايت البرية وهي برية هذه مسئلة صعبة المرتقى لا تنال الا بالالقا اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فنعت واحد منها أعارف الاخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحد منهم بما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبل بل كل واحد ينصر ما قام في نفسه وهو مبني مرضه الا الطبقة العليا فانهم سموا على الاولى ورقوا الدنيا فلم يروا أمرا في الدنيا فلما الاولى وهي جزاء ما هو ابتداء يقول

ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء الارض الغريبة يتلاشى وينعدم ألا ترى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولاشك ان جرم الجبال اشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى اذا جاءه الشخص لم يجده شيأ للطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع أجزاء الارض سوى ذرات بني آدم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تقطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى أمطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أما ترونها تخرج صفراء ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى وأطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا اجريت على الارض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الارواح في لطافتها بل تصير من تقاربهما منها في لطفها وصفائها حانة الى أرواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقه الفه دليل على ان الله تعالى اذا أراد أمرا لم يحتج الى آلات ووسائط وأصول وروابط وانما يقول له كن فيكون وقد أرى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة واحيائها مثل هذه الجملة حتى رآها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده اه وأما بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر ينفخ فينفخ فيه قالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا أيضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر أنه ذو ثقب بعدد كل انسان ثقبة فيها روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما أربعون عاما على الاصح وقيل أربعون يوما وقد يسمى الصور أيضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي الحديث انه يقول فيها أيتها الاعضاء المتهشمة والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم أول مرة قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على ان الصور شيء على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء في الخبر دائرة رأس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل تحت العرش واضع فيه فمه نافذ بجميع أطباق السموات الى تخوم الارضين وفيه ثقوب بعدد أرواح الخلق في كل ثقب روح محتبسة فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعق كل من في السموات ومن في الارض من كل ذي روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق في الدنيا مرة فجوزي بها ثم بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائيل ان يقبض روح جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود أربعين سنة فلا يبقى في الكون حي الا الحي الذي لا يموت ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فأشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور هيئة حبس الله تعالى فيها أرواح الموتى وهو البرزخ الاكبر رأسه الى عليين وأسفله الى سجين وما ورد في الاحاديث من مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الانبياء في جنات عدن تصعد مرة وتنحدر أخرى وتكون

عليه وفي العموم على النازل لا المنزل عليه فلا يحجبنك أنزلوا الناس منازلهم لا تنالوا وعاملوا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة * وقال حقيق على الخلق أن لا يعبدوا الا ما اعتقدوه من الحق (٢٩٦) أوفوا بعهدي أوف بعهدكم فالكل من عندكم دليلي الله أكبر الى تحوله يوم القيامة في الصور * وقال لا تسكن الا الى سهل ان أردت أن تكون من الاهل لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلاده هم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما حوته ولا حواها ولكنها انكت تسمع وعلوم متفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح ان تعذبهم فانهم عبادك الآية * وقال ذهب بعض الاماثل ان العالم بجملته ابدا نازل يطالب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهي اليه فكان ينبغي من أول حركة أن يعتمد عليه لانه جل وعز أن تقطع دونه المفازات الحال يحيل العلم به فأين تذهبون بقول العارف لابي يزيد الذي تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام * وقال كلما خبثت السريرة عميت البصيرة ويرفع الالتباس بتفاضل الناس * وقال ما من شخص الا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من لبه وهو لا يعرفه انما يقول خطر لي كذا وكذا ولا يدري ذلك من أين لجهله بالعين فما فاز أهل الله الا بشهوده لا بوجوده مع ان شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباط عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر * وقال الجنين في كبد الان يولد وهو في ظلمة ثم مادام في بطن أمه ولما علم أنه في أمر مريج أراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أول مرة في
فالشقي هو الشقي في بطن أمه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد في بطن أمه لما حصه من عمله فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست

مابدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور وانما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيق قال ومن الصور هنالك ماهى مقيدة ومنها ماهى مطلقة كأرواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط أبدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فعلم أن كل من فى البرزخ محبوس فى صور اعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى اه * وأما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله أن الفلاسفة أنكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها وأضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالات الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى أصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد حدث منها انسان آخر لا ذلك الانسان الاول فان الموجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسىء بل انسان آخر مشارك فى مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وقوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشىء لا يكون عين ذلك الشىء هذا ما أورده ابن سينا فى كتابه فى المعاد وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصورة معانيه المودعة فيه وهذا منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى المختصة به من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا بمجموعها ولا بتفاريقها على الانفراد لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به انسان ألا ترى أنه يضاف بعضه الى بعض فى الخطاب فيقال له نفسك وروحك وجسدك قلبك عاملك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع أعضائه فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا لما كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد أضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن أن يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول وأما قولهم ان مثل الشىء لا يكون حقيقة ذلك الشىء فتمسكا بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم فمعناه على أن نبدلكم والمثل قد يزاد فى الكلام تأكيدا كقوله ليس كمثله شىء والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد صرح بذلك أبو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

ولم أقل مثلك أعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

من قوة فقط أو شبه فقط فهو صاحب غلط لان التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول * وقال البعيد يستخدم العبد بحقه والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال اذ الاحكام التى تتضمنها الاقوال انما تعرف بقرائن (٢٩٩) الاحوال والاصطلاح فلا يكون فى كل باب مفتاح * وقال مقاومة الاقدار للحق والمصابرة فيها فيها رائحة النزاع للاقدار فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فان أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع ولولا الفرح الالهى ما تاب التائب ولولا التبشبش الربانى ما اتصف آتى المسجد بالذاهب * وقال لما أراد الحق تعالى المناجات فى مسجد الجماعات أمر باعلان الاذان لأصحاب الآذان فمن أجاب الداعى فهو صاحب السمع الواعى وما للاجوبة فى النداء أجر ولا فى تحريمها وزر فالله أكبر مفاضلة ولا اله الا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة والحيعلتان مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والاذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فان رعاة الاوقات عارفون بالميقات فالاذان لا يكون الا لمن هو مشغول بالاكوان وما ثم لا مشتغل لانه بالاصالة منفعل وان كان الفاعل منفعلا للمنفعل فهو فضل منه ومنه ادعونى أستجب لكم * وقال على قدر دعوى الايمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس فى أمان الا فى أكدار الحيوان * وقال الايثار ليس هو من صفة عقلاء الاحرار لان ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فأين الايثار فالامر امانة فأدها والاسلب عنك اسمها * وقال ليس العجب ممن ساء بل انما العجب ممن اتخذ مستخلفه وكيلا ولولا ورد ذلك الامر الربانى لرده الادب الكيانى ما أجهل أكثر الناس عن باطن الادب وهو الذى أداهم الى

الارض قال أهل اللغة والنسل العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتمايزها من سائر أجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد متميزة من ذرات سائر الاجساد الى حجر المغناطيس الا ترى اها كيف تلتصق به خاصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة قال الشيخ أبو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التي غفلت عن ذكر ربها حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها خشب مسندة نسأل الله أن يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول * وأما عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهي قريبة من عبارة الشيخ أبي طاهر فانه ذكر في الباب الثالث والستين مانصه اعلم ان الصور والناقور الذين ذكرهما الله تعالى في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التي ننتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو هو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو فقال قرن من نور ألقمه اسرافيل فاخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شيء في الاكوان أوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه وقوله ان الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه فامر العبد ان يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحي منه ويلزم الادب معه في صلاته مع انه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد أساء الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال له اعبد الله كأنك تراه أي ببصره قال الشيخ ومعلوم أن الدليل العقلي يمنع من كأن فانه يخيل بدليله التشبيه وأما البصر فما أدرك شيأ سوى الجدار فعلمنا أن الشارع ما أراد انحصار الحق تعالى في جهة القبلة وانما العبد هو الذي يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم أن الحق تعالى لا تحويه الجهات فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير ولهذا كان الخيال أوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى أن سعة القرن انما هي في الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله أهل النظر فانهم جعلوا أضيق ما فيه المركز وأعلاه الفلك الاعلى الذي لا فلك فوقه وان الصور يحوي صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو الاعلى كما هو في الحيوان وليس الامر كزعمهم بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فاول ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال أوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا أراد أن ينتقل الى العلم باحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا ولا يزال علمه تنتقص فاذا تم علمه ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك أضيق ما في القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذي يظهر منه في رأس الحيوان اذا أنبته الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله الا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد قال ولا يخفى أيضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد أودعها صورا جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع

الطبيب اذا تألم المريض ما قصدت الا نفعه بما أمرته به من الادوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض ألك هذا انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته * وقال أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذي لا يبلغه تنزيه نزلت الى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الله هل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لأن العبارات خلقنا والقرآن كلام الله لا كلامنا فما التنزل والمعاني لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهي وان كان القول فما هو اللفظ الكيانى وهو اللفظ بلا ريب قابل الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق ولا تنطق * وقال لما أقام الشارع العصمة مقام الحرس لم يحتج صلى الله عليه وسلم الى الحرس وطالما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بان المقدر كائن والحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا مما يشاء وما يشاء الا ما علم وما علم الا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم * وقال كيف للخلق ان يردوا دعوة الحق لولا ان صنعته ردت عليه وبضاعته ردت اليه مما أشبه ذلك بالصدى اذا ظهر بدا يتخيل المصوت انه غيره وما ثم الا أمر الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو في نفسه لا تبدل وهو في عينه لا يتحول ما

أعضائه في علم الله تعالى وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة الصغيرة وهي مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل أن يكون لتلك الذرة أعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر في الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون اجزاء الذرة الاولى التي شكل الانسان فيها مقدر في علم الله بجميع اعضائه وهي بعينها قائمة منبسطة في جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وتقلبك في الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الرأس رأس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية التي هي على غاية اللطافة والاجزاء الغذائية التي هي الدم وغيره تجري من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كانت وقريب منه أيضا الاسفنجة وهي شئ كالغيم هش متخلل اطيف خفيف اذا طرح في الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان أجزاء الذرة في كل شخص باقية على هيأتها بالنص الوارد في قوله وتقلبك في الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص وأصل تلك الاجزاء الاصلية في الخلقة هو العجب وهو أصل الذنب وسمي به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الاحياء في الحشر (وأما قولهم) اذا أكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه اجراء الله العادة كما أخبر في قوله وتقلبك في الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بهما أينما كانت فانها وان استحالت في رأي العين وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض أم بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذي نقص منه يرده اليه كما رده في الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا (وأما قولهم) اذا قطعت يد كافر فأسلم كيف تكون يده في النار وهو في الجنة أقطع وكذلك القول في عكسه (فالجواب) أما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة في الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كابعاض الآباء حكما قال تعالى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني فعلى هذا يد الكافر مادامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا لايمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه (وأما قولهم) غذاء الانسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة اذا صارت أجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) أن ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي عليها مدار البدن كله كما بينا من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت في رأي العين وتأتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هي الاجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذا قطعت وآمن هو لو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى في الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيي

عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال أقولها لا لقولك فما قال لا اله الا الله التي أضرهم ابليس فهذه جارية حسناء في منبت سوء * وقال ماعصى آدم الا بالاخذ بالتأويل ولا عصى ابليس الا بالاخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخطئ فان قست تعديت الحدود وان وقفت مع الظاهر فاتك علم كثير فقس مع الظاهر في التكليف وقس ماعداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الامة فان ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم * وقال لو أخذوا بالظاهر في كتابهم مانبذوه وراء ظهورهم فما أضرهم الا التأويل فاحذروا من غائلته فان المكلف مخاطب بألسنة فصاح ولكن العيب والسقم من الفهم * وقال اذا رأيت الله يلقي في ياأيها الذين آمنوا فكن أنت ذلك المؤيد به فان أخبرك فافهم واعتبر وان أمرك أو نهاك فامتثل وما ثم قسم رابع انما هو خبر أو أمر او نهي * وقال أنزله تعالى في خطابه اياك منزلة الام من الشفقة ان لم يمكنك الترقي الى أعلى من أمك فانه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول مايورده عليك فانه ماخاطبك الا لينفعك * وقال لاتجعل زمامك الا بيد ربك اختيارا لا اضطرارا فان ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لان ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار * وقال عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه واما النسب الطيني فانه غير معتبر كما أشار اليه علي بن أبي طالب القيرواني بقوله الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والام حواء * مالفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء الى آخر ما قال * وقال خشية الناس وهيبتهم منك على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء فاياك ان تطالب من

وهذا المعنى شائع فى العربية لايخفى على من شم رائحتها والله أعلم (السؤال الثانى) وهو الضيلم الذى ضل فيه كثير من الناس وهو الذى نقلناه أوائل المبحث عن الجلال المحلى وعن الكمال فى حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو انهم قالوا المعاد من الانسان ماهو ان قلتم اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب أن يبعث المجذوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وان أعيد اليه جميع اجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء واحد بعينه يداو رأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء وكذلك اذا أكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق روحان بانسان واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فاسلم فكيف تكون يده فى النار وهو فى الجنة اقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وأيضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها أشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد فى أبدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاصلة لصور وأناسى كثيرة هذه شبههم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا وقد حكى الغزالى هذا السؤال وكأنه قد سلم المسئلة وصرح فى فتاويه وغيرها بانه لايجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل أى جسد كان جائز وأهمل هذا السؤال جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف ان المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه ان تعلم يا أخى ان الذرة التى قبضها عزرائيل عليه السلام من الارض أولا فى كل انسان باقية لاتتبدل البتة وهى الجزء القائم منه الذى أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه فى القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح اليه والحياة له وسائر أجزائه سباسب صمت وهو الذى يتعلق به الروح عند النفخ فى الصور على مادلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان فى الدنيا هذا شئ لايخالفه عقل ولا شرع (وأما قولهم) المعاد من الانسان ماهو هل هو أجزاؤه عند الموت أم الاجزاء التى فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته فى أيام حياته كما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعنى قلفا والاغرل الاقلف الذى لم يختتن ثم انه يجوز أن يزاد فى أجساد أهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد فى أجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفى الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا فى عرض سبعة أذرع وقد جاء فى صفة أهل النار ان سن أحدهم مثل جبل أحد وهذا كله جائز فى العقل وورد به الشرع وأما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هى المعادة يجب ان يبعث المجذوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا فى الجواب قبله ان المعاد أكمل حالة كان عليها فى عمره أجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة فكل جزء أنشأه الله أول مرة فيه أيام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثانى مرة فلو أعيدت هى أيضا فى الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وثانى مرة وعلى هذا صح ان المعادات فى الآخرة هى المنشأة فى الدنيا أول مرة وهى أكمل الاجزاء المبدعة التى خص بها كل شخص هذا الذى دل عليه مضمون الآية (وأما قولهم) ان أعيد اليه جميع أجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ماهو المعاد وماذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لايلزم ان يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لان الذرة التى هى الاصل وأخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع أشكال

العطاء وقد يكون ترك الادب أدبا كما يكون ترك السبب سببا ومن قال برفع الاسباب فلابد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولى الالباب * وقال لاتبلغ الاعاجم مع اعتلائها فى سمائها مبلغ الاعراب دليلا انا نجد العرب الاعجام ابهاما والاعراب ابانة الكلام اختص الاعجاز بالقرآن وان كانت جميع الكتب كلام الرحمن * وقال المنزلة الرفيعة فى التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وقل رب زدنى علما * وقال المشاورة وان نبهت على ضعف الرأى فهى من الرأى لايطلع على مراتب العقول الا أصحاب المشاورة فانها أجمع للهم والفكر * وقال لاتقل وصلت فانها نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوى البصير والاعمى * وقال باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه فصباحه لاينبلج وبابه لاينفرج وان خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت واعلام بما عنه سكت عليك بالصفوف الاول فانها تشاهد الازل واياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو ورا فلا ترى * وقال اذا خاطبك الحق بلسان لاتعرفه فقف وقل ربى زدنى علما ولاتمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطى مالا يعطى القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم * وقال لاتعجب ممن وصف الجواد بالعطاء ولكن اعجب ممن وصفه بالامساك وأعجب منه من وصف الحق بما لايليق به مع انه ما أطلق الالسنة عليه بذلك الا هو * وقال اياك وخضراء الدمن وهى الجارية الحسناء فى منبت السوء فان الله تعالى أعاذنا يقول يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وهو مازينه الشيطان من الاعمال فان كان اهلا وجها الى الحق فالمعدن خبيث جاء ابليس الى

صارت هي في الصورة رفاتا فالاخبار وردت بان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكذا يكون الامر الى حين دنو ميعاد المعاد في النشأة الاخرى بعد القيامة الكبرى فيبقيها الزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ويجنها بالامطار الشبيهة بمني الرجال كما جاء في الاخبار فتهيأت حينئذ لقبول أرواحها وكانت أرواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ في الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكانها الى أجسادها التي فارقتها بالنزع أسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم في هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف في مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والستون في بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام في سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وأما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيي الدين والحكمة في ذلك ان المتقي كان جليسه في دار الدنيا أسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذي يعطي الرحمة والانس واللطف والامان مما كان يخاف منه ويتقي ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح أبو يزيد لانه كان جليسه الاسماء من حيث ما هي دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك أنكر ما لم يعطه مشهده فهو شبيه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل في طلبه علم الكيفية في احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم أن للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب ان يعرف بأي طريق يحيي الله الموتى فافهم ولو أن أبا يزيد كان يعلم أن المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في أيام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار ما تعجب من ذلك فيحشر المتقي الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقى انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فانهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم اه (فان قلت) فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا * فأول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي اخذ عليهم الميثاق فيها * الثاني حشرهم من تلك الصورة الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح اليها بعد الموت الرابع حشرهم في الصورة التي يسألون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عيانا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التي سئلوا فيها الى الصورة التي يمكثون فيها في البرزخ ويكون أحدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا ان كان بقي عليه سؤال لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار فان الناس اذا دخلوا الجنة أو النار حشروا في صور لا تشابه لها قال وأهل النار كلهم مسؤلون بخلاف أهل الجنة فان منهم من

قيام قبل ذلك كما مر وقال انما كان كل حزب بما لديهم فرحون بما لهم بما لهم ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له ان يحزن * وقال كلام الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة * وقال لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا اذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة * وقال في حديث أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه الى آخره ان كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل واذا قصد بالخلق كل ما سوى الله فما هو العماء قال وهي مسئلة في غاية الخفاء * وقال باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا * وقال للآدم على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساواة * وقال الدنيا والآخرة اختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الاختين وجوز الجمع بين الضرتين وما هما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الاحسان الى احدى الاختين بالنكاح اضرار بالاخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم * وقال من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب ان لا يقبله ميزان الا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها * وقال خزائن الله تعالى صدور المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فاذا نطقوا أنصتوا السامعين ان كانت أعين افهامهم غير مطموسة * وقال في الكلام بعد الموت هل هو بحرف أو صوت اعلم ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التي

الدين فيه أوائل المبحث * قال الشيخ أبو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة أجزائه فى الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها فى الدنيا حالا بعد حال أليس الشيخ الكبير فى الدنيا هو الذى كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو فى هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبدلة هنالك كلا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التى خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى أن ترد جميع الاجزاء التى تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه يلطفها ويلزها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام فى هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة فى أن الله تعالى يقبض أرواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لأبد الآباد فهلا استدام حياتهم أبدا من غير موت (فالجواب) لو أنه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى أحكم الحاكمين ولكنه أماتهم فى دار الفناء ليبقيهم بقاء الابد فى دار البقاء من وجوه منها ان رقعة هذه الخطة الغبراء التى هى الربع المسكون من الارض بالنسبة الى أجساد بنى آدم جميعا صغيرة لاسيما القدر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفى زروعها وأثمارها بأقواتهم التى هى سبب معاشهم وفى الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تمت خلقهم فقال تعالى انى كلما آتى بقوم أميت آخرين ومنها أن القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كما مر ولله تعالى فى البرزخين انشا آت خفية لاجسادهم وأرواحهم يصيرها بها قابلة للبقاء الابدى ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها أنه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان لوصل اذا استدام خفى وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال * قال الشيخ أبو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول نظرت من ربوة الى بعض المقابر فرأيتها سامدا البصر فخطر ببالى ما هذه الاطلال والاحجار فهتف بى هاتف يقول

قشور بيض طار عنها افراخها * وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على اثره قائلا يقول

بل يجعل الله القشور رواجعا * من الذر بيضا لا كرامة للقيض

فترجع عنها الطائرات أوامنا * من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

قال وبالجملة فمحصول علم البدء والاعادة أن يعلم أن الارض التى خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قيل معناه فقدر له روحا ثم لما أخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها وأخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد أرواحهم الى خزانة الغيب ثم أخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشئها بالاغذية كما يشاء وينقلها فى أطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم ويردهم الى بطون الارض ثم انه يرد اليهم فى القبور أرواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فأنكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقوتها وذلك يكون للانبياء والاولياء كما جاء فى الاخبار ثم ان الانسان ما دام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذوات المقبورة تواصل معنوى وتزاور والهامى وان

الناس ان يهابوك مع وقوعك فى الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك * وقال لا تجعل لبيتك الذى هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل اليك من غيث السماء شئ والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت الا أضعفها جدارا وذلك لان الخراب يسرع اليها فتبقى فى حفظ الله لا فى حفظ البيت * وقال مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالاصغاء الى ما يقول فكن سامعا لا متكلما (قلت) وقد من الله على فى هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها حين أكون سامعا وأما اذا كنت أنا التالى فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندى الآن نعيم قط فى دار الدنيا ألذ عندى من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال * وقال كل ما سوى الله معلول والمعلول مريض ضرورة لازمته الطبيب فرض لازم * وقال كل عمل عملته من أعمال أهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لان التوحيد يرجح على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات * وقال احذر ان تقول كما قال العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فانك أنت وهو هو وانظر هل قدر من قال ذلك أن يجعل العين واحدة لا والله ما قدر لانه جهل والجهل لا يستطاع ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك * وقال اذا سمعت القرآن فاسمعه بسمع نفسك لا بسمع الحق فى مقام المحبة لتفقه الحق لا بأمر نفسه ولا بنتاها وهذا من مزلات الاقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين * وقال لا سجود الا عن قيام ولا قيام للمكون فان القيومية لله وحده قال وما عرفنا صارت يقظان مقام سهل بن عبد الله الا من قوله بسجود قلبه وما أخبر أنه رآه ساجدا كما هو الامر عليه وانما أخبر انه يسجد ولا سجود الا عن شهود

عينه وانما كان فيه تقبض وتوقف لما انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتو الذي كان فيه فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من مسطحها الى القاع منها كما يكون في الجبل نتوءه فلذلك لا ترى في الارض عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من البصر جميع ما في الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده وأطال في ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة (فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى أن ينزلوا منازلهم من الجنة أو النار ذكره الشيخ في الباب العشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان يوم هذه الامة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفي فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفي قدر ركعتي الاشراق ينقضي الحكم فتعمر الداران باهلهما وذلك يكون في يوم السبت فيكون نهاره أبدا لاهل الجنة ويكون ليله أبدا لاهل النار وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فينبع النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما في غاية الحلاوة وانما أزالهما امتزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والستون في بيان أن الحوض والصراط والميزان حق)

قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وانما ذكر أهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد أهل الزيغ وهو مشهور عن أكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم أهل السنة لا امتناع فان الذي أقدر الطاير على السير في الهواء قادر على أن يمشي الانسان على الصراط قال وقد أجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بان كونه أدق من الشعرة انما هو ضرب مثل للامر الخفي الغامض والمعنى ان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصي وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة أمر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر في قيام الناس والملائكة على جنبي الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى * ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشاكلان بشاكلة الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة في الافعال والاقوال والعقائد يكون المشي على الصراط هنالك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هنالك ونقص شربه من الحوض فالمشي حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هنالك فان الصراط المنصوب المشروع هنا معنى هو الذي ينصب هنالك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيي الدين والحوض في عرصة من الصراط وضرب له مثالا على الهامش وهذه صورته ٧ قال واعلم أن نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشي أحد في نور أحد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وهو واحد في نفسه قال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم دون شمائلهم لان المؤمن السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى *

الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف والله أعلم * وقال اذا ذكر الاسم المركب وهو الرحمن الرحيم فانه كبعلبك ورامهرمز وقال خطاب الله بضمير الواحد تعديد وبضمير الغائب تحديد ولا بد منهما * وقال ما أخبرنا الحق تعالى انه ينزل الى سماء الدنيا الا ليفتح لنا باب التواضع بالنزول الى من هو دوننا في زعمنا * وقال انظر بعقلك في سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها الى التحت الا وهي مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين * وقال لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الامر على ما هو عليه لكنها أبدا تطالب أمرا غاب عنها فكأن طلبها عين حجابها لذلك قال تعالى وما قدروا الله حق قدره اشتغالها بطلب الباطن الذي غاب عنها والله ما بطن عنها الا ما ليس لها قدم في معرفته فما خاطبنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن الا ليعلمنا ان الذي نطلبه في الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا في التفكر فيه * وقال اذا أخبرك الحق تعالى في أمور فانظر الى ما قدم منها في الذكر فاعمل به فانه ما قدمه حتى تهمم به فكأنه نبهك على الاخذ به ابدؤا بما بدأ الله به لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * وقال عطايا الحق كلها نعم وان أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض وذلك مرض ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زورا فلا علم مع ثبوت الحكم مع ان الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لان الله ما حكم الا بما علم وقد شرع للحاكم أن يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم فافهم * وقال الخلافة حكم زائد على الرسالة فان الرسالة تبليغ والخلافة حكم بقهر * وقال اذا نزلت

لا يسئل اذا دخل أهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية حشروا في صور لا تصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا في صور تصلح للجنة * واعلم ان في كل صورة ينسى الانسان الصورة التي كان عليها ويرجع أمره الى حكم الصورة التي انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأي صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها داره والصورة في السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان في سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به أهل الجنة خاصة في الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس في موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون في ثلاثة مواطن في أخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة وفي البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمع يعم أبدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار بأهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد ذلك أبدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين أي لان الاولين والآخرين تجتمع في ذلك اليوم لا يتخلف أحد منهم في الارض ولا في الاصلاب فيكون ملكه تعالى في ذلك اليوم أعظم وأظهر من غيره من الايام التي حضر فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى أعلم * واما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة * قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل في السموات والارض يوم القيامة فهو في الصور لا في الاعيان وان كانت الاعيان أيضا صورا قال ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذي يقع التجلي عليه للفصل والقضاء في جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما في جوفه الى الآخرة لكن في صور غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب في جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب أرضها والاطلس سماؤها وبينهما أي الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة في فلاة فيحاء قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هنالك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما براه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيها من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من أهل النار الذين هم أهلها * قال الشيخ واعلم انه ما دام الانسان الكامل موجودا في الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذي يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية أي ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حال جسمها حر النار فصارت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سباحتها لا تزول في النار بل تشرق تكون على غير النظام التي كانت عليه في الدنيا حال سترها وأطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة ان المراد بمدها اتساعها وامتدادا الجبال وتصييرها أرضا فانه في يوم القيامة تصير الجبال كالهباء كامن تجلي الحق تعالى اذ كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها في الجو اذا انبسط زاد في وسع الارض ولهذا جاء في الخبران الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير أن يزاد فيه شئ لم يكن في

ترى نفسك فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وان اقتضت الصوت بلا حرف كان وان اقتضت الاشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذلك وان اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان فان جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال وان رأيت نفسك في صورة انسان حزت جميع المراتب في الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور * وقال انما جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم الا أن علاقة تدبير الهيكل باقية في النوم والموت لا علاقة له في التدبير * وقال اذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع في صحبته فانه منك أشد تبرأ * وقال اذا كنا نجهل ما سبق لنا في علم الله فلا ثقة لنا بحال فيا لها من مصيبة * وقال اياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فانك ما تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو ما أنزل الله لا ما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية * وقال اذا قرأت مثل ما أوتي رسل الله فان انقطع نفسك على الجلالة كان والا فاقصد ذلك ثم ابتدئ الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وقال احذر ان تفي بعهدك ليفي الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فان من وفي بعهده ليفي الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيأ فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد * وقال اذا ناجيت ربك فلا تناجه الا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاما فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له اجابة فتحفظ من ذلك فانه مزلة قدم (قلت) فلا يليق وضع الاحزاب التي يقرؤها المريدون الا من الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أخذت حزبي عينه

لدنيا صعب عليه وزلت قدمه وطال ندمه وهل هذا الصراط لامثال محسوس لذلك الصراط المعنوى و بالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضاة الله تعالى و بطئهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بقدر ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه فى دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها وأما ما جاء فى الحبو والزحف على الصراط انما هو اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات وأما الزالون والزالات فهم الناكبون فى الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا أجمعين * وأما الميزان فاثبته جمهور أهل السنة وأنكرته المعتزلة قال الغزالى والقرطبى ولا يكون الميزان فى حق كل أحد لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غير أن يكون دخولهم فى حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة فى كفته الى ان ينقضى حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيى الدين ويكون ميزان كل شخص بشبه كلما كان الشخص عليه فى دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأى جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى بالميل الى المعاصى والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهى كتمثل الاعمال سواء فانها فى الدنيا اعراض وفى الآخرة تكون أشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم فى الموت انه يؤتى به فى صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا لان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمى المعنوى فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شئ بمثله انتهى وعبارة الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى عقيدته * اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه فى وجوده أثره قد وضع دفعة واحدة وكل أحد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلى الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة فى كفته الى أن ينقضى حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلى قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بهما مقادير الاعمال بأن توزن صحفها * قال الشيخ محيى الدين وآخر ما يوضع فى الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك وردوا الحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) فلم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان أبدا بخلاف التوحيد مع معاصى أهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها او يعادلها فى

وبه فتحريم الوقوع فى المحرمات مثل تحريم التفكر فى ذات الله فان تحريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتأمل فى معناه * وقال فى قول على رضى الله تعالى عنه مامن آية الا ولها ظهر و بطن وحد ومطلع اعلم ان الظاهر من الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما أعطاك عليه الصورة والحد منها ما ميزها عن غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصول اليه وأهل الكشف يميزون بين هذه المراتب * وقال من ليس كمثله شئ ما هو ذو حياة ولا موت فان من خلق الموت والحياة لا ينعت بما قد كان ولاهما فهو الحى ما هو ذو حياة قال وكذلك له تعالى الاسماء ماله الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها فى الكتاب والسنة قال تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فتنزه عن الصفة لا عن الاسم * وقال الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسل حجبة بين الملك والرعايا فبعد بذلك والله اسنادنا والمقصود من الرواية علو الاسناد وكلما قل رجاله علا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال أدعو الى الله على بصيرة فنزل جبريل أنا ومن اتبعنى فنزل الرسول ومنه قال أبو يزيد حدثنى قلبى عن ربى فعنه أخذ هذا قوله يا أيها المنكر * وقال الاحكام تختلف باختلاف الاسماء فان قلت فى سمكة انها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم * وقال كرم الكريم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعفو ويصفح لان العفو والصفح كرم واسمعها لهما كرم الكرم وكذلك يقال فى اساءة الاساءة فان المسىء من أتى بما يسوء وان كان جزاء الا ان هذا الاسم مقصور وحكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدبا أدبنا به الحق * وقال الاسلام والايمان متقدما الاحسان مع أن الايمان

وقال فى الباب الثامن وثلثمائة اعلم ان الصراط الذى تسلك عليه و يثبت الله تعالى أقدامك عليه حتى توصلك الى الجنة صراط الهدى الذى أنشأته لنفسك فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو فى هذه الدار بحكم المعنى لا تشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم أوله فى الموقف وآخره فى المرج الذى على باب الجنة فتعرف أول ما تشاهده انه صنعتك و بناؤك بجوارحك وتعلم انه قد كان فى الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك فى طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذى يقودها الى لهب الجهالة و يضرم فيها نارها اه وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة * اعلم انه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذى هو خارج سور الجنة التى يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمادبة تكون فى المرج وهى درمكة بيضاء نقية يأكل منها جميع أهل المأدبة و يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع وأغصان الجنة على السور اه وقال فى الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف وقد غابت الجسور فى جهنم مقدار أربعين ألف عام ولهب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهى سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعنى على تلك الجسور وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسئل العبد عن الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثانى فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى الجسر السادس فيسئل عن الطهر من الحدث فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر فى واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء * وقال أيضا فى الباب الرابع والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التى على جنبى الصراط انما هى صور أعمال بنى آدم فتمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هى أعمالكم ترد عليكم اه وكان الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله يقول الصراط صراطان أحدهما فى الدنيا وهو الاسلام فهو علمى ولكن ينقلب فى الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو فى الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ يوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكى خوفا من بعثك قال اى ور بى انه بعثنى على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد و بين الله فى عين الاستقامة فى الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر و بين السخاء والبخل و بين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والجمود ولهذه الخصال وأمثالها طرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هى المعبر عنها بالدقة والحد واليه الاشارة بقوله تعالى فاستقم كما أمرت وأما الصراط الثانى فهو الاخروى الحسى وهو فى الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور فى الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك فى

الحق تعالى بضر فاسأله فى رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وما يمالك صابرا الامن حيث حبسك الشكوى عن الخلق لا عن الحق فافهم وما قص الله عليك قول أيوب مسنى الضر الا لتهتدى بهداه واذا كان يقال لسيد البشر فبهداهم اقتده فما ظنك بغيره * وقال لا تقل قط ان الحق تعالى وصف نفسه بما هو انا مما لا يجوز عليه كالنزول والاتيان والضحك ونحو ذلك هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وان اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة اذ الممنوع انما هو نسبتها الى الحق على حد نسبتها الى العبد * وقال لا يلزم من الفوق اثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كما مر * وقال فى حديث ان أحدكم لا يرى ربه حتى يموت أى يراه بعد موته لا فى حال موته كما توهمه بعضهم فما نفى الشارع الا رؤية الله فى الحياة الدنيا لا غير * وقال انما قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولم يقل اذا قرأت الفرقان فاستعذ لان القرآن جمع فهو يدعو ابليس الى الحضور بخلاف الفرقان فانه يطرده * وقال من استفهمك فقد أقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن * وقال فى حديث والله أغير منى ومن غيرته حرم الفواحش أى جعلها حراما محرما كما حرم مكة وغيرها فمن وقع فيها فقد اثم من جهة انتهاك حرمتها قال الدنيا وقد تخيل الناس ان ذلك اهانة بالفواحش وليس كذلك وانما هو تعظيم لها من حيث انها شعائر الله وحرماته ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند

والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتى يوم القيامة بأعمال بنى آدم صورا قائمة مع كونها اعراضا كون الحق تعالى قادرا على ايجاد المحال وكون الانسان يشهد من نفسه قدرة خياله على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل فى المنام فى صورة مع ان ذلك محال فى جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال ان لا تعلم له صورة صورة وورد المحال ممكنا فاذا كان الخيال رتبته هذا مع انه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال فى الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال تصور الموت مع كونه نسبة فى صورة كبش أملح أى فى غاية الوضوح اذ الاملح الابيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا اعمال مقدور فأين حكم العقل وفساد تأويله وأطل فى ذلك * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى الباب الثلاثين من كتابه سراج العقول اعلم انه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك العدل الذى لا يظلم الناس شيأ ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجازى كل امرئ بما كسب نصب تعالى ميزانا فى القيامة عدلا يوزن به سيآت عبيده وحسناتهم اظهارا لعدله قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أى وان كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى ما لكم من اله غيره وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كانه قسم الخردلة ثمانية وأربعين جزأ مثلا هى حباتها كما ان الدرهم ثمانية وأربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية وأربعين جزأ من خردلة واحدة وفى الحديث مرفوعا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا الاعمال قبل ان توزنوا يعنى ان توزن أعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم أى كالوا لهم أو وزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى أوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيآت فى ميزان له لسان وكفتان كل كفة كاطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة قال حذيفة رضى الله عنه وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فاما المؤمن فيؤتى بعمله فى أحسن صورة فيوضع فى كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيآته فتنقل الى الجنة ويعرف بذلك وهو المفلح فى قوله فأولئك هم المفلحون واما الكافر فيؤتى بعمله فى أقبح صورة فيوضع فى ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع فى النار فيقال له الحق بعملك وفى الحديث مرفوعا ان لله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتى الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك بارفع صوته ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفى الحديث ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر أينجو أم يزل وعند تطاير الكتب فى الايمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر ايثقل أم يخف فهذه وأمثالها من الآيات والاخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وانما يتلجلج فى صدور المنكر ين له كيفية وزن الاعمال لكونها أعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان أيضا ولا يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس فى هذه المسئلة عشواء * وخلاصة المسئلة أن يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشياء انما هو ظهور مقاديرها وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبان لمعرفة أثقال الاحمال والاسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ههنا المقصود بوزن الاعمال فى القيامة هو ظهور مقاديرها التقابل بامثالها من الجزاء ثوابا كان أم عقابا ونحن نرى فى الدنيا آلات وضعت لعرفان مقادير المعانى فى الاشياء كالعروض جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من مزاحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه وكالحجر الذى يرفعه الاقوياء من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التى خلقها الله تعالى فى أعضائهم وليست هى منفصلة عنهم كذلك لا يبعد ان يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الاعمال التى هى أعراض فيعرف بها مقادير الحسنات والسيآت

الانفاس وما تعطيه من المعارف الالهية الا البهائم ألا تراها تشم بعضها بعضا عند اللقاء ولا (٣٠٩) ثم يشى الاوتحيل برؤيتها اليه تشمه * وقال اذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يغنى ولا يندك جبل هيكله فاعلموا انه محجوب ولكن له علامة وهو أنه اذا كان حاله لا يراه خلق الاصعق الا أن يكون مثله فان ثبت لتجلى الحق تعالى الا من أيده الحق وأما من يغشى عليه فى حاله ويتغير عن هيئته التى كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يغنى فاعلموا انه غير محجوب وما عنده من الحق شمة (قلت) المراد بالواردات الاحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى وخر موسى صعقا مع انه محجوب باجماع فافهم * وقال فى قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اعلم ان المراد باطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل والنهار هو ما بين الابتداء والانتهاء كما ان الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وما تعرض لذكر النهار فى هذا الحكم لانه قال ان لك فى النهار سبحا طويلا أى فراغا فالنهار لك والليل وأطراف النهار لى ومن كان مشتغلا بالله فى الليل وأطراف النهار كان الله له فى النهار لانه استعداد للتفرغ للحق فى الليل والاطراف * وقال الشريعة لباب العقل والحقيقة لب الشريعة فهى كالدهن فى اللب الذى يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه كما ان من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل

له التقدم والاسلام نال والالم يقبل * وقال أيضا الايمان تصديق فلا يكون الاعن مشاهدة الخبر فى التخيل فلابد من الاحسان والاسلام انقياد
والانقياد لا يكون الالمن انقاد طوعا وليس (٣٠٨) ذلك الالمن أحس بان الحق آخذ بناصيته فان لم يحس فما انقاد الا كرها والاحسان ان ترى

الكفة الاخرى * قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب السجلات التسعة وتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ اه * قال الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة من الفتوحات فى معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون اعلم أن ميزان يوم القيامة تظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا فى ظاهره وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه فهو الشقى وذلك لانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم أن الكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات أو الذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فان هذا ليس فى كفة اليمنى شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضرورى الذى ليس له فيه تعمل * قال الشيخ ولو أن الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلاشك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الاعمال وأما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بأن يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة الاخرى كما أشار اليه حديث يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فلهذا كانت كفة عمل هذا الذى ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة لها العلو كما ان الشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله تعالى فأمه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعة صاحبها وهى الموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وليست الا ما تعطيهم أوزارهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم * وحاصل ذلك ان وزن الاعمال ببعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وان وزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل اه وقال فى الباب الاحد وثلثمائة فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان انما وضع الله تعالى الميزان ليوزن به الثقلان وقوله أن لا تطغوا فى الميزان أى بالافراط والتفريط من أجل الخسران وأقيموا الوزن بالقسط أى مثل اعتدال نشأة الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان أى لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين الا بالفضل * ثم لا يخفى أن الميزان الذى يوزن به الاعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددى وهو قوله تعالى بحسبان وبين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون الا فى القبان ولذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه فى حق السعداء وأما من خفت موازينه فى حق الاشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من خفت كفة سيآته فهو كذا فعلم انه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيآت بالثقل أيضا اذا رجحت على الحسنات فلما لم يصفها الا بالخفة فقط عرفنا ان هذا الميزان على شكل القبان اه وقال فى الباب التاسع

انه يراك على المشاهدة *وقال ما أجهل من قال ان الله لا يخلق بالآلة وهو يقرأ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكيف بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا ان السيف آلة الله وأنت والسيف آلة له *وقال الاولى ان يقال ان الخلق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم *وقال التسبيح تجريح لان المنزه لا ينزه الا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فانه وجود فليس فى الحق نقص حقيقة ينزه عنه وايضاح ذلك أن التقديس الذاتى يطلب التبرى من تنزيه المنزهين فانهم ما نزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال فى ذلك *وقال من قتله أعداء الله ما مات بل جمع له بين الحياتين فان الله تعالى اعتنى بيحيى صغيرا وسلط عليه الجبار فقتله كبيرا وما حماه منه ولا يضره ذلك لان الصغير انما اعتنى به رحمة به لضعفه فاذا كبر وكل الى نفسه فان بقى فى كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وان ادعى القوة المجعولة ونسى ضعفه الذى كان له فى صغره

اضاعه الله فى كبره برد الضعف اليه وتأمل الصغير كيف يقبل ويضم الى الصدر مع استقذار بدنه وثيابه ويشتهى والده حياته والكبير والشيخ يستقذر ولا يقبل ويتمنى أهله موته *وقال فى قوله تعالى لنا لاضيع أجر من أحسن عملا والتمنى من العسل فى تمنى أنه لو كان له مال تصدق

عقولهم ماليس في وسعها طمعا في أن ينالوا ما لا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال وان من هذا القبيل قراءة أهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولا شك انها بخلاف كتابة أهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التي لا تقرأ كأنها خط الملائكة ومن ذلك أيضا ما يخلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها على حالة لا توجد في الدنيا كما وردت به الاخبار الصحيحة في ثواب الاعمال وتلك الادراكات بلذاتها لا تضاهي شيأ من الادراكات التي تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت تشاكلها في الجنسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة شئ يشبه ما في الدنيا الا بالأسماء أصل كبير في هذا الباب قال الشيخ أبو طاهر فلعدم تلك الادراكات في الدنيا لا نجد في أنفسنا لذة النظر الى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة في الجنة كما لا يجد الصبي في صباه لذة الجاه لانه لم يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فأنكروا أمور الآخرة واذ قد صح لك ان العقل لا يطلع على كنه حقائق الاشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى أسرارها علمت ان غايته انه يقيس ما لم يره على ما يراه بأدنى شبه يكون بينهما وقد جاءت الشرائع بأشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن اذا حكم العقل بجوازها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر في الآخرة وكالوجه والقدم في صفات الله تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرائع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردوها الى علم سر القدر المنهي عن الخوض فيه وقالوا أقروها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه الى عقائدهم سبيلا لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من أزمانه صلى الله عليه وسلم التي هي زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فاما أن درج القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث في عقد القلوب وجال في الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الآراء وكثرت مقالات أهل الاهواء كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم الله تعالى اذ ألفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الامصار ودعوا اليها الاغبياء من الناس فشاعت البدع وفشا البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما قال تعالى في حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام يعني في أوله ثم لا يخفى عليك يا أخي أن المعتقدين اليوم وان صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما يتخالج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه أهل الاباطيل ولا يجدون أحدا من الائمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت أحدهم على دجز بين ضلوعه من تجسيم وتشبيه وتعطيل وأمور منكرة ولا يجسر أن يسأل أحدا عنها ولا يجد أحدا يشفي الغليل بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذي دعا المحققين من المتكلمين الى ايراد أمثلة كثيرة في مضايق المشكلات وكشف ما أمكنهم من المعضلات وتكرير العبارات في جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة يحتاج اليها من يطالع مثل هذا الكتاب فأمعن يا أخي النظر فيها يسهل عليك فهم كثير من آيات الصفات وتعقل أشياء كثيرة من محالات العقول

(المبحث التاسع والستون في بيان أن تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق)

كافر من فأشهدوا أنفسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الامر على ما هو عليه لذبوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذي هو المعصية فان الجوارح لا تعرف اذا شهدت الا الفعل خاصة وأما الحكم فلا فلو شهدوا بالفعل فقط لكان أقل فضيحة وأستر من شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فهم * وقال في حديث ان أصحاب الجد محبوسون انما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذي هو الفقر مع أن العبد كلما أنفق أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق فزاده حجابا ولو أنهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغناء بمضاعفة الحق لهم ما أنفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم الا ما ينفقونه لا غير * وقال لما انتقل العلم من الكون اليه بظاهر قوله حتى نعلم سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم ويسر به العالم بالله ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم فالاله هو علم والمحدث تعلم فاحمد الله الذي علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن العلم المستفاد للعليم يوهم الحدوث على هذا والقديم وان عاندت فافهم قوله ولنبلونكم حتى نعلم وبما حكم على نفسه فاحكم كنظائره من آيات الصفات وان سئلت عن كيف ذلك فقل الله أعلم * وقال الذي يظهر لي أن الحق تعالى انما قال مثل ذلك امتحانا لعباده ليتبين لهم مقامهم والاعيان هل يغلب ايمانهم على عقلهم فيؤمنوا بذلك من غير توقف أم يغلب حكم عقلهم على ايمانهم فيحصروا والله أعلم * وقال الدنيا حكم لباس لا تخص والام لا تتحكم على بنتها ومن اتبع المتشابه فقد ضل وزاغ وما على الرسول الا البلاغ والله أعلم * وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة وهو آخر

لاصحابها فيجازون بمقاديرها من غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا وقد علمت ان ذلك جائز في العقل وورد به الشرع فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل علم ذلك الى الله عز وجل كنظائره والله تعالى أعلم * فعلم انه ينبغي لكل من خاف من يوم الحساب ان يكثر من الاعمال الصالحة ولا يمل وذلك ليعطى منها لخصامه يوم القيامة فان الظالم اذا لم يكن معه شئ يعطيه لاخصامه طرح على ظهره من سيا ت خصمه ثم قذف به في النار فوالله ماخلفنا الا لامر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا ينبغى لاحد أن يستكثر قط أعماله فى عينه فان أعمال أمثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يحصل منها فى الميزان الاخروى مثقال ذرة لعدم الاخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة آمين آمين آمين

(خاتمة) فى بيان عجز العقول عن ادراك كثير مما غاب عنها من أمور الآخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات الى استقرار الخلق فى الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى مالا نهاية له وليس مع الخلق الآن الا الايمان بذلك على علم الله فيه اللهم الا أن يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رضى الله عنه واعلم رحمك الله أن تصور العقل لاحوال القيامة وما غاب منها مستبعد اولكن ينبغى للعاقل ان يعلم ان الله تعالى جعل آدم وذريته خلائف فى الارض وعمرها بهم قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض وقال تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ثم انه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة آتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم وقد خلقهم الله تعالى فى الدنيا للآخرة فأعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما الى تدبير معاشهم فى الدنيا وتهيئة أسباب معادهم حسب ماجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما ان العقول عاجزة عن معرفة الله عز وجل حق المعرفة لكونه تعالى غيب عنها فكذلك ماغاب عنها من أحوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال الملكين فى القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة وأوصاف الجنة والنار بحقائقها ورؤية الله عز وجل فى غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التى تستغرق فيها النفوس لاسيما لذة النظر الى وجه الله الكريم وألم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل بمجرده لا يستقل بدركه اذ العقل انما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الاوامر والنواهى فى دار التكليف ويعرف بها مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس والامور الاخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن أمور الآخرة الا على طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام فكان غاية النطق انه أخبرنا بها على الجملة ايجابا للايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك أو استحالته فاذا أخبرنا بها الصادق مجملة واستجازها العقل مرسلة وجب الايمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن أن يتشوف للطمع فى درك حقائقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما ان البصر عن سماع الصوت مردود اللهم الا ان يكاشف بعض الاولياء من أحوال الآخرة بشئ فى حال غيبته عن الخلق وشهوده الحق فانه فى ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لانه حينئذ يشاهد أمورا لا تتسع لها ظروف الحروف ولا تنتهى اليها العقول كما قال الشاعر

وان قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ أبو طاهر ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التى درج عليها المتقدمون مكتفين

---

*وقال جمال صورتك فى الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة فاجهد فى نفسك قبل أن لا ينفعك الندم * وقال مرتبتك عند الله فى التعظيم على قدر تعظيمه فى قلبك وحيائك منه فان اعتنيت به اعتنى بك وان استحييت منه استحيا منك وان لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك فان شئت أرجح وان شئت أخسر لاتلم الا نفسك * وقال العلم يقتضى العمل فمن قال ان العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جدا من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين فربما يقال لو كانوا عالمين ماخالفوا وهم عالمون بلاشك بأن الله تعالى حد لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعديها ففعلهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وماهم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين فما عصى الا من ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ماخالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمله فانه دقيق * وقال الامر الالهى لايخالف الارادة الالهية أبدا لانها داخلة فى حده وحقيقته وانما جاء الالتباس فى تسميتهم صيغة الامر أمرا وليست بأمر لمن تأمل فان الصيغة مرادة بلاشك وهذه الصيغ هى التى وردت على ألسنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله الا بهذا الاعتبار قال وبهذا علمنا ان النهى لآدم عن قرب الشجرة انما كان بصيغة لغة الملك الذى أوحى اليه به فما وقع العصيان الا لصيغة المترجم عن أمر الله بلغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فانه دقيق * وقال أخسر الاخسرين من عقولهم شاهد يشهد على نفسه كما أن أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو فى الطرفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا

أقوتهم على تحمل الأمانة ولو صغرت والخروج بالأعمال عن العيان ومن هنا كثر الناس من فشو أسرار الحضرة وزعموا أنه لو * وقال من كمل في مقام
العرفان شاهد الاسم الذي بيده الختم الالهي الذي ختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات ولا بد أن يدخلها كون بعد أن

ماذا أجبتم الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله الأنبياء وسؤاله لغيرهم فإن سؤاله للرسل يكون على تقرير النعم على طريق المباسطة وأما سؤاله لغيرهم فيكون في أمور قبيحة نسأل الله اللطف وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا وبسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة مع أن هذا كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فتشارك هؤلاء الأنبياء في سؤال تقرير النعم في هذه القصة وفارقوهم في سؤال التوبيخ والتقريع (فإن قيل) فما سبب شهادة الأعضاء على صاحبها ولم يكن يشهد على نفسه بلسانه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السبعين من الفتوحات أن سبب شهادة الأعضاء في تلك الذنوب فيستحيي العبد بين يدي الله عز وجل أن ينطق بها أو ينكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد أعضاؤه ثم يقبل الله شهادتهم لعدالتهم الأصلية من أصل الفطرة والأصل العدالة والجرح طارئ ويقدح من هذا سؤال وهو إذا كانت الأعضاء كلها تشهد وهي عدول فكيف تأثم الأعضاء في العذاب انظر يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الأعضاء انما هو لتلذذها بفعل ما نهيت عنه في دار الدنيا وكان بعضهم يقول في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم أن الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم انتهى فليتأمل * وقال في الباب الثامن وتسعين ومائة من الفتوحات اذا أخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم كقوله يا عبدي فعلت كذا وكذا في وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم * وقال في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم أن كل مسلم استحيا من الله تعالى في الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلا بد أن يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير في خدمة الله تعالى وما ثم غير هذين الطريقين قال وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن أن يقول له عبدي ما كان الذي وقع منك في دار الدنيا الا بقضائي وقدري لأنك موضع جريان أحكامي فيأنس العبد بهذا القول أشد الانس ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعالى في غاية الحسن ومن جانب العبد في غاية القبح فليس له أن يقول يا رب كيف تقدر على المعاصي ثم تؤاخذني وأما الحق تعالى فاذا قال للعبد أنت موضع جريان أحكامي فهو في غاية الفضل والاحسان لأن فيه اقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وازالة خجله ورفع وجله * قال الشيخ محيي الدين ولما ورد علي هذا التعريف الالهي في واقعة من الوقائع البشرية لم يسعني وجودي من الفرح حيث أطلعني على مثل ذلك انتهى * وقال في آخر الباب الثامن والثمانين وثلثمائة انما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أي معين علمه عندنا لأن الصبر يعم جميع الأعمال اذ هو حبس النفس على فعل الأعمال المكروهة فلهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الأعمال تأخذها انتهى (خاتمة) * قال في الباب التسعين من الفتوحات في قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا اعلم أنه لا ينبغي للعبد أن يقرض الله عز وجل لأجل مضاعفة الأجر يوم القيامة وانما ينبغي له أن يقرض ربه عز وجل امتثالا لأمره تعالى حيث أمره بالاحسان الى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن * وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه لنا ألا تراه تعالى قد سأل نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق أي الذي بعثه به لعباده اذ الألف واللام في الحق للعهد أي رب احكم بالحق المعهود الذي بعثتني به وعلى هذا تجري أحوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله تعالى يوم القيامة قبل فلينظر الى حكم الشرائع في الدنيا من غير

شهدت جمال الحق الأعلى وجه الخدمة والأمر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب ثم ان ما وقع بعد ذلك الختم من تعلق الخاطر بحب جارية مثلا فانما ذلك بحكم الطبع لاجابة الامر الرباني المختوم عليه الذي هو بيت * قال وأما أسرار العامة فقد ختم عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لجبة الله فهي تخبط عشواء * وقال عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق اذا تجلى بخلاف معتقدك في الآخرة فان كل من لا معرفة له بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقر بما كان ينكره أولا وهذه الحقيقة هي التي تمد المنافقين في نفاقهم والمرائين في ريائهم ومن جرى مجراهم * وقال في قوله تعالى ومكر الله والله خير الماكرين المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فمكرهم هو العائد عليهم فالمكر ما ثم يخرج عليها فافهم * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قاله العرب

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان

المقام اذا غلب على صاحبه يرى ان ما سوى الله باطل من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم قال وهذا من بعض الوجوه التي امتاز الحق تعالى بها من كونه موجودا لذاته وموجدا لخلقه مع انه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه

لورود النصوص به لكن لا يخفى ان الناس يتفاوتون فى ذلك فأما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره فأما الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم وأما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قاله الشيخ محيي الدين قال لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذى يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام فى ظاهره ليحفظ دمه وأهله وماله وهو فى باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد الا الله * وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا بترك العمل به فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه بعضهم فان هذا حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن انه لن يرجع وهذا هو الذى يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت انك ملاقى الحديث قال وليس أولئك الا الائمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم * قال الشيخ محيي الدين ثم لا يخفى ان هذه الكتب التى كتبتها الحفظة فى الدنيا خاصة بأعمال المكلفين وأقوالهم وليس فيها شئ من عقائدهم الا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فان الملائكة لا تكتب من أقوالهم الا ما تلفظوا به اهـ * وقال الامام الغزالى رحمه الله فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم ان الملكين يوكلان بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان أحد الملكين يهديه والآخر يغويه ورتبة الهادى أعلى من رتبة المغوى وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم أعوان الملك الاعظم الذى هو صاحب القلم عند أكثر المحققين قال ثم ان الملكين يكتبان الحسنات والسيآت كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا لانهما انما يكتبان فى صحف مطهرة مطوية فى سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا اذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا يدركه أبصارنا فى عالمنا هذا ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند النزع لقوله فكشفنا عنك غطاءك ومرة فى القيامة على رؤس الاشهاد قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هنالك طائرة من الهواء وهو قوله طائره فى عنقه على أحد التفاسير ثم اذا قرأ كل أحد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب أعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطوطا بيضا وصاحب السيآت يجد كتابه خطوطا سودا * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى وأصحاب الكتب يومئذ اذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بالهام من الله تعالى فنسألك اللهم أن تؤتينا كتابنا بأيماننا وتدخلنا جنتك بايماننا ولا تفضحنا يا أرحم الراحمين * وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدى الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فياله من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل وفى الحديث من نوقش الحساب عذب * قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والستين وثلثمائة والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الاعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام فى حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول

الا بوابا اعلم أن يد الله التى هى القوة مع الجماعة وما غلبت قط جماعة الاعند افتراقهم وكذلك جماعة القائمين بالدين لا يغلبون قط فى أمر قاموا فيه وكل من عارضهم خذل فاذا تفرقوا غلبوا وكذلك جماعة أعضاء الانسان اذا اجتمعت لا يغلبها قط شيطان فاذا تفرقت غلبت * وقال اذا أشعرت قلبك ذكر الله دائما فى كل حال فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف واذا جاءك الكشف جاء الحياء يصحبه ولا مناعلى ذلك استحياؤك ممن جارك وممن ترى له حقا وأطال فى ذلك * وقال فى حديث من هم بحسنة فلم يعملها فانا اكتبها له حسنة ثم مالم يعملها ماهنا ظرفية فكل زمان يمر على العبد وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله يكتب له حسنة بلغت تلك الازمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حدث نفسه بعمل تلك الحسنة حسنة قال وكذلك القول اذا حدث نفسه بعمل سيئة فان ما فيها ظرفية كما قلنا فى الحسنة سواء من أنه يكتب عليه سيئة مادام يحدث نفسه بعملها بالغ ذلك الزمان ما بلغ ثم ان العبد اذا عمل الحسنة التى حدث بها نفسه أو السيئة التى حدث بها نفسه فان الله يكتب الحسنة بعشر والسيئة بواحدة عملا بالعدل فى الثانية والفضل فى الاولى * وقال أعلى المشاهد فى السماع من الحق بالقلب ان تحضر بقلبك مع روح محمد صلى الله عليه وسلم فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان خطابه لنبيه ليس كخطابه اياك وحدك لان حضرة الربوبية ربما يسمع العبد فيها ما لا يقال فتكون فى ذلك تبعا للنبى فان قال فقل وان ماذا كتم فاكتم وما من حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبى أو ولى الا وكلمة الحضرة مصروفة اليه * وقال أكابر الرجال أغناهم العيان عن الايمان

ذرة من ايمان فهي خاصة به ليست لاحد من الانبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره * خامسها في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوزالامام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم * سادسها في جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى * سابعها فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به * قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعته في المؤمنين وفي البرزخ وكلامنا انما هو في شفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين وغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر * ثامنها في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وهذه الثلاث الاخيرة ذكرها بعضهم وأضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه قال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد وسبعين وثلثمائة واعلم أن الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع أن يشفع فاذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعاتهم ما شاء ورد منها ما شاء قال ويبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم في قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما أراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم ويرفع الشقاء عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي أي شفاعة الحق مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة لان الله تعالى يقول سبقت رحمتي غضبي شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فدل بالمفهوم انه لم يشفع فيتولى بنفسه اخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار الى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الله الجنة برضاه ورحمته * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم ان لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم لله عز وجل فقط قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الاخلاق من العصاة قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وآخرهم شفاعة التسعة عشر التي على جهنم وأما شفاعة النبيين فتكون في المؤمنين خاصة والمؤمنون قسمان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى الامم والخبر هو متعلق الايمان والقسم الثاني مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه وأهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين هم فوقه في الدرجة بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بأنفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الشفعاء كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين اهـ * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا في حق قوم ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وسلم انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك طلبا لموافقة الحق تعالى في غضبه عليهم اذ العالم بالامر لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف في المسئلة ويشفع فيمن كادت تهوي به الريح في مكان سحيق فهي شفاعة فيمن ارتد عن فعل شيء من فروض الاسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين اهـ * وقال في الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عز وجل لانه أوتي جوامع الكلم فيحمده في ذلك المقام الاولون

من كان من اهل الكمال فهو محجوب عن غيب الاكوان حتى انه لا يعرف ما في جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونهم اين يديه جهلا لا اغفلة عنها ولا نسيانا وذلك لما حققها الحق به من حقائق الوصال قال سيدهذا المقام أنتم أعرف بمصالح دنياكم * وقال ايا كم ان تعترضوا على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الاطلاق فان لهم القدم الراسخ في الغيوب وان كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون الى الله على بصيرة لصدقهم في الاتباع بوقوفهم على حد ما ورد وأهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غدا فليسوا على بصيرة اذ البصيرة لا يرتفع حكمها الا بورود أمر جديد من الشارع * وقال من الاولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من يطلع على الاقدار قبل نزولها الى الارض فان القضاء يدور في الجو من مقعر فلك القمر الى الارض ثلاث سنين وحينئذ ينزل وهذا المقام يسميه القوم فهم الفهم * وقال الكامل لا يقول اللهم لا تفضح سرائرنا لاستواء سريرته وعلانيته وانما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال قال ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع المالقي الكفيف الاندلسي أنه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشي المبتلى يقول اللهم لا تفضح لنا سريرة فقال له الشيخ يا محمد ولاي شيء تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك مع الله فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ * وقال اذا جعلك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير في الوجود واذا جعلك بك فرقك عنه فقمت في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وذلك مقام الخلافة فاختر أي الحالين شئت قال ولا

زيادة ولا نقصان فكن يا أخي على بصيرة من شرعك فانه عين الحق الذي اليه مآلك يوم الدين انتهى * وقال في الباب الاحد وخمسين وخمسمائة في قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اعلم أن الحق تعالى اذا حكم يوم القيامة في الامور بنفسه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه هو دون رسوله والمؤمنين على حسب ما يراه في العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما يراه رسوله صلى الله عليه وسلم في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون يعني الائمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا وجمع الرسول والمؤمنين معه تعالى في الحكم بما يرونه مع أن كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالاصالة وقد قال بعض المحققين اذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقي في جميع أحكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض أحكام القضاة بالبطلان انظر انتهى * قلت انما صح لنا وصف بعض الاحكام بالبطلان عملا بالشريعة التي تعبدنا الله تعالى بالعمل بها في هذه الدار دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يأمرنا بالحكم بها في هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها الشريعة لا لمخالفتها لها في نفس الامر كما قاله المحققون والله أعلم

(المبحث السبعون في بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا أحد يتقدم عليه)

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع زاد في رواية ولا فخر قال العلماء وانما خص يوم القيامة بالسيادة لانه يوم ظهور ها لكل أحد كقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته فانها لا تخلو من منازع * قال الشيخ محيي الدين وانما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد علامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول أنا لها أنا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه الى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك ودام معه الى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الامة وانما قال في آخر الحديث ولا فخر أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لغرض صحيح وكذلك تزكية جميع الائمة لانفسهم لا يكون الا لغرض صحيح فانهم منزهون من رؤية فخر نفوسهم على احد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال حتى يرى نفسه انها ليست بأهل ان تنالها رحمة الله عز وجل * قال الجلال السيوطي وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات * أولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق واراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم * ثانيها في ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقال لم يرد في ذلك شئ وكان الشيخ محيي الدين يقول في معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم وفكرهم ان الله يدخلهم الجنة أبدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضا * ثالثها فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة به قال السبكي لانه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته * رابعها في اخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من في قلبه مثقال

اشتراك بوجه من الوجوه * وقال لما كان الانسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود حقيقة بتلك الحقيقة ينظر الى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة فمتى ما أوقفك الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة أنا معك بكليتي ليس أنا غيرك وأنا معك بالذات فاذا سمع ذلك اصطفاك وأعطاك جميع ما في قوته من الخواص والاسرار وهذا لا يتحقق به الا من ذاق تجلي معية الحق مع كل شئ * وقال ما استكبر مخلوق على آخر الا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع * وقال كل من قيده الظرف فهو محصور في قيد الامن محبوس في ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا من عنده فماله من نور من ذاته * وقال اذا عرفت الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد على وجه الاحاطة * وقال احذر ان تدعي الوصلة وجمع الشمل فاني أخاف عليك ان يكون جمعك بك لا به فتكون في عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك قال وعلامة صحة الوصلة بمشاهدة الحق أنك اذا عكست مرآة قلبك الى الكون عرفت جميع ما في ضمائر الخلق ويصدقك الناس على ذلك الكشف * وقال من كان يأخذ معرفته بالحق من الحروف فهو جاهل به فان الحروف التي أخذ عنها معرفته تحجبه قال وهذا من الذين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أخذه من الحرف فهو من الكون ذرة الى الكون يتردد بداية ونهاية وان كان لهذا أجر الاجتهاد والدرس فالاجر كون أيضا فاخرج هذا من رق الكون ورق الحرف * وقال

وقال الخريطي ليست الجنة التي أخرج منها آدم هي الجنة الكبرى المدخرة في علم الله تعالى فان تلك لا يصح فيها معصية لآدم ولا اباية لابليس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التي لا حجاب فيها ومعلوم ان المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هي جنة البرزخ التي هي فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال وجنة البرزخ هي التي ترى في دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار في مقامي هذا ذكر أنه رأى عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وذكر انه رأى المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى الى الآن وانما هم محبوسون في البرزخ هكذا قالا فليتأمل ويحرر * وقد حبب لي أن أبسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لانهما محل محط رحال الاولين والآخرين فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس والعشرين ومائة اعلم ان الدنيا أكمل نشأة من الآخرة لان الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما في الدنيا الا في موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الاعراف الى السجود فيسجدون فترجح بتلك السجدة ميزانهم وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد أمرنا بالاحسان الى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الا القليل من الناس ومعلوم ان الدنيا هي أمنا التي ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد في الحديث ومن لعن أمه فهو عاق لها بلا شك وليتأمل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها في قولها لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفي الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بأنها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشرور وتهرب بهم منها وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما أنزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها البررة واعجبا منا كيف لم نتبع اخلاق أمنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت أمنا فينبغي لكل عبد أن يراقب حال أمه فان الطفل لا يفتح عينه الا على أمه ولا يبصر الاها ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا ومن أخلاق الدنيا انه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها الى الآخرة لانها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم ومن عقوقنا لها اننا ننسب الشرور والانكاد اليها والحال انها أحوالنا ما هي أحوالها والشر انما هو فعل المكلف لا فعلها هي ومن أشد ما عليها هي أيضا نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع انهم ما عملوا ذلك الا في الدنيا وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها اه * ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول اعلم يا أخي ان جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله تعالى في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الآبدين ودهر الداهرين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحر على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها انما هو هواء محرق لا جمرة لها سوى بني آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون فأثبت أن الجن لها * قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والستين من الفتوحات اعلم ان الله تعالى يحدث في جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها قال وقد أوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة على صورة

البيت حور والسائل ارحل * وقال ولما غاصت رجل جمل ابن عطاء قال ابن عطاء جل الله فقال الجمل جل الله عن اجلالك هذا فانه كما يطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من أسفل وفي الحديث لو دليتم بحبل لهبط على الله قال فكان الجمل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه * وقال التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه الا الحق فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق لا يكون معه علم ولا هم ولا اختيار ولا شيء والعاقل لا يدخل دارا لا يعرفها فربما كان فيها مهاوي ومهالك فهلك لا يعرف الدار الا بانيها وقد بنى لك الحق تعالى دار اله لتعمرها به ما أنت بنيتها أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويسلك فيك * وقال كم ماش على الارض والارض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله وكم داع لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ووقفت الحكمة ونفذ الامر فلا زيادة ولا نقصان لا راد لامره ولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب وسقط في الايدي وتلاشت الاعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور وأهلك الكون السالخ والخالع يسلخ من هذا ويخلع على هذا * وقال أكثر من قول لا اله الا الله فانها كلمة الاسلام وهي أفضل الذكر لما تحتوي عليه من زيادة العلم لجمعها بين النفي والاثبات * وقال اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطيئة لا يشركون بالله شيئا فان الله يلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على

والآخرون ويرجع الى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمل يصح أن يشرع كذا لا يصح أن يخرج عن شفاعته أحد وأطال في ذلك ثم قال في الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدى الله عز وجل من غير أن يتقدمه اذن من الله عز وجل في ذلك السجود لان السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكون في عين جسم محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التى ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم محمد صلى الله عليه وسلم بين يدى الرب جل وعلا كما يليق بجلاله في ذلك اليوم الاعظم ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب الحادى والسبعين في أسرار الصوم ثم اعلم ان فتوة أولياء الله تعالى اذا أذن لهم في الشفاعة أن يبدؤا بالشفاعة فيمن آذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى في الآخرة عند الله تعالى من التقريب واجابة السؤال وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك وهنالك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذى حصل لهم من أولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم قال وانما لم يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن أحسن اليهم واعتقدهم في دار الدنيا لان المحسن مطمئن بما قدم من الاحسان فعين احسانه يكفيه ويكون شفيعاله عند الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان اه (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح في دار الدنيا عن كل من سبه أوذمه أو أنكر عليه ليوافى القيامة مغفوراله ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أو أنكر عليهم من أهل الله عز وجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو أنكر عليه والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والسبعون في بيان أن الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام)

كما تقدم بسطه في المبحث الثانى من الكتاب في حدوث العالم وذكرنا هنالك ان خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان أعمال كل مكلف تأتى على حسب ما سبق له في دار الجنة أو النار وزعم أكثر المعتزلة انهما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أنهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين وقصة آدم وحواء واسكانهما الجنة واخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن في قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها وكحديث لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواهما البخارى وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة والنار في عدة أحاديث وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكاليف فهما بمثابة سور الدار الذى بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران ويبنى حتى ينتهى البناء لانهما انما يبنيان من أعمال المكلفين من خير أو شر فمن نظر الى السور من خارج قال انهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقى من أعمال المكلفين في هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الحديث فان القيعان هى التى لا بناء فيها ولا شجر وفي الحديث أيضا من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة في الجنة اه

يحوى أن جمعك بك أعلى من جمعك به لأن جمعك بك يكون الحق مشهودك وفي جمعك به غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم * وقال احذر من لذة الاحوال فانها سموم قاتلة (٣١٦) وحجب مانعة فانها أى الاحوال تسيدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلط عليهم بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فانه أشرف مقام لانه لا يزيدك الا معرفة بنقائصك قال والاحوال كالبروق فكما لا تفوتك فكذلك لا تفوتها أنت فانها نتائج الاوراد وكل من طلب ما لابد له منه فهو جاهل وما اتخذ الله من ولى جاهل * وقال العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيرجع من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون فيتولد عنده صمم عن سماع نداء الحق فاذا نودى من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك * وقال اياك ان تدعى معرفة ذات خالقك فانك في المرتبة الثانية من الوجود وان فنيت فما عرف الواحد تعالى الا هو فحل معنى التوحيد عن الذوق وما لنا منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد * وقال لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل * وقال اجتمعت روحى بالحلاج فقلت له لم تركت بيتك يخرب فتبسم وقال لما استطالت عليه أيدى الاكوان حين أخليته وخلفت هرون في قومى استضعفوه اخوتى فاجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت رددت اليه بعد الفناء فاشرفت عليه وقد حلت به المثلات فانفته نفسى وقلت لا أعمر بيتا تحكمت فيه يد الاكوان فانقبضت عن دخوله فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن

الثامن الذى هو باب الحجاب عن رؤية الله عز وجل فلا يفتح لاهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار (فان قلت) فما حد جهنم (فالجواب) ان حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك كله يزيد فى جهنم اتساعا عما هى الآن عليه حيث لا مخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت أى أججت نارا من سجرت التنور اذا أوقدته قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم أحب الى من البحر قال الشيخ محيى الدين وأهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الآن يتأجج نارا (فان قلت) فمن أشد الخلق كلهم عذابا فى النار (فالجواب) أشدهم عذابا ابليس لانه هو الذى سن الشرك وكل معصية (فان قلت) ان ابليس مخلوق من النار فكيف جعل الله تعالى عذابه بما خلق منه (فالجواب) ان الله تعالى على كل شئ قدير ألا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فأحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته (فان قلت) فقد وردانه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه أم من داخله (فالجواب) لا يأتيه الزمهرير الا من ذاته لانه أحد أركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان فى دار الدنيا فيتألم بها فيأمره الطبيب بالفصد فلولا انه فصد لربما مات وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من أركانه حتى الماء والهواء (فان قلت) فكم عدد دركات النار (فالجواب) عددها مائة درك لانها فى مقابلة درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون ولهم من الغضب الالهى الحال بهم آلام مخصوصة (فان قلت) فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها (فالجواب) هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات وترجع الاربعة أقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها الى الجنة أبدا القسم الاول المتكبرون عن أمر الله كفرعون والنمرود وأبى لهب وأضرابهم الثانى المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها آخر الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الاله جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من أهل هذه الاقسام الثلاثة للقهر الذى حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهو فى أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث فهؤلاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وانس اه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون ولو انه كان يقول به ما صرح هنا بانه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة الى ذلك فى الخطبة واما انه كان تبع فيه القاضى أبا بكر الباقلانى فانه قائل بقبول ايمان فرعون لان الله تعالى حكى عنه انه قال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك وقد انعقد اجماع الائمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك ان تنقل عن الشيخ محيى الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وتخرق الاجماع لا سيما والفتوحات من أواخر مؤلفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل فى النار دركات اختصاص نظير ما فى الجنة من درجات الاختصاص التى ليست هى فى مقابلة عمل (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ليس فى النار دركات اختصاص الهى ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا انه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها الا

الكامل المكمل * وقال قم فى الاسباب من غير اعتماد عليها فان الله ما نهاك عن القيام فى الاسباب وانما نهاك عن الركون اليها والاعتماد عليها كما أشار اليه قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعنى هذا الشرك الخفى الذى (٣١٩) هو الاعتماد على الاسباب فان رأيت نفسك يا أخى تسكن الى الاعتماد على الاسباب فاتهم ايمانك وان رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب فاعلم انك مؤمن حقا وهذا يرزقك الله من حيث لا تحتسب فمن ادعى كمال التوكل ورزق من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل قال ومن الرزق الذى لا يحتسبه العبد ان يأكل مما فى خزائنه وتحت تصرفه وهو غير معتمد عليه لانه ليس فى حسابه ان الله يرزقه ولا بد من الذى هو حاصل عنده فما رزق هذا الا من حيث لا يحتسب قال وهذا أمر دقيق لا يشعر به الا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك * وقال احذر أن تريد فى الارض علوا أو فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فان أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها الا الحق وذلك بان يرزقك الرفعة فى قلوب الخلق وايضاح ما قلناه ان الله تعالى ما أنشأك الا من الارض فلا ينبغى لك أن تعلو على امك واحذر ان تتزهد وتتعبد وتتكرم وفى نفسك استحلاء ذلك لكونه رفعك على اقرانك فان ذلك من ارادة العلو فى الارض * وقال انما رغب الشارع أمته فى ترك الجدال والمراء وان كان محقا خوفا ان يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل مثلا حين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه ثم ان النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له انما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن لا لنصرة الاقوال الواهية التى قال بها امام مذهبه وما علم هذا ان الله عند لسان كل قائل بل المجادل فى عين حضرة الحق وان

الجاموس قال وهكذا رأيتها في كشفي ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطنعون فيها المقامع قال وكذلك رآها أبو الحكم بن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت لبعضهم صورة حية فتخيل أن تلك الصورة هي التي خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك قال الشيخ محيي الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكان الشمس والقمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي فكان فيها لاجل ذلك الحر والبرد وانما كان فيها الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلي قوله في صحيح مسلم جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وظمئت فلم تسقني فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق الله فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس متى دخلوها وأما اذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ملتذون يسبحون الله لا يفترون وأطال في ذلك ثم قال ومن أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم كبراء الصحابة أن ذلك الحجر هو ذلك المنافق وانه من حين ولد يهوي في نار جهنم بأعماله في علم الله وان لم يكن مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله اياها انما هو ليعتبروا فانظروا وما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سألت الله تعالى أن يطلعني على جهنم وأهلها فأطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا أنه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب منعنا أن نتعدى مقام الادب معه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت أهلها يتخاصمون مع أئمة الضلال الذين أضلوهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام أرباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب ادحاض حجج بعضهم بعضا فأنا كلما أرى خصام أرباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ أتذكر خصام أهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتأدب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الائمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم * قال ولما أطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ما شاء الله ان أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور نارا وكل عمل يتطور نعيما وعلمت أن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم حقيقة وانما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك

النار منك وبالاعمال توقدها * كما بأعمالها في الحال تطفيها

فأنت بالطبع منها هارب أبدا * وأنت في كل حال منك تنشيها

الى آخر ما قال اهـ قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه أن يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ولعل قوله نزلت أي اطلعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله أعلم فعلم ان جهنم انما هي دار سكنى لاهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا الباب

عداوته لله فلا تتخذه عدوا وأذل أحوالك اذا جهلته أن تهمل أمره فاذا تحققت انه عدو لله وليس الا المشرك فتبرأ فلا تعاد عباد الله بالامكان ولا بما ظهر على اللسان وانما تعاديهم بالعلم وأني لك به وأطال في ذلك ثم قال وعليك بالشفقة والرحمة لجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما نفعله معهم نعم معهم الخبر وأنت الذي ما عندك خبر * وقال احذر ان تحتقر شيئا من عملك فان الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا لما كلفك به من الفعل وسببا لوجوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فان قولك معدود من جملة أعمالك وفي الحديث ان الله عند لسان كل قائل فمانهاك الله ان تتلفظ به فلا تتلفظ به وان لم تعتقده فان الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فانه ما منعك الا لتصبر فيحبك فانه يحب الصابرين وما أعطاك الا لتشكر فيحبك فانه يحب الشاكرين * وقال في حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم انما قال ولجاء بقوم وما اكتفى باذهابهم لئلا تتعطل الاحكام الالهية فانه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب الا ليستغفروه فيغفر لهم * وقال الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع صلى الله عليه وسلم أولى من التسنين وأكثر أجرا وان كان ذلك بدعة حسنة فان من سن فقد كلف الامة ما يشق عليها ولو كان ذلك محمودا لكان صلى الله عليه وسلم أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فعلم ان كل من لم يكلف الامة بما كثر عملا وردفهو حكيم الزمان فانه لا أعلم بما وضعه

كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين من الفتوحات ان جهنم تكون على المجنبة اليسرى لان آثار الله تعالى الانكشاف بحجاب ثم يقال أين الملائكة وخرج على عسكره فشاهدوه وقد سمى الله تعالى نفسه مالك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذي يجتمع فيه الخلائق أجمعون فياله من يوم ثم ان الملائكة الذين نزلوا من السموات تصطف سبع صفوف محيطة بالخلائق أجمعين فاذا أبصر الناس جهنم ولها فوران وتغيظ يفرون باجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر لانه ما ثم جمع أكبر منه قط ولا يسلم من ذلك الفزع الا الطائفة الذين قال تعالى فيهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فهؤلاء هم الآمنون على أنفسهم غير ان النبيين منهم يفزعون على أممهم خوفا عليهم للشفقة التي جبلهم الله تعالى عليها وكذلك كل داع الى الله تعالى من كل وارثيهم فيقولون كلهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم قال وينصب الله تعالى للآمنين منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مستبشرين وذلك قبل مجيء الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السموات صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة ودعت المل الى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادي بعضهم بعضا وذلك قوله تعالى اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم يقع النداء من قبل الحق جل وعلا * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله فلا أدري أذلك من نداء الحق تعالى بنفسه أو هو نداء عن أمره يقول في ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أولى بالكرم ثم ينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادي ثانيا أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي ثالثا أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاذا أخذ هذه الطوائف الثلاث الى الجنة خرج عنق من النار له عينان ولسان بليغ فصيح فاذا أشرف على الخلائق الذين في الموقف قال يا أهل الموقف اني وكلت اليوم منكم بثلاث كما قال في النداء الاول بالنسبة الى أهل الجنة كما مر * قال الشيخ وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب لهول ذلك المطلع قال ثم اذا أشرف ذلك العنق من النار على الناس قال اني وكلت بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فاذا لم يترك منهم أحدا نادى ثانيا اني وكلت بكل من آذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم انه ينادي ثالثا اني وكلت بكل من ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط أهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون الصور في الكنائس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال أتعبدون ما تنحتون فانهم كانوا ينحتون لهم الاشجار والاحجار ليعبدوها من دون الله عز وجل فهؤلاء هم المراد بالمصورين في الحديث فيلتقطهم من بين الصفوف فاذا أخذهم الله تعالى عن آخرهم وبقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد أولئك من عبادتها فيسألون عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها اولئك وابنا فيجيبون كما في البخاري انتهى. (قلت) ولا يخفى حرمة التصوير للحيوانات وان لم تعبد والله اعلم وقد ذكرنا حديث مواقف القيامة الخمسين موقفا كل موقف منها ألف عام في أواخر كتابنا المنهج المبين فراجعه ترى ما تشيب منه الرؤس وتذوب منه الاكباد مما نحن في غفلة عنه الآن فنسئل الله الموت على الاسلام آمين (فان قلت) ان طعام أهل الجنة في مأدبتهم التي في المرج زيادة كبد الحوت فما طعام أهل النار قبل دخول النار (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين ان طعامهم في مأدبتهم المذكورة طحال الثور الذي هو بيت الاوساخ المجتمعة من سائر البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطى ذلك الطحال لاهل النار قبيا كلونه ومعلوم ان الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور وأهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدم لانه لا يموت أهل النار وما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد اللازم لا يحيون ولا ينعمون اعمارهم الا كل منه سقما ومرضا بخلاف مأدبة أهل الجنة فانها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو

ماء الحوض

بأعمالهم التي عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فانهم ينعمون فيها بأعمالهم و بغير أعمالهم في جنات الاختصاص اذ الجنات ثلاثة جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتي بيانها في الكلام على الجنة ان شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله انه ما أنزل أهل النار الا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الائمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فانهم هم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فما أنزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود من جملة أعمالهم بخلاف أهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق باعمالهم كما في الكفار و يزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص (فان قلت) فمن أين جاء تقسيم أهل النار الى أربعة أقسام (فالجواب) لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي المتكبر من عن يمينه و يأتي المنافق من عن شماله و يأتي المعطل من خلفه (فان قلت) فما الحكمة في الاتيان من هذه الجهات المخصوصة (فالجواب) الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فانما جاءه من بين يديه لان المشرك رأى بين عينيه جهة عينيه فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعل له ابليس يشرك بالله في الوهيته شيأ يراه و يشاهده وأما المتكبر فانما جاءه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر بالقوة التي اختص بها من نفسه وأما المنافق فانما جاءه من جهة شماله التي هي الجانب الاضعف لان المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال في العادة أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله وأما المعطل فانما جاءه من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه الجهات * قال الشيخ ولهذه الطوائف الاربعة من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة أقسام التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات وبها أظهر الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل شخص عما أضمره في نفسه من ايمان أو كفر أو كذب أو صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده بما تلفظوا به (فان قلت) فما أسماء أبواب جهنم وما الطوائف الذين يدخلون منها (فالجواب) أما أسماؤها فباب الجحيم و باب سقر و باب السعير و باب الحطمة و باب لظى و باب الحامية و باب الهاوية سميت هذه الابواب بصفات ما وراءها مما أعد له وأما تعين الطوائف الداخلين من كل باب فهي مبينة في القرآن قال تعالى في أهل الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين وقال في أهل سقر ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في أهل السعير وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال في أهل الحطمة ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده الى آخر النسق وقال في أهل لظى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى وقال في أهل جهنم وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وقال في أهل الهاوية وأما من خفت موازينه فامه هاوية وقد نظم هذه الابواب على الترتيب سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله فقال

جهنم ولظى والحطم بينهما * ثم السعير وكل الهون في سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * ثم سوى بهم أبدا سحقا لمنحدر

(فان قلت) فأين تكون جهنم اذا أتى الحق تعالى يوم القيامة في ظل من الغمام كما يليق بجلاله (فالجواب)

م... وقال لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يتخلق كريم يوافق مزاج كل الناس أشغلوا نفوسهم بما يرضى الله عز وجل فقط فالمؤمن يرضيه ما يرضى به الله والمنافق لا يبالي بسخط علمنا في ذلك لانه عدو الله * وقال عليك بمشاركة جميع أصحاب الهموم والرزايا في أنفسهم وأموالهم وأولادهم واخوانهم ان أردت أن تثبت لك اخوة الايمان فان الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الانسان الواحد واحذر من الاكتراث بما يصيبك من الرزايا في هذه الدار فان الله ما ابتلاك بها الا لتمحيص الذنوب حتى تلقاه طاهرا مطهرا من الذنوب فاشكر الله على ذلك * وقال عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم و بعض المتصوفة زاعمين انهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فان القرآن مادة كل علم في الدنيا فلا تمكن من يهجر تلاوته بل اتله ان استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم كما كان عليه الائمة المجتهدون وانظر في تلاوتك يا أخي الى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فان الله ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه الا لتعمل به فاذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل * وقال حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وان مات كانت حياته أحيى وأتم من حياة الشهيد في سبيل الله الا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيرا فان له كما

وأشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما تقتضي نبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل تحتها لما فيه من الحرارة الطبيعية لأنه معفن والحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين اهـ (فإن قلت) فهل لأهل النار أن يتبوؤا من النار حيث شاؤا كأهل الجنة أم هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وثلثمائة أن أهل النار لا يتبوؤن وإنما هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون وإيضاح ذلك أنهم لو كان لهم التبوؤ حيث شاؤا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فإن العذاب المستصحب أهون من العذاب الجديد فلو كانوا ينتقلون من مكان إلى مكان لكانوا يذوقون في كل مكان ينتقلون إليه عذابا جديدا إلى حصول الإنضاج وذلك أشد العذاب (فإن قلت) فما الدليل على عدم تبوؤ أهل النار من القرآن (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي سجنا لأن الحصر نوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوؤ في النار كما مكر بهم في دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالألم أولا فإذا تخدرت أعضاؤه غاب عن الإحساس بالألم فهذا الجزء اليسير من عدم الإحساس هو من الرحمة التي سبقت الغضب في أهل النار في بعض الأوقات (فإن قلت) فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة (فالجواب) نعم يتزاورون لكن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المحرورون مثلا بعضهم بعضا والمقرورون بعضهم بعضا فلا يزور مقرور محرورا ولا عكسه وأطال في عذاب أهل الثنوية والتثليث في الباب الثالث وأربعين وثلثمائة (فإن قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البيهقي أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب وإن عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفي رواية أخرى عذاب أمتي في دنياها وإذا كانوا كذلك فأين العصاة الذين يدخلون النار من الموحدين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين وثلثمائة أن المراد بقوله ليس عليها في الآخرة عذاب أي مسرمد بدليل الأحاديث الصحيحة الواردة في دخول طائفة من هذه الأمة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم إماتتهم في النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لأن النفوس المتألمة هي الموحدة المؤمنة والإيمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب إلى غير نهاية فاحترقوا وصاروا حمما لأنهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به إذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وإنهم إن دخلوا النار فإنما ذلك تحقيق للكلمة الإلهية فلا يبقى في النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك اهـ (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى في أهل النار حين ذاقوا العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع أنهم قالوا في محل يصدق به المكذوب ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل (فالجواب) إنما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بلسان الحالة التي هي حالة بهم لظنهم أنها تدوم معهم إذا رجعوا إلى الدنيا وهي لا تدوم فإنهم إذا رجعوا إلى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين وهو عملهم بعمل الأشقياء لا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء * وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة أن الله تعالى خلق الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام

الناس والوحوش بعد أن أخرجت الأرض أثقالها ولم يبق في بطنها سوى عينها جيء بالعالم كما في الظلمة التي دون الحشر وقد أفهما حتى لا يرى بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والأرض حين تقع فتمد الأرض مد الأديم وتبسط حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتصير ساهرة لأنه لا نوم فيها إذ لا نوم لأحد بعد زوال الدنيا ثم يوضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه إلى المرج الذي هو خارج سور الجنة قال وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة فتكون في المرج وهي درمكة بيضاء نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين في أرض الحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب سور الأعراف بين الجنة والنار وقد جعله الله مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح إحداهما على الأخرى واعلم أن معنى قولنا إن لكل مكلف ميزانا تخصه أن كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا وهو واحد في نفسه لا موازين متعددة هكذا أطلعنا الله عليه في واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الإنسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعني بالميل إلى المعاصي والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك قال وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا لكنها مستقلة بعكس الدنيا فهي كتمثل الأعمال سواء ثم إذا وضعت الموازين لوزن الأعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة فقط دون الباطنة لأن الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهي الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بشكله قال وآخر ما يوضع في الميزان الحمد لله ولهذا ورد والحمد لله تملأ الميزان قال وإنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه يجعل هذا الخير

حينئذ حياتان حياة الشهادة وحياة الذكر فالذاكر لله حي وان مات وتارك الذكر ميت وان كان في الدنيا حيا بحياته الحيوانية وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت فيخرج من ذلك ان حياة الذاكر خير من حياة الشهيد اذا لم يكن من الذاكرين وفي الحديث ألا انبئكم بخير اعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة (٣٢٢) * وقال عليك بعلم الشريعة فان الشريعة هي سفينتك التي اذا انحرفت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤل عن اقامة حدود الله في رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف اقامة الحدود عليها الا بمعرفة شرع ربك * وقال أخلف ايعادك لا وعدك وسم اخلاف ايعادك تجاوزا حتى لا تسمى أنك تخلف ما أوعدت به ولو كان شرا فان الاحكام تتبع الاسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه سمك من حيوان البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا ما قلتم ما تقول في سمك البحر قال وهذا الذي قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بانفاذ الوعيد قالوا لاستحالة الكذب على الله في خبره وما علمت المعتزلة ان مثل ذلك لا يسمى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع فعميهم دليلهم العقلي عن علم الوضع الحكمي وهذا من قصور العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك بل الذي كان ينبغي لها النظر الى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الامة المخصوصة قال بعض الاعراب في مكارم أخلاقه

وانى اذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وأنجاز

لكن لا ينبغي أن يقال في حق الحق تعالى انه مخلف بل يقال انه عفو ومتجاوز عن عبده والله أعلم بالصواب

(واختم الكتاب بجملة صالحة في الكلام على يوم القيامة وما يقع فيه وعلى الجنة والنار اعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصا من أبواب الفتوحات المكية مشيدا بكلام بعض مشايخنا) اعلم أن الله تعالى اذا أمر اسرافيل أن ينفخ في الصور بعثر ما في القبور ثم حشر الخلق من

النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة عليهم في النعيم المقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى (فان قلت) فما سبب اماتة الله تعالى العصاة الموحدين في جهنم دون الكفار (فالجواب) سببها اكرام الله تعالى للجوارح التي كانت تسبح بحمده وتطيعه وانما وقعت في المخالفات من حيث انها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة السوء فلو وقوعها في المعاصي عذبت ولتوحيدها لله تعالى أخرجت لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم ان جوارح العصاة اذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبد الابد ليذوقوا العذاب وذلك لان معصيتهم بالكفر مستصحبة لا تفارقهم ولو أنهم كانوا بقوا أبد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم * وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم اذا عصوا يعقبهم الندم * وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الموفي ثلثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث طبيعته طائع لله خائف من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية الا وهي تناديه لا تفعل لا ترسلني فيما حرمه الله عليك فاني شاهدة عليك وتتبرأ الى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي اخواتها الا تفعلوا معصية انتهى (فان قلت) ان الله تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا لالم أشد من النار فهل يكون احراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق (فالجواب) نعم احراق الموحدين في النار دفع لما هو أشد منه وهو غضب الله السرمدي فما سكن الغضب الالهي الا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الانسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه وهذا من رحمة الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم مت مسلما ولا تبالي بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع فكانت النار لاصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد أنهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي بالنار الى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا في قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى آخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدون لان الله تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا لا يكون الا لكافر اذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فان الله تعالى يميتهم في النار اماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فاذا لم يحسوا بالعذاب في موتهم ليس لهم حظ في العذاب العظيم لانهم محرقون بالنار مثل الجمرات ثم ان النار تفعل بواسطة الجمرات التي ظهرت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في انضاج ما فيه ولولا انضاجه ما ساغ أكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت أرض الجنة وانها انما جعلت لتؤثر في فواكه الجنة النضج والاصلاح فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل في الاشياء هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا ألا ترى ان أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار

بين منه لاثر يدولا تنقص يرى فيه انبوبان انبوب ذهب وانبوب فضة وهولا يق بالسو ر ومن السور ينبعث الانبو بان فيشرب منه
ن واعلم ان الحوض والصراط يتلونان لشاكلة العلم والعمل وهما حقيقتا الشريعة وعلومها فالحوض علومها والصراط أفعالها فعلى
الاحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشي والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على
لورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه الصراط هنالك بقدر ما فرط فالصراط

حقيقة انما هو هنا لا هنالك
لانه لا يمشي العبد هنالك
الا على الصراط الذي أنشأه
بأعماله في دار الدنيا من
الأعمال الصالحة أو غيرها
فهو في دار الدنيا باطن لا يشهد
له صورة حسية عند العبد يوم
القيامة جسرا ممدودا على
جسر جهنم محسوسا أوله في
الموقف وآخره على باب الجنة
كما يعرف كل عبد اذا
شاهده انه بناؤه بجوارحه
وصنعته بيده قال ولا يمشي كل
انسان على الصراط الا في نور
نفسه فقط لان الصراط لا نور
له في نفسه ولا يمشي أحد عليه
في نور أحد نسأل الله اللطف
ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة
في الاضاءة واللون فتنصب
في تلك الارض ويؤتى بالانبياء
يقومون فيقعدون عليها
قد غشيتهم الانوار لا يعرفهم
أحد في رحمة الى الابد عليهم
من الخلع الالهية ما تقربه
أعينهم ويأتي كل انسان
معه قرينه من الشياطين
والملائكة وتنشر الالوية ذلك
اليوم للسعداء والاشقياء
بأيدي أئمتهم الذين كانوا
يدعونهم الى الحق أو الباطل
وتجتمع كل أمة الى رسولها

آمن منهم ومن كفر وتحشر الافراد والانبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فانهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم وقد عين الله عز وجل .
هذه الارض بين يدي عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التي في الجنة تسمى المقام المحمود وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة
يأتي ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذي
ل بالشرائع على الرسل ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن

مثلا أنه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله واخوانه
استيقظ لا يرى شيأ كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا
ره فيعذب في منامه أيضا فيرى انه في بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية
قلت) قد بلغنا ان ابليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه
واب) ليس ذلك تخفيفا لعذابه وانما ذلك للاحاطة والشمول فهو ملء النار فلا يعذب أحد فيها الا وابليس
لك له في عذابه لانه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى
قيامة فهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فكونه لا يدخل أحد النار الا بواسطته هو سر مستقره في
في الطبقة الرابعة فليس ذلك تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر (فان قلت) فهل تكون أقسام
النار الاربعة السابقة أول المبحث أيضا في الجن كما هي في الانس (فالجواب) ليس في الجن مشرك ولا
ن ولا معطل وانما هم كفار فقط ويؤيد ذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال
ئ منك اني أخاف الله رب العالمين فألحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو
يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان
عالى هو المسيح بن مريم كافر وليس بمشرك (فان قلت) فهل قول ابليس اني أخاف الله رب العالمين
يد فان كان توحيدا فلم يعذب به (فالجواب) هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه
ن الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل في هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات في
خرة سواء وقد انعقد اجماع الملل كلها على كفره وانه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لانه لو تصور اسلامه
يقة لم يجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولا بد لكل عاص من واسطته
أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصي ثم بتقدير ان قوله اني أخاف الله رب العالمين توحيد فما نحن
يقين من استدامة ذلك الى الممات لان الله تعالى أخبر عنه ان يخطب لاهل النار في النار * وقد سئل
خ محيي الدين عن قول ابليس اني أخاف الله هل هو توحيد فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس أشقى
شقياء وهو أول شقي من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعي يقبل منه اه ذكره
لباب التاسع من الفتوحات وذكر في الباب الرابع والستين ان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها بأي
ه كان توحيده وابليس مخلد في النار بالاجماع وفي صحيح مسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة
يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات في النار أحد ممن عمل
لا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبي ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر
يرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين (فان قلت) فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق
كنز الذهب والفضة ولم ينفقهما في سبيل الله (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السبعين انما خص الله
الى الكي بهذه الاعضاء الثلاثة لان صاحب المال اذا رأى السائل مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه
ه يسأله من ماله فتكوى جبهته بما منعه ثم ان الغني يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر
تكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطالب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فيكوى بها ظهره هذا حكم

فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان واحد من الخلق أبدا بخلاف غير الشرك من سائر المعاصى فان الانسان ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا الهافما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يعادلها فى الكفة الاخرى قال وأما صاحب السجلات فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا الها لكنه لم يعمل معها خيرا قط انما عمل معها سيا آت فتوضع

لا اله الا الله فى مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيا آت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطايش السجلات فلم يثقل مع اسم الله شئ فاذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شئ من اعتقادات قلوبهم الا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك فعلقوها فى أعناقهم بايديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وليس أولئك الا الائمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا قال واعلم ان الذى يعطى كتابه بيمينه هو المؤمن وأما الذى يعطى كتابه بشماله هو المنافق لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقد عقب الله عز وجل الذى يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام فى ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو فى باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد قال وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فاذا كان يوم القيامة قيل للواحد منهم خذ كتابك من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل اليهم لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن أن لن يرجع وهذا

فيه فهو تعالى يعلم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انهم لا يرجعون الى الدنيا الا بتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين الا بلسان النشأة التى هم فيها فتخيلهم ان ذلك العلم والذوق الذى حصل عندهم فى النار يبقى عليهم ولو أنه بقى معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذا ردوا الى الدنيا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى فى القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس فى النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم أنه رأى فى الدنيا نعيما ولكن حجبه شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد فى صاحب البؤس اذا غمس فى الجنة غمسة فيقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بانفاذ الوعيد فى حق طائفة منهم ولكن غير معينة لانه لو تعينت العقوبة لواحد منهم فى دار الدنيا وأنه هو الذى ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا اه‍ (فان قلت) فمن أكثر عصاة الموحدين مكثا فى النار (فالجواب) قد ذكر الشيخ فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه ان الله تعالى لم يطلعنى على مدة أكثر العصاة مكثا فى جهنم قال وانما استروحنا من قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أن آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما نحن من كمال الخمسين ألفا على يقين فهذه هى مدة اقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال وكل ذلك فى يوم القيامة وليس السرمد الا لاهل النار الذين هم أهلها فاذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين فى النار أبدا فرحم الله عبدا أطلعه الله على مدة اقامة العصاة فى النار على التحديد فالحقه بهذا الكتاب فانى انما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وجىء يومئذ بجهنم لم تأت بنفسها الا هاها عند الميقات (فالجواب) انما لم يصفها الحق تعالى بالمجىء من ذاتها مع علمها بما هى عليه من أسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى عليه من العلم برحمة الله التى وسعت كل شئ فنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة للاتيان فانها لو وقعت عينها الا على مسبح لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جىء بها والعلم الذى لا يدخلها اما أنعم الله تعالى عليه مما لم يكن يعلمه وليعلمه اذا مر يدخلها بأنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية اليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام انا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش اه‍ (فان قلت) فهل لاهل النار حظ من النعيم فى وقت من الاوقات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين من الفتوحات نعم لاهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما ان حظهم من شدة العذاب توقعه لانه لا أمان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا فى غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة ففى حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفى حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فعلم ان أشد العذاب على أهل النار ما يقع فى نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون فى نفوسهم لوقته (فان قلت) فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم (فالجواب) ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذى يتنعمون به فى النار ويستريحون به فى بعض الاوقات ثم ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم فى منامهم الرؤيا الحسنة فيرى

النار كله وشأن أهل الجنة (فالجواب) لا توالد في النار والله أعلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى ان عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة لانها على شكل الباب الذي اذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر وتقدم أن الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا * قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه كان يقول ان أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس في كتاب الفصوص والفتوحات المكية ان الشيخ قائل بان أهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع اليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني فاخبرني بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه في الخطبة فان الشيخ من كمل العارفين باجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيأ من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده في الشيخ الا من عزل عنه عقله فاياك يا أخي أن تصدق من يضيف شيأ من العقائد الزائغة الى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد ان أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهم لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار بالنصوص قال لان النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لانها خلقت من الغضب السرمدي قال وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى * وفي لواقح الانوار التي جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته اعلم يا أخي ان جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الاسرار من الفتوحات فقال اياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ انه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فان ذلك خطأ انتهى وقد رجع بحمد الله تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا الى الله تعالى بعد أن كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين (وأما الكلام على الجنة وأهلها) فنذكر لك يا أخي منه نبذة صالحة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الامام أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول في الباب

بالرحمة وذلك عندما يرون ان غضب الله قد ارتفع عن عصاة الموحدين وأما النبيون فيشفعون في المؤمنين خاصة والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى اممهم وذلك هو متعلق الايمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين فوقه في الدرجة بعد ان خلصوا بشفاعة رسول الله فيهم يعني في الشافعين قال وصورة شفاعة أرحم الراحمين ان تشفع أسماء الحنان والرحمة واللطف عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار (٣٢٧) فهي مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه اخراج من شاء من النار الى الجنة وملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته وقد اختلف الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من الفتوحات ثم قال وأما عندنا وعند أصحابنا من أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فاما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فاذا دخلها أحد لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيهما مما يريده الساكن من الآلات التي تستعمل فيها وأطال في ذلك ثم قال فقوله تعالى أعدت للمتقين اعدت للكافرين اشارة الى تعيين أماكن كل انسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الاساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أنصار الغوا له ثم القصور أو الدركات قال فان كانت الدار هي الجنة بنى سورها من التوحيد وان كانت الدار هي النار بنى سورها من الشرك أو الكفر أو النفاق أو التكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها في طبقاتها فلا ينتهي بناء جنة كل انسان الا با آخر أعماله في دار الدنيا فاذا انتهى البناء فما بقي الا الساكن فيقال له اخرج الى دارك فقد كمل بناؤها فاذا طلعت

تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وإنما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكري من عاقل مهتدي ثم يأتي الله عز وجل على عرشه والملائكة الثمانية تحمله فيضعونه في تلك الارض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد عمت الهيبة الالهية قلوب أهل الموقف من انسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون الا همسا باشارة عين وخفي صوت ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعي الحق (٣٢٦) بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصا الا سجد ولا سجد رياء واتقاء الا خر على قفاه

وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الاعراف لانها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم وأما ما كان بينهم وبين الله فان الكرم الالهي قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحدا من عباده بذلك ذلك الوقت فهنيئا لمن لم يشهد مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب الا بينه وبين الله أو لم يقع له ذنب مطلقا ويختلف ذلك باختلاف المشاهد في التوحيد ثم تقع الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم في كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة في قلوب الشفعاء في ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين فليس ذلك انتقاصا ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما ذلك اظهارا للمنة الالهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم * واعلم ان الشافعين في ذلك اليوم واحد وثلاثة فالواحد أرحم الراحمين والثلاثة هم الملائكة والنبيون والمؤمنون يقول الله تعالى في ذلك اليوم شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقي أرحم النار الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فأرحم الراحمين يشفع في الذين لم يعملوا خيرا قط غير توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات فهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الاخلاق وشفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فان الملائكة اذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر بل تتأخر الى ان تنقضي مدة المؤاخذات كلها وبتصفون

مانعي زكاة الفضة والذهب في النار اهـ (فان قلت) فلم كانت أبواب جهنم سبعة (فالجواب) لانها على عدد أعضاء التكليف الظاهرة سواء وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وما ذكر سبحانه وتعالى من أبواب النار الا السبعة التي يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذي لا يدخل منه أحد فهو في السور باطنه فيه الرحمة لاقرارا العبد بوجود الله باعترافه بعبوديته له وظاهره من قبله العذاب بالنار التي تطلع على الافئدة (فان قلت) فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة (فالجواب) انما لم تحرق الاعضاء الباطنة لان ايمان عصاة الموحدين يمنع من تخلص النار الى قلوبهم فانظر يا أخي عناية التوحيد والايمان باهله فان الجوارح اذا احرقت غابت فلا تحس بعد ذلك بألم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تأتيه الشفاعة فاذا بعثه الله من تلك النومة وجد ايمانه على باب النار ينتظره فاذا غمس في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة (فان قلت) ان النار جاءت في القرآن مطلقة ومقيدة يعني مضافة فهل في ذلك خصوصية (فالجواب) نعم لذلك خصوصية وهي ان نار جهنم لها نضج الجلود وحرق الاجسام لانها نتائج أعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل باهل الجزية من تعذيبهم باخراج أموالهم من يدهم قهرا وصغارا وفي ذلك عذاب نفوسهم أيضا وأما نار الله فهي مجسدة لانها نتائج أعمال معنوية باطنة وهو قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هي باطن الانسان فهي تظهر في فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة والعبد منشئ النار في الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه بأعماله وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما حكم أرض الموقف اذا لم يبق فيها أحد هل تصير من الجنة أو من النار (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان أرض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها في جهنم وان كان فيها زمهرير وذلك لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى أسفل سافلين كما مر فهي تهوي على السموات والارض على صورة ما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فبالحرور على المحرورين وبالزمهرير على المقرورين (فان قلت) اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة (فالجواب) أن نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكانوا في الدنيا عميا عن ادراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما ان نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت (فان قلت) قد بلغنا ان منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها ولا تنقص لكن ليس في النار ميراث ولا نار اختصاص كما مر أوائل المبحث وانما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار أعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام على النار في رسالة الكلام على الدارين فراجعها والله أعلم (فان قلت) فهل يتوالد أهل

أبدا الا بنص قال وهو كشف صحيح وكلام حرّ عليه مسحة انتهى * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وأصناف أهل الجنة أربع * الاول الانبياء والرسل * الثاني أتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم وهم الاولياء والعلماء العاملون * الثالث المؤمنون أي المصدقون بالانبياء وبما جاؤا به من الشرائع * الرابع العلماء بتوحيد الله من انه لا اله الا هو بالادلة العقلية قال ومقام كل صنف متميز عن الآخر فمالك بالنزول ان كان نازلا في الدرجة وبالعلو ان كان عاليا ولا حسد بين الادنى والاعلى هنالك (٣٢٩) بخلاف الدنيا قال واذا وقع التجلي الالهي للرؤية يكونون جلوسا على مراتبهم فالانبياء على المنابر والاولياء على الاسرة والعلماء بالله على الكراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن على الكثيب الابيض قال وأما من كان موحدا من طريق النظر في الادلة فيكون جالسا على الارض وانما نزل هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لانه بطرقه الشبه من تعارض الادلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده جزما فهو أوثق ايمانا ممن يأخذ توحيده من النظر في الادلة بتأويلها قال وانما كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت اذا دخلوها بشرى لاهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لان الحوت حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذي هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن قال وخلق الله تعالى الجنة بطالع الاسد الذي هو الاقليد لانه برج ثابت فللجنات الدوام والاسد القهر ولذلك يقول أهلها

أبدا * قال الشيخ أبو طاهر والآية التي أشكلت على الائمة الماضين دالة على هذا المعنى وهي قوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فبين ان السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سموات الجنة وأرضها الا ما شاء ربك من زيادة على الملك الدائم من النعم السنية والالطاف الخفية مما أعده الله فيها كما في حديث في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر الى وجهه الكريم فتلك هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع وأما قوله في صفة أهل النار خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهي دالة أيضا على ان للكفار أرضا وسموات اذ السماء في اللغة هو كل ما علاك وأظلك والارض كل ما تحت قدمك فارض النار الدرك الاسفل وسمواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق الى أن ينتهي الى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما مر والله أعلم بحقيقة الحال * فعلم أيضا ان أرض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى الا ما شاء ربك يعني الا ما شاء الله بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم * قال الشيخ أبو طاهر وهذا الذي استنبطته من نظري في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسن بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو أصح ما قيل في الآيتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف * قال ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مبراته وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بأنواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول أما فلان ففي رعايتي وجواري يتنعم معي في داري ما عشت الا ما شئت له زيادة على جواري واحساني وحنوي عليه وأما فلان ففي سجني ما عشت الا ما شئت له من أنواع المثلات والآلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فانه نفيس (فان قيل) كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل (فالجواب) يتصور ذلك في العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصور مع كونه يدرك ذلك بالدليل * وقد قرب الامام الغزالي رحمه الله ذلك بقوله من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي فليقدر ان الله تعالى يخلق مثل هذه الدنيا ألف ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فانه تنفد تلك الحبات من المدائن كلها ويبقى الابد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك (فان قيل) فهل اللذات الاخروية حسية أم عقلية أم خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس (فالجواب) عن ذلك هو أن تعلم يا أخي ان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والآخرة خير وأبقى فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه حسي خيالي عقلي فيمكن أن يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات أخر زائدة على هذه المدارك يدركون بها ما أخفي لهم من قرة أعين فضلا من الله ونعمة (فان قيل) فما هي اللذة الحسية أي التي تدرك بالحس والخيالية أي التي تدرك بالخيال والعقلية أي التي تدرك بالعقل (فالجواب)

للثبوت فلا يتخلف عن التكوين وليس في البروج من له السطوة مثل الاسد قال وأما الجنة المعنوية التي هي كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فاجسام أهل الجنة تتلذذ بالامور الحسيات وأرواحهم تتلذذ بالامور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك قال ولو كانت الاجسام تتلذذ بالمعاني لكان كل حيوان من البهائم تتلذذ به كل وجه وليس الامر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة الا بتلذذهم بها حسا ومعنى لاتحادهما حتى نقول

روحه حبس في البرزخ حتى يتكامل عدد السكان وتنتهي مددهم فينادي المنادي اخرجوا جميعا الى مساكنكم فمعنى أعدت على هذا التقرير أي أعدت لهم قبل دخولهم لها لا قبل خلقهم وايجادهم ما عدا السور المتقدم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من قال كذا بنى الله له بيتا في الجنة وغارس وجود ذلك البيت على فعل ذلك الامر فدل على انه لم يكن موجودا قبل ذلك وكذلك يؤيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان (٣٣٨) وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك قال وأما ما ورد في الصحيح ان الله

عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها ودلى فيها ثمارها فهو صحيح لان حضرة الحق لا ماضي بها ولا آتي ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى أتى أمر الله وله تعالى أن يعبر عن حضرته المذكورة بما شاء لانها لا تتقيد بزمان كالخلق في مصطلحهم في الالفاظ والله أعلم (قلت) ويحتمل ان الله تعالى خلق الجنان على ما شاء من الاوصاف التي تسمى بها جنانا من أشجار وأنهار وأتراب ثم تبقى بها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من نتائج أعمال المكلفين غير ما يمن الله تعالى به عليهم لا في مقابلة أعمالهم والله أعلم * قال الشيخ واعلم ان خواص المؤمنين ليس لهم بناء من أعمالهم الا في الجنة وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم في الجنة تارة وفي النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم * قال الشيخ في الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه روينا عن الشيخ أبي مدين امام الجماعة رضي الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء

الجنة بفضل الله والاشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات التي مات مصرا عليها يعني انه أبدا لو مات وهو مؤمن عازم على ان ارتكب ذنبا سنة ثلا خلد في النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه الى أن يموت خلد في النار قدر عمره وكل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله أعلم غير ان الذي وصل الى علمنا أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان يفرض انه لو عاش الى القدر المذكور لبقي على معصيته ثم الآن يعتقد ان أحدا يدوم على ذلك ثم

الخامس والثلاثين مما اعلم ان الجنة أوسع من السموات والارض وذلك قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون في معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذي هو ضد الطول ثم أشكل عليهم ان الجنة عرضها الذي هو مثل عرض السموات والارض كيف تسعها السماء وزادوا في بيان ذلك بما يزيد اشكالا ولا يحل اشكالا والذي أراه ان معنى عرضها اظهارها لاهلها سمواتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا سمواتها وأرضها على أهلها وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر ظاهر لا اشكال فيه وروى الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يارسول الله أرأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الليل اذا جاء فأين يكون النهار قال الله أعلم فقال كذلك الله يفعل ما يشاء (فان قيل) فما معنى قوله عرضها السموات والارض جعل السموات والارض عرضها (فالجواب) هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر * ووجه نوره البدر التمام * أي كنور البدر فيكون المعنى هنا كعرض السماء والارض تصديقه ما في سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض (فان قيل) فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذي هو ضد الطول (فالجواب) وجهه انه جعل حكم ذلك حكم من نظر من الى هذه السماء ألم ير قدر وسعها بعينه ومعلوم ان محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة الى عرض السموات نسبة هذا الربع مثلا من السماء الى لعبة عينك وان الذي قدر على بناء الجبال والفيلة العظام على قوائمها الصغار وقدر على بناء طول الانسان على قدميه الصغيرين لا يعجز عن بناء الجنة بسعتها على السماء التي تصغر في جنبها اذا السماء كالعمود وتحت سقف بيت واسع * قال الشيخ أبو طاهر القزويني واعلم ان سموات الجنة عدد درجاتها وهي مائة وأعلاها هو ما دلت عليه الاخبار وهو ساق العرش وفي الحديث مرفوعا الجنة مائة درجة ما بين كل درجة والاخرى ما بين السماء والارض والفردوس أعلاها ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما أرضها فتنتهي الى سدرة المنتهى لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السموات السبع على ما جاء في الاحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة في جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سماء الجنة وأرضها والله أعلم * قال ولا يكون في الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وانما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش وهي الانوار التي يكسى بعضها شمسنا هذه كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفي الحديث عن أبي ذر قال قلت يارسول الله أين تذهب الشمس اذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها الحديث فعلم بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فانما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما لو قيل لمن ليس في بلادهم زيت ان أين في بلاد شيئا يوضع في شئ اسمه أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول الليل انهم فانه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه الا ان رآه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما أخبر الله ورسوله

يرضه ولان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل برارى غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان فى كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم قال ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا قطعا ان التجلى العلمى لا يقع الا فى أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل فأنهار الماء لاصحاب العلوم التى تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيبه فهى لاصحاب العلم بأسرار الشرع من الائمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهى للامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهى لاهل العلم بطريق الوحى والايمان وصفاء الالهام وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والاربعين ومائة قال واعلم ان أهل الجنة يعطون فى الجنة التكوين فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائما بارادة الله تعالى وذلك لارتفاع الافتقار والذلة هنالك اذا الجنة ليست بمحل لذلك وانما محله الدنيا أو النار وأطال فى ذلك * قال وفاكهة الجنة كما وصف الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أى تؤكل من غير قطع فيقطف الانسان ويأكل من غير قطع فالاكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد بأن الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو بخلف مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور وحسان فاذا نظر اليها أهل الجنان فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها فيلبسها ويظهر بها فى ملكه واعينه وهو يراها فى السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من فى الجنة دخل فيها وهى على حالها فى السوق ما برحت ذكره الشيخ فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات قال وأقرب شئ شبها بذلك فى الدنيا تصور الولى أى وجوده فى عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقة فى مظاهر متعددة فى رأى العين ويليه يقرب الشبه صورة ما تراه فى المرآة المقابلة لك فقد تكون فى يدك تفاحة فتراها

مسعودسنين ولم يدخلوا الكنيف قط مع انهم كانوا يأكلون أكلا لما فاذا كان هذا موجودا فى الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الآجن فكيف ينكر أحد ما أخبر به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من شرابهم العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذى لم يتغير طعمه والشراب الذى لا يتصدع عنه شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك ان أطعمة الجنة وفواكهها وأشربتها لطيفة رقيقة خالصة صافية لا يعتورها الاستحالات ولا يكون لها أثفال منكرات ولا روائح مكروهات * قال الشيخ أبو طاهر واعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشياء الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنخل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك الا لتهتدى بذلك القلوب وتستأنس به النفوس أما تصور ذلك فى العقل فمستحيل لان التصور ادراك الوهم خيال ما أدركه الحس والذى لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولو كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال ابن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شئ مما يكون فى الجنة من ثمرة وشراب وحلى وحلل يشبه ما فى الدنيا بشئ سوى ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذى عنده اهـ (فان قيل) فاذا سماها لنا بما عندنا وهى على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك (فالجواب) ان تسميتها بما عندنا لابد أن يكون ذلك بادنى مناسبة ليقع فى افهامنا تعقله وأصل ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأين المشكاة من نوره تعالى واذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى كل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ فى الآخرة عيانه أعظم من سماعه والله تعالى أعلم (فان قيل) فما اللذة والرغبة فى الطلح المنضود والسدر المخضود (فالجواب) قد أخبر الله تعالى ان فى الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض أهلها تشتهى ذلك كما تشتهى السمك القديد وتستطيب أكله فى دنياها لا سيما أهل البوادى من الاعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما فى الدنيا فى الاسم فقط كما مر فلعل الله تعالى يخص ذلك بلذة فى ذلك الموطن تفوق اللذات قال الشيخ أبو طاهر ونفى المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه الا تراه تعالى يقول وسدر مخضود فنفى الشوك ونفى احتمال الاذية فى قطعها وفى ذلك دلالة على وجود نفى مكروهات النفوس هنالك عكس الدنيا وفى بعض التفاسير ان الطلح فى القرآن هو الموز (فان قيل) فهل فى الجنة نكاح (فالجواب) نعم ثبتت به الاحاديث الصحيحة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحاما دحاما أى كثيرا وانما أراد به استغراقهم بذلك فى لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع فى الدنيا فقد قيل انها وهمية لا حقيقة لها (فان قيل) هل يولد لاحد فى الجنة (فالجواب) نعم روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث ان المؤمن اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى وفى رواية ولكنه لا يشتهى قال الشيخ أبو طاهر وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة وهى ان تعلم يا أخى ان

هى أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول يارب ائتنى بأهلى فقد كثر حلى وعبقرى الحديث قال والناس فى الشوق على أقسام فعصاة
المؤمنين يشتاقون الى الجنة وهى لاتشتاق اليهم وأرباب الاحوال من الاولياء تشتاق اليهم الجنة وهم لايشتاقون اليها لسكرهم بحالهم والمكذبون
بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة لاتشتاق اليهم الجنة ولا يشتاقون اليها وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة فى الباب الخامس
والستين من الفتوحات قال ومن أعظم (٣٣٠) نعيم لاهل الجنة تنعمهم بالتمنى فما يتوهم أحدهم نعيما فوق نعيمه ويتمناه الا حصل
ووجد نفسه فيه بحسب
ماتوهمه ان توهمه معنى كان
معنى وان توهمه حسا كان
محسوسا فهو تمن محقق لوجود
مايتمناه قال وماجاءهم هذا
النعيم المقيم والجزاء العظيم
الزائد على مدة طاعاتهم فى دار
الدنيا الامن حيث نيتهم
الصالحة التى كانوا وهافى
دار الدنيا وهو أن أحدهم
كان يتمنى أن لو قسم الله
تعالى له جميع الطاعات حتى
فعلها وداوم عليها مدى
الدهر فلما قصرت به العناية
فى دار التكليف أعطاه الله
تعالى نظير هذا التمنى فى
الجنة فيكون له فيها ماتمناه
فلحق بأصحاب تلك الاعمال
فى الدرجات الاخروية مع
راحته فى دار الدنيا من التعب
كما ورد أنه من نام على نية
أنه يقوم من الليل فأخذ الله
بروحه الى الصباح كتب له
قيام ليلة الحديث بمعناه قال
وللجنة برزخية أشار اليها
القرآن العظيم فى قوله تعالى
مثل الجنة التى وعد المتقون
فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر لذة للشاربين
وأنهار من عسل مصفى قال
وانما كانت برزخية لانها لاهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق
عند مليك فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال
يوما للحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته فاذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة
حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب قال وانما صرح المسيح بذلك ولم

أما الحسية فهى كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور
الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذى
كمل عيشه * قال وأما اللذة الخيالية وهى مطلوبة فى الدنيا أيضا فان الرجل ربما يتخيل أشياء يتمناها فيلتذ
بها بل ربما رأى الشئ الذى يهواه فى المنام فيلتذ به وقال بعضهم لاتكون اللذة الخيالية فى الجنة أبدا لان
الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهى أكاذيب وغرور والدار الآخرة دار
الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها حواق الامور
وليس فيها أباطيل ولا أكاذيب بدليل قوله تعالى لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية
بالتمنى والامنية فى الجنة من حيث ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية فيها
معدومة قال وهذا القول عندى صحيح اذ اللذات الخيالية أمانى والامانى أكاذيب وأباطيل فلا يكون ذلك
فى الآخرة فان كل مايشتهيه أهل الجنة يجدونه فى الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم أمنية التذاذهم يكون
بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب أمور الآخرة وأما اللذة العقلية فلا
خلاف فى أنها ألذ الاشياء وأقواها وأسرها للنفس وأشهاها وأبسطها للروح وأحلاها واعتبر ذلك بلذة الفهم
والعلم فانك اذا أدركت مسئلة كانت تشكل عليك وأيتك تجد فى قلبك وفى نفسك لذة لايعادلها شئ من لذات
الدنيا كما قال الامام أبو حنيفة لو يعلم الملوك مانحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الامر
والولاية والامر والنهى والابتهاج بالاشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب
انه ضاع له بعير فكان يقول الامن يبشرنى بوجدانه وهوله فقالوا له فما حظك اذن من ذلك فقال لذة الوجدان
ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الاخوان الصادقين قال الامام الشافعى رضى الله عنه لولا محادثة الاخوان
والتهجد عند السحر ما أحببت البقاء فى هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها تفاوت
ومراتب فهى لذات غير منكرة فى الدنيا فيجب اثباتها فى الآخرة لقوله تعالى وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون الى غير ذلك من الآيات
والاخبار قال وعلى هذا الاصل تكون الآلام الحاصلة فى الحس والعقل فى جهنم لاهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى
منها قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به
فى الدنيا فقد بان لك يا أخى صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها فى الآخرة وقد سبق بسط
القول فى صحة اعادة الاجسام بأرواحها وأجسامها على ماهى عليه فاذا ثبت عند الانسان على ماهو عليه
اليوم فى العقل جوازا وفى الشرع وجوبا وجود اللذة والالم صحتا له فى الآخرة أيضا من غير شك ولا ريب
(فان قيل) فاذا أكل أهل الجنة وشربوا فأين يذهب ثفل الطعام والشراب (فالجواب) قد ثبت فى الحديث
ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزوينى * قال
ولقد جربنا ان من غذى باللبن والعسل لايحتاج الى استفراغ * قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف
التطويل لانتهينا الكلام فى بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شاهدنا امرأة تسمى عائشة
من ناحية التور ولم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الاخبار أيضا بان تركمانا أقاموا عند الملك
مسعود

قلت) فهم خلق الله تعالى هاتين الجنتين وهل خلقهما من مادة واحدة أم من مادتين (فالجواب) قد خلقهما الله من مادتين فأما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذي هو الاقليد ولذلك كانوا يقولون للشئ كن فيكون باذن الله تعالى وأما الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهي والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا اسماها الله تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها وبها حسا ومعنى وقد ورد في الحديث ان الجنة اشتاقت الى أربع بلال وعمار وعلي وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الاسماء فان بلالا مأخوذ من أبل الرجل من دائه اذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار من العمارة أي بعمارة أهلها لها يزول ألم شوقها اليهم وأما علي فهو من العلو أي يعلو على النار التي هي أختها وأطال في ذلك ثم قال وتحقيق ذلك ان الناس في هذه المسئلة على أربعة أقسام قسم يشتهي الجنة وتشتهيه الجنة وهم الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبي وولي كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها هو وهم أرباب الاحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها وهؤلاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة أقسام (فان قيل) فما عدد أنواع الجنان (فالجواب) هي ثلاثة أنواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال (فان قيل) فمن أهل هذه الجنان (فالجواب) أما جنة الاختصاص فهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما يولد أحدهم الى انقضاء ستة أعوام غالبا ويعطي الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين عقلوا وأهل التوحيد العلمي وأهل الفترات الذين لم يصل اليهم دعوة رسول ومن أهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الاعمال فهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم الا بجنة الاختصاص وأما في العمل فيشاركهم غيرهم فيه (فان قلت) فاذن جنة الاختصاص الالهي لا تقبل التحجير ولا الوراثة ولا العمل (فالجواب) نعم وهو كذلك لانها انما هي فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده (فان قلت) فكم في جنة الاعمال درجة (فالجواب) درجاتها مائة درجة لا غير كما ان النار كذلك مائة درك كما مر في مبحث النار * قال الشيخ محيي الدين ثم ان هذه المائة درجة تكون في كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهي أوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها جنة النعيم ويليها جنة المأوى ويليها دار السلام ويليها دار المقامة وأما الوسيلة فهي اعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر في مبحث افضليته على سائر الانبياء والمرسلين وانما توقف حصولها له على دعاء أمته غيرة الهية ان ينفرد أحد دون الله تعالى بالغنى المطلق * وقال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان الراحة في الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وان كانتا ليستا

ألفا الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم قال ولا حظ لهؤلاء الاولاد في النعيم المحسوس ولا المعنوي انما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا قال وقد يقع مثل ذلك لبعض الاولياء في دار الدنيا فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسام وصور محسوسات قال وقد وقع لنا ذلك مرات وأطال في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة (قلت) وليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما خلق في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هنالك ولولا أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج (٣٣٣) اليه في جماعهم وفي ولادتها ان وقعت لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم قال ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة الا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شئ لانهم لا ينامون ولا يعرف شئ الا بذوق ضده قال وأما أهل النار فينامون في أوقات ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم نسأل الله العافية آمين * قال الشيخ محيي الدين وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلا شك كما أشار اليه قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا فان النار ما تتصف بهذا الوصف الا من كون قيامها بالاجسام لان حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة وانما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنار ذكره في آخر الباب الخامس والستين من الفتوحات قال واعلم ان عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين من الفتوحات فأهل جنة الاختصاص الانبياء والاطفال والمجانين وأهل التوحيد العلمي ومن لم تبلغه دعوة نبي وسميت بجنة الاختصاص لانهم لم يكن عن عمل سابق وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها كما ورد انه يقال للمؤمن هذا مكانك من النار وقد أبدلك الله به مكانا من الجنة قال وسبب وقوع هذا القول للمؤمن ان الوجود كله يطلب الانسان فليس بعض الموجود [illegible]

في المرآة لاتشك انها صورة ما في يدك الآن الاول أشبه والله أعلم * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة منها اعلم أن الصور التي في سوق الجنة مباحة فكل من اشتهى صورة دخل فيها وينصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة يشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخلها ويلبسها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل (٣٣٢) في تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الامر الا من أطلعه الله من طريق كشفه على نشأة الدار الآخرة والله أعلم قال والذي أعطاه الكشف الصحيح ان أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للروح لا للجسم قال ولهذا يتحولون في أي صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح قال وتتجوهر أبدان أهل الجنة بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر اخلاصا في علمه وعمله كان بدنه أشف وأنور قال واذا اشتهى أهل الجنة التناسل حصل فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عن كل دفعة ولدا وذلك لان الله تعالى قد جعل هذا النوع الانساني غير متناهي الاشخاص لشرفه عنده قال ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافا مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها ولو وجداها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة انما تكون بخروج ريح اذ لا مني هناك كالدنيا كما صرحت به الاحاديث قلت فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فيلتقيان في الرحم فيتكون من حينه فيها ولدا وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولدا مصورا مع النفس الخارج مع المرأة ولا يزال هذا الامر لهم دائما كلما شاؤا قال ويشاهد هذان الابوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم ان الاولاد يذهبون فلا يعودون اليهم أبدا كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا لا يعودون اليهم وكالملائكة السبعين

شهوات النفوس في الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولم يقل أنفسكم تشتهي كل ما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فانها غريبة اهـ كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله * وأما كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فقال (ان قيل) كم أقسام أهل الجنة (فالجواب) هي أربعة أقسام الرسل والاولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الادلة العقلية (فان قيل) فهل يتميز بعض هذه الاقسام عن بعضهم وبماذا يكون تميزهم (فالجواب) نعم يتميز ومن ذلك عند رؤية الحق جل وعلا في جنة عدن في الكثيب الابيض وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والانبياء يكونون على منابر والاولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلي يكونون على كراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم يكونون على مراتب دون الاسرة اهـ (فان قيل) فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هل المراد لم يكن ذلك في حسابهم وظنهم أم المراد أنهم لا يحاسبون كغيرهم (فالجواب) المراد به كما مر في مبحث الحساب ان دخول الجنة لم يكن في حسابهم ولا في ظنهم ولا تخيلوه قط فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدي الله عز وجل ذكره الشيخ في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة وقال في الباب السبعين من الفتوحات في معنى حديث البخاري من كان من أهل الصلاة دعي يعني يوم القيامة من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذي يدخل من تلك الابواب كلها من بأس فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر معنى الحديث أن دعاء الله تعالى الناس الى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية في آن واحد وايضاح ذلك ان أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فما لك يا أخي ان تنكر ذلك في الثواب الاخروي في الآن الواحد وأنت تشهد ذلك في العمل من فعل وترك كغاض بصره في حال استماعه موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدق في حال ورع في حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسئلة من جملة مسائل ذي النون المشهورة التي تحيلها العقول وهو ان الواحد يكون بجسمه الواحد في أماكن مختلفة في الآن الواحد فأهل الكشف يعرفون هذه المسائل وأهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف في دخول الواحد الجنة من أبوابها الثمانية في آن واحد اذ النشأة الاخروية تعطي هذه الامور كما ان نشأة الدنيا تعطي جميع شعب الايمان في الانسان في الزمان الواحد من غير استحالة اهـ (فان قيل) هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أو ما ثم لنا جنة سوى الحسية (فالجواب) نعم ان الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما انه يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وايضاح ذلك ان النفس الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك (فان

من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك قال واعلم ان الاعراف هو درج العمل بالامر والنهي ودرك ترك العمل بما هو مأمور به صاحب الاعراف من النزول الى درك تلك الاعمال السيئة الا التوحيد وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أول الجنان الاولى تنعم بجنته الاولى وهو صلى الله عليه وسلم متنعم بنعمته ومشارك له بها الى الولي وأول الى ذلك الا باتباعه له صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة فائمة له في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها صلى الله عليه وسلم أجر جميع الانبياء ومن تبعهم لكونه نبي الانبياء ولكل نبي أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شئ قال وأما منزل صلى الله عليه وسلم يوم الزور الاعظم على يمين العرش ومنزلته يوم القيامة بين يدي الحكم العدل من حضرة الاسماء الالهية لتنفيذ الاوامر الالهية فكل أهل موقف يأخذون عنه في ذلك الموطن لانه وجهه كله يرى من جميع جهاته من كل جانب اعلاما من الله تعالى فهو عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال النعيم والانس وأما شجرة طوبى فهي في منزل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي بجانب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم في كل جنة ونصيب كل ولي فيها من نور ابنته فاطمة رضي الله عنها في جانب ذلك الفرع وأطال الشيخ في ذلك في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة وقال فشجرة طوبى لجميع شجر الجنات كلها كآدم لما ظهر فيه من البنين وذلك ان الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح فيها زينها بثمر الحلي والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وأعطت من حقيقتها الثمار الجنة عين ما هي عليه كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذي في ثمرها انتهى * قال واعلم ان جميع التفاضل الواقع في النعيم بين الانبياء انما هو من حيث جنة الاختصاص وأما جنة الاعمال فهم فيها متساوون من حيث ان كل عامل يجزاء بجنة جزاء عمله ويقع التفاضل بحسب المشاهد في الاعمال وقوة

عليه الشرع ووجه الايمان الا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلي الحق تعالى للقلوب وانه لا يكون الا صورة الاستعدادات اذا المشاهد لذلك يشهد بصره تحوله في الصور ويعلم عقلا انها ما تحولت فقط لكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل في حكمه والبصر في حكمه وله تعالى في نفسه علم آخر غير ما أدركه العقل والبصر انتهى (فان قلت) ما هذا الكثيب الابيض الذي يكون في جنة عدن (فالجواب) هذا المسك الابيض تصعد الملائكة عليه مع الانبياء وأسرة الاولياء ومراتب المؤمنين كما مر وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وهي حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة وأطال فيه ثم قال واعلم انه اذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم الى الطاعات في دار الدنيا سرعة وبطأ فان من الناس السريع ومنهم البطيء ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا في الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا فيجري اليها ولا ينزل الا فيها كما يجري الطفل الى الثدي والحديد لحجر المغناطيس ولو رام أحد أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى في منزلته انه بلغ منتهى أمله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم على أن الاعلى له نعيم لما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الادنى وادنى الناس من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة وأعلاهم الذي لا أعلى منه له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب (فان قلت) فاذا وقع التجلي الالهي فهل هو عام لجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلي الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل (فالجواب) ليس هناك الا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلي واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الخلق اذا أراد بهم جل وعلا انصرفوا من آخرهم بنور ذلك التجلي فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما شاهده بحسب استعداده (فان قلت) فهل من عرف الحق تعالى في الدنيا في سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه في الآخرة كذلك أم لا (فالجواب) نعم يرى ربه في صورة كل اعتقاد اسلامي فيا ألذها من رؤية فيحصل هذا النور كل معتقد كما ان من عرف الحق تعالى من طريق عقله في طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم في مبحث رؤية الله عز وجل أقسام الناظرين الى ربهم في الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه (فان قلت) فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جمع في ظهره من البنين (فالجواب) نعم هي لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما فعل في مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص من العلل التي لا قوة للخلق على برئها من حيث هو انسان فكما ان شرف آدم كان باليدين ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الاسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى غرسها باليد كما يليق بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمر الحلي والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فأعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما أعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذي في جميع ثمرها (فان قلت) فقد

النار في سببه في الجنة ستدعى حظها وملاها فيقال له انظر مكانك في الجنة لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلته فيزداد حسرة وندامة * قال
وأما أهل جنة الاعمال فهم أهل الاعمال الصالحة فمن لم يكن له عمل صالح في دار الدنيا لا يكون له في جنة الاعمال نصيب لان الناس انما ينزلون
فيها بأعمالهم فقط قال تعالى في هذه الجنة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قال وهذه الجنة
مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد (٣٣٤) شعب الايمان لا تزيد على عددها ولا تنقص والبضع من الواحد الى التسع فمن جمع شعب
الايمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء * قال وصورة جنات الجنان الثمانية بعضها في بعض صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة اعلاها جنة عدن وهي قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة فولي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة قال وكل جنة يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى ودار مقامة وهكذا * قال والوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة عدن وتسمى فيها دار المقامة * قال ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهود طلعة صاحبها صلى الله عليه وسلم ويتفرع منها سائر الجنات فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها * قال الشيخ في الباب السادس والتسعين
وماتين ودرجات الجنة على عدد دركات النار لانه ما من درجة الا ويقابلها درك من النار حتى انه تعالى لما قال في اهل الجنة عليه
ولدينا مزيد قال في أهل النار زدناهم عذابا فوق العذاب الا انه ليس في النار دركة اختصاص كما سيأتي وايضاح ذلك ان الامر والنهي لا يخلو العبد
اما ان يعمل بهما أولا يعمل فان عمل بالامر كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة وفي موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص
اذا تركه الانسان دركة في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط استوائه في ذلك الدرك من النار فاذا سقط الانسان

أمر وجودي اذ هما عبارة عن الامر الذي يلتذ به ويتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودي فكل من
في الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة اليوم فان أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شيء لعدم التعب والنصب
وانما راحة اليوم خاصة بأهل جهنم لكن في أوقات كما تقدم في الكلام عليها قال وهذا يدل على ان النار
محسوسة بلا شك ويؤيد ذلك قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف بهذا الوصف الا من
حيث قيامها بالاجسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذي
يسعر بالنار به وأطال في ذلك (فان قلت) ان الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا مع انه ليس في الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشي (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس
في الدنيا في طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان في الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون
انه كان لهم في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق
خاص في وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فاكلها دائم لا ينقطع اذ الدوام في الاكل هو عين النعيم
الذي يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس وايضاح ذلك ان الانسان اذا أكل الطعام
حتى شبع فليس ذلك غذاء ولا هو يأكل على الحقيقة وانما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والمعدة خزانة
لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا جعل فيها أي في المعدة ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير
وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال وتغذيه بها في كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال في هذا دائما ولولا ذلك
لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ ثم اذا خلت الخزانة تحرك الطبع الجابي الى تحصيل ما يملؤها به فلا
يزال الامر هكذا دائما أبدا فهذا هو صورة الغذاء في التغذي فعلم ان التغذي موجود في كل نفس دنيا وأخرى
وأطال الشيخ في ذلك * وقال في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة اعلم ان في هذه الآية تعيين المعين وزيادة غير معين اذ الزيادة هي كل ما لا يخطر بالبال كما أشار
اليه حديث ان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر
ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة بها يحصل له هذا الذي ذكر انه ما خطر على قلب بشر موازنة
مجهول لمجهول وفي القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فنكر النفس ونفى العلم بما أخفي
له من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشيء من
الادراكات وأطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بحديث الصور التي في سوق الجنة هل هي برازخ أم لا
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة انها كلها برازخ وذلك ان أهل الجنة يأتون
الى هذا السوق من أجل هذه الصور التي تتقلب فيها أعيان أهل الجنة فاذا دخلوا هذا السوق صار كل من
اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة يشتريها من السوق وقد يرى جماعة
صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها
كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها يعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك
الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الامر الذي نص

لله تعالى وما يخلق تعالى من صور الاعمال كما صحت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال في ذلك في الباب السابق (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم دون أن يقول ولكم فيها ما تريد أنفسكم (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة أن ما كل مراد مشتهى اذ الارادة تتعلق بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به وأما الشهوة فانها خاصة بالملذوذ ولذلك كان السعداء يأخذون الاعمال بالارادة والقصد ويأخذون المنافع بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته تعجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الاولى (فان قيل) لم كانت الشهوات في الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا تحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات في هذه الدار مع ان اللذة بالشهوات في الدار الآخرة أعظم من لذة شهوات الدنيا (فالجواب) انما كانت شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلى هناك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات بخلاف التجلى في هذه الدار فانما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر ومعلوم ان البواطن هي محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلى الالهى في محل واحد أبدا ولذلك جنح العارفون والزهاد في هذه الدار الى التقلل من نيل شهوات النفوس في هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الامر على ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعى في الجوارح مع ان كدورات الشهوات تؤثر في الاستعداد وتورث الحجاب وان كان المطعم والمشرب والمنكح حلالا فافهم ذكره في الباب الخامس عشر من الفتوحات (فان قيل) فكم يزور العبد ربه في كل يوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائتين ان زيارة كل عبد لربه في الجنة تكون على قدر صلاته كما ان رؤيته في الآخرة تكون على قدر حضوره معه في صلاته كما أن مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك الحرام والمكروهات في دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه في المباح تكون على حسب النية فيه فان شهد العبد ربه أو بنية صاحب التشريع في فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب فيحضر مع ربه هناك كما يحضر معه في فعل المندوب وان حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ مما ذكرناه (فان قلت) فهل تبقى سدرة المنتهى يكون على عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو زائد على عددهم كما هو الحكم في فواكه الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابق أن نبقها يكون على عدد نسمة السعداء وأعمالهم بل نقول ان النبق عين أعمالهم وأطال في ذلك ثم قال ومعلوم انه ليس في جنة

فدعاها الله تعالى للمقربين ما علم أحد منهم ذلك قال واعلم ان الكثيب الذى في جنة عدن هو مسك أبيض وجنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها غير الخواص الا بحكم الزيارة قال وفي هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسى ومراتب لان أهل الكثيب أربع طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون وكل صنف منها منه فضل وان اشتركوا في المنابر الا قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعنى الخلق فدخل فيه جميع بنى آدم دنيا وآخرة فاذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم فمنهم البطىء ومنهم السريع ومنهم المتوسط ويجتمعون في الكثيب وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا ويجرى اليها ولا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى ولو رام احدهم أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بمرتبة غيره ما استطاع بل يرى في منزلته انه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم غيران الاعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الادنى قال وأدنى الناس منزلة مع انه ليس هناك أدنى من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة وأعلاهم الذى لا أعلى منه من له نعيم بالكل وعلم أن كل شخص نعيمه مقصور عليه فما أعجب هذا الحكم ثم اذا نزل الناس في الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجليا عاما كان التجلى واحدا من حيث العين وكثيرا من حيث اختلاف الصورة فاذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلى في علمه في كل معتقد شرعى فله نور كل معتقد ومن عمله في اعتقاد خاص لم يكن له سوى نور صورة ذلك المعتقد قال واعلم أن الخلق في حال الرؤية لا بد أن يفنوا عنهم فلم يقع لهم لذة في زمان رؤيتهم فان اللذة عند أول التجلى حكم سلطانها عليهم فافنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها قال وهذا ذوق غريب لا يعرفه الا من ذاقه فاذا ذاقه لا يقدر على انكاره من نفسه قال واذا وقع لاهل الجنة رؤية الله عز وجل كان الناس فيها على اقسام فمنهم من يرى ربه بباصرة العين ومنهم من يراه بكله ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع جسده وهذه تكون للانبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم قال وليس بين الخلق وبين ربهم حجاب الا حجاب العظمة لا غير وهو انهم يرونه بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير احاطة فقصور هم عن الاحاطة هو حجاب العظمة قال وتشبيهه صلى الله عليه وسلم لرؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر ليس المراد به الا تشبيه الرؤية بالرؤية في حال الصحو فانها لا تضار في رؤيتها الا لمن في بصره عمى [illegible]

تقدم مذهب الشيخ أبي طاهر رحمه الله في توالد أهل الجنة فما مذهب الشيخ محيي الدين في ذلك (فالجواب) أن مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد من حيث الاجسام والارواح وعبارته في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا في هذا النوع الانساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف له قال بعدم انتهائه * وقال ان التوالد في الآخرة في هذا النوع الانساني باق في المثل اذ الحق تعالى لم يوجد شيأ في العالم الذي لا أكمل منه الا وله مثال في خزائن الجود في كرسيه تعالى وتلك الامثال التي تحوي عليها تلك الخزائن لا تتناهى أشخاصها فالامثال في كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا والآخرة لبقاء كل نوع وحفظه (فان قلت) فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها الا في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر الى فواكه الجنة وما كيفية جماع الحور العين (فالجواب) صورة خلق جميع الحور العين على صورة خلق الانس مع انهن لسن بأناسي وأما صورة نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المرأة الآدمية الانسانية كذلك ينكح الحور في الزمن الفرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بني آدم وليس للاشقياء نصيب من النكاح في النار * قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فعلم أن الرجل منا لو أراد أن ينكح جميع ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن في لحظة واحدة من غير تقدم ولا تأخر لخرق العوائد هنالك وذلك مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهي تقطف دائما من غير فقدان مع وجود أكل وطيب طعم فاذا أفضى الرجل الى الحوراء أو الانسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها أهل الدنيا غشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص في كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل دفعة وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة وهو مجرد طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الامر كذلك دائما أبدا (فان قلت) فهل يشاهد الابوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح أم لا (فالجواب) نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك الاولاد عنهما ولا يعودون كالملائكة التي تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه أبدا (فان قلت) فهل لهؤلاء الاولاد حظ في النعيم المحسوس (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ليس لهؤلاء الاولاد نعيم محسوس ولا معنوي وانما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعي ولا يزال النوع الانساني يتوالد لكن على هذا الحكم الذي ذكرناه (فان قلت) فما صورة توالد الارواح البشرية فانه بلغنا أن لها في الآخرة مثل ما لها في الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النائم في النوم (فالجواب) ان صورة توالد الارواح في الآخرة صورة ما يرى النائم في الدنيا انه نكح زوجته وولد له ولد وكل من أقيم في هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه يولد له أولاد من ذلك النكاح الذي بينهما روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسي في الاجسام والصور والمحسوسات فيخرج الاولاد ملائكة كراما الا أن أرواحها طاهرة فهذه صورة توالد الارواح لكن لابد أن يكون ذلك عن تجل برزخي كتجلي الحق تعالى في الاحوال المقيدة فان البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحالات العقلية فاذن صورة نكاح أهل الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين

الاستعداد وضعفه * قال وأما الطائفة الذين يعطيهم الله تعالى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهم أهل التوحيد في الاعمال الذين يشهدون أعمالهم خلقا لله لا لهم حال مباشرة الاعمال ويفعلونها امتثالا لامر الله من غير أن يعتنوا الى طلب أن يعطيهم جزاء وكان جزاؤهم غير محدود وذلك لان عيونهم لم تر عملهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف قال ويعرف (٣٣٦) أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التي في الفلك الاطلس المعبر عنه بالبروج ويعلمون بذلك حد ما كان عليهم في دار الدنيا مما يسمى بكرة وعشيا وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص في ذلك الوقت الخاص فلذلك قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اذ لا شمس هنالك ولا قمر قال ومعنى قوله تعالى في الجنة أكلها دائم ان الاكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما فالدوام في الاكل هو عين التنعم بما يكون به الغذاء للجسم فاذا أكل الانسان حتى يشبع فليس ذلك بغذاء ولا يأكل على الحقيقة وانما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا اختزن ذلك في معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال ويغذيه بها في كل نفس فهو لا يزال في غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ ثم ان الخزانة اذا خلت من الاكل حرك الطبع الجابي الى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام قال فهذا معنى قوله أكلها دائم وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فراجعه قال واعلم ان الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الاطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة في النار كلها سابحة فيها كسباحتها الآن في أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل النعيم الآن متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس [illegible] أعيننا فلولا المقادير الموضوعة [illegible] الحكمة [illegible]

أنه يقوم من الليل فأخذ الله روحه الى الصباح يكتب الله تعالى له أجر قيامه الذى نواه (فان قلت) قد بلغنا ان لنا جنة برزخية أخرى فما هى تلك الجنة (فالجواب) قد أشار القرآن الى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك فى نحو قوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى * قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لانها ماهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولاهى روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال للحواريين حين أوصاهم بوصية وفرغ منها فاذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك ملتذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب اه * قال الشيخ وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز كتابنا لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الانبياء وكانوا متمتعين متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل برارى وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان فى كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم اه (فان قيل) فما الحكمة فى كون أنهار الجنة أربعة من غير زيادة (فالجواب) انما كانت أربعة لان التجلى العلمى لا يقع الا فى أربعة صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الاربعة أهل فأهل أنهار الماء هم أصحاب العلوم التى يدخلها الآراء وأصحاب أنهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده أو محضه أو تربيبه لاصحاب الاستنباط الصحيح من الائمة المجتهدين وأصحاب أنهار الخمر هم الامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة والسلام وأصحاب أنهار العسل المصفى هم أهل العلم بالله تعالى وبشرائعه من طريق الوحى والايمان وصفاء الالهام اه (فان قلت) فما صفة التكوين الذى يعطاه أهل الجنة (فالجواب) صورته ان كل ماخطر لاحدهم تكوين شئ يكون أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة يكونون ماشاؤا بارادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة هنالك فان الذلة خاصة بأهل النار وما عند أهل الجنة الا العز (فان قلت) هل الحكم الاعظم فى الجنة للاجسام أم للارواح (فالجواب) الحكم فى الجنة للارواح لا للاجسام عكس الدنيا فتنطوى أجسام أهل الجنة فى أرواحهم وتكون الارواح ظروفا للاجسام ويكون الظهور والحكم للارواح ولهذا يتحولون فى أى صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح دون الاجسام * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض أهل الكشف فقال تحشر

هو أحد أركان النار لان الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلولا أن من حقيقتها البرد ما بردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء (قلت) وهذا المحل يحتاج الى تأمل وتحرير وقد أطال الشيخ الكلام على النار فى الباب الحادى والستين والباب الثانى والستين من الفتوحات والله أعلم قال واعلم ان النار لا تحرق من عصاة الموحدين الاجوارحهم الظاهرة فقط لان ايمانهم يمنع من تخلصها الى قلوبهم فانظر يا أخى عناية التوحيد باهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فاذا بعثهم الله من تلك النومة وجد وا ايمانهم على باب النار ينتظرهم فاذا غمسوا فى نهر الحياة الذى على باب الجنة دخلوا الجنة فلا يبقى فى النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة قال ومحل ظهور سلطان الغضب فى جهنم انما هو (٣٣٩) اذا دخل أهلها اليها اما اذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها فى نفسها ولا فى نفس ملائكتها بل هى ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون قال وانما احتاجت النار الى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة منها على الموحدين فنقول أتسال شيأ فشيأ لعل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شأن بطانة الخير عند الملك فاذا حق الغضب الالهى على قوم غضبت لغضب الحق كما انه صلى الله عليه وسلم يقول سحقا سحقا لمن أخذ بهم ذات الشمال من أمته حين يقال له انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال أمتى أمتى أول ما رآهم وهم يسحبون الى النار * وقال فى موضع آخر انما امتنعت جهنم من الاتيان بسرعة واحتاجت الى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها على من تنتقم منه وذلك لانها ما فتحت عليها عين حين خلقت الا على مسبح لله بحمده لا تعرف ماهى الاحكام التى استحق بها المكلف النار الا أن تعلم ذلك باعلام من الله تعالى فاذا جىء بها أو أمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت اليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد وذلك لان الشهوات والافعال المحرمة كانت تجذبهم الى النار ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده قال وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها صورة الجاموس وكان طعام أهلها اذا دخلوها طحال الثور الذى هو بيت الدم والاوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد اذ الثور حيوان ترابى طبعه البرد واليبس فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فيما فيه من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا يموتون بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضا وسقما قال واعلم أن محل النار ما تحت مقعر أرض الجنة الذى هو سقف النار وبه تنة النار ويكون صلاح ما فى الجنة من المأكولات والفواكه كتأثير الشمس النضج فى نواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها فى النار تفعل فى الاشياء هنالك

التي لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الادراك المحقق لذات الشمس ولذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك يارسول الله فقال نور أنى أراه يعني كيف أراه ونوره شعشاني يخطف الابصار لانه ليس من جنس النور المخلوق فالتشبيه من حيث ادراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الاحاطة فنحيط بالحق تعالى كما نحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم ثم قال نعلم ان نور الرب الذي يقع فيه التجلي يوم القيامة وفي الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه وذلك ليدركه البصر وهو في غاية الوضوح قال وأقسام الناظرين الى الحق تعالى لا تنحصر اذ الرؤية تابعة لاعتقادهم في دار الدنيا سعة وضيقا اجلالا وتعظيما وذلك ليجني كل أحد ثمرة اعتقاده فمنهم من حظه النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من (٣٣٨) حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينقال تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينقال تكييفها وهكذا فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذي ركبها الله عز وجل عليه قال وهذا هو السبب في اختلاف نظر الخلائق بافكارهم في المعقولات فحظ هؤلاء في لذة النظر مثل ما تخيل اليهم في نظرهم سواء قال واعلم ان خواص الاولياء والعلماء لا ينظرون ربهم الا في مرآة نبيهم صلى الله عليه وسلم لكونها أكمل المرايا اذ هي حاوية لجميع المرايا قال وغير الخواص من الاولياء والعلماء ينظرون في مرايا من هم على اقدامهم من الانبياء السابقين وذلك لان تجليه تعالى في معارف قلوب الانبياء أتم وأكمل من تجليه في قلوب غيرهم لاسيما في باب الايمان بما جاءت به الرسل من الصفات التي تحيلها العقول فالكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم أبدا قال ومن الاولياء من يطلعه الله تعالى انه على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل في نعيم الرؤية فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * قال الشيخ رحمه الله وأما النار أعاذنا الله منها فاعلم يا أخي ان الله تعالى خلقها من تجلي قوله تعالى في الحديث القدسي جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني الحديث وهذا من أعظم تنزل تنزل الحق تعالى به لعباده لطفا بهم ورحمة فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين قال واعلم ان عذاب أهل النار انما هو بما يكون في النار لا بنفس النار اذ النار انما هي دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وانما عذاب أهلها بما يخلقه الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له قال ونضج الجلود في جهنم ليس عن النار حقيقة وانما هو متولد بين النار وأهلها انشأ من مجاورتهم الان نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هي النار انظر وتأمل * قال وما في النار من الزمهرير

الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفي ذلك الغصن من الثمر على قدر ما في العمل الذي هو الغصن صورته من الحركات (فان قلت) فما حكم ورقها في الحسن وعدمه (فالجواب) حكم ورقها ان فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد في ذلك العمل الذي الورق مظهره كما ان عدد أوراق كل غصن يكون على عدد ما في ذلك العمل من الانفاس * قال الشيخ محيي الدين واعلم أن أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما أن أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكي كما أن أسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن اه ولم أطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم (فان قيل) فما حكمة الاكل من هذه الشجرة (فالجواب) حكمته زوال الغل من قلوب أهل الجنة فلا يزول الغل من قلب أحد منهم الا ان أكل منها والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك انها لا تنقطع في فصول السنة أم المراد غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والتسعين ان المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر في السؤال وهو ان الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الأخرى وان المراد انها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذي عندنا نحن من العلم في قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالى يجعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن في العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شئ فنحن بلا شك نأكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زالت عنها لانها دار بقاء يتكون فيها الامور ولذلك سميت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن في أي صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره أحد من أهله ونحن نعلم ان قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا (فان قيل) فهل يحجب أهل الجنة عن شئ منها أم هي كلها مشهودة لهم (فالجواب) ان من خصائص أهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شئ من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر ايضاحه (فان قيل) هل يتنعم أهل الجنة بالتمني (فالجواب) نعم يتنعمون بذلك بل هو من أعظم نعيمهم فلا يتوهم أحد منهم فوق نعيمه أو يتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه (فان قيل) فما سبب اعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم في دار الدنيا (فالجواب) السبب في ذلك نيتهم الصالحة التي كانوا عليها في دار الدنيا وذلك ان أحدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيئا عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الالهية ولم يستوف ما نواه من دوام الاعمال أعطاه الله تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا بأصحاب تلك الاعمال التي كان نواها أبد الآبدين مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى

جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله في ألوهيته شيأ يراه ويشاهده وانما جاء للمتكبر من جهة اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التي أحس بها من نفسه وانما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الاضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار ويعطى كتابه بشماله قال وانما جاء للمعطل من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ قال فهذه أربع مراتب لاربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم قال وهي منازل عذابهم فاذا ضربت الاربعة التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة * قال وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا منها ألف الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والايمان في العالم فترجم كل شخص عما في نفسه من ايمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به * قال وانما كان لجهنم سبعة أبواب لان أبواب الجنة كذلك سبعة وأما الباب الثامن فمختص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق في النار ويسمى باب الحجاب فلا يفتح أبدا قال وانما كان الامر كما ذكرنا لان صورة هذه الابواب صورة الباب الذي اذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلا آخر فأبواب النار اذا غلقت عين فتح أبواب الجنة (قلت) وأهل كل باب مبينون في القرآن فأهل جهنم هم الذين كفروا بربهم وأهل السعير هم الشياطين وأهل لظى هم كل من أدبر وتولى وجمع فأوعى وأهل سقر هم كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين وأهل الجحيم كل هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم اذا تتلى عليه آيات الله قال أساطير الاولين وأهل الحطمة هم كل همزة لمزة جماع للمال يحسب ان ماله أخلده وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم قال واذا دخل ابليس النار يكون ملأها فانه لا يعذب أحد فيها الا وابليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه قال صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فانه ما دخل أحد النار الا لموافقته له قال وهذا سر كونه مستقرا في النار في الطبقة الرابعة فابليس هو تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية وانما ذلك للاحاطة والشمول قال ويكون عذابه في النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته وتارة بالنار قال ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فأحرقه فمات قال وأهل النار من الجن هم الكفار لا غير لانه ليس في الجن مشرك ولا معطل ولا منافق ولهذا قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك الآية فألحق تعالى الشيطان بالكفار

تقي الدين السبكي وغيره ان جميع شرائع الانبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبي الانبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع (فان قلت) فما أعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة (فالجواب) ان أعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدي الله عز وجل كما ينبغي لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية في ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان في حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق * قال الشيخ محيي الدين ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام ان أهل الموقف كلهم يأخذون عنه في ذلك الموطن لانه هنالك وجه كله يرى من جميع جهاته وله اعلام من الله تعالى في كل جهة يفهم منه ما يريد (فان قلت) ففي أي منزل يكون أصل شجرة طوبى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين من الفتوحات والشيخ ابن أبي المنصور في رسالته ان أصل شجرة طوبى في منزل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لان شجرة طوبى هي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس أين أصلها حتى ان بعض من كشف له عن أحوال الجنة زعم ان أشجار الجنة أصولها في الهواء دون الارض حين لم ير الا الفرع والحال أنها مغروسة في أرض الجنة التي هي مسك أذفر وأصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم في الجنان وكل نصيب للاولياء متفرعا من نور فاطمة رضي الله عنها فان في كل فرع يتدلى في بيت أو قصر أو مخدع جميع ما يطلب العبد في الجنة من ثمر وحلل وطير وحور عين وغير ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى أكلها دائم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الآية الاولى تقتضي دوام الاكل والثانية تقتضي تخصيصه بوقت دون وقت (فالجواب) ان معنى قوله تعالى أكلها دائم أي لا ينقطع عنهم شئ متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما (فان قلت) فما الفرق بين لذة أكل الدنيا وأكل الجنة (فالجواب) الفرق بينهما ان أكل الدنيا لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف أكل الآخرة فان لذته تدوم مدة بقائه في البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة أخرى أعظم مما قبلها وهكذا (فان قلت) فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع انه لا شمس هنالك ولا قمر كما في دار الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ان معناه مقدار البكرة والعشي بالنظر لاحوال الدنيا قال وذلك لان الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الاطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيه كسباحتها الآن في أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم في الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم متى يكون الكسوف (فان قلت)

النضج في العلو كما كانت تفعل النضج هنا في السفل قال وكما هو الامر هنا كذلك ينتقل الامر هنالك بالمعنى وان اختلفت الصور والاحكام ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية فالمسك هنالك بمثابة الزبل هنا في تعفين الارض لتطييب الثمر كما ذكره الشيخ في الباب السادس والثمانين قال واعلم أن جميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الانوار لا نور لها فالقمر والشمس يطلعان ويغربان في النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا فشمس جهنم شارقة لا مشرقة قال وانما لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما في الدخان من الكدورة وكما كانوا في الدنيا عميا عن ادراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك (٣٤٠) الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له قال ولا يزال هذا الامر للفريقين أبدا الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت لان القيامة تقوم يوم الجمعة وما يجيء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما في يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران بأهلهما من ذلك الوقت وتغلق جهنم على أهلها غلقا لا فتح بعده وترى الخلق والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر اذا أوقدت تحته نار قوية نسأل الله العافية (قلت) وتمام استقرار أهل كل من الدارين فيها قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم على ما سيأتي في انتهاء الكتاب عند قول الشيخ وينقضي يوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات قال واعلم أن الفلك المكوكب مخلوق في جوف الفلك الاطلس وما بينهما من خلق الجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها والاطلس سماؤها قال ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هنالك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما تراه الى الآخرة فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان وما بقى بعد ذلك فهو في النار كما ذكره في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة فعلم ان حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب قال واعلم ان أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون ويجمعها كلها المجرمون قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أي المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى النار فهؤلاء الاربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من انس وجن قال وانما جاء تقسيمهم الى أربع طوائف من غير زيادة لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي

تقى

الارواح دون الاجسام حين رأى تطور أهل الجنة كيف شاؤا وغاب عنه ما قلنا من انطواء الاجسام في الارواح فلو حقق الكشف في نظره لرأى الاجسام منطوية في الارواح (فان قلت) فهل تتفاوت أجسام أهل الجنة في الصفاء (فالجواب) نعم تتجوهر أبدانهم بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا فكل من كان أكثر اخلاصا في عمله وعلمه وتوحيده كان أنور وأشف (فان قلت) فاذا كان أهل الجنة ترشح أبدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم أدبار أم لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شيء من طريق النقل والذي يظهر انه ليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما جعل في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هنالك ولولا أن فرج الرجل يعني ذكره يحتاج اليه في جماع زوجته هنالك أو للولادة ان وقعت لما كان لاهل الجنة ذكر ولا فرج (فان قلت) فكم عدد درجات الجنة (فالجواب) هي على عدد شعب الايمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد أن شعب الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد الى التسع فمن اجتمع فيه شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء قال الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية اسوار بين كل سورين جنة ويلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم الى آخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة الى آخره (فان قلت) فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع لامته ما وصلوا به الى دخول الجنة (فالجواب) نعم ما من جنة من هذه الجنان الا وهي متصلة بمقام الوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طلعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها (فان قلت) فهل درجات الجنة موازية لدركات أهل النار كما قيل (فالجواب) نعم هي موازية لها كما ذكره الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك أنه ما ثم الا أمر ونهي فان عمل العبد ما أمر به كانت له درجة وان عمل ما نهي عنه كانت له دركة موازية لتلك الدرجة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا سقط من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك فعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولي يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها لان الولي ما وصل الى ذلك الا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم ولهذا كان سر النبوة قائما به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية وعلى ما قاله الشيخ

مامر قال وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين قال فعلم ان أهـل النار الذين هم أهلها لا ينامون لقوله تعالى لا يفتر عنهم يعني العذاب وهم فيه مبلسون ذكره في الباب العشرين من الفتوحات قال واذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم في منامهـم بالرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا انه خرج من النار وصار في فـرح وسرور ورأى كل وشرب وجماع ثم اذا استيقظ لا يرى شيأ كما يرى أهل الدنيا ذلك في منامهـم سواء قال ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه في منامه ذلك في بؤس وضر وعقوبات وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (قلت) فقد كذب والله وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول ان أهـل النار يتلذذون بدخولهم النار وانهم لو أخرجوا منها لتعذبوا بذلك الخروج وان وجد نحو ذلك في شئ من كتبه فهو مدسوس عليه فاني مررت على كتابه الفتوحات المكية جميعه (٣٤٣) فرأيته مشحونا بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفا وأنا أسأل بالله العظيم كل ناظر في هذه الخاتمة اذا وجد دليلا لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلا على ضد كلامه فليكتبه كذلك في موضعه فان كلام أهل الكشف لا يمشي كله عـلى ظاهر النقول على ان أكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف انما هو في الكيفيات والعلـل وأما الاحكام فلا خلاف عندهم فيها اذ الكشف الصحيح لا يجيء قط الا مؤيدا للشريعة ولا يقبل من صاحبها ان قدر مخالفته لها * واعلم يا أخي أني لم أذكر عن الشيخ رحمه الله في هذه الخاتمة الا بعض الامور التي تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة اذا دخـلوها وأهـل النار اذا دخلوها والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي هـدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقد جاء بحمد الله تعالى كتابا نفيسا يخضع له عنق كل منصف ترك التعصب والحمية للنفس فان الشيخ رضي الله عنـه كان من أكابر العارفين كما ذكرنا ذلك في خطبة الكتاب وقد أخبرني شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رحمه الله بعد أن طالع عليه وكتب عليه وبعد حلفه بالله عز وجل انه طول عمره ما مر على خاطره حكم واحد مما فيه ولا مما في الجواهر والدرر فرضي الله عن أهل الانصاف وأرجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون جميع ما رقمناه باناملنا منقوشا في نفوسنا ومحفوظا في أرواحنا ويكون ذلك وسيلة الى العمل ببعض ما فيه من الاخلاق المحمدية والآداب الشرعية ونسأل الله تعالى أن يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وأن يخلص أهلها منا بالنظـر الى عوراتنا دون عوراتهـم وأن لا يفضحنا بظنون ناودعوا انا لا نخفى علامة علينا من عظيم زلاتنا وقبيح اراداتنا وقبيح خطراتنا وكيف لنا بذلك في هذا الزمان الذي هو محل ظهور العجائب والاحوال الرديئة وقد استوفينا غالب الاعمال التي أهالك التهم!

وقد أنشد العالم العلامة الشيخ محمد الكومي يمدح هذا الكتاب

يواقيت علم في عقود عقائد * لذا صاغ معناها ففيها جواهر
وماهي الا وهبة الله للذي * حباه فدع ما فهي عنه مآثر
هو العبد للوهاب وتر زمانه * بعلم له في الشرق والغرب سائر
يحق لمحيي الدين احياء علومه * وناصره نعم الولي وناصر
فيا ربنا أوفـر جزاء لسعيه * فمنه بدا علم عظيم ووافر
ومن حاز شيأ من نفائس كتبه * له الله يعطي ما يروم وجابر
وناظمه الكومي يدعى محمدا * عليه من الله الكريم ستائر

وأنشد الشيخ أحمد الابوصيري

لقد رحم الرحمن عبد الواهب * من الخير والاحسان هديا مفصلا
طلا وجلا كل التفاصيل أجملت * فما أحسـن التفصيل اذ جاء مجملا
بعيني رأيت البدر في وسط هالة * فقـل رحم الرحمـن عبدا تفضلا

وجد بخط مؤلفه * يقول مؤلفه عفا الله عنه قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الاسلام بمصر وأجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه قد اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف وانه يجب على كل مسـلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الانصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الاوصاف وما أحسن ما قال بعضهم .

ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم انتهى

ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله عنـه لا يقدح في معاني هذا الكتاب الا معاند مرتاب وجاحد كذاب كما لا يسعى في تخطئة مؤلفه الا كل عار عن علم الكتاب حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه الا كل غبي حسود أو جاهل معاند جحود أو زائغ عن السنة مارق ولاجماع أئمتها خارق اه ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه بعد كلام طويل وبالجمـلة فهو كتاب لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان بانه ما صنف مثله انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضي الله عنه بعد مدح الكتاب وما كنا نظن أن الله تعالى يبرز في هذا الزمان مثل هذا المؤلف العظيم الشان جزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته اه وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين

ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذى يوسوس للانس بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله الحق لبسترها عن النظر فى الادلة والآيات وتعيينها فى عيسى مثلا وأما شركه فباتخاذه مع الله الها آخر يلحق به من آمن ببعض وكفر ببعض وتأمل قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ماقال لقد أشرك لانه لم يجعل مع الله الها آخر انتهى فليحرر هذا المحل فانه دقيق قال واعلم ان أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهى أنه لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرورين يزور المحرورين والمقرورين يزور المقرورين فلا يزور مقرور محرورا وعكسه بخلاف أهل الجنة للاطلاق والسراح الذى لاهلها المشاكل للنعيم ضد مالاهل النار من الضيق والتقييد (٣٤٢) وقال واعلم انه ليس فى النار دركة اختصاص كما فى الجنة لان الناس انما يعذبون فى النار باعمالهم لاغير وما أخبرنا الحق تعالى قط انه يختص بنقمته من يشاء أبدا فما نزل من نزل النار الا باعماله فقط قال ولهذا يبقى فيها أماكن خالية فيخلق الله تعالى لها خلقا يعمرونها وهو قوله تعالى فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أى حسبى حسبى قال وانما دخل زيادة العذاب على الطائفة التى قال الله تعالى فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب من جهة أنهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فالزيادة المذكورة خاصة بالائمة المضلين واضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة الا من هذه الحيثية فافهم قال أشد العذاب على أهل النار مايقع فى بواطنهم من التوهمات فانهم لايتوهمون قط عذابا أشد مماهم فيه الا تكون فى نفوسهم لوقته اليه الاشارة بقوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة قال واعلم أن أطول الناس مكثا فى جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحوا من خمسين ألف سنة ثم يخرج منها بالشفاعة قال وانما قلنا نحوا وقد [illegible] خمسين ولم نقل خمسين لانا لسنا من كمال الخمسين على يقين وانما استتر وجنا الى ماقلناه من قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة المقدار انما يكون تقريبا ولا يقطع بتحديده قال وينقضى يوم القيامة بجميع مافيه من المؤاخذات لعصاة الموحدين فلا يبقى فى النار بعد ذلك اليوم احد ممن وحد الله تعالى ولو مرة فى عمره ومات على ذلك فيوم القيامة متصل بيوم الدنيا وليس بينهما الا ليل البرزخ وفى فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق تعالى للفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم وتعمر الداران باهلهما كما مر فكل منهم خالد فيما هو فيه قال وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وانما يكون النوم فيها للعصاة الموحدين فقط وهذا [illegible] الذى تحمونه فى النار ويستريحون فمنهم من ينام الالف سنة ومنهم من ينام الاحد عشر ألفا ومنهم الى قريب الخمسين ألف سنة على

فهل يصح فى الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به (فالجواب) حجاب العظمة الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وانما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف أمر لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لاهل الجنة كلهم الامزيد انكشاف لهم لاغير ولذلك قال المحققون انه تعالى يرى بلا كيف (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لايدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته (فالجواب) هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم ان الكل من الله تعالى فمن نظر الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي الدين بن العربي فى الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات عن الشيخ أبى مدين امام الجماعة رضى الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الاشقياء النار بعدل الله وكل أحد ينزل فى داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات اه قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وأدب ووقار اه والله تعالى أعلم * (خاتمة) * اذا سجد أهل الاعراف السجدة التى يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة هى آخر مايبقى من حكم تكاليف الدنيا فان يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه الى أحكام الدنيا به دعى أهل الاعراف الى السجود الذى رجحت به ميزانهم وله وجه الى الآخرة به جوزوا بأعمالهم قال ومامنع أهل الاعراف من الوقوع فى النار حال كونهم كانوا على الجسر الا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا أخى عناية التوحيد بأهله فالحمد لله رب العالمين * وليكن ذلك آخر كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه * وقد ألفته بحمد الله فى دون شهر وطالعت الفتوحات على عدد مباحثه فكنت أطالع على كل مبحث جميع الكتاب لاخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة فعلى ذلك الحساب قد طالعت فى كل يوم الفتوحات مرتين ونصفا مقدار ذلك خمسة وعشرون جزأ كل يوم وقد قدمنا فى مبحث الكرامات انه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا وآخرا * وكان الفراغ من تأليفه فى يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط بين السورين هذا ماوجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت الى آخر الكلام تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

الامم السالفة والقرون الماضية وحادثة بذنياتنا وتحكمت عما انمنا فينا باعمالنا وقد قرب انشقاق القمر الاخروي بقوة عسكر الظلم والضلال وقبض العلوم عن العمل بها وفيض الضلال (٣٤٤) فلا تحكم الدنيا الا على حثالة كما لا يرتفع في منخل النخالة الا النخالة وقد وصف بعض أهل المائة السادسة زمانه فقال قد صارت حكماء أهل زماننا ذبابا وعلماؤه ذئابا وقروده فضلاء وفهوده عقلاء وتجاره صوفية وفجاره صوفية وثعالبه زهادا وثعابينه عبادا وأتقياؤه فصاحا وأشقياؤه نصاحا وعقاربه وعاظا وحياته حفاظا استغنوا بالفصائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطاعة بالغيبة وعن أسرار الغيوب بأسرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تحميهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى من كل خطأ وزلل وقع من جوارحي الظاهرة والباطنة الى وقتي هذا عدد كل ذرة في الوجود قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير الى عفو ربه ومغفرته ومسامحته عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفا الله عنه

اللقاني المالكي بعد مدح الكتاب ومؤلفه واعلم ان المعتزلة وغيرهم من الفرق الاسلامية وان ذمهم علماؤنا فلا يقدح في حقنا نقل شيء من مذاهبهم في كتبنا فانهم على كل حال معدودون من أهل القبلة غير محكوم بكفرهم وان أخطؤا طريق الاستقامة التي عليها أئمة الشريعة لا ترى الى الامام الزمخشري وان جنح الى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الائمة وعلماء الامة وغالب الكتب مشحونة باقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد في الفروع لامام من الائمة خطؤه في فهمه عن الانتساب الى مذهبه كذلك علماء الامة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطؤهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الائمة مذاهب أهل الاعتزال كالحليمي وغيره ولم يقدح ذلك في امامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الافهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من أهلها اه ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشي ونقلته من خطه على نسخة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الدرجات والصلاة والسلام على سيد السادات ومعدن الكرامات وعلى آله وصحابته والتابعين لهم باحسان الى انقراض الساعات وبعد فقد وقف العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن محمد البرهمتوشي الحنفي على اليواقيت والجواهر في عقائد الاكابر لسيدنا ومولانا الامام العالم العامل العلامة المحقق المدقق الفهامة خاتمة المحققين وارث علوم الانبياء والمرسلين شيخ الحقيقة والشريعة معدن السلوك والطريقة من توجه الله تاج العرفان ورفعه على أهل هذه الازمان مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للانام وأبقاه تعالى لنفع العباد مدى الايام وحرسه بعينه التي لا تنام فاذا هو كتاب جل مقداره ولمعت أسراره وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت في رياض التحقيق أزهاره ولاحت في سماء التدقيق شموسه وأقماره وتناغت في غياض الارشاد لغات الحق أطياره فأشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره فأسأل الله الكريم أن يمن على العباد بطول حياته والمسؤل من فضله واحسانه وصدقاته ان لا يخلي العبد من نظره ودعواته وأن يمتعنا بطول بقائه وحياته آمين

حمدا لمن غرس في قلوب أحبائه توحيده فاثمرت اغصانه نصر الدين القويم وتشييده وانجذبت قلوبهم الى حق العقائد ولطائف أنفاسهم الى تبيين هاتيك المقاصد وصلاة وسلاما على سيدنا محمد من من نور فضله استمدت الفتوحات ومن بحر علومه اغترفت جميع المخلوقات وعلى آله وأصحابه وكافة أتباعه وأحبابه أما بعد فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر للقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو لعمري كتاب جل عن ان يصل القلم في مدحه للغايات كيف لا وقد تضمن ثمرات ما في الفتوحات وقد تحلى هامشه بالكبريت الاحمر في علوم الشيخ الاكبر لمؤلفه أيضا وذلك بالمطبعة

راءك فتصير افكارك تثب من موضوع الى آخر اي تتشتت ولا تبقى مجتمعة كما كانت اولاً .
يحدث لك مثل ذلك اذا نعست وصرت بين النوم واليقظة فان الافكار تتوارد على ذهنك
حينئذٍ وكلٌّ منها يحاول ان يقيم فيهِ ليستأثر بهِ ويطرد ما سواهُ فتختبط الافكار اختباطاً وتصير
لمؤثرات الخارجية تؤثر فيك تأثيراً كبيراً فاذا سخن فراشك ظننت انك زججت في اتون
اذا بردت قدماك ظننت انك حافياً تمشي على الثلج واذا كنت قد ثقلت عشاءك حسبت
نك في معركة دموية وجسمك هدف لنبال الاعداء . ثم تزول الاحلام رويداً رويداً
ي يزول هذا الشعور المختبط المرتبك ويستولي عليك السبات رويداً رويداً الى ان تنام
وماً عميقاً خالياً من الشعور

وهذا حال من ينام النوم الصناعي او المغنطيسي تضطرب افكارهُ اولاً ثم تصير كالاحلام
ينام نوماً خفيفاً ثم نوماً عميقاً يستغرق فيهِ

والنوم الطبيعي والصناعي متشابهان الاَّ ان الصناعي يحدثهُ آخر ولا بدَّ لمن ينامهُ من ان
ثق بفعل المنوّم وبالاستهواء ويستيقظ عقلهُ الباطن فيصير يتذكر اموراً نسيها في اليقظة
يعمل ما يؤمر بهِ وتبدو عليهِ علامات الشعور بحسب ما يلقى اليهِ فاذا أُطعم سكرًا وقيل لهُ
ذا صبر تأفف من طعمهِ كأَنهُ يأْكل الصبر السقطري واذا أُطعم صبرًا وقيل لهُ هذا سكر
ستطاب طعمهُ كأَنهُ سكر

ويحدث هذا النوم من تعب الاعصاب كما قال الدكتور ريد اما سائر افعال المنوَّمين فلا
علَّل بتعب الاعصاب بل بافعالها المختلفة فالتيبُّس مثل الذي تتيبَّسهُ اعضاء النائمين النوم
مغنطيسي سببهُ ان الدماغ ينبه العضلات حتى تتوتَّر على اشد قوتها . فاذا امسكتْ فتاة عصاً
دها وحاولت نزعها منها طاوعتك عضلاتها حالما تتعب من الشد . هذا اذا كانت مستيقظة
ما اذا كانت نائمة النوم المغنطيسي فان دماغها يأْمر عضلاتها لكي لا تطاوع من يحاول نزع
عصا منها . وقوة العضلات شديدة جدًّا ولكننا لا نستعملها كلها في اليقظة

وبذلك يعلَّل ايضاً زوال الالم من الذين ينامون النوم المغنطيسي فانك اذا نخست اصبعك
رة شعرت بأَلم شديد ومركز هذا الشعور ليس في اصبعك بل في دماغك فاذا زال الشعور
ن الدماغ بمخدر من المخدرات كالافيون والبنج لم تشعر بالالم وكذلك اذا زال هذا الشعور
لاستهواء اي باقناع العقل ان الالم قد زال

وبهِ يعلل عدم خروج الدم من اجسام المنوَّمين اذا نخستها بابرة لان الدم الذي يخرج من
اهر الجسم يخرج من الاوعية الشعرية وهذه تضيق وتتسع بواسطة الاعصاب فاذا قضتها

وَّم كثيرين من وجهائها وشفى بعض المصابين بالشيم ولما انصرف عنها قام الدكتور بريد
خطب خطبة برهن فيها ان المغنطيسيَّة الحيوانية وهم من الاوهام . وكتب بعضهم الى
'فونتين ليعود الى منشستر ويرى ما يدَّعيهِ الدكتور بريد فعاد اليها ورأى ان الاساليب
ي يستعملها الدكتور بريد للتنويم المغنطيسي لا يلمّ بها احد وان بريد سمَّى المغنطيسيَّة
لحيوانية بالتنويم او الذهول انتهى . الَّا ان الذهول الذي اشار بهِ الدكتور بريد هو الذي
ت على الامتحان . وتعليلهُ له هو اول تعليل علمي وهو ان التحديق المستمر يشلُّ المراكز
صبية المتسلطة على العين ويزيل توازن المجموع العصبي فيرتخي جفناها وينطبقان . فصار
سك بيدهِ شيئاً لامعاً امام عيني من يريد تنويمهُ ويرفع يدهُ بهِ حتى يضطر الناظر اليهِ ان
ظر الى الاعلى فيتعب سريعاً ثم يدني الشيءَ اللامع منهُ رويداً رويداً فتتعب اجفان
نيهِ وتنطبق واذا لم تتعب في النوبة الاولى كرَّر ذلك عليها وامر الناظر ان يوجه عينيهِ
قلهُ الى ذلك الشيء

وقام كثيرون من العلماء بعد بريد في اوربا واميركا وبحثوا في التنويم واساليبهِ وفوائدهِ
ضارهِ وجمهورهم على ان سببهُ الاستهواء وان الذين ينوَّمون بسهولة اعصابهم ضعيفة وقد
مون من غير استهواء ولكن هذا لا ينفي فعل الاستهواء بالذين اعصابهم سليمة . واشتهر
نهيم في معالجة المرضى بالاستهواء في ننسي فصار الناس يقصدونهُ من كل فج ولقبوهُ برجل الله

ولذلك يقسم تاريخ التنويم او الذهول الى اربعة اقسام الاول الزمن الذي مرَّ عليهِ قبل
م مسمر حينما كانت افعال التنويم تنسب الى قوة روحية او شيطانية والثاني زمن مسمر حينما
ارت تنسب الى فعل مغنطيسي قائم في الشخص المنوَّم . والثالث زمن بريد الذي نسب
نويم الى فعل فسيولوجي محض . والرابع زمن برنهيم وشركو وغيرهما من الذين ينسبون كل
اهر التنويم الى فعل الاستهواء

(٢) حقيقة التنويم

لكل انسان حالات مختلفة من الشعور تتغيَّر بتغيُّر المؤثرات التي تؤثر فيهِ . افرض انك
لس في نادٍ تسمع خطبةً علمية فما دمت منتبهاً لها لا تشعر بشيء آخر شعوراً شديداً ولكن
يكون دماغك خالياً من كل شعور لانك قد تشعر ان المقعد الذي انت جالس عليهِ بارد
حار او خشن وان جارك قلق في مجلسهِ او نائم وان واحداً وراءك يتكلَّم مع جارهِ . وقد
ى هذه المؤثرات فيتحوَّل انتباهك اليها كما اذا شعرت بحرارة شديدة في المقعد الذي انت
هِ او اذا كبا جارك لوجههِ فاصاب رأسهُ ظهر المقعد الذي امامهُ او علا صوت الرجل الذي

اكتشاف مصري عظيم

اذا قلنا "اكتشاف مصري" لم نعنِ اكتشافاً علمياً يعود بالنفع على نوع الانسان
كاكتشاف التلغراف والتلفون ومصل الدفثيريا وما اشبه بل اثر من آثار الاولين . لاننا
نزال في المشرق نعيش في الماضي واعمال اجدادنا اعظم من اعمالنا بما لا يقدَّر خلا ما
عمله الاجانب في بلادنا

والاكتشاف المشار اليهِ اكتشفهُ الاستاذ نڤيل في خرائب طيبة في السابع من شهر
فبراير الماضي . فانهُ هو والمستر هول اكتشفا سنة ١٩٠٣ هيكلاً مصريًّا قديمًا من عهد
الدولة الحادية عشرة في الدير البحري امام لقصر ومن ثم جعلا ينقبان عن هذا الهيكل وقد
ساعدهما في ذلك المستر ايرتن ثم المستر كُرلّي

وكان هل وكرلي ينقبان هذا الشتاء في الجهة الجنوبية من الهيكل فاكتشفا غرفًا من
غرف الكهنة يمتد تاريخها من عهد الدولة الثانية عشرة الى عهد الدولة الثامنة عشرة واكتشفا
ايضاً سور الحرَم الجنوبي . وهذا السور مثل السور الجنوبي في هيكل الملكة حتشبسو العظيم
الذي تبيَّن انهُ السور الشمالي لحرم هيكل من عهد الدولة الحادية عشرة

ثم جعل المستر هول ينقب في مؤخر الهيكل ليعرف كيف ينتهي فاكتشف دارًا واسعة
في جانبيها صفان من الاعمدة متجهان نحو الجبل وهي منحوتة في الصخر

وكان هول وايرتن قد اكتشفا سنة ١٩٠٤ بناء من عهد الدولة الثامنة عشرة في مؤخر
هذا الهيكل فجعل الاستاذ نڤيل ينقب فيهِ فاكتشف الاكتشاف العظيم المشار اليهِ في صدر
هذه النبذة وذلك انهُ اكتشف اولاً غرفةً منحوتة في الصخر جدرانها معطاة بصور بارزة تمثل
الملك تحتمس الثالث يقدّم التقدمات الى الاله امن ووجد في وسط هذه الغرفة بقرة من
الحجر ملونة ومذهبة وهي بقدر البقرة الطبيعي . والبقرة رمز لهتور الهة آكام الصحراء
الغربية التي كانت تعبد بنوع خاص في الدير البحري . وقد صُنع هذا التمثال للملك امنهتب
الثاني خليفة الملك تحتمس الثالث . وهذه الغرفة لا تخص الهيكل الذي من عهد الدولة
الحادية عشرة ولو كانت في آخرهِ بل تخص هيكل الدير البحري نفسهِ وهي من عهدهِ والظاهر
انها كانت محرابًا لهذا التمثال . وهذه اول مرة وُجد فيها تمثال في محرابهِ سليمًا من كل كسر
فضلاً عمّا في هذا التمثال من دقة الصناعة . وستنقل الغرفة والتمثال الى دار التحف في القاهرة

الاعصاب حتى ضاقت لم يعد الدم يخرج منها فلا يخرج من الجلد مكان نخس

وكذلك الشعور بالطعوم المختصه فعن عصبي فاذ سمع النائم اسم السكر الذي كان يشعر بهِ حينما يأكل السكر فتشعر بهِ واذا سمع اسم الصبر تذكر كان يشعر بهِ حينما يأكل صبراً فتشعر بهِ ويحدث مثل ذلك في اليقظة لحماً واستطابهُ حاسباً انهُ لحم ضان ثم قلت لهُ انهُ لحم كلب جشت نفسهُ وتقيأ واذا تذكر اكلة طيبة فاض لعابهُ كأنهُ يتهيأ لاكلها وكذلك اذا ذكر له ويحدث ايضاً في النوم الطبيعي فيحلم النائم انهُ اكل اكلةً طيبة فيستطيبها ا فيطرب لهُ اي يتذكر هذا الشعور تذكراً

والافعال التي يؤمر بها النائم فيفعلها بعد ما يستيقظ تعليلها ب عقد المؤثرات التي تؤثر فيهِ حال نومهِ فتفعل بهِ في اليقظة ايضاً

واغرب من ذلك ان يقال لهُ ان على يديك حراقة ولا يكون حينئذ فيحمر ما تحتها كأنها حراقة صحيحة ومع ذلك الا لانهُ يشعر حينئذ بشعور على جسمهِ وهذا الشعور يؤثر في الاعصاب التي تحكم في ورود الدم ن ا ان الحراقة وضعت عليهِ فيكثر ورودهُ اليهِ كما لو كان عليهِ حراقة حقيقيه

ومن هذا القبيل ان البعض يتوهمون انهم جرحوا في مكان ما من ج المكان ويخرج منهُ الدم

ومنهُ ان من كان لمفاوي المزاج رضيَّ الاخلاق تجرح يدهُ مثلاً و . اصبعهِ فلا يكترث لهُ فيشفى حالاً واما العصبي مزاج فيلتهب عنق . ويصير الحبة قبة فاذا جرحت يدهُ التهبت وعسر شفاؤها و د ص د عملية جراحية لشدة فعل اعصابهِ باعضائهِ

اما المتنومون الذين يعرضون اعمالهم في المحافل العمومية لادهاش النـ اموالهم فقلما يعتمدون على افعال التنويم الحقيقي او قلما يكتفون بها والغالب يستعملون الخفة والتدجيل ويعتمدون على الوهم الذي يستولي على حضور على غير ما هي عليهِ ويسمعون الاقوال على غير ما قيلت فهم الذين ينذهلون و وقد يكون واحد من المشعوذين بارعاً في تكييف صوتهِ حتى تسمعهُ من رؤية غرائب الافعال كما ابنا في مقالة سابقة

كم بريءٍ قد راح فيهِ شهيدًا ... وقوي يزداد معهُ عناء

ليس حد لطامع في مناه ... لعليل الظمآن يعدو شفاء

بوجودٍ واللانهاية فيهِ ... لاحي البحث كم تزيد جلاء

***

انت ضيف أيا ابن آدم حينًا ... فوق ارض كم قد طوت كبراء

سكّنِ النفس واتئد بسباقٍ ... حيث لا يرتجي المجدُ بقاء

بين حد حشا الكدود مذيبٌ ... وسكونٍ يولي الجسوم ارتخاء

ثم فرقٌ لدى اللبيب جليٌّ ... بين بين الحكيم يبغي استواء

كم غني قد زاد عنهُ عناه ... الف ضعف ويستزيد ارتقاء

بحلالٍ اثريت او بحرام ... او بغدر تردي بهِ الوضعاء

مال "روتشلد" لوحويت يومًا ... بعد ذا العمر لا تنال شراء

مثل هذا الغني بالكون تلقى ... رؤساء البلاد والعلماء

بنزاع وشقوة ودفاع ... وعراك كم اضعف الأقوياء

***

ايها الخلق ساء عهد ارتقاء ... بالبلايا على البرية جاء

فاحتكار في قاصيات بلادٍ ... لاتّجار يوافق الاهواء

باغتباطٍ باتوا بها وسواهم ... عند فتحٍ قضوا بها شهداء

ان عيش الرخاء حسبُ حكيم ... باعتدال بهِ ينال الصفاء

بثبات وهمة ونشاطٍ ... قام يسعى ويستريح مساء

مستمر الضمير ريًّا وفيًّا ... ليس يبغي عن الكمال التواء

وبرفق يسعى لما يشفيهِ ... ويداهُ يؤازر البؤساء

يردع النفس عن طوال الاماني ... برجاء يجبر معهُ رجاء

واغتباط الفؤاد اعظم غنم ... باحتواهُ قد حازه السعداء

مثل هذا اغنى غنيٍّ بحق ... وعظيم يستصغر العظماء

حمص — شاكر نعمة الله سلوم

و[illegible] [illegible] [illegible] مصرية قديمة [illegible] متعلقة بالمعبودة هتور من [illegible] [illegible] صورة من احرف الدهون تمثل البقرة التي [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] القديمة لحرد اللدة العلمية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وردًا في التوراة لا قصد [illegible] [illegible] على هذه البلاد [illegible] [illegible] [illegible] حقائق العلمية او تاريخية [illegible] [illegible] [illegible] هذا الاكتشاف حتى [illegible] [illegible] لها فسترتها حمت تحت [illegible] [illegible] جمعيات [illegible] عن الآثار المصرية [illegible] حتى يتيسر لها كتشاف ما لا [illegible] [illegible] في هذا القطر من آثار سكانه الاقدمين

الخطه المثلى

[illegible] [illegible] قد [illegible] اعتزالا	أقترضي [illegible] اوجهن [illegible]
لا [illegible] [illegible] [illegible]	[illegible] تنتوي [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الارية لا لا [illegible]	رفيق الاصيع [illegible] [illegible]
[illegible] لا كرمية [illegible]	[illegible] [illegible] كيف [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]	من [illegible] جميع [illegible] [illegible]
[illegible] كسب [illegible] [illegible]	[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] حسنًا [illegible] [illegible]	[illegible] [illegible] اليك [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]	[illegible] [illegible] [illegible] شقا

***

كم هصور قد شق [illegible] [illegible]	[illegible] [illegible] كم [illegible] [illegible]
كم مظلوم قد صب كاس احتكم	[illegible] [illegible] لاءوا الدلاء
اذ اتاهُ مفاجئةً [illegible] حولــ	[illegible] والكاس للقوي [illegible]
ابيس الاطماع كفاً [illegible]	ازدياد الكفاح [illegible] [illegible]

ورثوا من نقدموهم فنالوا شرَّ إرثٍ مذلةً وشقاء
بين هجوٍ كالسبّ او هو أدنى ومديح تَعدُّهُ استجداء
عُوِّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ فيهم حين يسأَلُ الكبراء
ليس كالمال للقرائح سمٌّ حين يلهو بيعًا بها وشراء
انما الشعر للنفوس غذاءٌ أفسدوهُ فصيروهُ هذاء
يتبع الشعرُ اهلهُ فامتهانًا وابتذالاً او عزةً وإباء

**

ايها الشاعرُ اتقِ الله واذكر أنَّ للشعر حكمةً علياء
كن دليلاً الى سبيلٍ سويّ ومنارًا يبدّدُ الظلماء
ثمَّ لا تنسَ موطنًا كان يومًا لك كالأمّ نسبةً ونماء
فاحترم عهدَهُ وعهدَ بنيهِ ثمَّ عُلمهُمُ كذاك الوفاء
علّمِ الشعب انَّ للشعب دينًا يمنح النفس قوةً ورجاء
قل لهُ أنهُ كذلك حرٌّ يعبدُ الله مطلقًا كيف شاء
خُلقَ الدين رحمةً غير انّ الناسَ كانوا لبعضهم اعداء
نبذوهُ سرًّا وشادوهُ جهرًا واقاموا منهم لهُ رؤساء
فانبرى بعضهم عدوًّا لبعضٍ يخدعون الجهّالَ والبسطاء
عمرك الله ليس اعجب امرًا من رؤوسٍ تهشّمُ الاعضاء

**

ليس هذا القريض الاَّ حديث الروحِ أوحَتْ بنظمهِ إيحاء
فتملكْ بهِ العواطفَ واملأْ كل نفسٍ فضيلةً وعلاء
واتخذهُ الى القلوب سبيلاً وتلطفْ تصطدْ بهِ العنقاء
لا تهاجم بهِ عفاف العذارى لا تضلِ الاحداث والضعفاء
لذ برأي الجمهور في كلّ صعبٍ وصُنِ العدل وارحم البؤساء
لا تصف أيَّ حالة قبل ان تدرسَ منها الافعال والاسماء
لا تقلدْ فيهِ ولا تتكلف في المعاني مشقةً وعناء
قل سلامٌ على القديم ودَعهُ يكفانا نقلّدُ القدماء
وتعلّم اذا رأيت دعيًّا كيف تعمى عن ان ترى ادعياء

الشعر والشعراء

هل عرفتم لعاشقٍ نظراءَ عشقَ الارضِ قلبهُ والسماءَ
تقطع البرَّ منهُ لحظةُ عينٍ حين يجتازُ فكرهُ الجوزاءَ
يصلح الحسنُ عندهُ كل خلقٍ فيسوِّي الاحياءَ والاشياءَ
شبَّ مذ شبَّ عاشقاً لا يبالي حكمةً كان عشقهُ ام خطاءَ
عشق الروض والغياض وازها رَ الروابي والاغصن الخضراءَ
وصغار النجوم تبدو وتخفى والدراريَّ والقبة الزرقاءَ
وفضاءَ البحار والسحب تحكي سُفُناً تحتها تشقُّ الماءَ
وسكونَ الدجى كأن الكرى التي عليهِ مع الظلام غطاءَ
وحفيفَ الاوراق تهتزُّ من عشقٍ لان الغصون تهوى الهواءَ
هام بالغاب زانها الشجر العالي وزان الفضاءَ والصحراءَ
يسمعُ الوحشَ والطيور فيهوى كلَّ صوتٍ كأن فيهِ غناءَ
ايُّ تاجٍ يتوّجُ الغابَ في كلّ صباحٍ يزالُ عنها مساءَ
دررٌ من اشعة الشمس صيغت ملأتها مهابةً وبهاءَ
واذا الشمس بالحجاب توارت تكتسي الغاب حلةً سوداءَ
تحتها تنضوي الطيور فتمسي دونها كلُّ جنةٍ غنَّاءَ
ان في الغاب للقوافي عروساً جمة الحسنِ تفتن الشعراءَ
تتراءى فلا يراها سواهم وهي ليست لغيرهم تتراءى
ولذا يرتجي من الزمن الشاعرُ لو أنهُ يجيب الرجاءَ
عيشةً في الخلاء لا عيب فيها غير ان لم يسمع الغوغاءَ
حيث لا خبث في الهواء ولا في الترب والماء يجلب الادواءَ
حيث لا رزق كلما ركض المرءُ مجداً وراءهُ يتناءى
فهو ما بين خوف سبقٍ وكدٍّ كفريقٍ يصارع الانواءَ
لا تطيب الحياة الَّا لمن يهربُ منها ويهجرُ الاحياءَ

***

ليت شعري متى ارى شعراءَ الشرق يوماً بفضلهم اغنياءَ

قال الكاتب وقبل ان أبدأ بسرد الاجوبة التي وردت عليَّ من اولئك الكتّاب لي كلمة
لها . لا مشاحة في ان كل فتاة لا تبذل جهد طاقتها في معرفة ما استتر من عيوبها من
ء نفسها لهي جديرة بالشفقة والحنان . وكلّما اكتشفت نقيصة فيها انتصرت انتصارًا باهرًا
تجنب تلك النقيصة . واجتنابها لها يذكي فيها روح الهمة الى اكتشاف سواها ممَّا يعدهُ
ر نقائص فيها

فقد قال احد الحكماء كلما اكتشف العاقل عيبًا خفيًّا فيهِ راد غنى ومجدًا ليس لان
ك العيب فيهِ بل لانهُ لم يعد عيبًا مستترًا . ولا بدع فالواجب على المرء ان يهتدي الى
وئهِ ولو كان في ذلك حطٌّ من انفتهِ وكبريائهِ وكسر لعنان عظمتهِ وخيلائهِ . وكفى المرء
ً ان تعدَّ معايبه

ولقد خاطب حكيم من حكماء الانكليز الفتيات قائلاً تأكدنَ ايتها الفتيات ان فيكنَّ
ص مهما كنتنَّ صالحات ففي استطاعة كل فتاةٍ منكنَّ ان تعرف ما فيها من العيوب
لق بكنَّ ان تطهرنَ انفسكنَّ منها بوضع مرآتين نصب عيونكنَّ واحدة لتزيين الوجه
حدة لتزيين العقل واذا رأيتِ ايتها الفتاة قبح اخلاقك في تلك المرآة فلا تقلبيها وتضعي
ها مكانها لتريك ان اخلاقك جميلة رضية بل ابذلي ما في وسعك اذا كنتِ نبيلة فاضلة
سلاح عيوبك فان عيبًا صغيرًا يشوّه جمال الطبع

كلٌّ ينظر الى عيوبهِ بعينين والناس تنظر الى عيوبهِ بعيون فانتنَّ لا تستطعن ان
رن عيوبكنَّ كما ينظرها الغير . وصديقك ايتها الفتاة من صدقكِ فالمكِ وابكاكِ اليوم
حككِ غدًا . فالفتاة التي لا تقبل النصيحة ولا تريد ان تعرف او تقف على عيب من
بها المستترة لهي قصيرة النظر في العواقب واما التي تقبل النصيحة وتعمل بها فانها تزيد
ة من الجمال على سلسلة حياتها

اما الشبان الذين تكرموا فاجابوا على اسئلتي بصدد ما نحن فيهِ فقد توخوا كل كياسة
ف . وبديهيٌّ ان حميدي الاخلاق المفطورين على النبل وكرم الخلال يتجنبون بيان
ص الآخرين اذ ايسر على الواحد منهم ان يذكر محامد من يحب ويتجنب ذكر سيئاتهِ .
اشار بعضهم الى الملابس فقال ان الفتاة تنفق الوقت الطويل في تنميق ثيابها وتنسيق
يها وقلما تفكر في شيءٍ آخر . وذهب غيرهُ الى ان تشوُّفها العظيم الى الملابس الجميلة وطمعها
اقتنائها وتحميل ذويها عبئًا ثقيلاً فوق طاقتهم كل ذلك من السيئات الشائعة بين
ـات . وطالما ادّى الى خراب بيوت عامرة . وقال آخر انهنَّ يحاولن اكتساب الجمال

وتجلَّدْ لصنعةٍ وَهَبَ الله ذويها تجلدًا وعزا
لهوًى في نفوسهم زاولوها وكذا الله يخلقُ الاشواء
عشقوها فأسكرتهم زمانًا ثمَّ ماتوا من سكرهم فقراء
فهمْ كالشموع تفنى احتراقًا وهمُ كالشموع تلقي ضياء
رحم الله من مضى ولنفاخرْ ان للعلم عندنا شهداء

القاهرة نقولا رزق الله

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفتاة

بقلم مدام اسحق صروف

يجدر بالكاتب وقد خطت هذه البلاد في سلم المدنية شوطًا بعيدًا نظرًا الى ما كانت عليهِ منذ نيف وعشرين عامًا ولا سيما بعد النهضة الادبية التي يقوم بها سراة هذا القطر وكرامهُ بانشائهم المدارس للتثقيف والتهذيب ان يجيل القلم محوّلًا انظار اولئك الوجهاء الافاضل الى حالة تعليم البنات في هذا القطر ناحيًا في ذلك نحو افاضل كتاب الغرب الذين جعلوا البحث في ترقية المرأة واعلاء مقامها غرضًا يرمون اليهِ ومضمارًا تتبارى فيهِ جياد كتابهم ويقدحون لهُ زناد افكارهم

ولما كانت حياة الرجل ترتبط بالمرأة ارتباطًا لا انفكاك لهُ اذ هي سبب سعادتهِ او شقائهِ رأيت ان اتحف القراء الكرام بسؤالين بعث بهما كاتب مشهور من كتَّاب الانكليز الى بعض الكتاب المشهورين في عالم الادب والتحرير قائلًا ان ما ينظرهُ الغير من العيوب والنقائص في اخلاقنا لا ننظرهُ نحن . اما السؤالان فهما

(١) ما هي العيوب الاكثر شيوعًا بين طبقات الفتيات اللواتي تعرفونهنَّ ؟

(٢) ما هي المبادئ الجوهرية التي يجب على المرأة ان تتحلَّى بها والاخلاق التي يجب ان تتخلق بها ؟

كل فتاة ذات وقار واحتشام وميل شديد الى اكتساب ما يجلّ مقامها و يعظم
يرفع شأنها ولا يتم لكُنَّ ذلك الاَّ بعد تثقيف اخلاقكنَّ وترويض عقولكنَّ بمطالعة
لحكماء والعلماء وان كان ذلك لا يتسنى لكنَّ الاَّ في فترات تنتزعنها من ساعات العمل
من تضحية بعض اوقات الملاهي والمسرات لبلوغ ذلك المقصد الحميد

ضع كل فتاة نصب عينيها غاية شريفة ترمي اليها ألا وهي حياة امرأة فاضلة عفيفة
بلة. ولا اعني بالغنى مالاً تالداً وصل اليها بطريق الارث وانما اعني ان تكون مدبرة
تذخر لحوادث الايام ما تدفعها بهِ . ولا اعني بالجمال جمال الوجه وسائر ما يعده
جمالاً وانما اعني ادباً وتواضعاً وكمالاً هذه الصفات التي تزيد الفتاة احتراماً واجلالاً

لد فوّق بعضهم سهام الانتقاد الى السيدات بلهجة ينفد الصبر معها ولا سيما اذا كانت
واحدة منكنَّ فقال ان كثيرات لا همَّ لهنَّ الاَّ اغتياب غيرهنَّ فيقلن فيهنَّ كل
ن . ولو اتت المغتابات على حين غرة منهنَّ لوقفنَ لهنَّ اكراماً واحتراماً وقبلنهنَّ
شفاه التي اغتابتهنَّ قبلات احرّ من نفس المحموم

زنابق الحقل ويا ازاهر الربيع اخلصنَ في الحديث وليكنْ كلامكنَّ على الاشياء
بخاص ونكبْنَ عن ذكر معايب صديقاتكنَّ وانبذنَ الاغتياب ظهرياً و'لا فما هي تلك
ة اذا كانت صديقتكنَّ لا تكاد تخرج من منزلكنَّ وتتوارى عن انظاركنَّ حتى تتحول
نَّ التي كانت تطريها وتسبّح بحمدها ساعة وجودها بينكنَّ الى ناب افعى سامة وتتحول
شفاه التي قبلتها الى ثلم صيتها والطعن عليها . فخير لكن ان تكنَّ صمًّا بكمًا من ان
الشفاه ساعيات نامّات . ومما يحرج الصدر ويحزن النفس شيوع ذلك في الخدمات
وغير العائلية . فاذا لم تتحادثنَ في امور مفيدة ومواضيع ترقي العواطف وتنميها

فالصمت زين والسكون سلامة واذا نطقت فلا تكن مكثارا

رحمة صروف

فوائد منزليه

الزيت للشعر

لبرلنتين الذي يدهن بهِ الشعر زيت خروع نقي ممزوج بالكحول معطّر . وزيت الزيتون
او زيت اللوز يقوم مقامهُ وهو يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ و يغذي اصولهُ ويجعلهُ

بالتبرُّج والطلاء بالالوان الكاذبة التي لا تلبث ان تذهب بجمالهنَّ الطبيعي ولو انفقن معـ
اوقاتهنَّ باعمالهنَّ المنزلية لاستفدن وافدن ودلك خير من ذهابهنَّ الى دكان بضاعة ينفـ
معظم اوقاتهنَّ فيهِ

وكتب اليَّ احدهم فقال ان اتّباع الفتيات الازياء الجديدة اتباعاً فائق الحد امر غـ
محمود وداعٍ الى الاسراف في غير محلهِ وان كان لكل جديد طلاوة . وكذلك يقال ـ
اهتمامهنَّ الشديد بزينتهنَّ الخارجية واهمالهنَّ لزينتهنَّ الداخلية . فالواجب على كل امر
ان تراعي خطة الاعتدال في الملابس غنية كانت او فقيرة

واشار بعضهم الى ان فتياتنا يفتقرن الى الرصانة والنهضة الادبية وترك الطيش والحـ
عن جادة الحق . فان هذا كلهُ ينشأُ عن فسادٍ عام في الهيئة الاجتماعية اذ المبادئ صحيـ
والغايات القويمة السامية في الحياة تتطلب ضد دلك على خط مستقيم . واقدس الواجبا
التي يجب على الفتاة اتباعها في زهرة صباها يعيبها ترثرة تعتادها وامور شائنة تخلّق بها وقـ
وقتها الثمين في قراءة روايات غرامية تفعل في نفسها فعل الكهرباء في الاسلاك فتر
تذرف الدمع حيناً وتصعّد الزفرات احياناً . قلت انها تقتل وقتها في قراءة تلك الروايات
ان هنالك كثيرات من بنات حواء ينتظرنَ منها المساعدة والمعونة ان ادبيَّة وان ماديَّة
هي قادرة على نفعهنَّ لانها قد تكون اسمى منهنَّ ادراكاً وابلغ علماً واعظم فهماً

وذهب كاتب من اولئك الكتّاب الى ان من العيوب المحزنة فيهن صرف وقت قصير
التفكير في امور الحياة وبعبارة اخرى حرج صدرهنَّ وسآمتهنَّ ومللهنَّ كما وقع امر خط
فاذا اعتدن ان يثقفن اخلاقهنَّ من تلقاء نفوسهنَّ بلغن مقاماً قصيّاً في الآداب ركنا ز
الحياة الدنيا

وقال آخر ان فتياتنا في اشد الحاجة الى عزم ماضٍ وبُعْد نظر في العواقب حتى لا يقـ
في شرك الشبان الادنياء الذين ينصبون لهنَّ الحبال والمصايد فيسغفن بحبهم ولو كنَّ ا
من الصخر قلباً ومن الحديد صلابة . فاذا استطعن ان يقفنَ سدًّا قويًّا في سبيل تيار التـ
الجارف حوّلن مجرى حياتهم من الشر الى الخير

هذه زبدة الاقوال التي تكرم بها كتّابنا الافاضل على سؤالي الاول واجوبتهم هذه لا
من فائدة فالحياة ليست دميةً تلهو بها الفتاة عمّا يُطلب منها بل هي دقائق نتخللها واجبـ
مقدسة كما يتخلل الهواء دقائق الاجسام. تلك الواجبات القاها الحق سبحانهُ على عاتق كل

لشيخوخة وعليهِ كل امارات الشباب اذا راعي هذه التدابير الصحية الاعتدال في الاكل
نصار على شرب الماء القراح واستنشاق الهواء النقي والنوم الباكر والقيام الباكر
ومن غريب ما ذكرتهُ عن الدكتور غجنبرج انهُ يعالج كل انواع الزكام حتى النزلة الوافدة
ة كبيرة تُبلُّ بالماء البارد وتعصر جيداً ويعرَّى المصاب ويلفُّ بها جيداً كما يلف الطفل
ء ثم يدثَّر بالاحرمة الكثيرة ويبقى على سريرهِ من غير حركة فيشفى من الزكام . والذين
فون هناك لا يحتذون حذاء ضيقاً مطلقاً واحذيتهم في الغالب خفاف واسعة او نعال
اقدامهم واقدامهم من غير جوارب وهم يمشون بها على الثلج ولا يشكون ضيماً

الحذاء الضيق

الحذاء الضيق من آفات الحضارة الحاضرة ويظهر ضررهُ بنوع خاص في الشتاء فان
م لا تدفأُ في الحذاء الضيق لانهُ يمنع حركة الدم فيها ولا يكون بينهُ وبينها طبقة من
ء تسخن فتدفأُ هذا فضلاً عن الالم الذي يصيب الانسان من ضيقهِ ومن المسامير التي
. منهُ

قنينة العطر

خذ قنينة واسعة وضع فيها طبقة من ورق الورد الجوري وفوقها طبقة من الملح الناعم
طبقة من ورق الورد وفوقها طبقة من الملح وهكذا الى ان تمتلئَ وتلبد جيداً وسدها
كها فكلما فتحتها تضوَّعت منها رائحة عطر الورد

تقطيف الكفوف

اذا اتسخت كفوف الجلد الفاتحة اللون فافركها اولاً بزبدة الطرطير واتركها عليها ساعة
الرمان ثم امزج مسحوق التبن الابيض ومسحوق القصَّار اجزاءً متساوية وافرك الكفوف
ا المزيج واتركهُ عليها الى اليوم التالي ثم انزعهُ عنها بفرشاة وافركها بالدقيق الذي اضيف
هِ قليل من الاسبيداج او الطباشير ثم امسحها بقطعةٍ من الجوخ الناشف

خداع الاولاد

لا تخدع ولداً على الاطلاق فاذا اردت ان تسقيهُ دواءً وكان الدواءُ كريه الطعم فلا
ل لهُ انهُ طيب الطعم لانهُ ينفر منهُ اشد النفور حالما يشعر بكراهة طعمهِ ولا يعود يصدقك
... طعمهُ الكريه

تقليل السِمَن

يشكو بعض النساء من السِمَن الزائد واذا قلتَ لهنَّ ان يقلّلن الطعام ليقل سِمَنهنَّ اجبنك انهنَّ قليلات الاكل جدًّا . وقد يكون ذلك صحيحًا ولكن لا بدَّ لهنَّ من ان يقللن الاكل ايضًا ولا سيما المآكل السكرية والمشوية والدهنيَّة ويجب ان يكون تقليل الاكل متدرجًا منتظمًا فينحف الجسم رويدًا رويدًا الى ان يصير بالقدر المطلوب

لعب الاطفال

الصبي الصغير يفضل آلة صنعها بيدهِ ميزانًا صغيرًا او قوسًا ونشابًا او سيفًا من الخشب على الآلات الثمينة التي تشتريها لهُ . والابنة الصغيرة تفضل لعبةً تصنعها بيدها من الخرق على اللعب الثمينة التي تشترى لها . فليُترَك الصغار وشأنهم واذا اكثروا من الجلبة فليس من الحكمة ان تنتهرهم امهم ولا سيما اذا لم يقلقوا احدًا بجلبتهم . ولا بدَّ للصغار من مكان يلعبون فيهِ غرفة تخصص لهم في البيت او سقيفة او ساحة فليتركوا فيها يلعبون قدر ما يشاؤون فانهم يتسلُّون وتقوى ابدانهم . واذا انتهرتهم امهم دقيقة بعد دقيقة زادت قلقًا على قلق فاضرَّت بنفسها واضرَّت بهم

الهواء النقي والماء النقي

كتبت لادي باجت المعدودة من كبار الكتَّاب ومن اهل العلم ايضًا انها كانت ترى صديقة لها نحيفة الجسم كاسفة البال وقد بدت عليها علامات الشيخوخة والضعف مع انها لم تناهز الاربعين ثم رأتها بعد سنة او سنتين واذا هي قد استردَّت شبابها وعادت كما كانت في صباها فاستغربت ذلك وسألتها عن قصتها وعما فعلتهُ حتى زال منها ما بدا عليها من الضعف والنحول فقالت العلاج في بركسن هناك يعالج الدكتور غجنبرج على طريقة الدكتور كنيب بالهواء والماء وحسن الاعتناء

ثم قالت لادي باجت انها قصدت ذلك المكان في شهر يناير الماضي وكانت الارض مغطاة بالثلج واقامت فيهِ اياماً فرأت ان العلاج يقوم فيهِ باكل الاطعمة الخفيفة واكثرها من الاطعمة النباتية وشرب اللبن النقي والماء القراح والتعرُّض المستمر للهواء النقي ونور الشمس والنوم الباكر والقيام الباكر . ومن رأيها ان كل احد يستطيع ان يبقى على تمام الصحة و يبلغ

تانياً بزرة القطن

ان الجمعيه اهتمت بانتقاء بزر القطن العفيفي من البزر الهندي الذي يخالطهُ احياناً
بدتها مصلحة الاراضي الاميرية فنقت كمية من البزر باليد وزرعتها في قطعة ارض
طة فنتج من محصول هذه القطعة. ٢٢٥ اردبًا ووزعت هذا القدر على مزارعين متشهورين
ة والاجتهاد في جهات تنتج ارضها عادةً قطناً حسناً وذلك بشرط ان يمكنوا الجمعية من
ول على البزرة التي تنتج من محصول هذه الزراعة لتوزعها على عموم الاهالي في السنة
ة والكمية التي سيتيسَّر توزيعها في العام المقبل ستكون ٢٥٠٠٠ اردب على الاقل .
من هذا القدر مقدار وافر من البزرة. فعسى ان يتم للجمعيَّة ذلك لان البزرة التي باعتها
في العام الماضي لم تكن منتقاةً على ما يظهر فقد كان الهندي فيها اكثر منهُ في قطن صغار
أجرين عندنا الذين لم يشتروا البزرة منها واضطررنا ان نقلع شجر القطن الهندي لكي
تلف سائر المحصول

ثالثاً الاسمدة الكيماوية

قالت لجنة الجمعية في تقريرها " ان استعمال الاسمدة الكيماوية وعلى الاخص نيترات
دا يزداد زيادة مستمرة ومنتظمة وقد ثبت نهائيًّا ان محصول القمح والشعير يزداد زيادة
ة يترتب عليها ربح وافر للمزارع اذا سمد بنيترات الصودا. ولا يوجد في القطر المصري اراضٍ
ستفيد زراعة القمح والشعير فيها فائدة عظيمة من نيترات الصودا مهما كان معدنها لان
ي القطر المصري تحتاج الى النيتروجين الذي في نيترات الصودا اكثر مما تحتاج الى غيره
" واما في ما يختص بالقطن فالنتائج التي ظهرت للآن غير حسنة وعلى العموم يمكننا ان
ان السماد يفيد زراعه القطن في الاراضي الضعيفة اما في الجهات الخصبة فانه يزيد نمو
ت اكثر مما يلزم ويؤخر ميعاد الجني . وفي عزم الجمعيَّة ان تعمل في العام المقبل جملة
ب في اراضٍ مختلفة المعدن على امل ان تصل الى حلٍّ مرضٍ لهذه المسألة . وعلى
رع ان يحفظ لزراعة القطن كل ما يوجد لديهِ من سباخ المواشي واما الاسمدة الكيماوية
تعملها لتسميد باقي المزروعات من القمح والشعير والذرة . وبهذه الطريقة يمكنهُ ان يجد
ة وافرة من الاسمدة الطبيعيَّة للقطن وهذا هو احسن علاج للاشكال الذي نحن
ده الآن "

وقد بلغ ثمن الاسمدة التي باعتها الجمعية في العام الماضي ٦٨ الف جنيه ربحت بها
٢٦ جنيهاً فقط اي نحو اربعة في المئة

باب الزراعة

لجنة الجمعية الزراعية
وخلاصة اعمالها

قدمت لجنة الجمعية الزراعية الخديوية تقريرًا باعمالها الى اعضاء الجمعية العمومية في اجتماعهم الاخير وخلاصتهُ

اولاً اعضاء الجمعيه

ان عدد اعضاء الجمعية زاد زيادة عظيمة في السنة الماضية فبلغ عدد الاعضاء الذين دفعوا قيمة اشتراكاتهم فيها ٣١٣١ وكان عدد الاعضاء الذين دفعوا اشتراكاتهم في السنة التي قبلها ٢٤٣ . والمديريات متفاوتة في عدد الاعضاء الدافعين فيها قيم اشتراكاتهم كما ترى في هذا الجدول

الدقهلية	٩٣٩	جنيهًا
الشرقية	٤٦٥	"
الغربية	٣٥٥	"
القليوبية	٣٠٠	"
المنوفية	١٩٥	"
البحيرة	١٨٢	"
المنيا	١٤٠	"
الاسكندرية ومصر	١٢٩	"
اسيوط	١٢٥	"
الفيوم	١٢٥	"
الجيزة	١١٠	"
جرجا	٠٤٥	"
بني سويف	٠٣٠	"

وعدد الجنيهات يدل على عدد الاعضاء لان قيمة الاشتراك صارت جنيهًا فقط

يف بهذا الدود . وقد اتلف هذا الدود في العام الماضي
عة قطناً ولكن وجد في جوارها نبات الباماياء و يغلب على
اء الى القطن

انواع القطن

ة لكي يعلّم الانسان بها نفسهُ جدولاً بيَّنت فيهِ النسبة
طول الشعرة وثخنها ومقدار مدها في الغزل فقالت ما يأْتي

القطن الاميركاني

فدان ومتوسط محصولهِ نحو ١١ مليون بالة وهو اربعة انواع
تهِ من بوصة وثلاثة اثمان الى بوصتين وقطرها $\frac{١}{١٥٦٢}$ من
نبها الواحدة بجانب الاخرى لبلغ عرضها كلها بوصة واحدة
وشعرتهُ حريريَّة ونقصر بسهولة وهو اجود انواع القطن كلها
ول شعرتهِ من بوصة واحدة الى بوصة وربع وثخنها $\frac{١}{١٢٦٠}$
ل من ٤٠ الى ٦٠ وهو ابيض او ضارب الى الصفرة
ء من ثلاثة ارباع البوصة الى بوصة وقطرها $\frac{١}{١٢٩٠}$ من
٣٠ الى ٤٠ وهو لين ويصلح للحمة
عرتهِ من $\frac{٧}{٨}$ البوصة الى بوصة وقطرها $\frac{١}{١٢٩٠}$ من البوصة وهو
كنة

القطن المصري

ا نحو مليون و٣٧٥ الف فدان ومقدار المحصول نحو ستة

شعرتهِ بوصة وثلاثة اعشار الى بوصة وستة اعشار ومقدار
و اسمر اللون
من بوصة واربعة اعشار الى بوصة وثمانية اعشار ومقدار
، ويمتزج جيداً بالسي ايلند
من بوصة الى بوصة واربعة اعشار
تهِ من بوصة وثلاثة اعشار الى بوصة وستة اعشار ومقدار

رابعاً قلة محصول القطن

التنفيذيَّة في تقريرها انها اهتمت بما هو ظاهر من قلة محصول القطن في
ع ازدياد مساحة الاراضي التي تزرع قطناً . وليس ذلك فقط بل درجة
الخليج لم يأتيا طبق المرام . والاسباب التي ذكرتها اللجنة لذلك هي اولاً
عية . وثانياً طول زمن المناوبات لان مياه الري الصيفي لم تعد تكفي بسبب
ذا لم تطل مصلحة الري مدة البطالة اضطرَّت ان تحرم بعض الاراضي
مياه الري فيترتب على ذلك اعدام محصولها بالمرَّة . وثالثاً غمر اراضي القطن
ابطال المناوبات بعد تجفيفها زماناً طويلاً

ن السبب الاكبر لقلة محصول القطن وضعفهِ هو زرع الارض قطناً مرةً
ن زرعها مرةً كل ثلاث سنوات وذلك اولاً لان القطن يأخذ من الارض
ة لهُ ولو كانت قليلة في كميتها فلا تستردها الارض بسهولة اذا استراحت
ل لا بدَّ من ان تستريح سنتين او اكثر . وثانياً لان القطن يروى مراراً
الصيف حين اشتداد الحر والتبخر فيتبخر ماء الري حالاً من الارض ويبقى
ن فيهِ . ولو كان الماء غزيراً يصرف من الارض صرفاً كما يصرف ماء الارز
وثالثاً ان الاراضي الواقعة على اطراف الترع الطويلة تضرُّ غالباً اكثر من
في لان هذه الترع قلما تسلم من تجلُّب المياه اليها مما يجاورها فتختلط مياهها
الصرف ويزيد الملح فيها فاذا رويت بها الاطيان التي عند اذنابها ريَّاً
غالب انها لا تسلم من الضرر

خامساً الحشرات المضرة

رق القطن ودود لوز القطن . ودود اللوز اشد ضرراً من دود ورق
صغير يضع بيضهُ على اللوز فيفقس منهُ دود صغير يخرق اللوز وحينما تكبر
ل من لوزة الى أُخرى وهي تصيب اللوز في كل اطوار نموهِ . ويكثر فتكها
وقد ثبت للعالم بعلم الحشرات الذي استخدمتهُ الجمعية لهذه الغاية ان دودة
على النباتات التي من فصيلة القطن كالبامياء والتيل . فاشارت اللجنة بان
ان تقلع كلها من الارض وقت قطعهِ لئلاَّ تفرخ ثانيةً ويغتذي دود
الشتاء وكذلك جذور القطن يجب قلعها حتى لا تفرخ وتكون مقرَّاً لديدان
تخزين حطب القطن في الغيطان من سنة الى أُخرى . والباميا التي تزرع في

القطن الصيني

محصولهُ السنوي نحو سبعة ملايين قنطار وهو ابيض خشن قصير الشعر قليل المد في الغزل

قطن جزائر الهند الغربية

بلغ محصولهُ سنة ١٩٠٤ نحو ٣٠٠ الف قنطار وهو من اصلين السي ايلند والوطني والاول طويل الشعر دقيق يمد كثيرًا ولكنهُ ليس من شكل واحد والثاني اقصر شعرة منهُ واخشن

ويتضح من ذلك ان القطن المصري اجود انواع القطن كلها بعد السي ايلند



غرائب الشعوذة

حضرات الافاضل منشئي المقتطف

قرأت ما كتبتموهُ في الجزء الثالث عن مناجاة الارواح فرأيت ان انقل اليكم بعض ما شاهدتهُ بنفسي عسى ان تتكرموا بتعليلهِ

اني لا اعتقد صحة السحر ولا اصدق بهِ وطالما وقفت موقف المعارض لمدَّعي السحر والشعوذة ولي ولع شديد بمناقشتهم ودحض اعمالهم ولذلك واني كلما سمعت بواحد منهم اجتهد لكي اراهُ وافنّد اعمالهُ واكشف خداعهُ

وقد كنت بالاسكندرية في منتصف الشهر الماضي وسمعت هناك برجل مغربي من اهالي سنقيط نقل اليَّ عنهُ انهُ يأتي بالغرائب والعجائب ومن ذلك انهُ يخاطب الجن ويخاطبونهُ بسمع من الحاضرين. ويشير بيدهِ الى اي انسان ممن حضر مجلسهُ فيخرج من ثيابهِ (اي المشار اليهِ) ثعبان عظيم يسعى على الارض . وانهُ يطرح على المائدة او الكرسي سترًا ثم يرفعهُ فلا يراها الحاضرون كأن الارض ابتلعتها ثم تعود الى مكانها. وغير ذلك مما يندهش الانسان لسماعهِ ولا يصدقهُ

فتاقت نفسي لرؤية ذلك الرجل وسعيت لمقابلتهِ فاتيح لي ذلك في منزل بعض الاصدقاء ليلاً وقد غصَّ المكان بالمتشوفين الى رؤية اعمالهِ وكلهم من ذوي الفضل والتعقل . وقد وجدت الرجل بينهم غير مكترث ولا مؤدب في مجلسهِ لانهُ يقرب ان يكون مستلقياً على ظهرهِ

مدهِ من ٨٠ الى ١٢٠ وهو دقيق ناعم ولكنهُ اسمر

ومتوسط ثخن الشعر في هذه الانواع كلها $\frac{١}{١٢٦٥}$ اي لو وضعت ١٥٢٦ شعرة الواحدة بجانب الاخرى لبلغ عرضها كلها بوصة واحدة

ويظهر من ذلك ان طول شعرة القطن المصري يقرب من طول شعرة القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند وهو دقيق مثلهُ وقد يمد في الغزل اكثر منهُ

قطن برازيل

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ٦٠٠ الف قنطار وهو ثلاثة انواع متوسط طول شعرتها نحو بوصة وعشرين ومتوسط قطرها $\frac{١}{١٢٦٥}$ ومدها في الغزل من ٣٦ الى ٦٠ . وقطن برازيل كلهُ جاف تلمس خيوطهُ فتظن انها اسلاك من الحديد

قطن بيرو

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ١٦٦ الف قنطار وهو ثلاثة انواع الاول السي ايلند المزروع في بلاد بيرو وقطر شعرتهِ من بوصة الى بوصة وسبعة اعشار وثخنها $\frac{١}{١٢٠٠}$ ومدها من ٤٠ الى ٥٠ والثاني قطن بيرو الخشن وطول شعرتهِ من بوصة وخمس الى بوصة ونصف وهو يمزج بالصوف لخشونتهِ والثالث قطن بيرو الناعم وطول شعرتهِ من بوصة الى بوصة وعشر وهو ناعم حريري نظيف

قطن ازمير

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ٩٨ الف قنطار وهو نوع واحد قصير الشعر طول شعرتهِ من سبعة اثمان البوصة الى بوصة وثمن وقطرها $\frac{١}{١٥٠٠}$ ومقدار مدهِ في الغزل من ٢٠ الى ٣٦ وشعرهُ خشن متجعد لكنهُ متين

القطن الهندي

مساحة الارض التي تزرع قطناً ١٥ مليون فدان ومقدار المحصول نحو تسعة ملايين قنطار وهو اربعة انواع الاول السورات وطول شعرتهِ من ثمانية اعشار البوصة الى بوصة وعشرين وقطرها $\frac{١}{١١٨٠}$ فهي ثخينة جدًّا ومقدار مدها ١٦ الى ٣٦ والثاني قطن بنغالا وطول شعرتهِ ثمانية اعشار البوصة على الاكثر والثالث قطن روتش وطول شعرتهِ ستة اعشار البوصة الى بوصة والثالث قطن رنجون وطول شعرتهِ ثمانية اعشار البوصة الى بوصة

والقطن الهندي كلهُ قصير الشعر ثخينهُ ومدهُ في الغزل قليل جدًّا ولا يصلح الاَّ اذا كانت تقاويهِ من بزرة السي ايلند

الورقة التي كانت بيد ذلك الوجيه فاذا هي فيها

(اللعبة الثالثة) اعطاني ساعة ذهب واعطى آخر ساعة فضة وبعد قليل طلب مني الساعة فوجدتها فضة وتحولت ساعة الفضة التي بيد الاخر الى ذهب

(اللعبة الرابعة) اخذ كوبة ممتلئة ماء ولفها في منديل كبير وضرب بها الحائط فاذا بالمنديل لا شيء فيهِ وكأن الكوبة دخلت في الحائط ثم طلب مني ان اضع يدي تحت شيء يسترها وانا باسط كفي فاذا بالكوبة موضوعة فوق راحتي . وبعد انقضاء هذا الالاعيب المدهشة لاحظت ان قلماً من الرصاص كان في يدهِ سقط منهُ على الارض بغير ان يتنبه لهُ فدفعتهُ نحوي بعصا كانت بيدي وتناولتهُ بدون ان يشعر بهِ وخبأتهُ في جيبي ثم طلبت منهُ ان يخاطب الارواح فاذعن بعد عناء واستعطاف وبحث عن القلم في جيوبهِ وثيابهِ وحولهُ وتحتهُ فقلت ألا تعرف اين القلم وقد كان بيدك الآن او لا تستطيع بعلم الاقلام ان تعرف موضعهُ فاغتاظ من ذلك غيظاً شديداً وتمتم بكلمات لا نفهمها وبارح المجلس وهو يرغي ويزبد ويتوعدني انهُ في مقام اخر سيحملني على الاذعان والاعتقاد بعلمهِ

فهل عند معارفكم الواسعة من دليل عقلي اعلل بهِ اعمال هذا الرجل واقشع عن فكري غياهب تلك الاوهام لانهُ كاد يغلب عليَّ الاعتقاد بوجود شيء اسمهُ سحر ابرهيم زكي

[المقتطف] اذا راجعتم ما كتبناهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف تحت عنوان السحر في الشعوذة وفي المجلد السادس والعشرين تحت عنوان السحر الحلال رأيتم فيهِ مفتاحاً لحل اعمال هذا المشعوذ . ويظهر لنا انهُ كان معهُ خادم يساعدهُ فالكوبة التي لفتموها بالمنديل هي غير الكوبة التي كان فيها الماء وقد كان في كمهِ اناء من الكاوتشوك فيهِ ماء وضعهُ في الجريدة لما لفها ثم ثقبهُ فنزل الماء منهُ وملأ الكوبة . والظاهر انهُ تناول الورقة التي فيها الساعات منكم في اول الامر وحركها بيدهِ ليظهر لكم وللحضور ان الساعات فيها وفي تلك اللحظة ابدل الورقة بورقة اخرى كانت في جيبهِ فيها قطع سكر . ثم ابدل الورقة التي في يد الوجيه بالورقة التي فيها الساعات وانتم لم تنتبهوا وكذلك ابدل الساعتين بخفة فلم تنتبهوا لذلك

والكوبة التي تظاهر انهُ وضعها في المنديل لم يضعها فيهِ بل اخفاها او سلمها لخادمهِ خفيةً عنكم ثم اظهرها فوق راحتكم

وهذه الاعمال من اسهل اعمال المتعودين وهم يعملون اعمالاً اعرب منها جداً وفي اللغات الاوربية كتب تعلّم كيفية عملها . وامهر المشعوذين لا يدَّعي الَّا الخفَّة والمهارة

وقد وضع احدى رجليهِ على الاخرى . وهو اسمر اللون وفي سن الاربعين تقريبًا ولغتهُ مغربية لا تفهم الاّ بصعوبة

وبعد ان قدمني اليهِ رب المنزل قائلاً عني (انهُ ممن ينكر الجن وعلم الغيب وهو يرغب في رؤْية شيءٍ من اسرار هذا العلم) وجدت اثر امتعاض باديًا على وجههِ ثم رمقني بطرفهِ شزرًا واعتدل في مجلسهِ وتكلم كلامًا طويلاً لم افهم منهُ غير ما يقرب معناهُ من انهُ لا يجب ان يظهر اسرار علمهِ امام من ينكرها وانهُ لولا انحراف في مزاجهِ لكان اقنعني بالبرهان القوي والحجة الدامغة . . . . الخ

وبعد التي واللتيا ورجاء بعض الحاضرين واستعطافهم اياهُ سمح بان يظهر امامي اربع الاعيب

(الاولى) طلب كوبة ممتلئة ماء فاعطاني اياها قائلاً لفها بمنديلك وضعها داخل اثوابك ففعلت ذلك ثم طلب ورقة كبيرة فاحضر لهُ صاحب المنزل جريدة من الجرائد اليومية فلفها شبه صرة وكتب ورقة صغيرة وضعها داخلها وقال لي اشر الى من تثق بهِ من الحاضرين ليأخذ هذه الصرة بيدهِ فاشرت الى بعض افاضل العلماء ممن في المجلس ولي بهِ ثقة عظيمة فاخذها بيدهِ فتمتم الرجل بعض كلمات لم نفهمها ثم طلب مني كوبة الماء فاخرجتها واذا هي خالية من الماء بالمرة فاخذها مني ونحن جميعًا ننظر اليها ووضعها تحت الصرة السابق ذكرها وثقب طرفها فانسكب منهُ الماء حتى ملأَ الكوبة بالقدر الذي كان فيها اولاً ومن الغريب انما وجدنا الجريدة التي كانت ملفوفة صرة غير مبتلةٍ . فاخفيت اندهاشي ولم اتظاهر بالاستغراب مثل غيري من الحاضرين وصرت احاول محو ما خامر قلوبهم من غرابة هذه الاعجوبة بعض التعليل العقلي الذي يدور حول محور اللباقة وخفة اليد ولكن كانت نفسي غير مقتنعة : اقول اذ لم يتبيَّن لي شيءٌ من هذا القبيل

فحنق الرجل عليَّ واغتاظ وقال اظنك افوكاتو فان كنت كذلك فها انا اوقعك في مشكل لننظر ماذا تدافع بهِ عن نفسك

(اللعبة الثانية) طلب من بعض الحاضرين ساعاتهم فاعطوهُ خمس ساعات اعطاني اياها وقال لفها بورقة وامسكها جيدًا بيدك فانها وديعة عندك يجب ردها واحذر ان تضيع منك فتناولتها ونظرت فيها جيدًا ووضعتها بيدي في ورقة ومسكتها بيدي مسكًا شديدًا

ثم طلب الرجل قطعًا من السكَّر فاحضرت لهُ ووضعها في ورقة ايضًا ونحن نراها واعطاها لوجيهٍ من الحاضرين ثم سكت هنيهة وطلب مني الساعات ففتحت الورقة واذا ما فيها قطع من السكر فقال اين ما اودعتهُ عندك ايها المحامي الفاضل فقلت على الفور ها هي الساعات وتناولت

ومن المعلوم ان الكلام اذا جمع الجزالة والسلاسة واشتمل على الطلاوة وبعُد عن سماجة التركيب وورد على السمع المصيب استعذبهُ وعلى الفهم الثاقب قبلهُ. فان جميع حواس الجسد تسكن الى ما يوافقها وتنفر مما يضادّها فالعين تألف المليح وتقذى بالقبيح والانف يرتاح الى الطيب ويتضرّر من المنتن والفمُ يلتذ بالحلو ويمجّ المرّ واليد تنعم باللين وتتأذّى بالخشن والسمع يانس بالكلام السلس ويميل الى المألوف ويصغي الى الصواب ويهرب من الخطاء وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافي ولا يقبل الكلام المضطرب الاَّ الفهمُ المضطرب • وليس شأن التحسين في ايراد المعاني لان المعاني يعرفها العربيُّ والعجميّ والقرويّ والبدوي وانما هو في جودة اللفظ وصفائهِ وحسنهِ ونقائهِ وكثرة طلاوتهِ مع صحة السبك والتركيب والخلوّ من اوَد التأليف • وانما يطلب في المعنى ان يكون صوابًا ولا يكفي في اللفظ ذلك بل لا بدَّ ان يكون على ما وصفتهُ من النعوت المتقدمة

فلذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة وبالغوا في تجويد الفاظها ليدلوا على براعتهم وحذقهم في صناعتهم . ولو كان المدار على المعاني فقط لطرحوا اكثر ذلك واسقطوا عن انفسهم تعبًا طويلاً. على ان الكلام اذا كان لفظهُ عذبًا سلسًا ومعناهُ وسطًا دخل في جملة الجيد كقول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ — ومسَّح بالاركان من هو ماسحُ
وشُدَّت على حُدْب المهاري رحالنا — ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا — وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ

فان هذه الالفاظ رائقةٌ معجبة مع انهُ ليس تحتها كبير فائدة . ثم اعلم ان المعنى اذا كان صوابًا واللفظ باردًا كان مستهجنًا مذمومًا مردودًا . مثالهُ قول عمرو بن معديكرب

قد علمتْ سلمى وجاراتها — ما قطّر الفارس الاَّ انا
شككتُ بالرمح سرابيلهُ — والخيلُ تعدو زيمًا حولنا

وقول ابي العتاهية

مات والله سعيد بن وهْبٍ — رحم الله سعيد بن وهبِ
يا ابا عثمان ابكيت عيني — يا ابا عثمان اوجعت قلبي

وكما انهُ لا خير في الالفاظ النافرة والتراكيب المعقَّدة كذلك لا خير في المعاني المستكرهة السخيفة • وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناهُ الاَّ بكدّ ويستفصحونهُ اذا وجدوا الفاظهُ كزّة غليظة وحاسئة غريبة ويستحقرون الكلام السلس العذب

باب التقريظ والانتقاد

بحر الاداب

وضع حضرة الفاضل الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر كتاباً
نفيساً سماهُ بحر الآداب اهدى الينا القسم الاول من الجزء الخامس منهُ فاعطاه اسماً على
مسمى بحراً جامعاً لما تفرَّق في كتب الادب من قواعد الانشاء وامثلتهِ حتى اذا كان فيهِ
عيب فهو غزارة مادتهِ وامتزاج قواعدهِ بالامثلة الكثيرة من بليغ المنظوم والمنثور. ولا
مشاحة في ان الاكثار من مطالعة نفيس الكلام وقت درس القواعد يقوي ملكة الانشاء
في النفس ولكن المتعلم يود ان يرى القواعد وما يوضحها من الشواهد في كتاب وحدهُ والامثلة
الكثيرة المسهبة في كتاب آخر ولكلٍ من الطريقتين فوائد ومزايا . واليك فصلاً من هذا
الكتاب موضوعهُ تمييز جيد الكلام من رديئهِ وهو

حسن الكلام هو سلاستهُ وتحسينُ لفظهِ واصابةُ معناهُ وجودة مقطعهِ واستواء
اقسامهِ وموافقة مآخيرهِ لمبادئهِ مع قلة ضروراتهِ بل عدمها اصلاً نظماً كان او نثراً فاذا
كان الكلام بهذه المثابة كان بالقبول حقيقاً وبالحفظ خليقاً كقول معن بن أوس

لعمرُكَ ما اهديتُ كفي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني طبعي عليها ولا عقلي
واعلمُ اني لم تصبني مصيبةٌ من الدهر الاَّ قد اصابت فتىً قبلي
ولست بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ من الامر لا يمشي الى مثلهِ مثلي
ولا مؤثرٍ نفسي على ذي قرابةٍ وأُوثرُ ضيفي ما أُقام على اهلي

وقول الشنفرى

أُطيل مطال الجوع حتى أُميتهُ واضرب عنهُ القلب صفحاً فيذهلُ
ولولا اجتناب العار لم يلفَ مشربٌ يعاش بهِ الاَّ لديَّ ومأْكلُ
ولكنَّ نفساً مرَّةً لا تُقيمني على الضيم الاَّ ريثما اتحوَّلُ

وقول النابغة

ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمُّهُ على شعَثٍ ايُّ الرجال المهذَّبُ

الفونوغراف والسكورتاه

وضع حضرة العالم المحقق صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي رسالتين وجيزتين في احكام قراءة الفونوغراف واحكام السكورتاه ابان في الاولى منهما انهُ اذا رُسم كلام القرآن على اسطوانة الفونوغراف كما يرسم عليها غيرهُ من الكلام ثم اديرت مصدرت الكلمات القرآنية منها مستوفية للشروط بدون ان يكون بها خلل وقصد من رسم مخارج تلك الكلمات في الاسطوانة سماعها للعظة والتدبُّر فلا شك في الجواز وفي ان السماع عبادة ٠ واما اذا اختلَّت حروف تلك الكلمات ولم تصدر مستوفية او قصد من رسم مخارجها او سماعها اللهو واللعب او كان في محل لا يليق قراءة القرآن فيهِ ولا سماعهُ فلا شك في مع ذلك وعدم جوازهِ

وابان في الثانية ان عقد ضمان قومبانية السكورتاه عقد التزام لما لا يلزم شرعًا بل هو فاسد شرعًا لانهُ معلَّق على خطر تارةً يقع وتارة لا يقع فهو قمار معنًى ولكن صرَّحوا في معتبرات المذاهب ان المسلم المستأمن في غير دار الاسلام يحلُّ لهُ ان يأخذ مالهم برضاهم ولو ربًا او قمار لان المحرَّم هو الغدر او الخيانة فما اخذهُ برضاهم وليس فيهِ غدر ولا خيانه يكون حلالاً وعلى ذلك يقال اما ان تكون مباشرة العقد في دار الاسلام واخذ بدل المال الهالك فيها ففي هذه الصورة لا يحل لمسلم اخذ ذلك البدل ٠ واما ان تكون مباشرة العقد في غير دار الاسلام واخذ بدل المال الهالك في غيرها ايضًا ففي هذه الصورة يحل لهُ ما اخذهُ من البدل لانهُ انما اخذهُ برضاهم في دارهم بدون غدر ولا خيانة ٠ واما ان تكون مباشرة العقد في غير دار الاسلام ولكن اخذ بدل المال الهالك في دار الاسلام ففي هذه الصورة لا يحلُّ اخذ ذلك البدل ٠ واما ان تكون مباشرة العقد في دار الاسلام ولكن اخذ بدل المال الهالك في غيرها ففي هذه الصورة يحرَّم مباشرة العقد والاقدام عليه في دار الاسلام ومع ذلك يحل اخذ بدل المال الهالك متى كان الاخذ في غير دار الاسلام برضاهم ٠ والحاصل ان المدار في حل اخذ بدل المال الهالك منهم على ان يكون اخذ ذلك البدل من مالهم في دارهم وبرضاهم

قاموس ابكاريوس

شهرة هذا القاموس تغني عن التعريف ٠ وضعهُ المرحوم الخواجا يوحنا ابكاريوس وطبع منذ اكثر من عشرين عامًا . وقد نقحهُ الآن حضرة نجلهِ الدكتور يوسف ابكاريوس

ولم يعلموا ان السهل امنع جانبًا واعز مطلبًا واحسن موقعًا واعذب مستمعًا وقد وصف الفضل ابن سهل عمرَ بن مسعدة فقال هو ابلغ الناس ومن بلاغتهِ ان كل احد يظن ان يكتب مثل كتابتهِ فاذا رامها تعذَّرت عليهِ . ومن الكلام المطبوع السهل ما وقَّع به علي بن عيسى وهو " قد بلَّغتك اقصى طلبتك وانلتك غاية بغيتك وانت مع ذلك تستقلُّ كثيري لك وتستقبح حسني فيك فانت كما قال رؤبة

كالحوت لا يكفيهِ شيءٌ يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه "

ومن المنظوم المطمع قول البحتري

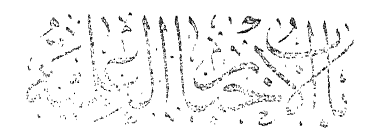
ايها الراغب الذي طلب الجو د فاملى كومَ المطايا وانضى
رِد حياض الامام تلقَ نولا يسع الراغبين طولاً وعرضا
هو اندى من الغمام واوحى وقعاتٍ من الحسام وامضى
يتوخى الاحسان قولاً وفعلاً ويطيع الاله بسطاً وقبضا
فضَّل الله جعفرًا بخلال جعلت حبهُ على الناس فرضا

والجزل المختار من الكلام هو الذي تعرفهُ العامه اذا سمعتهُ ولا تستعملهُ في محاوراتهم . فمنهُ في الشعر قول مسلم بن الوليد

وردنا رواق الفضل فضل بن جعفرٍ فحطَّ الينا الحولَ نائلهُ الجزلُ
بكفي ابي العباس يستمطر الغنى ويستنزل النعمى ويسترعف النصلُ
ويستعطف الامر الابيّ بحزمهِ اذا الامر لم يعطفهُ نقضٌ ولا فتلُ

وفي النثر قول يحيى بن خالد " اعطانا الدهر فاسرف ثم عطف علينا فعسف " وقول سعيد بن حميد " انا ممن لا يحاجُّك عن نفسهِ ولا يغالطك عن جرمهِ ولا يلتمس رضاك الاَّ من جهتهِ ولا يستدعي برَّك الاَّ من طريقتهِ ولا يستعطفك الاَّ بالاقرار ولا يستصحبك الاَّ بالاعتذار فقد نبت بي عنك غرَّة الحداثة وردَّتني اليك الحنكة وباعدتني منك الثقة بالايام فادَّتني اليك الضرورة فان رأيت ان تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فعلت فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان ايام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة " انتهى

ويقيننا ان من استظهر ما في هذا الكتاب من الامثلة وعندهُ مادَّة اكتسبها من كتب العلم او من العمل سهل عليهِ التعبير عنها بافصح التراكيب ولا سيما اذا تعلَّم قواعد اللغة ومرن عليها . فلمؤلفهِ الفاضل جزيل الشكر



اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٦	٢	صباحاً
البدر	٩	٨	١٢	"
الربع الاخير	١٥	١٠	٣٧	مساءً
الهلال	٢٣	٦	٧	"

السيارات

يصير عطارد نجم الصباح في اواخر الشهر

والزهرة نجم المساء ولكنها تظهر وقتاً قصيراً

والمريخ يرى الى حد الساعة الثامنة

والمشتري يبقى ظاهراً من ساعتين الى ثلاث بعد الغروب

وزحل نجم الصباح الشهر كلهُ

السفر بالاتوموبيل الى القطب الجنوبي

في نية المسيو هنريك ارتوسكي ان يسافر الى القطب الجنوبي بالاتوموبيل فيصل بسفينة الى طرف بحر روس حيث العرض ٧٨ درجة ويبقى بينهُ و بين القطب الجنوبي ١٢٩٦ كيلومتراً يقطعها بالاتوموبيل على الجليد بعد ان يقسمها الى ثلاث مراحل

الاتوموبيل المسلَّح

لما صُنع الاتوموبيل قال كل احد انهُ سيقوم مقام مركبات الخيل والبغال على انواعها فكان كذلك ولم يقل احد انهُ سيقوم مقام الخيل في الحروب ويفوقها من كل وجه . ولكن يظهر من التجارب التي جُرّبت في بلاد النمسا وفي بلاد فرنسا انهُ قد صُنع الآن اتوموبيل مسلح مدرَّع يسير في كل الطرق والاراضي سواءٌ كانت سهلاً او جبلاً وفيهِ مدفع من المدافع السريعة الطلقات موضوع في برج دوَّار في اعلاهُ يدور الى كل الجهات و يسدَّد الى الفرض اينما كان . وجسم الاتوموبيل نفسهُ مدرَّع بطبقة رقيقة من الفولاذ (الصلب) ولكنها متينة جداً لا يخرقها رصاص البنادق الاَّ على نحو ثمانين قدماً ولا يؤَثر فيها اذا كان البعد ثلثمئة قدم . وإطار عجله مجهز بمادة خاصة تسدُّهُ حالاً اذا خرقهُ الرصاص حتى اذا خرقتهُ عشر رصاصات بقي الاتوموبيل قادراً على السير عشرين دقيقة فيبعد عن العدو ويُصلح . وهو يدار من الداخل وفيهِ

واضاف اليهِ زيادات كثيرة وعني حضرة الدكتور فرنكلين هسكنس بمراجعتهِ وطبع ثالثة في المطبعة الاميركية في بيروت وثمنهُ ١٢٥ غرشاً بمعاملة بيروت . وهو من اوسع القواميس الموضوعة لتفسير الكلمات الانكليزية بالعربية وادقها ولا بدَّ من أن يزيد الاقبال عليهِ بزيادة انتشار اللغة الانكليزية في هذا القطر وسائر الاقطار العربية

مختصر البيان
في تحقيق الايمان

وضع هذا الكتاب الشيخ الجليل جرجس بن العميد الملقب بابن المكين من نوابغ الامة القبطية في القرن الثالث عشر للميلاد

كان ابن المكين عارفاً باللغة القبطية واليونانية واسع الاطلاع في اللغة العربية حسن الانشاء فيها فيلسوفاً لاهوتيًّا قوي الحجة ترهَّب في دير ابي يحنس القصير المشهور بدير البغل (وهو الآن خراب) ووضع هذا الكتاب في تفنيد اقوال المعترضين وايضاح ما اشكل فهمهُ من الآيات الكتابيَّة وقد طبعهُ الآن حضرة القمص بطرس عبد الملك خادم الكنيسة المرقصية الكبرى

ولابن المكين كتاب تاريخي لم يطبع حتى الآن ولهُ ايضاً تكملة تاريخ الطبري وحبذا لو عني حضرة طابع هذا الكتاب بطبع هذين الكتابين ايضاً

لاجل النيل

رسالة صغيرة وضعها حضرة صالح بك حمدي حماد وضمنها كتاباً بعث بهِ الى جناب السر وليم ولككس اجابةً لما اقترحهُ من طلب المعلومات التي يعلمها المصريون عن فيضان النيل ورسالتين نشترا في المقطم في هذا الموضوع وسنأتي على بعض ما نشر فيها في جزء تالٍ

ترجمة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبد القادر الرافعي مفتي الديار المصريَّة بعد الشيخ محمد عبده تولَّى منصب الافتاء ثلاثة ايام واستأثرت بهِ رحمة ربهِ . وقد ترجمهُ ولدهُ الاستاذ الفاضل الشيخ محمد رشيد الرافعي وذكر تاريخ بيتهِ واخلاقهُ ومؤَلفاتهِ واقوال الجرائد فيهِ من عربيَّة وغير عربية

واذا لم يكرموكم فلا تفشلوا فان في السماء من اذا قال لكم "نعمّا ايها العبد الصالح" فقوله اشرف من كل القاب الشرف وامجد من كل امجاد العالم

ادراك الحيوان الاعجم

ألّف الاب وسمن كتاباً حاول ان يثبت فيهِ ان افعال الحيوان الاعجم التي تظهر فيها آثار العقل انما هي افعال غريزيّة لا عقل فيها فكتب بعضهم الى جريدة ناشر ينتقده ويقول انهُ شاهد افعال بعض الجعلان في روسيا وهي تدل دلالة واضحة على ان فيها شيئاً من التعقل من ذلك انهُ رأى جعلاً يدحرج دحروجتهُ برجليهِ يدفعها الى الوراء دفعاً كعادة الجعلان . وبينما هو سائر بها على هذه الصورة اتى جعل آخر ووقف وراء الدحروجة وحاول دفعها برجليهِ فوقفت بينهما لا تتحرك لتساوي القوتين على الجانبين . ولما رأى الجعل الاول انهُ يدفع الدحروجة فلا تندفع وقف وجعل ينظر اليها ويتفحصها ثم عاد يدفعها فلم تندفع فوضع رأسهُ تحتها وحاول دفعها كما يدفع العامل الحجر المحل فلم تندفع فدار حولها ورأى الجعل الآخر فهجم عليه فهرب هذا من وجههِ وجدَّ الاول في اثرهِ ولما لم يدركهُ تركهُ وعاد الى الدحروجة ودفعها فاندفعت ويستحيل ان يراهُ احد يفعل تلك الافعال ولا يقول انهُ كان يفعلها بعقل وروية كما يفعلها الانسان وذكر امثلة اخرى

الربح من اصباغ الفحم

ان اكثر الاصباغ المستعملة اليوم يستخرج من قطران الفحم الحجري على اسلوب استنبطهُ الانكليز واستفاد منهُ الالمان . فان الالمانيين احذوا الامتياز بعمل هذه الاصباغ وألّفوا لذلك شركتين كبيرتين راس مالهما خمسون مليون جنيه ويبلغ الربح السنوي الذي توزعانهِ من عشرين في المئة الى ثلاثين في المئة

دار الزراعة الدولية

وافقت اكثر بلدان الارض في انشاء دار للزراعة في ايطاليا تكون كمدرسة لها . ومن البلدان التي امضت هذا الاتفاق ايطاليا وروسيا والسرب والبلغار والبرتغال والمكسيك وسويسرا وايران واليابان والنمسا واسبانيا وفرنسا والدنمارك واليونان واسوج وهولندا والمانيا والنمسا وبريطانيا ومصر والولايات المتحدة الاميركية وكوبا وقد تبرّع ملك ايطاليا بالنفقات اللازمة لبناء هذه الدار واتمامها سنة ١٩٠٧

هبة علمية

وهب المستر الفرد بيت مدينة همبرج مئة الف جنيه لتنشأ بها مدرسة جامعة

ن الغازولين ما يكفيهِ لسير اربعمئة ميل فيهِ عشرة آلاف قنبلة لمدفعهِ واذا هاجم فرقة ن الجيش افناها في دقائق قليلة وهو بعيد عنها حتى لا يؤثر رصاصها فيهِ واذا فاجأته مفاجأة ودنت منهُ ولم يستطع مقاومتها هرب ن وجهها وابعد عنها لانهُ اسرع من لفرسان جدًّا

ويقال ان الاتوموبيل النمسوي الفرنسوي جُرّبا فوجدا بالعرض وان روسيا وصت معملاً في فرنسا على كل الاتوموبيلات لمسلحة المدرعة التي يستطيع ان يصنعها لها

شيوع الاتوموبيل

لقد شاع استعمال الاتوموبيل جدًّا وكنهُ لم يقم حتى الآن مقام مركبات الخيل والبغال في كل مكان لان المعامل التي تصنعهُ لا تستطيع ان تصنع كل ما يطلب منها فقد صنعت معامل اميركا في العام الماضي ٢٧٨٤٠ اتوموبيلاً بلغ ثمنها كلها ٩٥٥٣٧٢٠ جنيهًا بيع منها ٢٢٩٧٠ اتوموبيلاً في اميركا نفسها و١٠٣٦ في البلدان الخارجية

التلغراف الاثيري

خطب الكونت اركو في المدرسة الحربية ببرلين في فوائد التلغراف الاثيري اي الذي لا سلك لهُ فابان انهُ صار في الامكان الآن نقل الاشارات بهِ من مكان الى آخر ولا تؤثر اشاراتهُ في غير امكان المرسلة اليهِ. وان فوائدهُ الحربية ظهرت في حرب الروس واليابان وثورة الهريرو . وفوائدهُ التجارية تظهر حيث يتعذر مد الاسلاك كما في الغابات الملتفة وبين الجزائر وحيث يغتصب الناس او يثورون ويقطعون الاسلاك التلغرافية

نصائح للمحامين

خطب اكبر محامٍ في اميركا خطبة نفيسة في احوال المحامين ونصح لشبان منهم النصائح التالية قال

واضبطوا في صنعتكم وارفعوا مقامها ولا تطلبوا بها الغنى فتصير تجارةً . اعدلوا في اجوركم . ساعدوا المسكين بنصائحكم ومشوراتكم . واعلموا ان المحامي يشتغل كثيرًا ويعيش كريمًا ويموت فقيرًا . اذا اردتم ان تدخروا شيئًا فادخروا الاقتصاد واقتنوا ملكًا في مدينة آخذة في النمو واذا لزمتم المال تستدينوا بعض ثمنهِ وترهنونه فان اجرتهُ تزيد بنمو المدينة فيكون ذخرًا كما في الشيخوخة . لا تضاربوا ولا تحجموا عن عمل الاحسان واعكفوا على درس الشريعة والتاريخ في كل اوقات الفراغ واظهروا ثمار درسكم في مجالس القضاء . وابعدوا عن السياسة وعن التشيع لفئة من الناس واذا اكرمكم الحكام فكونوا مستحقين لاكرامهم

وساح في بلاد الارمن والعراق العربي ثم ساح في الصين واليابان وغربي اميركا ووصف هذه البلدان في كتبهِ

وهو اول من استخدم رأي الانتخاب الطبيعي في علم الحيوان في مقالة نشرها سنة ١٨٥٩ قبلما نشر كتاب دارون في اصل الانواع لكنهُ بنى كلامهُ على المقالة التي قدمها دارون وولس الى جمعية لينيوس الطبيعية في اول يوليو سنة ١٨٥٨

ومن كتبهِ الكثيرة (١) كتاب الصحراء (٢) بلاد اسرائيل (٣) حيوانات التوراة ونباتاتها (٤) مشاهد المشرق (٥) نبات سورية (٦) المنائر الذهبية السبع (٧) تخطيط فلسطين (٨) ارض مواب (٩) مسالك فلسطين (١٠) حيوانات فلسطين ونباتاتها (١١) عادات بلاد التوراة (١٢) اسفار في اليابان . ولهُ عدا ذلك مقالات كثيرة في المجلات العلمية والقواميس العمومية . وكانت وفاتهُ في الثامن من شهر مارس الماضي

السمنت

يزيد استعمال السمنت في البناء زيادة عظيمة سنة فسنة فقد قدَّر بعضهم انهُ استُعمل منهُ سنة ١٩٠٠ ما ثمنهُ نحو ٣٢ مليون ريال وسنة ١٩٠٣ ما ثمنهُ نحو ٤٦ مليون ريال . والزيادة مطَّردة واكثر انواع السمنت استعمالاً سمنت برتلند

الفحم الحجري

بلغ ما استُخرج من الفحم الحجري في البلاد الانكليزية في العام الماضي ٢٣٦ ١١١ ١٥٠ طنًّا فزاد عمَّا استُخرج في العام الذي قبلهُ ٣٦٦ ٦٩٩ ٣ طنًّا

اقلام الرصاص

اقلام الرصاص والاصح ان يقال اقلام البلمباجين يصنع كثير منها في نوبرج بالمانيا فان لها فيها اربعون معملاً تصنع في السنة ٣٥٠ مليون قلم يبلغ ثمنها اكثر من نصف مليون جنيه

طفل مدى الحياة

توفي بالامس طفل عمرهُ ست واربعون سنة فانهُ لما صار عمرهُ سنة توقف نموهُ جسدًا وعقلاً وبقي هذه السنين كلها يأكل ويشرب ويلبس مثل طفل عمرهُ سنة

الانكليز والمسكرات

شرب الانكليز من المسكرات في العام الماضي ما ثمنهُ ١٦٤ ١٦٧ ٩٤١ جنيهًا . وهذه الجنيهات تزن ١٢٨٥ طنًّا ولو اريد نقلها بسكة الحديد للزم لها ٢١٠ مركبات كبيرة من مركبات سكة الحديد

الاوربيون والطاعون

امات الطاعون نحو ربع مليون في ولاية بمباي في العام الماضي ولم يكن بينهم من الاوربيين سوى عشرة

مجلة الشتاء

اراناا حضرة العالم الفاضل والمنشئ اللوذعي سليم بك عنحوري صاحب مجلة الشتاء مقالة مسهبة موضوعها " البدو في القرن العشرين " نشرها في الجزء السادس الذي سيصدر في آخر هذا الشهر وضمّنها خلاصة ما عرفهُ بالخُبر والخبر من احوال البدو واطوارهم ووصف هيئتهم الاجتماعية بنوع عام . وهي مثل حفلة السلاملك التي صدرت في الجزء السابق ومثل كل ما يكتبهُ في حسن الوصف والرصف فنوجه انظار القراء اليها . وستختم سنة المجلة الاولى بهذا الجزء

سكان السلطنة الانكليزية

٣٠٠ مليون في اسيا
٤٣ مليونًا في افريقية
٤٢ مليونًا في اوربا
١/٢ ٧ ملايين في اميركا
٥ ملايين في استراليا

وهم مقسومون حسب اديانهم هكذا

٢٠٨ ملايين هنود براهمة
٩٤ مليونًا مسلمون
٥٨ مليونًا مسيحيون
١٢ مليونًا بوذيون
٢٧ مليونًا وثنيون من اديان مختلفة

نازلة مناجم كوريير

مناجم كوريير يستخرج منها الفحم الحجري في ولاية بادكاله بفرنسا فيها نحو سبعة آلاف عامل واربعة واربعون عرقًا من عروق الفحم يستخرج منها في السنة نحو مليوني طن . وكانت موصوفة بحسن ادارتها حتى انهُ لم يكن يقتل من المعدنين فيها رجل واحد كل سنة مع ان الرجال الذين يستخرجون الفحم الحجري في بلاد الانكليز لا يستخرجون مليوني طن من الفحم حتى يقتل منهم اكثر من اربعة رجال بسقوط الحجارة عليهم من سقف المنجم . لكن نزلت بمناجم كوريير في الشهر الماضي نازلة لا مثيل لها فاشتعل الغاز الذي فيها وقتل اكثر من الف ومئة نفس من المعدّنين

القانون ترسترام

خسر رجال الدين ورجال العلم خسارة لا تعوّض بوفاة العالم المحقق واللاهوتي الورع القانون ترسترام الرحالة الطبيعي الشهير صاحب التآليف الكثيرة . ولد سنة ١٨٢٢ ودرس في مدرسة اكسفرد الجامعة وساح في صحراء افريقية سنة ١٨٥٦ وفي سورية ومصر سنة ١٨٥٨ ثم عاد الى فلسطين سنة ١٨٦٣ و ١٨٧٢ و ١٨٨١ ولقيناهُ حينئذٍ في بيروت فساعد المقتطف بكتبهِ وصورها



فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والثلاثين



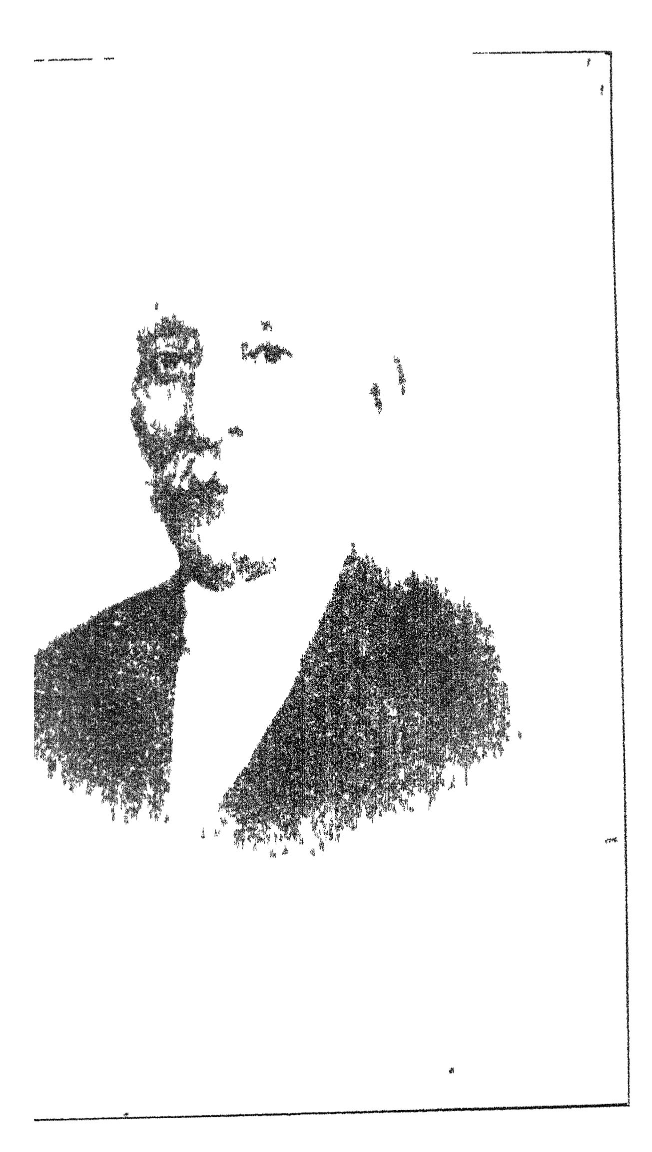
ء الخامس من المجلد الحادي والثلاثين

ر) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٤

رجال المال والاعمال

فيلكس سوارس

بياناً الى اتهام بعض الاوربيين الزاعمين ان امم المشرق منحطة عنهم او انها
الصفاء ولن تقوم لها قائمة . فنورد لهم حجة على فساد قولهم الاسرائيليين الذين
ساووا معهم في الحقوق المدنية فانهم جاروهم او فاقوهم في العلم والفلسفة
. والحصة الصغيرة من مسيحيي سورية ومسلميها الذين نزلوا البلاد
بعد قريب لاجل التجارة فانهم كادوا يقبضون على تجارة سورية كلها وعلى
لدان. اما الاسرائيليون فامرهم مشهور ولا سيما اذا ذكرت العلوم الفلسفية
ة يطأطئُ لهم كلُّ اوربي لان ميزان المال في يدهم على قلة عددهم . وهذا
: تساووا فيها بغيرهم في الحقوق المدنية كما هو ظاهر في فرنسا والنمسا واميركا
ا في هذا القطر بعد ان توطد الامن فيهِ وروعيت حقوق الاجانب
ول المتوالية عن رجال المال والاعمال وذكرنا فيها الاوربيين والاميركيين
عدهم وعملوا الاعمال العظيمة باموالهم ووعدنا ان نستطرد الكلام الى اغنياء
تحقون ان يذكروا مع اولئك العظام ولكن وجدنا امامنا عقبتين تعذَّر علينا
عوبة الوصول الى الاخبار الصحيحة المدققة التي يمكن ايرادها ومن ذكرها
انية ان اكثر رجال المال لا يزالون في قيد الحياة والكتابة عنهم قد تُعدُّ



فيلكس سوارس

عني عن البيان ان ربحهُ السنوي وربح شركاء من ثبات السكة ... دون ...
نتذكر ان الارباح بلغت في وقت من الاوقات ... في المئة وكانت سهم شركة ...
ون ثمنها الاساسي وبقيت على ذلك الى ان اعتبها شركة سكة حديد الدلتا بضعف ... راحة

ومن قبيل ذلك معمل تكرير السكر في الحوامدية ... تعب على انشائهِ هو وشركاؤهُ تعبا
جمًّا ولم يربحوا منهُ ولا لوم عليهم ولا عيب لان الاعمال الصناعية ربحها قليل محدود
بسبب المناظرة الشديدة ولا يتوفر الكسب الا من الاعمال الصناعية الجديدة التي لا مناظرة
بها . وبقيت مكاسب هذا المعمل اقل من القليل الى ان بيع لشركة اخرى

ومن هذا القبيل ايضاً حفر البئر الارتوازية في طنطا وتوزيع الماء منها على منازل
سكان فان الماء خرج وطعمهُ مخالف لطعم ماء النيل الذي يستقيه السكان من الحنفية فلم
... عليهِ ولذلك لم يكن الدخل من الماء يفي بنفقاته وكان صاحب ... مقتنعًا بجودة
الماء وفائدته حتى انه كان يحمل منهُ الى مصر ويشرب منهُ في بيته ... حاملا منهُ
... في ... فلم نستطعهُ مع علمنا انهُ ... لا نستوفهُ ... تحقق ...
قبال الناس عليهِ فوجدنا ان الذين ... عملوه الفوا ... حالاً وساروا ... ولا
يستطيعون ماء الحنفية بارائهِ ورأيناهم يطلبون ... وسهولة استعماله ورخص ... فرجعوا
يشتروه ذلك فقال اني على تمام الثقة من نجاح هذا المشروع اذا لقينا اقل مساعدة من
الحكومة في منع الناس عن الاستقاء من ماء الحنفية حينما يأسن وذكرت لهُ ان المسألة
مسألة عادة فقط فاذا اعتاد الناس شرب ماء البئر الفوا طعمهُ ولم يعودوا يستطيعون غيرهُ
ارتأى ان تنشأ حنفيات في المدينة يعطى منها الماء للفقراء مجانًا ووقت ... كثيرا رحمة
بهم فزادت الفة الناس لهُ وشاع استعمالهُ وزاد الربح منهُ وارتفعت اسعار اسهمهِ كما لا يخفى
والشركة الاخيرة شركة كوم امبو سألناه مرة عما ذكروا عازمين على طرحها للاشتراك
العمومي فقال كلا لا ننا غير واثقين من نجاح هذا المشروع حتى الآن ونخشى ان تزيد نفقات
الري هناك على ما يمكن ان ينتج من الارض فلا رأي لنا في اشراك الناس بعمل قد تكون
منهُ خسارة عليهم

ومع اقدامهِ على الاعمال العظيمة لم يكن يقدّر لها النجاح الذي يحتمهُ كما تدل كل الاعمال
الكبيرة التي عملها فالدائرة السنية وهي من اعظم الاعمال التي كان لهُ اليد الطولى فيها لما وصل
سهم منها الى سبعة جنيهات قال صريحًا انها تجاوزت الثمن الذي تستحقهُ فقيل لهُ ان كبار
مزارعي البلاد ادرى منهُ بهذا الامر وهم متهافتون على مشترى هذه الاسهم ولكنهُ كان

وكان المرحوم فيلكس سوارس من اول من ... مهمته وكان ... ا
اساليب التي جرى عليها في تقدم الاعمال الكبيرة المعهودة ... اوّل ... البنك
ملك العقاري المصري الذي انشأه او ... في سنة ١٨٨٠ كي يقرض ...
من عقاري وربًا معتدل . ومعلوم ان هذا البنك ... لا ... اصلح ... في مصر
اد ريع الاطيان ولا ثمنها ولولا الاحتلال الانكليزي ... التي ... الى ...
مال الحكليين لكان شأنهُ ضعيف جدًّا الآن ... لم يكن قد افلس ما وقد ... اسعار ... ال
اطيان والاملاك عمومًا من ارتفاع الاسعار ... في التصرف ... لا ... واستفاد
ايضًا وعاد بالربح الوافر على مؤسسيه ... السهم من اسهمه ... وفي الآن نحو ٨٠ ... ل
المدفوع من ثمنهِ الاصلي ١٢٥ فرنكًا لا غير . ومتى ذكرت الاعمال النافعة ... اسعد ...
ذا القطر وجب ان يذكر البنك العقاري في مقدمتها

وتلوه شركة الدائرة السنية التي حلّت محل الحكومة المصرية ... ال ... ره
سنية لاهالي القطر بالتقسيط بعد ان عينت ... اسعار محدودة واوفت ... ... كانت
ك الاطيان مرهونة عليها واقتسمت ... بين ... الحكومة ... من ... ا
بادي من ٥ جنيهات الى نحو ٢٨ جنيهًا ومنهم التأسيس من جنيه ... احد

ومما يذكر من اعماله الكبيرة التي ... او ... في تأسيسه ... كرير السكر ...
الحوامدية الذي انشئ سنة ١٨٠٢ لقصد تكرير السكر ... ...
مكرّر فيها تم اعادتهِ مكرّرًا الى القطر وسكة حديد حلوان التي ... من
الحكومة ونقلت محطتها من قرب القلعة الى ما بين دواوين الحكومة ... وسكة
حديد الشرقية التي بيعت لشركة سكة حديد الدلتا الضيقة ... ...
الاهلي المصري والبنك الزراعي وشركة كوم امبو وغير ذلك من الشركات العمومية والخصوصية

وقد يُظَن لاول وهلة انهُ لم يكن يعمل عملاً الّا وهو ... مقدار ما ينالهُ ... من الربح .
هذا خطأ كما تدل اعمال كثيرة عملها وهو لا يرجو منها نفعًا لنفسه ... يحسب ... منها نفعًا
عامًّا للبلاد مثال ذلك سكة حديد حلوان فان محطتها في مصر كانت قرب القلعة فكان
الوصول اليها متعذرًا او يدفع الراكب اجرة مركبة توصلهُ اليها قد تزيد على اجرة سكة
الحديد فاتفق هو وشركاؤُهُ مع الحكومة على نقل محطتها الى قرب دواوين الحكومة واهتمّ
باصلاح حلوان وترغيب الناس في سكنها لطيب هوائها فصارت اضعاف ما كانت عليهِ ولا
نبالغ اذا قلنا ان اربعة اخماس المباني في حلوان بنيت بعد ان اهتمّ صاحب الترجمة بها .

وقصدهُ آخر صبيحة يوم من ايام الآحاد فقال لهُ اتيتنا في الصباح على غير العادة فهل من
ة نقضيها لك . فقال الرجل نعم يا خواجه سوارس ولم يكن مرادي ان اتعبك بل ان
ب الكاتب فلاناً بقضاء غرضي . فقال لهُ ما هو فاقضيهُ لك لان الكاتب ليس هنا الآن .
الرجل طُلب مني اليوم مبلغ كذا من النقود والبنوك كلها مقفلة فلا سبيل لي الى هذا
فاتيت بهذا التحويل لعلي استلف المبلغ المطلوب من بنككم فقال اهذا الكل تعال معي
معهُ الى حيث الصراف وقال لهُ اعطِ الخواجه فلاناً كل ما يطلبهُ منك

ومتى ذكر فيلكس سوارس او سعد سوارس يعلّق اهالي العاصمة اسمهُ بامرين كبيرين
ل اقدامهُ على الاعمال العمومية العظيمة والثاني اهتمامهُ بالفقراء والتصدُّق عليهم . وتروى
وادر كثيرة متعلقة بالامر الاخير تدلُّ كلها على انهُ كان من كبار المحسنين وبقي الى
ظ نفسهُ الاخير يهتم بالفقراء حتى قيل انهُ اوصى ذويهِ والذين حولهُ ان لا يصنعوا لهُ
ل الازهار لتوضع على نعشهِ بل يدفعوا ثمنها للفقراء . ويعلّق خاصة اصدقائهِ اسمهُ بمزايا
ى ايضاً كصدق الوعد وحب اشراك الغير في النفع والترفُّع عن الانتفاع من غفلة الغافلين
ذلك من الاخلاق الكريمة مع البعد عن التظاهر بالغنى حتى انهُ قلما نُظر راكباً مركبة
ة وغالب ما كان يرى ماشياً او في مركبة مأْجورة ولكن ذلك لم يحط من قدرهِ ووجاهتهِ
، ذرّة

وقد اهتم اهالي العاصمة بل اهالي القطر بمرضهِ الاخير ووفاتهِ اهتماماً شديداً وكان
تهِ موكب منقطع النظر مشى فيهِ الامراء اعضاء العائلة الخديوية واللورد كرومر ونظار
مة المصرية ووكلاء الدول الاجنبية وكل عظيم في هذه العاصمة وملأَت اكاليل
ار مركبات كثيرة وسير بجثتهِ الى الاسكندرية بقطار خاص فاحتفل باستقبالها ودفنها
كما احتفل بتشييعها من العاصمة وسيبقى اسمهُ منقوشاً في صفحات التاريخ كرجل من
ب الهمم الكبيرة ومن اكبر المحسنين

وكانت ولادتهُ سنة ١٨٤٢ وتوفي والدهُ وعمرهُ ست سنوات عن غير ثروة فربتهُ امهُ
" مع اخوتهِ في الاعمال التجارية والمالية وتوفي في الثالث عشر من شهر ابريل
ثروة تقدَّر بنحو مليون جنيه اوصى منها بمئة وعشرين الف جنيه لزوجتهِ ولكل
بناتهِ الثلاثة وبثمانين الف جنيه لكلٍّ من بناتهِ الخمس وبما بقي لبعض المستخدمين
ال الخيرية

معتقدًا صحة قولهِ ولما بلغ ثمن السهم عشرة جنيهات قيل لهُ في ذلك فقال لا اعلم فقد اضعت قوة الحكم . ولكن كانت اسعار الاطيان قد اخذت في الارتفاع فلم يعد حكمهُ السابق ينطبق على الاحوال الحاضرة

وكذلك الاطيان واراضي البناء التي باعها ارتفعت اثمانها كلها ارتفاعًا فاحشًا لم يكن يقدره لها حتى ان الذين اشتروها منهُ ربحوا منها اكثر مما ربح هو

وكان يتألم من انكار الجميل ومن تفسير الافعال على غير حقيقتها

عابهُ مرةً احد اصحاب الجرائد اليومية وكان قد استفاد من فضلهِ فائدة كبيرة فوقف يفكر في الامر ثم قال ان المرء مطبوع على انكار الجميل . ولكن بدت على وجهه امارات الالم الادبي الشديد . ولامهُ آخر واظهر عيوب عمل من اعمالهِ فقال ان فلانًا يرى هذه العيوب الطفيفة ويندد بها ولكن هل يدري كيف كان هذا العمل قبلما توليناه . ثم جعل يشرح لنا ما كان فيهِ من العيوب وما تمَّ فيهِ من الاصلاح فاستغربنا ان رجلاً عظيمًا مثلهُ يهتم بانتقاد المنتقدين وابنَّا لهُ استغرابنا ولكننا عدنا فتذكرنا ان هذا الضعف يبدو على اكثر الناس متى جازوا سن الكهولة

وكان جلودًا على الشغل ولو اقتصر على ادارة الاشغال بنوع عام . رأيناهُ مرةً في مكتبهِ بُعيْد وفاة ابنهِ وكان مصابًا بزكام شديد فنظرنا اليهِ نظر الاستغراب فقال لا تستغربوا لانني لا اتسلَّى عمَّا حلَّ بي الاَّ بالشغل

وكان طويل القامة نحيف الجسم يتأنَّى في كلامهِ ويبسط آراءهُ بالسهولة التامَّة في التعبير عن افكارهِ سواءٌ كان بالعربيَّة او الفرنسوية او الايطالية . يذكر الكليَّات كأنها مقدمات اوليَّة ولاسيما حينما يبحث في المسائل المالية فلا ينجلي مرادهُ تمامًا الاَّ للعالم بهذه المسائل المزاول لها

وكان يفتخر بالبنك العقاري ويعدُّهُ اعظم اعمالهِ كلها لانهُ مدَّ الفلاَّح بالمال فاستطاع ان يشتري الاطيان ويقتني بها ولولا ذلك لانتقلت اطيان القطر الى فئة صغيرة من الاغنياء

وكان مغرمًا بجمع التحف الصناعية وفي بيتهِ كثير منها كما في بيوت غيرهِ من اغنياء الاسرائيليين . ويذكر لهُ معارفهُ امورًا كثيرة تدلُّ على سعة صدرهِ . قصدهُ بعضهم حين الاكتتاب في اسهم البنك الاهلي وقال لهُ بلغني ان البنك سيعطي مرارًا كثيرة واودُّ الاكتتاب بمبلغ كبير حتى ينالني منهُ شيء يذكر وليس عندي المال الكافي لادفعهُ للاكتتاب فقال لهُ اكتتب بالمبلغ الذي تريدهُ ولا تدفع شيئًا فنحن ندفع عنك . فاراد الرجل ان يكتتب بالف سهم فنظر اليهِ وقال لهُ اكتتب بخمسة آلاف او عشرة آلاف

الحقول ملتفة الاشجار الّا ان شفيره كان مخورًا جرداء تدلُّ على انهُ كان فوهة بركانية . وهذا رأْي ديودورس الصقلي المؤرخ الروماني الذي نشأَ في القرن الاول بعد المسيح لان ثورانهُ كان قديم العهد جدًّا نسيهُ الناس ان كان قد حدث في عهدهم فنزلوا سفحهُ مطمئنين وبنوا ثلاث مدن كبيرة ستابيا وهركولانيوم وبمباي وسكنوها آمنين غدر الزمان وظلوا كذلك لا شيء يقلق بالهم او يكدّر صفاء عيشهم الى ان كانت سنة ٦٣ للميلاد فزلزلت الارض حينئذٍ زلزالاً عنيفاً هدم كثيرًا من بيوتهم وتلتها ست عشرة سنة لم يحدث فيها شيءٌ من ذلك فبنيت البيوت وزادت العمارة جدًّا

وفي الرابع والعشرين من شهر اغسطس سنة ٧٩ للميلاد ثار يزوف ثورانهُ المشهور في التاريخ فخرب تلك المدن ودفنها في قبر بقيت فيهِ الى ان نُبشت معالمها منذ عهد غير بعيد

وكان بلينيوس الاكبر العالم الطبيعي اميرًا على الاسطول الروماني في بحر مسينا ومعهُ بلينيوس الاصغر ابن اخيهِ فكتب هذا الى تاشيتوس المؤرخ الروماني يصف لهُ ما شاهدهُ وما حلَّ بعمهِ فقال انهُ رأَى عمودًا اسود صعد من قمة الجبل ظنهُ في اول الامر دخانًا وقتامًا ثم رأَى انهُ تراب ورماد وحجارة قذف بها الجبل فصعدت كشجرة كبيرة وانتشرت من اعلاها كما تنتشر الاغصان من شجر الصنوبر

وكان بلينيوس الاكبر من اعظم علماء عصرهِ ومن اشهر الباحثين عن اسرار الطبيعة فراقهُ ذلك المنظر وامر بالدنو من الشاطئ فدنا اولاً من مرفإِ راسينا فرأَى السماء تمطرهُ رمادًا وحجارة والبحر قد انحسر كثيرًا فلم يستطع النزول الى البر فسار بسفينتهِ الى استابيا ونزل فيها واتى بيت صديق لهُ اسمهُ بمبنيانوس واقام فيهِ الى المساء وهو يرقب الجبل ويحاول تسكين روع السكان ولما خيَّم الليل ظهرت النيران في الجبل السنة متفرقة فقال انها من احتراق الحراج والمزارع ثم دخل غرفتهُ ونام حاسبًا ان ليس في الامر ما يخشى منهُ

وزاد وقوع الرماد والحجارة حتى كادت دار البيت تمتلئُ وخاف خدَّام بلينيوس سوء العاقبة فايقظوهُ فرأَى صديقهُ بمبنيانوس واهل بيتهِ قد قاموا واجتمعوا يفكرون في طريقة للنجاة وقرَّ رأْيهم على الخروج من البيت لئلاَّ يدفنوا فيهِ احياءً فربطوا وسائد على رؤُوسهم لكي تقيهم وقع الحجارة وساروا على ضوء المشاعل لشدة الظلام مع ان الوقت كان صباحًا وظلوا كذلك الى ان بلغوا الشاطئ قصد الهرب بسفينة لكنهم وجدوا البحر هائجًا لا يقارَب والسفن بعيدة عن الشاطئ. وفرش خدام بلينيوس لهُ قلعًا اجلسوهُ عليهِ وكثرت الابخرة الكبريتية حينئذٍ حتى اضطرت الجماعة ان تتفرق هربًا منها وبقي مع بلينيوس اثنان من

بركان يزوف

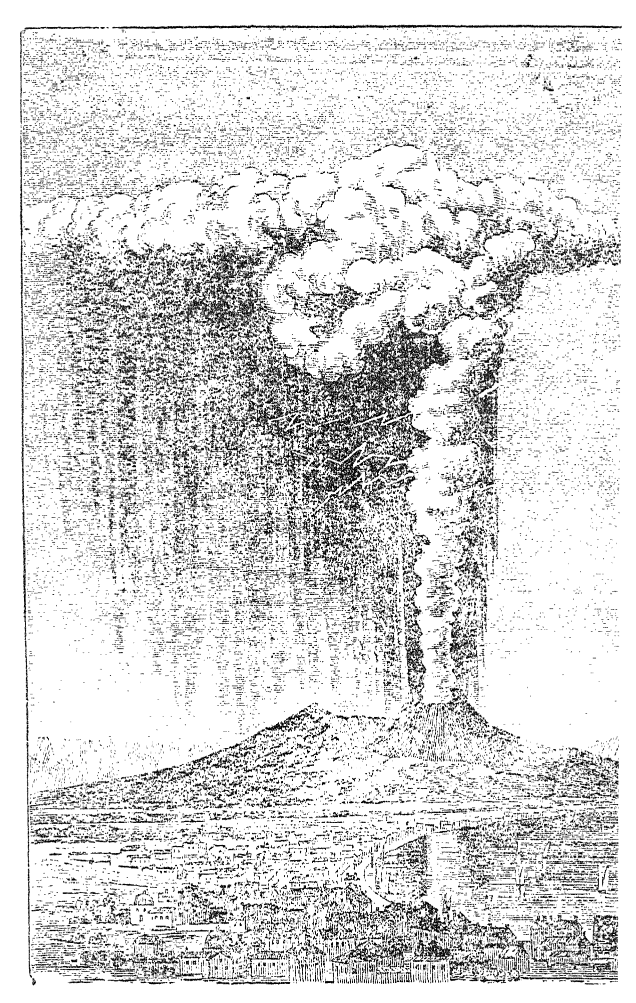
البراكين او جبال النار كثيرة منتشرة على وجه البسيطة تبلغ نحو ٣٠٠ عدداً . اكثرها حول الاوقيانوس الباسيفيكي وفي جزائره فقد عدوا هنالك نحو ٢٥٠ بركاناً من البراكين العاملة وعدوا حول الاوقيانوس الاتلنتيكي وفي جزائره ٣٩ بركاناً وفي الاوقيانوس الهندي ثلاثة فقط . وبراكين البحر المتوسط تعد من براكين الاوقيانوس الاتلنتيكي لان هذا البحر جزء منهُ . اما البراكين غير العاملة اي التي كانت ثائرة في غابر الزمن وهي الآن خامدة فاكثر من ذلك كثيراً



الشكل الاول يزوف قبل ثورانهِ سنة ٧٩

وبركان يزوف في ايطاليا من البراكين العاملة خمد قروناً كثيرة قبل سنة ٧٩ للميلاد وكان منظرهُ حينئذٍ كما ترى في الشكل الاول ولعلهُ ثار قبل ذلك ثوراناً عظيماً جدًّا ونفث كل ما في جوفهِ من المعادن والصخور المصهورة ثم خمد وانخسف رأْسهُ فغار في جوفهِ واستقرَّ امرهُ على ذلك السنين الطوال فغرست الكروم والجنائن على جوانبهِ ووصفهُ استرابو الجغرافي اليوناني الذي كان في القرن الاول قبل المسيح وقال ان جوانبهُ كانت على غاية الخصب واسعة

ت كشلال ارتفاعهُ الف قدم ثم جرت من هناك الى الوادي وحرقت
ربت بيوت السكان ودام هذا الثوران من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٥٨
١٨٦٧ واشتدَّ سنة ١٨٦٨ . ووصفهُ مكاتب التيمس حينئذ فقال



الشكل الثاني يزوف في ثورانهِ سنة ١٨٢٢

قمر يؤثر في ثوران هذا البركان فان ازدياد الهيجان يتأخر يوماً عن
مر . وقد قال الاستاذ بلمياري ان للثوران دوراً معلوماً فليس فيهِ
وليم هملتون اول من راقب هذا الدور في الثوران الكبير وقد راقبناهُ

الخدم فانهضاهُ لكنهُ وقع من ايديهم ميتًا كأَن الجزءة الكبريت خنقتهُ

وطُمرت تلك المدن الثلاث من ذلك الحين ومات كثيرون من سكانها ولم يكشف شيء من آثارها الاَّ منذ نحو مئتي سنة

ويروى ان رماد يزوف وصل حينئذٍ الى شواطىء افريقية وحجب الشمس عن رومية حتى قال اهلها ان العالم انقلب وانحدرت الشمس الى الارض لتتوارى في الليل

وثار يزوف بعد ذلك مرارًا عديدة ففي سنة ٤٧٢ للميلاد انتشر الرماد المقذوف منهُ في كل اوربا وقلقت لهُ الخواطر في القسطنطينيَّة . وتوالى الثوران الى ان ختم سنة ١٥٠٠ بثوران افرغ فيهِ جهدهُ . ثم خمد زمانًا طويلاً فنمت الاشجار والانجم على جوانبهِ بل في داخل فوهتهِ دليلاً عن انقطاع المتصعدات السامة منهُ ودامت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٦٤١ فثار ثورانًا عظيمًا ونفث الحمم وجرت الصهارة منهُ واكتنفت القرى التي بنيت على سفحهِ الى جهة خليج نابلي ومعها انهار من الماء السخن . ثم تكرر الثوران اربع مرات في ذلك القرن . ومن ثم لم يعد الخمود يستمر زمانًا طويلاً بل صار الثوران يتكرر مرة بعد اخرى ولكنهُ لم يكن عنيفًا جدًّا الى ان كانت سنة ١٧٧٩ فثار ثورانًا عظيمًا وقذف بالرماد والحجارة والمواد المصهورة فارتفعت ١٦٠٠٠ قدم فوق البحر ثم هبطت على جوانب فوهة البركان وانتشرت حولها كبحر من نار وكان يشعر بحرارتها على بعد ستة اميال وجعلت الحمم تتدفق من فوهة البركان كالفضة المصهورة وتجري على سفحهِ بسرعة فائقة في اول الامر ثم تقل سرعتها رويدًا رويدًا حينما تبرد وتجمد

وثار سنة ١٧٩٤ فخرب مدينة تري دل غريكو وجرى منهُ نهر من الحمم قُدِّر ما جرى فيهِ بستة واربعين مليونًا من الاقدام المكعبة وفتح اخدودًا حذاء حضيضهِ طولهُ ٣٣٧٥ قدمًا وعرضهُ ٢٣٧ قدمًا وملأهُ حممًا . ثم ثار سنة ١٨٢٢ فخرج منهُ عمود من الرماد والبخار والحجارة المصهورة بلغ ارتفاعهُ سبعة آلاف قدم وظهر فوق البركان كما ترى في الشكل الثاني

وثار ايضًا سنة ١٨٤٨ وصعد منهُ عمود من البخار ظهرت فيهِ الوان قوس قزح ثم ثلاث عشرة من دوائر البخار خضراء وبيضاء وسوداء وارتفعت حتى صار منها شكل مخروطي وانفجر من تحتها نهران من الحمم

وعاد الثوران سنة ١٨٥٥ وكان عظيمًا جدًّا فان بين الفوهة القديمة المعروفة بجبل سما وهي المرسومة في الشكل الاول والفوهة الثانية التي تكونت حينما خربت بمباي وهركولانيوم هوَّة عميقة جدًّا فخرجت الحمم من هذه الفوهة وجرت مثل نهر من النار عرضهُ ٢٠٠ قدم



صورة بركان يزوف في معظم ثورانهِ والحجارة تسقط منهُ على رؤوس السكان وانهر الحمم تجري على جوانبهِ



صورة يزوف بعد ما خمد ثورانهُ وتكوّن فيهِ مخروط جديد من الحمم

نحن في ثوران سنة ١٨٥٥ وعرفنا الاوقات التي يكثر فيها خروج الحمم والاوقات التي يقل خروجها ولو كان هناك طريق يسهل سلوكهُ الى قمة البركان لارشدنا السيَّاح الى الاوقات التي يمكنهم فيها الصعود والوصول الى قرب الفوهة من غير ضرر "

واستنتج المستر ملت من البحث المدقق ان مركز الثوران في قلب البركان على ستة الى ثمانية اميال تحت قمتهِ

وثار سنة ١٨٧٢ وخرجت الحمم من الثمة التي تكونت في ثوران سنة ١٨٥٥ فقتلت ٢٠ نفساً كانوا وقوفاً يشاهدون الثوران وقذف الصخور الى علو اربعة آلاف قدم وكانت الصعقات شديدة جدًّا فخاف سكان القرى المجاورة وهربوا الى نابلي

وثار في اواخر ابريل واوائل مايو ١٨٨٩ وكان فيهِ مخروط تكوَّن من الحمم في الشهور العشرة السابقة فتقوضت دعائمهُ وغار في جوف الجبل وحينئذٍ اخذت الحمم الذائبة تنفجر منهُ ولكن لم يكن مقدارها كثيراً

وعاد الى الثوران في اواخر سنة ١٨٩٣ وجرت الحمم منهُ فكانت تظهر كانهار من نار جارية على جوانبهِ . ثم ثار في اواخر سنة ١٨٩٧ وجرت الحمم منهُ في مجريين كبيرين وعاد الى الثوران في اوائل سنة ١٨٩٩ وجرت منهُ انهار الحمم

ويقال جملةً ان يزوف ثار احد عشر ثوراناً عظيماً بين سنة ٧٩ للميلاد وسنة ١٦٣١ . ثم ثار اربع مرات في القرن السابع عشر وثلاثاً وعشرين مرة في القرن الثامن عشر وخمساً وعشرين مرة في القرن التاسع عشر الى سنة ١٨٧٢ ومن ثم الى الآن لم ينقطع ثورانهُ انقطاعاً تامًّا فاما انهُ بلغ الآن اوج ثورانهِ او انهُ لا يزال يجمع قوتهُ ويحفز لثوران يكون اعظم من كل ثوران قبلهُ . ولما كان مركز ثورانهِ عميقاً جدًّا فالانباء بهِ قبل وقتهِ ضرب من المحال الا ان الاستاذ بلمياري يظن ان الثوران يزيد شدَّةً حينما يكون القمر هلالاً وحينما يكون بدرًا كما تقدم

والثوران الحالي الذي توالت اخبارهُ التلغرافية هذا الشهر بدأ في اواخر شهر مارس الماضي ففي الثامن والعشرين منهُ زلزلت الارض وانفجرت الحمم من البركان وجرت على جانبهِ ثم تعاظم الثوران وتوالت الاخبار عنهُ فنذكرها حسب تواريخها

٥ ابريل — اشتدَّ الثوران وقذف البركان حجارة كبيرة وصلت الى اوطإِ محطة من محطات سكة الحديد الصاعدة الى الجبل

٦ ابريل — تولَّدت فوهة جديدة واخذت تقذف الحمم بغزارة فجرت حتى كادت تبلغ بلد بسكو تركاسه

٧ ابريل — خربت بسكوتركاسي فقد زلزلت الارض تحتها بعد نصف الليل وجرت الحمم بسرعة فائقة في مجرى بين سعة اخدشها مئتا متر وكان سيره متجهاً نحو قلب البلد ولم يكد سكانها يخرجون منها حتى دخلتها الحمم وحرقتها ولم تصر الساعة ٦ صباحاً حتى اكتنفتها من كل ناحية وخسفت الارض بالفوهة المقابلة لمدينة نباي وفتحت فوهة جديدة الى الجانب المقابل وكثر سقوط الرماد في نابلي

٨ ابريل — زاد خروج الحمم من الفوهة الاصلية وتوالت الهزات والصعقات فهجر الناس القرى التي عند سفح الجبل وجرت الحمم في قرية اوتاجا وكنهر جارف . قال الاستاذ متيوتشي مدير مرصد يزوف ان الثوران بلغ حداً فائقاً وقد تغطت الارض بالحمم حول المرصد وترى الصخور المحماة الى درجة الحمرة تقذف بالالوف الى علو ٨٠٠ متر او ١٠٠٠ متر واصوات الانفجار المتتابع واصوات وقوع الحجارة تصمُّ الآذان والارض تهتز وتنزل وآلات رصد الزلازل تكاد تتكسَّر من شدَّة اهتزازها والكهربائيَّة شديدة جدًّا

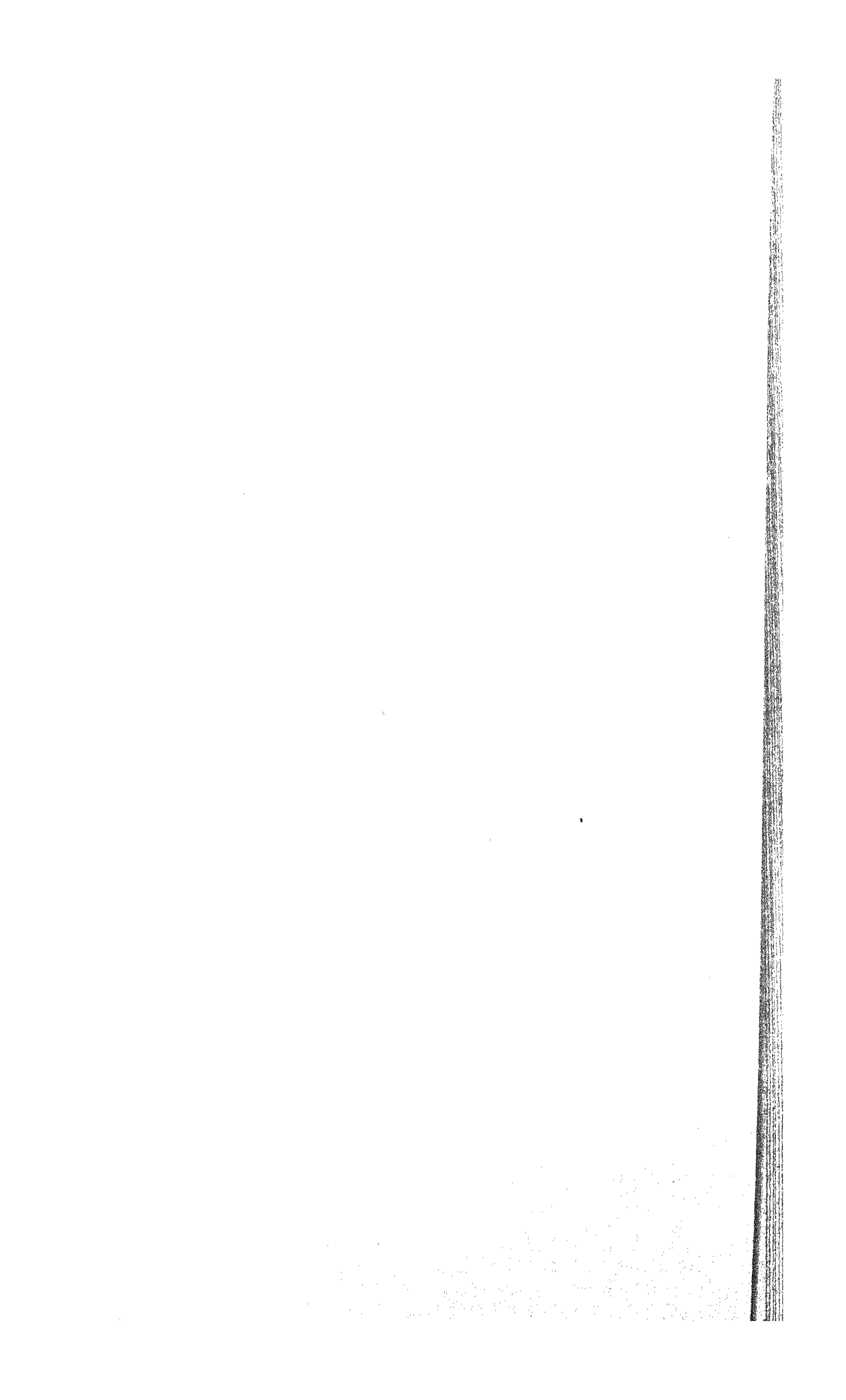
٩ ابريل — خفَّ الثوران قليلاً وقلَّ خروج الحمم ولكن زاد قذف الرمال ووقعت الحجارة على كوى المرصد فكسرت زجاجها وزادت الزلازل عنفاً

١٠ ابريل — خفَّ الثوران في الليل الماضي لكنهُ زاد في الصباح ودلَّت آلات رصد الزلازل على ان مصدر الاضطراب عميق في قلب الجبل . ووقع سقف في مدينة نابلي ذلك اليوم من ثقل ما تراكم عليهِ من الرماد البركاني

١١ ابريل — ارسل الاستاذ متيوتشي يقول ان الرمل والرماد لا يزالان ينهالان من الجبل لكن الثوران خفَّ كثيراً وقدَّر ان الفوهة الكبرى هبطت ٢٥٠ متراً عما كانت قبل الثوران

وقل وقوع الرماد في الثاني عشر من الشهر وعاد فزاد في الرابع عشر والخامس عشر ثم قلَّ في السادس عشر والسابع عشر

وقد كان اشدُّ الثوران في السابع من ابريل حين خربت بسكوتركاسي ولم يشاهد اهل هذا العصر ثوراناً اشد منهُ في زمانهم لكن الانسان طبعهُ النسيان فقد يخمد بزوف غداً وينقطع ثورانهُ فيعود الناس يبنون البيوت التي خربت ويزرعون الحقول التي تلفت ويعيشون آمنين كأنهُ لم يكن شيءٌ مما كان



(١٠) ما هي افضل الوسائل الى حفظ جمال المرأة وحسنها [١]

(١١) ما هي خير طرق الرياضة للجميع على اختلاف الاقاليم والفصول

هذه هي المسائل التي سألناها جماعة من الاطباء فجاءتنا الاجوبة الآتية

اجوبة الدكتور روبرت بل

الدكتور بل من مشاهير اطباء الانكليز ولهُ كتب كثيرة في الطب . وها هي اجوبتهُ بالتتابع

(١) ان الطبيعة نفسها تجيب عن السؤَال المتعلق بطعام الاطفال بانها تجهزهم باسنان اللبن الى أن يبلغوا السابعة من سنهم . فمتى سقطت اسنان اللبن وحلَّت الاسنان الدائمة محلها فلا بأس من اكل الطعام الجامد ولكن لا أفضل من اللبن والبيض والجبن والارز والعدس والحمص ونحوها في ما تحويهِ من خصائص التغذية مهما يكن عمر آكلها

(٢) ليست القابلية بالدليل الصادق على مقدار الطعام الذي يحتاج الشبان اليهِ . فان الاولاد لا يأْكلون لسدّ جوعهم فقط بل للتلذُّذ بما يأْكلون . وخير طريقة تتبع في اطعام الاولاد قصر طعامهم على المآكل المغذية البسيطة فيظهر بعد ذلك ان قابليتهم تطابق حاجتهم. ثم انهُ اذا لم يحمل جهازهم الهضمي فوق طاقتهِ فان صحتهم تكون احسن ونموّهم أكمل

(٣) ان مقدار الطعام الذي يحتاج اليهِ البالغون يتوقف كثيرًا على نوع المعيشة . فان العمل في الخلاء مثلاً يزيد تأكسد الدم فيتقوى الهضم ويترتب على ذلك ازدياد القابلية . ومع ذلك فان البالغين اقلُّ حاجةً الى الطعام من الاولاد الذين في طور النمو . واذا بلغ المرءُ سنَّ الاربعين فخير لهُ ان يقلل كمية طعامهِ

(٤) لا قاعدة لمعرفة ما يجب ان يأْكلهُ الانسان ويشربهُ كلَّ يوم بالنسبة الى ثقلهِ اذ لا علاقة بين الثقل ومقدار الطعام اللازم لحفظ الصحة . والغالب ان اقوياء الاجسام يكونون قليلي الاكل كثيري الشرب واذا وجد رجل قوي الجسم مفتول العضل وآخر سمين وكانا متساويين في الثقل فان الاول يحتاج الى اكثر مما يحتاج الثاني اليهِ من الغذاء ويحسن استعمالهُ اكثر منهُ . وليست العبرة بمقدار الجوامد والسوائل اللازمة لحفظ الصحة بل بمقدار ما تحويهِ من المواد الغذائية (انظر الجواب الخامس)

(٥) لا ريب عندي ان العناية بالطعام امر ممكن ومفيد معًا ولكن يصعب الجري على

(١) الجمال يلاحظ صورة اعضاء الجسم والحسن لون الوجه

فتاوى الاطباء

في الصحة والداء

قالت مجلة ستراند الانكليزية ان حفظ الصحة في جميع اطوار العمر الهرم امرٌ اشتغل الناس بهِ في كل عصر وامة . وقد قام الكتّاب حديثاً م يكتبون في انحطاط الامم مما بعض السبب فيهِ الأكل والشرب والنوم والر خطر لنا ان نستطلع بعض الراسخين في فنّ الطب آراءهم في هذا الموضوع الآتية وهي

(١) ايمكنكم ان تخبرونا في اي سنّ يجوز ان يبدأ باطعام الاطفال ، اي سنّ يجوز اطعامهم اللحم وما اشبه

(٢) هل شدة القابلية في الشبّان دليل صادق على مقدار الطعام الذ

(٣) قيل ان البالغين لا يحتاجون الى قدر ما يحتاج اليهِ الاولاد من سنّ تبدأ حاجتهم اليهِ تقل

(٤) هل من قاعدة لمعرفة ما يجب ان يأكلهُ الانسان ويشربهُ الى ثقل جسمهِ

(٥) لما بلغ كورنارو سنّ الاربعين او نحوها عيَّن لنفسهِ ١٢ اوقية و ١٤ من الطعام السائل كلّ يوم فعاش مئة سنة . وربما احتاج ساكن الشمالية الى اكثر من ذلك . ولكن هل تظنُّون انهُ يمكن تعيين مقادير لكلّ فرد وهل من ذلك فائدة

(٦) هل تظنون ان اهل اليسر يفرطون في الاكل

(٧) هل تظنون ان الشعب الانكليزي يفرط في شرب الشاي

(٨) ان الشيب الباكر عثرة كبيرة في سبيل استخدام العمّال . فما هي الشعر وحفظ لونهِ الطبيعي

(٩) ألا يبالغ اهل العصر الحاضر في تربية بنيهم على الرفاهة والدلال . على شظف العيش افضل لهم

اجوبة الدكتور جون هدون

(١) اللبن خير طعام الاطفال حتى تموا الشهر التاسع من سنهم . ولا يجوز اطعامهم لحمًا . وقد جرت تجارب جديدة في اميركا فاطعم بعض الاولاد ابزارا وجوزا ولوزًا وما شبهها ولم يطعموا شيئًا غيرها فنموا اصحاء اقوياء الى الغاية

(٢) ان القابلية ليست مرشدًا صادقًا في طور من اطوار العمر وارضاؤها مجلبة الامراض عاجلاً او آجلاً . والحق يقال ان حسن القابلية من اعظم الاخطار على صحة الامم

(٣) البالغون اقل حاجة الى الطعام من الاولاد الذين لم يكمل نموهم . فاذا لم يقللوا الاكل فالغالب انهم يسمنون والسمن في الحقيقة مرض يجب على كل من يريد التمتع بالمعيشة ان يجتنبهُ . وقليل هم الذين ينهضون عن الطعام ومعدهم غير ملآنة

(٤) الاعتقاد العمومي ان كمية الطعام يجب ان تكون على نسبة ثقل الجسم ولكن هذا الاعتقاد خطاء فقد رهن الاستاذ تشندن ان صحة المصارعين تكون على احسنها من جميع الوجوه اذا أكلوا من المآكل اللحمية نصف ما اعتادوه فقط واذا كانت هذه حال المصارعين لم يجهدون عضلاتهم كثيرًا فلا بدع ان يكون غيرهم مثلهم . واذا كان الانسان لا يأكل طعامًا حيوانيًّا فلا يحتاج الى شرب السوائل اذ الحوامض والسوائل في الاطعمة النباتية متناسبة لا ريب ان الامراض تنشأ عن الاكثار من شرب السوائل كما تنشأ عن الاكثار من اكل الاطعمة الجامدة حتى بين الذين لا يأكلون سوى الاطعمة النباتية

(٥) ان أكل ١٢ اوقيه من الطعام كل يوم كاف لاكثر الناس على شرط ان يكون الطعام مواد حيوانية ولا يعتقد ان يبات الاختبار خطأ القول المشهور وهو ان الانسان اكثر حاجة الى الطعام شتاء منهُ اليهِ صيفا . فقد حدث ان رجلا دهمهُ الثلج وسدّ عليهِ المسالك والمعابر فبقي ستة اشهر لا يأكل سوى الخبز والماء وكانت صحتهُ على احسنها مع ان متوسط درجة الحرارة كان ٢٠ درجة تحت الصفر في تلك المدة . ولم تمنع كورنارو الصحة الجيدة والعمر الطويل الاّ بتنظيم اسر طعامه واظهار مزيد العناية بذلك . فكان اذا اكل اوقيتين زيادة عن القدر الذي عينهُ لنفسهِ وهو ١٢ اوقية اعتراهُ المرض مما دلَّهُ على ان ١٢ اوقية هو غاية ما يمكنهُ اكلهُ كل يوم وهو متمتع بالصحة الجيدة ولكن هناك ما يحمل على الاعتقاد بانهُ لو أكل اقلّ من ذلك اي عشر اواقي مثلاً لكانت صحتهُ اجود ولعاش اكثر من مئة سنة واني أعرف رجلا أُسير عليهِ بالاّ يأكل اكثر من ١٢ اوقية كلّ يوم ففعل فكانت النتيجة ان وزنهُ خف ٧ ارطال وان صحتهُ تحسنت ولحظ ان كلّ النقص كان من

قاعده كورنارو ان المرة كمية ... ...
الصحة لا عن لما عن مقدار معين ... ...
الدهبية وهذا المقدار يختلف ...

(٦) ان اهل اليسر ... في ...
واعتقادي ان عدد الذين يموتون من ... في ...
الافراط في الشرب . ولست من ... شرب
يمتنعون تمام الامتناع عن ... ولكني ... رجل
ولقد اختبرت احوال الناس على اختلاف ... مدة
عن شرب المسكر هم على ... مسرفون في الاكل ...

(٧) نعم ان الشعب الانكليزي مسرف في ...
بالمعدة وبالتالي بسائر الجسم ... المواد ... ولكن ...
بان لا تزيد مدة نقع الشاي على ثلاث دقائق فيبقى ...
الاوراق . وهذا الوقت كاف لاستخراج ...

(٨) مسألة الشيب مسألة صعبة . ... الشعر ...
لصحته . والغالب ان الشعر الغليظ اقرب الى الشيب من
الاسداد . واحسن الطرق لحفظ الشعر ... من
بالجمجمة فيعوق ذلك الدورة الدموية وتغذية ...

(٩) لا ريب اننا مبالغون في ترفيه اولادنا و...
حاجة الى رياضة اشد ليصيروا رجالاً

(١٠) افضل الوسائل الى حفظ صحة المرأة ...
وخصوصاً ما تعلق منها بالقناة الهضمية . وثانياً الامتناع
وثالثاً تدفئة الجسم وخصوصاً الاطراف . ورابعاً ...
الاحذية العالية الكعوب . وخامساً الاكثار من الر...
الالعاب الرياضية

(١١) كل رياضة تستلزم مشياً كثيراً في
والذراعين تعد رياضة حسنة . ويقال بالاختصار ان ال...

سياسة التعليم في القطر المصري [1]

بلغ ما اخذتهُ الحكومة من التلامذة اجرة للتعليم سنة ١٨٨١ اي قبل الاحتلال الانكليزي بسنة نحو ٢٣٠٠ جنيه مصري فقط. وبلغ ١٧٠٠٠ ج.م سنة ١٨٩٠ ثم زاد بعد ذلك سنة فسنة فصار ٧٦٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٤ وقدر انهُ يبلغ ٩٠٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٥ . ولا يُعلَّم الآن مجاناً الاَّ بعض التلامذة مثل تلامذة مدرسة المعلمين والتلامذة الذين يتعلمون صناعة التلغراف في مدرسة الصنائع والفنون ببولاق واما تلامذة المدارس الاميرية الابتدائية والثانوية ومدارس التعليم العالي كمدرسة الطب والحقوق فيدفعون كلهم اجوراً للتعليم

ولكن يجب ان لا يفهم من ذلك ان ما يدفع لهذه المدارس يقوم بنفقاتها ولا ان تلميذاً من التلامذة يدفع كل ما ينفق على تعليمهِ في المدارس الاميرية بل هو يدفع جزءًا صغيراً منهُ فان تعليم كل تلميذ يكلف الحكومة انفاق ٧٨ ج م في السنة ووالداهُ لا يدفعان من ذلك سوى ١٥ جنيهاً وما بقي وهو ٦٣ ج . م يدفعهُ المموّلون (اي دافعو الضرائب)

وقد كثر الانتقاد على السياسة التي تتبعها الحكومة المصرية في هذا الشأن وعرَّض بعضهم بمستشاريها من الانكليز قائلاً انهم يقصدون اضعاف التعليم العالي لانهم لا يشاؤون ان يتأهل المصريون يوماً ما للاستغناء عن المساعدة الاوربية في حكومة بلادهم وان كان المستشارون لا يكرهون تعليم الفلاحين القراءة والكتابة ولا مساعدة المدارس الصناعية تخريج الصنَّاع. فمنذ سبعين سنة تكلم اللورد مكولي عن تهمة مثل هذه فقال "هل نبقي اهالي الهند جهلاء لكي يبقوا خاضعين لنا" ثم اجاب عن هذا السؤال بالنفي والازدراء قائلاً "ان الحكومات كالافراد قد تشتري وجودها بثمن فاحش والسياسة التي مؤداها ان يقتل الانسان نفسهُ لكي يحيا هي غاية في الخرق والسخافة سواءٌ كانت في الافراد او في الحكومات" [2] ولا ازيد شيئاً على ما قالهُ اللورد مكولي ردًّا على الذين يتَّهموننا هذه التهم التي تكذبها وقائع الحال في مصر وفي كل بلاد تخفق عليها الراية البريطانية او يعلو فيها النفوذ البريطاني

واذا غضضنا الطرف عن كل انتقاد لا مسوّغ لهُ مثل هذا الانتقاد فمن المرجح ان

---

(١) من تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٥ (٢) خطبة في مجلس النواب في ١٠ يوليو سنة ١٨٣٣

بطنهِ . ويظهر ان البطن هو اول مكان من الجسم تجتمع الدهن فيهِ عند السمن وآخر مكان يخلو منهُ عند زوال السمن

(٦) الغالب ان الموسرين والمعسرين يسرفون في الاكل . ومتى عرف سبب الانحطاط الذي قام الكتَّاب يكتبون فيهِ ويحثون فسيظهر انهُ الافراط لا التفريط هذا من جهة الطعام لا غير

(٧) كلامهُ عن الشاي لا يختلف في جوهرهِ عن كلام سابقهِ وخلاصتهُ ان الشاي الجيد لا يضرُّ بشرط ألّا تطول مدة نقعهِ

(٨) حسن الصحة وعدم تعطية الرأس البتة خير ما يمنع المشيب الباكر

(٩) نعم ان شباننا كثيرو الترفُّه والتنعم ألا ترى الفرق ظاهرًا بين الاولاد الذين يسرحون ويمرحون في الشوارع بين الاوساخ والاقذار وفي كل فصل من الفصول ولا يلبسون الاطمار البالية وبين الاولاد الذين يسجنون في البيوت لا يخرجون منها الَّا في اوقات معلومة كما يفعل الاغنياء والاوساط باولادهم . فان هؤلاء نحاف ضعاف واولئك اشداء ممتلئو الابدان

(١٠) جوابهُ عن حفظ صحة المرأة وجمالها مثل جواب سابقهِ عنهما

(١١) جوابهُ عن خير طرق الرياضة مثل جواب سابقهِ ايضًا ويزيد عليهِ ان المشي يجب ان يكون تصعيدًا في الجبال وبسرعة تكفل عمل الجلد بسهولة لان عدم عملهِ يجلب لامراض كثيرة

اجوبة الدكتور كد

من مشاهير الاطباء وقد كان طبيبًا خصوصيًّا للورد بكنسفيلد وزير انكلترا المشهور نذكر من اجوبتهِ ما خالف بهِ غيرهُ او تضمن امرًا جديدًا واما ما وافق بهِ غيره او لم يتضمن امرًا جديدًا فنضرب عنهُ صفحًا

(٢) نعم ان القابلية مرشد صادق في الشباب

(٣) تبدأُ حاجة البالغين الى الطعام تقلُّ في نحو الثالثة والعشرين

(٦) ان الاغنياء عندنا يفرطون غالبًا في الاكل وخصوصًا اكل اللحم ويقللون اكل الخبز بخلاف الفرنسويين فانهم يكثرون من اكل الخبز

(١١) خير الرياضات المشي فركوب الدراجة او ركوب الخيل والتجذيف لمن يستطيع ذلك

لما احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ وجدوا ان كل ما تنفقه الحكومة على المعارف العمومية انما تنفقه على تعليم اولاد فئة صغيرة اكثرها من اغنى اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليماً اوربيًّا فاخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الهمة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولابطال التعليم المجاني تدريجًا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئاً جدًّا الى عهد قريب . ولقد تيسَّرت زيادة الاعانات للكتاتيب الاهلية مدة السنوات الثمان الاخيرة من الوفر الذي حصل في نفقات المدارس المتفرنجة (اي الجارية على النظام الاوربي) بازدياد دخلها من اجور التلامذة منذ سنة ١٨٩٨ الى الآن

ولذلك فابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم في المدارس المتفرنجة ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضرَّان بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز استغرق حتى الآن كلَّ اموال نظارة المعارف وانفاقها على التعليم الموافق لمصلحة اهالي البلاد عموماً . ثم ان التعليم المجاني وُضع ليستفيد منهُ الفقير ولكن لم يستفد منهُ فعلاً الا اهل الغنى والجاه ومحسوبوهم بواسطة نفوذهم ودسائسهم واما التلامذة المحتاجون المستحقون للمساعدة فكانوا مضطرين ان يدفعوا اجرة تعليمهم . وكانت نتيجة ذلك رديئة وعاقبتهُ سيئة في البيت وفي المدرسة فضعف شعور الوالدين بانهم مكلفون بتعليم اولادهم وبدفع نفقاتهم وصاروا يقصدون من وضعهم في المدرسة التخلُّص من نفقات تعليمهم واعالتهم . وامتلأَت المدارس بخليط من الاولاد من غير التفات الى استعدادهم العقلي ومقام والديهم في الهيئة الاجتماعية . وكثيرون دخلوا المدارس لا لتحصيل العلم بل للتعيش على اسهل سبيل . ونتج من ذلك ضرر آخر لا يقلُّ عن الضرر المتقدم ذكرهُ فداحةً وهو ان الوالدين صاروا يدفعون اولادهم للجري في خطط لا تمكّنهم احوالهم من إعدادهم لها فضلاً عما تقدَّم من الضرر الذي الجأَ عباس باشا الاول الى اقفال المدارس . فنشأَت في البلاد طائفة من الشبان الذين تعلموا نصف تعليم وآبوا بالخيبة واكثروا من الشكوى والتذمُّر

وهذا الامر لا يختص بمصر وحدها فقد اشار اليهِ المسيو فلكس مرتل المفتش العام في نظارة المعارف العمومية بفرنسا بكلام غاية في الاقناع ينطبق على كل تنشيط مفتعل تأتيهِ الحكومة للتعليم الذي من نوع ما في مدارس الحكومة المصرية قال : —

" اننا اذا جعلنا التلامذة يزيدون جمهور الكتَّاب والمتهافتين على المناصب الصغيرة في الحكومة بتعليمنا اياهم تعليمًا نظريًّا محضاً كما يفعل معلمونا الآن في كل مكان تقريباً وكم يودُّ اكثر والدي التلامذة غروراً منهم نكون قد انفقنا اموال الحكومة في سبيل لا نفع منهُ بل

سياسة التعليم العمومي التي تتبع في مصر لا تجب كثيرون من المدن لا عرض لهم ضدها ولذلك يحسن بي ان اوضحها في هذا الفصل

يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من مدارس الاميرية التي فوق الكتاتيب وزيادة الاجور فيها . وهو مسوغ في ماهية هذه المدارس وفي العرض المقصود بها وفي تغير احوالها. فلا يخفى ان نظام هذه المدارس كله اجنبي والعرض منه تعليم التلامذة تعليماً اوربياً لكي تعد جمهوراً من الشبان المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض الفنون . وسبب انشائها الغيرة التي ابداها محمد علي منذ سنة ١٨٣٦ على نجاح البلاد اي بالاقتداء بالاوربيين. ومن حين انشئت تلك المدارس الى ان الغيت بعد موته كان التعليم فيها مجاناً وكان التلامذة يطعمون ويكسون وتدفع اليهم كل نفقاتهم من خزينة الحكومة . ومع ذلك كانت الحكومة تجلب التلامذة الى مدارسها بالقوة الجبرية وكانت النتيجة انه خرج من المدارس حينئذٍ عدد يزيد على الوظائف التي كان يمكن ان تعطى لهم . ولذلك الغى عباس الاول تلك المدارس . ثم اعيدت لما تولَّى اسمعيل باشا سنة ١٨٦٣ على النسق الذي كانت عليهِ قبلاً وزيدت فيها حقوق التلامذة حتى صارت مدة التعلُّم تحسب لهم في المعاش . ولا تخفى الاسباب التي دعت اسمعيل باشا الى الجري على تلك الخطَّة فقد قال يعقوب باشا ارتين وهو اخبر الناس في امور التعليم في مصر " ان فكر الحاكم كان موجَّهاً حينئذٍ الى اعداد الموظفين الذين يصلحون للادارة" (١)

واول من حاول جعل اجرة على التعليم في مدارس الحكومة هو رياض باشا لما كان ناظراً للمعارف العمومية سنة ١٨٧٤ ولكن مضت عدة سنوات والاجور طفيفة جداً ولم تصرّ الحكومة على اخذ الاجرة الاَّ منذ عهد قريب. ولما كان إعداد الناس لخدمة الحكومة وحاجات البلاد العليا لا يتم الاَّ بالوسائط التي جرى عليها محمد علي باشا واسمعيل باشا لم يكن لهما مناص من الجري على الخطة التي جريا عليها . فلما صار في الامكان القيام بمطالب الحكومة من غير الالتجاء الى تلك الوسائط لم يبقَ موجب للخطة التي جريا عليها بل صار يجب العدول عنها تدريجاً في ما يختص بمطالب الحكومة

ويجب على الحكومة ان تتوخَّى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المفرنجة مقاربة للنفقات التي تنفقها عليهِ . والاموال التي تنفقها الآن على هذه المدارس تصير تنفقها على التعليم الاهلي الالزم لحاجات الامَّة

(١) التعليم العمومي في مصر (بالفرنسوية) صفحة ٩٦

وزادت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم في هذه المدة من ١٠٤٠٠٠ ج . م الى ٢٣٥٠٠٠ ج م ثم اضافت الى نفقات التعليم ٤١٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٦ فصار مربوط نظارة المعارف لهذه السنة ٢٧٦٠٠٠ ج .

ومن رأْيي ان التعليم متقدم في القطر المصري على قدر ما تسمح بهِ احوال البلاد . ويعترض سرعة تقدمهِ صعوبتان الاولى عدم وجود المعلمين المتخرجين في فن التعليم . وساعود الى هذا الموضوع في ما بعد والثانية الحاجة الى مباني صالحة للمدارس . فقد انفقت مبالغ طائلة في السنين الاخيرة على بناء المدارس ومع ذلك لاتزال نظارة المعارف العمومية محتاجة الى مباني اخرى لان ما بني لها لايفي بحاجتها فقد بيَّن المستر دنلوب في مذكرة كتبها حديثًا "ان الحاجة ماسة الى ٤٠٠٠٠ ج . م وهو تقدير معتدل جدًّا" . ولا اشك في صحة قولهِ ولكن لابدَّ من حفظ موازنة المالية ولو بالاغضاء عن لوازم التعليم . واخشى انهُ يمضي وقت قبلما تتمكن نظارة المالية من منح هذا المبلغ كلهِ . واذا منحتهُ فانا مرتاب جدًّا في امكان استعمالهِ بالسرعة المطلوبة اذا روقب انفاقهُ المراقبة الواجبة

القبريَّات (١)

قبريات العرب

لم يأْلف العرب الانصاب التي تقام على القبور وممَّا نعلمهُ من امرها ان النعمان بنى على قبر نديميهِ ما عُرف بالغريين ويُروى ان جسَّاسًا وضع على جثة كليب يوم قتلهِ حجارة لئلاَّ تأْكلها السباع . اما في الاسلام فعرف امرها بدليل ما جاء في الحديث "اعلّم بالحجر قبر اخي" . ولما مرَّ حيَّان بن سلمى الكلابي بقبر عامر بن الطفيل العامري (المتوفى سنة ١١ هـ ٦٣٢ م) وعليهِ انصاب قال ما هذه الانصاب . فقالوا نصبناها على قبر عامر فقال : ضيَّقتم على ابي عليّ . ويسمَّى ما يوضع على القبر عند العرب من الحجارة جثوة مثلثة والجمع جُثًى قال الشاعر :

---

(١) نظن ان اوَّل من استعمل هذه الكلمة ابن بطوطة في رحلتهِ المطبوعة في مصر سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) الجزء الاول صفحة ١١ و ١٣ و ١٢٠ و ١٣٥ وكرَّرت في الجزء الثاني مرارًا . وكأَن هذه الكلمة تعريب حرفي للفظة (Epitaph) الافرنجية وهي يونانية الاصل منحوتة من كلمتي (Epe) بمعنى على و (Taphos) بمعنى قبر

منهُ ضرر كبير لانه يكون قد ابعد [illegible] من [illegible] عن الاعمال النافعة وعن الانتظام في خدمة [illegible] وهم احسن [illegible] لانفسهم وللأُمة والوطن "(١)

واذا اريد تمهيد السبل للتلامذة [illegible] تدريبهم تدريباً [illegible] كي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان [illegible] امولاً [illegible] مدارس يعلَّم بها من كان مثل اولئك التلامذة . ووقف هذه الاموال [illegible] التلامذة [illegible] الذين يستحقون ان يساعدوا انفع جدًّا من تكثير مدارس الابتدائية [illegible]

ولا يحسن ان يساعد اولاد الفقراء على دخول المدارس الابتدائية لتعلم العلوم الاوربية ما لم تدلَّ الدلائل على انهُ يمكن تعليمهم العلوم التجهيزية [illegible]

ولهذه الاسباب لا اشك في ان السياسة التي يراد [illegible] اموال المعارف لترقية التعليم الابتدائي الاهلي وللمدارس الصناعية وجعل نفقات التعليم في المدارس [illegible] من اجور التلامذة على قدر الامكان هي سياسة رشيدة موطدة الاركان . ولا بدَّ من بذل الجهد كما يبذل الآن فعلاً في تمهيد السبل لاجل التعليم العالي ولكن يجب ان لا يكون هذا التعليم كلهُ على نفقة جمهور المموِّلين

واختم هذا الفصل بجدول تظهر فيهِ النتائج التي وصلنا اليها بعد خمس عشرة سنة . وقد ذُكر فيهِ عدد التلامذة الذين كانوا يحضرون المدارس التي تحت ادارة الحكومة سنة ١٨٩٠ وسنة ١٩٠٥

	١٨٩٠	١٩٠٥
(١) كتاتيب الحكومة(٢)	١٩٦١	٧٤١٠
(٢) دار تخريج المعلمين للكتاتيب	٠٠٠٠	١٤٧١
(٣) المدارس الابتدائية العالية	٥٧٦١	٧١٧٥
(٤) المدارس الصناعية	٠٣٩٣	٠٥٦١
(٥) المدارس الثانوية	٠٧٣٤	١٣٤٥
(٦) الكليات الفنيَّة	٠٣٨٢	٧٤٣
المجموع	٩٢٣١	١٨٧١٢

(١) استشهد بهِ السر ادورد ملك في تقريره عن التعليم الصحي (كلكتا ١٩ [illegible])

(٢) هذا عدا التلامذة في الكتاتيب الاهلية التي تحت مراقبة الحكومة

جلبتُ من فارسٍ جيشاً على عجلٍ في البحر احملهم فيهِ على السفُنِ
حتى غزوتُ بهم قوماً مهاجرةً في البرّ جاسوا خلال الحي من يمنِ
بالخسف والذلّ حتى قال قائلهم ذوقوا بما ر ذوات الحقد والاحنِ
فاوقعوا بهم والدهر ذو دولٍ حتى كأنّ مغار القوم لم يكنِ
حتى اذا ظفرت نفسي بما طلبت وزال ما كان في قلبي من الحزَنِ
ونلتُ اكثر مما كنتُ آملهُ من قتلي الحُبْش حتى طاب لي وطني
جاء القضاء بما لا يستطاع له دفعٌ ولا يشترى يا قومُ بالثمنِ
من بعد ما جبتُ احوالاً مصرمةً قطر البلاد فلم اعجز ولم اهنِ
قد صرت مرتهناً في قاع مظلمة لله درّي من ناوٍ ومرتهنِ

وكتب على قبر رجل من كندة هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا ان الحمام بكم علينا قادمُ
لو تنزلون بسعْبنا لعرفتمُ ان المفرّط في التزوّد نادم
لا تستغرّوا بالحياة فانكم تبنون والموت المفرّق هادمُ
ساوى الردى ما بيننا في حفرةٍ حيث المخدّم واحدٌ والخادمُ

وقيل اقبل سيل باليمن في خلافة ابي بكر الصديق (رضه) فكشف عن باب مغلق فظن كنزاً فاستئذن ابو بكر بشأنهِ فكتب لمستأذنيهِ لا تحرّكوا حتى يقدم اليكم كتابي . ثم فتح فاذا برجلٍ على سرير عليهِ حلة من ذهب وفي يدهِ اليمنى لوحٌ مكتوب فيهِ :

اذا خان الامير وكاتباهُ وقاضي الارض داهن في القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الارض من قاضي السماءِ

واذا عند رأسهِ سيف اشد خضرةً من البقلة مكتوب عليهِ "هذا سيف عاد بن إرَم"

وروى ابن بطوطة في رحلتهِ (جزء اول صفحة ٣١) انهُ رأى بقرب مدينة الخليل في فلسطين قبر فاطمة بنت الحسين بن علي وباعلى القبر واسفلهِ لوحان من الرخام في احدهما مكتوب منقوش بخط بديع "بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء ولهُ ما ذرأ[1] وبرأ وعلى خلقهُ كتب الفناء وفي رسول الله أسوة[2]. هذا قبر ام سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهُ" وفي اللوح الآخر منقوش "صنعهُ محمد بن ابي سهل النقاش بمصر" وتحت ذلك هذه الابيات

(١) خلق ومثلها برأ (٢) قدوة

أصبحتُ على قبريك من مدمنٍ ... دونكَ ما لاهى ترو جدك

اما القبريات فلعلها وجدت عند بعض القبائل القديمة حذوا عن مجاوريهم من الاعاجم الذين اقاموا الانصاب وكتبوا على قبور موتاهم كما سيأتي . ثم كثرت بعد الاسلام وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته انهُ شاهد كثيرًا من قبور الخلفاء والعلماء والصالحين في رصافة بغداد والبصرة والكوفة وغيرها وعلى كل قبرٍ منها اسم صاحبهِ ووفاته

وروى انهُ رأى على مقربة من مدينة ظفار اليمن موضع يقال له الاحقاف فيه بنية فيها قبر مكتوب عليهِ " هذا قبر هود بن عابر (صلعم) " — وبقرب الجامع الاموي في دمشق على تابوت " يا زكريا ان نبشّرك بغلامٍ اسمهُ يحيى " وغير ذلك

ومما عرف من قبريات العرب ما روي عن بعضهم ان عبدالله بن جدعان التيمي لما نفاهُ ابوهُ خرج في شعاب مكة فجاء شقًّا في الجبل فدخل فيهِ فرأى جثثًا طوالاً على سرير لم يرَ مثلهم طولاً وعظمًا وعند رؤوسهم لوح من فضة فيهِ تاريخهم واذا هم رجال من ملوك جرهم آخرهم موتًا الحارث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة . ويروى ان اللوح من رخام كتب فيهِ " انا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت . وتحتهُ مكتوبٌ :

قد قطعتُ البلاد في طلب الثروة والمجد قالص[1] الاثواب
وسريتُ البلاد قفرًا اقفرٍ بقناةٍ وقوّة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادي بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدتي واقصر جهلي واستراحت عوادي من عتابي
ودفعتُ السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت لو سمعت براعٍ ردّ في الضرع[2] ما قرى[3] في احلاب[4]

قيل ولما قتل سيف بن ذي يزن الحميري وهو في الصيد دفن بمقبرة اجداده في صنعاء اليمن ووضع في سريرهِ عند راسهِ لوحٌ كتبت فيهِ هذه الابيات

انا ابن ذي يزنٍ من فرع ذي يمنٍ ملكتُ من حد صنعاء الى عدنِ

---

(١) من قلص الثوب بعد الغسل اذا انكمش (٢) الضرع لذوات الخف او لشاء والبقر ونحوها بمنزلة الخلف للناقة والثدي للمرأة (٣) جمع (٤) الاناء الذي يحلب فيه ويروى هذا البيت لعمر بن ابي ربيعة المخزومي ولم اجدهُ في ديوانهِ المطبوع

الى جنب قبر ابي نواس قبرية وقيل انها من نظمه وهي ·

زرتُه متابعاً سقى الله برْدَ العفو صاحبة القبرِ

لترى قمر الدُجى وشمس الضحى بين الصفائح والقبرِ

ما ملَّتِ البُكا وقلب عليها يرتجي راحة الصبرِ

الشافعيّ المتوفى سنة ٢٠٤ ه ٨١٩ م " هذا قبر محمد بن ادريس

هو يجود بنفسهِ (٢٢١ ه ٨٣٥ م) ان يكتب على قبرهِ

حيّ تسمَّعي إسمعي ثمَّ عي وعي

رهنٌ بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

عتاهية اوصى ان يكتب على ضريحهِ هذا المفرد

أ يكون آخرهُ الموت لعيش معجَّل التنغيصِ

برية لما حضرتهُ الوفاة (٢٦٥ ه ٨٧٨ م)

القبور الدوارسِ كأَنهمُ لم يجلسوا في المجالسِ

ارد الماء شربة ولم يأْكلوا ما بين رطبٍ ويابسِ

المهولُ بسكرةٍ فلم تنجِ منه ألوف فوارسِ

عط واعبر بما ولا تكُ في الدنيا هديت آنسِ

واكناف فارسِ وما كنت من ملك العراق آيسِ

ا وصيب نعيمها كأنْ لم يكن يعقبه شيئاً [illegible]

يحيى بن عدي (٣٦٤ ه ٩٧٤ م الذي [illegible] [illegible]

اسحق بن درية ان يكتب على قبرهِ هذين البيتين

صار بالعلم حيًّا ومتى قد مات جهلاً وعيًّا

كي تنالوا خلودًا لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيًّا

توفى (سنة ٣٩١ ه ١٠٠٠ م) ان يُدفن عند رجلي موسى بن جعفر

: " وكلبهم باسطٌ ذراعيهِ بالوصيد "

لمنصور ابي عامر المعافري الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٤ ه ١٠٠٣ م

ك عن اخبارهِ حتى كأَنك بالعيان تراهُ

ي الزمان بمثلهِ كلاَّ ولا يحمي الثغور سواهُ

اسكنت من كان في الاحشاء مسكنهُ   ارضاً ميي بين الترب والحجرِ

يا قبر فاطمة بنت ابن وسمهِ   ت لما مت لاحسم لوهرِ

يا قبر ما فيك من دين ومن ورعٍ   ومن عفافٍ ومن صونٍ ومن خفرِ [1]

وكتب على قبر عبد الله بن جعفر المتوفى سنة (٩٠ هـ ٧٠١ م)

مقيمٌ الى ان يبعث الله خلقهُ   لقاؤُك لا يرجى وانت قريبُ

تزيد بلًى في كل يوم وليلةٍ   وتُنسى كما تبلى وانت حبيبُ

وروى الرياشي انهُ رأى على قبر ابي هاشم الاسدي بواسط هذين البيتين

الموت اخرجني من دار مملكتي   والموت اضرعني [2] من بعد تشريفي

لله عبدٌ رأى قبري فاعتبرهُ [3]   وخاف من دهره ريب التصاريفِ

وكتب على ضريح سيبويه امام النحاة (١٨٠ هـ ٧٩٦ م) ابيات لسليمان بن يزيد العدوي وهي :

ذهب الاحبةُ بعد طول تزاورٍ   ونأى المزارُ فاسلموك واقسعوا [4]

تركوك اوحش ما يكون بقفرةٍ   لم يأنسوك وكربةً لم يدفعوا

قُضي القضاء وصرت صاحب حفرةٍ   عنك الاحبة اعرضوا وتصدَّعوا [5]

ووُجد على قبر ابي الهندي الشاعر وهو اول من وصف الخمر في الاسلام (١٨٠ هـ ٧٩٦ م) هذه الابيات :

اجعلوا ان متُّ يوماً كفني   ورق الكرم وقبري المعصرهْ

وادفنوني وادفنوا الراح معي   وضعوا الكاسات حول المقبرهْ

إنني ارجو من الله غداً   بعد شرب الراح حسن المغفرهْ

ولما احتضر ابو نواس الشاعر قال اكتبوا هذه الابيات على قبري (توفي ١٩٥ هـ ٨١٠ م)

وعظتك احداث صُمتْ   ونعتك ازمنةٌ خفتْ [6]

وارتك قبرك في القبو   ر وانت حيٌّ لم تمتْ

وتكلَّمت عن أوجهٍ   تبلى وعن صوَرٍ سُبتْ [7]

---

(١) من خفرت الجارية اذا استحيت اشدَّ الحياء فهي خفرة (٢) بمعنى اذلني ومنهُ المثل (الحمى اضرعتني للنوم) يضرب في الذلّ عند الحاجة (٣) يريد جعلهُ يعتبر وهو لم يرد في كتب اللغة بهذا الوزن والمعنى بل يقال اعتبر الشاة اذا تركها عاماً لم يجزها فطال صوفها (٤) تفرَّقوا (٥) تفرَّقوا (٦) بمعنى ساكتة (٧) مستريحة

تأمل بحقك يا واقفاً ولاحظ مكاناً دَفعنا اليهِ
تراب الضريح على وجنتي كأنيَ لم امشِ يوماً عليهِ
أداوي الانام حذارَ المنونِ وها انا قد صرت رهناً لديهِ

وقال ابو محمد البطليوسي الاندلسي عند موتهِ يخاطب أبا مروان صاحبهُ وأمر ان يدفن بازائهِ ويكتب على قبرهِ :

ياصاحبي قم فقد أطلنا انحن طول المدى هجودْ
فقال لي لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلةً نعمنا في ظلها والزمانُ عيدُ
وكم سرورٍ همى علينا سحابةً ثرَّةً تجودُ
كلٌّ كأن لم يكن تقضَّى وشؤمهُ حاضرٌ عتيدُ
حصَّلهُ كاتبٌ حفيظٌ وضمَّهُ صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا رحمةُ مَن بطشهُ شديدُ
يا رب عفواً فانت مولىً قصَّر في شكرك العبيدُ

ونظم ابن مطروح الشاعر في مرضهِ الذي توفي فيهِ (٦٤٩هـ ١٢٥١م) ليكتب على قبرهِ :

تجزع للموت هذا الجزعْ ورحمة ربك فيها الطمعْ
ولو لذنوب الورى جئتهُ فرحمتهُ كل شيء تسعْ

وقال ليكتب على باب تربتهِ

هذه تربةُ من قد عظمت منهُ الذنوبُ
والكريم المحض من يعدى فيعفو ويُثيبُ

واوصى عبد الله بن باقٍ المالقي (توفي سنة ٧٥٢ هـ ١٣٥١ م) ان تكتب على قبرهِ ابياتٌ حفرها بنفسهِ وكان قبرهُ بين قبري شيخيهِ الخطيبين ابي عبد الله الطنجالي وابي عثمان بن عيسى :

ترحَّم على قبر ابن باقٍ وحيِّهِ فمن حقّ ميْتِ الحيِّ تسليمُ حيِّهِ
وقل أمَّن الرحمن روعةَ خائفٍ لتفريطهِ في الواجبات وغيِّهِ
قد اختار هذا القبر في الارض راجياً من الله تخفيفاً بقدر وليِّهِ
فقد يشفع الجارُ الكريمُ لجارهِ ويشمل بالمعروف اهل نديِّهِ
واني بفضل الله اوثق واثقٍ وحسبي ان اذنبت حب نبيِّهِ

واوصى ابو العلاء المعرّي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م ان يكتب على قبره

هذا جناهُ ابي عليَّ وما جنيتُ على أحدْ

ونظم ابو الصلت الاشبيلي قبل وفاته (٥٢١ هـ ١١٣٤ م) ابياتاً واوصى ان تكتب على قبره وهي

سكنتكِ يا دار الفناء مصدّقاً بأني الى دار البقاء اصيرُ
واعظمُ ما في الامر انيَ صائرٌ الى عادلٍ في الحكم ليس يجورُ
فيا ليت شعري كيف القاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
فان أكُ مجزيّاً بذنبي فانني بشرّ عقاب المذنبين جديرُ
وان يكُ عفوٌ ثمَّ عني ورحمةٌ فثمَّ نعيمٌ دائمٌ وسرورُ

ونظم ابن الزقّاق اللخمي البلنسي الشاعر هذه الابيات واوصى ان تكتب على قبره ٥٢٨ هـ ١١٣٣ م) وهي آخر نظمهِ:

أإخواننا والموت قد حال دوننا وللموت حكمٌ نافذٌ في الخلائقِ
سبقتكمُ للموت والعمر طيّةٌ وعيان ان الكلَّ لا بدَّ لاحقِ
بعيشكمُ او باضطجاعيَ في الثرى ألم نكُ في صفوٍ من العيش رائقِ
فمن مرَّ بي فليمضِ بي مترحماً ولا يكُ منسياً وفاءُ الاصادقِ

ونظم محمد بن ابرهيم الشلبي الاندلسي قبريتهُ قبل ان ادركتهُ الوفاة سنة ٥٣٢ هـ ١١٣٧ م

لئن نفذ القدرُ السابقُ بموتي كما حكم الخالقُ
فقد مات والدنا آدمُ ومات محمدٌ الصادقُ
ومات الملوكُ واشياعهم ولم يبقَ من جمعهم ناطقُ
فقل للذي سرّهُ مصرعي تأهبْ فانك لي لاحقُ

ونظم ابو محمد المقّري الخياط (المتوفى ٥٤١ هـ ١١٤٦ م) على لسان ميت

ايها الزائرون بعد وفاتي جدثاً ضمني ولحداً عميقا
سترون الذي رأيتُ من الموت عياناً وتسلكون طريقا

ونظم ابن منذر الطرابلسي قبريتهُ قبل ان لفظ انفاسهُ (٥٤٨ هـ ١١٥٣ م)

من زار قبري فليكن موقناً ان الذي القاهُ يلقاهُ
فيرحم الله امرأً زارني وقال لي يرحمكَ اللهُ

واوصى ابن زُهر الطبيب الاندلسي ان يكتب على قبرهِ هذه الابيات وفيها اشارة الى طبه ومعالجته الناس (توفي سنة ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م)

ميزان التجارة المصرية [1]

ان البحث عن سير التجارة المصريَّة الخارجية محفوف بالصعوبات الملازمة لهذا البحث في جميع البلدان ولكن التجارة المصرية سائرة على خطوط جلية قليلة وذلك يسهّل صعوبتها. فمصر بلاد زراعية محملة ديناً ثقيلاً واعتمادها هو على ما تصدره من حاصلاتها "الخام" لتشتري بهِ كل ما يرد عليها بما فيهِ من الوقود والخشب والبضاعة المصنوعة وجانب كبير من الاطعمة التي يحتاج اليها اهلها وايضاً لتدفع قيمة ما يستحق عليها من فائدة الدين واستهلاكه. ثم ان وارداتها وصادراتها تؤخذ عليها رسوم تعين بحسب تثمينها ولذلك يضطر الامر مصلحة الجمارك الى تثمين البضاعة تثميناً مدققاً مضبوطاً فتكون جداول الحساب الرسمية التي تبيّن بها تجارة القطر من وارد وصادر اساساً يُعتمد عليهِ ويركن اليهِ في احصاء تجارتها

ولكن يدخل في هذه القضية البسيطة اعتبارات كثيرة يتسع فيها مجال الحدس والتخمين وهي المقصودة بالبحث في هذه المذكرة

فاول اعتبار منها هو درجه الحساب الرسمي للواردات والصادرات من الضبط والتدقيق. فقد تقدم ان الواردات والصادرات تؤخذ عليها رسوم تعيَّن بحسب تثمينها. اما الواردات فيثمن ثمنها في الثغر الذي تصل اليهِ واما الصادرات ففي الثغر الذي تصدر منهُ. ولكننا اذا شئنا تثمين كل بضاعة حين تحصيل الرسم عليها افضى ذلك الى احتكاك وتأخير لا نهاية لهُ واقتضى مصروفاً عظيماً ايضاً. فلتخفيف الكلفة على الناس وعلى مصلحة الجمارك ايضاً تثمن البضاعة "الخام" الواردة والصادرة من حين الى حين بحسب سعر السوق في اليوم الذي يتفق على تثمينها فيهِ مع جماعة من اكابر تجار تلك الواردات او الصادرات فالثمن الذي يعين لكل صنف من اصناف البضاعة وهو المعروف بالتعريفة يفرض انهُ هو قيمة ذلك الصنف او ثمنهُ مدة العمل بتلك التعريفة

فبالنظر الى الاحصاء قد تكون طريقة التثمين هذه اصح على تمادي الايام من طريقة تثمين البضاعة حين مرورها في الجمرك حال الورود او الصدور. لانهُ وان كانت اسعار السوق

---

(١) مذكرة للمستر روسن اوردها اللورد كرومر في تقريره لسنة ١٩٠٥

ولما كشف الفرنسيون بعد تعميرهم احد قبور بني زيان في تلمسان وجدوا ان اكثر اضرحتهم مؤرخ ومنها ضريح السلطان ابي حمو (١) كتب عليه ترجمة ألقاب كثيرة (توفي سنة ٧٩١ ه ١٣٨٨ م) وفيه رخامة سطر عليها هذان البيتان وهما مكتوبان بالخط الكوفي ظنّ انهما قبل هذا العهد وانهما ليسا له وهما

الموت بابٌ وكل الناس داخله والقبر لا شكّ منزل الراحل

فكن على حذر وارتقب من هجمة الموت ايها العاقل

ونظم اسعد مصطفى القيمي ابياتاً في حال وضع على قبره وفيها تاريخ (توفي سنة ١١٧٨ ه ١١٦٤ م)

قبرٌ به من اوقفتهُ ذنوبهُ وبدا اسوء فعاله متحوفا

قد ضاع منهُ عمرهُ ببطالة والعيش منهُ بالتكدر ما صفا

ماذا طوى قبر القيمي ارخوا مستمنحٌ للعفو اسعد مصطفى ١١٧٨ ه

ووجد على قبرٍ قد أناخت بك روحي وجعل العفو قراها

فهي تحتاك وترجو ك ولا تقطع رضاها

ووجد على آخر

تناجيك اجداث وهنّ سكوتُ وسكانها تحت التراب خفوتُ

ايا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وانت تموتُ

ووجد على آخر

ان الحبيب من الاحباب مختلَسُ لا يمنع الموت بوّابٌ ولا حَرَسُ

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يامن يعدُّ عليهِ اللحظ والنفَسُ

لا يرحمُ الموت ذا جاهٍ لعزّتهِ ولا الذي كان منهُ العلم يقتبسُ

قد كان قصرك معموراً لهُ شَرَفٌ فقبرك اليوم في الاجداث مندرسُ

ووجد على آخر قف واعتبر يامن ترى قبري وما بي قد جرى

بالامس كنت نظيركم واليوم أبراني البرى

قل ربنا أُلطف بنا وارحم عظاماً في الثرى

عيسى اسكندر معلوف

(١) ولد السلطان ابو حمو سنة ٧٢٣ ه ١٣٢٣ م وملك ثلاثين سنة وكان مولعاً بالأدب الف لولدهِ ابي تاشفين كتاباً في ادب السياسة والملك سماهُ (قلائد الدرر) وفيهِ كثير من المواعظ والحكم والتدابير

ات واما الصادرات فكلها من حاصلات البلاد " الخام " الاّ ما
درية معفاة من رسوم الجمارك فيسهل تعيين تعريفة لها بناء على
ق . وهذا ما يفعلونهُ شهرًا فشهرًا ولكنهم اعتادوا منذ زمان طويل
ن سعر السوق عند تثمين الصادرات لاخذ رسوم الجمرك عليها فهذا
درات في الدفاتر الرسمية اصلاحًا مهمًا لانها انما تدل على ٩٠ في
السوق فيجب ان يضاف اليها ١١،١ في المئة لمعرفة سعرها في السوق
ن المصرية قطن والقطن على اصناف متفاوتة في الجودة واسعارها
ف جودتها ولكن تعريفة الجمارك تعين للقطن سعرًا واحدًا ثابتًا
صنافهِ والسعر المعول عليهِ هو سعر " برون جود فير " وهو اوطأ
تصدر من القطن فلذلك ايضًا تكون ارقام الصادرات في دفاتر
رها في السوق

معرفة قيمة الواردات والصادرات فسعرها الحقيقي الذي تباع وتشرى
حساب البلدان بعضها مع بعض — يمكن ان يظل مختلفًا عن تلك
فعلاً . اما الواردات فيصحّ ان تحسب قيمتها المقيدة في دفاتر
يدفعهُ التاجر فيها لان الفرق بينهما في الزيادة او النقصان يفني
الزمان . واما الصادرات فالثمن الذي يدفع فيها يكون اعلى من
تصدر منهُ بمقدار قيمة عمولة التاجر وربحهِ ونحو ذلك . فبمقارنة
ريطانية من هذا القبيل نصل الى النتائج التالية (وقد حولنا
سوق باضافة ١١،١ في المئة اليها)

بالوف الجنيهات الانكليزية

١٩٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٤
١٠٥	٩٤٣٥	١٠٦١٨	١١٥٨٢	١٢٥١٣
١٢٥	١١٩٠٦	١٣٩٨٤	١٢٩٨٤	١٤٣٠٣
٩،٨	٢٨،٩	٢٨،٦	١٢،١	١٤،٣

ثمن ما يرد الى بريطانيا من القطر المصري على ثمن ما يصدر من القطر المصري

قد تعلو وتهبط كثيرًا في خلال المدة المعينة لذلك التثمين لكن الصعود والهبوط يتعادلان فيها على توالي الايام فيفني احدهما الآخر وتؤمن بها عوامل الخطاء الكثيرة التي لاتفارق الطريقة الاخرى

اما البضاعة التي تثمن هذا التثمين فهي البضاعة الخام فقط . واما ما كان من البضاعة كالعدد والآلات والاثاث والثياب المخيطة ونحوها فلا غنى عن تثمينها على حدة . غير ان اصناف البضاعة التي تنطوي تحت التعريفة تبلغ ٥٦ في المئة من اصناف البضاعة كلها والباقي وقدره ٤٤ في المئة يجلب ١٢ في المئة منهُ تجار مؤتمنون بطريقة تتأكد مصلحة الجمارك معها ان القيمة التي يثمنونها بها هي القيمة الصحيحة وما يفضل عن ذلك وهو ٣٢ في المئة فقط هو كل ما يحتمل فيهِ عدم الضبط في التثمين . وهذا يرجح ان معظمهُ يثمن بالضبط ايضًا او يذكر اصحابهُ قيمتهُ الصحيحة وعليهِ يكون احتمال الخطاء وعدم الضبط في التثمين محصورًا في مجال ضيق

وما دام كلامنا في مسألة التثمين يخلق بنا ان نقارن جداول الحسابات المصرية بجداول البلدان الاخرى التي ترسل تلك البضائع الى مصر لنرى منزلتها من الضبط والصحة بتلك المقارنة . واولى تلك الحسابات بالمقارنة حسابات الجمارك البريطانية لان ٤٥ من تجارة مصر كلها تختص ببريطانيا العظمى وارلندا . فمن مقارنة ارقام الصادر من بريطانيا العظمى وارلندا الى القطر المصري في الدفاتر البريطانية بارقام الوارد على القطر المصري من بريطانيا العظمى وارلندا في الدفاتر المصرية يزيد ما في الدفاتر المصرية على ما في الدفاتر البريطانية حسب المنتظر متى اخذ على عدة سنين . ولكن الزيادة لاتساوي اجرة النقل وغيرها من المصروفات التي تزيد قيمة البضاعة البريطانية بارسالها من بريطانيا العظمى الى القطر المصري. واذا استثنينا الفحم الحجري الذي تبلغ اجرة نقلهِ مبلغًا عظيمًا زال الفرق بين ما في الدفاتر البريطانية والدفاتر المصرية واصبحت قيمة الوارد على بر مصر متساوية في دفاتر البلدين تقريبًا

فيستدل من ذلك على وقوع خطاء في حساب الجمارك الانكليزية او المصرية او في كليهما بقدر ما يصرف على نقل البضاعة التي نحن بصددها من بلاد الانكليز الى مصر . غير ان هذه البضاعة معظمها اصناف مصنوعة ومصاريف نقلها زهيدة بالنسبة الى ثمنها وربما كانت اقل من ٥ في المئة من ثمنها . وزد على ذلك ان الانكليزي ميال الى تثمين بضاعتهِ التي يرسلها الى مصر باكثر من ثمنها فاذا اعتبرنا ذلك كلهُ استنتجنا النتيجة التي استنتجناها آنفًا بناء على اعتبارات اخرى وهي ان احتمال الخطاء في تثمين الواردات المصرية محصور في دائرة ضيقة

باوف الجنيهات المصرية

السنة	الواردات			الصادرات (والمعاد اصدارها)				زيادة		متوسط كل ثلاث سنوات
	بضاعة	نقود	الجملة	بضاعة	اصل ١٠ في المئة	نقود	الجملة	الواردات على الصادرات	الصادرات على الواردات	زيادة الصادرات على الواردات
١٨٨٨	٧٧٣٨	٢ ٣٩	٩٧٧٧	١ ٧٥١	١٦١٤	٢٦٤٣	١٥ ١٥		٥٢٣١	
١٨٨٩	٧ ٣١	١٩	١٩٢١	١٣٢٧	١١٤	١٩٦٤	١٦ ٧٤		٧١٥٣	٥٨٢١
١٨٩٠	٨ ٨١	٢٩٧٢	١١ ٥٣	١٢٢ ٩	١١٣١	٢ ١٥	١٦١٢٥		٥ ٧٢	
١٨٩١	٩٢٠١	٢٨٢٥	١٢ ٢٦	١٤١١	٢١٢٧	١٥٢٤	١٧١٣١		٥١ ٥	
١٨٩٢	٩ ٩١	٣١٢٦	١٢٩١٧	١٣٦١٣	٢ ٥٢	٢ ٤١	١٧٧١٣	.	٤١٦٦	٥١٦٧
١٨٩٣	٨٧١٩	٢٩٤٧	١١٦٦٦	١٢١١٢	١٤٦٧	٣٥١٧	١١٥٩٦		٦٩٣	
١٨٩٤	٩٢٦٦	١٩٩٦	١١٢٦٢	١٢٢٢	١١٣٣	١١١٦	١٥١٦٩	.	٤٦ ٧	
١٨٩٥	٨٣٩	٤٢١٩	١٣٧ ٩	١٢٦-٩	١٤-٢	٢٣٢٢	٧٢١٣		٤٥ -	٤٣٥٦
١٨٩٦	٩١٣٩	٣٧٢	١٢٥٢٩	١٣٦٣٧	٢ ٤٥	١١٢٦	١٧٥ ٨		٣٩٥٦	
١٨٩٧	١ ٦ ٤	٢٩٣١	١٣٥٢٥	١٢٧٦٢	١٩ -	٢٣٦٩	١٧ ٤٥	.	٣٥٢	
١٨٩٨	١١ ٣٣	٢٧٣	١٣٧٦٣	١٣٣١١	١١٤١	١٠٩٢	١٦ ٥١		٢٢٩٥	٣٢١٢
١٨٩٩	١١٤٤١	٤٥١٦	١٥٩٥٧	١٥١٩٢	٢٣١٤	١٥ ٢	١٩٧٧١		٣٨٢١	
١٩ ٠	١٤١١٢	٤١١٥	١١٢٢٧	١٧٣٥٣	٢٦ ٣	٢٦ ٣	٢٢٥٥٩		٤٣٣٢	
١٩ ١	١٥٢٤٥	٣ ٨٦	١١٣٣١	١٦٤ ١	٢٤٦	٢٤٣٢	٢١٢٩٣		٢٩٦٣	٣٥٣٢
١٩ ٢	١٤١١٥	٤٧٧٩	١٩٥٩٤	١١٣١٤	٢٧٤٧	١١٣٤	٢٢١٩٥		٣٣ ١	
١٩ ٣	١٦٧٥٣	٦٤٣٢	٢٣١١٥	١٩١١٢	٢٩٧٢	١٧٨٦	٢٤٥٧		١٣٤٥	
١٩ ٤	٢ ٥٦	٧٦ ٧	٢١١٦٢	٢١ ٧	٣١٦٣	٢٧٣١	٢٦٩١١	١١١٦		٥٠١
١٩ ٥	٢١٥٦٤	٤٧٨٢	٢٦٣٤٦	٢ ٦٧١	٣١ ٢	٣١٧	٢٠٦٥		١٣ ٤	

فزيادة الصادرات على الواردات وبالعكس قد حسبت لكل ثلاث سنوات في الجدول السابق ليحيط القارئ علماً بحال التجارة المصرية بنظرة واحدة ولان ذلك يفني التغيرات العرضية. ويظهر من هذا الجدول ان الصادرات زادت على الواردات نحو ٨٠٠٠٠٠ ج.م في كل سنة من السنوات الست الاولى من المدة المذكورة آنفاً ثم جعلت تنقص تدريجاً حتى بلغت ادناها في السنوات الثلاث التي انتهت اخيراً وهبطت دفعة واحدة فيها حتى صارت مساوية للواردات تقريباً

وقبل البحث في اسباب ذلك نبحث عن المؤثرات التي تؤثر في جانب واحد من جانبي الحساب فتزيده او تنقصه دون ان تؤثر مثل ذلك في الجانب الآخر ثم نسعى في تقدير قيمة تلك المؤثرات

فاقوى تلك المؤثرات ما تُكلَّف مصر دفعهُ من مال البركه وعلى حساب الديون

فهذا الفرق العظيم بين ما في دفاتر الجمارك المصرية والجمارك البريطانية يزيد عن مقدار مصروف النقل ولا ريب في ان بعضهُ ناتج عن خطاء في الارقام البريطانية اذ انعام النظر فيها يظهر مبالغات لا تعلَّل بغير هذا التعليل ولكن البعض الآخر لا يعلَّل كذلك اذ التثمين البريطاني يزيد دائمًا عن التثمين المصري زيادة عظيمة مع انهُ لا يعسر على رجال الجمارك البريطانية ان يقفوا تثمين ما يرد من مصر مثل القطن وبذرة القطن وغيرهما من الواردات الخام القليلة الاصناف لان اسعارها تذكر في الاسواق البريطانية يوميًّا وتعرف صحة التثمين منها . ولهذا لا بدَّ ان يكون بعض تلك الزيادة ربحًا لاهل هذه البلاد

غير انهُ مهما كان السبب في ذلك الفرق فقد بان جليًّا مما تقدم ان الارقام الرسمية لا يصح البناء عليها الاَّ بمزيد الاحتراس والحذر . وللوصول الى الغرض المقصود من هذه المذكرة نضيف ١٥ في المئة الى ارقام الحاصلات منها ١١,١ في المئة لتعويض العشرة في المئة التي تطرح من سعر السوق والباقي اي ٣,٩ في المئة لتعويض ما ينقص من سعر القطن بتثمينهِ باقل من ثمن متوسط اصنافهِ . ونضرب صفحًا عما مرَّ الكلام عليهِ آنفًا من اسباب الفرق التي ليست بمعينة

هذا ولمسأَلة ورود النقود وصدورها دخل عظيم في قضاء الاشغال التجارية . فكل سنة يرد على بر مصر مقادير عظيمة من الذهب مدة موسم القطن ثم يصدر منهُ بعض ما ورد عليهِ فقط . غير ان الجمارك المصرية لا تأخذ رسمًا على المعادن الكريمة الواردة والصادرة فلذلك لا تراقب عليها مراقبة دقيقة فيحتمل انهُ يدخل القطر ويخرج منهُ كثير منها ولا يرد لهُ ذكر في دفاترها ولا هي تدعي الاحاطة بهذه المسأَلة والتدقيق فيها بل هي تنشر ارقام الوارد والصادر منها في جداول حسابها وتنبه بانها مأخوذة مما قيل لها عنها . غير انهُ لا ريب في ان معظم الذهب من وارد وصادر هو ما ترسلهُ البنوك وهذا يظهر في حساب الجمارك واما ما لا يظهر فيها فيكون كثير منهُ لاشغال لا تؤَثر في ذلك الحساب

فاذا راعينا ما تقدم من الاعتبارات لم يخلُ النظر في الجدول التالي المتضمن حركة التجارة في الثماني عشرة سنة الماضية من فائدة للقارىء

فمن ذلك ما يزيد الواردات وهو ما كان من قبيل الامور التالية

الاموال التي ينفقها السياح في القطر المصري

نفقة جيش الاحتلال

نفقات شركة قنال السويس

الربح الناتج من سك النقود الفضية خارج القطر

مكاسب المضاربين المصريين في البورصات الاجنبيَّة

العمولة التي يأخذها وكلاء شركات الفحم والبواخر ومصاريف شحن الفحم من بورت سعيد الخ

اجرة النقل في السفن المصرية

النفقات التي تنفقها السفن في الموانئ المصرية وتدفع بتحاويل على البلاد الاجنبية

الذهب الذي تنقلهُ السفن لدفع اجرة النقل وثمن البضاعة

دخل الاجانب المقيمين في القطر المصري مما لهم في الخارج وفوائد الاموال التي تثمر في البلدان الاجنبيَّة

الاموال التي تستدان من الخارج الخ

ومن ذلك ما يزيد الصادرات فيؤثر في الجانب الآخر من حساب التجارة وهو ما كان من قبيل الامور التالية

الاموال التي يدفعها المقيمون بالقطر المصري في سفرهم الى خارجهِ والنفقات التي ينفقونها ايام العطلة التي يقضونها هناك

خسارة المضاربين المصريين في البورصات الاجنبية

الاموال المصرية التي تثمر خارج القطر وهلمَّ جرًّا

فبعض هذه المؤثرات قد يقدر بالتدقيق ويتكرر سنة فسنة كنفقة جيش الاحتلال فانها نحو ٣١٠٠٠٠ ج. م في السنة ونفقات شركة قنال السويس فانها تبلغ نحو ٤٢٠٠٠٠ ج. م في السنة من الاموال الاجنبية والربح من سك نقود الفضة فقد بلغ متوسطهُ ١٤٠٠٠٠ ج. م سنويًّا في الثلاث السنوات الاخيرة ولكنهُ كان اقل من ذلك قبلها

والاموال التي يجلبها السياح معهم تبلغ مبلغاً عظيمًا وهي في ازدياد دائم وتقديرها محتمل للخطاء الكثير ولكنها ربما زادت عن ١٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة يقابل بعضاً منها ما يصرفهُ الذين يسافرون الى خارج القطر على سفرهم ومعيشتهم مدة غيابهم عنهُ

وما تصرفهُ السفن في الثغور المصرية على شراء زادها والرسوم التي تؤْخذ منها وما شاكل

الاجنبية . فان هذا الحمل الثقيل يدفع على شكل صاد
وارد من الواردات . ومقداره يمكن تعيينه بالضبط لا
كلهم خارجون عن القطر المصري . ويضاف الى ما يد
له ايضاً وكذلك قيمة السندات التي تشرى لمال الاج
يجب ان يحسب حساب الاموال التي تقبض من اصدار
جمعة من هذه الاموال وطرحنا منه ما يجب طرحه وا
لمتوسط ثلاث سنوات وغيّرنا زيادة الصادرات والواردات

بالوف الج

مدد ثلاث سنوات	متوسط زيادة الصادرات	متوسط ما يدفع للدين الخ
١٨٨٨ — ١٨٩٠	٥٨٢١	٤٨٠٠
١٨٩١ — ١٨٩٣	٥٨٦٧	٥٦٠٠
١٨٩٤ — ١٨٩٦	٤٣٥٦	٥٥٠٠
١٨٩٧ — ١٨٩٩	٣٢١٣	٥٥٠٠
١٩٠٠ — ١٩٠٢	٣٥٣٢	٤٦٠٠
١٩٠٣ — ١٩٠٥	٥٠١	٦٥٠٠

اما سبب ازدياد المدفوع على حساب الدين في مدة
دين الدائرة السنية في شهر اكتوبر الماضي

ومتى حذفنا المدفوع على حساب الدين كما تقدم
عشرة سنة الماضية ان الصادرات زادت على الواردات في
حتى ادركت الصادرات وتجاوزتها الى ان بلغ تج
٥٩٩٩٠٠٠ ج . م في السنة

ويبقى مع ذلك مؤثرات اخرى تؤثر في حساب التج
لو امكن معرفة مقدارها هي بالضبط ولكن معرفة ذلك من
لاول وهلة عند ذكر عدد قليل منها فقط

هذا وان كانت النتائج التي استنتجناها في هذه المذكرة مبنية على اساس صحيح فهذه الحال لا يمكن ان تدوم الى ما لا نهاية لهُ اذ لا يعرب عن البال ان القطر المصري قطر مديون وسيظل مديوناً مدة ازمان طوال . وكل قطر يستدين المال يلتزم ان يدفع فائدة دينهِ لمداينيهِ من جملة صادراتهِ . وذلك وان كان قد يخفى مدة استدانة المال لا يخفى بل يظهر بكل قوتهِ متى بطلت الاستدانة . ولهذا ارى ان الارقام الدالة على ميزان التجارة في الجدول المذكور آنفاً لا يدوم ازديادها وارتقاؤُها بل لا بدَّ لها من الرجوع الى الحالة الطبيعية ولكن هل يكون ذلك بازدياد الصادرات او نقصان الواردات — مسألة لا يمكن الحكم فيها الآن وانما يحكم فيها على توالي الزمان

تخميس حكم زهير (١)

حلمتُ فهذبت الزمانَ واهلهُ وجدت فاخجلت الغمام وهطلهُ
وما خلتُ ان البؤس يوفد رسلهُ واعلم ما في اليوم والامس قبلهُ
ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ

الى اجلٍ نحيا متى يدعنا نجبْ فلا قَدَر يزجيهِ او دمع منتحبْ
وان فاز سهم للردى لستُ ارتهب رايتُ المنايا خبط عشواءَ من تصب
تمتهُ ومن تخطئ يعمر فيهرم

ورثت عن الآباء حسن سريرةٍ وأورثت ابنائي اطايب سيرةٍ
وصانعت جار السوء رعياً لجيرةٍ ومن لم يصانع في امورٍ كثيرةٍ
يضرَّس بانياب ويوطأ بمنسمِ

سلوا الحيَّ عن خلقي يضع زهر روضهِ اذا ما كريماً اغضب الدهرُ أرضهِ
واحمي الحمى من ان يداس بارضهِ ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ
يفرهُ ومن لا يتّقِ الشتمَ يشتمِ

واني لكسَّاب الثناء بفعلهِ قليل التماس المال الاَّ لبذلهِ
واني لذو مجدٍ يعاش بظلهِ ومن يكُ ذا فضلٍ ويبخل بفضلهِ
على قومهِ يستغنَ عنهُ ويذممِ

(١) هي الحكم المشهورة في معلقة زهير ابن ابي سلمى المزني وقد نشر هذا التخميس اولاً في جريدة السودان

لا يقل عن ٥٠٠٠٠٠ ج . م سنوياً ومعظمه يدفع نحو ... في البلاد الاجنبية .
سب المضاربين وحسائرهم نمي عضر ... على مر الاعوام ولكن ... ان المكاسب
الحسائر بكثير في الاعوام الاخيرة . وهناك امور اخرى ... مبلغاً
ولكن لا سبيل لنا الى تقديرها

يتضح مما تقدم اننا اذا غضضنا النظر عن ... ميزان التجارة يتأثر بمؤثرات
متكررة وتأثير هذه المؤثرات ترجيح كفة الواردات لا محالة ولكن يتعذر علينا تقدير
هذا الترجيح وتعيين ميزان التجارة لذلك ... من الامر
المؤثرات ما يفي بذلك ... نعلم ان مجموع تأثيرها ... لا يكفي لتعليل الفرق الحاصل
بين الواردات والصادرات

وهذا القول يؤيده الجدول الذي ذكرناه ... الارقام المبينة لارتقاء سير
فان معظم العبرة بهذه الارقام هو في كونها تدل على التغيرات التي حدثت في السنين
رة في الجدول اذ الفرق فيها بين مدة ومدة يظهر ان تلك التغيرات مستقلة عن تأثير
ات التي تعتبر ثابتة . مثال ذلك ان الفرق بين مدة الثلاث السنوات الاخيرة والمدة
بلها بلغ ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً زيادة في قيمة الواردات وليس بين المؤثرات التي
النظر فيها مؤثر يمكن ان ينتج هذه الزيادة العظيمة مهما ازداد مقدار تأثيره ولا بد
ا من سبب آخر

وهذا السبب هو دخول رأس مال جديد الى البلاد على وجوه شتى لانه وان يكن
رأس المال الى القطر متواصلاً من قبل ذلك ... زاد زيادة عظيمة جداً
نهضة التجارية والمالية التي ابتدأت باقبال محصول القطن سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ فان
التي كانت موجودة زادت اموالها من الخارج كثيراً و نشئت ايضاً ... جديدة
ات عديدة باموال اجنبية وزيدت البضاعة المجلوبة بالدين زيادة عظيمة وزيد الدين
على مصر للامم الاخرى بطرق عديدة . على ان معظم هذا الدين من اموال البنوك
دين الدائرة السنية كان بزيادة رأس مال البنك العقاري المصري بل ان جزءا من
مال الشركة الجديدة هو من مال البنك المسلف على اسهم تلك الشركة

والمرجح ان زيادة الواردات على الصادرات المذكورة في الجدول الاخير هي عبارة عن
المال الجديد الذي دخل الى القطر ولكن يتعذر علينا اثبات ذلك اذ كثير من ذلك
لا يظهر في الحسابات التي تنشر وبعض ما ينشر منها كان الاكتتاب به في مصر

حِكَم انكليزية

الحِكَم (جمع حِكمة) اقوال وجيزة تتضمن معاني جليلة لتهذيب الاخلاق فهي كالامثال من هذا القبيل ولا تختلف عنها الا في شكل عبارتها . وتشبهها ايضا من حيث شيوع معناها بين الامم المختلفة

لا يجوز لاحد ان يخجل من الاقرار بغلطهِ لان اقرارهُ هذا بمثابة قولهِ ان حكمتهُ اليوم اكثر منها امس

مَن يكذب كذبةً لا يعلم ما قد حمل نفسهُ من احمال الثقيل لانهُ يضطر ان يخترع عشرين كذبة ليثبتها

الاعتدال هو السلك الذي ينظم كل الفضائل تنظيم حبات اللآلي

الذين يقتدون بالناس كالذين يحاولون بيوت غيرهم ليصلحوا ما فيها ويتركون بيوتهم للخراب

كل الذين فيهم شيءٌ من الخير يقضون زمن كهولتهم في الاقلاع عن جهل شبابهم او التكفير عن اغلاطهِ

الذين يصيرون اعداءً لله في شيخوختهم انما يعطون لله فضلات الشيطان

أقربُ السبل واسهلها لاتصافك بالعقل والحكمة في عيني احد ان توافقهُ على مذهبهِ

من ينكر الخير في الناس لا خير فيهِ

القلم لازم فانهُ وان لم يكن شيئاً مخيفاً هو الضابط الذي يمنع العقل من الشرود والتيه

ما الموت الّا خادم ينزع عنا ثيابنا الوسخة بعد ما نقطع مستنقعات الارض واوحالها ويلبسنا اثواب البوص والارجوان

ما البليَّة الّا ان تحطّ نفسك في منزلة احطّ من منزلة عدوّك

الكتب والجرائد اسلحة بطيئة العمل في هدم الضلال ولكنها ثابتة اكيدة

لا شيءَ يُطلق اللسان في الكلام كالخمر والغرور والعجب

حُبُّك لله حبُّك للطبيعة وحبُّك للطبيعة حبُّك الانسان وهو حب واحد ولو كان ثلاثة

انما يعلم الانسان في يومهِ انهُ كان جاهلاً في امسهِ ثم يعلم في غدهِ ما علمهُ في يومهِ

المال كالسماد لا خير منهُ الّا اذا نُشر

وسيان عندي ... ثروتي ... ...

فمن يبذل المعروف ... حسبه ومن يوف لا ...

الى مطمئن البر لا يتجمجم

ولي شيمة لا يعطف الفقر مربعه وحسبي ... ...

يهاب الردى ضربي ... ... ومن ... ...

وان يرق اسباب السماء بسلم

وكل امرئ لا بد يجري ... ومن ... ...

ومن يقصد الخوان يصرع ... ومن يصنع المعروف في

يكن حمده ذماً عليه ويندم

اذا الحيل جالت للورى في براحها لكل كمي رزقه من

فتلك من يحمي الحمى بكماحه ومن لا يذد عن حوضه

يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

واني لمولى الصبر اجتاب ثوبه حتى انه من يتكل د

فمن يتجلد يتق البؤس باسه ومن لم يزل يسترحل

ولا يعفها يوماً من الذل يندم

خليلي ما للطرف اجرى عقيقه ادكركما عهد ... حمى

ارى العزب دلاً والاماني طريقة ومن يغترب يحسب ...

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وان امرءا يدعوك آن ضيقة ويكفر ... ...

وقد تبرز الايام كل حقيقة ومهما يكن عند امرئ

وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكل أبي لا يفوه بمعضب وهل تردهي الاحداث

ابي النطق الا ان اوه بمعجب وكائن ترى من صامت

زيادته او نقصه في التكلم

وما السيف الا نصله لانجاده وما المرء الا فعله

وما اصغرا الانسان الا عماده لسان الفتى نصف ونصف

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

كل احد يبتغي العمر الطويل ولكن ما من احد يبتغي الشيخوخة

اعظم الفرق بين الشريف والاستقامة في الباعث على العمل فان المستقيم يعمل ما يراهُ واجباً والشريف يعمل ما يراهُ لائقاً برفعة شأنهِ

الوشاية تصيب افضل الناس كما ان احلى الاثمار تنقرها الطيور

لو كتب المرء كل آرائهِ في الحب والسياسة والدين والعلم مبتدئاً من شبابهِ الى شيخوختهِ لرآها اخيراً صبرة من المخالفات والمناقضات

اذا اضطرَّني احد الى البعد عنهُ فسلواي انهُ مبتعد عني

غاية الغايات ان نكون السعداء في البيت فاذا لم نكن سعداء هناك فلا نكون سعداء في مكان آخر

السعادة ثمر اذا لم ينمُ في بيوتنا فمن العبث ان نطلبهُ في بساتين الناس

من يجعل الهزء سلاحاً لمقاومة الحق وجد في يدهِ نصلاً لا مقبض لهُ ربما جرح بهِ نفسهُ اكثر مما يجرح بهِ غيرهُ

اكتشافُ مصدرٍ جديد للسعادة في الارض افضل من اكتشاف سيَّار جديد في السماء

لطفُ المرء خير دافع لفظاظة الناس

ليس للمرء الخيار في الحياة او الموت ولكن لهُ الخيار في نوع الحياة

قطف الازهار التي تنمو في جانب الهاوية خطر ربما ادَّى الى السقوط فيها

الأَرزاقُ التي تُنال بالجد اثبتُ غالباً من الاملاك التي تاتي بالارث

اكثر ما ربحهُ العلم هو من الكتب التي خسر بها طابعوها

من يطلب الدنيا فقد ينال منها ما يكفيهِ ولكنهُ لا ينال منها ما يرضيهِ

الشرف امتياز وهمي ما لم يكن مصحوباً بممارسة الفضائل التي يحق ان تكتسب

اللطيف من يعرف كيف يرضيك بلا تملق ويخالفك من غير ان يغيظك

ارتكاب الشر غير جائز مطلقاً واما احتمالهُ فجائز اذا كان فيهِ دفع شر اعظم منهُ

يقول من لا يرى الاَّ الخير في الدنيا ان القرطاس صُنع منهُ جناحا ملاك المعرفة ويقول مَن لا يرى الاَّ الشرَّ فيها بل صُنع منهُ جناحا ملاك الموت لانهُ لم يخترع الانسان ولا الشيطان شيئاً افظع مماَّ يفعلهُ القرطاس فهو يفطر القلوب ويثل عروش الملوك ويقلب نظام الامور

يوحنا ورتبات

لا يكون لاحدٍ اصدقاء صادقون اذا كان يكثر من ...

اخترْ افضل سبل المعيشة فالعادة تصيرها شهيّة

اشد الناس جرماً من الاذى اقربه اى بعده

اذا انتقم الانسان كان مثل عدوّهِ واذا صفح كان افضل منهُ

المسرف يسلب وارثهُ والبخيل يسلب نفسهُ

خيرُ اللطفِ ما ينفي فضول التكلّف والتجمل

ما من احد افلحَ ولم تصبهُ شدة

متى اقلعت عنا رذائلنا تملّقنا انفسنا بأننا اقلعنا عنها

التملق اكثر البضائع رواجاً وما من فائدة منهُ الاّ ان نرى فيهِ ما
منهُ ما يجب ان نكون عليهِ

انظر الى من يمدحك قبل ان تلتذ بمدحهِ فان الحكيم يمدح من حيث ...
فتمدحهُ لغناهُ

يجب ان نهتمّ بالمستقبل اهتماماً لا يحرمنا لذة الحاضر لانهُ ليس من ...
مخافة ان نشقى غداً

قد يصير الانسان عالماً بعلم غيرهِ ولكنهُ لا يصير حكيماً الاّ بحكمة

مجانبة الذمّ اعسرُ من كسب المدح لان المدح قد يكتسب بعمل و
الذم فلا ينال الاّ اذا قضى المرء عمرهُ لا يقول نكراً ولا يفعل شرّاً

يصيبُ اهل العلم ما يصيب سنابل الحنطة التي تعلو وتشمخ قبل النضج
حبّاً انحنت وطأطأت رؤوسها

زلاّتُ الفضلاء تذاع بين الناس اكثر من فضائلهم

الحقّ لا يحتاج الى ناصر واما الكذب فيكلف الانسان جهدهُ في حتر

لا عار في الاقتصاد لانهُ خير للمرء ان يعيش بالقليل من ان يسرف

فرحي بخيبة اللئيم كفرحي بنجاح الكريم

اوسمة الشرف لمن لا فضل لهُ كطغراء الملك على النقود الزيوف

اللقب الشريف قد ينتقل الى الولد واما الصفات التي تشرّف الا
التي لا تُنقل . ولو استطاع المرء ان يورث فضائلهُ او يقف عقلهُ وعلـ
باموالهِ لكان الشرف الموروث اثمن المزايا

واوصى عاديا يومًا بان لا تهدّمْ يا سموأل ما بَنَيْتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا وماءً كلَّما شئتُ استقيتُ)

وفي هذه الابيات قصة ما جرى لهُ في امر الادرع التي اودعهُ اياها امرؤ القي
وان عادياء اباهُ على قول الاكثرين او جدهُ على قول ابن دريد بنى لهُ حصنًا
واوصاهُ ان لا يهدمهُ . وكل من يعرف هذه القصة يستطيع نظم هذه الابيات

والقصيدة الواردة في الاصمعيات دينيَّة اعترف ناظمها بالمعاد وذكر اص
وفيها شيءٌ يدلُّ على ان ناظمها يهودي لانهُ جعل الثاء المثلثة تاءً مثناة في بعض ا
" الخبيث " " الخبيت " على قافية دُعِيت ونسب صاحب لسان العرب ذلك الب
والبيت الواردة فيهِ الى رجل يهودي غير السموأل لان السموأل من تيماء لا من
في مادة خبت الخبيت الحقير الرديُّ من الاشياء قال اليهوديُّ الخيبريُّ

ينفع الطيِّب القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخبيت

وسأل الخليلُ الاصمعيَّ عن الخبيت في هذا البيت فقال لهُ اراد الخبيث وه
لكنهُ عاد فنسب الابيات الى السموأل (حيث قال في مادة خنت واخنت الله
وهو خنيت قال السموأل

ليس يعطى القوي فضلاً من الما لِ ولا يُحْرَم الضعيف الختي
بل لكلٍّ من رزقهِ ما قضى الله وأن حز انفهُ المستميت

ولعلَّ الابيات نسبت اولاً الى يهودي ثم قيل انهُ السموأل

اما القصيدة التي اكتشفها الدكتور هرشفلد فلا ذكر لها في كتب العرب
ان ناظمها يهودي ولا شيء فيها مما يدل على انها قديمة . وبعض شطورها من
وبعضها من الكامل وبعضها لا وزن لهُ كأن ناظمها كان يجهل قوانين النظم ولم
شعرًا وهو يجهل قوانين النظم غريب في بابهِ ولكنهُ ليس منقطع النظير

وقصد الشاعر ان يفاخر رجلاً من المسلمين انتقص اليهود نخاطبهُ مفاخرًا وذ
الاسماء والالقاب كما وردت في القرآن كالخليل اي ابرهيم والذبيح اي اسحق و
موسى ... فنظم هذه القصيدة ونسبها الى السموأل لكي يكون لها وقع عند قارئها

قصيدة السموأل

كتب الاستاذ مرغوليوث في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية يقول ان الدكتور هرشفلد نشر قصيدة اكتشفها في مكتبة كمبردج منسوبة الى السموأل ومكتوبة بحروف عبرانية . وقال ان السموأل هذا هو عين بطل نبإ الذي يضرب اليهِ الوفاء في امثال العرب ونسبت اليهِ بعض الاشعار في الاصمعيات وكتاب الحماسة . ولا غرابة في نسبة الاشعار اليهِ لان من عادة العرب ان ينسبوا الشعر الى كل ذي شأن حتى لقد نسبوهُ الى آدم جد البشر وقالوا انهُ رثى بهِ ابنهُ هابيل.

اما القصيدة الفخرية التي مطلعها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميل

فقد نسبها ابن قتيبة الى دُكين والذي حمل غيرهُ على نسبتها الى السموأل هو قولهُ

لنا جبلٌ يحتلهُ من نجيرهُ منيع يردُّ الطرف وهو كليل

(قال في الحماسة ولمكان هذا البيت نسبت القصيدة الى السموأل وظنَّ ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال لهُ الابلق الفرد)[1] . ولهُ غير هذه القصيدة احد عشر بيتاً جمعها نولدكي وسبعة عشر بيتاً نشرها اهلورت في الاصمعيات وفيها كلها التاء المضمومة الا ان الاولى منها من بحر الوافر والثانية من الخفيف وقد استشهد الجاحظ ببيت مثلها في كتاب البيان والتبيين وهو من الكامل وذكر صاحب كتاب الفاء بيتين منها برواية ثعلب وذكرها صاحب اللسان بروايتهِ واضاف اليهما بيتاً ثالثاً (قال في مادة توت من لسان العرب وانشد ثعلب للسموأل بن عادياء

رُبَّ شتم سمعتهُ فتصامتُ وعيٍّ تركتهُ فكفيتُ
ليت شعري واشعرنَّ اذا ما قرَّبوها منشورةً ودُعيتُ
أَلِيَ الفضل ام عليَّ اذا حو سبتُ اني على الحساب مقيتُ

اما القصيدة التي من بحر الوافر فمنها قولهُ

أعاذلتي ألا لا تعذليني فكم من امر عاذلة عصيتُ
وفيت بادرع الكنديِّ اني اذا ما خان اقوام وفيتُ

---

(1) [المقتطف] كا ...

فظائع الجزار

اشار الكولونل تشرشل الى فظائع الجزار في كتابهِ عن لبنان فقال "ان سرد فظائعهِ كلها امر صعب تشمئز منهُ النفوس . ووصف صفات ليس فيها صفة رضية لا ترتاح اليهِ الطباع. فاذا اشرت الى اخلاق حاكم أُبيح لهُ ان يجري على اهوائهِ ثلاثين سنة وهي من اقبح الاهواء التي ترددت في صدر انسان من غير ان يُردع عنها ولو بكلمة توبيخ او انذار فليس غرضي من ذلك اظهار القبائح التي ترتعد من ذكرها الفرائص ولا وصف سيرة بلغت ادنى دركات الشر والفضيحة بل توجيه الانظار الى حقيقة تلك الحكومة التي كان نائبًا عنها وفعل افعالهُ باسمها ولم يشذَّ عن خطتها " وبعد ان اورد هذا الكلام الجارح قال ان الجزار كان يميل الى انشاء المباني وجمع الكتب وقد ذُكر لهُ ذلك كفضيلة اتاها وكدليل على محبتهِ للعلم والعلماء ولكن المطَّلع على سيرتهِ واخلاقهِ يرى ان هوى نفسهِ الذي حملهُ على جمع الكتب كان يمكن ان يحملهُ على حرقها كلها في ساعة واحدة بل لا يبعد انهُ لو توقَّف اصحاب تلك الكتب التي ابتزها منهم ابتزازًا عن تسليمها لهُ لحرقها وحرقهم معها لان الفرن كان من آلاتهِ التي يرغب فيها وكثيرًا ما زجَّ الناس فيهِ احياءً اذا انكروا عليهِ اخذ اموالهم . واذا اراد ان يعترف لهُ احد بشيءٍ وهو ينكرهُ فكثيرًا ما كان يأمر باحماء طاسة من النحاس وتلبيسهِ اياها على رأسهِ حتى يحتر دماغهُ ويتذكر ما يريد تذكيرهُ بهِ ولا يزال في بيروت رجل ابتزَّ كل اموالهِ وبقي يظن ان عندهُ اموالاً غيرها فاحمى صاجًا من الحديد واجلسهُ عليهِ عاريًا

ومن مبانيهِ التي تستحق الذكر مسجد وحمام يعجب بهما كل من يراهما من السياح لكنهُ نهب لاجلهما انقاض المباني القديمة في قيصرية وصور وعسقلان وسخر الناس سخرة في بنائهما ونقل الحجارة والاعمدة اليهما. وكان يذهب بموكبهِ عصر كل نهار لمشارفة العمل فيسير الانكشارية في مقدمة الموكب وهم بالسلاح الكامل ووراءهم التفكجية على الاقدام وبيد كلٍّ منهم سوط من جلود الثيران ثم الجلاَّد وبيدهِ البلطة التي يقطع بها الرؤوس ووراءهُ الجزار على ظهر جوادهِ ويأتي بعدهُ جمهور كبير من الخصيان والمماليك والشبقجيَّة والخدم والحشم وكلهم طوع امرهِ ورهن اشارتهِ . ويُبسط لهُ بساط في مكان مرتفع يشرف على العمل فيجلس عليهِ والشبق في يدهِ وهو يجيل طرفهُ في ما امامهُ وعيناهُ كعيني النسر حتى اذا رأى احدًا واقفًا عن العمل امر بقطع رأسهِ لكن الخوف منهُ كان يريح الجلاَّد غالبًا من

واحدة ولذلك لم تشع هذه الابيات كما اراد ناظمها فبقيت من المهملات

(ثم اورد الاستاذ مرغوليوث نص القصيدة بحروف عربية ناقلاً ذلك
هرشفلد وترجم ابياتها الى الانكليزية . ويظهر لنا ان الكاتب الذي كتبها
اخطأ قراءتها في اصلها العربي فاخطأ في كتابتها او حفظها خطأً ثم كتبها من
اليها ابياتاً سخيفة من عنده لا تنطبق على وزن لان بعض ابياتها صحيح و
اكتشاف التحريف فيه ولا يعقل ان ناظماً يستطيع نظم ابياتها الصحيحة
المغلوطة لفظاً ووزناً عدا ما فيها من السخافة المعنوية . وهاك بعض ابياتها كما
مرغوليوث وكما نظن انها كانت قبلما حرفها الكاتب وهذا لا ينفي عنها انها من

الابيات كما اوردها الاستاذ مرغوليوث	صحتها على ما نظن
١ ألا ايها الصف الذي عاب سادتي	١ ألا ايها الضيف الذي ع
أسمع جوابي لست عنك بغافل	ألا أسمع جوابي
٢ وهذا ذبيح فداهُ بكبشهِ	٢ وهذا ذبيح قد فداهُ
براهُ بديا لانتاج الشياتل	براهُ بديهاً لا
٣ وهذا رئيس اصطفاهُ وخصهُ	٣ وهذا رئيس فاصطفاهُ
واسماهُ اسرائيل بكر الاوائل	وسماهُ اسرائيل
٤ انصت لفخر يترك القلب مولهاً	٤ ألا انصت لفخر يترك ال
ويشب ناراً في الضلوع الدواخل	وينشب ناراً في

اما الابيات التي نظن انها اصيلة ولم يقع فيها الاَّ تحريف قليل فهي

فهذا خليل صيَّر النار حولهُ ريا حين جنات الغصون ا
السنا بني مصر المنكلة التي لنا ضربت مصر بعشر
السنا بني السلوى مع المن والذي لنا فجر الصوان عذب
على عدد الاسباط تجري عيونها فراتاً زلالاً طعمهُ غير
وقد مكثوا في البر عمراً مجدَّداً يغذيهم الباري بخير ا
السنا بني الطور المقدس والذي تدخدخ للجبار يوم ا

وبهما يكن من امرها فهي حديثة كما قال الاستاذ مرغوليوث نظمها
وتناقلها الحفاظ فزادوا فيها وحرفوها وناظم " اذا المرء لم يدنس من اللوم ع

ورماها على الارض وقال لها اذهبي يا لعينة [illegible] شاركتك من بقية السراري . شغلت تتوسل اليه كي [illegible] الارقات [illegible] بطة من يده [illegible] استلّ سيفه وقطع رأسها ثم امر [illegible] عيونها [illegible] رؤوسهنّ بعد ونادى باربعة من الخوزرة فقضوا اليه وامر باحضار [illegible] السراري فصاروا يدرلونهنّ واحدة واحدة ويسلونهنّ [illegible] اسلم [illegible] الى المماليك فاوجسوا شرًّا وجعلوا ينظرون بعضهم الى بعض مندهشين لانهم كانوا يعلمون ما وراء ذلك واخيرًا قال واحد منهم ماذا تنتظرون من رجل ظالم لا يشفق ولا يرحم هلمّ الى اسلحتكم وكان للجزار غرفة عالية في برج من السراي [illegible] في ذلك البرج فلجأوا اليها واقفلوا باب البرج وكان من الحديد

وكان الجزار لا يزال جاريًا في جريرته حتى اذا ذبح خمس عشرة من اولئك الحسان اللواتي لا ذنب لهنّ غير جمالهنّ [illegible] عليهنّ [illegible] الحسان واخبر ان المماليك لجأوا الى برج الخزينة وتحصنوا [illegible] بالخروج حالا فقالوا له انا نراك لا ترتوي من شرب الدماء [illegible] على حياتنا واذا حاولت اخراجنا بالقوة دافعنا عن انفسنا الى آخر رمق من حياتنا ثم [illegible] البارود (وكان [illegible] الخزينة) فنهلك ويخرب المدينة على رأسك [illegible] ولا يبالك [illegible] هذا الكلام [illegible] يحاوروه باطلاق الرصاص حتى اضطرّ ان يختبئ من وجوههم

واستمر الجزار [illegible] المدينة [illegible] فهربوا الى بيوتهم [illegible] واخيرًا [illegible] الجزار [illegible] يتوسلون اليه ليعفو عن المماليك [illegible] المدينة [illegible] لان المماليك اذا يئسوا من [illegible] لهم من [illegible] البارود . [illegible] ان لا مناص له من اجابة سؤلهم وقال اني اسمح لهم بالخروج ولكني اريد ان يحضروا امامي لكي اوبخهم على انكارهم للجميل وكفرانهم بالنعم . وابى المماليك ان يجيبوه الى ذلك وابى هو ان يسمح لهم بالخروج ما لم يحضروا اليه ومضت ثلاثة ايام على هذا النمط ولكن خمسة عشر منهم وهم الرجال وجدوا سبيلاً للفرار في غضون هذه المدة ففروا وقوّموا خطواتهم الى خان حاصبيا حيث التقوا بسليم باشا ورجاله وقصّ الجزار قصتهم عليه وكيف خرجوا من البرج بعد ان ملأوا جيوبهم ذهبًا من صناديق الخزينة وكيف اعدّ لهم بعض الاهالي خيولاً ركبوها ونجوا

القيام بما أمر به لان التي [illegible]

الناس من التعب [illegible]

زممت اسوار عكاء [illegible]

وان كان الجزار قد [illegible]

اقل منهما في معاملة [illegible]

الانتقام من اللواتي [illegible] امرهن من [illegible]

وتفصيل ذلك [illegible]

فوجه [illegible]

الخصيان ان يشددوا المراقبة عليهن [illegible]

اربع مئة مملوك من اجمل [illegible]

منهم يبقون في السراي ولا [illegible]

السراري كن يرينهم من كوى [illegible]

وعاد الجزار من الحج وبلغه [illegible]

على الفتك بهما [illegible] حركات السراري [illegible]

الازهار مع خادم اسمه [illegible] رأى تلك الطاقة [illegible] مع واحدة من [illegible]

متبسماً وقال لها من اين اتيت بهذه الازهار [illegible]

باسماً قولي لي الصحيح يا بنتي ولا تخفي عني شيئاً فقد رأيت [illegible]

فقولي لي من ارسلها اليكِ وزوجتكِ بهِ [illegible]

عريساً لائقاً . فاغترت بكلامهِ وقالت لهُ [illegible]

وكان قبل ذلك قد عزم على الفتك بعض [illegible]

فاستدعى سليم باشا السرعسكر وقال لهُ اني عازم على تأديب الامير [illegible]

فكن مستعداً لذلك ثم كتب الى المشايخ يستنهض هممهم ويدعوهم [illegible]

عيون قرب حاصبيا . فجمع سليم باشا عساكر [illegible] والارنؤوط و [illegible]

مماليكهُ الى قسمين وارسل قسماً منها مع سليم باشا وابقى قسماً في عكاء

وكان الخزندار بين الذين ابقاهم في عكاء . وسار سليم باشا برجالهِ وجيشهِ [illegible]

ذلك بقليل جرى الحديث السابق بين الجزار وبين زليخة فلما اعترفت لهُ

الذي ارسل اليها الازهار قام ونزل بها الى جنينة القصر والبلطة في يدهِ

[illegible]ت رواية [illegible] رحل [illegible] الحاج [illegible] حدم
دي ستنهوب المشهورة في بلاد الشام

وذكر الدكتور [illegible] السراري [illegible] الجزار من الحج ارسل عساكره
[illegible] لقيادة سليم باشا [illegible] وكان الضابط على عسكر الاكراد الملا اسمعيل
كان مع سليم باشا صديقهُ ابرهيم [illegible] من اهالي [illegible] وهو نوبية المشايخ
[illegible] وكان شجاع [illegible] المهيب [illegible] مثل
[illegible] . ولما وصل سليم باشا [illegible] واتهم
[illegible] بخيانة [illegible] كثيراً
كان يمسك امرأة [illegible] وقد
[illegible] سبعا [illegible] الجزار
تخليص البلاد من [illegible] ابرهيم
[illegible] ورجعوا الى [illegible]
[illegible] في وجوههم [illegible] قائلاً
[illegible] لرجالنا من [illegible] الأسر [illegible]
[illegible] ما يلزم لنا [illegible] له اكم
[illegible] قولاً ما احدثتموه [illegible] ما بلغ
[illegible] باشا هذا الجواب [illegible]
[illegible]
[illegible] نقود لم [illegible]
[illegible] او من الخارج [illegible]
[illegible] الاطعمة لان [illegible]
[illegible] وواحد من النصارى

وقام سليم باشا برجاله وسار الى عكاء ونزل خارجها وارسل الشيخ طاها رسلا الى الملا
[illegible] كبير الاكراد فاستماله عن سليم باشا وكان هو ورجاله عمدة العسكر وكان الجزار قد
[illegible] كل من وحده في عكاء بخروج بهم وابتدأ القتال مع المماليك ورجال القالوش اما الملا
[illegible] فانحاز عنهم برجاله ووقع القتل في رجال سليم باشا فلجأ الى [illegible] وفرّ ابرهيم
[illegible] الى بلاد الحصن ولجأ الى اولاد موسى [illegible] وكانوا حكام البلاد وكان معهُ اولادهُ

فانصحت واقعة احال ... وبعث ...
الاحوال هنا رحالاً من احواله ...
الباشا هو ... من ...
ان مولانا السلطان ولاني على صيداء ...
نطهر ولا ... لوني ... ويتقدم من ...
الى حرب الامير يوسف الانعريق ...
عليه ويرسل رأسهُ الى الباب العالي ...

فسرّوا بهذا الكلام وارسلوا ... الامير يوسف ...
الامير يوسف رأيهم ومدهم ... وارحل ... صيدا ...
فأسقط في يده لان رجاله ... وكان مكروهاً من ...
واستشارهم واحداً بعد واحد ...

وزحف سليم باشا باتباعه على صور ... قد ...
فيها حامية كبيرة لا تقل عن الفين ...
فنهبوا بيوتها وفعلوا فيها المنكر حتى رأت البلاد ...
باشا من هناك قاصداً عكاء ...
ليكلموا اصدقاءهم من المماليك ...
مباني المدينة مع من بقي فيها من الجنود ...
الليلة وهم يحسبون ان الجزار خائف منهم ولولا ...
والجنود قد هجمت عليهم وهم نيام ...
الوهم الخطر الذي هم فيه فانفرط عقدهم ...
وتشديد عزائمهم فلم يفلحا ولما رأيا ان الدائرة قد دارت ... دمشق
بفلول اتباعهما حتى اجتمع لهما نحو اربع مئة رجل ... الار ...
ثم ارسلوا يطلبون العفو من الجزار فعفا عنهم

والمماليك الذين بقوا في البرج عفا الجزار عن بعضهم ... البعض
وجدع الانوف وصلم الآذان على جاري عادته . ثم ارسل بقية ...
واقتلع الاشجار من الحديقة ولم يبقِ فيها شيئاً . وزادت اخلاقهُ شراسة واع...

الالعاب الاولمبيّة

نكتب هذه السطور والالعاب الاولمبيّة قائمة في بلاد اليونان كما كانت تقام في عهد [illegible]ائهم وشعرائهم الذين جاءوا لهم شهرة لا تمحى. وقد [illegible] هنا في هذه المرة ملك الانكليز و[مل]كته زوجته مع كثيرين من الكبراء والعظماء من كل امة [illegible] اليونانيين ان يحيوا ذكر [هذه] الالعاب ويجددوها لانه [illegible] لاكثر في قومهم [illegible] وتهذيب اخلاقهم [وتثق]يف عقولهم واجسامهم اتقان صناعة الشعر والتمثيل [illegible] حدًّا لم يتجاوزه غيرهم حتى الآن

وقد ترجمنا كتابا صغيرًا منذ اربع وعشرين سنة اسمه سير الابطال فيه فصل عن [الال]عاب الاولمبية رأينا ان نثبت بعضه هنا الآن بعد تصحيح [illegible] ما تتم به الفائدة

من يطالع تواريخ اليونان واخبار رجالهم واعمالهم المشهورين يجدها مشحونة بذكر [الال]عاب اليونانية. وقد شاعت هذه الالعاب في الازمنة [المتأخ]رة حتى انها كانت تقام في [كل] مدينة ببلاد اليونان واسيا الصغرى [على] انها لم تكن تقام في اول امرها الا في اربعة [اما]كن قرب هيكل دلفي وفي وادي نميا وعند برزخ كورنثوس وعند مدينة اولمبيا وتدعى [على التوا]لي الفيثيَّة والنيمية [illegible] والبرزخية [illegible] والاولمبية

وقيل في خرافاتهم ان الالعاب الفيثية انشأها [illegible] وا[لنيمية] [انشأ]ها هرقل بعد ما ذبح الاسد النيمي والبرزخية جددها ثيسيوس بعد ما ذبح لصوص [البرزخ] و[الا]ولمبية انشأها هرقل ايضا والصحيح انها قديمة جدًّا لا يعلم وقت انشائها

وكانت تقام بقرب مدينة اولمبيا كما تقدم. وسميت هذه المدينة اولمبيا نسبة الى اولمبس [و]هو جبل في تساليا كان يظن انه مسكن الآلهة. وزفس (المشتري) رئيس الآلهة على زعمهم [يسم]ى زفس الاولمبي [illegible] ثم بني له هيكل عظيم في أليس فسميت المدينة التي اقيمت حول هذا [الهي]كل اولمبيا مع انها تبعد عن جبل أُولمبس بعدًا شاسعًا

وكان هذا الهيكل من اعظم هياكل اليونان فان طوله ٢٣٠ قدمًا وعرضهُ ٩٥ قدمًا [وارت]فاعه ٦٨ قدمًا وهو مبني من المرمر الباري الفاخر ويحيط بهِ رواق اعمدتهُ من المرمر [و]جدرانهُ مزدانة بالنقوش والتماثيل وابوابهُ مصنوعة من النحاس الاصفر. وكان فيهِ تمثال زفس [الذ]ي صنعهُ فيدياس اشهر نقاشي اليونان ارتفاعهُ ستون قدمًا وهو جالس على عرش من

يعقوب وناصر [illegible]
من الدولة [illegible]
فسلموه اياهُ فقطع رأسهُ [illegible]
الى سليمان باشا [illegible]
واتـ[illegible] الى حالة [illegible]
بعض [illegible] ولم يكن فقتل من قوم [illegible]
بعد ان مثل بهم وقطع [illegible]
في اقصى البلاد . [illegible]
شخص منهم وحلفوا عند [illegible]
وقطع [illegible] وداده بعد ان كان [illegible]
ذلك تعصب عليهِ مملوكاهُ سليم [illegible] الكبير [illegible]
المتآمرون عيظاً منهُ وحاصروهُ في عكا [illegible]
الذين يستعملهم في البناء [illegible]
والطبجية ورآهم الخارجون [illegible]
الليل وحاربهم وظهر عليهم [illegible]
وكاد البلاد وقهر العباد " انتهى

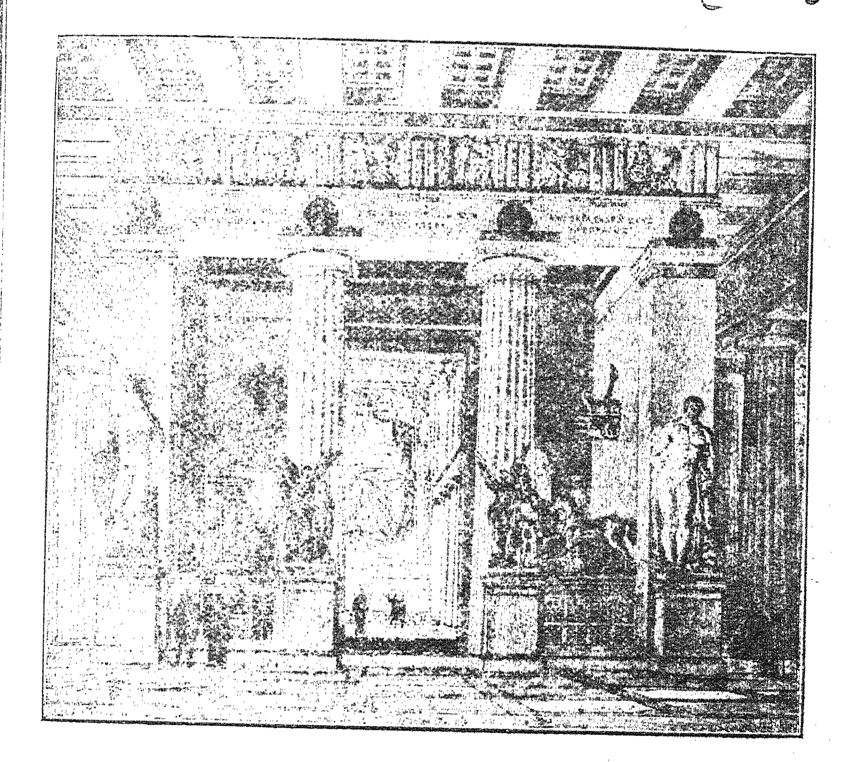
وذكر الامير حيدر الشهابي في حوادث سنة ١١٠٩ ان [illegible]
عليهِ اربع رصاصات وهربوا الى دار [illegible]
ودسائسهِ مواصلة فعزم على قتلهم [illegible]
قتلهم فاطلقوا عليهِ الرصاص كما ذكر وخرج سليم [illegible]
العسكر واغوات الهوارة وابو عرقة رئيس المغاربة [illegible]
قائد الارناؤوط مع بعض المغاربة . ثم فصَّل تبييت الجزار [illegible]
الشيخ محمد القاضي الى ان قال وقتل الجزار جميع السراري [illegible]

واختلاف الرواة والروايات مؤيد لما تقدم من تطرُّف الجزار في الظلم
النفوس التي الفت الهوان لم تعد تشعر بهِ والرجال الذين كان يسهل عليهم
الماء لم يجسر احد منهم ان يفتدي قومهُ وبلادهُ بنفسهِ فيهجم عليهِ ويخلص
الناس من شرهِ . ولولا الموت صديق المظلوم وناصر المهضوم ما ابقى ولاة الد[illegible]

اجسادهم استعداداً لها مدة عشرة اشهر قبل قيامها وان لا يحتالوا على الفوز فيها احتيالاً والاَّ عوقبوا عقاباً صارماً . وكانوا يذهبون قبل المحاضرة الى امام هيكل زفس ويحلفون انهم لا يستخدمون الحيلة لاحراز الجعالة بل يجرون بموجب سنن الالعاب تماماً . ثم يأتون الى الميدان وهو فسحة من الارض مفروشة بالرمل طولها نحو ست مئة قدم . فينادي المنادي قائلاً " هل من احدٍ يعيب هؤُلاء المحاضرين بانهم مستعبدون لاحد او عائشون عيشة غير لائقة " فاذا لم يتصدَّ احد لذلك اذن لهم ان يحاضروا . وحينئذٍ يجتمع عليهم اصدقاؤُهم يشجعونهم وينصحونهم الى ان يجيء الوقت للشروع في المحاضرة فيقفوا في اول الميدان صفاً واحداً بعد ان يخلعوا اثوابهم لئلا تعيقهم ويصوّبوا عيونهم وعقولهم نحو الغرض الذي يحاضرون لاجلهِ وحينئذٍ يبوّق المبوق فيندفعون اندفاع السيل والناس يزدحمون حول الميدان ويناودنهم باعلى اصواتهم لكي يشجعوهم . ثم يقع واحد من المحاضرين وهو عادٍ فيضج الجمهور بالضحك عليهِ ولكن المحاضرين لا يلتفتون اليهِ ولا يلوون على احد لانهم يعلمون انهم اذا اضاعوا خطوة واحدة اضاعوا الجعالة . ولا يزالون يعدون حتى يدنوا من حد الميدان حيث يجلس القاضي فيتقدم واحد منهم على رفقائهِ ويجتاز الحد قبلهم فيضج الجمهور كلهُ باصوات الفرح والتهليل و يعطى ذلك الرجل سعف النخل علامة الظفر ويحدق بهِ انسباؤُهُ واصدقاؤُهُ ويعانقونهُ بدموع الابتهاج . ثم يرفعونهُ على اكتافهم ويجتازون بهِ بين الجمهور فيعلو الضجيج ويتجمع الناس حولهُ يهنئونهُ ويرمونهُ بالازهار . فيستعز بحلاوة الظفر لان هذه الغلبة تكون فخراً لهُ ولوطنهِ مدى حياتهِ وبعد موتهِ ايضاً . وعند ما تنتهي الالعاب يكلل ويلبس حلة فاخرة ويسير هو وكل الغالبين الى المرسح وهم بالاكاليل وسعوف النخل والحلل الفاخرة والناس من حولهم يضجون بالتهليل وتتبعهم الخيول والمركبات التي احرزت قصب السبق مزدانة بالازهار البديعة حتى اذا بلغوا المشهد بوّق المبوق ونادى المنادي باسماء الذين احرزوا قصب السبق واسماء مدنهم فتعلو اصوات الجمهور ويرشقونهم بالازهار والاكاليل ثم يضحون الضحايا للآلهة وتسجل اسماؤُهم في سجل ليبقى ذكرهم الى الابد . وبعد ذلك يذهبون مع اصدقائهم الى الولائم الفاخرة التي يولمونها لهم

وعند ما يعودون الى مدنهم يخرج اليهم الناس ويلاقونهم باصوات الفرح واغاني الظفر وقد يثغرون لهم ثغرة في الاسوار لكي يدخلوا منها دخول الفاتحين . ويقيمون لهم التماثيل ويتغنى الشعراء بمدحهم . واحسن اشعار بنداروس الشاعر اليوناني نظمها في مدح الظافرين في هذه الالعاب

ج والذهب مزدان بالنقوش ومرصع بالحجارة الكريمة وعلى رأسهِ اكليل من الزيتون وفي
تمثال النصر وفي يسارهِ صولجان مصوغ من كل المعادن الثمينة . والتمثال نفسهُ اكثرهُ
العاج وثوبهُ ونعلاهُ من الذهب . وكانوا يمسحونهُ بالزيت المقدس على الدوام فيعكس نور
س عندما تقع عليهِ حتى قال اليونان ان الذي يراهُ يظنهُ زفساً نفسهُ



صورة هيكل زفس من الداخل على ما يظن

ولم تكن هذه الالعاب مثل العاب الفتيان بل كانت مثل المجالدة والمصارعة . ولم يكن
سمح بها الاَّ للرجال والشبان ولا ينتصر فيها الاَّ القوي الحاذق المتروض جيداً . وكانت
ناضرة (اي المسابقة عدواً) اشهرها ثم المصارعة فالمقاذفة فالملاكمة . وأُضيف اليها بعدئذٍ
سابقة في المركبات . وبعض الاحيان كانت تعطى الجوائز للشعراء والخطباء ولكن المحاضرة
كانت اكثرها اعتباراً في عيونهم

ولم تكن هذه الالعاب تقام الاَّ مرةً كل اربع سنوات ولذلك جرت عادة اليونان ان
قسموا الزمان الى اولمبيادات وكل اولمبياد اربع سنوات . ولم يسمح لاحدٍ ان يشترك فيها
لاَّ اذا كان يوناني المولد حسن الاخلاق طيب النسب . وكان على المشتركين فيها ان يروّضوا

رأسيهما ووضعاها على رأسهِ ثم حملاهُ على كتفيهما كأنهُ هو الظافر واجتازا بهِ في الميدان فحياهُ الجم الغفير باعلى اصواتهم لان اليونان يكرمون الشيوخ وقالوا لهُ مت الآن ياذياغوراس لانك بلغت اقصى امانيك . فغلب عليهِ الفرح حتى انهُ احنى رأسهُ على كتف ابنهِ الاكبر واسلم الروح

والمكان الذي كانت تقام فيهِ الالعاب الاولمبيَّة وادٍ بديع المنظر وقد شاد فيهِ اليونان افخر مبانيهم من هياكل ومذابح ومشاهد وانصاب وتماثيل وكان لا يزال فيهِ الى عهد بلينيوس الاكبر نحو ثلاثة آلاف تمثال لان اليونان كانوا يصنعون تمثالاً لكل من يفوز في الالعاب الاولمبيَّة يضعونهُ فيهِ . وافخر مبانيهِ هيكل زفس المتقدم ذكرهُ رسمهُ لبون المهندس اليوناني في القرن السادس قبل المسيح ولم يتمّ بناؤُهُ الاَّ بعد اكثر من مئة سنة ويتلوهُ الهيريون هيكل هيرا زوجة زفس وملكة السماء وهو اصغر من هيكل زفس قليلاً ويشبهُ في شكلهِ المترون اي هيكل ام الالهة وهو صغير جدًّا بالنسبة الى الهيكلين الاولين لكنهُ كان كثير النقش والزخرفة مثلها

ولم يكن يسمح لاحد من غير اليونان بالاشتراك في هذه الالعاب ولكن لما تغلَّب الرومان على اليونان جعلوا يشاركونهم فيها وكان بين الفائزين طيباريوس قيصر ونيرون الظالم

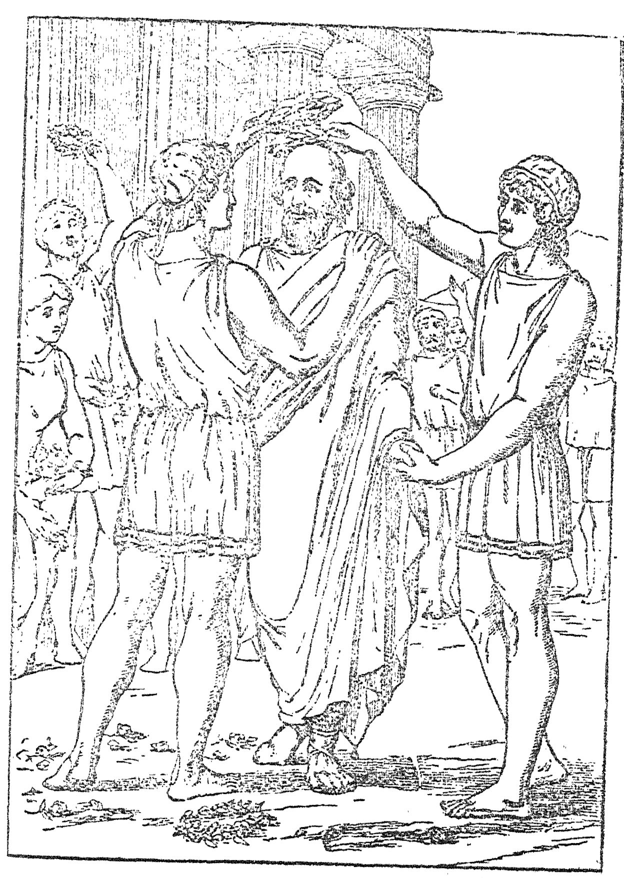
وكانت الالعاب تقام في البدر الاول من الانقلاب الصيفي وحينئذٍ ينادي المنادي في كل بلاد اليونان بابطال الحروب والخصومات وتصير بلاد اليس التي تقام الالعاب فيها حرماً من دخلهُ امن على نفسهِ ولو كان من اكبر الجناة وشهر الالعاب شهر حرام لا حرب فيهِ ولا خصام

والظاهر ان الالعاب الاولمبيَّة قديمة العهد جدًّا ولكن لم ينتظم امرها الاَّ سنة ٧٧٦ قبل المسيح حين كتب اهالي اليس اسم كرديس الذي فاز في المحاضرة ومن ثم صارت تتوالى اسما الظافرين ولم تبق الالعاب على حالة واحدة بل زادت اشكالها وبنيت المباني الفاخرة في المكان الذي كانت تقام فيهِ ودامت اثني عشر قرناً الى ان أُلغيت بامر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني في السنة العاشرة من ملكهِ (٤١٨ للميلاد) وبقيت الى زمن الاولمبيا السابع والسبعين تتم في يوم واحد ثم صارت تمتد حتى بلغت خمسة ايام. وقد رجح العالم كروس انها لما بلغت اقصاها كانت تجري على هذا النسق

في اليوم الاول تذبح الذبائح الدينية ويقسم المتبارون اقسامهم ويتبارى المبوقون

وفي اليوم الثاني يتبارى الغلمان في المحاضرة والمصارعة والملاكمة والمواثبة والمناجزة

قيل انهُ طلب منهُ مرةً ان ينظم قصيدةً في مدح بيثياس الذي احرز قصب السبق في الالعاب النيمية فطلب مالاً كبيرًا فاستعظم اصدقاءُ بيثياس هذا المال وقالوا اننا نقيم لهُ تمثالاً من النحاس بمال اقل منهُ . ثم لما ترووا في الامر قالوا ان القصيدة خير من التمثال فاعطوهُ المال الذي طلبهُ . فافتتح القصيدة بقولهِ انهُ ليس صانعًا للتماثيل التي لاترى الاَّ



صورة ابني دياغوراس يكللان والدهما

حيث تنصب بل ناظم اشعار تطير في الآفاق وتطير معها شهرة بيثياس الذي نال اكليل الظفر . فكان كما قال

وحدث مرةً في هذه الالعاب حادث لهُ وقع عظيم في نفوس الناس وهو ان ابني دياغوراس الذي حاضر في شبابهِ وحاز اكليل الظفر اتيا الى اولمبيا وحاضرا في ميدانها ونالا اكايل الظفر ايضاً . فاسرع ابوهما الشيخ ليهنئهما بذلك فاعتنقاهُ ونزعا الاكليلين عن

للجري على الاقدام وبقيت علامة الظفر اكليلاً بسيطاً من اغصان الزيتون تقطع بمنجل من الذهب من زيتونة برية كأن الغرض الاول والاهم مجازاة الهمة والاقدام مجازاة ادبية يكرمها الناس لا لقيمتها المالية بل لدلالاتها المعنوية

وكان يباح لكل فائز ان ينصب لنفسهِ تمثالاً في اولمبيا من البرنز او الرخام وكان المتبارون يتبارون عراة فصارت التماثيل تصنع عارية فبذل النقَّاشون جهدهم في تمثيل الجسم الانساني كما هو وبرعوا في ذلك براعة فائقة كما برع المتبارون في ترويض اجسامهم وتقوية عضلاتهم . ثم ان تباري الشعراء في مدح الفائزين اغراهم باحكام ملكة الشعر حتى صارت قصائد المدح من ابلغ الشعر اليوناني ولم تكن مدحاً مبتذلاً مشحوناً بالمبالغات الشعرية كالمدائح العربية بل كانت من الشعر التخيلي الذي يعبّر بهِ اللسان عن عواطف النفس بصور خيالية بديعة وتمتزج بهِ الحكم والنكات الادبية امتزاج الماء بالراح

الاَّ ان رغبة اليونان في الالعاب الرياضية ضعفت بعد زمن الاسكندر المكدوني لانهُ لم ينظر اليها بعين الرضى مفضلاً الصيد والقنص ومقارعة الاقران في ميادين الحرب والطعان على المباراة الجارية على قوانين وقواعد معلومة فان الاولى طبيعية يشترك فيها المئات والالوف واما الثانية فصناعية تقتصر على قليلين ولا يكون الفوز فيها الاَّ لواحد من جماعة فتضعف همة المتبارين معهُ وقد توغر قلوبهم حسداً منهُ . والفرق بين الذاهبين مذهب الاسكندر والذاهبين مذهب اليونانيين كالفرق بين الانكليز والالمان من هذا القبيل

ولما زال الملك من اليونان ضعف شان الالعاب الاولمبية جدًّا ثم زالت تماماً بانتشار الديانة المسيحية في عهد الملك ثيودوسيوس كما تقدم واقيمت آخر مرة سنة ٣٩٣ للمسيح وكان الفوز فيها حينئذ لرجل ارمني اسمهُ فراستاد ثم اخذت المباني تخرب ونقل تمثال زفس الى القسطنطينية واحترق فيها بنار اصابتها سنة ٤٧٦ وخرب هيكلهُ خربهُ القوط او النصارى وضعف شأن التصوير والتمثيل حتى ان من يرى الصور البزنطية التي مثلوا بها ملوكهم وقديسيهم لا يصدق ان صانعيها من نسل الذين صنعوا التماثيل اليونانية

ولما احتل الفرنسويون بلاد المورة سنة ١٨٢٩ اخذ بعض علمائهم ينقبون عن آثارها فوجدوا شيئاً كثيراً منها . ولكن البحث الحقيقي عن الآثار الاولمبية تمَّ على نفقة الحكومة الالمانية بين ١٨٧٥ وسنة ١٨٨١ وتكاد تلك المعاهد تعود الى رونقها السابق

وفي اليوم الثالث وهو اعظم الايام يتبارى الرجال في المحاضرة والمصارعة والملاكمة والمناجزة ثم يتسابق الرجال اللابسون السلاح الثقيل

وفي اليوم الرابع تجري المباراة في الالعاب الخمسة اي المواثبة والمحاضرة والمقاذفة والمصارعة ورمي المزراق ثم سباق المركبات

واليوم الخامس للحفلات والمواكب والولائم وتكليل الظافرين با كاليل من اغصان زيتونة مقدسة من الزيتون البري في غابة اليس . وهاك وصفاً موجزاً لكل من هذه الالعاب

(١) المحاضرة (اي المسابقة جرياً) بقيت مدة الثلاثة عشر اولمبياداً الاولى في ميدان طولهُ نحو ٦٠٠ قدم ثم زيدت المسافة حتى بلغت ثلاثة اميال وكان المتبارون يجرون اربعة اربعة ثم يتبارى السابقون من الاربعات

(٢) المصارعة ادخلت في الاولمبياد الثامن عشر وقد عدها فلوطرخس المؤرخ افضل الالعاب الاولمبيَّة وهي مثل المصارعة الجارية في هذه الايام وكان لا بدَّ للفائز من ان يرمي خصمهُ ثلاث مرات على الارض . وكانوا يدهنون ابدانهم بالزيت لكي يتعذر القبض على اعضائهم

(٣) المواثبة وهي من الالعاب الخمسة وقد زعموا ان واحداً من الفائزين وثب وثبة واحدة بلغ طولها ٥٥ قدماً وهذا لا يكاد يصدق . وكانوا يستعينون على الوثب بحمل الاثقال في ايديهم لكي يزيد زخمهم وبوضع الواح مرنة تحت اقدامهم لكي تضاف مرونتها الى قوة الوثب

(٤) الملاكمة اضيفت في الاولمبياد الثالث والعشرين . وكان المتبارون فيها يربطون ايديهم بسيور من الجلد لكنهُ لم يكن يسمح لاحد ان يلكم خصمهُ لكمة مميتةً

(٥) المناجزة وهي ممزوجة من الملاكمة والمصارعة فيصرع الخصم خصمهُ ويريغ عليهِ باللكم والضرب والجذب وكل عمل غير العض الى ان ينقطع نفسهُ او تنكسر اصبع من اصابعهِ

(٦) سباق المركبات اضيف في الاولمبياد الثالث والعشرين وكان يجري في ميدان كبير طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم تدور فيهِ المركبات اثنتي عشرة دورة وكان في آخرهِ عمود تدور حولهُ ودورانها هذا اصعب ما تعملهُ وكانوا يقولون ان الخيل ترتعب حينما تصل اليهِ لغير سبب ظاهر . وكان عدد المركبات يبلغ احياناً اربعين مركبةً وقد وضع سباق المركبات ليتبارى فيهِ الملوك والاغنياء

واضيف الى الالعاب الجري على ظهور الجياد في الاولمبياد الثالث والثلاثين واخيراً اضيف اليها مباراة المنادين والمبوقين في الاولمبياد الثالث والتسعين الاَّ ان المقام الاول بقي

جمع مصروع و (٣) قوله " الاصلاف والصلفاء : الصلب من الارض في حجارة والجمع صلاف " لانهُ غلب غلبة الاسماء فأجروهُ في التكسير مجرى صحراء ولم يجروهُ مجرى ورقاء بل التسمية (اللسان في ترجمة ص ل ف) و (٤) قولهُ في مادة (ق ر ذ ح) القُرذوح القُرذُح : شجر واحدتهُ قرذحة فالقرذحة انما هي واحدة القرذح وواحدة القرذوح قرذوحة كما و بيّن ومنهُ قول المجد في مادة (ف ط ن) فاطن وفطون وفطين وفطِن وفطُن وفطْن والجمع فطُن وهو انما يصلح جمعاً لبعض هذه الصيغ لا كلها و(٦) قول ابن فارس في المجمل " الاران المثران : كناس الوحش والجمع المآرين " وهي جمع للثاني لا للاول و (٧) العشي بالكسر العشاء كسماء : طعام العشيّ والجمع اعشية فالاعشية جمع العشاء كسماء لا غير

قلت في هذه الطريقة خفاء ينبغي العدول عنها وذكر كل جمع عقب مفرده واذا وقع التباس على من لا قِبَل لهم بتخصيص صيغة الجمع ببعض المفردات المتقدمة عليها او يشكل عليهم ان يعرفوا كيف يُجمع باقيها ولا بدَّ في كتب اللغة من ذكر المفرد وجمعهِ او جموعهِ في اوضح صورة واظهر عبارة

(٣) في ان التصحيف قد دسَّ في اللغة ما ليس منها واثبت ذلك في كتبها

اعلم ان تشابه الحروف في الصورة والنطق واهمال التنقيطها منشأ التصحيف وقد تصحّف جملة من الكلم على مؤلفي اللغة فادرجوها فيها وهي ليست منها . من ذلك (١) تصحيفهم السبر بالسبر و (٢) تصحيفهم السؤرة بالراء بالسؤدة بالدال (٣) وقول الجوهري ذئب اكلس بالكاف وصوابهُ اطلس بالطاء و (٤) الحُنُد بالنون . وزان عنق بمعنى الاحساء والركايا فهو تصحيف الحتد بالتاء المثناة . وفي لسان العرب " روى ابو العباس عن ابن الاعرابي قال الحند : الاحساء واحدها حنود قال وهو حرف غريب واحسبهُ الحتد من قولهم عين حتد لا ينقطع ماؤُها " و (٥) قولهم الروذة بالذال المعجمة : بمعنى الذهاب والمجيء وهي تصحيف الرودة بالدال المهملة من راد يرود . وفي اقرب الموارد : راذ يروذ روذاً : ذهب وجاء عن القاموس وفي ذيل اقرب الموارد في الصفحة ٤٧٠ ما نصهُ الروذة : الذهاب والمجيء . قال ابو منصور هكذا قيّد هذا الحرف في نسخة مقيدة بالذال . قال وانا فيها واقف لعلها رَوْدة من راد يرود . و (٦) الفيذان : الذي يظن فيصيب مصحّف الفيدار بمعنى السيء الظن يظن فيصيب . و (٧) تاجت فيه اصبعي فهو مصحف تاخت بمادة تاج لا تناسب هذا المعنى وقد نقلتها في الذيل عن التاج . و (٨) الافلود : الغلام التام الناعم السمين ورد في العباب ولم يرد في الصحاح ولا في المحكم ولا في اللسان فهو مصحف الاملود

ايضاحات لغوية

(١) في ان العرب ربما استغنوا عن لفظة بغيرها

ان للاستعمال في اللغة سطوة كسطوة العادة فمتى اعرض الناس عن زيٍّ اصبح حسنهُ قبحاً وكذا حال ما هجر استعمالهُ من الكلم في الحديث والكتابة فبعض هذا المهجور أميت استغناءً عنهُ بغيره من ذلك (١) وَدَعَ استغني عنهُ بترك و (٢) وَذَرَ استغني عنهُ بترك ايضاً و(٣) واحدة المخاض استغني عنها بخلفة و (٤) أصبية وأغلمة استغني عنهما بصبية وغلمة و(٥) جمع المرأة على لفظها أهمل استغناء عنهُ بالنسوة و (٦) ما أجوبهُ . استغني عنهُ بما أجودَ جوابهُ و (٧) ما أقيلهُ أهمل استغناء بما اكثر قائلتهُ

قال سيبويهِ وقد يُستغنى بإفعالَّ عن فَعِلَ وفَعُلَ نحو إزراقَّ واخضرَّ واصفارَّ واشرابَّ وابياضَّ واسوادَّ

قد علمت ان ما تركهُ العرب من الالفاظ قد أُميت ولم يَعُد من احد ينطق بهِ هذا واعلم ان بين اللفظ والاستعمال من الهجر والوصال مثل ما يقع بين الاحباء فبعض الالفاظ يكثر استعمالها في عصر ويندر في عصر ويستفيض في بلاد ويقل في بلاد وهذا شأنهُ في الأزياء وربما استعمل في بلدٍ لفظ غريب حتى فشا على الألسنة فصار مبتذلاً يعاف الفصحاء استعمالهُ لكثرة ابتذالهِ . وهذه سنة الناس في الالفاظ يواصلونها فتجري على ألسنتهم واقلامهم ويهجرونها حتى لا تنطق بها الالسنة ولا تكتبها الاقلام وتبقى مسجونةً في بطون المعجمات حتى يأتي من يختارونها على المبتذل فيتداولوها في الاستعمال ويرغبوا عما يرادفها مما كان متداولاً بينهم ومستفيضاً على مقاولهم ويراعهم

واما الذي أُميتَ من عهد العرب الاولين كوَدَعَ ووذر فلن ينطق به لسان ابد الآباد

(٢) في ان اللغويين قد يذكرون مفردات ثم يتبعونها بجمع يصلح لواحد منها دون ما سواهُ على غير تعيين

ان اللغويين قد يأتون بمفردات متعددة ويعقبونها بجمع او اكثر وهو انما يصلح لاحدها لا لجميعها وذلك اعتماداً على فهم القارىء في ردها الى ما تصلح لهُ . منهُ (١) قول ابن منظور في مادة " ف ض ل " الفضل والفضيلة معروف ضد النقص والنقيصة والجمع فضول فالفضول انما يصلح جمعاً للفضل لا للفضيلة كما لا يخفى على عاميٍّ فضلاً عن خاصيٍّ و (٢) قولهُ في مادة (ص ر ع) " فهو مصروع وصريع والجمع صرعى " فصرعى انما هي جمع صريع

سور متى كسرت شوكة احد المتحاربين فجلسا على ما رأيت في بداية الفصل — شأن
متلين الذين يتصافحون بعد ما يمثلون الحرب . وحقًا ان حوادث الكون الاجمالية تمثل ل
رواية من اغرب ما تصوَّرت العقول

فابرقت اسرَّة الجمهور وبردت حرقة قلوبهم التي كانت تتلظى في صدورهم وحمدوا ر
على انتهاء الازمة وبشروا انفسهم بحلول العصر الذهبي الذي تعم فيهِ السعادة ارضنا كما ا
الانبياء الكرام والفلاسفة العظام . وخيل لهم ان السعادة حصلت باتحاد الدين والسياسة
والمتوقعون السعادة في هذا العالم بذلك الاتحاد ليسوا بقليلين . على انهُ طاش سهمهم و
وألمهم . لانهُ ثبت ان ذلك الاتحاد شر حوادث الدنيا وعلة نوائبها . فانهُ لم ينشأ عن ت
نصوحة في الكاهن ولا عن عفة صحيحة في الملك ولا عن غيرة صادقة في الاثنين على مص
الجمهور . فشهر الملك سيفهُ لتأييد صولة الدين ورفع الكاهن صوتهُ واعظًا ومنذرًا بالخضوع

ثم عمدا الى رشوة الجمهور وذلك على خلاف المألوف . وكيفية الرشوة انهما فتحا
ساحة المدينة سوقًا تباع فيها الرتب والالقاب السياسية والدينية بابخس الاثمان . وك
احد عينيهِ لانتقاد احوال عصرهِ وبلادهِ رأى في ساحة الهيئة من صنوف المراتب والمن
ووسائل الفخر والعظمة المنشأة بتعاضد السياسة والديانة ما يشغل عقلهُ وقلبهُ عن كل م
اصلاحيّ . فصفا لهما الجو بعد عبوسهِ واصبح تسلطهما على الضمائر امرًا ميسورًا . و
بذكر فضائلهما السنة الشعراء ونطقت بتقريظ محامدهما اقلام البلغاء . ولكن متى
الملوك رؤساء الدين ورجال الدين اعوان السيف فبشر الامة بالدمار . واني ارى
الامة بذلك كلاحس المبرد اغترارًا بما عليهِ من الدماء ومنبعها لسانهُ . وان انحطاط
يقاس بتهافتها على الرتب والمظاهر الفخيمة وهي لاهية عن النظر في شؤونها الم
ولا تصلح حال امة ما لم تصرف نظرها عن المدح الى الجد وعن القول الى العمل
التقاليد الى الحقائق لانهُ على الحقائق وليس الاَّ عليها تشاد العظمة الحقيقية

وخلاصة ما حدث في اوائل هذا الفصل انقسام الامة في مشهد التاريخ الى
الاولى الحاكمة وفيها رجال الدين والسياسة والثانية المحكومة وفيها التجار والزارعون
والاطباء وهي القسم الاكبر وفيها حياة الامة . ومن الغريب سيادة تلك عليها و
موارد ثروتها المحصلة بعرق الجبين وكد اليمين . فتمتعت بها ناعمة البال ولها على اخ
الفضل والمنة ولا تحسب خدمة الجمهور واتعابهُ شيئًا بالنسبة الى نظرة ابتسام منها
تلك الابتسامة هزءًا واحتقارًا

و (٩) الاطل يقال ما ذاق له اطلاً اي شيئاً وهو مصحف الاكل و (١٠) التق
مصحف التقدة بمعنى الكزبرة والكروي . كما قال الازهري . قلت لا بد من استق
المصحفات ونشرها في المجلات صرفاً للكتّاب عن استعمالها

بيروت سعيد الخوري الشرتو

الكاهن والملك في مشهد التاريخ

في اتحاد الكاهن والملك

وفي هذا الفصل نرى الملك والكاهن جالسين متصافحين على ان اعينهما على الما
قيامهم . وهاك شرح الحالة

بعد ذلك الصدام الهائل الذي ثار في جو التاريخ عبارة حجب شمس الحقيقة
عيون الناظرين اختبر كلٌّ من الكاهن والملك قوة الآخر وشدّة بأسهِ فتعذّر على
وقد عضتهُ انياب الهرم ان يلوي ذراع اخيهِ الفتى الذي اشتدّ ساعده وزاد خبرة في
الحربية وهي عمدة اركانهِ . على انّ هذا ايضاً تعذّر عليهِ استئصال شأفة اخيهِ الشيخ
جذورهِ في تربة الاجتماع البشري . فاكتفى باذلالهِ اولاً . على انهُ فطن الى ما ور
من الخطر اذ خشي من العامّة سوء المنقلب عملاً بعواطف الحب والاحترام لرئيسهم
الذي ارضعهم لبان الدين والتقوى . وقد رأوا من ذلهِ في هرمهِ ما انساهم سيئات
ويضاف الى ذلك سطوة التعصُّب الديني في الهيئة الواطية التي يحملها على التحزُّب
ضعف المبدإ ولو كان ذلك الرئيس مذنباً . هذه كانت هواجس الملك . ورأى ان
الامر بالتي هي احسن . ولقد اصاب فان رد الفعل من النواميس الحاكمة على الاخلا
على الهيولى . ومن تعمّق في فلسفة الاكوان رأى وحدة النواميس في الماديات وال
او تفرعها عن اصل واحد فكأنّ الكون مؤلف من جوهر واحد بسيط تنوّعت صور
لتأثير قوة بهِ لا وسيلة لنا لاكتشافها بالحواس وفي ذلك من الاهمية ما فيهِ . فخش
ان تنقلب عواطف الجمهور عليهِ فيرموا بهِ من حالق . وقد ظهر ذلك الانفعال في فر
١٨١٥ برجوع البوربون وعود التعصُّب الديني والغيرة الدينية الى ما كانت عليهِ قبل
وزيادة . فما ذكر وما لم يذكر من الاسباب حمل الملك على العدول عن خطتهِ الا
سحق الكاهن — وابدل اهانتهُ لهُ بمظاهر الحفاوة والاكرام فصافحهُ وعقد معهُ صلحاً

لموازنة الى ان قوي ساعدهم فقام الانكليز على ملكهم في اواسط القرن السابع عشر واذاقوه
كاس الحمام وفعل الفرنسويون فعلهم في اواخر القرن الثامن عشر وحدث مثل ذلك في كو[illegible]
يلبين في اواخر القرن التاسع عشر

ولا اقصد في ما بسطتهُ من الافكار الحطّ من كرامة الاديان وهيبة الحاكمين لا بل من
جال الدين القائلين بوجوب الطاعة لله وللحكام . ولكني اثبت حقائق تاريخية راهنة خلاصتها
ن مزج الدين بالدنيا يفسد الاثنين

وخلاصة ما يقال هنا ان المتهد التاريخي حتم بسقوط الكاهن والملك امام قوة الجمهور
خابت آمال المستبدين ولم تتم سعادتهما لا في احتلالهما ولا في [illegible] ولو لم يكن
لداعي اليهما من غريزيات الطبع ولوازم الحضارة لولا من عالم الوجود ولكن التاريخ ابو
عجائب . فقد اظهر ان الجمهور يقصد الاصلاح لا غير . فهل غرضي الملك والكاهن ليستبد
ا ما هو افضل من ذلك . فلاحت في نور الوقعات التاريخية الحقيقة الفلسفية التي كتموا
ا اغفلها المؤرخون وهي ان الدين والسياسة جُعلا لاصلاح الجمهور وتهذيبه . وان الجمهور جعل
اصلاح الدين والسياسة وتهذيبهما

وقالوا ان الثورة ليست دليل التوحش في الشعب [illegible] بل بينة الارتقاء فيهم وفي
الانكليز الذين سبقوهم الى ذلك بنحو قرن [illegible] الموت الادبي [illegible]
الا لدى عنوان الامم الواضحة للجور والاغتصاب [illegible] غير شاعرة بحالها . وقد
سموا سير التاريخ في دائرتين متراكزتين الواحدة [illegible] الدين والثانية [illegible] السياسة وكل
دائرة مؤلفة من حلقات متصلة [illegible] الدين [illegible]
كمر التصوّف الاصلاح الديني وحلقات السياسة في القرن [illegible]
لاصلاح القانون

في [illegible] الكاهن عن الملك

في هذا الفصل ظهر كلٌّ من ممثلي الدين والسياسة في مكانه الخاص مقتصرًا على شؤونه
غير متعرّضٍ لما يختص باخيهِ الّا لدى الاقتضاء وضمن حد الاعتدال . وقد [illegible] ان
بامهما ثانيةً كان بيد الجمهور الذي قصدا التهامهُ . فاعتدلت [illegible] ولانت عريكتهما ولازما
الرصانة والوقار واخلصا القصد والنية في خدمة الجمهور . وتعلّما ان الاخلاص عنوان الشرف
خلاصة الادب ومجد النفوس ومصدر النعمة وحياة الانسانيّة وعماد المدنيّة وروح الاصلاح
اخلصا الود للجمهور . فظهر ان الثورة عليهما كانت بركة لهما وللجمهور . فهي دليل حياة الجمهور

وان ولد الدهر نابغة قبل زمانهِ وكانت بين حنيهِ روح اشرف من ان تؤخذ بالتملق والتدليس وقصد رفع الغواشي عن محيا الحقيقة قضي عليهِ بامر الكاهن والملك ومات شهيد الحق المنبوذ باسم كافراو توري وحل عليهِ القضاء المبرم كسقراط الفيلسوف اليوناني وشيشرون الخطيب الروماني وساقان رولا الواعظ الايطاليالي ويوحنا هس المصلح الالماني وغيرهم في سائر الامصار والاعصار الذين كانوا في حلك الجهالة كواكب الهدى حجبتهم عن العيون غيوم الاستبداد الكثيفة المنساقة برياح الاغراض النفسانية . فيالعوج الطمع البشري

ومن اسهل الامور على القوة المتحدة ان تدام اي شاءت بدون ادنى احتساب لانها تثبت عليهِ من انواع الجرائم ما يثير الجمهور عليهِ فيصرخون بحمية — اهلكوا الكفار — استأصلوا لبثرات الخبيثة . صونوا حياة ولي نعمتنا من ايدي المتعالين — ادفعوا عن الدولة والوطن — الى غير ذلك من الاقوال . وويل لمن اصابهُ تيار التعصب والتحيز من جمهور اعمى لقادة دهاة يمن لي باعلام الجمهور ان عائدة صياحهِ عليهِ لانها تحرمهُ نخبة اعوانهِ وخيرة احوانهِ فيكون ذلك قد سعى الى حتفهِ بظلفهِ . واذا راجعت تاريخ الاستبداد لا تجد من قضي عليهِ الا احد الجرمين — الكفر او الخروج على الحاكم — مع ان كثيرين منهم براء منها كغاليلي الذي قضي عليهِ لان الله كشف لعقلهِ ان الارض هي التي تدور لا الشمس كما كانوا يزعمون ولو اتيح لاولي التعصب اليوم ما اتيح لهم يومئذٍ لقضوا على فلاسفة الاعصر الحديثة قضاءهم على غاليلي وهم يحسبون انهم يحسنون

على ان نور الحقيقة يستحيل اخفاؤُهُ فقد اخذ يتألق في سماء الافكار من خلال غيوم الاستبداد . وايقن الجمهور باغترارهِ وهم ان اتحاد الدين والسياسة من شر البوائق ولكن ما العمل وقد تكبل بالقيود والاغلال . ويا ويل من حكمهُ ظالموهُ وعلمهُ حاكموهُ فان نتيجة شكواهُ زيادة بلواهُ . وهيهات ان يثبت احد في ميدان كهذا ترتعد لدى اهوالهِ جبابرة القتال . وقد كانت فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر مشهدًا لذلك كما هو معلوم عند المتصفحين تاريخها

على ان الاختبار اثبت ايضًا ان ذلك الاتحاد كان وبالاً على الدين والسياسة اكثر منهُ على الجمهور . فان الناس اذ لم يتجرأوا على مناوأتهما جهارًا خوفًا من العقاب تثبتوا باطنًا بمعتقداتهم . ولا قوة في العالم تتغلب على المعتقد . فمقتوا الدين وآلهُ والسياسة واعوانها فانهم لما رأوا الملك واقفًا نفسهُ لخدمة الدين وهم لم يأنسوا فيهِ روح الايثار الذي هو لباب الدين الحقيقي وخلاصتهُ فهموا ان ذلك التدين احبولة لصيد النفوس . فلجأوا الى الريا

باب تدبير المنزل

لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربيه الاولاد وتدبير الطعام واللباس
ة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفتاة

تابع ما قبله

انتقاداً شديداً الى الفتيات حيث قال ان كثيرات منهن لا يوقرن
، الشيخوخة ولا سيما اذا كانت اميالهنّ وآراؤهن مباينةً لاميالهم وآرائهم.
: تتخذ النصح ظهرياً وتنبذ المشورة قصياً . فتسرف في الانفاق على الحلي
داء البذخ غير مكترثة لما يعانيهِ والدها من النصب والعناء . فتعتاد
حتى اذا صادت زوجة لم تستطع امساك يدها والادخار الى غدها .
زوجها على شيء من الغنى او كان والدها لا يكاد يحصل على قوتهِ وقوت
، وكدّ يمينهِ

قد وقفت منذ عهد قريب امام ضريح فتاة توفاها الله في ابان عمرها
العه اربعاً وعشرين سنةً وكانت قد تخرجت في اكبر كليات البلاد
ادىء وقويم الآداب . وربَّ واحدةٍ منكنَّ تسألنني ماذا فعلت تلك
أتسنمت عرش الهناء والسعادة ام ظنت نفسها ارفع طينة واسمى نبعةً
ا . ام امتنعت عن مدّ يدها الى اعمالها المنزلية انفة واستكباراً فجعلت
الاهتمام بنفسها دون سائر بنات حواء

وسها عادت الى بيت ابيها لتجزي امها عما لها عليها من المنة والفضل
عمال المنزلية حاسبة ان السعادة لا تتم لها الا باسدائها المعروف لتجعل
ذاتها حباً براحة الاهل والاصدقاء متمثلة بقول من قال

لانسان ما يحسنهُ اكثر الانسان منهُ ام اقلْ

ووسيلة لتنقية دم الهيئة والظالم فهي كهدم بيت قديم قصد ترميمه . وان المبادئ ا
كازهار الربيع تنبت في جهات عديدة . وان الحياة الادبية تستدعي الحرية المدنية
السيطرة على الافكار تميت الفضيلة الشخصية . وان الذاتية اس العمران . وفصل الدين
السياسة هو الوضع الطبيعي اللائق بهما والحال الوحيدة الموافقة لهما وللجمهور . وذلك
من النظر في غرضهما الاساسي . فغرض الدين العلاقة بالعالم الروحي وتربية العو
الادبية . وغرض السياسة ادارة الشؤون المعاشية والاجتماعية وصيانة الآداب الظا
فالدين منفصل عن السياسة فلسفيًّا . واذا مسَّها فضمن دائرة محدودة . وعليه قيادة ا
الى السلام . ومتى نفخ ببوق الحرب لم يبقَ دين . والديانة السياسية هي ديانة الخاصَّة لا
الجمهور . وهي ليست لاجل الآخرة بل لاجل الدنيا

وكما ان تعرُّض السياسة للدين مضر بهِ كذلك تعرُّض الدين للسياسة مضرٌّ بها
حدث لكمبيز الفارسي في مصر وانطيوخوس ابيفانيس في اورشليم . فالاول اهان امور
معبود المصريين فثاروا عليهِ . والثاني تعرَّض لامور اليهود الدينية وهم اشدُّ الناس
بتقاليدهم فهاجوا عليهِ وابلوا في عسكرهِ واستقلُّوا وهم نفر قليل وهو ربُّ القبائل والامصار
بلاد النيل الى وادي الغنج ومن صحراء العرب الى بلاد القوقاس . وبعكس ذلك دولة ا
التي يخضع لها الآن اكثر من اربعمئة مليون من البشر فانها سائدة بحكمتها وراحتها
تعرُّضها للاديان

جاء في تاريخ البطالسة . " ومما وفقهم في سياستهم انهم لم يغيّروا من قوانين المصر
السياسيَّة والدينيَّة الَّا ما ندر وتركوا امورهم الداخلية تجري على النمط القديم ولا
الدينية . فانهم اكرموا دين المصريين واقاموا عبادتهم القديمة باحسن لات باهرة و
هيا كلهم فلذلك اطاعهم المصريون فندرت الخيانة في ايامهم كل الندرة مع انها كانت ك
في ايام دولة الفرس . فقبل المصريون عوائد اليونان شيئًا فشيئًا وامتد تمدُّنهم في البلاد و
مما لم يسبق لهُ نظير في ايام تسلط الظالمين وهذا احسن مثال للحكام"

والخلاصة ان المجتمع الانساني لا يحصل على الراحة والحرّية الَّا بوقوف كل من
السياسة وخادم الدين عند حدودهِ والاقتصار على الوسائل التي يسوغها العقل والقانون
تنفيذ مطالبهِ واحراز رغائبهِ . وبذلك يحصل الجمهور على السعادة القصوى في هذه الد

حمص باحث عصري

ا لانها تظهر امامكنّ صغيرة حقيرة ولكنّ نقطة صغيرة سوداء كافية لان
صع البياض
ن سعيدة الّا اذا حُذق النظر في دقائقها اذ الامر الصغير يبعث
أر . فلا تحاولنَ سترعيوبكنّ بمحل لاعذار التي تعتذرن بها او تموّهن

مهما بذل من الوسائل لطيّه في سجلّ الاغماض لا بدّ أن منهُ والمرأة
في جمالها الادبي . واعني بذلك محافظتها على شرفها وشرف عائلتها سرًّا
واطن الخطاء والضعف منها والابتعاد عنها
لفتيات أُرسل اليّ اجابة على سؤالي الاول ولا ابدأ مدوحة وقد اتسع
ب الحميدة التي يجب ان تتحلّى بها كل فتاة
يبدو لما جلية مما اجاب بهِ الكتاب على سؤالي الماضي رسو
الجوهرية التي يجب على المرأة ان تتحلى بها والاخلاق التي يجب ان

انهُ يود ان يرى المرأة ليّنة الجانب شريفة العواطف ذات تواضع ووقار
ق لاهل بيتها وسائر ذوي قرباها فاذا عاشرها احد لم يخف عليه شيء
الى ان الكمال في المرأة يظهر الطباعها على المسند و ... رابتسامة
تسامح من يذنب اليها بالعطاف ... وحلاقها الوديع الذي ... عليه
حتى اذا مست باناملها قلبًا صخريًّا حرّكته من الصمت ... ان الى

انسميه في المرأة ضعفًا ما هو الّا قوة جذابة لا يستطيع امرؤ ان يضع
بها القلوب وتستميل اليها الخواطر في كل محضر توجد فيهِ . تلك القوة
يف واخلاص في الفكر والقول والعمل
ان تكون خشنة متكبرة اذ الخشونة والكبرياء عادة ذميمة في الرجال
. انها مشوهة لجمالهنّ على انواعه . وكتب اليّ آخر يقول ان نقاوة
ة جمالاً وتجعلها ملاكًا بشريًّا . وان الامانة في المرأة لازمة واجبة وهي
لمنزلية وما يدخل تحت هذا وامانة ادبية تظهر جليًّا في مراعاتها عواطف
رأة حين من الدهر كانت تعد فيهِ دمية (لعبة) يلهو بها المرء فتحتقر

قابلتُ والدتها فانصرت الدموع ... على خديها هملاً يكاد يحرقهما كما حرق
ي مهجتها . ولم اتفرس فيها حتى صعدت الزفرات وهي تقول . كانت فتاتي ولا
تشقي نفسها لتسعد غيرها وتجلب لهم المنافع وتدرأ عنهم المضار اتريح ضميرها غير
احد أجرًا ولا مزيدة على عملها شكرًا

آخر ان من اشد العيوب الشائعة بين فتياتنا معاشرتهن لشبان في آدابهم واخلاقهم
هذه المعاشرة تثلم سمعتهنَّ وتمس كرامتهنَّ . ومن معايبهنَّ ايضًا تكلمهن بصوت
ي الطرق المطروقة متظاهرات ان ذلك بدر منهن عن غير عمدٍ فيستملن بهِ السفهاء
ّ بعين الشر والدناءة و يقدمون على مخاطبتهنَّ وفي ذلك من ما فيهِ العيب

نكد الزمان في هذه الايام ان اسافل شبان هذه البلاد يتحرشون بالمخدرات
وهنَّ سائرات في الطريق لايبدينَ اقل اشارة ولا ينبسن ببنت شفة فيجرحون
ّ الادبية و يؤلمون نفوسهنَّ الشريفة

شبانًا هذه صفاتهم وهذه اخلاقهم لئام يستحقون كل تأنيبٍ وتقريع من كل رجل
ي في عروقهما د الطهر والعفاف . وحريٌّ بالفتاة في مثل هذه الحال ان تلزم الصمت
ل اليهم نظرًا

لق بكنَّ ايتها الفتيات ان تعلمن ان الرزانة والرصانة والابتعاد عن كل ما يشين
زينتكنَّ الحقيقية وجمالكنَّ الباهر فحافظن على سمعتكنَّ محافظتكنَّ على جوهر الحياة .
طاهرة الذيل تقضي ايامها في بيت ابيها ليس لارتكابها زلة تؤاخذ بها بل لانها لم
على سمعتها ايام صباها

تب اليَّ عالم فاضل فقال . من العيوب الشائعة ان الفتيات لا يبالين بصحتهن ولا
صب عيونهنَّ هدفًا يرمينَ اليهِ فتراهنَّ واهنات العزم يائسات كسفينة تتقاذفها امواج
ياة حتى صدق فيهن المثل " زاد في الرقة حتى انقطعا "

ل آخر انهُ يعاب على الفتاة ان تكون اشبه بالرجال منها بالنساء مستبدة بامورها
.ا تفقد بهِ مزية اللطف ورقة الخلق التي شرَّفها الله بها ويعاب على المرأة ان تجعل
رئيس وزوجها المرؤوس واعني بذلك ان تكون هي سائدة ويكون هو مسودًا

ني لاكتفي بما ذكرت من العيوب الشائعة بين الفتيات . على اني لم اذكر كل ما ورد
ائل التي بعث بها اليَّ اخلاصًا لا انتقادًا . واذا صدق ظني فانكنَّ قد لا تبالين

ـدقون قاذفين فيهنَّ ان يطأطئوا الرأْس امامهنَّ احتراماً واكراماً
ـميرها الصالح رقيباً على حركاتها وسكناتها وانى يكون ضميرها صالحاً
ـب نقيًّا طاهرًا
ينبوع الحياة الجسمانية فهو ايضاً ينبوع الحياة الروحانية . ففي الحالة
الى كل الجسم فينعشهُ ويحييهِ وفي الحالة الثانية تنبعث منهُ العواطف
طهر والصيانة وحب النفع للآخرين وسائر ما يكلل رأْس الفتاة
السعادة والهناء . فطوبى لانقياء القلوب　　　　رحمه صروف

مدارس الطبخ

في الاسكندرية ومدن الارياف لا اقلَّ من عشرة آلاف بيت كبير
ين لطبخ طعامهم كما يستخدمون الاطباء لمعالجة امراضهم . والطباخ
الصحة وهو اذا كان عارفاً بصناعتهِ تمام المعرفة لم يعسر عليهِ ان يوفر
م من غير ان تقل كميتهُ او يقل نفعهُ . فاذا كان متوسط ما ينفق في
على طعام اهلهِ مئتي جنيه فقط في السنة بلغ المال المقتصد من نفقة
وهي متوسط اجرة الطباخ الماهر الآن عدا الفائدة الصحيَّة التي ينالها
الطعام المغذي السهل الهضم الذي لا يتعب الجسم
لسكان في هذا القطر تبلغ نحو ثلاثة او اربعة في المئة سنويًّا فبيوت
لاثمائة بيت او اكثر كل سنة ولذلك فالبلاد تحتاج الآن الى نحو
، ثم تحتاج كل سنة الى ثلثماية طباخ متعلم صناعة الطبخ علماً وعملاً
: الطبَّاخ منهم ثمانين جنيهاً في السنة لم تكن هذه الاجرة غالية
ك البيوت على طعامها وبالنسبة الى ما يوفرهُ الطباخ الماهر الذي تعلَّم

ـالاسكندرية ومدن الارياف الكبيرة من الفنادق والمطاعم ما يحتاج
، ومتوسط اجرة الطباخ فيها الآن اكثر من متوسط اجرتهِ في البيت
الفنادق والمطاعم ان الطبَّاخ الماهر يوفر اكثر من اجرتهِ سهل عليهم
ـن او ستين في المئة

في عينيهِ ولا يحسب لها حساباً في الهيئة الاجتماعية فكانت تظن نفسه
لتتزوج فلا تأتي عملاً نافعاً في الحياة الدنيا وهذا الفكر كان يرافقها في اد
فيها الاكدار والاحزان ولا سيما اذا لم تتزوج . اما الآن وقد اختلف ا
فانها عرفت ان لها في الهيئة الاجتماعية مقاماً وانها لم توجد لتكون دمية
سواء كان ذلك بالتثقيف والتهذيب في مغاني العلم ودور الادب او ب
ما لهنَّ من الحقوق وما عليهنَّ من الواجبات . لا انكر ان الزواج امر
الزواج واعدهُ سرًّا مقدساً تأمر بهِ الشرائع ولكن الواجب على الفتاة الا
في الحصول على قرين لان ذلك كما سبق القول يبعث بها على الاحز
عليها ان تفرغ جهدها لتكون في مستقبل ايامها امرأة فاضلة مفيدة
فتتطلب اسمى المراتب باتمامها الواجبات المرومة واضافتها كل يوم فضيلة ا
بالمعاشرة والاختبار حتى اذا صارت زوجة ذنت قد أُشربت تلك المباد
تغرس فيها الامانة والاخلاص لزوجها . فالامانة افضل حلية تزدان بها
كالشمس نقية كالزنبقة البيضاء فتبدو للعالم اجمع انها قادرة ان تصون
وتدرأ عنها المظانّ والشبهات

وغني عن البيان ان كثيرين من المشهورين مدينون للمرأة مما احرز
ولنا على ذلك شواهد وادلة يعرفها كل من تصفح تاريخ حياتهم . وفي كل
الفتيات اللواتي هرمن ولم يتزوجن فهنَّ عرائس غير مكللات وملكات غ
خير وسلام على الانسانية . فكم عمَّرن دوراً وخدمن مرضى وكم رفضن
رغبة في خدمة والديهنَّ او اعالتهم او اعالة سواهم . اليس ذلك نتيجة
ففلورنس نيتنجال تلك الفتاة المشهورة في التاريخ انكرت نفسها ولم تك
ففضلت ان تظلّ عمرها في مستشفيات الجيش خادمة لجرحى والمرضى و
من الم المصاب بما اوتيتهُ من اساليب الدعة والحلم . ومثلها الزاهدة الراهبة د
من بيت الى بيت يوم تفشى الوباء في انكلترا مدفوعة الى ذلك بعواطف
نخراً ان تعدّ في مقدمة الذين يشار اليهم بالبنان في تاريخ انكلترا

وفي كل مكان وزمان امثلة لتينك الفاضلتين اللتين لم يطوَّق ا
فيجب علينا والحالة هذه ان نحترم السيدات غير المتزوجات ونبجل ذكره
الابطال في اعمالهنَّ

كان الهواء فاسدًا سهل انتقال المرض من مكان الى مكان و بالعكس . ومثل ذلك يقال الاثاث والملابس والآنية الوسخة فانها تربة صالحة لنمو جراثيم الامراض وتكاثرها فاسمها من مسهلات العدوى

ومما يسهل العدوى الازدحام وعليهِ نسمع بتكاثر الامراض في السفن المزدحمة وثكنات الجنود والسجون وغيرها من الاماكن التي يكثر ازدحامها و يعسر تجديد الهواء فيها . وفي غ كل مريض مفرزات مضرة فلا بدَّ من تهويتها منعًا لضرر تلك المفرزات

وهاك جدولاً يبين مدة الحضانة والعدوى في بعض الامراض المعدية التي تص الاطفال والاولاد بنوع خاص

المرض	الحضانة	مدة المرض بعد الحضانة	زمن العدوى
جدري الماء	١٢ — ١٩ يومًا	١٠ — ١٨ يومًا	قبل سقوط القشور
التهاب اللوزتين	١٨ — ٢١ ″	١٦ — ٢٤ ″	مدة الاصابة كلها
الحصبة	١٢ ″	١٠ — ١٤ ″	مدة الحضانة
الشهقة	٧ — ١٤ ″	٤ — ٦ اسابيع	مدة الاصابة كلها
الدفثيريا	٢ — ٦ ″	٣ — ١٤ يومًا	بعد زوال الغشاء باسبوع
الحمى القرمزية	٢٤ ساعة — ٦ ايام	٣ — ٧ ″	مدة المرض حتى سقوط القشور
التيفويد	١٤ — ٢١	٧ — ٢١	حتى زوال الاسهال
الجدري	١٠ — ١٢	٧ — ١٤ ″	حتى سقوط القشور

دلالة النبض

اذا كان نبض المريض ممتلئًا قويًا سريعًا دلَّ ذلك على شدة جهاد الاعضاء الحي في الجسم لمقاومة المرض

واذا خفَّ بعد ذلك دلَّ على انقلاب في حال المريض من رديء الى اردأ

والنبض الشديد البطيء يصحب الاحتقانات الدموية مثل السكتة الدماغية على الغا

والنبض غير المنتظم في ضربانهِ ينذر غالبًا بضعف القلب . واذا كان النبض سريعًا منتظم كان ذلك نذيرًا بالتوءم واشتداد الخطر

عليهِ فصناعة الطبخ عمل كافٍ للمعيشة المتوسطة واكثر ريعاً من الاستخدام في المصالح
ية ومن التعليم في المدارس الصغيرة ومن كثير من الاعمال. واذا انشئت لهُ عشر
ن كبيرة لم تفِ بحاجة البلاد لانهُ لا ينتظر ان يتخرج في المدرسة منها اكثر من
طباخاً كل سنة. ويسهل انشاء هذه المدارس في العاصمة والاسكندرية ويحسن ان
كومة بامرها كما تهتم بانشاء المدارس الصناعية لان الطبخ صناعة والزم الصنائع كلها
ث لزومهُ عن لزوم صناعة الطب

تعليم البنات

ترح احد الالمانيين اقتراحاً مآلهُ انهُ كما ان كل شاب الماني صحيح الجسم ملزم بالخدمة
ية مدة ثلاث سنوات كذلك يجب ان تخصص الشابات قسماً من اعمارهنَّ لخدمة
ذلك بان تنشئ الحكومة دوراً لتعليمهنَّ تدبير المنزل وتربية الاولاد والتمريض
من الاعمال المفيدة وتنفق على تلك الدور ما تنفقهُ على الشؤون الحربية
لذي اقترحهُ هذا الالماني سبقهُ الاميركيون اليهِ . فان فتاة اميركية انشأت مدرسة
ان بولاية بنسلفانيا للفتيات المخطوبات شعارها "كيف يصير الرجل سعيداً"
تعلمن فيها الطبخ والخياطة واستقبال الضيوف والمشترى من السوق وما اشبه من
النسائية

خسارة السمك

تاد البعض ان يقلوا سمكة موسى بعد ان يُنزَع جلدها وعظمها وزعانفها . وقد بيَّن
ي طمسن العالم الطبيعي المشهور ان ذلك خطأٌ فان جلد هذه السمكة وزعانفها
تزن نصف وزنها تماماً وهي اذا طُبخت مع قليل من البقول وصُبَّ عليها قليل من الخمر
وعصير ليمونة حامضة كان من ذلك طعام لذيذ مغذٍ والاَّ فطرح الجلد والعظم والزعانف
ارة نصف السمكة

عدوى الامراض

عدوى في عرف الاطباء انتقال المرض من المريض الى السليم بالملامسة ولكنهم
ا الآن على انتقال ...

طارت اليك في مرج الاماني كأنك [illegible] [illegible]

[illegible]

وان النفس مثل الطير تسمو اذا صرت تنطلق البقاع

عجبت ليائس ترك المعالي واحجم عن كبيرات المساعي

ألم يك قبل هذا الدهر طفلا يشق عليه حتى مدُّ باع

ويحسب بسطة الدنيا جميعا كما بين الذراع الى الذراع

ومن لم ينسع في المجد يعجز وما حمل الاتي بعد اقتناع

مصطفى صادق الرافعي

الاختبارات والتجربات

[illegible] مستشفى [illegible]

وكم على ما [illegible] الى [illegible] امتزق عن [illegible] لا [illegible] عن عدم وقوعها لا [illegible] المحفوظات [illegible] الكتاب [illegible] في [illegible] الادب [illegible] الآن

[illegible] والادب [illegible]

[illegible]

[illegible] مستشفى [illegible]

[illegible] على الاستشارة [illegible] في تبييض الوجه او [illegible] اقدامهن [illegible] عن [illegible] او تناسيتم [illegible] ذلك على فالرجل في هذا العصر يلبس قبة او [illegible] ضيق [illegible] وتضغط [illegible] كأنها طارق من [illegible] عرقاً والدم [illegible] اوداجه من ضيق قبته وارتفاعها و[illegible]

أحلام وهيبة (١)

هفتْ أمُّ البنينَ للاِضطجاعِ ... تراعيها
ونامت تُمسك الاجفانَ مهلاً ... وترسلها
وأبسط ما يكون الحب معنًى ... اذا لم
(وهيبةُ) وابتسام الحلم باد ... علىٰ شفتيـ
وهل ناغتك امك في دعابٍ ... كأنْ
لمحتِ وراءهُ من كل معنى ... وان كان
فمن " بي بي " الى " با با " الى ما ... يشذُّ عـ
ولفظ تُقبلين لهُ ولفظ ... ترين
فكيف تمايزت لكِ وهي طرًّا ... سواءٌ عـ

***

" وهيبةُ " ما ترين الآن حتى ... أُشرتِ
يخادعك المنـام وذا دليلٌ ... على ان
فما الأَحلامُ غير حياة ضيقٍ ... وان
كأَنك " يا وهيبة " لم تزالي ... ببعض ا
فان نمتِ التقى شطر بشطر ... فكان
وما يقضي الصغير اليومَ نوماً ... لامر

***

رأَيتك " يا وهيبة " ذات ثغر ... عليهِ مر
فلم اشكك وربك ان فجر الـ ... بيان يـ

(١) وهيبة هذه بنت الشاعر وهي بكر ابويها تحبو اليوم الى

بنيت ما لو قدروا قدره   لقيل هذا الميت في لحده

وأدت فيه الامل المرتجى   حيًّا ولم تأس على وأده

أغمدت فيه صارما ظالما   تثلّم الدهر على حده

واريت فيه ولدًا ليته   قضى قرير العين في مهده

وليته ما شبّ في زخرف   يبكي [illegible] الدهر على [illegible]

وليس من يأسى على مطلب   [illegible] يأسى على فقده

غدرت بالبيت الذي [illegible] السود فلم تبق على وده

هدمته والمجد ظل [illegible]   [illegible] الطل من عنده

أكمت من كوخك في [illegible]   [illegible] قلب الدهر من [illegible]

وكان ينتابك مسترشدا   من [illegible] محتاجا الى رفده

[illegible] اليوم لا القصر كما ترتجي   [illegible] ولا الكوخ على [illegible]

واليوم [illegible] القصر يذري دما   من [illegible] آنا ومن كبده

[illegible] الموت من [illegible]   [illegible] يوم من ايامه

واسودّ ذاك الحزن من [illegible]   وابيضّ ذاك الحزن من [illegible]

هل يعلم الشرقيّ ان الردى   [illegible] الدهر لم يبلد

وان [illegible] يجاريها بالاسى   وما خروج السيف من غمده

وان هذا الدهر في هزله   [illegible] بالكاذب من وعده

[illegible]   [illegible] امرح من [illegible]

[illegible]   [illegible] الدهر من كبده

[illegible]

[illegible]

وان [illegible] بارقا خادعا   لا [illegible] الفاصف من رعده

اسرع خوض البحر في جزره   [illegible] ينبئ عن مده

والكل ظمآن يرى صادرا   وما قضى الارب من ورده

مصطفى لطفي الم[illegible]

وهو متحمل كل ذلك بالصبر او بالتذمر ومن ذلك لا يحل
روحه . ويلبس حذاء ضيقا تنسحقا بالمس. او ب ضيبيات
قدميهِ وهو صابر على بلواه لا يجسر ان يد ع المودة فيلبس
انتبهت الآن الى عادة اقبح من هاتين العادتين ولو لم تكن
يتركون العنان لاظافرهم فلا يقلمونها فتطول ونصير كاظافر
الصين ونخشى ان تضع يدك في يد الواحد منهم لئلا يجر
بالاظافر قد تكون عواقبهُ وخيمة جدًّا فعسى ان تتشددوا ا
العادات الثلاث لبس الياقات الضيقة العالية الصلبة ولبس
حتى تصير كاظافر الكواسر

من القصر الى القبر

يا صاحب القصر الذي شادهُ فاستنفد
اقمتهُ كالطود في هضبة ترد عاد
أزرتهُ الابراج في جوها فانتظم
اطلعتَ فيهِ كوكبًا دايمًا اغنى عز
قلّصت ظل الليل عنهُ وما رعيت
انشأت روضًا زاهرًا حولهُ يعطر ا
ورحت بالرتبة في صدرهِ تُدِل د
كانما الرتبة كل الذي ينيلهُ ا
هب انهُ الاوفر في حسنهِ او قصر
وهبك روكفيلر تحوي الذي يضلل ا
فالمال ان اجهدهُ ربهُ فالفقر ا
والمال كالطائر ان هوّمت حراسهُ
والمجد للمال وكل الذي نراهُ م
هذا نهار ساطع مشرق والليلة ا
بنيت للبنك فاغنيتهُ بجدك

الزردخاناه التي هي ارفع قدراً من الاعتقالات في السجن المطلق وهو الذي يطوف بالـ
حول السلطان في سفره صباحا ومساء

و لاستادار وهو المتحدث في بيوت السلطان كلها من المطبخ والشراب خاناه والطشت
الغلمان وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره وله حديث مطلق
تصرُّف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي لمماليك وغيرهم

والجاشنكير وهو المتحدث في امر السماط مع الاستادار

والخازندار وهو المتحدث في خزائن الاموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك

وشاد الشراب خاناه وهو المتحدث في امر الشراب خاناه السلطانية وما يعمل فيها من السكر والفواكه والحلوى

واستادار الصحبة وهو المتحدث في المطبخ السلطاني وله الاشراف على ما يطبخ من الاطعمة مع المشي امام الطعام الى حين مد السماط والوقوف بين يدي السلطان مع مقدم المماليك

والمهمندار هو الذي يتلقى الرسل الواردين وامراء العربان وغيرهم ممن يرد على الابواب السلطانية من اهل المملكة وغيرها

وامير شكار وهو المتحدث في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيد السلطاني

معجم البلدان

معجم البلدان من اشهر الكتب العربية وضعه العلامة المحقق الشيخ ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية وقد عني حضرة محمد امين الخانجي الكتبي بتصحيحه وطبعه بعد ان اضاف اليه مستدركاً سماه معجم العمران في المستدرك على معجم البلدان وسيقع الكتاب في ثمانية اجزاء فيها ٣٦٠٠ صفحة بقطع المقتطف وحروفه والمستدرك في جزئين فيهما نحو ١٢٠٠ صفحة. وقد تمَّ طبع الجزء الاول والثاني من الكتاب وهما ينتهيان في آخر حرف التاء

ترجمة يوسيفوس الانكليزية

لتاريخ يوسيفوس ترجمة انكليزية قديمة مشهورة وهي ترجمة هوستن وقد طبعت الآن طبعة جديدة بعد ان وقف عليها الاستاذ مرغوليوت ونقحها مقابلاً اياها على النسخة اليونانية التي حررها العالمان نيس وفن دستفون وقدم لها مقدمة مسهبة وعلّق عليها بعض الحواشي وقد

ضوء الصبح المسفر

موء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر مختصر صبح الاعشى في صناعة الانشا وكلاهما احمد بن علي القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢١ . وقد عني بطبعهِ وتصحيحهِ حضرة ندي سلامه صاحب جريدة الواعظ واما المحفل بكل كتاب عربي يطبع وينشر على همة طابعهِ وناشرهِ ولا سيما اذا عني بتصحيحهِ وتفسير غامضهِ وطبعهُ بحرف واضح ق جيد مثل هذا الكتاب

هو في صناعة الانشاء كما يدل اسم الكتاب الذي اختصر منهُ على ما كانت جارية عليهِ المؤلف . ومن الفوائد التي نؤثرها عنهُ شرحه لاسماء المناصب التي ترى كثيراً في سلاطين مصر من المماليك وغيرهم ولا توجد في كتب اللغة كالاتابك ومعناهُ ابو وهو اكبر الامراء المقدمين

أس نوبة وهو الحاكم على المماليك السلطانية وقد جرت العادة ان يكونوا اربعة امراء مقدم الف وثلاثة طبلخانات

ير مجلس وهو من جملة امراء الالوف وممن يتحدث[1] على الامراء والكحالين وممن في لا يكون الاَّ واحداً

ير سلاح وهو الذي يحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة

ير آخور وهو المتحدث على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال ن يكون مقدم الف

دوادار وهو الذي يبلغ الرسائل وكل الامور عن السلطان ويقدم القصص اليهِ وعليهِ ريد هو وامير جاندار وكاتب السر ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب

ير جاندار وهو الذي يستأذن على دخول الامراء للخدمة ويدخل امامهم الى الايوان تسلم الباب واذا اراد السلطان تعزير احد او قتله كان على يدهِ وهو المستلم

[1] [المقتطف] يظهر ان معناهُ لهُ الكلمة

باب المسائل

(١) المستحيلات

مدرسة قلباريزو الجامعة باميركا . السيدة اسما نجار . قرأت في المقتطف قولكم من رابع المستحيلات فما هي المستحيلات الاربعة

ج حينما نقول رابع المستحيلات نشير الى قول الشاعر

ايقنت ان المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

فالغول الحيوان الوهمي الذي يقال انهُ شيطان يأْكل الناس . والعنقاء قيل انها طائر معروف الاسم مجهول الجسم . والخل الوفي الصديق الذي يوفي الصداقة حقها دائماً . وكل ما يُعَدُّ مستحيلاً بعد هذه الثلاثة يعد رابع المستحيلات

(٢) علامات الموسيقى الشرقية

ومنها . هل للموسيقى المستعملة في الكنائس الشرقية نوطات مثل نوطات الموسيقى الاوربية

ج ان الموسيقى المستعملة في كنائس الارثوذكس لها علامات مثل علامات الموسيقى الاوربية واما الموسيقى المستعملة في الكنائس الاخرى فلا نظن انهُ وض[ع] لها علامات تقيدها حتى الآن

(٣) تقدم الشهور

سان باولو بالبرازيل . الخواجه جب[ر] قودم ما الداعي الى فرق كل شهر من سنة يوماً واحداً مثلاً اذا كان اول فبر[اير] هذه السنة يوم الخميس يكون في السنة الت[الية] يوم الجمعة وهكذا بقية الشهور

ج ان ايام السنة العادية ٣٦٥ . وبقسمتها على ٧ اي ايام الاسبوع يخرج [٥٢] اسبوعاً ويبقى واحد فتستغرق السنة العا[دية] ٥٢ اسبوعاً كاملاً ويوماً فوقها ول[ذلك] تبتدئ السنة التالية متأخرة يوماً من [ايام] الاسبوع عما ابتدأَت بهِ السنة التي قبلها هذا في السنين العادية واما سنة الكبي[س] التي يحسب فيها فبراير ٢٩ يوماً فتتأ[خر] مبادئ الشهور بعدهُ يومين عما كانت السنة التي قبلها ويتضح ذلك لكم باقل نظ[ر]

(٤) مكتشف دود القز

ومنهُ . مَن مكتشف دود القز وفي زمن كان ذلك ومتى دخل بلاد الشام

ج يظهر ان الصينيين اول من

. المقدمة والحواشي خلاصة البحث التي وصل اليها العلماء الباحثون في مؤلفات يوسيفوس
لحصنا مقدمتهُ في جزءٍ آخر من المقتطف

خير الدين

خير الدين اسم مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر قمري بمدينة تونس
ي العدد الاول منها صورة باي تونس والوزير خير الدين باشا التونسي الذي سميت
سمهِ تيمناً وفيها ترجمتهُ. وورق المجلة وطبعها على غاية الجودة والاتقان وفيها فوائد علمية
فعسى ان توفق الى نشر وسائل المدنية الحديثة التي كان خير الدين باشا يرغب في
بين قومهِ

وقاية الاسنان

رسالة وضعها حضرة الدكتور علي بك البقلي في وقاية الاسنان وهو من الاطباء
صاصيين في امراض الفم والاسنان فضمنها كثيراً من الشروح والوصايا الصحيَّة التي لا
ى عنها وثمنها خمسة غروش صاغ

تقرير دار العلم السمثسونية عن سنة ١٩٠٤

Annual Report of the Smithsonian Institution, 190-
U. S. National Museum.

أُهدي الينا هذا التقرير السنوي وهو يتضمن شرحاً موجزاً لكيفية انشاء دار التحف
بة التي ينفق عليها من المال الذي وهبهُ المستر سمثسن . وبعدهُ جدول فيهِ مقدار التحف
يخية والطبيعيَّة المجموعة في هذه الدار وقد بلغ عدد الاشياء الاثنولوجية فيها ٤٨٠٤٥٦
ر البشرية التي من قبل زمن التاريخ ٣٨٧٤٥٥ . وعدد الحشرات ١٥٨٢٦٣٧ وعدد
ماك ١٦١٥٠١ وعدد الطيور ١٣٦٢٣٦ وجملة ما فيهِ من الاشياء ٥٨٩٨٤٩٣ ويلي ذلك
ب مسهب عن الجيولوجيا الاميركية وما فعلهُ الجيولوجيون الاميركيون من سنة ١٧٨٥
لآن وصور كثيرين منهم ثم كلام موجز عن الديانة البوذية وصور تماثيلها وتحفها المجموعة
ك الدار ولا سيا صورة بوذة نفسهِ

...تقال الارواح
... ابرهيم سروسي. كشبتم
...رمن المجلد الثلاثين
والثلاثين مقالة الكولونل
...م المغنطيسي قيل فيها ان
جسم الى آخر فهل تنتقل
...رحال خروجها من
فيهِ
يدّعون بانتقال الارواح
...زعمون ان الروح تفتش
...لاً فتدخل جوفها وتستقر
...نهم لم يقيموا دليلاً علميًّا
مزاعمهم

...ن يرسل البصل
...فندي جبرائيل. الى اي
الذي يصدر من القطر
...ء يستعملونهُ وما سبب
...وطن اخرى
...بصل المرسل من القطر
...اضي ٣٩٣٣٤٩ جنيهاً
...ترا والنمسا والمانيا وفرنسا
كما ترون في هذا الجدول

١٨٤٧٧٠ جنيهاً
١١٤٩٣٧ "
٠١٩٨٩٣ "
٠٨٨٩٠٧ "
٠١٦٨٥٨ "
" تركيا " " ٠١٢٨٧٧ "
" بلجكا " " ٠٠٨٦٨٦ "
" ايطاليا " " ٠٠٨٣١٢ "
" اميركا " " ٠٣٨١١٠ "

والبقية الى سائر البلدان وهو يستعمل في الطعام ولعمل المخللات واذا تأخر موسم البصل في البلدان التي يرسل اليها البصل المصري غلا ثمنهُ فيها والّا رخص

(١٠) زرع البصل

ومنهُ. في اي بلاد يزرع البصل غير القطر المصري

ج يزرع في كل البلدان تقريبًا ولاسيما في المنقطة المعتدلة

(١١) مقطوعية البصل

ومنهُ. ما مقدار المقطوعية اللازمة للخارج سنويًّا

ج يبلغ مقدارها حتى الآن نحو مئة الف طن وهي آخذة في الازدياد كما ترون في هذا الجدول

السنة	الطن	الثمن جنيهات
١٩٠٢	٤٩٩٣٣	١٠٠٦٩٧
١٩٠٣	٧٣٧٧١	١٩ ١٥٨
١٩٠٤	٧٩٣٦٧	٣٦٥٣٦٤
١٩٠٥	١١٢٣٨٤	٣٩٣٣٤٩

واذا بكر المزارعون في زرع البصل وارسالهِ الى الخارج فلا يبعد ان يزيد رواجهُ كثيرًا ويحسن ان يهتموا بجلب

كتشف دود القز ورباهُ واستخرج الحرير
ُ وذلك قبل المسيح بأكثر من ٢٦٤٠ سنة
قل بزر دود القز الى القسطنطينية سنة
٥٥ للمسيح وانتشر منها في بلاد الروم ولم
في تاريخ من التواريخ ذكرًا للسنة التي
خل فيها الى بلاد الشام ولا يبعد ان
كون دخوله اليها تأخر قرنًا او قرنين بسبب
روب العرب

(٥) آكلات اللحوم وآكلات النبات

ومنهُ . ان الحيوانات ذوات الاربع
نها ما يأكل اللحوم ومنها ما يأكل النباتات
بل ذلك فيها من قبيل العادة او هو خلقي
لماذا لا تأكل من الاثنين كالانسان

ج هو خلقي فيها الآن ولكن بعضها
ذَّ عن نوعهِ كالكلاب والقطط فان اصلها
ن الضواري آكلات اللحوم فقط فاعتادت
كل الخبز كالانسان . الاَّ ان طول الزمن
لذي مرَّ على الحيوانات وهي مقسومة الى
هذين القسمين الكبيرين غيَّر اعضاء الهضم
يها وغيَّر اذواقها ايضًا فلم تعد اعضاؤُها
صالحة لهضم ما لم تعتد اكلهُ ولا عادت
ستطيبهُ لو اكلتهُ ومع ذلك فكثير منها
أكل الاطعمة النباتية والحيوانية معًا
كالدجاج فانها تأكل الحبوب وتأكل الديدان
كالدباب القطبية فانها تأكل الاسماك
الاعشاب وكالقرود فانها تأكل الاثمار
تأكل البيض والحشرات وهلمَّ جرًّا

(٦) نهاية الافق

ومنهُ . هل من نهاية لهذا الافق الذي
نراهُ فوق رأسنا

ج الارض كرة في فضاء واسع جدًّا.
والذي نراهُ ونقول انهُ الافق او السماء او
قبة السماء انما هو نور معكوس عن الهواء
الذي يحيط بكرة الارض ولولاهُ لرأينا
فوقنا ظلامًا دامسًا لا نهاية لهُ . اما الهواء
فمحدود والمرجح انهُ يمتد الى نحو مئتي ميل
فقط حول كرة الارض ووراءهُ فضاء
لا يعلم نهايتهُ الاَّ الله

(٧) تكوُّن الدمع

ومنهُ . كيف يتكوَّن دمع العين حالاً
في ساعة الحزن او الفرح الشديد

ج الدمع موجود في الغدة الدمعية
يقطر منها قليلاً قليلاً بما يكفي لترطيب
العين وباطن الجفنين ويجري من هناك الى
الانف ولكن اذا حدث حادث جائي
انقبضت به العضلات التي حول العين
وانقبضت معها العضلات التي حول الغدة
الدمعية فانعصرت بانقباضها وخرج الدمع
منها كما في السعال الشديد والضحك الكثير
وتهيج العواطف في الانسان يؤَثر فيها مثل
ذلك فتهطل الدموع منها في البكاء والحزن
والالم والخوف والاضطراب والسرور
ويضعف انقباض قناتها في الشيخوخة فيصير
الدمع يخرج منها دوامًا

ة العالم

رات التي تدور حولها
هذا العالم الواسع . وكل
ابت التي نراها في قبة
سنا تدور حولها سياراتها
حول شمسنا اما النظام
س وسياراتها) فتكله
، تشكل الشموس الاخرى
، النظام الشمسي ولكن
موس في اسطاحها بعضها
. شكل العالم كله جملة
مثل تشكل الارض
ل تشكل النظام الشمسي .
ها الاستاذ هومن كوبلد
كبير وضعه حديثاً في
نج منه ان في هذا العالم
نثرة فيه على ابعاد مختلفة
ا وهي مختلفة الاقدار
وبينها مجموع سديمية
اخرى شديدة الحرارة .
ظام غير متسق بل هي
ر ولكنها منتظمة بعضها
واحد حلزوني دولابي
حارة في اطرافه البعيدة
كزه وهي تسير حول نقطة
استطع العام انظام العالم .

والنجوم القريبة من الشمس تشاركها في
هذا السير

نازلة سان فرنسسكو

سان فرنسسكو "ملكة الباسيفيكي"
اصيبت بزلزلة شديدة في الثامن عشر من
شهر ابريل هدمت جانباً كبيراً من مبانيها
الخشبية ثم نشبت النار فيها ففعلت فعلاً ذريعاً
بدأت الزلزلة بغتةً في الساعة الخامسة والدقيقة
١٣ صباحاً ودامت الهزة الاولى دقيقتين او
ثلاثاً ففعلت فعلها الذريع . ثم حدثت هزة
ثانية بعد خمس دقائق وثالثة في الساعة الثامنة
والدقيقة ١٥ وتكررت الهزات بعد ذلك ولكن
كان الفعل الاكبر للهزة الاولى وانتشرت
بعدها النار في احياء كثيرة رغم الناس
والجنود ورجال المطافئ لمقاومتها بالماء لكن
انفجرت انابيب الماء فلم يعد استقاؤه ممكناً
وانشقت انابيب الغاز واتصلت الاسلاك
الكهربائية بالغازات فاضطر رجال
المطافئ ان ينسفوا المباني من اساسها
بالديناميت لكي يمنعوها من الانتشار والارجح
انهم لم ينسفوا اكثر من ربع المباني وكان
فعل الزلزلة على اشده في الاماكن الواطئة
من المدينة حيث الاسواق والمخازن وكان
الناس لا يزالون نياماً حين الهزة الاولى فلم
يكن في تلك الاماكن كثيرون منهم ولذلك
لم يقتل بها الا عدد قليل بالنسبة الى فعلها

ب البصل الرومي القليل الحرارة فان
اروج من سرق البصل الحار

(١٢) اطباء التنويم المغنطيسي

ومنهُ . هل يوجد اطباء في القاهرة
ملون التنويم المغنطيسي وهل ينام المرء
كان اكبر من المنوم وهل من فرق بين
الجسم وضعيفهِ من هذا القبيل وما هي
سرار التي ربما تنتج عن التنويم المغنطسي

ج نعم يوجد فيها بعض الاطباء الذين
ىعماون التنويم المغنطيسي ومنهم الدكتور
رجلو الذي نشرنا خطبتهُ في الصفحة ٢٩٥
المجلد التاسع والعشرين من المقتطف
اخبرناهُ اننا لسنا من رأيهِ . ولم نرَ حتى
ن مريضاً واحداً شفي بالتنويم المغنطيسي
.ين ينامون النوم المغنطيسي ينامون سواءٌ
كانوا اصغر من المنوم او اكبر منهُ . وضعيف
الجسم اسهل نوماً من قويهِ . واذا تكرر
التنويم فقد يبعد ان يضعف الاعصاب كثيراً
ويضرَّ بالصحة

(١٣) التنويم والعمليات الجراحية

ومنهُ . هل يمكن اجراء العمليات
الجراحية بواسطة التنويم واذا امكن ذلك
فلماذا لا يستعملونهُ

ج نظن انكم تريدون استعمال التنويم
بدل الكلوروفورم تم عمل العمليات الجراحية
والمرء نائم النوم المغنطيسي فان كان هذا هو
المراد فالجواب نعم يستعمل التنويم احياناً بدل
الكولوروفورم لابطال الالم وقت العمليات
الجراحية ولكن الخوف من ضررهِ منع اكثر
الجراحين من استعمالهِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
ربع الاول	١	٩	٧	مساءً
بدر	٨	٤	١٠	"
ربع الاخير	١٥	٩	٣	صباحاً
هلال	٢٣	١٠	١	"
الربع الاول	٣١	٨	٢١	"

السيارات

عطارد نجم الصباح الشهر كلهُ
الزهرة نجم المساء وتغيب بعد الغروب
بنحو ساعة ونصف
المريخ نجم المساء و يغيب مع الزهرة تقريباً
المشتري نجم المساء الشهر كلهُ
زحل نجم الصباح ويشرق قبل الشمس
بساعتين ونصف الى ثلاث ساعات

فد افدت العلم فائدة لا تقدر
مصل الارنب الملقحة بدم
م ٣٤ صنفاً مختلفاً من النا س
راسب مما دل على انهم من
ضفت المصل نسبة الى دم ٨
من القرود فكانت النتيجة
استنتج ان الانسان والقرود
. ولا يلزم عن تلك ان
ل من القرود المعروفة الآن
لنوعين صلة قرابة واسبا مما
مارك وداروِن وهيكل. انتهى
بق ما ذكره حضرة الدكتور
عن اكتشاف العالم منتيكوف
ا " دليل حديث على ناموس
ت في مقتطف يناير الماضي

هواء بيروت

كتور كستليني مقالة ضافية
لظواهر الجوية في بيروت من
الى سنة ١٩٠٠ بعد ان
احدث في مرصدها تلك المدة
كل سنة في كتاب اداره
لمسوية . وبين ثم ما ورد فيها
ط شهري لضغط الهواء كان في
١٨ فبلغ حينئذٍ ٨ ,٣٠ من
في يونيو سنة ١٨٩٣ وبلغ

٧٠ ,٢٩ من العقدة

وبلغ اعلى متوسط شهري للحرارة في اغسطس فكان ٥ ,٨١ الدرجة وادناه في يناير فكان ٤ ,٥٥ الدرجة . ومعظم الحرارة ٣ ,١٠١ في اكتوبر سنة ١٨٩٨ واقلها ٣٠ في ديسمبر سنة ١٨٩٧ والدرجات كلها بميزان فارنهيت

اما متوسط ما يقع من المطر كل سنة فيبلغ ٦٥ ,٣٥ من العقدة منها ٨ ,٥٩ في المئة شتاء و ٥و١٨ في المئة ربيعاً و٧ ,٠ في المئة صيفاً و٢١ في المئة خريفاً . ووقع المطر في اغسطس في ثلاث سنوات من السنين المذكورة وفي يوليو في خمس سنوات . واعظم مقدار وقع من المطر في ٢٤ ساعة كان ٢/١ ٥ العقدة وذلك في شهر اكتوبر وينزل البرد في خمسة ايام او ستة كل سنة . ولم يُرَ الضباب في سوى ١٩ يوماً من المدة كلها . واكثر الرياح تسلطاً عليها الريح الغربية الجنوبية . وتثور الزوابع والعواصف فيها نحو سبع مرات في السنة

الاستاذ كوري

لا يذكر اسم الراديوم الآ ويذكر معهُ اسم مكتشفيهِ الاستاذ كوري وزوجتهِ فانهما اكتشفاهُ وعرفا كثيراً من خواصهِ بالبحث الدقيق . وقد لاقى الاستاذ كوري حتفهُ في ٩ من شهر ابريل فانهُ كان ماشياً في احد

التشديد . والظاهر ان مركز الزلزلة كان تحت المدينة مما يلي البحر ولذلك تكررت الهزات فيها وكانت عنيفة جداً حتى قال بعض الشاهدين انه كان يرى ارض الاسواق والشوارع تتموج تموجاً كأنها سطح الماء . وامتد فعل الزلزلة الى المدن المجاورة فبلغ طول البلاد التي اثرت فيها تأثيراً عنيفاً نحو ٣٠٠ ميل وعرضها نحو ٥٠ ميلاً . وعلت امواج البحر فالقت بعض السفن على البر ثم عادت واعادتها معها

ويظهر من تأثير هذه الزلزلة بآلات رصد الزلازل انها اشد من زلزلة اضنه التي حدثت في ٥ ابريل من العام الماضي واخف من الزلزلة التي حدثت في اواسط اسيا في ٩ و ٢٣ يوليو من العام الماضي ومن الزلزلة التي خربت مدينة لسبون سنة ١٧٠٥ . والمظنون انه لم يقتل بها سوى الـ[illegible] من السكان لكن تلف بها و بالنار ما يساوي ستين مليوناً من الجنيهات

دم الانسان وسائر الحيوان

كتب الدكتور اهلنهوث مقالة في المجلة الانكليزية المسماة "منثلي ريفيو" قال فيها انه اكتشف طريقة للتمييز بين دم الانسان وسائر الحيوان حيث التمييز بينهما لازم في تحقيق الجرائم كما لو قتل رجل آخر ووجدت آثار الدم على القاتل فادعى ان الدم

دم بهيمة لا دم انسان . قال
كريات دم الانسان [illegible]
وكريات دم الطير و[illegible] بعض
الاحر مستطيلة ليست مجوفة .
من تجارب عملتها انه اذا [illegible]
[illegible] حي من ذلك [illegible]
راسباً لا في دم الانسان
امتحنت بدم حيوان [illegible]
يخرج من هذا المزاج لا يحدث [illegible]
مزج بدم ذلك الحيوان ولو [illegible]
منذ زمان طويل

وقد امتحن بطريقته هذه
عدة جرائم فطابق امتحانه الواقع
يكون له علم سابق بالامر

ويمكن بهذه الطريقة [illegible]
الحيوانات المختلفة [illegible]
ارنب امتحنت بدم حصان [illegible]
التي يراد امتحانها لمعرفة نوعها
لونها ونشأ عن ذلك راسب [illegible]
والتجربة تصح سواء كان الدم جديد[illegible]

واتصل من ذلك الى تبا[illegible]
الانسان والقرود على ما في [illegible]
قال ولما ثبت لي ان مصل الا[illegible]
حيوان معلوم يحدث راسباً [illegible]
قريب النسب اليه كما بين الف[illegible]
والكلب والثعلب خطر لي انه [illegible]
اثبات ما بين الانسان والقرد

ـرسة منها اكثر من مليون جنيه .

لاند ستانفرد تبلغ ثروتها عشر

ـين من الجنيهات ومدرسة كولمبيا

ـيين ومدرسة هارڤرد خمسة ملايين

ومدرسة شيكاغو اربعة ملايين

ـة كورنل ثلاثة ملايين ومدرسة يابل

ومدرسة جونس هبكنس اقل من

قليلاً ودار البحث العلمي التي انشأها

ـي في وشنطون ثروتها مليونان من

ـت . مدارس مثل هذه تستطيع البحث

ـشر العلوم العالية واصحابها لا يجارون

ان العمران

احشاء رعمسيس الثاني

رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان

بسوستريس اعظم فراعنة مصر توفي

٣١٦ سنة وقد وجدت جثتهُ محنطة

محفوظة الآن في دار التحف المصرية كما

ـ . وكان المصريون اذا ارادوا تحنيط

اخرجوا الاحشاء ووضعوها في قوارير

ـمر . وقد وجد اهل البحث القوارير

ـضعت فيها احشاء رعمسيس الثاني

بالامس وبحث فيها الاستاذ لورته

اتذة موغونك ورنو وريفو فوجدوا

والامعاء والكبد في ثلاث قوارير

ـة فيها بالقلي والطيوب وملفوفة بلفائف

ـرص ووجدوا القلب في القارورة الرابعة

وقد صار صلباً كالقرن فقطعوا منه قطعة

وبحثوا فيها بالميكرسكوب فاذا الياف عضلاته

متقاطعة كما تكون الياف عضلات القلب

حرارة الشمس

عرض المسيو هنري مواسان رسالة على

اكادمية العلوم في باريس موضوعها حرارة

الشمس قال فيها انهُ فاز في تجاربهِ المعروفة

بالاتون الكهربائي باستقطار التيتانيوم واستنتج

من الحرارة التي استخدمها لاستقطاره نتائج

حسب بها درجة حرارة الشمس في قرصها حيث

يتبخر التيتانيوم كما يظهر في الطيف الشمسي

ومقدارها ٣٠٠٠ درجة بقياس سنتغراد على

ما يرجَّح . وفي حساب البعض ان تلك الحرارة

تبلغ ٦٥٩٠ درجة والبعض الآخر انها تبلغ

٣٠٠٠٠ درجة فقط

دواء للحمى الملارية

جذر الجنطيانا من العقاقير المقوية في

الطب ولكن بعض الناس يستعملونهُ علاجاً

للحمى الملارية منهم اهالي مدينة آليريا في

كورسكا فان الحمى شديدة الوطأة عندهم

ويعالجونها بجذر الجنطيانا وقد قاموا حديثاً

يعترضون اشدَّ الاعتراض على ادخال

الكينا الى بلادهم لمعالجة الحمى المذكورة

بدلاً من الجنطيانا قائلين انهم لا ينبذون

علاجاً استعملهُ آباؤهم واجدادهم منذ قرون

وهم يتناولونهُ مسحوقاً او يمضغونهُ مضغاً

ـرع باريس فصدمتهُ مركبة والقتهُ على
ـض واتفق ان مركبة كبيرة كانت مارّة
ـئذٍ حيث وقع فمرّ عجلها على رأسهِ
ـلف انفاسهُ وهو في عنفوان قوتهِ واوج
ـتهِ فخسر العلم بفقدهِ خسارة لا تقدَّر

ولد بباريس في ١٥ مارس سنة ١٨٥٩
ـس في السربون وكان اكثر اشتغالهِ
ـهربائية والمقاييس الكهربائية وجُعل
ـاذاً في المدرسة البلدية وكان هناك فتاة
ـا ماري سكلودوسكي تدرس في تلك
ـرسة فاقترن بها سنة ١٨٩٥ واكتشفا
ـديوم ودرسا خواصَّهُ معاً . ومنحتهما
ـية الملكية الانكليزية نشان داقي سنة
١٩ واقتسما جائزة اوزيرس مع المسيو
ـدي وجائزة نوبل في الطبيعيات مع المسيو
ـل وجُعل المسيو كوري عضواً في الانستتي
ـنسوي في العام الماضي . ولا شبهة ان
ـكتشاف الذي اكتشفهُ مع زوجتهِ خلَّد
ـهما في صفحات التاريخ وسيكون لهُ اعظم
ـن في مباحث العلم وميادين العمل

العائلات في فرنسا

من رأْي المسيو برتيليون رئيس قلم
ـيق الشخصية في باريس انهُ يجب ان
ـون كلٌّ عائلة موَّلفة من والدين وثلاثة
ـلاد على الاقلّ . وان تخفف الضرائب
ـى الوالدين الذين عندهم اولاد كثار او
تزال تماماً عن عائق الذين لهم اكثر من ثلاثة
اولاد وتفرض ضريبة خصوصية على العزب
رجالاً ونساء وعلى الوالدين الذين لا اولاد لهم

هذا والحكومة الفرنسوية تعطي نحو ٦٠
فرنكاً معاشاً لكلّ ولد في عائلة يزيد عدد
اولادها على الثلاثة فقلّ متوسط وفيات
الاطفال من ٣٨,٢ الى ٢٢,١ في الالف
وأُلفت جمعيات كثيرة من الاطباء الاغنياء
وغيرهم من اصحاب الاموال والوجهاء غايتها
تدبير مساكن رخيصة الاجرة للعائلات
الكبيرة الفقيرة . منها جمعية اسمها جمعية
إسكان العائلات الكبيرة بنت منازل خاصة
بالعائلات الكبيرة فقط وهي صحية فسيحة
حسنة الترتيب واسعة الغرف ذات شرفات
اجرة كل شقة منها ٤ جنيهات الى ١٦ جنيهاً
في السنة وهي اجرة لا تكاد تكفي لادارة
هذا العمل

ثروة المدارس الجامعة

ان الذين يغارون على مصلحة هذا القطر
وانتشار العلوم العالية فيهِ يطلبون من
الاغنياء الكرماء مئة الف جنيه او مئتي الف
جنيه لانشاء مدرسة جامعة فلو اجيب
طلبهم — ولا تدل الظواهر على انهُ يجاب
قريباً — فكيف تكون هذه المدرسة بالنسبة
الى المدارس الكبرى . ففي الولايات المتحدة
الاميركية مثلاً مدارس كثيرة يبلغ ثروة



فهرس الجزء الخامس من المجلد الحادي والثلاثين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الحادي والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤

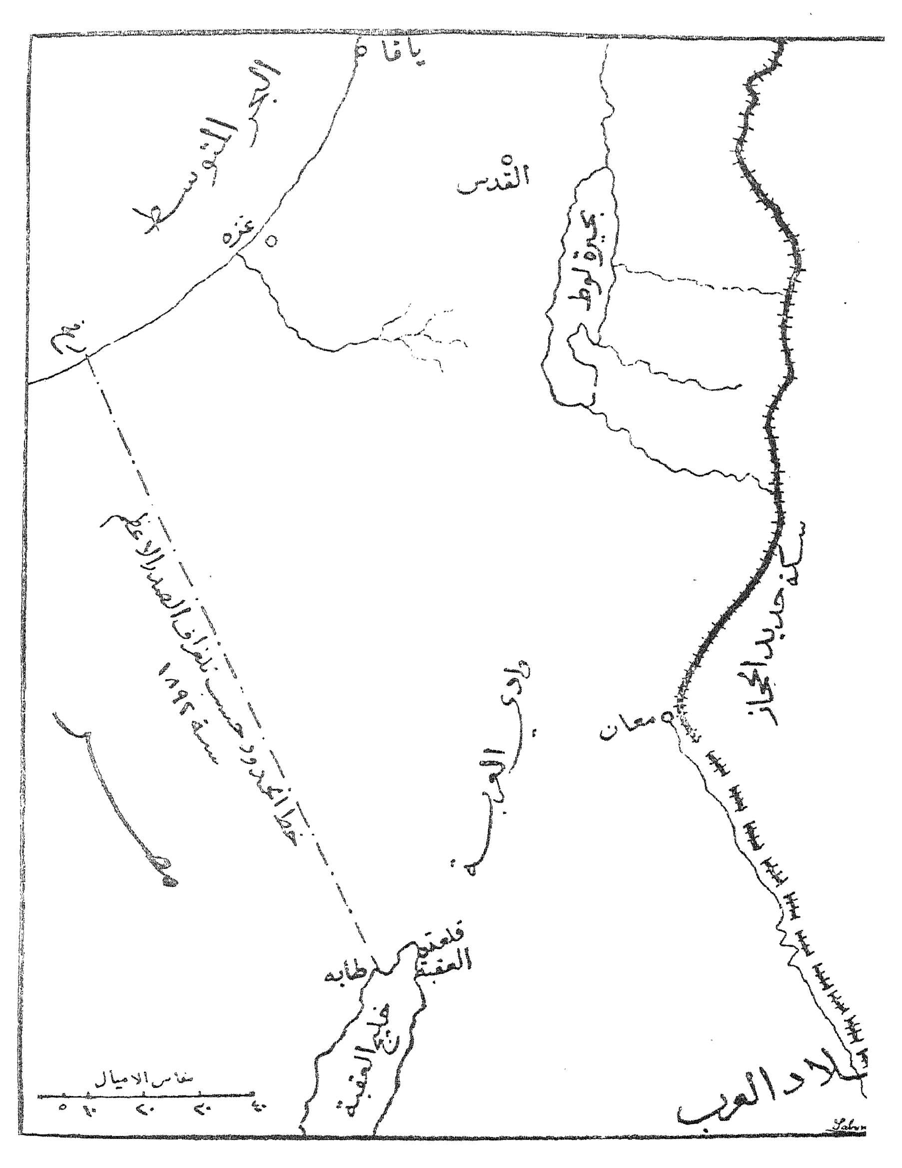
سيناء والعقبة

مضى الاسبوع الاول من الشهر الماضي والحرب على قاب قوسين او ادنى وموقع الخلاف
لحد الفاصل بين مصر والشام . لكن انفرجت الازمة حالاً كما اشتدت حالاً وقد وفت
صحف اليومية حقها من التفصيل فنقتصر على ذكر جغرافية البلاد التي عليها الخلاف وتاريخ
غابر ووصفها الحاضر لعلَّ في ذلك فائدة للقراء

يتفرع البحر الاحمر من طرفهِ الشمالي الى فرعين او لسانين احدهما غربي ومدينة السويس
، طرفهِ ويسمى خليج السويس والآخر شرقي وقلعة العقبة في طرفهِ ويسمى خليج العقبة والارض
بينهما صخور وصحاري وهي الآن قاحلة قليلة السكان ولكنها لم تكن كذلك في غابر الازمان
طور سيناء في منتصفها مما يلي رأس المثلث الذي بين اللسانين وعلاقتهُ بتاريخ اليهود
لنصارى اشهر من ان تذكر . وقد ذكرنا طرفاً من تاريخها منذ عشر سنوات في كلام
ن " ايلة والبتراء والانباط " وها بعض ما ذكرناهُ هناك

" قال ابن خلدون في الجزء الثاني من تاريخهِ ان خالد بن الوليد قال لعبد المسيح اخبر
ا رأيت من الايام قال رأيت المرأة من الحيرة تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأ
شام في قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد اصبحت اليوم خراباً . ثم تعزّى ابن خلدون ع
لك بقولهِ ان الله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

" اذا خرج السائح من مصر قاصداً الشام برّاً بطريق العقبة وجبال الشراة فاول مكا
لغهُ من حدود الشام العقبة عند طرف اللسان الشرقي من لساني البحر الاحمر . هنا
كانت مدينة ايلة وعلى مقربة منها كان مرفأ سفن سليمان الحكيم التي كانت تجلب لهُ البضا
ن الهند وشرقي افريقية ذهباً وصندلاً وحجارة كريمة . امتلك بنو اسرائيل تلك المدينة ا



الحدود بين القطر المصري والقطر الشامي حسب ما تم الاتفاق عليهِ سنة ١٨٩٢
وهي منقولة عن خريطة طبعت سنة ١٩٠٥

الرواة منهم يونس بن يزيد الايلي صاحب الزهري توفي بصعيد مصر سنة ١٥٢ واسمه
اسمعيل بن يعقوب الايلي مات بايلة سنة ٢٥٨ وحسان بن ابان بن عثمان الايلي وُلي
دمياط وتوفي بها سنة ٣٢٢

ويؤخذ من ذلك كلهِ ان مدينة ايلة التي قامت العقبة مقامها كانت فرضة بحرية
منذ ثلاثة آلاف سنة وعظم شأنها في زمن الملك سليمان الحكيم ثم ضعفت رويداً رويد
لم يبقَ فيها في بدء تاريخ الاسلام سوى ثلاثمائة بالغ او ثلاثة آلاف وكان اكثر
حينئذٍ من اليهود فادعوا ان معهم كتاباً من النبي لكي لاينالوا بمكروه . ثم اشتهرت في ا
الصليبيَّة وضعف شأنها بعد ذلك حتى لم يبقَ بها في زمن ابي الفداء سوى برج بهِ وا
مصر لكنها عادت فازدهت بعد ذلك وذكرت في القرن الخامس عشر كمدينة من ا
الكبيرة وعادت فانحطت وليس بها الآن الاَّ قلعة حصينة لها اربعة ابراج على زواياها ا
وهي في يد الحكومة العثمانية . ويبتدئ الحد المتفق عليهِ بين مصر والاملاك العثماني
ثلاثة اميال غربيها ويمتد من هناك شمالاً بغرب الى ان يصل الى عمودين نصبا في عهد ا
باشا قرب رفح الى الشمال الشرقي من العريش كما ترى في الخريطة المقابلة

اما برية سيناء او شبه جزيرة سيناء فاكثرها قفار قاحلة وبينها اودية خصيبة ينبت
النخل والطرفاء وكثير من الاعشاب والانجم التي ترعاها الجمال ويقع فيها مطر غزير تتر
الاودية وسكانها نحو ثلاثين الفاً من البدو . فاذا وجهت الحكومة المصرية عنايتها الى ت
كما وجهتها الى تعمير السودان لم يتعذَّر عليها ان تبني سدوداً لحفظ مياه الامطار و
الاودية بها فيكثر فيها الزرع والغرس ويتلطف هواؤُها وتغزر امطارها وتصير مصيفاً لا
هذا القطر وربما عاد الناس الى استخراج الذهب والنحاس منها كما كانوا يستخرجونهما قا

هذا من حيث الطرف الجنوبي الشرقي من طرفي الحد الفاصل بين مصر والشام
الطرف الشمالي الغربي فقال فيهِ بدكر في دليله لسورية المطبوع سنة ١٨٩٨ ما ترجمتهُ

"من غزة الى العريش ١٣ ساعة . ففي ساعة وخمس دقائق تصل الى تل العجول
وادي غزة الذي يبتدئ من عند حبرون ويمر بقرب بير سبع . وعلى ساعة الى الجنوب ال
من تل العجول بقرب تل الجمعة خرائب امجرار وبعد ساعة وربع دير البلح (وهو دارم الق
وهناك جامع الخضر قائم على خرائب كنيسة قديمة) ثم تصل بعد ساعة و ٣٧ دقيقة الى
يونس وفيهِ جامع حسن البناء من عهد السلطان برقوق والى الجنوب من خان يونس
الديار المصرية . وبعد ساعة و ١٧ دقيقة تصل الى تل رفح وبعد ساعتين ونصف الى ال

وتعاقب عليها ملوكهم وملوك ارام (الشام) الى ان تغلب عليها رصين ملك ارام بنحو سبع مئة وخمسين سنة وبقيت فرضة للسفن الذاهبة الى بلاد الهند والآتية ...صّر اهلها في بدء النصرانيَّة وصارت كرسي اسقف وبقيت كذلك الى ان غزا النبي ... الاخيرة الى تبوك فاتاه يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة فصالحهُ على الجزية وكتب ...تاباً فبلغت جزيتهم ثلثمئة دينار ثم زاد فيها الخلفاء من بني اميَّة فلما كان عمر بن عبد ...أخذ منهم غير ثلثمئة . ومن ثم غاب ذكر هذه المدينة فلم تعد تذكر في كتب ... نادراً . ويقال ان الصليبيين اخذوها سنة ١١١٦ للمسيح واستردها صلاح الدين ...هم سنة ١١٦٧ . ثم اخذها رينلد شاتيلون سنة ١١٨٢ . وذكرها ابو الفدا بعد ذلك ...م وايلة على ذراعين او لسانين من البحر قد طعنا في البر الشمالي وصار بين ...لمذكورين للبر دخلة الى الجنوب في البحر وفي تلك الدخلة الطور وعلى طرف اللسان ... وعلى طرف اللسان الغربي القلزم . ثم قال " وايلة كانت مدينة صغيرة وكان بها وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم القردة والخنازير وهي في زماننا برج وبهِ والٍ ليس بها مزدرع وكان لها قليعة في البحر فابطلت ونقل الوالي الى البرج في الساحل " .

...ن من هذه المدينة الاَّ الانقاض وليس العبرة بها بل بمرفإِها الذي كان فرضة الهند وجنوبي افريقية ومقرَّ تجارة واسعة النطاق كثيرة المكاسب جعلت الفضة ... اورشليم مثل الحجارة كثرةً فانقطعت التجارة وخربت المدينة وردم المرفأ وليس ...شرق كلها من يسأل عن سبب ذلك

...نا الآن الى ما قالهُ ياقوت الحموي عن ايلة في معجمهِ الجغرافي فاذا خلاصتهُ ان ... مدينة على ساحل بحر القلزم وقيل هي آخر الحجاز واول الشام .. وقدم يوحنَّة ...لى النبي من ايلة وهو في تبوك فصالحهُ على الجزية وقرَّر على كل حالم بارضهِ في ...ا فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار واشترط عليهم قرى من مرَّ بهم من المسلمين وكتب لهم ...يحفظوا ويُمنَعوا فكان عمر بن عبد العزيز لا يزداد على اهل ايلة عن الثلاثمائة دينار

قال احيحة بن الجلاح يرثي ابنهُ

فما هبرزيٌّ من دنانير ايلةٍ بايدي الوشاة ناصعٌ يتأَكَّلُ
باحسن منهُ يوم اصبح غادياً ونفَّسني فيهِ الحِمامُ المعجَّلُ

محمد بن الحسن المهلبي مدينة ايلة جليلة على لسان البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط ...خراج ايلة ووجوه الجبايات بها نحو ثلاثة آلاف دينار وينسب اليها جماعة من

وبعدهُ الى حربة البرج ثم الى وادي العريش وبعد ٢٠ دقيقة تصل القلعة والكورنتينا
" والعريش مدينة رينوكولورا القديمة وقرب الصهريج الذي في ساحة قلعتها ناووس
ي قديم عليهِ كتابات مصرية ويقال ان ملكاً حبشيًّا من ملوك مصر بناها منفًى للجناة
ت كرسي اسقفية في اول عهد النصرانية ومات فيها بلدوين الاول ملك اورشليم سنة
ا ولا يزال فيها حجر يقال لهُ حجر بردويل اي حجر بلدوين . واخذها نبوليون في ١٨
سنة ١٧٩٩ وفيها عقدت معاهدة العريش في ٢٤ ينايرسنة ١٨٠٠ التي بموجبها خرجت
الفرنسوية من القطر المصري "

يقال ابو الفداء "ومما هو داخل في حد مصر الجفار وهو المعروف برمل مصر وبهِ منازل
ة اشهرها واكبرها قطية ثم الورّادة وبهما سكان ونخيل والذي يحيط بالجفار بحر الروم
م الى بحيرة تنيس ومن بحيرة تنيس الى القلزم ومن القلزم الى تيه بني اسرائيل ومن
، اسرائيل الى بحر الروم عند رفح من حيث ابتدأنا واما تيه بني اسرائيل (اي شبه
سينا) فيقال ان طولهُ اربعون فرسخا (١٢٠ ميلاً) وعرضهُ قريب من طولهِ وارضهُ
وفيها رمال وبها عيون ردية الماء ويحيط بهِ الجفار وحدود القلزم وحدود بيت المقدس .
لاماكن المشهورة بالجفار رفح وهي منزلة في طرف الجفار من جهة الشام وعلى مرحلة
ة . والعريش وهي الآن منزلة على شط بحر الروم وبها آثار قديمة من الرخام وغيرهِ وهي
ب والجنوب من رفح على مسيرة يوم . قال ابن مطرّف وسمي الجفار لان الدواب تجفر
، تهلك من السير . قال ابن حوقل ان الجفار في ايام فرعون كانت معمورة بالقرى
عنها قال الله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومهُ وما كانوا يعرشون ولذلك سمي
، عريشاً "

كانت رفح مدينة عامرة على ما قالهُ المهلبي "فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق ولها والٍ وعلى
ميال من رفح من جنب غزّة شجر جميز مصطف من جانبي الطريق عن اليمين والشمال
، شجرة متصلة اغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين وهناك منقطع رمل الجفار"
ا ويبعد عن الاحتمال ان تبقى الحدود بين مصر والشام قفرًا بلقعًا كما هي الآن فان
سنة كفت لاعادة العمارة الى القطر المصري فتضاعف عدد سكانهِ وفاضت الخيرات
وثلاثون سنة تكفي لاعادة العمارة الى الشام اذا تولاّهُ اناس يحسنون سياستهُ
ن امورهُ فيتضاعف عدد سكانهِ وتفيض الخيرات عليهم وحينئذٍ تتصل مصر بالشام
الحديد ويصير كل قطر منهما متمماً للقطر الآخر

عيد فرنكلين

يعيّد اهالي هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية اعياداً كثيرة على مدار السنة حتى
ـلو يوم من عيد . واذا بحثت عن هذه الاعياد رأينها كلها للانبياء والاولياء والشهداء
لاناس لهم علاقة بالاديان المنتشرة فيه فلا يعيدون لقائد من القوّاد العظام ولا لعالم من
ء الكبار ولا لرجل افاد نوع الانسان بعلمه وقد كان هذا شأن الاوربيين ايضاً ولكنهم
وهُ الآن الى اكرام العلماء كما يكرمون الاولياء ولا يزال اكرامهم لهم قاصراً على المحافل
ة فلا يعيّد الشعب كلهُ لنيوتن او لباستور كما يعيّدون لمار فرنسيس او لمار يوسف

ومن العلماء الذين يشار اليهم بالبنان ولا يخلو كتاب في علم الطبيعة من ذكرهم بنيامين
كلين العالم الاميركي مكتشف كهربائية الجو ومنشئ الجمعيَّة الفلسفيَّة الاميركية في مدينة
دلفيا . وقد احتفلت تلك الجمعيَّة بمضي مئتي سنة على ولادته بين السابع عشر والعشرين
شهر ابريل الماضي . ودعت المدارس الجامعة والجمعيات العلمية الى مشاركتها في هذا
ـتفال فلبيَّ دعوتها نحو مئتي نائب من اميركا واوربا وفي جملتهم السر جورج داروِن الذي
، رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني في الصيف الماضي وهو ابن داروِن الشهير . وقد
ب الى جريدة ناتشر رسالة مختصرة في وصف هذا الاحتفال قال فيها ما خلاصتهُ

ابتدأ الاحتفال ليلة السابع عشر من ابريل فاجتمع النوّاب برئاسة الاستاذ ادغرسمث
ـس الجمعية فخطب فيهم ذاكراً نصيب فرنكلين في تأسيس الجمعية الفلسفية . ثم تقدم
ب وسلموهُ الخطب التي جاءوا بها من قبَل المدارس والجمعيات التي انابتهم عنها وكنت
ائباً عن مدرسة كمبردج والجمعية الملكية ودار العلوم الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني
عية المتيورولوجية الملكية . وقد ناب النواب عن ١٢٠ من المدارس والجمعيات العلمية .
مي الاحتفال تلك الليلة بقيام المستر كارنجي وهو لابس حلة الرئيس لمدرسة سنت اندرو
ـعة ومنح مس ارون درجة الدكتورية وهي من نسل فرنكلين ولها منصب علمي لانها
ـة مدرسة ردكلف التابعة لمدرسة هارفرد الجامعة

وقضي اليوم التالي والذي بعدهُ الى اليوم العشرين بتلاوة المقالات العلمية فتلي فيها ٢٣
ة وفي جملتها مقالات من تشمبرلين وده فريس ونكولج وهول ولورنتز وذكرت انا خلاصة
ة قدمتها الى الجمعية الملكية ولم تنتشر حتى الآن

وفي صباح التاسع عشر من الشهر منحت مدرسة بنسلفانيا الجامعة رتباً علميَّة وفي جملتها



صورة بنيامين فرنكلين منقولة اصلاً عن صورة ماسون تشمبرلين

يعمل بهِ فانتقل الى فيلادلفيا ودخلها صفر اليدين تكاد ثيابهُ تكون اخلاقاً وجعل
في اسواقها لعلهُ يجد عملاً يعمل بهِ او بلغة من العيش يتبلَّغ بها وبعد عناء طويل
مهُ احد الطباعين ثم اشترك مع ابن رجل غني وانشأ مطبعة وجريدة سياسية وتعرَّف
القوم وانحاز الى الشعب ضد الحكومة واقتصر في معيشتهِ على الضروري من المأكل
ب وكان آية في الاجتهاد والاقتصاد وتزوج وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ بامرأة
في اعمالهِ وساعدتهُ في ارتقاء سلم النجاح

ثم اخذ يدرس اللاتينيَّة والفرنسوية والايطالية والاسبانية وبعد قليل انتظم في خدمة
مة وعيّن وكيلاً لمدير البريد ولما اتسعت امامهُ موارد الرزق انشأ مجمعاً علميًّا وهو
الآن بمجتمع فرنكلين وانشأ مدرسة كلية وهي المعروفة الآن بمدرسة فلادلفيا الجامعة
اذا شرع في عمل عامّ نافعٍ لا ينسبهُ الى نفسهِ بل الى غيرهِ لكي لا يبقى للحساد سبيل عليهِ
سنة ١٧٤٦ لقي رحالاً اسكتلنديًّا اسمهُ الدكتور سبنس فاراهُ هذا بعض التجارب
ائية وكان عمر فرنكلين اربعين سنة فعجب بها واخذ يمتحنها بنفسهِ ويتوسَّع فيها شأن كبار
الذين لا يكتفون بما تسلَّموهُ بل تقودهم فطرتهم الى التوسُّع فيهِ وخطر لهُ من ذلك
ان البرق ظاهرة من ظواهر الكهربائية فانشأ رسالةً في هذا الموضوع وقدمها الى الجمعيَّة
الملكية فهزأ بها المتصدّرون في المحافل العلمية في بلاد الانكليز ولكن علماء فرنسا رحَّبوا
العلاَّمة بفون فتُرجمت الى اللغة الفرنسويَّة وشهد الملك لويس الخامس عشر التجارب
رة فيها فاعجب بها

ارتأى العالم ديفاي الفرنسوي ان الكهربائية التي تتولد من الزجاج تخالف الكهربائية
لد من الراتينج وسمى الاولى زجاجية والثانية راتينجية فخالفهُ فرنكلين في ذلك وقال
هربائية الزجاجية انما هي زيادة في مقدار الكهربائية الطبيعي والراتينجية نقص فيهِ
لاولى ايجابية والثانية سلبية وعكف على درس هذا الموضوع واقام الادلة على صحة
وابان سبب ميل الكهربائية الى الافلات من رؤُوس الاجسام وعلَّل كيفية تجمعها
نة الليدنية وكاد يتصل الى اختراع التلغراف الكهربائي لانهُ كان يرسل الكهربائية
سلاك المعدنية مسافة طويلة واشار بان ينصب قضيب من الحديد على رأس برج
اتًا لما ارتآهُ من ان البرق والرعد حاصلان من الكهربائية واشار ايضاً بان تنصب
ن المعدنية فوق البيوت وتوصل بالارض لكي تقيها من الصواعق . وكان ينتظر بناء
مدينة فيلادلفيا لكي يتحقق ما قالهُ من ان الصواعق من نتائج الكهربائية ولكن فرغ

رتبة الملك الانكليز وقد ناب عنهُ في استلام براءتها السر مورتمر دورند سـ
وشنطون . ورتبٌ لده فريس ولورنتز ومركوني ورذرفورد . ثم خطب المسترَ
ما لفرنكلين من الايادي في انشاء تلك المدرسة وسار المدعوون بعد الـ
وفي صباح يوم الجمعة خطب المستر فورنس والاستاذ اليوت والمستر سـ
سفيرًا لاميركا في لندن عن مواهب فرنكلين واعمالهِ وكان في صدر النادي
التي غنمها الجنرال غراي من اميركا وقت الثورة الاميركية تم اهداها الآن لـ
كندا الى رئيس الولايات المتحدة . وختم الاحتفال بوليمة فاخرة شرب
ويَر متشل الطبيب المشهور نخب الحضور واطربنا بفكاهة حديثهِ . انتهى

وقد كتبنا ترجمة فرنكلين ونشرناها في المقتطف منذ اثنتي عشرة سنة و
نشر بعضها الآن اتماماً للفائدة

فرنكلين انكليزي الاصل مثل اكثر الاميركيين هاجر ابوهُ الى اميرَ
لغرض ديني واقام في مدينة بوستن يصنع الشمع والصابون وكان في اول امرهِ
من رجال السياسة ولكنهُ كان مشهورًا بين قومهِ باصالة الرأي فكان رجال
بيتهُ ليستشيروهُ في مهامهم . وولد لهُ سبعة عشر ولدًا وكان بنيامين الحا
والاصغر بين اخوتهِ ولما بلغ العاشرة من عمرهِ اخرجهُ ابوهُ من المدرسة وابقا
الفتائل لعمل الشمع فلم يتعلم في حداثتهِ الَّا مبادئ القراءة والكتابة وكان
الكتب فقرأ كثيرًا من التواريخ والترجمات

ولما رأى ابوهُ منهُ ذلك وضعهُ عند اخيهِ الاكبر وكان طبَّاعا فاتسع لهُ
وتعلم الحساب والهندسة والمنطق من نفسهِ وجعل يحجُّ اترابهُ ويفحمهم في الجد
على اكل الاطعمة النباتية لانها رخيصة وانفق ما اقتصدهُ بذلك في ابتياع ا
قصيدتين وطبعهما فراجتا كثيرًا لكنَّ اباهُ اضعف عزيمتهُ بقولهِ لهُ ان الشعر
شروى نقير فترك الشعر وعكف على النثر . واكثر من المطالعة في كتب الادب
والتحبير وكان يحل المنظوم ثم ينظمهُ ثم يحلهُ ثم ينظمهُ حتى ملك ناصية الانشاء
من ذلك كثيرًا حين تولى المناصب العالية ودافع عن آرائهِ العلمية والسياسية

وانشأ اخوهُ جريدة سياسية فجعل يكتب المقالات ويضعها بامضاء مصـ
اليهِ فيستحسنها وينشرها وهوَ لا يعلم ان اخاهُ كتبها . وقرأ الناس هذه المقالا
فعلم مقدرتهُ في الانشاء . ثم انفصل عن اخيهِ وباع كتبهُ وسافر الى نيويورك

قبريات العجم

كان الاقدمون ينقشون على نواويسهم صور مواكب الجنازة والمعارك والانتـ
والصيد ونحو ذلك من الرموز التي كان لها في خرافاتهم ومعتقداتهم شأن كبير . وكـ
كانت القبور تفتح طمعاً بما فيها من الحلى ونحوها حتى كثرت الاشارة في القبريات الى
فتح القبور والتهديد والوعيد لمن يقدم على فتحها

وكان الرومان ينقشون على قبور الاغنياء والعظماء القابهم وبعض اعمالهم وعلى
الفقراء آيات حكمية فقط . ومثل ذلك كان يفعل اليونان وغيرهم

وكان بعض ملوك الفرس يحفرون قبورهم في جانب جبل او صخرة عالية وينقرو
مقدمها ما يشاكل مقدم هيكل له ثلاث طبقات والقبر في الطبقة الثانية ويتوصل اليهِ
ويغلب على الظن ان التابوت يكون من ذهب فلذلك كانت قبورهم تنهب حينما يدوخ ا
بلادهم فاعتنوا بالاضرحة والقبور كثيراً . ومن اعظمها ما شيده كورش ملكهم وهو بناء مرتـ
عروشهِ من رخام ابيض حجارته كبيرة جدًّا وطول مقصورة التابوت فيهِ نحو ١١ قدماً وعـ
سبع اقدام ولها باب واحد لا منفذ فيها سواه وهناك وضعت جثة في تابوتها الذهبي و
على الضريح ما ترجمته " انا كورش الملك العظيم الاكميني " وكان حول الضريح اعمدة و

اما قبور المسيحيين فيغلب ان ينقش عليها الفاظ الرحمة مثل قولهم (رقد في الر
(ولتسترح نفسك بسلام) مع اسم الميت وتاريخ وفاتهِ

وهاك امثلة القبريات عندهم على اختلافها :

من اقدم القبريات ما حفر على ناووس من المرمر اكتشف في صيداء في اوائل
١٨٨٧ م [١] باللغة الفينيقية وهذا تعريب ما هو محفور عليهِ " انا تبنت كاهن عشترت
الصيدونيين ابن اشمنعزر كاهن عشترت ملك الصيدونيين الراقد في هذا الضريح أنبه مـ
يريد ان يفتحهُ ان ليس فيهِ ذهب ولا فضة ولا حجارة كريمة واحذره انهُ اذا تجاسر ود
ستره واقلق راحتي لا يكون لهُ توفيق تحت الشمس ولا يكون لهُ راحة في قبرهِ "

ومنها ما وُجد على قبر وزير لملوك العائلة السادسة والعشرين المصرية بالخط الهيروغـ
معرّبهُ " ان الرجل اطعم الفقير وآوى البائس وساعد المسكين ولم يأتِ في حياتهِ شرًّا و
يرجو وهو حيّ نيل الراحة الابدية بعد الموت "

---

(١) نقل هذا الناووس وغيرهُ من الآثار الى متحف الاستانة العلية في السنة نفسها

قبل ان تمَّ البرج فصنع طيارة بسط عليها منديلاً من الحرير ووضع في رأسها سلكاً
وربطها بخيط من الحرير واطارها في ساحة البلد وهو يوهم من يراهُ انها لا بنهِ وربط
ف الخيط الاسفل مفتاحاً من الحديد. ومضت حصة من الوقت وهو لا يرى للكهربائية
ب ذلك المفتاح فأُسقط في يدهِ وعزم على الرجوع الى بيتهِ وحينئذٍ رأى النسال الذي في
الخيط منتفشاً كما ينتفش الصوف المكهرب فادنى يدهُ منهُ فلصق بها كما تلصق الاجسام
: المكهربة فايقن بوجود الكهربائية في الجو وبعد قليل وقع المطر وبلَّ الطيارة وخيطها
يصالها للكهربائية ولما ادنى يدهُ من المفتاح وثبت شرارة الكهربائية منهُ اليها فملأَ
بائة قنينة ليدنية واجرى بها تجارب كثيرة

اقرَّ العلماء لفرنكلين بالفضل في اكتشاف كهربائية الجو واتخذوا القضبان التي اشار
اية البيوت من الصواعق وجعلوهُ عضواً في المجامع العلمية وقلدوهُ نياشين الافتخار
ت شهرتهُ في اوربا وبلغت اميركا وطنهُ وكان قد انقطع عن الاعمال واكتفى بالمال
التي ذخرهُ باجتهادهِ واقتصادهِ وعكف على الدرس والتنقيب في المسائل الطبيعيَّة
، اهل بلدهِ لم يقنعوا منهُ بذلك بل جعلوهُ مديراً عاماً للبريد واشتغل في غير ذلك من
ح العامة فانشأ دار الشفاء في فيلادلفيا ورصف شوارع المدينة بالبلاط ووضع فيها
ر وساح في اوربا مراراً ولقي كثيرين من العلماء وبقي عاكفاً على المباحث العلمية في
ائية وغيرها من المواضيع الطبيعية

ولما شبت نار الثورة الاميركية بذل جهدهُ في اطفائها ولكن الحكومة الانكليزية لم
سهُ بل عزلتهُ عن منصبهِ بعد ان تهكم عليهِ احد رجالها امام جمهور من اشرافها فانحاز الى
ن عليها وعاون وشنطون في وضع دستور الاتحاد الاميركي وذهب الى فرنسا واقنع
ا ليساعدوا الولايات المتحدة . ثم نُصب سفيراً لبلادهِ في فرنسا وانتخب عضواً في
دمية الفرنسوية وانشأ لها مقالة عن الشفق القطبي . ولما انقضت الحرب وتمَّ الصلح بين
را واميركا سعى في عقد المحالفات بين بلادهِ وممالك اوربا ثم عاد الى فيلادلفيا ودخلها
جليل القدر طائر الصيت بعد ان دخلها منذ ستين سنة وهو لا يملك شيئاً فخرجت
ة كلها لاستقبالهِ واطلقت المدافع من القلاع ترحيباً بهِ ودقت الاجراس من
انس وقابلهُ الناس كأنهُ ملك عظيم الشأن ثم انتخبوهُ رئيساً لولاية بنسلفانيا وبقي بين
ب والدفاتر الى ان وافتهُ المنية في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٠ ولهُ من العمر
وثمانون سنة ودفن باحتفال عظيم وحدَّت عليهِ الحكومة الاميركية والحكومة الفرنسوية ايضاً

ان الطبيعة في الحياة تخافهُ والآن تخشى ان تموت بموتهِ

ونظم الشاعر الفرنسوي ماترن رنيه قبريتهُ (توفي سنة ١٦١٣م) فعرَّبتها نظماً :

لقد عشتُ من دون اعتناءٍ مجارياً بطئي نظامات الطبيعة خاملا
وأعجب من موتٍ اتاني مفكرًا بمن لم يفكر فيهِ كيف تنازلا

ونظم الشاعر فرنسيس بومونت المتوفى سنة ١٦١٦ ملخص ما كُتب على قبور وستمنستر(١) وهذه المقطعة تعدُّ من الطبقة العالية في اللغة الانكليزية نظمتها معرَّبةً :

تأمل بالمصير وكن جزوعا فكم رممٍ هنا دفنت جميعا
وكم تحت الثرى عبد وضيعٌ يجاور آمنًا ملكا رفيعا
مليكٌ ليس يطمع في فتوحٍ وصار بوحشة المنفى قنوعا
أطاعتهُ الرعايا صاغراتٍ فصار لأصغر الاشيا مطيعا
ينادي منذرًا من طيّ قبرٍ ولا يلقى لما يُلقى سميعا
يقول "دعوا اتكالكمُ جميعاً على مجدٍ حسبناهُ منيعا"
فهذي الارض قد زرعت ملوكاً وامسى روضها منهم مريعا (٢)
تقول عظامهم للناس "ذقنا بكاسات الردى السمَّ النقيعا"
تحوَّل جسمهم حالاً هباءً وقد ملأ البسيطة والرقيعا
وعالَمُ كل أُبَّهةٍ ونخرٍ تراهُ مثلهم معهم صريعا

ونظم الشاعر الانكليزي الشهير شكسبير قبريتهُ قبل وفاتهِ سنة ١٦١٦ وهذا معر نقلاً عن دائرة المعارف العربية :

صاح باللهِ لا تشقّ حجابا عن ترى من في ذا الضريح أقاما
يا رعى اللهُ من رعى القبر لكن لعن اللهُ من أثار العظاما

فامتنع الناس عند قراءتها عن نقل رفاتهِ من مقبرة سترتفورد الى مقبرة وستمنستر

ونظم والو الشاعر الفرنسوي الشهير لتمثال مداموازيل لاموانيون ما عرَّبتهُ نظماً

أرى تمثال آنسةٍ تسامى ففاقت في مبادئها الاناما
ونقواها قد اشتهرت بذكرٍ لها في الخافقين بنى مقاما

---

(١) هي مقبرة الشهيرة التي كان اسمها القديم Thorn Island حيث كانت كنيسة سكسونية قد هذه المقبرة اولاً بامر ادعار وأ دورد ورممها هنري الثالث وفيها من قبور العظماء قبور ثلاثة عشر ملكاً وم ملكات ثم قبور العلماء والشعراء والفلاسفة وغيرهم (٢) مخصباً

منها ما كتب على ضريح هوميروس بطل الشعراء وقد عربته بتصرف قليل

تغطي رأس هومير المقدس زهورٌ تحترنَ اليوم يرمس

بدا مثل الاله بمعجزاتٍ بها نطق الورى والدهر أخرس

نقش على قبر اليونيداس الذي قتل في معركة ثرموبيلي بين الفرس واليونان في القرن قبل الميلاد ما معرَّبهُ " ايها المارّ في الطريق سر الى اسبرطة وأنبئ سكانها انا متنا طائعين لشرائعها "

نصب الاثينيون لديمستين شيخ الخطباء تمثالاً من الشبهان (البرونز) حفروا على قاعدته ما معربهُ : " لو كانت سطوتك يا ديمستين مضارعة لقوة جنانك وفصاحتك لما استطاع مريخ المكدونيين ان يستظهر على اليونان قط " سنة ٣٢٢ ق م

ولما احتضر ارخميدس الفيلسوف الرياضي (سنة ٢١٢ ق م) اوصى اصدقاءهُ ان يرسموا على قبره اسطوانة مرسومة ضمن دائرة مع الاعداد تظهر نسبة احدهما الى الآخر

واوصى سيپيون الافريقي قبل موته في منفاهُ (١٨٣ ق م) ان يكتب على ضريحهِ هذه الكلمات " يا ايها الوطن الناكر الجميل انك لا تضم عظامي "

واوصى سلاَّ احد حكام الجمهورية الرومانية قبل وفاته (سنة ٧٨ ق م) ان يكتب على قبرهِ ما يدل على سجيتهِ وهو " لم يحسن اليَّ احدٌ الاَّ وقد تبتهُ . ولم يغظني احدٌ الاَّ عاقبتهُ "

ولما قتل پمپيوس القائد الروماني المغوار (سنة ٤٨ ق م) وأُحرقت جثتهُ دفن رمادهُ في اناء ونُصب عليهِ حجر كتب عليهِ بفخمة " پمپيوس الكبير "

ولما حضر الموت انوشروان العادل امر ان يكتب على ناووسهِ " ما قدَّمناهُ من خير فعند من لا يبخس الثواب وما كسبناهُ من شرٍّ فعند من لا يعجز عن العقاب "

ونظم شاعر لاتيني قديم قبرية لاولاد عرَّبتها بقولي :

ان هذي القبور ضمَّت جسوما وبحت من جمالهنَّ رسوما

فهي لولا الاهمال والفقر كانت كسراجٍ ينير ليلاً بهيما

كم فقيرٍ في طيها كان ينشا لو اردنا ارتقاءهُ شهماً عظيما

بأكفٍّ لصولجانٍ أُعدَّت ورؤُوس بالتاج تلقى نعيما

من صغيرٍ يضيق عنهُ فضاءٌ حلَّ لحداً فحلَّ فيهِ رميما

وكُتب على قبر رافائيل المصوّر الايطالي الشهير كلمات باللاتينية ختمت ببيت من الشعر عرَّبتهُ : (توفي سنة ١٥٢٠ م)

سيرتهِ انهُ عاش نحو ثلاثين سنة حُسد عليها والباقي صرفهُ بحالة يرثى لها»

ونظم بيرون قبرية أُخرى معرَّبها

يامن يمرُّ بقبري وهو يسألني عن الحياة وعمَّا كنتُ في القدمِ
هو الجنون اذا ما كنت منهمكاً فانت من عدمٍ تمضي الى عدمِ

ونظم روبرت برنس المتوفى سنة ١٧٩٦ قبريَّة لصديق لهُ من الشعراء محصَّلها تعريبًا

ليستوقف القاري لدى القبر شاعرٌ ذكيٌّ حكيمٌ للاخاء نصيرُ
ولكنما فيهِ الرعونة اثَّرت فمهما ارتقى بالمجد فهو حقيرُ
أَلا قف سواءٌ كنت في مسرح العلى تفكرُ ام في الارض حيث قبورُ
فهل غير ضبط النفس او كسب حكمةٍ ومعرفةٍ للمكرمات جذورُ

ونظم الشاعر الفرنسوي الشهير فكتور هوغو قبرية لولد صغير دفن قرب البحر سنة ٤٠ فعرَّبتها بتصرف قليل :

انتَ يا عشب الحقول الناضرهْ وزهور الروض في تلك السفوحْ
وذبابًا طنَّ بعد الهاجرهْ حاديَ الراعي الى حيث يروحْ
انتَ يا موج الخضمّ المنشدِ بلسان الريح أعلى النغماتْ
انتِ يا اشجار غاب اسودِ نثرت حزنًا عليهِ الثمراتْ
ورجومًا من اعالي الجلدِ قد ترامت فوقنا منحدراتْ
وطيورًا في غصونٍ زاهرهْ قد شفت انغامها منا الجروحْ
وسهولاً فوق ماءٍ ناشرهْ نسماتٍ عرفها الذاكي يفوحْ
وجدارًا زهرهُ الدرُّ المصونْ او شهابٌ قد تجلَّى في سماهْ
وحقولاً مذ بكت فيها العيونْ بسم السنبلُ غضًّا في بهاهْ
اظهري الآن خشوعًا وسكونْ لصغيرٍ حلَّ قبرًا في صباهْ
اعرضي عن حركاتٍ ثائرهْ قد اثارت في حشا الأُمّ القروحْ
واتركي الميت قرب الباصرهْ ودعي الأُمَّ على النجل تنوحْ

ونظم الشاعر تنسون الانكليزي قبريَّة السرجون فرنكلين الرحالة الشهير الذي مات في القطب الشمالي واقيم لهُ ضريح في مقبرة وستمنستر سنة ١٨٤٧ ما معرَّبهُ :

عظامك لم تضمّ الى ضريحٍ ولكن ضمها القطب الشمالي
ونفسك لم تردْ في الارض قطبًا لتكشفهُ ولكن في الاعالي

وكانت نصرة الفقراء حتى أُذيقت في عنايتها الحماما

ونظم ايضاً قبرية والدته المتوفاة سنة ١٦٧٠ بلسانها ما عرَّبته ايضاً :

انا زوجٌ لمن تسامى اعتبارا وبجبٍّ للخير نال وقارا
فاتفقنا على البساطة عمرًا ما عرفنا نميمةً وانتهارا
فاترك البحث هل بنيَّ اقتدوا بي اواضاعوا هذي الصفات احتقارا
واقرإ النظم معجبًا بصفاتي وتحذَّر ان تنقل الاشعارا

وكتبت الجمعية العلمية في فرنسا على تمثال موليير الذي اقامتهُ في محل اجتماعها (توفي ١٦٧٣ وهو يشخص رواية المريض الوهمي وكانت الجمعية قد رفضت قبولهُ فيها كان يحب الهزل) ما معناهُ : " ان عدم انتظامهِ في جمعيتنا لم ينقص شيئًا من مجدهِ هُ انقص كثيرًا من مجدنا "

ووجد في رومية قبرية لاتينية عرَّبتها بقولي :

بالمجد عاش وبالفضيلة قد يعيش وانما بالذكر سوف يعيشُ

ونظم لافونتين قبريتهُ سنة ١٧١١ م فعرَّبتها :

ذهبتُ كما أتيت بدون شيءٍ لعلمي ان ذُخْرَ المال فانِ
وانفقتُ الزمان بكل حرصٍ فبين النوم والكسل الاماني

ب على قبر ادسون في مقبرة وستمنستر (المتوفى سنة ١٧١٩) قصيدة طويلة لخصتها بقولي :

أديسنُ في هذا الضريح ينامُ وتذكارهُ بين الشعوب يقامُ
فضيلتهُ طارت باجنحةٍ الى نعيمٍ بهِ طيبُ الخلود مرامُ
هنالك ترنيم الملائك دائمٌ يشاركهم فيهِ وليس يضامُ
محاكمنا فيها السياسة انما محاكمهم فيها يسودُ نظامُ
فصبروا يا طرق عدلٍ وحكمةٍ تؤدّب بالاخلاص فيهِ كرامُ
يعلمنا كيف الحياة وموتنا فطاب بهِ مبدا وطاب ختامُ

ونقش على تمثال الفيلسوف المحقق نيوتن الشهير بالاتينية ما معناهُ :

نر الاحياء ان نشأ في العالم انسان البس الناس ثوب مجدٍ لا يثمَّن " ونقش على ضريحهِ تمنستر قاعدة تربيع الكميات الثنائية المشهورة في كتب الجبر وتوفي سنة ١٧٢٧

ونظم الكسيس بيرون الفرنسوي قبرية لجان باتست روسو اختصر بها حياتهُ (توفي سنة م) — « هذا ضريح الشهير والتعيس روسو فالبربان قبرهُ وباريس مهدهُ ونختصر

يران يكتب على ضريحهِ ما عرّبهُ بعضهم محصّلاً :

ه ُ رجالاً ذوي علمٍ همُ فيهِ اعرفُ

هم وعلّمهم كيف الدراهم تُصرفُ

هم باب الذي يبقى من المال متلفُ

 بالموسيقى توفي سنة ١٩٠١ فاقامت لهُ زوجتهُ على

قام اصدقاء سيفتون ومريدوهُ تمثالاً على ضريحهِ
في ونقشوا على قاعدتهِ اربعة ابيات من قلم المسيو
 سبيل وطنهِ ذكرهُ حيٌّ لا يموت »

الخاتمة)

ب المقدس وسير القديسين وغيرها مما لا تسعهُ
ا المرضوع سوى شذرات قليلة باللغة الانكليزية
ى شيء منها ولكنني اطلعت في كتاب خزائن
ين احدهما ذكرهُ في الصفحة ٣٣ وهو الجزء الثالث
وفيهِ وصايا العلماء عند حضور الموت تأليف ابي
، والثاني في الصفحة ٨٥ العدد الثامن وهو
الاسعار) جمع احمد بن خليل البردي الدمشقي
ءِ الى حرف الهاء وفيهِ بياض كثير . وحبذا لو

كتب التي لم اطّلع عليها ولا وقفت على اسمائها وقد
ليها بعد عوات صاحبها مثل قول بهاء الدين زهير وقد
دريني وهو آخر نظمهِ :

ا هذا حديث لا يليق بنا

ستروا القبيح واظهروا الحسنا

ِ وقد حضر وفاتهُ وربما كان هذا من الاوصاف
امع حالة الميت عند النزع كما ورد مثل ذلك

ونظم الشاعر توماموور المتوفى سنة ١٨٥١ قبريةً لبعض ابطال عصره . عرَّبتها ملخصةً :

بعيشك لا تهمل مدافن شجعانٍ لهم عزماتٌ أُضرمت مثل نيرانِ
فليتهمُ عادوا اتحاداً كما مضوا لكبح جماح الجور عن مجد اوطانِ
فانَّ ضريحاً ضمَّ ميتاً محاميا عن الوطن المحبوب في ظلّ سلطانِ
أجلُّ من القصر الذي فيه جحفلٌ يريدون كسب النصر ميلاً لنيشانِ

ونظم هذا الشاعر ايضاً قبريَّة لاحد المنفيين عرَّبتها ايضاً :

لجا المنفيُّ من حرّ الهواجر الى بَرْد الظلال وكان صابرْ
فحاذر ان نسيمهُ نداءٌ فتوقظهُ وكان العمر ساهرْ
غيوث دموعنا تجري عليهِ كأنداءٍ على عتب المقابرْ
تعاهدهُ الندى في الليل ولاً ليحفظ فوق مدفنهِ الازاهرْ
كذلك دمعنا المسفوح سرًّا ليحفظ ذكرهُ في النفس ناضرْ

ونظم الشاعر الفرنسوي الشهير لامارتين المتوفى سنة ١٨٦٩ قبريةً لولدٍ عرَّبتها

كان هذا الوليدُ يحلو ابتساما لَعِباً لاهياً يسرُّ الأناما
فلماذا الطبيعة الآن جارت وأرادت بحطبها أَنْ يضاما
أفليست طيور روضك تكفي ونجوم السما تنير القتاما
وزهور الرياض ترسل عرْفاً وزلال المياه يطفي أواما
فأخذتِ الوليد من حضن أُمّ لضريح تحت الازاهر قاما
هل رأيتِ الوليد عبأً بارض او اخذتِ الصغير يقضي المراما
لا اراكِ البهيجة الآن قلباً مثل أُمّ ولو طربتِ ابتساما
ان قلب الحنون مثلكِ رُحباً ملأتهُ الاكدار همًّا وهاما

ونظم الشاعر الغزلي الفرد دي موسّه قبريتهُ (توفي سنة ١٨٨٠) ومعرَّبها :

اغرسوا الصفصاف حول المقبره ذا اصفرارٍ وغصونٍ مزهره
إنني احببتُ ظلاًّ وارقاً منهُ فوق اللحد وهو المقبره

وكُتب على قبر جورج اليوت القصصية الانكليزية المشهورة المتوفاة سنة ١٨٨٠ ابيات قصيدة لها معناها " ايمكن ان اتمتع بالاتحاد مع جوق المرتلين من اولئك الموتى الخالدين الذين يحيون ثانية في افكارهم فيكونون افضل مما كانوا في حياتهم "

يضة منها مئتي جنيه الى ثلثمئة جنيه. وآخر بيضة
نيهات . ومن النوادر الغريبة المتعلقة بذلك ان
ا صغيرًا فيه اشياء مختلفة دفع ثمنها كلها نحو ١٨٠
ن كبيرتين تبيّن انهما من بيض الاوك فباع
بمئة وثمانين جنيهًا

س البوق الذي بوّق بهِ المبوق جاي في واقعة
ئة الذين خلّد تنيسن اسمهم بشعرهِ المشهور عند
ين جنيهًا

ت في بيت مع امتعة اخرى وبيعت الامتعة في
لدلال الى مخزنهِ وبعد قليل جاءهُ رجل بمركبة
كم تدفع ثمنها فقال ادفع ٣٠٠ جنيه فبهت الدلال
نهُ قال لهُ لا اظن ان صاحبها يبيعها بهذا الثمن تم
غة القرن السادس عشر وطلب الخبير ان يشتريها
المزاد وعرضها للبيع فبلغ ثمنها ١٠٥٣ جنيهًا او
شتراها منها

جدها ارل كوفنتري في بيتهِ في غرفة مهجورة
للبيع بالمزاد سنة ١٨٧٤ ورسا مزادها على ارل

رة جيورجينا دوقة ديفنشير وهي من تصوير
١٨٧٦ اشتراها رجل اسمهُ اغنو بمبلغ ١٠١٠٠
سرقة دخل اللص الغرفة التي كانت بها وقطعها
بهِ احد . فعرض صاحبها جائزة الف جنيه لمن
عنها في كل مكان فلم يجدوها واخيرًا ثبت ان
بل لكي يلجئ صاحبها الى اطلاق رجل من اتباع
ي قصة مشهورة سنأتي عليها في فصل آخر .
صاحبها للمستر بيربنت مورغان الاميركي

انّي اظن البلى لو كان يذهبهُ صدَّ البلى عن بقايا وجهك الحسنِ
يا يومهُ لم تدع حسنًا ولا ادبا الا حكمت بهِ للحد والكفنِ
لله مقلتهُ والموت يكسرها كأن اجفانها سكرى من الوسنِ
يردُّ انفاسهُ كرهًا وتعطفها يدُ [illegible]
يقول ما ابصرت عيني ولا سمعت اذني [illegible] ابصرت عيني ولا اذني
لم يبقَ من بدني جزء علمت بهِ الا وقد حلَّه جزء من الحزنِ
كان اللحاق بهِ اهنا واحسن بي من ان عيش سقيم الروح والبدنِ

وفي الختام ارجو المعذرة عما فرط من الخطإ في النقل او الترجمة والعصمة لله وحدهُ وهو سبحانهُ وتعالى اعلم
عيسى اسكندر المعلوف

[المقتطف] كانت هذه الاختصارات والتفريات اكثر مما نشر فعذرنا كتبنا منها ما يليق بالمقام او لاننا لم نرَ فائدة خاصَّة من نشره

نفائس الدلالين

من قبل ان قال عنترة العبسي او قيل عن لسانهِ "حصاني كان دلال المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا" كان الدلالون يبيعون كل علق نفيس حتى لقد باعوا [illegible] المملكة الرومانية كلها . عرضها الحرس الخاص للبيع سنة ١٩٣ للميلاد بعد ان قتلوا امبراطورهم برتيناكس [illegible] مزادها على يوليانوس احد اغنياء رومية وكان سلبتيانوس حمو برتيناكس قد عرض ان يعطي كلًّا منهم ما يساوي ١٦٠ جنيهًا تقريبًا وهم نحو عشرة آلاف رجل فعرض يوليانوس ان يعطي كلًّا منهم ما يساوي مئتي جنيه اي انهُ اعطاهم مليونين من الجنيهات ثمن المملكة الرومانية فنادوا بهِ امبراطورًا

ومتى كثر الغنى تنافس الاغنياء في اقتناء التحف النادرة والاعلاق الثمينة . وقد لا يكون للشيء ثمن لذاتهِ ولا تكون منهُ منفعة ما ومع ذلك يغالي الاغنياء بثمنهِ لندرتهِ ولانهم يطلبون الامتياز بهِ على غيرهم . والظاهر ان الانكليز والاميركيين فاقوا الناس اجمع في المغالاة بما هو نادر فاذا وقف دلال مشهور من دلاليهم وعرض شيئًا نادرًا او منقطع النظير تسابق اغنياؤهم الى ابتياعهِ وتزايدوا بالمئات والالوف كأن الذهب صار ترابًا . فمما يتنافسون فيه ويغالون بثمنهِ بيض الاوك وهو طائر انقرض منذ ستين سنة وعثروا على نحو سبعين بيضة

جنيه واشترى اخر صورة بثلاثة آلاف جنيه ثم باعها بستة آلاف وصورة مسز سدنز صورها رينلدز واخذ ثمنها ١٥٠ جنيهاً بيعت منذ عهد قريب بسبعة عشر الف جنيه ي اشتراها باعها باثنين وعشرين الف جنيه . وبيعت سنة ١٦٨٣ صورة من تصوير برو بستة وستين جنيهاً ثم بيعت منذ سنتين بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٥٠٠ جنيه . وبيعت صور أُخرى من تصويره فبلغ ثمنها معاً ٨٩٠٠ جنيه ولو كان أُعطي فيها مئة جنيه في لعدها صفقة رابحة

وبيعت صورة من تصوير المصور رمني بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٢٠٧ جنيهات و١٠ شلنات ت الاجرة التي اخذها لتصويرها اربعين جنيهاً لا غير . وباع المصور ملايز صورة من بنحو خمسة جنيهات ثم بيعت بعد ذلك بثلاثين سنة بمبلغ ٢٣٢٦٦ جنيهاً . واشترى صورة قديمة في باريس بخمسين فرنكاً ثم ثبت انها من تصوير رفائيل فباعها ثمانين فرنك . واشترى آخر صورة من تصوير روبنسن بخمسة جنيهات وهي تساوي الآن آلاف جنيه

رابطة السلام (١)

يها الرئيس وايها التلامذة . افتتح المقال بالشكر لكم . بالشكر القلبي للذين تكرَّموا انتخابي لمنصب الادارة من غير اختلاف واني اعدُّ ذلك شرفاً لي واهنئكم لانكم باعادة قد اعدتم انتخاب مساعدي الغيور الدكتور روس صاحب الهمة العلياء

يانتم ايها الشبان تتأهبون الآن للجري في ميدان العالم ولي الثقة انكم قد عقدتم النية على ما فيهِ من الشر ومعاضدة ما فيهِ من الخير حتى تتركوهُ وهو احسن مما كان لمَّا دخلتموهُ. من انكم تفكرون الآن في العمل الذي تختارونهُ والاشغال التي تشتغلون بها وما هي لاظهار مقدرتكم . وعسى ان تسأَلوا ايضاً ما هي الشرور التي يجب عليكم ان ملوها او تضعفوا قوتها على الاقل وما هي الاعمال التي يجب عليكم ان تقوموا بها نحو وامتكم . وستجدون العالم اصلح مما وجدهُ اسلافكم وهذا مما يسرُّ الخاطر ولكن لا يزال كبير يفوق كل الشرور فداحةً فاوجه اليهِ انظاركم في هذه الساعة أَلا وهو قتل الناس بعضاً كأَنهم وحوش ضارية اي استخدام الحروب لحل ما بينهم من المشاكل مع ان

---

(١) خطبة المستر اندرو كارنجي المثري الشهير في مدرسة سنت اندرو الجامعة

وقد اشترى بيربنت مورغان من التحف الثمينة ما
في هذا الجدول

صورة العذراء التي صورها رفائيل لكنيسة مار انطو
القطيف الذي صنعهُ فان ايك
الالواح التي صورها فرنجونارد لمدام دي باري
اربعة قطف رسم المصور بوشه
صورة غاينسبرو المذكورة آنفاً
مجموعة غاليغانو الفضية
مجموعة مناحيم من الخزف الميورقي
مجموعة غارلند من الخزف الصيني
صورة من تصوير هوبما
والجملة

ويقال انهُ اشترى صورة ايطالية مشهورة بمليون جنيه
هذا ونعود الى نفائس الدلالين فمن اثمنها حقٌّ من ال
مركيز انجلسي وبيع بالمزاد فبلغ ثمنهُ ٤٠٠٠ جنيه . ومنها
تودور بلغ ثمنها ٤١٠٠ جنيه . وكاسٍ أُخرى من البلور بي
١٦٢٧٥ جنيهاً وكان صاحبها قد قدَّر ان ثمنها يصل الى
ستة عشر الفاً. ومنها ماسة اغرا الوردية كانت من جواهر ا
وأُخذت من سلطان دهلي سنة ١٨٥٧ وأُخرجت من بلا
من الطعام واطعمت لفرس ووصلت الى بلاد الانكليز وبي
فقط وهو ثمن بخس بالنسبة الى ما تساويهِ لان زنتها ٣١
وقد بيع بالامس مكتوب من مكاتيب نلسن التي ك
جنيه . وبيعت الكمنجة التي كان يستعملها انطونيو ستراديف
ورقة واحدة من طوابع البوستة فبلغ ثمنها ١٤٥٠ جنيهاً و
اقل من غرش طبعت لبوسطة موريتيوس
والظاهر ان الصور تلقى من الراغبين ما لا يلقاهُ غيره
صورتين من تصوير نيقولا الياس المصور الهولندي بالف

ضهِ وهم يغالون بها الآن فيباع ثمن البيضة منها مئتي جنيه الى ثمانمئة جنيه وآخر بيضة منها في العام الماضي بلغ ثمنها ٢١٠ جنيهات . ومن النوادر غريبة المتعلقة بذلك ان حضر مزادًا في قرية واشترى صندوقًا صغيرًا فيهِ اشياء مختلفة دفع ثمنها كلها نحو ١٨٠ ثم وجد في قاع هذا الصندوق بيضتين كبيرتين تبيَّن انهما من بيض الاوك فباع ا بمئتين وثمانين جنيهًا وباع الاخرى بمئة وثمانين جنيهًا

من التحف التي باعها الدلال بثمن فاحش البوق الذي بوَّق بهِ المبوق جاي في واقعة ا وقت حرب القرم حين هجم الستمائة الذين خلَّد تنيسن اسمهم بشعرهِ المشهور عند يز فقد بيع هذا البوق بسبع مئة وخمسين جنيهًا

منها ثلاث كؤوس من الفضَّة وجدت في بيت مع امتعة اخرى وبيعت الامتعة في ياما الكؤوس فلم يشترها احد ونقلها الدلال الى مخزنهِ وبعد قليل جاءهُ رجل بمركبة وطلب ان يشتريها فقال لهُ الدلال كم تدفع ثمنها فقال ادفع ٣٠٠ جنيه فبهت الدلال يظن انها لا تساوي ثلاثة جنيهات لكنهُ قال لهُ لا اظن ان صاحبها يبيعها بهذا الثمن ثم خبيرًا واراهُ اياها فوجدها من صياغة القرن السادس عشر وطلب الخبير ان يشتريها ئة جنيه فقال الدلَّال لا ابيعها الاَّ بالمزاد وعرضها للبيع فبلغ ثمنها ١٥٣ جنيهًا او ك الرجل ثلاثة جنيهات او نحوها لاشتراها منها

منها ذات كؤوس من خزف سفر وجدها ارل كوفنتري في بيتهِ في غرفة مهجورة بها الى الدلال كرستي المشهور فعرضها للبيع بالمزاد سنة ١٨٧٤ ورسا مزادها على ارل عشرة آلاف وخمسمائة جنيه

ن اغرب نوادر الدلالة ما حدث لصورة جيورجينا دوقة ديفنشير وهي من تصوير غاينسبرو بيعت هذه الصورة بالمزاد سنة ١٨٧٦ واشتراها رجل اسمهُ اغنو بمبلغ ١٠١٠٠ بعد ايام قليلة التفت اليها فوجدها مسروقة دخل اللص الغرفة التي كانت فيها وقطعها رها ولفَّها وخرج بها من غير ان يشعر بهِ احد . فعرض صاحبها جائزة الف جنيه لمن اليها وبحث رجال البوليس السري عنها في كل مكان فلم يجدوها واخيرًا ثبت ان ث اللص المشهور سرقها لا طمعًا بثمنها بل لكي يلجئ صاحبها الى اطلاق رجل من اتباع كان مسجونًا في باريس ولهذا اللص قصَّة مشهورة سنأتي عليها في فصل آخر .

رُدَّت الصورة الى مكانها وباعها صاحبها للمستر بيربنت مورغان الاميركي الف جنيه

اني اظن البلى لو كان يذهبهُ ... صدّ البلى عن بقايا وجههِ الحسنِ

يا يومهُ لم تدع حسنًا ولا ادبًا ... الا حكيتَ بهِ لحد والكفنِ

لله مقلتهُ والموت يكسرها ... كأن اجفانها سكرى من الوسنِ

يردُّ انفاسهُ كرهًا وتعطفها ... يدُ المنية عطف الريح للغصنِ

يا هول ما ابصرت عيني وما سمعت ... اذني فلا ابصرت عيني ولا اذني

لم يبقَ من بدني جزء علمتُ بهِ ... الا وقد حلَّهُ جزء من الحزنِ

كان اللحاق بهِ اهنا واحسن بي ... من ان اعيش سقيم الروح والبدنِ

وفي الختام ارجو المعذرة عما فرطَ من الخطإِ في النقل او الترجمة والعصمة لله وحدهُ وهو
سبحانهُ وتعالى اعلم

عيسى اسكندر المعلوف

[المقتطف] كانت هذه الاختصارات والتعريبات اكثر مما نستحسنهُ فما كتبنا منها
عن المقام او لاننا لم نرَ فائدة خاصة من نشرهِ

نفائس الدلاَّلين

من قبل ان قال عنترة العبسي او قيل عن لسانهِ "حصاني كان دلال المنايا فخاض غبارها
وباعا" كان الدلاَّلون يبيعون كل علقٍ نفيس حتى انهم باعوا المملكة الرومانية
كلها . عرضها الحرس الخاص للبيع سنة ١٩٣ للميلاد بعد ان قتلوا امبراطورهم برتيناكس
فرسا مزادها على يوليانوس احد اغنياء رومية وكان سلبتيانوس حمو برتيناكس قد عرض ان
يعطي كلاً منهم ما يساوي ١٦٠ جنيهًا بعملتنا وهم نحو عشرة آلاف رجل فعرض يوليانوس
ان يعطي كلاً منهم ما يساوي مئتي جنيه اي انهُ اعطاهم مليونين من الجنيهات ثمن
المملكة الرومانية فنادوا بهِ امبراطورًا

ومتى كثر الغنى تنافس الاغنياء في اقتناء التحف النادرة والاعلاق الثمينة . وقد لا يكون
الشيءُ ثمينًا لذاتهِ ولا تكون منهُ منفعة ما ومع ذلك يغالي الاغنياء بثمنهِ لندرتهِ ولانهم
يطلبون الامتياز بهِ على غيرهم . والظاهر ان الانكليز والاميركيين فاقوا الناس اجمع
في المغالاة بما هو نادر فاذا وقف دلاَّل مشهور من دلاليهم وعرض شيئًا نادرًا او منقطع النظير
تسابق اغنياؤهم الى ابتياعهِ وتزايدوا بالمئات والالوف كأَن الذهب صار ترابًا . فمما يتنافسون
فيه ويغالون بثمنهِ بيض الاوك وهو طائر انقرض منذ ستين سنة وعثروا على نحو سبعين بيضة

ومئة جنيه واشترى اخر صورة بثلاثة آلاف جنيه ثم باعها بستة آلاف وصورة مسز س
التي صورها رينلدز واخذ ثمنها ١٥٠ جنيهاً بيعت منذ عهد قريب بسبعة عشر الف ج
والذي اشتراها باعها باثنين وعشرين الف جنيه . وبيعت سنة ١٦٨٣ صورة من تص
غاينسبرو بستة وستين جنيهاً ثم بيعت منذ سنتين بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٥٠٠ جنيه . وبي
اربع صور أُخرى من تصويرهِ فبلغ ثمنها معاً ٨٩٠٠ جنيه ولو كان أُعطي فيها مئة جنيه
حياتهِ لعدها صفقة رابحة

وبيعت صورة من تصوير المصور رمني بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٣٠٧ جنيهات و١٠ شلن
وكانت الاجرة التي اخذها لتصويرها اربعين جنيهاً لا غير . وباع المصور ملايز صورة
صورهِ بنحو خمسة جنيهات ثم بيعت بعد ذلك بثلاثين سنة بمبلغ ٢٣٢٦٦ جنيهاً . واشتر
رجل صورة قديمة في باريس بخمسين فرنكاً ثم ثبت انها من تصوير رفائيل فباعها بثمانين
الف فرنك . واشترى آخر صورة من تصوير روبنس بخمسة جنيهات وهي تساوي ا
سبعة آلاف جنيه

رابطة السلام(١)

ايها الرئيس وايها التلامذة . افتتح المقال بالشكر لكم . بالشكر القلبي للذين تكر
اعادة انتخابي لمنصب الادارة من غير اختلاف واني اعدُّ ذلك شرفاً لي واهنئكم لانكم باعا
انتخابي قد اعدتم انتخاب مساعدي الغيور الدكتور روس صاحب الهمة العلياء

وانتم ايها الشبان تتأهبون الآن للجري في ميدان العالم ولي الثقة انكم قد عقدتم النية ع
مقاومة ما فيهِ من الشر ومعاضدة ما فيهِ من الخير حتى تتركوهُ وهو احسن ممَّا كان لمَّا دخلتموه
لا بدَّ من انكم تفكّرون الآن في العمل الذي تختارونهُ والاشغال التي تشتغلون بها وما
لسبيل لاظهار مقدرتكم . وعسى ان تسألوا ايضاً ما هي الشرور التي يجب عليكم ان
تستأصلوها او تضعفوا قوتها على الاقل وما هي الاعمال التي يجب عليكم ان تقوموا بها نحو
وطنكم وامتكم . وستجدون العالم اصلح مما وجدهُ اسلافكم وهذا مما يسرُّ الخاطر ولكن لا يزا
بهِ شرٌّ كبير يفوق كل الشرور فداحةً فاوجه اليهِ انظاركم في هذه الساعة ألا وهو قتل النا
بعضهم بعضاً كأَنهم وحوش ضارية اي استخدام الحروب لحل ما بينهم من المشاكل مع ا

(١) خطبة للمستر اندرو كارنجي المثري الشهير في مدرسة سنت اندرو الجامعة

وقد اشترى بيربنت مورغان من التحف الثمينة ما دفع ثمنهُ ٧٤٠٠٠٠ جنيه كما ترى في الجدول

صورة العذراء التي صورها رفائيل لكنيسة مار انطونيوس البادواني	١٠٠٠٠٠ جنيه
لقطيف الذي صنعهُ ڤان ايك	١٠٠٠٠ "
الالواح التي صورها فرنجونارد لمدام دي باري	٧٠٠٠٠ "
اربعة قطف رسم المصور بوشه	٨٠٠٠٠ "
صورة غاينسبرو المذكورة آنفاً	٤٠٠٠٠ "
مجموعة غاليئانو الفضية	٦٠٠٠٠ "
مجموعة مناحيم من الخزف الميورقي	٩٠٠٠٠ "
مجموعة غارلند من الخزف الصيني	١٥٠٠٠٠ "
صورة من تصوير هوبما	٥٠٠٠٠ "
والجملة	٧٤٠٠٠٠

ويقال انهُ اشترى صورة ايطالية مشهورة بمليون جنيه ولكنهُ لم يستطع اخراجها من ايطاليا هذا ونعود الى نفائس الدلالين فمن اثمنها حقٌّ من البلور وُجد بين المهملات في بيت انجلسي وبيع بالمزاد فبلغ ثمنهُ ٤٠٠٠ جنيه . ومنها كاس من الفضة وهي المعروفة بكاس بلغ ثمنها ٤١٠٠ جنيه . وكاسٍ أُخرى من البلور بيعت بالمزاد في العام الماضي فبلغ ثمنها ١٦ جنيهاً وكان صاحبها قد قدَّر ان ثمنها يصل الى ٥٠٠٠ جنيه فوصل الى اكثر من عشر الفاً . ومنها ماسة اغرا الوردية كانت من جواهر السلطان بربر مؤسس سلطنة المغول ت من سلطان دهلي سنة ١٨٥٧ وأُخرجت من بلاد الهند بان وضعت في قلب كرة طعام واطعمت لفرس ووصلت الى بلاد الانكليز وبيعت بالمزاد فبلغ ثمنها ٥١٠٠ جنيه وهو ثمن بخس بالنسبة الى ما تساويهِ لان زنتها ٣١ قيراطاً ولونها قرنفلي جميل

وقد بيع بالامس مكتوب من مكاتيب نلسن التي كتبها الى زوجتهِ اما هملتون بالف . وبيعت الكمنجة التي كان يستعملها انطونيو ستراديڤاري فبلغ ثمنها ٧٥٠ جنيهاً وبيعت واحدة من طوابع البوستة فبلغ ثمنها ١٤٥٠ جنيهاً وهي وحيدة في نوعها وثمنها الاصلي ن غرش طبعت لبوسطة موريتيوس

والظاهر ان الصور تلقى من الراغبين ما لا يلقاهُ غيرها من التحف فبالامس اشترى واحد نين من تصوير نيقولا الياس المصور الهولندي بالف ومئتي جنيه ثم باعها بثلاثة آلاف

ءًا من الحشمة والحنان لطيفاً شفيقاً على كل الاحياء .
جمع التروس والرماح وردّ القسي والسهام الى جعبها "
م بقرون كثيرة ان مقاومة السلم اثم . واوصى بوذا
جميع الناس " وقال الهنود " ان من كان كريم
احد "

يشرون (١٠٦ — ١٣ ق م) " لا يجوز ان يقوم
مران الاّ دفاعاً عن دينهم او كيانهم . ولحسم الخصام
ش والاول سبيل الخلائق التي أُعطيت قوة العقل "
، كثيراً في الحض على السلم قبلما اجمعنا على شيء
نت في خطر مبين " . هذا قول قائد محب لوطنهِ وهو

م) " لما علم مجلس الشيوخ بشبوب الحرب اختار
الى الملكين المتحاربين ليقولوا لهما بلسان الشيوخ
لهما ان يلقيا سلاحهما ويفصلا خصومتهما بالتحكيم
بين "
" لقد شاع حب القتال وشر الحرب الذي هو جنون
الوغى ويداي ملطختان بالدماء فلا يحل لي ان المس
بماء جارٍ "
" انما نقمصُ من القاتل اذا قتل رجلاً ولكن ماذا
ون امةً باسرها . ان حبّ الظفر جريمة كالقتل
لازل "
تبر اقدر الناس على ايقاظ الفتنة ووقوع العداوة .
"
المسيح بثلاثين سنة " لا حرب بين الذين لم يولدوا
، الملاذ او التفاني في طلب المجد والسلطة "
والآن استميحكم بذكر بعض الاقوال التي قالها آباء

الحرب هي كما قال فيها روسو " اقبح سيطان ينتفذ حبنهم من فيها " . ولقد عدها كذلك احد الناس وافضلهم واتقاهم من اقدم العصور الى الآن

قال هوميروس الذي كان قبل المسيح بنحو ثمنمئة وخمسين سنة " ان من اشترك في فظائع الفتن الاهلية بارادته فقد تعدى حقوق الدين والاهل والوطن "(١) وانطق زوس رئيس الآلهة بقوله مخاطباً اريس اله الحرب " دعني منك ومن شكاويك ايها الخائن انك اكره الي من ارباب الاولمبس لان دأبك الخصام والحرب والقتال "(٢)

وقال يوربيدس (٤٨٠ — ٤٠٦ قبل المسيح) " لماذا تشرعون رماحكم ايها الناس وتطعنون بها اخوتكم . اليكم عن ذلك احذروا ايها الحمقى الذين تبغون جراء الشجاعة الحمقاء طالبين ان تسكّنوا اضطراب الناس بالقتال لانه ان كانت الخصومات تفصل بسفك الدم فلا نهاية للخصام "

وقال تيوسيديدس بين سنة ٤٢٣ و٤٠٣ قبل المسيح . " تنشأ الحروب من اسباب حقيرة وطفيفة والغالب ان يكون مبدأها نفثة غيظ " . ثم قال ما يجب ان يكون دستوراً لنا وهو " من يلجأ الى التحكيم لم تجز مناجزته " . ومدح ارستيدس بركليس لانهُ رضي بالتحكيم تجنباً للقتال

وقال اندوسيدس (٤٤٠ — ٣٨٨ قبل المسيح) " هذا اذاً ايها الاتيليون هو الفرق المميز بين الاثنين السلم هو الامان للتعب والحرب الدمار العاجل "

وقال اسوكراتس (٤٣٦ — ٣٣٨ ق . م) " يجب ان نسالم الجميع ونبسط بالسلم ولكن ذلك لا يكون الا بعد ان نقتنع ان الراحة خير من التعب والعدل خير من الظلم و [illegible] خير من الطمع بما للغير " " خطبتهُ في السلم "

ولقد توخت كتب المشرق الدينية الحض على السلم فقالت " ان بوده عاش مزيلاً للخصام مقوياً للصداقة مسالماً ومحبّاً للسلام مغرماً بهِ ومتكلماً عنهُ ههنا صراحةً حرّم القتل وتجنّبه

(١) [المقتطف] نظم ذلك سليمان افندي البستاني في الترجمة العربية بقولهِ في الالياذة (صفحة ٥٤

ولا شرع لا مأوى ولا اسرة لمن   يتيه في القوم يفسد عائثا

(٢) [المقتطف] وقد ترجمها البستاني بقولهِ في النشيد الخامس صفحة ٤٣٤

فاطرق زوس معيظاً وقال   عتوت ولا تستقرّ بحال

فلا تشكُ امرك بعدُ اليا   فانك ابغض ربٍّ لديا

فدأبك ما زال بين الانام   شقاقاً ومفسدة واختصام

وان كانت الترجمة الانكليزية مطابقة على الاصل اليوناني فيكون الاولى بالبيت الاخير ان يكتب هكذا

فدأبك ما زال بين الورى   خصاماً وقتلاً وحب الوغى

س خصم المسيحيين الالد سنة ١٧٦ معيّرًا اياهم بانهم يحرّمون حمل السلاح
يًّا واحدًا في جيش كبير من الجند الروماني يبلغ تلك العساكر الرومانية كلها
غريغوريوس الكبير الى ملك لمبارديا يقول له " انك باختيارك السلام
ه صانع السلام "
وشنتيوس الثالث معترضًا على الحرب بين فيلبس ملك فرنسا وريكاردس
المسيح ترك السلام لتلامذتهِ حينما كان عازمًا على تتميم عمل الفداء مريدًا
ا تركهُ لهم وقت موتهِ اثبتهُ لهم وقت قيامتهِ بقولهِ سلام لكم وهو اول
مة . والسلام ثمرة المحبة التي هي اتمام الناموس . وكيف يحب الله من

، " انهُ اذا كان في اعمال الناس شيءٌ يجب ابطالهُ ونفيهُ وتجنبهُ ومقاومتهُ
رب "
ُ ان المدافع والبنادق آلات محرَّمة وعندي انها من اختراع الشيطان
دم في حلم الآلات الجهنميَّة التي استنبطها ابناؤهُ لمات غمًّا "
يخ الديانة المسيحيَّة اوضح من ان رجالها الاولين كانوا يقولون ويحتمون
الناس في الحروب وحرَّم عليهم الانتظام فيها . ولقد كان السبب الاكبر
ن وغير المسيحيين من الرومانيين ان المسيحيين ابوا الانتظام في سلك
مَّا تلا ذلك من التغيير اذ نرى قسوس المسيحيين يرافقون جنودهم الى
ـرون على رفع اصواتهم الى الحق سبحانهُ طالبين منهُ ان يؤيد جيوشهم
قبيح وهو قتل الناس . واذا كانت الأمتان المتحاربتان مسيحيتين كما يحدث
ل امَّة منهما يطلبون من اله الحروب باسم ملك السلام ان يؤيد امتهم
، كنائسهم وهم ناشرون الرايات امثلة للمذابح الدمويَّة . ما هذا الالحاد
ان الوثنيين كانوا لا يجسرون على الدنو من آلهتهم قبل ان يغتسلوا
الحروب
يم كل المشترعين قد تغيَّرت بعض التغيُّر حينما عُمل بها ولكن مما يقضي
بح واتباعهِ من حيث الحرب والمحاربون قد انقلبت تمامًا . وما احسن ما
ـدد وهو " لا اقبح مما اجمع عليهِ الناس الآن من جهة الحرب فقد وقع
لة والحاكم والمحكوم على نصرة الشر في اوسع معانيهِ . أَلبِسْ انسانًا ثوبًا

ـة الاولون لانهُ لا بد من ان يكون لها وقع بنوع خاص في نفوس الذين يدرسون الدينية منكم

ال يوستنيانوس الشهيد الذي توفي سنة ١٦٥ " لقد تمَّت النبوات لاننا نحن الذين قتل بعضنا بعضاً لم نعُد نقاتل اعداءنا "

قال القديس ايرونيموس (١٤ — ٢٠٢) " ان المسيحيين قد صنعوا سيوفهم ورماحهم سلام ولا يعرفون الحرب "

قال اكليمندس الاسكندري الذي كتب في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث " ان لمسيح لا يستعملون شيئاً من آلات القتال "

قال ترتليانُوس (١٥٠ — ٢٣٠) " كيف يمضي المسيحي الى الحرب وكيف يحمل ح وقت السلم والرب قد حرَّم السيف علينا فانهُ امرنا بطرح السيف حينما قال لبطرس سيفك من يدك "

قال اورجنوس (١٨٥ — ٢٥٤) " ان الملائكة لتعجب من ان المسيح جاء بالسلام الى ن وهي تراها مشحونة بالحروب "

قال القديس كبريانوس (٢٠٠ — ٢٥٧) " ان المسيحيين لا يحاربون من يحاربهم لا يحق للبريء ان يقتل الاثيم "

قال ارنوبيوس الذي كتب نحو سنة ٢٩٥ " انهُ لو جرى الجميع على قول المسيح واطلوا ن السلاح لعاشوا بالسكينة والامن وقويت بينهم رابطة الحب والوئام "

قال لكتنتيوس الذي كتب في اوائل القرن الرابع " انهُ لا يجوز للرجل الفاضل ان لان الحرب والفضيلة ضدَّان. والذي نهى الله عنهُ ليس القتل المدني لان هذا تجازي شرائع المدنيَّة بل القتل الذي تحللهُ الشرائع المدنيَّة وهو قتل الناس في الحرب ولذلك ‌ لمسيحي ان يتسلَّح بالسيف والرمح لان العدل سلاحهُ . والامر الالهي لا يستثني ن الدم مقدَّس وسفكهُ محرَّم فهل هذا سبيلكم الى النعيم ان تخربوا المدن وتقفروا وتقتلوا السكان او تستعبدوهم "

قال اثناسيوس (٢٥٦ — ٣٧٣) " انهُ حينما يسمع الناس تعاليم المسيح يبدلون الحرب مة ويرفعون ايديهم بالصلاة بدلاً من رفعها بالسلاح "

قال القديس اوغسطينوس (٣٥٤ — ٤٣٠) " ان حرب الدفاع هي الحرب الوحيدة ويجوز فيها وحدها للجندي ان يقتل خصمهُ اذا لم يجد سبيلاً آخر لوقاية بلدهِ او اخوتهِ "

من اشعة النور . فانظروا كيف كانت الحروب وكيف صارت لم
ان الناس يستحلون اغتيال الحكام والقوّاد ويستأجرون من يسمهم
قتلون الاسرى او يستعبدونهم ويعذبون من يقع حيًّا في يدهم من
لا يعفون عن امرأة ولا عن رضيع . وكان غرضهم الاول

ن اذكر لكم خلاصة تاريخ الامور التي خففت ويلات الحروب
د المجمع اليوناني الامفكتيوني الذي انشئ قبل المسيح بثلاثة قرون
الوا انهُ اذا تحارب اليونان وجب ان يتحاربوا كاناس يقصدون ان
وا احراق البيوت وتخريب البلاد وقالوا ان الحرب خاصة بالجنود
اعداءٌ يجوز قتلهم
ير في تخفيف ويلات الحروب كتاب غروتيوس في حرية البحر الذي
انيا وبريطانيا والبرتغال كانت تدعي ان البحار مقفلة الّا عن
لها . وكتابهُ الثاني الذي موضوعهُ حقوق الحرب والسلم فانهُ اثّر
لناس حتى ان الكردينال رشليه عفا عن حامية المضغوط في مدينة
منهُ ان يستبيحهم قتلاً ونهباً لانهم هراطقة وقتلهم فضيلة فنقم عليهِ
الشيطان ورئيس الكفار . ثم جاءت عهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨
ين سنة في المانيا والثمانين سنة في هولندا وعصر التوحش في بلدان
تأثير كتاب غروتيوس في النفوس القائل ان كل ملك مستقلّ
تساوية في الحقوق وانهُ لا بدَّ من الجري على موجب قوانين العدل
اسم ذلك الفاضل في انتقال الناس من الحروب الدموية التي
الحروب الخاضعة للقوانين الدولية والحقوق المتبادلة فهو ابو السنن
من حيث علاقتها بالحرب والسلم
ولية بان ليس لها قوَّة تنفذها فلا يدعو الناس للعمل بها الّا حب
مديونون ديناً عظيماً للذين عززوها
ثًا في قوانين الحرب الاصلاح الذي تضمنتهُ معاهدة باريس سنة
طون (١٨٧١) . واتفاق بروكسل (١٨٧٤)
مت تسليح السفن التجارية وارسالها للغزو والنهب فاقتصرت الحروب

سًا ولقبهُ لقباً مخصوصاً فتصير لهُ سلطة على ارتكاب كل الموبقات على القتل والنهب ونزع
والسعادة يفعل ذلك ويجازى عليهِ احسن جزاءٍ . وسيأتي عصر لا يصدق اهلهُ اننا
نزيد اكراماً للناس على نسبة ما يزيدون في إشقاء غيرهم الأ بعد ان يروا الادلة
ية على ذلك في تاريخنا»

وقال باكون «لاسبيل لان تعد الحرب مقدسة ما لم تسحق الديانة المسيحية في هاون
ب منها ديانة جديدة»

يظهر لي ان الديانة المسيحية لم تقصّر في شيءٍ من اعمالها كما قصّرت في نظرها الى الحرب اذا
ا الآن بما كان عليهِ رجالها القريبون من عهد المسيح . وسكوتها حينما تستطيع ان تمنع
، لو نطقت بكلمة . وصمتها في زمن تأجج نيران القتال . واغضاؤُها في زمن السلم عن المجاهرة
ل الانسان المخلوق على صورة الله مخالف لتعاليمها الاساسية . واستخدام شعائرها
ة للغايات الحربية الاثيمة — كل ذلك دعا الوزير بلفور لتشهيرها بقولهِ «ان الكنيسة
ن الآن بمسائل لا تساوي غبار الميزان بالنسبة الى الامور الجوهرية التي يُطلَب منها
ام بها»

ويمكن ان تملأ مجلدات كبيرة باقوال كبار المحدثين الذين ذموا الحرب — فاجتزئ
ن منها

قال لورد كلارندون (١٦٠٨ — ١٦٧٤) «لا تستطيع ان تصوّر صورةً لجهنم
من صورة بلاد نشبت فيها حرب»

وقال جبون «ان اللص والقاتل ينعتان بنعتهما الحقيقي ولكن فعال جيش كبير تعدّ
شريفة محللة»

وقال السر داقد بروستر (١٧٨١ و ١٨٦٨) الذي كان رئيساً لهذه المدرسة «لا شيءَ
يخ نوع الانسان اغرب من ان الحرب ابنة البربرية تبقى في عصر النور والعمران الآ
ا حيث مرّ على الديانة المسيحية نحو الفي سنة وهي تلقي اشعة نورها واجتهاد بعض
ن في الاستدلال على جواز الحرب بآيات من الكتاب»

وقال الوزير جون هاي الذي توفي حديثاً وهو من اعظم وزراء اميركا واحكمهم «ان
ب اسخف جهالات الناس واقبحها»

ولقد عمل الانسان اعمالاً جليلة في ارتقائهِ من حال الهمجية فابطل كثيراً مما كان
معيباً واما الحروب فلا تزال وصمة عار تلطخ الارض وتعيب العمران . ولكن هذا

الغدر ووافقهم الناس على ذلك الى اوائل القرون الماضي وحينئذٍ زعم البعض ان الـ
على غرّة امر جائز ويقول البعض الآن ان اعلان الحرب ليس واجباً بل يمكن الشـ
قبل اعلانها رسمياً . هذا هو الامر الوحيد الذي رجعنا فيه الى الوراء . غدر قبيح
عن استئجار القتلة لاغتيال القوّاد بالسم او بالخنجر وسم المياه التي يشرب منها
والاتفاق معهم على امر ثم الغدر بهم . نعم ان اغتيالك الخصم وانت تذاكرهُ في حل
وبينهُ من الاشكال بطريقة ودية وقبل ان تعلنهُ بيداءة الحرب غدر قبيح يستهجن
صناعة قتل الناس التي هي اقبح الصناعات واي غدر اقبح من ان تصافح خصمك بيد
وتتلطف له في الحديث والخنجر في يدك اليسرى تطعنهُ بهِ خلسةً . والحرب بين الام
بين الافراد فاي مبارز لا يعلن خصمهُ بعزمهِ على مبارزتهِ . وعسى ان يظهر مؤ
التالي في هذا الامر ويثبت ان الغدر على هذه الصورة مناقض لقوانين الحرب وان
من العود الى الاصطلاح القديم وهو اعلان الحرب قبل شبوبها فانهُ اقرب الى الشهامة

نأتي الآن الى الامر العظيم الذي يعتمد عليهِ اضداد الحرب وانصار السلم وهو

اول من اشار بالتحكيم من المحدثين امرك كروس الذي ولد بباريس سنة ١٠
الّف كتاباً صغيراً في هذا الموضوع لم يبقَ منهُ الى الآن الاّ نسخة واحدة وقد اشا
اناس كثيرون قبلهُ ولكن كروس اول من قال بان يستعاض عن الحرب لحسم ما بين ا
الخلاف بمجلس تحكيم عام يفصل في ذلك الخلاف ويكون فصلهُ حكماً نافذاً على المتقا

واهتمّ الملك هنري الرابع سنة ١٦٠٣ باتحاد ممالك اوربا كلها لابطال الحرب
اراد ان يفعل ذلك بالقوة فحبط مسعاهُ

وقام بعدهُ من بنز ودوق لوربن ووليم بن ومؤسس جماعة الكواكر في بنسلفان
وكنت ومل وغيرهم وتمنوا كلهم في ابدال الحرب بقانون تفصل بهِ الخصومات الدو
كلهُ دليل على رغبة الناس المتزايدة في ابطال الحرب وابدالها بالقانون والتحكيم

ولقد كانت مؤتمرات السلم تلتئم بعد الفراغ من الحرب لعقد الصلح بين المتحاربين
مؤتمر السلم الذي أُقيم في مدينة الهاي بهولاندا هو اول مؤتمر انشئَ للبحث عن الوسا
يحفظ بها السلم قبل الحرب وقد حضرهُ ارباب ست وعشرين امةً وفي جملتها كل الدول
والتأم بدعوة من قيصر روسيا الحالي في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ . وهو اول مؤتمر
فيهِ امنية كروس لانهُ مجلس تحكيم عام للفصل في الخصومات التي تقع بين الدول . و
القرن الماضي في القرون التالية بانهُ لم ينتهِ حتى ولّد مجلساً عالياً يتقاضى اليهِ نوع الانـ

البحرية على السفن الحربية المجيزة لها ولم تعد السفن التجارية في خطر من ان تعتدي عليها سفن تجارية اخرى تسلحها الحكومة . وحكمت تلك المعاهدة ايضًا ان حصر المواني لا يعتدُّ بهِ ما لم يكن فعليًّا وانهُ يجوز للعدو ان ينقل بضائعهُ في سفن غيرهِ ما لم تكن البضائع مما يمنع نقلهُ في وقت الحرب

ومعاهدة وشنطون حلت المشكلة التي كانت بين انكلترا واميركا في مسألة ألاباما بالتحكيم ولولا حلها لبقيت محلاًّ للنزاع بين فرعي الشعب المتكلم باللغة الانكليزية والفضل في حلها للمستر غلادستون

قال المستر مورلي في كتابهِ سيرة غلادستون ان معاهدة وشنطون وتحكيم جنيفا اشرف اعمال السياسة التي عملت في القرن التاسع عشر لمنع الحروب وهي ادلُّ دليل على ان جمهورتين من جمهورات اميركا الثلاث الكبيرة لا تجريان على هوى النفس

وظلَّ الناس ينهبون المدن التي يفتحونها عنوة الى اواسط القرن الماضي اي الى ان جاء اتفاق بروكسل وحرَّم ذلك على الجنود الفاتحة . وحرَّم ايضًا قتل الحامية اذا استأمنت فجرى الناس على ذلك مع انهم كانوا يجرون على ضدهِ منذ مئة سنة

وخلاصة ما تمَّ الى الآن في تخفيف ويلات الحروب العفو عن النساء والاولاد وكل من لا يستطيع القتال ومعاملة العدو بالرحمة اذا طلبها والاعتناء بالاسرى والامتناع عن نهب المدن وعن اخذ شيء مما تملكهُ الرعية الاَّ بعد دفع ثمنهِ او اعطاء وصلٍ بهِ لدفع ثمنهِ وقتما يتيسر ذلك وصار سم المياه واغتيال الحكام والقوَّاد والمخادعة في الاتفاق من عيوب الزمن الماضي التي لا يرجع اليها . وبطل تسليح السفن التجارية واطلاقها لتفعل فعل القرصان وأُيدت حقوق الشعوب المحايدة وحفظت اموالهم وقيدت حقوق التفتيش بشروط كثيرة وهذا كلهُ من نتائج القوانين الدولية . نعم ان الانسان لم يقتل هذه الافعى السامة اعني بها الحرب لكنهُ قلع بعض انيابها وسيتمكن من قتلها يومًا ما

فترون من ذلك ان ناموس الارتقاء قد فعل فعلهُ الشافي حتى في ميادين الحرب فازال بعض شرورها واصلح بعض مفاسدها ولا بدَّ من ان يتمَّ عملهُ . ولكن فعلهُ لم يتناول حتى الآن الاَّ الاعراض اما الجوهر وهو قتل الناس فلم يمس . ثم انهُ قد تولَّد حديثًا شرٌّ جديد مثل اقبح الشرور التي أُزيلت من الحرب باجماع الناس على استهجانها . فان جنتلس وغروتيوس وكل الذين كتبوا قبل بنكرشويك اوجبوا اعلان الحرب رسميًّا قبل الشروع فيها لكي لا يؤْخذ العدو على غرة جارين في خطَّة الرومان وغيرهم من كارهي الخيانة المترفعين عن

الفرد والجماعة

يولد اولادنا ويربون على ما نريد من الاخلاق وما يرونهُ فينا وفي معاشرينا من الطباع التي تبدو لهم بالكلام والمعاملات ثم نرسلهم الى المدارس فيقيمون فيها الزمن الذي تتكوَّن فيهِ الملكات وترسخ الطباع فيعودون الينا باخلاق جديدة قد تكون موافقة لما ربيناهم عليهِ واردناهُ لهم وقد تكون مخالفة لذلك او مناقضة لهُ

كم من رجل لا علم لهُ ولا رأي ولا خلاق ارسل ابنهُ الى المدرسة غرًّا جاهلاً فرجع منها اليهِ متعلماً متهذباً يعرف ما لهُ وما عليهِ ولا يسير الاَّ في طرق الكمال . وكم من رجل يُعدُّ آية في العلم والفضل والجد والاجتهاد والرزانة والمهابة ارسل ابنهُ الى المدرسة فاقام فيها بضع سنوات ثم عاد منها اليهِ مطبوعاً على الكسل واللعب او منغمساً في الملاهي والمنكرات

ولا مشاحة في ان الاخلاق موروثة واولادنا يرثون اخلاقهم منا ومن اسلافنا وقد لا يرث الولد من ابيهِ او امهِ بل من جدهِ او جدتهِ لابيهِ او امهِ او من احد اسلافهما وقد تمتزج فيهِ اخلاق والديهِ او تتضارب فيكون منها اخلاق جديدة ليست فيهما ولكن ذلك كلهُ لا ينفي تأثير العشراء ولا سيما الذين يعاشرهم في المدرسة مدة تكوُّن الاخلاق في النفس . وقد رأينا كلاماً في هذا المعنى للسر مارتن كنواي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية فاقتطفنا منهُ ما يأْتي

ارتأَى الاقدمون في الجماعة انها مؤَلفة من افراد مستقلين الواحد عن الآخر ولكلٍّ منها آراءٌ خاصة تختلف عن آراءِ غيرهِ من اوجه كثيرة . وكانوا يزعمون ايضاً ان رأْي الجماعة نتيجة آراءِ الافراد الذين تتأَلف الجماعة منهم او انهُ الرأْي المشترك بينهم . فاذا كانت آراءُ البعض مخالفة لآراءِ البعض الآخر افنى بعضها بعضاً واذا كانت آراءُ بعضها موافقاً لآراءِ البعض الآخر حصل من مجموعها رأْي عام هو رأْي الجماعة او الرأْي العمومي

اما نحن المحدثين فنعلم انهُ لا الجماعة ولا رأْي الجماعة على ما زعم الاقدمون . وانهُ وان كانت الجماعة مؤَلفة من افراد مختلفة فلا يمكن تعيين رأْيها من تطابق آراءِ بعض افرادها ورأْي الفرد الذي تتأَلف الجماعة منهُ انما هو نتيجة حالة اوجدتهُ عليها ممازجتهُ للجماعة وذلك الرأْي يدوم ما دامت تلك الحالة . فقد يتفق ان تلك الحالة لا تفارقهُ لشدتها فتصبح خلقاً او بعض خلق لهُ مدى العمر . على ان الغالب انها تزول باسرع مما طرأَت وان ذلك الرأْي ينحلُّ بانحلال الجماعة التي احدثتهُ

وفتح المؤتمر في عيد ميلاد القيصر في ١٨ مايو سنة ١٨٩٩ وسيحفظ الناس هذا اليوم عيداً سنوياً يسمونهُ يوم السلام لان فيهِ خطا نوع الانسان اكبر خطوة نحو الغرض الذي يسعى اليهِ وهو ابطال آفة الحروب . وان في قبول امم الارض كلها دعوة القيصر وارسال مندوبيها الى هذا المؤتمر لدليل على ان الرغبة في ابطال الحرب والتخلص من ويلاتها امرٌ عام شامل . ثم لما اقرّ اعضاء المؤتمر على القوانين التي اتفقوا عليها وبعثوا بها الى دولهم المختلفة لم تجد منها غير القبول والمصادقة وبعضها مثل مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة صادق عليها بالاجماع

فلم يبقَ والحالة هذه موجب للحرب فان في الهاي مجلساً اعضاؤُهُ من اعلم رجال القضاء والسياسة في الدنيا واحكمهم وهو مستعدٌ للنظر في ما يقع بين الدول من الخلاف والفصل فيهِ بالعدل والانصاف . وقد فصل حتى الآن في عدة من الخصومات فاولاً فصل في الخلاف بين الولايات المتحدة والمكسيك . ثم عيّن الرئيس روزفلت للفصل في الخلاف بين بريطانيا والمانيا وفرنسا وايطاليا واميركا وفنزويلا ففصل فيهِ . ومنذ عهد قريب كادت نار الحرب تستعر بين انكلترا وروسيا بسبب مسأَلة الصيادين والبوارج الروسية ولكن القوانين التي اقرَّها مؤتمر الهاي توجب تعيين لجان مختلطة في مثل هذه الحال للبحث عن الاسباب ففعلت انكلترا وروسيا بحسب ذلك وزال الخلاف من بينهما . وبموجب هذه القوانين اقترح الرئيس روزفلت على اليابان وروسيا ان تعقدا مؤتمراً يفصل بينهما ويعين شروط الصلح فافلح في ذلك والفضل فيهِ لمؤتمر السلم . فلا شبهة في ان انشاء هذا المؤتمر او هذه المحكمة العليا التي تفصل بين الامم من غير حرب هو اعظم ما عملهُ الانسان حتى الآن وسيثلُّ بهِ عرش الحروب وينصب التحكيم بدلاً منها . ولا اجبار فيهِ فلا احد يستطيع ان يجبر دولتين متخاصمتين على التقاضي اليهِ . واذا تقاضتا اليهِ فلا احد يستطيع ان يجبرهما على العمل بموجب ما يقضي بهِ فهو مثل الشرائع الدولية سلطتهُ قائمة بعدلهِ فترغب الدول في التقاضي اليهِ من تلقاء نفسها . وما دامت الرغبة في تجنب الحروب آخذة في الازدياد فلا يبعد ان تقيد الدول انفسها بالتقاضي اليهِ في المسائل التي يخشى من ان تفضي الى الحرب والامور مرهونة باوقاتها والسلم لا يسود بالقوة بل بالعقل فان الدول كانت تحفظ لنفسها الحق في عدم التسليم بما يمس شرفها او مصالحها ثم تنازلت ثلاث منها عن ذلك ووعدن بالخضوع لحكمهِ في كل الامور ولا بدَّ ما يقتدي بهنَّ غيرهنَّ

ستأْتي البقية

ومما يصعب ادراكهُ جدًّا كيفية نشوء ذلك الرأي وارتقائهِ . فهو ليس ثمرة فرد واحد ولا
رًا من معلّم ولا ينشأ اعتباطًا في معهد علمي جديد . وكلما كان نتيجة قوية كان نموهُ بطيئًا .
و يرسخ في نفوس التلامذة المنتهين رسوخ النواميس العمومية ويعدي التلامذة الجدد
سرع من عدوى الامراض او بنسبة قابلية كلٍ منهم للاختلاط بالجماعة . وتتداولهُ الاجيال
ن غير ان تغير فيهِ تغييرًا يذكر

ثم ان الرأي العام ليس واحدًا في المدارس المتعددة التي من طراز واحد بل يختلف في
احدة عنهُ في غيرها فلكل مدرسة ذاتية مستقلة وكلٌّ منها تسم تلامذتها بسمة خاصة بها .
د على ما تقدَّم ان معتقد التلامذة الديني ليس ما يحاول معلموهم اقناعهم بهِ بل ما يسلم
جماعة رفاقهم معًا . ومن طبع الولد معاندة ما يحاول الكبار اكراههُ عليهِ فلا يقبل عن
ب نفس من الآراء الَّا ما صدر عن الجماعة التي هو جزء منها

هذا ما قالهُ السر مارتن كنواي وهو من الاهمية بمكان عظيم . فيجب على الوالدين
لحالة هذه ان يسألوا عن اخلاق التلامذة الذين تضمهم المدرسة كما يسألون عن اخلاق
اتذتها ودرجتهم من العلم بل ان اخلاق التلامذة اولى بالسؤال عنها من كل وجه .
ل خطاء في هذا الامر يفضي الى ضرر دائم

ثم استطرد السر مارتن الى امر آخر لا تقل اهميتهُ عن هذا الامر وهو ان التعليم
يني الذي يجبر التلامذة عليهِ اجبارًا ينتج ضد الغاية المطلوبة لان التلامذة يصيرون
هون الرسوم الدينية التي أُجبروا على تعلمها والعمل بها . فتلامذة المدارس الدينية اقل
ينًا من تلامذة المدارس غير الدينية لان الاولين يصيرون يكرهون رسوم الديانة لكثرة
يجبرون على القيام بها وامثلة ذلك كثيرة جدًّا نراها كيفما وجهنا نظرنا . ولا يميل التلامذة
الامور الدينية الَّا اذا اتجهوا اليها هم بتنبه داخلي او خارجي كما يميلون الى غيرها من
سائل العمومية سواء كانت نافعة او ضارَّة

والتأثير الاكبر في نفس الشاب للعشراء الذين يعاشرهم في المدرسة وخارجًا عنها والجهة
يتجه اليها جمهور كبير من الناس ولا سيما اذا كان من حزبهم او مذهبهم فانهُ ينقاد اليهم
عًا كما يجاذب كهربائي وقلَّ من يقف ويتفكر حينئذٍ هل جماعتي على هدًى او على ضلال
انهُ شأن من يسير مع التيار مضطرًّا غير مختار . فللعشراء والقرناء التأثير الاكبر في
ميال والآراء

فالانسان من حيث هو فرد غير الانسان من حيث هو عضو في الجماعة ولكلٍّ منها فعل في الآخر على الدوام . يولد طفل الانسان ويتزعرع حتى اذا جعل يسرح ويمرح من البيت الى الشارع ويمتزج بجماعات الاولاد يمسي عرضة لتأثير تلك الجماعات فيه اما للخير واما للشرّ. فكلما كانت شخصيتهُ قوية كان اقوى على مقاومة المؤثرات والفواعل الخارجية ولكن اقوى الناس شخصية لا يزال عرضة للمؤثرات

والهيئة الاجتماعية وبعبارة أخرى الجماعة المتمدنة تجعل شغلها الشاغل تقييد كل فرد من افرادها بقيودها وضوابطها . فما نسميهِ تعليماً او تهذيباً انما هو في الحقيقة تمرين الولد على نظام الجماعة لا تجهيزهُ بما يمكّنهُ من اتباع خطة ذاتية مستقلة

حالما يترك الولد حجر والديهِ ويرفع نير التربية البيتية عن عنقهِ ولو مدة وجيزة وينتظم في عقد اقرانهِ عاملاً حرًّا يرى نفسهُ عاجزًا عن العمل الى حدٍ لا يصدَّق . فاذا رام مشاركتهم في لعبهم شعر من نفسهِ بعجز عن الخضوع لقوانينهم فينضم اليهم ثم ينفكُّ عنهم بغتةً ويخرق نظامهم فيعامل بالقسر والاكراه نتيجة ذلك . وليس في العالم اعسر قياداً من الولد لاول عهدهِ بالمدرسة وذلك لضعف قوة الاجتماع في ذهنهِ وعليهِ فلا بد من معاملة الصغار في المدرسة معاملة افراد مستقلين في بادىء الامر وبعد الجهد يتعلمون العمل معاً والخضوع المشترك . وهذا الخضوع المشترك هو الغاية من التمرينات البسيطة التي يدربون عليها معاً مثل الترنيم والانشاد والتصفيق بالايدي وما شاكل . وبمرور الايام يشعرون تدريجاً بانهم جماعة مرتبطة برباط واحد ويأخذون يتكلمون عن انفسهم مثل ذلك في جدّهم ولعبهم حتى اذا جازوا سن الطفولة صار فكر مشاركة الجماعة متأصلاً فيهم

ثم يأخذ هذا الفكر في الارتقاء والاتساع بشدة حتى انك لا ترى في الجماعات جماعة اقوى سطوة على افرادها من جماعة الاولاد على افرادها . ومن الخطاء الفاضح ان يظنّ ان التهذيب في المدارس العمومية يتوقف في الاكثر على المعلمين . فانهُ يتوقف في الاكثر على صفة المجتمع الذي يتألف الاولاد منهُ . ففي وقت الدرس والتعليم يعلَّم افراد كلّ فرقة بعض العلوم والفنون ويعدُّون للجهاد في مضمار هذه الحياة . ولكن التهذيب الرئيسي يجري خارج غرف الدرس والولد يتعلّم ما يمكنهُ عملهُ وما لا يمكنهُ من رفاقهِ في وقت اللعب . والمجتمع الصبياني يحكم على افرادهِ حكماً مطلقاً لا مردَّ لهُ فما يحللهُ يحلَّل وما يحرّمهُ يحرَّم . والرأي العمومي في المدرسة يقضي قضاءً مبرماً على الاولاد بلا رحمة ولا حنان . وهذا الرأي العمومي هو الذي يكيّف طبع الولد ويسمهُ بسمتهِ مدى العمر

وكان المعلم حاييم محبوساً فلم يعلم بما كتبهُ الجزار ولم يكن الاَّ ايام قليلة حتى ارسلت الدولة الى الجزار اوراق خراج النصارى وزادت عليها مئة وعشرين الف ورقة برسم نصارى لبنان فأُسقط في يدهِ واخرج المعلم حاييم من السجن وطلب ان ينجيهُ من هذه الورطة فقال لهُ المعلم حاييم لا بدَّ لك من دفع هذا المبلغ من خزينتك الآن ثم ندبر طريقة للتخلص منهُ . فدفع قيمة هذه الاوراق من خزينتهِ . وبعد اشهر ارسل بشارة الى الدولة يقول فيها ان نصارى لبنان دخلوا كلهم في دين الاسلام . ثم لما مضت السنة ودخلت السنة التالية وارسلت اليهِ الدولة اوراق خراج نصارى لبنان ردَّها اليها قائلاً ان نصارى لبنان دخلوا في دين الاسلام كما عرضت قبلاً فارتفعت عنهم الجزية وكان ذلك بتدبير المعلم حاييم

واتمَّ الدكتور مشاقة قصة المعلم حاييم فقال انهُ لما توفي الجزار توجهت ولاية صيداء الى سليمان باشا احد مماليكهِ وهو كرجي الاصل وكان حليماً محباً للسلامة يكره الغطرسة ويحب العدل والانصاف ويعامل الرعية كلها معاملة واحدة وكان لهُ صديق من المماليك الشراكسة اسمهُ علي باشا فجعلهُ كتخدا لهُ واستدعى الاثنان المعلم حاييم وقالا لهُ نريد استخدامك لاننا عهدنا امانتك في خدمتك للجزار فقال نعم انني خدمتهُ بكل امانة ولكن مكافأتهُ لي كانت تشويه صورتي وقلع عيني ولم يكن لي ذنب سوى تقديم النصيحة لهُ ليتوقف عن بعض اعمالهِ التي تعود عليهِ بالتعب وعلى البلاد بالخراب فاذا كنتم عازمين ان تسيروا في خطتهِ فارجو ان تعفوني من الخدمة وتسمحوا لي بالاقامة في بيتي او بالتوجه الى اقاربي في دمشق . فكان جواب سليمان باشا لهُ اني اكره كل عمل يضر الناس ويغيظ الله وغايتي راحة الرعية ورضا الدولة بدفع الاموال المرتبة لها سنوياً ولا اطلب منك لنفسي سوى الف ربع ذهب فندقلي توضع في جيبي يوم الجمعة لكي اوزعها على الفقراء حين خروجي من الجامع واما نفقات بيتي فهذه مفوَّض امرها الى تدبيرك كما اني افوض اليك جميع اعمال الايالة فلا اصدر امراً الاَّ بتدبيرك واعاهدك على ذلك والله على ما اقول شهيد اني لا اغدر بك ولا اخالف رأيك في شيء

فقال المعلم حاييم ان عمار البلاد يلزم لهُ اولاً العمال ذوو الكفاءة لادارة المصالح المنوطة بهم المنزهو النفوس عما بايدي الناس . ثانياً ان تؤمن الرعية على دمائها واموالها من حكامها . ثالثاً ان يكافأ خدَّام الحكومة الامناء بالترقي اذا قاموا بما يطلب منهم وان يقاصُّوا اشد القصاص اذا اهملوا او ارتشوا ولا يستخدموا بعد ذلك في خدم الحكومة . ثم ان مشايخ المتاولة الذين نزحوا عن اوطانهم بعد استيلاء الحكومة عليها عائشون الآن بالسلب والاعتداء وقطع الطرق وتضطر الحكومة ان ترسل الجند وراءهم من وقت الى آخر فمنهم خسارة كبيرة

نوادر من تاريخ الجزار

كلما اردنا اقفال هذا الباب يخطر على بالنا نوادر غريبة مما ذكرهُ الدكتور مشاقه في تاريخهِ فنعود الى ذكرها لا لتسلية القراء بذكر النوادر التاريخية بل للاستدلال على احوال بلاد الشام منذ اقل من مئة عام البلاد التي كانت فيها دمشق عاصمة الاراميين وبيروت مرضعة العلم والحكمة في زمن الرومان وصور وصيداء سيدتا البحار ومركز تجارة الشرق والغرب في عصر الفينيقيين واورشليم قبلة النصارى ومهبط وحي اليهود وعكاء عاصمة الفلسطينيين وتدمر عروس البرية وبيسان عاصمة المدن العشر وغير ذلك من المدائن الكبيرة التي كانت حافلة بالسكان والعمران

في تلك البلاد وفي عاصمة من عواصمها تربَّع الجزار وتغطرس ومثَّل بالناس من كل الامم ولم يجسر احد على تخليص البلاد من شره لان الهوان كان قد امات النفوس فلم تشعر بهِ

ومن هذه النوادر ومن اغربها انهُ كان في دمشق رجل عاقل حكيم من يهودها اسمهُ المعلم حايم فارحي . قال الدكتور مشاقة انهُ كان نابغة في حسن الطباع ومكارم الاخلاق وقوة الادراك فلما قتل الجزار اولاد السكروج مديري خزينتهِ على ما تقدم استدعى المعلم فارحي هذا اليهِ وجعلهُ مديرًا لخزينتهِ . وكثيرًا ما كان يغضب عليهِ ويسجنهُ ثم يطلقهُ ويردهُ الى منصبهِ لشدة حاجتهِ اليهِ . وفي اوقات غضبهِ عليهِ جدع انفهُ وصلم احدى اذنيهِ وفقأَ عينهُ اليمنى فصار اجدع اصلم اعور ومع ذلك بقي في خدمة مولاهُ واي دليل اقوى من هذا على الذل والصغار

وكان الجزار يتأخر في دفع الاموال المفروضة عليهِ للباب العالي ويعتذر باحتياجهِ الى تعبئة الجنود لقمع ثورة لبنان وادخالهِ في طاعة الدولة فسئمت الدولة من مطلهِ وتعللاتهِ فكتبت اليهِ ان المدة طالت ويظهر انك غير قادر على اخضاع الجبل ولذلك صممت على ان ترسل وزيرًا مقتدرًا بالجنود الكافية . فكتب اليها انهُ سيفتح الجبل ويخضعهُ بعد ايام قليلة لانهُ رأى الضعف باديًا على اهلهِ وقد منع وصول الذخائر اليهم من البقاع والسواحل وهم لا يقدرون على المعيشة بغيرها . وبعد مدة وجيزة ارسل بشارة كاذبة الى الدولة مؤداها انهُ فتح الجبل فوجد فيهِ مئة وعشرين الف رجل من النصارى وستين الفًا من الدروز وثلاثين الفًا من المسلمين الشيعيين ومثلهم من السنيين . فبعثت الدولة اليهِ سيفًا مجوهرًا وشكرته على همتهِ

وجلا الزمان مطالعاً قد زانها من نور مجدك طالع الانوار
واتى الهنا يهدي القلوب مسرةً تروي المسامع اطيب الاخبار
وعلا الحمى برفيع عزك بهجةً عمت بعدلك ربع كل ديار
وسرت نسيمات الهناء بشائراً اهدت ثناك بعاطر الازهار
وزهت بنور شهابك العليا وقد ابدت لديك جواهر الاسرار
واهتزَّ لبنان البهيج وقد غدا بك مخصباً متدفق الانهار
طابت مرابعهُ فاصبح مطلعاً لكواكب العلياء والاسحار
قلدتهُ نعماً وقد طوقتهُ كرماً بعقد محاسن الآثار
ووهبتهُ شرفاً بحسن امارةٍ وكسوتهُ ثوب الثنا المعطار
وجعلتهُ بالامن ربعاً ترتعي فيهِ السخال مع الهزبر الضاري
وافضت فيهِ جداول الخيرات من صافي سحائب جودك الفوار

وقال في مثل ذلك في العام التالي

هبطت نسيمات السرور بحديث ربات الخدور
وسرت فاهدت لافواً دِ عرار ذياك العبير
مرَّت بهنَّ سحيرةً فتحملت نشر الثغور
وتأرجت اذ لاثمت تلك المباسم في البكور
جاءت ضحى فتماوجت في عرف لبنان العطير
والروض قد خلع الربيـ ع عليهِ كالثوب النضير
يزدان بين مسلسل مثل العذار ومستدير
والزهر يشرق ضاحكاً في غرة الصبح المطير
لعبت بهِ ايدي الصبا تلوي النحور على الخصور
والغصن صفق راقصاً يهتز من فوق الغدير
ولحان هاج بهِ الهوى لحنين ساجعة الطيور
يا صاح هل للصب من الم الصبابة من مجير
ام للمتيم غير تذ كار الاحبة من سمير

وهو شعر شاعر لا يرى امامهُ الاَّ ما يروق الناظر ويسرُّ الخاطر ولكن ما اسرع ما تغيرت تلك الصورة بعد وفاة سليمان باشا سنة ١٨٢٠ وكان علي باشا قد توفي قبلهُ وخلفهُ

على الاهالي وعلى خزينة الحكومة فالاولى تأمينهم لكي يعيشوا مطمئنين ويكفوا الناس شرهم. ولقد صارت الاموال ثقيلة على الاهالي بما ضيف اليها بدلاً من مدّ وكانت احزار التي لم يوجد فيها شيء من النقود ولكن الدولة حسبت ان كل ما وجد في سنداته هو اموال مستحقة على البلاد مع انهُ كتبها من غير حق وهي زيادة عن الاموال الاميرية فاذاً يلزمنا استحصال المال لنسد بهِ ما يبقى علينا بعد مصاريف الايالة واذا فرضناهُ على الاهالي ارهقناهم وعجزوا عن دفعهِ ووقعنا في ارتباكات جديدة وعندي انهُ يجب ان نأخذ المال من تجار الاجانب وذلك بان نحتكر بيع الغلال والزيت والقطن لهم يومياً وندفع لاصحابها ثمنها الذي تباع بهِ في السوق في ذلك اليوم وما بقي من الثمن يكون للخزينة

فقال لهُ سليمان باشا وعلي باشا افعل ما تشاء واكتب الاوامر ونحن نمضيها . ففعل حسبما أمر فعين الولاة على لبنان وطرابلس ويافا وغزة وامَّن مشايخ المتاولة واقام كتَّاباً في خزينة عكاء جرجس مسديَّة وابرهيم الصابونجي واقام في ديوان التحريرات العربية المعلم حنا العوره وكان مجدوع الانف من فضل الجزار . وصلحت احوال الولاية واستتبَّ الامر لسليمان باشا وطاعتهُ البلاد واحسن المعلم حاييم ادارتها على موجب القواعد التي وضعها لسياستها فنشطت من عقال الخمول ورفلت في حلل الحبور . والنفس الصغيرة اقل شيء يرضيها كما يرضي الطفل الصغير . ومرَّت خمس عشرة سنة ضرب الامن فيها رواقهُ فعاشت الزراعة وراجت التجارة وتوفرت الاموال فانبسطت النفوس بعد انقباضها وتغنى الشعراء بمدح ولاتهم بعد ان كانوا يسرون بنكبتهم يدعون عليهم بالنار والسعير ترى ذلك واضحاً من مقابلة ما قالهُ الشعراء وقت وفاة الجزار بقصائد المعلم بطرس كرامة التي كان يمدح بها الامير بشيراً فقد قال احدهم في وفاة الجزار

بشراك يا قلبي الكليم ومنيتي بمات من بمماتهِ غاية منيتي
الموت مكروه ولكن قد حلا بممات هذا الظالم الباغي العتي

وقال آخر

ولّى الجزار ولا عجبٌ ومضى بالخزي وبالاثمِ
وبميتتهِ الباري عنَّا أرِّخ قد كفَّ يد الظلمِ

وقال المعلم بطرس كرامه مهنئاً الامير بشيراً بحضور خلعة الولاية لهُ من سليمان باشا سنة ١٨١٥ حسب العادة السنوية

صدحت على غصن السرور قماري وروت سعودك عن ضيا الاقمارِ



ابنه علي بك [illegible] المعلم حاييم [illegible] ولا [illegible] حتى [illegible] ما تكون امنية ايسحق في جلب الولاية [illegible] لا [illegible] من اعمال الحكومة [illegible] وكان يحسن [illegible] المعلم حوقيل الاسلامي [illegible] وحرمت منصب ولاية صيدا الى [illegible] ابرهيم باشا [illegible] وكان [illegible] المعلم حاييم [illegible] ذكره [illegible] عن العام الماضي وهو

" ان عبد الله باشا لم يتصرف [illegible] وعاداتهم ويعقد حلقة [illegible] منهم وكان المعلم حاييم [illegible] وقدم له النصيحة الواجبة لانه كان صادق [illegible] عبد الله باشا [illegible] ويراعي حقوق صداقته لكنه لم يتصح بل [illegible] ان هذا اليهودي قد عتا وتكبر على اهل الاسلام حتى ان المعض [illegible] رواية [illegible] القرآن العظيم ان اليهود اشد عداوة للذين آمنوا فكيف [illegible] وان عمك المرحوم سليمان باشا كان رجلاً [illegible] وقد صارت الخزينة كلها في بيت هذا [illegible] والخزينة بيت مال المسلمين [illegible] في بيت يهودي [illegible] احتالوا على هلاك المعلم حاييم ولولا [illegible] ويضعه في سراي الحكومة و [illegible] من موارنة صيدا [illegible] المعلم حاييم [illegible] واجتمع الشيخ مسعود الماضي وعمر افندي البغدادي [illegible] جميع المسلمين فرحوا برفعك [illegible] هذا اليهودي عن اعناقهم [illegible] لانه ساحر [illegible] ورد [illegible] ذلك ان له كلمة مسموعة في الباب العالي [illegible] الذي سعى في توجيه الولاية اليك رعاية لخاطر المعلم حاييم ولا بد من ان حاييم كتب اليه الآن بما حدث والذي يقدر على التولية يقدر على العزل لا سيما واليهود اعداء والدولة تفتش عن المال لا عن الرجال فما دام حاييم في قيد الحياة فلا يستريح البال من تدبيره فصمم عبد الله باشا على قتله غير مقدِّر العواقب وارسل تلك الليلة ابرهيم بك [illegible] زوج اخته وامره بقتله فاداه الى خارج منزله وخنقه وطرحه في البحر". وسنعيد [illegible]

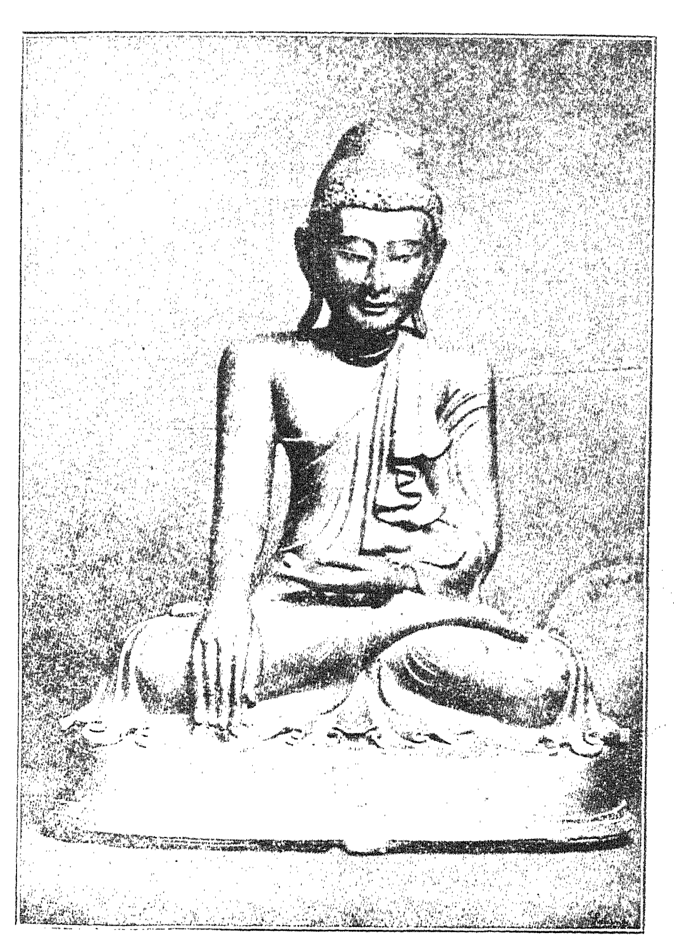
الديانة البوذية

اخر القرن السادس او اوائل الخامس قبل التاريخ المسيحي
لاحها واسم مؤسسها جوتاما ويسمَّى ساكياموني وبوذا وابوهُ
نقطن وادي الكنج عند سفح جبال حمالايا وعلى بعد نحو

ت والاقاصيص الموضوعة ما يأتي :—
غرور هذا العالم واباطيلهِ وهمومهِ فاعتزل عن الناس وهو
سنين وعاش عيشة الزاهد العابد . وهذا العمل يسمَّى عند
قي كذلك ست سنوات درس في خلالها النظامات الفلسفية
في اعمالهِ فلم يستطع حلَّ مسألة الوجود . ولما بلغ الخامسة
جديد وذلك انهُ بينما كان جالساً في ظلّ شجرة يتأمل على
لشرور والى طريق الخلاص منها
مكان الى مكان مدة ٤٥ سنة بذيع البشرى فالتفَّ حولهُ
كلامهِ ومات بين تلامذتهِ وهو ابن ثمانين سنة

تعاليمهُ

سامية الاولى ان الوجود محفوف بالمكاره والاحزان . والثانية
والسعي وراء المعيشة وملذاتها والشيخوخة والمرض والموت .
ن بالحياة الاولى بل قد ولد قبلها مراراً لا تحصى في الدهور
شهواتها يولَّد مخلوقاً جديداً تكون حالتهُ على حسب اعمالهِ
سابقة جرياً على ناموس العلة والمعلول . اي ان صفة المرء
يجة الاعمال التي عملها منذ بدء الوجود . وهذا ما يبقى من
ن الى مخلوق آخر فيعيّن صفتهُ وحالتهُ . وما الافراد سوى
ن العلل والمعلولات . وكلُّ حلقة هي نتيجة الاعمال المختلفة
ث لاحقاً . وبناموس العلة والمعلول الذي تقدم ذكرهُ
رى من الاختلاف الظاهر في توزع النعم والنقم على الناس



صورة تمثال بوذه جالساً يتأمَّل وهو من النحاس (البرنز)
مرصع بالحجارة الملوَّنة حول رأسهِ

والاولاد والخضوع للحكام وكبح النفس والصبر وطول الاناة والرداعة والقناعة والتصدق على البائسين وحفظ حياة المخلوقات ذات الحس والشعور والاهتمام بخير كل حي

وبوذا وتعاليمه وطغمته ثالوث البوذية . وكلمة الشهادة بالبوذية هي اشهد ببوذا ودهارما وسنغا . ومعنى دهارما تعاليم بوذا وسنغا طغمته

انتشار البوذيّة

لما مات بوذا كان تلاميذه واتباعه كثارًا . وفي اواسط القرن الثالث قبل التاريخ المسيحي اخذت البوذية تنتشر في الهند وانتحلها ملوك سيلان مذهبًا لهم ومن سيلان امتدت الى الصين في القرن الاول وكوريا في القرن الرابع واليابان في السادس وبرما وسيام وارخبيل ملقا في الخامس والسابع ولم يأت آخر القرن الحادي عشر حتى زالت سيادتها تمامًا من الهند منشإها الاصلي . وهي الآن الدين الرسمي في نبال وتيبت ولها اشياع بين المغول والقلموق في اسافل نهر فولكا وفي جنوبي سيبيريا . ولكن كانت حيث تحلّ تتكيف طبقًا لاخلاق منتحليها ومذاهبهم الموروثة حتى كانت قواعدها الاساسية تتغير او تندك ويقوم على اطلالها مذاهب متضاربة ومعتقدات متناقضة . على انها كانت تؤثر تأثيرًا عظيمًا في آداب الامم التي تنتحلها وعاداتها وصنائعها

والبوذية الآن قسمان كبيران جنوبيٌّ واشياعه منتشرون في سيلان وبرما وسيام ولا يزال محافظًا على تعاليم بوذا الاصلية بنقاوتها وبساطتها . وشماليٌّ واتباعه في اواسط اسيا وشرقيها وهو كثير الخرافات والخزعبلات

ويصوَّر بوذا غالبًا بصورة شاب حليق الذقن وفي اعلى رأسه نتوء يسمونه "سنام الحكمة التامة" . وشعره جعد قصير وقد جاء في التقاليد ان تجعدات شعره كانت فيما مضى حلزونًا جاءه ليحمي رأسه من اشعة الشمس . وعلى جبينه حجر كريم بشكل خرزة واذناه طويلتان تتدليان حتى تمسا أعلى كتفيه احيانًا وهما مثقوبتان . وذراعاه طويلتان وطول الذراعين دليل على شرف الاصل عند الهنود . ورداؤه ملقى على كتفه اليسرى واليمنى عارية . وهو اما واقف يعلّم او متربع يفكر او مضطجع في غيبوبة ينتقل بها الى حال نرفانا

والعرش الذي يجلس عليه او يقف فيه مؤلف من زهر النيلوفر المتفتح علامة الطهارة والكمال وخلف رأسه هالة على شكل ورقة تين في الغالب وهي تذكار للشجرة التي بلغ في ظلها طور البوذية (انظر الرسم المقابل)

بلا نظر الى صفاتهم الادبية ومؤدى ذلك ان ما يحصده الانسان الآن لا بدّ ان يكون قد زرعه قبلاً وما يزرعه فاياه يحصد

والحقيقة الثالثة ان الاحزان والهموم تزول بزوال الشهوات والاهواء

والرابعة ان الخلاص يكون بثماني طرق وهي الرأي الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والفعل الصحيح واكتساب الرزق من السبيل الصحيح والسعي الصحيح والفكر الصحيح والتأمل الصحيح

وللبوذية شريعة ادبية ذات عشر وصايا بل عشرة نواهٍ وهي

(١) لا تقتل بل لا تؤذي حيًّا يشعر

(٢) لا تسرق

(٣) لا تزنِ

(٤) لا تكذب ولا تنطق بكلمة بطالة

(٥) لا تشرب مسكرًا

(٦) لا تتناول طعامًا في غير اوانه

(٧) لا تشهد المراقص والملاعب والحفلات العمومية

(٨) لا تلبس ثيابًا منعمة ولا تدَّهن بالطيوب

(٩) لا تنم على فرش كبيرة وثيرة

(١٠) لا تحمل ذهبًا ولا فضة

وغاية الحياة ما يسمونهُ "نرفانا" وهو ان تكون المعيشة هادئة بعيدة عن التجارب وذلك يتأتى باطّراح الشهوات والاميال الشديدة مثل الشهوة والبغض والغضب والحسد والغش فيأول الامر الى ان الانسان لا يعود يولد ثانية لكي يتطهر

وعندهم ان مؤسس البوذية واحد من كثيرين مثله يظهرون في ازمنة مختلفة وكلٌّ يستطيع ان يكون بوذا اي ان يبلغ طريق الخلاص لنفسهِ وللغير بانكار النفس وكثرة التأمل

طغمة البوذية

وعند البوذيين طغمة من الرهبان والراهبات يسكنون الاديرة حابسين انفسهم على العزوبة والفقر والطاعة . والوصايا الخمس الاولى من العشر المتقدم ذكرها فروض حتم عليهم العمل بها واما الخمس الباقية فنوافل

ومن الفضائل التي يوصى كلُّ بوذي بالتحلي بها احترام الوالدين والمعلمين والعناية بالزوجة

والمركبات في لندن وبذل النفس والنفيس في خدمة المعدنيين وانقص ساعات عملهم الى ثماني ساعات . ولم يكد يدخل مجلس النواب حتى انتبه اليه الاعضاء في اول عهده لكنه لا يتكلم في موضوع لا يفقه وقد عرفه [illegible] الاعضاء انهم سيسمعون قولاً ويرون عملاً

ومن الامور التي اشتغل باصلاحها مسائل العمال [illegible] ساعات العمل للمستخدمين في سكة الحديد وقوانين التعدين والعناية بالاعمال والسم من الاشتغال بالادهان التي فيها رصاص والمحافر التي تحت الارض واستخدام النساء والبنات وغيرها من المسائل العمومية المختصة بالعمال وخصوصاً الفقراء منهم

وهو خطيب مطبوع قوي الحجة شديد العارضة يملأ خطبه بالاحصاءات مما يدعو الى سآمة السامع ولكنه يكثر فيها من النكات والاقتباسات المليحة فلا تبقى للسآمة اثر وعادته ان يستشهد بعبارات الاقتصاديين ويكتب رؤوس الاقوال مما يريد الاستشهاد به من الارقام والملح ويحفظها وعنده مكتبة ومع ذلك فيه محبة للكتب التي يرجع اليها في مثل المسائل التي يشتغل بها وقد كلفه جمعها مشقة كبيرة لانه من العمال الفقراء كما لا يخفى

وله كتابات كثيرة اهمها مقالة في [illegible] والمسكر قرأها على جمع من العمال في منشستر . وهي مقالة لا احمع منها لا [illegible] في بيان عواقب المسكر [illegible] مثل المرض والجرم والفقر وارتكاب الجرائم قرأها قبل كتابتها محللات [illegible] الكحول [illegible] ساعده على تحريرها والاستدلال فيها [illegible] من احوال العمال

وارتقاؤه من زعامة العمال الى منصب الوزارة [illegible] له اعداء كثيرين شأن كل كبير وعظيم وقد عاش في المدة الاخيرة [illegible] طالما حمل عليهم [illegible] وفرقة قليلة من الاشتراكيين [illegible] وانه بدلاً من ان يحثّ ثورة [illegible] وعلماً يطرد [illegible] المتعصبين [illegible] قولاً و [illegible]

ومما يؤثر عنه قوله ان يوم احرزت لي [illegible] في [illegible] فقد تم هذا العمل فيه ولكن القلم [illegible] اما هو في العرض لان [illegible] وفي طريقة الوصول الى العرض لا في العرض نفسه

وهو ليس اكثر اعجاباً بنفسه اليوم منه لما كان يعمل في الهندسة او يخطب على العمال . فان النجاح لم يذهب بما فطر عليه من المبادئ السامية ولا انساه اصدقاءه الذين كانوا السبب في ميل الجمهور اليه وفي ما ناله من القوة . وهو ادرى الناس بان اصلاح المسائل الاجتماعية

من عمال [illegible] [illegible]

جون [illegible] اول [illegible] انكليزي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تناولوا
مناصب سامية في وزارات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المنصب
الذي يتقلده المستر جون برنس الآن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والعمل مستقلا

اما المنصب الذي تقلده فهو رئاسة مجلس الادارة المحلية [illegible] [illegible] [illegible] انه يصادق
على القروض المحلية ويراقب مالية [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] حديد [illegible] الاهالي
[illegible] . وقد أطلقت يده في الادارة [illegible] [illegible] انه يستطيع [illegible] [illegible] [illegible] من بعض
الوجوه . ولا يد [illegible] في سن القوانين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والحمالين [illegible] القوانين الصحية [illegible] [illegible] [illegible] العمومية

كان وهو ابن [illegible] سنوات عاملا بسيطا [illegible] العمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فشبَّ شديد العطف عليهم [illegible] [illegible] ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرشد حتى
احد يكاتب الجرائد في شأنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
خطب مرة في جمع من [illegible] [illegible] [illegible] فقال [illegible] [illegible] [illegible] كان مستخدما [illegible]
عنده صرفه من خدمته لانه حضر اجتماعا [illegible] [illegible] [illegible] . ومن ذلك [illegible]
اقصاه ارباب الاعمال لانهم رأوا فيه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
واسعده الحظ [illegible] وجد في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
كاملة العدة . وقد ساعده على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الذهن شديد الوطأة في [illegible] [illegible] [illegible]

وفي سنة ١٨٨٦ حوكم [illegible] [illegible] من الاشتراكيين [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]
عن نفسه وانقع المحامين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جهده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الشاغبين فأطلق سراحه . ولكن قبض [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بلندن فدافع عن نفسه وعن العمال [illegible] حمل [illegible] على الحكومة حملة شديدة [illegible] [illegible]
حقد القاضي والمحلفين فحكم عليه بالحبس ستة اسابيع

وفي سنة ١٨٨٩ عُيّن عضوًا في مجلس بلدية لندن . ثم لم يمضِ على ذلك ثلاث سنوات
حتى عين عضوًا في مجلس النواب في وزارة الاحرار . فجعل همهُ البحث في نظام السجون

اصناف الطعام	ماء	بروتييد	دهن	كربوهيدرات	املاح
معكرونة	١٣و١	٩	٠و٣	٧٦و٨	٠و٨
اروروط	١٥و٤	٠و٨	...	٨٣و٣	٠و٣٧
لوبياء يابسة	١٥	٢٣	٢	٥٣	٣و٤
بطاطس	٧٤	٣	٠و١٦	٢١	١
جزر	٨٥	١و٦	٠و٢٥	٨و٤	١
كرنب	٩١	١و٨	٠و٥	٥و٨	٠و٧
زبدة	٦	٣و٣	٨٨٠	...	٢و٧
بيض	٧٣	١٣و٥	١١و٦	...	١
لبن	٨٦و٨	٤	٣و٧	٤و٨	٠و٧
سكر	٣	..	..	٩٦و٥	٠و٥

الدكتور جون رودس

(٩) لا أرى ان شبان العصر مفرطون في الترفه وانما يلزمهم لعب العاب تقوي فيهم روح الرجولية اذ اي رجولية تراها في الذين يقفون لمشاهدة الالعاب الرياضية التي يلعبها غيرهم وهم مكتوفو الايدي يدخنون او في الذين يشربون و يسكرون طول اوقات الفراغ

(١١) يجب ان تكون الرياضة مركبة مثل الطعام ولا فرق في نوعها بشرط ان يتوفر الهواء النقي فيها

الدكتور كالب صليبي

[المقتطف] هو ابن صديقنا المرحوم الياس الصليبي اللبناني منشئ المدارس الانكليزية في جبل لبنان . ربي في البلاد الانكليزية وتخرج في مدرسة ادنبرج الجامعة ونال شهادة الامتياز الاولى . ومن مؤلفاته دائرة الحياة . والنشوء . ومفتاح العلم . وخمسة مجلدات في السلسلة العلمية . ومقالات كثيرة في المجلات الطبية والعلمية وهو شاب في الثامنة والعشرين من عمره

(٦) لا شبهة في ان الاغنياء يُفرطون في الاكل كما ان الفقراء يفرّطون فيه . وكثير من طعامنا يدخل الافواه التي لا تستحقهُ . فكم من رجل ذي اسنان قوية حفر قبره باسنانه حتى لقد قال بعضهم ان الافراط في الاكل اكثر اضرارًا بالناس من الافراط في شرب المسكرات

(١١) اهمّ ما يتعلق بالرياضة ان يكون الهواء خالصاً ما امكن من الغازات المضرة

لا يأتي دفعةً واحدةً بل تدريجاً. فلو كان في روسيا لكان زعيم
وروسيا في حاجة الآن الى رجل مثله ولكنهُ يعلم ان مسير الا
انكلترا انما يكون على مهل لا على عجل وهذه هي قاعدتهُ التي جعلم

فتاوى الاطباء

في الصحة والداء

(تابع لما قبلهُ)

اجوبة الدكتور نيوهام

(٤ و ٥ و ٦) يحسن بالرجل البالغ ان يطلع على الجدولين
فالاول يبيّن ما يجب على البالغ ان يأكلهُ من المواد التي لا تح
الاعتيادي والعمل الشاقّ

	في الراحة	في العمل الاعتيادي
	اوقية	اوقية
البروتييد	٢٫٥	٤٫٦
المواد الدهنية	١	٣
الكربوهيدرات	١٢	١٤٫٤
	١٥٫٥	٢٢

والجدول الثاني يبين ما تحويهِ اصناف الطعام المختلفة م
الجدول الاوّل ومن الماء والاملاح المختلفة

اصناف الطعام	ماء	بروتييد	دهن	كر
لحم غير مطبوخ	٧٥	١٥	٨٫٤	
سمك	٧٨	١٨٫١	٢٫٩	
دجاج	٧٤	٢١	٣٫٨	
خبز ابيض	٤٠	٨	١٫٥	
دقيق الحنطة	١٥	١١	٢	
ارز	١٠	٥	٠٫٨	

البس لكل حالة لبوسها

اتضح من مقالة سابقة موضوعها الفرد والجماعة ان الجماعة تؤثر في الفرد كما تؤثر فيهِ الوراثة الطبيعيَّة وهذا كان رأي الناس عموماً حتى قيل

عن المرء لا تسأَلْ وسَلْ عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولكن لما ثبت فعل الوراثة الطبيعية وكثر البحث فيها وعُلِم ان اخلاق الانسان موروثة من والديهِ واسلافهم ضعف الاعتقاد بتأثير العشراء والوسط الذي يقيم فيهِ الانسان حتى ان فيلسوفاً مثل جان جاك روسو بنى كتابهُ في التربية والتهذيب على مراقبة ظهور الاخلاق في الولد وتعهُّدها بما يقوي الحسن منها ويُضعف القبيح واهمل امراً آخر وهو تأهيل الولد للنجاح في الهيئة الاجتماعية التي يوجد فيها حتى يلبس لكل حالة لبوسها ويجري مع العمران في سيرهِ

كنتَ منذ خمس سنوات او ست تدخل مكاتب كبار المحامين في هذا القطر فترى اشتغالهم كلهُ محصوراً في درس الدعاوي واستنباط الادلة على صحة دعاوي موكليهم . واذا سمعتَ كلمة "سمسار" قطب من سماعها جبينك حاسباً اياها من القاب العار والازدراء وكنت ترى السمسار يأتي مكتب المحامي الكبير ويستخدمهُ في كتابة شروط التفويض بالبيع ويعطيهِ اجرتهُ جنيهاً او جنيهين وهو (اي السمسار) يأخذ اجرتهُ بمئات الجنيهات ان لم يكن بالالوف. فلما رأى المحامون ذلك جعل بعضهم يحترف السمسرة مع المحاماة فوجدوا ان ربحهم منها اضعاف اضعاف ربحهم من المحاماة فلبسوا لهذه الحالة الجديدة لبوسها وجروا معها ولولا ذلك لبقي ربحهم اقل من القليل بعد ان غلت المعيشة وتضاعفت النفقات كلها

وكنت منذ عشر سنوات ترى الشبان النابغين يتهافتون على مناصب الحكومة في الادارة او القضاء وقد حظرت عليهم الحكومة مشترى الاطيان في المديريات التي يقيمون فيها ومعاطاة الاعمال كلها ولكنهم لما رأوا ان مكاسب اخوانهم المحامين والمشتغلين بالزراعة او بالتجارة تفوق مكاسبهم وان نفقات المعيشة زادت جدًّا جعلوا يستعفون من خدمة الحكومة الواحد بعد الآخر واضطرَّت الحكومة ان تنظر في زيادة رواتبهم كلهم لكي تبقي الاكفاء في خدمتها

وما حدث في القطر المصري يحدث في كل البلدان السائرة في سبل الارتقاء فان رجالها لا يكتفون بما وجدوا عليهِ او وُجدوا فيهِ بل يطلبون مجاراة ابناء عصرهم والَّا اضطروا ان يتأخروا عنهم

والغبار والاَّ فهي تجلب الضرر بدل النفع . وخير للمرء ان يجلس في الشمس حيث الهواءُ نقيٌّ من ان يتروض في غرفة مقفلة الشبابيك فاسدة الهواء . ومن الناس من تكون صحتهُ جيدة بلا رياضة على شرط ان يكون معتدلاً في معيشتهِ نظيفاً

الدكتور سبلي

(٢) ان الحيوانات البرية تعرف معنى الشبع بخلاف الحيوانات الداجنة . واولادنا يعرفون معنى الشبع اذا كان طعامهم الخبز والادام العادي ولكنهم قلما يعرفون لهُ معنى اذا كان طعامهم اللحم والحلوى

(٦) ان الافراط في الاكل والشرب اعظم سبب لاكثر العلل الصغيرة التي تبدأُ تصيب المرء قبل اواسط العمر مثل علل الروماتزم المختلفة فان السبب الاول فيها فقد التوازن بين الداخل الى الجسم والخارج منهُ وهذا ناشيءٌ عن تحميل الجهاز الهضمي فوق وسعهِ من المآكل الكثيرة الغذاء التي لم تطبخ جيدًا

هذا وان عادة الاكل ثلاثاً في اليوم او اربعاً من الاطعمة المشكلة الكثيرة المواد النتروجينية لعادة تفضي الى عواقب وخيمة عاجلاً او آجلاً . فان الحيوانات الدنيا تأكل حينما تجوع فقط واما الانسان فيأْكل في اوقات معينة بصرف النظر عن القابلية فيصاب بالتخمة . واردأُ اشكال الافراط في الاكل انما هو في المصابين بالتخمة والذين امتلأَ دمهم من فضلات الغذاء المضرة لان اجسامهم لا تستطيع التخلص منها بالوسائط الطبيعية . وهذا الصنف من الناس يكثر في المدن بين الاوساط والاغنياء وخير علاج لهم اراحة جهازهم الهضمي بتجويع انفسهم ساعات قليلة . ومن افضل العلاجات للذين اصابتهم التخمة من الافراط في اكل الاطعمة الحيوانية صباحاً الاقتصار على اكل كسرة من الخبز وشرب قليل من القهوة صباحاً

(٨) ان الشيب وراثي على الغالب ولكن يمكن تأْخيرهُ في الذين ليس وراثيًّا فيهم بالعناية بصحتهم وعدم اجهاد قواهم العقلية والبدنية

ثم اوردت المجلة آراء طبيبين آخرين من مشاهير الاطباء وهي لا تختلف في مؤَداها عن الآراء المذكورة في الاجوبة المتقدمة وختمت المقالة بما يأْتي . قالت :

" انهُ وان يكن الاطباء قد اختلفوا رأْياً في بعض الامور فقد اجمعوا على البعض الآخر ومما اجمعوا عليهِ هو ان الشاي القوي مضر وان الاغنياء يفرطون في الاكل وخصوصاً اكل اللحم . وان اللبن خير طعام للاطفال حتى تطلع اسنانهم "

واحدة لان التغير ناموس طبيعي وهو ناموس التقدم والارتقاء وعدم التغير جمود وموت

وقد تغيرت ملابس النساء كما تغيرت ملابس الرجال وتغيرت ملابس الاولاد ذكوراً واناثاً وتغير اثاث البيوت واشكال بنائها وموائد الطعام وادواته حتى في اقصى بلاد الفلاحين

وشمل التغير لغة الكتَّاب فبعد ان كانوا يتباهون بالالفاظ المغلقة المعاني بعداً عن الكلمات المبتذلة ويتجنبون الالفاظ الاجنبية مهما كانت شائعة فلم تعجبهم كلمة بالون فسموهُ منطاداً ولا ميكرسكوب فسموهُ مجهراً ولا تلفون فسموهُ مقولاً اضطروا بحكم ناموس التغير ومراعاة احوال الزمان ان يعدلوا عن الاسماء التي وضعوها الى الاسماء الافرنجية الشائعة كما عدلوا عن لبس الطربوش المغربي الى لبس الطربوش الاسلامبولي وعن لبس الحذاء الاحمر الى لبس الحذاء الاسود وعن لبس الشروال الواسع الى لبس البنطلون الضيق وسموا هذه الآلات بالاسماء التي وضعها لها صانعوها كأنها اعلام لها لئلا يخالفوا الجاري فيتعبوا ذهن القارىء والسامع . بل ان اسلوب الانشاء قد تغير كلهُ . اكتب للناس جريدة سيارة باسلوب من الانشاء مثل اسلوب ابن خلدون في مقدمتهِ او مثل اسلوب الصابي في رسائلهِ فلا تجد لها مئة مشترك ولا تبيع منها مئة نسخة

وشأن من يحاول الرجوع الى اسلوب الانشاء القديم شأن من يحاول ارجاع الناس الى ازياء اللباس القديمة فلو قام امهر خياط في هذه العاصمة وخاط مثل اجمل الثياب المقصبة التي كانت شائعة في زمن المماليك وكان امراؤهم يفاخرون بها ودعا الناس الى لبسها وباعهم اياها بابخس ثمن او اعطاهم اياها مجاناً ما رأيت عشرة من التجار او من ارباب المناصب في الحكومة يلبسونها لا لانها غير جميلة لذاتها بل لان عهدها مضى ولم تعد شائعة

وهذا كلهُ لا ينفي ان يقوم اناس يشذُّون عن الجماعة ويغيرون الاسلوب الجاري ويختطون لانفسهم خطة جديدة يجرون عليها في الآراء او في الاعمال كما فعل داروِن وسبنسر في الآراء العلمية والفلسفية وكما فعل نبوليون في الفنون الحربية ولكنهم لا يفلحون الاَّ اذا اختمرت العقول وتهيأت النفوس لقبول الانقلاب الذي يحدثونهُ وكان في ما يأتون بهِ حقائق باهرة لا يسع الناس اغفالها طويلاً فتكون من نوع التغيرُّ الطبيعي الذي يحدث من وقت الى آخر ويبقى لان ما يؤول اليهِ اصلح من غيرهِ للبقاء . ولكن هؤلاء الشواذ نوابغ نادرون يعدون على الاصابع والجمهور الذي منهُ الجماعة لا يسعهُ الاَّ ان يراعي احوال الزمان والمكان ويلبس لكل حالة لبوسها

بعث الينا احد الفضلاء بالامس كتاب مدرسة هارفرد الاميركية الجامعة عن سنة ١٩٠٥ فرأينا في مقدمتهِ امرًا من هذا القبيل رأينا ان اساتذة تلك المدرسة الشهيرة يتقاضون رواتب قليلة جدًّا في جنب الارتقاء العظيم الذي ارتقتهُ اميركا وعلى غلاء المعيشة فيها فراتب الاستاذ الذي من الدرجة الاولى خمسة آلاف ريال في السنة اي الف جنيه لا غير والذي من الدرجة الثانية او الثالثة اقل من ذلك اي ٣٦٠٠ ريال في السنة او ستين جنيهاً في الشهر ورواتب المدرسين اقل من ذلك حتى لقد يبلغ راتب المدرس اقل من خمسة عشر جنيهاً في الشهر . ولما رأى رئيس المدرسة واصدقاؤهُ ان هذا الاجحاف في حقوق الاساتذة يفضي الى استعفاء الكثيرين منهم او يبقون فيها مضطربي البال لان رواتبهم لا تقوم بمعيشتهم وحفظ كرامتهم في الهيئة الاجتماعية التي هم فيها اتفقوا على جمع مبلغ كبير من المال ينفق ريعهُ في زيادة اجورهم فاكتتب المتخرجون من المدرسة واصدقاؤهم باكثر من مليوني ريال لهذا الغرض النبيل وريع هذا المال يكفي لزيادة الرواتب كلها عشرة في المئة

وهذا عين ما تفعلهُ الحكومة المصرية الآن من قبيل اهتمامها بزيادة رواتب مستخدميها على اختلاف درجاتهم ناظرةً في ذلك الى غلاء المعيشة بسبب ازدياد الثروة العمومية والاولى ان يقال بسبب كثرة الذهب فانهُ لما كثر رخص فغلا ما يشترى بهِ بالنسبة اليهِ اي انهُ لما رخص الجنيه لم يعد يساوي اردبًّا ونصفًا من الحنطة كما كان قبلاً بل صار يساوي اردبًّا واحدًا فقيل ان ثمن الحنطة غلا والحقيقة ان الذهب رخص فالموظف الذي كان ينقد عشرين جنيهاً في الشهر كانت اجرتهُ هذه تساوي ثلاثين اردبًّا من الحنطة فلما رخص الذهب صارت العشرون جنيهاً تساوي عشرين اردبًّا فقط وقس على ذلك ثمن اللحم والخضر واجر البيوت وما اشبه فانها كلها زادت خمسين في المئة ثمنًا او اجرة . فهذه الحالة الجديدة الطارئة على البلاد يجب ان تتغيَّر الاجور بموجبها

وهذا التغيُّر في اثمان الحاجيَّات انما هو جزءٌ صغير من مجمل التغيُّر العمومي في كل المعايش والآراء والافكار فانك كيفما التفت لا ترى الاَّ تغيرًا سريعًا جاريًا مع الزمان فان المصري الذي كان يركب فرسًا مطهمًا او بغلة زرزوريةً او حمارًا حصاويًّا وينفق مئات الجنيهات ثمنهُ وثمن عدتهِ صار يركب مركبة مصنوعة في باريس او لندرا يجرها فرسان من افراس روسيا او المجر وقد ابدلها الآن بالاتوموبيل الغازوليني او الكهربائي . والذي كان يلبس جبة وقفطانًا وعمامة وطربوشًا مغربيًّا صار يلبس سترةً وبنطلونًا وطربوشًا اسلامبوليًّا ولا يبعد ان يلبس غدًا برنيطة . ولا غرابة في شيءٍ من هذا التغير بل الغرابة في عدم مجاراتهِ والوقوف على حالة

السفر وعرةً شاقةً يصعب قطعها كالطرق الكثيرة العقبات او الطويلة المعطشة . فمن ساقهُ الدهر الى اجتيازها فان لم يكن صليعاً مستصحبا من الزاد والمزاد ما يردُّ عنهُ الجوع والعطش هلك في تلك المفاوز ومثلهُ من يحمل نفسهُ على مطالعة كتب يشقُّ عليهِ فهمها ولا يقوى عقلهُ على تناول معانيها فيضيع وقتهُ في قراءتها ولا يحصل منها على فائدة . فاذا تصفحها من اولها الى آخرها كان مثلهُ مثل من يقطع الطريق تحت ستر الظلام فلا يرى شيئًا من البلاد التي على جوانبها او مثل غريب يمرُّ نهارًا باقليم يرى من قراهُ وقطّانهِ ولا يعرف قريةً ولا انسانًا فما يستطيع الّا ان يقول رأيت قرًى كثيرة ولا يمكنهُ ان يسمّي قريةً واحدةً منها فتكون مطالعة مثل هذه الاسفار خاوية موحشة لا لذَّة فيها ولا فائدة وراءها

وقد تكون البلاد التي ينتقل فيها قذرةً خبيثة الهواء فتنبو نفسهُ عنها لما يلحق نظرهُ وشمّهُ من الالم لرؤية الاقذار وخبث الرائحة ويقابل بلادًا تلك صفتها كتب تكثر فيها الالفاظ المستقبحة والقصص المستكرهة مما لا يسع المهذّب الّا ان يسد أُذنيهِ عن سماعها ملفوظةً ويغمض عينيهِ عن رؤية حروفها مكتوبةً . فمن طال مكثهُ في بلد فاسد الهواء كدر الماء كان عرضةً لان تهجم عليهِ العلل فتذهب بحياتهِ . ومثلهُ عاقبةً ومآلًا من يكثر من قراءة نظائر هاتيك الكتب فلا يؤمن عليهِ ان تلصق الأدران نفسهِ فتلبس بعد بياض نزاهتها سواد المخازي

وقد تكون طرق السفر سهلة ممهدةً تمرُّ بها العجلات وعلى حواشيها الاشجار والحدائق والمنازل الجميلة والدور البديعة تذهب بسالكها الى بلاد عامرة تخفق فوقها راية العلم والأدب او الى مدن فيها القصور الشاهقة والاسواق الحافلة . والمدارس الزاهرة ومظاهر سكانها مما يروق الناظر ومعاشرتهم مما يسرُّ الخاطر وينير العقل ومثل هذه الطرق الكتب النقية المهذَّبة الخالية من الالفاظ المستهجنة والتراكيب المعقَّدة الظاهرة فيها المعاني ظهور الاصحَّاء من اهل الجمال في الخز ثياب المخمل والحرير فيخدع فيها جمال اللابس جمال الملبوس

فمن هاتيك الكتب يجني المطالع الثمار الطيبة الطعم الحسنة المنظر فيرجع عنها مسرور القلب بما رأى مستنير الذهن بما عرف . يتنزه لساماهُ الدُّرر العالية مما تناول جناهُ من تلك الكتب التي تقابل من يطالعها بالابتسام وتجلسهُ على مائدة حافلة لا بانواع الطعام لكن بالوان من الافكار . لذَّتها عند القوة العاقلة تفوق لذَّة الاطعمة الطيبة عند القوة الذائقة . وان تيسر للمطالع ان لا يتصفح الّا كتبًا من هذا النمط فكأَنما اقتصر على المناهل العذبة والموارد الصافية فتحسن عليها صحتهُ ويهنأُ عيشهُ ولا يصادف ما يؤلم حاسَّةً من حواسهِ بخلاف

نظرة في المطالعة

للمرحومة عفيفة ابنة الاستاذ سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الخواجه نصري موسى من مكحل المتوفاة في ٦ شباط (فبراير) من هذه السنة ١٩٠٦ في مدينة بارا من اعمال البرازيل عن عشرين عاماً

المطالعة سياحة العقل في ما كوّنت العقول . وتنقّلهُ في ما دوّنت الاقلام من افكار الحكماء وآراء العقلاء وعلوم العلماء وقصائد الشعراء واخبار القدماء واوصاف البلاد فيجوب القارئ الارض شرقاً وغرباً وهو تحت سقف بيتهِ فالمطالع كالمسافر هذا ينتقل جسمهُ وذاك ينتقل فكرهُ

احتياج المطالع كاحتياج المسافر

لا بدَّ لمن يريد السفر ان يكون صحيح البدن سليم العقل متجه النفس الى غرض يحاول ادراكهُ بذلك السفر . والمطالع نظيرهُ فهو يحتاج الى الثلاثة المذكورة حتى يجني من مطالعتهِ ثماراً لذيذة ويتمتّع منها بفاكهةٍ نافعة

طرق السفر وكتب المطالعة

ان طرق السفر قد تكون مخيفة ذات مخاطر إما من قبَل قطاع الطريق واللصوص وإما من الوحوش الضارية فلا غنى لمن يضطر الى السير فيها ان يتخذ عدة ويستصحب رفاقاً انقياداً لما ربما يعترضهُ من المخاطر كذلك الكتب التي يدفع الى قراءتها قد تكون مكامن للصوص الاخلاق الحميدة فتثب عبارات منها بسلاح التمويهِ والزخرفة على عقل المطالع وتنهب من آدابهِ كما يثب اللصوص على المسافر وينهبون امتعتهُ واثقالهُ وربما تخرج بعقل المطالع عما كان عليهِ من المبادئ الصالحة وتجرهُ الى مبادئ طالحة فيكون كالسائح الذي يفتك بهِ قطّاع الطريق

فما كان من الكتب كهاتيك الطرق فلا يقدر على مطالعتهِ إلاَّ من كان لهُ من العقل قوّة كافية تريهِ تلك الاخطار وتعينهُ على ردّها وتذليلها

وقد تكون طرق السفر ضيّقة واقعة على شفير مهواة فان زلّت بالسائر قدمهُ او بالراكب مطيتهُ لقي حتفهُ فلا يتقي السقوط الاَّ اذا جانب حافة الطريق وتثبّت في وضع قدمهِ ونقلها . واشبه شيء بهذه الطرق كتب تتضمَّن من الاخبار والقصص ما يجعل الخطر على الآداب قريباً . فان لم يكن للمطالع عقل يريهِ الخطر القريب منهُ يخشَ عليهِ ان يقع في مهاوي الاخطار بل يخشَ عليهِ ان تقوم قيامة آدابهِ . ويخرج عن جميل عاداتهِ . وقد تكون طرق

بمطالعةٍ تكون كالطعام المائع . ولا مراء انهُ يستدل على انتفاع المرء من مطالعة كتاب علمي بارتقائهِ الى درجة العارفين بذلك العلم ومن مطالعة كتاب تهذيبيّ بتحسن اخلاقهِ والنزوع عن سيئ عاداتهِ فغاية الغذاء حفظ الحياة وغاية المطالعة تنوير الذهن فان كانت المطالعة لا تنير الذهن ولا تهذب النفس فهي كطعام لا يحفظ الحياة

هذا ومن اراد ان يطيل البحث في هذا الشأن فقد مهدت لهُ السبيل ومن اراد ان يتدبر ما قلت ممن يهمهُ تنوير الذهن مع ادب النفس وطهارة القلب فما احسبهُ الاَّ مقبلاً على مقالتي كالشهوان على بواكير الفاكهة

النبات في القمر

أتى على الارض زمن لم يكن لها فيهِ قمر يتبعها ويدور حولها ولا كانت مثلما نراها الآن بل كانت كتلة سائلة تغطيها قشرة سمكها نحو خمسة وثلاثين ميلاً . ولا يعلم متى كان ذلك تماماً وانما يعلم انهُ كان منذ ملايين من السنين ايام كانت الارض تدور على محورها بسرعة متزايدة قصر بها اليوم حتى صار بضع ساعات فلما صار طولهُ ثلاث ساعات نزلت بالارض نازلة تعدُّ من اكبر النوازل في تاريخ الاجرام السموية فان قوة الابتعاد عن المركز فيها عظمت الى حدّ ان انفصل عنها خمسة آلاف مليون ميل مكعب من جرمها وقُذف بها الى الفضاء فكان منها القمر

ولا يخفى ان القمر اكبر التوابع والاقمار بكثير حتى انهُ يخيّل للناظر اليهِ والى الارض من جرم مجاور لها انهما سيار مزدوج . ولما كان جرمهُ اصغر من جرم الارض فان جاذبيتهُ اضعف من جاذبيتها بكثير . فلو أُتيح لانسان منا ان يسافر اليهِ ويسكن فيهِ لوجد ان قوتهُ البدنيَّة تحاكي ستة اضعاف ما كانت عليهِ وهو على الارض اي انهُ يستطيع ان يرفع بيديهِ جسماً ثقلهُ ستة اضعاف ما يستطيع رفعهُ هنا ويركض بسرعة تساوي ستة اضعاف سرعتهِ هنا ويتمُّ من الاعمال ستة اضعاف ما يتمهُ هنا في وقت واحد . وذلك لان القمر يجذب الاجسام التي عليهِ بقوة تعادل سدس قوة جذب الارض للاجسام التي عليها

ومع ان المسافة التي تفصل بيننا وبين القمر تبلغ ٢٤٠٠٠٠ ميل فاننا نعلم عن طبيعة وجههِ المتجه الينا اكثر مما نعلم عن الاصقاع المتجمدة او عن قلب افريقية . فقد رسمت خرائط للسهول الواسعة السوداء التي تظهر فيهِ وصوّرت بالفوتغراف وكان يظن قبلاً انها بحور .

الكتب الشبيهة بالمياه الآجنة في الامكنة الوبيلة التي تعاف النفس شربها ويعلُّ المزاج منها كالاسفار المشحونة بالاقاصيص المصنوعة والحكايات الموضوعة فما راجت هذه الاسفار في قوم الاَّ اطفأَت انوار عقولهم وقذفت بهم الى غور الذلّ . فانظر الى الصين التي تقدَّر بثلث العالم ترَ الى اي حطة نزلت الخرافات باهل تلك المملكة الكبرى فمن اعظم الاحسان الى بني الانسان احراق كتب الخرافات واخلاء الدنيا من آثارها

ثم ان السفر قد يكون منحصرًا في المملكة التي ينتسب المسافر اليها وقد لا يكون كذلك ومثلهُ المطالعة فهي إِما منحصرة في لغة المطالع ومؤَلفات علماء بلادهِ وإِما متجاورتها الى لغة قوم او لغات اقوام آخرين . فمن الكتب المكتوبة بلسان غير عربيّ ما هو كمعادن الفضة والذهب ومغاوص اللؤْلؤ مثل كتب العلوم والفنون والصنائع . ومنها ما هو كالبساتين الحاوية انواعًا من الاشجار والفواكه وضروبًا من البقول الطيبة والنباتات العطريَّة مثل كتب التاريخ وسير العلماء والادباء والفضلاء . ومنها قصص وحكايات مما يتعلل بهِ العوام في اوقات الفراغ على ان في هذه قسمًا مما يجب تطهير الارض منهُ وتسليط النار عليهِ . فمن يقرأُ كتب بلغاء الافرنج وعلمائهم لا يصدر عنها الاَّ وفي ذهنهِ جواهر فوائد وكذلك من يتصفح كتب العلماء من كل جيل . ولا يخفى ان نحو ثمانية اعشار ما تذيعهُ جرائدنا ومجلاَّتنا معرَّب عن كتب الاعاجم ومجلاَّتهم وصحفهم وفي بعض هذه المعرَّبات من الدلائل على ما تضمنتهُ كتبهم ومنشوراتهم من الثمار الفكرية ما يهجم بالقارئ على تعلم لغة اعجمية والاجتهاد لاكتساب ملكة الانشاء في العربيَّة

حياة مطالع التاريخ

من يطالع التاريخ فكأَنهُ وُلد منذ وُجد البشر على الارض وبقي حيًّا ينتقل من عصر الى عصر . ولا غرو فكتب التاريخ صور الامم الحالية ورسوم القرون الماضية فاذا تصفحها الانسان فكأَنما رأَى تلك الامم وعرف ما كانوا عليهِ وما جرى بينهم من الحروب وما ارتبطوا بهِ من المواثيق . فقارئ التاريخ هو الحي الاكبر والسائح الاعظم فان كان ممن رزقوا ثقابة الذهن وقوَّة الاستنتاج كان لا الذّ من مجلسهِ ولا أَفيد من حديثهِ ولا اغزر منهُ مادةً للكتابة اذ هو كما قلت اوسع روايةً واطول عمرًا

ومن درى اخبارَ من قبلهُ اضاف اعمارًا الى عمرهِ

الخلاصة

اقصى ما نويت من بث هذه الخواطر ان احثّ امثالي على تغذية العقل وانماء الآداب

والجليد . وظهور هذا البياض تارة واختفاؤهُ اخرى لا يمكن تفسيرها الاّ بالمذهب الاخير اي ان الثلج والجليد يتبخّران في نهار القمر الطويل وطولهُ نحو ١٥ يوماً بايامنا ويتكونان في ليلهِ الطويل

واذا كانت براكين القمر تقذف ماء بصورة بخار وغاز الحامض الكربونيك فما يمنع وجود احياء في القمر ولو على ادنى الصور والاشكال . والاستاذ كربج يقول انهُ رأى آثار نبات على سطح القمر فان فيهِ بقعاً متغيرة تسودّ بعد شروق الشمس وتزول عند الغروب ولا يمكن ان تكون ظلالاً لانها تكون على اظهرها عند الظهيرة . ولا ترى البتة في الاقاليم القطبية فهذه البقع هي نبات في رأيهِ . وسواء كان مصيباً او مخطئاً فقد أبان سبب منظر حار فيهِ الفلكيون وضلوا

ولا يعترض على وجود الحياة في القمر انخفاض درجة حرارتهِ فان من النباتات الارضية ما ينمو في الاصقاع المتجمدة حيث الحرارة قلّما ترتفع عن درجة ذوبان الجليد. ومن البكتيريا ما يعيش في اشدّ برد تمكن الانسان من احداثهِ بالوسائط الصناعية

وغاية ما يستفاد من ابحاث الاستاذ بكربج في القمر وطبيعتهِ انهُ وان يكن قفرًا بلقعاً شديد البرد فهو ليس عديم الحياة كما هو الرأي الشائع

فلسفة اللون الاصفر

اطلعنا على مقالة مسهبة في هذا الموضوع من قلم العالم هفلوك أَلس احد مشاهير الكتاب الاميركيين فاقتطفنا منها ما يأتي

للون الاحمر شان عظيم في امور الامم العقلية على تعدد نحلهم وتفاوتهم في درجة الحضارة والعمران . اما اللون الاصفر فليس كذلك بل ان تأْثيرهُ في الامم يختلف جدًّا باختلاف الزمان والمكان ودرجات التمدن وفي الافراد باختلاف اطوار العمر وليس بين الالوان لون مثلهُ يرفع بعض الناس قدرهُ الى السبع الطباق وينزلهُ البعض الى ادنى دركات الامتهان

ويظهر من درس تاريخ اخلاق الشعوب المتوحشة انها تبتهج باللون الاصفر بوجه عام لا تفضّل عليهِ سوى اللون الاحمر ومنها من يساوي بينهما او يفضّل الاصفر على الاحمر. فاهل بعض اقسام غينيا الجديدة مولعون باللون الاحمر ولكنهم يحبون اللون الاصفر كذلك وقد يفضلونهُ على الاحمر بدليل انهم يطعمون نوعاً من الببغاء ذي الذنب الاحمر جذورًا

وكذلك رسمت خرائط لبراكينهِ ولجبالهِ العالية التي يبلغ علوُّ بعضها ٢٠٠٠٠ قدم

وهو يختلف عن ارضنا من اوجه كثيرة فان آثار النيران التي كانت تتأجج فيهِ قدماً بادية على سطحهِ في كل بقعة منهُ حتى انك لتراهُ بالتلسكوب اكلف الوجه مغضّنهُ كثير الحزون والاخاديد ليس فيهِ ما يقرُّ العين ويشرح الصدر . والبراكين كثيرة فيهِ وخصوصاً في قطبهِ الجنوبي الى حدّ ان قال غليليو في وصفها انها تشبه العيون التي تظهر على ذنب الطاووس وكان اول من نظر الى القمر بنظار . وبعض هذه البراكين كبير جدًّا حتى ان الواقف في وسط فوهة احدها لا يرى جدارها المحيط بهِ لبعدهِ عنهُ . وقد يبلغ قطر الفوهة ١٠ اميال او عشرين ميلاً او ستين

وربَّ سائل يسأل هل هذه البراكين خامدة . والجواب ان جمهور الفلكيين على انها كذلك ولكن الاستاذ بكرنج استاذ الفلك في كلية هارفرد يقول انهُ ظهر لهُ من بعض الارصاد ان منها ما هو ثائر. واعظم دليل يستند اليهِ ما شوهد من تغيُّر حجم البركان المسمى لينه . فقد صوره بعضهم في خريطة قديمة فقال انهُ معتدل الحجم . وصوره آخر بعد ذلك بنحو قرن فوصفهُ بقولهِ انهُ صغير الحجم . وبعد اختراع آلات القياس الحديثة الدقيقة قيست فوهتهُ مرارًا فجاءت النتيجة كثيرة الاختلاف فمرة كان قطرها اربعة اميال وأُخرى ستة اميال واليوم ثلاثة ارباع الميل . فان كان هذا البركان خامدًا فبمَ يعلل هذا التغير الذي طرأ على فوهتهِ

ومما استدلَّ الاستاذ بكرنج منهُ على ثوران بعض براكين القمر رؤْيتهُ سحبًا بيضاء كثيفة تتصاعد من شقّ اسمهُ وادي شروتر مما لا يحدث لو كان البركان خامدًا . وقد اشتهر بكرنج بدقة ارصادهِ حتى لا يكاد احد يرتاب في صحتها

هذا واذا كان بعض براكين القمر ثائرًا فلا بدَّ ان يقذف شيئًا الى الفضاء . وقياسًا على براكين الارض لا بدَّ ان يكون ذلك الشيء ماءً وغاز الحامض الكربونيك ولكن لما كان الضغط على سطح القمر واطئًا جدًّا بسبب ضعف الجاذبية وكانت درجة الحرارة لا تقلُّ عن ٤٦٠ درجة تحت الصفر بمقياس فارنهيت في ليلهِ الطويل فلا يمكن ان يوجد الماء فيهِ سائلاً بل بصورة ثلج وجليد . فهل ثمة دليل على وجود الثلج والجليد في القمر

ثم ان كل بركان من براكين القمر تقريبًا مبطّن عند فوهتهِ ببطانة بيضاء وقمم جبالهِ العالية مكللة بالبياض . وبياض قطبهِ الجنوبي مما يبهر الابصار . فما هذا البياض . في اعتقاد معظم الفلكيين انهُ لون سطح القمر الطبيعي . وفي اعتقاد الاستاذ بكرنج انهُ لون الثلج

هذا في الافراد والجماعات الصغيرة من الناس ولكن لا يصحُّ اطلاقهُ على مجموع البشر عموماً فان في الارض امة عظيمة جدًّا تنزل اللون الاصفر اسمى منزلة من الاجلال والاكرام وهي الامة الصينيَّة وكذلك سكان الهند وسيلان وشبه جزيرة ملقَّا بل اهل قارة اسيا كلها قديماً وحديثاً . فاهل الهند وسيلان يفضلون الازهار والملابس الصفراء على غيرها ويقدّسون المواد التي يستخرج منها الصباغ الاصفر و يعدون وجودها لازماً في بعض حفلاتهم الدينية مثل الكركم والزعفران . وكان الفرس وسكان اوربا في القرون الوسطى يعتقدون ان الزعفران يفعل فعل السحر فيضعونهُ في اكياس صغيرة يحملونها عوذا وتمائم (١) ويستعملونهُ كثيرًا في طعامهم . وكذلك البوذيون فانهم يقدسون اللون الاصفر وزهرتهم المقدسة صفراء والاسرائيليون فقد شبهت العروس في نشيد الانشاد بالكركم . وعند الصينيين ان الصفرة لون حسن الحظ مثل الخضرة والحمرة . واهالي ملقَّا يعتقدون ان البياض اقدس الالوان يستعملونهُ للمصالحة بين الارواح الشريرة وان الصفرة تساوهُ في الطهارة والقداسة . ورد في تواريخهم ان احد سلاطينهم نهى العامة عن لبس الملابس الصفراء وحمل المناديل الصفراء وتعليق السجوف الصفراء في منازلهم لان اللون الاصفر اقدس من ان يدنسهُ العامة بادرانهم وعليهِ اختصهُ سلاطينهم بانفسهم منذ ذلك الحين

وكان اهل اوربا في القرون الوسطى يفضلون اللون الاصفر على غيرهِ وان كانوا لم يقدّسوهُ مثلما يقدّسهُ اهل اسيا الآن . في بلاد اليونان ورومية كان اللون الاحمر اقدس الالوان والاصفر لون ملابس الاعراس للنساء والاولاد . ذكر بلينيوس ان اللونين الاحمر والاصفر كانا اكثر الالوان شيوعاً في الصور القديمة . وقال امبدوكليس ان الالوان الاربعة الاصلية هي الابيض والاسود والاحمر والاصفر . واكثر هوميرس وشعراء الرومان من ذكر اللون الاصفر في قصائدهم

***

هذا من حيث تاريخ اللون الاصفر وتأثيرهُ في طوائف البشر قديماً وحديثاً . ورب سائل يسأل وما معنى هذا التضادّ بين اوربا الحديثة عن جانب والامم القديمة واسيا عن الجانب الآخر من حيث اعتبار اللون الاصفر وما هو السبب في عدم ابتهاجنا بلون كان اهل العصور القديمة ولا يزال اهل قارة اسيا يجلون قدرهُ لانهُ لون الشمس والذهب والحنطة

(١) [المقتطف] كان العرب يعتقدون في الزعفران مثل ذلك على ما يظهر بدليل قولهم لمن اعتراه الحسون انهُ في صفرةٍ لانهم كانوا يمسحونهُ بشيء من الزعفران لمعالجتهِ فيصفرُّ جلدهُ

صفراء ليصفرَّ ذنبهُ لانهم يجهلون الصبغ بالالوان واهل جزائر الاصدقاء ينزلون اللون الاصفر منزلة الاحمر او يعدونهُ ثانياً لهُ ومثل ذلك يقال في اهل اوربا القدماء فانهم كانوا ينعتون الذهب بالاصفر والاحمر على السواء

هذا في الجماعات واما في الافراد فان صغار الاولاد (واوجه التشبه بينهم وبين المتوحشين كثيرة) يحبون الاصفر مثل المتوحشين ويفضلونهُ عليهِ غالباً والسبب في ذلك كون الاصفر اشدَّ ظهوراً ولمعاناً من الاحمر على ما يرى البعض ولعلهم مصيبون في ذلك . وقد جرَّب بعضهم تأثير الالوان في الاولاد فوجد ان منهم من كان يفضل الاصفر بلا تردُّد وينتقي الاشياء الصفراء من بين اشياء ملونة بالوان اخرى وهو لا يزال طفلاً . وعرض آخر كرتين الواحدة حمراء والاخرى صفراء على طفل عمرهُ اربعة اشهر فكان يتناول الصفراء دون الحمراء كلما عرضنا عليهِ . ولما كاد يبلغ الحول كان ينتقي الكرة الصفراء ست مرات في كل عشر مرات ووجد آخر ان طفلهُ كان يتردَّد كثيراً في اختيار الاصفر ولكنهُ لم يكن يتردد في اختيار البرتقالي . وعرضت زهرتان الاولى حمراء والثانية صفراء على طفل عمرهُ سنة ثم عرضت عليهِ ثلاث ازهار حمراء وبيضاء وصفراء بالتتابع ثم اربع ازهار حمراء وبيضاء وبرتقالية وصفراء فاختار الصفراء في المرار الثلاث ولكنهُ توقَّف في المرة الثالثة قليلاً بين الصفراء والبرتقالية

وظهر من تجارب آخرين ان تفضيل الافراد للون الاصفر يقلُّ بتقدمهم في السنّ حتى ان البنات لا يعدن يفضلنهُ على غيرهِ بين الرابعة والسابعة من سنهنَّ . وامتحن الاستاذ لوبسين الالماني تأثير الالوان في تلميذات مدرسة في كيال بالمانيا عمرهنَّ بين الثامنة والرابعة عشرة وكان يعرض عليهنَّ الالوان زوجين زوجين فلم يكنَّ يفضلنَ البرتقالي على لون آخر وكنَّ يفضلنَ الاصفر على الاخضر وعلى البنفسجي غالباً ولكنهنَّ لم يفضلنهُ البتة على الاحمر ولا على الازرق . ووجد آخر انهُ كلما تقدَّم الاولاد ذكوراً واناثاً في السنّ جعل الذكور يفضلون الالوان التي في جهة البنفسجي من الوان الطيف الشمسي والاناث يفضلن الالوان التي في جهة الاحمر منهُ

ووجد وِسلر ان كبار التلامذة في المانيا ذكوراً واناثاً قلما يفضلون الاصفر على غيرهِ فان ٢ في المئة من الذكور يفضلونهُ على غيرهِ و ٥ في المئة من الاناث . وان الرجال يكرهونهُ اكثر من سائر الالوان وان النساء يكرهن البرتقالي اكثر من غيرهِ . وجرَّب جاستر وتأثير الالوان في ٤٠٠ رجل وامرأة في معرض شيكاغو فوجد انهم اقلُّ استحساناً للاصفر والبرتقالي من سائر الالوان وان النساء اكثر استحساناً للاصفر من الرجال

وصايا مفيدة

اوصى بها السر متى هيل اولادهُ وكان كبير قضاة الانكليز في القرن السابع عشر

كتبت اليكم يا اولادي الاعزاء هذه الوصايا في ما يتعلق بالكلام لان اكثر ما يصيب الناس من خير او شر ناشئ عن الكلام خيراً كان او شرًّا

لا تقولوا ابدًا عن شيء انهُ حق وانتم تعلمون او تظنون انهُ باطل . لان الكذب اثم عظيم لدى الله الذي وهبنا لساناً لينطق بالحق لا بالباطل . وجناية على الناس لانهُ حيث لا تكون حرمة للصدق لا يكون أمن في المعاملات . وهو ضرر على الكاذب لانهُ يلحقهُ بالعار ويبث الخساسة في نفسهِ فيصير يستصعب النطق بالحق ومجانبة الكذب ولو لم يكن لهُ موجب. ومصير الكذاب ان يكف الناس عن تصديقهِ وانهُ هو نفسهُ لا يكاد يعرف متى ينطق بالكذب

وكما يجب عليكم الحذر من الكذب كذلك يجب عليكم الحذر من الاقتراب اليهِ كالابهام والمراوغة او ان تثبتوا شيئًا لا دليل عليهِ الا الاشاعة او الظن او الوهم

وليكن كلامكم قليلاً ولا سيما امام من هم اكبر منكم او امام الغرباء لئلا تظهروا جهلكم وتحرموا انفسكم من فوائد المعرفة والحكمة والخبرة التي كنتم تكسبونها منهم لو لم تسكتوهم بكلامكم الفارغ

لا تصخبوا في الكلام ولا تغلطوا بل أفحموا الخصم بالحجة لا بالصياح

لا تقاطعوا المتكلم بل اسمعوا ما يقولهُ الى النهاية لكي تبلغوا غاية الفهم وتحسنوا الاجابة

تأملوا قبل ان تتكلموا ولا سيما اذا كان الموضوع خطيرًا وزنوا معنى ما تريدون قولهُ والعبارات التي تقصدون استعمالها حتى تكون دالة على المراد مطابقة لمقتضى الحال من غير ان تؤذي السامع . فان الذين لا يفكرون الا متى شرعوا في الكلام او الذين يتكلمون ثم يفتكرون هم الطائشون الذين لا يتبصرون في عواقب الامور

اذا كان جليسكم ممتازًا بمعرفة علمٍ او فنٍ كالزراعة والتاريخ والرياضيات فسوقوهُ الى الحديث في ذلك الامر وانتبهوا لما يقولهُ واحفظوهُ في ذاكرتكم او اكتبوهُ . فاذا فعلتم ذلك جمعتم فائدة عظيمة ممن تحادثونهم واكتسبتم ما تنتفعون بهِ في احوال كثيرة

والعسل والكهرباء مع انهُ اللون السائد في نور الشمس والانوار الاصطناعية التي نستضيء بها. ولا يمكن ان يكون السبب في ذلك ارتقاء ذوقنا عن ذوق الاقدمين من حيث النظر الى الجميل والجمال ومن ذلك مخالف للواقع بشهادة اعاظم المصورين . يحكى ان المصور رمبرند الشهير كان وهو يزيد فنهُ اتقانًا يزيد اعجابًا وتعلقًا باللون الاصفر حتى انهُ طلى صورهُ الاخيرة بطلاء ذهبيّ

ويؤخذ من المقارنة والاستدلال ان ظهور الديانة المسيحية كان السبب في ذلك الانقلاب وتفضيل الالوان الغامقة على الفاتحة وهذا نشأ عن مقاومة الديانة المسيحية للوثنية عند ظهورها ورفض المسيحيين لكل ما كان فيهِ رمز للفرح والكبرياء . وكان الاحمر والاصفر اللونين السائدين حينئذٍ وحبُّ الاحمر مغروسًا في الطبيعة البشرية الى حدّ ان الديانة المسيحية لم تستطع استئصالهُ من صدور ابنائها فكانت النتيجة ان دولة الاحمر سادت ودولة الاصفر دالت وبات الاصفر لون الحسد والضغينة . فصوّر يهوذا الاسخريوطي بملابس صفراء وأُكره اليهود في بعض البلاد على لبس الملابس الصفراء . وصبغت ابواب منزل الخائنين والمجرمين في فرنسا في القرن السادس عشر باللون الاصفر . وحكم ديوان التفتيش في اسبانيا على الهراطقة الذين ارتدوا الى الايمان ان يعلقوا صليبًا اصفر تكفيرًا عن مروقهم الاول وحمل شمعة صفراء

ومن اسباب مقت المسيحيين للون الاصفر علاقتهُ بالحبّ الدنس او الزنى . فقد كان لون الحبّ الطاهر اولاً فكان العذارى يلبسن اثوابًا صفراء في اعراسهنّ وجاء في الالياذة وكتاب جيتاجوفندا الهندي انهم كانوا يفرشون للمحبين فراشًا من الكركم (الزعفران) . ثم انقلبت الحال في عهد اليونان والرومان فاتخذتهُ الحليلات والرايات لونًا لملابسهنّ وصبغن بهِ شعورهنّ وظلت الحال كذلك الفي سنة او اكثر الى عصرنا الحاضر فصار الاصفر رمز الفحشاء في اوربا فلذلك كرههُ المسيحيون

ثم جعل الناس يعبّرون عن كرههم للون الاصفر بابعادهِ عن كلّ جميل والصاقهِ بكل قبيح فقالوا ان الاصفر لون صفراء المرارة واليرقان . وخلط بعض القبائل بين اللون الاصفر والصفراء حتى اطلقوا اسم الصفراء على كل ما هو اصفر واخضر . وصار الاصفر لون الحسد والسوداء .

باب الزراعة

سعر القطن والمالية

لقد تحققت الاماني فارتفع سعر القطن المصري وزادت قيمة الصادرات على الواردات ونجت البلاد من الافلاس الذي كان يخشى منهُ عليها لو استمرَّت الحالة سنتين اخريين على ما كانت عليهِ في السنة الماضية . فبلغ ثمن قنطار القطن في الكنتراتات من عشرين ريالاً الى ٢٢ ريالاً او اكثر قليلاً اي بلغ ثمن قنطار القطن ببزرتهِ نحو خمسة جنيهات ودام على ذلك منذ ثلاثة اشهر الى الآن ولو بيع القطن بهذا السعر من اكتوبر الماضي لبلغ ثمن هذا الموسم نحو ٣٠ مليون جنيه مع ان ثمن الموسم الذي قبلهُ لم يبلغ اكثر من عشرين مليون جنيه . ولكن ارتفاع السعر جاء متأخرًا بعد ان بيع نحو ثلثي الموسم فلا اظن ان الزيادة تكون اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات حصل نصفها في الاربعة الاشهر الماضية وسيحصل النصف الثاني منها في الاربعة الاشهر الباقية من هذا الموسم الى آخر اغسطس

اما حالة القطر المالية الآن فقيمة صادراتهِ زادت في الاشهر الاربعة الأُولى عما كانت عليهِ في العام الماضي مليونًا و ٨٤٥ الف جنيه ولولا النقص في قيمة بعض الصادرات الزراعية لكانت الزيادة اكثر من مليوني جنيه لان القطن وحدهُ زاد اكثر من مليوني جنيه ولكن نقص ثمن الصادر من السكر اكثر من مئتي الف جنيه ومن البصل ١٣٨ الف جنيه ومن الفول نحو مئة الف جنيه ومع ذلك بقيت الزيادة في قيمة الصادرات مليونًا و ٨٤٥ الف وقد زادت قيمة الواردات ٥٢٩ الف جنيه واذا حسبنا ان القطن الصادر من الاسكندرية يقدَّر ثمنهُ اقل مما يباع بهِ بنحو ١٥ في المئة فيكون ثمن القطن الصادر قد زاد في الاربعة الاشهر الماضية عما كان عليهِ في العام الماضي مليونين و ٣٠٠ الف جنيه

ثم ان سعر القطن الجديد مقطوع الآن في الكنتراتات بنحو ١٧ ريالاً فاذا لم ينقص عن ذلك كما يرجح بلغت زيادة الصادرات على الواردات في آخر هذا العام مبلغًا لم تبلغهُ من قبل فاوفي النقص الذي حدث سنة ١٩٠٤ وعادت مالية البلاد الى ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات حينما كانت قيمة الصادرات تزيد عن قيمة الواردات نحو ستة ملايين من الجنيهات يوفي بها القطر ربا دينهِ ودين حكومتهِ

اذا كنتم بين جماعة عليهم سمات الخفة والطيش فكونوا حذرين في محادثتهم ومعاملتهم لكي لا تماثلوهم في ضلالهم

اذا سمعتم احدًا لا تعرفون فيهِ الصدق والرصانة يقص قصصاً غريبة فلا تسرعوا الى تصديقها واذاعتها ولكن اذا لم يكن من معارفكم الاخصاء فلا تبادروا الى معارضتهِ واذا اضطررتم الى اظهار رأيكم فافعلوا ذلك بالحشمة والادب لا بالفظاظة والخشونة فتتنزهوا عن اغاظة احد وعن ملامتكم على سرعة التصديق

احذروا ان تمدحوا انفسكم فان ذلك دليل على انكم لستم على شيء من الشهرة . ومدح النفس قبيح مكروه عند الناس اجمع

امدحوا الغائب ما استطعتم الى ذلك سبيلاً ولا تغتابوا احدًا الاَّ اذا كنتم على يقين انهُ يستحق اللوم او انهُ يرجى بهِ اصلاحهُ او سلامة الغير منهُ

ابعدوا عن الاقسام والشتائم والسب والحجاج

اتقوا الهزء والسخرية باحد لعيبٍ فيهِ او تشويه او تظاهرًا منكم بما تحسبونهُ ذكاء وليس هو كذلك (ومن امثال الانكليز من يهزأ بالناس يهزأ بهِ ومن يعض يُعض)

احذروا كلام المذمة والتهديد والحقد فان قول الخير يكسب الصداقة وقول السوء يجلب العداوة . ومن الحزم اصطناع ما امكن من الاصدقاء ولا سيما اذا كان ذلك بالكلام الطيب . ومن الحمق ان تصيروا لكم عدوًّا بكلام سوء لا فائدة منهُ للمتكلم

اذا اذنب اليكم احد فقد يجوز ان توبخوهُ واذا كان المذنب اليهِ اكبر من المذنب فالتوبيخ واجب غير انهُ يجب ان يكون بلا مذمة ولا شراسة والاَّ فلا يحصل منهُ الغرض المطلوب والفائدة المقصودة بل يسخط المذنب ولا يصلح الذنب ويحق اللوم على اللائم

اذا غضب احد واساء اليكم في الكلام فالاولى ان تشفقوا عليهِ لا ان تسخطوا . وانكم لتجدون الصمت او الجواب اللين ابلغ في الانتقام من المغضوب وهو يؤدي بهِ الى الرجوع عن غضبهِ او يكون توبيخاً صارماً لهُ وقصاصاً اليماً

وأوصيكم اخيرًا ان تشتغلوا بالاعمال المفيدة لان البطالة تربي الافكار الباطلة الخبيثة التي تفسد القلب والسيرة . تلطفوا وتوددوا واكرموا الجميع ولا تعاملوا الخدم بالقساوة والفظاظة

يوحنا ورتبات

ة فيهِ جدًّا فيسهل تمييز نبات القطن الهندي حال ظهوره ويسهل
ا فعل ذلك المزارعون كلهم تنقى القطن المصري من القطن الهندي

حركة القطن

سكندرية حتى ١٨ مايو الجاري	٥٨٥٩٠٩٣	قنطارًا
ي	٦٠٨١٦٨٠	«
لى ١٨ مايو	٥٣٦٥٠٤٤	«
ي	٥١٤٤٢٥٦	«
سكندرية هذا العام	٠٨٤٠٠٤٩	«
ي	١٣٤٦٤٢٤	«

ل الموسم لاحتراق من موسم الذي قبلهُ وقد بلغ ذلك الموسم
. ان يبلغ الموسم الاخير ستة ملايين ومئة الف قنطار الى مئة
الصادرات هذا العام اكثر من مئتي الف قنطار عن مثلها في
ات اكثر من نصف مليون قنطار وهذا النقص في المتأخرات اثر
ستقبل واذا ثبت ما يقال عن الموسم الاميركي وهو ان الارض
سبعة او ثمانية في المئة عما كانت عليهِ في العام الماضي قوي الأمل
ا تهبط بهِ الاسعار . واذا زاد الموسم الاميركي على نسبة مساحة
من احد عشر مليون الة وحينئذٍ يعود سعر القطن المصري في
او اكثر وهو الآن نحو ١٧ ريالاً

دودة القطن

دودة لوزة القطن المصري

الموظف المختص بعلم الحشرات في الجمعية الزراعية الخديوية الى

ة القطن ضررًا عظيمًا كلّ سنة في اغسطس وسبتمبر واكتوبر
واللوز اثناء نموهِ فيموت او يفتح قبل تمام نموهِ فتكون النتيجة الحصول

ر الضرر الناتج عن هذه الآفة بما يزيد كثيرًا عن مليون جنيه

سبب ترقيع القطن

اعتاد المزارع المصري ان يضع كثيرًا من البزور في كل حفرة يزرع القطن فيها لكي تتعاون معًا وترفع التراب عنها وتظهر على وجه الارض حالما تنبت . وهذا اسراف في مقدار ما يزرع من التقاوي لانهُ اذا كان الاردب الواحد يكفي لزرع الاطيان اذا وضعت بزرة واحدة في كل حفرة فاذا وضعت عشر بزرات فلا بدَّ من استعمال عشرة ارادب . وثمن التقاوي ليس بالشيء القليل ولاسيما اذا كانت منتقاة من محصول جيد ومع ذلك فكثيرًا ما يحدث ان جانبًا كبيرًا من بزر القطن لا ينبت ابدًا وبعض الذي ينبت ييبس سريعًا فتدعو الحال الى الترقيع . ولم يكن يعرف السبب الذي يمنع بعض البزور من الانبات او الذي يميتها حالاً بعد ما تنبت ولكن يظهر من التجارب العلمية الجارية الآن في محل الجمعية الزراعية الخديوية انهُ قد عرف السبب وهو مرض فطري يصيب القطن حالما ينبت ويميتهُ حالاً وهو شديد الفتك والعدوى فاذا وضعت يدك على نبات مصاب بهِ ثم وضعتها على نبات سليم انعدى السليم وذبل ويبس. وعلم ايضًا ان هذا المرض يظهر و ينتشر اذا كان الهواءُ باردًا ولكن اذا كان الحرُّ شديدًا لم يظهر او لم ينتشر اذا ظهر . ولا تزال التجارب جارية للوقوف على الوسائل التي يمكن استئصال هذا الداء بها

تمييز القطن الهندي من العفيفي

لا يُعلَم كيف دخل القطن الهندي الى هذا القطر ولا يبعد ان يكون ناتجًا عن ناموس الرجوع الى الاصل اي ان يكون القطن المصري متأصلاً من قطن هندي او من قطن مثل القطن الهندي فيعود بعضهُ الى اصلهِ احيانًا . وهذا امر شائع في النبات والحيوان . ومهما يكن السبب فالقطن الهندي صنف خاص لهُ مميزات كثيرة تميزهُ فبزرتهُ طويلة دقيقة من احد طرفيها واشجارهُ كبيرة قليلة اللوز وقطنهُ ابيض قصير الشعر . فاذا اختلط القطن العفيفي بهِ لم يشترهِ التاجر بثمن القطن العفيفي فيتعب الارض ويقلل المحصول ويرخص الثمن . ولهذا اهتمت الجمعية الزراعية بتنقية بزر القطن العفيفي منهُ ولكنها وجدت انهُ اذا القطن الهندي مع القطن العفيفي وتلقح زهر الواحد من زهر الآخر اتى بزر القطن الهندي مثل بزر القطن العفيفي في شكلهِ فلا يمكن التمييز بينهما ثم اذا زُرع نبت منهُ نبات القطن الهندي ولكن وُجد بالمراقبة ان نبات القطن الهندي يمتاز عن نبات القطن العفيفي عند اول ظهورهِ فانهُ يكون فيهِ حمرة كثيرة عند ملتقى الورقتين الاوليين بالساق واما نبات القط

١٥ مليمترًا لونها اسمر ضارب الى الحمرة او الخضرة وعليها علامات صفراء و بدنها لحمية وهي اطول واشدّ ظهورًا قرب الرأس . فهذه الاوصاف تميز هذه الدودة الديدان التي تصيب القطن

لدودة اشدها في مدة ١٥ يومًا تقريبًا فتترك اللوزة حينئذٍ وتعمل لنفسها شرنقة اء اوسمراء وتتركها بين جانب اللوزة وحجرها او في موضع آخر فوق الشجرة . نقة نصف بيضي وتتحول الدودة التي داخلها حيوانًا طوله من ٩ الى ١٠ مليمترات مضي ١٠ ايام الى ١٤ يومًا يتولد من هذا الحيوان فراشة فان كانت انثى باضت وفقست ديدانًا أُخر

ذلك مرارًا مدة موسم القطن . فالدور الاول يظهر على القطن في آخر مايو ولكنهُ قليل الاهمية والاناث التي تبيض بويضات الدور الاول تضع بويضاتها وع اشجار القطن ومتى خرجت الدودة من البيضة تثقب الفرع الى عمق قيراط راريط فتذبل اوراق الفرع المصاب ثم يموت الجزء المصاب كلهُ ويسودُّ لونهُ . لوسواس واللوزات الصغيرة تدخلها الديدان مفضلة اياها على الفروع

تمبر واكتوبر تكون الديدان قد كثرت على نباتات القطن وتوالدت فيكثر كثر الضباب حينئذٍ ولذلك تنسب العامة ضرر الدودة الى الضباب وهذا خطاء . كلّ انسان ان يتحقق ذلك بنفسهِ بان يفحص اللوزات التي يقال ان الضباب أضرَّ ان الدودة ثقبتها وحفرت في داخلها واكلت البذور كلها او بعضها

اء فصل الشتاء تغتذي دودة اللوز من نبات القطن الذي ترك في الارض ومن ـة من جذور نبات التيل والباميا التي تنمو في الحدائق

زراعة القطن في السودان

من تقرير اللورد كرومر ان زرع القطن المصري جرّب في مديرية بحر الغزال ولا تجربة حتى الآن تمامًا . وجرب في مديرية بربر فجاءت النتيجة طبق المرام وزرع ن الاطيان المعدة لتجارب الزراعية في الكاملين من مديرية البحر الازرق قطنًا ريف سنة ١٩٠٤ فاشترى الخواجات كارفر ٦٥٠ قنطارًا من محصولهِ وقالوا في " ان صنفهُ حسن جدًا نظيف جميل اسمر اللون طويل الشعرة مستويها وقويها القطن المصري العفيفي الجيد في قيمتهِ وصنفهُ مرغوب فيهِ جدًا عند غزالي انكلترا"

انكليزي . فيظهر من ذلك ان مسألة دودة اللوزة جديرة باهتمام كلّ من لهُ علاقة بزراعة القطن في هذه البلاد . ولذلك حررنا هذه المذكرة لتوجيه انظار المزارعين الى اهمية هذا الامر ولنشرح لهم تاريخ حياة هذه الدودة واوصافها حتى تسهل عليهم معرفتها

وصف الدودة وتاريخ حياتها

تولد هذه الدودة من فراشة طولها من راس جناحيها الواحد الى راس الآخر ٢٢ مليمترًا ولون راسها وصدرها وجناحيها الاماميين اخضر لامع مثل لون حب البسلّة . واما لون جناحيها الخلفيين فابيض ولون موَّخر بدنها رمادي فضي . ومن هذه الدودة نوع آخر لون رأسهِ وصدرهِ واجنحتهِ الامامية اصفر

وهذه الفراشات كثيرًا ما توجد مستقرة على اوراق القطن . وترى احيانًا طائرة اذا مشى احد في ارض مزروعة قطنًا

والفراشة الانثى تضع بويضة مستديرة ذات لون اخضر ضارب الى الزرقة على اللوزة غالبًا في احد الخطوط التي تقسم اللوزة قرب قمتها . والقاعدة هي ان الفراشة تضع على اللوزة بويضة واحدة وجملة ما تبيضهُ نحو مئتي بويضة . وتضع البويضات احيانًا على وسواس القطن وبعد مضي ٣ او ٤ ايام يفقس من البويضة دودة طولها مليمتر واحد فتصعب رؤيتها حينئذٍ . وبعد ما تخرج الدودة من البويضة تثقب اللوزة ثقبًا صغيرًا جدًّا وتدخلها منهُ فتقتات اولاً بقشرة اللوزة من الداخل بضعة ايام ومتى كبرت تصل الى البذور وتأكل ما يوجد داخلها فيتقطع شعر القطن ويتلوث بمفرزات الدودة فيتلف . وتأثير الاصابة في اللوزات يختلف باختلاف حجمها ودرجة نموّها فان أُصيبت لوزة صغيرة او وسواسة ذبلت وسقطت من الشجرة ولكن قبل ان تموت تتركها الدودة وتسطو على وسواس آخر . اما اذا أُصيبت اللوزة وهي في متوسط نموّها فانها تفتح قبل اوانها ولا يتكوّن شعر القطن تمامًا بل يبقى ملتفًّا بعضهُ على بعض . ومن السهل معرفة اللوزات المصابة فمتى نظر اليها باعتناء يرى فيها الخرق الصغير الذي تدخل الدودة منهُ

وقد لا تفتح اللوزات المصابة احيانًا فيتحوّل لونها الى احمر لامع او احمر داكن فتسمى حينئذٍ "مبرومة" واذا فحصت ظهر ان دودة اللوز ثقبتها

ويستدلُّ على وجود الدودة داخل اللوزة الخضراء من الخرق الصغير الذي في قشرة اللوزة وما حولهُ من مفرزات الدودة وهي تصيب جملة لوزات اثناء نموّها . ومن السهل جدًّا معرفة الدودة التي تمّ نموُّها وذلك بان تقطع لوزة خضراء مصابة وتقسم الى نصفين فترى فيها

باب تدبير المنزل

نا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس
كن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الدعوة للطعام

ن طول مائدة الطعام مترين فلا يحسن ان يجلس حولها اكثر من ثمانية ثلاثة
ب واثنان على الطرفين واذا كان طولها ثلاثة امتار او اكثر قليلاً يحسن ان
تا عشر اي خمسة على كل جانب واثنان على الطرفين . ويجب ان يجتنب الكلام
ات السياسية وقت الطعام الا اذا كان للجميع سياسة واحدة

الملح لتنظيف الاسنان

لابيض الناعم خير المساحيق لتنظيف الاسنان فانهُ يبقيها بيضاء ويقوي اللثة
ذا اضيف اليهِ قليل من مسحوق الفلفل الابيض الناعم زاد في تقوية اللثة
سنان

دلالة التنفُّس

تنفُّس المريض بطيئاً دلَّ ذلك على انهُ مصاب بمرضٍ آليّ في قلبهِ او بارتجاج
في الحبل الشوكي وهي دلالة رديئة لا سيما اذا ضعف النبض بعد ذلك وبردت
ما في الاغماء الوقتي فلا باعث على القلق من الاعراض المذكورة
ن التنفس بطيئاً ممتلئاً فقد يدلُّ على ضغط في الدماغ ناشئ عن انفجار شريان
ن المريض مصاباً بالحمى التيفويد او التيفوس او السلّ او غيرها من الامراض
وضعف تنفسهُ كان ذلك نذيراً بالموت لاسيما اذا ضعف النبض ايضاً وأسرع

م
ن التنفس عسراً دلَّ ذلك على تجمع مواد غريبة في القصبة او تغيُّر حالة الرئتين
ة والربو . على انهُ اذا كان التسهيق عسراً فالعلة في الحنجرة واذا كان الزفير
في الشُّعب

وينتظر ان القطن الذي يجنى في السودان من التقاوي المصرية يروج كثيرًا في اسواق السودان فان السودانيات يجدنهُ اصلح للغزل والحياكة من القطن السود في الاصلي القصير الشعر ويعدُّ معهنَّ ثلاثة اضعاف القطن السوداني . وقد بيع ١٠ قنطار من القطن الذي زرعهُ الاهالي في مركز رباعه بنحو ٨٠ غرشًا القنطار

وزرع القطن المصري في مديرية كسلة فجاء نوعهُ جيدًا جدًّا وشهد الخواجات كارڤر ان بعضهُ يعادل اجود اصناف القطن العباسي تقريبًا

وجملة ما زرع قطنًا في العام الماضي في السودان كلهِ ٢٣٨٩٨ فدانًا فزادت ٨٦٣١ عما كانت عليهِ سنة ١٩٠٤

مستقبل القطن

تبلغ مقطوعية المعامل في اوربا واميركا الآن من ٧٠ مليون قنطار الى ٧٥ مليون قنطار اي من ١٤ مليون بالة الى ١٥ مليون بالة ولم تكن المقطوعية منذ ١٦ سنة سوى ٤٥ مليون قنطار او نحو ٩ ملايين بالة واذا استمرت زيادة المقطوعية على هذا النمط بلغت بعد خمس عشرة سنة نحو مئة وخمسين مليون قنطار او ثلاثين مليون بالة واذا بقي القطن المصري مجاريًا غيرهُ من البلدان التي تزرع القطن وجب ان يبلغ محصولهُ حينئذٍ ١٢ او ١٣ مليون قنطار وان يبلغ محصول القطن الاميركي ٢٤ مليون بالة . وهذا كلهُ بعيد الاحتمال ولكن لا بدَّ من ان تزيد الحاجة الى القطن رويدًا رويدًا وتنتشر زراعتهُ في اماكن كثيرة لا يزرع فيها الآن

آلة جمع القطن

جمع القطن من الاعمال الكثيرة النفقة فان جمع القنطار يكلّف من عشرين الى ثلاثين غرشًا واذا خيف من ان الامطار تضرُّ بالقطن اذا لم يجمع حالاً كما في اميركا زادت النفقات عن ذلك في بعض الاحيان ولذلك اهتمَّ الاميركيون باختراع آلة تجمع القطن كما اخترعوا آلة تضم الحنطة فاخترعوا آلات كثيرة ولكن لم يفِ منها بالمراد الا آلة واحدة تسير في الارض على عجل بآلة بخارية صغيرة يوقد فيها الغازولين ولها انابيب يدنيها رجال من اللوزة المفتوحة فتمص القطن منها فيصعد الى كيس كبير . ويقال ان هذه الآلة تجمع القطن من اللوز المتفتح ولا تجمع معهُ شيئًا من القشر والورق . والمرجح انها تشيع في اميركا وتقلُّ بها نفقات جمع القطن ولكن ذلك لا يؤثر في سعرهِ تأثيرًا يذكر. ولا يبعد ان تأتي بها بعض الدوائر الى هذا القطر ايضًا

ن اهم دلائل اللسان لونهُ . فاللسان المزرقّ دليل عسر التنفس كما في امراض القلب
غيرها. واللسان المحمرّ في رأسهِ وحافتهِ دليل التهاب حادّ في المعدة والمحمرّ في وسطهِ
ضطراب في الامعاء وهذا الاحمرار من اول اعراض التيفويد
، جميع الحميات تقريبًا يغطّى اللسان بشيء يشبهُ الفرو فاذا كان الفرو خفيفًا رطبًا
، على اضطراب بسيط في المعدة . واذا كان كثيفًا دلّ على عظم الاضطراب ودنو
واذا كان اصفر اللون دلّ على اضطراب في الكبد اما اذا كان اسمر اللون فدلالتهُ
كلما اكمد لونهُ كانت الدلالة اشأم اذ يخشى من انحطاط القوة العصبية وطروء الفساد
م. واذا رافق ذلك جفاف وتشقق فيهِ فالمريض في اشدّ درجات الخطر
ا كان اللسان يرتجف دلّ ذلك على ضعف عصبي في الجسم وهو علامة سيئة اذا
مرض شديد
ا اخذ الفرو يزول كان ذلك نذيرًا بتحسن حال المريض . فاذا بدأ يزول تدريجًا
ن والحافة حتى صار منظرهُ طبيعيًّا فالمريض في دور النقه ولكن اذا كان يترك بقعًا
مة الملمس فالنقه بطيء واذا زال سريعًا وترك سطح اللسان لامعًا مشققًا فالعلامة رديئة

دلالة سطح الجلد

الجسم ناشيء عن تقهقر الدم الى الاعضاء الداخلية . وكلما اشتدّ برد سطح الجسم
دتهُ اشتدّ المرض الذي يتلو ذلك البرد . واذا تعددت نوب البرد على المريض في
ضهِ فهي تنذر بالسوء . وكذلك اذا برد الوجه وكان سائر الجسم حارًّا . واذا كان
رًّا والاطراف باردة دلّ ذلك على اضطراب في الدماغ واذا كان الصدر واعلى
ـرّين كانت الرئتان مضطربتين واذا كانت الجبهة باردة فالعلامة سيئة . وكذلك برد
ي الامراض الحادّة مهما كان نوعها . واذا كان احد الخدين حارًّا والآخر باردًا
مصاب بحمى عصبيَّة
ن اهم دلائل الجلد لونهُ . فاذا كان احمر عامقًا دلّ ذلك على ان في الرئتين ما يعوق
رة الدموية . واذا احمرّ الجلد في الحمى المتقطعة وذات الرئة فهو علامة مشومة جدًّا
اذا احمرّ في آخر كلّ مرض شديد . اما في الربو والحمى التيموسية فحمرة
ة عادية
رقة الجلد علامة غير مرضية وكذلك اسودادهُ. وصفرتهُ ناشئة عن امتصاصهِ للصفراء

واذا كان تنفس المريض مصحوبًا بغطيط او فواق فالانذار سيّئ

واذا كان تنفسهُ عسرًا موءلمًا يشعر فيهِ كأَنهُ تختنق فذلك دليل على خلل في الدورة الدموية بين القلب والرئتين . فاذا كان وقتيًّا فهو حركة عصبية لا يخشى منها ولكن اذا كان مستمرًّا والمريض مصاب بمرض في حنجرتهِ او رئتيهِ فهو دليل سيّئ

واذا كان المريض لا يستطيع التنفس بسهولة الأ وهو جالس فالغالب ان يكون قلبهُ مريضاً . ويحدث مثل ذلك في الربو فلا يخشى منهُ

واذا كانت اضلاع المريض تتحرك وبطنهُ ساكن مدة التنفس فمرضهُ في المعدة او الكبد او الطحال او البريتون اما اذا كان بطنهُ يتحرك واضلاعهُ ساكنة عند التنفس فربما كان مصابًا بذات الرئة او ذات الجنب

دلالة الحرارة

هذا جدول يتضمن النسبة الاعتيادية بين عدد ضربات النبض في الدقيقة والتنفس ودرجة الحرارة بميزان فارنهيت

النبض	النَفَس	الحرارة
٨٠	١٨	٩٩
٨٨	١٩	١٠٠
٩٦	٢١	١٠١
١٠٤	٢٣	١٠٢
١١٢	٢٥	١٠٣
١٢٠	٢٧	١٠٤
١٢٨	٢٨	١٠٥
١٣٦	٣٠	١٠٦

فما دامت هذه النسبة محفوظة فلا خطر على المريض ولو بلغت الحرارة درجة ١٠٦ والا فالعاقبة وخيمة كما لو كانت درجة الحرارة ١٠٤ وعدد التنفس ١٨ وضربات النبض ١٣٦

دلالة اللسان

اللسان الجافُّ دليل على اضطراب داخليّ فقد يكون جفافهُ وقتيًّا كما في اضطراب المعدة الحاد او الاسهال ولكن اذا دام الجفاف دلَّ ذلك على التهاب داخلي يخشى منهُ

وجيزًا للجمهور خلاصتهُ انها تقرأُ الافكار فمن شاء ان يعرف ما يجهلهُ او هو في ريبة منهُ فليكتب جملة وجيزة على ورقة يضعها في جيبهِ موقعة باسمهِ فتجاوبهُ على سوَّالهِ وهو جالس في مكانهِ على مسمع الحضور . انما عليهِ اي على الشخص الذي تطلبهُ باسمهِ ان يتكرم بمجاوبتها لتعلم وجوده فتجاوبهُ على سوَّالهِ والذي لا يجاوبها ولا يعطيها اشارة وجودهِ في المحل فبالطبع تضرب عن ذكر سوَّالهِ والمجاوبة عليهِ . ولم تتم كلامها هذا حتى رأيت الايدي تحركت الى مناولة الورق واخذت في العمل وانا من الجملة كتبت سوَّالاً باللغة العربية ووقعت اسمي باللغة الانكليزية وبت انتظر الفتاة لتدعوني ولكنها دعت نيفاً وخمسين شخصاً وجاوبتهم على اسئلتهم بكل صحَّة ودقة ولم تدعوني والسبب على ما قالتهُ انها لا تقدر ان تجاوب الجميع لضيقة الوقت .
وكيفية ما فعلتهُ من هذا القبيل انها جلست في كرسي واتى الرجل فعصب عينيها ثم اسدل على جسمها وشاحاً كبيرًا اخفاها عن عيون الناظرين ما سوى يدها ظلت ظاهرة تشير بها وتطلب الشخص الذي يمرُّ في دهنها سوَّالهُ اولاً وعندما يعلن وجودهُ يذهب الرجل الذي معها ويحضر منهُ الورقة وتكون في ذهابهِ قد لفظت السوَّال وفي ايابهِ بدأَت تجاوبهُ وكانت تقرأُ اسماء الاشخاص والاسئلة كما هي تماماً قبل ان يتسلم الرجل الذي معها سوَّال السائل وكنتُ بعد ان تقرأَ كل سوَّال اراقب حركة السائل فانظرهُ يوافق على كلامها فيصفق لها اعجاباً بمقدرتها ولم تكتفِ بذلك بل كانت تعين محل الرجل عندما تدعوهُ باسمهِ وقد لحظت عليها وهي تقرأُ الاسئلة رجفاناً باهرًا وصوتها لم يختلف عليَّ قبل ان دخلت في عالم الغيب وفيهِ . ولما وقفت عن طلب الاسماء تقدم رجلها منها ورفع عنها الوشاح والعصابة وانهضها وهي في كرسيها في حالة الغيبوبة فان كان الرجل الذي هو رفيقها من عداد المتكلمين من بطونهم على حسب تعليلكم في الجزء الرابع فكيف يمكنهُ ان يدعو الشخص باسمهِ ويقرأَ سوَّالهُ قبل ان ينظر الى ورقة السائل كما كانت هذه الفتاة تفعل ارجوكم الاخذ في تحليل هذا الغامض ولكم الفضل

بالتيمور الولايات المتحدة اندراوس شماشيري

[المقتطف] ان الذين تجيبهم عن مسائلهم متفقة معهم على السؤال والجواب . والذين لم تتفق معهم مثلكم لا تجيب عن مسائلهم . ولوكانت هذه الفتاة تقرأُ افكار غيرها لاستطاعت ان تكتسب بهذه المعرفة ملايين من الجنيهات وتستغني عن عرض نفسها في الملاهي على هذه الصورة . وما رأَيتموهُ من نومها غير صحيح وهي تتظاهر بهِ تظاهرًا اتماماً للحيلة فلم تدخل عالم الغيب ولا فعلت شيئاً خارقاً العادة والتخلص من الحبال يفعلهُ كل المتعوذين

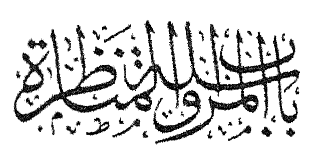
وهي دليل على اضطراب الكبد. واغبرارهُ علامة مرض خبيث مثل السرطان والخنازير والبول الزلالي. واذا كانت الوجنتان صفراوين وعليهما بقع حمراء دلَّ ذلك على تدرن في الرئتين قال الشاعر العربي

وقد يلبس المرء خير الثياب ومن دونها حالة مضنية
كما يعتلي خدَّهُ حمرةٌ وعلتها مرض في الرئة

ولكن قد يحدث مثل ذلك عن وجود الدود العادي في الجسم

دلالة العَرَق

اذا كان العَرَق حارًّا ليس شديد الغزارة فهو علامة حسنة لاسيما اذا عقب الحميات. والعرق البارد دليل الانحطاط العصبي. والعرق اللزج الغزير دليل رديء



قراءة الافكار

حضرة منشئي المقتطف الاغر

على اثر ما نشرتموهُ في الجزء الثاني والثالث من مقتطفكم الاغر عن الفتاة التي تدعي انها تعود الى ما كانتهُ قبلما ولدت اراني مدفوعًا ان انقل اليكم ما شاهدتهُ في الاسبوع الماضي من فتاة اخرى تدعي قراءة الافكار . اتت هذه الفتاة الى هذه الحضرة واكترت ملهى ماريلاند لتعرض فيهِ مقدرتها على قراءة الافكار وقبل ان آتي على وصف ذلك اذكر شيئًا وجيزًا عما اتت بهِ من الاعمال الغريبة فأوَّلاً تقدم رجل مرافق لها وطلب من الجمهور ثلاثة رجال ولم يتم طلبهُ حتى تقدم اليهِ الرجال الثلاثة وجلست الفتاة في كرسي ثم تقدم الرجل منها واخذ يعقلها والرجال المنتخبون من الجمهور يشاهدونهُ و يساعدونهُ في تعقيلها و بعد ان فرغ من ربط يديها ورجليها حوَّط جسمها بغلاف من خشب واستدعى انتباه الرجال ثم لفظ واحدًا اثنين ثلاثة وقرع قرعة خفيفة على الغلاف الخشبي فنهضت الفتاة على اثرها مطلوقة اليدين والرجلين هذا قليل من الكثير الذي رأيتهُ على هذا النوع ثم تقدمت الفتاة وافظت كلامًا

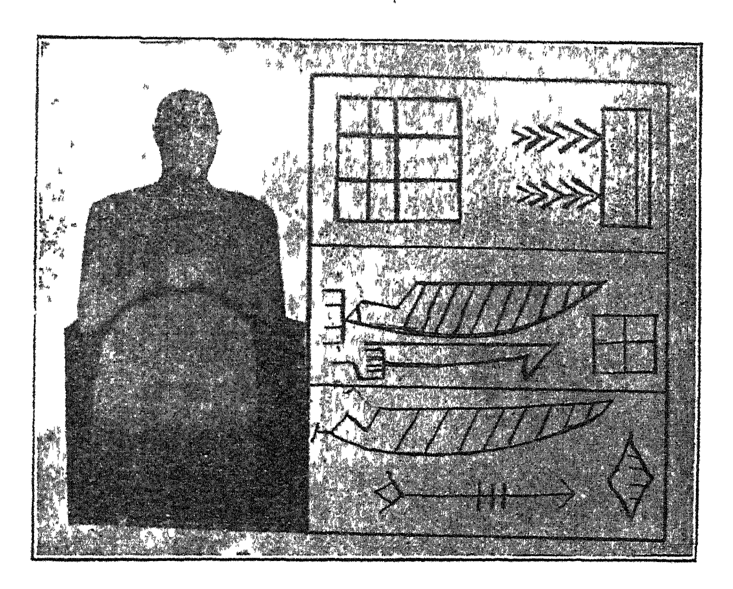
"رواية الجريدة — من اغرب ما يخطر على بال الانسان مكالمة ابن آدم للحيوان الا
وكثيرون لا يصدقون هذه الرواية لغرابتها وبعدها عن العقل ولكن الذين شاهدوها مرا
يصدقون وينشرون في الجرائد السيارة ما نظروهُ عياناً وتحرير الخبر ان لاحد فلاحي ا
الشرقية من ولاية الاباما طفلاً بالغاً من العمر ٦ سنوات صحيح الجسم والعقل ممتلئ البا
كبير الدماغ لا يعرف الكذب ولا يكذب على الاطلاق ولهذا الطفل خاصة فهم لغة الحيو
على اختلاف اجناسهِ واشكالهِ مثل الخيل والبقر والغنم والماعز والخنازير والكلاب والقط
وهلمّ جرًّا وهو يقرأ خفايا الانسان بمجرد النظر الى وجههِ وقد كان ظهور هذه الدلائل ع
وهو في السنة الثانية من عمرهِ

"واول ما بان عليهِ من هذه الدلائل هو ان والدتهُ قصدت ذات يوم الذهاب الى الح
لمساعدة زوجها وكانت منتظرة ساعة نوم طفلها لكي تتركهُ وتذهب الى عملها فلحظ الطفل
تريد ان تتركهُ وتذهب . فقال لها ماما . ماما . اذهبي وساعدي والدي في شغلهِ وانا اق
وقتي بالحديث مع كلبي تراس . فتعجبت امهُ من ذكائهِ ولكنها لم تحفل بما قال لانها لم ت
لتفتكر ان لهُ خاصة معرفة الخفايا . ومنذ ذلك الحين شرع الولد يعاشر جميع انواع الد
والحيوانات الداجنة التي كانت تتحبب اليهِ كثيراً

"وذات يوم رجع والدهُ من الحقل يرافقهُ الكلب تراس فهمَّ الولد بتقبيل الك
حسب عادتهِ فمنعهُ ابوهُ عن ذلك فرجع عنهُ وقال لابيهِ صدقت يا ابتي فان كلباً شريراً ا
تراس لا يستحق قبلاتي لانهُ قال لي انهُ قتل خروفين لجارنا طمسن وانا سامتنع عن تقبيلهِ
الآن ما لم يعدني بان لا يعود يقدم على عمل شرير كهذا قال ذلك وهمس في اذن الك
كلاماً لم يفهمهُ احد سواهُ ومن ثم استأنف حديثهُ مع والديهِ وقال ان تراس وعدني
سوف يحسن سلوكهُ منذ الآن . فقهقهت والدتهُ ضحكاً وقالت ان الولد مجنون فصار يفهم
الكلاب . فعند ذلك اكد لها زوجها ان تراس قتل نعجتين وهو آتٍ معهُ على الطريق

"واستمر الولد على هذه الحالة يعاشر انواع الحيوان المختلفة وكل يوم يأتي بخبر جديا
سمعهُ من الحصان والبغل والثور الخ . وقد عددت الجريدة اموراً كثيرة عن هذا الولد نة
على ذكر اهمها منها انهُ في ذات مساء بينما كانت العائلة مجتمعة حول مائدة الطعام دخل ا
الكلب تراس واخذ بالنباح فصاح الولد بابا بابا اخبرني تراس ان البغل تجان يهارش
الصغير وعما قريب يقتلهُ . فضحكت امهُ ايضاً وقالت لزوجها لم ازل اقول لك ان راس
الكبير خالٍ من العقل فخذهُ الى مستشفى المجانين فتأثر الولد من كلام امهِ وبقي مصرًّا على

اقدم تمثال



حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على ما كتبتموهُ في مقتطف شباط (فبراير) ردًّا على الكتابة التي بعثت اليكم فاجابةً لما طلبتموهُ وتأكيدًا لقولي السابق تجدون طيهُ صورة التمثال الذي وجد المستر جمس بنكس في آثار البسماية وهو المعيَّن مديرًا للحفر من قبل معرض شيكاغو. وتجدو ايضًا صورة الكتابة التي على كتفهِ اليمنى واما التمثال الذي اكتشفتهُ انا وهو بلا رأس فر عند المستر فكتور برسنس الذي عين مديرًا للحفر بدل المستر جمس بنكس ولم يكتشف البسماية غير هذين التمثالين . وهذا التمثال وحيد في نوعهِ

بغداد في ٢٢ مارس توما اكليل

فهم لغة الحيوان

جناب الفاضلين منشئي المقتطف

تجدون طيهُ قطعة من جريدتي المنبر فيها رواية غريبة في بابها عربتها عن الانكليز طبق الاصل وغاية الرجاء ان تفردوا لها فسحة في مجلة المقتطف الغراء مع ابداء رأيكم ف لاجل اتمام الفائدة

نيويورك في ٢٧ ابريل عيد ميخائيل ذيبه

باب التقريظ والانتقاد

التقرير الرسمي
لمدرسة هارڤرد الجامعة
Official Report of Harvard University.

يظهر من هذا التقرير ان عدد التلامذة في مدرسة هارڤرد كان في العام الماضي ٢٩٠٥ وعدد الاساتذة ٧١ وعدد مساعديهم ٤١ وقد كان عدد التلامذة منذ عشرين سنة ١١٠٤ وعدد الاساتذة ٣٩ وعدد مساعديهم ١٥ . والظاهر ان الذين يدرسون الطب او الحقوق في هذه المدرسة اكثرهم من النائلين دبلوما ابتدائية . وهي تمتاز بذلك على غيرها من المدارس الاميركية الجامعة فان طلبة علم الحقوق فيها يبلغ عددهم ٧٥٨ والذين بيدهم دبلوما ابتدائية منهم يبلغون ٧٥٥ اي ٩٩ في المئة اما مدرسة يايل الجامعة فعدد طلبة الحقوق فيها ٢٣٤ والذين بيدهم دبلوما ابتدائية منهم عددهم ٨٢ اي ٣٥ في المئة فقط . وكذا تلامذة الطب فانهم في مدرسة هارڤرد ٣٠٧ والذين بيدهم دبلوما ابتدائية ٢٦٧ اي ٨٧ في المئة وطلبة الطب في مدرسة يايل ١٣٩ والذين معهم دبلوما ابتدائية ١٩ اي اقل من ١٤ في المئة

ومما رأيناهُ في جدول دروسها السامية تدريس المعلقات والمتنبي وابن خلدون والقرآن وتاريخ الخلفاء في بغداد وتاريخ الاسلام في مصر والهند والشريعة الاسلامية وحروب الصليب والتلمود والمشنا وشريعة حمورابي . وفي دروسها المصرية تاريخ الصناعة المصرية في عهد المصريين واليونان والرومان والعرب والآثار المصرية

ورئيس هذه المدرسة الاستاذ تشارلس اليوت الذي زار القطر المصري منذ بضع سنوات وكلفتهُ الحكومة المصرية ان يكتب لها ما يشير بهِ من الاصلاح الواجب ادخالهُ في مدارسها فكتب ما مفادهُ وجوب قرن العلم بالعمل ونشرنا كتابهُ في المقتطف

كتاب الموسيقى الشرقية

لا شبهة في ان العرب اتقنوا فن الموسيقى كما اتقنتهُ كل امة كان لها حول وطول كالامة العربيَّة بعد الاسلام لا سيما وان ملكها طال قروناً كثيرة . وطالما وددنا لو ان احداً جمع

لكي يذهب الى الاسطبل ويرى صدق كلامهِ وهكذا كان فان اباهُ ذهب الى الاسطبل فوجد بابهُ مكسورًا والبغل داخلهُ والمهر على وشك مفارقة الحياة

"واغرب من هذا كلهِ هو انهُ كان لاحد جيرانهم حصان مريض وقد عجز من مداواتهِ فاستدعى اليهِ ذلك الولد وسألهُ ان يسأل الحصان عن سبب علتهِ وضعفهِ ففعل واخبرهُ بلسان الحصان قال اخبرني الحصان انهُ قد ابتلع شيئًا قاسيًا جدًّا مع العلف وهو يشعر بالم في امعائهِ فعند ذلك استدعى لهُ طبيبًا واخبرهُ بواقعة الحال فاستعمل لهُ الطبيب كل واسطة ممكنة واخيرًا خرج من جوفهِ شفرة سكين كان قد ابتلعها مع الشعير

"واصبح هذا الولد محط آمال اهالي تلك الناحية من اطباء خيل وفلاحين يدفعون لهُ اجورًا باهظة لكي يخبرهم عن امراض مواشيهم وقد صدق في كل شيءٍ قالهُ حتى الآن

"وقد فحصهُ جمهور من الاطباء فلم يجدوا فيهِ قوة غير اعتيادية في غيرهِ من البشر ولا هو يشعر بشيءٍ من هذا . وقصدهُ كثيرون من مراسلي الجرائد وكانوا يمتحنونهُ كما يمتحن المعلم التلميذ فيرجعون وهم بحالة الانذهال من شدة ذكائهِ ويذيعون خبرهُ على صفحات جرائدهم"

[المقتطف] ان الاستدلال على ما يدور في الخاطر من النظر الى الوجه امر معروف يمتاز بهِ كثيرون من الصغار والكبار فان ملامح الوجه كثيرًا ما تدل على ما يتردد في النفس فاذا كان قويَّ الفراسة يعرف الموضوع الذي يمكن ان يخطر على بال من ينظر اليهِ فلا يبعد ان يعرف ما يجول في بالهِ حينئذٍ وبذلك تفسر معرفة هذا الولد لما كان يخطر على بال امهِ . اما مكالمة الحيوان الاعجم وفهم ما يدور في خاطرهِ فامران تصديقهما عسر جدًّا لانهُ لم تذكر حوادث محققة من هذا القبيل • ولا عبرة بما تنشرهُ الجرائد الاميركية لانها لا تتحرى التحقيق ولا تحاسب ذمتها في النشر . واذا كانت الدعوى غريبة مثل هذه مخالفة لاختبار الناس في كل العصور والبلدان فلا يصح الاخذ بها بمجرد شهادة جماعة من كتاب الجرائد بل لا بدَّ من عرضها على جماعة من العلماء المجربين ليبحثوا فيها بحثًا علميًّا مدققًا خاليًا من احتمال تطرق الخطاء اليهِ فاذا تم ذلك واجلى بحث هؤلاء العلماء عن ان الولد المشار اليهِ يكلم الحيوان ويفهم ما يدور في خاطرهِ صُدّقت الرواية ونظر العلماء في تعليل هذا الامر الغريب و لَّا فلا

وناطق بلسانٍ لا ضمير لهُ كأنهُ فخِذٌ نيطت الى قدمِ
يبدي ضميرَ سواهُ في الحديث كما يبدي ضميرَ سواهُ منطق القلمِ

وقال آخر

ان الملاهيَ اصنافٌ فسيدها يأتي بهِ المزهر الغرّيد معقودُ
فاستنطق العود قد طال السكوت بهِ لا ينطق اللهو حتى ينطق العودُ

وقد اشتهر بحسن التوقيع عليهِ في زماننا هذا في مصر حضرة احمد افندي الليثي فان لهُ في ضربهِ فنوناً مطربة وذلك لخفة اناملهِ على اوتارهِ وحسن حركاتهِ — وكذلك محمود افندي الجمركشي

وقد اعتنى اهل مصر بالعود زيادة عن غيرهِ من الآلات حتى ان امراءهم واكابرهم يتعلمونهُ لحظ انفسهم وتتميماً لمتنزهاتهم واستجماعاً لأنواع مسراتهم وهذا لا يخل بمروءتهم فقد غنى بهِ كثير من الخلفاء كيزيد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك وابرهيم بن المهدي وقد رزق حسن الصوت وتمام هذه الصناعة وقد كان في درجة الائمة في العلوم الشرعية وغيرها وابو عيسى بن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادي وابرهيم بن عيسى بن جعفر المنصور ومحمد بن جعفر المقتدر والمتوكل مع ما كان عليهِ من عظم الخلافة وقد رزق من ذلك حظوة عظيمة حتى اشرق على الدنيا اشراق الشمس وكذا المهدي وولدهُ المؤيد وطلحة الموافق والطايع والمقتدر رحمة الله عليهم اجمعين

والعود في مصرنا [1] يشدون عليهِ خمسة اوتار مزدوجة لاحل ضخامة صوت النقر عليها وهي مختلفة في الغلظ والدقة. وقلما يزيدون زوجاً سادساً وهو قرار الدوكاه او قرار الجهاركاه فالوتر الاول من شمال العود يشدونهُ يكاه ويسمونهُ ايضاً (نهفتا) وعند الحاجة قرار

---

(١) واذا اردت معرفة صناعة عمل العود (نجارته) فعليك بكتاب (حاوي الفنون وسلوة المحزون تصنيف ابي الحسن محمد بن الحسن المعروف بالطحان (خط) - كما وانك اذا اردت اسماءهُ واجزاءهُ واوصافهُ فعليك بكتاب عبد الحميد بك نافع (خط الازهر) وكتاب تحفة الموعود لذاكر بك (طبع)

اما ترتيب الاقدمين ودورتهم للعود فتجدهُ في كتاب الموسيقى لابي نصر محمد بن محمد الفارابي — وكتاب الادوار مختلف فيهِ بين انهُ لهُ ايضاً او (لابن السمعين) - والتحفة للفارابي او (للفارابي) وكل هذه الكتب (خط)

والعود السماوي تجد شرحهُ في الرسالة الشهابية (طبع)

وفي الجزء الثالث عشر من كتاب (وصف مصر) (Description de l'Egypte) كلام على الموسيقى العربية ومقاس العود لفيللوتو (Villoteau) صحيفة ٢٢١ (طبع) وموجود بالكتبخانة الخديوية

خلاصة ما تفرق في كتبها من هذا القبيل وقابل بينها وبين ما وصل اليهِ فن الموسيقى في هذا العصر عند الاوربيين واهتمَّ بكتابة الانغام العربيَّة بالعلامات الافرنجيَّة . ويظهر لنا ان حضرة المتفنن كامل افندي الحلعي قد وفى بهذه الغاية بمساعدة العالم الرياضي صاحب العطوفة ادريس بك راغب فانهُ وضع كتاباً مطولاً سماهُ كتاب الموسيقى الشرقي افتتحهُ بمقدمة في حقيقة الموسيقى واقوال الناس فيها وحقيقة الصوت على ما يقولهُ علماء الطبيعة وطرق قياسهِ والسلم الموسيقي العربي والافرنجي والنسبة بينهما. وقد وضعهما في المقالة هكذا ري يكاه . مي عشيران . فا عجم عشيران . صول راست . لا دوكاه . سي بين سيكاه وبوسلك . دو جهاركاه . ري نوى مي حسيني . فا عجم . صول كردان . لا محيَّر . مي بين تيز سيكاه وتيز بوسلك . دو تيز جهاركاه . ري تيز نوى . وقال ان هذا الجدول مأخوذ من كتاب حياة الانسان في ترديد الالحان لحضرة محمد ذاكر بك . ثم قال ان عدد الاهتزازات في الديوان العربي عند المحدثين هكذا

يكاه	عدد الاهتزازات	٧٧٥	يقابلهُ في ديوان الافرنج	صول
عشيران	" "	٨٧٠,٣	" " " "	لا
عراق	" "	٩٤٨,٧	" " " "	بين لا وسي
كوشت	" "	٩٨٦,٥	" " " "	سي
راست	" "	١٠٣٤,٦	" " " "	دو
دوكاه	" "	١١٦١,٢	" " " "	ري
سيكاه	" "	١٢٦٦,٤	" " " "	بين ري ومي
بوسلك	" "	١٣٠٣,٤	" " " "	مي
جهاركاه	" "	١٣٨١	" " " "	فا
نوى	" "	١٥٥٠	" " " "	صول

فتتفق درجات السلم العربي الاول ودرجات السلم الافرنجي الاول في اليكاه والعشيران والراست والدوكاه والجهاركاه والنوى وتختلف في العراق والسيكاه كما يختلف الافرنجي عن العربي في سي ومي . والبحث في هذه الدرجات وما بينها من الفروق طويل ومسهب جدًّا يهمُّ ارباب هذا الفن

ويتلو ذلك كلام مسهب على آلات الطرب وقد رأينا ان ننقل عنهُ بعض ما ذكرهُ عن العود دلالةً على باقيهِ . قال فيهِ انهُ سلطان الآلات بالاجماع وقد قال الشاعر في مدحهِ

الحقيبة الزرقاء

اسم رواية عصرية ادبية غرامية بقلم حضرة الكاتب الاديب نقولا افندي حداد الصيدلاني وفيها كثير من المغازي الادبية والاخلاقية والاجتماعية وشرح دقيق للعواطف البشرية . « فانك تتعلَّم منها ان الحبَّ لا ينشأُ عن محاسن خارجية كالغنى والجاه والجمال بل عن توافق الطبعين . وانهُ منحة من اله الحبّ فلا طوق الانسان ان يوجههُ كيفما شاء بل هو يوجه القلب كيف اتجه » وهي حسنة اللغة والطبع

الدليل الى البرازيل

وصلنا مع البريد الاخير هذا الكتاب من قلم حضرة الكاتب الاديب جرجي افندي توما الخوري وقد اهداهُ الى حضرة صديقهِ الكاتب المجيد جرجي افندي نقولا باز . وصف فيهِ جميع المدن والاساكل التي مرَّ بها في سفرهِ الى البرازيل وعودتهِ منها مثل الاسكندرية ومسينا ونابولي وجنوى وتناريف وريودي جانيرو . وكتب فصولاً في حالة السوريين في البرازيل والصحافة العربية فيها ونصيحة لمن رام المهاجرة وما اشبه ذلك

عاقبة الامانة

وهي رواية ادبية علمية غرامية تاريخية الفها حضرة الاديبين علي افندي توفيق مدرس اللغة الانكليزية في مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ومحمد افندي ربيع مدرس اللغة الانكليزيَّة في المدرسة التحضيرية الكبرى

المعرض الوطني العثماني
في الشوير بلبنان

أرسلت الينا لجنة هذا المعرض منشورًا قالت فيهِ ان معرض هذه السنة سيكون اجمع من معرض السنة الماضية وان معروضاتهِ من مزروعات ومصنوعات تعرض في بناء كبير مقسوم الى احد عشر قسمًا . وذكرت ستة عشر امرًا يجب على العارضين الانتباه لها اهمها ان المعروضات يجب ان تكون وطنية وان المعرض يفتح في غرة آب (اغسطس) و يدوم شهرًا كاملاً ورئيس لجنة المعرض حضرة الفاضل فارس افندي مشرق الرحباني من اعيان الشوير . فنشكر رجال اللجنة على ما يبدونهُ من الاهتمام باحياء زراعة لبنان وصناعتهِ

السيكاه او قرار البوسلك— اما الذي عن يمينهِ فيجعلونهُ (عشيرانا) — والثالث (دوكاه) — والرابع (نوا) والخامس (كردانا) حتى يكون البعد بين مطلق ومطلق ما عدا بين الاول والثاني ثلاث نغمات

واحسن طريقة للدوزان هي المصطلح عليها في الوقت الحاضر ان يشد النوا فيكون جواباً لليكاه

واذا جس على النوا بالسبابة فيخرج منهُ صوت يكون جواباً للعشيران ويسمى بالحسيني— ثم يجس على العشيران بالبنصر فيسمع منهُ صوت قرار الكردان وهو الراست — ثم يجس على الكردان بالسبابة فيسمع منهُ صوت الحيير اي جواب الدوكاه فيشد الدوكاه قرار اللحيير. انتهى

وبعد ان اسهب في كيفية دوزنة العود والنقر عليهِ انتقل الى القانون وغيرهِ من آلات الطرب وجمع مئات من بدائع الموشحات العربية وذكر اسماء المشهورين من الموسيقيين الشرقيين وترجماتهم وصورهم وما وضعوهُ من الالحان فترى فيهِ ترجمة الشيخ ابي خليل القباني الدمشقي وعبده افندي الحمولي والمختار من الحانهِ ومحمد افندي عثمان والمختار من الحانهِ والشيخ محمد المسلوب والمختار من الحانهِ وهلم جرًّا . والكتاب كبير غزير الفائدة بليغ الانشاء ولا بدَّ من ان يرحب بهِ جميع المشتغلين بالموسيقى في البلاد الشرقية فنثني على همة مؤلفهِ

اسلوب الحكيم

في منهج الانشاء القويم

ألَّف هذا الكتاب حضرة الاديب احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية في القاهرة وهو يتضمن مقالات انشائية مختلفة المواضيع ادبية وفلسفية وتاريخية وطبية وسياسية وزراعية وصناعية وتجارية وما شاكل بحيث بلغ عددها ١٠٧ مقالة قصيرة. وفيهِ كثيرٌ من امثال الحكماء وآداب البلغاء وكلام الشعراء من كلّ ما ترتاح اليهِ الافهام

الحقيقة الباهرة

كتاب الحقيقة الباهرة في اسرار الشريعة الطاهرة الفهُ حضرة صاحب السماحة السيد محمد ابو الهدى افندي الصيادي الرفاعي . وفيهِ ٧٧ شعبة في الشهادة والاقرار والصلاة والزكاة والصوم والحج والعدل وكف الاذى عن الناس والايمان وغير ذلك من الفروض والنوافل التي تبين وجوب الاهتمام بالصناعة والتجارة وسائر وسائل العمران

على الاطوار التي مرّت عليها انواعها حتى بلغت حالتها الحاضرة ولذلك يكون جنين الانسان مشابهاً لجنين لا سماك عند اول ظهوره ولجنين الطيور في الشهر الاول من حياتهِ ولجنين الكلاب في الشهر الثاني وقد يتوقف نموهُ من بعض الوجوه لتوقف التغذية او لسبب آخر من الاسباب فيولد مشابهاً لبعض الحيوانات او مشوَّه الخلقة

(٣) بعد السويس عن الشام

المنصورة محمود افندي نصير كم كيلو متر بين السويس و بين اقرب مدينة اليها من مدن الشام

ج ان غزة اقرب مدينة من مدن الشام الى السويس والمسافة بينهما نحو ٢٥٠ كيلومترًا في خط مستقيم

(٤) بعد العريش عن غزة

ومنهُ . كم المسافة بين العريش و بين هذه المدينة

ج ٧٥ كيلو مترًا

(٥) سكة حديد مصر وسورية

ومنهُ . طالما سمعنا ان الحكومة المصرية عازمة على وصل مصر بسوريا بسكة حديدية وسمعنا ايضاً ان في نية بعض الشركات عمل هذه السكة فلماذا لم تتم حتى الآن

ج لانهُ لم يشرع فيها احد . ولم نسمع ان الحكومة المصرية قصدت ذلك مطلقاً ولكننا نعلم عن ثقة ان شركة من الشركات سعت في اخذ الامتياز من الحكومة العثمانية لانشاء سكة تصل من السويس او من بورت سعيد الى مدائن الشام فلم تعطَ الامتياز بذلك

(٦) طول سكة الكاب

ومنهُ . كم يبلغ طول سكة حديد الكاب التي يراد مدها من الكاب الى الاسكندرية

ج اكثر من ثمانية آلاف كيلو متر ولكن المصاعب التي تحول دون انشائها في اعالي النيل كثيرة جدًّا وربما تمنع اتمامها

(٧) سكة مريوط

ومنهُ . قال مولانا الخديوي لاحد مكاتبي الجرائد انهُ عازم على ايصال سكة حديد مريوط الى طرابلس الغرب وانهُ بين طرابلس الغرب ومسينا عشر ساعات فقط فكم كيلو متر يكون طول هذه السكة

ج من مريوط الى طرابلس الغرب نحو ١٥٠٠ كيلو متر

(٨) قبل الولادة

بيروت . الخواجه عزيز كريبديان . نعم التعليل الذي ذيلتم بهِ المقالة المسهبة التي موضوعها " قبل الولادة و بعد الموت " اذ بهِ قد اتضح لي جل ما كنت اتوقع فهمهُ بفروغ صبر قبل ورود آخر عدد . على اني لا ارى اني نلت كل غايتي فارجو الافادة عما اشكل عليَّ فهمهُ وهو تقلبات الطيف من حالة الى

باب المسائل

(١) فائدة بورت سودان

كفر صقر. علي افندي حجازي. ما فائدة بورت سودان

ج ان فائدتهُ للسودان اوضح من ان تبيَّن لانهُ لا بدَّ للسودان من تجارة خارجية اي لا بدَّ لهُ من ان يجلب بعض البضائع من الخارج كالمنسوجات والآلات الحديدية والاصباغ والسكر والبن وما اشبه ولا بدَّ لهُ ايضاً من ارسال بعض حاصلاتهِ الى الخارج كالقمح والذرة والصمغ والقطن فاذا سارت تجارتهُ بطريق القطر المصري فاجرة النقل تستنزف اكثر ربحهِ فلا بدَّ لهُ من سكة قريبة الى البحر الاحمر ولا بدَّ لهذه السكة من مرفإٍ امين ومرفأ بورت سودان وُجد اصلح المرافئ كلها بعد البحث المدقق. واما فائدتهُ للقطر المصري فمبنيَّة على ان اصلاح الري وتكثير ماء النيل حتى يصير كافياً لما يزرع الآن من الاطيان ولما لا يزرع لقلة الماء ككثير من الاراضي الشرقية يستلزمان عمل اعمال هندسيَّة كبيرة في اعالي السودان وهذه الاعمال تستلزم آلات كثيرة وتستلزم مدَّ سكك الحديد لتعمير البلاد في الجهات التي تعمل فيها تلك الاعمال. ونقل الآلات والادوات اللازمة لاعمال الري ولسكك الحديد يقتضي نفقات طائلة جدًّا اذا ارسلت في الطريق القديم من الاسكندرية الى مصر فالقصر فالشلال فحلفا والخرطوم. ولذلك فسكة سواكن لازمة جدا لعمارة السودان ولاتمام اصلاح الري في القطر المصري وليس لهذه السكة مرفأ اصلح من بورت سودان

(٢) مسخ بشري

الخرطوم. عزيز افندي شقير. اخبرني احد اصدقائي انهُ ورد عليهِ كتاب من والدهِ في العبادية بلبنان ذكر لهُ فيهِ ان امرأة من العبادية ولدت مولودًا ميتاً يشبه طائرًا لهُ جناح فاقد اليدين والرجلين ولهُ منقار كالطيور وجلدهُ مكسو بصوف الاسود وتوفيت المرأة على اثر الولادة. فما قولكم في ذلك

ج يا حبذا لو علمتم في اي شهر من شهور الحبل ولد هذا المولود. فان كان في اواخر الشهر الاول واوائل الثاني فالجنين يكون حينئذٍ كصوص الدجاجة ولا يكون لهُ يدان ولا رجلان وان كان في الشهر الثالث او ما بعدهُ وسقط مع ذلك خاليًا من اليدين والرجلين فهو اعجوبة او مسخ والمسوخ البشرية قليلة ويقال في تعليلها ان الحيوانات كلها من اصل واحد او من اصول قليلة. من اجنتها



اوجه القمر في شهر يونيو ١٩٠٦

	يوم	ساعة	دقيقه
البدر	٦	١١	١٢ مساءً
الربع الاخير	١٣	٩	٣٤ "
الهلال	٢٢	١	٦ صباحاً
الربع الاول	٢٩	٤	١٩ مساءً

السيارات

عطارد نجم المساء في النصف الاخير من الشهر

الزهرة نجم المساء الشهر كلهُ

المريخ يظهر نجم المساء في اوائل الشهر

المشتري نجم الصباح في القسم الاخير من الشهر

زحل يرى بعد نصف الليل

زلزلة سان فرنسسكو

كتب الدكتور سي الى جريدة ناتشر يقول ان هذه الزلزلة ممتازة بطول مدتها وبحركاتها الدوَّارية كما راقبها في جزيرة مير . ابتدأت بارتجاف طفيف واشتدت بعد دقيقة حتى شعر بها كل احد ودام اشتدادها نحو اربعين ثانية ثم انتهت رويدًا رويدًا كما ابتدأت فدامت من ابتدائها الى انتهائها نحو دقيقتين ونصف وكان الكاتب مستيقظًا قبلما ابتدأ الرجفان الاول فرأى الساعة عند ابتداء الاضطراب وعند انتهائهِ فكان ابتداؤُهُ الساعة ٥ والدقيقة ١١ وانتهاؤُهُ الساعة ٥ والدقيقة ١٤ والثانية ٣٠ . وفي المرصد الذي هو فيهِ اربع ساعات فلكية فوقفت اثنتان منها الساعة ٥ والدقيقة ١٢ والثانية ٣٧ . وكانت التموجات من الجنوب والجنوب الغربي وظهر كانها كانت تدور الى الغرب

بركان يزوف

كتب الدكتور سيوغرن الى جريدة ناتشر يقول انهُ صعد الى قمة بركان يزوف في ٢٣ ابريل ورأى الفوهة التي تكونت جديدًا واذا قطرها نحو ٣٠٠٠ قدم ولم يستطع ان يرى قاعها ولكنهُ قدَّر عمق ما رآهُ من جدرانها ١٠٠٠ قدم ولا تزال اطرافها تتقوَّض وتنهار فيزيد اتساعها . وهي تشبه الفوهة التي تكونت في ثوران سنة ١٨٢٢ . وتفقَّد مجاري الحمم او المواد الذائبة فرأى ان اول مجرًى منها جرى في الرابع من

أخرى وعلاقتهُ بالفتاة ماري مايو وكيف كانت تشعر بالقرص وكيف ظهرت آثارهُ في يدها وكيف تعللون كبر ثدييها اثناء المخاض

ج ان التعليل الذي تشيرون اليهِ لا يفسر كل ما ذكر في تلك القصة كما قلنا في آخرهِ وكما كررنا القول في الصفحة ٢١٣ من الجزء الثالث في الكلام على مناجاة الاورواح ومع ذلك فالامور التي ذكرتموها يمكن تعليلها على هذه الصورة

اولاً ان العلاقة بين الفتاة وطيفها وهمية لان الطيف وهمي لا حقيقة لهُ فتقلبهُ حسب تصورها او وهمها وشعورها بألم القرص وهم ايضاً لان الشعور بالألم تأثير حاصل في الدماغ فاذا امكننا ان تحدث هذا التأثير من غير سبب خارجي شعر صاحبهُ بالالم ولو لم يمسهُ شيء مؤلم وكثيراً ما رأينا النائم النوم المغنطيسي يشرب الماء القراح فنقول لهُ في الماء صبر او ملح فيتأفف ويتألم كأنهُ شرب ماء اذيب فيهِ الصبر او الملح . وذكر العلماء ان رجلاً قطعت يدهُ وبقي يشعر بألم في طرفها كأنها لم تقطع وذلك مثل رجل يرى صورة رجل آخر في مرآة فيشعر كأن ذلك الرجل واقف امامهُ مع انهُ يكون وراءهُ وما ذلك الا لان اشعة النور المنعكسة عن المرآة تصل الى دماغهِ وتؤثر فيهِ كما تؤثر فيهِ الاشعة الآتية اليهِ من الرجل نفسهِ

ثانياً ان ظهور آثار القرص في جسمها يمكن تعليلهُ هكذا : ان الاعصاب تؤثر في الاوعية الدموية كما لا يخفى فلا يبعد ان يزيد هذا التأثير في بعض الاحوال فتحمر العينان بمجرَّد النظر الى شخص مصاب بالرمد . ونتأثر بعض النساء العصبيات من سماع قصة صلب المسيح مثلاً فتحمر ايديهنَّ حيث ضربت المسامير وقد يقطر منها الدم من مجرَّد تأثير اعصابهنَّ في اوعيتهنَّ الدموية

ثالثاً ان كبر الثديين يمكن ان يُعلَّل كما علِّل اثر القرص هذا اذا كان المسيو روشه ورفقهُ لم يخدعوا ولا بالغوا في ما رأوهُ وسمعوهُ والمرجح عندنا انهم انخدعوا قليلاً وهم غير شاعرين

(٩) سنة الاقدمين

ومنهُ . يقال في التوراة ان الناس كانوا يعيشون مئات من السنين فمتوشالح مثلاً عاش ٩٦٩ سنة فكيف كان حسابهم للسنين في تلك الايام

ج هذه مسألة اختلف فيها علماء التفسير كثيراً ولكن يظهر لنا ان الكاتب الاول عنى بالسنين ما نعنيهِ نحن لان البابليين والاشوريين والمصريين والفينيقيين كانوا يحسبون السنة كما نحسبها نحن وكان ذلك قبلما كتب سفر التكوين فلا يعقل ان يكون كاتبهُ اتبع اسلوباً مخالفاً للاسلوب المتبع في عصرهِ ولذلك فمعنى الكاتب ان متوشالح عاش ٩٦٩ سنة من سنينا

الاجسام يستطيعون ان يكفوا امة عددها ٢٢ مليوناً جميع حاجياتها وكمالياتها اذا عملوا ساعتين و ١٢ دقيقة فقط كلَّ يوم . الى ان قال : — ان جميع معامل الصوف والاحذية والخبز وما اشبه تخص افراداً قلائل وهم يستأثرون بمكاسبها ويديرون اعمالها . فلا يستطيع الغزّال ولا صانع الاحذية ولا الخباز ان يعمل ما يشاء في الزمان والمكان اللذين يختارهما ولا ان يقايض غيره بقدر ما يحتاج اليهِ من بضاعتهِ بل هو مقيد بارادة رجل آخر فلا يحصل الاّ على جزء صغير من تعب يديهِ ولا يحصل على ذلك الجزء الصغير الاّ اذا استطاع ربُّ العمل ان يبيع بضاعتهُ لآخر بربح وافر

اما عن سرعة الآلات واتقانها للاعمال فحدث ولا حرج . فانها تجز الصوف وتغزلهُ وتنسجهُ وتخيطهُ ملابس في ست ساعات وتذبح العجل وتدبغ جلدهُ وتصنع منهُ احذية في ٢٤ ساعة . والآلة من آلات صنع الابر تصنع ٢٦٠ ابرة في الدقيقة . والآلة من آلات صنع عيدان الكبريت تصنع عشرة ملايين عود في اليوم . كلُّ هذا والآلة يرقبها غلام صغير السن . ومن الانوال ما يدور ويتمُّ نسجهُ من غير ان يلاحظ احد سيرهُ . وآلة صنع السلال تصنع يومياً اثني عشر الف سلة للاثمار ولا تعمل سوى تسع ساعات في اليوم . اي انها تصنع ١٣٠٠ سلة في الساعة او اكثر من ٢٠ سلة في الدقيقة فلا عجب اذا اصبح كثيرون من العمال ولا عمل لهم

الزلازل والبراكين وقتلاها

سنة		القتلى
٧٩	خربت بومباي وهركولانيوم	الوف
١١٣٧	كاتانيا . سيسيليا	١٥٠٠٠
١٤٥٦	نابلي	٤٠٠٠٠
١٥٣١	ليسبون	٣٠٠٠٠
١٦٢٦	نابلي	٧٠٠٠٠
١٦٣٨	كلابريا	الوف
١٦٦٧	سخاماكي دامت ثلاث دقائق	٨٠٠٠٠
١٦٩٣	صقلية خرب ٥٤ مدينة و٣٠٠ قرية)	١٠٠٠٠٠
١٧٠٣	يدُّو . اليابان	٢٠٠٠٠٠
١٧١٦	الجزيرة	١٨٠٠٠
١٧٢٦	يالارمو	٦٠٠٠
١٧٣١	بكين	١٠٠٠٠٠
١٧٤٦	ليماوكالاو	١٨٠٠٠
١٧٥٤	القاهرة	٤٠٠٠
١٧٥٥	ليسبون	٥٠٠٠٠
١٧٧٣	غواتيمالا	٣٣٠٠٠
١٧٩٧	غيزكو وكويتو وغيرهما من المدن	٤٠٠٠٠
١٨١٢	كاراكاس	الوف
١٨٥١	مالفي (ايطاليا)	١٤٠٠٠

ابريل ووقف غربي كاسا فبرنزي ثم جرى مجرى آخر من كاسا فبرنزي وخرّب المباني وبلغ نصف الطريق الى بسكو تركاسي . والمجرى الذي خرب جاباً من بسكو تركاسي ابتدأ في السادس من ابريل وانقسم الى فرعين متوازيين . وكانت المجاري قليلة بالنسبة الى عنف الثوران . ويمتاز هذا الثوران بكثرة ما قذف فيهِ من الرماد والحمم او الفتات البركاني ولذلك فهو مثل ثوران سنة ٧٩ الذي خرب مدينة بمباي

وزار الكاتب بلدة اوتايانو التي خربت فرأى زجاج كواها بعضهُ محطَّم وبعضهُ لم يزل سليماً ولكن في كل لوح منهُ ثقب مستدير لا يعرف سببهُ ويقول الاهالي ان الكهربائية التي رافقت سقوط الحمم كانت تخرق الزجاج

دار البحث البحري

اخبر امير موناكو الحكومة الفرنسويَّة انهُ سيقيم فيها داراً للبحث البحري (اوشيانوغرافي) ويضم اليها ما في معرضهِ من المجموعات البحرية الثمينة والآلات والادوات ويوقف عليها اربعة ملايين من الفرنكات (١٦٠٠٠٠ جنيه) وستبنى هذه الدار في الارض التي اشترتها مدرسة باريس الجامعة في شارع سان جاك . وتناط ادارتها بلجنة مختلطة من العلماء

نموّ الاشتراكية

كان عدد الاشتراكيين الذين لهم حق الاقتراع في المانيا ٣٠٠٠٠ نفس سنة ١٨٦٧ فزادوا حتى بلغوا ٤١٧٠٠٠ سنة ١٨٧٧ و ٧٦٣٠٠٠ سنة ١٨٨٧ و ١٧٨٧٠٠٠ سنة ١٨٩٣ و ٢١٢٥٠٠٠ سنة ١٨٩٨ و ٣٠٠٨٠٠٠ سنة ١٩٠٣

وكان عددهم في النمسا ٩٠٠٠٠ سنة ١٨٩٥ فبلغوا نحو مليون سنة ١٩٠٠

وكان عددهم في البلجيك ٣٣٤٠٠٠ سنة ١٨٩٤ فبلغ ٥٣٤٠٠٠ سنة ١٨٩٨

وكانوا في سويسره ١٤٠٠٠ سنة ١٨٩ فبلغوا ١٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠١

وكانوا في الولايات المتحدة ٢٠٠٠ سنة ١٨٨٨ فصاروا ٢١٠٠٠ سنة ١٨٩٢ و ٩١٠٠٠ سنة ١٨٩٨ و ١٣١٠٠٠ سنة ١٩٠٠ و ٢٨٥٠٠٠ سنة ١٩٠٢ و ٤٣٦٠٠٠ سنة ١٩٠٤ . ويقدّر عددهم هذه السنة بين ٧٠٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠٠

ويعزو بعضهم هذا النمو الغريب الى زيادة الآلات الصناعيَّة واتقانها بحيث صار يمكن الاستغناء عن الوف من العمال والى زيادة الارباح من الاعمال الصناعيَّة وعدم توزيعها على الناس بالقسط وهذا كلهُ نتيجة الطمع والجشع . قال احد العلماء النمسويين ان خمسة ملايين نفس من الرجال الاقوياء

الى العروس كلٌّ ببقرة يستردها او يستردها اولادهُ عند زواج اولاد العروسين ومهر العروس عادة ٢٠ ثورًا وبقرة و ١ خراف او عنزات وفرس

سمك ضد البعوض

روت احدى المجلات العلمية ان لا اثر لبعوض الحمى الملارية في جزيرة برباردوس من جزائر الهند الغربية والسبب في ذلك على ما يقال وجود نوع من السمك في بحيراتها وانهرها يسمونهُ "مليونس" يقتات ببيض البعوض ويلتهمهُ بشراهة غريبة ويأكل منهُ قدرًا كبيرًا . وقد اخذوا يجرّبون التجارب ليعلموا ما اذا كان يمكن نقل هذا السمك الى بلدان أُخرى وتربيتهُ في بحيراتها ولا سيما البلدان التي يكثر البعوض فيها

تعليم البنات العلوم العالية

كتب بعضهم مقالة في مجلة التهذيب الاميركية قال فيها انهُ اذا شاع تعليم البنات العلوم العالية خيف على انقراض النسل تدريجًا لقلة ميل المتعلمات الى الزواج . وقد وجد احدهم بالاحصاء ان ٢٠ في المئة من منتهيات ١٢ كلية اميركية يتزوجنَ في سن السابعة والعشرين اي بعد نيل الشهادة بست سنوات وان ٧٤ في المئة يبقين عوازب ووجد آخر ان ٢٣ فقط في المئة من منتهيات ١٦ كلية (وعددهنَّ ٨٩٥٦) تزوجن وان الميل الى الزواج يقلُّ وميعادهُ يتأخر سنة فسنة والمواليد تقلُّ كذلك

رق قديم

اكتشف الدكتوران غرانفيل وهنت في آثار البهنسة قطعة من الرق نخرها الدود ولكن كتابتها جلية وهي باليونانية وقد كتبت منذ ١٦ قرنًا . وفيها ان المسيح وتلاميذهُ دخلوا الهيكل فلقيهم فريسيٌّ وجعل ينتهرهم لانهم ابوا ان يتطهروا كما يفعل سائر الناس . فسأل يسوع الفريسيَّ قائلاً وماذا فعلت انت . فاجابهُ الفريسيُّ شارحًا كلَّ ما فعل . ولما انتهى من كلامهِ طفق المسيح يذمُّ التطهير الخارجي قائلاً انهُ هو وتلاميذهُ تطهروا بالماء الحيّ

وفي الرق ذكر مكان في الهيكل يسمى "هجنيوتيريون" او مكان التطهير ولم يذكر قبلاً . وفي هذا الرق نحو ٣٠٠ كلمة

انابيب الرصاص

اذا وضعت قطعة لامعة من الرصاص في قنينة مملوءة ماءً نقيًّا أُزيل الهواء منهُ بالغلي ثم سدّت سدًّا محكمًا بقيت لامعة ولكن اذا عرّضت للهواء والماء معًا اكمدَّ لونها لان جزءًا من الرصاص ينحلُّ بهما . على ان هذا الانحلال يمنع في ماء الشرب العادي

سنة		القتلى
١٨٥٧	مملكة نابلي	١٠٠٠٠
١٨٥٩	كويتو	٥٠٠٠
١٨٦١	مندوزا (اميركا الجنوبية)	١٢٠٠٠
١٨٦٣	منيلا	١٠٠٠
١٨٦٩	إنيوقلي (كالفورنيا)	٣٠
١٨٧٥	مدن بقرب سانتاندر على تخم كولومبيا	١٤٠٠٠
١٨٧٨	كوا (فنزويلا)	٣٠٠
١٨٨٠	منيلا	٣٠٠٠
١٨٨٠	ايلابال (تشلي)	٢٠٠
١٨٨١	سكيو وقرى كثيرة	٤٠٠٠
١٨٨٣	جزيرة ايسخيلا (ايطاليا)	٢٠٠٠
١٨٨٣	هاج بركان ادا كاتوا وغيره من براكين جاقا	الوف
١٨٨٤	هزّات عنيفة في اماكن مختلفة	٥
١٨٨٤	اندلوسيا واقسام أُخر من اسبانيا	٦٩٠
١٨٨٦	تشرلستن (كرولينا الجنوبية)	٤١
١٨٨٧	ريفيارا وجنوبي اوربا	٢٠٠٠
١٨٩١	اليابان	٤٠٠٠
١٨٩٣	بلاد العجم	١٢٠٠٠
١٨٩٤	اليابان	١٠٠٠٠
١٨٩٩	تفليس (القوقاس)	١٠٠٠
١٩٠٢	سنت بيار (المرتينيك) هيجان جبل بيلي	٤٠٠٠٠
١٩٠٢	انديجان (الهند)	٢٥٠٠
١٩٠٣	تيوجو (كولمبيا)	١٠٠
١٩٠٥	شمالي الهند	٣٥٠٠٠
١٩٠٥	كالابريا (ايطاليا)	٥٠
١٩٠٥	سكوتري (البانيا)	٣٠٠
١٩٠٥	شماخيا (القوقاس)	٣٠
١٩٠٥	تامازولا (المكسيك)	١٠٠
١٩٠٦	قطائع حول يروف	١٠

(المترة الاسبوعية)

بعض عادات الزواج

من اغرب عادات الزواج عادة قبيلة الباسوتو في جنوب افريقية. فانهُ اذا أراد الشاب منهم ان يتزوّج لم يعبّر عن ارادتهِ بالقول بل بالفعل وذلك انهُ ينهض من نومهِ ليلاً وجميع اهل قريتهِ نيام ويطلق المواشي من حظيرتها ويترك عجول ترضع أُمَاتها فيدرك ابواهُ معنى ذلك فيرسل ابوهُ رسولاً الى ابي الابنة التي يكون قد اختارها من قبلُ عروساً لابنهِ ومع الرسول بقرة فيقول لابي الابنة اني جئت اطلب عروساً لابن مرسلي. فيخبر ابو الابنة امها بالامر فاذا اتفقا مسحا الرسول بالدهن علامة القبول والاَّ لم يفعلا. فيترك الرسول البقرة رهناً على القبول او علامة الخطبة

ومتى عقد الزواج اهدى اهل العريس

دواء للدوار

يظهر ان من اسباب الشعور بالدوار ان العين قائمة في وقبها كالحك في صندوقهِ فاقل حركه في السفينة تحركها وتغير موازنتها فيضطر الانسان ان يجهد نفسهُ في اعادة الموازنة ولذلك يقول البحارة الالمانيون انهُ اذا نظر الانسان الى صورة عينيهِ في مرآة بحيث يبقى نظرهُ ثابتاً في صوره عينيهِ لم يصب بالدوار لان عينيهِ تشاركان السفينة حينئذٍ في حركتها

مرض النوم

توجه وفد من قبل الجمعية الملكية الانكليزيّة الى اوغنده لدرس مرض النوم وأُصيب احد اعضائهِ بهِ فأَرسلوهُ الى انكلترا وكان الوفد قد انشأ مختبرًا لدرس المرض المذكور وجاء ببعض القرود فلقحها بلقاح المرض لمراقبة سيرهِ فيها فأُقفل المختبر وقتل القرود منعاً لحدوث حادثة أُخرى

حاسة الشم في الحلزون

أَبان الاستاذ اميل ينج من كليه جنيف ان حاسة الشمّ في الحلزون (البصاق) متوزعة في سطح جسمهِ حيث لا يغطيهِ الصدف ولكنها اشدّ في بعض اجزائهِ منها في البعض الآخر فهي على اشدّها في قرونهِ وفمهِ واطراف ما ينتشر منهُ على الارض

الفئران والكلب

بحث بعض العلماء في علاقة الفئران والجرذان بانتشار داء الكلب فثبت لهُ انها شديدة القابلية لان تصاب بهِ واستدلّ بادلة كثيرة على ان الانسان يصاب بالكلب احياناً من غير ان يعضّهُ حيوان مكلوب ويكون السبب في اصابتهِ العدوى من الحيوانات المذكورة

براغيث الجرذان والطاعون

اثبتت لجنة مقاومة الطاعون الانكليزية صحة الرأْي القائل بأَن براغيث الجرذان المصابة بالطاعون تعدي بهِ . وذلك انها وضعت جرذاً مات بالطاعون في غرفةٍ ووضعت معهُ جرذاناً أُخرى بعضها محميّ وبعضها غير محميّ اما المحمية فسلمت واما غير المحمية فاصيبت بالطاعون بواسطة البراغيث الفارة من الجرذ الميت

قتلى الافاعي والوحوش

قتلت الافاعي والوحوش الضارية ٢١٩٥ نفساً السنة الماضية في ولاية مدراس بالهند و١٤٨٩٩ ماشية . اما قتلى الناس فمنهم ١٨٩٦ او ٨٠ في المئة لدغتهم الحيات. واما قتلى البهائم والمواشي فمنها ١٥٥ قتلها الفهود و٨٠ النمورة و١٠ الخنازير البرية و٩ الدببة و ٨ الذئاب و ٥ الكلاب البرية و ٤ الفيلة و ٢ الضباع والبقية لدغتها الحيات

بوجود مقادير صغيرة من الاملاح المختلفة فيهِ وخصوصاً الكربونات والكبريتات وعليهِ فلا خوف من انحلال مقدار كبير من رصاص انابيب الماء يضر بالصحة . ثم ان وجود الحامض الكربونيك في الماء يمنع تأكسد الرصاص بتكوين غشاء رقيق على باطن الانابيب من كربونات الرصاص

ولكن حدث اخيرًا ان اهالي منزل في لندن ظهرت عليهم اعراض السم بالرصاص وكان الماء يرد اليهم في انابيب رصاصية . وبعد البحث ظهر ان الرصاص انحلّ بفعل مجرى كهربائي كان يمرّ قريبًا من الانابيب ففعل ما فعل . وهذا الاكتشاف من الاهمية بمكان عظيم ولا سيما في هذه العاصمة حيث تمرّ الاسلاك الكهربائية بجانب انابيب الماء

الياقوت الاصطناعي

لا يخفى ان بعض الكيماويين تمكنوا من عمل الماس يشبه الماس الطبيعي من جميع الوجوه ولكنهم لا يؤملون انهُ يزاحم الماس الطبيعي لصغر بلوراتهِ وكثرة نفقات عملهِ . اما الياقوت فعلى خلاف ذلك فانهم تمكنوا من صنع حجارة كبيرة منهُ ولكنها دون الحجارة الطبيعية رونقًا وبهاء وهم يصنعونها من بلورات صغيرة من سلكات الالومينا يلونونها ببيكرومات البوتاس ويزيدون حجم البلورات باحمائها الى درجة ١٨٠٠ بميزان سنتغراد واضافة بعضها الى بعض حتى يكبر جرمها غير ان بلورات الياقوت الصناعي تتكسر غالبًا وهي تبرد . ومن عيوبها وجود فقاقيع صغيرة من الهواء فيها ترى بالمكرسكوب

لبن البقر وسل الاطفال

من رأي الدكتور بهرنج ان السبب الاكبر لانتشار مرض السل شرب الاطفال للبن البقر المصابة بهِ لكن الدكتور كتاساتو اليابني بين ان اهالي اليابان يصابون بالسل كما يصاب بهِ الاوربيون ويموت من اطفالهم بالسل المعوي كما يموت من اطفال الاوربيين بهِ ولكن اهالي اليابان لا يسقون اطفالهم لبن البقر مطلقًا والسل يصيبهم من غير لبن البقر وهذا يدل على ان لبن البقر ليس الفاعل في انتشار مرض السل

الكسوف والسمك

كتب بعضهم الى جريدة دنتر يقول انهُ كان يصطاد السمك لما حدث الكسوف في الصيف الماضي . فلما قارب الكسوف التمام كثر السمك الذي علق بالصنارة وحدث مثل ذلك مع غيره من الصيادين كأن السمك ظن ان الليل قد دنا فشرع يفتش عن عشائهِ ويحدث مثل ذلك قبيل العتمة كل يوم

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الحادي والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

خروج بني اسرائيل وعددهم

حينما كانت مسألة سيناء شاغلة بال رجال السياسة كان رجال العلم يشتغلون بمطالعة كتاب نفيس وضعهُ الاستاذ فلندرس بتري واصفاً فيهِ ما رآهُ في بريَّة سيناء من الآثار المصرية . والكتاب كبير كثير الصور وسيأْتي الكلام عليهِ في باب التقاريظ

ولم يستطع الاستاذ بتري ان يبحث في آثار بريَّة سيناء من غير ان يلتفت الى علاقتها بخروج بني اسرائيل من مصر وتيههم فيها السنين الطوال وما يلقاهُ الباحث في سبيل ذلك من العقبات التي يتعذَّر تذليلها ولاسيما اذا كان سفر الخروج خالياً من كل خطإٍ وكان عدد الرجال من بني اسرائيل ستمائة الف محارب كما هو مذكور فيهِ لان ذلك يقتضي ان يكون عددهم كلهم نحو ثلاثة ملايين من النفوس عدا مَن تبعهم من اللفيف وعدا مواشيهم الكثيرة. والمفهوم من التوراة ان هؤُلاء الثلاثة الملايين من بني اسرائيل كانوا ساكنين في جزءٍ صغير من الوجه البحري مع ان سكان الوجه البحري كلهم لم يكونوا حينئذٍ ثلاثة ملايين نفس . وبنو اسرائيل اصحاب مواشٍ كما لا يخفى واصحاب المواشي يحتاجون من الارض لرعاية مواشيهم اكثر مما يحتاج اليهِ اهل الزراعة لزراعتهم. وزد على ذلك ان ليس في الآثار المصرية اقل اشارة الى خروج هذا العدد العديد من القطر المصري مع ان الكتَّاب المصريين كانوا لا يتركون شاردة ولا واردة ومع ان الآثار المصرية ناطقة ان بني اسرائيل كانوا في فلسطين في الوقت المقول فيهِ انهم كانوا في مصر . وبرية سيناء لا تسع الملايين ولا عشرات الالوف من النفوس لان ليس فيها ماءٌ يرويهم او يروي مواشيهم

وهذه المشاكل ازاحها الاستاذ بتري بحل بسيط كما سيجيءُ وهاك ما اوردهُ في هذا الصدد ملخَّصاً

فهرس الجزء السادس من المجلد الحادي والثلاثين

فلم تكن ارض جاسان تسع الاَّ نحو خمسة آلاف نفس منهم

وقد عُدَّ بنو اسرائيل حسب اسباطهم وقبائلهم مرتين وذكر عددهم مرة في الاصحاح الاول من سفر العدد ومرة في الاصحاح السادس والعشرين منهُ وكان عددهم بحسب التعدادين هكذا

	عدد ص ١	عدد ص ٢٦
رأُوبين	٤٦٥٠٠	٤٣٧٣٠
شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠
جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥
يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠
يساكر	٥٤٤٠٠	٦٤٣ ٠
زبلون	٥٧٤٠٠	٦ ٥٠٠
افرايم	٤٠٥٠٠	م ٥٢٧٠٠
منسى	٣٢٢٠٠	اف ٣٢٥٠٠
بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠
دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠
اشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠
نفتالي	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠

وقد بحث الاستاذ بتري في التعدادين معاً اما نحن فنقتصر على التعداد الاول لانهُ كافٍ لاظهار المراد فانك ترى فيهِ في تعداد كل سبط عدداً من المئات من مئتين فصاعداً الى ٧٠٠ ولا يخلو تعداد سبط من المئات ولا يوجد في تعداد سبط منها مئة واحدة مع الالوف ولا ثماني مئة ولا تسع مئة واكثر ما فيها ٤٠٠ و ٥٠٠ فالاربع مئة واردة ٤ مرات والخمس مئة ثلاث مرات والستماية مرتين والمئتان مرة والثلثمائة مرة والسبع مائة مرة

ولكلمة الاف العبرانية معنى آخر غير الالف وهو البيت او العائلة او الخيمة فقولهُ "كان المعدودون منهم لسبط رأُوبين ستة واربعين الفاً وخمس مئة" على ما في الاصحاح الاول من سفر العدد يصح ان يقرأ ايضاً ستة واربعين بيتاً فيها خمس مئة نفس فيصير التعداد الاول المتقدم هكذا

جاء في التوراة ان بني اسرائيل كانوا نازلين في بلاد جاسان والمرجَّح عند العل
ان بلاد جاسان هذه هي الطرف الغربي من وادي الطميلات حيث يبتدئ تعر
الدلتا . وكان المصريون يسخرونهم في بناء الحصون في وادي الطميلات في فيثون
ومن مدينة رعمسيس شرعوا في الارتحال من مصر وساروا منها الى سكوت وهي تو
قرب المكان المعروف الآن بتل المسخوطة ثم نزلوا في ايثام عند الطرف الشرقي
الطميلات . ثم أُمروا ان يرجعوا و ينزلوا امام فم الحيروث بين مجدل والبحر الاحمر
صفون . اي انهم ارتدُّوا جنوباً لكي يسهل عليهم عبور البحر الاحمر حيث يكون م
بين البحيرات المرَّة وبحيرة التمساح والارض جافَّة هناك الآن ولكن كان الماء يغطيها
هناك عبر بنو اسرائيل الى برية شور على الجانب الشرقي من البحر الاحمر . وس
ثلاثة ايام من غيران يجدوا ماء . والبلاد التي ينطبق عليها هذا الوصف هي من
الى وادي غرندل . وصادفوا ماء مرًّا في الطريق وهذا ينطبق على الماء الذي في وا
على ساعتين من وادي غرندل ومن ثمَّ الى جبل الطور

وتدلُّ الدلائل الطبيعية والصناعية على ان اقليم تلك البلاد لم يتغيَّر منذ ح
سنة الى الآن وان تغيَّر فيكون بان ماءهُ صار اغزر مما كان قبلاً لان المقوش
المنقوشة على الصخور الرملية لم تطمس مع طول الزمن ولو كانت الامطار تقع ع
وطمستها . وهناك بئر قديمة منقورة في صخر الغرانيت على ميلين من مناجم سيدة ولا
احداً نقرها غير المصريين الاقدمين حينما كانوا يستخرجون المعادن من تلك المناجم و
من بقايا الامطار قريب الآن من المناجم ويمكن الوصول اليهِ بسهولة فلو كان موجو
لاستغنوا بهِ عن حفر تلك البئر . واذا كان الاقليم حينئذٍ كما هو الآن والمطر كم
او اقل فعدد السكان لم يكن حينئذٍ اكثر مما هو الآن . و يقدَّر عدد السكان الآن
سيناء بنحو ستة آلاف نفس ولذلك لم يكن عددهم اكثر من ذلك عند خروج بني ا
مصر . وقد حارب العمالقة سكان بريَّة سيناء بني اسرائيل فكانت الحرب سجالاً
على ان عدد بني اسرائيل كان مقارباً لعدد العمالقة

وزد على ذلك ان بلاد جاسان التي كانوا نازلين فيها لما كانوا في القطر المصر
على جزء من مئة جزء من الوجه البحري كلهِ فلم يكن فيها اكثر من عشرين الف
كانوا يعيشون من الزراعة واما اذا كانوا يعيشون من رعاية المواشي كما كان بـ
فيجب ان يكون عددهم اقل جدًّا حتى تسعهم الارض و يعيشوا من رعاية مواشيهم

هنا هو عدد النفوس وحينئذٍ يكون عدد بني اسرائيل ويهوذا مليونًا و ٣٠٠ الف نفس فعدد السكان في الميل المربع ١٣٠ نفسًا . والارض جبلية لا تحتمل اكثر من ذلك كثيرًا كما ن عدد السكان في سويسرا ٢٠٠ نفس للميل المربع . وعدد السكان الآن في فلسطين نحو ٦٥ فسًا في الميل المربع اي نصف ما كان في زمن داود

اما تغلّب بني اسرائيل على فلسطين وعددهم قليل ففسرهُ الاستاذ بتري بضعف البلاد اهلها من غزوة ملك مصر لها

ثم لخص بحثهُ الطويل بقولهِ : —

لو كتب احد ادباء المصريين الاولين تاريخ بني اسرائيل لقال هكذا : —

" ارتحلت قبيلة من قبائل العرب من العراق الى جنوبي فلسطين واتصلت هناك بقبائل خرى من الموآبيين والعمونيين . ثم حدثت مجاعة شديدة في بلاد الشام فارتحل بعض هذه قبيلة الى مصر ونزلوا عند الحد الشرقي من الوجه البحري فاستخدمهم رعمسيس الثاني في بناء ض المباني ثم بلغهم ان مرنبتاح غزا فلسطين واوقع باخوتهم الذين فيها فقلقوا لذلك وزاد قهم بان اتاهم واحد من ابنائهم كان قد ربي عندنا ودرس في مدارسنا ثم هرب واقام في برية ينا فهذا جاءهم وحثهم على الخروج من بلادنا حاسبًا انهُ رأى في سيناء ارضًا تكفيهم حاول اولاً ان يستأذن لهم في الذهاب لاجل الزيارة فرُفض طلبهُ وساءت الاحوال لجدب والوباء واضطربت الافكار فهرب بضعة الوف منهم وقطعوا البحر الاحمر في مكان يق الماء ولجأوا الى القفر وارسلنا وراءهم شرذمة من جنودنا فلم نستطع ردهم وظلوا في القفر نين كثيرة ونحن لا نستطيع ان نصل اليهم بمكروه الى ان دوّخ ملكنا رعمسيس الثالث لاد فلسطين واثخن في الاموريين وغيرهم من شعوبها واضعفهم فارتحل بنو اسرائيل من القفر خلوا بلاد فلسطين واستولوا على كثير من مدنها وكثر عددهم كثيرًا وانضمَّ اليهم كثيرون اهالي البلاد وامتزجوا بهم فصار عددهم بعد مئتي سنة نحو نصف عدد السكان في الوجه بري . ولما زال الاشقاق من بيننا وعدنا الى الاتفاق غزونا فلسطين وغنمنا منها كثيرًا من هب ثم جاء الاشوريون وقاموا في وجهنا وازالوا سلطتنا من تلك البلاد "

هذا رأي الاستاذ بتري في هذه المسألة التي هي من اعوص المسائل المتعلقة بخروج بني رائيل من مصر . وسنرى كيف ينظر اليهِ علماء التفسير من اهل الاديان . والمرجح عندنا اكثرهم يرفضهُ ويسفههُ على عادتهم في رفض كل رأي جديد ثم لا يبعد ان يعودوا هِ بعد حين ويؤيدوهُ

					متوسط عدد النفوس في البيت
رأوبين	٦٦	بيتًا فيها	٥٠٠	نفس	٩
شمعون	٥٩	" "	٣٠٠	نفس	٥
جاد	٤٦	" "	٦٥	نفسًا	١٤
يهوذا	٧٤	"	٦٠	نفس	٨
يساكر	٥٤	" "	٤٠٠	"	٧
زبلون	٥٧	" "	٤٠٠	"	٧
افرايم	٤٠	" "	٥	"	١
منسى	٣٢	"	٢٠	"	٦
بنيامين	٣٥	"	٤٠	"	١١
دان	٦٢	" "	٧٠٠	"	١١
اشير	٤١	" "	٥٠٠	"	١٣
نفتالي	٥٣	" "	٤٠٠	"	١
	٥٩٨		٥٥٥٠		

فاضعف الاسباط وافقرها كان متوسط عدد النفوس في بيوتهِ ٥ او ستة اي رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد او اربعة . واقواها واغناها كان المتوسط في بيوتهِ ١٤ او اقل قليلاً اي رجل وزوجتهُ وخمسة اولاد او ستة ورعاة وخدم من اللفيف الذي خرج معهم . وقد يكون بعض الاولاد متزوجًا ولهُ اولاد ايضاً . فيكون عدد البيوت لكل بني اسرائيل نحو ٦٠٠ بيت

والظاهر ان الاستاذ بتري يرى ان اول كاتب كتب عن خروج بني اسرائيل مصر كتب انهم كانوا ستماية بيت ثم ان جامع التوراة اخطأ في فهم معنى البيوت ففهم منها الالوف وقال ستماية الف ثم اضاف الى ذلك من الاضافات ما ينطبق على المعنى الذي فهمهُ

واذا صحَّ هذا التفسير زالت كل المصاعب التي تكتنف مسألة خروج بني اسرائيل من مصر فتصير ارض جاسان كافية لهم ولو كانوا اهل مواشٍ ويصير الارتحال بهم في برية سيناء من الممكنات وتصير الحروب بينهم وبين العمالقة كما بين خصمين متكافئين قوة من المحتملات ايضاً ويمثل ذلك تفسر امور كثيرة واردة في تاريخ اليهود

اما التعداد الذي صار في ايام داود وظهر منهُ ان عدد الرجال الخارجين للحرب في اسرائيل كان ٨٠٠٠٠٠ وفي يهوذا ٥٠٠٠٠٠ فاوّلهُ الاستاذ بتري بان العدد المذكور

وهذا الامر لم يثبت بالبرهان القاطع ولكن تؤيدهُ دلائل قوية . بل انك لا تكاد تجد ما يشير الى ان عمق تلك الاحواض يزيد على ميلين ونصف وكثير منها لا يبلغ عمقهُ ميلاً . والدلائل تدلُّ على ان معظم احواض البراكين على عمق ميل الى ميلين ونصف. يؤيد ذلك الزلازل التي ترافق ثوران البراكين على الدوام تقريباً حتى يقال ان العلاقة بينهما علاقة العلة والمعلول فان حركاتها تدلُّ على ان مصدرها قريب من سطح الارض

ولنبحث الآن في ما يرجّح انهُ سبب ثوران البراكين فنقول : —

ارى ان سبب ثوران البراكين تولّد الحرارة الناشئة من الراديوم ونحوهِ من العناصر في اماكن على عمق ميل الى ثلاثة اميال من سطح الارض وهذه الحرارة كافية احياناً لان تصهر الصخور التي تلامسها . وصهرها يكون تدريجاً . ومتى صهر قدر كافٍ منها فعل الماء الذي فيها فعل المواد المتفجرة وقوتهُ انفجارهِ كافية غالباً لأَن تشق سطح الارض فيحدث الثوران . ومتى قذفت المواد المصهورة كلها ونفد ما في الحوض انسدَّ الى حين . فاذا بقيت الحرارة تتولَّد ذابت صخور اخرى وحدث ثوران آخر فيما بعد . وقد يتكرر ذلك مئات او الوفاً من المرات ويدوم مئات الالوف او ملايين من السنين في مكان واحد او يتكرر مراراً معدودة او لا يحدث سوى مرة واحدة

فمن هذا يتضح لنا سبب تعدد ثوران البركان الواحد وهذا الرأْي يناقض الرأْي القائل ان احواض الحمم والمصهورات قسم من بناء الارض الاصلي وانها ما زالت في مواقعها الحاضرة مدة نشوءِ الارض تتحين الفرص الملائمة لقذف محتوياتها . اما الرأْي الذي نحن بصدده فلا يستلزم وجود هذه الاحواض ولا يعدُّها محتوية لمواد مصهورة الّا بعد ان تتعرض لحرارة تصهر قسماً من طبقة الارض فتتولد الاحواض ومحتوياتها اذ ذاك . ومتى ذاب من الحمم وتبخَّر من الماء ما يكفي لشق سطح الارض حدث الثوران ودام حتى يستنزف ما في الحوض فينسد الى ان يأْتيهُ مدد آخر فيعود الى ثورانهِ

وبذلك يمكننا ان ندرك كيف توجد احواض الحمم المصهورة قرب سطح الارض . فان درجة حرارة الحمم المصهورة بين ١٠٠٠° و ١٢٠٠° بمقياس سنتغراد ولو كانت هذه الحرارة متوقفة على حرارة الارض الطبيعيَّة للزم ان يكون سطح الحمم المشار اليها على عمق ثلاثين ميلاً الى اربعين ميلاً عن سطح الارض . على انهُ لا يمكننا القول ان حرارة الارض في مكان تختلف عن حرارتها في مكان آخر الى حدّ ان تكون درجة الحرارة ١٠٠٠ بميزان سنتغراد في مكان عمقهُ ميلان فقط عن سطحها ومثل ذلك في مكان آخر لا يقل عمقهُ عن ٣٠ او

سبب البراكين

البراكين والزلازل اعظم الحوادث الطبيعية وارهبها . وقد بحث الناس عن ا
قديم الزمان فقرُب تعليلهم لها من الحقيقة او بعُد عنها حسب معارفهم لنواميس ا
وظهر الآن تعليلان جديدان الواحد للبراكين وفيهِ كلامنا الآن والثاني للزلازل
الكلام عليهِ في مقالة اخرى في هذا الجزء

اما تعليل البراكين هذا فواضعهُ الماجور دتون الاميركي وقد نشرهُ حديثًا في
العام الاميركية ومفادهُ ان قرب سطح الارض عناصر من نوع الراديوم تشعُ حر
لتبخير الماء واذابة المعادن فتنفجر من الارض وتسبب البراكين وهاك خلاصة ا
كتبها في هذا الموضوع

ان ثوران البراكين من اشهر الظواهر الطبيعية واعظمها وقعًا في النفس و
وعظم وقعها لا يزال سببها الحقيقي طيَّ الخفاء وكلُّ ما قيل فيهِ آراء لم تؤيدها الادلة
وعلة ذلك اننا نرى فعل البركان على وجه الارض فقط ولكن مصدرهُ في بطن الار
بعيد عن المشاهدة والمراقبة

على انهُ وان يكن ذلك كذلك فان عندنا استدلالات في هذا الباب تقرب من
المثبتة . واني ذاكرها قصد الالمام بالحلّ الذي تشير اليهِ وهو حلٌّ اظنهُ سويًّا وا
ان لم اكن مخطئًا في ظني

(١) جمود الارض . وهو حقيقة معلومة ولا اطيل الكلام عليها وانما اذ
مع الحقائق الأُخر في نظام واحد

(٢) قلة المواد التي يقذفها البركان في كل ثورة يثورها بالنسبة الى الجبل لذ
او بالنسبة الى البلاد التي حولهُ . ولسنا نعلم حجم ما تقذفهُ البراكين بالتدقيق وا
حجم اكبر ما قذفهُ بركان في مرة واحدة لا يزيد على ميلين مكعبين وان يكن با
في التقدير فجعلهُ ثلاثة اميال الى ستة اميال مكعبة ومهما يكن من ذلك فهو لا
جنب حجم البركان والبلاد المجاورة لهُ

(٣) تعدُّد الثورات فان البراكين قلما تثور مرة واحدة بل الغالب ان تتعد
حتى قد تبلغ الالوف عدًّا . وسيأْتي ذكر السبب في ذلك

(٤) ان احواض البراكين قريبة من سطح الارض لا يزيد عمقها على ثلاثة

انتقاد فتاة مصر

قبل ان ابدأَ بانتقاد هذه الرواية البديعة في بابها اقول اني كنت اقرأُ فتاة مصر كما كنت اقرأُ بقية مقالات المقتطف الرائعة واعيد النظر فيها كما اعيد النظر في تلك فتأْخذني نشوة من حسن اسلوبها وما اودعهُ الكاتب في مطاويها من افكارهِ العمرانية وانتقاداتهِ البديعة الفلسفية إنْ في ما يتعلّق باسباب الحرب الروسية العمرانية او في ما يتعلّق باحوال مصر الاجتماعية والزراعية او في ما يتعلق بالماليين وتأْثيرهم في هيئة المدنية الحاضرة

والحق يقال اني كثيرًا ما كنت اقدّم قراءتها على قراءة بقيّة مقالات المقتطف لا لمجرّد الفكاهة واللذة المرادة من كتابة اغلب الروايات بل لما كنت ارى فيها من الحقائق العمرانية السياسية وما ترمي اليهِ من اصلاح الاخلاق والعادات والتعريض ببعض ما اضرَّ بنا من الاقبال على ما كاد يشرف بنا على شفا جرفٍ من الافلاس والخراب واشتدّت غوايتنا بهِ حتى عمَّ او كاد يعمُّ غنيّنا وفقيرنا عالمنا وجاهلنا تاجرنا وصانعنا واعني بذلك مضاربات البورصة والتقحّم فيها على الخراب ونحن لا نشعر

واقول ايضًا اني بعد ان قرأْتها اجزاء وقت صدورها عدت فقرأْتها مجلدةً مرتين فما زادتني قراءتها الاَّ اعجابًا بها ويقيني انها من خير ما أُلف لتهذيب شباننا وانها اجدر كتابٍ للآن يحسُن بنا ان نضعهُ بين ايدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأُونهُ اولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير مضافًا الى ذلك فصاحة الالفاظ وبلاغة التركيب وسلامة الذوق . ثانيًا لما فيها من المرامي والمقاصد الحكميّة والفلسفة العمرانية ولا سيما ما ينبغي تنبيه اذهان الشبان اليهِ من قوّة المال والماليين وانهُ لا تقوى امة او تصير شيئًا مذكورًا ما لم يجتمع عندها بكد افرادها واقتصادهم رأس مال يعدّونهُ لطوارق الحدثان يغالبون بهِ بقية الامم يزاحمونهم على موارد التجارة والانتفاع و ينازعونهم بكثرتهِ السطوة والوجاهة

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

وهنا اشكر لاستاذي الدكتور صروف واضع هذه الرواية لانهُ اجاب ملتمسي في طبعها على حدةٍ لينتفع بها التلامذة خصوصًا وانها وفَت بالغاية التي من اجلها التمست منهُ طبعها وحدها في الآن كتاب مطالعة لاكثر من ستين بل سبعين طالبًا يتمرنون بمطالعتها على تطبيق قواعد النحو على ما يقرأُونهُ ويتحدون اساليبها في الكتابة والانشاء وقد وفت بهذين الغرضين فضلاً عما يجدهُ فيها الطلبة من الفوائد العمرانية والاخلاقية المقصودة راسًا من تأْليفها

٤٠ ميلاً . ومن الصعب ايضاً ان يتصوَّر الانسان حدوث حدث في جوف الارض يرفع قسماً منهُ الى قرب سطحها فان الحقائق الجيولوجية تنافي ذلك . نعم ان ثوران البراكين يحدث غالبًا حيث طبقات الارض متصدعة ولكنهُ يحدث ايضاً حيث لم يطرأ عليها تصدع ولا انقلاب منذ عهد متوغل في القدم

ومن البراكين ما يقذف وحلاً مثل براكين اميركا الوسطى وبركان بنداي سان في اليابان وقد حار العلماء فيهِ ولكن الرأي الذي نحن بصدده يزيل كل حيرة . فلا بدَّ ان يكون مصدر هذه البراكين اقل عمقاً من مصدر البراكين الاخرى كأن يكون على عمق نصف ميل من سطح الارض

ورب سائل يسأل لماذا يحدث الانفجار دائماً من احواض قريبة الى سطح الارض لا من الاحواض البعيدة عنهُ . وجوابًا على ذلك اقول اني لست ادعي ان احواض الحمم لا تتكون الاَّ على عمق ميلين او ثلاثة اميال ولكنها ان كانت تتكون على اعمق من ذلك فانها لا تستطيع ان تدفع محتوياتها الى سطح الارض . وذلك لان ضغط الصخور التي فوقها يبلغ ١٨٠٠٠ رطل فوق كل عقدة مربعة على عمق ثلاثة اميال و٢٥٠٠٠ رطل على عمق اربعة اميال فلا يستطيع بخار الماء تحت ذلك الضغط ان يرفع ما فوقهُ ويفتح لهُ طريقاً الى سطح الارض الاَّ اذا كانت حرارتهُ تزيد كثيرًا على درجة ١٣٠٠ بميزان سنتغراد . ولكن كلما زادت الحرارة زاد اشعاعها حتى يصير ما يشعُّ منها او ينفقد مساوياً لما يتولد فلا تعود تزيد

هذا ولو كان الانفجار يحدث من احواض عمقها اكثر من اربعة اميال لكانت حرارة الحمم عظيمة جدًّا ومقدارها كبيرًا جدًا ولكان تأثيرها اشدَّ كثيرًا مما نعهدهُ

وبعد ان ابان الكاتب وجود الراديوم وملابساتهِ في تراب الارض ومياهها وهوائها استناداً الى ابحاث جمهور من العلماء قال وخلاصة تلك الابحاث ان الحرارة الناشئة عن الراديوم ومماثلاتهِ تزيد كثيرًا عن القدر اللازم للتعويض عما تفقدهُ الارض منها بالاشعاع والايصال اي ان حرارة الارض الباطنية على ازدياد اما في قسم كبير او صغير منها او ان الربح والخسارة متساويان . ولا ريب ان مقدار تولد الحرارة من الراديوم يختلف كثيرًا باختلاف الامكنة ففي مكان تزيد الخسارة على الربح وفي آخر يجري عكس ذلك . واذا كان هناك ربح وكان مكان تولد الحرارة قرب سطح الارض صهرت الصخور فتمت بذلك جميع الشروط الملائمة لثوران البراكين

غة الخ – لرجحهما فهبطت كفّتهُ بسرعة الى الارض وشالت الاخرى الى السحاب .
نني مع اعتقادي هذا لا ارى انتقاداً تافهاً على كتاب علمٍ او فلسفةٍ اتفه من الاقتصار
انتقاد هذه الحركات والسكنات الاعرابية والتهويل بها كأنَّ العلم كلّهُ في تحرّيها والجهل
ُ في الغفلة احياناً عنها . اقول ما اقولهُ وانا احمد الله ان فتاة مصر لا مجال فيها لهذا
نتقاد التافه فاني لم الحظ اغلاطاً من هذا القبيل الّا ان تكون غلطةً مطبعية ظاهرة للعيون
ر الشمس في رائعة النهار حاشا عين المتعنّت المتحذلق في النحو ولا اذكر اني مررت على
ة من هذا القبيل او ما يضارعها الّا في صفحة ٢٦ آخر الوجه فقد جاء فيهِ هناك – انا
طيق أتُلقي نفسك في ايدي هؤُلاء اللصوص – والمرجَّح انَّ الكاتب اراد أَن تُلقي
ك – فسقطت النون في هذا الموضع غفلةً من صفّيف الاحرف او تسرُّعاً من الكاتب ولم
ر بذلك كما يحدث كثيرًا مع كل كاتبٍ على ما يُعلَم بالاختبار (١)

(ثانيًا الانتقاد البياني)

وهو اعلى شأناً واكثر فائدة من الانتقاد على مرفوع او منصوب اومجزومٍ او مبنيٍّ على
كون او احدى الحركات . ومدارهُ على التعقيد والالتباس فحيثما وُجد هذان فهناك محلٌّ
. واما حيث البيان وظهور المراد على اتمها في المفردات والتراكيب فلا موضع لهُ وإن
لهُ موضع مع خلو الكلام عما ذكرنا من الالتباس والتعقيد فهنالك الخبط والجهل الفاضح
ن كانا لا يُعلمان عند كل الناس) وليس مرادي الآن ان اتغلغل في هذا الموضوع من
. و بيان جميع ما يدخل تحتهُ فانهُ بحرٌ واسع لا ساحل لهُ . واكثر الكتب الموضوعة في
البيان مما يُطبَّق الانتقاد على موافقتهِ لضوابطها او مخالفتهِ لها غير مجرَّحٍ فيها ولا ترجع
بطها الى اصول كليَّة لا مجال للاعتراض عليها ولذلك كان الذوق السليم اولى ان
م غالبًا دونها وهو اذا رجعنا اليهِ في انتقاد فتاة مصر رأيناها لا غبار عليها الّا في مواضع
: جدًّا واكثرها من قبيل استعمال الفصيح مع وجود الافصح او ما يقارب ذلك .
هذه المواضع ما جاء في وجه ٤٠ – وانفضَّ رأيهم على ان الخواجه لا في يدبر الامر
تهِ – اي وانفضَّ مجلسهم فان الانفضاض في الاصل للمجلس لكن لحصول الرأي
ذلك المجلس نُسب الانفضاض اليهِ . وهو من قبيل اقامة الحالِّ في المكان مقام

(١) [المقتطف] لقد تحرينا انطاق الناس بما ينطقون بهِ عادةً فكلمة « انا لا اطيق » مقولة على هذ
رة مقطوعةً اي انا لا اطيق ما تفعل او ما يفعل والجملة بعدها استئنافية او ابتدائية ولو وضعت نقطة بعد
اطيق لكان ذلك ادلَّ على المراد

ولنرجع الآن بعد هذه الديباجة او التمهيد الى غرضنا الاصلي من الانتقاد عموماً وانتقاد هذه الرواية خصوصاً

انواع الانتقاد

(اولاً الانتقاد النحوي)

واكثر كتابنا اذا انتقدوا وجّهوا همّهم الى هذا النوع من الانتقاد فاذا رأوا عرضاً المرفوع منصوباً او مجروراً او بالعكس اكثروا الصياح والجلبة على الكاتب ورموهُ بالجهل والفهاهة واكثروا من ذلك يهولون بعلمهم وفضلهم واتخذوا ذلك ذريعة للتنقّص من الكاتب والغض من كرامتهِ والانحاء على علمهِ وفضلهِ تهكماً واستخفافاً واولى بالمنتقدين مما ان يقلعوا عن هذا الانتقاد التافه فانهُ ان دلّ على علم من جهةٍ فهو دليل على جهلٍ من جهةٍ اخرى . وسببهُ ان اكثر ما يقع من هذه الاغلاط انما يقع عن تسرُّع الكاتب وقلما يخلّ مع ذلك بفصاحة او بلاغة لان المعنى يكون ظاهراً ظهور الصبح حتى قلما يفطن لهُ احد لا المتحرّي لهُ بل ربما كان ما عُدَّ غلطاً لا يُعَدُّ كذلك الاَّ على مذهب مخصوص . والعقل يعلم انَّ علامات الاعراب في اللغة انما هي من قبيل الإتاقة والمواضعة لا من قبيل الجوهر والحقيقة فمن ثمَّ قد لا يُعَدُّ الاخلال بها اخلالاً يقضي على المخلّ بالجهل وعلى الناقد بالفضل بل كثيراً ما يكون الامر على عكس ذلك لان لسان حال الناقد المحتفل بهذه الاغلاط الضعيفة قد يشهد عليهِ ولاسيما اذا جرى على مذهبٍ مخصوصٍ أنهُ حسب العرض جوهراً والآلة غاية وهذا هو الجهل بعينهِ . هذا ولو كان الاعراب امراً جوهرياً في الخطاب والكتاب لما سقط من العبرانية والسريانية خطاباً وكتابةً وهما اختا العربية او اقلّ لما سقط معظمهُ من على السنتنا في كل البلاد العربية حتى من على السنة المشتغلين بالنحو لاشغل لهم سواهُ وقد فرَّغوا كل اوقاتهم لدرسهِ وتدريسهِ لا يعرفون سواهُ ولا يحفلون بغيرهِ من بقية انواع العلوم

ولا يؤخذ من قولي هذا انَّ النحو علم لا ينفع وجهالة لا تضرُّ حاشا لي ان اقول ذلك وانا من معلمي النحو والمشتغلين بدرسهِ وتدريسهِ منذ عشرين سنة ونيفٍ . بل انا ممن يعتقدون ان علم النحو العربي قد يكون بفضل استاذٍ من افضل انواع العلوم التي تدرَّس في المدارس العالية لتقوية قوى العقل في الشبان ولاسيما قوى الفهم والقياس والاستنتاج . وهو من هذا القبيل لو وُضع في كفة ميزان ووُضع في الكفة الاخرى علمان آخران — ايّ علمين كانا — المنطق والفلسفة — الجبر والهندسة — الكيميا والفلسفة الطبيعية — الحيوان والنبات — التاريخ

مسخَّران لغيرنا . كيف دست قلبي وعواطفي وخرجت من بيت واصف بك وابنهُ على فراش الموت ولا امل ان اراه بعد الآن وبهيّة تبكي وتنوح ويكاد قلبها ينفطر حزنًا عليهِ · تصوري نفسكِ مكانها وان مركبة الترامواي داستني فقتلتني اوكادت ولكِ حبيب او صديق لا بدَّ لهُ من ان يتركَكِ في تلك الساعة تصوري نفسكِ مكانها

فاغرورقت عينا دورا بالدموع وقالت لهُ اني اعرف ما يختلج في فؤادك وأُؤكد لك يا هنري اني احب هذه الفتاة كما تحبها انت واني آسفة جدًّا لفراقها على هذه الصورة ويكاد قلبي ينفطر عليها وعلى امها ولكن الواجب اولى بالاتباع ونحن مرتبطان بهذا السفر ولا مناص لنا منهُ واذا بقينا في مصر لا نقدّم ولا نؤخر ويقيني ان امين بك يقوم من هذه السقطة واظن اننا نجد تلغرافًا منهم في السويس يطمننا عنهُ والاَّ فلا بدَّ لنا من ان نرسل تلغرافًا نسال بهِ عن صحتهِ (فتاة مصر وجه ٥٢ — ٥٣)

اقرأ ايضًا وجه ٥٧ و ٥٨ الى آخر السطر الثامن منهُ · ووجه ٦٦ و ٦٧ الى آخر السطر السابع منهُ · ووجه ٧٠ الى السطر الخامس قبل الاخير · ووجه ١١٤ الى آخر كلام لادي برون وجه ١١٦

ولو اردت ان اشير الى كل كلام انيق معجب لبلاغتهِ اوللحكمة المودعة فيهِ اوللحقائق العمرانية الواقعة فعلاً ونحن في غفلةٍ عنها لأشرت الى اكثر من ثلثي هذه الرواية البديعة ولا اراني مبالغًا

(ثالثًا الانتقاد اللغوي)

وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكيات المضحكات ولا احاشي جلّة من اكابر علمائنا وكتابنا معًا . والغريب ان بعضهم يكاد ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الاَّ ما نصَّ عليهِ في كتب امّهات اللغة فان لم ينصَّ الصحاح او الفيروزابادي او لسان العرب على احتار مثلاً يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانهُ على سعة علمهِ لم يرُقهُ على ما يظهر استعمال بعضهم "احتار" مع معرفتهِ ان قد استعملها قبلهُ الامام ابن الفارض المشهور . وبعضٌ غيرهُ من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمَّى بردّ المحتار على الدرّ المختار . وكنت اعجب من تضييق هاتهِ الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونهُ في الاخذ بهذه الخطَّة التي اخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة هي من اشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها

المكان ويمثّلون لهُ بقولهم – ونادى اصحابُ الجنة اصحاب النار – اي جهنم لكن لما كانت الملابسة بين الرأي والمجلس اكثر بعدًا مما هي بين النار وجهنم في الآية التي يستشهد بها كانت لذلك عبارة فتاة مصر من قبيل استعمال الصحيح الفصيح دون الافصح . ومما يجري هذا المجرى ما جاء في صفحة ٤٣ حيث يقول – فكانها اموال تقترضها الحكومة وتُعطيها للاهالي بربًا معتدل لا يستطيعون الاقتراض بهِ هم – وكان الاولى على ما ارى لو قال – لا يستطيعون هم ان يقترضوها بربًا مثلهِ او بربًا من مثلهِ . وكذلك ما جاء في وجه ٥٦ – وحليمة اخت حليم بك من اجمل البنات اللواتي وقعت عليهنَّ عيني . ووجه ١٠٧ – كلاّ ولكنَّ هنري نفسهُ اخذ مكتوبها وكتب لي حاشية فيهِ يقول فيها وتركيب العبارتين فصيح لاغبار عليهِ الاّ ان حسن الوصف يقضي بتأخير المجرور عن (عيني) في العبارة الاولى وتقديمهِ على (حاشية) في الثانية . ومع ذلك فالفرق بين العبارتين على اصلهما وبينهما على ما صارتا اليهِ زهيدٌ جدًا ولا سيما في العبارة الاولى . وربما وجدت مواضع اخرى من قبيل العبارتين اللتين ذكرناهما لم انتبه اليها ولكنها قليلة جدًا . وبالاجمال اقول ان الذوق السليم يشهد ان "فتاة مصر" جاءت من اولها الى آخرها كأنها النيل المبارك يجري مدلاً بعظمتهِ وجلالة قدرهِ بين الجزيرة والجيزة في جوار القاهرة . واليك بعض شذرات منها

هنري – اذًا انتِ تفكّرين فيهم اما انا فاني باذل جهدي لكي انسى ما مضى فلا استطيع ويخطر ببالي احيانًا ان اعود من السويس ولكن السفينة تقوم صباح الاثنين ولا تقوم سفينة بعدها الى اليابان توًّا الاّ بعد اسبوعين ومهمتي تقضي عليَّ بالذهاب في هذه السفينة وقد ضاقت بي الحيل ولا اعلم كيف اعمل . ايجوز ان اضحي عواطفي كلها لاجل عمل لا ينالني منهُ ربح مادي ولا ادبي . لماذا نذهب الى بلاد اليابان ؟ لخدمة الماليين لكي تكثر اموالهم اما جمهور الاهالي الفلاحين والمعدّنين والصنّاع وهم التسعة الاعشار فلا يستفيدون شيئًا . والماليون ايضًا لا يستفيدون لان زيادة المال لا تزيد الراحة بل تزيد التعب هذا لورد بنشيلد تقدَّر ثروتهُ باكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ اليومي باكثر من ثلاثة آلاف جنيه وقد سمعت منهُ ان ما ينفقهُ على نفسهِ في ماكل ومشرب وملبس لا يزيد على ثلاثة جنيهات في اليوم يأكل في الصباح بيضة ويشرب كاسًا من اللبن والقهوة ويأكل الظهر قطعة من السمك وقطعة من اللحم وقليلاً من الخبز والخضر والفاكهة ونحو ذلك في المساء وان زاد بُلي بالتخمة ويلبس مثل ابسط الناس وما هو الاّ وكيل على امواله يهتمُّ نهارًا وليلاً بتشغيلها وتثميرها فلو بلغنا مبلغهُ من الثروة لزدنا طمعًا وتعبًا . انظري كيف نحن الآن

والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الَّا انَّ الخبر اعرف واعم واشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون انها كتظاهروا من الظهر على حين ان وَضْعَ الكتف للكتف في التعاون اقرب للفهم لانهُ اكثر مشاهدةً من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الَّا لانَّ العامَّة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعمالهُ او وضعهُ لهُ . وبعضهم يشدّد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعملهُ العامَّة مع انها "كعاقلة الرجل" من عالَ عيالهُ كفاهم معاشهم ومأنهم او من عال الشيء فلاناً اهمَّهُ ومفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم او الذين يهمونهُ ولا اوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جرَّ اليهِ ما استهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسميَّة على ما المعنا اليهِ . فيا لله متى نعدل عن هذا التحرُّج الذي يقضي العقل والنقل بتركهِ

ولا يسعني المقام الآن ان اخوض في هذا البحث الى نهايتهِ وربما عدت اليهِ في وقت آخر اذا فسح لي المقتطف الاغرّ مجالاً بين صفحاتهِ (١) ولارجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٧١ آخر الوجه – ولكن الرجل الغنيّ المطموع فيهِ يتناتشهُ الناس من كل جهة – فان كان مبدأُ الفئة التي اشرنا اليها صحيحاً كانت لفظة – يتناتشهُ – فيها شيءٌ من العاميَّة وعندي ان هذه العاميَّة هي في منتهى الفصاحة ويا ليت الكاتب جاء في روايتهِ بمثات من امثال هذه اللفظة فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيَّب حتى عن العامَّة

(رابعاً الانتقاد على الرواية)

كأَن يستشهد الكاتب ببيت من المنظوم او بفقرة من المنثور فينسبها الى غير قائلها او يورد فيها روايةً اخرى غير المشهور فيتذرَّع المنتقد بما ورد من الخطإِ الظاهر او الحقيقي الى التنقُّص من الكاتب والتهويل بما ارتكبهُ من الخطا . وقد يكون كل ذلك مما لا طائل تحتهُ بالنظر الى غرض الكاتب . وقد ورد من هذا القبيل في فتاة مصر وجه ١٧٦

فقد تقلب الايام حالاتِ اهلها وتعدو على اسدِ الرجال الثعالبُ

(١) [المقتطف] على الرحب والسعة فان المبتدئين بالكتابة لعلى غاية الاحتياج الى من يشدد عزائمهم ويسهل عليهم السير في سبيل القياس

لهُ حتى في هذه الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبهُ العلاَّمة الفي
الامام الغزالي في الردّ على المشبّهة والحشوية في كتابهِ إلجام العوام فترجّح لي ان كلام
هناك استهوى القوم فقاسوا عليهِ لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فادّى
لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في الفاظ اللغة حيث تمسّ الحاجة الى القياس
لا مانع يمنع منهُ عقلاً او نقلاً وبيان ذلك

انهُ ورد في الكتاب والسنة الفاظ في حق الباري سبحانهُ وتعالى توهم الجسميَّة
والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما اخذها الحشويّة دليلاً على التجسيم واستغووا بها
وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدّى الامام للرد عليهم واليك
كلامهِ قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغهُ حديث من هذه الاحاديث
عوام الخلق يجب عليهِ فيهِ سبعة امور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف
(٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكفّ (٧) التسليم. ثم فسَّر الامساك بما نصهُ :
الواحد قال : واما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل
اخرى والزيادة فيهِ والنقصان منهُ والجمع والتفريق بل لا ينطق الاَّ بذلك اللفظ وعلى
الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم افاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابهِ وحري بكل عالم من علماء ا
عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليهِ فانهُ مما تتطاول
الاعناق وتطمح الى مثلهِ الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي انّ علو
كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى اهل هذه الفئ
اشرنا اليها فعمّموا الامساك في كل الفاظ اللغة مع ان الامام خصهُ ببعض الفاظ منها
في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين ا
القياس حيث لا محظور من استعمالهِ فابطلوا القياس بالقياس فيا للغرابة و
والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضاً من اهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الاَّ انهم يتأبّون كل
قاستهُ العامة او استعملتهُ على سبيل الكناية او المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو
الظهور حتى لم يخفَ على هولاء. وربما استعملوا بدلاً من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في ا
قياس او مجاز من ذلك خابرهُ في مسألة كذا او تخابروا فانهم لا يسوّغون استعمال
اللفظة ويعدلون عنها الى نابأهُ في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من

موضوع فتاة مصر وابحاثها

موضوعها او الغاية منها فكاهي تهذيبي وابحاثها اجتماعية عمرانية . اما الفكاهة فيها فاحكم انّ الكاتب وفّاها حقها من تشوق القرّاء الى الرواية وحديثهم فيها والذي اعرفهُ في هذا الصدد انما اعرفهُ من نفسي واهل بيتي وبعض اصدقائي الذين يقرأُون المقتطف وهؤُلاء كلهم كانوا اذا تأخَّر عنهم المقتطف يومًا خالوهُ اسبوعًا ومعظمهم على ما اعلم كانوا يبادرون حين وصولهِ اليهم الى فتاة مصر . وقد لحظت ممن اشرتُ اليهم جميعهم انَّ غضبهم على عزرا كان شديدًا و بلغ استياؤُهم مبالغةُ عند ما قرأُوا الفصل الثامن والعشرين والثلاثين الاول في التهييج والثاني في المرافعة واستاءُوا منهما نجاة عزرا من الحكم عليهِ فلما ظهرت الحقيقة سرّيَ عنهم وبدت عليهم امارات الرضى والابتهاج

واما الغاية التهذيبية ففي وصف امرأة الخواجه لافي وامرأة واصف بك وابنتيهما وحليمة ودورا ما يفي بها . فان كل ما وصف بهِ هؤُلاء السيدات او أُسند اليهنَّ من الاقوال والافعال كان غاية في بابهِ في انهُ يرفع النفس في النساء الفتيات وربّات البيوت ويحبّب اليهنَّ الفضيلة والتعقُّل والطهارة وسلامة النيَّة المقرونة بالفهم وصحة النظر ويرغبهنَّ في كل ذلك . وكل ما قيل عن امين بك وما اصابهُ واصاب اهلهُ واصحابهم من الغمّ والحزن هو مما يكرّهُ بالبورصة وامثالها من المضاربات التي استغوت كهولنا وشباننا . وهنا اذكر اني بعثت بهذه الرواية الى ابني في مدرسة الشوير فقرأَها ولما رأَيتهُ في مسامحة عيد الفصح رأَيت انهُ اثَّر فيهِ جدًّا ما قيل عن امين بما كرَّه اليهِ البورصة وبدا لي منهُ ما يشفُّ عن شدة احتقارهِ لها ولمن يتطوّح جهلاً في اشغالها مع انهُ لا يتمُّ الثانية عشرة من عمرهِ قبل يونيو القادم . ولا اقول انهُ فهم كل ما فيها من المطاوي الفلسفية ولكني اقول انهُ قرأَها فتفكَّه بقراءتها واستفاد منها واقلُّ ما استفادهُ (وهو من اعظم الفائدة) انهُ تولّد فيهِ مقت ونفورٌ شديد من هذه المهواة الجهنميَّة التي ذهبت باموال الكثير من تجارنا وابناء الاغنياء والكبراء منا

وكل ما قيل عن هنري برون هو في بابهِ خير للشبان والطلبة من عشرين خطابًا موضوعها الترغيب في الجدِ وعلو الهمَّة والتجافي عن البذخ والاسراف وانصراف النفس الى المعالي وبذلها في الواجب وخدمة البلاد والامة والحكومة

واما بقية الاغراض العمرانية من قوة المال والماليين واسباب الثورة الروسية فيكفي الفهيم اللبيب ما اودعهُ الكاتب فيها من الحقائق والمباحث الدقيقة مما هو غاية في بابهِ . وليس لي شيءٌ اقولهُ في انتقاد هذا الموضوع الاَّ تحفظ الكاتب وهو ما يتطلَّبهُ العلم وحنكة السن وخير

وفي البيت رواية اخرى وهي[1] وتعدو على اسد الدحال الثعلبُ

وارجح انها الرواية الصحيحة ولكنني لا ارى هذا التصحيح يزيدني فضلاً او علماً كما انهُ لا ينقص كذلك من قيمة الرواية او من علم الكاتب وفضله

وبالاجمال ان كلاً من الانتقادين في محله وفي الرواية ولا سيما الاول قد يكون تافهاً وقد يكون معتبراً . اما المعتبر فهو الانتقاد على الالفاظ القلقة في مواضعها وهناك الفاظ ارسخ منها واشد استحكاماً في مواضعها يمكن ان توضع بدلاً منها . او تكون الالفاظ مترادفة لا يعرف الكاتب الفرق بينها في اصل الوضع فيظن ان لكل منها استعمل في لواحدة منها يصح في صاحبتها فيخطئ الغرض ويفوتهُ بذلك طلاوة الكلام وحسن وقعهِ في النفوس والاسماع . واما هذا الانتقاد على الالفاظ لانها مقدسة مع ظهور دلالتها على معناها ولا ظهور الصباح او لانها مما تستعملها العامة مع انها في مواضعها مما لا نقوم لفظة مقامها وهي مع ذلك جارية على مجاري القياس في الاشتقاق والمجاز لا حلل فيها من هذا القبيل لانها غير واردة في امهات اللغة المتدولة فمن الانتقاد الجدير بنا الاقلاع عنهُ وان اسهب اليهِ قومٌ لهم شأن ومكانة في عالم اللغة والادب

(خامساً الانتقاد المعنوي او الحقيقي)

وهو الانتقاد المعوَّل عليهِ وبهِ يتفاضل العلماء والفضلاء والمقصود منهُ تجريح ما في الكتاب المُنتَقَد وبيان مواضع الخطاء فيهِ إن وُجدت ولا تبيين محاسنهِ وما فيهِ من المواضيع المهمة النافعة للقرَّاء . ومدار هذا النقد على موضوع الكتاب فان كان كتاباً تاريخياً مثلاً فتجريح النقول فيهِ وبيان ما اذا كانت مما يعول او مما لا يعوَّل عليهِ من جهة وما اذا كانت مستوفاة من جهة اخرى . ثم بيان ما اذا كان المستنتج من هذه النقول جارياً على مقتضى الاستنتاج العقليّ الصحيح او ملويًّا بهِ عنهُ

وهكذا يقال في ما اذا كان موضوعهُ ادبيًّا وعقليًّا او فنيًّا او سياسيًّا فينظر اولاً الى تمحيص الحقائق والمبادىء ثم ينظر ثانياً في تمحيص المستنتجات من تلك الحقائق وقد لا نقل احياناً فائدة هذا الانتقاد اذا كان مستوفى عن فائدة الكتاب المنتقد ويظهر فيهِ مقدار علم الكاتبين المنتقد والمنتقد عليهِ وفضلهما . ولا تكون نتيجة مثل هذا الانتقاد الاّ تنوير البصائر وتوسيع نطاق الحقائق وما يترتب على ذلك من الفائدة علماً وعملاً

---

(١) [المقتطف] ما ذكرناهُ ليس رواية اخرى بل تصحيف في الطبع لم ينتبه لهُ وقت تصحيح المسودات فنشكر فضل المنتقد على تنبيهنا اليهِ

ومن اوسع الخطى التي خطتها بعض الدول نحو هذه الغاية ما فعلتهُ الدنمارك وهولندا وشيلي والارجنتين فانهنَّ امضين معاهدة تعهَّدن فيها برفع كل المسائل الخلافية الى هذه المحكمة من غير استثناء. وقد نصبت الحكومتان الاخيرتان اي شيلي والارجنتين تمثالاً لملك السلام على اعلى قمة في الجبال الفاصلة بينهما تذكارًا لهذا الاتفاق

ومن ذلك ايضاً اتفاق مملكتي اسوج ونروج على فض كل المشاكل بالتحكيم ولا يستثنى من ذلك الاَّ المسائل المتعلقة باستقلال كل بلاد منهما وحفظها غير متجزئة ومصالحها الضرورية. واذا اختلفتا في مسأَلة هل هي من المسائل التي تعرض للتحكيم او من المسائل التي لا تعرض لهُ فمحكمة التحكيم تفصل في هذا الخلاف . فاذا ادعت دولة منهما ان مسأَلة من المسائل الخلافية متعلقة باستقلالها ولم تشأْ عرضها للتحكيم فلمحكمة الهاي الحق ان تحكم في هذه الدعوى فاذا حكمت ان المسأَلة لا تتعلق بالاستقلال وانهُ من اختصاصها النظر فيها وجب على الدولة المدَّعية ان تقبل حكمها

فيجب ان تهنأَ هذه الدول لانها سبقت غيرها في هذا السبيل المجيد . ونحن لا نبخسها حقها من الفخر بذلك مع اننا كنا نودُّ ان يكون هذا الفخر للامة التي حرَّرت العبيد وابطلت الاستعباد والمبارزة . فلم يبقَ لنا والحالة هذه الاَّ ان نسير على اثر الذين سبقونا في هذا المضمار ونعقد معاهدة بين الامتين المتكلمتين باللغة الانكليزية والاَّ خالفنا دعوانا التي ندعيها وهي اننا روَّاد الحضارة. وكيف نحتمل ان تسبقنا هذه الامم الصغيرة وكيف لا نسعى كي نجاريها على الاقل

قلنا ان ما يتعلق بشرف الامم ومصالحها الضرورية استثني من التحكيم حتى الآن . ولقد طالما تشكى نصراءُ الانسانية من كثرة الجرائم التي ترتكب باسم الحرية ولكن هذه الجرائم طفيفة في جنب ما يرتكب باسم الشرف . وان ما يسمى شرفاً لهو خالٍ من كل شرف حقيقي. وما من احد يستطيع ان يثلم شرف غيرهِ انما الانسان يثلم شرف نفسهِ فان ثلم الشرف امر داخلي لا خارجي وهو مما يفعلهُ الانسان نفسهُ لا مما يفعلهُ بهِ غيرهُ . والمرءُ الذي يحتاج شرفهُ الى الدفاع جدير بان يؤْسف عليهِ

والمحق الذي لا لوم عليهِ لا يبادر الى امتشاق الحسام ولا يخشى محاكم التحكيم . ولقد كان الناس يزعمون ان الشرف الرفيع لا يسلم من الاذى الاَّ اذا اريق الدم على جوانبهِ . ولا تزال الدول الاوربية تزعم ان الحرب لازمة لصون الشرف ولكن ابناء الامة الواحدة كالمتكلمين باللغة الانكليزية يثلمون شرفهم اذا لجأُوا الى القوة للدفاع عن حقوقهم لانهُ ما من

للكاتب ان يعرف القارئ ما يريد ان يقولهُ من غير ان يقولهُ . الاَّ اني لا انكر ميلي الى تجريح ما جاء بهِ الكاتب في صدد الكلام عن مبدإِ تنازع البقاء وبقاء الانسب الاَّ اني بعد طول الفكرة وجدت نفسي لا اقوى بعبارتي على تصحيح ما قيل في هذا الباب الفلسفي الواسع الاطراف وان كنت اشعر بنفسي اني اقوى على ادراك ان هنالك خطأً وشيئًا يقتضي التجريح

والخلاصة ان هذه الرواية بديعة في بابها واسلوبها البلاغي وابحاثها والذي اعتقدهُ انهُ لم ينسج بعد احسن منها ولا مثلها وقد خلت من كل تضليل تاريخي يمكن ان يقع في الروايات التاريخية ووقع شيءٌ منهُ في رواية قلب الاسد وما هو على شاكلتها من الروايات كما انها خلت ايضًا مما قد لا تخلو منهُ رواية فكاهية مما يحرّك النفس الشهوانية او عاطفة الحبّ الطبيعي بما يضرُّ الشبَّان والشابَّات ويدفعهم الى ما وراء الحد الذي لا يحمَد اندفاعهم اليهِ . وغاية ما اقولهُ في هذا الصدد اني لا اخشى مغبةً من قراءتها على تلميذي او على ابني او ابنتي او او فجزى الله مؤلفها خيرًا ولا اقول ما اقول تقرُّبًا من كاتبها فانهُ استاذي بكل ما تحتملهُ هذه اللفظة من المعنى الحقيقي للاستاذ وانا تلميذهُ بكل ما يجب ان تتضمَّنهُ لفظة تلميذ من المحبة والاعتبار وليس بين الاستاذ والتلميذ اذا كان على هذه الصورة ما يسوّغ ان يتوهم فيهِ انهُ من قبيل التقرُّب ومجرَّد حب الزلفى بوجه من الوجوه والسلام

رابطة السلام

تتمة المقال

لا شيء في محكمة الهاي يقضي على الخصوم برفع قضاياهم اليها وقد قال البعض ان ذلك من دلائل ضعفها اما انا فاقول انهُ من دلائل قوتها فهي مثل القوانين الدولية لم يقيد احد باتباعها ومع ذلك تراها متَّبعة . لكن كثيرين فرغ صبرهم فيطلبون الاسراع في إبطال الحروب ويفرضون على الدول ان تتقيَّد بعرض مشاكلها على هذه المحكمة . الاَّ ان التأني احكم الامور مرهونة باوقاتها والسلم لا يأتي بالعنف بل بالرجوع الى حكم العقل والضمير . ففي كل المعاهدات التي عقدت حفظت الدول الكبيرة لنفسها الحق بعدم التسليم في المسائل التي تتعلق بشرفها ومصالحها الضروريَّة التي يتوقف عليها كيانها . وهذا امر لا بدَّ منهُ في البداءة سيتسع نطاق المسائل التي تعرض للتحكيم رويدًا رويدًا . ولا شبهة في ميل الناس الى ذلك لكن لا نصل الى الغاية المطلوبة الاَّ بالصبر والتأني

المسائل التي طلب مؤتمر الهاي ان يعقد لها مؤتمر خاص وثانياً في معاهدات التحكيم بين الدول التي لها نوّاب فيهِ . وثالثاً في انشاء مؤتمر عام يلتئم في اوقات معينة للنظر في المسائل الدولية

وقد طلب الرئيس روزفلت من دول الارض ان تدعو هذا المؤتمر للاجتماع ثم ترك الامر لقيصر روسيا حاسباً انهُ اجدر من غيرهِ بهذا الطلب

فاذا أُقيم هذا المؤتمر كان جرثومة المجلس الدولي الذي يحفظ السلم في الدنيا فيحكم بين الامم كما يحكم المجلس الاعلى في اميركا بين ولاياتها المختلفة وهي اوسع مساحة من اوربا كلها . وانشاء هذا المجلس ليس بدعةً جديدةً بل هو امر موجود مجرَّب . ولا يبعد ان بعض الحاضرين يعيش حتى يرى انتظام هذا المجلس العام الذي يبطل ما جرى عليهِ الناس حتى الآن اي ذبح بعضهم بعضاً . وتدلُّ الدلائل كلها على اننا سائرون في هذا السبيل وكل مَن سار على الدرب وصل

هذا من حيث محكمة التحكيم في الهاي واسمحوا لي الآن ان اقول كلمتين عن التحكيم بنوع عام

ان رجال السياسة الذين سبقوا فرأوا فوائد التحكيم هم وشنطون وفرنكلين وهملتون وجاي وغرنفيل

ففي سنة ١٧٨٠ كتب فرنكلين يقول " اننا نتقدَّم كل يوم في الفلسفة الطبيعية واودُّ ان نتقدَّم ايضاً في الفلسفة الادبية اي ان نكتشف اسلوباً يوجب على الامم المختلفة الفصل في خصوماتها من غير ان يذبح بعضها بعضاً " . وقد حُقِّقت رغبتهُ في معاهدة جاي التي عقدت سنة ١٧٩٤ لانها مبدأ التحكيم . ومما يستحق الذكر ان تلك المعاهدة من متولدات الامة المتكلمة باللغة الانكليزية وان اهم المشاكل التي فضَّت بواسطة التحكيم حتى الآن كانت بين فرعي هذه الامَّة

وقد تعجبون اذا قلت لكم انهُ من زمن معاهدة جاي الى الآن قد فصل بالتحكيم في ٥٧١ مسألة دولية ولم يعترض احد على حكم المحكمين الاَّ في مسأَلة واحدة فقط اخطأَ المحكمون فيها الغرض الذي انتدبوا لهُ . فاذا كان في كل عشر من هذه المسائل التي حلَّت بالسلم حربٌ واحدة كامنة فقد منع التحكيم سبعاً وخمسين حرباً في مئة واحدى عشرة سنة او حرباً كل سنتين . وزد على ذلك انهُ لو نشبت هذه الحروب السبع والخمسون لبذرت في الدنيا بزور حروب اخرى تتولَّد منها لانهُ لا شيءَ مثل الحرب لتوليد الحروب . فالبغض ينتج البغض والخصام ينتج الخصام والحرب تنتج الحرب . غلمان شؤْم كلهم . ومن يداوي الخصام بالحرب

ذنب يبيح للانسان ان يأخذ حقهُ بيدهِ ما دامت محاكم القضاء قائمة لرد الحقوق الى اربابها وما يصدق على الفرد بازاء غيرهِ يصدق على الامة بازاء غيرها . اي كما ان الرجل الذي يتقاضى حقهُ بالقوة يعدُّ بعيدًا عن التمدن كذلك الأُمة التي تتقاضى حقها بالقوة تعدُّ بعيدة عن العمران

والامم مؤلفة من الافراد والمحاربة بين الامم كالمبارزة بين الافراد وكما أُبطلت المبارزة الآن وصار الخصوم يلجأُون الى محاكم القضاء لانصاف المظلوم من الظالم كذلك ستبطل الحروب وتصير الامم تترافع الى محاكم التحكيم لتقضي بينها

وقد زعم البعض انهُ قد تشكو امة الى محكمة التحكيم ولا تكون محقةً في شكواها او قد يشكى منها ولا تحكم المحكمة عليها ولكن هذين الفرضين وهميَّان واذا اتفقت الامم على رفع دعاويها الى محكمة التحكيم لم يصعب عليها ان تسن قانونًا لذلك مبنيًّا على مبادئ غروتيوس يحفظ استقلال الامم وتكون كلها متساوية في الحقوق لدى القانون كما ان افراد الامة الواحدة متساوون لدى قانونها مهما اختلفوا مالاً وجاهًا

وقد حدثت ثلاثة امور بعد انشاء محكمة التحكيم ألمَّت محبي السلم في المسكونة كلها

الاول رفض حكومة اميركا طلب اهالي فيلبين لفصل الخلاف الذي بينهما بالتحكيم . والثاني رفض بريطانيا العظمى لطلب جمهورية الترانسفال مع ان الترانسفال عرضت ان يكون ثلاثة من القضاة من الانكليز واثنان فقط من الهولنديين وهذا من اعدل ما تعرضهُ بلاد على اخرى وهو يعود بالفخر على الذين عرضوهُ وعلى القضاة الانكليز ايضًا لثقة الترانسفال بهم. والامر الثالث ان روسيا واليابان لم تطلبا المقاضاة الى محكمة التحكيم . وقد وقع ذلك موقع الاستغراب لان قيصر الروس اول من اشار بانشاء محكمة التحكيم . وقد فسَّر ذلك بعضهم بقولهِ ان الدولتين كانتا تبحثان في فض الخلاف الذي بينهما فضًّا حبيًّا حينما هاجمت اليابان بورت ارثر من غير ان تعلن روسيا بذلك فجعلت التحكيم ضربًا من المحال

وهذه الامور الثلاثة تضعف العزائم ولكن محبي السلم يتعزَّون بانهُ لو عرفت هذه الدول اولاً نتائج اهمالها التحكيم كما عرفتها الآن للجأت اليهِ حتمًا وهنأَت نفسها بحكمهِ مهما كان والناس لا يتعلمون الاَّ بالاختبار. ومع ذلك فمحكمة التحكيم قد حكمت في مسائل اخرى كثيرة واصلحت بين الخصوم من غير ان يسفك دم انسان واحد فعاد كلٌّ منهم ظافرًا من غير ان تدمع لهُ عين

وقد كثرت الدلائل على ان السلم سيصير عامًّا ومنها الاجتماع الذي عُقد في سنت لويس في العام الماضي وطلب من دول الارض ان ترسل نوَّابًا عنها الى مؤْتمر عام ينظر اولاً في

اذا ثار ثائر الغضب في نفوس الكبراء . فلا يرجى اصلاح الحال الا اذا ادرك الجمهور ان قتل الناس اثم فظيع . ونخاف ان يبقى في الدنيا طغاة يوقدون نار الغضب الوحشي ويدفعون الناس الى قتل بعضهم بعضاً مدعين ان الحرب حصن الشرف ونصير الوطنية وان التحكيم ملجأ الجبناء . واذا ثار ثائر الغضب لم تبق للحياة قيمة . فالذي نريد ان يرسخ في النفوس هو ان قتل الناس بالحرب اثم لا يغتفر وانهُ يجب على الدول ان ترضى بالتحكيم بدل الحرب وعلى الكنائس والمدارس وكل الذين تصدروا لتعليم غيرهم وارشادهم ان يساعدوا في ذلك

لو كانت دول اوربا الكبيرة خالية من نظام التجنيد بالقرعة ومحتاجة الى اناس ينتظمون في جيوشها كاحتياج انكلترا الى ذلك لسمعناها بعد قليل تنادي بانشاء رابطة السلام بين الدول اجمع

وكيف يتعذَّر ابطال الحرب وخمس دول اتفقت بالامس على بلاد الصين فاوقفت ما كان فيها من الارتباك ودخلت عاصمتها وانقذت السفراء منها . فهذه الدول الخمس تستطيع ان تبطل الحرب اذا ارادت بل لو اتفقت ثلاث منها على ابطال الحرب في البلاد المتمدنة بناء على انها تضرُّ بالمتحاربين وبغيرهم ايضاً وفرضت على نفسها وعلى غيرها من الدول ان تلجأَ الى التحكيم لا الى غيرهِ لفض كل خلاف والدولة التي تخالفها تنفرد بنفسها وتجتمع الاربع الباقيات عليها بطلت الحرب بينها . ويحسن ان يجرَّب ذلك بضع سنوات وتشترط كل دولة انها تستطيع الانفصال عنهُ بعد اعلانهِ بخمس سنوات اذا رأَت انهُ ليس من مصلحتها . واذا قرَّرت الاكثرية الغاؤُه أُلغي بعد خمس سنوات

ثم ان قيصر الروس كان اول مشير بمؤتمر الهاي الذي تولَّدت منهُ المحكمة الدولية فلو قام الملك ادورد او امبراطور المانيا او رئيس الولايات المتحدة ودعا دول الارض لانشاء رابطة السلام لاجابت الدول هذه الدعوة وعملت بها على الراجح لا سيما وان الدول الصغيرة تقابلها بالترحاب

والآن قد أُحكمت العلاقات بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ومرامي هذه الدول الثلاث متشابهة وبلدانها محدودة فيسهل عليها ان تتفق على دعوة بقية الدول للنظر في عقد رابطة السلام والغرض هام جدًّا يستحق ان تبذل كل وسيلة في تحقيقهِ . ولا شبهة عندنا ان التحكيم الموجود الآن سيتَّسع نطاقًا وان فيهِ ما يلزم لتوطيد السلم في الدنيا بعد زمن طويل ومع ذلك توجد طريق اقرب منهُ الى نيل المراد

ولا نخدعنَّ انفسنا بان التحكيم يبطل الحروب حالاً مهما عظمت فائدتهُ بل المرجح ان

فقد ازال علّة باشد منها

اذا استشفيت من داء بداء فقتلُ ما اعلّك ما شفاكا

وما احسن ما قالهُ الشاعر ملتن " لا تنتج الحرب الاَّ حروبًا "

وقد عقدت الدول في السنتين الماضيتين ثلاثًا وعشرين معاهدة للتحكيم ويظهر من ذلك ان التحكيم سائر سيرًا حثيثًا والذين جربوهُ لا يودون العدول عنهُ لانهُ يأتي بالسلم من غير ضغينة فالذين يعتمدون عليهِ يخرجون بعدهُ اصدقاء واما الحرب فلا تترك في قلوبهم الاَّ العداوة

ولقد افاض الكتَّاب في ذكر النفقات الباهظة التي تقتضيها الحروب في ايامنا والاموال التي تنفقها الممالك الاوربية في الاستعداد للحرب حتى ارهقت رعاياها وبلغت حدًّا لا يطاق . فكل نفس في فرنسا يدفع في السنة ثلاثة جنيهات و ١٤ شلناً ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ٣١ جنيهاً و٣ شلينات و ٨ بنسات . وكل نفس في بريطانيا يدفع في السنة ٣ جنيهات و ٨ شلنات و ٨ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ١٨ جنيهاً و ١٠ شلنات و٥ بنسات . وكل نفس في المانيا يدفع في السنة جنيهاً واحدًا و١٥ شلناً و٤ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها جنيهان و١٢ شلناً وبنسان . وكل نفس في روسيا يدفع في السنة جنيهاً و١٤ شلناً و٦ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ٥ جنيهات و٩ شلنات و ٩ بنسات

ونفقات الحربيَّة والبحرية في بريطانيا نصف نفقات الحكومة كلها وهي في غيرها اقل من ذلك لكنها آخذة في الازدياد . واكثر الديون التي على الدول الاوربيَّة سببها الحروب . وهذه النفقات مع ما يتبعها من استخدام الرجال سنين كثيرة في ما لا يجدي نفعاً حمل ثقيل على عاتق الامم ستزرح تحتهُ ان لم يتلافَ امرهُ قريباً . ولكن يخشى ان يبقى على حالهِ الى ان تبلغ الخسائر المالية حدًّا لا يطاق

ولقد بيَّن كثيرون ان الحرب لا تدعو الى توطيد السلم ولا تزيل اسباب الخلاف من بين الدول المتحاربة وهي شر علاج لازالة الخصومات لانها تزرع بزور الشقاق وقد تمضي القرون قبل ان يزول ما زرعتهُ حرب واحدة . وقلما يغنم منها احد الخصمين شيئاً وان غنم فالحنظل والعلقم . انظروا الى الحرب التي وضعت اوزارها الآن . لم ينل احد من المتحاربين ما بغاهُ وقد خرج منها الغالب مغبوناً اكثر من المغلوب فلو علمت اليابان انها تخرج من هذه الحرب وعلى عاتقها مئتا مليون من الجنيهات ديناً وهي بلاد فقيرة ولو علمت روسيا ما نتج لها هذه الحرب لاسرعتا الى التحكيم وقبلتا حكمهُ مهما كان . ولكن هذه الامور تغيب عن الذهن

الآخر بل اذا راعينا ارتباط الناس بعضهم ببعض بواسطة التجارة فالمرجح ان كل فريق منهما كان معيناً للفريق الآخر . فلماذا اقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً . اختصم ملكاهم وبدلاً من ان يقتل احدهما الآخر حملا هؤلاء الحمقى على الاقتتال "

او قرأوا ما قالهُ الاستاذ مكنتشل في مؤتمر السلم في ادنبرج سنة ١٨٥٣ وهو "ان التجند لا ينطبق على الديانة المسيحية وكلما علا مقام المرء في الجندية وكثرت معارفهُ زاد جرمهُ . هنا رجل وهبهُ الله عقلاً رياضياً فاذا استخدمهُ في ما يرضي افاد نوع الانسان فوائد كبيرة لانهُ قد يستخدمها في انشاء سكك الحديد التي تقرّب الابعاد وتسهل المواصلات او يستخدمها في تسخير الكهربائية لنقل الاخبار ووصل القلوب ولو كانت على الوف من الاميال او في زيادة قوة الآلات الجارية وتخفيف متاعب الناس او في اصلاح المطابع وارسال النور والمعرفة الى اقاصي الارض او في تجفيف المستنقعات واحياء الارض الموات وزيادة راحة الناس ورفاهتهم او يستخرج من سير النجوم قواعد يرتشد بها النوتي في الليلة الظلماء . ما اشرف العلم اذا وُجّه الى هذه الغايات النبيلة وما ادناهُ اذا استعمل لقتل الناس فهو مثل صانع الادوية الذي يستخدم معرفتهُ لعمل سموم تسمّ ينابيع الحياة بدلاً من ان يستخدمها لعمل ادوية تشفي من الامراض والاسقام

لاي غرض يدرس الانسان فن الحرب يدرسهُ لكي يعلم كيف يسدد مدفعهُ حتى يقتل بهِ العدد الاكبر من الناس ويتلف المقدار الاكبر من الاملاك وعلى اية زاوية يرفعهُ حتى اذا أُطلقت القنبلة منهُ وصعدت في الجو تقع حيث يريد ان تقع . تقع حيث المجتمع الاكبر من الجنود وتنفجر هناك وتقتل العدد الاكبر منهم . يا الهي أيجوز للانسان ان يوقف قواهُ العقلية لهذه الاعمال الجهنميَّة "

او يكون الطالب قد اطَّلع على كلام وكاف القائل " اي فخر للقاتل إذا قتل كثيرين فان السيَّاف يقتل اكثر منهُ . واحرِ بالانسان ان يكون جزَّاراً للوحوش من ان يكون جزاراً لاخوتهِ "

او يكون قد قرأ كلام جون وسلي القائل " اندب زوال المحبة من الدنيا . هذه الممالك المسيحية يمزق بعضها احشاء بعض ويخرب بعضها بلاد البعض الآخر بالنار والسيف وترسل جموعها بالالوف وعشرات الالوف الى الهاوية "

او يكون قد سمع اقوال القوَّاد العظام كقول نبوليون " ان الحرب صناعة البرابرة " وقول ولنتون " ان الحرب اكره شيء فاذا رأيت يوماً واحداً من ايامها فانك تطلب من الله

تنشب حروب كبيرة قبلما يسود السلام على المسكونة لان تحت رماد الحروب الماضية جمرًا كثيرًا . وبزور البغضاء التي زرعتها لا بدّ من ان تنبت من وقت الى آخر الى ان تستأصل وتتلاشى · ولذلك لا نطمع بان يسود السلم في ايامنا وتنقطع الحروب تمامًا بل سنرى اكثر من ثورة من ثورات الجنون في المستقبل كما رأينا في الماضي ولكن لا بدّ من ان يسود السلام اخيرًا . وعندي انهُ يسود قبل الوقت الذي يقدّرهُ اكثركم

ويدَّعي البعض ان الحرب تقوي فضيلة الشجاعة لأَنّ ان الشجاعة التي تقويها الحرب هي الشجاعة الجسدية البهيمية التي تفوقنا فيها الحيوانات الضارية فيكون الكلب العقور ارقى من الانسان على زعمهم · ان رجال الزولو ولا سلاح معهم غير الحراب يهجمون على رصاص البنادق بقلوب لا تخاف الموت لا لانهم اشجع من غيرهم بل لانهم اجهل من غيرهم ولو درسوا سنة في هذه المدرسة لشفوا من هذا الجهل ومن هذه الشجاعة · والراي قبل شجاعة الشجعان ولاسيما في عصرنا عصر العلم والتدبير

وعلى ذكر التعليم اقول انهُ قد ظهر الآن ان المتعلمين يأنفون من الانتظام في سلك الجيوش وقد انتبه البرلمنت الانكليزي الى ذلك حديثًا لانهُ وجد ان عدد الضباط اللازمين للجنود المتطوعة قلّ ٢٥ في المئة وقل المتطوعون ٣٢ الفًا وضباط الجيش العامل ٢٤٢ ضابطًا وقل طالبو الانتظام في جيش الهند ١٢٠١ المًا . وقد عدَّت الحكومة ذلك من اصعب المشاكل التي يطلب من نظارة الحربية حلها ويظن البعض من اكبر الثقات في الامور الحربيَّة انهُ لا علاج لذلك الاَّ بادخال نظام القرعة (اي التجنيد الاجباري) . ويسرني ان اخوانكم في اميركا واقعون الآن في مشكل مثل هذا لا من قبيل جيوشهم البرية لانها قليلة لا يعتدُّ بها بل من قبيل بحريتهم فانهم لم يجدوا العدد الكافي من البحارة لسفنهم الحربية وينقصهم الآن ٣٥٠٠ رجل وهذا كلهُ يدل على ان الانكليز واخوانهم الاميركان صاروا يكرهون الحرب ولا يُغرَوْن بالخدمة الحربية ولو زيدت رواتبهم

ومن المحتمل ان الشبان قرأُوا في المكاتب العمومية كتاب كارليل الذي وصف فيهِ الصناع في بريطانيا وفرنسا وكيف " ان ثلاثين من هؤُلاء وقفوا امام ثلاثين من اولئك والبنادق في ايديهم ثم أُمروا باطلاق الرصاص فاطلقوا بنادقهم وللحال رأيت على الصعيد ستين جثة بعد ان كان عليهِ ستون رجلاً من مهرة العمال النافعين لوطنهم . ولا بدَّ من دفن هذه الجثث واراقة الدموع عليها فهل كان هؤُلاء الرجال متخاصمين كلاَّ ثم كلاَّ لان كل فريق منهم يسكن بلادًا بعيدة عن بلاد الفريق الآخر وكل فريق منهم كان يجهل معرفة الفريق

ذلك . يجب عليهم ان ينقطعوا عن تلاوة الصلوات المختصة بما وراء الموت ولا علاقة لها بالحياة الدنيا ويحثوا الحكومة لى طلب التحكيم او على القبول بهِ اذا عُرض عليها . واذا خابت كل المساعي ورمت حكومتكم بلادها في الحرب فلا تصمتوا بل ابدوا طلبكم بكل ما يمكن من الحجج وانتذروا نتيجة الحرب فانها لا بد وان تكون مؤيدة للذين كانوا يفضلون السلم فانهُ ما من امة غاصت في الحرب الاَّ خرجت منها نادمةً على ما فعلت حاسبةً انها غلطت في ما فعلت والاصح ان يقال انها اذنبت في ما فعلت وارتكبت اثمًا فظيعًا

وماذا يطلب من النساء والبنات اللواتي يتعلمنَ في هذه المدرسة . يطلب منهنَّ ان لا يقفن صابرات الى ان تبتدئَ الحرب ثم يؤلفنَ جمعيات لارسال المآكل والملابس الى الجنود كما يفعلن الآن ويذهبن بانفسهن ويمرّضن الجرحى حتى يشفوا سريعًا ويعودوا الى ساحة القتال فيُقتَلوا او يقتلوا غيرهم . ان شفقتهن حرية بكل مدح ولكن يجب ان تصرف في السبيل الانفع وهو مقاومة الحرب والمناداة بمنعها قبل وقوعها والحث على طلب التحكيم او على قبولهِ فان تعب يوم في هذا السبيل انفع من تعب شهر بعد ابتداء الحرب

ولا شبهة في انهُ اذا اتفق كل الناس من كل المذاهب والاحزاب على طلب التحكيم فلا تستطيع حكومة ان ترد طلبهم في يدهم انقاذ البلاد من الحرب وتوطيد دعائم السلم

ذكرت لكم رأي وشنطون في الحرب فاذكر لكم الآن رأي رئيس آخر وهو الرئيس لنكن . لما كان لنكن شابًا زار سوقًا من الاسواق التي كانت العبيد تباع فيها رجالاً ونساءً واولادًا فوقف فيها هنيهة ثم سار في طريقهِ وهو يقول اذا وفَّقني الله فسأقوم ضد هذه التجارة الملعونة . وكرّت السنون وهو يقاوم الاستعباد بكل طاقتهِ الى ان تيسر لهُ ان حرر اربعة ملايين من العبيد بكلمة واحدة من قلمهِ لما صار رئيسًا للولايات المتحدة وهو مثال لما نحن الذين نرى ويلات الحروب ويُطلَب منا ان نبذل جهدنا في انقاذ بني نوعنا منها ولم نفلح حتى الآن لاننا لم نضع هذا الغرض نصب عيوننا ولم نبذل في تحقيقهِ كل جهدنا . فلنعزم على ابطال قتل الناس كما عزم لنكن على ابطال بيعهم ونجعل هذا المطلب فوق كل المطالب ونواظب عليهِ الى ان تزول الحروب من الدنيا وتتوطد دعائم السلم (انتهى باختصار قليل)

ان لا يريك يوماً آخر". او الجنرال غرانت الذي دعاه دوق كمبردج ليشاهد المناورات الجيوش فقال انهُ لا يريد ان تقع عينهُ على الجنود مرةً اخرى . او الجنرال شرمن ... كتب انهُ تعب من الحرب وكرهها "فان مجدها كنور القمر ولا احد ينادي بوجوب الحرب الا الذين لم يطلقوا بندقية ولا سمعوا صراخ الجرحى وانينهم والحرب جهنم"

ان الجند المنتظم انما يراد بهِ الهجوم لا الدفاع لانهُ اذا لم يكن هجوم لا يكن دفاع . واما الجند المتطوّع فامرهُ على خلاف ذلك لانهُ لا يحمل السلاح الا للدفاع عن وطنهِ . والدفاع عن الوطن واجب اذا هاجمهُ عدو ولكن ما من احد في انكلترا واميركا يخشى ان يضطر الى ذلك . ومع هذا فلا جدال في انهُ يجب على كل انسان ان يدافع عن وطنهِ . ولكن اذا كان دفاع الانسان عن وطنهِ واجباً عليهِ فهجومهُ على وطن غيرهِ حرام وهذا الامر لم يراعَ حتى الآن . وما الجندي المنتظم في الجندية سوى عامل مستأجر باجرة ليقتل غيرهِ لانهُ لا شيء يوجب عليهِ ان يعمل عملاً يدعوهُ احياناً الى قتل الناس حلالاً كان ذلك او حراماً فمن يتقيَّد بهذه الخدمة يكون قد تنازل عن حقهِ في الحكم لنفسهِ وعن الجري حسب ما يرشدهُ اليهِ ضميرهُ . . . . . يا تلامذة سنت اندرو لقد اردتُ ان اشرح لكم الحركة القائمة الآن لابطال الحروب وما تمَّ لها من النجاح . فانها لم تقوَ قبلاً كما قويت الآن ولا نجحت في مقاصدها كما نجحت في هذه السنوات الاخيرة مبتدئاً بمؤتمر الهاي الذي هو وحدهُ من اكبر دلائل النجاح فان فيهِ اساس البناء الذي يراد انشاؤهُ . يتلوهُ اتفاق ... من الدول على ان يفصلن كل مشاكلهنَّ بالتحكيم ثم اتفاق اسوج ونروج على فصل مشاكلهما بالتحكيم . ولذلك نحن سائرون نحو الزمن الذي يسود فيهِ السلم بواسطة التحكيم

ولا بدَّ من ان تسألوا الآن ماذا يُطلَب منكم حتى يتم هذا العمل المجيد وهو ابطال الحرب . فاشير عليكم ان تقتبسوا كلام وشنطون القائل "ان مشتهاي الاول هو ان ارى هذا الشر منفياً من الدنيا". ويحسن ان تنشأ روابط السلام في المسكونة كلها ويكون شعارها قول وشنطون هذا . ورب قائل يقول كيف تحقق امنية وشنطون فاجيب انها تحقق على هذا الاسلوب :— كلما وقع نزاع بين بلادكم وبلاد اخرى فاطلبوا من حكومة بلادكم ان تشير بعرضهِ للتحكيم واذا كانت الحكومة من حزبكم ولا تجيب طلبكم فاتركوا حزبها لان السلم فوق الاحزاب واذا سبقتكم البلاد الاخرى وطلبت التحكيم قبل بلادكم فاصرُّوا على اجابة طلبها ولا تلووا على شيء حتى تجاب الى ما طلبتْ . واطرحوا كل المسائل الاخرى ولا تهتموا الاَّ بالمسألة التي من ورائها الحرب او السلم الى ان يتحقق السلم . وماذا يجب على خدمة الدين في غضون

٥

بسم الله الرحمن الرحيم .هذا بلاغ للناس ولينذروا بهِ وليعلموا ان ما هو الهٌ واحد وليذكر أُولو الالباب اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وسلم تسليماً وارحم عبدك الفقير الى رحمتك جعفر بن احمد بن علي بن محمد بن قاسم بن عبد الصمد توفي يوم الخميس لستة ايام خلون من المحرم سنة ثمانية عشر واربع مائة رحمة الله عليهِ ورضوانهُ

٦

بسم الله الرحمن الرحيم . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وسلم قضى نحبهُ ابرهيم بن الحسين بن اسحق بن يعقوب بن اسحق يوم السبت لثمان بقين من ربيع الاخر سنة عشرين واربع مائة

٧

بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وارحم فاطمة بنت علي بن عبد الله بن جنادة توفيت يوم الاثنين لثمان بقين من جمادى الآخر سنة عشرين واربع مائة

٨

بسم الله الرحمن الرحيم . يبشرهم ربهم برحمة منهُ ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدًا ان الله عندهُ اجر عظيم اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك الفقير الى رحمتك يحيي بن احمد بن علي بن محمد بن قاسم بن عبد الصمد بن يحيي بن بدر توفي يوم الاثنين لثلاثه ايام تبقي من صفر سنة اثنين وعشرين واربع مائة

٩

بسم الله الرحمن الرحيم . اصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًا واحسن مقيلاً اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم حبيبة بنت علي بن احمد بن عبيد الله القرموسي الادفوي توفيت في مستهل شوال من سنة ثلاث وعشرين واربع مائة

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك

بعض القبريات المصرية العربية

اطلع الدكتور ريط استاذ اللغة العربية في مدرسة كمبردج الجامعة على سبعة عشر لوحًا من الواح القبور القديمة وجدت في مقبرة مهجورة في صعيد مصر ونقلت الى دار التحف البريطانية ويمتد تاريخها من سنة ٢٢٥ للهجرة الى سنة ٤٥٥ اي من بداءة عهد ابن طولون الى زمن المستنصر الفاطمي حين حدثت المجاعة العظيمة في الديار المصرية فقرأها كلها ونشر قراءتها وترجمتها في مجلة الجمعية الاركيولوجية سنة ١٨٨٧ وقال ان الاثنين الاولين منها خطهما شبيه بالخط النسخي لكنهُ خالٍ من النقط والبواقي خطها كوفي وفيها قليل من الخطإِ الصرفي والنحوي . وقد رأينا ان ننشر ما قرأهُ فيها استطرادًا لباب القبريات الذي نشر في الاجزاء الماضية واظهارًا للاسلوب الذي كان الناس يجرون عليهِ في كتابة قبورهم ولو كانوا من عامة الصناع

١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر ازهر بن عبد السلم بن اسحق بن قسم رحمة الله ومغفرتهُ ورضوانهُ عليهِ توفي يوم الخميس لخمس ليالٍ بقين من جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين ومائتين

٢

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوءًا احد هذا قبر محمد بن صباح مولى حسن المدلجي توفي في سلخ شعبان سنة احدى وتسعين ومائتين

٣

بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي[1] على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وارحم عبدك اسحق بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم توفي يوم الاحد لخمس بقين من جمادى الآخر سنة ثمان واربع مائة

٤

بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن لهُ كفوءًا أحد اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وارحم فاطمة بنت جعفر بن محمد الصباغ توفيت يوم الاحد مستهل جمادى الآخر سنة اثنتي عشرة واربع مائة

(١) كلمة صلِّ مكتوبة بالياء حيثما وردت . وهناك مخالفات اخرى سنشير اليها

حفنة من طوبجية الانكليز والاتراك وما هو الاَّ القليل حتى كانت قنابل الروس تتساقط علينا او تمرُّ فوق رؤُوسنا

وكنت على ظهر جوادي أرقب حركات صفوف الروس الامامية وهي تتقدم منا وقنابلنا تفتك بها حتى سقط كثيرون منها قتلى وجرحى . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى تبين لنا انها استولت على معاقلنا واستحكاماتنا وما فيها من المدافع ووجهت رصاصها الينا . ولم تكد تستولي عليها حتى رأَينا فلول الترك الذين فيها قد فرُّوا منها مختلطين اختلاط الحابل بالنابل وسدَّدوا خطواتهم الينا وهم يصيحون " بونو بونو جوني " وجوني هو الاسم الذي كانوا يسمون الانكليز بهِ في تلك الحرب فكانت جنودنا تجيبهم " نو بونو " وهي تحرّق الارَّم عليهم

وكانت البطرية الاولى من الطوبجية الملكية قد مرَّت بنا هاجمة على الروس ثم لم تمضِ دقائق كثيرة حتى رأَيت قائدها محمولاً الى الساقة وقد بترت ذراعهُ او ساقهُ لاني لم أرهُ جليًّا . ولما رأَى ضباطنا ان الروس شرعوا يطلقون النار علينا من الاستحكامات التي اخذوها منا امرونا بالتقهقر الى معسكرنا في بلاكلافا فتقهقرنا ومدافع الروس تضرب في اقفيتنا وفرسانهم يجدُّون في اثرنا . فتأَهبت اورطة " الهفي بريجايد " لمصادمتهم بقيادة السرجيمس سكارلت وهي من الفرسان ايضاً . وكان فرسان الروس قد اطلقوا الاعنة لجيادهم فسارت تنهب الارض وراءنا واذا بجنود " الهفي بريجايد " قد فاجأَتهم فلما تبينوها خففوا سيرهم ولكن جنودها وعدتها ٦٠٠ فارس اغارت عليهم و بددت شمل ثلاثة آلاف منهم واخترقت صفوفهم ومدافعها تحصد فيهم قتلاً وجرحاً

اما نحن فرسان " الليط بريجايد " فكنا منحرفين كثيرًا الى الميسرة فلم نرَ تفصيل الحملة وانما رأَينا اوائلها ثم لم نعد نرى شيئًا بل كنا نسمع جلبة القتال فقط ولو اننا هجمنا حينئذٍ على ميمنة الروس لكنا أبدنا جموعهم لا محالة

ثم سكنت الجلبة فظننا ان المعركة انتهت وأُمرنا باحتلال بقعة مرتفعة في صدر الوادي ففعلنا ثم ترجلنا ووقفنا كلٌّ وجوادهُ مدة قصيرة . وبينا نحن كذلك اذا بالكبتن نولان قد اقبل وهو ينهب الارض بجوادهِ ودنا من اللورد لوكان قائدنا وكلمهُ فلم اعلم ما قال لهُ لاني كنت بعيدًا عنهما وانما اعلم اننا أُمرنا ان نمتطي جيادنا ونهجم على الروس . فأَطعنا الامر ولكننا لم نتقدم مئتي خطوة او ثلاث مئة حتى اصلانا الروس نارًا حامية من ثلاث بطريات في كلٍّ منها عشرة مدافع بطرية عن يسارنا وبطرية عن يميننا وبطرية في اسفل الوادي امامنا وكانت كلها من مدافع الميدان واقوى من مدافعنا . ففتكت بنا فتكًا ذريعًا واول رجل

معركة بلاكلافا

من اعظم الحروب في القرن الماضي حرب روسيا والدولة العثمانية المعروفة بحرب القرم · واشهر معارك تلك الحرب معركة بلاكلافا وهي التي نظم فيها تنيسون الشاعر الانكليزي قصيدته المشهورة ولا يزال جمهور الانكليز يتغنون بمدح ابطالها الذين ذهبوا ضحايا البسالة والخطاء معاً. وهاك وصفها من قلم جنديّ قاتل فيها وكان احد الافراد القلائل الذين سلموا من القتل وهو لا يزال حيًّا يرزق قال

كان اليوم الخامس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٥٤ وكانت جنود الدول المتحالفة وهي انكلترا وفرنسا وتركيا تحصر سبستبول وقد اتخذت بلاكلافا قاعدة لاعمالها . وبلاكلافا هذه فرضة في شبه جزيرة القرم على البحر الاسود جنوبي سبستبول · وكان على مقربة منها جيش روسيٌّ عدتهُ ثلاثون الفًا وغايتهُ رفع الحصار عن سبستبول باجلاء الانكليز عن بلاكلافا · فزحف علينا واستولى على بعض المدافع التي في معاقلها وحاول نقلها من اماكنها فصدَّهُ السر جيمس سكارلت عن عزمهِ باورطتهِ المسماة "هفي بريجايد" . ولكن المدافع كانت لا تزال في خطر فأمر اللورد لوكان اورطتهُ المسماة "ليط بريجيد" ان تحمل على الروس وتمنعهم من اخذها

فحمل فرسان هذه الاورطة حملتهم المشهورة التي خلدت اسمهم على صفحات تاريخ الحروب وفي دقائق قليلة قتل نصفهم · وكان غرض الروس كما قلت سابقًا الاستيلاء على بلاكلافا ولكنها كانت معزَّزة بالحصون والقلاع وكان في مينائها بارجة انكليزية تنتظر اول اشارة لتمطر الاعداء وابلاً من قنابلها

وكنا قد عقدنا النية على مهاجمة الروس في الثاني والعشرين والثالث والعشرين من الشهر ولكن لم يتمَّ لنا ما عقدنا النية عليهِ حتى اليوم الذي نحن بصددهِ . وكنا على الدوام وقوفًا بجانبين جيادنا نتحفز لركوبها عند اول اشارة ولا نعود الى معسكرنا الَّا وقد أَمعنا في الليل · وكانت عادة الفرسان في اوان الحرب ان يباكروا خيلهم قبل بزوغ الفجر بساعتين ففعلنا كذلك يومئذٍ وكان الهواء باردًا والجوُّ مكفهرًّا قمطريرًا

وبينما نحن نتأهب للهجوم وقد نفد صبرنا من الانتظار اذا بصوت البوق يشق العنان معلنًا هجوم الروس علينا فبادرنا نحو المعاقل الثلاثة التي وجَّه الروس حملتهم اليها وكان فيها

٢٤٧ وقتل من خيلنا ٤٧٥ فرساً وجرح ٤٢ فبقي الاحياء من فرسانها في الوادي حينما عدنا ثم عادوا الينا فرادى وازواجاً

ورأيت رفيقاً لي وانا عائد وهو يكاد يقع عن ظهر جواده فسألتهُ عن امره فقال ان رمية اصابت رجلهُ فقلت لهُ تمكَّن في سرجك واخذت لجام فرسهِ بيدي وسرت مع بقية الفرسان فنجونا كلانا وأُرسل هو الى المستشفى ثم اتاني منهُ كتاب بعد حين يقول فيهِ انهُ بلغهُ انني رُقيت وساصير جنرالاً فاجبتهُ نعم اني على الطريق قد صرت اونباشياً

ولا يزال الخلاف قائماً على كيفية وقوع الخطاء في الامر وعلى ما اذا كان البوق قد امر بالحملة ام لا . فقد كان الامر اولاً " سيروا " ثم " تقدموا الخبب " ولما رأى رجالنا انهم باتوا هدفاً للنيران الآكلة لم يطيقوا صبرًا على تلك الحال فاطلقوا لجيادهم الاعنة وحملوا تلك الحملة الهائلة . ولكنني لم اسمع البوق يأمر بالحملة ولا سمع ذلك غيري من الذين شهدوا المعركة ولا يزالون احياء يرزقون

واسهب الكاتب في وصف فظائع تلك المعركة وشراسة الانسان اذا ثارت فيهِ القوة الغضبية وقلة جزاء الدول لابنائها الذين يسفكون دماءهم في سبيلها . وذلك كلهُ من الامثلة الكثيرة على فظاعة الحروب وعلى جنون الناس الذين لا يزالون يعوّلون عليها للفصل في خصوماتهم

وراثة الذاكرة

ملخص مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر بقلم القس فوربس فيلبس

قلما ترى احدًا الاَّ ويخبرك انهُ زار مكانًا لم يزرهُ من قبل اورأى منظرًا لم يرهُ من قبل فلم تدهشهُ تلك الزيارة ولا تلك الرؤية كأَنهما شيئان عاديّان لا جديدان فيقول في نفسهِ " يلوح لي اني عرفت هذا المكان ورأيت هذا المنظر قبلاً فوراء تلك الهضبة قرية وفي آخر هذا الشارع ساحة " ويكون كذلك . واني قاصٌّ ما خبرتهُ بنفسي من هذا القبيل فاقول

زرت رومية منذ عشر سنوات لاول مرة فلما رأيت بعض آثارها القديمة المشهورة مثل حمامات كركلاّ والكولوسيوم (مشهد الالعاب الرومانية) وسراديب كالكستوس وغيرها خيّل لي اني رأيتها قبلاً فلذلك لم تدهشني رؤيتها فقلت لعلّ السبب في ذلك اني رأيت صورها

قتل منا كان الكبتن نولان الذي نقل الامر بالحملة صوابًا او خطاء فقد اصابت شظية قنبلة صدرهُ فسقط عن جوادهِ وهو يصيح ولكنَّ احدى قدميهِ بقيت ناشبة في الركاب فجرَّهُ جوادهُ مسافة طويلة

وكانت فرساننا تحمل على الاعداء في ثلاثة صفوف الاول بقيادة اللورد كارديجان والثاني بقيادة الكولونل دوجلاس والثالث بقيادة اللورد باجت . وكان قسم من جنود الصف الاول يحملون السيوف وبقية الجنود تحمل الحراب والمسافة بين المكان الذي خرجنا منهُ وبين ابعد مدافع الروس عنَّا نحو ميل وربع . وكانت النيران المصبوبة علينا من الجانبين شديدة السعير حتى اننا لما بلغنا اسفل الوادي لم يبقَ منا الاَّ نحو مئة فارس على ظهور خيلهم

وعند وصولنا الى المدافع وجدنا ان الطوبجية ربطوها الى الخيل وجعلوا يتقهقرون بها رويدًا رويدًا فطرنا اليهم واحدقنا بهم من كلّ جانب وحينئذٍ جرت افظع وقائع المعركة فان الطوبجية حاولوا الفرار بالزحف تحت مركبات المدافع ولكن سائقي خيلها لم يكن لهم من الوقت مهلة ما يترجلون عنها فاعملنا فيهم سيوفنا ورماحنا وتحوَّل بعضنا عنهم الى الطوبجية وفعلوا بهم ما فعلناهُ باخوانهم حتى لم ينجُ من رجال البطرية مخبر ولم يبقَ حصان حيًّا

وبعد استيلائنا على المدافع بقليل رأَى ضباطنا الروس يجمعون جموعهم ويوجهونها الينا ليحرمونا ثمرة انتصارنا . وحانت من اللورد باجت التفاتة الى صدر الوادي وراءنا فرأى حيشًا من رمَّاحة الروس فظنهم من الانكليز لبعدهم فنادى قائلاً ها قد اتتنا النجدة . فصاح بعض رجالنا قائلين انهم روس فادرك اللورد حرج الموقف اذ ذاك ورأَى ان لا مناص لنا من ان نتقهقر مخترقين صفوفهم اذ لم نكن نتوقع مددًا ولم يكن في طوقنا جرُّ المدافع . ولو بقينا حيث كنا لمزقونا اربًا ولجرى بنا ما جرى بسائر اورطتنا

فأدرنا روُّوس خيلنا واطلقنا لها العنان ولكنها كانت خائرة القوى من فرط ما لاقت من العناء فلم نستطع حثَّها على الجري الشديد . ولما دنونا من الروس رأيت ضباطهم يشيرون اليهم بسيوفهم ان يطبقوا علينا ويكتنفونا حتى لا نجد لنا مخلصاً ولكن لاح لي انهم لم يدركوا مراد ضباطهم او انهم كانوا يخشون ان يصدعوا بامرهم . فاخترقنا صفوفهم ودار الطعن والضرب بيننا وبينهم كلُّ ذلك ومدافعهم مصوبة الينا تحصد فينا بلا تمييز بين عدوٍ وصديق فاضرَّت بهم اكثر مما اضرَّت بنا لكثرتهم بالنسبة الينا

اما نحن فلم ينجُ منا الأكلُّ طويل العمر ولو لم ينجدنا بعض خيالة الفرنسويين في الآخر ويسكتوا بعض مدافع الروس ما نجا منا مخبر . وكان عددنا بين ست مئة وسبع مئة فقتل منا

الحوادث المذكورة آنفًا فشعور فجائي باننا وُجدنا في زمن ماضٍ في مكان لا نعلمهُ ورأينا تلك الحادثة واشتركنا فيها بوجه من الوجوه

وليس هذا الامر الغريب من تخيلات الشعراء او احلام النائمين ولا هو بالامر الحديث عهدهُ . فقد نشأ في الشرق مهبط الوحي ومصدر الاديان وكان لهُ فلاسفتهُ وشعراؤُهُ وهو ظاهر كل الظهور في البوذيَّة والديانة المصرية القديمة . وقد بحث افلاطون فيهِ وسماهُ تذكر الوجود السابق او الاشياء التي عرفت قبلاً ونُظرت . وفسرهُ اليهود والفريسيون بما مآلهُ ان الابرار يستطيعون ان يعيشوا ثانية كما نصَّ عليهِ يوسيفوس . وكان البعض يعتقدون ان يوحنا المعمدان انما هو ايليا متجسدًا ثانية كما ورد في الانجيل . وبحث آباء الكنيسة المسيحية الاولون فيهِ فسموهُ تارةً التقمص او التناسخ وطورًا التجسد واعتقد بعضهم ولا ريب ان امثال الحوادث المذكورة آنفًا انما تفسر بالوجود السابق . وذكرهُ كثيرون من علماء الالمان مثل لسنج وهيجل وليبنتز وهردر ونختي . ومن شعراء الانكليز مثل شلي ووردسورث . قال وردسورث " ان ميلادنا انما هو نوم ونسيان والروح التي تطلع معنا وهي كوكب حياتنا قد غابت قبلاً في مكان آخر واتت من منزل بعيد "

***

وبعد ان ذكر كاتب المقالة هذه الحوادث وامثالها تقدَّم الى بيان سببها الطبيعي فقال عندي سؤَال اسألهُ في هذا المقام وهو ألا يمكن ان يكون هناك شيءٌ نسميهِ وراثة الذاكرة . فان الولد قد يرث بعض ملامح ابويهِ وصفات جدّهِ افلا يمكن ان يرث شيئًا من ذاكرة اسلافهِ . او لا يمكن ان تكون تلك التذكارات تنبُّه شيءٍ موجود في دمائنا كان نسيًا منسيًّا فلما صادف الاحوال الملائمة لهُ ظهر من عالم الخفاء . فاذا صحَّ ذلك فان لنا في وراثة الذاكرة حلاًّ طبيعيًّا لكثير من الاسرار التي تعرض لنا في حياتنا من غير ان نلجأ في حلها الى الوحي والالهام

ومن المعلوم ان كثيرًا من اخلاق السلف الاول وصفاتهِ انطبع على اذهان خلفهِ حتى ان ما كان في بادىء الامر ارادة بات الآن حركة غير اختيارية . ألا تراني اذا مشيت في طريق منفردة مظلمة انظر ذات اليمين وذات اليسار ومن فوق كتفي فكيف اعتدت هذه العادة ألا يمكن ان تكون قد اتصلت اليَّ بالارث من السلف. فان السلف المتوحش تعلَّم باختبارهِ الطويل ان يكون على حذرٍ اذا جاز مكانًا منفردًا مظلمًا

واذا لعبت براسي سورة الغيظ والحنق تكربشت يداي وتوترت شفتاي وكشرت عن

يلاً ولكن هذا يفسرّ منظرها الخارجي ولا يفسرّ منظرها الداخلي . وبعد ايام قليلة ذهبت لى تيقولي فلما وصلتها ورأيتها هي وما حولها من الضواحي كنت كأني لم ارَ منظرًا جديدًا ل كأنني أرى قرية ولدتُ وربيت ونشأت فيها . فجعلت أصف لرفاقي ما كانت عليهِ في لقدم وصفًا مطولاً دقيقًا ولم اكن قد قرأت عنها شيئًا فاستدلّوا اني درست تاريخها درسًا خصوصيًا ثم أخذ ذلك المنظر يتوارى من مخيلتي فلم أعد استطيع ان اقول شيئًا جليًا عنهُ بل قيت فيها ذكرى اشياء متقطعة لا يشفي وصفها علة ولا يروي غلة

وزرت مرة أُخرى انا ورفيق لي مكانًا في انكلترا لم نزره قبلاً فقال في عرض حديثهِ هي " يقولون ان في هذه الناحية قسمًا من طريق رومانية قديمة ولكني لا اعلم هل هي في هذه الجهة او الجهة المقابلة " فقلت " انا اعلم " ومشيت امامهُ وانا موقن اني مهتدٍ الى غرضي لا محالة وكان كذلك . فشعرت حينئذٍ اني زرت ذلك المكان من قبل فارسًا مدرَّعًا

فهاتان الحادثتان وامثالها حملتاني على مخاطبة اصدقائي في هذا الموضوع فقصّ عليَّ كثيرون قصصًا تشبهُ ما جرى لي تمامًا وهاك ما جرى لقسيس برأَى مني ومسمع . فانهُ ارني ذات يوم وطلب مني ان ارافقهُ الى حصن روماني قديم بعد نحو اربعة اميال عن سكني لمشاهدة خرائبهِ وقال انهُ يتذكر انهُ كان يسكن هناك في زمن من الازمان وانهُ كان كاهنًا في عهد احتلال الرومانيين لانكلترا . على ان ما ادهشني تشديدهُ في فحص خرائب برج هناك قائلاً " انهُ كان في اعلاهُ نقرة كما نركز فيها سارية وكان رماتنا يصعدون الى أسها في سلال مبطنة بالجلد ليرموا زعماء القبائل البربرية بنبالهم ايام الحصار " . فوجدنا لنقرة كما قال

ومن المسائل التي أكثرت من سؤالها للذين اجتمع بهم عند البحث في هذا الموضوع هو " ألم تشعروا البتة عند رؤيتكم مكانًا لاول مرة انكم رأيتموهُ قبلاً " فكان ٣٠ في المئة يجاوبونني بالايجاب . وكان قليلون يترددون في الجواب خوف الهزء والسخرية او خوف ان يكونوا قد اخطأوا المراد من سؤالي

***

هذا وان تذكر هذه الحوادث وامثالها يختلف كلَّ الاختلاف عن تذكرنا لحنًا قديمًا عند سماعنا اياهُ يغنى بعد ان كدنا ننساهُ وعن تذكرنا وجه رجل عرفناهُ قبلاً ثم كاد طول الزمان يمحو أثرهُ من ذاكرتنا . فاننا عند سماعنا ذلك اللحن ورؤيتنا ذلك الوجه نأخذ نتذكر تدريجًا انهما من محفوظات اختبارنا الماضي وانما نسجت عليهما عناكب النسيان . واما تذكرنا

الخرافات وشيوعها

اغرب ما يشاهد في هذا الخلق تسلُّط الخرافات على العقلاء والفهماء من افرادهِ في كل عصر وملة ولا سيما في عصور المدنية والعلم والعرفان . فقد كان يوليوس قيصر يزعم ان لبس جلد عجل البحر يقي لابسهُ من الصواعق . وكان يتشاءم من وضع قدمهِ اليسرى على قدمهِ اليمني سهوًا وهو جالس ويتوقع خطبًا جللاً من جرى ذلك

ويروى ان رجلاً من بطانة الملك ادورد السادس شكا اليهِ ان في احدى مدارس كمبردج رئيساً واثني عشر عضوًا وذلك يقابل المسيح وتلاميذهُ الاثني عشر ونصح لهُ ان يلغي عضوية واحد او اثنين منهم . اما الملك فداوى الحال بزيادة عضو آخر فصار عدد الكل اربعة عشر . ولا يزال الاوربيون يتطيرون من العدد ١٣ الى هذا اليوم حتى اشرافهم واعيانهم وعليهِ فلما وُلد ملك اسبانيا الحالي وسمي الفونس الثالث عشر باشارة امهِ لم يستصوب كثيرون من رجال البلاط هذا الاسم مع ان عرّاب الملك كان البابا لاون الثالث عشر وكان من اسعد البابوات ولم يقف اسمهُ عثرة في سبيلهِ

وكانت ملكة ايطاليا السابقة من اشدّ الناس تشاؤُماً بالعدد ١٣ فكانت لا تجلس حول مائدة عدد الآكلين عليها ١٣ واذا كان يوم استقبالها اوصت التشريفاتي ان ينتبه لهذا الامر ويمنع ان يكون عدد الذين في قاعة الاستقبال ١٣ . واتفق ذات يوم أن دُعي للعشاء على مائدة الملك وكان عدد المدعوين ١٤ والملك والملكة من الجملة فحدث لبعض المدعوين ما منعهُ من الحضور فنهض التشريفاتي المشار اليهِ عن المائدة وهمَّ بالخروج من الغرفة حرصًا على راحة بال الملكة فلما رأى الملك منهُ ذلك ناداهُ مغضباً "مكانك . فان من يجلس على مائدتي لا لا ينهض عنها قبلما يتناول طعامهُ" فعاد الى مكانهِ واكل وكان عدد الآكلين ١٣ والظاهر ان الملك لم يكن يدري بسرّ الملكة والاَّ لم يفعل ما فعل

وكان الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا يتفاءل بيوم الجمعة خيرًا فكان يبدأُ كلَّ مشروع من مشروعاتهِ في ذلك اليوم . وكان كثيرون من اهالي اوربا في الاعصر الوسطى لا يقلمون اظافرهم يوم الجمعة تطيرًا . ولا تزال هذه الخرافة مستولية على بعض اهالي فرنسا في هذا العصر فانهم لا يقلمون اظافرهم في الايام التي في اسمائها حرف (r) وهي ثلاثة الثلاثاء والاربعاء والجمعة . اما اهل هولندا فيعتقدون ان من يقلم اظافرهُ يوم الجمعة يسلم من وجع الاضراس

اسناني كمن يتحفز للوثوب وهذا كان شان السلف الاول عندما كان يثب على عدو ليمزقهُ باسنانهِ واظافرهِ . وقد طالما لحظت انهُ اذا وصف احد شيئًا بقولهِ انهُ كريه الرائحة فتح منخريهِ وحرّك انفهُ حركة غير اختيارية كأنهُ يتذكر قطعة جيفة ادناها السلف من انفهِ ليشمها قبل اكلها فعافتها نفسهُ لخبث رائحتها والقاها الى الارض مشمئزًا منها . زار داروين ذات يوم حدائق الحيوانات في لندن ثم قال "وقفت امام صلّ وضع في صندوق من الزجاج السميك وانا عازم كل العزم الاّ انكص الى الوراء اذا وثب الصلّ عليّ (لان بينهما الزجاج السميك). فلما جمع نفسهُ ووثب وثبتهُ المعهودة خانتني عزيمتي ونكصت الى الوراء بضع خطوات بسرعة غريبة وذلك لان وهمي كان اضعف من ارادتي وادراكي"

وفي خلال كل يوم نبدي حركات واشارات مختلفة بلا انتباه لها ولا نخطئ فيها لان العادة تقينا من الخطاء . فاني انهض صباحًا من فراشي واغتسل والبس ملابسي وانا لا اكاد اشعر بما فعلت. وذلك لان كل خلية من خلايا الدماغ اتقنت وظيفتها حتى اصبحت قادرة على اتمامها بلا مشاورة العقل ونشأ في الذهن آلة فرعية تتمّ وظيفتها بنفسها وتمتزج بطبيعتنا حتى تصير وراثية . وعلى هذا المنوال نعتاد رؤية مكان حتى تنطبع صورتهُ في ذهننا ويتوارثها الخلف عنا

ولقد سمعت غير مرة اناسًا يحتضرون وهم يقولون "يخيّل لنا ان ما يجري الآن قد جرى ايضًا في حياتنا سابقًا مع علمنا ان ذلك ليس بصحيح ولكننا نحاول تذكرهُ ولا نستطيع" والسبب في ذلك ان في اعماق الذاكرة اثرًا يعدّ الامر الحاضر امامنا صورة لهُ

ثم اننا نحلم باشياء لم نرها ولا سمعنا بها ولا وقعت تحت اختبارنا في ساعات يقظتنا . حلمت ذات ليلة انني اشهد معركة وانا في اورطة من الفرسان وقد أُمرنا بالهجوم وكان بجانبي فارس اتذكر الآن صورة وجههِ جليًّا حتى لو كنت مصوّرًا لاستطعت تصويرهُ . وللحال تفرق العدوّ امامنا شمالاً ويمينًا واذا ببطرية مدافع قد استقبلتنا من الامام بنيرانها وعقد الدخان والغبار سحائب فوق رؤُوسنا وبتنا نسبح في بحر من الحديد والدم . فاستفقت اذ ذاك مذعورًا وانا اصيح قائلاً "اعوذ بالله اني لم ارَ مثل هذا قبلاً" فهذه الحادثة بمنظرها الرائع جرت لاحد اسلافي بلا ريب فتوارثوها خلفًا عن سلف . وقد طالما خطر ببالي ان احلامنا تصورات حقيقية ورثناها وان تكن على الغالب اضغاثًا لا ارتباط فيها ولا معنى لها

ومثل ذلك يقال في رؤْية الخيالات فان زيدًا يرى خيالاً ويقابل بينهُ وبين صور الاحياء فيظن انهُ خيال واحد منهم لانهُ يشبههُ وتعليل ذلك ان احد اسلافهِ رأى رجلاً في القرون السالفة وكانت رؤْيتهُ اياهُ على صورة اثرت في ذهنهِ تأثيرًا شديدًا فانتقلت الى زيد بالوراثة

هرق القهوة في بعض بلاد المشرق . فكثيرًا ما سمعنا الناس يقولون اذا اصيبت القهوة من الفنجان "ان كبّ القهوة خير" ولعلّ اصل هذه الخرافة تعزية من اصيبت القهوة على ثوب نفيس لهُ او رياش فاخر فاتلفتهُ . وفي بعض انحاء لبنان يريقون القهوة امام موكب العروس في حفلة زفافها تفاؤلاً

ومن قبيل التشاؤم بالعدد ١٣ ما ذكر عن الكاتب الشهير جورج سمس . فقد دعي سنة ١٨٩٤ الى مأدبة في "كلوب الثلاثة عشر" فكتب الكتاب الآتي معتذرًا عن الحضور : —

"لقد خانتني شجاعتي في الدقيقة الاخيرة فأُعيد اليكم رقعة الدعوة شاكرًا لكم حسن صنيعكم . ولو لم يكن لي من اهتمّ بهِ غير نفسي لقبلت الدعوة مسرورًا وازدريت الاقدار وفعلت كلّ ما يحسن في اعين الاعضاء ما عدا لبس الربطة الخضراء على ما اشار صديقي المستر سالا فان الاخضر لايليق بي . ولكن لي من افتكر فيهِ غير نفسي — كلابي وقططي وخيلي فانهُ اذا نكبتُ بنكبة أُودت بي أمستْ وحيدة في هذا العالم . فاكرامًا لها اعتذر عن قبول الدعوة فلا اخاطر بنفسي . واني ادعو ألاَّ يصيب احدًا منكم مكروه في الاستقبال"

وكان اهالي انكلترا القدماء يتخذون الارانب البرية للتكهن بالمستقبل . ومن الخرافات ان من يحمل يد الارنب اليمنى الامامية في جيبهِ يشفى من داء الروماتزم او يوقى منهُ . ولعل اصل هذ الخرافة صينيٌّ فان الصينيين يزعمون ان في القمر ارنبًا تدقُّ العقاقير وتُعدُّها . قال احد مشاهير كتاب القرن السابع عشر في احد مؤلفاتهِ "اما الآن وقد فارقني المغص ولم يعاودني البتة فلا أدري أكان الواقي لي منهُ حملي لرجل الارنب او شربي لجرعة من التربنتينا كلّ صباح"

ومن التعاويذ عند اهل ارلندا منطقة تصنع من شعر النساء وتربط على الطفل حفظًا لهُ من العين . واهالي هولندا يجعلون الثوم والملح والخبز في سرير الطفل لمثل هذا الغرض . وفي بعض انحاء ارلندا اذا رأى الرجل الهلال لاول مرة مدّ يدهُ الى جيبهِ وقلب ما فيهِ من النقود الفضية من وجه الى وجه طلبًا لحسن البخت

وترى كثيرين عندنا اذا رأوا الهلال يتناولون قطعة من النقود الفضية ويمدون يدهم بها نحو القمر قائلين "يهلك ويستهلك ويجعلك علينا شهرًا مباركًا" ولا يفعلون كذلك بالنقود الذهبية تطيُّرًا

واذا رأى الفتيات عندهم الهلال لاول مرة من الشهر هرعن الى اقرب سلّم او جدار وهنّ لايلوين على شيء وناديْن قائلات "ايها الهلال السلام عليك أرني في الحلم من سيكون زوجي"

واهالي المكسيك يتشاءمون من يوم الثلاثاء وعليهِ جاء في احد امثالهم ما ترجمتهُ " في يوم الثلاثاء لا تتزوج ولا تسافر ولا تفترق عن اهل بيتك " وهذا هو اعتقاد الاسبان ايضاً

وكان نبوليون بونبارت كثير الخرافات على سعة عقلهِ وحدة ذهنهِ يعتقد بالعين وان مجرد نظر انسان عينهُ شريرة الى طعام امامهُ كافٍ لدس السم فيهِ . روي ان السر هدصن لو محافظ جزيرة القديسة هيلانة ايام نفي نبوليون اليها كان جالساً ذات يوم على مقعد بازاء الامبراطور وبينهما مائدة عليها فنجان ملآن قهوة فأمر نبوليون بان ترمى القهوة من الشباك وابان في مذكراتهِ سبب ذلك فقال " لم ارَ اقبح من صورتهِ (اي صورة لو) وقد اثرت في نفسي تأثيرًا سيئًا حتى خيل لي ان نظرتهُ الى القهوة دست السم فيها فلم اجسر على شربها "

وروى المسيو كونستان احد اتباع نبوليون ان سيدهُ كان ذات يوم ماسكاً مرآة بيدهِ وهو في غزوة ايطاليا فانكسرت ووقعت شظاياها على صورة لجوزفين امرأتهِ فانفذ على عجل ساعياً يستعلم عن صحتها ويتحقق سلامتها ولم يطب لهُ عيش حتى عاد الساعي يحمل اليهِ بشائر الاطمئنان

وكان كرومول يعتقد ان الثالث من سبتمبر يوم نعم لهُ لانهُ انتصر فيهِ في دنبار وورستر. ومن غرائب الاتفاق انهُ مات فيهِ ايضاً

وكان السر ولترسكوت الروائي الانكليزي الشهير يعتقد بحدوث حوادث خارقة العادة كظهور الجن وتعرضهم للانس في حركاتهم وسكناتهم . روي انهُ كان نائماً ذات ليلة فاستفاق من نومهِ مذعورًا اذ خيل لهُ انهُ سمع جلبة في الطبقة السفلى من المنزل الذي كان يقطنهُ فتقلد سلاحاً ونزل الى حيث سمع الصوت فلم يرَ احدًا ولم يسمع صوتاً . وفي الليلة التالية سمع جلبة في المكان نفسهِ وفي الساعة نفسها . وكان صديق لسكوت قد مات في الليلة الاولى التي سمع فيها الاصوات الغريبة فكتب سكوت الى صديق آخر يخبرهُ بوفاة صديقهِ وبما سمع من الاصوات ويقول ان تلك الوفاة من الخوارق وانهُ لم يكن في المدرس حين سمع الجلبة

ومن اكثر الخرافات شيوعاً في اوربا بعد خرافة العدد ١٣ ما يتعلق بالملح . قال بعضهم ان رشق انسان لآخر بالملح يعدُّ فألاً قبيحاً كأن يشير مثلاً الى موت احد من عائلة الرجل الذي رشق الملح او ينبئ بنكبة تصيبهُ قريباً او يفضي الى تقاطع الاصدقاء . وسمعنا بعض العامة في الشام يقولون ان من ألقى الملح على الارض جمعهُ باهدابهِ يوم القيامة

وبالضد من ذلك هرق الخمر فانهُ فأل مليح عندهم . ومثل هرق الخمر عند الاوربيين

وعلى اهالي هذا القطر ان يدفعوا ثمن الواردات التي ترد الى بلادهم وان يدفعوا ايضاً فائدة ديونهم واقساطها وفائدة ديون حكومتهم واقساطها. وهم يدفعون ذلك من ثمن صادرات بلادهم ومن النقود التي يصرفها في بلادهم السيَّاح وغيرهم كما سيجيء. والاول هو الذي عليهم والثاني هو الذي لهم . فاذا زاد الذي لهم على الذي عليهم فهم في سعة وكسب كالصانع الذي يزيد دخلهُ على نفقاته واذا نقص الذي لهم عن الذي عليهم فهم في فقر وخسارة كالصانع الذي ينقص دخلهُ عن نفقاته

والذي كان على اهالي هذا القطر في العام الماضي بلغ نحو ٢٨ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات هكذا

٢١ ٥٦٤ ٠٠٠	ثمن البضائع الواردة
٠٣ ٣٧٨ ٠٠٠	فائدة دين الحكومة
٣ ٥٩٧ ٦٤٤	فائدة دين الاهالي والقسط السنوي
٢٨ ٥٣٩ ٦٤٤	

اما البضائع الواردة فالعمدة في تقدير ثمنها على تقرير الجمارك المصرية وهو ان اخطأ فخطأُهُ في جانب القلَّة لا في جانب الكثيرة لانهُ لا يحتمل ان يقدّر التاجر ثمن بضاعتهِ اكثر من ثمنها الحقيقي بل المحتمل انهُ يقدّرهُ باقل من الثمن الحقيقي . وكذلك فائدة دين الحكومة معروف بالضبط التام وقد طُرحت منهُ فائدة السندات التي عند الحكومة. بقي الامر الثالث وهو فائدة دين الاهالي وهو غير محقَّق الَّا ان اللورد كرومر ذكر في تقريرهِ ان البنوك العادية تمتلك الآن نحو ٢٦ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وبنوك الرهنيات تمتلك اكثر من ٣٢ مليونًا ونصف مليون والجملة ٥٩ مليونًا ومعلوم ان اكثر هذه الاموال الاوربيين وريعها لهم والغالب ان بنوك الرهون تفرغ من النقود في مثل هذا الوقت من السنة لان الاهالي يستدينون كل اموالها ولذلك لا نظن اننا نبعد عن الحقيقة كثيرًا اذا قلنا ان ديون الاهالي للبنوك تبلغ الآن اربعين مليونًا من الجنيهات وهي لحاملي الاسهم والسندات من اهالي اوربا واميركا . والفائدة التي يدفعها اهالي القطر تختلف من ٥ في المئة الى ٩ ولا يبعد ان يصل منها الى اصحاب الاموال ٤ في المئة على الاقل وما بقي ينفق في هذا القطر للعمال ونحوهم . فاذا فرضنا ان الفائدة ٤ في المئة لا غير وان استهلاك الدين في ١٥ سنة فالقسط السنوي من فائدة ورأس مال يبلغ ٣٥٩٧٦٤٤ اي ثلاثة ملايين ونحو ٦٠٠ الف جنيه

ومن الخرافات في الشرق ان السفر يوم السبت حير ومنه المثل الدارج في الشام "حجر سبت مطرحه" اي ان المسافر يوم السبت يأوب الى محله بالسلامة وتفضيل الاربعاء الثلاثاء والخميس ينذر بتفصيل الكفن فرياً فيملك يتشاءمون من خياطة الملابس فيهما

ومن التعاويذ والرقى فيه تعليق النعال والخرز للرقاء والبيض هذا عدا ما له علاقة بين مثل الثوب والذخيرة وما اشبه مما هو معروف وشائع في كل زمن ومكان

وخرافات العرب في هذا الباب اكثر من ان تذكر وهم ينسبون بعضها الى ائمتهم وكبرائهم من ذلك الابيات المنسوبة الى الامام علي وهي

لنعم اليوم يوم السبت حقاً	لصيد ان اردت بلا امتراء
وفي الاحد البناء لان فيه	تبدأ الله في خلق السماء
وفي الاثنين ان سافرت فيه	ترى نجحاً فيه وجهاء
وان ترد الحجامة فالثلاثا	ففي ساعاته هرق الدماء
وان شرب امرؤ يوماً دواء	فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج	فان الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه	سروراً للرجال وللنساء
وهذا العلم لم يعلمه الا	نبي او وصي الانبياء

احوال القطر المالية

مَن يمعن نظره في مذكرة المستر روسن التي وردت في تقرير اللورد كرومر ونشرناها في الجزء الخامس من المقتطف يجد ان كاتبها اضاف النقود الواردة الى البضائع الواردة والنقود الصادرة الى الحاصلات الصادرة . وعندنا ان اضافة النقود على هذه الصورة توهم غير الواقع لان جانباً كبيراً من النقود الواردة أُتي به ليدَيَّن في القطر فلا هو ودائع لنا ولا هو ثمن حاصلاتنا . ويجب اهمال النقود مطلقاً سواء كانت صادرة او واردة . نعم لو كان الذهب يستخرج من مناجم القطر المصري ويسك فيه ثم يرسل منه لوجب ان يحسب له حساب اما في الحال الحاضرة فكل ما يصدر من القطر المصري حقيقة هو القطن والذرة والسكر والفول وما اشبه فهذه هي الصادرات ويأتينا بدلاً منها المنسوجات المختلفة والتبغ والفحم والالات والادوات والاشربة وما اشبه مما تراه مسطوراً في باب الواردات

الى الصيفي وهو ربح حقيقي لا شبهة فيهِ وسيجنون ريعهُ في المستقبل القريب . والقسط الذي اوفوهُ من ديونهم صار ملكاً لهم فان كانوا قد اوفوا جزءًا من خمسة عشر جزءًا من الدين فهو مقدار كبير جدًّا لا يستخف بهِ ولكنهم لا ينجون من وطأة هذا الدين الاَّ بعد خمس عشرة سنة والمرجح انهُ لا ينقص في غضون هذه المدة بل يزيد كثيرًا لان من عادة الناس اذا سهلت عليهم ابواب الدين ان يستدينوا وقت الشدَّة ولا يوفوا وقت الرخاء والبلاد الزراعية تتقلب عليها السنون فتجود حاصلاتها مرة ولا تجود اخرى فان جادت او غلا ثمنها زاد اصحابها في نفقاتهم واذا امحلت او رخص ثمنها استدانوا ما يسدُّ العجز ولذلك لا نرى رأْي القائلين بانشاء البنوك الزراعية وتسهيل الدين على الناس ولا نحسب ان ذلك يعود عليهم بالنفع اخيرًا. والنجاة من المرابين تكاد تكون وهمية وهذا موضوع آخر لا محل للاسهاب فيهِ الآن

وقد زادت قيمة الصادرات هذا العام الى آخر ابريل الماضي نحو مليوني جنيه ويظهر لنا انها ستزيد ايضاً بسبب غلاء سعر القطن . نعم ان المتأَخرات منهُ الآن في الاسكندرية اقل كثيرًا مما كانت في العام الماضي ولكن السعر المقطوع الآن للموسم المقبل يزيد عن السعر الذي كان مقطوعاً في العام الماضي للموسم الماضي وعليهِ لا يبعد ان تبلغ الزيادة في قيمة الصادرات في آخر العام اربعة ملايين من الجنيهات

وخلاصة ما تقدم ان ما طُلب من القطر المصري في العام الماضي بلغ ٢٨ مليونًا و ٥٤٠ الفاً من الجنيهات وما طُلب لهُ بلغ ٣٦ مليونًا و ١٤٠ الفًا لا غير فانكسر عليهِ مليونان و ٤٠٠ الف جنيه ولا عبرة بما ورد اليهِ وبما صدر منهُ من النقود

والمرجح ان ما يطلب منهُ في عامنا الحاضر يبلغ ٢٩ مليونًا ونصف مليون وما يطلب لهُ يبلغ ثلاثين مليونًا فاذا تمَّ ذلك اوفى القطر في عامنا هذا نصف مليون مما انكسر عليهِ في العام الماضي وبقي لهُ ربح آخر من الاطيان التي أُصلحت وسيزيد ريعها ومن الديون التي اوفى قسطاً منها فصار ملكاً لهُ . ولو بقيت قيمة الصادرات هذا العام كما كانت في العام الماضي لكانت العاقبة وخيمة جدًّا

والذين بيدهم اصلاح هذا القطر حريصون جدًّا على جلب ما ينفعهُ ودفع ما يضرُّهُ وقد تكللت اعمالهم بالنجاح حتى الآن وهي سائرة في خطة واحدة ولذلك نثق انهم يبذلون غاية الجهد في دفع كل ما في الامكان دفعهُ من المضار وجلب كل ما في الامكان جلبه من المنافع

هذا ما طُلب من القطر المصري في العام الماضي والمرجح ان ما يطلب منهُ هذا العام يزيد عما طُلب منهُ في العام الماضي لان قيمة الواردات زادت حتى آخر ابريل الماضي اكثر من نصف مليون جنيه فاذا استمرت الزيادة على هذا المنوال فلا يبعد ان تبلغ في آخر السنة مليون جنيه او اكثر . وفوائد الديون والاقساط تبقى على حالها او تزيد ولذلك فما يطلب من القطر المصري في عامنا هذا لا يقل عن ٢٩ مليوناً ونصف من الجنيهات المصرية

اما ما طلب لهُ في العام الماضي ثمن كل الصادرات وهو ٢٠٦٦٨٠٠٠ جنيه فقد اضاف المستر روسن الى ذلك نحو ١٥ في المئة مقابل العشرة في المئة التي تطرح في الجمارك المصرية وقت تقدير ثمن الصادرات ومقابل الزيادة التي تضاف الى ثمنها وقت بيعها في اوربا وجملة الاضافة ٣ ملايين و ١٠٢٠٠٠ جنيه واضاف ايضاً نفقات السياح في هذا القطر ونفقات جيش الاحتلال وشركة قنال السويس والسفن المارة بالثغور المصرية والربح من سك النقود الفضية كما ترى في هذا الجدول

٢٠٦٧٨٠٠٠	قيمة الصادرات حسب تقدير الجمارك المصرية
٠٣١٠٢٠٠٠	اضافة ١٥ في المئة
١٠٠٠٠٠٠	نفقات السياح
٣١٠٠٠٠	نفقات جيش الاحتلال
٤٢٠٠٠٠	نفقات شركة قنال السويس
٥٠٠٠٠٠	نفقات السفن في الثغور المصرية
١٤٠٠٠٠	الربح من سك نقود الفضة
٢٦١٥٠٠٠٠	

هذا مجموع ما حق للقطر المصري في العام الماضي ثمن صادراتهِ وكل ما انفقهُ السياح وغيرهم فيهِ ثمن مأكل ومشرب الخ . ويحتمل ان يكون تجارهُ قد ربحوا بسبب ورصات اوربا واميركا ولكن الذين يعتمد على قولهم منهم يؤكدون ان الربح ليس اكثر من الخسارة فقد ربح البعض وخسر البعض الآخر والارباح والخسائر متكافئة . وربح اهالي القطر ارباحاً اخرى من زيادة اثمان املاكهم فاذا باعوا املاكهم الآن فثمن الذي يعطونهُ اكثر كثيرًا من الثمن الذي كان يمكن ان يعطوهُ منذ خمس سنوات ولكن هذا الربح اسمي لا يزيد بهِ الدخل زيادة حقيقية . وربحوا ايضاً مما أُصلح من الاطيان او حوّل من الري الشتوي

المشهورة بزلازلها منها خمس حدثت في ثلاث نواحٍ والبقية في العشر الباقية على معدّل نحو ٤٠ هزة كبيرة في كلّ ناحية . وهذه النواحي العشر هي ساحل ألاسكا وساحل كليفورنيا وجزائر الهند الغربية وساحل شيلي وجنوبي زيلندا الجديدة واليابان وناحية جزيرة جاوى وتشكند وجزائر الازور والاوقيانوس الهندي بين الهند ومدغسكر . وهي مجموعة في حلقتين الاولى تتضمن السبع النواحي الاول ومركز هذه الحلقة عند جزيرة تاهيتي في الباسيفيك وقطرها نحو ١٣٠ درجة والثانية تتضمن الثلاث الباقية ومركزها في الجهة المقابلة للمركز الاول من الكرة في صحراء افريقية وقطرها ١٠٠ درجة

وهذا التقسيم ليس اعتباطيًّا بل هو حقيقة طبيعية ذات شأن عظيم على ما ظهر من ابحاث الاستاذ جينس . فقد قرأ مقالة على الجمعية الملكية سنة ١٩٠٣ ذهب فيها الى أن الارض ليست كرة ولا شبيهة بالكرة بل شكلها شكل الكمثراة ولكنها لا تزال تتقارب من شكل الكرة تدريجًا طوعًا لجذب نفسها لنفسها فتحدث الزلازل من ذلك ويكون حدوثها في القسم الاضعف منها طبعًا وطرفا الكمثراة يقابلان مركزي الحلقتين المشار اليهما فالواحد في افريقية والآخر في الباسيفيك كما تقدم

وخلاصة ذلك ان لحدوث الزلازل في الاماكن المذكورة آنفًا سببًا حقيقيًّا وانها تبقى تحدث فيها الى ما شاء الله على ما يرجَّح . وقد عرضت ابحاث الاستاذ جينس ونتائجهُ على اللورد رايلي ليرى رأيهُ فيها فقال في جلسة عقدتها الجمعية الملكية حديثًا ان تلك النتائج صحيحة على وجه الاجمال وان حالة الارض متغيرة لا ثابتة كما يظن البعض

اذًا فمن شاء ان يعيش بمأمن من الزلازل فليسكن عند طرفي الارض المقابلين لطرفي الكمثراة وهما افريقية والباسيفيك . ثم ان في الارض اماكن غيرها يكون الانسان فيها آمنًا شرّ الزلازل مثل اميركا ما عدا غربيها او سيبيريا . ولكن الاماكن المخطرة تشمل بقاعًا عظيمة الاتساع كثيرة الفائدة بحيث يتعذر تركها غير آهلة . وزد على ذلك ان بعض تلك البقاع اشدُّ خطرًا من البعض فبلاد اليابان يمكن قسمتها الى خمسة عشر قسمًا يختلف الواحد منها عن الآخر في شدَّة وطأة الزلازل عليهِ ومثل اليابان غيرها من البلدان . فلا يمكن والحالة هذه التخلص من الزلازل بل لا بدَّ ان يتعرض الانسان لاخطارها مثلما يتعرض لاخطار الاسفار البرية والبحرية فاننا نعلم انهُ قد تثور في البحار احيانًا انواء شديدة تبيد كلَّ ما يعرض في سبيلها ولكنَّ لنا مصالح اخرى غير المحافظة على سلامتنا تدفعنا الى ركوب البحار فنركبها ونحن نؤَمل ان لا يدهمنا نوءٌ ولا تثور علينا عاصفة

أمكنة الزلازل وأزمنتها

للاستاذ ترنر من اساتذة كلية اكسفورد

لا بدَّ ان يكون تعدُّد الزلازل الهائلة وثوران البراكين في الاشهر الاخيرة قد حمل الناس على التساؤل عما اذا كان لهذه الحوادث مصادر مشتركة يمكن تعيينها قصد تدارك خطرها قبل نزوله . ولا ينكر ان منعها والتحكم بها مما لا قبل للبشر به ولكن الانذار بها يقي الناس ويلات وكوارث تنتابهم آنا بعد آن

ورب سائل يسأل هل اهتدى العلم الحديث الى ما ينذر بالزلازل وثوران البراكين قبل حدوثها . وجوابًا عن ذلك اقول ان معرفتنا من هذا القبيل لا تزال قليلة لا تفيد فائدة يعمل بها ولكنَّ هناك امرين عرفناهما وقد يفضيان الى ما تحمد معرفته فقد عرفنا بعض الشيء عن امكنة الزلازل وبعض الشيء عن ازمنتها وهذا البعض وان يكن يسيرًا فعظم نتيجته يجعلهُ من الاهمية بمكان

لا يخفى ان رصد الزلازل رصدًا منتظمًا لم يبدأ الا منذ نحو ربع قرن وتقييد الزلازل والهزات التي تحدث كلَّ سنة في جميع انحاء الكرة احدث عهدًا اذ بدأ سنة ١٨٩٣ . وكانت الزلازل والهزات قبل السنة المذكورة لا يشعر بها الا حيث تحدث واذا حدثت زلزلة في مكان غير معمور ضاع اثرها فلم تقيد ولكن ظهر سنة ١٩٠٠ انه اذا وضعت آلات دقيقة القياس في عدة مراصد امكن معرفة جميع الهزات التي تحدث في انحاء الارض كلها وتعيين اماكنها بالضبط والدقة ولو لم تكن تلك الاماكن مأهولة واتضح من الارصاد التي رصدت منذ ذلك العهد ان الهزات الخفيفة التي تصيب الارض كل سنة تبلغ نحو ٣٠ الفًا منها ٦٠ هزة كبيرة فقط يشعر بها من مسافة بعيدة وعليهِ فان هزة سان فرنسسكو او زلزلتها لا تعدُّ حادثًا شاذًّا خارق العادة بل هي حادث من ستين مثلها تحدث كل سنة ولكن كبر ضررها حدوثها في مدينة عظيمة آهلة بالسكان ففتكت بها فتكًا ذريعًا وقد اكثر الناس من السؤال بعد زلزلة سان فرنسسكو قائلين هل عرف عن امكنة التي بنيت المدينة فيها انها عرضة للزلازل حتى يقال ان بناءها هناك كان خطاء في خطاء منذ البداية وهل يستصوب بناؤها ثانية حيث هي الآن . فهذان السؤالان من اهم مسائل العمران والجواب عليهما اقول

ورد في التقرير العاشر للجنة الجمعية الانكليزية الذي وضعهُ الاستاذ ملن ان الهزات الكبيرة التي رُصدت بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٥ حدثت في ثلاث عشرة ناحية من النواحي

تجربة واحدة [illegible] معدنية لا تخزن قدرتها على احتمال الاهتزاز الذي يعتريها على السكة . وقد امتحنها [illegible] بعد [illegible] نتيجة من ذلك وجعلها [illegible] طبقاً نتيجة التجارب التي جربوها فكانت [illegible] من [illegible] الاخرى التي [illegible] على مثلها . وقد رأت الحكومة البروسية ذلك مدت يد المساعدة [illegible] رعيتها [illegible] في [illegible] وتجاربهم من هذا القبيل

مفاخر البطالسة

وبطليموس الثاني

لا يسع من ينظر في تاريخ هذا القطر من اقدم العصور الى الآن ان يغمض عينيه عن امور [illegible] من [illegible] وهي [illegible] سعده في زمن الفراعنة والبطالسة والقياصرة [illegible] قرون او [illegible] من التاريخ [illegible] تتطرق اليه [illegible] [illegible] فتمر [illegible] ولا عادة [illegible] قرون [illegible] من [illegible] [illegible] لا [illegible] قرون التقهقر من [illegible] لان [illegible] لا [illegible]

ولكن [illegible] تتبع البلاد [illegible] لان [illegible] ويكون كل عصر من عصورها [illegible] من الذي قبله [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] من [illegible] ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت [illegible] في عصر [illegible] من العصور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حقائق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] البلاد زراعية من [illegible] واعتماد اهلها على الزراعة فهي مورد رزقهم وهي مورد رزق الولاة ولذلك كانت البلاد اسعد ما [illegible] يعتني ولاتها براحة الرعية وتمهيد [illegible] اللازمة لنجاح الزراعة كطرق الري والنقل [illegible] [illegible] الحكام الآن طرق الري والصرف والنقل في [illegible] و[illegible] العرب فيها لراحة سكانها حتى يقوموا بخدمة الزراعة فتزيد

هذا من حيث امكنة الزلازل واما من حيث ازمنة حدوثها فقول ان علمنا من هذا القبيل قد لا يزيد عن علمنا من القبيل الاول ولكن هناك ادلة تؤيد المذهب القائل ان زيادة الزلازل في بعض الازمنة والاوقات قد تنشأ عن اضطراب غير اعتيادي يطرأ على دورة الارض اليومية . وهذه الادلة ضعيفة وسبب ضعفها قصر الوقت الذي جمعت فيه ولكن ذلك لا يقدح في صحتها . فقد تقدم ان تقييد الزلازل حديث العهد ووجود الاضطراب في دورة الارض اليومية قديم ولكن اكتشافه حديث جدًّا لا يزيد عمره على ٢٠ سنة . وهذا الاضطراب دوري يجري على حسب ناموس معروف وقد ثبت وجود العلاقة التي يظنُّ وجودها بينهُ وبين الزلازل امكننا الاستدلال على الازمنة التي تكثر [illegible] الزلازل الشديدة فيها ويظهر من بعض الوجوه ان هذه الازمنة ميعادها فصل الربيع [illegible] تكثر الزلازل فيه

ثم ان هذه الازمنة قد تقابل من بعض الوجوه ازمنة حدوث المدّ على الارض . [illegible] المشهور ان المدّ يكون اعظم عند ما يكون القمر هلالاً او بدرًا منهُ عندما يكون في [illegible] الربعين الاول والاخير والسبب في ذلك ان المدّ ينشأ عن جذب القمر والشمس كليهما للارض فاذا جذباها معًا من جهة واحدة او جهتين متقابلتين كان المدّ كبيرًا و[illegible] كان صغيرًا . ولا يخفى ان فعل القمر في احداث المدّ على الارض اعظم من فعل الشمس كثيرًا ولو كانا متساويين او متقاربين لزال المدّ احيانًا بحيث لا يشعر [illegible]

وما قيل في المدّ يقال في دورة الارض فان هناك عاملين متسلطين [illegible] قوة [illegible] واخرى يتضادّان ولكنهما اكثر تساويًا في فعلهما من القمر والشمس وفيه [illegible] يكون فيها فعل الواحد منهما مساويًا لفعل الآخر او يكاد فيبقى محور الارض [illegible] لا ينتقل وتمرُّ اوقات أُخرى يعملان فيها معًا فينحرف المحور كثيرًا مرة [illegible] مرة [illegible] كلٌّ من طرفيهِ قوسًا مؤلفة من منحنيات منفرجة وحادَّة . [illegible] اكثر عرضة للزلازل عندما يرسم المحور المنحنيات الحادة [illegible] عندما يرسم المنحنيات المنفرجة

ولا بدَّ من البحث في هذه المسألة بحثًا رياضيًّا قلما يمكن القطع فيه ولكن [illegible] التي تعترض الباحث في هذا السبيل عظيمة لا يستهان بها [illegible] استفادهُ الباحثون من درس الزلازل وما يتعلق بها [illegible] ذكرهُ الاستاذ [illegible] في [illegible] المشار اليها آنفًا قال : —

أُقيم في الجامعة الامبراطورية باليابان دكة تدار وتحرَّك بآلات قوية تحدث فيها اهتزازات مختلفة الشدة مثل اهتزازات الزلازل . ووضعت عليها انموذجات كبيرة من الابنية

ولو على غير ارادة الولاة وحكامهم . اي ان العامة تجبر الخاصة على ما يخرب البلاد ويميت
العباد باغراء اناس متحمسين ومنافقين محتالين . ولا نريد بذلك انه اذا حسب الانسان ان
دينه هو الحق يحظر عليه ان يدعو غيره اليه كلا . وكما نريد ان الاستبداد والاجبار
اللذين جرى عليهما ولاة مصر بعد الفتح كالاستبداد والاجبار اللذين جرى عليهما ولاة
الفرس افسدا قلوب الرعية ثم قضيا الى خراب البلاد . وقد جرى البطالسة بعد الفرس على
ضد ما جرى عليه الفرس فكانت النتيجة ان ارتقت البلاد في عهدهم كما ارتقت في عهد ملوكها
الاولين واليك بيان ذلك

شرعنا منذ ست سنوات في كتابة تاريخ البطالسة بعد ما فرغنا من نشر تاريخ
الاسكندر المكدوني فنشرنا منه خلاصة تاريخ بطليموس الاول المعروف ببطليموس سوتر اي
المنقذ ثم شغلتنا الشواغل عن اتمامه وقد رأينا [illegible] ثمة حديث [illegible] من الفكاهة
التاريخية فوق ما فيها من الموعظة والاعتبار فنقول

ولد بطليموس الثاني سنة [illegible] قبل الميلاد [illegible] وشركه ابوه معه في الملك سنة ٢٨٥
قبل الميلاد فبقي مشتركا [illegible] سنتين [illegible] وفي [illegible] بطليموس الاول عدلا
حكيما حنكته الدهر [illegible] كيف [illegible] رعيته [illegible] حتى
عهد اليه [illegible] الاول [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لاون [illegible]

وحدث في [illegible]
في عصره وعصر [illegible] وقد وصف [illegible]
المعروف [illegible]
خمس سنوات قبل [illegible] ترجمته

ويزيد جناها كذلك كان الملوك الذين انحو في سياسة هذه البلاد ينتصبون لهم و يحمونهم

ولم تخلُ البلاد في عصر من عصورها من دين يدين به سكانها و يتمسكون بعروته ومن خَدَمة لذلك الدين لهم مقام رفيع في نفوس سكانها ولذلك كان ملوك مصر يحترمون دين شعبها ويشيدون هياكلهُ ويسبغون الخيرات على خدَمتهِ فيتمكنون بالرهبة والرغبة من جهة الدينيَّة فيؤلهم الكهنة و يعبدونهم فيزيد تعلق الرعية بهم. وقد خالف الفرس هذه القاعدة فسخط السكان عليهم واستقدموا الاسكندر المكدوني وسلموا البلاد اليهِ كي يخلصهم منهم و ساعدوهُ على امتلاكها نكاية بهم. ثم لما اعتنقوا النصرانية وانقسمت مذاهب النصارى وخالف مذهبهم مذهب الروم فيها رحبوا بالعرب نكاية بالروم. ولم تمضِ لامئة سنة على ولاية العرب حتى اخذوا يجورون على سكان البلاد و يرهقونهم . قال المقريزي "ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان (سنة ٨٦ للهجرة) اشتدَّ على النصارى واقتدى به قرَّة بن شريك ايضاً في ولايتهِ على مصر وانزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها . واشتد ايضاً اسامة ابن زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى واوقع بهم واخذ اموالهم ووسم ايدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديرهِ وتاريخهُ فكان مَن وجدهُ بغير وسم قطع يدهُ . . . ثم كبس الديارات وقبض على عدة رهبان بغير وسم فضرب اعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس في سنة اربع ومئة والخليفة يومئذٍ يزيد بن عبد الملك"

وجرت الحال على هذا المنوال الى ان كانت سنة ٢١٦ للهجرة فانتقض القبط فيها لما وقع عليهم من الجور "فاوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم امير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبي اكثرهم ومن حينئذٍ ذلَّت القبط في جميع ارض مصر ولم يقدر احد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان فرجعوا عن المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة "

وكرَّت السنون والاشتداد عليهم يضعف يوماً ويزيد شهراً حتى لم يبقَ منهم بعد الف سنة سوى بقية قليلة جدًّا ثلثمئة الف او اقل مع انهم كانوا وقت الفتح نحو ثمانية ملايين من النفوس او اكثر ولا تظننَّ ان عددهم قلَّ لانهم اعتنقوا الاسلام نعم ان اكثرهم اسلموا ولكن سكان القطر المصري كلهم من قبط وعرب ويهود وروم وسوريين لم يبلغوا في اول القرن الماضي ثلاثة ملايين مع انهم كانوا قبل ذلك بالف سنة اكثر من ثمانية ملايين

ومما يستحق ان يسطر في بطون الاوراق ويتخذ عبرة من كتاب المواعظ والاعتبار وغيرهِ من التواريخ العربية ان المحن تأتي احياناً كثيرة من المتحمسين للدين المتنطعين فيه

لي ان اصف كل ما هو هناك وكمْ ثمن الصحف والكؤوس والطسوت وما اشبه عشرة آلاف وزنة (نحو مليونين وثلث من الجنيهات)

" واذ قد وصفنا السرادق نتقدَّم الى وصف المواكب فانها مرّت اولاً في ساحة المدينة في مقدمتها موكب الزهرة نجمة الصبح لانهُ سار حينما اشرقت وتبعهُ موكب والدي الملك الملكة ثم مواكب جميع الآلهة كل اله على حدته وكل موكب منها يختلف عن الآخر حسب تاريخ الاله الذي هو لهُ وفي الآخر موكب الزهرة نجمة المساء

" واذا شاء احد ان يعلم وصف ما جرى بالتدقيق فلينظر الى الالعاب التي تجري كل خمس سنوات . ففي موكب ديونيسيوس مشى اولاً اخرس منع الازدحام وعلى بعضهم حلل ارجوان وعلى البعض الآخر حلل قرمز ووراءهم ارجون وهم عشرون نفساً يحملون مصابيح مذهبة وعليهم ثياب مزركشة بصور الحيوانات وكثير من الحلى الذهبية ووراءهم مذبح علوهُ ست اقدام مغطّى باوراق اللبلاب المذهبة وعليه اكليل من الذهب ووراءهم غلمان ثيابهم من الارجوان يحملون البخور والمر والزعفران على صحاف من الذهب ووراءهم اربعون مهرجاً على رؤوسهم اكاليل من الذهب واجسامهم مصبوغة بالارجوان او الزعفر او غير ذلك من الالوان "

واطال اثينيوس في الشرح فلا نتبعهُ الى آخر كلامهِ . ومن اغرب ما كان في ذلك الموكب مركبة كبيرة فيها معصرة تعصر العنب وتصب عصيرهُ في الطريق ومركبة اخرى فيها زق كبير مصنوع من جلود النمورة وهو مملوء خمراً والخمر تنصب منهُ في الطريق ايضاً . واغرب من ذلك الحيوانات البرية التي سارت فيهِ ففيهِ ٢٤ اسداً من الاسود الكبيرة ذات اللبد الطويلة و ٢٦ ثوراً من الثيران الهندية البيضاء و ٨ ثيران من ثيران الحبشة و ١٤ نمراً و ٦ فهود ودب ابيض كبير وزرافة وكركدن حبشي و ٢٤ مركبة تجرها الافيال و ١٤ مركبة اخرى تجرها الايائل و ٦٠ مركبة تجرها المعزى و ٨ مركبات تجرها الحمر البرية . وجمال كثيرة تحمل طيوب بلاد العرب وزنوج يحملون ٦٠٠ ناب من العاج وغيرهم يحملون ٢٠٠٠ قطعة من خشب الابنوس وما لا يحصى من الآنية الذهبية والفضية المملوءة تبراً و ١٥٠ رجلاً يحملون انجماً عليها من جميع انواع الطيور واقفاصاً فيها من الطواويس وديوك الغاب وطيور غينيا وما اشبه وصائدان معهم ٢٤٠٠ كلب من كلاب الصيد من انواع مختلفة . وسارت هذه الحيوانات في موكب الاله ديونيسوس وقد مثّلوهُ راجعاً ظافراً من حروبهِ في بلاد الهند بتمثال كبير من الذهب والعاج وسار في موكبهِ كثير من النساء يمثلن السبايا . وكان في الموكب ايضاً

"هاك وصف السرادق(١) الفخيم الذي اقيم في ساحة القصر منفصلاً عن المكان المعد لاستقبال الجنود والصنّاع والغرباء لانهُ كان على غاية الجمال وبالحقيق ان نثبت وصفهُ . كان يسع مئة وثلاثين مقعداً (او متكأً) موضوعة فيهِ في شكل دائرة وفيهِ خمسة اعمدة من الخشب في كل جانب علو العمود منها خمسون ذراعاً وقطرهُ نحو ذراع وعلى رأسهِ تاج مربع الشكل وسقف السرادق قائم على هذه الاعمدة وهو امكان الذي اوقفت فيهِ [illegible] وعليهِ سجف كبير من القرمز اهدابهُ بيضاء . اربعة من هذه الاعمدة تشبه النخل وحول السرادق من ثلاث جهات رواق مسقوف قائم على اعمدة حيث جلس المدعوون وسقفهُ محجوب من القرمز وجلود الحيوانات البرية وهي غريبة بالوانها واتساعها وحول الرواق شجر [illegible] من الآس والغار وما اشبه وارض السرادق والرواق مفروشة بالازهار المختلفة الالوان لان الازهار تكثر في مصر في كل الفصول لجودة اقليمها ولاعتناء اصحاب الحدائق بغرس ما هو نادر في غيرها ولذلك يوجد فيها الورد والزنبق وكل زهر غيرهما على مدار السنة

"وكان الاحتفال شتاء ومع ذلك كانت الازهار كثيرة كثرة تفوق التصديق [illegible] الزهر الذي لا يوجد منهُ في بلاد اخرى حينئذٍ ما يكفي لعمل اكليل واحد لان كثيراً [illegible] حتى صنعت منهُ اكاليل لكل المدعوين وفرشت بهِ ارض السرادق فصارت كمروج سماوية

"وكان حول جدران السرادق مئة من تماثيل الحيوانات صنعها امهر الصنّاع وبين الاعمدة صوَر صنعها المصورون السكيونيون وبين الصور حلل مزركشة بالذهب في بعضها صور ملوك مصر وكتابات من اخبار آلهتهم وفوقها تروس من الذهب والفضة [illegible] وفوق الترس محاريب فيها صور ولائم جلس فيها الناس للاكل والشرب وهم لابسون ثياباً حقيقية [illegible] كؤوس وموائد من الذهب وفوق الجميع مما يلي السقف نسور من الذهب [illegible] طول كل منها خمس عشرة ذراعاً

وعلى جانبي السرادق مقاعد من الذهب قوائمها على شكل السفنكس مئة مقعد على كل جانب لان واجهة السرادق تركت مفتوحة وتحت المقاعد بسط من اجود انواع الصوف فيها نقوش بديعة . وارض السرادق كلها مفروشة بالبسط الفارسية وفيها رسوم حيوانات على غاية الدقة وامام كل مقعد مائدتان صغيرتان من الذهب قوائمهما من الفضة ووراء السرادق في مكان محجوب مئة طست من الفضة ومئة ابريق . وامامهُ في الجهة الاخرى منضدة كبيرة عليها الكؤوس وكلها من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ومنقوشة نقشاً بديعاً . ويتعذر

مكتنفي الدرجة فيرتقي الى طبقة [illegible] يشرف منها على البحر بشرفات محيطة بموضع آخر كأنه حصن آخر مربع يرتقى فيه بدرج اخرى الى موضع آخر يشرف منه على سطح الاول بشرافات اخرى وفي هذا الموضع قبة كمنارة [illegible]

وقال المقريزي في خططه نحو سنة ١٤٠٠ ان منارة الاسكندرية احد مباني العالم العجيب .. وطولها في هذا الوقت تقريباً ٢٣٠ ذراعاً بعد ان كان اربعمائة ذراع فتهدمت من ترادف الامطار والزلازل . وبناؤها من ثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث بناؤه مربع الشكل بالحجر [illegible] وذلك نحو مئة ذراع وعشر اذرع تقريباً ثم بعد ذلك مثمن الشكل مبنياً بالحجر والجص [illegible] وستون ذراعاً [illegible] يدور فيه الناس واعلاها مدور . [illegible] علاه قبة من خشب يصعد اليها من داخلها وهي مسوحة مخروطة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض [illegible] على جهة الارض نحو مئة ذراع [illegible] . وقد [illegible] تهدم احد اركانها الغربية [illegible] بحر [illegible] الجيش [illegible] بن احمد بن طولون

وقال [illegible] في خططه [illegible] هذه المنارة [illegible] في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس

[illegible] الاسكندر [illegible] كثيرة وعني بذلك [illegible]

[illegible] التي كانت [illegible]

[illegible] ٣٥٠ [illegible] كثيراً من [illegible]

[illegible] في البحر الاحمر حيث موقع مدينة سويس الآن

واتسعت تجارة مصر في عصرهم اتساعاً عظيماً جداً فكانت سفنهم تسير في البحر الاحمر [illegible] التي على [illegible] و بلاد الهند . وتسير في [illegible] جزائر اليونان وايطاليا وسواحل الشام وتقطع الدردنيل الى البحر الاسود وافتتح [illegible] اصحاب الاموال من كل [illegible] وحدوه [illegible] من الامن [illegible] البطالسة ومشيروه [illegible] التغلب على البلدان القاصية بالتجارة اقل نفقة من التغلب عليها بالحروب ولذلك فان الحملة [illegible] البلدان بالسيف وفتحها بالتجارة سهل لا مشقة فيه ولا نفقة

تمثال الاسكندر الكبير ومعهُ آلهة نيقية وآلهة اثينا في خدمتهِ وبطليموس الاول وقد توجتهُ مدن اليونان واسيا الصغرى ووقفت كورنثس الى جانبهِ . وهذه التماثيل كلها من العاج و الذهب

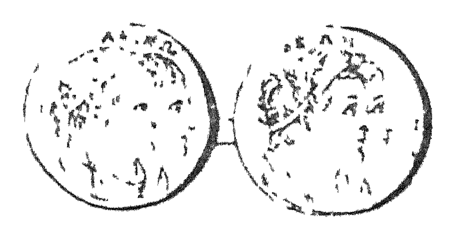
ودام الاحتفال النهار كلهُ من الصباح الى المساء وسار فيهِ ثمانون الفاً من الجنود الفرسان والمشاة وكلهم بالثياب الفاخرة وبلغ ما أُنفق عليهِ خمس مئة الف جنيه تقريباً وهو من اقطع الادلة على ما بلغتهُ بلاد مصر في عهد البطالسة من الغنى والمجد وسعة المتاجر

ولم يحارب بطليموس الثاني حروباً كبيرة لان اباهُ مهَّد لهُ الملك والرومان [illegible] وقع اعداءهُ بعضهم في بعضهم. ورأى قيام الدولة الرومانية فلم يشأْ ان يتعرَّض لها بل سالمها وودَّها لانهُ لم يكن مقداماً مثل ابيهِ بل كان يفضل الراحة والرفاهة على مجد الحروب والنصر وكن راحتهُ ورفاهتهُ كانتا في ما يلذ ويفيد في تنشيط العلوم والمعارف فاتمَّ العمل العظيم الذي شرع فيهِ ابوهُ وهو انشاء مدرسة الاسكندرية ومكتبتها واستدعى اليها علماء عصرهِ والاساتذة وقطع لهم الرواتب الطائلة من مال الدولة وبلغ عدد الكتب في المكتبة في عهدهِ ٤٠٠٠٠٠ مجلد في رواية و ٧٠٠٠٠٠ في رواية اخرى ثم زاد رويداً رويداً حتى بلغ في عهد يوليوس قيصر ٩٠٠٠٠٠ مجلد واعطيت ادارة المكتبة اولاً لزينودوتس الافسسي معلم بطليموس الثاني ثم لكلياخوس الشاعر الذي رتب الدروج كلها وبوَّبها

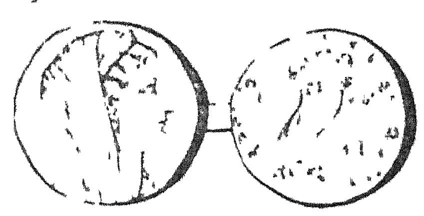
وفي ايامهِ بنيت المنارة المشهورة بناها لهُ سستراتس الكنيدي ويقال ان ارتفاعها كان ٤٠٠ ذراع وهذا بعيد عن الاحتمال ولكن لا يبعد انها كانت عالية جدًّا وثيقة البنيان حتى بقي برجها الاسفل الى سنة ١٣٥٠ للميلاد حين جاء ابن بطوطة الاسكندرية وقال انهُ [illegible] مربع ذاهب في الهواء داخلهُ بيوت كثيرة وعرض حائطهِ عشرة اشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاتهِ اربع مئة واربعون شبراً وهو على تل مرتفع . ثم قال قصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب سنة ٧٥٠ (١٣٢٩) فوجدتهُ قد استولى عليهِ الخراب بحيث لا يمكن دخولهُ ولا الصعود الى بابهِ

وقال بن جبير في رحلتهِ سنة ٥٧٨ هجرية انهُ قاس احد اضلاع المنارة فوجدهُ يزيد على خمسين ذراعاً وان الارتفاع يزيد على خمسين باعاً

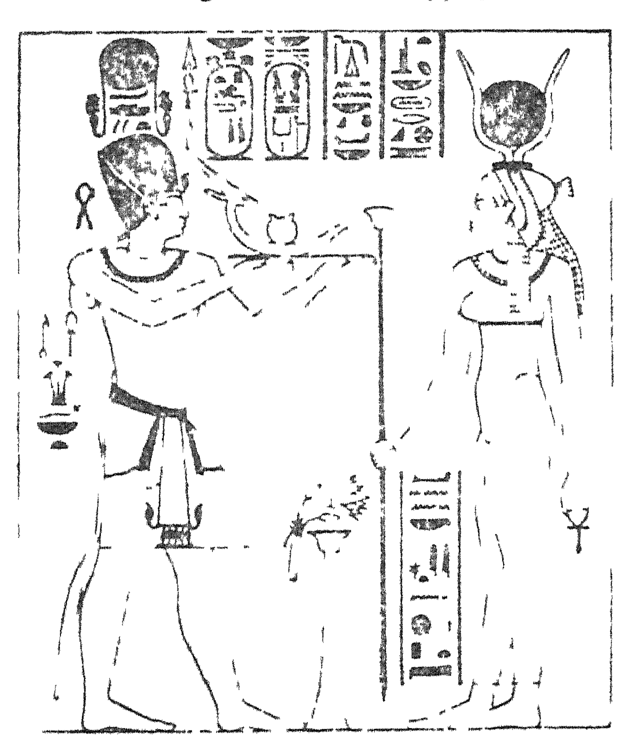
اما ياقوت الحموي الذي شاهد المنارة قبل ابن بطوطة بنحو مئة وخمسين سنة فقال انها حصن عالٍ على سن جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء اسكندرية بينها وبين البر نحو شوط فرس وليس اليها طريق الاَّ في ماء البحر وهي مربعة البناء ولها درجة واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسهِ وقد سقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحيطان



على الوجه الواحد صورة بطليموس الثاني وارسنوي وعلى الوجه الآخر صورة ابيه بطليموس الاول وامه برنيكي



صورة ارسنوي وحدها اخت بطليموس الثاني وزوجته



بطليموس الثاني يقدم التقدمات الى المعبودة ايسس وهي تقول له اني امنحك كل قوة وسلطة مثل رع في السماء

ووجدت بلاطة في خرائب تل المسخوطة سنة ١٨٨٤ يظهر منها انهُ بنى هيكلاً للمعبود تم في ثكوت في السنة السادسة من ملكهِ وانهُ طهَّر الترعة التي شرقي بحيرة العقرب وهي التي تصـ بين النيل والبحر الاحمر وسار الى اقصى بلاد الجنوب الى برستت ووجد آلهة مصر (اصنـ مصر) فعاد بها الى بلادهِ . وقد ظنَّ البعض ان برستت هذه هي بلاد الفرس ثم زار مدينـ فيثون في السنة الثانية عشرة من ملكهِ وكانت اختهُ ارسنوي معهُ . وفي السنة السادسة عشـ من ملكهِ حفر ترعة تبدأُ من شمالي هليوبوليس وتنتهي في بحيرة العقرب . ولما اتمَّ عـ مضى الى كمورت (البحر الاسود) ومصَّر مدينة هناك اكرامًا لاختهِ ودعاها بـ... واقام هيكلاً للمعبود تمو ثم جمع سفنًا كثيرة وعبَّأَها بالجنود وعقد لواءها لقائدهِ الاول فسار في البحر الاسود الى حد خمتيثت. ولما عاد من هناك اهتمَّ ببناء مدينة بطليس (قرب سواكن واصطاد جنودهُ هناك افيالاً كثيرة وعادوا بها الى مصر بالمراكب ولم يعمل ذلك احد من كل ملوك مصر . ويقال في آخر الكتابة ان الاوقاف التي اوقفها للهياكل المصرية ريعها السنوي عشرة ملايين وخمسين الف قطعة من الفضة واباح للكهنة ان يتقاضوا ضـ سنوية على البيوت المجاورة للهياكل تبلغ تسعين رطلاً من الفضة وعلى مكانها تبيع ٦٦٠ قطعة من الفضة . وتمَّ كل ذلك ورُتب في الشهر الرابع من السنة الحادية والعشرين من مـ

وقد وجدت كتابات اخرى من هذا القبيل وكلها تؤيد ما قدمهُ ساقًا من ان بطليموس الثاني بنى الهياكل المصرية واوقف عليها الاوقاف الطائلة . لكنهُ جرى في ذلك سياسة الدهاء فان اختهُ توفيت في السنة الخامسة عشرة من قترانه بها . ... الكهنة وضعـ في المصاف الاول بين معبوداتهم واشاعوا عبادتها في البلاد كلها ... من النعم فلما تمكنت عبادتها في البلاد حتى صارت كأنها عبادة انتظر المصري ... الاوقاف كلها اليها مرةً واحدة وكان ذلك في السنة الثالثة والعشرين من ملكهِ ... ولم يلقَ من الكهنة اقل مقاومة لانهُ بقي يغدق عليهم النعم والعطايا ... الدائم واعطاهم بدلاً منهُ اجورًا سنوية يستطيع ان يمنعها متى شاء . فصاروا من ... واصبح قيادهم في يدهِ .

ولكنهُ لم يقتصر على منح الاموال للكهنة بل بنى الهياكل الفخيمة ... كبيرًا من العمال ومن هذه المباني ما كان مختصًا بعبادة اختهِ ارسنوي في الاسكندرية يبقَ لهُ اثر الآن وشرع في بناء هياكل انس الوجود فبنى جانبًا كبيرًا منهُ ... البديعة على اسم اختهِ . واقام هيكلاً في هبيات قرب سمنود (بهبيت الحجر) ...

باب الصناعة

شيوع السمنت

ان استعمال السمنت للبناء سيغير الاسلوب الذي جرى عليهِ الناس منذ سبعة آ
سنة الى الآن وهو قطع الحجارة ونحتها للبناء بها . لان السمنت يجبل ويفرغ في القا
حسب الشكل المراد فيخرج منها حجارة مخروّنة صقيلة الجوانب او منقوشة نقشاً بديعاً حـ
المراد ويسهل جعلها مجوفة فتكون خفيفة وواقية من الحر والبرد وهي متينة مثل اشد الحـ
متانة او امتن منها

وسمنت بورتلند اشهر انواع السمنت واكثرها استعمالاً وقد زاد استعمالهُ جدًّا في
السنوات الاخيرة فقد كان لهُ في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩٠ ستة عشر م
تصنع في السنة ٣٣٥٠٠٠ برميل فصار لهُ في العام الماضي ١٢ معملاً تصنع في السنة
مليون برميل اي زاد ما يصنع من السمنت مئة ضعف في ست عشرة سنة لان المصنوع
سنة ١٨٨٩ كان ٣٠٠ الف برميل لا غير

والظاهر ان السمنت المصري الذي يصنع بين القاهرة وحلوان من النوع الجيد وقد
الطلب عليهِ حتى صار يصنع منهُ لا يكفي لما يطلب منهُ. ولا بدَّ من ان يشيع البناء بحجارة الس
في هذا القطر لانها اصلح للبناء من الحجر المصري من كل وجه

الزابون Zapon

. . . ون ورنيش يقوم مقام ورنيش . . . صنع اللاك ولا كثيراً في هذه ا
وتجت الاعـ . . ر الى اكتشاف مادة تقوم مقامهُ فوجد ان الزابون يقوم مقام . . . ويصنع
ورنيش حسن جدًّا للمعادن والخشب والورق ولكل ما يستعمل فيهِ ورنيش اللك

والزابون نوع من الكلوديون او قطن البارود مذاباً في الاميل اسيتات والاسيتو
وذلك بان يمزج ١٨ جزءا من الاميل اسيتات وجزءان من الاسيتون ويذاب في المزيج -
اجزاء من قطن الكلوديون . لكن استحضار هذه المواد والعمل بها عسر جدًّا وشديد ا
ولذلك يجب ان يشتري الزابون جاهزًا من المعامل التي تصنعهُ

٦٠٠ قدم وعرضهُ ٢٠٠ قدم وهو مبني كلهُ بالغرانيت الاحمر والازرق جدرانهُ وعمد وسقفهُ ولم يبقَ منهُ الآن الا حجارة مبعثرة . فلم يبارِهِ احد من فراعنة مصر ولا من ملوكها الذين كانوا قبلهُ او بعدهُ في جلب هذا المقدار العظيم من حجارة الغرانيت من اصو الى طرف الوجه البحري

وبنى كثيراً من المدن في القطر المصري وسورية وآسيا الصغرى على اسم اخ ارسنوى وفيلوترا . وكانت بحيرة الفيوم قد اخذت تحطّ فاحيا الارض التي حولها واقطعها لل اليونانية التي اتمّت مدة خدمتها فسكنوها و بنوا المدن فيها وقد وجدت رقم فيها مكاتب باليونانية الصحيحة و يستدلّ منها على اساليب معيشتهم وكيفية ادارة الاحكام في ذلك العهد وسميت الكورة كلها باسم ارسنوى

واهتمّ بتاريخ المصريين فامر الكاهن منيثو احد كهنتهم ان يكتب لهم تاريخاً مصرياً باليونانية فالَّف تاريخهُ المشهور ناقضاً بهِ ما ذكرهُ هيرودوتس وغيرهُ من الروايات اخر عن المصريين لكن هذا التاريخ فقد ولم يحفظ منهُ الا بعض الاقتباسات في كتب غيره من المؤرخين

و يقال انهُ اهتمّ بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية وهي المعروفة بالترجمة السبعينية لافادة اليهود القاطنين في القطر المصري لانهم كانوا قد تناسوا اللغة العبرانية وصاروا يتكلمونها بدل العبرانية . وقد اسهب الكتاب من اليهود والمسيحيين في وصف الطريقة التي جرى عليها بطليموس لترجمة التوراة و بدواعي الذي دعاهُ الى ترجمتها . ولا شبهة في ان التوراة ترجمت الى اللغة اليونانية ولكن الادلة على ان بطليموس هذا امر بترجمتها او ترجمت في عهده مطعون فيها ولا تزال هذه المسألة في معرض البحث . و يقول البعض انها ترجمت في عهد بطليموس السابع

وارتقت صناعة الرسم والنقش في عهده كما ترى في رسم نقوده ونقود ابيه ما نقش على الهياكل وهناك امثلة لذلك على الصفحة السابقة

وتوفي سنة ٢٤٦ قبل المسيح وعمرهُ اكثر من ستين سنة وترك ابنهُ الاكبر لانهُ واسع الخبرة وترك لهُ اموالاً لا تحصى ومملكة واسعة الاطراف وافرة الثروة

يذبح الحيوان ثم تحقن اوردتهُ بماءٍ اذيب فيهِ ملح وحامض خليك (في مئة درهم من الماء ٢٥ درهمًا من ملح الطعام واربعة دراهم من الحامض الخليك) فاذا كان وزن الحيوان المذبوح مئة رطل حقن بعشرة ارطال من هذا السائل . وقد امتحن الاستاذ بروساڤرو هذه الطريقة في خروف وعجل ثم علّق شلويهما في غرفة حرارتها ١٦ درجة بميزان فارنهيت مدة ٧٥ يومًا وسلخهما بعد ذلك وشقهما فوجد قلبيهما ودماغيهما وكبديهما وامعاءهما على شكلها الطبيعي ولحمهما ودهنهما سليمين تمامًا وطريَّين وبهما رائحة حامضة خفيفة جدًّا ولكنها طيبة وليس فيهما اقل دليل من دلائل الفساد . وسلق بعض اللحم فكان مثل اللحم الجديد من كل وجه وطبخ من البعض الآخر روستو فكان طريًّا واطيب طعمًا من اللحم الجديد وهو مغذٍ سهل الهضم . ومن رأيهِ ان طريقة كراڤري افضل الطرق التي اشير بها الى الآن لحفظ اللحم من الفساد . وهذا رأي غيرهِ من العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع اي ان محلول الملح والحامض خليك يحفظ اللحم ولا يولد فيهِ مواد سامة ولكن يشترط ان تحقن بهِ اوردة الحيوان المذبوح بعد تصفية دمهِ حتى يقوم مقام الدم

باب الزراعة

مدارس الزراعة للبنات

اهالي البلجيك من اكثر الناس اجتهادًا واقتصادًا وحكومتهم تبذل اقصى جهدها في تعليمهم وتهذيبهم فتجد وسائل التعليم والتهذيب مسهلة لافقر الفلاحين كما هي مسهلة لاغنى التجار وقد يشتهر ابن الاول في العلوم والفنون اكثر مما يشتهر ابن الثاني لان موائد العلم مباحة للجميع يتناول كلٌّ منها على قدر استعدادهِ واجتهادهِ

ولم يكتفِ اهالي البلجيك بتعليم صبيانهم بل علموا بناتهم ايضًا كل ما يحتجن الى معرفتهِ واتصل اجتهادهم الى انشاء مدارس زراعية للبنات فان امرأة الفلاح وابنتهُ تعملان بالزراعة كما يعمل الفلاح وابنهُ فيجب ان تكونا على تمام الاستعداد لذلك بل ان جانبًا كبيرًا من اعمال الزراعة كحلب المواشي واستخراج الزبدة وعمل الجبن متعلق بالنساء لا بالرجال

وهذه المدارس تعلم البنات ايضًا كيفية تدبير بيوتهنَّ مع تعليمهنَّ مبادئ العلوم

ويلوّن الرابون بكل لون الا [illegible] ولا [illegible] من الاميل [illegible]يتات و لاسيتون ولا تذهب [illegible] بعد تنظيفه جيداً تماً قد يكون لاصقاً بها من المواد الزيتية و [illegible] الرابون دهناً او تغطس فيه تغطيساً . [illegible] وهو سريع الالتهاب ولا [illegible] مكشوفة ورائحته تهيّج الحلق ولكنها لا تضرُّ الصحة

الوقوف ام الجلوس

من العمّال من يعمل وهو واقف ولا يجلس [illegible] ولا يقف الاّ نادراً . والعمل يحكم على العامل [illegible] والخرّاط يجلس النهار كلهُ ولا يقف الاّ نادراً والخياط يخيط وهو جالس ولا يقف [illegible] عند التفصيل والتجربة ومرتب الحروف يقف في اكثر المطابع ولكنهُ يجلس في [illegible]

وقد امتحن المسيو شارل فرّه مقدار تعب الانسان وهو جالس ومقدار تعبهِ وهو واقف وذلك بآلة اسمها الارغوغراف فوجد ان العمل والانسان واقف يكون اسرع منهُ وهو جالس بنحو العشر ولكن اذا طالت مدة العمل فالواقف يعمل اولاً بهمّة زائدة [illegible] تضعف قوتهُ كثيراً والجالس يعمل اولاً بقوة اضعف من قوة الواقف ثم تنقص قوتهُ رويداً رويداً ولكنها تبقى في الآخر اشد من قوة الواقف

ووجد ايضاً انهُ اذا انقطع العامل عن عملهِ مدة وجيزة من خمس دقائق [illegible] تحسّن عملهُ حين الرجوع اليهِ اكثر مما لو انقطع عنهُ [illegible]

حفظ اللحم من الفساد

لا يخفى ان اللحم سريع الفساد ولا سيما في البلاد الحارّة وفي زمن الحر [illegible] طرق كثيرة لحفظهِ من الفساد كتعطيسهِ في السوائل التي تميت الميكروبات [illegible] رقيقة من الدخان والمواد التي تكون معهُ [illegible] الميكروبات وحفظهِ في مكان [illegible] يميت بردهُ الميكروبات او يمنع نموها او وضعهِ في آنية زجاجية و معدنية مسدودة [illegible] لدخول الهواء والميكروبات على انواعها . لكن هذه الطرق كلها لا تفي بالمراد [illegible] الحيوانات المذبوحة من مدينة الى اخرى في البلاد الواحدة ولم يكن فيها مركبات [illegible] معدّة لذلك

وقد استنبط احد الايطاليين واسمهُ كرافري طريقة لحفظ اللحوم من الفساد وهي [illegible]

حفظ الاثمار

من الاثمار ما يسهل حفظهُ زماناً طويلاً لسمك قشرتهِ كالبرتقال والبطيخ ومنها ما لا يحفظ الأ زمناً قصيراً كالمشمش والعنب وما اشبه . وسبب ما يصيب الاثمار من الاهتراء والتعفن الميكروبات التي تقع عليها وتنمو وتتكاثر فيها • والغالب ان يكون جلد الثمرة صفيقاً مانعاً لدخول الميكروبات ولو كان رقيقاً كجلد العنب وذا لم تمسهُ يد تطعجهُ بقي سليماً منها ولذلك فاول شرط لحفظ الفاكهة سليمة من الاهتراء والتعفن الاعتناء بحفظها من الترضض ولكن اذا كانت الاثمار كثيرة ولا بدَّ من ترضضها في قطفها ونقلها فلا بدَّ من واسطة اخرى تقيها من وقوع الميكروبات عليها ونموها فيها . واهالي لبنان يحفظون العنب مثلاً من الميكروبات برشهِ بماء الرماد والزيت فيكتسي طبقة زيتية رقيقة جداً تقيهِ من الميكروبات يفعلون ذلك متى ارادوا تجفيفهُ لعمل الزبيب منهُ وبعضهم يغطسون عناقيد العنب في العسل او الدبس فتحفظ زماناً طويلاً طرية خالية من الفساد

وقد استنبط احد الانكليز طريقة لحفظ الاثمار بتغطيسها في ماء بارد أضيف الى كل مئة درهم منهُ ثلاثة دراهم من محلول الفرمول (formol) واذا كانت الاثمار رقيقة القشر كالعنب والكرز تغطَّس في هذا السائل عشر دقائق فقط ثم تغطس خمس دقائق في الماء البارد وتنشر بعد ذلك على اطباق من السلك كي تجف واذا كانت سميكة القشر ولا تؤكل قشرتها كالبرتقال فلا داعي لتغطيسها في الماء النقي بعد تغطيسها في محلول الفرمول فعسى ان تجرَّب هذه الطريقة هنا وفي بلاد الشام لحفظ الفاكهة من الفساد عند نقلها من بلاد الى أخرى

الاسفنج النباتي

يزرع هذا النبات في بلاد الجزائر واوراقهُ وثمرهُ يؤكل ولكنهُ يترك حتى يفوت زمن تصحيح فتزول المادة التي تؤكل وتبقى منهُ مادة ليفية كالاسفنج تغسل وتقصر وتباع الاسفنجة منهُ بنحو غرش ولهُ سوق رائجة في باريس • واقاليم الجزائر مشابهة لاقليم القطر المصري فعسى ان تجلب تقاوي هذا النبات وتجرَّب زراعتهُ في هذا القطر

ي الزراعة وتربية المواشي وتدبير الصحة ونوع تعاه
رة الزراعة كتباً بسيطة في مبادئ تعليم الاطفال من كل سن وتنشر ثم
ية والتلامذة يتعلمون عشر ساعات كل اسبوع هذه الدروس النظرية وعشرين
م دروساً عملية
ن الكبيرة المعدة لتعليم البنات علم الزراعة وتدبير المنازل وما يتعلق بهما
ت لادارة الاباعد بعد ان يقضين فيها سنتين [illegible] لتدبير منازلهن
. ويكون اشتغالهن على النسبة المتقدمة اي [illegible] ساعات كل اسبوع [illegible]
ن ساعة للعملية
علمين والمعلمات في هذه المدارس طفيفة جداً يبتدئ [illegible]
ثم يزاد سنة بعد سنة الى ٢٥٠٠ فرنك لا غير ويبتدئ [illegible]
يزاد الى ١٥٠٠ فرنك ويعطى المعلمات والتلميذات غرفاً [illegible] مع الفرش
يبرن طعامهن فتدفع كل واحدة منهن ٢٥ فرنكاً في الشهر لواحدة تتولى ادارة
نفاق على الطعام وتعمل الحساب كل شهر فاذا زاد شيء للتلميذات [illegible]
نلته الى حساب الشهر التالي . ولا يدفع البنات اجرة تعليمهن لان التعليم
ن يدبرن طعامهن يطبخنهُ ويخدمن انفسهن ويرتبن غرفهن ويغسلن [illegible]
نها ويرقعنها وبالاختصار يعملن كل اعمال البيت التي تعملها المرأة [illegible]
وحينما يتممن دروسهن ويمتحن تعطى لهن شهادة
لميذات الى اربعة اقسام قسم يلتفت الى المواشي والفراخ [illegible]
لاف بالتدقيق . وقسم يلتفت الى عمل الجبن . وقسم يلتفت الى الاعتناء بالبساتين
ع الخضر والاشجار المثمرة وتربية النحل . وقسم يلتفت الى اعمال البيت . [illegible]
تي يمارسنها كلهن . وهن يتعلمن العلوم النظرية في الصباح ويعملن عملاً
هر
نا على صور البنات وهن يعملن الاعمال المختلفة ففي احدى الصور [illegible]
وينشرنها . وفي صورة اخرى يستخرجن الزبدة من اللبن . وفي اخرى يحلبن
يعلمن جودتهما . وفي اخرى ينظرن في قفران النحل . وفي اخرى [illegible]
لطعام

وقد كان جدّاتنا يقلن اذا كان الزواج قد قدّر للبنت تزوجت فخير لها ان تجلس في
ية البيت امام النار وتنتظر . وفي هذا القول من الصواب ما فيهِ اذ كثيرًا ما يتفق ان
ل الازواج يأتي من مكان لا تنتظره وفي ساعة لا تتوقعها . وكثيرًا ما يتفق ايضًا ان
ات اللواتي يفتشن عن ازواج لهنَّ بمساعدة امهاتهنَّ يأُبن بصفقة الخاسر

(٢) وقالت الثانية ان من اعظم العوائق في سبيل الزواج الميل الى الترفه والسعي
اء المال فينسى الناس وجوه العيش التي هي اسمى مطلبًا واشرف غاية ويبيت الحبُّ وهو
يقوى على السموّ بصاحبهِ الى ذرى الفضيلة بل يصير حيوانيًّا شهوانيًّا

وترى الرجال الذين يقدرون المرأَة الحقيقية قدرها يوجسون خيفة ان يأْتمنوا المرأَة
عصرية على انفسهم لانهم يدرون حقيقة امرها . فقد يلتقي الواحد منهم بفتاة جميلة وديعة
سرُّ بها عند اول دخولها الى العالم وامتزاجها بالهيئة الاجتماعية ولكنها هي نفسها تجد انها
ا شاءت ان يشار اليها بالبنان في الهيئة التي تنتظم فيها فلا غنى لها عن التخلق بكثير من
الاخلاق العصرية وعن تقليد أترابها في حركاتهنَّ وسكناتهنَّ كأن يكثر كلامها ويقلُّ
بياؤها فاذا صارت الى ذلك فقدت جمالها وقوتها على اختلاب الالباب

وكثير من الرجال يفقدون اميل الى الزواج لانهم فقدوا الثقة بالنساء وهم شبان .
كثير يتمنون الزواج ويفضلون العيشة العائلية على العزوبة ولكنهم يحجمون عنه لعلمهم
ا هي المرأَة العصرية عليهِ من الاسراف والتصنع مما ينفي السرور عن قلب الزوج ويبعد
لسعادة عن منزلهِ

ولعمري كيف يقدم الشاب على الزواج وهو يرى اسراف زوجات اصدقائهِ بعينيهِ ويسمع
الذين ازواجهنَّ بأذنيهِ . ومن النادر ان تجد بنتًا تضحي قسمًا من سعادتها على مذبح الحب اذ
ان غرض البنات الاول ان يكون لهنَّ منزل كامل الاثاث ولوازم وان يوضع تحت
امرهنَّ ما أردن من المال وان تطلق لهنَّ الحرية يقضين اوقاتهنَّ على ما يستصوبن بلا مانع
ولا رقيب . وايُّ رجل حرّ ابيّ النفس يرضى ان يأْتمن على شرفهِ امرأَة تشترك في كل حديث
يدور امامها وتسرُّ بالقال والقيل وتقرأُ الكتب التي تشين قدرها وتحطُّ من قدرهِ وادبهِ .
بل ايُّ رجل صادق المحتد كريم المعشر يرضى ان تكون امرأَة مثل هذه امَّ اولادهِ

على ان بين النساء كثيرات يقدرن الزواج قدره ولا يسلمن قلوبهنَّ الى اول طالب او
خاطب بل ان بينهنَّ من يؤْثرن البقاء عوازب اما لشعورهن بثقل مسؤولية الزواج وعدم
مقدرتهنَّ على احتمالها واما لانهنَّ لا يجدن الرجل الملائم لهنَّ . وقد جرت عادة اهل هذا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء والزواج

حضرات الافاضل منشئي المقتطف الاغر

بات الميل الى الزواج في البلاد المتمدنة والبلاد الآخذة في سبيل الحضارة اقل في هذا الزمان منهُ في الازمنة السالفة والذين يتزوجون انما يقدمون على الزواج متأخرين لاسباب مشتركة بين البلدان المختلفة او لاسباب خاصة ببلاد دون اخرى. وقد تناولت احدى مجلات السيدات الانكليزية هذا الموضوع واقترحت على السيدات البحث فيهِ فكتب اربع من المعروفات بينهن اليها يبدين آراءهنَّ فيهِ ويوضحن الاسباب التي أخرت او قللت زواج البنات في انكلترا فمنها ما هو خاصٌّ بانكلترا دون سواها ومنها ما يشترك غيرها معها فيهِ فرأيت ان الخص تلك الآراء وابعث بها اليكم لتنشروها لعل [illegible]

(١) قالت الاولى ان النساء في انكلترا اكثر عدداً من الرجال بسبب الحروب التي لا تنقطع وقد جاءت حرب البوير الاخيرة فجعلت [illegible] لا تستطيع كل امرأة ان تجد زوجاً لها والذي أراهُ انهُ يجب على كل امرأة ترغب في الزواج ألاَّ تكون كثيرة التدقيق في اختيار الزوج بل ترضى بالنصيب الاول الذي يتسنى لها خشية ألاَّ تصيب غيرهُ بعد رفضهِ لا سيما وان الرجال باتوا قليلي الميل الى الزواج لمداجة مطالبهِ

وليس من ينكر ان الرجال باتوا قليلي الرغبة في الزواج وان النساء يتزوجن متأخرات ولكن تأخرهنَّ عن الزواج ليس عيباً جوهرياً على ما أرى فان كثيرين من الذين تزوجوا متأخرين في أنعم بال وارغد عيش وذلك لانهم تزوجوا بعد ان تمَّ تكوين اذواقهم و[illegible] اخلاقهم. وفي مذهبي ان تاج عمر المرأة انما هو الزواج الحقيقي المبني على الحب الصحيح الحق الدائم. على انهُ ليس في طوق كلّ امرأة ان تلبس تاجاً من الذهب والتاج المقلد يتحوّل سلاسل وقيوداً تثقل صاحبها وتذلهُ

دلالة السحنة

اذا كان وجه المريض رائقاً ساكناً فبشره واهله بخير الاَّ اذا حدث ذلك فجأَة بعد مرض اشتدت آلامهُ واوصابهُ. واذا كان وجههُ جامدًا وعيناهُ ثابتتين برَّاقتين فالعاقبة مشومة وتلوّي الوجه دليل اضطراب في البطن . وصفرتهُ مع برد الاذنين ودقة الانف وغور الصدغين منذر بالوبال . وتغضُّن الجبين وانقباض الاجفان دليل اضطراب في الراس . وضيق الانف ورجفان فتحتيهِ نذير رديء

دلالة الهذيان

الغالب ان يكون الهذيان علامة مشومة ولكنهُ كثير الحدوث حتى في الحميات الخفيفة التي تصيب الاطفال ذوي الامزجة العصبية. واذا كان الهذيان يظهر بارتفاع حرارة المريض ويزول بهبوطها فلا خوف منهُ . واذا عقب نزف الدم والعرق الغزير وصحبه انحطاط في القوى واصفرار في الوجه فهو علامة سيئة . وكذلك اذا كان الهذيان خفيفاً والنبض ضعيفاً او اذا انقطع الهذيان فجأة وكان النبض والتنفُّس غير منتظمين اما اذا عقب الهذيان نوم هنيء فالمريض صائر الى احسن

دلالة الأَلم

اذا دام الأَلم في موضع من الجسم دلَّ على تطرُّق الخلل اليهِ وعلى قرب تكوُّن المدة فيهِ . واذا زاد الأَلم بالضغط دلَّ ذلك على حصول الالتهاب . اما في المغص والنفرالجيا والالتهابات البسيطة فان الضغط لا يزيد الأَلم بل يقللهُ على الغالب . واذا لم يشعر المريض بالالم في الامراض التي يصحبها الالم عادة دلَّ ذلك على ضغط على الدماغ . واذا خفَّ الالم بغتةً وكان هناك اعرض أُخرى تستدعي قلق البال لحالة المريض غير محمودة

دلالة النوم

اذا كان نوم المريض طبيعيًا حمل على اطمئنان البال من جهتهِ . اما الارق فليس محمودًا الاَّ اذا نشأَ عن آلام موضعية ليست بذات بال فلا خوف منهُ حينئذٍ . وتقلب المريض عند النوم علامة سيئة وكذلك استيقاظهُ فجأَة بعيد النوم فانهُ قد يدلُّ على مرض في القلب . واذا طال استغراق المريض في النوم دلَّ ذلك على ضغط على الدماغ واذا وقع المريض في سبات عميق فحالهُ ذات خطر ولا سيما اذا جاء ذلك بعد الهذيان

الزمان ان يقولوا ان المرأة هي ما يريد الرجل ان تكون وهذا القول صحيح من بعض الوجوه واصحّ منهُ ان الرجل هو ما تريد المرأة ان يكون

(٣) وقالت الثالثة ان النساء في انكلترا اكثر من الرجال ولما كان تعدُّد الزوجات ممنوعاً فلا تجد كلُّ امرأة زوجاً لها. وجمهور النساء يفضلن الزواج على العزوبة بشرط ان يجدن الاكفاء لهنَّ ولكن كثيرات منهنَّ لا يجدن الاكفاء والوفاً من الفتيات البارعات الجمال الشريفات المحتد الساميات التهذيب الرائعات الادب لم تمدَّ اليهنَّ يد خاطب لقلة طالبي الزواج

هذا وقد كثرت نفقات المعيشة بسبب ميل النساء الى الاسراف حتى بات الرجل المتوسط وهو لا يطيق الصبر على تلك الحال وصار من لوازم طالب الزواج ان يكون ذا مال حتى انك قلما ترى شاباً يطلب فتاة ويتزوجها لسواد عينيها بل لصفرة جيبها

ومما يذكر في هذا الصدد ان بنت العصر الحاضر تختلف عن بنت العصر السالف في نظرها الى الزواج فقد كان البنات فيما مضي يعددن كلَّ رجل بطلاً كريماً ويفتحن اذرعهنَّ وقلوبهنَّ لاول طالب لان غرضهنَّ الاعظم من هذه الحياة كان الحصول على الازواج والاولاد وكانت تراهم غاية الغايات. اما بنت هذا العصر فلا تخرج من المدرسة الاَّ وقد عقدت النية على عمل تعملهُ بعد خروجها من المدرسة فلا تتزوج الاَّ اذا صادفت رجلاً مستوفياً الشروط اللازمة لأن يكون منهُ بعل يعرف مصلحة الزواج فهي تحتقر الحب والمحبين وتزدري ما يرد في الروايات الغرامية عن العشاق والمعشوقين

(٤) وقالت الرابعة كان نساؤنا قبلاً يربَّين على حسبان الرجل المخلوق الوحيد الذي يجب الاهتمام برفاهتهِ وكنَّ يُعلَّمن ان الخليقة خلقت لهُ وان الشمس جعلت لتنير لهُ نهاراً والقمر لينير لهُ ليلاً وان المرأة اشهى اثمار الكون انما سخّرت لتطييب قلبهِ وخدمتهِ. اما نساء هذا الزمان فقد رفعن تلك الغشاوة عن ابصارهنَّ وادركن انهنَّ مساويات للرجال في جميع الحقوق المدنية والادبية فلا عجب بعد هذا اذا رأيناهنَّ يعاملن الرجال بمثل ما يريد الرجال ان يعاملوهنَّ ان خيراً فخير وان شراً فشرّ

وعندي ان اهمَّ الاسباب التي تجعل النساء يحجمن عن الزواج اهتمام الرجال والنساء معاً ان يظهروا احسن حالاً مما هم عليهِ حقيقة وبعبارة اخرى "كساد فنّ الحبّ" فان الحبّ فنٌّ جميل اجدر بزمن اكثر بساطة واقلّ غشاً وفساداً من الزمن الحالي. وغاية ما اقول انهُ اذا كان لك هذا الفنُّ فكلُّ ما يقف الآن عثرة في سبيل الزواج يسهل تمهيدهُ واذا لم يكن لك فاخلق بك أن تنبذ فكر الزواج من رأسك قصياً (احد قارئات المقتطف)

منهُ وانتقل منهُ الى وادي السرابيت وعاد الى السويس في الثالث والعشرين من مارس بعد ان اكتشف آثاراً كثيرة وصوّرها وبحث فيها بحثاً علمياً واستنتج منها نتائج كثيرة يصلح بها تاريخ مصر وتوضح بعض الامور الغامضة فيهِ وتحقق بعض المسائل المختلف فيها ووضع في ذلك كتاباً مسهباً سماهُ البحث في سيناء . ومن المسائل التي حققها مسألة اقامة بني اسرائيل في برية سيناء وارتحالهم فيها وعددهم . وكل ما يتعلق بذلك من المباحث . وقد لخصنا كلامهُ في هذا الموضوع في مقالة ادرجناها في اول هذا الجزء

ومنها مسألة زمن الدول المصرية التي كثر الخلاف فيها فان شمبوليون جعل زمن الدولة الاولى سنة ٥٨٦٧ قبل المسيح ولبسيوس سنة ٣٨٩٢ قبل المسيح وبرغش سنة ٤٤٠٠ قبل المسيح ومريت سنة ٥٠٠٤ قبل المسيح اما بتري فجعل بداءة حكم الدولة الاولى سنة ٥٥١٠ وهاك ازمنة الدول العشر الاول حسب تقدير هؤلاء العلماء

	شمبوليون	بسيوس	برغش	مريت	بتري
(١)	٥٨٦٧	٣٨٩٢	٤٤٠٠	٥٠٠٤	٥٥١٠
(٢)	٥٦١٥	٣٦٣٩	٤١٣٣	٤٧٥١	٥٢٤٧
(٣)	٥٣١٨	٣٣٣٨	٣٩٦٦	٤٤٤٩	٤٩٤٥
(٤)	٥١٢١	٣١٢٤	٣٧٣٣	٤٢٣٥	٤٧٣١
(٥)	٤٦٧٣	٢٨٤٠	٣٥٦٦	٣٩٥١	٤٤٥٤
(٦)	٤٤٢٥	٢٧٤٤	٣٣٠٠	٣٧٠٣	٤٢٠٦
(٧)	٤٢٢٢	٢٥٩٢	٣١٠	٣٥٠٠	٤٠٠٣
(٨)	٤١٧٤	٢٥٢٣	—	٣٥٠٠	٣٩٣٣
(٩)	٤٠٤٧	٢٦٧٤	—	٣٣٥٨	٣٧٨٧
(١٠)	٣٩٤٧	٢٥٦٥	—	٣٢٤٩	٣٦٨٧

ويستمر الخلاف كذلك الى زمن الدولة الثالثة عشرة ثم يقل بعدها فان لبسيوس مثلاً اضطرَّ ان يجعل الرابعة عشرة قبل الثالثة عشرة حتى يقرب زمن الدولة الاولى . ودليل بتري في تعيين زمن هذه الدول تاريخ منيثو وشروق الشعرى في اوقات معينة يمكن الاستدلال على زمانها بالحساب الفلكي ففي الرق المنسوب الى ابرس مثلاً يقال ان الشعرى اشرقت عند الفجر في اليوم التاسع من شهر ابيب في السنة التاسعة من ملك امنهوتب الاول ويظهر بالحساب الفلكي ان تلك السنة كانت سنة ١٥٤٦ قبل المسيح ولذلك فقد رقي امنهوتب سدة الملك

عيادة المريض

لا تدخل غرفة مريض وانت متعب عرقان ان كنت تنوي البقاء عنده طويلاً لانهُ متى برد جسمك بات عرضة للعدوى وكذلك لا تعد مريضاً وانت جائع ولا تعدهُ قبلما تنظَّف غرفتهُ وتهوى صباحاً لان هواء الغرفة يكون محملاً بجراثيم المرض قبل تهويتها اكثر منهُ بعدها

متى خرجت من غرفة المريض فتناول قليلاً من الطعام وبدّل ملابسك بأُخرى

حفظ الصوف والفراء من العث

وجدنا بالاختبار ان اسهل طريقة لوقاية ثياب الصوف والفراء من العث كل مدة الصيف ان توضع في اكياس من البفت (الخام) وتخاط بعد لفقها حتى لا تبقى ثقوب لدخول فراش العث منها . ولا بدَّ من تنظيف الثياب من كل ما يكون عالقاً بها لئلا يكون العث قد ضر بها وبقي فيها

حفظ جلود الحيوانات

اسحق الشب الازرق (كبريتات النحاس) حتى يصير ناعماً وامزج المسحوق بالماء وادهن بهِ باطن الجلد فلا تعود الحشرات تضر بهِ ويحسن ان يمزج الدرهم من الشب الازرق بدرهمين من الشب الابيض فان هذا المزيج يتحد بمادة الجلد فيدبغ بهِ دبغاً



البحث في سيناء

Researches in Sinai

الاستاذ بتري من اشهر علماء الآثار المصرية ونحوها مما يوجد في هذه الديار والديار الشامية . وقد كلّف البحث في شبه جزيرة سيناء في الشتاء الماضي . فان ملوك مصر كانوا يستخرجون النحاس والفيروز من مناجم سيناء وقد تركوا في تلك البلاد نقوشاً وآثاراً كثيرة ظاهرة للعيان ولا بدَّ من ان يكون فيها ايضاً آثار مطمورة او مخفية فكلّف البحث عنها كلها ودرسها درساً علميًّا . فقصد سيناء في الثالث من ديسمبر الماضي ووصل وادي المغارة في العاشر

لكنهُ سينسى حتماً اذا لم يحفظ في بطون الاوراق . هذا وانا نثني على
ى ان يقتدي بهِ غيرهُ فيباشروا ترجمة التنتيري ويوسف بك كرم وغيرهما
ن صدق الرواية ومقتصرين على ما ثبت بالتواتر لكي يكون ما يثبتونهُ
نين في احوال العمران

الثروة العقارية في القطر المصري

كتور الفرد عيد رسالة في هذا الموضوع رفعها الى نظارة الخارجية في
ابان فيها بالادلَّة الكثيرة قيمة العقارات المصرية من اطيان وبيوت
نها ان ثمن اطيان القطر المصري نحو ٣٥٢ مليوناً من الجنيهات وقال ان
ب التاليه وهي ١) ان الاعمال الجارية في الوجه القبلي قد غيرت كثيراً
اوني سويف التي كانت تروى بماء الفيضان فقط فجعلتها تروى ريَّا
ح في الاراضي المزروعة الآن جارٍ بدون انقطاع ومن شأنهِ زيادة قيمتها
عد نحو مليون فدان بور تنتظر الري لتزرع (٤) يوجد عدا ذلك نحو
ن يمكن زرع جانب كبير منها بعد اصلاحه
قاهرة والاسكندرية ومدن القنال ومدن الوجه البحري ومدن الوجه
ن مليون جنيه بالنسبة الى عوائد الاملاك ولكنهُ قدَّر املاك القاهرة
مليون جنيه . واذا كانت املاك بقية المدن نقدَّر هذا التقدير بلغت
جنيه فتكون قيمة الاملاك كلها نحو ٥٥٠ مليون جنيه وعليهِ فقيمة
نحو خمس مئة مليون جنيه . ونظن ان هذا التقدير معتدل جداً
ي نحو ٣٥٠ مليوناً من الجنيهات لان ريعها السنوي يبلغ الآن نحو
يهات يحسب منها ثلاثون مليوناً اجرة المشتغلين بالزراعة والقائمين على
ل العمومية ومصاريف الري الى ناظر الزراعة والكلاَّف والمفوض والاملاك
ن مليوناً
الحكومة وديون الاهالي يبلغ نحو ١٥٠ مليوناً فتكون ثروة الاهالي
الآن نحو ١٢ مليوناً من النفوس فمتوسط ثروة الفرد منهم نحو ثلاثين
ثروة الفرد في بلاد الانكليز . وبلاد يبلغ دينها نحو ثلث ما تمتلكهُ
بلاد غنية ولا يصيب مَن يتمادى في اقراضها الاموال

سنة ١٥٥٤ ثم ان سلفهُ احمس ملك ٢٥ سنة فالدولة الثامنة عشرة ابتدأَت سنة ١٥٧٩ قبل المسيح . ومعلوم ان هذا الحساب تقريبي ولكنهُ يتقدَّم او يتأخر بضع سنوات فقط لاختلاف الاماكن التي رصدت منها الشعرى . ومثل ذلك شروق الشعرى في ١٧ برموده في السنة السابعة من ملك سنوسرت الثالث على ما في درج الكاهون وهو الآن في برلين فان ذلك يوافق سنة ١٨٧٤ قبل المسيح او سنة ٣٣٣٤ قبل المسيح . ثم يعلم من اماكن اخرى ان سنوسرت ملك ٣٨ سنة وامنمهات الثالث ٤٤ سنة وامنمهات الرابع ٩ سنين وسبكنفرو ٤ سنين فانتهت الدولة الثانية عشرة سنة ١٧٨٦ قبل المسيح او سنة ٣٢٤٦ قبل المسيح وعلى الفرض الاول يكون زمن الدولة الثالثة عشرة الى الثامنة عشرة ٢٠٦ سنوات وعلى الثاني يكون ١٦٦٦ سنة لكن سلسلة الملوك المذكورة في جدول تورين تستدعي ان تكون المدة اطول من ٢٠٦ سنوات والَّا لزم ان يحكم ١٢٠ ملكاً في مدة ٤٦ سنة فقط ولا يكون للهكسوس الَّا ٣ سنة وهذا ضرب من المحال والمدة الثانية وهي ١٦٦٦ سنة طويلة جدًّا فرفضها العلماءُ لطولها ولكن اتت آثار سيناء الآن مؤَيدة لها لانها ابانت ان دلالة الشعرى صحيحة لا ريب فيها

والكتاب على هذا النسق من التحقيق عدا ما فيهِ من الوصف الدقيق وفيهِ ١٨٦ صورة بعضها فوتوغرافي وبعضها منقول عن صور فوتوغرافية واربع خرائط وتمنهُ ٢١ شلنًا

ابو سمرا غانم

ابو سمرا بطل من ابطال لبنان الذين قاوموا ابرهيم باشا وكان لهم يد في اثارة الاهالي عليهِ واخراجهِ من بلادهم . ولا بدَّ من ان كثيرين رأَوا اسمهُ في تواريخ لبنان وودوا الوقوف على اخبارهِ بالتفصيل فوضع حضرة خليل افندي همام فائز كتاباً في هذا الموضوع جمع فيهِ اخبار ابي سمرا من حين ولادتهِ سنة ١٨٠٢ الى حين وفاتهِ سنة ١٨٩٥ واخبار جبل لبنان في تلك المدة وما حدث فيهِ من الحروب والثورات الاهلية . والحقهُ بكتب التعزية والمراثي التي وردت على ارملة ابي سمرا من الكرادلة والبطاركة والمطارنة والشعراء والادباء . ولقد احسن في نشرهِ بعض الكتابات الرسمية والاغاني الوطنيَّة بلغتها الاصلية كصورة المحالفة بين الدروز والنصارى وباقي الطوائف اللبنانية سنة ١٢٥٦ هجرية حين اجتمعوا في كنيسة مار الياس انطلياس واقسموا على مذبحهِ ان لا يخونوا بعضهم بعضاً وكقصيد القوَّال يوسف العلاوي . وحبذا لو اكثر من هذه الكتابات والقصائد فان الموجود في ايدي الناس من الكتابات لا يلبث ان يفقد ان لم يجمع وينشر والمحفوظ في الصدور من القصائد كثير يدًا سن

ستحقاق الجريمة فيحكمون على الجاني مثلاً بسجن سنتين او ثلاث سنوات او خمس سنوات لكنهم لا يحكمون بسجن سنتين وسبعة اشهر ولا سنتين وثمانية اشهر ولا سنتين واحد عشر شهراً ولا ثلاث سنوات وشهر ولا ثلاث سنوات وشهرين الخ مع ان جرائم الالوف من الجانين تتفاوت جسامة ويجب ان تتناول كل درجات العقاب من ادناها الى اعلاها ولكن القاضي يتذكر السنة والسنتين والثلاث اكثر مما يتذكر سنتين وسبعة اشهر وسنتين واحد عشر شهراً . وقس على ذلك اموراً كثيرة في القضاء لا تنطبق على علم طبيعي ولا اجتماعي والخطبة نفيسة تستحق ان تتلى بالامعان

الاقلام

صدرت في غرة الشهر الماضي مجلة جديدة اسمها الاقلام لحضرة منشئيها الاديبين جورج افندي طنوس احد محرري جريدة الوطن ومحمود افندي ابو حسين . وهي "مجلة عمومية تبحث في كل فن ومطلب ويشترك في تحريرها جبرة الشعراء والمنشئين" ومن قصائد العدد الاول قصيدة بليغة عنوانها "الاقلام" نظمها حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي لطفي المنفلوطي وها هي بنصها الشائق

يا يراعي لولا يدٌ لك عندي عفت في نظم وصفك الاشعارا
يا يراع الاديب لولاك ما أصـــبح حظ الاديب يشكو العثارا
غيرَ اني اخنو عليك وان لم تك عوناً في النائبات وجارا
انت نعم المعين في الدهر لولا ان للدهر همة لا تجارى
انت نعم الصديق في العيش لولا ان للبؤس بينما اوطارا
لك لله من شهاب اذا ما اظلمت ليلة الهموم انارا
انت مثل الطريد تنبه شيخ مطرق الرأس يجمع الافكارا
أو حبيب سرى لوعد حبيب يلبس الليل خيفة وحذارا
تختلي في اقسيه اصون شمساً في دجى الليل تبعث الانوارا
جمع الله فيه بين نقيضـــين فكان الظلام منهُ نهارا
فهو حيناً نار تلظى وحيناً جنة الخلد تنثر الازهارا
وتراهُ ورقاء تندب شجواً وتراهُ رقطاء تنفث نارا
وتراهُ مغنياً ان تعدا حرَّ ك بين الجوانح الاوتارا

المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي

القاضي قرين الكاهن تولّدا في الاجتماع البشري على نسق واحد وادّعيا كلاهما ان سلطتهما الهيّة ثم جعلا يتنازلان عن عرشيهما الى ان اعترفا ان وظيفتيهما من جملة الاساليب المتولدة في الاجتماع البشري لحفظ كيانهِ . فيجب ان تخضعا للبحث والمقابلة ليرى مقدار نفعهما كما خضعت اساليب الطب والعلاج واساليب الحرث والزرع . فان كان قصاص السارق بالقطع او بالسجن او بالغرامة افيد من غيره للاجتماع البشري وجب العمل بهِ والاَّ وجب العدول عنهُ الى غيره

وقد اطلعنا الآن على خطبة موضوعها المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي لحضرة الاصولي علي بك ابي الفتوح المفتش بالنيابة العمومية ووكيل النائب العمومي القاها في حفلة كبرى لنادي المدارس العليا في ٢٥ مايو الماضي وابان فيها النهضة الحديثة التي نهضها علماء القانون الجنائي لاجل اصلاحهِ ولا سيما بعد ان قال لمبروز ان ارتكاب الجناية عمل يأتيهِ الجاني مدفوعاً اليهِ بميل وراثي فيهِ فهو كالشيب الباكر او كقصر القامة او كضعف الذاكرة لا يسأل صاحبهُ عنهُ وانما يحوّط بما يمنع ضررهُ عن غيرهِ او مرفوعاً لعوارض مرضية "تعرض لهُ كما يعربد السكران ويتشنج المصروع . وقد قال الخطيب او الشارح لخطبتهِ ان العلماء بحثوا هذا المذهب بكل دقة واعتناء وانتهوا بطرحهِ ظهريًّا لانهم تحققوا فساد اساسهِ".
والذي نعلمهُ ان الذين يؤيدونهُ لا يزالون كثارًا ولعلهم اكثر من الذين رفضوهُ . وقال ان المذهب الاجتماعي الجديد يمكن تلخيصهُ في اربع قواعد الاولى اتساع دائرة العلوم الجنائية من حيث تقسيمها وطريقة بحثها . والثانية الاهتمام بصفة الجاني اكثر من الاهتمام بالجناية . والثالثة تضييق دائرة العقاب الاعتيادي وايجاد وسائل أُخرى غيرهِ لمقاومة الجريمة . والرابعة تنظيم العقوبة طبقاً للغرض المقصود منها اعني حماية الهيئة الاجتماعية من المجرمين . ثم شرح هذه القواعد شرحاً مسهباً وابان ما استنتجوهُ منها كصرف النظر عن الجرائم الصغيرة التي تحصل ضد الاملاك اذا عرض المتهم على صاحب الملك ما خسرهُ في الوقت المناسب وابطال مفعول الاحكام على العموم بمضي المدة وابطال العقوبات التي تكون بالحبس لمدد قصيرة وابدالها بالغرامات . ولكن يظهر لنا ان الغاء اكثر القوانين وابدالها بقوانين اخرى مبنية على ما عُرف من درس طبائع الناس وشرائع الاجتماع اسهل من اصلاحها وترقيعها على هذه الصورة فقد ابنّا غير مرة ان العقاب الذي يحكم بهِ القضاة مبني على سهولة تذكرهم لعدد السنين لا على



اوجه القمر في شهر يوليو ١٩٠٦

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٦	٦	٢٨ صباحاً
الربع الاخير	١٣	٠	١٣ مساء
الهلال	٢١	٣	٥٩ "
الربع الاول	٢٨	٩	٥٦ "

السيارات

يرى عطارد ساعة ونصف ساعة بعد الغروب

وتغرب الزهرة الساعة التاسعة

ولا يرى المريخ لقربهِ من الشمس

والمشتري نجم الصباح الشهر كلهُ

ويشرق زحل الساعة ١٠ مساء في اول الشهر وقبل ذلك بساعتين في آخرهِ

بحرية اليابان

رأت اليابان انها تغلبت على الروس باسطولها وان لا بدَّ لها من ان تكون دولة بحرية حتى تحفظ مقامها بين الدول الكبرى فاهتمَّت بانشاء الترسانات (دور الصنعة) في بلادها حتى تستغني بها عن الترسانات الاوربية. وقوة اسطولها الآن ٣٥٦٨٧١ طنًّا وفيهِ احدى عشرة بارجة مجموع قوتها ١٥٤٢٦٨ طنًّا وهي اربع من بوارجها التي جازت الحرب وخمس من البوارج التي غنمتها من روسيا وبارجتان صنعتهما في انكلترا بعد الحرب قوة كلٍ منهما ١٦٣٥٠ طنًّا وفي كل منهما اربعة مدافع من عيار ١٢ بوصة واربعة من عيار ١٠ بوصات و١٢ من عيار ٦ بوصات فهما اقوى البوارج التي تخوض البحار الآن. وطرَّاداتها ثلاث درجات في الدرجة الاولى الطرادات المدرعة التي محمول كلٍ منها ٧٠٠٠ طن فصاعداً وهي عشرة ومنها طراد قوتهُ او محمولهُ ١٣٠٠٠ طن وقد بُني في اليابان وفي الدرجة الثانية تسعة طرَّادات محمولها من ٣٥٠٠ طن الى ٧٠٠٠ وفيها اثنان اصلهما من طرادات الروس. وفي الثالثة ثمانية طرادات. وجملة طراداتها ٢٧ مجموع قوتها ١٤٩٢٧٤ طنًّا. وهي تبني الآن بارجتين محمول كلٍ منها ١٩٠٠٠ طن واربعة طرادات كبيرة محمول كلٍ ١٣٠٠٠ طن اتمَّت اثنين منها وستتم الاثنين الآخرين قريباً وثلاثة طرادات اصغر منها وكل ذلك يبنى في ترساناتها وستكون الثالثة بين الدول البحرية

وتراهُ مصوّرا يرسم الحسن ويغري برسمهِ الابصارا
فتخال القرطاس صفحة خدّ وتخال المداد فيهِ عذارا
هو جسر تمشي القلوب عليهِ لتلاقي بين القلوب قرارا
صامتٌ تسمع العوالم منهُ ايّ صوت يناهض الاقدارا
فهو كالكهرباء غامضة الكنه وتبدو بين الورى آثارا

***

كم أثار اليراع خطباً كميناً وامات اليراع خطباً مثارا
قطرات من بين شقيهِ سالت فاسالت من الدما انهارا
كان غصناً فصار عوداً ولكن لم يزل بعدُ يحمل الأثمارا
كان يستمطر السماء فخال الا مر فاستمطر العقول الغزارا
يسعد الناس باليراع ويلقى ربّهُ ذلة بهِ وصغارا
واشقاء الاديب هل وتر الدهر فلا زال طالباً منهُ ثارا
أرفيقُ المحراث يحيي سعيدا ورفيق اليراع يقضي افتقارا
ما جنى ذلك الشقاء ولكن قد اراد القضاء امرًا فصارا
ليس للنسر من جناح اذا لم يجد النسر في الفضاء مطارا
حاسبوهُ على الذكاء وقالوا حسبهُ صيتهُ البعيد فخارا
اوهموهُ ان الكلام ثراء فغدا يسحب الذيول اغترارا
يحسب النقد للقصيدة نقداً ويرى البيت في القصيدة دارا
ليس بدعاً من هائم في خيال ان يرى كل اصفر دينارا
إن بين المداد والحظ عهداً وذماما لا يلتوي وجوارا
فاللبيب اللبيب من ودّع الطر س وولّى من اليراع فرارا

ومن القصائد قصيدة رقيقة في "القمر" لحضرة الشاعر النابغ مصطفى افندي صادق الرافعي وقصيدة عنوانها "عظة بالغة" او صورة من صور الشقاء الاجتماعي في الشرق لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي محرَّم . ومن مقالاتها مقالة في "اليد اليمنى" واخرى في "العناية بالعين" لحضرة الدكتور اسكندر جريديني

فنثني على همة صاحبيها وندعو لها بالرواج والانتشار . وقيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً صاغاً في القطر المصري و١٥ فرنكاً خارجهُ

بهِ فانتعش حالاً ثم فرّغ الهواء من
غرفة حتى صارت قوة ضغطهِ تساوي ١٢٢
ميترًا فاحتمل المسيو اجازوتي ذلك وهنا
نتهت التجربة . وقد قال عند خروجهِ من
الغرفة انهُ كان يستطيع ان يحتمل الهواء
الطف من ذلك وانهُ لم يفقد شيئًا من
ادراكهِ ولا من قوتهِ

واعاد هذه التجربة مرة اخرى حديثًا
وفرّغ الهواء حتى صار يقابل الهواء على علوّ ٩
اميال اي أعلى مما بلغهُ الانسان بميلين
ونصف ومع ذلك احتملهُ . ولا بدَّ ان هذا
الاكتشاف يعود بفائدة عظيمة على العلم في
المستقبل القريب

سمنت بورتلند

ذكرنا في باب الصناعة كثرة استعمال
هذه السمنت للبناء ثم وقفنا على بعض الحقائق
المتعلقة بهِ وهي ان السمنت قديم الاستعمال
جدًّا كان الكلدانيون والمصريون واليونان
يستعملونهُ من قديم الزمان كما كانوا يستعملون
الجير (الكلس) وذلك انهم رأوا انهُ اذا
كان في الحجارة الكلسية طفال (دلغان)
واحرقت كان منها جير يجمد تحت الماء وهو
المعروف الآن بالسمنت . الاَّ ان القدماء
كانوا يحسبون ان السمنت لا يكون شديد
الصلابة الاَّ اذا صُنع بحرق حجارة شديدة
الصلابة وظلوا على هذا الظن الى القرن

الثامن عشر حين اراد مهندس انكليزي
اسمهُ سميتون ان يبني المنارة المعروفة باديستون
فامتحن كثيرًا من انواع السمنت المائي ليعلم
ايها اصلح لبناء اساس تلك المنارة فوجد
ان قوة السمنت تتوقف على مقدار الطفال
في الحجر الكلسي لا على صلابة الحجر .
وكان في جزيرة بورتلند جنوبي انكلترا مقالع
حجارة كلسيَّة قديمة فجعل واحد اسمهُ اسبدن
يحرق الحجارة الكلسية والطفال فيتكوَّن
منها سمنت يتصلب بعدما يجبل بالماء ويصير
مثل حجارة بورتلند فسمي سمنت بورتلند .
ومن ثم شاع استعمال هذا السمنت وكثرت
المعامل لعملهِ في اوربا ثم في اميركا

ويصنع سمنت بورتلند الآن بمزج الحجارة
الكلسية بتراب دلغاني اي سليكي وسحقهما
معًا وتكليسهما ثم سحق المادة المتكونة منهما
سحقًا ناعمًا جدًّا

صادرات اميركا الزراعية

بلغت صادرات اميركا الزراعية في
ثمانية اشهر آخرها سلخ فبراير الماضي ٧٠٠
مليون ريال (١٤٠ مليون جنيه) يقابلها ٨١
مليون جنيه سنة ١٨٩٦ و ١١٤ مليونًا سنة
١٩٠٠ و ١٣٣ مليونًا سنة ١٩٠٢ و ١١٣
مليونًا سنة ١٩٠٥

ومعظم هذه الزيادة في اهم الصادرات
الاميركية وهي الحبوب والقطن ولحوم المواشي

بحرية روسيا

قررت الحكومة الروسية بناء ١١٨ سفينة جديدة في التسع السنوات الآتية منها ١٢ مدرعة و١٥ طرَّادًا و٤٦ نسَّافة و١٠ غواصات و٧ مدفعيات و٩ من الطراز المعروف باسم مونيتور وهو قريب من المدفعيات وسفينة لوضع الالغام

وهذه السفن ستوزع على بحر البلطيق والبحر الاسود واما الشرق الاقصى فلم يعيَّن لهُ سوى ٦ مدفعيات من سفن خفر السواحل سعة كلٍّ منها الف طنٍّ و٩ مدفعيات اصغر منها للمخر في انهر شمال سيبيريا مما يشير الى عزم روسيا على ترك الشرق الاقصى وشأنهُ في الاحوال الحاضرة

وكلفة هذا الاسطول الضخم نحو ٤٠ مليون جنيه فاذا أُضيفت الى ما تنفقهُ البحرية الروسية كلَّ سنة من السنوات التسع القادمة وُجد ان متوسط ميزانية روسيا البحرية كلَّ سنة من السنوات المذكورة ١٦ مليون جنيه

التنفُّس في الاماكن العالية

زعم بعضهم منذ عشرين سنة ان اعلى علوّ يستطيع الانسان بلوغهُ مع تمتعهِ بجميع حواسهِ ٢٩٥٢٣ قدمًا وان الغالب ان يصاب المصعّد في الجبال او راكب البلون بالاغماء عند بلوغهِ علوّ ١٩٦٨٣ قدمًا فلا يعود يشعر بشيءٍ . ولكن قام المسيو بول برت الفرنسوي بعد ذلك وابان انهُ يمكن المصعّد في الاعالي ان يجتنب خطر الموت من قلة الاكسجين في الهواء بتنفسهِ الاكسجين الاصطناعي ففعل المسيو بسون والمسيو سورنغ ذلك عند ركوبهما البلون من ستراسبرج منذ ثلاث سنوات فبلغا علوّ ٣٤٧٧٠ قدما ولكن احدهما أُغمي عليهِ حينئذٍ

وظهر من تجارب الاستاذ مسُّو الايطالي وتلميذهِ المسيو اجازوتي ان استنشاق الاكسجين الصناعي وحدهُ لا يكفي في الصعود الى الجوّ بل لا بدَّ من استنشاق كمية معلومة من غاز الحامض الكربونيك معهُ . وتجربة المسيو اجازوتي هي انهُ جلس في غرفة مجمرة بمفرغة للهواء وحول رأسهِ غطاء لهُ مصرعان الواحد لاخراج الهواء الذي يفسد بالتنفس والآخر لادخال هواءٍ نقيٍّ استحضرهُ لهذه الغاية وفيهِ ٦٧ في المئة من الاكسجين و١٣ من الحامض الكربونيك و٢٠ من النتروجين ففرغ الهواء اولاً حتى صارت قوة ضغطهِ ٤٤٠ مليمترا وهي تساوي قوة ضغط الهواء على علوّ ١٦٠٠٠ قدم فلم يبدُ عليهِ تأثر من ذلك حتى بلغت قوة الضغط ٣٦٠ مليمترًا فظهرت عليهِ اعراض الاسفكسيا اي الاختناق من قلة الهواء فأُدخل الى الغطاء الذي حول رأسهِ حينئذٍ مزيج الهواء المشار

ثوران يزوف

فصّل الاستاذ جيسب دي لورنزو الايطالي ثوران بركان يزوف الاخير في رسالة بعثها الى الجمعية الجيولوجية الانكليزيَّة قال ان الثوران بلغ اشدَّهُ ليلة الثامن من ابريل الماضي فقذف الجبل رمادًا وحممًا وحجارة الى علو ٣٠٠٠ قدم . وهبت اذ ذاك ريح جنوبية غربية فحملت الرماد عبر بحر الادرياتيك الى الجبل الاسود . وفي التاسع والعاشر من ابريل تغيرت الريح فصارت شمالية شرقية ثم انخسفت فوهة البركان الكبرى فقذف بخارًا ورمادًا الى علوّ ٢٦٠٠ قدم فبلغا سواحل اسبانيا . وفي الحادي عشر منهُ قذفا شمالاً فبلغا باريس واستولى عليها ضباب اصفر جافّ ففحصهُ الاستاذ مونييه الفرنسوي فوجدهُ محتويًا على مواد مثل الرماد الذي قذفهُ يزوف سنة ١٨٢ ولا تزال منهُ عينات في المتحف الجيولوجي بباريس

علاج السرطان

وجد الاستاذ اهرلخ ان من الاورام السرطانية ما يمكن نقلهُ بالتلقيح من فارة الى اخرى فتتعدى بهِ وينمو فيها . ومنها ما اذا نقل من فارة الى اخرى لا تعدى بهِ ولا ينمو فيها ومع ذلك يؤثر فيها تأثيرًا واقيًا فتصير إذا لُقحت بالاورام السرطانية التي تعدي غيرها لا تعدى هي بها . اي ان الاورام السرطانية التي تظهر في الفيران على نوعين نوع ينتقل بالتلقيح من فارة الى اخرى فينمو في الثانية كما نما في الاولى ونوع لا ينتقل بالتلقيح ولكنهُ يؤثر في الفارة الملقحة بهِ تأثيرًا يقيها من السرطان . ولهذا الاكتشاف اهمية عظيمة جدًّا لانهُ يرجى ان يرشد الى اكتشاف طريقة لوقاية الانسان من السرطان

سكان اليابان

أُحصي سكان اليابان في العام الماضي فبلغوا ٤٧٨١٢١٣٨ وسكان جزيرة فرموسا التابعة لليابان فبلغ عددهم ٣٠٥٩٢٣٥ فجملة رعايا اليابان ٥٠٨٧١٣٧٣ اي نحو ٥١ مليونًا فهي مثل اكبر الدول الاوربيَّة في عدد السكان وبلادها جزائر الكبيرة منها مئة جزيرة والصغيرة نحو خمس مئة . ومساحتها كلها كبيرة وصغيرة ١٦١ الف ميل مربع فعدد السكان في الميل المربع اكثر من ٣٠٠ نفس وعدد الذكور فيها اكثر من عدد الاناث بنحو خمس مئة الف نفس

المعلم اسعد الشدودي

نعي الينا من بيروت استاذنا الشيخ الجليل المعلم اسعد الشدودي وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

وألبانها . واعظمها في الحبوب فقد بلغت فيها ١٤ مليون جنيه ثم اللحوم والالبان فبلغت ٦ ١/٣ مليون ثم القطن فبلغت ٦ ملايين

ومعظم الزيادة في الصادرات الى الممالك الاوربية واخصها انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا والى كندا في اميركا. واما الصادرات الى البلجيك واليابان وهولندا والمكسيك فنقصت

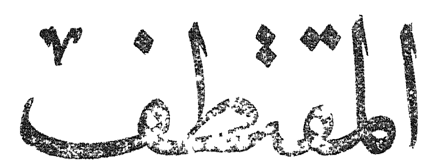
ومع عظم هذه الارقام فقد قلت نسبة الصادرات الزراعية الى غيرها من الصادرات الاميركية سنة ١٩٠٦ عما قبلها . فقد بلغت نسبتها الى سائر الصادرات الاميركية ٥٩,٣ في المئة سنة ١٩٠٦ وكانت ٦٣,٨ في المئة ١٩٠٤ و٦٦,٢ في المئة سنة ١٩٠٢ و٦٨,٩ في المئة سنة ١٨٩٩ و٧١,٩ في المئة سنة ١٨٩٨ وهذا يدل على تقدم الصناعة الاميركية ومناظرتها للمصنوعات الاوربية وقد زادت نسبة الصادرات من المصنوعات الاميركية الى غيرها من الصادرات الاميركية فبلغت ٣٢,٨ في المئة سنة ١٩٠٦ وكانت ٢٧,٢ في المئة سنة ١٩٠٣ و٢٢,٥ في المئة سنة ١٨٩٨ و١٦,٥ في المئة سنة ١٨٩٠

النقب عن آثار فلسطين

عقدت جمعية النقب عن آثار فلسطين جلستها السنوية في اواسط الشهر الماضي بلندن فخطب المستر ستوارت مكالستر مدير النقب خطبة طويلة في الآثار التي اكتشفت في فلسطين حديثاً بادارتهِ . قال وفي جملة ما اكتشف في جزر ابواب مدينة وآثار هيكل لا يبعد ان تميط النقاب عن موت شمشون . ومنازل تاريخها سنة ١٤٥٠ قبل المسيح وكهوف كبيرة فيها ١٥ غرفة يختلف تاريخها بين ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ووجدت في احداها آثار ثمينة من آثار الدول المصرية الوسطى . واكتشف صهريج قديم سعتهُ نحو اربعة ملايين جالون وتمثال من البرونز للالاهة عشتاروت وحصن سمعان المكابي

بلورات رخيصة

اغلى ما في النظارات الفلكية الكبيرة بلوراتها فانهُ اذا كان قطر البلورة ٢٥ سنتيمترًا بلغ ثمنها ٣٥٠ جنيهاً . وقد صنع بعض المجربين الآن بلورات من الزجاج الرقيق وملأوها سائلاً دليل انكسارهِ مثل دليل الزجاج فجاءت رخيصة الثمن جدًّا لا يبلغ ثمن البلورة التي قطرها ٢٥ سنتيمترًا سوى سبعة جنيهات . والسائل الذي في البلورة لا يتبخر ولا يتمدَّد بالحرارة اكثر من تمدُّد الزجاج ما دامت الحرارة بين ١٥ درجة و٦٠ درجة س وهي مثل بلورات الزجاج المصمتة او اجود للآلات البصرية فلكية كانت او غير فلكية



الجزء الثامن من المجلد الحادي والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤

المواليد والوفيات في مصر

نشرت الحكومة المصرية تقرير مصلحة الصحة عن سنة ١٩٠٥ . وقد ضمنتهُ فوائد كثيرة تحسن الاطلاع عليها والانتفاع بها . وفي جملة ذلك فصل للدكتور انجل بك مدير قلم الاحصاء بيَّن فيهِ نسبة المواليد والوفيات الى عدد السكان في الاربع والعشرين سنة الاخيرة اي منذ سنة ١٨٨١ الى آخر العام الماضي . وهذه النسبة غير مدققة في السنوات السابقة للتعداد الاخير الذي حدث سنة ١٨٩٧ لان التعداد السابق لهُ لم يكن مدققاً ولا كان في الامكان ان يعرف عدد السكان بعد ذلك في كل سنة من السنين التي تلتهُ . اما بعد التعداد الاخير فاحصاء المواليد والوفيات صحيح على قدر الامكان ونسبتهما الى عدد السكان صحيحة ايضاً الاّ حيث تكثر المهاجرة فيزيد بها عدد السكان او ينقص ولذلك لا تعود النسبة صحيحة

واذا نظرنا الى نسبة المواليد والوفيات نظرة عامة من سنة ١٨٩٧ الى الآن رأيناها جارية على نسق واحد تقريباً ففي القاهرة كانت المواليد من ٤٠ الى ٤٥ في الالف في السنة والوفيات من ٣٥ الى ٤٠ . وفي الاسكندرية كانت المواليد من ٤٠ الى ٤٥ ايضاً والوفيات من ٣٠ الى ٣٧ . وفي طنطا كانت المواليد بين ٤٠ و٤٥ والوفيات بين ٣٠ و٣٥ . وفي بورت سعيد كانت المواليد نحو ٤٠ في الالف والوفيات نحو ٢٥ في الالف . وفي دمياط كانت المواليد نحو ٤٠ في الالف والوفيات نحو ٢٨ في الالف . وفي المنصورة كانت المواليد بين ٤٠ و٤٥ في الالف والوفيات نحو ٣٥ في الالف . وفي الزقازيق كانت المواليد نحو ٤٠ في الالف والوفيات نحو ٢٥ في الالف وفي دمنهور كانت المواليد ٤٧ في الالف والوفيات نحو ٣٥ في الالف

وهاك جدولاً لمحافظات القطر ومديرياتهِ ونسبة المواليد والوفيات فيها الى عدد السكان

فهرس الجزء السابع من المجلد الحادي والثلاثين

رواية امير لبنان ملحقة بالمقتطف

والناظر في هذا الجدول يستنتج منهُ اموراً كثيرة لا يحسن الاغضاء عنها

فاولاً يجد ان المواليد كثيرة جدًّا لا تصاهيها المواليد في بلد آخر او في مملكة من الممالك
ربيَّة فان المواليد في انكلترا تبلغ نحو ٢٨ في الالف وفي فرنسا ٢١ في الالف وفي المانيا
في الالف وفي ايطاليا ٣٢ في الالف اما في القطر المصري فبين ٤٣ و٤٥ في الالف

وثانياً ان الوفيات كثيرة ايضاً بالنسبة الى ما هي عليهِ في بعض الممالك الاوربيَّة ولكنها
: جدًّا بالنسبة الى المواليد فتقل عنها نحو ١٨ في الالف

وثالثاً انهُ اذا جرت زيادة المواليد على الوفيات على هذا النسق عشرين سنة اخرى بلغ
ي القطر المصري سنة ١٩٢٥ نحو ١٨ مليوناً من النفوس هذا عدا النزلاء الذين يبلغون الآن
١١٢ الفاً ولا بدَّ ما يزيدون عن ذلك ولكن لا تكون زيادتهم من المواليد كما من المهاجرة

ورابعاً يجد ان معدل وفيات النزلاء اقل من معدَّل وفيات الوطنيين والظاهر ان السبب
كبر لذلك قلة مواليد النزلاء فيقل موت اطفالهم ويقل معدَّل الوفيات بسبب ذلك ولا يخفى
اً ان النزلاء يعتنون بصحتهم وبمعالجة امراضهم اكثر من الوطنيين فتقلُّ وفياتهم بسبب
ك . ولا ندري اي الامرين افعل في تقليل وفياتهم ولكن اذا قسنا القطر المصري على
ان الاوربيَّة وراعينا كثرة المواليد وكثرة الاطفال المعرضين للموت لا نجد ان ٢٤ في
لف او ٢٥ في الالف شيء كثير ومع ذلك فاذا زادت التدابير الصحيَّة وزاد الاعتناء
يض المرضى فلا يبعد ان يقل معدَّل الوفيات عن ذلك فيصل الى ٢٠ في الالف او الى
. غير انهُ يخشى ان يقل عدد المواليد كما يقل عدد الوفيات فتبقى النسبة بينهما واحدة
ن الفرق بينهما من ١٨ الى ٢٠ في الالف

ويلي هذا الجدول جداول اخرى يستنتج منها امور ذات بال . من ذلك اولاً ان الذكور
ثر من الاناث في المواليد فقد كان عدد المواليد في المدن الكبيرة ٣٢٧٩٤ من الذكور
٣١٥١ من الاناث

ثانياً ان الوفيات في السنة الاولى من العمر بلغت ٣٧ في المئة من عدد الوفيات كلها
ن السنة الاولى والثانية ١٥ في المئة . وبين الثانية والعاشرة ١٣ في المئة وبين العاشرة
شرين $3\frac{1}{2}$ في المئة . وبين العشرين والستين ١٧٫٤ في المئة وفوق الستين ١٤ في المئة

وثالثاً ان اكثر الوفيات بالاسهال والدوسنطاريا فيموت بهما ٢٤ في المئة من كل
ين يموتون وتتلوها الوفيات بامراض الولادة والضعف ويموت بالسل اكثر من خمسة في المئة
الذين يموتون وبغيرهِ من الامراض المعدية نحو خمسة في المئة وبالدفتيريا نحو ١٫٦ في المئة

وذلك في سنة ١٩٠٥ الماضية

	عدد السكان الوطنيين محسوبًا الى ١ يوليو ١٩٠٥	نسبة مواليد الوطنيين في الالف	نسبة وفيات الوطنيين في الالف	نسبة وفيات الاجانب في الالف
العاصمة	٦٥١٦٩٦	٤١٫١	٣٣٫٧	٢٦٫٠
الاسكندرية	٣١٦٦٣٢	٤٤٫٦	٣١٫٥	٢٠٫١
دمياط	٠٣٧٧٢٧	٤٥٫١	٢٧٫٢	٠٨٫١
بورت سعيد	٠٤٧٢٥٢	٣٧٫٤	٢١٫٦	٢٠٫-
السويس	٠١٦٧١٤	٣٨٫٢	٣٨٫٢	٢٣
الاسمعيلية	٨٢٣٢	٩٤٫٦	٤٠٫٣	١٦٫٨
العريش	٤٩٧٥	٤٥٫٨	١٥٫٥	
القصير	١٧٨٣	٣٥٫٣	٣٠٫٨	
القليوبية	٣٩٠٦١١	٤٢٫٧	١٧٫٤	
الشرقية	٧٤٠٧٤١	٤١٫٢	٣٦٫٤	٨٫١
الدقهلية	٨٥٨٥٤١	٤٩٫٧	٣٦٫١	٨٫٢
الغربية	١٤١٩٤٦٠	٤٤٫٥	٢٦٫٥	١٥٫٦
البحيرة	٦١٥٧٩٢	٤٤٫٥	٢٣٫٦	٠٧٫٢
المنوفية	٩٦١١٦٩	٤٠٫٩	٢٦٫٧	٤٫٩
الجيزة	٤٣١٩٩٧	٥٠٫٤	٣٫٢	
بني سويف	٣٤٥٠٤٩	٤٩٫١	٢٦٫١	١٦٫٩
الفيوم	٣٦٧١٠٩	٤٨٫٧	٣٣٫٦	٦٫٦
المنيا	٦١٧٦٥٠	٤٤٫٥	٢٢٫٦	٣٠٫٨
اسيوط	٩٠٦٥٧٣	٤٣٫٣	١٩٫٧	١٣٫٧
جرجا	٨٠٦٣٤١	٣٦٫٨	١٦٫٣	٤٫٧
قنا	٨٠٨٤٣٧	٣٦٫٧	١٨٫٣	٥٫٥
اصوان	٢٤٣١٠٧	٣٢٫٧	٢٠٫٢	٣٤٫٧
المجموع	١٠٥٩٨٠٨٥	٤٣٫٠	٢٤٫٦	٢١٫٠
سنة ١٩٠٤	١٠٣٨٦٤٢٣	٤٥٫٤	٢٦٫٦	٢٠٫٠

يبحثون من اين يأتونهُ لبلوغ قنتهِ واخيرًا عقدوا النية ان يأتوهُ من الشرق . ولما بلغوا القمة تساقط الثلج عليهم فضربوا الخيام وناموا ليلتهم وكانوا على علوّ ١٦٠٠٠ قدم .
فجر اليوم التالي استأنفوا المسير حتى بلغوا كعب صخر كبير فوقع الاختلاف بين جراهم بلين على الطريق التي يسيرون فيها ولكنهُ سلم لهم اخيرًا لعلمهِ بانهم اكثر خبرةً منهُ في لد الجبال فتسلقوا الصخر وبعد ساعات قليلة بلغوا رأسهُ وكانوا اد ذاك على علوّ ١٩٠٠٠ ولكن حاب املهم لما رأوا بينهم وبين القنة الاصلية هوة عظيمة لا تعبر فوقفوا حيارى .رون ما يفعلون . اما الدليل كوفمان فتركهم وسار يفتش لعلهُ يهتدي الى سبيل للعبور لقنة . وفي اثناء غيابهِ سمعوا صوتًا هائلاً حدث من سقوط صخور عظيمة الى الجليد الذي سفل الهوة على عمق ٦٠٠٠ قدم فاوجسوا خيفة ان يكون كوفمان قد سقط الى اسفل نهُ باداهم وعاد اليهم بعد قليل وهو يظهر رباطة الجاش . وظهر فيما بعد انهُ كان واقفاً صخر عظيم فانهار من تحت قدميهِ الى اسفل الهوة ونجا بمجزة وانما اظهر ما اظهر من رباطة ن وعدم المبالاة خيفة ان يستولي الرعب على الحمالين فيحجموا عن اتمام الصعود

ثم انقلبوا عائدين من حيث اتوا واخذوا يتسلقون الصخر من الجهة المقابلة . ولما صاروا علوّ ١٨٥٠٠ قدم وجدوا بقعة ضيقة تشرف على الهوة وتسع بعض الخيام الصغيرة فباتوا ىم فيها . وفي الساعة الرابعة ونصف من فجر اليوم التالي ارتبط الثلاثة بالحبال وساروا دون القنه الكبيرة فوصلوا سطحًا مائلاً مكسوًّا بالثلج ينتهي بهوة عمقها ٦٠٠٠ قدم ن لا بد لهم من اجتيازهِ فاخذوا يحفرون ثقوبًا في الجليد تحت الثلج وينقلّوا اقدامهم حتى اجتازوا الى الجهة الاخرى بعد ساعتين . ثم تسلقوا سلسله من الصخور علوُّها الف م فبلغوا حضيض القمة الاخيرة وعلوُّها ١٥٠٠ قدم وكانت جوانبها من الجليد وزاوية ها بين ٤٥ و ٦٠ درجة فبدأ كوفمان يحفر مواطئ لقدميهِ واقدام صاحبيهِ وهما يتبعانهِ حتى لوا بعد ساعتين الى علوّ ٢٣٧٠٠ قدم عن سطح البحر فرأوا الى الشمال الغربي منهم جبل يست على امد ٧٠ ميلاً عنهم وجراهم يحسبهُ اعلى جبل في العالم لكن رفيقهُ بُصْ اشار الى بين أخريين خلفهُ وقال تانك القنتان اعلى منهُ بكثير كما يظهر للعيان واجمعوا اخيرًا على بُصْ مصيب في قولهِ . والقنتان المشار اليهما لم يقس ارتفاعها احد الى الآن وقد هما السر جوزف هوكر النباتي الشهير في اثناء رحلاتهِ في تلك البلاد

ثم استأنف الثلاثة الصعود الى القنة العليا على شبه جسر ضيق من الجليد موصل اليها لى اليمين واليسار هوتان يقاس عمقهما بالوف الاقدام . وبعد حفر في الجليد وتصعيد داما

هذا في الوطنيين اما الاجانب فالذكور بين مواليدهم ٦٥٢ والاناث ٥٨٨ . والذين يموتون من اطفالهم في السنة الاولى نحو ٢٣ في المئة من كل وفياتهم وفي السنة الثانية ٨ في المئة وبين الثانية والعاشرة ٦ وستة اعشار وبين العاشرة والعشرين ٤ واربعة اعشار وبين العشرين والستين ٣٧ وخمسة اعشار ومن الستين فصاعداً ٢٠ وستة اعشار في المئة . فموت اطفالهم اقل من موت اطفال الوطنيين وهم يعمرون اكثر من الوطنيين كثيراً ولا شبهة في ان سبب ذلك حسن المعيشة والتدابير الصحيَّة والمعالجة من المرض

ومما يفيد النظر فيهِ ان اكثر المواليد يكون في شهر ديسمبر ونوفمبر واكتوبر ويناير واقلها في اغسطس وسبتمبر وفبراير ويونيو . واكثر الوفيات في يوليو ويونيو ومايو واغسطس واقلها في فبراير ومارس وابريل ونوفمبر

التصعيد في الجبال

التصعيد في الجبال داءٌ مستعصٍ في بعض العلماء استعصاء اكتشاف القطب في البعض الآخر . وقد فاز كثيرون من الاولين بالوصول الى قمم معظم الجبال العالية واما الوصول الى القطب فلم يتسنَّ لاحد بعد مع ان كثيرين ذهبوا ضحية هذا الهوس . وقد بلغ دوق ابروزي ابن عم ملك ايطاليا اقرب نقطة من القطب في رحلتهِ الاخيرة ومن رأْيهِ ان بلوغ القطب ممكن وليس هناك من المصاعب الطبيعية ما يحول دونهُ بشرط ان تتخذ التدابير اللازمة لذلك

اما الجبال العالية التي لم يستطع احد بلوغ قننها بعدُ فمنها جبال حمالايا المتهورة . واعلى قننها قنة افرست علوُّها ٢٩٠٠٠ قدم بقياس حكومة الهند الاخير لها والمظنون انها أعلى قنن الجبال كلها . وسميت افرست باسم كولونل انكليزي كان اول من رآها من البيض واسمها الهنديُّ "جوموكنغ كار" اي سيدة الثلوج

والى جانب قنة افرست قنة أُخرى اسمها كابرو وعلوُّها ٢٤٠١٥ قدماً وهي القنة الوحيدة التي استطاع الانسان بلوغها من بين قنن حمالايا الشامخة . بلغها رجل انكليزي اسمهُ جراهم سنة ١٨٨٣ وبصحبتهِ من الاوربيين دليلان من سويسرا اسم الواحد بص والآخر كوفمان . وقد نشر خبر تصعيدهم اليها حديثاً فرأَينا ان نذكرهُ ملخصاً لما فيهِ من التفكهة

شخص جراهم وصاحباهُ في نفر من حمَّالي الهنود عدتهم واحد وعشرون من مكان اسمهُ دار جيلنغ (مشهور بزرع الشاي) قاصدين قنة كابرو حتى اذا بلغوا سفح الجبل الكبير قضوا

ب هذه الدنيا وفي الاخرى ايضاً على زعمهِ . ولكن الاطباء قالوا انهُ ان لم تقطع يدهُ
الغنغرينا فاماتتهُ ولذلك بنجوهُ رغماً عنهُ وقطعوها
يقال ان البلايا اذا توالت تولت اما بلايا هذا الفتى فلم تتولَّ حينئذٍ وكاس مصابهِ
ولو صارت دهاقاً . فلما رأى نفسهُ فارغ الجيب اقطع اليد لم يعد يبال بركوب كل
مهما كان خشناً حاسباً انهُ لا يخسر فوق ما خسر وقد يربح كل شيء وكان مصيباً في
علَّم في مدرسة مجانية وخدم في ادارة البريد موزعاً للمراسلات ودخل مطبعة وتعلَّم ترتيب
، فيها وظلَّ ينتقل من عمل الى آخر وغرضهُ ان يكتسب ما يسد بهِ رمقهُ الى ان ثار
في ارلندا على الحكومة الانكليزيَّة فانضمَّ اليهم ونظَّم فرقةً من العصاة وحاول قهر
الانكليزية بحفنة من الرجال . عملٌ لا يقوم عليهِ عاقل وقد سي ان الضعيف ينال
الرأي والتدبير . هوذا الشعب الاسرائيلي وعددهُ قليل في البلاد الانكليزيَّة وكان
مضطهداً مستضعفاً فنال كل الحقوق الوطنية برأي افرادهِ وتدبيرهم . وكانت نتيجة
فت وغرورهِ ان قُبض عليهِ وحوكم فحكم عليهِ بالسجن والاشغال الشاقَّة خمس عشرة سنة
، ارلندا من عملهِ حينئذٍ اقل فائدة . وقد افادها بعد ذلك لكن ليس بقوة ذراعهِ بل
وتدبيرهِ كما سيجيء
قضى في السجن سبع سنوات كانت سني درس وتأمل فكان السجن لهُ مدرسة درس
لا يدرسهُ ابناء العظماء في المدارس الجامعة وتعلَّم فيهِ ان يحب ابناء نوعهِ وان يسعى
هم مهما كان جنسهم ومذهبهم . كان كاثوليكياً متمسكاً بدينهِ ولكنهُ لم يكن يكره ابناء
ب الاخرى لمخالفتهم اياهُ مذهباً فكانت الجامعة التي يدعو اليها جامعة الخير العام لنوع
ن لكنهُ بقي حاقداً على الحكومة الانكليزية بل زاد حقدهُ عليها
عفي عنهُ سنة ١٨٧٨ بعد ان اقام في السجن سبع سنوات فمضى الى اميركا واستعان
ندبين الاميين وعلى تأليف عصبة الاراضي يريد بها ان تنزع الاراضي من ملاَّكها
، لسكانها . والارض هناك للاغنياء والعظماء والفلاحون اجراء عندهم او مستأجرون .
الى ارلندا ورفع راية العصيان او راية المطالبة بهذا الحق فثارت ارلندا كلها ولم يمض
سنوات حتى قبض عليهِ واعيد الى السجن فاقام فيهِ نحو سنتين وعفي عنهُ سنة ١٨٨٢
، عضواً في البارلمنت الانكليزي وهو لا يزال في السجن لكن الحكومة لم تسغ هذا الانتخاب
سر السجن من حدتهِ فاعيد اليهِ ثالثةً وكان الحكم عليهِ هذه النوبة بثلاثة اشهر فقط
واعيد انتخابهُ لمجلس النواب مراراً وجلس فيهِ آخر مرة نحو خمس سنوات من سنة ١٨٩٥

ساعتين بلغوا رأس القنة ولكن بقي امامهم رأس اعلى من الرأس الذي بلغوهُ بنحو ٥٠ قدما جوانبهُ قائمة ومكسوَّة بالجليد الصلب المزرق فلم يجدوا فيهِ ممسكاً ليدولا محطاً لرجل . وكانوا حينئذٍ على علوّ ٢٣٩٦٥ قدماً وهو أعلى ما وصل اليهِ انسان حتى الآن . وكتبوا اسماءهم ووضعوها في زجاجة تركوها هناك ونصبوا راية على اقرب الصخور ثم نزلوا الى مخيَّمهم فبلغوها الساعة العاشرة ليلاً وكان القمر منيرًا فقضوا ١٩ ساعة ونصفًا بين صعود وهبوط

وفي سنة ١٩٠٣ تسلَّق رجل اميركي قنة في حمالايا تسمَّى قمة الهرم فوصل الى علو ٢٣٣٩٤ قدماً وكان معهُ امرأة اميركية فوصلت الى علوّ ٢٢٥٦٨ قدما فقط وركب ثلاثة اوربيين اسماؤهم كروى وسبينلي وسيڤل بلونًا وصعدوا بهِ الى مثل ذلك العلوّ فلما عادوا الى الارض وجدوا موتى اختناقًا من قلة الاكسجين

ويقول المصعّدون ان معظم الخطر من تصعيد الجبال في الاماكن العالية ناشئ عن الطقس وتكوُّن قطع كبيرة من الثلج فتتدحرج حتى تصيب المصعدين فتجرفهم في سقوطها الى الاسفل . وقد يبلغ ثقل القطعة منها ملايين من الطنات فتبيد كلَّ ما تصيبهُ في طريقها من الاحياء وقد وجدوا حيوانات ميتة واشجارًا مقلوعة عن جانبي طريق هبطت قطعة ثلج كبيرة فيها وكان سبب موتها شدة ضغط الهواء الناشئ عن سرعة تدهور قطعة الثلج وانحدارها الى اسفل. اما دوار الجبال الذي كثر الكلام فيهِ فالظاهر انهُ لا يصيب الا بعض الناس الذين لم يعتادوا تصعيد الجبال وقد لا يصيب هؤلاء بل يصيب البعض ولا يصيب البعض الآخر فهو كالدوار البحري من هذا القبيل

ميخائيل دافت

الرجال الذين اثَّروا في العالم تأثيرًا عظيمًا يستحقون ان يترجَموا بين العظام سواءٌ كان تأثيرهم نافعاً او ضارًّا لكي يقتدى بهم في النفع وتحذر خطتهم في الضرر . و يشترط لذلك ان يكونوا مخلصين في اعمالهم . ومن هذا القبيل ميخائيل دافت احد زعماء الارلنديين الذي توفي منذ عهد قريب فانهُ كان رجلاً عظيماً وعمل عملاً عظيماً

ولد هذا الرجل سنة ١٨٤٦ ولما كان لهُ من العمر سبع سنوات طُرد ابوهُ من بيتهِ وحرق البيت فاثر ذلك في نفسهِ تأثيرًا لم يمحَ مدى عمرهِ وهرب بهِ ابوهُ الى لنكشير في انكلترا ودخل معملاً من معامل غزل القطن فعلقت يدهُ اليمنى بآلة سحقت عظمها وخلعت مفصلها فاغمي عليهِ من الالم وحُمل الى بيتهِ وهو لا يعي على شيء ولما افاق ابى ان تقطع يدهُ فيعيش

المعلم اسعد الشدودي

لا يخفى ان الارتقاء عمل مستمرّ فالآلة البخارية التي تصنع اليوم ارقى من الآلة البخارية التي صنعت منذ عشرين سنة واكثر منها اتقاناً . والنول الذي يصنع اليوم اصلح من النول الذي صُنع منذ عشر سنوات وقس على ذلك آلات عمل الورق واستخراج المعادن ونسج الطرابيش وعمل الابر والازرار والمركبات والبنادق والمدافع وكل اعمال الناس تقريباً . وهذا الارتقاء يشمل اكثر العلوم والفنون فعلم الطب وعلم الزراعة وعلم الجيولوجيا وعلم الفلك وما اشبه من العلوم آخذة كلها في الارتقاء عاماً فعاماً . ولكن من العلوم والاعمال ما بلغ حد الاتقان في الزمن الماضي وما يمكن ان يبلغ حد الاتقان من غير ارتقاء مستمرّ كعلم الحساب وعلم الهندسة وقرض الشعر وعمل التماثيل فان قواعد علم الحساب الشائعة اليوم ليست اتم ولا اسهل من قواعد علم الحساب التي كانت معروفة منذ مئتي سنة . وقواعد علم الهندسة المستعملة اليوم فلما تفوق قواعد الهندسة التي وضعها اقليدس منذ اكثر من الفي سنة . والشعر الذي ينظم اليوم ليس ابلغ من شعر هوميروس عند اليونان او المتنبي عند العرب والتماثيل التي تصنع اليوم لا تفوق التماثيل التي صنعها اليونان والرومان في سالف عهدهم . اي ان التفوّق في بعض العلوم والفنون يأتي دفعة واحدة يأتيهِ بعض النوابغ الذين ينشأُون في بعض العصور

ولقد كان المرحوم المعلم اسعد الشدودي نابغةً في العلوم الرياضية التي اتصل الى معرفتها كالحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات وما يبنى عليها من العلوم الميكانيكية . كان عقلهُ رياضيًّا كما كانت عقول الرياضيين الكبار ولو لم يكتشف قانوناً جديداً في علم الرياضيات ولا وضع اسلوباً جديداً فيهِ فكان اذا عُرضت عليهِ مسأَلة مما يمكن حلهُ بالجبر او بالهندسة غاص عقلهُ فيها الى ان يحلها

دعي للتعليم في المدرسة الكلية السورية الاميركية في اول انشائها سنة ١٨٦٦ وكنا من تلامذتهِ فيها حينئذٍ فدرّسنا الجبر والهندسة واللوغرثمات والمثلثات المستوية والكروية والمساحة وسلك الابحر . ودعي ايضاً لتعليم الفلسفة الطبيعية فاستخلص من كتاب لومس وكتاب اولمستد كتابهُ المعروف بالعروس البديعة في علم الطبيعة وعني بالقسم الرياضي منهُ فجاء مبنيًّا على الجبر والهندسة من غير التجاء الى حساب التفاضل والتكامل وبقي في هذا المنصب الى ان أُعفي منهُ ودُعينا للقيام بهِ سنة ١٨٧٣

الى سنة ١٨٩٩ ولما نشبت حرب البوير استعفى احتجاجًا على تلك الحرب

قال المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزيَّة في ترجمته انه كتب اليهِ ليرسل له كتابًا يقدمهُ بهِ الى الكونت تلستوي لانهُ كان عازمًا على زيارة روسيا وقال له اكتب في الكتاب "انكم انتم الانكليز سجنتموني تسع سنوات واني انشأت عصبة الاراضي وكنت صديقًا حميمًا لهنري جورج (زعيم الاشتراكيين في اميركا) واستعفيت من مجلس النواب اعتراضًا على حرب البوير" فكأنهُ لخص ترجمة حياتهِ في هذين السطرين

وانشأ جريدة سماها "عالم العمال" صدر اول عدد منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩ وآخر عدد في ٣٠ مايو سنة ١٨٩١ فلم تعش سنة لكنها اثرت في اقامة حزب العمال الذي صار لهُ الآن شأن في البلاد الانكليزيَّة ولا شبهة في انهُ افاد العمال بسعيهِ المتواصل

وكان حليف اسفار حتى لقبهُ بعضهم باليهودي التائه وقال المستر ستد ان اقامتهُ في السجن تسع سنوات ساكنًا لا يأتي بحركة جعلتهُ يقضي تسعًا وعشرين سنة في الاسفار برًّا وبحرًا تعويضًا عما فاتهُ . وكان في اسفارهِ كثير البحث والكتابة وكتابتهُ من الطبقة العليا في بلاغتها ولو لم تخلُ من الشدة لانهُ كان شديد الوطأة على خصومهِ شديد التمسك بما يعتقدهُ صحيحًا ولو كان الضلال بعينهِ مثل حملاتهِ العنيفة على الحكومة الانكليزيَّة لاجل نفقاتها الحربية فانهُ كان يريد ان تقللها اكثر من الثلث وهي لو فعلت برأيهِ لصارت طعمة للدول الاخرى وانقرضت من الوجود . نعم لو اتفقت الدول الاوربيَّة كلها على تقليل نفقاتها الحربيَّة الثلث او النصف او الثلثين لما اثر ذلك في علاقتها بعضها مع بعض وبقيت قواتها متناسبة ولكن ليس من حسن الراي والنظر في العواقب ان تضعف دولة واحدة قوتها وتنتظر ان يقتدي بها اخواتها لانها تصير طعمةً لهنَّ ان لم يفعلن فعلها

ففي اجتهاد هذا الرجل واقدامهِ درسٌ للشبان الذين يريدون التمثل بالعظام وفي تطرفهِ موعظة لهم لكي لا يقدموا على شيءٍ فشلهُ محقق وضررهُ ثابت . وفي سيرتهِ درس آخر لمن لهم علاقة بالحكومة الانكليزية وهو ان لا يغتروا باقوال المتطرفين من الانكليز ولو كانوا اعضاء في مجلس نوابهم ومن اصحاب الكلمة المسموعة في حزبهم اذا كانت اقوالهم مخالفة لمنهاج السياسة الانكليزيَّة العامَّة . فان داڤت وامثالهُ لو عمل بقولهم لتركت انكلترا الهند واستراليا وكندا ومصر وافريقية كلها وارلندا ايضًا وانزوت في جزيرتها وعادت الى ما كانت اليهِ منذ خمس مئة عام . ومعلوم ان ذلك تطرُّف في طلب المحال . ولعلَّ داڤت كان من اعدل رجال حزبهِ ولذلك اكرمهُ كثيرون من عظماء الارض اكرام النظير لنظيرهِ

صاحب الترجمة عاية في سهولة التعبير عن مرادهِ حتى في المسائل الرياضية
ترى في برهانهِ لقاعدة الخطائين بالجبر فقد برهنها هكذا . قال : ان نسبة الفرق
والمفروض الاول الى الفرق بينهُ وبين المفروض الثاني كالخطاء الاول الى الخطاء
ذا اقتصر العمل على الجمع والطرح والضرب والقسمة ولم يدخلهُ ترقية ولا تجذير فاذا
ض الاول م والثاني مَ والخطاء الاول ح والثاني حَ والمجهول ك فاذا كان كلا
كبر من المجهول تكون النسبة هكذا

مَ - ك :: خ : حَ وبالتحويل الى معادلة والمقابلة والقسمة تصير ك $= \frac{\text{خَ م} - \text{ح مَ}}{\text{خَ} - \text{خ}}$

حَ م وح مَ المحفوظين . ويحصل مثل ذلك اذا كان كلا المفروضين اصغر ولكن
دهما اكبر والثاني اصغر تصير النسبة هكذا

: ك - مَ :: خ : حَ وبالتحويل والمقابلة والقسمة تصير ك $= \frac{\text{حَ م} + \text{ح مَ}}{\text{ح} + \text{حَ}}$

تان هما قاعدتا الخطائين اي ان المجهول يعدل الخارج من قسمة فضل المحفوظين
لخطائين اذا كانا كلاهما زائدين او ناقصين . ويعدل الخارج من قسمة مجموع
لى مجموع الخطائين اذا كان احدهما زائدًا والثاني ناقصًا
نقيًّا ورعًا انيس المحضر كثير الفكاهة في الحديث ولا سيما اذا جلس على الطعام
مل ظرف وادب ولهُ القصيدة الفكاهية المشهورة التي يقول فيها

اجلس على الطعام شبه الاسدِ مربَّع الرجلين ممدود اليدِ
ان تجالس زمرة اكيلهْ امامهم اطعمة قليلهْ
اك ان تكثِّر الكلاما فتخسر الكلامَ والطعاما

أ قصيدتهُ هذه وسمعهُ يتكلم في وصف الطعام الشهي ظنهُ من الفلاسفة
، مع انهُ يراهُ من وجه آخر من ازهد الناس في الدنيا ولذلك لم يجمع في شبابهِ
قليلاً من حطام الدنيا ثم انفقهُ في شيخوختهِ
حرَّ الضمير لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يراعي مقام كبير ولا وجيه في المجاهرة
صافهِ بالدعة والتواضع التام والبعد عن الدعوى
ولادتهُ في قرية عاليه بلبنان سنة ١٨٢٦ وتوفي في مدينة بيروت في الخامس
ن شهر مايو الماضي ولهُ من العمر ثمانون سنة

قلنا ان عقلهُ كان رياضيًّا ودليلنا على ذلك انهُ كان يغوص في المسائل الرياضية ويذهل
غيرها الى ان يهتدي الى حلها والغوص في المسائل وحصر الفكر فيها من الامور الممدوحة
كنهما يصرفان المرء غالبًا عن مهام الدنيا والاحتيال للمعاش ولهذا اشتهر اكثر الفلاسفة
م كانوا منقطعين عن العالم غير مهتمين بتعاطي الاعمال او غير متلحين فيها. وكان صاحب
جمة من هذا القبيل

ولا بدَّ لترقية العلوم من اناس يشتغلون بها لذاتها فينقطعون عن كل ما سواها ولكن
ب ان يكون في البلاد التي يقومون فيها مدرسة او حكومة تكفيهم مؤُونة الاهتمام بالامور
اشية لكي يتفرَّغوا للمباحث العلمية فلم ينل صاحب الترجمة ذلك ولا نالهُ غيرهُ من اهل
ده ولا استطاع ان يقاوم ميلهُ الطبيعي ويجري في ميدان الاعمال ويجاري المتلحين
مع انهُ حاول ذلك غير مرة

وهو من التلامذة الأُوَل الذين درسوا في مدرسة عبيه الاميركية . ولما انشأ الدروز
رسة الداودية في عبيه اختاروهُ للتعليم فيها ثم علَّم في مدرسة سوق الغرب الانكليزية قبل
اله الى المدرسة الكلية . وكان عارفًا باللغة الانكليزية حسن الانشاء باللغة العربية ولهُ
نظم حسن اكثرهُ ديني وبعضهُ هزلي . ومن منظوماتهِ امثال سليمان الحكيم ونظمها سلس
ب المأخذ كقولهِ

مخافة القدير رأس الحكمه ... فمن حواها حاز كل نعمه
بالحكمة الجهال تستهينُ ... لكن بها الحكيم يستعينُ
يا ابنِ اذا اغراك اهل الشرِّ ... للسير في طريقهم لا تجرِ

وقولهِ

لستةٍ يبغضها ربُّ العلى ... بل سبعة يكرهها من الملا
عيون كبرٍ ولسان يكذبُ ... ايدٍ جنت قتلَ الاولى لم يذنبوا
قلبٌ غدا ذا فكرٍ فظيعه ... رِجلٌ الى جناية سريعه
شاهد زور كذبهُ اشاعا ... يزرعُ بين الاخوة النزاعا

وكقولهِ عن لسان الحكمة

لي الرأي لي الشورى انا الفهم الذكي ... وبي القوى ولي قويم المسلك
بي تملك الملوك والولاةْ ... وفي القضاء تعدلُ القضاةْ
قد كنت منذ البدء قنية العلي ... مُسحتُ في القديم منذ الازلِ

وقد قدمت هذه القصيدة الى امبراطور المانيا حينما زار سورية فامر بطبعها على نفقتهِ

بعدهِ الشاسع عن الشمس . فان البعد بينهُ وبينها من ١٢٨ الى ١٥٤ مليون ميل . وعلى ذلك يجب ان يكون كرة يغطيها الجليد على الدوام ولكننا نعلم ان حرارتهُ ليست دون حرارة الارض بكثير

اما الادلة على وجود الماء فيهِ فاهمها ظهور بقع بيضاء عند قطبتيهِ في اوقات معينة ثم اختفاؤها والمرجَّح ان تلك البقع ثلج او صقيع . وقد مضى على الفلكيين مئتا سنة وهم يرقبونها ويرونها سنة فسنة حتى صرنا اكثر علماً بها منا باصقاعنا القطبية

وقد ارتأى بعضهم ان ذلك البياض غاز جامد يظهر تارة ويختفي أُخرى ولكنَّ الاستاذ برسيفال لويل أبان ان ظهور البياض في الشتاء واختفاءهُ تدريجًا في الربيع والصيف لا يمكن ان يكون سببهما سوى تكوُّن الثلج وذوبانهِ واستدلَّ على ذلك بالمناطق المظلمة التي ترى حول حدود البقع البيضاء بلا خلاف وتتقهقر معها نحو القطبتين في اثناء ذوبانها ثم تختفي باختفائها وقال ان تلك المناطق القاتمة لا يمكن ان تكون مؤلفة من غاز الحامض الكربونيك بل لا بدَّ من ان تكون ماءً لا سيما وانها مزرقة مثل الماء . وقد اثبت الاستاذ بكرنج انها ماءٌ بفحص النور الذي ينعكس عنها

وماءُ المريخ محصور في قطبتيهِ لا قطرة منهُ خارجهما . وهذا ما يحدث في سيار اقدم من الارض بملايين من السنين لانهُ كلما طال القدم على عالم جعل ماؤهُ يقلُّ حتى ينضب وبقلة الماء تقلُّ الاحياء وبعد الوف من السنين تنقرض كلها ويبيت كأَن لم يكن فيهِ انيس ولا سامر

حوّلِ الارض الى مثل ما عليهِ المريخ اي اجعلها كرة ناضبة البحور يتهدد اهلها الموت عطشاً اذًا لرأيتهم قد نبذوا كلَّ خلاف بينهم وباتوا ولا شاغل يشغلهم غير مسأَلة واحدة وهي جر المياه التي تحدث عن ذوبان الثلج في قطبتي الارض الى المناطق المعتدلة والحارة لردّ رمقها واحياء مواتها . وذلك يكون بحفر الترع فيها في كل جانب . وعليهِ فاذا كان المريخ مسكونًا وكان فيهِ هواءٌ وماءٌ فلا غنى لاهلهِ عن عمل اعمال عظيمة في سبيل ارواء الاراضي التي نضب ماؤُها تخلصاً من الموت جوعاً وعطشاً فجرُّ الماء من البحور القطبيَّة عندهم اعظم شأنًا في اعينهم من فيضان النيل كلَّ سنة في اعين المصريين

وفي المريخ ايضاً بقع مخضرَّة واخرى محمرَّة وقد اختلف الفلكيون رأيًا في ماهيتها ولكن اقرب تلك الآراء من الصواب رأْي الاستاذ لويل وانما قلنا اقربها من الصواب لانهُ مبنيٌّ على اسباب جيولوجية وطبيعية صحيحة وعلى سلسلة ارصاد تمتدُّ الى سنين كثيرة . ورأْيهُ ان

المريخ وسكانهُ

النجوم التي نراها نقطاً في قبة السماء عوالم كبيرة اصغرها اكبر من قمرنا واكثرها اكبر من ارضنا بل من شمسنا مراراً كثيرة وبينها نجم احمر اللون اسمهُ المريخ هذا النجم سيار اي انهُ تابع من توابع الشمس يدور حولها كما تدور الارض حولها وهو اصغر من كرة الارض كثيراً وقد بحث كثيرون من العلماء عما اذا كان مسكوناً او غير مسكون فان كانت احوالهُ موافقة لسكن الاحياء فيبعد عن الظن ان يكون خالياً منها فانك حيثما تجد تراباً وماء وهواء على وجه الارض تجد هناك النبات والحيوان ناميين والتراب غير لازم ابتداء لان الماء والهواء يفتتان صخور الارض ويكونان منها تراباً فكل ارض وجد فيها الهواء والماء فقد توفرت فيها الشروط اللازمة لحياة النبات والحيوان

وقد اطلعنا على مقالة لولدمار كامفرت في مجلة منسي عن سكان المريخ جمع فيها الحقائق التي عرفت حتى الآن عن ذلك السيار فعربناها بقليل من التصرُّف والاصلاح

ان اول ما تجب معرفتهُ ما اذا كانت الشروط اللازمة لوجود الحياة متوفرة في المريخ. فاذا كانت كذلك فما يمنع وجود احياء عاقلة فيهِ . ونحن نعلم ان الحياة في ارضنا متوقفة على شيئين الهواء والماء وهي ليست في الحقيقة سوى سلسلة تغيرات كياوية ناشئة عن فعلهما

اما عن وجود الهواء والماء في المريخ فجهد ما يقال ان اكثر الفلكيين شكّاً وارتياباً لا ينكر ان المريخ مكتنف بهواء مؤلف من غازات تشبه غازات هوائنا . غير ان اكثر الفلكيين اعتقاداً بانهُ مسكون لا ينكر ان هواءهُ على غاية اللطافة والشفوف بحيث لا يستطيع ساكن الارض ان يعيش فيهِ طويلاً . ولطافة هوائهِ تحاكي لطافة هواء الارض على علوٍ عظيم. ولكن لا يغرب عن البال ان اجسامنا صنعت لتلائم هذه الارض فقط وان لطافة الهواء في المريخ ليست مانعاً يمنع من وجود الاحياء فيهِ فربَّ احياء تلائمهم لطافة الهواء ولا تلائمهم كثافتهُ

وجوُّ المريخ هادئ ساكن لا عاصفة فيهِ تعصف ولا سحب تتلبَّد فتنذر بالامطار بل ان سماءهُ صافية الاديم على الدوام تشرق الشمس فيهِ وتغرب فلا يحجب شعاعها حاجب. والذي يترجح في الذهن ان في هوائهِ بخار ماء يتحوَّل ندًى احياناً وقلما يتحوَّل مطراً . وان بخار الماء هذا يتكوَّن منهُ غلاف شفَّاف يكتنف السيَّار من كلّ جانب ويمنع زيادة اشعاع الحرارة منهُ . والاَّ فلا يمكن تعليل بعض احوالهِ المخالفة لما يجب ان تكون عليهِ نظراً الى

وهذا الاعتراض يصح لوكان هناك شكل واحد او شكلان لا اشكال عديدة واليضاحا لذلك اعصب عينيك وخذ قطعة طباشير وارسم بها خطًّا على اللوح ثم دُرْ قليلاً وعدْ فارسم خطًّا آخر تريد ان يقطع الاول ثم در وعد فارسم خطًّا ثالثًا تريد ان يتقاطع هو والاوَّلان في نقطة تقاطعهما وافعل كذلك اربع مئة مرة بعدد الخطوط التي اكتشفت على المريخ ثم ارفع العصابة عن عينيك فترى ان الخطوط التي تتقاطع في نقطة مشتركة قليلة جدًّا. اذًا فلا محلَّ للصدفة والاتفاق في تقاطع خطوط المريخ في نقطة واحدة بل هو نتيجة فعل فاعل

ومثل الترع غرابة البقع التي تتجه الترع اليها وهذه البقع يتصل بعضها ببعض بترع ايضًا فلا تجد بينها بقعة منفردة منقطعة . وهي مستديرة الشكل دائمًا وتكبر بعد فتح الترع . وقد ذهب بعضهم الى انها بحيرات ولكنها ليست كذلك بل المرجح انها واحات لان لون البحيرات لا يتغير واما لون هذه فمتغير تغير لون الزرع مما يدل على انها مزروعة

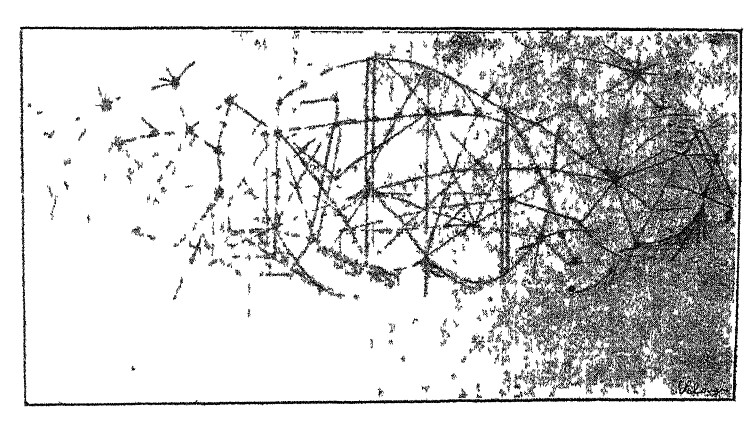
ومن مظاهر الترع والواحات انها تأخذ تتوارى عن العيان في اوقات معينة كلها او بعضها حتى تختفي فان كانت الترع حفرًا حقيقية فيظهر كأن اصحابها يطمرونها تارةً ويردمونها أخرى كلَّ سنة مما لا يعقل ولكن من رأْي الاستاذ بكرينج انما لا نرى الترع البتة ولو في اشد اوقاتها ظهورًا بل نرى البقع الخضراء المخصبة التي في الواحات والضفاف التي على محاذاة الترع ويؤيد رأيهُ هذا بان لون الترع (اي ضفافها) يكمدُّ تدريجًا باقبال الصيف وان اتساعها وتلاشيها يطابقان تغير الفصول

ومهما يكن في ظهور الترع آونة واختفائها اخرى من الغرابة فان اغرب منهما ظهورها مزدوجة احيانًا واول من رأى ذلك الازدواج سكياپارلي ولكن قليلين من الفلكيين يسلّمون بهِ وبعض الذين رأوهُ ينسبونهُ الى خداع العين فان صحت دعواهم وجب ان ترى الترع كلها مزدوجة في وقت واحد وليس الامر كذلك . وابحاث الاستاذ لويل الاخيرة تثبت ان الازدواج حقيقي لا خداع بصري وهو ضفتا الترعة وقد زكا الزرع فيهما

واذا ثبت ان الترع صناعية حفرها سكان المريخ لارواء اقاليمهم الاستوائية فليس في طبيعتهِ ما يستوجب الدهشة من عظمها . فان جرمهُ اصغر من جرم الارض وقوة الجاذبية على سطحهِ اضعف من قوة جاذبية الارض على سطحها وبعبارة أُخرى ان الاجسام اخفُّ في المريخ منها في الارض وكلما صغر السيَّار كبرت اجسام سكانهِ وخفت حركتهم لضعف جاذبيتهِ . ولو امكننا الانتقال الى احد النجوم الثوابت الذي حجم ارضنا بازائهِ كحجم الحمصة بازاء الجبل لبلغ ثقل الواحد منا عدة طنّات ولاقتضى لهُ آلة خصوصية يستعين بها على

البقع او الخطوط المحمرَّة صحارٍ والبقع المخضرَّة اراضٍ مزروعة وهذا هو رأي الاستاذ بكر
ايضاً . فقد أبان الاول انها ليست بحوراً لان لونها يتغير بتغير الفصول — تخضرُّ في الربيع
والصيف وتحمرُّ في الخريف ويزول لونها في الشتاء . وأيد الثاني رأيهُ بفحص النور المعكوس
عنها كما فحص النور المعكوس عن المناطق القائمة على ما ورد آنفاً

وزاد الاستاذ لويل على ذلك انهُ اورد الادلة المقنعة على ان بين البقع المخضرة والبقع
البيضاء ترعاً عظيمة لا غنى عنها لحفظ الحياة على سطح المريخ وهي الخطوط التي اكتشفها
شيابارلي الفلكيُّ الايطالي وسماها ترعاً فأبى الفلكيون الاعتراف بها اولاً وبقوا على ذلك
سنين طوالاً قائلين انها من قبيل خداع العين الى ان صوَّرها المستر لمبلاند في مرصد لويل
السنة الماضية فنفى عن الاذهان كلَّ شك وريبة في صحة وجودها لانهُ ان كانت العين
تنخدع في رؤية الاشباح والمرئيات فآلة التصوير لا تخدع ولا تنخدع



صور ترع المريخ

وكيفية توزع تلك الترع على سطح السيار تدلُّ على انها اصطناعية لا طبيعية فانها تمتد
من البقع المخضرَّة الى البقع المحمرَّة في اقصر الطرق واقربها . وفي وسط البقع المحمرَّة تلتقي
بخطوط تشبهها شكلاً . وهي ضيقة جداً لا نكاد نراها لولا عظم طولها فان منها ما طولهُ مئات
من الاميال ومنها ما طولهُ عدة الوف . والتقاؤها في مواقع كثيرة لا يمكن ان يكون طبيعياً
على ما يظهر بل هو اصطناعيٌّ مقصود لما فيهِ من الضبط والدقة . وهذه الخطوط ومحل التقائها
اشبه شيءٍ بالسواعد التي في عجل المركبات وهي كثيرة في المريخ

وربَّ معترض يقول ان انتظام شكلها من الحوادث الطبيعية فلا محلَّ ليد الاحياء فيهِ .

الشفاء شأنهم في سائر طرق العلاج من عقاقير وادوية وما شاكل ولا يزال بعض الامم يجري على اساليبهم كبراهمة الهند فيضطجع البرهميُّ منهم ويرخي عضلاته ويأخذ يتنفس تنفساً عميقاً شديداً اثنتي عشرة مرة . ثم لا بدَّ له ان يتصوَّر في ذهنهِ انهُ وهو يستنشق الهواء يستنشق معهُ قوة روحانية مما وراء الطبيعة . وان رجليهِ وقدميهِ انابيب مجوَّفة فيتنفس تنفساً طويلاً خمس مرات كأنهُ يدخل الهواء اليها . وان ذراعيهِ ويديهِ ومرفقيهِ وركبتيهِ ووركيهِ وكتفيهِ وبطنهُ وصدرهُ ورأسهُ كذلك فيتنفس طويلاً لادخال الهواء اليها واخيراً يتنفس تنفساً طويلاً وهو يتصور ان الهواء يتخلل مسام جسمهِ كلها . وهذه الطريقة وان تكن مما يوجب الهزء والضحك في حد نفسها تفعل فعل الدواء الشافي في متبعيها ايماناً واحتسابا

واذا أُجهد احدهم قواهُ العقلية ورام ترويضها واراحتها اضطجع على الارض ويداهُ مشتبكتان على رأسهِ . ثم يأخذ يتنفس تنفساً بطيئاً بحيث يكون طول التنفس طول خمس نبضات من نبضات قلبهِ ويوقف التنفس مقدار نبضة واحدة ويخرجهُ مقدار خمس نبضات ويوقفهُ مقدار نبضة . ويلزمهُ ان يتصوَّر وهو يخرج النفس من صدرهِ انهُ يوزع على يديهِ ورجليهِ دماً من دماغهِ . فاذا فعل ذلك وهو منزَّه عن مشاغل الحياة وهمومها لم ينتهِ منهُ الا وقد انتعشت قواهُ وعاد اليهِ نشاطهُ على ما يزعمون

ويروّض الواحد منهم جسمهُ لتقوية صحتهِ بأن يقف منتصباً ويأخذ في تنفس الهواء تنفساً قصيراً متقطعاً وعليهِ ان يعتقد انهُ يتنفس هواءً شهياً منعشاً ثم يخرج النفس على مهلٍ . فاذا فعل ذلك مراراً في اليوم شعر بانتعاش وتجدُّد في قوتهِ

ومن الناس من كان يزعم ان ترويض الجسم بالتنفس المنتظم يساعد على اتقان الفنون الجميلة كالشعر والتصوير والنقش فكان الشاعر والمصوّر والنقاش يأتون بما يسمى "التنفس الالهامي" قبل الشروع في اعمالهم بدليل ما ورد في بعض الكتابات من ان من يستخدم التنفس الالهامي بايمان وثبات ومدة طويلة فقد يصير شاعراً كبيراً او مصوّراً او موسيقياً حسب ما يشتهي ويريد . وطريقة هذا التنفس هي ان يقف الرجل منتصباً ويطفق يتنفس تنفساً بطيئاً مدتهُ مدة سبع نبضات من نبضات القلب ويرفع ذراعيهِ وهو يتنفس حتى تلتقي يداهُ فوق رأسهِ ويحني رأسهُ في اثناء ذلك الى الوراء . وعليهِ ان يعتقد وهو يفعل ذلك انهُ يتنشَّق روح الشعر او الموسيقى او ايٍّ كان من الفنون التي يسعى في تعلمها واتقانها . ويحبس نفَسهُ مدة اربع نبضات ثم يخرجهُ مدة سبعٍ وهو يخفض ذراعيهِ ويحني رأسهُ الى الامام

وهذه الطريقة مبنية على اساس فسيولوجي صحيح ولو جهلهُ متبعوها او لم يحاولوا بيانهُ .

الانتقال من مكان الى مكان . اما حالة المريخ فعلى عكس ذلك فان ثقل الواحد من سكانهِ ثلث ثقل الواحد منا وحجمهُ ثلاثة اضعاف حجم الواحد منا اذا تساوت بقية الملابسات ويظهر بالحساب ان قوتهُ تساوي قوة ٢٧ رجلاً منا . واذا تذكرنا ان قوة الجاذبية على سطح المريخ اضعف منها على سطح ارضنا ادركنا اذ ذاك ما يستطيع ابن المريخ عملهُ من الاعمال الجسام . فانهُ يعدو بسرعة الاوتوموبيل ويقلّب بين اصابعهِ جسماً ثقلهُ طنان ونصف طن ويلعب بهِ كما يلعب الواحد منا بالكرة ويحفر من التراب في ساعة من الزمان ما لا يستطيع ٦٠ او ٧٠ عاملاً عندنا حفره

والمرجح ان سكان المريخ ارقى في مداركهم العقلية من سكان الارض وانهم ظهروا على المريخ قبل ظهور الانسان على الارض بعدة ملايين من السنين لان السيار وجد واعد لسكن الاحياء قبل الارض بملايين من السنين وما زالوا منذ خلقهم في تقدم وارتقاء فلا يبعد ان يكونوا قد اخترعوا الآلات الميكانيكية منذ عهد بعيد جدًّا واتقنوها الى حد ان آلاتنا لا تعدُّ شيئاً مذكوراً في جنبها

هذا ولما كانت حرارة المريخ تحفظ فتصير اعلى من حرارة ارضنا وهواءهُ الطف من هوائنا والوسط الذي تضطر الاحياء ان تطابق بين انفسها وبينهُ يختلف عن وسط الارض فلا بدع ان يختلف سكانهُ عنا في كل شيء . والبحث في اشكالهم وهيئاتهم احقُّ بباب الخيالات منهُ بباب الحقائق

ترويض الجسم بالتنفس

من عضلات الجسم ما يتحرك حركة اختيارية ومنهُ ما يتحرك حركة اضطرارية . فالاولى هي التي تخضع لحكم الارادة فنحرّكها وتنقبض وترتخي عند ما نشاء مثل عضلات اليد والرجل والثانية هي التي لا تخضع لحكم الارادة فلا نستطيع تحريكها وايقاف حركتها عند ما نشاء مثل عضلة القلب والعضلات التي تدير حركة الرئتين عند التنفس بل ربما كانت عضلات التنفس بينَ بينَ اذ في وسعنا قطع النفس الى حدٍّ محدود . ومثل هذا يقال في القلب فان من الناس من يستطيع التحكم بضربان قلبهِ فيوقفهُ بضع ثوانٍ طوعاً لارادتهِ كما عرف عن بعض مشعوذي الهنود ولكن هذا نادر لا يبنى عليهِ حكمٌ

وقد كان الاقدمون يعالجون مرضاهم بالتنفس ويعزون اليهِ كلَّ خارق من خوارق

على قدر الامكان مع عقد اليدين على الرأس

ويمكن التنفس برئة واحدة . فاذا اردت التنفس بالرئة اليمنى مثلاً فارفع اليد اليمنى فوق رأسك وضع اليد اليسرى في ابطها وانحنِ عليها ثم تنفس . وافعل عكس ذلك اذا اردت التنفس بالرئة اليسرى فقط

ومن الاطباء الحديثيين الذين وجهوا عنايتهم الى التنفس والعلاج بهِ الدكتور هري كمبل . ومن الطرق التي اوصى بها لتمرين الجسم بالتنفس ما يأتي : —

(١) قف منتصباً وتنفس تنفساً طويلاً عميقاً ثم أخرج النَفَس ببطء وسهولة وحاول ما استطعت ان لا تحرّك بطنك

(٢) أخرج النفس من صدرك وانت تنحني الى الامام ثم تنفّس تنفساً بطيئاً

(٣) تنفَّس تنفساً طويلاً ثم اخرج النَفَس وانت تنحني الى الامام

(٤) قف مفرشخاً وخذ نفساً طويلاً حرّك بهِ بطنك ما استطعت من غير ان تحرّك صدرك . ثم اتبع ذلك بزفير سهل بطيء

(٥) اجلس على الارض وضع يديك في حضنك وانحنِ الى الامام ما وسعك ذلك وخذ نفساً عميقاً من بطنك وفمك مطبق ثم ارفع رأسك رويداً رويداً وضع يديك فوق رأسك وخذ نفساً عميقاً من صدرك . ولا تتجاوز مدة ذلك كلهِ ست ثوانٍ . ثم اخرج نفسك متنهداً في ثانية واحدة

وفي اثناء هذه الوصايا تجب مراعاة الامور الآتية وهي ان يكون الهواء نقياً والجسم مجرداً من كلّ ما يعوق سير الدورة الدموية مثل القبات الضيقة والحزامات والمشدات وسائر الاربطة . وان يكون الفم مطبقاً فيمرُّ الهواء في الانف منقّى من الغبار مسخّناً

اما فائدة التنفس بالبطن فهي تنبيه الكبد البليدة الى وظيفتها بضغطها بين الحجاب الحاجز وجدار البطن وتنبيه المعدة الى اتمام عمل الهضم اذا طرأ عليها طارىءٌ يؤَخره . وفائدة التنفس بالصدر دفع الدم الى الاوعية الدموية التي في البطن من سائر اعضاء الجسم فاذا أُتبع ذلك بتنفس من البطن اندفع الدم الى القلب وبهذا يزول ما يصيب الاوعية الدموية من التضخم والاحشاء من الاحتقان . ولا يخفى ان سعة الصدر خير واقٍ من الامراض الصدرية مثل السل والتهاب الشعب . وما ذكر من التمارين ادعى الى سعة الصدر من الالعاب الرياضية المشهورة وادفع للداء . وهي تفيد في امراض القلب لانهُ اذا كثر توارد الدم الى الرئتين لا يعود القلب يغصُّ بهِ . وتفيد في الارق وضعف الاعصاب ايضاً

اهمّ وظائف التنفس تهوية الدم ولكن من وظائفهِ ايضاً تقوية الدورة الدموية في الجسم
فظ المعدة وسائر الاحشاء في حركة مستمرّة . ولا يخفى على كلّ من لهُ اقلّ علم بالتشريح
الصدر مسيج بالاضلاع ومسدود من اسفلهِ بعضلة مصفحة متينة هي الحجاب الحاجز وهو
شكل قبّة . وفي اعلى الصدر قمتا الرئتين والاوعية الدموية الكبيرة وفي اسفلهِ اسفل
ئتين والقلب مستقرٌّ على الحجاب الحاجز . وتحت الحجاب الحاجز الاحشاء وهي المعدة
لطحال والكبد وما تعلق بها والامعاء والكليتان

وعند التنفس وبعبارة اخصّ الشهيق تنتفخ الضلوع وتهبط قبة الحجاب الحاجز و
طّح . ولكن الناس يختلفون في كيفية تنفسهم كثيراً فبعض الرجال وجميع النساء يتنفسون
اعلى صدورهم خصوصاً والنتيجة انهُ اذا امتلأَت قمتا الرئة هواءً ضغطتا الاوعية الدموية
برى وعاقتا الدم عن الرجوع من الرأس كما يرى في احمرار وجه المرأة التي تجهد نفسها وهي
سة المشدّ ووجه المغني اذا رفع عقيرتهُ واطال صوتهُ في الغناء . ومعظم الرجال وجميع
ولاد يتنفسون من اسفل الصدر خصوصاً فتشتد حركة الحجاب الحاجز ويجري الدم بين
ب والرأس ولا عائق يعوقهُ . ثم ان ارتفاع الحجاب الحاجز وهبوطهُ يفيدان الكبد والمعدة
لامعاء لانهما يفعلان فعل الدلك بها فلذلك ترى النساء اكثر اصابة من الرجال بسوء
هم وما لابسهُ من الادواء

هذا ومن السهل على الانسان ان يتحكم بتنفسهِ ويتمرَّن على التنفس بأعلى صدرهِ تارةً
سفلهِ طوراً او ان يتنفس برئة دون الاخرى او ان يجعل تنفسهُ عميقاً او سطحياً طويلاً او
براً سريعاً او بطيئاً فيزيد بذلك الاكسجين في الدم او يقللهُ ويزيد امداد الراس والصدر
نوف بالدم والمادة اللمفاوية . فاذا اراد الانسان ان يتمرن على التنفس بالحجاب الحاجز
سطجع على الارض وليحرّك بطنهُ ما استطاع عند التنفس وليمنع صدرهُ عن الحركة
استطاع بضغط اضلاعهِ بيديهِ . وبعد ان يتمرَّن على ذلك مدة ليضع على بطنهِ كيساً من
ل لا يزيد ثقلهُ على اربعة ارطال مصرية وليعد التجربة والغرض من ذلك تقوية
جاب الحاجز

والتمرُّن على التنفس باسفل الصدر يكون والانسان واقف او مضطجع او جالس على كرسيٍ
جههُ نحو ظهر الكرسي . فاذا كان واقفاً او مضطجعاً فليضع يديهِ على اضلاعهِ السفلى بحيث
س اطراف الاصابع وليتنفس طويلاً وليمنع بطنهُ وترقوتيهِ من الحركة ما امكن

والتنفس باعلى الصدر يكون باطالة النَّفَس واجهاد الاضلاع العليا وابقاء البطن ساكناً

تارةً بلسان جرائدهم وطوراً بلسان رجال منهم يتطوعون للخدمة في اقصى البلدان الاسلامية. وبالامس قرأت في جريدة تترية تقرير مسلم قصد جزيرة سخالين لنشر روح الالفة والاتحاد بين المجرمين المسلمين المنفيين اليها. فالاتحاد شعار التتر من رعايا القيصر واليهِ ينسب تيقظهم الحديث . وبينما ترى سائر المسلمين يوجهون هممهم الاول الى المسائل الدينية ترى همّ التتر الاول المحافظة على قومهم وتطهير لغتهم من الكلمات الدخيلة روسية كانت او عربية او فارسية واستبدال تعاليم اهل التقليد ومناظراتهم العقيمة بالعلوم الغربية الحديثة

ومن اهم ما يشاهد بينهم مقاومتهم للطريقة المعروفة باسم طريقة المنسكي نسبة الى صاحبها . وهي طريقة استنبطها الاستاذ المنسكي الروسي من مشاهير المستشرقين في اواسط القرن الماضي لجعل التتر روسيين كرهاً . ومآلها استبدال حروف الهجاء العربية التي يستعملها التتر بحروف الهجاء الروسيَّة ظنّاً منهُ ان ذلك يسهل التعليم الابتدائي في مدارس التتر ويدخلهم اخيراً في مذهب الارثوذكس فأسقط في يدهِ . ذلك انهم صبروا على مضض الضيم والاكراه صبر المسلّم لحكم الاقدار حتى اذا صدر المنشور القيصري ثاروا على طريقة المنسكي ومؤيديها من الروس وفي طليعتهم رجل اسمهُ الاستاذ بوديلوفتش. وفي جملة ما حضبوهُ بهِ قولهم "اذا كان الروسي يحبّ لغتهُ ويفتخر بها فنحن التتر نحب لغتنا ايضا . وان كنا قد اهملناها في الماضي فسنكفّر عن اهمالنا لها في المستقبل". ومن الذين قامت قيامتهم عليهِ لهذا السبب عينهِ موظف روسيّ اسمهُ شريڤانسكي فان اهالي اقليم زايسان رفعوا عريضة الى الكونت ويت وطلبوا فيها ثلاثة امور وهي اولاً ان لا يسلم زمامهم الى الموظف المذكور. وثانياً ان يعدّ قرارهُ الذي نشر في جريدة روس الروسية في شأنهم ملغى . وثالثاً ان يستبدل برجل مسلم

أليس من العجب ان هؤلاء الاقوام الذين يعدُّون اكثر اهالي اواسط اسيا استمساكاً بالقديم يطلبون طلباً مثل هذا . واعجب منهُ ان بعض قبائلهم ارسلوا تلغرافاً الى القيصر التمسوا فيهِ ان يسمح لهم بارسال مندوبين من قبلهم الى الدوما وان يكون نواب الديانة الاسلامية في المجلس القيصري من المسلمين لا من المسيحيين كما هي الحال عليهِ . وأُرسلت عريضة الى الحكومة طلب فيها اصحابها تعيين ائمة في الايات المسلمين من الجنود الروسية وقالوا انهُ كان لتلك الجنود فيما مضى ائمة يهتمون بشؤُونها الدينية . فان كانت تلك الجنود وعدتها ٤٠ الفاً في زمن السلم مستعدة لتضحية نفوسها في سبيل القيصر والوطن فليس من العدل ان تترك بلا ائمة . فسلم البرنس ميخائيل الكسندروفتش هذه العريضة الى القيصر

التتر والشورى

الاستاذ فمبيري كاتب سياسي مشهور وهو مجري واستاذ اللغات الشرقية في كلية بودابست مما اشتهر بهِ دفاعهُ عن المصالح الانكليزية في الشرق وقد قابل جلالة السلطان عبد الحميد مرارًا وحادثهُ في شؤُون السلطنة العثمانية وسياسة حكومتهِ ونشر خلاصة احاديثهِ في الجرائد كنا ننقلها لقراء المقطم في حينها . والمقالة التي نحن بصددها مترجمة عن مجلة القرن التاسع عشر . قال

أشرت في مقالة سابقة نشرت في هذه المجلة الى تنبه التتر كما يستدل من كتابات شتى لبعض نبغائهم وخصوصًا كتاب اسفار كتبهُ محمد فاتح غماني وسماه "رحلة الى القرم" . بعد كتابة تلك المقالة طرأ على علاقة مسلمي روسيا بدولتهم تغيرٌ جوهريٌّ على اثر المنشور الذي نشرتهُ الحكومة الروسية في ١٧ اكتوبر الماضي ومنحت فيهِ حقوقًا دستورية لجميع الروس على اختلاف نحلهم وتعدد نزعاتهم ففتحت بذلك للمسلمين وسائر الاسيويين من رعاياها مجالاً للظهور بعد أن أتت عليهم القرون وهم محجوبون بحجب الخفاء والنسيان . ولما كانت روح العصر الحاضر تقضي على كلٍ منا بمراقبة كلِ تغيير اجتماعي وسياسي يطرأ على طوائف البشر القريبة منا والبعيدة عنا فلا غنى للسياسي الانكليزي عن الوقوف على احوال ملة يرتع الفريق الاكبر منها في ظل الراية الانكليزية وعن معرفة نتيجة الدستور الجديد الذي منحهُ روسيا لرعاياها

فهذا السبب وغيرهُ من الاسباب حملني على الانتباه لتصرُّف التتر بعد صدور المنشور المشار اليهِ فادهشني ما رأيتهُ على تلك الطائفة اللينة الجانب القليلة الدعوى من ادراك كنه المنشور تمام الادراك ومقابلتهِ بجنان ثابت وجاش رابط . فان المطّلع على الشروح والحواشي التي علقتها جرائد التتر على الدوما الامبراطورية (مجلس النواب الجديد) يخيَّل لهُ ان التتر الذين كنا نعدُّهم عنوان الخضوع والعبودية قد تمرَّسوا بجميع فنون الشورى واساليبها وتعودوا الاحكام الشوروية منذ أمد مديد . فانهُ لم يكد امر المنشور القيصري يذيع ويشتهر حتى قرَّ قرارهم على عقد اجتماع عمومي للبحث في ما يعملونهُ بازاء ذلك المنشور فعقد مندوبوهم اجتماعًا في السادس من يناير الماضي في بطرسبرج . وكان الاجتماع برئاسة امام مشهور بينهم يؤَيدهُ جماعة من شبان النشأة الحديثة الذين شهروا حربًا عوانًا على اهل التقليد من ايمة الدين

على ان جميع احزابهم يد واحدة في الشؤُون السياسية فتراهم ينادون بالالفة والاتحاد

وعلى هذا النسق ترى التتر يبثون ظلاماتهم و يشكون من جور الزمان الماضي . وجهد ما يسعون اليهِ التأليف بين العناصر والطوائف المختلفة التي من الاصل التركي . واعظم الوسائط التي اتخذوها لبلوغ تلك الغاية التقريب بين لغة الاتراك القاطنين جوار القولكا ولغة الاتراك القاطنين اسيا الوسطى والسلطنة العثمانية بحذف الاصطلاحات المحلية من لغة الاولين واستبدالها بكلمات تركية عثمانية . ومنها ان كتّاب التتر العصريين يعنون باجتناب الكلمات العربية والفارسية والروسية الدخيلة في كتاباتهم و يضعون مكانها كلمات تترية الاصل . فهم بذلك ارقى حالاً من هذا القبيل من اخوانهم في تركيا وايران والهند . وقد ارتقت الصحافة عندهم ارتقاء غريبًا في السنين الاخيرة فأنشأ اسمعيل جسبارنسكي سنة ١٨٧٩ جريدة ترجمان وبعد ذلك بثماني سنوات أُنشئت جريدة اكندجي اي الفلاّح . ولكن ما كاد الدستور الروسي الجديد يشتهر امرهُ حتى صدرت جرائد التتر الجديدة بالمئات وهاك اسماء بعضها : يلدز (الكوكب) في قزان . الارشاد في القرم . قزان مخبري في قزان . الترقي في تشقند . النور والأُلفة في بطرسبرج . الوقت في اورنبرج . الحياة وضياقوقاسية في تفليس . ازاد (الحرية) والعصر الجديد في قزان . النجاة في باكو[1] وغيرها كثير . وكلها تمتاز بحرية القول وصدق اللهجة واصالة الرأي . ومن امثلة الميل الى الحرية والرغبة الحقيقية في الارتقاء مقالات شديدة الوطأة على تعصُّب اهل التقليد يعيّرون فيها انهم اعظم العثرات في سبيل التمدُّن الحديث . ومنها مقالة من قلم سيدة تترية وهي مما لا يرى لهُ مثيل في بلد من البلدان الاسلامية حتى الهند . قالت

"حتَّام نقاسي الازدراء بنا وعدم الاكتراث لشؤُوننا . فان رجالنا يمرحون ليل نهار في الخلاء ونحن محبوسات في غرف ضيقة لا يتجدد فيها الهواء . وهم لا يهتمون بتربية الاولاد وتعليمهم بل يقضون اوقاتهم في الحدائق الغناء والملاهي وغيرها من الاماكن التي لا نعرف عنها الاَّ بالسماع . اما نحن النساء فقد حتم علينا ان نعتني بالاولاد ونمرضهم في امراضهم ولا نذوق طعم الراحة ليلاً ولا نهارًا ولا يسوغ لنا طعام ولا يطيب منام . والرجال يدخلون جميع المدارس و يتعلمون انواع العلوم ويقرأُون جميع الكتب والجرائد فتستنير بصائرهم وتنشرح صدورهم واما نحن نساء التتر المسكينات فمحرومات كلَّ تعليم وتهذيب وعلى ذلك نقضي العمر في الالم والحزن بلا سلوى ولا رجاء

---

(١) [المقتطف] ترى في الاسماء المتقدمة ان اكثرها عربي فاصحاب تلك الجرائد لا يستغنون عن العربية حتى في اسماء جرائدهم

فاجاب قائلاً " سانظر في هذا الامر بنفسي ويكون لجنودي المسلمين أَيتهم "

ولما كنا قد اعتدنا ان نرى التتر اذلاء مستضعفين فلا يسعنا الا العجب مما نقرأه في جرائدهم من دلائل العزم والثبات المقرونين احياناً بالوعيد اللطيف . كتب تتري محب لوطنهِ رسالة الى جريدة " الوقت " التترية التي تصدر في اورنبرج يقول :

" نحن مسلمي روسيا وعدتنا ٢٥ مليوناً (وفي الاحصاء الرسمي الذي جرى سنة ١٨٩٧ لا يزيدون على ١٣٨٨٩٤٢١ نفساً) استسلمنا للاقدار وعشنا عيشة هادئة مئات من السنين . ولا يكاد يمكن ان صبرنا واحتمالنا وخضوعنا وولاءنا تذهب سدًى بل اننا نعتقد كل الاعتقاد ان مزايانا هذه لا بدَّ ان يُعترف بها الاعتراف الواجب . ولقد كان دأبنا اطاعة القانون وعدم التعرُّض لشؤُون الاحكام في البلاد وحنو رقابنا للاوامر والنواهي القيصرية . وفي هذا الزمان زمان الثورات التي تتأجج نيرانها في جميع انحاء روسيا ولا نسمع فيها بغير القتل والحرق والنهب وقذف القنابل ترانا نحن المسلمين محافظين على السكون لا ننحاز الى حزب من الاحزاب بل نصبر على الضيم آملين ان صبرنا وطاعتنا لا يذهبان سدًى . ومتى سمعنا الحكومة تقول للبولنديين واليهود والكاثوليك انكم ستنالون العدل والحرية والاصلاح ولكن على شرط ان تلزموا السكينة اذ لا يمكن اجراء اصلاح والبلاد ثائرة فائرة — نقول في انفسنا نحن هادئون مسالمون لا نقوم بثورة فلا بدَّ ان تساوينا الحكومة بسائر ابناء وطننا من الروس الذين نشاطرهم جميع الاحمال والواجبات . أَفيعجب احد وهذه آمالنا وامانينا من بقائنا نحن المسلمين سائرين في طريق الطاعة التامة . فان القيام بالثورات لم يخطر لنا قط ببال ولا أَعرنا المنادين بها اذناً صاغية البتة حتى قال احد وزراء السلطنة حديثاً لاحد وفودنا قولاً أَصاب بهِ كبد الصواب وهو ان لا محلَّ للشرّ في نفوسكم ولن يجد اليها سبيلاً "

وكتب غيرهُ في عدد آخر يقول :

" منذ صدور المنشور في ١٧ اكتوبر تفتحت الاقفال التي كانت على افواهنا وحلَّت الاغلال التي كانت تغلُّ ايدينا وفكت القيود من ارجلنا وزالت الاحزان من قلوبنا . وأَصبح الآن كلٌّ يقول ويكتب ما يشاء وأُنقذنا من عبودية وظلم واستبداد طال العهد بها . . . . ثم اننا نحن المسلمين نعدُّ بعد الروس أَعظم عناصر السلطنة عدداً لان اخوتنا في الجنس والمذهب منتشرون في سيبيريا واسيا الوسطى وشمالي روسيا وجنوبيها . ومع عظم عددنا ترى شأْننا منحطاً وحقوقنا مهتضمة ولا يد لنا في الاحكام وترانا نعدُّ غرباء واعداء البلاد بسبب احكام شرعنا وعاداتنا الخ "

مفاخر البطالسة

بطليموس الثالث

طليموس الثاني ولد سنة ٢٨٢ قبل المسيح وشارك اباهُ في الملك ثم استقلَّ بهِ حين ٢٤٧. وملكَ خمساً وعشرين سنة وتوفي سنة ٢٢٢ قبل المسيح وتزوج برنيكي كتب بالقلم المصري) ابنة مغاز صاحب كيرين حالما رقي الى سدَّة الملك وكانت كنهُ لم يتزوَّج بها الَّا بعد انتقال الملك اليهِ لكي يكون اولادهُ منها اقرب الى م على ما تقدَّم . وبتزوجهِ بها انقلت بلاد كيرين الى البطالسة

ُ بطليموس الثاني قد زوَّج ابنتهُ واسمها برنيكي ايضاً لانطيوخس الثاني ملك ط ان يطلّق زوجتهُ لاوديكي ويحرم اولادها من الملك . فلما مات بطليموس يوخس بوعدهِ واستردَّ لاوديكي واولادها فلم تكد ترجع اليهِ حتى دسَّت منهُ او خوفاً من غدرهِ ونادت بابنها سلوقس الثاني ملكاً وعملت على قتل ابنها وكان طفلاً فلجأت برنيكي الى قصرها في دفنة ولكنها لم تنجُ من القتل

وس الثالث ما حلَّ باختهِ وابنها فجيَّش الجيوش وعبَّأ الاساطيل وقام لغزو اص من لاوديكي وابنها وكان عملها قد غاظ اهالي سورية فظاهروهُ عليها كية وامتلكها وسار من هناك شرقاً وعبر الفرات ويقال انهُ بلغ السوس اسم شوستر) وكاد يصل الى بلخ

خبر ذلك مسطوراً على حجر من الرخام نصبهُ بطليموس هذا في مدينة ادولـــ د ساحل البحر الاحمر . رأى الكتابة قزما الراهب الاسكندري الذي نشأ لسادس وكان حينئذٍ تاجراً فنسخها واثبتها في كتابهِ الذي وصف فيهِ اسفارهُ من هذا الكتاب حفظتها الى الآن وهاك ترجمة الكتابة

الملك العظيم ابن الملك بطليموس والملكة ارسنوي الالهين الاخوين ولدي لملكة برنيكي الالهين المنقذين المتصل من جهة ابيهِ الى هرقل بن زفس ومن بسس بن زفس . ورث من ابيهِ ملك مصر وليبية وسورية وفينيقية وقبرص جزائر الارخبيل (سكلادس) فجيَّش الجيوش على اسيا وقام اليها بخيلهِ وافيالهِ التي من بلاد الكهوف وبلاد الحبش وقد اقتنصها هو وابوهُ من

" اكتب هذه الكلمات والنار تضطرم في فؤادي في ايها الرجال اذكروا نحن النساء المسكينات وانتم تتمتعون بالحياة ولا تنسونا بل علّمونا بعض الشيء لاننا ان لم نكن متعلمات فكيف نستطيع ان نسلك السلوك اللائق بنا نحوكم اننا لا نستطيع ذلك بل لا بد ان نظهر في اعينكم خلوًا من كل ظرف وحبّ وجاذبية . أليس هذا هو السبب في ان كثيرات من النساء الروسيات المتعلمات يختلبن ألباب رجالنا ويختطفنهم من ايدينا ولا نقدر على رفع اصواتنا . افتظنوننا ايها الرجال خاليات من كل شعور وعاطفة وحب ... وعطوا حقنا من الاكرام وعلمونا وانصفونا والَّا ضعف رباط الالفة بينكم وبيننا "

فما تقدم كافٍ لاقناع القارئ بان هؤلاء التتر الهادئين المسالمين الآن الذين هم سلالة قوم اشتهروا بالحرب والكفاح في قديم الزمان مستعدون تمام الاستعداد لقبول الحقوق الدستورية التي تضمنها المنشور القيصري . وان ما اظهروهُ من الغيرة والحمية مدة انتخابات الدوما وما يظهرونهُ من السهر والاهتمام في كل انتخاب قد ادهشني جدًّا كما لا بدّ ان يدهش كل انسان يعرف جمود التتر . وامامي الآن خطب كثيرة خطبها جماعة منهم ايام الانتخاب وهي موسومة باعتدال اللهجة لاطعن فيها ولا تعريض قبيحًا باحدٍ من المرشحين المسيحيين . ولدفع كلّ شبهة عنهم نسمعهم يكثرون من ذكر روسيا ويلقبونها وطنهم

ومما هو من الغرابة بمكان ان كثيرين من المرشحين للانتخاب هم من العلماء والائمة والخوجات الذين يحسنون الروسية فلا بدَّ ان يدهشوا سائر اعضاء الدوما . ومن هؤلاء ابو السعود افندي ولد سنة ١٨٤٣ وتقلب في منصب القضاء في كثير من الولايات الروسيّة. ومنهم شاه حيدر افندي وهو من المتضلعين في العلوم الحديثة وعلوم الدين الاسلامي وآداب العربية والفارسية . وصاحب زاده دولة شاه وجمال الدين ملاّ وكلهم من الاغنياء . انتهى

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ فمبيري في هذا الشان . ويظهر لنا نحن ايضاً مما اطّلعنا عليهِ من كتابات مسلمي الروس ومن اقبالهم على مطالعة المجلات العلمية انهم باذلون جهدهم في اقتباس انوار العلوم والفنون والجري على خطة المتنورين في ترك التقليد ومجاراة احوال الزمان جارين على مقتضى الحديث القائل " ما كان من امر دينكم فاليّ وما كان من امر دنياكم فانتم اعلم بهِ " . اناس يسعون هذا السعي ويواظبون عليهِ لا بدّ من نجاحهم عاجلاً او آجلاً ولولا اضطراب الاحوال في روسيا لترجَّح لهم النجاح العاجل

في ترقية بلادهِ وايرادها موارد السعادة فبنى الهياكل الجديدة ورمّم القديمة ولم تأتِ السنة التاسعة من ملكهِ حتى اجتمع الكهنة اجتماعاً عظيماً واقروا على التنويه بهِ ونشر مدائحهِ وتلقيبهِ بالقاب جديدة وكتبوا ذلك باليونانية وبالقلمين المصريين الهيروغليف والديموتيك اي الصوري والحرفي ونقشوهُ في الحجارة ومن ذلك حجر وجد في تنيس سنة ١٨٦٦ وهو الآن في دار التحف المصرية بالقاهرة طولهُ سبع اقدام وعقدتان وعرضهُ قدمان وست عقد وسمكهُ قدم وثلاث عقد . ومما اقرَّ عليهِ الكهنة في ذلك المجمع الديني ان تجعل ايام النسيء الخمسة ستة في كل سنة رابعة فتصير ٣٦٦ يوماً ويكون ذلك اليوم عيداً للملك والملكة . وتوفيت ابنة الملك واسمها برنيكي ايضاً وهم مجتمعون فناحوا عليها وقرروا ان تكرم في كل الهياكل ويصنع لها تمثال من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة يوضع في كل هيكل من هياكل الطبقة الاولى والثانية ويعبد باسم "برنيكي ملكة العذارى" ويقدم لها سنابل القمح في زمن الحصاد ويرتل الرجال والنساء بمدحها ويعطى بنات الكهنة فريضة من الحنطة مما قطع للهياكل ويفرّق الخبز على نساء الكهنة تذكاراً لها ويكون لهُ شكل مخصوص ويسمى خبز برنيكي ويكتب ذلك كلهُ بالمصرية واليونانية وينقش في الواح من الحجر والنحاس تنصب في كل الهياكل والاماكن العمومية لكي يرى كهنة مصر في كل مكان اكرامهم لبطليموس الثالث وروجتهِ ونسلهما

ومن المباني العظيمة التي بناها بطليموس الثالث هيكل ادفو شرع في بنائهِ سنة ٢٣٧ ولم يتم الاَّ في عهد بطليموس الحادي عشر سنة ٥٧ قبل المسيح واقتضى بناؤهُ ١٨٠ سنة طولهُ ٤٥٠ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً وبرجاهُ الاماميان عرضهما من طرف الى طرف ٢٥٢ قدما وارتفاعهما ١١٢ قدماً وهما منقوشان نقشاً بديعاً كما ترى في الشكل التالي وفي محرابهِ حرابة الغرانيت البديعة التي صنعها الملك نكتانيبوس اول ملك من ملوك الدولة الثلاثين ليوضع فيها تمثال الاله هورس . وقد حُفظ هذا الهيكل سليماً الى الآن والفضل في حفظهِ للتراب الذي تراكم عليهِ من اكواخ اللبن التي بنيت حولهُ وعليهِ فبقي مدفوناً الى ان نبشهُ مريت بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٧٠

ويقال انهُ هو باني الباب العظيم في الكرنك الذي ينسب اليهِ الآن وبنى هيكلاً لايسس في شمالي جزيرة الفنتين وزاد في هيكل ايسس في انس الوجود الذي شرع ابوهُ في بنائهِ والمرجح انهُ رمم هياكل كثيرة وبنى هياكل جديدة في اماكن أُخرى وقد هدمت الآن وعفيت آثارها كما عفيت آثار كثير من المباني المصرية . وبنى هيكلاً يونانيًّا في الرمل قرب الاسكندرية لآلهة اليونان واقام فيهِ كهنة من اليونان لخدمتهِ ولم يشغلهُ بناء الهياكل عن

قبله وذللاها واتيا بها الى مصر ومرّناها على الاعمال الحربية . ثم ... على كل
غربي الفرات وعلى كليكيّة وبمفيلية وايونية وهلسبنت وتراقية وعلى كل ...
والافيال التي في تلك البلاد واخضع ملوكها كلهم عبر الفرات واخضع بلاد الجزيرة
والسوس وفارس ومادي وكل البلاد الى بلخ واستردّ كل الاشياء المقدسة التي ...
من مصر وردها اليها مع كل الكنوز التي غنمها من تلك البلدان"

واشار القديس ايرونيموس الى غزوة بطليموس لسورية في ما كتبهُ ...
فقال قتلت برنيكي وكان ابوها بطليموس فيلادلفس قد مات وخلفهُ اخوها ...
باورجيتس وهو الثالث من البطالسة فجاء بجيش عظيم ودخل بلاد ملك الشمال اي ...
الملقب كالينيكوس الذي كان مالكاً على سورية مع امهِ لاوديكي فتغلب عليهما و ...
وكليكية والبلاد العليا عبر الفرات وكل اسيا تقريباً . ثم بلغهُ ان الفتنة فشت في مصر ...
مملكة سلوقس واخذ منها ٤٠٠٠٠ وزنة من الفضة وكؤوساً ثمينة وصور الالهة وهي ...
عدًّا و بينها الصور التي نقلها كمبيسس من مصر الى بلاد فارس . فلقبهُ المصريون اورجت
(اي المحسن) لانهم كانوا عبدة اوثان وهو ردّ اوثانهم اليهم . فابقى سورية ... وا
كليكية لصديقهِ انطيوخس ليحكمها واعطى البلاد التي عبر الفرات لكسنتيبوس وهو قائد
قوّاد الجيش"

واشار يوستنيانس اليهِ ايضاً فذكر اولاً قتل لاوديكي لزوجها انطيوخس وعزمها على
زوجتهِ برنيكي التي لجأت الى قصرها في دفنة ثم قال "لما علم في مداين اسيا ام حضرت
وابنها اشفق الناس عليها وبعثوا البعوث لنجدتها وبلغ اخاها خبرها فاضطرب واسرع با...
اليها . ولم يكن في الامكان التغلب عليها بالقوة فأُخذت بالخداع وقتلت قبل ان يصل ا...
اليها فاغتاظ الناس من ذلك وقاموا على لاوديكي بدلاً من ان يقوموا بجدتهم وسا...
بطليموس عليها وهو لو لم يبلغهُ ان الفتنة فشت في بلادهِ لاجتاح مملكة سلوقس كلها"

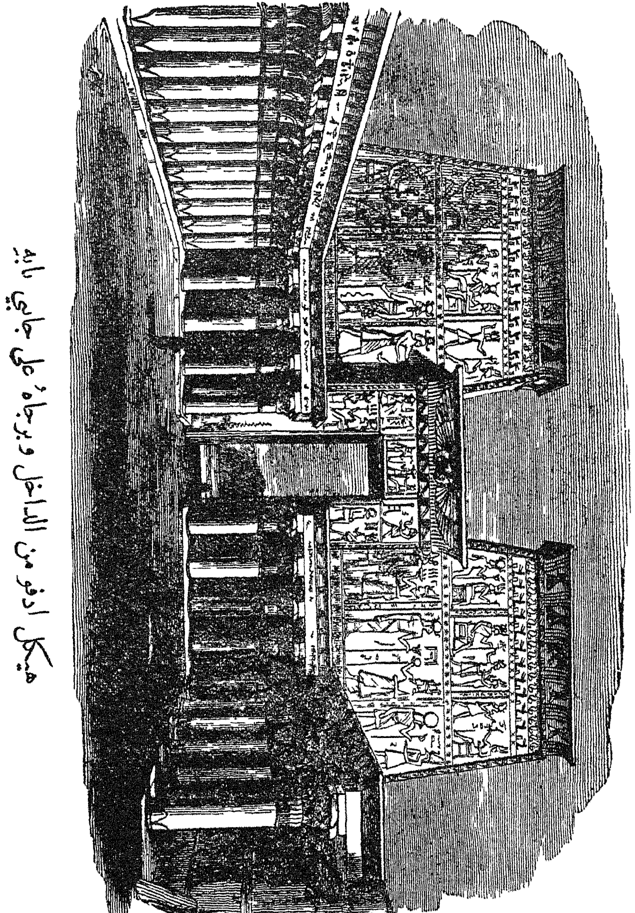
ومما يذكر في هذا الصدد انهُ لما كان بطليموس الثالث في سورية قصّت زوجتهُ بر...
خصلة من شعرها وعلّقتها في هيكل ارسنوي نذرًا لرجوعهِ سالماً . وسرقت الخصلة من الهي...
وكان في البلاط منجم اسمهُ كونون فادّعى ان الالهة نقلتها الى السماء ووضعتها بين ا...
وكان العلماء والمنجمون آخذين في تخطيط السماء وتسمية مجامع النجوم فسموا مجموعاً منها ...
برنيكي وهو اسمهُ الى اليوم

ريين . ولما منيت جزيرة رودس بالزلزلة التي خربتها ورمت صنمها من مدخل
لى اهاليها ٣٠٠ وزنة من الفضة ومليون مدمني من القمح (المدمني كيل يسع نحو
باً لبناء عشرين سفينة و ١٠٠٠ وزنة من نقود النحاس و ٣٠٠٠ وزنة من المسد
من نسج الشراع و ٣٠٠٠ وزنة لاصلاح التمثال و ١٠٠ بناء و ٢٥٠ عاملاً
سنة لدفع اجورهم ووهب اهالي رودس فوق ذلك ١٢٠٠٠ مد من الحنطة
ية والتقادم الدينية و ٢٠٠٠٠ مدمني موءونة لعشر من السفن وسلَّم اليهم ذلك كلهُ
لاموال التي وهبهم اياها على ما ذكرهُ المؤرخ بوليبيوس . وقال بوليبيوس ان
حتف انفهِ وقال يوستنياس انهُ مات مسموماً وخلَّف ثلاثة اولاد بطليموس الذي
يوس الرابع ومغاس وارسنوى وقتل بطليموس الرابع اخاهُ معاس وتزوج باختهِ

اسباب الحرب ووسائل السلم

الجزء الماضي والذي قبلهُ ترجمة خطبة للمستر كارنجي الغني الاميركي صاحب
رة وصف فيها الحروب واسبابها وذكر الوسائل التي اشار بها الفضلاء لابطال
السلم . فذكر اولاً اقوال الفضلاء في ذم الحرب من عهد هوميروس الى الآن
استنبطوها لتخفيف ويلاتها واهمها الالتجاء الى التحكيم للفصل في الخصومات
لدول من غير التجاء الى السيف الى ان أُنشئ مجلس الهاي للفصل في الخصومات
ين مضار الحروب وانها لا تزيل ما بين الدول من الخلاف بل تمكّن الضغائن
. وقال " ان التحكيم خير الوسائل لابطال الحروب ولكنهُ لا يبطلها حالاً بل
ب حروب كثيرة قبلما يسود السلام على المسكونة لان تحت رماد الحروب الماضية
لان بزور البغضاء التي زرعتها تلك الحروب لا بدَّ من ان تنبت من وقت الى
تستأصل وتتلاشى ولذلك لا نطمع بان يسود السلم في ايامنا وتنقطع الحروب
اكثر من ثورة من ثورات الجنون في المستقبل كما رأينا في الماضي ولكن لا بدَّ
السلام اخيراً "

الاهتمام بالمكتبة والمدرسة فزاد عدد الكتب في المكتبة وسلَّم ادارتها لايراتُستنس العالم الرياضي وهو من علماء كيرين . ويقال انهُ اتى الى المكتبة بالنسخ الاصلية من روايات اسكيلس واوريبدس وسوفوقليس [1] واصلح حساب السنة بزيادة يوم الى ايام النسيء كما تقدم



هيكل ادفو من الداخل وبرجاهُ على جانبي بابهِ

والظاهر انهُ كان يكره الحروب فلم يخرج الاَّ في غزوة واحدة وعاد منها بالغنائم الوافرة كما تقدم فاغدق الخيرات على الكهنة ورجال الدولة وساعد ايضاً ملوك اليونان الذين كانوا

(١) اسكيلس ابو الروايات اليونانية المحزنة ولد سنة ٥٢٥ قبل المسيح ...

التي تربح الملايين تبذل جهدها هي ومساهموها في اثارة الحروب او في احباط كل المساعي التي تبذل لمنعها

والماليون الذين يقرضون الدول اموالاً لاثارة الحروب او لادامتها يتعاملون بالملايين ويكتسبون الملايين ولهم الكلمة النافذة في مجالس الوزراء والنواب فلا يعسر عليهم ان يثيروا حرباً إما لحفظ دَيْن قديم او لاصدار دين جديد . ولا يخجل وزير ان يقول بين قومهِ ان لنا مصالح مالية في البلاد الفلانية ولا بدَّ لنا من الاحتفاظ بها ولو اضطررنا الى محاربة تلك البلاد. ومَن رأى الماليين في البورصات الكبيرة يتجرون باخبار الحروب ويكسبون منها الملايين لا يعجب من سعيهم في اثارة الحروب او في تمهيد السبل لها بل يعجب اذا رآهم يفعلون غير ذلك وهم من عبَّاد المال

هذه الابواب قديمة كلها ولقد كان الناس يلجونها في العصور الغابرة كما يلجونها الآن ولو سكت المؤَرخون عن ذكرها او لم ينتبهوا لها . ويأتي بعدها باب آخر من ابواب الكسب وهو جديد تولَّد في القرن الماضي وبلغ الآن من الحول والطول ما احلهُ المقام الاول بين الاسباب الفاعلة في العمران. وهو صحف الاخبار فان اربابها بلغوا في اوربا واميركا ولا سيما في انكلترا والولايات المتحدة مبلغاً من القوَّة يحسدهم الملوك عليهِ . ثم زادوا قوتهم بان جعلوا لجرائدهم شركات مساهمة اشركوا فيها كل من يحب الكسب . وكيف لا يشاركهم الناس فيها وقد رأَوا ان صاحب الجريدة الواحدة كالنيويورك هرلد والدايلي مايل يكتسب بجريدتهِ ثروة تقدَّر بعشرة الملايين من الجنيهات فيبلغ دخلهُ السنوي منها مثل دخل ملك من الملوك العظام. ونجاح هذه الجرائد انما يكون في زمن الحرب فيتضاعف ما تطبعهُ حينئذٍ وتتضاعف مكاسب اصحابها

وكل الذين ذكرناهم سابقاً من الضباط واصحاب المعامل والاموال يقتصر تأْثيرهم على الدوائر الضيقة التي يكونون فيها او يتصلون بها واما اصحاب الصحف فالبلاد كلها ميدان لسوابق اقلامهم وتحريضاتهم ويصل تأْثيرهم الى اقصى المعمور من فضل الشركات التلغرافية التي تتاجر مثلهم بالاخبار الحربيَّة ولم يكن شأْنهم كبيراً في ما مضى اما الآن فصار لهم شأْن رفيع في بعض الممالك ولا سيما في انكلترا وفي الولايات المتحدة وسيزيد شأْنهم في سائر الممالك فيصير لهم الحول والطول

هذا من قبيل السبب الذي يدعو الى اثارة الحروب في هذا الزمن وهو حب الكسب . اما الوسائل التي نظنها افعل من غيرها في منعها فهي

و ينشئوا روابط للسلام يكون شعارها قول وشنطون محرر اميركا حيث قال "ان منتهاي الاول هو ان ارى هذا الشر منفيًّا من الدنيا"

ولقد كنا ونحن نترجم هذه الخطبة نفكّر في ما نعدُّهُ سببًا جوهريًّا للحروب في هذا العصر ونعجب من ان الخطيب لم يشر اليهِ ولا بكلمة وهذا السبب هو الكسب ادبيًّا كان او ماديًّا . فضباط الجيوش تطمح انظارهم الى الارتقاء في المناصب العسكرية لكي تزيد رواتبهم وتكثر الاوسمة على صدورهم ولا يتم لهم ذلك الاَّ في حومة الوغى فان لم يختلقوا اسبابًا للحروب عظَّموا ما يرونهُ من اسبابها مدفوعين الى ذلك بعامل الصنعة وحب الفخر والمنفعة

وصانعو الاسلحة والمهمات الحربية لا تروج بضاعتهم الاَّ في زمن الحرب وفي الاستعداد لها . وبقولنا صانعي الاسلحة نعني كل اصحاب المعامل الكبيرة التي تصنع المدافع والبنادق والقنابل والسيوف والحراب وملابس الجنود وعدد خيلهم والمعامل التي تبني السفن الحربية على اختلاف انواعها واشكالها وكل ما يدخل في بنائها من حديد ونحاس وخشب وكل ما تجهَّز بهِ من مدافع وطرابيد وآلات وادوات . نعني الشركات الكبيرة التي تستخرج الفحم الحجري والحديد وتبني البوارج وتصنع الاسلحة على اختلاف انواعها واشكالها وكل المساهمين فيها من الملوك والوزراء الى التجار واعضاء مجالس النواب فان كل هؤُلاء يكتسبون من الحروب فيرحبون بها في سرهم وان شجبوها علانيةً . ايُّ وزير او نائب او تاجر يعلم انهُ اذا نشبت حرب راجت بها بضاعة معمل من المعامل التي لهُ فيها اسهم كثيرة ثم يبذل جهدهُ في منع تلك الحرب . ألم نسمع ان المعامل الانكليزية كانت ترسل الاسلحة الى البوير حينما كانوا يحاربون الانكليز فان استحلَّ الناس ان يبيعوا الاسلحة لخصومهم لاجل الكسب فهل يكثر عليهم ان يرحّبوا بالحرب ويسهّلوا سبلها او ان لا يقولوا كلمة في منعها

والذين يتولون توريد الاطعمة والاشربة للجيوش المحاربة تتضاعف مكاسبهم اضعافًا كثيرة في زمن الحرب. نعرف رجلاً واحدًا كسب من تقديم السكاير المصرية للجيش الانكليزي في شهور قليلة نحو عشرين الفًا من الجنيهات . وقد ابانت لجنة التحقيق في بلاد الانكليز ان اناسًا ربحوا الملايين من تلك الحرب مع ان الانكليز يفوقون غيرهم من امم الارض في التدقيق ومنع الغش . واذا كانت المهمات الحربية ترد عن يد الموردين فهناك اوسع ابواب السلب حتى لقد قيل ان قنابل الاسبانيين كان بعضها من الخشب ويقول الروس ان الموردين لجيوشهم في الحرب الاخيرة سرقوا جانبًا كبيرًا مما وردوهُ وغشوا الحكومة في كل ما صنعوهُ لها وكان كثيرون من رجال الدولة شركاء لهم . وكل شركات التوريد



اولاً تقليل مكاسب الذين يكسبون من الحروب ادبيَّة كانت او مادية بان تمنع الدول اعطاء الرتب والنياشين للمتبارين بقتل غيرهم من قوادها وضباطها ورجالها وتدقق في ابتياع الاسلحة والميرة لجنودها حتى لا يربح صانعوها الاَّ الربح القانوني او اقل منهُ

ثانياً ان يحذف من الكتب التي تقرأُ في المدارس كل تنويه بالقوَّاد والجنود ويبدل بوصف ويلات الحروب وفظائعها نظماً ونثرًا حتى يرسخ في الاذهان ان الحرب من شر البلايا على نوع الانسان

ثالثاً واخيرًا ان تنشأ جرائد كبيرة مستقلَّة في عواصم الممالك الكبرى في لندن وباريس وبرلين وبطرسبرج ونيويورك ينشئها اكتب كتَّاب العصر يكون غرضها الاول البحث عن مخبآت الذين يكتسبون من الحروب وتشهيرهم سواءٌ كانوا من رجال الحرب او من رجال المال او من رجال السياسة او من اصحاب المعامل او من المساهمين فيها . ولا ينتظر الربح المالي لهذهِ الجرائد في السنين الاول فلا بدَّ لها من اعانة مالية كبيرة . ورجل مثل كارنجي صاحب الخطبة المشار اليها آنفاً يستطيع ان يوقف خمسة ملايين من الجنيهات لهذا العمل فينشئ بها خمس جرائد في العواصم المذكورة او يشتري بها خمساً من الجرائد الكبيرة الموجودة فيها الآن كجريدة التيمس في انكلترا والتان في فرنسا والورلد في نيويورك . ونوابغ الكتاب يستطيعون ان يشهّروا مثيري الحروب والفتن ويصوّروهم للناس بصورهم القبيحة مهما كان مقامهم رفيعاً بين قومهم حتى يضطروا ان يعدلوا عن خططهم والاَّ قامت القيامة عليهم . وهذه الجرائد تهيئ الافكار لطلب التحكيم في المسائل الخلافية وتوغر صدور الامم على رجال السياسة الذين يرفضونهُ

فاذا قلَّت مكاسب الناس من الحروب وحُسب التكسب بها عارًا وشنارًا على اصحابهِ فلا بدَّ من ان تقلَّ الرغبة فيها رويداً رويداً الى ان تزول

لقد قام الناس لمقاومة المسكرات في كل مكان فانشأُوا الجمعيات وكتبوا العهود والمواثيق والفوا الكتب الضخام في مضار السكر . والضرر محسوس يراهُ الناس بعيونهم ومع ذلك لم يفلحوا في ابطال السكر الاَّ في بلاد اسوج ونروج حيث ابطلت الحكومة ربح اصحاب الحانات والمتجرين بالمسكرات فاباحت لهم بيع المسكرات ولكنها قطعت لها ثمناً لا يبقى معهُ الاَّ ربح قليل وقاسمتهم هذا الربح ايضاً فزالت رغبتهم في بيعها لانهُ صار تجارة خاسرة فاقفلوا حاناتهم رويدًا رويدًا وقل السكر لقلة المروجين لهُ وعلى هذا الاسلوب لا على غيرهِ تقل الحروب او تبطل اذا قلَّ المنتفعون منها والمروّجون لها

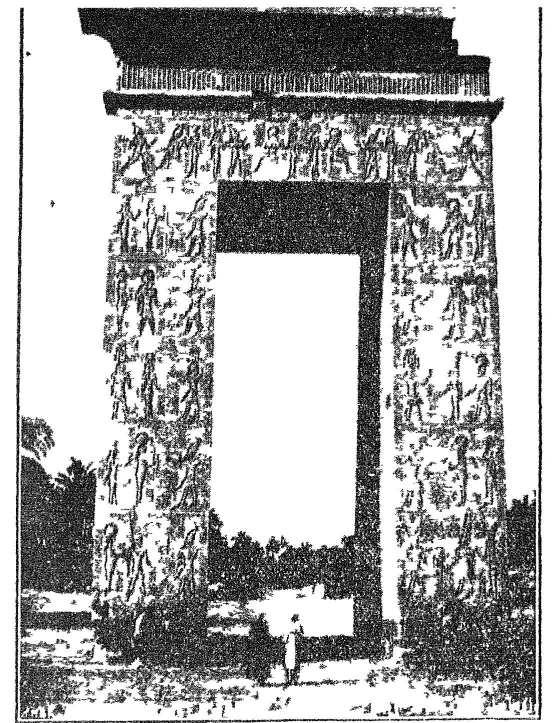
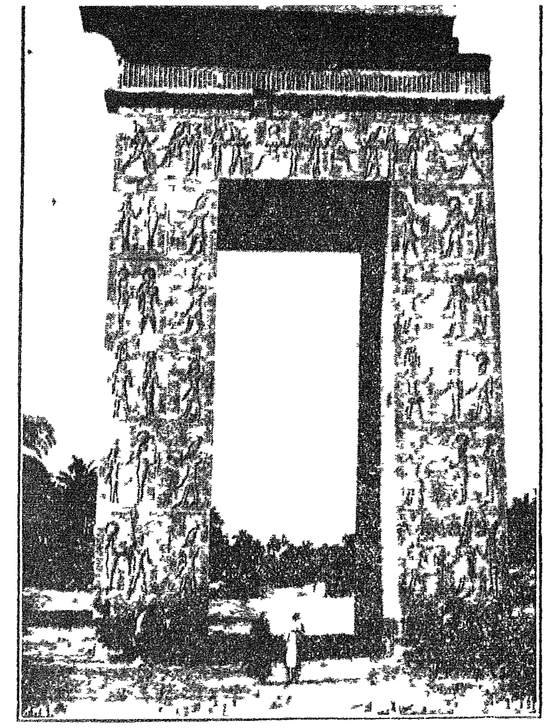
الكتب والعمال

لو سئلت جماعة من فضلائنا عما كان لهُ التأثير الاعظم في تهذيب اخلاقهم وترقية آدابهم لاجاب واحد منهم عِشرة قرين صادق وآخر موت خل وفيّ وآخر نجاح رفيق امين . فان عشراء الانسان يؤثرون فيهِ اعظم تأثير فتعدى اخلاقهُ من اخلاقهم ان خيرًا فخير وان شرًّا فشر . ولا نظنّ ان احدًا من تلك الجماعة ينسب الفضل في ما هو عليهِ من الادب الرائع الى قراءة هذا المؤلف او ذاك من كتبنا العربية ناهيك عما فيها مما يفسد الاخلاق ويضلل الافهام كما نرى في الكشكول وكتب طبائع الحيوان وما اشبه

اما كتب الغربيين فليست كذلك بل ان ما كان منها علميًّا فبناؤهُ على قاعدة مضبوطة وما كان تاريخيًّا فعلى صحة وما كان ادبيًّا فمرقٍّ للآداب مثقف للنفوس مهذب للاخلاق . ولا يشذّ عن ذلك الّا كتب الروايات الحديثة باللغة الفرنسويَّة فان بعضها لا يخلو مما تضرّ قراءتهُ . ثم ان ما كان من الكتب بذيئًا عندهم واروهُ عن ناشئتهم ما استطاعوا ولم يتيهوا بهِ صدور مكاتبهم كما يفعل كثيرون عندنا . واذا اضطرّ كتَّابهم الفضلاء الى الاستشهاد بعبارة يحسبونها ثقيلة على اسماع الذين قد يطلعون عليها من الاحداث افرغوها في قالب لاتيني لكي لا يفهمها الّا العارف باللغة اللاتينية ولا يكون الّا من متخرجي المدارس العليا . اخبرنا بعضهم انهُ انتُدب لتدريس عالم اميركيّ الامثال العربية وترجمتها لهُ الى الانكليزية لا فرق في ذلك بين المليح والقبيح منها فكان اذا اراد العالم كتابة المثل القبيح كتبهُ بكلام لاتيني فسأَلهُ مخبرنا في ذلك فأجاب "لعلّ احدًا من اهل بيتي يعثر على هذه الكتابة وفيها ما فيها من البذاءة ولا يفهمها . وهكذا نفعل في ما نكتبهُ في الجرائد والمجلات والكتب من هذا القبيل"

فالقوم يعتقدون بتأثير الكتب في الاخلاق فيعشقون الجليل منها ويرفعون قدر كاتبهِ ويجلّون مقامهُ ويبجلون اسمهُ . ويفعلون عكس ذلك بالكتب السافلة وباصحابها . ولما كان هذا الاعتقاد جاريًا في نفوسهم مجرى الدم في العروق فلا عجب اذا رأينا كاتبًا كبيرًا مثل المستر ستد صاحب مجلة المجلات يصدر العدد الاخير من مجلتهِ وفيهِ مقالة طويلة عنوانها "حزب العمال (الانكليزي) والكتب التي ساعدت على تكوينهِ" وعنوان المقالة يدلّ على اعتقاد المستر ستد بتأثير الكتب في الاخلاق . وقد صدَّر المقالة باعلان قال فيهِ ما ملخصهُ :

صورة القسم الاعلى من الحجر الذي وجد في تانيس سنة ١٨٦٦

باب بطليموس الثالث في الكرنك

لي ومن جملة الكتب التي اشتريتها وقرأتها بين السادسة عشرة والعشرين من سني تاريخ جبون المؤرخ الانكليزي المشهور في "انحطاط السلطنة الرومانية وسقوطها" (وهو من اشهر التواريخ عند الانكليز) . ومن الشعراء الذين أولعت بقراءة منظوماتهم لونفلو وملتون وشكسبير ووردسورث وتنسون . ومن الساسة وعلماء سياسة الاقتصاد برك وادم سمث وستورت مل

وقال المستر جون برنس زعيم حزب العمال واحد اعضاء الوزارة الانكليزية الحاضرة وقد ذكرنا ترجمتهُ في جزء يونيو الماضي ان من اول الكتب التي طالعها كتاب فولتير عن كارلوس الثاني عشر ومنهُ تعلم سرَّ احتمال المشقات البدنية والصبر على البرد . وان جون ستورت مل صيرهُ اشتراكيًّا لانهُ لم يحاول نقض حجج الاشتراكيين وان رسكن وكارليل وادم سمث من جملة الكتاب الذين كان لكتبهم تأثير شديد فيهِ . وذكر مجلة المجلات التي ترجمنا هذه المقالة عنها بين المجلات والجرائد التي هو مولع بقراءتها

وقال آخر ان اغانيَّ امي كان لها اشدُّ التأثير فيَّ ومثلها حكايات جدَّتي . ومن الكتب التي طالعتها في صباي رحلات الكبتن كوك فادهشني ما علمتهُ منها عن عظم سعة هذه الارض . ثم اخذت في مطالعة كتب كارليل مثل كتاب "اللباس" و"الماضي والحاضر" و"الثورة الفرنسويّة" فتعلمت من الاول الشيءَ الكثير عن سقطات كارليل وهفواتهِ ولكنني لا ازال الى الآن من عشاق كتاباتهِ وبنات افكارهِ

وقال آخر من زعماء حزب العمال ان التوراة كانت الكتاب الاول الذي اثر في اخلاقي ثم كتاب سياحة المسيحي فرواية والترسكوت عن "ايفنهو[1]" فقصة "روبنصن كروزي" وقال ان هذه القصة ولدت في صدرهِ الميل الى تجشم المخاطر والاقدام على الاهوال

وقال غيرهُ ان اعظم العوائد التي جرت لي تمكني من شراء نسخة من هوميروس بنسين من مكتبة قديمة فاخذت اطالعهُ بالهام نظر واسترق الفرص لاتمام قراءتهِ ويا لهُ من منظر بديع انبسط امام عين خيالي فاني رأيت عالمًا جديدًا يزينهُ الوهم بانواع مبتكراتهِ فسحرت بسحرهِ الحلال ونسيت هذه الحياة الدنيا وما يحيط بها من الهموم والمشاغل واقلعت في سفينة الخيال بين الجزر اليونانية اتمتع بمشاهدها الناضرة البهية وأنادم ابطالها ويكلمني آلهتها وإلاهاتها وجهًا لوجه لا من وراء حجاب ولا بواسطة رسول

وقال آخر ان الكتب التي قرأتها كانت على خمسة انواع الاول ما شوقني الى الاسترسال

---

(١) وقد ترجمت في ادارة المقطم وطبعت باسم الشهامة والعفاف

" أُوجّه انظار الذين يهمهم تهذيب الشبان وخصوصاً الشبان الذين يتعلمون الصنائع الى هذه المقالة بوجه خاص" . اذ لا شيءَ مما يكتب أَدعى الى انهاض همم الشبان في هذا العصر من قراءة سير الرجال الذين يقلبون وجه مجلس النواب الانكليزي الآن . فكم مهّدوا من العقبات وكم بذلوا من الصبر والثبات في اجتيازها منتصرين . وما فعلوهُ في هذا السبيل قدر لغيرهم ممن يجهلهُ الآن ان يفعل مثلهُ ... الخ "

وقد أُتبع هذا الاعلان بالمقالة المشار اليها فنلخّص منها ما نراهُ مناسباً للمقام . قال

" حزب العمّال في مجلس النواب الانكليزي من اهمّ احزاب المجلس الحاضر وقد اظهر اعضاؤُهُ بسلوكهم انهم اهل جدٍّ واقتدار وهمة. فمن هم هؤُلاء الرجال وماذا صيّرهم رجالاً وكيف تأتّى للذين لم يتمتعوا بشيءٍ من المزايا الاجتماعية والتهذيبية التي يتمتع بها اهل الطبقتين العليا والوسطى ان يجاروا احسن متخرجي مدارسنا الجامعة . وقد جال في خاطري انهُ اذا استطاع احد منا ان يستعلم من رجال هذا الحزب عن الكتب التي كانت اعظم مساعد لهم في معاركة الايام عاد ذلك بالفائدة على الجمهور عموماً وفئة العمّال خصوصاً اذ لا ريب ان للكتب شأناً عظيماً في تهذيب اخلاق قرّائها . ولما كان هذا معتقدي أَرسلت الى افراد الحزب المذكور منشوراً قلت فيهِ اني شارع في كتابة مقالة عن الكتب التي ساعدت قرّاءها على النهوض من مهاوي الضعة الى مشارف الرفعة . وطلبت منهم ان يوافوني بمجالات في هذا الصدد قائلاً ان تاريخ ما جرى لكم في الماضي يساعد الالوف من الشبان الذين يحذون حذوكم لينجحوا نجاحكم . وكان عدد الذين ارسلت المنشور اليهم ٥١ رجلاً وهم جملة حزب العمال فجاءتني اجوبة ٤٥ منهم ومعظمها موجز مدقّق "

ثم أُورد المستر ستد صور الاجوبة التي جاءتهُ برمتها فرأَينا ان نلخص بعضها مما فيهِ فائدة لنا ونذكر من الكتب ما هو معروف عندنا . قال احدهم

ليس في الناس من هو اكثر ديناً للكتب مني . فقد نشأْت في هذه الدنيا عاملاً فقيرًا وكنت وانا ابن عشر سنوات اعمل تحت الارض في المناجم ١٢ ساعة او اكثر كلَّ يوم . ولحسن حظي كان ابواي مولعين بالقراءة ولكن لم يكن في منزلنا سوى كتب قليلة معظمها مجلاَّت دينية وكتب لاهوتية اما كتب التاريخ والشعر والروايات فلم يكن عندنا شيءٌ منها . على انهُ كان في مكتبة ابي الصغيرة ثلاثة مجلدات من تأْليف تشنمنغ منها مجلد يتضمن مقالات عن نبوليون وفنلون وملتون . فواظبت على قراءتها برغبة شديدة وخصوصاً مقالتهُ عن ملتون فاني قرأْتها مرارًا . وقرأْت ما كتبهُ بنيامين فرنكلين عن نفسهِ ثم شرعت في جمع مكتبة

فمنها ما كان تأثيرهُ شديدًا ومنها ما كان عظيمًا ومنها ما كان عظيمًا جدًّا . وذكر تحت الاول الجيل متى وخصوصًا الموعظة على الجبل وكتابين من تأليف روسو اسم الواحد "الاعتراف" والآخر "اميل" ورواية "دفد كبرفيلد" لدكنس . وذكر تحت الثاني مؤلفًا لبرسكوت اسمهُ "فتح المكسيك" . وذكر تحت الثالث مؤلفًا لروسو اسمهُ "نوفل الويز" وكتاب "نوتردام دي باري" لهوجو وكتابي "فيدون" و"السمبوزيوم" لافلاطون والالياذه والادوسي لهوميروس . ويظهر مما قالهُ تولستوي ان مؤلفات روسو كان لها التأثير الاشد فيهِ وبلغ من تعلقهِ بهِ انهُ كان وهو ابن خمس عشرة سنة يعلق صورة روسو بعنقهِ بدلاً من الذخيرة الدينية وقال اني كنت اعبدهُ

حال المسلمين في العالمين

نقلاً عن مجلة المنار الاسلامي

تصفحنا الجزء الاخير من مجلَّة المنار فرأينا فيها مقالة موضوعها حال المسلمين في العالمين تستحق ان تكتب بالتبر ولا يليق باحد ان يغفل قراءتها لان كاتبها الفاضل السيد محمد رشيد رضا علم مواقع الضعف واخلص النصح لقومهِ . فرأينا ان نقتطف منها الفقرات التالية عسى ان يطلَّع عليها مَن لا يطلع على المنار من الذين يُقصَدون بها بالذات قال : —

ان ارقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان نقول ان احدًا منهم ساوى شعبًا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد انفكّ من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا وهو الآن ارقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها — أرقى منهم في الحكومة والمدنية . أرقى منهم في العلوم والفنون . أرقى منهم في الصنائع والاعمال . ارقى منهم في الآداب والاجتماع . ولك ان تستغني عن ذلك كلهِ بان تقول انهم ارقى منهم في جميع شؤُون الحياة وان تعجب فاعجب من هذا أن يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة ارقى من مسلميها في جميع شؤُون الحياة على انهم اقل منهم عددًا ومالاً وحقوقًا في مناصب الدولة . فماذا نقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا والمانيا وانكلترا وسائر دول اوربا اللواتي اصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤُونها الداخلية وقد كنَّ منذ قرنين او ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الاوربيّة قرنًا كاملاً .

في المطالعة ومن هذا النوع رواية " ايفنهو " لولترسكوت . والثاني ما حملني على الفكر والتأمل ومنهُ كتاب " الماضي والحاضر " لكارليل . والثالث ما جعلني اشتراكيًّا . والرابع ما هاج فيَّ الميل الى ان يكون لي خلق رضيٌّ مثل رواية " ڤانتي فير " (سوق الاباطيل) لتكري ورواية " له مزرابل " لڤكتور هوجو . والخامس ما جعلني احترم الطبيعة والانسان وهما على الفطرة

وقال آخر انهُ أُولع بمؤلفات جون ستورت مل ومزيني وكارليل ومقالات مكولي . ومن الشعر بمنظومات شكسبير " والفردوس المفقود " لملتن و " إنممورريام " لتنسون . وعدَّ من الروايات " ڤانتي فير " و " هنري اسموند " لثكري " وداوُد كبرفيلد " لدكنس . " وادم بيد " لجورج اليوت و " قلب مدلوتيان " وغيرها لسكوت

وذكر آخر مؤلفات سبنسر وداروِن واطنب آخر بكتاب " مبادىء الاجتماع " لسبنسر " واصل الانواع " و " تسلسل الانسان " لداروِن وبجميع مؤلفات هكسلي . وامتدح آخر فلسفة افلاطون وسقراط وخصوصاً فلسفة كارليل . وذكر آخر من الروائيين الاجانب هوجو وزولا ودوماس وبلزاك . ومن علماء الاقتصاد ادم سمث وكارل ماركس ومارشال

انتهت المقالة بتلخيص كثير . ولو شئنا ايراد اسماء جميع المؤلفين الذين استفاد رجال حزب العمال من قراءة كتبهم واسماء تلك الكتب لضاق بنا المجال فضلاً عن ان تلك الاسماء تكاد تكون نكرات الاَّ عند المتعلمين من الانكليز او عند الذين درسوا لغتهم وتعمقوا فيها من الاجانب عنهم . ولكن استوقف نظرنا ونحن نلخص هذه المقالة امران الاول سلامة طوية رجال الحزب وصدق لهجتهم وبعدهم عن الدعوى وافتخارهم بفقرهم السابق وضعة اصلهم وعدم استحيائهم من ذكرها . وقد خالفوا بذلك قول الشاعر العربي

يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الاَّ الذي كان دنيًّا فارتقى

والامر الثاني اكثارهم من ذكر كتاب عنوانهُ " النجاح والفقر " لهنري جورج الاشتراكي واطنابهم فيهِ واجماعهم على اعلاء قدر كارليل ونسبة الفضل في ما بلغوهُ من النفوذ والجاه الى قراءتهم مؤلفاتهِ . وكذلك اكثروا من ذكر رسكن وادم سمث وجون ستوارت مل

قال المستر ستد في ختام هذه المقالة وكان المستر غلادستون يقول ان كتابات ارسطوطاليس والقديس اوغسطينوس ودانتي والاسقف بطلر كان لها اعظم تأثير في نفسهِ . وقال جون رسكن ان كتابات هوراس وبندار ودانتي اثرت فيهِ اعظم تأثير ويليها قصيدة مشهورة لسكوت عنوانها " غادة البحيرة " وترجمة بوب لهوميروس ومنظومات بيرون وموليير وغيرها . وقسم الكونت تولستوي الكتب التي طالعها الى ثلاثة اقسام بحسب شدة تأثيرها .

ارباب العمائم في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات ان قال في خطبتهِ "اخواننا الشيعة " وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء· وانهم ليبذلون في مولد الشيخ من النفقات ما لو بذلوهُ في تعميم التعليم لوفى بهِ

في الهند حركة اسلامية جديدة يرجى خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب اصحابها احدًا من اهل الملل الاخرى في سعيهم وجدهم فماذا جرى للمسلمين . وما الذي دفع بهم من عليين الى اسفل سافلين

بينَّا غير مرة ان بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فمثارهُ غرورهم بدينهم او ابتداعهم في دينهم او جهلهم بدينهم او لبسهم لدينهم كما يلبس الفرو مقلوبًا . قبلوا كلَّ داهية عرضها عليهم رؤساؤهم المسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة لهُ على رأسهِ · او ناسفة لهُ من اساسهِ · واعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤساؤهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين او من سياج الدين الذي يتوقف عليهِ حفظ الدين او بقاء الدين . ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين · وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خويت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الالوف منهم واحدًا يحكم ما يعتقد من الدين في اهوائهِ وعاداتهِ فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد بالبرهان · او يعترف بهِ لانهُ منصوص في القرآن

لا نطيل في شرح هذه المسألة ولا ندع التمثيل لها بما فعل المسلمون باساسيها الديني والدنيوي او الروحاني والجثماني — اساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليهِ وحدهُ فجميع العبادات انما شرعت للتذكير بهذا الاصل والامداد لهُ والمحافظة عليهِ ومن معناهُ ان لا يلتمس الانسان شيئًا ما الاَّ من الله تعالى اي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات . ومن الشرك بالله ان يطلب الانسان شيئًا ما من غير سببهِ العام المبذول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام . فان جهل السبب او تعذر عليهِ توجه الى رحمة الله وحدهُ لعلهُ يهديهِ الى سبب آخر او يسهل لهُ الحزن ويذلل لهُ الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا ابعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقهِ والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية . وما نحلوهُ لبعض الناس من السلطة الالهية الغيبية . وبهذا صار غيرهم اقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل . وان كانوا هم اصحاب القول والدعوى

واساس الاسلام الدنيوي جعل امر المسلمين في حكومتهم شورى بينهم لا يستبد بها

انهُ لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محررون لشيءٍ من العلوم بل لم تسم
الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف الف منهم عشرة رجال مستق
الرأي والارادة لا يهابون في الحق حاكمًا . ولا يخافون فيهِ لائمًا . قد خرج حكم بلادهم من ا
وهذه رقبتها تكاد تخرج ايضًا بما يمتلك افراد الاجانب وشركاتهم من اطيانها في كل ع
يبتزون من اموالها في كل يوم . ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنينا عن ذ
تسهب فيهِ آنًا بعد آن . فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى اوربا او وثنيي ا

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين امم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس وا
وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد امسوا وراء هذه الشعوب ك
العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسمُ هممهم لمسابقة من هم اكثر منهم عددًا كالهندوس
يخجلوا ان يسبقهم من هم اقل منهم كالمجوس

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس ارقى شعوب
علمًا وعملاً واخلاقًا وآدابًا واكثرهم برًّا واحسانًا لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . ر
في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطو
من المسلمين والوثنيين . سمعت خطيبًا منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسموّ اف
وسعة عرفانهِ . فقارنت بينهُ وبين شيخ مسلم سمعتهُ يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي
ميدان الازبكية في مصر وقد احدق بهِ الناس من جميع الملل والاجناس . فرأيت ا
بين المسلم والمجوسي عظيمًا . سمعت المسلم يذكر في خطابهِ من مكانة الشيخ عبد القادر الج
عند الله تعالى انهُ اذا اختطف غراب عظمًا من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد ا
فوقع منهُ في مقبرة للكفار فان الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ و
يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبهِ وملخصها ان مريدًا لهُ مات فحمل
الشيخ على احيائهِ فطار في الجوّ ليدرك ملك الموت فيستعيد منهُ روح المريد فامتنع
ملك الموت قائلاً لا يمكن ان اعيد روحًا قبضتها باذن الله الاَّ باذن من الله فغضب
واجتذب الوعاء الذي اودع ملك الموت فيهِ الارواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وا
الارواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للش
ولا نجرأُ على ذكر ما قيل في شكوى ملك لربهِ وما أُجيب بهِ

السواد الاعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الاقوال ومن ينكرها منهم في نفسهِ لا ين
بلسانهِ وانما ينكر الاكثرون كل دعوة الى الاصلاح بالعلم الصحيح والتربية القويمة كما

توليد الاحياء

اي ايجاد احياء بالوسائط الصناعية

ذكرنا في احد اجزاء السنة الماضية ان المستر بطلر برك اعدّ مرقاً من الحلاتين وعقّمه ووضع فيه قطعة صغيرة من رويد الراديوم فتكوّنت فيه اجسام كالميكروبات وكانت تنمو وتنقسم كالاجسام الحيّة فسماها راديوبات . وتحدّث الناس بهذا الاكتشاف الغريب وذاع بين الناس ان برك هذا ظفر بحل مسألة المسائل وهي اصل الحياة وزعم بعضهم انه صنع في معمله احياء لا تفرق عن الاحياء الدنيا التي تحدث في الطبيعة الظاهرة ثم شاع ان آخر وصل الى النتيجة لكن من طريق آخر . ووُسّعت هذه الاشاعات علماء البيولوجيا وفي مقدمتهم الدكتور رو الفرنسوي صاحب لقاح الدفتيريا المعروف باسمه فكتب الى احدى الجرائد الانكليزية (الغرب والاخبار اعلاه) مقالة شائقة في هذا الشأن نلخصها فيما يلي قال

لا تزال الجرائد والمجلات العلمية تدهش قرّاءها باذاعة الاخبار عن تولد الحياة ... ومن سبب تلك الدهشة ما يعتقده الكثير من ... على الاخبار المشار اليها بحسب تجرد ... لا ما نشأ عن التجارب التي عملت لتوليد الاحياء . فقد روت جريدة ... الانكليزية ان المستر بطلر برك عقّم بعض الحلاتين ووضعه في انبوبة مع شيء من ... الراديوم . وبعد مضي اربع وعشرين ساعة على ذلك ظهر على سطح الحلاتين اجسام كالميكروبات المنبثة واحدث تغيرًا في الحلاتين تدريجًا وكانت اذا فحصت فحصًا مدققًا ... من ... آلاف من المليمتر تنقسم الى اجسام كروية ذات سطح ... ... لما ... الراديوبات احياء الراديوم ولكن ... ... هذا اكد ان ... الدفتيريا ... ... حتى يحل ... ...

وقد ... ... نتيجة المستر برك ... ... ٣٠ في المئة ملحا واصاب ... ... فحصًا من ... ... ٩ في المئة ... ... هذا المزيج ... ... صغيرة ... ... كالاميبا وعطّى الكل بلوح من الزجاج وبعد ... ... ظهرت ... الطعام اولاً ثم بلورات خرج منها اشكال بيضية وكروية صغيرة ... انها اجسام حيّة لانها ... وتنبت قرونًا متحركة مثل الاميبا احد انواع الاحياء الدنيا

الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن تم اجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيهِ ولا سلطان لغير الله تعالى على اهلهِ وان احكامهُ شورى بين اولي الامر وهم اهل العلم بالمصلحة العامة والرأي الذين تحترمهم الامة وتثق بهم. وكان النبي صلى الله تعالى عليهِ وسلم يرجع الى رأيهم في زمنهِ في الشؤون الدنيوية تربية للمسلمين بالعمل على ما ارشد اليهِ الكتاب العزيز وكان خلفاؤهُ من بعدهِ يعملون برأيهم ايضاً . فهذا الاساس في القسم الدنيوي من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منهُ فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظ شرعت الاحكام المدنيَّة والقضائيَّة وفوض غير المنصوص منها الى جماعة أُولي الامر لتدعم الشورى التي هي اساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرًّا مما فعلوا بالاساس الاول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناهُ القرآن واجمع عليهِ الصحابة من حكم الشورى قد رضي بهِ جميع المسلمين في بلاد لهم فيها سلطة الاَّ ما لا يخلو عنهُ الزمان من افراد ينكرون هذه السلطة بالسنتهم دون ان يؤلفوا جمعيات تقوضها . على ان الانكار باللسان لم يتيسر لهم في كل زمان . ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماهُ الرسول اضعف الايمان

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم – وكان افساد رؤساء الدنيا لم يتم الاَّ بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين – وكان طول الامد على هذا الافساد قد اضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي – وكانت عزة الامم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال – وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة – وكانت الشعوب الاسلامية لم تسمُ للنهوض باكراه حكامهم على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحيَّة واحداً بعد آخر كما انبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكما نشاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا – وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق – وكان الحق المجمع عليهِ انهُ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — اذا كان ما ذُكر كما ذُكر فالواجب على العلماء الاحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا للملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك ما دام في القوس منزع – ان يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بعد ان يبينوا للعامة في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة او السلطان او الامير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الاله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسأَلون

العلاقات الخارجية . وهي تشتمل ضمناً على خاصة اخرى وهي قوة الجسم على المطابقة بينهُ وبين الاحوال الموجود فيها عند تغيُّرها سواء كان ذلك التغير في الاقليم او نوع المعيشة او غيرهما

وليس في الكون ما تصحُّ تسميتهُ جسماً حيًّا ما لم تكن لهُ هذه الخصائص كلها . وهناك خصائص اخرى لازمة للاحياء الدنيا حتى تستطيع البقاء على الارض مثل عدم ذوبانها في الماء والاّ اباديتها الامطار وعفت آثارها . ولكن الاحياء العليا لها خصائص كثيرة غير ما تقدم مثل قدرتها على اتخاذ صور واشكال متعددة

وعليهِ فاذا كانت راديوبات برك تحتوي على جميع الخصائص المذكورة آنفاً فهي اجسام حية . على ان كل ما قيل فيها انها تنمو وتتوالد بالانقسام ولكن هل ذلك النمو ذاتيٌّ اي هل يتمُّ كما يتمُّ نموُّ الاحياء بتكوُّن مادة حية جديدة من الداخل لا كما يتمُّ نمو البلورات بتجمع مادة من الخارج حول الجسم النامي . وهل ذلك التولُّد ذاتيٌّ ايضاً اي هل ينشأُ عن عوامل ومؤثرات داخلية تعينها طبيعة الجسم الذي تحدث فيهِ والجواب انهُ ليس هناك برهان على ذلك

ومثل هذا يقال في تجارب لتلفيلد فانهُ عمل صوراً واشكالاً تشبه صور الاميبا من الاحياء الدنيا في ظواهرها ولكن ليس لها خصائصها الجوهرية . ومما تختلف هي وراديوبات برك بهِ عن الاحياء الدنيا ذوبانها في الماء وقد تقدم معك ان عدم الذوبان خاصة من الخصائص اللازمة للاحياء الدنيا

ومع ذلك كلهِ فمن العبث ان نجزم بانهُ لا يمكننا مبدئيًّا عمل ادنى شكل من اشكال الاحياء في معاملنا اذ ربما امكننا ذلك بعد تجارب طويلة تكون غايتها الحصول اولاً على احياء لها خاصة واحدة او خصائص قليلة من خصائص الاحياء السابقة الذكر ثم التدرُّج في ذلك الى الآخر . وقد ظفر بعض العلماء مثل بتشلي وكوينك ورمبلر وغيرهم بعمل انواع لها حركة ذاتية وامتصاص ذاتي وافراز ذاتي ولكن لما كانت الخصائص الاخرى غير موجودة فيها فان قدرتها على البقاء ضعيفة غير ملائمة . فاذا استطاع الانسان جمع هذه الخصائص كلها في جسم واحد فقد أتى عملاً لم تتمهُ الطبيعة الاّ بعد مرّ الدهور وفوات القرون

اما انا فالمرجح عندي اننا لا نتمكن من عمل احياء اصطناعيَّة تكون مثل الاحياء الطبيعيَّة اذ وجه الارجحيَّة في الحصول على الشروط اللازمة لذلك ضعيف الى ما لا حدَّ لهُ . وجهد ما نؤَمله تقليد تلك الاحياء تقليداً قريباً جدًّا من غير ان نصنع مثلها . ولما كانت الاحياء الطبيعيَّة التي نعرفها الآن هي التي سلمت على طول الزمان وتراخي القرون طبقاً لناموس بقاء الاصلح فلا عجب اذا جاءت اكمل خلقاً واتمَّ صنعاً من كل ما نؤَمل صنعهُ بالوسائط الصناعية

ولكن لو فرضنا ان هاتين التجربتين هما على ما قيل تماماً فان النتيجة المبنية عليهما اي الحصول على اشكال مثل الاحياء انما هي نتيجة فاسدة. وفسادها ناشئ عن عدم وجود تعريف تامّ للحياة في ابسط صورها واشكالها. فقد عرّفت صور الاحياء البسيطة منذ نحو ٢٥ سنة وجعلت اساس تعريفي لها خاصّة من خصائصها المشهورة وهي محافظتها على نفسها وبقاء نوعها على مرّ الحقب بالرغم من تغير مادتها والوسط المحيط بها . وقد ايّدت هذا الحدّ او التعريف حديثاً وانهُ يستحيل تعريف الحياة تعريفاً كيماويّاً محضاً كما حاول بعضهم ان يفعل منذ زمن طويل لان لها علاقة شديدة بالمظاهر الطبيعية التي هي ليست نتيجة التركيب الكيماوي فقط بل نتيجة تركيب طبيعي خصوصيّ ايضاً. وعليهِ فتعريف الحياة الآن لا يمكن الاَّ بالنظر الى خصائص الاحياء البسيطة على ما نعرفها وهي اولاً امتصاصها للاجسام الغريبة عنها. وثانياً تحويلها اياها مادة تماثلها وهو ما يسمَّى بالتمثيل. وثالثاً تجديدها نفسها باعمال حيويّة تجري داخلها مثل انفاق الالبيومن والدهن او بقاؤُها غير متغيّرة [1] . ورابعاً الافراز مثل افراز الحامض الكربونيك والبول وغيرها من اجسام الحيوانات والاكسجين من النبات. وخامساً النمو الذاتي . وسادساً التحرك الذاتي . وسابعاً الانقسام الذاتي والتولد الذاتي . وثامناً انتقال الصفات بالوراثة

وهذه الخصائص لازمة لكلّ حيّ وهي صفات غير متنقلة ولكن ظهورها وكمالها فيهِ يتوقفان غالباً على العوامل الخارجية . ومجموعها يعيّن نوع الحيّ . وهمّ الاحياء الاول تجديد نوعها وحفظهُ واذا وجدت طعامها اكلت منهُ ما يلزم لحفظها . وكلُّ شيءٍ حوى الخصائص المتقدمة فهو جسم حيٌّ لا محالة . ولكنَّ هناك خاصة اخرى لازمة لكل صور الاحياء حتى ابسطها وادناها وهي خاصة تعديل القوى حسب مقتضى الحال اي قدرتها من نفسها على تعديل الخصائص المذكورة . فكلما طال زمان امساك الطعام عنها مثلاً زادت قابليتها لهُ فاذا امتصت قدرًا منهُ ضعفت قوة الامتصاص على نسبة القدر الممتص . وكلما زاد تكوُّن المواد الغريبة في الجسم زادت قدرتهُ على افرازها وهلم جرًّا . وهذه الخاصة تزيد قوة الجسم على البقاء وهي لازمة لا يستغنى عنها في طول زمان بقائهِ عند طروء التغير على

(١) ليس التجديد في الاحياء الدنيا عملاً دائماً كما هي الحال عليهِ في الاحياء ذات الدم الحارّ لان من شروط التجديد الجوهرية انفاق القوة بالحركة والعمل . وقد عملت تجارب كثيرة في الاحياء ذات الدم البارد دلت على توقف التغير الكيماوي فيها توقفاً تاماً مثل تجفيفها وتجميدها بالبرد الشديد . ثم ان الانحلال المستمر الذي يجري في اجسام الحيوانات ذات الدم الحار يساعد على حفظها اذ لولا حرارتها لتعطلت وظائف اجسامها فلم تعد تقوى على حفظها

كثرت وانضم بعضها الى بعض عند منتهى القناطر السليمة. واما القليلون الذين بلغوا القناطر المنهدمة فكانوا يتجمعون عليها ويسقطون الواحد بعد الآخر اعياءً منهوكين من طول السير

قضيت هنيهة من الزمان وانا اتأمل في هذا البناء العجيب وحزنت تحديداً لما رأيت كثيرين يسقطون على حين غفلة وهم فرحون طربون ويحاولون التمسك بشيء لعلهم ينجون من الهبوط . وكان بعضهم ينظرون الى العلاء ويفتكرون بامور عقلية فما لبثوا ان عثروا وسقطوا واختفوا . وكان الكثيرون منهم مهتمين بطاردة فقاقيع تلمع امام عيونهم حتى اذا ظنوا انهم كادوا يبلغونها زلقت ارجلهم وهبطوا

ولما رآني الجني ساهلاً نفسي بهذا المنظر المحزن قال كفاك ارفع بصرك عن الجسر وانظر هل ترى شيئاً لا تفهمه فتطلعت الى فوق وقلت ما معنى كثرة هذه النسور والعقبان والغربان والاولاد المجنحة التي تحوم حول الجسر وتحط على منتصف قناطره قال هي الحسد والطمع والخرافات واليأس والعشق وغيرها من الهموم والاهواء التي تعزو الانفس وتعريها. فتنفست الصعداء وقلت واسفاه خلق الانسان عبثاً يعذب في الحياة ويبتلع في الموت

ولما رآني اخي في هذه الحالة حزن عليَّ وقال لا تعد تنظر الى الانسان في دوره الاول من الوجود وهو يتسرع في السير نحو الابدية بل انعت الى ذلك الضباب الكثيف الذي يحمل النهر اليه كل اجيال الناس الذين يقعون فيه. فالتفت كما أُمرت ولا اعلم هل قوى ذلك الجني بصري او هل اراح بعض الضباب الذي لم تستطع عيني ان تخترق ظلامه قبلاً فاني رأيت الوادي منفرجاً عند طرفه البعيد ومنتشراً على هيئة بحر فسيح يشقه صخر صلد عظيم ويقسمه الى قسمين متساويين . وكان النصف الواحد لا يزال مكتنفاً بالغيوم الحالكة فلم استطع ان ارى فيه شيئاً ما اما النصف الآخر الذي انقشعت عنه السحب فرأيته بحراً زاخراً بجزر لا تحصى ... بالاشجار والازهار ورأيت فيها اناساً عليهم حلل من اللباس الفاخر وعلى رؤوسهم اكاليل وهم يتنزهون بين الاشجار ويتكئون على جانب الانهار او يستلقون على اسرّة من الازهار وسمعت تغريد الطيور وخرير المياه واصوات البشر وآلات الغناء . ففرحت بما رأيته من ذلك المنظر البهج وتمنيت جناحاً اطير به الى تلك المعاهد السعيدة غير ان الجني اخبرني انه لا سبيل الى الوصول اليها الا من ابواب الموت التي كنت اراها تنفتح على الجسر دائماً وقال ان هذه الجزر الخضراء الجميلة التي تغطي وجه البحر امامك كالرمال الذي لا عدد له وهي منازل يبلغها الناس بعد الموت لكنها تختلف كمّاً وكيفاً بتفرق فيها الصالحون بحسب مقامهم ودرجات الكمال التي احرزوها في هذه الحياة وكل جزيرة منها

رؤيا مرزا

من مجلة الناظر الانكليزية

نهضت ذات يوم من النوم واغتسلت وصليت الصبح ثم صعدت جبلاً من جبال بغداد لاقضي بقية نهاري بالتأمل والدعاء الى الله . وفيما كنت اتنسم نسيم الهواء اخذت افكّر في بطلان الحياة الدنيا وبعد التبصُّر الطويل قلت في نفسي ما الانسان الا ظل زائل وما الحياة الا حلم عابر . وبينما كانت هذه الافكار تخامر قلبي التفتُّ الى قمة صخر على مقربة مني فرأيت رجلاً بزيّ راعٍ وفي يدهِ مزمار يضرب فيهِ الحانًا مطربة لم اسمع ما يماثلها ذكرتني بتلك الالحان السموية التي تلاقي انفس الصالحين المنتقلة الى الفردوس عند وصولها اليهِ فتمحو ما بقي في النفس من مضض الاحتضار وتؤهلها للذّات ذلك المكان السعيد فذاب قلبي بهجةً وحبوراً

وكنت قد سمعت كثيرًا ان ذلك الصخر معهد جنيّ سمع بعض الناس عزفهُ ولم يروهُ . واذ كنت انظر الى الراعي نظرة المدهوش اومأ اليَّ بيدهِ ان اقترب منهُ فاقتربت وطرحت نفسي عند رجليهِ وبكيت . وعند ذلك انهضني وتبسم وعلى وجهه لوائح الرأفة والرفق واخذني بيدهِ وقال يا مرزا قد سمعتك في مناجاتك اتبعني

ثم اخذني الى اعلى قمة الصخر واوقفني عليهِ وقال انظر الى الشرق وقل لي ماذا ترى فقلت ارى واديًا فسيحًا يجري فيهِ نهر عظيم . قال ان الوادي الذي تراهُ هو وادي الشقاء والماء الذي تراهُ هو قسم من مجرى الزمان . ثم سألتهُ ما السبب في ان هذا النهر يخرج من غمامة كثيفة عند الطرف الواحد وينتهي الى غمامة كثيفة عند الطرف الآخر فقال ان الذي تراه هو جزءٌ من الابدية يقال لهُ الزمان الذي تقيسهُ الشمس ابتداؤهُ وهو يمتد من ابتداء العالم الى آخرهِ . ثم قال انظر الى هذا النهر العظيم الذي يحدُّ الظلام طرفيهِ واخبرني ماذا ترى فقلت جسرًا ممتدًّا فوق منتصف النهر قال هذا الجسر هو حياة الانسان فامعن النظر فيهِ . فامعنت بصري فرأيت انهُ مؤلف من سبعين قنطرة كاملة وثلاثين مخرّبة متصلة بها ورأيت خلقًا كثيرًا سائرين عليهِ وسحابة مظلمة تكتنف كلاً من طرفيهِ . واذ كنت أُحدِّق اليهم شاهدت كثيرين من المارّين يسقطون من خروق مستورة في الجسر الى النهر العظيم الجاري تحتهُ ثم يختفون في الحال . وكانت هذه الخروق المخبَّأة كثيرة عند مدخل الجسر بحيث ان كثيرين من الخلق لم يكادوا يخرجون من السحابة الاّ سقطوا فيها ثم قلّ عددها في منتصف الجسر ثم

على اشتباهكما في امري . اما انا فقد عرفت انكما اضعتما جملاً لاني رأيت آثار احفاف جمل ولم أرَ بينها آثار اقدام بشر. وعرفت انهُ اعور لانه رعى الكلأ النابت على احد جانبي الطريق دون الآخر وانهُ اعرج من اثر قدمهِ في الرمل. وانهُ فاقد احدى اسنانهِ من اثر رعيهِ للعشب وان حملهُ كان عسلاً وقمحاً من الذباب المتجمع على احد جانبي الطريق والنمل المتجمع على الآخر . انتهت القصة

وعلى هذا النسق من الاستنتاج والاستدلال كُتب كتاب نجارستان بالفارسية ومعناهُ " معرض الصور " وهو مجموع قصص وقصائد ادبية من قلم كاتب فارسي اسمهُ معين الدين الجوفايني عاش في القرن الرابع عشر وعثر على هذا الكتاب رجل ايطالي فترجمهُ الى الايطالية وتناول الترجمة كاتب فرنسوي اسمهُ جوليت وبنى عليها حكايات سماها " الليالي البريتونية " والمظنون ان فولتير ألَّف روايتهُ المسماة " زادج " (ولعلها صادق) على مثالها . ومن حِكم صادق قولهُ " لا أسعد من الفيلسوف الذي يتصفَّح ذلك الكتاب العظيم (الطبيعة) الذي فتحهُ الله امام عينيهِ . فان الحقائق التي يجدها فيهِ هي لهُ . وهو يغذي نفسهُ بها ويرقيها ويعيش عيشة راضية لا يختشى انساناً " ولما امتلأ رأس صادق من هذه الافكار " طلب العزلة في بيتهِ بجوار الفرات وارتأى العمر يعدُّ ويحسب كم من الماء يمرُّ في الثانية من تحت جسر تجاور لهُ وما اذا كان يقع من المطر في شهر الفيران اكثر مما يقع في شهر الغنم . ولم يخطر لهُ ببال ان ينسج الحرير من نسيج العنكبوت او يصنع الفخار من قطع الزجاج ولكنهُ درس طبائع الحيوانات والنباتات فبلغ من الفطنة مبلغاً استطاع بهِ ان يكتشف الف فرق حيث لم يرَ غيرهُ سوى سلسلة متشابهات ومتلابسات

وكان صادق ذات يوم ماراً قرب غابة فرأى رجال بطانة الملكة ونفراً من ضباط الخصيان يهرعون اليهِ وعلم من حركاتهم ان امراً ذا بال يشغلهم وانهم اضاعوا شيئاً ثميناً وهم يطلبونهُ . فلما وصلوا اليهِ قال رئيس خصيان الملكة لهُ هل رأيت كلب الملكة . قال صادق انهُ كلبة لا كلب . قال رئيس الخصيان صدقت . قال صادق وهي ذات اجرية عرجاء اليد اليسرى طويلة الاذنين . قال الخصي طرباً اذاً انت رأيتها . قال صادق كلاَّ اني لم أرها البتة ولم اكن اعلم ان عند الملكة كلبة مثلها

واتفق انهُ لما فرَّت كلبة الملكة فرَّ ايضاً اكرم جياد الملك من ايدي سائسهِ الى سهول بابل فجدَّ وزير الملك الاكبر وسائر رجال البلاط في أثرهِ ليمسكوهُ حتى اذا لقوا صادقاً خاطبهُ الوزير قائلاً هل رأيت جواد الملك . قال صادق انهُ جواد كامل الخلقة موزون

دوس موافق لحالة الذين يحلون فيهِ . أليست هذه المساكن يا مرزا مما يحق ان يسعى اليهِ.
نكون الحياة شقيَّة اذا كان لك فيها مجال لانتهاز الفرصة والوصول الى هذا الثواب العظيم.
تخاف الموت الذي يحملك الى هذه السعادة العظمى . لا نقل خلق الانسان عبثاً وقد
ُخرت لهُ مثل هذه الابديَّة . ثم حدَّقت ببصري طويلاً في ما رأَيتهُ وقلت لهُ اخيراً انني
تهل اليك الآن ان تكشف لي الاسرار المحجوبة وراء ستار الغيوم المظلمه التي تغطي البحر الى
لجانب الاخر من الصخر الذي يشق البحر الى نصفين . فلم يجبني لشيء ولما التفت لأعيد
والي رأَيت انهُ قد فارقني ثم التفت الى ما كنت قد شاهدتهُ وتأملتهُ طويلاً وبدلاً من
نهر الجاري والجسر وقناطرهِ والجزر الجميلة لم ارَ الا الوادي الطويل بجانب بغداد والثيران
الغنم ترعى فيهِ يوحنا ورتبات

الفراسة في الحكايات

كلُّ من يقرأُ روايات السر ارثر كونن دويل من مشاهير الروائيين الانكليز يرى في
مضها ذكر رجل اسمهُ "شرلوك هولمس" اختلقتهُ مخيلة الكاتب وجادت عليهِ بصنوف المكر
إساليب الحكمة والدهاء حتى صيرتهُ مثالاً لقوة الفراسة والاستدلال وانموذجاً كاملاً للوصل
ين العلل والمعلولات تدرجاً الى استجلاء الغوامض وابراز المكنونات في حوادث الجنايات

وليس الكاتب بمبتكر هذه الفكرة ولا هو باول من ابتدعها في الروايات والكتابات
لموضوعة بل هي فكرة قديمة جرى عليها كثيرون من الكتاب الاولين فاقتبسها منهم ومصدر
هذه الفكرة الشرق ككثير غيرها مما نشأَ فيهِ فاقتبسهُ الغرب منهُ . فما من احد الا ويعرف
حكاية الدرويش والتاجرين وهي شرقية الاصل ترجمت الى جميع اللغات الغربية ومآلها ان
درويشاً كان يسير في الصحراء فصادف تاجرين فقال لهما انكما اضعتما جملاً فقالا نعم . قال الم
يكن اعور العين اليمنى واعرج الرجل اليسرى . قالا بلى . قال أَلم يكن فاقداً سنّاً من اسنانهِ. قالا
بلى . قال أَلم يكن محمَّلاً عسلاً عن جانب وقمحاً عن الجانب الآخر . قالا بلى ولا ريب انك
رأيتهُ فهلاَّ دللتنا عليهِ ولك الاجر والثواب . قال يا صاحبيَّ صدّقاني اني لم أُبصر جملكما
ولم اسمع بهِ الاَّ منكما . قالا والله ان امرك عجيب فاين الجواهر والحلي التي كانت في [illegible]
قال اني لم انظر جملكما ولا حليكما . فاخذا بضبعيهِ وجرَّاهُ الى القاضي فلم يثبت عليهِ غشٌّ
ولا سرقة. فاتهماهُ بالسحر فدافع عن نفسهِ قائلاً [illegible] سرّني دهشتكما وأرى [illegible] [illegible]

على اشتباهكما في امري . اما انا فقد عرفت انكما اضعتما حملاً لاني رأيت آثار احفاف جمل ولم أرَ بينها آثار اقدام بشر. وعرفت انهُ اعور لانهُ رعى الكلأ النابت على احد جانبي الطريق دون الآخر وانهُ اعرج من اثر قدمهِ في الرمل. وانهُ فاقد احدى اسنانهِ من اثر رعيهِ للعشب وان حملهُ كان عسلاً وقمحاً من الذباب المتجمع على احد جانبي الطريق والنمل المتجمع على الآخر . انتهت القصة

وعلى هذا النسق من الاستنتاج والاستدلال كُتب كتاب بجارستان بالفارسية ومعناهُ "معرض الصور" وهو مجموع قصص وقصائد ادبية من قلم كاتب فارسي اسمهُ معين الدين الجوفايني عاش في القرن الرابع عشر وعثر على هذا الكتاب رجل ايطالي فترجمهُ الى الايطالية وتناول الترجمة كاتب فرنسوي اسمهُ جوليت وبنى عليها حكايات سماها "الليالي البريتونية" والمظنون ان فولتير ألّف روايتهُ المسماة "زادج" (ولعلها صادق) على منوالها .

ومن حِكَم صادق قولهُ "لا أسعد من الفيلسوف الذي يتصفَّح ذلك الكتاب العظيم (الطبيعة) الذي فتحهُ الله امام عينيهِ . فان الحقائق التي يجدها فيهِ هي لهُ . وهو يغذي نفسهُ بها ويرقيها ويعيش عيشة راضية لا يخشى انساناً" ولما امتلأ رأس صادق من هذه الافكار "طلب العزلة في بيتهِ بجوار الفرات وارتأى العمر يعدُّ ويحسب كم من الماء يمرُّ في الثانية من تحت جسر مجاور لهُ وما اذا كان يقع من المطر في شهر الفيران اكثر مما يقع في شهر الغنم . ولم يخطر لهُ ببال ان ينسج الحرير من نسيج العنكبوت او يصنع الفخار من قطع الزجاج ولكنهُ درس طبائع الحيوانات والنباتات فبلغ من الفطنة مبلغاً استطاع بهِ ان يكتشف الف فرق حيث لم يرَ غيرهُ سوى سلسلة متشابهات وملابسات

وكان صادق ذات يوم ماراً قرب غابة فرأى رجال بطانة الملكة ونفراً من ضباط الخصيان يهرعون اليهِ وخط من حركاتهم ان امراً ذا بال يشغلهم وانهم اضاعوا شيئاً ثميناً وهم يطلبونهُ . فلما وصلوا اليهِ قال رئيس خصيان الملكة لهُ هل رأيت كلب الملكة . قال صادق انهُ كلبة لا كلب . قال رئيس الخصيان صدقت . قال صادق وهي ذات اجرية عرجاء اليد اليسرى طويلة الاذنين . قال الخصي طرباً اذاً انت رأيتها . قال صادق كلاَّ اني لم أرها البتة ولم اكن اعلم ان عند الملكة كلبة مثلها

واتفق انهُ لما فرَّت كلبة الملكة فرَّ ايضاً اكرم جياد الملك من ايدي سائسهِ الى سهول بابل فجدَّ وزير الملك الاكبر وسائر رجال البلاط في أثرهِ يمسكوهُ حتى اذا لقوا صادقاً خاطبهُ الوزير قائلاً هل رأيت جواد الملك . قال صادق انهُ جواد كامل الخلقة موزون

فردوس موافق لحالة الذين يحلون فيهِ . أليست هذه المساكن يا مرزا مما يحق ان يسعى اليهِ. أتكون الحياة شقيَّة اذا كان لك فيها مجال لانتهاز الفرصة والوصول الى هذا الثواب العظيم. أتخاف الموت الذي يحملك الى هذه السعادة العظمى . لا تقل خلق الانسان عبثاً وقد ذُخرت لهُ مثل هذه الابديَّة . ثم حدَّقت ببصري طويلاً في ما رأيتهُ وقلت لهُ اخيراً انني ابتهل اليك الآن ان تكشف لي الاسرار المحجوبة وراء ستار الغيوم المظلمة التي تغطي البحر الى الجانب الآخر من الصخر الذي يشقّ البحر الى نصفين . فلم يجبني بشيء ولما التفتُّ لأُعيد سؤالي رأيت انهُ قد فارقني ثم التفتّ الى ما كنت قد شاهدتهُ وتأملتهُ طويلاً وبدلاً من النهر الجاري والجسر وقناطرهِ والجزر الجميلة لم ارَ الاّ الوادي الطويل بجانب بغداد والثيران والغنم ترعى فيهِ

يوحنا ورتبات

الفراسة في الحكايات

كلٌّ من يقرأ روايات السر ارتر كونن دويل من مشاهير الروائيين الانكليز يرى في بعضها ذكر رجل اسمهُ "شرلوك هولمس" اختلقتهُ مخيلة الكاتب وجادت عليهِ بصنوف المكر واساليب الحكمة والدهاء حتى صيرتهُ مثالاً لقوة الفراسة والاستدلال وانموذجاً كاملاً للوصل بين العلل والمعلولات تدرجاً الى استجلاء الغوامض وابراز المكنونات في حوادث الجنايات

وليس الكاتب بمبتكر هذه الفكرة ولا هو باول من ابتدعها في الروايات والكتابات الموضوعة بل هي فكرة قديمة جرى عليها كثيرون من الكتاب الاولين فاقتبسها منهم ومصدر هذه الفكرة الشرق ككثير غيرها مما نشأ فيهِ فاقتبسهُ الغرب منهُ . فما من احد الاَّ ويعرف حكاية الدرويش والتاجرين وهي شرقية الاصل ترجمت الى جميع اللغات الغربية ومآلها ان درويشاً كان يسير في الصحراء فصادف تاجرين فقال لهما انكما اضعتما جملاً فقالا نعم . قال ألم يكن اعور العين اليمنى واعرج الرجل اليسرى . قالا بلى . قال ألم يكن فاقداً سنًّا من اسنانهِ . قالا بلى . قال ألم يكن محمَّلاً عسلاً عن جانب وقمحاً عن الجانب الآخر . قالا بلى ولا ريب انك رأيتهُ فهلاَّ دللتنا عليهِ ولك الاجر والثواب . قال يا صاحبيَّ صدّقاني اني لم أُبصر جملكما ولم اسمع بهِ الاَّ منكما . قالا والله ان امرك عجيب فاين الجواهر والحلي التي كانت في حـ[illegible] قال اني لم انظر جملكما ولا حليكما . فاخذا بضبعيهِ وجرّاهُ الى القاضي فلم يثبت عليهِ غشٌّ ولا سرقة . فاتهماهُ بالسحر فدافع عن نفسهِ قائلاً [illegible] سرّني دهشتكما وأرى انكم [illegible] لدريان

الملك فأمر برد الغرامة اليهِ فجاءهُ الاعوان والحشم بثيابهم المزركشة وهم يحملون الغرامة فاخذوا ثلاثمئة وثمانيًا وتسعين اوقية منها نفقات القضاء ونفحوا غلمانهم بالحلوان واعطوهُ الباقي

واشتهر اياس عند العرب بحذقهِ وفراستهِ ومن نوادرهِ ان رجلين احتكما اليهِ في وديعة مال فجحد المستودع المال . فقال للطالب اين دفعت اليهِ المال فقال تحت شجرة في مكان كذا . فانكر خصمهُ وقال انهُ لا يعرف ذلك المكان . وكان اياس قد ظنَّ الخيانة في المستودع فقال للمودع اذهب الى ذلك المكان لعلك تتذكر كيف كان امر هذا المال فربما كان المستودع رجلاً غير هذا . فمضى الرجل وجلس خصمهُ ساعةً . فقال لهُ اياس اترى خصمك قد بلغ موضع الشجرة قال لا . فقال ياعدوَّ الله كيف عرفت ذلك وانت لا تعرف المكان قم فاحضر الوديعة فاقرَّ بالخيانة وردَّ المال . ومن ذلك انهُ رأى يومًا مرعى بعير فقال هذا البعير اعور . فنظروا فكان كما قال . فقيل لهُ كيف عرفت ذلك قال وجدت رعيهُ من جهة واحدة . وسمع يومًا نباح كلبٍ فقال هذا الكلب ينبح على شفير بئرٍ فنظروا فكان كما قال . فقيل لهُ في ذلك فقال سمعت عند نباحهِ دويًّا من مكان واحد ثم سمعت بعدهُ صدًى يجيبهُ فعلمت انهُ عند بئر. ورأى جاريةً تحمل طبقًا مغطى بمنديل فقال معها جرادٌ . فسئل فقال رأيتهُ خفيفًا على يدها

وممن اشتهر بين كتاب الانكليز بامثال هذه القصص والحكايات كاتب اسمهُ ادجار ألن بو . جاء في احدى حكاياتهِ المسماة "الكتاب المسروق" ان كتابًا سرق من احدى غرف الملك في باريس وكان سارقهُ معروفًا لانهم رأوهُ يسرقهُ وهو من كبار وزراء المملكة . وتفصيل الخبر ان احد ملوك فرنسا أرسل كتابًا الى احدى نساء قصرهِ وبينما كانت تقرأهُ سمعت وقع خطوات خارج غرفتها فحاولت تخبئة الكتاب ولكنها لم تستطع ذلك لقصر الوقت فتركتهُ على المائدة قائلة في نفسها ان ما يترك امام الاعين قلما يكون معرض الريبة والشبهة. ولما دخل الوزير وقعت عيناهُ على الكتاب فعرف الخطَّ الذي فيهِ وكان معهُ كتاب يشبههُ فاستبدلهُ بهِ . ورأت المرأة ذلك منهُ ولكنها خشيت معارضتهُ بسبب وجود ثالث معهما فأبلغت البوليس الامر ففتش منزل الوزير في اثناء غيابهِ فلم يجد فيهِ ما يطلبهُ فقصد رئيس البوليس بوليسًا سريًّا اسمهُ دوبان وعرض الامر عليهِ فطلب دوبان منهُ وصف الكتاب فوصفهُ لهُ ثم غادرهُ ومضى . وعاد رئيس البوليس اليهِ بعد اسابيع قائلاً انهُ فتش منزل الوزير ثانية فلم يعثر على الكتاب وانهُ يعطيهِ خمسين الف فرنك اذا اتاهُ بهِ . فقال لهُ دوبان اكتب سندًا بالمبلغ وامضهِ وانا أعطيك الكتاب فكتب السند فاعطاهُ الكتاب

الخطى علوّهُ خمس اقدام وحوافرهُ صغيرة وطول ذنبهِ ثلاث اقدام ونصف وفي فمهِ شكيمة من الذهب عيارها ٢٣ قيراطاً ونعالهُ من الفضة [illegible] .
قال صادق لم ارهُ في عمري ولم اسمع بهِ

فلم يشكّ الوزير الاكبر ورئيس الخصيان في ان صادقاً [illegible] الملك وكلبة الملكة فساقاهُ الى حضرة الدستوهان الاعظم فحكم عليهِ بالجلد والنفي الى سيبيريا . ولم يكد الدستوهان يفوه بالحكم حتى انتشر الخبر بان الجواد والكلبة وجدا فالغي حكم جلد [illegible] عن صادق وحكم عليهِ بدفع اربع مئة اوقية من الذهب [illegible] انكارهِ رؤية الجواد والكلبة . [illegible] ان يدفع الغرامة اولاً وسمح لهُ ان يبرّر نفسهُ امام مجلس الدستوهان الاعظم قال :

" يا كواكب العدل وبحور العلم ومرايا الحق الذين لهم رزانة الرصاص وصلابة الحديد ولمعان الماس وبينهم وبين الذهب شبه قريب . انكم اذنتم لي في الكلام امام هذا المجلس الموقّر فأُقسم لكم بأورمزد اني ما رأيت الكلبة المحترمة التي للملكة ولا الجواد المقدس الذي لملك الملوك . فاسمعوا ما جرى لي . اني كنت امشي نحو الغابة حيث اجتمعت بحضرة مكرم والوزير الاكبر المعظم . وكنت قد رأيت على الرمل آثار اقدام حيوان [illegible] فاتضح لي بعد النظر انهُ كلب صغير . ورأيت بين آثار الاقدام خطوطاً فعلمت انها حادثة عن مسّ اثداء الحيوان للرمل وبالتالي انهُ انثى وضعت جراءها قريباً . وعلمت من آثار اخرى منطبعة على الرمل [illegible] آثار اليدين ان اذني الكلبة كانتا طويلتين تمسان الارض . ومن ضعف اثر [illegible] ارى ان كلبة ملكتنا الموقرة عرجاء قليلاً وارجو المعذرة على هذا القول

اما من جهة جواد الملك فاقول انني بينما كنت امشي في الغابة رأيت آثار [illegible] المسافات بينها متساوية فعلمت من ذلك انهُ كامل الحلقة موزون الخطى [illegible] مكنوساً عن الاشجار التي في جانبي الطريق على بعد ثلاث اقدام ونصف من [illegible] فاستنتجت ان طول ذنب الجواد ثلاث اقدام ونصف وانهُ كان يضرب بهِ [illegible] وذات اليسار فينفض بهِ الغبار ورأيت تحت اشجار علوّها خمس اقدام اوراقاً خضراء [illegible] منذ عهد قريب فعلمت ان الجواد مسها فتساقطت واستدللت من ذلك ان علوّهُ خمس اقدام . ورأيت اثر الشكيمة على صخر فحككتهُ فوجدت انهُ من عيار ٢٣ قيراطاً . وكذلك رأيت [illegible] نعالهِ على حجارة الطريق فعلمت انها من الفضة

فدهش قضاة الدستوهان من ذكاء صادق ودقة نظرهِ . وبلغ الملك والملكة خبرهُ وبات حديث اهل البلاط كبيرهم وصغيرهم . وارتأى مجوس المملكة ان يحرق بدعوى انهُ ساحر اما

تصورك هذا. فان عندي خزانة حديد صغيرة مدهونة بالدهان الاخضر مثل الخزانة المسروقة وها هي نخذ المفتاح وجرّب ان تخدشها . فاخذ الرجل المفتاح وحاول خدش الخزانة فلم يفلح . فقال لكوك ان ذلك صعب واصعب منهُ خدش الخزانة الاخرى لان دهانها اصلب واكثف وعليهِ فلا يمكن ان يكون الخدش قد حدث بيد لص يرتجف بل بيد قويَّة . ثم تناول لكوك المفتاح وهمَّ بوضعهِ في القفل وقال للرجل افرض اني اريد فتح هذه الخزانة وانك تريد منعي من ذلك فماذا تفعل. قال اني امسك ذراعك واشدُّها نحوي قال لكوك فافعل كذلك فامسك الرجل ذراع لكوك وجذبها نحوهُ بعنف ولكوك يحاول فتح الخزانة فاحدث المفتاح خدشاً فيها مثل الذي في الصورة . واستنتجا من ذلك ان رجلين حضرا سرقة خزانة البنك لا واحد وان احدهما كان يريد اخذ الدراهم والآخر كان يمنعهُ وكان كذلك كما ثبت فيما بعد

هذا وان ما فعلهُ اهل الفراسة في القصص المتقدمة وان يكن خياليًّا ليس باعظم مما يفعلهُ رجال البوليس السري حقيقة كلَّ يوم ولا اعجب منهُ بل ان رجال البوليس السرّي في لندن وباريس ونيويورك وغيرها من مدائن الغرب الكبرى يظهرون من اساليب الدهاء والفراسة ويتفننون في فتق الحيل لاكتشاف المخبآت الى حدّ يفوق التصوُّر والتصديق وحكاياتهم بهذا الصدد كثيرة تملأُ المجلدات الضخمة

الرفَّاش

The Man with the Hoe.

الرفاش اسم لصورة مشهورة تمثل رجلاً من العمَّال رفشهُ في يدهِ وقد استند اليهِ ونظر الى الخلاء ساهياً كأنهُ لا يعي على شيء. رأى هذه الصورة المستر ادوين مركام فنظم فيها قصيدة مشهورة ترجمناها بما يلي

على عاتقيهِ رزايا الدهور فلا تعجبنَّ لظهر حني
رزايا ازالت نضارة وجهٍ فلا يستفزُّ ولا ينثني
فاين السرور واين الرجاء وكل بهيج ومستحسن
واين الهموم واين الغمومُ وكل شعور بها قد فني
فمن دسَّ فيهِ سموم الخمول واطفأ منهُ الضياء السني

فدهش ناظر البوليس اشدَّ دهشة فطفق دوبان يشرح لهُ كيفية عثورهِ بالكتاب قال ان القاعدة التي جرى عليها للاهتداء اليهِ هي قولهم "ضع نفسك مكانهُ" فوضع نفسهُ مكان الوزير وقال ان البوليس لا بدَّ ان يطرق منزلهُ ويفتشهُ وكان يغيب عنهُ عمدًا ليمكن البوليس من تفتيشهِ فيفتشهُ ولا يجد شيئًا واستدلَّ دوبان ان الوزير لم يخبيء الكتاب جريًا على المعروف من ان الاشياء الظاهرة للعيون قلما يشتبه في امرها . وعليهِ امَّ دار الوزير فوجدهُ فيها وكان دوبان لابسًا نظارات سوداء ليتمكن من رؤية كل ما في غرفة الوزير من غير ان يُنتبه اليهِ وادعى ان الذي حملهُ على لبس النظارات السوداء داءٌ المَّ بعينيهِ . وبينما كان يحدث الوزير لمح في الغرفة علبة صغيرة معلقة بشريطة زرقاء قذرة وفيها بطاقات زيارة وورقة وسخة ممزقة عليها ختم الوزير ومعنونة بخط امراة ويظهر لكل من يراها انها أُلقيت في العلبة القاء الاوراق المهملة

فاستنتج ان هذه الورقة هي الكتاب المنشود وعزم على سرقتها من مكانها فودَّع الوزير بعد ان ترك علبة سعوط ذهبية كانت معهُ على المائدة عمدًا وخرج . وفي صباح اليوم التالي عاد يطلبها . وبينما كان جالسًا يحدث الوزير اذا بصوت طلق ناري خرج من تحت نافذة الوزير وتلا الصوت ضجة هائلة وصراخ شديد وكان دوبان قد دبَّر ذلك من قبل . فهب الوزير من مكانهِ الى النافذة وفتحها واخذ ينظر خارجًا . اما دوبان فاسرع نحو العلبة وانتشل الكتاب منها ووضع مكانهُ كتابًا آخر كان قد اعدَّهُ من قبل وطواهُ طيَّ الكتاب المسروق ثم ودَّع الوزير وخرج ظافرًا وبذلك تمت الحيلة

ومن هذا القبيل حكاية البوليس لكوك في احدى روايات اميل جابوريو ومآلها ان مالاً وافرًا سرق من خزانة حديد من بنك ولم يعرف سارقهُ . وبينما كان لكوك يحادث احد رجال البوليس التابع لهُ سألهُ هل تتذكر هيئة الخدش الذي رأيتهُ على الدهان الاخضر المدهون بهِ باب الخزانة فانك صحت لما رأيتهُ وفحصتهُ جيدًا واقتنعت انهُ خدش جديد . فقل لي ما هي الاداة التي احدثتهُ . الظاهر انها مفتاح . فاذا كان الامر كذلك فقد كان يجب عليك ان تطلب مفتاح البنكيير والصراف فلا بدَّ ان يكون بعض الدهان الاخضر عالقًا باحدها

وكان لكوك قد صوَّر الخزانة والخدش واضح كلَّ الوضوح فيها وهو ممتدٌّ من ثقب القفل فنازلاً بانحراف من اليسار الى اليمين . فقال للرجل الذي تحت امرهِ لا بدَّ انك تصورت ان اللص الذي سرق المال من الخزانة هو الذي احدث الخدش فيها فلننظر ان كنت مصيبًا في

اوهام الشرق في الغرب

زار احد براهمة الهند نادياً من الاندية الاميركية في شهر دسمبر الماضي وخطب في الجمع المجتمع خطبة موضوعها العالَم الاتيري من العوالم التي تتدرَّج فيها المخلوقات حسب زعمهم. وكان الاستاذ دافد ستار جوردان بين الحضور وهو من اكابر علماء اميركا فكتب واصفاً الخطيب وخطبتهُ قال

ان الخطيب واسمهُ سوامي رام تلانج رجل من براهمة بمباي اسمر اللون نحيف الجسم دقيق العارضين رقيق الشفتين اسود العينين برَّاقهما ينظر اليك فتحسب انهُ يستطلع خفايا نفسك وهو معتمّ بعمامة بيضاء ولابس ثياباً بيضاء وحمراء. وقالت لنا صاحبة النادي ان لا نلمس ثيابهُ لانهُ اذا لمسهُ انسان غير طاهر المهُ ونجَّس الروح المنتشرة حولهُ . وهذا شأنهُ لو شمَّ رائحة خبيثة او اقترب من دكان جزار فان رائحة اللحم تزعجهُ تسديداً ولذلك فحياتهُ لا تخلو من الكدر

وافكارهُ سامية جدًّا وتعبيرهُ عنها في منتهى الدقَّة والإحكام فلا اوفيها حقها مهما دققت في النقل واسهبت في الوصف . شرع في الكلام على اطوار الوجود الخمسة او العوالم الخمسة وهي العالم الطبيعي والنجمي والدقاشاني والتوشبي والمارفاني وقال ان العوالم سبعة ولم يحصرها في خمسة الاَّ بعض فلاسفة الانكليز فوراء العالم النجمي العالم الاتيري لان الاتير وراء النجوم. وبعدهُ العالم الكلي ثم بقية العوالم وقد اختار الآن ان يخطب فينا عن الاتيري فقال ان هذه العوالم حقيقيَّة كلها لا شبهة في وجودها كما لا شبهة في وجود العالم الذي نحن فيهِ الآن . وما الاحلام سوى اسفار تسافرها النفس الى العوالم العليا فهي حقيقيَّة ايضاً. وليس بين الخيالات والتخيلات ما هو وهمي وما الوهم سوى انكار هذه الحقائق وقد منيت الفلسفة الغربية بهذا الإنكار و باقتصارها على ما هو ارضي زمني فانتقلت من دائرة الراحة والهناء الى دائرة الحروب والمزاحمات التجاريَّة والتعسُّف والشكوى وهذه نتيجة البقاء في عالم المادة فانهُ يدعو الى الحروب والخصومات واهلهُ لا يرجون النجاح الاَّ من قتل كل الذين لا يصلحون للحروب او للمزاحمة في التجارة

وسكان هذه العوالم السبعة يختلف بعضهم عن بعض باختلاف العوالم نفسها وبعضهم طيوف الاشخاص الذين في العالم الذي تحت عالمهم رتبةً لان الطيف لطيف فيصعد من عالم الى عالم ويخترق الحاجز الذي بينهما ولذلك ترى الواحد يسمو بافكارهِ احياناً من عالم

اهذا براهُ اله البرايا ومن قاس ذا الكون شبرًا فشبرا
اهذا خلاصة كل الوجودِ عميد الخلائق برًّا وبحرا
امامُ العلومِ ومحصي النجوم وجالي الغوامض بطنًا وظهرا
اهذا عناهُ اله السماء اهذا قضاهُ واحكم امرا

بوجهٍ كئيب وظهر حديبٍ وعقل عقيم ورأْي سقيمِ
خلاصة ظلم وزبدة عُزمٍ وعنوان كل صنيع اثيمِ
ولكنَّ في الصخر نارًا وفيهِ بوادر شرٍّ وهمٍّ مقيمِ
ولا بدَّ للنار ما تصطلي وللشرُّ عقبى لكل ظلومِ

فاين الملائك منهُ وقد صا رعبدًا لروش وعبدًا لفاسِ
واين العلوم واين الفنون مبادي الحساب وحكم القياسِ
جمالُ الرياض وظل الغياض وسجع الطيور وحب الاناس
عصور المظالم فيهِ تجلت وقد شاب فوداهُ مما يقاسي

عظام من الظلم لانت فأُضنَّت جموع من الجور باتت تنادي
ملوكَ الانام قضاةَ الزمانِ بماذا تجيبون يوم المعادِ
اهذا وديعة رب السماء يبيت على مثل شوك القتادِ
بجسم ضئيل ووجه كئيب رفيق الوحوش حليف السهادِ

بماذا يقوَّم ظهر حناهُ بماذا تنيرون وجهًا عبوسا
وايُّ فؤَاد يلاقي سرورًا ولم يلقَ في العمر الاَّ نحوسا
بماذا تزيلون ذكر المخازي وقد عمَّت الارض من قبل موسى
مخازٍ توالت وصالت فصارت على اللحم دودًا وفي العظم سوسا

ملوكَ الانام قضاةَ الزمان أتدرون ماذا يقول الزمانُ
بماذا يجيب اذا القوم ثاروا فثلوا العروش وجاروا وشانوا
بماذا يجيب اذا الناس قاموا وعادوا الى الله حتى يدانوا
وناداهم الحقُّ قولوا فقالوا وحُلَّ من الصمت هذا اللسانُ

وسكان العالم الاثيري مختلفون مثل سكان العالم الارضي او المادي ولكن لا يصل اليهم كل انواع الناس الذين في العالم المادي مثال ذلك ان سكان العالم النجمي قلما يوجد فيهم من يتكلم اللغة الانكليزيَّة وسكان العالم الاثيري لا يوجد بينهم من يتكلم الانكليزيَّة مطلقاً لان الشعب الانكليزي لا يصل الى هناك ولا يصل الى ذلك العالم الَّا المتكلمون باللسان السنسكريتي و بعض فروعهِ ولذلك سيحبط سعي الذين يحاولون جعل اللغة الانكليزية لغة الناس كلهم . وتبطل اللغات البشرية كلها في العوالم العليا

ثم قال ان سكان العالم الاثيري خمسة اقسام الاول مجسم والثاني لا جسم لهُ والثالث اجسامهُ قشور والرابع قرائن والخامس زوَّار والسادس جواهر والسابع مخترعات

فالنوع الاول طيوف لا تزال اجسادها على الارض وقد تكون الاجساد مستغرقة في النوم فتعرج طيوفها منها الى العالم الاثيري . او سحرة يطوفون في العوالم لقضاء لباناتهم . او نفوس اناس يطلبون الحقائق و يسعون وراءها من الصقالبة واللابلنديين والملقيين

والنوع الثاني نفوس نازلة من عوالم عليا ومتجسدة باجساد اثيريَّة لكي تُرى وهي لو بقيت في اجسادها الاصلية لتعذَّرت رؤْيتها في العالم الاثيري

والنوع الثالث صفات واخلاق مجتمعة بعضها مع بعض ولا نفوس لها فهي تشبه الانسان في شكلها ولكنها خالية من كل معاني الانسانية . ومن قبيل ذلك الارواح التي يراها بعض الناس في البيوت القديمة والمقابر المهجورة

وهكذا الى النوع السابع الذي قال انهُ مخترعات الشعراء واماني الناس ومخاوفهم وما يحبونهُ وما يبغضونهُ وقد تجسَّمت وتشكلت . ومن قبيل ذلك الصدى الذي ينذر بدنو الاجل والاصوات المزعجة التي تسمع في البيوت التي يقال ان الجن ساكنة فيها فان كل ذلك من مخترعات الانسان ولكنهُ تجسَّم وسيبقى دهوراً

وافاض الخطيب في هذا الموضوع على هذا النحو حتى يتعذَّر علينا ذكر كل ما ذكرهُ واتبعهُ الاستاذ جوردان فاجتزينا عنهُ بما تقدم ونحن نعجب كيف يقوم في اميركا اناس من المتعلمين المتهذبين يصدقون هذه الخزعبلات

الى ما فوقهُ فيرى ما فيهِ اخيلةً فيقوم في نفسهِ ان لا حقيقة لهُ وكذلك تفعل الروح التي في عالم عالٍ فانها قد تنزل الى العالم الذي دونهُ وتخترق اجسام سكانهِ من غير ان تشعر باقل مقاومة فتضرهم او تنفعهم فاذا كانت الروح شريرة اذتهم واذا كانت صالحة نفعتهم

وكلما علا العالم قلَّ تأثير ارواحهِ فينا لا لانها غير حقيقية بل لاننا غير متدربين على التأثر منها ولأن سكان العوالم العليا تغير اشكالها بسرعة البرق وينبعث منها نور يبهر الابصار وهي تتغير من شكل الى آخر . والبصر هناك على غير ما هو عليهِ هنا فالذين في العالم النجمي يرون باطن الاجسام الجامدة كما نرى نحن ظاهرها ويرون الاجسام كلها بعيدة كانت او قريبة فلا يؤَثر القرب والبعد في رؤيتها . ويرون للاجسام بعدًا رابعًا وبعدًا خامسًا وسادسًا كما نرى نحن الابعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق . وقد وجد ان التحديق في البلورات يدرّب العين على رؤْية المشاهد في العوالم العليا واحسن منهُ ان يجتمع النساء والرجال في حلقة ويحدقون الى زهرة من الزنبق الابيض يضعونها في وسطهم وهم صامتون ولا يفكرون بغير الاثير فان بعض النساء اللواتي مارسن ذلك سنين كثيرة صرن يرين سكان العالم الخامس والسادس من العوالم السبعة ولكن لم يبلغ احد من الانكليز هذه الدرجة ويستحيل ان يبلغ احد منهم ومن الاميركيين العالم السابع عالم النارفانا حيث تزول الشهوات

ومناظر الاشياء التي في العالم الاثيري مثل مناظر الاشياء التي في العالم المادي لكنها اكثر منها دقةً وتغيرًا واختلابًا للعقول ومادتها الطف من مادة الاجسام الارضية بما لا يقدَّر بل الطف من جواهر المادة ولذلك تمر بين دقائق الاجسام الماديَّة بسهولة تامة وتُرَى في الارض في الاماكن القديمة كما في بلاد الهند وبلاد التبت لان تلك المعاهد سكنها الانسان من قديم الزمان فتكثر فيها النفوس الاثيريَّة اما كليفورنيا فسكنها الانسان حديثًا ولذلك لا يرى في غياضها ورياضها غير نفوس الحيوانات وقد يمرُّ المرءُ فيها اسبوعًا بعد اسبوع فلا يرى فيها نفس انسان واحد واذا رأَى نفس انسان هشت اليهِ وبشت وقابلتهُ بالبشر والحبور لانهُ يمضي عليها زمن طويل قبل ان تلتقي بنفس انسان آخر . ويستدل على الالتقاء بصديق في تلك القفار باشراق في الشعاع الذي يحيط بالنفس

وهذا الشعاع ليس نورًا منتشرًا من النفس بل هو النفس عينها والانسان نفسهُ اذا جردناهُ من الجسد المادي . وهو يفرق عن الشعاع الذي يرى حول الجسم المادي في العالم النجمي وقلما يدخل العالم الاثيري ولذلك سمي الشعاع النفسي بالطيف الاثيري لانهُ عُلِم من قديم الزمان ان لكل انسان طيفاً مشابهاً لهُ يبقى محفوظاً عند ارباب الكرما (الكراة)

الآَّ ان غزارة المطر في زنجبار وما جاورها دليل غير حسن لان الامطار التي تقع هناك تخسرها جهات منابع النيل . وكذلك تراكمت الثلوج على جبال حملايا وزاد ضغط الهواء على الجانب الشمالي الشرقي من افريقية وكل ذلك من الدلائل على ان الفيضان لا يكون غزيرًا

وزاد وقوع المطر في زنجبار في شهر يونيو عن المتوسط وكان وقوعهُ معتدلاً في بحر الغزال عند واو وفي جندوكرو على بحر الجبل وقليلاً في وادلاي

ولا تغزر الامطار عادة في شهر يونيو على البحر الابيض وقد زادت هذه السنة في الدويم ونقصت في الخرطوم وزاد وقوعها عن المتوسط في الرصيرص وما تحتها الى ود مدني وكان معتدلاً في القلابات والقضارف . وهاك قياس ما وقع من المطر في شهر يونيو بالمليمترات

	سنة ١٩٠٦	المتوسط
زنجبار	١٤١	٦٦ مليمترًا
كدك	١٩٤	١٣٨ "
الدويم	٤٠	١٤ "
الخرطوم	٣	٢٢ "
الرصيرص	١٩٠	١٤٠ "
ود مدني	٣١	٤٥ "
كسلا	١١	١٢ "
القضارف	٧٥	٧٢ "
القلابات	١٣٠	١٢٤ "

ويراد بالمتوسط متوسط السنين الماضية التي أُخذت الارصاد فيها

والعبرة في هذا الشهر بالبحر الازرق والعطبرة اما البحر الابيض فلا اهمية لهُ فيهِ لان مياه البحر الازرق توقف مياههُ عن الجريان . وقد كانت الزيادة مستمرَّة في نهر السبت واخذ البحر الازرق في الزيادة عند الرصيرص في ١٥ يونيو ولا تزال الزيادة مستمرَّة فبلغت ٣,٤٠ المتر في ٤٢ يومًا وهي مثل المتوسط او فوقهُ قليلاً وقد اثرت في مقياس الخرطوم منذ اول يوليو . وزاد الميل في التوفيقيَّة في يونيو والاثني عشر يومًا الاولى من يوليو ٦٨٠ مليمترًا في ٢٤ يومًا وهي زيادة متوسطة . اما في الخرطوم فابتدأَت الزيادة في ٢٨ مايو وبلغت الى ١٢ يوليو مترًا و٠١ سنتمترات

فيضان هذا العام

نشرت ادارة المساحة والارصاد الجوية نشرة في اواسط شهر يوليو قالت فيها ماخلاصتهُ انهُ هطلت امطار غزيرة في بلاد الحبشة وجنوبي السودان في شهر فبراير الماضي ثم في شهر مارس . وهذه الامطار ليست الامطار التي تقع في اوائل الصيف مسببة عن رياح الموسم ولكنها زادت مياه البحر الازرق ولولا ذلك لكان ماءُ النيل شحيحاً هذا الصيف . وكانت الاحوال الجوية في الجانب الاستوائي من شرقي افريقية وما يجاور الاوقيانوس الهندي في شهر مارس وابريل لا تدلُّ على ان الامطار البدرية تكون عزيزة في منابع النيل

ثم وقعت امطار غزيرة على بلاد الساحل قرب زنجبار وممباسا ولكن كانت الامطار قليلة في نجود الجانب الشرقي من افريقية التابع لبريطانيا وفي شمالي بحيرة فكتوريا . وهطلت الامطار في بعض الاماكن من سهول السودان ولكنها كانت قليلة . وكان المطر عادياً في بحر الجبل او اقرب الى القلَّة منهُ الى الكثرة . وهاك ما وقع من المطر في بعض الاماكن المعروفة اسماؤُها عند جمهور القراء وهو محسوب بالمليمترات

	١٩٠٦	المتوسط		١٩٠٦	المتوسط
دار السلام	٢٥٣	٢١٢	الدويم	٤٦	٢١
زنجبار	٣٨٧	٢٩٥	الخرطوم		٤
ممباسا	٤٩٤	٣٥١	الرصيرص	٣٤	٤٥
ملندي	٦٠١	٣٦١	ود مدني		٣٠
وادلاي	٨٥	١١٩	كسلا		٦
جندوكرو	١٨٨	١٧٣	سواكن		١
حلة دليب	٤٩	٧٧	عدن		٣
كدك	٩٢	٦١	السويس		١

وارتفع الماءُ في بحيرة فكتوريا بسبب الامطار الغزيرة التي وقعت في شهر فبراير وابريل ومايو . وزاد بحر الجبل عند جندوكرو قليلاً واخذ نهر السبت يزيد عند الناصر في اول مايو وعند حلة دليب بعد بضعة ايام ثم جعل يزيد ازدياداً مستمرًّا . وظهرت الزيادة في بحر العزال في آخر مايو . وابتدأَت الزيادة في البحر الازرق عند الرصيرص في منتصف مايو . ويظهر من ذلك ان وقوع المطر تأخر عن المعتاد وكان معتدلاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العيشة العائلية وواجبات المرأة

للرئيس روزفلت

كتب المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية رسالة الى احدى المجلات الاميركية المسماة "حسن تدبير المنزل" تكلم فيها عن العيشة العائلية وواجبات المرأة من حيث هي امٌّ وزوجة فقال ان طريقة تدبير الام لشؤُون عيشتهم العائلية اعظم شأناً من سائر مهام هذه الحياة من صناعة وتجارة . ولا ينفع امةً غنى ولا جاهٌ ولا تفوُّقٌ في صناعة او تجارة ما لم تكن عيشتها العائلية صحيحة وافرادها عموماً ذوي امانة وشجاعة وبصيرة وادب والرجل ذا حدٍّ واجتهاد والمرأة زوجة صالحة واماً صالحة ذات قدرة وارادة للقيام باول الواجبات النسائية واعظمها (ولادة الاولاد) ولتربية اولاد يكونون على ما يجب ان يكونوا من حسن الصحة وسلامة البدن والعقل والخلق ويكون عددهم بحيث يزيد النوع الانساني بهم ولا ينقص

اما من جهة كون المرأة أُمّاً فاقول انهُ ما من عمل من اعمال الرجل العادية يقاس في صعوبتهِ ومسؤُوليتهِ لعمل المرأة التي تلد الاولاد وتربيهم فانها تنفق عليهم من وقتها وقوتها كلَّ ساعة من ساعات النهار والليل . ومخاض ساعة الولادة يجعل كلَّ الرجال مديونين لكلّ النساء . وبين الناس كثيرون من الصالحين حرموا نعمة الاولاد فنحن نحترمهم ونعطف عليهم عطفنا على الذين يحرمون سائر نعم الحياة وبركاتها العظيمة من غير ان يكونوا هم الجانين. على ان الرجل والمرأة اللذين يحرمان نفسهما تلك النعمة العظيمة عمداً إما عن فجور او سخافة قلب او انغماس في الشهوات او تقصير في ادراك الفرق بين الامر الكلي الاهمية والامر الذي بلا اهمية -- هذان يستحقان من الازدراء والاحتقار ما يستحقهُ الجنديُّ الفارُّ من ميدان القتال او الرجل الذي يأبى العمل لاعالة عائلتهِ مع قدرتهِ عليهِ وبدلاً من ذلك يعتصم بالكسل قانعاً بالخبز الذي يقدمهُ الآخرون اليهِ

وشرع النيل في الارتفاع في وادي حلفا في اول يوليو فزاد ٤٦ سنتمترًا في ١٢ يومًا . وهاك مقدار الزيادة من اول يونيو الى ١٢ يوليو في السنين الست الاخيرة

	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٤	١٩٠٥	١٩٠٦
في التوفيقية	٠٫٨٣	—	٠٫٦٦	٠٫٧٠	٠٫٨٨	٠٫٦٨
في الرصيرص	٧٫٠٣	٤٫٢٠	١٫٤٠	٣٫٢٠	٢٫٠٠	٣٫٤٠
في الخرطوم	٢٫٥	٢٫٠٠	١٫٥٣	٢٫٢٣	١٫٣٥	١٫١٨
وادي حلفا	١٫٤٥	١٫١٥	١٫٨٨	٠٫٧٩	٠٫٨٨	٠٫٨٠

ويظهر من ذلك ان الزيادة حتى الآن ليست فوق المتوسط الَّا في الرصيرص فان الزيادة الحديثة حسنة الدلالة

وقد نقص الثلج على جبال حملايا واعتدلت الريح في بحر العرب في اواخر شهر يوليو . وهذا يدل على تحسن الحال وزاد وقوع المطر في بلاد الحبشة ولكنهُ لم يزد حتى الآن عن المتوسط كثيرًا . ولذلك يقال بنوع عام ان الاحوال الجوية في اوائل يوليو تدلُّ على ان الفيضان يكون وافيًا ولكنها لا تدلُّ على انهُ يكون زائدًا ولم تزل الامطار قليلة او غير جارية على خطة واحدة في اكثر الاماكن مع انها فوق المتوسط قليلاً في الرصيرص وكذلك دلالة على استمرار المجاري الصاعدة من الهواء . وقد زاد ضغط الهواء عن المعتاد في القطر المصري وما يدانيهِ كما ترى في هذا الجدول وهو كلهُ لزيادة ضغط الهواء عن المعتاد في تلك المدة

الوقت	بيروت	الاسكندرية	القاهرة	اصوان	الخرطوم
١ — ١٠ يونيو	١٫٣	١٫٨	١٫١	١٫٨	٠٫٨
٢١ — ٣٠ "	٠٫٠	١٫٥	١٫٥	١٫٨	٠٫٢
١ — ١٠ يوليو	٠٫٢	١٫١	١٫٠	٢٫٧	١٫٥

اما من ١١ الى ٢٠ يونيو فقلَّ الضغط عن المعتاد في كل هذه الاماكن بسبب الزوبعة التي حدثت في ١٥ يونيو

فالدلائل الجوية تدلُّ حتى الآن على ان فيضان هذا العام يكون معتدلاً غير زائد عن الاعتدال . انتهى باختصار قليل من تقرير الكبتن ليونس مدير عموم مصلحة المساحة

والامُّ لا ترى خطاءها وهي تربي ولدها ولا تشعر ان الوقت الذي يجب ان تعدَّهُ فيهِ لجهاد هذا العمر بدأ ايام كان يدبُّ على الارض ويحاول امساك كلّ ما تصل اليهِ يدهُ. ولا تعلم ان سطوتها عليهِ اخذت تقلُّ منذ صارت رجلاهُ تحملانهِ وصار يستطيع الخروج للعب مع رفاقهِ فصارت لهم السطوة العظمى عليهِ وبات امر تثقيفهِ وتهذيب اخلاقهِ منوطًا بعوامل خارج بيتهِ

ومتى طفق يفكّر في الزواج يكون لهُ مقياس يقيس عليهِ ويحاول انتقاء زوجة لهُ بموجبهِ هذا اذا كان نموُّهُ طبيعيًا وتقدمهُ قانونيًا لاشذوذ فيهِ وتكون تصوراتهُ الاولى متنقلة سريعة الزوال لا تستقر على حال فتحوم على محيًا تزينهُ عينان نجلاوان وانف دقيق وشعر مسترسل وثغر باسم وجبين وضّاح . وربما كانت الفتاة تحسن لغة او لغتين غير لغتها وتحسن الضرب على البيانو ولها صوت شجيٌّ مطرب فيقول في نفسهِ هذه ضالتي المنشودة فيخطبها ويتزوجها فاما ان تكون نعمة عليهِ او نقمة اذ جمال الخلقة لا يستلزم جمال الخلق . وعليهِ فمن الواجب على الرجال ان يعنوا اشدّ العناية بانتقاء زوجات لهم لانهُ وان لم يكن الزوج المستكمل صفات الزوجية صنيعة امرأتهِ فان امرأتهُ تستطيع تسويد صحيفتهِ والقضاء على كمالهِ . ولا ريب ان زوجين متنافرين غير متوافقين في الاخلاق والطباع يجلبان على نظام الزواج من الضرر ما لا يزيلهُ عشرة ازواج متلائمين متوافقين

على ان الزوج الذي يرمي الى العيشة الهنيَّة الراضية يجب ان ينظر في البنت التي يروم تزوجها الى جمالها الباطني لا الظاهري فقط ولست اريد بذلك ان الجمال الظاهري لا قيمة لهُ بل هو عالي القيمة لا يثمَّن وانما اريد انهُ ما من امرأة نيرة الذهن طاهرة النفس امينة الحبيب شريفة الغاية سامية المطمح يقال انها قبيحة المنظر اذ الجمال مثل الحبّ دلائلهُ لا تخفى على احد . فاذا كان كلُّ خاطر من الفكر يؤثّر تأثيرًا سريعًا في الهيئة وكلُّ قصد حسن يلين وجه صاحبهِ وسيّء يصلبهُ وكلّ ابتسامة وتقطيبة وليونة وخشونة تترك اثرًا لا يمحى في وجه صاحبها افيمكن بعد ذلك الفصل بين جمال العقل والقلب وبين جمال الوجه

وكما ان الزواج لا يعدُّ كاملاً الاَّ اذا كان الحبُّ الباعث الاول عليهِ فكذلك لا يكون كاملاً اذا كان الحبُّ النفساني الرابط الوحيد لهُ . والمراد بالحب النفساني الحب الذي مصدرهُ القلب دون العقل . فان الرباط الذي يربط قلبي عاشقين ليس بامكن عروة من قلبي حبيبين جعلا اساس حبهما العقل يدعمهُ القلب

وافضل نصيحة لطالب الزواج ان يتزوج بنتًا تربيتها من نوع تربيتهِ . فالبنت التي ربيت

ثم أشار بالذم والتقريع الى قسيس نصح لجماعتهِ بان لا يكون لكل زوجين منهم سوى ولدين الاَّ من كان غنياً ذا سعة وقال ان شعباً يجري على هذه القاعدة لهو شعب منتحرٌ لا يصلح للوجود بل خير لهُ ان يوسع مكاناً لشعب لم ينسَ نواميس وجودهِ الاولية

الزواج والعائلة

لسيدة انكليزية

من الخطإِ ان يظنَّ ان الزوج الكامل في صفات الزوجية صنيعة الزوجة الكاملة فانهُ ليس كذلك بل هو مخلوق نادر الوجود مطموع فيهِ مستقلٌ في المبادىء الجوهريَّة عن المرأَة التي يتزوجها وهو من بدع القرن العشرين لان الفضائل التي تجعلنا نراهُ كاملاً الآن لم تكن فضائل فيما مضى مثل سعة صدرهِ ومساواتهِ بين النساء والرجال ونكران نفسهِ الناتج عن الصفتين الأُوليين . ومنذ مئة سنة لم يكن الجنسان متعارفين كما هما الآن بل كان النساء يخفن ازواجهنَّ ويطعنهم طاعة عمياء وكان الرجال يحمون زوجاتهم ويديرون شؤُونهنَّ . واقتصر عمل المرأَة على تدبير المنزل وشغل الابرة وتعليمها على القليل التافه

قلت ان الزوج الكامل ليس صنيعة الزوجة الكاملة لانهُ متى بلغ الرجل السنَّ التي يصير عندها اهلاً للزواج تكون اخلاقهُ قد انطبعت في نفسهِ وتأصلت بحيث يصعب ادخال تغيير عليها . ولكن الزوجة الكاملة لها اليد الطولى في تكوين الزوج الكامل للمستقبل لانها امهُ ولانهُ ابنها وغرس يديها . وعليها مسأُولية وضع حجر الزاوية في بناء المنازل المقبلة واما للاسعاد واما للافساد . وفي يدها تقويم الغصون وهي غضة لينة فتنشأُ معتدلة مستقيمه وهي تورث اولادها صحة العقل والبدن والنفس وتحبس قواها على انماء ذلك الميراث مدة طفولتهم فتعلمهم اولاً قيمة الصحة البدنية لانها قوام الزواج الكامل والتربة التي تنبت فيها ازهار الجمال العقلي والنفسي مثل التسلط على النفس والصدق وكرم الاخلاق واصالة الرأْي في الموازنة بين الطبيعة البشرية والعواطف النفسانية . والامُّ التي تهمل الاهتمام لصحة اولادها واظهار اهميتها لهم تقصّر في اتمام الواجبات الوالدية وتذخر الشقاء والفشل لنفسها ولهم ولعائلاتهم

وليس اهمال هذه القواعد وجهلها بالامرين الوحيدين اللذين يفضيان الى خراب بنية الصغار وضياع مستقبلهم . بل ان من الاسباب المفضية الى ذلك ايضاً افراط الامهات في الاغضاء عن ذنوب اولادهنَّ وفي تدليلهم حتى ينشأُوا محبين لانفسهم وهم لا يشعرون لانهم ربوا على حبّ الذات فصار خلقاً من اخلاقهم

سخن على موضع من الجسم فليعالج معالجة الحرق على ما تقدم منعاً للهواء
يج من ماء احير وزيت بزر الكتان و يضاف اليهِ شيءٌ من الحامض
ك) على نسبة جزءٍ الى ثلاثين جزءًا من الزيت وتغمس في المزيج قطع من
، ويضمد بها الموضع المصاب واذا جفت فلتغمس ثانية وهلم جرًّا . فهذه
، المدَّة بفعل الحامض الكربوليك المضاد للفساد وتسهل تكون الجلد من
ـبة بعد الشفاء
لتي تستعمل ايضاً بلسم يستحضر من الجليسرين والارنكا وزلال البيض
من الاول و٣ من الثاني و٤ من الثالث
المصاب فيلسق قليلاً من الكمياك او العرق واذا بردت اطرافهُ فلتغطس
تكن مصابة . واذا كان الحرق واسعاً فليوضع المصاب في حمام من الماء
هُ على قدر ما يحتملها . ويمكن بقاؤهُ في الحمام عدة ايام على شرط ان
صوصية
ن بسيطاً جدًّا فليغطس المكان المحروق في ماء بارد حتى يقلَّ الالتهاب
لول الانتظار فليدهن الحرق بشحم وفارلين او غيرهما على ما تقدم

فقد الشعور

اله تعرض للغريق اذا لم تطل اقامتهُ في الماء جدًّا او لمن يستنشق الغازات
برد شديد او للسكير احياناً يفقد شعورهُ ويظهر كأنهُ ميت . اما الغريق
بالطريقة الآتية وهي
ى على ظهرهِ ويوضع مسند تحت كتفيهِ ويكون رأسهُ على مساواة صدرهِ
حتى تظهر رأسهُ خارج فمهِ ثم تمسك ذراعاهُ من مرفقيهِ وترفعا وتخفضا ١٢
يقة ويضغط اسفل صدرهِ لاخراج الهواء والماء من الرئتين
اليهِ تنفسهُ الطبيعي فتوقف عن الوسائط الصناعية الّا اذا كان تنفسهُ

د الحرارة اليهِ بالفرك والحمامات الحارة واللرق والاغطية وليكن رأسهُ

ار يستطيع البلع فاسقهِ لبناً سخناً او مرقاً او شاياً او قهوة مع ملعقة من

على اللطف والرقة والدلال يجب ان تتزوج فتى يعرف معنى هذه الخصال و لا آلت بها الحال الى التعاسة والشقاء

ومن الامور التي يجب النظر فيها قبل الزواج حال الطالب من العسر او اليسر فان طالب الزواج اذا كان جائعاً كان ضعيف العزم كاسد السوق مدعاة للهزء والسخرية و اذا مدَّ يداً فارغة الى البنت التي يحبها ليطلبها لهُ زوجةً انما يهين كبرياءها ويحطُّ من قيمتها . واذا كان هذا امرهُ وكانت حبيبتهُ موسعة وقبلتهُ زوجاً لها بات عبد رقّ لها واذا كانت فقيرة معدمة مثلهُ كان عقابهُ ان يراها محتاجة تطلب ما تشتهي فتردُّ خائبة

وغاية المقال ان المرأة الصالحة تعيش ضمن حدود ما لزوجها من الايراد والرجل الصالح يأتي بايراد يمكن امرأتهُ ان تعيش عيشة حكمة واقتصاد . فكم من زواج جاء لعنة على اصحابهِ لعدم مشاكلة الازواج . ومن عاشر من لا يشاكلهُ احاق بهِ السوء

اطفاء الثياب الملتهبة

اذا علقت النار بثياب احد فليتذكر ان بقاءهُ واقفاً يزيدها اشتعالاً ويعرّض عنقهُ ورأسهُ للهبها ويسدّ منافسهُ فيتنفّس حرارتها وعليهِ تخيُّر الوسائط لتدارك ضررها واطفائها ان يضطجع على الارض ويحاول اخمادها بالتقلب من جنب الى جنب ويتناول حراما او سجادة او غطاء من الصوف ويلتفُّ بهِ . واذا احترقت ثياب ولد فليمنع من الركض حالاً باول ما يمكن تناولهُ من الاغطية ثم يرشّ عليهِ الماء

معالجة الحروق

خطر الحروق يتوقف على اتساعها وعمقها وموضعها . وكلما زاد اتساع الحرق اخر ذلك عمل الافراز في الجسم وفي هذا ما فيهِ من الضرر حتى لقد قيل انهُ اذا أُصيب ثلث مساحة سطح الجسم بحرق باتت الحياة في خطر ولا سيما اذا كان الحرق عميقاً . والحرق في الوجه والاطراف اقلُّ خطراً منهُ في سائر الجسم

واول ما يحسن التداوي بهِ وامهلهُ عند اصابة الجسم بحرق هو الدقيق وذلك بان يذرَّ كثير منهُ على المكان المحروق وتربط حولهُ اربطة من نسيج القطن القديم او الكتان فيحجب بذلك الهواء ويتنفّس المصاب الصعداء . فاذا كان الحرق سطحياً فهذه المعالجة كافية ويحسن ايضاً دهن المكان المحروق بالشحم او زيت الزيتون او زيت بزر الكتان . ولكن اذا كان عميقاً يعمل بالمعالجة المتقدمة حتى يحضر الطبيب

باب الزراعة

مستقبل الاطيان

كتبت احدى المجلات الاميركية تقول ان سكان الولايات المتحدة سيبلغون ١٣٠ مليونًا بعد خمس وعشرين سنة . فاذا بلغوا هذا العدد صاروا يحتاجون الى ٧٠٠ مليون بشل من القمح كل سنة و ١٢٥٠ مليونًا من الاوت و ٣٤٥ مليونًا من الذرة و ١٠٠ مليون طن من العلف لمواشيهم ويزيد ما يحتاجون اليهِ من القطن والتبغ والاثمار والخضر على هذه النسبة وهذا يقتضي ان تزيد مساحة الاراضي الزراعية ١٥٠ مليونًا من الافدنة الآن ان الاراضي التي لم تزرع حتى الآن ويمكن ان تُصلح وتزرع لا تبلغ مساحتها سوى ١٠٨ ملايين من الافدنة فلا تمضي ٢٥ سنة حتى تضيق الولايات المتحدة باهاليها وتغلو فيها الاراضي الزراعية جدًّا ان لم يهتدِ الاميركيون الى بعض الوسائل العلمية التي تزيد خصب الارض وتضاعف غلتها

والذي ينتظر ان يحدث في اميركا لا بدَّ من حدوثهِ في القطر المصري فقد ابنا في المقالة الاولى التي صدَّرنا بها هذا الجزء ان سكان القطر المصري سيبلغون بعد عشرين سنة ١٨ مليونًا من النفوس فيحتاجون حينئذٍ الى عشرة ملايين فدان من الاراضي الزراعية ومساحة الاراضي الزراعية في هذا القطر والاراضي التي يمكن ان يصلها ماء النيل فتصير صالحة للزراعة لا تزيد على سبعة ملايين من الافدنة وعليه فلا يمضي عشر سنوات حتى تمس الحاجة الى الاطيان الزراعية او التي يمكن ان تصلح وتزرع

ورب قائل يقول انهُ اذا ضاقت اراضي القطر المصري بسكانهِ فاراضي السودان واسعة جدًّا تكفي الملايين الكثيرة . والجواب ان الامر كذلك ولكن الفلاح المصري يكره المهاجرة واقليم السودان ليس على ما يرام ووسائل الري لم تتوفَّر فيهِ حتى الآن ولا دليل على انها تتوفَّر بعد عشر سنوات ولذلك لا بدَّ من الشعور بالضيق والغلاء الفاحش في الاطيان

الكنياك او العرق . واذا لم يستطعهُ فليسقَ من الاشياء المذكورة بالآلة المعدة لذلك

خامساً اذا عاد اليهِ تنفسهُ فضعهُ في فراش سخنٍ وضع زجاجات مملوءة ماءً سخناً عند قدميهِ وحاول ان تجعلهُ ينام . ولكن يجب ان لا تغفل عنهُ بل ان تبقى مراقباً اياهُ فاذا رايتهُ ينتكس فافرك جسمهُ واسقهِ سائلاً منبهاً واستعمل التنفس الصناعي اذا لزم الامر

ومن الطرق التي تُستعمل لاعادة التنفس الى الغريق ان يلقى على بطنهِ وتوضع احدى ذراعيهِ تحت جبينهِ ثم توضع منطقة من القماش تحت صدرهِ ويمسك طرفاها باليدين من الجانبين فيقلب الغريق على جنبهِ وظهرهِ نحو ١٥ مرة في الدقيقة . والغاية من القائهِ على صدرهِ دفع الهواء من الرئتين فاذا قلب على جنبهِ دخل الهواء الجديد ليملأ الفراغ . ويجب معالجة الغريق ١٢ ساعة على الاقل اذا لم يعد اليهِ شعورهُ ومن الخطاء تركهُ وشأنهُ قبل ذلك اذا لم تنجع الوسائط فيهِ

واما الذي استنشق غازاً مضرّاً مثل غاز الحامض الكربونيك المتصاعد عن النار او غاز النور او الكلوروفورم او الاثير فيعاد اليهِ الشعور برفع اطرافهِ وحلّ ازرار عنقهِ وصدرهِ ومعالجتهِ مثل معالجة الغريق

واما من فقد شعورهُ على اثر برد شديد فيعالج بفرك بدنهِ بالثلج او الماء الشديد البرد فاذا لم يعد اليهِ تنفسهُ بعد خمس دقائق الى عشر فليعالج معالجة الغريق ايضاً

وكذلك يعالج من فقد شعورهُ من السكر اي برفع رأسهِ وحل ثيابهِ وفرك بدنهِ ومتى صار يستطيع البلع فليسقَ مقيئاً مصنوعاً من مزيج من الملح والخردل

اعتقال العضلات

يراد باعتقال العضلات انقباضها فجأة انقباضاً غير اختياري يصحبهُ الم شديد . والغالب ان يحدث ذلك بعد اجهاد العضلات شديداً وعلاجهُ الفرك باليد اما بمرهم او بغير مرهم . وكثيراً ما يصيب اعتقال العضلات الغلمان وهم يسبحون في البحر وحينئذٍ فخير ما يعملونهُ ان لا يفقد الواحد منهم صوابهُ فيكثر من الخبط والحركة ويعرض نفسهُ بذلك للغرق بل ان يمدّ رجلهُ او ذراعهُ المصابة بعنف خارج الماء فيزول الاعتقال غالباً ومن ثمَّ فعليهِ ان يخرج من الماء باسرع ما يمكن

والاعتقال يصيب المعدة والامعاء وعلاجهُ اللزق الحارة . وسببهُ العادي سوءُ الهضم

فلنفرض الفرض الاول وهو ان عدد الحمام الداجن مليون حمامة لا غير وانها تأكل في سنتها من حبوب الزرع ما يساوي عشرة ملايين من القروش لا غير او مئة الف جنيه فما تأكلهُ خسارة كبيرة تخسرها البلاد كلها جزافاً بلا اثم ولا حرج

ولو جاء الجراد الى هذا القطر لقامت البلاد كلها وقعدت وانتدبت الحكومة عمّالها لاقتفاء آثاره وقطع دابره وفرضت على الاهالي ان يقتلوه بكل واسطة كانت ولا نعلم ان الجراد اتى البلاد واضرَّ بها واتلف من زرعها ما يساوي مئة الف جنيه فعلامَ لا تبادر الحكومة الى استئصال الحمام اذا كان ضرره كما تقدم

وما نقوله عن وجوب استئصال هذا الحمام لا يقال عن الحمام الاهلي الذي يربيهِ اصحابهُ ويطعمونهُ من حبوبهم فانهُ ملك خاص لهم ولا يحق لاحد ان يعتدي عليهِ . واصحابهُ راضون بهِ سواءٌ ربحوا منهُ او خسروا ولا يقال ايضاً عن استئصال الطيور التي تأكل الحشرات على اختلاف انواعها فان تلك الطيور مفيدة كلها للزراعة ولا يجوز صيدها بوجه من الوجوه . والطيور التي تأكل الحبوب والاثمار دون سواها مضرة كلها ويجب صيدها واستئصالها . والطيور التي تأكل الحشرات دون سواها يجب الاحتفاظ بها ومنع صيدها . والطيور التي تأكل الحبوب والحشرات ايضاً يجب النظر في امرها فانها تنفع بأكلها الحشرات وتضرُّ بأكلها الحبوب فان كان نفعها اكثر من ضررها وجب الاحتفاظ بها وان كان ضررها اكثر من نفعها وجب صيدها واستئصالها والطيور التي تأكل الهوام الكبيرة وتصطاد العصافير ايضاً كالحدأة ونحوها تصطاد الفيران المضرَّة بالزراعة فهي نافعة من هذا القبيل وتصطاد ايضاً العصافير التي تأكل الحشرات فهي مضرَّة من هذا القبيل لانها تمنع النفع فيجب ان ينظر في امرها ايضاً حتى اذا كان ضررها اكثر من نفعها استؤصلت والا احتفظ بها

ويجب ان ينظر العلماء الذين استخدمتهم الحكومة لدرس طبائع الطيور والحشرات في هذا الامر ويشيروا بما فيهِ مصلحة البلاد

موسم القطن

نمو القطن في القطر المصري معتدل هذا العام جاد بعضهُ وضعف البعض الآخر لتأخر ماء الري عنهُ وقت طفي الشراقي وقد ظهرت الدودة في بعضهِ وظهرت ايضاً الدودة العسلية ولكن ضررها لم يكن كثيراً حتى الآن والمنتظر ان يكون الموسم معتدلاً وكذلك الاخبار عن موسم اميركا تدل على انهُ معتدل

الرياحين في البيت

يرى كثيرون انهم اذا وضعوا الرياحين ونحوها في البيت مزروعةً في اصصها لا تلبث ان تذوي وتيبس وهم يحسبون انها يبست من قلة الماء او من كثرتهِ والغالب انها تيبس من كثرة الغبار الذي يلصق باوراقها فان النباتات النامية تتنفس باوراقها وتعرق باوراقها فاذا تراكم الغبار عليها سدَّ مسامها ومنعها من التنفس وقد يبلغ ذلك درجة تتوقف معهُ حياة النبات فيذوي وييبس فيجب على الذين يضعون الرياحين في بيوتهم ان يتعهدوها بتنظيف اوراقها كما يتعهدونها بالماء

الربح من زرع الخضر

اذا بيع رطل الطماطم في اوانهِ بغرش بيع قبل اوانهِ بثلاثة غروش او اربعة وقس على ذلك سائر الخضر. واقليم القطر المصري اجود الاقاليم كلها لزرع الخضر في غير اوانها فتكفي البلاد ويرسل منها الى الخارج ولاسيما اذا كانت من الانواع الجيدة التي تروج في اسواق اوربا . وقد صارت الخضر ترسل الى اسواق سورية وتروج فيها اخبرنا قادم من بيروت انهم كانوا يأكلون الطماطم هذا الشتاء وارداً اليهم من القطر المصري لا شيءَ يمنع ارسال سائر الخضر اليها اذا بلغت قبل اوانها والى اوربا ايضاً

الحمام والزراعة

كثر التحدث هذه الايام في مسألة صيد الحمام الذي يعيش في ابراج الفلاحين ويأكل الحبوب التي يجدها في الغيطان فلا يخسر الفلاحون عليهِ غرشاً وينتفعون بزبلهِ لانهُ سماد جيد . فمال الجمهور ووافقتهم الحكومة حسب الظاهر الى منع صيدهِ . ولكن ان صحَّ منع صيد الحمام الآن لاسباب سياسية لا يصحُّ منع صيدهِ دائماً لاسباب مالية لان الحمام يأكل حبوب الزرع ولا يقل ثمن ما تأكلهُ الحمامة الواحدة في العام عن عشرين غرشاً على ما حسبهُ بعضهم فلنفرض ان في ذلك مبالغة وان ما تأكلهُ الحمامة في العام يساوي عشرة غروش فقط فان كان في القطر مليون حمامة من هذا الحمام لا غير فهي تخسرهُ عشرة ملايين من الغروش وان كان فيهِ خمسة ملايين حمامة كما يظن البعض فخسارتهُ منها تبلغ خمسين مليوناً من الغروش او نصف مليون من الجنيهات

اندهش رجع بذلك الى تمجيد الباري قائلاً " ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك " عادًّا ذلك من آيات الله كما عدها القرآن في ضمن قوله " ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين " ونحن مع احترامنا لكلام الله تعالى والاعتقاد بآياته فاننا نقول

لما كانت النفس تميل بطبعها لمعرفة العلة الطبيعية لهذين الاختلافين المطردين في الخلق والخلق وتستريح للتعليل في كل الشؤون اذ به يسكن جاشها ويقف عن العجب مراسها بلذة ادراك العلة المكيفة لهذا المعلول رأيت ان اذكر العلة على ما عنَّ لي فاقول

ليس يخفى انَّا من ذكر وانثى ومعلوم ان الرجل غير المرأة جسمانيًّا وعقليًّا في الذات والصفات وهذا بديهي لا جدال فيه

فلنفرض لاول مرة في الخلق كان الرجل هكذا غير المرأة — كما هو الحقيق — فاذا تزوَّج بها (مثلاً) فاستولدها اتى الوليد مزاجًا حاصلاً من اثنين مختلفين في الذات والصفات فكان ذلك الوليد ثالثًا وحدة كيانه في حقيقتها من شقين احدهما من الاب وهو مختلف في ذاته وصفاته والثاني من الام وهي غيره في حالتيه هاتين و بتكوّن ذينك الشقين كيانًا واحدًا بحكم المزج صار الوليد ثالثًا في حدّ نسبته فيصبح آخر في ذاته وصفاته " ويوجد في الكيمياء امثلة كثيرة معللة للمعلولات من ذلك لو مزجت جزءًا من جوهر ملح الطعام بجزء من جوهر الزيبق الحلو على نسبة مخصوصة تحوّلا الى ثالث هو السليماني القتّال فلا هو الملح ولا هو الزيبق الحلو جوهرًا وخاصةً الى غير ذلك من الجواهر الجامدة التي بمزجها تستحيل سائلاً والعكس بالعكس "

فاذا تزوّج هذا الوليد بابنة حاصلة من مزاجين على نحو ما تقدّم جاء هذان بثالث لا يكون مساويًا لابيه ولا لامه كلاَّ بل ولا لجدّه او جدّته بما انهُ مزاج عن اثنين مختلفين بل كلٌّ واحد من هذين المختلفين كان حاصلاً عن مزاجين احدهما غير الآخر وهكذا الحال تطرد في التعقيب فلا يزال الوليد يتزوّج باخرى وكلاهما مختلف وحاصل من مختلفين فيحصل عنهما ثالث مختلف فيكون غير من تقدّمهُ ويلزم على ذلك طبعًا الدور والتسلسل من الاختلاف المطلق فلا يتفق اثنان مطلقًا في الخلق او الخلق ومن ثم اقول

وعلّة الخلف في خَلْق وفي خُلُق   كون الوليد مزاجًا من مشاجين
فكان غيرهما في حدّ نسبته   ويلزم الدور طبعًا عن مزاجين

ولا يعترض على هذا التقرير الاَّ بأمر واحد لكنهُ سطحيٌّ ظاهرهُ يشبه الاعتراض



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيبًا في المعارف وابهاضًا ل
ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موض
الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظ
العرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمًا كان ا
(٢) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجاز على المطوّلة

اختلاف الخلق

كثيرًا ما يبهت الناظر ويحار الفاكر ان هو سرّح النظر واجال
الاخلاق بين افراد الانسان . فلقد يستحيل ان نرى في من حولنا اثنين
في حال واحدة من الاخلاق ولو كانا توأمين

وانت تعلم ان التوأمين من ابوين واحدين وقد حملت بهما امه
وحواهما بطن واحد نموا فيه وتغذيا منهُ نماء واحدًا وتغذيةً واحدةً . ف
حملها كان التوأمان في حجر واحد يرتضعان لبانًا واحدًا فاذا ترعرعا
وتربية اب وام واحدين وقد دبا وقاما في عائلة واحدة فاذا سارا الى
مدرسةً واحدةً وتحت معلم واحد . حتى اذا ما بلغا اشدهما كان الواحد
اخلاقه ومن ثمّ لم نجد اثنين يتفقان مطلقًا في وحدة حال من الخلق فف
يشير الى ذلك المعنى فاتيح لي ان اقول "كما يختلف الناس خَلقًا يختلفو

بيد اني اراني في قولي "كما يختلف الناس خَلقًا يختلفون خُلقًا" قد
شيئًا آخر وهو القول بالاختلاف في الخلقة ايضًا الامر الذي يجب عدم
لتلازمه للاول في مبناه ومعناه بدرجة يكون الكلام معها على الواحد
على الآخر من حيث علتهُ ومعلولهُ وعلى ذلك فانّ الناظر والمتأمل مهما
حولهُ من الوسط بل في كل انواع البشر وارجع البصر كرتين منذ القدي
لم يجد اثنين يتفقان في وحدة حال الخلقة ويتحدان في وحدة حال الا

لا يهدأُ للحسود بال ما زال هناك ارفع منهُ

يؤَوّل الانسان الحوادث حسب امياله لا حسب دلالتها

لا يستفرس الذئب اذا لم يرَ الغنم

يضع العظيم نفسهُ اذا استعمل القوة وسدّ اذنيهِ عن توبيخ ضميرهِ

لا خير في من تغلب عواطفهُ على عقلهِ

الاتضاع سلَّمُ الارتفاع

المبتدئ بالصعود ينظر دائمًا الى فوق ولكنهُ متى وصل الى القمة ينسى الموضع الذي ابتدأ منهُ ويحتقرهُ

بين الإقدام على العمل والفكر بهذا الإقدام مسافة يقضيها العقل ثائرًا

اذا كنت صادقًا فلماذا تحلف

نخرُ الانسان التملق

يموت الجبانُ مرارًا قبل موتهِ واما الشجاع فيموت مرةً واحدة

إنقاصُ سني الحياة انقاصٌ من خوف الموت

لا يذكرُ الناسُ من اعمال الميت الاَّ ما كان شرًّا واما العمل الصالح فيدفن معهُ

نكران الجميل اشدّ وقعًا من سيف الغادر

يحمل الحمارُ النضار فلا يربحُ الاَّ العناء

اذا قلت المحبة كثر التكلف

ترى ايَّة الحالتين افضل ان يحتمل الانسان المصائب بصبرٍ او ان يقاومها بعزم

لا تنجو الفضيلة من لؤم الشاتم

قد يكون الجمال مدعاة الخيانة

المرأة والضعف اسمان لمسمًّى واحد

عين الحب تعمى عن العيوب

يتقدم الانسان بالواسطة والصنيعة اكثر مما بالاستحقاق

سامي جريديني

وحقيقتهُ عين حقيقة ما قررناهُ ذلك انهُ لقائل ان يقول — بما انهُ جعلت علّة الخلف في الوليد كونهُ حاصلاً من مزاجين مختلفين وبعبارة اخرى من رجل وامرأة غير متفقين في الذات والصفات فما قولك في التوأمين فانهما يحصلان من اب واحد وام واحدة وقد حملت بهما في برهة واحدة فعلى حكم قولك يجب ان يكون الواحد منهما عين الثاني فلمَ لم يتفقا على الاقلّ في خلقتيهما

اقول ليس يخفى ان البويضات تلقح بالحيوان المنوي وان المبيض تتعلق عليهِ تلك البويضات على مراكز مركز الواحدة غير الاخرى ومعلوم انهُ اذا اصاب الحيوان المنوي بويضة او اكثر فقد تلقّحت او تلقحن . فهنا يتلاحظ ثلاثة امور على الاقلّ يكفي الكلام عليها للتسليم بحصول الاختلاف

(١) ان الحيوان المنوي الذي يصيب احداهنّ غير الذي يصيب الاخرى في جسمانيتهِ وقوّتهِ

(٢) حجم تلك البويضة الاخرى فانها يستحيل ان تكون مساويةً الاولى حجماً ومادةً ومركزًا

(٣) دورة الغذاء ووصولها الى كل منهما فلا بدَّ ان احداهما تمتاز باكثرية عن الاخرى ولو غير محسوسة لكنها ذات تأثير كبير في نتائجها الى غير ذلك من الاسباب التي لا تساوي معها وكثيرًا ما يتلاحظ في الخارج على الطفلين التوأمين حال الرضاع ان احدهما يستوفي اكثر من الآخر وقابلية الواحد غير قابلية الثاني الى غير ذلك من الامور المتنوعة وما هذه الاَّ منبئة عما كانا عليهِ في الداخل من الحال اقول لهذا جميعهِ لا يأتي التوأمان الواحد عين الآخر مطلقاً . "فتبارك الله احسن الخالقين"

محمد نور

المحامي بقما

منتخبات من شكسبير

الانسانُ سيّدُ بختهِ . وفي معظم الاحوال التي يخيب فيها تكون الملامة على نفسهِ لا على نجمهِ

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا

لا تخشَ ذا سِمنٍ ولا من ينامُ الليل كلهُ بل خف النحيف اذا غارت عيناهُ فانهُ كثير الافتكار يقتحم المخاطر

لاجيال الى امم اشتهرت في التاريخ اهمها امة السريان في ما بين النهرين والعراق والكلدان
، اعالي سوريا. وانقسمت اللغة بهذا الاعتبار الى الفرعين السرياني والكلداني. والعبرانيون
يراد بهم ابناء ابراهيم وقد استقروا في فلسطين نحو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ويلحق
م الفينيقيون وكانوا يتكلمون لغة تشبه العبرانية. واما العرب فكانوا يتفاهمون بلغة من
لغات السامية هي العربية ومن فروعها او اخواتها الحميرية والحبشية. واقرب القبائل العربية
ى الشام الانباط وكان لهم شأن في اثناء تسلط الرومان على الشام

"فما بين النهرين والعراق والشام وفلسطين كانت في اقدم ازمنة التاريخ مأهولة بشعوب
امية تتقارب نسباً ولغة. اما قبل نزول الساميين فكانت مقاماً لامم لا يعرف اصلها وكان
ساميون اقوى منهم فغلبوهم على بلادهم واستقروا فيها واخذ اولئك بالانقراض قبل الميلاد
دة قرون. وهاك ترتيب مساكن الساميين هناك من الشمال الى الجنوب — السريان
الكلدان فالفينيقيون فالعبرانيون فالانباط. وخالطتهم امم شتى غير سامية اقامت بين اظهرهم
، بقاعٍ مختلفة من بلادهم غير بقايا الشعوب الاصلية مما يطول بيانهُ ولكن الساميين تغلبوا
يهم جميعاً وعاشت اديانهم وآدابهم وعاداتهم

"على ان مركز هذه البلاد الجغرافي جعلها عرضة لمطامع الفاتحين من الامم القديمة كالحثيين
لمصريين والاشوريين والفرس فكانوا يتناوبون فتحها او اكتساحها وتتقاطر شعوبهم اليها.
كن الامر لم يستقم لدولة من هذه الدول في سوريا كما استقام لليونانيين خلفاء الاسكندر.
ن هذا القائد العظيم فتح هذه البلاد في القرن الرابع قبل الميلاد واوغل فيها تم صيرها
لفاؤهُ يونانية وتوافد اليها اليونان واقاموا فيها واختلطوا بأهلها ولاسيما بعد ظهور النصرانية
تي في سلطة الرومان. ولكن العنصر اليوناني ما زال متغلباً عليها واكثر تغلبهِ على سواحل
ر الروم ويضعف شأنهُ في الداخلية تدريجاً

"ومع ذلك الاختلاط ظلت الشعوب السامية محافظة على آدابها وعاداتها ولغاتها ولا سيما
يهود فانهم مع ما اصابهم من الاضطهاد والسبي ظلوا من حيث الآداب والدين نحو ما كانوا
يهِ في ايام داود وسليمان الاَّ ما اصاب لغتهم من التغيير في اثناء السبي ببابل فانها اختلطت
لسريانية والكلدانية وعُرفت باللغة الآرامية او الكلدانية وبها كتبوا التلمود. وانقسموا
، اليهود والسامريين. اما من بقي من الشعوب السامية ولا سيما السريان فتنصروا وانفردوا
دابهم وعاداتهم واكثرهم كانوا يقيمون في العراق وما بين النهرين واعالي سوريا الى فلسطين
"فسكان الشام والعراق عند ظهور الاسلام كان معظمهم من بقايا الاراميين الاصليين

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ التمدن الاسلامي

صدر الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي لمؤلفهِ العالم الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو يبحث "في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وابهة الدولة ومظاهر العظمة والفخامة"

وقد قال حضرة مؤلفهِ في مقدمتهِ انهُ آخر اجزاء الكتاب واقربها الى افهام المطالعين على اختلاف طبقاتهم لانهُ يبحث في مثل ما أُلفوهُ من العادات والآداب والابحاث الاجتماعية والمواضيع العمرانية والاحوال العائلية

وهذا الجزء اربعة ابواب كبيرة الاول نظام الاجتماع . والثاني الآداب الاجتماعية . والثالث حضارة المملكة . والرابع ابهة الدولة . وقد جاء في الباب الاول تحت عنوان "طبقات الناس في الشام والعراق" ما يأتي :

"نريد بهذين البلدين ما بين دجلة في الشمال الشرقي وآخر حدود الشام في الجنوب العربي وسكان هذه البقعة اكثر امم الارض اختلاطاً في اجناسهم واديانهم وآدابهم لكثرة الدول التي توالت عليها من اقدم ازمنة التاريخ . وللعلماء ابحاث طويلة وآراء متضاربة في احوالهم لا محل لها ولا فائدة منها . وخلاصة ما يستخرج من ابحاثهم ان اقدم من عُرف من اهل تلك البلاد بطون من الساميين . وكانت مساكن القبائل السامية تمتدُّ من دجلة عند اطراف ما بين النهرين شمالاً شرقياً الى سواحل سوريا حتى العريش فالبحر الاحمر غرباً وشواطئ اليمن وحضرموت جنوباً فخليج فارس وبحر عمان شرقاً . وهي عبارة عن بلاد ما بين النهرين والعراق وسوريا وفلسطين وجزيرة سينا وجزيرة العرب

والساميون ثلاثة فروع كبرى (١) الآراميون وهم القبائل السامية الشمالية كانت مواطنهم في ما بين النهرين والعراق وسوريا الا قسماً من شواطئها (٢) العبرانيون وهم القبائل السامية الوسطى ومواطنهم في فلسطين وشواطئ سوريا (٣) العرب وهم القبائل السامية الجنوبية ومقامهم في جزيرة العرب وما يليها من بادية الشام والعراق وجزيرة سينا

فالآراميون كانت لغتهم فرعاً من اللغة السامية يعرف باللغة الآرامية وانقسموا بتوالي

وجاء تحت عنوان "طبقات الناس في مصر" ما يأتي

"ان سكان مصر اقل اختلاطاً من سكان الشام والعراق ومع ذلك فقد توالت الهجرة اليها من اقدم ازمنة التاريخ قبل زمن الفراعنة . والفراعنة اكثرهم من الفاتحين الغرباء فكانوا اذا فتحوا مصر واستقام لهم الامر فيها هاجر اليها اهل عصبيتهم لاستثمار ذلك الفتح . فياتون على ان تكون اقامتهم وقتية ريثما يجتمع لهم المال ولكن اكثرهم لا يرجعون ولا يمضي بضعة اجيال حتى يختلطوا بالسكان و يصيروا جزءا منهم كما حدث في زمن الرعاة والفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن فتحوا مصر قبل الاسلام . والغالب في الفاتحين انهم لا يزالون يميزون عصبيتهم من عصبية سائر رعاياهم حتى ينتقل الامر من ايديهم الى فاتح آخر فتتناسى عصبيتهم و يندمجون في جملة الوطنيين ناهيك بمن كان يأتي مصر للاتجار او للاستثمار لاشتهارها بالخصب والرخاء

"وكان الفاتحون يترفعون غالباً عن الاختلاط بسائر افراد الامة فيكون منهم الجند ورجال الدولة والكهنة ونحوهم من اهل السيادة و يجعلون مقامهم في المدن الكبرى و يبقى الشعب للفلاحة والصناعة والخدمة . فالبطالسة حكموا مصر نحو ٣٠٠ سنة وتقاطر اليونان في ايامهم بكثرة وكانوا يقيمون في الاسكندرية او غيرها من العواصم واكثرهم من الجند او التجار او رجال الدولة لادارة الحكومة . وكذلك كان شان الرومان فانهم تولوا وادي النيل ستة قرون والروماني يمتاز عن المصري لغة ومذهباً وخلقاً وكانوا يقيمون في المعاقل والحصون او المدن الكبرى كما كان حالهم في الشام

"فلما ظهر الاسلام كان سكان مصر طبقتين (١) الرومان و الروم وعامتهم الاسكندرية ومنهم رجال الدولة والاجناد و بعض رجال الاكليروس (٢) الاهالي وهم الاقباط الاصليون يخالطهم بعض المولدين من اليونان والرومان وغيرهم من النازحين للتجارة او الخدمة او غيرهما من اهل الشام واليمن والعراق والنوبة وافريقية . وكان بين الحكومة والاهالي فاصل آخر مذهبي فكان الروم على مذهب الملك وهم الملكيون والاقباط على مذهب يعقوب البراذعي وهم يعاقبة"

وجاء تحت عنوان "مساحة الارض الزراعية في القطر المصري" ما يأتي

"استخرجت مساحة الارض الزراعية بالاحصاآت الرسمية لتعديل الخراج . منها احصاء لعبيد الله بن الحبحاب سنة ١٠٧ هـ فبلغت مساحة الارض الزراعية مما يركبهُ النيل ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدان اي نحو اربعة اضعاف ما بلغت اليهِ مساحتها اليوم مع اجتهاد حكومتنا

وهم السريان في الشمال والشرق واليهود والسامريون في الجنوب وبقايا الانب
يليهم العرب الغساسنة والمناذرة ثم قبائل اياد وربيعة بين النهرين ويتخلل
شتات من امم اخرى كالجراجمة في جبل اللكام والجرامقة في الموصل واخلاط
اليونان الرومان على الشواطىء ومولدي الفرس والاكراد في الشمال . وكانت
قد غلبت على جامعة النسب او الجنس او اللغة فاصبحت الطوائف تنتسب الى
كالنصارى واليهود والسامريين . وينقسم النصارى الى ملكيين ويعاقبة ونس
وغيرهم . وكانت الديانة والسياسة مرتبطتين والحزب الديني عبارة عن حزب
في تأييد الدولة . فالكنيسة القسطنطينية كانت ام كنائس المشرق وشعوب
تنقاد الى تلك الكنيسة لتأييد سلطة القيصر صاحب العرش فيها والكلا
ذلك يطول

" اما حال الاهالي بالنظر الى الحكومة فكان على غير المألوف بيننا لبعد ال
والمحكوم في تلك الايام ولا سيما في البلاد التي يحكمها الغرباء البعيدون عن اه
او جنساً . فالرومان كانوا يعدُّون البلاد واهلها وهم العامة ملكاً لهم يتصرفو
شاؤا وكان الفلاحون في كثير من البلاد يعدُّون من توابع العقار فينتقل العـ
الى آخر وفلاحوهُ معهُ ويسمونهم سرف (Serfs) اي الاقنان (جمع قن) ال
بهم هممهم الى التقرب من رجال الدولة بالصناعة او الادب او التجارة وهم قلي
الناس طبقتين طبقة الخاصة وهم الملك واهلهُ واعوانهُ ورجال الدين ومن
والعامة اهل البلاد الاصليون واكثرهم الفلاحون او الاكرة

" فخاصة اهل الشام في العصر الروماني حكامها وهم البطارقة والبطريق غير
وكان البطارقة عند الرومانيين جماعة من اشراف المملكة الرومانية نشأوا مع
وكان لهم نفوذ عظيم في الدولة الرومانية وانحط شانهم بعد انقسامها ولم يبقَ
امتدت سطوة الروم الى الشرق رأوا تلك البلاد البعيدة لا يستطيع الحكم
اهلها الا اهل السطوة والهيبة فعهدوا بذلك الى البطارقة وولوهم المستعمرات
جملتها الشام ومصر وكانت الشام ولاية واحدة تقسم الى ١١ اقليماً على كل اقا
الجند كانهُ حاكم مستقل وكانت حدود الشام بالنظر الى الحكومة تنتهي من ا
الى الفرات ولا يدخل العراق وما بين النهرين فيها وانما جعلناهما منها في كلامنا
لانهم واهل الشام من اصل واحد كما رأيت "

" واشهر مدن القطر المصري في الاسلام الفسطاط والقاهرة وقد ذكرنا عمارة الفسطاط الجزء الثاني . واما القاهرة فقد بناها القائد جوهر في اواسط القرن الرابع للهجرة معقلاً له المعز لدين الله الفاطمي وجنده . فظلت في اثناء دولة الفاطميين لم تتسع عمارتها وانما كانت العمارة للفسطاط والقطائع . وذكر المقريزي انهُ كان في هاتين المدينتين غير القاهرة ١٠٠٠ بيت في بعضها مئة انسان ومئتان اذ يكون البيت مؤلفًا من خمس طبقات او ست سبع ومع ذلك فهي في تقديرهِ لا تزيد على ثلث بغداد فكم تكون عمارة هذه . ولما افضت ولة الى السلطان صلاح الدين اذن للناس بسكنى القاهرة فاتصلت بمدينة الفسطاط انت الفسطاط تسمى (مصر) فلما صارتا مدينة واحدة اطلقوا عليهما اسم « مصر والقاهرة » قالوا (مصر القاهرة) ولما خربت الفسطاط ظل هذا الاسم للقاهرة وحدها كما هو مشهور"

والكتاب كلهُ على هذا النسق من التدقيق والسهولة وفيهِ حواشٍ بالاسانيد التي اعتمد مرة المؤلف عليها في تأليفهِ مثل المقريزي ونفح الطيب والاغاني وابن خلدون والمعارف لابن بة والكامل للمبرد ومختصر الدول وغير ذلك . وهو يشهد بفضل مؤلفهِ وشدة ما عانى من معاب حتى جاء بهِ كما هو . فنمحضهُ خالص الشكر ونحث الادباء ومحبي التاريخ على اقتناء تابهِ واجتناء ثمارهِ . اما ما فيهِ من الاحصاء فسنتكلم عليهِ في وقت آخر

صرف ونحو انكليزي

اهدى الينا حضرة الاديبين محمد افندي رضا من مدرسي مدرسة عابدين ومحمد دي عبيد من مدرسي كلية غردون نسخة من كتاب صرف ونحو بالانكليزيَّة سمياهُ ' ThePupil's Gramma لتلامذة المصريين وخصوصاً المرشحين لامتحان الشهادة بتدائية . وهذه النسخة من طبعة ثانية للكتاب ادخلا عليها كثيرًا من التغيير والتنقيح ءت اصحَّ من الطبعة الاولى وأوفى بالحاجة . وقد عرضاها على جمعيتي مكملان ولنجمان لندن فشهدا لها شهادة حسنة جدًّا

سقوط نابوليون الثالث

وقفنا على المجلد الثاني من رواية سقوط نابوليون الثالث لحضرة معربها الشاعر الاديب لا افندي رزق الله مدير جريدتي الاهرام والبراميد وهي رواية تاريخية اجتماعية ادبية امية عصرية والمجلد الثاني كالاول في طلاوة عبارتهِ وسهولة مأخذهِ . والرواية كلها ثلاثة دات وسينشر المجلد الثالث وفيهِ بقية الحديث

في تعميم وسائل الري ببناء الجسور والخزانات وما لدينا من آلات الحرث والزرع
الى اذهاننا الاستخفاف برواية العرب حكمنا لأول وهلة و بلا تردد انها مكذو
نظرنا فيها نظر الناقد المحقق فلا نعدم الوصول الى الحقيقة

" فالمقريزي وغيره من رواة هذا الاحصاء لم يقولوه عرضاً ولا تركوا في قوله
وذكروا في امكنة اخرى ان الارض الزراعية نقصت في ايام ابن المدبر اي بعد
القرن الى ... ... ٢٤ فدان ولم يكتفوا بذكر المساحة ولكنهم ذكروا عدد ال
كانوا يشتغلون بالحرث والزرع واشترطوا عدداً معلوماً منهم فاذا نقص نقصت غ

" ولا ينجلي لنا وجه الصواب الاّ بعد معرفة البقاع التي كانت عامرة في هذا ال
كانت حدود مصر الزراعية يومئذٍ مثل حدودها الآن اي يحدها من الشرق والغر
والصحراء الشرقية والبحيرة لحكمنا باستحالة زعمهم . لان مساحة مصر الجغرافية
الواحات والبادية الواقعة بين النيل والبحر الاحمر والعريش نحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مر
صحراء قاحلة . اما الارض الزراعية فمساحتها ١٧ ٧٢٦ ميلاً مربعاً يخرج منها .
مسطحات النيل والترع والمستنقعات والبحيرات ونحوها فالباقي ١٢ ٩٧٦ ميلاً
نحو ٨٠٠٠٠٠٠ فدان وهي الارض المزروعة الآن فلا سبيل الى المزيد

" ولكن يؤخذ مما نقله العرب عن احوال مصر في ابان تمدنهم ومما جاء من اخبا
ان حدودها الزراعية كانت اوسع من ذلك كثيراً — ذكروا انها كانت تمتد من
صحراء الاسكندرية الى برقة وتتصل من الشرق بحدود السويس الى العريش
المسافة هناك اليوم رمال قاحلة ولكنها كانت تزرع قديماً الزعفران والعصفر وقص
وكان ماؤها غزيراً . ولا تزال آثار العمارة باقية في تلك البقاع فان تحت الرمال
زراعية يعرفها من اختبر الارض بالمسبار

" وكان الصعيد عامراً ويمتد من جهة الشرقية الى البحر الاحمر واراضي البجة وك
الفيوم ممتدة الى ما وراء العمارة المعروفة مسافة بعيدة . فاذا اعتبرنا ما ذكروه من
وان النيل كان اكثر فروعاً واغزر ماء واوسع فيضاناً مما هو عليهِ اليوم هان علينا ق
وان كنا لا نزال نستغربها لبعدها عن مألوفنا . ولعلنا متى رأينا الشركات تعمل
الصحاري المحيطة بوادي النيل شرقاً وغرباً بنزع ما يغطيها من الرمال واروائها بال
اليها من النيل او بالآبار الارتوازية نرى اقوالهم معقولة . ولا نظن ذلك بعي
الاعمال يدرسون امثال هذه المشروعات

ج الظاهر انها تستعمل فيهما وفي غيرها من الاساكل البحرية ليسهل التعامل مع السفن المارّة بها

(٤) المراح البرقي

بكاره بالبرازيل الخواجه نقولا ابو عبسي . ولد صغير لهُ من العمر ثلاث سنوات صحيح الجسم وكذلك والداهُ الاّ انهُ يحدث لهُ احتكاك داخل انفهِ مما يجعلهُ يضطر الى حكهِ باصبعهِ فيفضي ذلك الى نزف دم سريع لا يتوقف الاّ بعد جهد جهيد وقد ادّت هذه الحالة الى نحول جسمهِ وكذلك اذا جُرح باحد اطرافهِ ولو جرحاً طفيفاً جرى منهُ دم بكثرة فما سبب سيلان دمهِ وما هي الواسطة لتوقيفهِ

ج سبب ذلك ان مزاجهُ نزفي وعلاجهُ بان يعطى المقويات الحديدية ويغذّى غذاء مقوياً ومما يفيدهُ ايضاً تغيير الهواء اذا لم يكن المكان الذي هو فيهِ جيد الهواء

(٥) حرارة العين

بوتو اورروبت بالبرازيل الخواجه خليل اسطفان رجوا ان تتكرموا علينا بصفة لحرارة العين المزمنة

ج تلاحظ الاجفان من الداخل فاذا كان فيها تحبُّب وجب معالجتها عن يد طبيب ماهر بطب العيون والاّ فيكتفى بغسل العينين صباحاً ومساء بمحلول الحامض الكربوليك المخفف

(٦) خفة الارض

ومنهُ . هل الارض آخذة في الخفَّة ام لا

ج كلاّ بل المرجح انها تثقل رويداً رويداً بما يقع عليها من النيازك والغبار العالمي

(٧) نقص الاكسجين والهدروجين

ومنهُ . هل الاكسجين والهيدروجين آخذان في التناقص

ج ان الماء المركب من الاكسجين والهيدروجين آخذ في القلة لا لانهُ يذهب من الارض بل لانهُ يدخل في تركيب صخورها . ولا يبعد ان يكون بعض الاكسجين آخذاً في القلَّة بتركيبهِ بموادها وبعض الهيدروجين اخذاً من الاولات من جو الارض لخفتهِ لكن الباقي من الهيدروجين في جو الارض قليل جدًّا لا يعتدُّ بهِ

(٨) القيصران

نيو اورليينس . الخواجا شديد نعمه . نرى اسمي القيصرين الروسي والالماني يختلفان كتابةً باللغة الانكليزية والمعنى على ما نعلم واحد فما هو سبب ذلك

ج لان الانكليز يكتبون اسم كلٍ منهما كما يلفظ بلغتهِ فالروسي يلفظ زار والالماني كيزر فيكتبونهما كذلك

(٩) لفظة حلمي

ومنهُ . ماذا تعني لفظة حلمي المضافة الى اسم سمو الجناب الخديوي الحالي

ج هي جزء من اسمهِ الذي سمي بهِ فانهُ

المنهل الصافي

اسم مجلة شهرية صغيرة لصاحبها الاديب محمد افندي نجيب الحارتي صدر العدد الاول منها في يونيو الماضي وصدر العدد الثاني وفيهِ مقالات ادبية تهذيبية مثل "حال اللغة العربية زمن الاسلام" "واطوار الانسان" واخبار علمية وسياسية مختلفة . فنتمنى لها الانتشار

باب المسائل

(١) سبب ابيضاض العرقي

بور سعيد . الخواجا الياس خليل نجيمة . اذا اضفنا الى السبيرتو ماء لا يتغير لونهُ ولكن اذا اضفنا الى العرقي المستخرج من السبيرتو ماء تغير لونهُ وصار ابيض فكيف تعللون ذلك

ج في العرقي قليل من زيت اليانسون ذائب في سبيرتو العرقي والسبيرتو يذيب زيت اليانسون هذا ما دام على درجة معلومة من القوة والحرارة فاذا برد كثيرًا لم يعد يستطيع تذويبهُ فينفصل عنهُ في شكل راسب ابيض وكذلك اذا اضيف اليهِ ماء فان قوتهُ على التذويب تضعف حينئذٍ فينفصل زيت اليانسون في شكل راسب ابيض وبذلك يعلل ابيضاض العرقي اذا اضيف اليهِ ماء او اذا بُرّد كثيرًا

(٢) سعة البراميل

(٢) كيف يمكن ايجاد سعة برميل

ج اذا كان البرميل منتظم الشكل فهو مؤلف من مخروطين مقطوعين و يعلم مساحة كل مخروط منهما بجمع مساحة طرفيهِ الى جذر مسطحهما المالي وضرب المجتمع في $\frac{1}{3}$ العلو العمودي وهذا تقريبي لان الجانبين ليسا مخروطين ناقصين تمامًا . وتعلم سعة البرميل بالتدقيق بان يملأ ماء بوعاء سعتهُ معلومة فاذا ملأناهُ بوعاء يسع لترًا علمنا كم لترًا يسع . وكذلك بوزنهِ وملئهِ ماء ووزنهِ ثانية فوزن مائهِ من الكيلومترات يعادل سعتهُ التار وادا اريد التدقيق وجب ان يعلم ثقل ذلك الماء النوعي ويقسم وزن ما فيهِ من الماء على الثقل النوعي للماء اولاً ثم تجعل كل ١٠٠٠ غرام من الخارج بمقام سعة لتر اي ١٠٠٠ سنتمتر مكعب

(٣) النقود الاجنبية ببورت سعيد

ومنهُ . ما سبب استعمال النقود الاجنبية كالشلن والفرنك والبنتو والصولدي في بورت سعيد والاسمعيلية فقط من القطر المصري

درهمات لتوزع على الفقراء
في اما الآن فقد تدلوا عن
وا قوا عادة حمل البساط فهل

ر لما ان العادة اوربيّة لاننا لم
اوربا وعند الذين اقتبسوا
وربيّة . والاوربيون يحملون
يغطوا بهِ تابوت الميت او قبرهُ
مهُ مشتق من اسم الوشاح
لك رومية ينعمون بهِ للتشريف
شرف يلقى على تابوت الميت.
آن ما يدل على سبب تسميتهِ

(١٤) سبب الاحلام

لماذا يحلم الانسان وهو نائم احلامًا يخال لهُ انهُ يشاهدها عيانًا وهل للاحلام تفسير حقيقي

ج لم نكتب في موضوع من المواضيع قدر ما كتبنا في الاحلام . والذي عليهِ جمهور العلماء الباحثين ان الاحلام افكار تخطر في الذهن والانسان نائم وتتشعب بائتلاف الافكار فلا ينتبه النائم لها الاَّ حينما يقرب من اليقظة اي حينما تكون بعض قوى عقلهِ مستيقظة او قريبة من اليقظة او لا تخطر الافكار في البال الاَّ قرب اليقظة . ولا تكون قوى العقل حينئذٍ مستيقظة كلها لتصلح ما فيها من الخطإ والتشويش وترية انها مجرّد احلام او هواجس فتظهر بغرابتها المألوفة . وليس لهذه الاحلام تفسير حقيقي ولو قال كثيرون خلاف ذلك

زينة السماء

[illegible]

يوم	ساعة	دقيقة
٤	٣	٠٠ مساءً
١٢	٤	٤٨ صباحًا
٢٠	٣	٢٨ „
٢٧	٢	٤٣ „

السيارات

يرى عطارد صباحًا نحو العشرين منهُ
وتغرب الزهرة بعد غروب الشمس بنحو ساعتين
ويرى المريخ قبل شروق الشمس
ويكون المشتري نجم الصباح الشهر كلهُ
ويرى زحل كل الليل تقريبًا

سمي عباس حلمي . وهذه الالفاظ حلمي وفهمي وفتحي وشوقي وصبري الخ عربيَّة الاصل في صورة تركية

(١) صمم الاخرس

ام درمان . محمود افندي الشاعر . ما السبب في صَمَم الاخرس وهل هذا عام في الخرْس ام خاص وهل هو عام في العجماوات وما علاقة اللسان بالسمع

ج كان الاولى ان يكون سؤَالكم هكذا ما السبب في خرَس الاصم لان الخرس ينتج عن الصمم الخلقي ولكن الصمم لا ينتج عن الخرس فان من يولد اصم لا يسمع لا يتعلم النطق من نفسهِ لانهُ لا يسمع اصوات الذين حولهُ حتى يقلدها . اما الآن فقد عني بعض الناس بتعليم الخرس التكلم وذلك بان يلفظوا امام الاصم الاخرس حرفًا من الحروف ويشجعوهُ على الاقتداء بهم كأَن يلفظوا امامهُ صوت الالف ثم صوت الباء ومتى صار الاخرس يلفظ هذين الحرفين او الصوتين ضموها معًا واشاروا الى الاب فيصير يدرك ان هذه اللفظة تدل على الاب وقس على ذلك الام والماء والنار والكتاب وهلمَّ جرًّا . وهو عمل شاق مملٌّ ولكن الذين تعاطوهُ نجحوا في تعليم النطق لبعض الصم الخرس

والعجماوات تسمع اكثرها على ما يظهر وهي خرساء لا تنطق مع انها تسمع لان آلات النطق غير كاملة فيها وكذلك ال[illegible] العقلية التي تتصرف بآلات النطق غير [illegible] فيها نموًّا كافيًا . ولا علاقة للسان بالس[illegible]

(١١) تقوية الحافظة

ومنهُ . هل من وسيلة لتقوية الحا[illegible]

ج نعم وهي تقوم بتمرين الحافظة [illegible] الحفظ تمرينًا منتظماً وقد نشرنا اكثر من [illegible] في هذا الموضوع فلتراجع في مواضعها

(١٢) ضعف الحافظة

ومنهُ . ما سبب ضعف الحافظة في [illegible] المشتغلين بالتحفيظ والتعليم ام ليس [illegible] من سبب

ج ان كانت حافظتهم قد ضعفت [illegible] ما كانت قوية فيكون سبب ضعفها قلة اع[illegible] عليها . فاننا نعرف اناسًا كان الواحد [illegible] يعرف موقع كل اية من التوراة والا[illegible] فيدلُّ عليها في اي سفر واي اصحاح منهُ [illegible] عدد من ذلك الاصحاح فلما طبع [illegible] التوراة وصاروا يعتمدون عليهِ ضعفت ذاكر[illegible] جدًّا ولم يعودوا يتذكرون مواقع الآيات

(١٣) بساط الرحمة

مصر . الخواجا نعمان ناضر . كثيرًا نرى في المآتم اربعة اشخاص يحملون عربة الميت بساطًا يسمونهُ بساط الرحمة [illegible] نعلم الغاية منهُ ولا لماذا يسمونهُ بساط ال[illegible] وقد قال لي البعض ان سبب هذه الت[illegible] هو ان اقارب الميت كانوا يضعون على

المطر ولا سيما اذا ادخلت انها استعدوا على صفاء الجو وعند المطر وقد راقب كثيرون مجرى الهواء في تلك الآبار فوجدوا انه يخرج الهواء منها عند هبوط البارومتر وتدخله عند ارتفاعه . وبيان ذلك ان هبوط الزئبق في البارومتر ناشئ عن قلة ضغط الهواء بسبب تكاثر بخار الماء فيه وبخار الماء اخف من الهواء كما هو معلوم عند دارسي الفلسفة الطبيعية فاذا خف الهواء ارتفع بعض الضغط عن الآبار فخرج الهواء منها والعكس بالعكس

بداهة الكلب

كان العلماء يستكثرون ان [illegible] في فهم الحيوانات مثل الكلب وغيره ثم اصبح لهم الكلب عندهم فصيلة [illegible] ثم اخذوا يبحثون فيما اذا كان ذا بداهة ولا يخفى ان قوة البداهة ومهارة [illegible] العقل اعظم ما يمتاز به الانسان عن سائر [illegible]

[illegible]

فهام الآن [illegible] البداهة الكلب [illegible] الآتية وهي ان كلبا [illegible] الاصبح على كرسي [illegible] على البيوت المجاورة . في [illegible] البارودة [illegible] السقيم زجاج [illegible] الكلب [illegible] على الزجاج بحيث حتى ازال منه بقدر الكف وصار يستطيع تسريح نظره بلا مانع . وكان كلما تجمع الصقيع على زجاج الشباك يفعل مثل المرة الاولى لازالته . فقال أمثل في نسبة البداهة الى الكلب ان الكلب اتصل الى هذا العمل بسلسلة فكرية حلقاتها متصلة اولها المس بالم وآخرها النظر من الشباك وسلسلة فكرية مثل هذه لا تكون الا في رأس مفتكر

تلقيح الاشجار

الغالب في الاشجار ان تكل جذورها عن العمل قبل اجزائها التي فوق سطح الارض فلا تمود معها الغذاء اللازم . وقد روت جريدة إلستراسيون الباريزية ان بعضهم اطال عمر الاشجار القديمة التي لم تزل فيها بقية [illegible] تماوت كرياتها الحديد وان هذا لمحاول فيه سرّ تقوية [illegible] [illegible] وعمل احد علماء [illegible] في الاشجار [illegible] المذكور ملزما فرأى انه لا يدخل في لطلة [illegible] في الطبقات الحديده ويدل في الى الجذور حتى [illegible] سطح الارض [illegible] راس الشجرة [illegible] وأيد ان [illegible] الاشجار [illegible] [illegible]

غلاء الزجاج

الزجاج ارخص السلع واغلاها فهو خيص اذا جعل قناني وكاسات والواحاً نبابيك وما شاكل ذلك . وغالٍ جداً اذا نعت منهُ عدسيات الآلات المكبرة والمقربة ن ثمن عدسية الاشباح (في المكرسكوب) ي لا يزيد وزنها على ١٨ من ١٠ آلاف ن الجرام جنيه واحد ولو كانت ذهباً ما زاد نها على مليمين فيكون ثمن الزجاج فيها ٥٠٠ عف ثمن الذهب وثمن الكيلوجرام من هذه مدسيات نحو ٦٠٠ الف جنيه وقيمةُ قبلما صنع العدسيات منهُ ١٠ مليمات اي ان قيمتهُ يد بعد صنع العدسيات منهُ نحو ٥٠ ليون مرة

شيوع الراديوم

أرسل المستر ستروت مقالة الى الجمعية لانكليزية الملكية عن نتيجة ابحاثهِ في وجود راديوم في قشرة الارض فاثبت فيها (١) ان راديوم موجود في جميع الصخور النارية خصوصاً الغرانيت . و(٢) ان توزعهُ متناسب حتى يمكن تقدير الموجود منهُ في كل ميل مكعب على وجه التقريب و(٣) ان سمك قشرة الارض لا يزيد على ٤٥ ميلاً لا زاد مقدار ما يشعُّ من الحراره عما هو معلوم . وان باطن الارض يختلف في تركيبهِ عن تركيب القشرة كل الاختلاف . و(٤) ان [illegible] يحتوي على ١٠ [illegible] وعليهِ يكون حرارة باطنه اقل من حرارة [illegible] الارض بكثير وهذا هو السبب في [illegible] انتشار البراكين على سطحهِ . و(٥) ان النيازك الحديدية لا تحتوي على شيء من الراديوم او تحتوي على شيء قليل جداً [illegible] واما الحجرية ففيها منهُ على نسبة ما [illegible] صخور الارض

وقاية النبات [illegible]

في جنوبي افريقية نبات [illegible] الصحراء حيث لا ماء [illegible] [illegible] نفسهُ من اليبس [illegible] [illegible] الاولى [illegible] [illegible] الارض سطحهِ الحرارة [illegible] من غارات اعدائهِ من الحيوان [illegible] الظاهر [illegible] بالحجارة التي [illegible]

وهناك نبات آخر يقلد [illegible] الصخور ذات الزوايا والرؤوس [illegible] بجانبها فلا يميزها الا [illegible] تظهر عليهِ ازهار صفراء

عجائب الآبار

في مقاطعة [illegible] آبار لا بأس ان تسمى بالآبار المتنفسة لانها تستنشق الهواء تارة وتخرجهُ أخرى . والاهالي يستدلون بذلك على الطقس فاذا أخرجت الآبار الهواء منها استدلوا على قرب وقوع

ووجد المستر هل ايضاً ان الحيوانات لم تكن تشعر باقلّ انزعاج تحت ضغط سبعة اجواء بشرط ان تكون الفترة بين الانتقال من جوّ الى الذي هو اعلى منهُ ٢٠ دقيقة . وعليهِ عزم ان يجرّب هو وصديقهُ نتيجة ذلك في نفسهما وكانا قد اعدا آلة خصوصية لذلك وهي مؤلفة من غرفة سعتها ٤٢ قدماً مكعبة وتوابعها فدخل المستر جرينوود الغرفة واقام فيها ٤٠ دقيقة وكان الضغط الاخير فيها ستة اجواء ولما خرج منها شعر بآلام والم في ساعديهِ وخصوصاً الايمن وكان الالم خفيفاً في بادئ الامر ولكنهُ زاد بعد نحو ٢٠ دقيقة حتى صار من نوع النفرالجيا واشتد مدة خمس دقائق ثم اخذ يخفّ تدريجاً

ومعظم ما بلغهُ الضغط في اثناء هذه التجارب ٩٢ رطلاً وهو يساوي ضغط الماء على عمق ٢١٠ اقدام وهذا العمق يزيد ٩٠ قدماً من الحدّ الذي تعينهُ البحرية الانكليزية للغوّاص

اما الاعراض التي شعر المستر جرينورد بها في اثناء التجربة فتعب في الاذنين سببهُ زيادة الضغط على طبلتيهما وحدّة في السمع حتى انهُ اذا قرع على باب الغرفة قرع خفيف باليد كان ذلك يؤلمهُ . وبات صوتهُ رنّاناً فيهِ خنّة وفقد النغمة الخصوصية التي يمتاز بها صوت انسان عن انسان ولما بلغ الضغط ثلاثة اجواء لم يعد يستطيع الهمس ولا الصفير

سرّ تقدم الانكليز

كتب احد علماء الالمان مقالة في سرّ تقدم الانكليز فسأل فيها ثلاثة سؤَالات الاول كيف بقيت السلطنة الانكليزيَّة ثابتة الى الآن مع ان سلطنتي اسبانيا وهولندا كانتا معاصرتين لها فتقهقرتا حتى صارتا على ما هما عليهِ الآن . والثاني كيف غلبت انكلترا فرنسا . والثالث ما هو سرّ نجاح بريطانيا العظمى . واجاب على هذه السؤَالات بكلمة واحدة وهي "خلق" الامة الانكليزيَّة . قال صحيح ان اقليم بريطانيا العظمى جعل لها مزية على غيرها فنشأ فيها بسببهِ رجال اقوياء الابدان قادرون على احتمال المشقات . وصحيح ايضاً ان مركزها الجغرافيّ مكنها من اتباع نصيحة اللورد باكون لها وهي ان تستخدم قواها كلها في سبيل ترقية قوتها البحرية . وصحيح ان الاقدار أنعمت عليها بسياسي عظيم مثل كرومويل يدير دفة سياستها الخارجية على عظمتها واميرال عظيم مثل نلسن ينفذ تلك السياسة . ولكن ليس ذلك كلهُ سبب نجاحها بل السبب ان الخلق الانكليزي مؤسس على استقلال الافراد . وروح الاعتماد على النفس . ومعرفة الواجب والعمل بهِ . واحترام رابطة الزواج . وادراك الفرق الشاسع بين الصواب والخطاء والخير والشرّ . والشعور بالمسأولية الدينية نحو

بعض الامراض التي تسطو على الاشجار لا في تغذيتها فقط . فانهُ اذا جرح لحى شجر الخوخ (البرقوق) او الدراقن (الخوخ) او اللوز كثر خروج الصمغ وتجمعهُ على الجرح فلمنع ذلك تحقن الشجرة المصابة بمحلول خفيف من الحامض الأُكساليك او الحامض الشتريك (حمض الليمون) او الكريوزوت او الحامض السليسيليك فتشفى . والحامض السليسيليك احسنها

السفر الى القطب

روت الشركات التلغرافية في اواسط هذا الشهر ان الرحالة ولتر ولمان الذي عزم على السفر الى القطب الشمالي في بلون اعدَّهُ لذلك اتمَّ مدَّ خطٍ من التلغراف الذي بلاسلك من مدينة همرفست في جزيرة سبتزبرجن الى جزيرة الدنموكيين التي تبعد ٦٠٠ ميل عن القطب . وان الرحالة يسافر قاصداً القطب في اواسط اغسطس الحالي . وقد رأَينا في السينتفك اميركان انهُ سيبدأُ السفر من مدينة ترومسو في نروج وهي تبعد ١٢٠٠ ميل عن القطب وانهُ صنع بلونهُ في باريس وارسلهُ هو وجميع المعدات اللازمة للسفر الى نروج وسيرافقهُ في سفرهِ هذا مندوب من قبل مكتب الارصاد الجوية في الولايات المتحدة الاميركية ورجل من الخبيرين بادارة البلونات ومهندس للآلات

ضغط الهواء والجسم

عمل المستر ليونارد هِل والمستر جرينوود من علماء الانكليز سلسلة تجارب مهمة لمعرفة ما لتغير ضغط الجوّ من التأثير في جسم الانسان. والامر الذي دعا الى هذه التجارب ان كثيرين من المهندسين الذين يضطرون الى البناء تحت الماء والبقاء هناك مدة طويلة تصيبهم اعراض شلل العضلات فعمل العالمان المذكوران تجاربهم ليتحققوا سبب تلك الاعراض وليعلموا ما هو اعظم عمق يستطيع الانسان العمل عندهُ من غير ان يمسَّ بسوء

وكان المستر هِل قد امتحن تأْثير زيادة ضغط الهواء في اجسام الحيوانات قبلاً فوجد ان كلَّ مئة سنتمتر مكعب من دم الحيوان تفرز سنتمترًا مكعبًا من النتروجين عادةً اي اذا كانت حرارة الجسم طبيعية وكان الجسم تحت ضغط جوٍ واحد وسنتمترين مكعبين منهُ تحت ضغط جوَّين وثلاثة تحت ضغط ثلاثة وهلمَّ جرًا . واذا زاد الضغط فرز النتروجين على شكل نفاخات في الاوعية الشعرية وخلايا العضلات وينتج عن ذلك تخثُّر الدم في بعض الاوعية فيشعر المصاب بالاعراض المشار اليها آنفًا خفَّت او اشتدت . والعادة ان الذين يعملون تحت الماء يقيمون هناك من ساعتين الى اربع وفي هذه المدة تمتلئُ سوائل اجسامهم نتروجينًا

[illegible] قوة [illegible]

[illegible] يقال [illegible]

يحق كل [illegible] مربع [illegible] والشمس
مشرقة ما يساوي قوة حصان واحد على الدوام
وذلك بعد طرح ما يذهب من القوة او الحرارة
بامتصاص الهواء لها . اي ان كل مربع
من سطح الارض يصيبه من القوة ما يكفي
لرفع ٣٣ الف رطل قدماً واحداً في الدقيقة
وهذه القوة مستمرة

[illegible] الفرنسوي

اضافت البحرية الفرنسوية ١٣ طراداً
مدرعاً الى اساطيلها [illegible] سنة ١٨٩٨ منها
مما محموله ٧٧٠٠ طن و [illegible] مما محموله ٩٥٠٠
طن و٥ مما محمولها ١٠٠٠٠ طن وواحد
محموله ١٣٠٠٠ طن وواحد محموله ١٢٥٠٠
طن [illegible] المدرعات [illegible]
[illegible] ٢٠ [illegible] احدي محول
[illegible] ١٣٦

[illegible]

[illegible]
التراعي [illegible] ما محموله
٥١١٧٠١ [illegible] ما محموله
٩٠٣ ١٠ [illegible]
٧٨٦٧١ طناً [illegible] ما محموله ٦٠٢٣٨
[illegible] واهالي نروج ما محموله ٥٩٧٠٢

التجارة [illegible]

بلغت قيمة الواردات الى المانيا في السنة
الماضية نحو ٣٧٥ مليون جنيه والصادرات
نحو ٣٠٠ مليون جنيه . ومن قيمة
الواردات [illegible] ٢٠ مليون جنيه لمشترى مواد
كيماوية ومن قيمة الصادرات [illegible] ٢٣ مليون
جنيه [illegible] المواد

[illegible] السائل

بحث الدكتور اردمان في خصائص
النتروجين السائل فوجد انه يختلف [illegible]
عن الهواء السائل في خصائصه الطبيعية وانه
اسرع [illegible] بكثير ولذلك يفضل عليه في
تبريد الهواء . واذا صب على الكلسيوم
تكون بيتريد الكلسيوم من ذلك ومن بيتريد
الكلسيوم يستخرج الامونيا

[illegible]

[illegible] بين [illegible]
[illegible] العلماء والشعراء
[illegible] كانوا من طوال القامة
و [illegible] السواء . فمن طوال القامة عند
الانكليز [illegible] ووردسورث و [illegible]
[illegible] ومن قصار [illegible] وملتون .
[illegible] من الاول
[illegible] يقال في سائر المتاهير والعظام

[illegible] السطر الاخير
من الجزء الاول صفحة ٦٩٥ صوابها البوريك

الفقراء والضعفاء في انكلترا نسمها وسيحي مستعمراتها وسائر متعلقاتها ايضًا . وان الدين لا يزال قوام التربية الانجلوسكسونية

نفق سمبلون

سمبلون اسم النفق او السرداب الذي تمَّ ثقبهُ بين ايطاليا وسويسره حديثًا طولهُ ١٢¼ ميل ونفقتهُ ٣١٠٠٠٠٠ جنيه . وبلغ متوسط ما كان يحفر منهُ كلَّ سنة ما طولهُ ميلان او ما طولهُ ٢٩ قدمًا في اليوم وهو اكثر من متوسط كلّ نفق ثقب قبلهُ فقد ثقب نفق في ولاية مستوستس باميركا وكان متوسط ما يحفر منهُ يوميًّا ٥ ١/٢ قدم . ومتوسط ما حفر من نفق جبل سني [illegible] ٨ اقدام يوميًّا . ونفق ستروفي نفاداي ١٠ ½ قدم . ونفق سان جوتار ١٤ ١/٢ قدم . ونفق ارلبرج نحو ٢٨ قدمًا

قبر شارلمان

شرع الاستاذ لسنغ الالماني منذ زمان طويل في كتابة مقالة ضافية الذيول يصف فيها الملابس القديمة وما كان الاقدمون يودعونها من التطريز فاستأذن امبراطور الالمان في فتح قبر شارلمان واخراج ما فيهِ من الاكفان التي لفت عظام شارلمان بها فأذن لهُ في اخراجها ريثما يصوّرها ويصفها ثم يردُّها الى مكانها . وقد وجدت العظام ملفوفة بقطعتين ثمينتين من الحرير الواحدة من الطور البيزنطي ولها اقدم [illegible] من نوعها ولا تزال الالوانها ز[illegible] [illegible] اواسط القرن الثاني عشر والعظام [illegible] موضوعة في دوائر وبوسط كل دائرة جمجمة والاخرى من الطور السيسيلي [illegible] القرن الثالث عشر [illegible] فيها [illegible] طيور وحيوانات مختلفة من الارض وغيرها

وقد فتح قبر شارلمان مرارًا قبل هذه المرة واول من فتحهُ الامبراطور فردريك بربروسا في القرن الثاني عشر ثم فتح فيها قبل هذه المرة سنة ١٨٤٣

النيران في اميركا

قدّر بعضهم ان النيران التهمت في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠[illegible] من المنازل والاملاك ما قيمتهُ ٤٦ مليون جنيه او ١٢٦ الف جنيه يوميًّا والتهمت في الخمس وعشرين سنة الماضية ما قيمتهُ [illegible] ٧ مليون جنيه . مع ان معظم ما بلغتهُ في [illegible] لامة كان ٥٠ مليون جنيه [illegible] ومات احتراقًا تلك السنة [illegible] ٧٠ [illegible] نحو ١٩ نفسًا كلّ يوم

استخدام حرارة الشمس

لا يزال كثيرون يقولون بامكان استخدام حرارة الشمس في اعمال الناس في المستقبل لانه اذا كانت الشمس [illegible] بلغ سطح الارض من القوة الدائمة [illegible]



الجزء التاسع من المجلد الحادي والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٢٤

مملكة الممالك

للاستاذ اكارت من اساتذة جامعة مسوري باميركا

جرت في العشر السنوات الاخيرة حركة في الافكار والاقوال والافعال يقصد بها الى انشاء مملكة جامعة تكون متسلطة على الممالك كلها برضاها . وتلتها حركات أُخرى لاخراج ذلك القصد من القوة الى الفعل . ومرمى هذا المقال ايراد تاريخ كلٍّ من الحركات او الخطوات المشار اليها وبيان الاسباب التي تحمل على الاعتقاد بان مصيرها الى الفلاح والنجاح والبحث في العقبات التي تعترض في سبيلها

(١) مؤتمر الهاي ومحكمتها : في صيف سنة ١٨٩٨ دعا قيصر الروس ممالك الارض الى مؤتمر ينظر في حفظ السلام العام وتخفيف ويلات الحرب وانقاص المعدات الحربية . فعقد المؤتمر في ١٨ مايو سنة ١٨٩٩ وختمت جلساتهُ في ٢٩ يوليو وحضرهُ مئة مندوب ينوبون عن ست وعشرين دولة وكانت نتيجتهُ امرين الاول الاتفاق على بعض شؤُون الحرب ومتعلقاتها والثاني انشاء محكمة دائمة للتحكيم . اما الامر الاول فغاية ما يهمنا منهُ ان المؤتمر اتفق على قرارات من شأْنها تخفيف ويلات الحروب وتخفيض المعدات الحربية برًّا وبحرًا في الاستقبال . واما الامر الثاني فاعظم شأْنًا ومآلاً فان الدول اتفقت على انشاء محكمة دائمة للتحكيم تعرض عليها جميع المسائل الدولية المهمة للفصل فيها . واعضاء هذه المحكمة ينتخبون من الامم المختلفة الى مدة ست سنوات . ويجوز لكل دولة ان تنتخب اربعة اعضاء بشرط ان يكونوا من الخبيرين بالقانون الدولي . فاذا وقع خلاف بين دولتين اختارتا اثنين من كل اربعة من هؤُلاء الاعضاء الدائمين او اثنين من كلّ بلاد ليسا من الاعضاء الدائمين . وينتخب هؤُلاء حَكمًا وتجري اعمال المحكمة على حسب الاصول المرعية

فهرس الجزء الثامن من المجلد الحادي والثلاثين

ينوبون عنها · وبعد ختامهِ زار اعضاؤُهُ مدينة وشنطون وطلبوا من الرئيس روزفلت ان يدعو دول الارض الى مؤتمر سلمي ثانٍ · ففعل ولبت الدول كلهن دعوتهُ ما عدا روسيا واليابان لانهما كانتا تتأهبان للحرب · ولما وضعت الحرب اوزارها كان في النية ان الرئيس روزفلت يطلب من البلجيك دعوة الدول رسميًّا الى ذلك المؤتمر ولكن لما عقد مؤتمر بورتسموث (للنظر في عقد الصلح بين روسيا واليابان) أعرب القيصر بلسان مندوبيهِ عن رغبتهِ في دعوة الدول الى مؤتمر السلم الثاني ما دام هو الداعي الى الاوّل فوافق الرئيس روزفلت على ذلك · ولم يمضِ الاَّ القليل حتى دعا القيصر الدول الى مؤتمر يعقد في خريف هذه السنة

وفي اغسطس سنة ١٩٠٥ عقد الاتحاد اليابي جلستهُ السنوية الثالثة عشرة في عاصمة البلجيك وقرَّ القرار فيها على أمرين الاول دعوة جمهوريات اميركا الجنوبية واميركا الوسطى لحضور جلسة المؤتمر التالية · والثاني تعيين لجنة من سبعة اعضاء لوضع خطة المؤتمر الدولي فاجتمعت هذه اللجنة في باريس في شهر نوفمبر من السنة المذكورة ووضعت الخطة الآتية وهي ان ينشأ مجلس شورى دولي ويكون لهُ غرفتان دنيا وعليا · فالدنيا ينتخب اعضاؤُها من مجالس الشورى المختلفة في العالم · والعليا ينتخب اعضاءها الحكومات المختلفة · ويجتمع هذا المجلس من حين الى آخر في الهاي على المرجح · وهذا الاتحاد النيابي لم يُعتَرف بهِ رسميًّا ولم يكن لهُ تأثير يذكر في العلائق الدولية حتى الآن الاَّ ان اعمالهُ ذات فائدة لا تقدَّر واعضاءهُ ومؤيديهِ من اعاظم المتشرعين في العالم

(٣) الدائرة التنفيذية · لم توضع خطة محدودة لهذه الدائرة التي يراد انشاؤُها ولا يعلم احد ما يكون شكلها · ولا يكاد يظنُّ ان امرها يوكل الى رجل واحد او الى رجال قلائل · فقد ينتخب مجلس الشورى الدولي لجنة تنظر في جميع الاشغال الادارية وتقسم تلك اللجنة الى اقسام مختلفة يعهد الى كلٍّ منها في شغل من الاشغال الادارية المتنوعة واذا اضطر الامر الى استعمال القوة قصد الاكراه على تنفيذ القوانين الدولية جُمع اسطول من اساطيل الدول المختلفة كما حدث في القرن الماضي

(٤) غاية مملكة الممالك · غايتها امران الاول إعداد قانون دولي محدود يعترف الكلُّ بهِ · والثاني انشاء محكمة لتطبيق ذلك القانون وللفصل في الخصومات التي تقع بين الدول على وجه سلميّ منعًا للحروب وعواقبها الوبيلة · فان قانون الدول المعروف الآن غير وافٍ بالمرام اذ ليس لهُ مفعول القوانين ولا هو متناسب الاجزاء والحاجة شديدة الى هيئة قانونية تزيل

هذا وقد بلغ عدد الدعاوي او القضايا التي عرضت على هذه المحكمة خمساً حتى الآن ·
الاولى عرضت عليها سنة ١٩٠٢ وهي تتعلق باموال جمعها اليسوعيون في المكسيك منذ قرنين
او اكثر لتنفق على اعمال مرسليهم فيها وكانت كاليفورنيا احدى الولايات المتحدة الاميركية
تابعة للمكسيك حينئذٍ · ففي سنة ١٧٦٨ أُلغيت طغمة اليسوعيين فاستولت حكومة المكسيك
على الاموال المشار اليها وجعلت تنفق من ريعها على المرسلين عموماً · واتفق ان كاليفورنيا
انضمت الى الولايات المتحدة بعد ذلك فرفضت حكومة المكسيك ان تدفع من ريع تلك
الاموال شيئاً الى مرسلي اليسوعيين في كاليفورنيا · وعليهِ كان الفريقان المتنازعان الولايات
المتحدة الاميركية والمكسيك · فحكمت المحكمة على المكسيك ان تدفع الاموال المتأخرة الى
المرسلين في كاليفورنيا وان تدفع اليهم ايضاً ما يخصهم من الريع كلَّ سنة

ومنها مسأَلة الخلاف بين فنزويلا عن جانب وبعض الدول الاوربية والولايات المتحدة
الاميركية عن الجانب الآخر · وسبب الخلاف وقوع فنزويلا في عسر ماليّ بسبب الثورات
المتتابعة التي انتابتها وعجزها عن ايفاء ما عليها من الديون لمداينيها من رعايا تلك الدول وقد
صدر حكم المحكمة في فبراير سنة ١٩٠٤ بما ارضى الطرفين · اما القضايا الثلاث الباقية فلم
يصدر الحكم فيها الى الآن

(٢) الاتحاد النيابي · او السعي في انشاء مجلس شورى عموميّ · وهذا الاتحاد
النيابيّ مؤلف من اعضاء المجالس الشوروية المختلفة في اوربا واميركا · وغايتهُ عقد مؤْتمرات
للبحث في الوسائل اللازمة لانشاء مجلس شورى دوليّ او مجلس نيابيّ عامّ · وقد أُسس سنة
١٨٨٨ في باريس على اثر المساعي التي سعاها وليم رندل كريمر احد اعضاء مجلس النواب
الانكليزي · وفي سنة ١٨٨٩ عقد اول مؤْتمر نظاميّ في باريس وعقد بعد ذلك مؤْتمرات
أُخرى في معظم العواصم الاوربية وفي مدينة سنت لويس في اميركا · وعدد اعضائهِ الآن
يزيد على الالفين وكلهم من اعضاء المجالس النيابية في البلاد المتمدنة ومنهم مئتان من اميركا ·
وعضويتهُ اختيارية تدوم ما دام صاحبها عضواً في مجلس نيابي · وقد سعى من بادئ الامر
في التحكيم الدولي حتى انهُ أَشار بهِ في المؤْتمر الذي عقدهُ في الهاي سنة ١٨٩٤ وعيَّن
لجنة من ستة اعضاء لدرسهِ ابتدائياً ووضع خطة اجمالية لهُ · وعليهِ فقد كان بمنزلة تمهيد
لمؤْتمر الهاي ولهُ فضل عليهِ لا ينكر

ولما عقد في مدينة سنت لويس اقترح امرين الاول ان يعقد مجلس دولي للنظر في انفاذ
معاهدات التحكيم · والثاني ان ينشأ مؤْتمر دولي ترسل اليهِ كلُّ امة من الامم مندوبين

باوربا اهمها مؤتمر برلين الذي اجتمع سنة ١٨٧٨ . وفي سنة ١٨٥٦ عقد مؤتمر باريس فسنت الدول فيهِ قوانين للبضاعة المحايدة والمهربة في زمان الحرب وحصر الثغور وهي تعدُّ جزءًا من قانون الدول الآن . وفي سنة ١٨٨٨ أُعلن حياد ترعة السويس . وفي سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ اجتمعت الدول لاقتسام افريقية اقتساماً سلمياً والاتفاق على ترتيب محدود فيما يتعلق بالمسائل الافريقية . وفي سنة ١٨٧٤ انشئَ اتحاد البوستة العام في برن عاصمة سويسره . وفي اوائل السنة الجارية عقدت الدول اجتماعاً في الجزيرة للنظر في مسألة المغرب الاقصى كما هو معلوم . فهذه الامور تدلُّ على ان امم اوربا بل امم العالم اجمع تمكنت من العمل يداً واحدة في القرن الماضي والحالي للنظر في المسائل التي لها فيها مصالح متبادلة مشتركة . فاذا استطاعت في الماضي عقد اجتماعات غير نظامية لدرس مسائل خصوصية فلا عجب اذا استطاعت في المستقبل عقد اجتماعات نظامية لسنّ قوانين تنطبق على المسائل الدولية

وهناك اسباب توجب انجاح هذه الحركة اهمها ماليّ معاشي . فان انشاء مملكة الممالك مما يدعو الى معاملة الامم بعضها لبعض معاملة سلمية فتقلُّ اسباب الحروب وتزيد حدود العلائق الدولية اتضاحاً ويزيد حلُّ اوجه الخلاف والنزاع بين الدول بالتحكيم ويقبل اهل التجارة على تأييدها لان سوقها تروج في ازمنة السلم وهكذا يفعل اهل الصناعة ايضاً لان هذا العصر عصر تجارة وصناعة

(٦) عثرات المشروع . ربما كان اعظم العثرات في سبيل هذا المشروع او هذه الحركة وجود الاميال الجنسية القوية وتنافر امم اوربا وعزلة امم اميركا . ولا بدَّ من مضيّ زمان طويل قبلما تمحي الاحقاد الجنسية وتزول الضغائن الوطنية من الصدور بل ربما اقتضى حلول العقل والوطنية العمومية محلّ الوطنية الخصوصية قروناً طوالاً . ولكن لا يذهب عن البال ان روح الوطنية العمومية هذه اخذت تدبُّ في الصدور وتجري في العروق بين اهل جميع الطبقات على السواء وخصوصاً طبقات العمال في اوربا فان العمال يقولون ان حربهم مع ارباب الاموال حرب دولية وان دولة ارباب الاموال دولة مبسوطة السلطان وحيث كانت فهي حرب لدولة العمل والعمال

ومن العقبات مقاومة حكومات اوربا الملكية لها فان معظم هذه الحكومات غيور على سلطتهِ ضنين بان يراها تؤْخذ كلها او بعضها من يدهِ يأْنف الاكراه على التحكيم لقطع اسباب الخلاف بدلاً من قطعها بحدّ الحسام

(٧) النتيجة . لا يؤْمل ان احداً من العائشين الآن يرى تحقيق هذه الامنية في

كلّ ما هناك من المناقضات وتسنُّ قوانين جديدة للحكم في المسائل والقضايا المتعددة التي لا يزال الخلاف قائماً عليها والتي لا بدَّ منها كلما زادت معاملات الامم بعضها لبعض واتسعت دائرتها

(٥) لماذا يؤمل نجاح الحركة التي يراد بها انشاءُ مملكة الممالك . لا بدع ان يكون لمشروع مملكة الممالك مقاومون يقاومونهُ ويشكُّون في نجاحهِ كما لهُ انصار ينصرونهُ شأن كلّ مشروع كبير . ولكن الاسباب التي تحدونا الى الامل بنجاحهِ كثيرة . قال الفيلسوف كنت في كتابهِ المسمَّى "السلام الدائم" ان الشروط اللازمة لمملكة الممالك هي اولاً ان تكون حكومات كلّ الامم نيابية . وثانياً ان يسبقها انشاءُ حكومات متحدة في بعض اقسام المعمور . وثالثاً ان يكون هناك قوة ادبية تعضد هذه الحركة . هذا هو رأْي الكاتب المذكور ويخيَّل لنا انهُ ليس ببعيد عن الصواب وان هذه الامور لازمة لمملكة الممالك

وربَّ سائل يسأَل هل الشروط المذكورة متوفرة الآن فنجيب عن الشرط الاول ان الحكومات المسيحية نيابية كلها ما عدا روسيا . ولكن لا ريب ان الروس ينالون شيئاً من الحرية السياسية قبل انقضاء الازمة الحاضرة . وجميع الحكومات الكبيرة التي هي خارج اوربا حكومات نيابية مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا واليابان حتى ان الصين انتدبت لجنة وارسلتها الى اوربا واميركا لدرس اشكال الحكومة النيابية فيهما واختيار افضلها

ونجيب عن الشرط الثاني ان الحكومة المتحدة جرّبت في عدة بلاد وجاءَت وافية بالمرام . اما البلاد التي جرّبت فيها فهي الولايات المتحدة الاميركية والمانيا وسويسره وكندا واستراليا

ونجيب عن الثالث ان القوة الادبية اللازمة لعضد هذه الحركة زادت زيادة ظاهرة في القرن التاسع عشر فقد دبَّت روح الاخاء في صدور الناس ونما الاعتقاد بان الناموس الادبي يربط الامم بعضها ببعض كما يربط الافراد وزاد عدد الذين يرون ان قتل الانسان في ساحة الحرب لا يقلُّ جرماً عن القتل عمداً

وليس الامل باتحاد الدول على انشاءِ مجلس شورى دوليّ بعيداً عن العقل والصواب فقد ولَّد القرن الماضي ما يسمونهُ بالاتفاق الاوربي اي ان الدول الاوربية اتفقت في اوقات مختلفة على عقد مؤْتمرات للبحث في شؤُونٍ مصالحها فيها متبادلة وعدَّت قراراتها قوانين دولية . واولها مؤْتمر فينا (سنة ١٨١٤ — ١٨١٥) فانهُ نظَّم خريطة اوربا من جديد ونقض كثيراً مما أُبرم في زمان الثورة (اي من اول الثورة الفرنسوية الى آخر حكم نبوليون الاول الذي انتهى بمعركة وترلو) وتلتهُ مؤْتمرات اخرى للنظر في مسأَلة الشرق الادنى او علاقة تركيا

الماضي ٦٦٠ ٢٥٩ جنيهاً وقد زاد الدخل عما قدّر لهُ في الميزانية ٨٧٦ ٣٦٢ جنيهاً . وبلغت النفقات في العام الماضي ٢٠٠ ٦٦٤ ١ جنيه فالزيادة في الايراد ٦٦٢ ٣٢٦ ١ هي ربح صافٍ للحكومة عدا ربحها من مصلحة التلغرافات وهو ٥٩٨ ٢٦ جنيهاً لان دخلها منها بلغ ٣٠٥ ١٠١ ونفقاتها بلغت ٧٠٧ ٧٤

ومما هو حريٌّ بالذكر ان عدد ركاب الدرجة الاولى زاد في العام الماضي عن العام الذي قبلهُ ٨٤٠ ٥٧ اي ١٩ في المئة مع ان عدد ركاب الدرجة الثانية زاد ١٤ في المئة فقط وعدد ركاب الدرجة الثالثة زاد ١٣ في المئة فقط فالزيادة في ركاب الدرجة الاولى ليست ناتجة عن ازدياد عدد السكان فقط بل عن ازدياد الثروة في البلاد لا سيما وان مركبات الدرجة الثانية في بعض القطرات صارت متقنة مثل مركبات الدرجة الاولى . ومن الغريب ان الزيادة في نقل البضائع جاءت مماثلة للزيادة في عدد الركاب تقريباً ولم ينقص منها الاَّ نقل المواشي فانهُ قلَّ في العام الماضي وسبب قلتهِ ظاهر وهو استغناء القطر عما اضطرَّ اليهِ من جلب المواشي سنة ١٩٠٤

ولكن مهما بلغت الزيادة في ركاب الدرجة الاولى فعددهم قليل جدًّا بالنسبة الى عدد ركاب الدرجة الثالثة لانهم يبلغون نحو ثلث مليون واما ركاب الدرجة الثالثة فيبلغون ثمانية عشر مليوناً ولولا غلاء الاجرة في الدرجة الاولى لما كان لها شأن يذكر فان اجور الركاب فيها بلغت ١٢٦٦٦٦ جنيهاً اي اكثر من عشرة في المئة من الايراد مع ان ركاب الدرجة الاولى نحو واحد ونصف في المئة من مجموع الركاب

وقد بلغ وزن البضائع التي نقلتها سكك الحديد في العام الماضي ٥٦٢٢٨١٧ طنًّا فزاد ١١٨٠٦٥٣ عما كان في العام الذي قبلهُ واكثر الزيادة في نقل التبن بعد ان رخصت اجرة نقلهِ وفي نقل البصل لان موسمهُ كان جيدًا جدًّا . وزاد المنقول من الخشب زيادة عظيمة

والزيادة مستمرة في عدد الركاب ووزن البضائع مدة السنوات الخمس الماضية الاَّ سنة ١٩٠٢ حين هبط عدد الركاب في الدرجة الثالثة واجرة البضائع عما كانا عليهِ سنة ١٩٠١ ثم جعل كل شيءٍ يزيد زيادة مستمرة بعد ذلك . واكثر دخل سكة الحديد بعد الركاب من نقل الفحم الحجري ثم القطن المحلوج فالخشب فبزرة القطن فالبصل فالحبوب فالآلات

وقد زادت النفقات كما زادت الايرادات ولكن لا يزال الربح آخذًا في الازدياد كما تقدم

ولا يخفى ان سرعة القطرات في القطر المصري اقل مما هي في غيرهِ ولكن الاصلاح

زمانهِ اي انهُ يرى مملكة الممالك مؤيدة السلطان تنفذ ما تشاءُ من الاوامر والنواهي اذ ان ذلك يقتضي سنين طويلة . ولكنا رأينا مما تقدم ان اساسها وضع وان العاملين شرعوا في البناء عليهِ وليس ذلك بقليل على هذا العصر. ومن الخطإِ ان يظنَّ ان تشييد مملكة الممالك يؤول الى نزع السلاح حالاً فانهُ يؤول الى انشاء قانون للامم وكما حُلَّت اسباب النزاع بالتحكيم والحكمِ بموجب قانون محدود قلَّت دواعي الحروب. واذا قلَّت الحاجة الى الحروب قلت الحاجة الى السلاح بل ربما استغني عنهُ اصلاً وفرعاً

سكة الحديد المصرية

والتلغرافات

سبقت الديار المصرية اكثر بلدان المشرق الى انشاء سكك الحديد انشأتها الحكومة نفسها ولا تزال توسع نطاقها . وقد اذنت في السنين الاخيرة لبعض الشركات في انشاء بعض السكك الضيقة لكن لا يزال المعوَّل على سكك الحكومة

وقد قدِّرت قيمة سكك الحكومة سنة ١٨٨٧ قدَّرها الماجور مارندن والمستر فرر فبلغت في تقديرهما عشرة ملايين من الجنيهات وبلغ صافي ايرادها سنة ١٨٨٨ سبع مئة الف جنيه فكان الايراد بالنسبة الى رأس المال ٧ في المئة

ثم زاد راس المال بما اضيف الى هذه السكك حتى سنة ١٩٠١ ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فصارت قيمتها ١٣ مليونًا ونصف مليون وبلغ صافي دخلها سنة ١٩٠٢ مليونًا و٦٢ الف جنيه اي بلغ ٨ في المئة بالنسبة الى رأس المال

وزاد رأس المال من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٥ مليونًا و ٨١٥ الف جنيه فصارت قيمتها ١٥ مليونًا و٣١٥ الف جنيه وقد بلغ صافي الدخل في العام الماضي ١٣٢٦٦٦٢ جنيهًا وهو يعادل $\frac{2}{3}$ ٨ في المئة بالنسبة الى راس المال . فزيادة الربح مستمرة واذا حسبنا ان ثمن سكك الحديد قد زاد بزيادة الارتفاع في اثمان الاراضي حتى صارت تساوي ٢٦ مليونًا من الجنيهات يبقى الربح منها ٥ في المئة على الاقل

وقد نشرت ادارة سكة الحديد تقريرها عن العام الماضي ويظهر منهُ ان دخلها بلغ فيهِ ٢٨٦٣٨٧٦ جنيهًا وكان في العام الذي قبلهُ ٢٦٠٣٢١٦ جنيهًا فزاد الدخل في العام

سعادة الدنيا

قال فيها بعض ادباء الانكليز هي خيال نسمع عنها كثيرًا ولا نرى منها الاّ قليلاً ووعودها دائمة ولكنها دائم على ان المصدق بها دائم ايضًا . تعريبها الكلام بدل الحقيقة والزهر بدل الثمر . رسولها الامل ورفيقتها الفشل . يقصدها البشر في طرق كثيرة فيطلبها البعض المسرات والبعض الحكمة والبعض بكليهما والكل فيها خائبون . وقد قام قوم توهموا انهم اذا نسوها كسبوها واذا حادوها ربحوها واذا هربوا منها تبعتهم وهي مكّارة كالهدوء الذي يسبق العاصفة وكالسراب الذي يخدع المسافر بامل باطل يمنيهُ البعد ويرعبهُ القرب . على انها كثيرًا ما توجد اذا لم تطلب وتنال اذا لم تتوقع ويخيب الذين يجدّون في طلبها لانهم يطلبونها حيث لا تكون . فقد طلبها انطونيوس في العشق وبروتوس في المجد ويوليوس قيصر في السيادة فكان للاول العار والثاني الكره وللثالث الغمط وللثلاثة الهلاك . تهب السلطة للمغرور والمال للحريص والغيرة للعاشق والهم للمتقم وهي كلها اسماء للتعب والفشل . تنال لا بالتملّق والرشوة بل بمقاومة ادعائها فاذا علمت الاعداء لم يبقَ حاجة الى الذهاب اليها لانها تأتي من تلقاء نفسها . فاسمعي مني ايتها الملكة العظيمة كلام الرصانة والحق فاني لا اقلل من الرغبة عنك ولا اكثر من الرغبة فيك لان سلطتكِ سلطة ارضية وعطاياكِ لا تتجاوز ما لكِ من السلطة فانتِ بنت صروف الزمان واذا رُعت اعوانكِ عجزتِ عن الوقوف بنفسكِ فاذا لم يسندك الثبات من الجانب الواحد والعافية من الجانب الآخر سقطتِ سقطة العاجز الكليل . انتهى

وللناس اقوال كثيرة توافق ما سبق في ادراك نعيم الحياة او انكاره فمن اقوال الرومانيين من احبّ الآلهة مات صغيرًا . وقال احد كتّاب الانكليز السعيد من ينال ما يطلبهُ ومن اذا نال رضي وقال بيكنسفيلد السياسي العظيم للشباب الخطاء وللكهولة الجدّ وللشيخوخة الأسف . وقال تنيسون الشاعر والفيلسوف الانكليزي قد كانت حياتي سعيدةً ولكنني لا اريد ان احياها مرة اخرى . وقال بعضهم السعادة كالصدى تسمع صوتهُ ولا تراهُ . ومن الاقوال الانكليزية لا تقل في احد انهُ سعيد حتى يموت (لان نكبات الزمان كثيرة) وقال ابو الطيب المتنبي

ابدًا تستردُّ ما تهبُ الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

قد تناول هذا الامر فكان متوسط سرعة قطرات الركاب كلها منذ خمس سنوات ١٨ ميلاً في الساعة فبلغ الآن ٢٣ ميلاً

وبلغ عدد التلغرافات التي ارسلت في القطر المصري في العام الماضي ١٩٨٩٣٠١ وكانت في العام الذي قبلهُ ١٨٢٤٦٢٢ فالزيادة ١٦٤٥٧٩ وكلها في التلغرافات العربية. وهي على زيادتها لا تزال قليلة جداً بالنسبة الى عدد السكان فان عددهم الآن نحو اثني عشر مليوناً وعدد التلغرافات اقل من مليونين فيصيب كل ستة تلغراف واحد في السنة . وعدد التلغرافات التي ارسلت في العام الماضي في البلاد الانكليزية ٨٩ مليوناً وعدد السكان نحو اربعين مليوناً فيصيب كل نفس اكثر من تلغرافين مع سهولة المخابرة هناك بالبوسطة وبالتلفون

وبلغ ايراد مصلحة التلغراف في العام الماضي ١٠١٣٠٤ وكان في العام الذي قبلهُ ٨٣٦٧٤ وبلغت النفقات ٧٤٧٠٧ فكأَن الحكومة ربحت من مصلحة التلغراف في العام الماضي ٢٦٥٩٨ جنيهاً

ولا يزال مجال الاصلاح واسعاً في سكة الحديد ولا سيما في القطرات التي تسير بين مدن الارياف فان مركباتها في الغالب قديمة وعجلاتها غير منتظمة الاستدارة فتقلق الركاب حتى ركاب الدرجة الاولى اما مركبات الدرجة الثالثة فلا تكاد تفرق عن المركبات التي تنقل فيها الحيوانات

وخط المطرية الذي يجب ان يكون ركوبهُ سهلاً كركوب مركبات الترامواي يضطر راكبهُ ان يقطع تذكرة ويعلّم عليها ويستمهلونهُ حين الخروج كأَنهُ مسافر الى الاسكندرية او الى اصوان. وخطوط الضواحي لا تكون كذلك بل يكون فيها كل تسهيل للركاب حتى يكثر عددهم ولا يجدوا اقل صعوبة في الركوب والنزول . فما ضرَّ سكة الحديد لو جعلت هذا الخط كهربائياً ومركباتهِ خفيفة ومحطاتهِ كثيرة والمدة بين قطار وآخر قصيرة جدًّا كخط الرمل في الاسكندرية او كخط العباسية في العاصمة فيزيد ربحهُ وتعمر الارض كلها من العاصمة الى المرج بل الى ماوراء المرج

وقد اهتمت مصلحة سكة الحديد بفرش الطرق الكبيرة بالحصى لمنع الغبار عن الركاب فاحسنت صنعاً وحبذا لو عمّمت ذلك في كل الخطوط الكبيرة ولا سيما في خط الوجه القبلي كلهِ وفي الخطوط الكبيرة بين البنادر

واهتمت ايضاً ببناء الكباري فوق الخطوط في بعض الاماكن ولا بد من بناء غيرها في اماكن اخرى وبناء طرق عالية فوق الخطوط او واطئة تحتها

الجوع والشرب عند العطش والراحة عند التعب والنوم عند النعاس . واخصهُ واعظمهُ ما يكون من السرور بالعافية عند زوال المرض والالم ومضضهِ وهو ما لا يعلمهُ الاَّ من اختبرهُ وتحقق قول القائل العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى . وفي الجملة ربما كان معظم السرور ما ينشا من زوال الهمّ والشدّة والتقاء على انواعها والخوف من شرٍّ يُتوقَّع كسحابةٍ سوداء تبدّدها الرياح فتصحّ وصية الشاعر

دع المقاديرَ تجري في اعنّتها ولا تبيتنَّ الاَّ خاليَ البالِ
ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يغيّر الله من حالٍ الى حالِ

٥ . اتفقت اقوال حكماء الارض على ان لا سعادة في الدنيا الاَّ للقانع الراضي ولا يريدون بذلك المتكاسل المتراخي القانع بذلّ الخمول والفقر الراضي بما يظنهُ مقدَّرًا لهُ وفي وسعهِ ان يسعى ويرتقي في سعة العيش ومراتب الحياة فان هذا هو الدليل الذميم وهو غير المراد الذي عنوهُ في كلامهم . واما الذي نفوا السعادة عنهُ الحريص الطماع الذي لا حدّ لطمعهِ الذي يكدّ نهارًا وليلاً ليسبق اقرانهُ في المال والجاه والرَّفاهيه وربما لم يميز في سعيهِ بين الحلال والحرام وبين وسائل الشرف والخساسة وربما بلغ شرههُ شره المريض الذي يأكل ولا يشبع حتى يموت . وما لا يجمع بين السعادة وبينهُ الحرص الشديد والافراط في العمل وحرمان النفس من الراحة والملذات الجائزة وقبض الكفّ عن الاحسان وخير العامة وقلما يقول احد منهم قول كرنجي الذي ادهش الدنيا بكرمهِ في سبيل الخير " عارٌ على المرء ان يموت غنيًّا " . وما عنوهُ بالقناعة الجمع بين السعي الذي لا يجحف بحقوق الناس ولا تجاوز الحدود العادلة وينغّص العيش وبين راحة الرضى في القلب والعيش . ومن احسّ صفاتها البساطة في الحياة التي صار لذكرها حديثًا شأن كبير في اوربا واميركا ومقام رفيع عند الامم المتمدنة . والمراد بها الاعتدال في الطعام واللباس وآلات البيوت ودماثة الاخلاق ولطف المعاشرة وسلامة النية والصدق والاخلاص في القول والعمل

٦ . بقي ان اذكر اهمّ ما يقال في هذا البحث وهو ان سعادة الحياة امر محال لكل من لا يطيع النواميس التي سنّها الله في الكون وجعل حكمها قاطعًا لا مردّ لهُ سواء كانت طبيعية او ادبية فكما ان الشمس تُشرق وتُغرِب والنار تحرق هكذا حكم كل ما يتعلق بمعيشة المرء بحيث لا يكون فلاح حقيقيّ ولا سرور في الدنيا الاَّ لمن يراعي ما تأمر بهِ او تنهى عنهُ السنن الادبية واذا عصاها احد فلا بد من ان ينال ما جنت يداهُ عاجلاً او آجلاً . فكما يقطع السارق ويُقتل القاتل ويفتقر الزاني ولو بعد حين هكذا تسوء عاقبة الكذَّاب والخادع والظالم والمغ...

وقال ايضاً

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلَّبت ْ على عينهِ حتى يرى صدقها كذْ با

ومن يتأمل في ما سبق يسأل نفسهُ في الحال هل هذا الكلام حقيقة راهنة لا شيَّ فيهِ من الغلوّ والوهم او هو ككثير من الاقوال الشائعة والحكم والامثال السائرة التي لا تصحّ الاَّ اذا نظر الى معناها المحصور في حدود وقيود · وعندي ان هذا الحدّ الاخير هو الصواب واُرى اني اذا اضفت ما توصلّت اليهِ بطول الخبرة والفكرة ربما كان في ذلك شيءٌ من الخير للشبان الذين بدأُوا الحياة ولا يعرفونها كما يعرفها الشيوخ . فاقول

١ · لا سبيل الى الانكار انَّ في الدنيا شيئًا حقيقيَّ الوجود يقال لهُ سعادة وهي عبارة عن اللذة التي تشعر بها النفس عند بلوغها غرضًا تطلبهُ او خيرًا تتمتع بهِ · وهي شائعة بين الناس على اختلاف طبقاتهم واحوالهم ولو تفاوتت في الكيف والكم ولو كانت سريعة الزوال ولو كانت خادعة او مخدوعة · وقد قال فيها المتنبي

تصفو الحياةُ لجاهلٍ او غافلٍ عما مضى منها وما يتوقَّعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ ويسومها طلب المحالِ فتطمعُ

٢ · بعض السعادة يقوم بالسعي الى غرض مطلوب فاذا حصل لم يكن السرور غالبًا الاَّ الى برهة قصيرة وهو كقول بعضهم ليس الفخر بالملك بل بالطلب · وكثيرًا ما يخيب امل الانسان في ما يفوز بهِ لانهُ ينتظر من الدنيا اكثر مما في طاقتها ان تهب ويكون مثلهُ مثل من اذا قبض على شقائق النعمان انتثرت اوراقها في الحال

٣ · تختلف انواع السرور في الحياة باختلاف السن والاميال الخاصة بها . فما يسرّ الولد اللعب واللهو · وما يسرّ الشاب قوة شبابهِ وعشرة اصحابهِ وشروعهُ في اعمال الحياة مع ما يرتجيهِ من التوفيق . وما يسرّ الكهل الجد والكسب وادخار المال وما يراهُ من فلاح اولادهِ في تحصيل العلم وحسن السيرة وامل المستقبل الجيد . وما يسرّ الشيخ الغنى عن الغير والعافية والراحة . قيل اجتمع مرةً شيخان بعد فراقٍ طويل فتصافحا وتذكرا ايام الصبا ثم سأل احدهما الآخر ماذا بلغت الآن من العمر قال اني على تمام الصحة ولله الحمد · قال عساك جمعت مالاً كثيرًا قال ما عليَّ شيءٌ من الدين ولله الحمد · قال هل بك شيءٌ من الهمّ قال ليس لي اولاد صغار ولله الحمد وقال آخر اتمنى ان يكون لي قبل ان اموت بيت صغير وحديقة كبيرة ومن الاصدقاء القليلين والكتب الكثيرة ما اجد فيهم وفيها صدقًا وحكمة ولذة

٤ · كثير من نعيم الحياة يأتي من زوال امرٍ مكروهٍ كالفرج بعد الضيق والاكل عند

قرن خروف في ظهر انسان



جسم الانسان معرَّض لآفات وادواءٍ مختلفة منها ما يصيب باطنهُ ومنها ما يصيب ظاهرهُ ومن هذه الاخيرة الاورام على اختلاف انواعها واشكالها . وقد شرحها الاطباءُ وبينوا اسبابها واعراضها وتشريحها وعلاجها ولكن مع كثرة ما رأَيتهُ من المشاهدات وما اطلعت عليهِ في الكتب الخاصة بذلك ما عثرت على شيءٍ يشبه ما ساذكرهُ في هذه السطور ولعلهُ من اغرب ما ذكر واعجب ما سمع حتى الآن

وذلك انهُ في الثالث والعشرين من شهر يونيو الماضي سنة ١٩٠٦ حضر الى محل عيادتي

وليست صرامة وصايا الدين في هذا الشأن باقلّ من صرامة النواميس الطبيعية والادبية فاذا وعدت الاولى بالخير لاهل الخير أسبغت الثانية نعمها عليهم واذا توعدتهم بالشرّ فهو ما يلاقيهِ المسرف جزاءَ اسرافهِ . وان قيل ألا يكون الشرير سعيدًا وكثيرًا ما نراهُ مرزوقًا موفقًا متنعماً قلنا هي سعادة كاذبة سريعة الزوال وكثيرًا ما يصحبها الألم ويعقبها الشقاءُ . وان كان في الفحش والخلاعة والمقامرة سعادة فاين ما تأتي بهِ من المرض والفشل والخسارة والخراب واين ضوابط ناموس الارجحيات التي تجعل حكم النادر في حكم المعدوم . وان قيل هي امور لا قياس لها ولا ضابط بل هي من لوازم السعد والنحس المتسلطين على الانسان بنوع لا ندركهُ قلنا هذا كلام المجازف الذي يجهل اول حقيقة من حقائق الكون وهي ان لكل معلول علة ولكل شيءٍ سبباً وان لشرائع الطبيعة السلطة القاضية بكل ما كان وبكل ما يكون فاذا اختفت عن ابصارنا احياناً لم يكن ذلك دليلاً على حدوث الامر اتفاقاً الاَّ من حيث الظاهر فقط او على اثبات السعد والنحس اللذين جعلهما اليونان الهين من الآلهة الكثيرة التي كانوا يعبدونها فما بالنا نعبدهما ولا نعبد آلهتهم الاخرى او على اقتران النجوم وطوالعها التي كانت من معتقدات قرون الظلمات والجهل

فان شئت ايها الشاب ان تعيش سعيدًا وان تموت سعيدًا فليس لك من سبيل الى ذلك الاَّ مراعاة السنن التي سنَّها الله في الدين والطبيعة معًا . فاسعَ بالامانة في ما يجب عليك من العمل وكن قنوعًا راضيًا في ما يُقدر لك شريفًا في اخلاقك صادقًا في كلامك بسيطًا في معيشتك معتدلاً في كل اهوائك . وابعد عن كل ما تنهاك عنهُ تلك السنن من عادات السوءِ التي اذا لازمتها قهرتك وشدّت وثاقك واستعبدتك ولم يبقَ لك نجاة منها الاَّ بقدرة الله . ولا تحسبنّ ان في المقامرة والمضاربة ربحًا لك فان ناموس الارجحية ضدك ولم نرَ احدًا أثرى من هذا الباب ودامت ثروتهُ او لم يخسر اخيرًا مالهُ وعافيتهُ واسمهُ وراحة بالهِ . ومن الشائع المحقق عند الجمهور ان هذه المنكرات والملكات الظالمة لا تؤدّي ابدًا الى شيءٍ من نعيم الحياة ولكنها تنتهي دائمًا الى الويل والهلاك واذا لم تنتبه الى كلام الله وسنن الطبيعة وخبرة الشيوخ وحكم الناس بالاجماع فرحمة الله على مصيرك

يوحنا ورتبات

…انه محل القرن تسنه وبما حتى لمع ما لمع ويمكن ان يكون مبدأ نموه منذ سنتين فقط كما
ذكرنا المصاب اما تعليل وجوده وما ارجوه من حضرات الزملاء الكرام

مصر احمد صادق

هامش صفحة باب التعرية

[المقتطف] اراناحضرة الدكتور احمد صادق هذا القرن والرجل الذي كان القرن
نابتا في ظهره بعد ان نزعه منه وكان الجرح مكانه لا يزال مفتوحا تخرج المدة منه . والرجل
شيخ هرم نحيف الجسم قصير القامة خفيف الشعر في رأسه ولحيته ويديه وقد ظننا في اول الامر
ان القرن من النوامي القرنية العادية ولكننا رأيناه مؤلفا من الياف طولية تكاد تكون سعافة
كقرن الكركدن وهو نمو بشري عادي

حقوق الامم

(International Law)

(١) نظرة عامة

كتب كتّاب الافرنج في هذا الموضوع كثيرًا وتعدد فيه المؤلفون وعلى الخصوص في
المانيا وفرنسا وايطاليا فرحبوا فيه كل مرحب وكثرت اختلافاتهم وتعددت اراؤهم حتى انهم لم
يتفقوا على تسمية هذا العلم باسم واحد يعرف به فمنهم من سماه الحقوق الدولية ومنهم من سماه
حقوق الامم ومنهم من قال ان الحقوق العمومية ينظر الى الهيئات الاجتماعية كلٍّ منها على
حدته ثم الى علاقة هذه الهيئات بعضها ببعض كما ان القانون الخاص مثلا ينظر الى الفرد
واحدا ثم الى علاقته بالوسط الذي هو فيه

على ان في تسمية هذا الفرع من فروع الحقوق بحقوق الامم (droit des gens) امنا من
الوقوع في خطا الاشكال والالتباس الذي تدعو اليهما اسم الحقوق العمومية و بالاخص
اسم الحقوق الدولية اذ يتبادر الى الذهن عند ذكر الحقوق الدولية ان لا علاقة لها الا بامور
الدول من حيث هي ادارة سياسية تدبر الامور الخارجية وهذا شطط وغلط محض

ولكن مهما اختلفت الآراء في تسمية الموضوع فلا يغيّر شيئا من ماهيته بل يبقى البحث فيه
واحدًا والغرض الذي يرمي اليهِ واحدا ايضا . فلا مشاحة ان اساس الحقوق الاممية قائم
على الفرد الانساني مرتب على فطرته واميالهِ وعواطفهِ والتأثير الذي يطرأ عليهِ في هذا الكون

رجل مصري اسمهُ علي حسن ناهز من العمر تسعين سنة وهو بواب في وكالة الزعفراني بقسم باب الشعرية وكشف عن ظهرهِ فوجدت فيهِ قرناً كبيراً كقرون الخروف نابتاً امام شوكة عظم اللوح الايسر في الاجزاء الرخوة . نابتاً من رأسهِ متدلياً الى الاسفل على الظهر بحيث لو مسك طرفهُ السائل لامكن تحريكهُ الى جميع الجهات وهو صلب القوام لونهُ ابيض وسخ وفيهِ نقط سوداء والياهُ طويلة ورأسهُ اعقف كما ترى في الرسم وطولهُ ١٥ سنتيمتراً وقطر قاعدتهِ ٦ سنتيمترات فالشكل المرسوم ههنا نحو ثلثي حجمهِ الطبيعي . ولم يكن واصلاً الى عظم اللوح بل كان مغرسا في الاجزاء الرخوة كما تقدم فاخبرت المصاب ان الطريقة الوحيدة للخلاص منهُ هي نزعهُ فقبل ذلك

وقبل الكلام على العملية التي نزع بها اذكر شيئاً عن حياة الرجل فقد اخبرني انهُ ولد بناحية طهطا بمديرية المنيا من ابوين مصريين فقيرين واسم ابيهِ حسن خليفة الفلاح واسم امهِ زاده هرمار . وسارا بهِ بعد ولادتهِ الى الاسكندرية للمعيشة فيها وتوفيا هناك فعاد الى بلده بعد وفاتهما واشتغل بالزراعة في عزبة علي اغا شكري وكان عمرهُ عشرين سنة واقام هناك خمس عشرة سنة وحمل بوّاباً كما هو الآن . ومذ نحو ستين سنة ظهر لهُ شبه دمّل في المحل الذي نبت فيهِ القرن ثم تحجّر وصار ينمو شيئاً فشيئاً وكلما نما كان يقصهُ لهُ احد الحلاّقين في جهة الوايلي واستمرّ على ذلك سنة من الزمان ثم حالت الموانع دون مثابرة الحلاّق فنما القرن حتى صار بالحجم الذي رأيتهُ بهِ فمنعهُ من النوم على ظهرهِ ولذلك التجأ اليّ لانزعهُ لهُ . ولما عرضت عليهِ العملية قبل بها شاكراً

وقد شرعت في العملية الساعة الحادية عشرة صباحاً بعد اعداد المعدات اللازمة لذلك من آلات جراحية معقمة ومواد مطهرة وتطهير المكان الذي اجريت العملية فيهِ . وشققت الجلد حول قاعدة القرن شقاً بيضياً يحيط بدائرها وجريت في فصل الاجزاء الرخوة عن القاعدة الى ان وصلت الى وجهها الاسفل ولما فصلتهُ وجدت فيه تجويفاً يتصل الايمن منهما بشريان وبالايسر وريد واوعية شعرية فقطعت هذه الاوعية كلها وربطتها ثم فصلت القرن عن الجسم . وهذه الاوعية هي التي كانت تغذي القرن . ثم خطت الجرح بعد ان وضعت فيهِ انبوبة لنزع المدة منهُ (درنقه) وعصبتهُ العصاب اللازم ولم يطرأ على المصاب شيءٌ

هذا وان استئصال هذا القرن لم يؤثر في صحة الرجل ويحتمل ان ينبت لهُ قرن آخر في نقطة اخرى من جسمهِ ويحتمل ايضاً ان يكون قد ولد والقرن المذكور في جسمهِ ولكنهُ كان صغيراً جداً او في حالة اثرية تحت الجلد ولسبب نحولهُ كصدمة او سقطة او نحوها

وقال غلادستون " ان هذه السفن التجارية التي تمخر في البحر ذاهبةً من بلدٍ الى اخر ومن كةٍ الى اخرى خيوطٌ من شباك السلم تربط الامم برباط الضرورة فالتعاون فالمودة "

فهذه الحالة الراهنة الكائنة بين الامم بحكم الطبيعة تدفعهم الى الاتفاق على سنّ نظامٍ مبدإٍ عمومي يسيرون عليهِ في تكييف معاملاتهم المتنوعة بحيث يكونون بأمن من التنازع تمر من غير جدوى وهذا هو اساس علم حقوق الامم

ولكن هناك سؤالاً يتبادر لذهن القارىء فيقول ما هو علم حقوق الامم هذا . وهل هو جود فعلاً . وهب اننا سلمنا بلزوم كيانهِ واقتنعنا بصحة الجري على مقتضاهُ فهل نستطيع ع هذا القانون او هل نستطيع العمل بهِ وتنفيذهُ

هذه المسائل يسألها كثيرٌ من المؤلفين الذين ينكرون وجود هذا الفرع من علم الحقوق . م يقولون ان القانون يستلزم سلطةً تشريعية تسنهُ ثم قضاةً يعملون بهِ ويطبقون موادهُ ثم ادارية او عسكرية تنفذ منطوق الاحكام فاين هذه اللزوميات في علم حقوق الامم . هل ق شعوب الارض على اقامة نظام مثل هذا بينهم مع ما هم عليهِ من الاختلاف في الغايات طامع والمشارب والاهواء

على ان ما يعترض بهِ هؤلاء المؤلفون وان يكن قويّ الحجة ظاهرًا لكنهُ بالحقيقة راض واهن تخيلوهُ اذ شبهوا حقوق الامم بالقوانين المعمول بها بين هؤلاء الامم مع ان رق بين الامرين واضح فالقانون المدني او التجاري او الجنائي وضعهُ سلطة تشريعية وينفذهُ طبقهُ اناس لهذه الغاية ولكن قبل ان يوضع القانون كان موجودًا بين الامم مشعورًا بهِ ولم عوهُ ويعينوهُ الاَّ بعد ان وجد في انفسهم وفي اعمالهم فكان نتيجة حقٍ محسوس لاسباب هذا قٍ . ألا ترى ان الشرائع في الامم تتغير بتغير عوائدهم وظروفهم او لم يكن القاضي يحكم جب العادات المتبعة قبل ان وضع لهُ الشارع قانونًا مفسرًا ومرتبًا باقسام وفصول ومواد

وقس على هذا علم حقوق الامم فلا شك ان الشعوب بتقدمها في المدنية يزداد شعورها عوب التآلف والتآخي فتتبع طرقًا لمعاملاتها بعضها مع بعض وتستنبط قياسًا تسير عليهِ ثم تزال هكذا حتى تنتهي الى سنّ نظامٍ اشبه بالقوانين المعمول بها بين الافراد. فعدم وجود طة تشريعية او قانون يعمل بهِ لا ينفي وجود الحق نفسهِ ولكن بقي اعتراض واحد يتمسك بهِ ائلون بعدم فائدة وضع نظام لحقوق الامم وهو اهمّ اعتراضٍ لهم في هذا الصدد : يقولون اذا كان لا بدَّ من وضع نظام تسير الشعوب كلها بمقتضاهُ فلا مندوحة لكم عن قوةٍ تنفيذية ء هذا النظام تجبر المتقاضين على اتباع احكامهِ . فكما انهُ لا بدَّ من قوة تنفذ احكام المحاكم

فللانسان فطرتان — فطرة حبّ التآلف والتجمع وفطرة تطلب الكمال وهو مدفوع بعامل فطرة التآلف لتكوين العائلة فالقبيلة فالسبط فامة ذات هيئة حاكمة وهيئة محكومة . وان هذا النظام القائم على فطرة التآلف هو بعين الامم على ما هو عليهِ بين الافراد فكما انهُ لا غنىً لفردٍ من هذه الافراد عن الآخر بل لا بدّ لهم من المواصلة والمعاملة الاخذ والعطاء في امورهم المادية والادبية فهكذا كلُّ شعبٍ لا قوام لهُ بغير شعبٍ آخر ولا بدَّ مهما طال امد الانفصال والتقاطع من ان تجد احدهما صلةً تجمعهُ بالآخر في حين من الاحيان . واما فطرة تطلّب الكمال فهي حبُّ الانسان لتحسين احوالهِ المادية والادبية وعدم اقتناعهِ بما لديهِ . ففي كل يومٍ لنا احتياجات لم نكن نحتاج اليها قبلاً والامر الذي كنا لا نعتدُّ بهِ بالامس اصبحنا اليوم وهو لنا من الضروريات

والطبيعة نفسها على ما هي عليهِ من التباين في التشكل والترتيب والخلقة والاستعداد الضمني اكبر داعٍ الى الاتحاد والانضمام — الحرارة في قسم من المعمور والبرودة في الآخر والاعتدال في آخر . الجبال قائمة في ناحية والسهول مبسوطة في اخرى . المحصولات في هذا الاقليم غيرها في غيره — كلُّ هذه اسباب داعية الى وجوب المواصلة دافعة الناس الى التعامل والتآلف وهكذا يتكون المجموع الانساني فما ينقص من احد الافراد يسدّهُ الآخر فيتم الارتباط بين الامم ثم يتكيَّف هذا الارتباط باختلاف الظروف ومقتضيات الاحوال الى ان تسير على نظام متفق عليهِ ومعمول بهِ

وان احتياج الامم بعضها الى بعض يزداد بزيادة ثروتها وارتقائها في التجارة والحضارة المادية . هذه انكلترا مثلاً لا امة اوسع مجدها ثروةً ورفاهية ومع ذلك لا غنى لها عن الولايات المتحدة او روسيا او الهند مثلاً ولم يردها تقدمها الصناعي وثروتها الطائلة الاَّ احتياجاً اشدّ الى ضروريات الغذاء والمواد الاولية

وليس هذا الاحتياج المتبادل بين الامم مادياً فقط بل هو ادبيّ الاكثر فان شريعة العطاء والاخذ في الامور الادبية لأقوى مفعولاً مما هي عليهِ في الامور المادية فالعلم والفنون الجميلة والصنائع كلها لا تعرف وطناً واحداً ولا تتقيد بمكانٍ او شعب بل هي طائر لا يقع الاَّ على غصنٍ تلذ لهُ الاقامة عليهِ ولا يسكن الاَّ بلاداً يطيب لهُ التجول في انحائها غير منعوتٍ بالدخيل ولا ملقبٍ بالغريب

قال المسيو دي مارتنس الروسي احد كبار الثقات في علم حقوق الامم واصاب "كلما ازداد شعبٌ تمدناً ازدادت احتياجاتهُ للشعوب الاخرى"

النادبة والعدل

يحوّل عنها العين ثم يعيدها حذار عدًى تغلي عليهِ حقودها
ويغضي خلال النظرتين محاذرًا رقيبًا لها ان لم يكده يكيدها
ابي القلب الّا حب سلمى وانما يكاد الاسى يرديهِ لولا وعودها
وما تلك الّا العدل فالعدل غادةٌ بعيدة مهوى القرط بادٍ نهودها
جلتها يد الابداع فهي حبيبة وان قلّ وصلاً للمحبّين جودها
بدت في برودٍ للصبا عبقرية وقد شفَّ عن جسمٍ منيرٍ برودها
مهفهفة الاعطاف طيبة اللمى وان كان مرًّا هجرُها وصدودها
اذا نظرت بين الجماهير نحوهُ ولو مرّةً في العمر فهو سعيدها
وان هي لم تعطف اليهِ بنظرةٍ بكت منهُ عينٌ لا يُرجّى جمودها
وبات كئيبًا يرقب النجم طالعًا بعينٍ لهُ عبرى قليلٍ هجودها
وتشخص طول الليل ابصارهُ الى سماءٍ نأت عنهُ بعيدٍ حدودها
حوت انجماً زهرًا يقدنَ وانما قواها التي قد هجنَ فيها وَقودها
تروم صعودًا نفسهُ لفضائها فيُعيي عليها ثم يُعيي صعودها
فتطلب منهُ ان يحلّ عقالها فذلك ينفي كربها ويفيدها
ويسهل منهُ للسماء رُقيُّها فتُطوى مسافاتٌ ويدنو بعيدها
ترى النفعَ كلَّ النفع في الموت انما اضرَّ بها بين العداة وجودها
تقول لهُ لا تحرصنَّ سفاهةً على عيشةٍ قد بان عنك رغيدها
تريد بعزمٍ ان تفارق جسمهُ وتلك عليهِ شقّةٌ لا يريدها
تنازعهُ حوضَ المنية نفسهُ فتطلب وردًا عندهُ ويذودها
ولو انهُ خلّي اليهِ سبيلها شفاها من الداء العقام ورودها
اذا هي ماتت مات كلُّ همومها واقلعَ عنها نحسها وسعودها
سواءٌ على من بات في بطن حفرةٍ رهينَ الثرى بيض الليالي وسودها

***

سقى تربة الاوطان للعدل ديمةٌ تخفّفُ من امحالها وتجودها
ربوع تغشاها البلى ومنازلٌ تغير بعد الظاعنين عهودها

قهراً حتى تكون مسموعة الكلمة مرعية الجانب كذلك لا بدّ من الامر عينهِ في حالتنا هذه ولا ولا قوة لديكم تستطيعون العمل بها لجبر امةٍ على اتباع ما تسنونهُ لها فتلجا الدول الى الحرب عند كل اختلافٍ يقع بينهم فيصبح قانونكم لا فائدة منهُ

نعم اننا اذا نظرنا الى الامم مجردةً عن المدنية الحقة الراقية لا نستطيع الآن ان نسلم مع المعترضين. اي اذا لم نعتبرها الاّ مجموع طوائف واقف بعضها لبعض بالمرصاد ليفترسهُ لا قوام لهُ الاّ بالسلب والنهب ولا غرض لهُ الاّ الايقاع بجارهِ ولا تقوم مصلحتهُ الاّ بالتحارب والتقاتل — اذا نظرنا هذا النظر فلا شك انهُ لا يعود يمكننا السير على قانون عادل ولا العمل بنظام تسنهُ الطبيعة

ولكنّ هذه الصفات الوحشية وان كانت موجودة الآن في الناس فلا ريب في انها آخذة في الزوال تاركة وراءها صفاتٍ ارقى واسمى لشعورٍ انسانيّ يرى كلّ بني ادم اخواناً متضامنين تقوم مصلحتهم بالتعاون اكثر منها بالتنافر . والتاريخ يشهد بصحة هذا الرأي فبينا كنا نرى الامم السالفة امم حرب وقتال امم سفك دماء بدون معنى ولغير سبب نرى امم هذا العصر قد دبّ فيهم روح السلام فلا ترى من يقول بوجوب الحرب حتى ترى غيرهُ اكثر عدداً ينادي بالسلم وان تقدم التجارة وكثرة المخالطة بين الامم واتحاد العمال في كل البلدان بعضهم مع بعض اسباب قوية تدفع الحكومات الى العمل برأي الشعب. ولا شك ان عامة الشعب اميل الى السلم منها الى الحرب فيكون اذاً الرأي العام خير ضامنٍ لتنفيذ المعاهدات وافضل قوة يلجأ اليها لتنفيذ ما تتعاقد بهِ الدول فيحل محل القوة الوحشية قوة الذراع والساعد

واننا لا نحاول ان ننفي وجود الثمرة الحائلة الان في سبيل هذه الامنية ولكن لا نشك ابداً ان الجرثومة آخذة في النمو بسرعةٍ وانها ستقلب نظام السياسة القديمة سياسة الايقاع بالجار والبطش بالبعيد وعدم مراعاة حقٍ غير حق القوي

فعلم حقوق الامم يكون والحالة هذه علماً قائماً بنفسهِ ذا مبادئ معروفة اجمعت عليها الامم ان لم يكن بالفعل فبالقول وهو آخذ بالتقدم سنةً بعد اخرى الى ان يأتي يوم يصل الناس فيهِ الى درجة من التمدن تبطل معها الحرب ويصح فيهم قول تنيسون الشاعر الانكليزي "فيكون لهم مجلس شورى واحد اعضاؤهُ اخوة بالانسانية"

سامي جريديني
المحامي

ديارٌ بهنَّ الامن صُوّحَ دوحهُ سقاها ملثٌ العدل فاخضرَّ عودها
وما في بلاد الله كالظلم هادمٌ ولا مثل حكم العدل بانٍ يشيدها
ويسعد نفسي ان ترى العدل حاضراً فان غاب عنها غاب عنها سعودها
وما العدل الاَّ غادةٌ ملكيَّةٌ هوى النفس مني مقلتاها وجيدها

***

الا نهضة تدني الرجال من العلى فقد طال في دار الهوان قعودها
بنفسي كماةٌ تحسب الموت ان يُرى عن الموت يوماً روغها ومحيدها
اباةٌ ترى ان الحياة حقيرةٌ وما حبُّ نفسٍ لا يجوز خلودها
فتعلم ان الموت حقٌّ وانها اذا لم تَرِدْهُ فهو سوف يرودها
اذا لم تَبِد بالسيف يومَ كريهةٍ فمرُّ الليالي بعد حينٍ يُبيدها
اولئك اشرافُ البلاد وفخرُها اولئك لا غيراً اولئك صيدها

البلاد العربية

العلم في ربع قرن

خطبة الاستاذ راي لنكستر رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

ايها السادة والسيدات

اني اشكركم على الشرف الذي اوليتموني اياهُ بانتخابي رئيساً لهذا الجمع العلمي العظيم — الشرف الذي يزيدهُ قيمةً ان اجتماعنا هذا هو في مدينة يورك الوقورة التي اجتمع فيها مجمعنا اجتماعهُ الاول منذ خمس وسبعين سنة

ويسرُّني جدًّا ان ارفع الى محافظ هذه المدينة ووجهائها وسكانها شكركم القلبي لهم على دعوتهم اياكم لتجتمعوا في مدينتهم

وقد جرت العادة ان يدعى مجمعنا للاجتماع في المدينة التي نشأ فيها كلما مضى مقدار محدو من الزمن لكي ينظر في مقدار ما ارتقتهُ العلوم التي انشئ هذا المجمع لترقيتها . فقد اجتمع هنا منذ ربع قرن برئاسة السرجون لبك الذي هو الآن لورد افبري وكان حينئذٍ عيد الخمسين سنة لمجمعنا فجعل لورد افبري موضوع خطبتهِ حينئذٍ تاريخ تقدم العلوم في الخمسين سنة الت

وعهدي بها للاسد قبلُ مرابضاً فقل لي وافصح اين سارت اسودها
ايزري ايزري في ارومة قدرها عِداء لئام بالشرور تكيدها
يعزّ على عينيَّ ان تنظرا الى بلادٍ تسود الناس فيها قرودها
تعيث باهليها فتسقيهم الردى وتغصب من اموالهم وتبيدها
يعزّ على عينيَّ ان تريا بها شباباً من الاحرار صفراً خدودها
تعالج همّاً قدّر الله انهُ يجرُّ بها نحو الردى ويقودها
اذا لجأت من همها في نهارها الى الليل كان الليلُ مما يزيدها
أُساري قُصاري ما تحاول انها تموت بعزٍّ او تفكَّ قيودها
تَقَطَّعُ من وقع الهموم قلوبها وتنضج في نار العذاب جلودها
اذا سئلت عما تجنّ من الجوى اضرّ بها اقرارُها وجحودها
تحيط بنا الارزاء في ارض ذلّةٍ تهائمها منحوسةٌ ونجودها
اذا اقلعت عنهم سحابة فتنةٍ اظلّتهمُ أُخرى تُدَوّي رعودها
حياةٌ لهم لم يبقَ ضمنَ جسومهم سوى شعلةٍ منها قريب خمودها

***

اريقت دماء من رجالٍ اعزّةٍ بارضهمو فاحمرّ منها صعيدها
يُدَسون في ارماسهم فكأنهم صوارم بيض والقبور غمودها
لحودٌ لها ضمت جسوماً كريمةً فللهِ ما ضمّت هناك لحودها
الا يوقظ الشبان باقوم موقظٌ فقد طال في جوف التراب رقودها
ستنضح في الاكفان يوم حسابها دماء امام الله منها شهودها
فكم زوجةٍ لما دهى الظلمُ بعلها بكت فبكى في الحجر منها وليدها
ومفجوعةٍ اودى اخوها بعسفهم ووالدةٍ قد بان عنها وحيدها
مغانٍ تظلّ الغانيات بارضها وقد غيلَ حاموها تفرّى كبودها
وتلتدم البيضُ الحسان من الاسى فترفضّ في اللبّات منها عقودها
وتُرجِفُ بالنوح السماء ملاحُها وتبكي وتستبكي الملائك غيدها
وتنشدُ في تأبينهم شعراؤُها مراثي يشجي السامعين نشيدها
وقوفاً على الاجداث تتلو قصائداً فتبكي مع المستمعين قصيدها
قصائد تتلو وصفَ من غيّب الثرى اذا ختمتهُ فالاسى يستعيدها

العلم انفسهم . فهذا هو المعنى الذي قصده منشئو هذا المجمع لما
اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدُّم العلوم في الخمس والعشرين
ر على ذكر الحقائق التي كشفت حديثًا والآراء والتصوُّرات
عن التقدُّم الذي تقدَّمهُ العلم في كونهِ صار من المواضيع التي
ل عندنا ما يدلُّ على زيادة تأثير العلم في معيشة السكان وفي
بما يلزم لترقية العلوم حسبما تستدعيهِ احوال الزمان وباستخدام
ل المباحث العلمية لكي تنتفع البلاد بهم

ازدياد المعرفة في فروع العلم المختلفة

ا والامور التي تصلح لان يدور عليها خطاب وجيز مثل هذا
ا جرى في دور العلم مدة هذه الخمس والعشرين سنة للجمهور
ديق الحميم . ومدار اشتغالي علما الحيوان والنبات بنوع خاص
مور الجديدة وعلى خواص الاشياء التي كشفت حديثًا رأيت
مفصلاً عن كل ما جدَّ في كل فرع من فروع العلم . وغاية
ات التي نبَّهت رغبتي واستدعت اعجابي . وعليَّ ان التمس منكم
رَق المواضيع التي لست من المتبحرين فيها بل انا مشارك فيها
ات فيها اهل البحث والاكتشاف . وما البحث عن اشتغالهم سوى
اقوم بهذا الفرض فاطلب من كرمكم الحلم والتؤدة
يعية (وهي المعبَّر عنها بالعلم في اصطلاح الانكليز تمييزًا عن
ية) في الخمس والعشرين سنة الماضية يتناول توسيع المبادىء
وتحققها واكتشاف امور لم تكن معروفة فادرجت بين حقائق
نباط آراء جديدة بعضها لم يؤثر في التصورات المألوفة وبعضها
امهُ مخالف للمألوف . ولكن لا اظن اني اخطئ اذا قلت ان
يدة ما يحمل على الظن اننا كنا على ضلال ولا فيها ما يقلب
مع ان بعضها مدهش جدًّا وفي غاية الاهمية ولذلك فسبيل
المستمر . نعم قام البعض وقالوا ان العلم بلغ حدَّهُ ووصل الى
مال التي احياها في النفوس . وقام غيرهم وقالوا ان المكتشفات
ديوم لا تنطبق على المعارف القديمة فهي تزعزع اركان العلم

مرّت على المجمع العلمي ٠ ويا لهُ من تاريخ مفعم بالفوائد فاوفى الموضوع حقهُ على اسلوب
يستطيعهُ الاَّ من كان واسع المعارف مشتغلاً بفروعها المختلفة مثلهُ ٠ فان كنتُ احاول ا
ان اقول كلمتين عن تقدُّم المعارف الطبيعية مدة الخمس والعشرين سنة الاخيرة فليس
ينكر ان دائرة المعارف الجديدة قد اتَّسع نطاقها جدًّا حتى صار يتعذَّر ان يحاط بها بحـ
واحدة كما احاط بها لورد افبري حينئذٍ

ولننظر اولاً الى الذين انشأُوا هذا المجمع والى العلماء الكبار الذين كانوا في قيد ا
سنة ١٨٨١ لما اجتمع في هذه المدينة آخر مرة ثم تركونا وتركوا لنا اعمالهم العظيمة وغيرتهم الـ
تبثُّ الحمية في نفوس الذين انقطعوا لخدمة العلوم وترقيتها في الممالك الانكليزية في هذا ا
وفي كل الازمان التالية

وبيننا الآن اناس كان من نصيبهم ان عرفوا كثيرين من الرجال الذين انشأُوا
المجمع في مدينة يورك منذ خمس وسبعين سنة ٠ فانا نفسي عرفت الاستاذ جون فلبس والـ
تشارلس ليل والسر رودرك مرتشيصن والسر داڤد بروستر والدكتور هويول والمستر هركو
منسام ٠ كل هؤُلاء كانوا قد توفوا حينما اجتمعنا الاجتماع الماضي في يورك ٠ وقد فقدنا
الخمس والعشرين سنة الاخيرة كثيرين من الذين كان لهم اليد الطولى في اجتماعات هذا ا
السنوية وكان يشار اليهم بالبنان في عالم العلم مدة القسم الاخير من عصر الملكة فكتو
مثل هكسلي وتندل وسبتسود وكايلي واُوِن وفلوَر ووليمسن وفرنكلند وفاكونر وبـ
وبرستوتش وغدون استن ورولستن وهنري سمث وستوكس وتايت وكثيرين غيرهم وفي جملـ
رجل كان اسمهُ يذكر ولا يزال يذكر في اجتماعاتنا اكثر مما يذكر اي اسم آخر سواهُ
يستطع ان يجتمع معنا قط وهو تشارلس دارون ٠ ولحسن الحظ لا يزال البعض من شـ
العلم في القرن التاسع عشر احياءً يرزقون ولو لم يكونوا معنا الآن فالسر جوزف هوكر الذي
جهات القطب الجنوبي مع رُص سنة ١٨٣٩ لم يزل حيًّا معافىً وهكذا ايضًا الفرد رسل والـ
ولورد كلڤن والسر وليم هجنس وكثيرون غيرهم من الذين كانوا قد صاروا شيوخًا في العـ
اجتمعنا هنا منذ خمس وعشرين سنة ولا يزالون يشتغلون الاشغال العقلية ويبحثون ويخترو

اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين سنة الماضية وجب علينا
ما اظن ان نميز بين نوعين من التقدم وهذان النوعان كانا نصب عيون الذين انشأُوا ذ
المجمع ٠ ولقد الَّف فرنسيس باكون كتاباً سماهُ تقدم العلم بحث فيهِ عن الاساليب التي تتقـ
بها المعارف وعن كيفية جعل المعارف مفيدة لنوع الانسان ولارتقاء العمران حتى يهتم

والراديوم اعجوبة هذا العصر اكتُشف في درس الاشعاع او الفصفورية التي تظهر في بعض الاجسام اي اشراق النور من غير حرارة كما يحدث في انبوب زجاجي مفرغ من الهواء اذا جرى فيهِ مجرى كهربائي . وقد درس كروكس ولنارد ورنتجن هذا النور فوجدوا انهُ موَّلف من ثلاثة انوار الواحد اشعة غير ظاهرة تضرب جوانب الانبوب فينير بها ومن ذلك اشعة رنتجن التي ينير بها الزجاج ويصدر منهُ نور اخضر لامع ولكنها تخترقهُ وتقع على بعض الاجسام فتجعلها تشرق بنور فصفوري . وتفعل بالواح التصوير الفوتوغرافي وتفرّغ الكهربائية من آلة مكهربة . واغرب خواصها انها تخترق الاجسام غير الشفافة كالخشب والورق الاسود والصفائح المعدنية الرقيقة ولذلك امكن تصوير باطن الانسان بها وتصوير عظامهِ

وهذه الاشعة اكتشفها رنتجن فسميت باسمهِ وسميت ايضاً اشعة اكس (فان حرف الاكس علامة المجهول عندهم) لانهم لم يعرفوا حقيقتها . والنوع الثاني من الاشعة التي تكون في الانابيب المفرغة من الهواء هي اشعة الكهربائية السلبية والنوع الثالث اشعة لنارد

وخطر للمسيو هنري بكرل ان يبحث عما اذا كانت الاجسام الفصفورية الاخرى تُصدر اشعة مثل اشعة اكس فانهُ قد وجد اجسام كثيرة فصفورية اي يصدر منها نور من غير حرارة كما في الدهان الفصفوري الذي هو كبريتيد الكلسيوم فانهُ يشرق في الظلام بعد ان يكون قد تعرَّض لنور الشمس ومثلهُ بعض الجواهر والمركبات ولكن هذه الاجسام لا تنير الاَّ اذا عُرضت اولاً لنور الشمس ولا تطول انارتها . ومن المواد التي تنير اي فيها هذه الخاصة الفصفورية الاورانيوم الذي يستعمل في صبغ الزجاج باللون الاخضر فاخذ المسيو بكرل مركَّباً من مركبات الاورانيوم وجعل يبحث فيهِ ليرى هل نورهُ من نوع اشعة رنتجن فلف لوحاً فوتوغرافياً بورقة سوداء ووضع عليها قليلاً من ملح الاورانيوم مدة ٢٤ ساعة ووضع تحت الاورانيوم صفيحة رقيقة من النحاس بعد ان خرق فيها خرقاً كالصليب فلما فتح الورقة بعد ٢٤ ساعة رأَى صورة في اللوح الفوتوغرافي اي ان اشعة الاورانيوم اخترقت لوح النحاس حيث هو مخروق واخترقت ايضاً الورق الاسود واثرت في اللوح الفوتوغرافي فرسمت فيهِ صورة الصليب واخترقت ايضاً لوح النحاس قليلاً فرسمت لهُ صورة خفيفة على اللوح الفوتوغرافي فظن في اول الامر ان فعل الاورانيوم مثل فعل المواد التي تنير بتعرضها لنور الشمس لكنهُ عاد فامتحن الاورانيوم بعد ان ابقاهُ مدة في الظلام الدامس فوجد انهُ يؤَثر في الالواح الفوتوغرافية كما لو عُرّض لنور الشمس اي ان تأْثيرهُ ذاتي لا مكتسب وهو يؤَثر هذا التأْثير سواءٌ كان فيهِ فصفورية ظاهرة او لم

وتؤيد كل تصوُّر ولو كان وهميًّا . وهذان القولان لا يقول بهما الاَّ اعداء العلم وهم يقولونهما اما جهلاً او تبعاً لهوى النفس . ومن اغراض هذا الجمع ان ينقض دعاويهم وان يثبت بالاكتشافات التي تعلن في اجتماعاتهِ وبما ينشأُ من نظام العلوم الطبيعية ان العلم لم يبلغ اقصاهُ بل ان الناس لم يذوقوا حتى الآن الاَّ باكورتهُ . وان اساليبهُ صحيحة ونتائجهُ اكيدة وهو سائر في سبيلهِ سبيل الاكتشاف والتوسع في ما يعلم عن نواميس الكون

﴿ العناصر الكيماوية الجديدة ﴾ لا شبهة في ان الخمس والعشرين سنة الماضية ستبقى ممتازة في تاريخ الانسان بان اكتشفت فيها عناصر كيماوية جديدة ذات خواص مدهشة جدًّا واغربها كلها عنصر الراديوم والاشعاع الذي يظهر من بعض العناصر حتى اننا نفتخر على الذين تقدمونا بوجودنا في عصر وقع فيهِ هذا الاكتشاف . وما من اكتشاف اكتشفهُ الانسان في البحث عن اسرار الطبيعة يقابل بهذا الاكتشاف في غرابة ما اظهر من خواص المادة فقد لزم عنهُ ان للمادة بناء غير البناء الذي كنا نتصورهُ لها لكن هذا التصوُّر الجديد لا ينقض التصورات القديمة بل يوافقها وينتج عنها ويؤيدها

وقبل ان اسهب في الكلام على الاشعاع (او اشعاع القوة) الذي البحث فيهِ يكسف كل بحث آخر اذكر لكم اكتشاف خمسة من العناصر الغازية العقيمة [1] التي اكتشفها ربلي ورمسي في هذه المدة . فقد وُجد ان النيتروجين المستخرج من الهواء يخالف النيتروجين المستخرج من مركباتهِ فاستنتج لورد ربلي ان في الهواء غازاً قائماً بنفسهِ يحسب مع النيتروجين وهو جزء من مئة من الهواء . ففصل هذا الغاز عن غيرهِ واطلق عليهِ اسم الارغون اي الكسلان لانهُ لا يتحد بغيرهِ من العناصر . ثم رأى الاستاذ رمسي ان الارغون ليس صرفاً فوجد معهُ ثلاثة عناصر غازية سماها النيون والكربتون والاكسينون . ويمتاز بعضها عن بعض بطيوفها فان طيف كل واحد منها مخالف لطيف غيرهِ . ثم وجد عنصراً خامساً في بعض الحجارة ورأى طيفهُ مشابهاً لطيف عنصر اكتشفهُ السر نورمن لكير في جو الشمس واُطلق عليهِ اسم الهاليوم نسبة الى الشمس فاثبت رمسي ان الهاليوم موجود ايضاً في بعض الحجارة الارضية

ثم وجد رمسي وصدي ان الهاليوم يتولد من الراديوم وهذا من اغرب مكتشفات العصر لانهُ اثبت قول اهل الكيمياء الذين قالوا بتولد العناصر بعضها من بعض ولو لم يحقق امنيتهم (وهي تحويل الفضة الى ذهب)

---

(١) نرى كلمة «عقيمة» اصلح من غيرها للتعبير عن كلمة inert التي يراد بها غير فعال او لا يتحد بغيرهِ

وقد مضى عليهِ وهو يشع هذه الاشعة الوف لا تحصى من السنين

وهذا كلهُ على غرابتهِ لا يعدُّ غريباً بالنسبة الى ما كُشف بعدهُ . فقد كُشف ان هذه الخاصة اي اشعاع النور والحرارة موجودة في عناصر اخرى بعضها نادر الوجود كعنصر الاكتيوم وعنصر البولونيوم وبعضها كثير الوجود نوعاً كالثوريوم والاورانيوم . وان اشعة الراديوم تؤثر في الجلد وتقرحهُ . واذا دخلت غرفةً بشيء قليل جدًّا منهُ وكان فيها آلة مكهربة تفرغت الكهربائية منها حالاً وفعل الراديوم من هذا القبيل شديد جدًّا حتى لو كان مقدارهُ جزءًا من خمس مئة الف جزء مما يظهر بالحل الطيفي لكفى لتفريغ الكهربائية . وتصدر منهُ حرارة صدوراً مستمرًّا من غير نقص ظاهر وشيء من النور ايضاً . والحرارة التي تصدر منهُ كل ساعة تكفي لاذابة مقدار من الثلج اثقل منهُ او تكفي لتسخين ما يساويهِ وزناً من الماء من درجة الجليد الى درجة الغليان . وقد صدر من قمحة من الراديوم في مدة سنة وستة اسابيع ما يكفي لتسخين الف كيلوغرام من الماء درجةً واحدة . ومقدار قليل من الراديوم في كرة الارض يكفي ليرد اليها كل ما تخسرهُ من الحرارة بالاشعاع . واذا كان الراديوم جزءًا صغيراً من الشمس فهو كافٍ لتعليل كل ما ينبعث منها سنويًّا

وهذه الحقيقة الاخيرة تغير كل حسابات الطبيعيين من حيث دوام حرارة الشمس في الماضي والمستقبل ومن حيث حرارة سطح الارض . فقد قال الجيولوجيون والبيولوجيون انهُ لا بدَّ من ان يكون قد مضى على الارض اكثر من مليون سنة كانت حرارتها فيها مثل حرارتها الحاضرة لكي يكفي هذا الزمن لنشوء ما عاش فيها من انواع الحيوان والنبات ولتوليد طبقات الارض الراسبة من الماء . وابى الطبيعيون وفي مقدمتهم الاستاذ تايت ولورد كلفن ان يسلموا باكثر من عشرة ملايين سنة ثم زادوها الى مئة مليون سنة بانين حسابهم على معدل ما تردهُ كرة تجمد مثل حجم الارض حاسبين انها ترد من نفسها . ولكن العلوم الرياضية لا توصل الى نتائج صحيحة اذا كانت مبنية على مقدمات فاسدة كما قال هكسلي . وقد اتضح الآن ان الارض لا تبرد من نفسها بل تسخن من نفسها بما فيها من عنصر الراديوم ونحوه فانتقض الحد الذي وضعهُ علماء الطبيعة وهم راضون الآن ان يعطونا ليس الف مليون سنة فقط بل كل ما نطلبهُ من ملايين السنين

واني ذاكر الآن اغرب خاصة من خواص الراديوم وامثالهِ من العناصر وهي الخاصة التي اكتشفها رذرفرد في كندا وسيأتي اسمهُ دائماً متصلاً بها فقد اكتشف انهُ ينبعث من الراديوم دوامًا مادة غازية غير الاشعة الفعالة او اشعة بكرل وهذه المادة مشعة ايضاً اي تصدر منها

كن ولذلك ففيهِ قوة تشعُّ منهُ وتؤَثر في الالواح الفونوغرافية فسميت هذه القوة بالفعل المتع radio-activity او الاشعاع وسميت الاشعة باشعة بكرل الى الآن

وقد بقيت درجة واحدة لاكتشاف الراديوم ولكن ياما اصعبها درجة نقام الاستاذ كوري (الذي لا استطيع ان اذكر اسمهُ من غير ان اشير الى ما اعترانا من الحزن التشديد سبب النازلة التي نزلت بهِ في شهر ابريل الماضي فاعدمتهُ الحياة) وزوجتهُ مدام كوري جعلا يمتحنان الحجر الذي يستخرج الاورانيوم منهُ فوجدا فيهِ قوة الاشعاع اشد مما هي في الاورانيوم المعدني اربعة اضعاف فاستنتجا ان القوة التي وجدها بكرل في الاورانيوم ليست من خواصهِ بل من خواص عنصر آخر يخالطهُ وبعد عناء شديد وتذويب وبلورة يطول شرحهما وجدا ضالتهما وكانت ممزوجة بكلوريد الباريوم فجعلت قوة هذا الكلوريد على الاشعاع اشد من قوة الاورانيوم ٢٠٠٠ ضعف وتدرجا في تنقية هذه الضالَّة الى ان وصلا الى ملح من املاحها فوجدا ان قوتهُ على الاشعاع اشد من قوة الاورانيوم مليون وثمانمئة الف ضعف. ومقدار هذا الملح قليل جدًّا فلم يتجاسرا على استخراج العنصر البسيط منهُ لئلا يضيع كلهُ. والطن من البتش بلند الذي استخرجاهُ منهُ لا يستخرج منهُ سوى سبُع قمحة من الملح فسميا العنصر الذي لهُ هذه القوة بالراديوم وعرفا من خواص الملح الذي استخرجاهُ وهو كلوريد الراديوم ان العنصر الاصلي معدني ثقلهُ الجوهري ٢٢٥ ولهُ اشعة خاصة تظهر في الحل الطيفي بالسبكتروسكوب ليست لغيرهِ من العناصر المعروفة فهو عنصر جديد. وكل ما امكنهما الحصول عليهِ من كلوريد الراديوم اربع قمحات او خمس اجريا بها كل تجاربهما ومباحثهما البديعة. وكل ما في يد علماء الارض من هذا الكلوريد حتى الآن لا يزيد على ستين قمحة. ولما خطب المسيو كوري في دار العلم الملكية بلندن في هذا الموضوع منذ اربع سنوات كان معهُ انبوب زجاجي صغير طولهُ نحو عقدة فيهِ كل ما كان يملكهُ من كلوريد الراديوم فلما عاد الى باريس كان مرةً يخطب في موضوع الراديوم وهذا الانبوب في يدهِ فسقط منها عرضًا وانكسر وتبعثر ما فيهِ من الراديوم وهو اثمن شيءٍ عثر عليهِ الناس حتى الآن فجمعت اجزاؤُهُ كلها وكل ذرة من ذرات التراب في ارض الغرفة واعيد التذويب والتمحيص فعاد الراديوم كلهُ ولم يفقد منهُ الاَّ شيءٌ لا يذكر

هكذا كشف الراديوم العنصر الممتاز بقوة الاشعاع التي اكتشفها بكرل وهو يشعُّ قوتهُ نهارًا وليلاً من غير انقطاع. والقوة لا تقل ولا تضعف على ما يظهر. نعم يشع نورًا وحرارة واشعتهُ تخترق الاجسام غير الشفافة وتولّد نورًا فصفوريًّا وتؤَثر في الالواح الفوتوغرافية.

اعتقادات وعادات

ليس بين معتقدات البشر ما هو أغرب من الاعتقاد بخلود النفس بعد الموت فقد جهلهُ
اليهود القدماء واليونان والرومان على ما يظهر والاَّ فمن اعجب العجب ان لا يشار اليهِ ولو تلميحاً
في كتبهم الدينية وغيرها فانهُ لم يذكر في التوراة اي العهد القديم بل ذكر في الانجيل فقط
ولا ذكرهُ فلاسفة اليونان والرومان في ما تركوهُ لنا من كتاباتهم وانما اشار سقراط اليهِ
اشارة خفيفة وهو يجرع كاس السمّ حيث امل ان يجتمع بتلامذتهِ في ما وراء القبر

غير ان الهنود القدماء اعتقدوا بهِ فان في الفيدا كتابهم الديني صلوات لآلهتهم ان
يلاقيهم آباءهم وامهاتهم في عالم الانوار الآتي · وكذلك كان معتقد كثير من طوائف الناس
الهمجية الحقيرة ولا يزال الى الآن معتقد كثير من الطوائف والقبائل والامم المعاصرة لنا ·
فمن اهالي جزيرة غرينلندا يعتقدون انهُ اذا مات انسان منهم سارت روحهُ الى مكان اسمهُ
ارنجارسوك وهو مكان صيفهُ دائم وشمسهُ لا تغيب ومآؤُهُ سلسبيل وصيدهُ كثير من الطير
والسمك وعجل البحر والرنّة وهذا الصيد اما ان ينال على اهون سبيل وإما ان يوجد مطهياً في
مراحل كبيرة · ولكن السفر الى ذلك المكان شاقٌ اذ يحتم على الارواح ان تقضي خمسة ايام
او اكثر منحدرة الى هوّة تلطخت بدماء الارواح التي سبقتها · على ان الارواح المسكينة
تذوق الامرّين اذا قضي عليها بالسفر شتاءً او وقت هبوب عاصفة لانها قد تصاب بضرر او
تموت موتاً ثانياً فتتلاشى ولا يبقى لها اثر

ويعتقد بعض هنود اميركا الجنوبية بوجود عدد من الآلهة منهم الهان واحد للخير وآخر
للشرّ فاذا مات احدهم ذهب الى الاله الذي تسلط على روحهِ في حياتهِ · ومقام تلك الآلهة
في كهوف في بطن الارض · وجزاء الارواح الصالحة السكر الابدي · ومنهم قبيلة تعتقد ان
موطنها الاصلي كان قرية كبيرة تحت الارض قرب بحيرة وقد امتدت اليها جذور دالية كبيرة
فرأوا بواسطتها النور فوق سطح الارض فتسلقها بعض الجريئين منهم فلما بلغوا سطح الارض
سرَّهم منظرها ورأوها بعض تتطاير الجواميس وتكسوها الحدائق والبساتين المتدلية الاغصان
فيها من كل فاكهة وزوجان فقطفوا بعض عناقيد العنب وعادوا من حيث اتوا فاستطاب
قومهم طعمها وعقدوا العزم على الروح من موطنهم العبوس الى موطن يتلألأ سناءً ويفيض
خيراً فتسلقوا الدالية رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً حتى اذا بلغ بعضهم سطح الارض جاء دور
امرأة سمينة وبينما كانت تتسلق الدالية انكسرت بها فسدَّت على بقية قومها نور الشمس ·

اشعة مثل اشعة بكرل ويرسب منها شيءٌ على الاجسام التي ت
ايضاً وتبقى قوة الاشعاع فيها بعد مدة إبعادها عن الراديوم . و
صدي ثمن مليمتر مكعب من ستين مليغراماً من بروميد البار
بالحرارة ولا بالفواعل الكيماوية ويمكن تكثيفهُ بالبرد الشد
سائلاً ولهُ طيف خاص بهِ فهو عنصر جديد مثل عنصر الا
ويخسر نصف قوة الاشعاع التي فيهِ كل اربعة ايام وفي هذه
الغاز عنهُ قد ولَّد مقداراً آخر من الغاز مساوياً لهُ في ما خسر
من تجارب رمسي وصدي ومدام كوري انهُ يتولد من
اكتشفهُ لكير في الشمس منذ خمس وعشرين سنة ثم وجدهُ ر
التي تشع نوراً وحرارة . وقد ثبت تولد الهاليوم من الراديوم
شبهة في صحتهِ

فنرى هنا ان عنصراً بسيطاً وهو الراديوم ينحل بعضهُ و
الهاليوم . فاذا كان الهاليوم دليلاً على وجود الراديوم قبلهُ فمي
فيها كثيراً من الهاليوم . وقد اكتشف الهاليوم في كثير من
الارض وفي كثير من الحجارة المعدنية المشعة وذلك يدلُّ
كثيراً من الراديوم . والمرجح الآن ان في الشمس من ا
المستمرَّة وفي الارض منهُ ما يكفي ليقوم مقام ما يفقد من حرا
من تجارب أُخرى ان الراديوم نفسهُ يتولد من الاورانيوم وا
الهاليوم فالبقية الباقية تكون رصاصاً وبذلك يثبت ما اعتقدهُ
المعادن بعضها الى بعض

فقد اتضح مما تقدم ان الراديوم ينحل من تلقاء نفسهِ وهذ
ان يفضي اخيراً الى تلاشيهِ كلهِ ولذلك فالزمن الطويل الذ
اكتشافهِ محدود ايضاً . وقد ظهر بالحساب ان نصف الراديو
فاذا لم يكن لهُ مصدر ما يتولَّد منهُ تلاشى كلهُ في زمن
العلماء قد اثبتوا ان الراديوم يتولَّد من الاورانيوم . ولا تزا
وستنشر نتائجها عن قريب

السياح القدماء في اوائل التاريخ المسيحي هذه العادة بين الايبيريين اهل شمالي اسبانيا فقال ان المرأة كانت تنهض بعد الولادة من فراشها لتعطي مكانها لزوجها وتأخذ في معالجته والعناية به . ولا تزال هذه العادة متبعة الى الآن بين اهالي بسكي سلالة الايبيريين فان الامّ تنهض حالاً بعد الولادة وتقوم بأعمالها واشغالها البيتية على جاري العادة اما الاب فيمتنع في الفراش محتضناً الطفل فيأتي الجيران ويهنئونهُ بسلامة القيام . واستمرت هذه العادة الغريبة من اسبانيا الى فرنسا حيث سميت (faire la couvade) اي الاحتضان . وذكر احد الكتبة الفرنسويين خرافة فرنسوية قديمة قيل فيها ان الملك (au lit et en couche) وترجمتهُ "مضطجع في الفراش يتمخَّض" . ويقال ان هذه العادة لا تزال معروفة في بعض انحاء فرنسا الجنوبية . وروى آخرون انها كانت منتشرة جنوبي البحر الاسود فكان الوالد يعصب رأسهُ ويضطجع في فراشهِ وهو يئنُّ والوالدة تعدُّ لهُ الطعام والحمَّام

وفي جزيرة بورنيو لا يعمل الاب عملاً بآلة حادَّة قبيل ولادة امرأته الاَّ ما كان لازماً لحملهِ ولا يطلق ناراً ولا يضرب بهيمة ولا يعمل عملاً شاقاً لئلاَّ يلحق بالمولود ضررٌ . وبعد ولادتهِ يمتنع في البيت عدة ايام لا يأكل سوى الارز والملح وقاية لمعدة مولودهِ من التخمة . وفي جزائر الهند الغربية اذا وُلد ولدٌ تسرع امهُ حالاً في عمل اعمالها البيتية على جاري عادتها واخذ ابوهُ يشكو ويتألم فينام في فراشهِ ويتداوى بتنظيم امر اكلهِ ويصوم احياناً مدة طويلة وبعد تمام اربعين يوماً يدعو هو وامرأتهُ الاقرباء للطعام ولكنهم قلما يجلسون حول المائدة يأخذون يبهتون الأب المتمارض اسنانهم ويفصدونهُ بها في كل موضع من جسمهِ حتى يصير مريضاً بالفعل بعد ما كان مريضاً بالوهم . ثم يأتون بشيء من ماء الفلفل ويغسلون بهِ جراحهُ فيتألم تألماً شديداً ولكنهُ لا يلفظ كلمة لئلاَّ يعدَّ جباناً . ويبقى في فراشهِ اياماً بعد ذلك اما الاقرباء فيولمون الولائم في دارهِ على حسابهِ وتحرّم عليهِ ستة اشهر كاملة لا يأكل فيها لحم طير ولا سمك زعماً انهُ اذا أكل من لحم هذا الحيوان او ذاك أُصيب ولدهُ بالآفة الطبيعية التي لذلك الحيوان واذا اكل لحم سلحفاة نشأ ابنهُ اصمَّ بلا دماغ اذ يعتقدون ان السلحفاة صماء لا دماغ لها

ومثل ذلك يفعلون بالوالد في بعض انحاء اميركا الجنوبية فاذا مات الولد نسبَ الاولاد النساء ذلك الى سكر الاب او نهمهِ او سباحتهِ في النهر والهواء بارد او عدم حلقهِ شعر حاجبيهِ او دوسهِ بقدميهِ قفران النحل التي توجد في الارض او ركوبهِ دابة حتى تعب وعرق وعلى ذلك ينهلن عليهِ بانواع الشتيمة والسباب

واهل هذه القبيلة يعتقدون الآن ان من يموت منهم يعود الى اسلافه في بطن الارض فالصالح يعبر البحيرة اليهم سالماً والطالح لا يستطيع عبورها

واهالي بولينيسيا يعتقدون ان الجوّ يلتقي بالارض فعلاً عند الأُفق ويطبقها كما يطبق القدر غطاؤُها فلذلك يسمون الاجانب عنهم "بابالنجي" اي شاقي السماء اعتقاداً منهم بانهم هبطوا اليهم من محلّ وراءها . وعندهم ان سكان الارض اهل الطبقة السفلى من منزل معلى البناء متعدّد الطبقات فمنها ما هو فوقها ومنها ما هو تحتها وان في سقوف الطبقات المختلفة ثقوباً ينزل منها المطر وان الناس واهل الطبقات التي فوقهم والسرادب التي تحتهم يتزاورون من آن الى آن

ومن مضحك الاعتقادات عن الحياة الأُخرى اعتقاد احدى القبائل الهمجية ان روح الميت تسير غرباً عند خروجها من صدره حتى تصل جسراً ممتداً من اكمة الى اكمة فوق نهر مخيف عميق سريع الجريان . والجسر مصنوع من جذع شجرة صنوبر وقد كشط عنها قشرها فصارت كثيرة الزَّلق وعند طرف الجسر الآخر ستة اشخاص يرمون الانفس بالحجارة عند مرورها على الجسر فاذا كان الميت صالحاً مرّت نفسهُ سالمة الى الجانب الآخر حيث تجد مسارح بهجة للصيد والقنص . واذا كان طالحاً يدرأُ الحجارة عن نفسه فيزلق ويسقط الى هوّة عمقها الوف من الاقدام فيمزّق شرّ ممزّق

وهناك قبيلة اسمها قبيلة الماوري اذا ذهب رجالها للحرب غرز كهنتها عصياً في الارض وعلى كلّ عصاً علامة تمثّل رجلاً من اولئك الرجال . وعندهم ان كلّ من تسقط عصاهُ على الارض لسبب من الاسباب يموت في ساحة القتال

وفي غيانا الانكليزية يخطبون الاولاد صغاراً ويغرس اهل الخطيبين شجرتين علامة الخطبة فاذا ذبلت احدى الشجرتين تطيروا من ذلك وايقنوا بموت من غرست الشجرة على اسمه . وهذه الخرافة تشبه بعض الخرافات المنتشرة في البلاد المتمدنة فان بعضهم يتشاءمون من ذبول شجرة غرسها رجل ثم غاب ويتوقعون ورود اخبار سيئة عنهُ . وبعضهم يتشاءمون من سقوط صورة حبيب غائب الى الارض ومن سقوط خاتم الزواج من الاصبع

ومن اغرب العادات واقبحها عادة ذكر ماركو بولو السائح الايطالي الشهير انهُ سمع بها بين الصينيين في اواخر القرن الثالث عشر ولا تزال متبعة عند بعض القبائل الهمجية الى الآن وهي انهُ اذا وُلد لرجل ولد وقضت امهُ ايام النفاس بسلام ونهضت من فراشها حلّ الاب محلها وجاء اصدقاؤُهُ ومعارفهُ يهنئونهُ ويحمدون الآلهة على "خلاصهِ بخير" . وذكر سترابو احد

يرى في منازل كثيرين من اهل العاصمة
ءِ عن ساحرٍ ذكرهُ في روايتهِ انهُ يخرج
وّف . وقال آخر من كتاب القرن
مرهِ ان يسمّر الناس النعال على عتبات
ون المنازل ويشترط في النعال ان تكون
نعلة مسمرة على اعتاب المنازل في شارع
في سنة ١٨٥٢ كان قد بقي منها ١١ نعلة .
لـ قطع الحديد القديم ولا سيما النعال حتى
ريا اعتقاداً بانها تقيهِ ريب المنون وتدفع
رف النار كما هو معلوم

ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

م للولايات المتحدة الاميركية . ففيهِ سافر
ى جزائر الهند الغربية وفيهِ أقلع عائداً الى
ارّ الاعظم واكتشفهُ ولم يكن يعلم ذلك في
سفينة المسمّاة "ماي فلاور" قاصدين اميركا
دتْ اساس الاستقلال الاميركي ونزلوا الى
يركا ونودي باستقلال الولايات المتحدة

علاق مثلما هم في اختلاف وجوه وكلٌّ يدعي
الرذي ولو لم يكن على شيءٍ من ذلك .
مراً طبيعياً ولكن من الناس من يجد بلبس
ل الشيطان اسود اللون في اوربا على حين
لون . وعندنا ان جهنم موضع تكتنفهُ النيران
ن الاصقاع المتجمدة فيتلوها مكاناً شديد

يا ليت شعري ما الصحيح

وفي شبه جزيرة كمتشتكا يضرب والد العروس ووالدتها وجيرانهما العريس بالعصي ضربًا مبرحًا عند اخذهِ العروس فاذا احتمل الضرب بصبر وثبات دلَّ ذلك على استطاعتهِ حمل كروب الحياة وهمومها والاَّ فلا

ومن اكثر العادات شيوعًا واقدمها لبس خاتم الزواج وهو عادة وثنية قديمة جعلت لترمز الى القيد الذي يقيد المرأَة برجلها . وفي انكلترا تلبس الزوجة الخاتم دون الزوج واما في المانيا فيلبسهُ الزوج والزوجة على السواء اشارة الى فقد كلٍّ منهما حريتهُ . والخاتم يلبس في بنصر اليد اليسرى كما هو معلوم ولا يعلم سبب ذلك تمامًا . ثم منهم من قال ان بين بنصر اليد اليسرى والقلب علاقة بواسطة عصب او شريان او وريد فلذلك اختيرت للبس الخاتم وهو مجرد وهم لا غير . وربما كان اقرب الى العقل والصواب ان لبس الخاتم في بنصر اليد اليسرى اكثر ملاءمة من لبسهِ في غيرها من اصابع اليدين . قال كاتب روماني في القرن الخامس ان الناس كانوا يلبسون خاتم الزواج قبلاً في اليد اليمنى او اليسرى على السواء وفي اية الاصابع ولكن لما زادت اسباب الترف واخذوا ينقشون الخواتم ويرصعونها بالحجارة الكريمة لم يعودوا يلبسونها في اليد اليمنى خشية ان تتلف لان اليد اليمنى اكثر استعمالاً من اليسرى فاقتصروا على لبسها في اليسرى . وانما اختاروا البنصر دون غيرها من اصابع اليد لان الابهام كثيرة الاستعمال والسبابة كثيرة التعرض للاذى والوسطى كبيرة والخنصر صغيرة . واما البنصر فاقلُّ الاصابع استعمالاً وتعرُّضًا للاذى لا سيما وانها محروسة عن الجانبين بالوسطى والخنصر وهي اقلها استقلالاً عن غيرها في تحرُّكها الى الامام والوراء . والسبب الذي يقدمهُ الناس عادةً للبس الخاتم في اليد اليسرى هو ان القسم الاكبر من القلب في الشطر الأَيسر من الصدر وعليهِ فاليد اليسرى أَقرب اليهِ من اليمنى

وقال بلينوس ان الرومانيين كانوا يصوّرون آلهتهم وهي لابسة الخواتم في السبابة وان الرومانيين انفسهم كانوا يلبسونها في الوسطى مثل الغاليين والبريطانيين القدماء . والكنيسة اليونانية توصي بلبس الخاتم في اليد اليمنى . والظاهر ان الانكليز كانوا يلبسون خاتم الزواج في اليد اليمنى قبل زمان الاصلاح فنقلوهُ الى اليسرى بعدهُ وعدَّ بعضهم هذا التغيير بدعة من بدع الاصلاح بدليل قولهِ ان من بدع الاصلاح وضع الرجل خاتم الزواج في بنصر يد امرأَتهِ اليسرى لا في يدها اليمنى كما جرت بهِ العادة منذ مئات من السنين على ان الكنيسة الكاثوليكية توصي بلبسهِ في اليسرى

ومن العادات الشائعة عند الغربيين والشرقيين على السواء تعليق نعال الخيل في المنازل

هذه هي الاموال التي اوصى بها ووهب مدينة همبرج كل ما يملكهُ فيها وهو اراضٍ
سعة وحراج وفندق واعطاها ايضاً مئة الف جنيه لانشاء مدرسة جامعة ووهب دار الصور
كية ببلاد الانكليز صورة ثمنها ٢٢ الف جنيه ودار الصور ببرلين صورة ثمنها ٢٠ الف
يه ولا يقل مجموع ما وهبهُ واوصى بهِ قبيل موتهِ عن مليونين ونصف من الجنيهات عدا
ات الكثيرة التي وهبها في حياتهِ

وهو الماني الاصل ولد في همبرج سنة ١٨٥٣ وابوهُ تاجر من تجار تلك المدينة ودرس
كون تاجرًا ايضاً وأُرسل الى كمبرلي في جنوبي افريقية سنة ١٨٧٥ على اثر اكتشاف
جم الماس فيها وكان لهُ اقارب فيها فعزم في اول الامر ان يقيم عندهم كاتباً . ثم اشترك
المستر ورنهر في محل جول بورجس وصار لهُ شأن في مناجم الماس وتجنَّس بالجنسية
نكليزية وتعرَّف بسسل رودس وأُعجب بهِ كأَنَّ رودس سحرهُ سحرًا كما سحر غيرهُ من
جال بسمو مداركهِ وجميل صفاتهِ وتمكن هو ورودس من توحيد مناجم الماس . قال
دس مشيرًا الى اول مرة التقى فيها ببيت " زرت محل بورجس ذات ليلة فرأيت بيت
نغل على جاري عادتهِ فقلت لهُ ألا تستريح من الشغل . فقال قلما استريح . فقلت لهُ
هو غرضك فقال توحيد مناجم الماس كلها قبلما انقدَّم كثيرًا في السن . فقلت لهُ وانا
اً عازم على ذلك فيجدر بنا ان نشترك في هذا التوحيد . وكان كما قال واشتركا
هذا المناجم في شركة واحدة وكان الفضل في ذلك لرودس من حيث تدبيرهُ الاداري
ت من حيث تدبيرهُ المالي وكان رودس رئيساً لهذه الشركة وبيت وبرناتو من اعضاء
ں ادارتها

ولم يكد اتحاد مناجم الماس يتم حتى وجه بيت همتهُ الى مناجم الذهب وكانت قد كشفت
يثاً وامتلاك جانباً كبيرًا منها . وقد نجحت لانهُ استطاع ان ينفق على استخدام الآلات
يرة والاساليب العلمية الحديثة . ورحل مصالحهُ المالية كبيرة في بلاد الترنسفال وما
رها لا بدَّ ان تضطرهُ الحال الى معاملة كروجر رئيسها والوقوف الى آرائهِ ومقاصدهِ .
ں بيت يحسب ان كروجر يقصد ان يجمع كل ذهب بلادهِ ويبني بهِ بوارج حربيَّة حتى
، جنوبي افريقية مملكة للبوير مستقلة فاتهم بانهُ كان من مسببي غارة الدكتور جامسون
هُ الانكليز المقاومون لحرب البوير وطعنوا عليهِ طعناً شديدًا لا سيما وانهُ اغتنى سريعاً
.ُ الذين لم ينجحوا نجاحهُ اما عارفوهُ فيقولون انهُ كان من اصدق الناس وارقهم قلباً
نرهم اخلاصاً

رجال المال والاعمال

الفرد بيت

لما كتبنا سيرة رودْس وروبنصن في المجلد السابع والعشرين من المقتطف بين رجال المال والاعمال لم نذكر معهما سيرة الفرد بيت وهو من اقرانهما الذين اثروا متلها في جنوبي افريقية لان اسم رودس كان يكسف اسم بيت وكان بيت عائشاً كأَنهُ في كنف رودس مع انهُ غني مثلهُ او اغنى منهُ كثيراً . وقد مات هذا الرجل الآن بعد ان وهب جانباً صغيراً من ثروتهِ للاعمال النافعة وهو نحو مليونين ونصف مليون من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

لسكة الحديد بين الكاب والقاهرة	١ ٢٠٠ ٠٠٠ جنيه
لمدرسة جوهنسبرج	٠ ٢٠٠ ٠٠٠ "
للتعليم في روديسيا	٠ ٢٠٠ ٠٠٠ "
لمدرسة الصناعة في جامعة لندن	٠ ١٣٥ ٠٠٠ "
لتعليم الطب في جامعة لندن	٠ ٠٢٥ ٠٠٠ "
لجامعة رودس في غراهمستون	٠ ٠٢٥ ٠٠٠ "
للتعليم في الترنسفال	٠ ٠٢٠ ٠٠٠ "
" في كمبرلي	٠ ٠١٥ ٠٠٠ "
" في مستعمرة الراس	٠ ٠١٥ ٠٠٠ "
لمال تذكار رودس	٠ ٠١٠ ٠٠٠ "
لنادي اليونيون جاك	٠ ٠١ ٠٠٠ "
لمستشفى الملك	٠ ٠٢٠ ٠٠٠ "
لمستشفى غاي	٠ ٠٢٠ ٠٠٠ "
لصدقات لندن	٠ ٠٢٠ ٠٠٠ "
لصدقات همبرج	٠ ٠٢٠ ٠٠٠ "
والمجموع	١ ٩٣٥ ٠٠٠

ملك ولا كالملوك

امبراطور المانيا الحالي من أمضى ملوك الارض همة واصدقهم عزيمة واكثرهم اقداماً لا يأخذهُ كلل ولا ملل في كل ما من شأنهِ ان يرفع قدر شعبهِ بين الشعوب المختلفة . لما رأى ان بسمرك حجر عثرة في سبيل عزماتهِ قذف بهِ من حالقٍ ولم يرعهُ كونهُ سياسي اوربا الاوحد في زمانهِ فلم تقم لهُ قائمة بعد ذلك وآثار الامبراطور واعمالهُ تتكرَّر كلَّ يوم وتتضوَّع فما من عمل كبير داخل بلادهِ الاَّ ولهُ اليد الطولى فيهِ ولا من حركة سياسية ذات شأن في سياسة الدول الاَّ ولهُ نار مخبوءَة تحت رمادها . على انهُ اذا ذكرهُ التاريخ فانما يذكرهُ بمساعيهِ المتوالية في ترقية البحرية الالمانية بل في تأسيسها لانها لم تكن شيئاً مذكوراً قبل عهدهِ واذا كني بشيءٍ فانما يكنى بابي البحرية الالمانية

كتب بعضهم مقالة في مجلة القرن التاسع عشر اتى فيها على تاريخ علاقة الامبراطور بالبحرية الالمانية منذ تولى سرير الملك قال

لا يزال الشيوخ من اهل بورتسموث يتذكرون غلاماً كانوا يرونهُ يتمشى احياناً على الرصيف وهو يرقب البوارج في دخولها الى الميناء وخروجها منهُ بمزيد الاهتمام والانتباه . فهذا الغلام هو امبراطور الالمان الحالي . فانهُ لما كانت الملكة فكتوريا جدتهُ في قيد الحياة كان يزورها صيفاً في اوسبورن واستأجر ابوهُ قصر نوريس في ضواحي كوس ايام كان ابوهُ وليًّا للعهد وسكنهُ هو وعائلتهُ عدة اشهر فكان للامبراطور الحالي فرصة لتحقيق اعظم امانيهِ من مراقبة حركات البوارج الانكليزية عن كثب وفحصها فحصاً دقيقاً . وكانت السلطنة الالمانية في ذلك الحين بلا اساطيل تذكر ولما نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا لم تكن سفن الالمانيين القليلة تستطيع النزول الى ميدان القتال وكانت فرنسا تستطيع حصر سواحل بروسيا بلا ممانع . وهذه الامور كانت تخطر في بال الامبراطور عند زيارتهِ لانكلترا فعقد النية على انشاء اسطول كبير لأُمتهِ عند ارتقائهِ الى سرير السلطنة الالمانية . وخطب مرة فقال " لما آلت اليَّ مقاليد الملك شرعت في تقليد ما كنت اراهُ في انكلترا ايام كنت ازورها يافعاً (اشارة الى الاساطيل) ولكن على درجة تلائم موارد امتي ومصالحها " وكان بسمرك حينئذٍ وزيرهُ الاول فرأى في مثل الخيال اهمية الاساطيل لالمانيا اذا شاءَت ان تكون صاحبة الكلمة المسموعة في السياسة الاوربية وان تفتح الابواب في وجه تجارتها وتمهد السبل لتوسُّع سكانها ولكنهُ لم يستطع مجاراة الامبراطور في اندفاعهِ الشديد فقصَّر عنهُ واستلم الامبراطور دفة

ومن النوادر التي يروونها عنهُ وعن رودس ان شركة مناجم ا
في اول انشائها وكادت تفلس فسلفها ٢٥٠ الف جنيه من غير ربا
بل اخذ ست كمبيالات وامضى اسمهُ عليها على بياض ووضعها سـ
اقبلت الى مساعدتي في ضيقي فاذا اصابك ضيق مالي في وقت من
ان ابادر الى مساعدتك . ونجحت الشركة بعد ذلك نجاحًا عظيمً
معهُ ممضاة على بياض ثم ردها الى رودس بعد ستة اشهر

ورأس مال هذه الشركة الآن من الاسهم ٤٧٥٠٠٠
٤٥٠٠٠٠ ... هذا حسب قيمة اسهمها الاصلية وكانت توزع ربح
سنويًّا قبل حرب البوير وهي توزع ربحًا الآن بمعدل خمسين في ا
نحو ٤٣ مليون جنيه

والظاهر ان ربح بيت من مناجم الذهب كان اوفر جدًّا من ر
ان المستر ستد قال ان ما اوصى بهِ اخيرًا لا يذكر في جنب ما كان
ما طلب رودس منهُ ان يوصي بهِ . فان ثروتهُ تقدَّر بمئة مليون من
اوربا كما ان ركفلر اغنى اغنياء اميركا وكان قد اوصى بنصف
حياة رودس ثم غيَّر الوصية في العام الماضي ولم يبقِ للاعمال النافعة
الاصل ولو ولد مسيحيًّا . ويظهر لنا الآن ان اكثر اغنياء اوربا وام
اليهود كلهم سوريون اصلاً كما لا يخفى

وكانت وفاتهُ في السادس عشر من شهر يوليو الماضي وه
رودس وخلَّف امواله الكثيرة لاخيهِ وغيرهِ من اقاربهِ ودفن
اوصى لانهُ كان يحبها ويفضلها على وطنهِ الاصلي . وقد بذل جهده
عرى الوئام بين انكلترا والمانيا وهو السبب في التقرب الاخير بين
ورجال الصحافة الانكليز والى سعيهِ تنسب زيارة الاولين للآخ
بينهم من الضغائن . ولهُ صدقات كثيرة لم تذكر لانهُ كان يتصدق
ن لا يذكر اسمهُ معها

التي كان قد اعدَّها لاكرامهِ بها . ولما أكمل المفتيش وهمَّ بالانصراف وقف على رأس سلم البارجة والتفت الى القبطان وقال " لا بدَّ ان بارجتك اطول بارجة في البحرية الانكليزية " فقال القبطان " لا اظنُّ ذلك فان طولها ٤٢٠ قدماً فقط " فقال الامبراطور " بل انت غلطان " وحينئذٍ تذكر القبطان ان مراد الامبراطور بالطول طول الفترة بين طعام وطعام وهو اصطلاح عامي بين البحارة لا يعرفهُ سواهم فاعتذر للامبراطور على ما فرط من الاهمال وتوسل اليهِ ان يعود معهُ الى غرفة الطعام ويتناول شيئاً فابى ولكنهُ قال لهُ " في ٢٧ يناير عيد مولدي واوامري اليك هي انهُ اذا جاء ذلك اليوم فأَولم وليمة لاخوانك واشربوا نخبي "

ولما جاء اليوم المذكور اولمت الوليمة وشرب الضباط على ذكر الامبراطور وارسلوا اليهِ رسالة برقية قالوا فيها " قد أُنفذت اوامر اميرالنا وشربنا نخب جلالتكم . ولكن هناك امراً لا نستطيع موافقة جلالتكم عليهِ وهو ان بارجتنا طويلة " ففهم الامبراطور المراد من ذلك حالاً

وكان الامبراطور يعتقد منذ بادئ الامر انهُ يستطيع انشاء اسطول ضخم من غير ان يوغر صدور اهالي انكلترا عليهِ وكان كذلك فانهُ باح بعزمهِ على انشاء الاسطول وقال انهُ يروم انشاءهُ على مثال الاسطول الانكليزي فسرَّ الانكليز بذلك وعطفوا عليهِ لجهلهم ما يرمي اليهِ ولم يستفيقوا من غفلتهم حتى حدثت غارة جيمسون المشهورة وارسل الامبراطور رسالتهُ البرقية الى الرئيس كروجر يهنئهُ فيها بانتصار قومهِ على رجال جيمسون فحملوها على محمل سيئ وجهزوا اسطولهم في سبيتهد لمقابلة الطوارئ مع انهُ أكد لهم مراراً وتكراراً بعد ذلك انهُ لم يرد بهم شرّاً اعتقاداً منهُ ان غارة جيمسون انما كانت حركة ثورة ناشئة عن طيش وجهل . ولكن تلك الرسالة البرقية وتجهيز الانكليز لاسطولهم ساعدا الامبراطور على بلوغ رأْيهِ لانهما اثارا سواكن الامة الالمانية واقنعاها بوجوب موافقة الامبراطور على تكبير الاسطول . وعليهِ وافق مجلس النواب الالماني سنة ١٨٩٨ على ذلك ولكن الامبراطور لم يكتفِ بهِ .

وكأَن الزمان كان يجاريهِ على مرادهِ فحدثت حرب الانكليز والبوير وجرَّت الى مشاكل مع المانيا بسبب بيع تجار الالمان الذخائر الحربية للبوير . ورأَى اهل التجارة الالمانية اذ ذاك ان حكومتهم لا تستطيع ان تبقي باب الكسب مفتوحاً في وجوههم من بيع الاسلحة بسبب ضعف الاسطول الالماني ففقهوا معنى القوة البحرية وادركوا لزومها لاسيما وانهم رأَوا روسيا تسرح وتمرح في الشرق الاقصى وانكلترا لا تمدُّ يداً لمقاومتها لاعتقادها بقوة الاسطول الروسي . فلم يأْتِ ربيع سنة ١٩٠٠ حتى وافق مجلس النواب الالماني على لائحة جديدة لتكبير الاسطول بحيث يكون لالمانيا سنة ١٩١٧ ثمانٍ وثلاثون بارجة وعشرون طراداً مدرعاً

السياسة الالمانية بنفسهِ · ولم تمضِ عشر سنوات حتى اوقع في ا
عن اساطيل ضخمة عزيزة تحمي ذمارهم وذلك بما كان يفتقده كلّ
القرار اخيراً على انفاذ مشروع بهذا الصدد يعدُّ اعظم مشروع افد
وبيان هذا الاجمال ان الاساطيل الالمانية ستصبح بعد عشر
كلها ما عدا اساطيل انكلترا وتعدُّ اعجب عمل سياسي تمَّ على يد
الامبراطور · ولما اقترح انشاء بحرية عزيزة نظر شعبهُ الى اق
والايجاس لا سيما وانهم كادوا ينوءُون باثقال العسكرية فاحذوا
وما عسانا ان نستفيد اذا زدنا على حمل جيشنا الفخم حمل اس
ويستطيع الهجوم لحماية مستعمراتنا النائية عند الضرورة · فعانى
حمل قومهُ على الاذعان لرأيهِ وتحقيق آمالهِ

وفي سنة ١٨٨٩ عينتهُ الملكة فكتوريا اميرال شرف للبحرية الا
القوارب في كوس وهو الرجل الاجنبي الوحيد الحائز لهذه الرتبة الس
ولكنهُ اغتنم الفرصة وحوّل الرتبة من رتبة شرف الى رتبة عمل ا
للطواف في البحر المتوسط وزار اثينا لحضور الاحتفال بزواج ش
وكان الاسطول الانكليزي قد اجتمع في مياه بيريوس للاشتراك ا
هسكنس ورتبتهُ نائب اميرال · فعزم الامبراطور على تولي قيادة
من قائدهِ في البحرية الانكليزية فذهب الى البارجة "دردنوط"
من اساطيل انكلترا واضطر قائدهُ ان يتنازل لهُ عن قيادتهِ لانهُ
يفتش بوارج الاسطول · وخطب فيما بعد على ظهر البارجة "رو
الحادثة الآنفة الذكر وقال وان من احسن ايام حياتي التي لا انس
لاسطول البحر المتوسط من ظهر البارجة "دردنوط"

وتعهد مرة الاسطول الانكليزي في مياه مالطة · وذلك
وهو يطوف في البحر المتوسط فاعلن عزمهُ على تفتيش احدى بوارج
وتوجه الى ظهر البارجة ورفع رايتهُ عليها · وكان يظن انهُ يكتفي
المرطبات بعد ذلك · ولكنهُ لم يكد يصل اليها ويستقبل رسمياً
وقال انهُ مستعدٌّ لتفتيش البارجة · فطاف فيها من طرف الى طر
ولم يترك كبيرة ولا صغيرة الَّا رآها وسأَل عنها حتى كلّ قبطار

التعليم قديماً وحديثاً في سورية [1]

المدرسة لا غنى عنها في كل هيئةٍ اجتماعيَّة ولذلك نرى تاريخها متوغلاً في القدم ٠
ان مظاهرها ونظاماتها كانت تختلف باختلاف الازمنة والامكنة التي وجدت فيها ولكن
ك لم ينفِ كون القصد منها تهذيب الشبيبة واعدادها لاعمال الحياة المستقبلة

والتعليم من حيث هو فنٌّ باصولٍ امرٌ حديثٌ تنبهت اليهِ الخواطر في اوربا منذ نحو
ثمئة سنة . على انا اذا رجعنا في التاريخ نجد ان بعض الفلاسفة القدماء اشاروا الى هذا
امر ومنهم افلاطون ومن اقوالهِ (وقد ورد في خطبة اسقف هرفرد التي عربها المقتطف
نة ١٩٠٤) " ان التعليم الصحيح موسيقى النفس ورياضة البدن وان حسن السلوك فرعٌ
هُ والشعر اساسهُ وان يكن الشعراء لا يصلحون لتعليم ولا لتهذيب . وان الغرض منهُ ترقية
فضيلة وهو اولُ الاشياء واجملها "

ولكن لانَّ الكتبة الاقدمين لم يقوموا في زمنٍ واحدٍ ولم تكن الهيئة الاجتماعيَّة
ستعدةً للعمل بافكارهم ظلَّت اقوالهم ساكنة حتى فجر التاريخ الحديث حينما اخذت اوربا
نهض من تحت انقاض القرون المظلمة وتنتبه للاكتشاف والاختراع وتسعى في تحسين
لاحوال المدنيَّة والاجتماعيَّة ٠ ومما بُحث فيهِ كيفية تعليم الاحداث فكتب في ذلك عدد
ن الفلاسفة والمعلمين فكان لما كتبوهُ شأن كبير عند ارباب المدارس ومديريها ٠ ومن
لذين كتبوا في هذا الموضوع ملانكثون وهو احد مشاهير معلمي القرن السادس عشر ومن
قوالهِ " على المعلمين ألَّا يظنوا انهم في مجمع علماء افلاطون بل في هيكل الله وتدنيسهُ ذنبٌ
عظيم ٠ وليست حياة المدرسة كحياة الحكومة بل هي اثمن لدى الجنس البشري لانهُ لا
نرف من اقتياد النفس الى معرفة الله والاداب الحسنة "

ومنهم كومنيس (Comenius) وهو من اعظم معلمي القرن السابع عشر ومما قالهُ
" ينبغي ان يبدأ التعليم بملاحظات الاشياء نفسها وليس بمجرَّد وصفها وعلى المعلِّم ان يتدرَّج
في تعليمهِ من البسيط الى المركَّب ومن المعلوم الى المجهول "

ومنهم لوك (Locke) الفيلسوف الانكليزي من فلاسفة القرن السابع عشر ايضاً
وقد الَّف كتباً عديدة في التهذيب ومن اقوالهِ " ان مفتاح التهذيب موجودٌ في كتابات

(١) تليَ في جمعية « حلقة الادباء » بالمدرسة الكلية السورية في بيروت في ١٧ ايار سنة ١٩٠٦

كبيرًا وثمانية وثلاثون طرادًا للاستطلاع ومئة واربع واربعون سفينة للتوربيد

واتفق ان الطرادات الانكليزية قبضت في تلك الاثناء على بواخر المانية في خليج دلاجوى لاشتباهها في تهريب المؤن والذخائر الى البوير فقام الخبر اهل المانيا واقعدهم وغلت مراجل الغم والحقد في صدورهم على الانكليز فارسل الامبراطور رسالة برقية الى ملك ورتمبرج أمل فيها " ان حوادث الايام الاخيرة أقنعت الذين لم يقتنعوا بعدُ انهُ لا غنى لالمانيا عن المحافظة على شرفها ومصالحها في عرض البحار فلا بدَّ لها ان تكون عزيزة بحرًا كما انها عزيزة برًّا "

وما زال الامبراطور يطلب المزيد في سبيل تعزيز البحرية الالمانية ورأَى ان شعبهُ في حاجة الى ما يشدّد عزائمهُ فسعى سعيًا متواليًا افضى الى انشاء جمعية البحرية الالمانية برعاية شقيقهِ البرنس هنري . ويقال انهُ ما من جمعية من الجمعيات التي أَلفها الناس في كل زمان ومكان كان لها من الوقع في النفوس ما لهذهِ الجمعية من الوقع في نفوس الالمانيين. ولها فروع في جميع انحاء السلطنة الالمانية والالمانيون يعدُّون الانضمام اليها شرفًا ودليلاً على الولاء لان شقيق الامبراطور رئيسها ولانها أُنشئت لنشر آراء الامبراطور في ما يتعلق بالبحرية وقد زاد عدد اعضائها الى الآن على نصف مليون ولها ايراد قدرهُ ٣٠٠٠٠ جنيه سنويًّا

ومن الوسائط التي تذرّع الامبراطور بها الى ترسيخ المبادئ البحرية في اذهان قومهِ اشتغالهُ هو نفسهِ بذلك قولاً وعملاً . فانهُ خطب ذات يوم على اعضاء مجلس النواب ساعتين في مستقبل الاسطول الالماني وايّد اقوالهُ برسوم كان قد رسمها بيدهِ. وأُرسل اليهم مرة أُخرى احصاءً مدققًا بقوة جميع الاساطيل العظمى. ولهُ اليد الطولى في تعيين الانموذج الذي يراد بناء البوارج عليهِ لانهُ مهندس ماهر حتى قال فيهِ احد مديري الترسانة الانكليزيَّة انهُ لا يظن ان بين اميرالية الانكليز من يعرف دقائق البوارج وكلّ آلة فيها مثل امبراطور الالمان

ومن مساعيهِ بهذا الصدد جعلهُ كيال محط الانظار باقامة سباق اليخوت فيها كلَّ عام فيتقاطر اليها الاغنياء والكبراء من كلّ حدب وصوب حتى فاقت كوس في ذلك . وما انفك منذ ارتقى الى سرير السلطنة الالمانية يشجع شركات البواخر الالمانية على العمل باقوالهِ وافعالهِ حتى اغتصبت السيادة على الاتلنتيكي من شركات البواخر الانكليزية . ويكفي ان يقال فيهِ انهُ لما آل الحكم اليهِ كان الالمان يعتقدون ان انكلترا صاحبة السيادة التي لا تنازع على البحار فما زال بهم حتى اقنعهم بالخلاف وان مستقبلهم على البحار . وهو ينفق ايام عطلتهِ يتنقل على يختهِ من مكان الى مكان مع انهُ يصاب بالدوار اذا اشتدت الانواء. وحيث رسا يختهُ اوساحل فهناك تشخص الابصار وتحوم الافكار على ملك لاهمَّ لهُ الاَّ اعلاء البلاد واسعاد العباد

تنبيه القوى العقلية . فان افتقار الولد للانتباه هو نتيجة بلادة المربين لا بلادتهِ . فينبغي تربية الحواس ليكون الولد قادرًا على الافتكار والنظر قال الفيلسوف وسكن " اذا وُجد مئة يحسنون التكلم فلا يوجد بينهم اكثر من واحدٍ يحسن الافتكار واذا وُجد الف يحسنون الافتكار فلا يوجد بينهم اكثر من واحدٍ يحسن النظر "

ايها الرصفاء الكرام هذه بعض نتفٍ عن التعليم من اقوال مشاهير القدماء والمحدثين اوردتها امامكم تمهيدًا للدخول في موضوعنا الخصوصي ألا وهو التعليم قديمًا وحديثًا في سورية وايضاحًا لذلك آتي الان على وصف مدرستين سوريتين الواحدة قديمة والثانية حديثة ولكي يكون الوصف افعل في النفس اجعل للمدرستين علاقة بنفسي فاقول

ربيت في مدرسة في احدى القرى الحقيرة وكانت غرفتها ضيقة وسخة مظلمة بلا مقاعد فكان الواحد منا يحضر معهُ قطعة حصير او شيئًا آخر وكنا نجلس على الارض مقوسي الظهور وفي حضن كلٍّ منا كتابهُ . وكان المعلم يجلس امامنا مقطب الجبين وبيدهِ عصا طويلة فكنا نسترق النظرات اليهِ والخوف آخذ منا مأخذهُ وكنا نتعلم عندهُ المزامير فاذا حفظها احدنا نقدعليها شيئًا معلومًا ولذلك كان يضغط علينا ظنًّا منهُ ان عقل الولد يلزم ان يحشى بالمزامير دفعةً واحدة فكنا نقضي في المدرسة من الصبح الى المساء فلم نعرف فرصةً ولا راحة الاَّ عند الذهاب لجلب الغذاء من بيوتنا لان الشرط كان يقضي باطعام المعلم على حساب التلامذة وكثيرًا ما حاولت الهرب من ذلك الاسر على غير طائل

ولم يكن في المدرسة صفوف وكان اذا غلط احدنا غلطة ابتدرهُ المعلم بالعصا او باللبط او باللطم او بشدّ الاذن وغير ذلك من انواع الخشونة والامتهان التي تحقر التلميذ في عيني نفسهِ وتزيدهُ عمى فوق عمى فيتمرج عويلهُ بقراءتهِ واذا رأى ولدًا ضجر من الدرس فبدلاً من تنشيطهِ بكلمات اللطف كان يهوي عليهِ بالضرب او بالرفس . ولم يكن لهُ ثقة بنا فكان يشدد علينا الملاحظة في كل امر وعندما كانت تعرض لاحدنا حاجة ضرورية خارجًا كان يقف امامهُ ويطلب اذنًا بمد اليد فيبتدرهُ المعلم بضربة فيخرج متلويًا من شدة الالم . والخلاصة ان المدرسة كانت سجنًا مخيفًا والمعلم سجانًا مستبدًّا طاغيًا لا رحمة في قلبهِ ولا شفقة بل لا ابالغ اذا قلنا ان حالة المجرمين في السجون كانت ارقى من حالتنا ولذلك كرهنا المدرسة والعلم والمعلمين وكنا نتمنى لو تفتح الارض فاها وتبتلعنا لنتخلص من تلك العذابات

على ان اللوم لم يكن كلهُ على المعلم لان اهلنا اطلقوا لهُ حق التصرف بنا واعتقدوا معهُ

القدماء » ومنها « يجب الشروع في تعليم الولد منذ نعومة اظفاره فيبدأ اوّلاً بتمرين الجسم تمرينًا يجعلهُ مطيعًا لافعال العقل ثم يتمرّن العقل ليصير قادرًا على غلبة اهواء النفس. لان القصد من التهذيب ان يكون الانسان حكيمًا قادرًا على إدارة اشغاله بعزمٍ ناظرًا الى اعمال الحياة نظر الخبير باحوالها جادًّا وراء الفضائل وحب الشهرة » ومن اقواله « ان الاولاد ينظرون وهم في سن الطفولة الى والديهم كحكّام مطلقين ولكن متى ترعرعوا يجب ان ينظروا الى والديهم كاصدقاء اعزاء يحترمونهم ويحبونهم فانهُ يندر ان ينبغ رجلٌ عظيم من الاولاد الذين تقع عليهم قصاصات صارمة في طفوليتهم فيلزم تجنُّب ضرب الصغار الاّ اذا قضت الظروف في حالة العناد او ما اشبه »

ومنهم روسو من كتَّاب القرن الثامن عشر وفلاسفتهِ أَلف كتابهُ المشهور (اميل) وهو يتضمَّن افكارًا ساميةً في درس طبائع الصغار فانهُ درس احوال الاغنياء والفقراء وادرك شعورهم ومقاصدهم وعيوبهم

وبستالوتسي (Bestalozzy) من كتاب القرن الثامن عشر ايضًا وقد قضى حياتهُ يساعد اهل سويسره المظلومين وقد كتب على ضريحهِ « الكل لغيرهِ ولا شيءَ لهُ » ومعظم مدارس هذه الايام شيدت على مقتضى افكارهِ

اما الذين كتبوا في القرن التاسع عشر في التهذيب فكثيرون والان نورد خلاصة من اقوالهم ومعظمها للفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي المشهور قال « ان التهذيب هو إنماء جميع قوى الولد إنماء قياسيًّا . واسمي نوعٍ من التهذيب هو الذي يدفع المتعلم الى مواصلة تهذيب نفسهِ اي انهُ يتخذ ما تعلمهُ اساسًا يبني عليهِ بعد خروجهِ من المدرسة والتربية ينبغي ان تكون مناسبة لطبيعة الولد وسنهِ ونموّهِ وتقدمهِ . ويلزم ان يربى في الولد روح الحنو والمحبة للآخرين والاشتراك معهم في سرّائهم وضرّائهم وعلى المربي ألاّ يستعمل امرًا يدعو المربّى الى احتقار نفسهِ فيجب ان تكون القصاصات عادلةً مناسبة للذنوب واما الطاعة فيلزم ان تكون ارادية ومن يطع لكونهِ خائفًا من القصاص فهو عبد طاعة عمياء . والتهذيب ليس امرًا ظاهريًّا بل هو تدريب الانسان كيف يعيش عيشة حقيقية وكل تعليم لا ينشئ في الولد قوة على ضبط اهوائهِ الفاسدة فهو تعليم ناقص . فعلى المعلم ان يعقد في صدر التلميذ ان الادب الحقيقي هو احترام النظام وحقوق الآخرين . وارعب شيءٍ هو ترك الصغار بايدي الجهّال من الخدم والآباء والامهات والمعلمين . وكم من رجل لا يثق بامرأتهِ في وضع العلف لدابتهِ تراهُ يكل اليها امر تربية ولدهِ كان الدابَّة لديهِ اهم من ولدهِ . ومن اهم الامور في التهذيب

من اوربا وامركا انما كان تأثيرها في وجهات مختلفة فالفرق النصرانية مالت كلٌ منها الى ما يوافق مشربها من تلك الارساليات فزاد اختلاف النغمات في طنبور مشاربنا واذواقنا · ولما كانت عوامل التربية في سوريا اجنبية وكنا في حاجة اليها لقلة الوسائط الوطنية كان لا بدَّ لنا من درس الارساليات الاجنبية لانها موارد تعليمنا وتهذيبنا · وهذه الارساليات قسمان الاول رهبنية والثاني علمانية

اما الرهبنية فدعاتها رهبان وراهبات قدموا بلادنا وانشأوا فيها مدارس للصبيان والبنات واخذوا يستدرون لها الاموال من بلادهم ولا ينكر ما لهؤلاء من الايادي البيضاء في رفع شأن الانسانية فكم علموا من جهالٍ وربوا من يتامى متروكين فلهم على الوطن ديون ادبية عظيمة الَّا انَّا مع كل هذا لا نجهل انَّ تعليم هؤلاء المرسلين تعليم رهبنيٌ يقصد بهِ سوق المتعلم في طرقٍ خصوصية لا يتأتى عنها النفع الوطني المطلوب ولذلك ترى الممالك الكاثوليكية نفسها مثل فرنسا والنمسا انكرت على الاكليروس اساليبهم في التعليم واختطَّت لهم الحكومات اساليب جديدة والذين رفضوها منهم أُغلقت مدارسهم واستولت على اوقافهم

اما العلمانية التي اتت الينا فمعظمها اذا لم نقل كلها سكسونية · وهذه تختلف نظامات مدارسها عن تلك لانها تعتمد على تقوية الفاهمة اكثر من الحافظة فيخرج المتعلمون فيها اهل عملٍ في الهيئة الاجتماعية يستطيعون الخوض في ميدان الاعمال ومناظرات الحياة · ولذلك ترى السوريين عمومًا اخذوا يوجهون افكارهم في هذه الايام الى تعليم اولادهم في مدارس هذه الارساليات

فاذا انعمنا النظر في ما بسطناهُ الآن نستطيع ان نجيب على المسئلة الاولى فالجواب عليها انها تكاد تكون نهضة اجنبية لا وطنية · وحالتنا تختلف عن حالة اليابانيين مثلاً لان اولئك يرسلون شبانهم الى اوربا وامركا ليتعلموا و يعودوا الى بلادهم فيدير بعضهم مدارس البلاد بانفسهم فينمو في تلامذتهم روح وطني حقيقي

والجواب على المسئلة الثانية ان دائرة هذا الارتقاء ضيقة خلافًا لما توهم البعض من ان النهضة عامة . فهي تكاد تكون محصورة في النصرانية وسبب ذلك انَّ الارساليات التي قدمت سورية انما هي اجنبية تربطها كما المعنا بالفرق النصرانية رابطة الدين ولذلك تهافتوا عليها وكيفوا مدارسهم الوطنية على اساليبها . اما الامة الكبرى في البلاد اي الامة الاسلامية فهذه لاسباب قديمة في التاريخ لم ترَ نفسها ميَّالة الى إدخال اساليب الافرنج الى مدارسها · والجامع الازهر نفسهُ وهو اكبر جامعة اسلامية لا تزال اساليبهُ قديمة ولا

ان العصا دواءٌ لكل داء فيعالج بها الكسل والتراخي وتوسيخ الكتب والبلادة والعناد والكذب وكل نوع من الامراض العقلية والادبية

خرجت من هذه المدرسة ناقماً عليها وعلى المعلم وعلى اهلي وعلى العالم بأسره . ولم اكد اخرج منها حتى ادخلت في مدرسة اخرى انشأها المرسلون الاميركيون ولما وقع نظر المعلم علينا هشَّ وبشَّ وتأهل بنا وهذه اول مرة شاهدت معلماً يبشُّ ويترحب بتلميذ ثم اجلسني بجانبهِ وطلب مني ان اقرأ بعض اسطر فقرأت فوضع يدهُ على كتفي منشطاً فشعرت عند ذلك بزوال همٍ كبير عن صدري وقلت ان هذا المعلم غير ذاك وهذه المدرسة غير تلك وعند ما اخذ يعلمني الحركات وضبط الالفاظ بحسبها مع ايضاح المعنى وبعض مبادىء الحساب اكتشفت انهُ يوجد في الدنيا علوم غير المزامير ومما زاد رغبتنا في المدرسة ان المعلم كان يسمح لنا بفرص ويلعب معنا ولما كان راتبهُ ليس من الاهالي كان قلما يبالي بانتقاداتهم على اعطاء الفرص ولعب الاولاد وغير ذلك من الامور الحديثة التي لم يألفوها . ولم يمرعليَّ في هذه المدرسة سوى بضعة اشهر حتى صرت اقرأ مضبوطاً واعرف مبادئ الحساب

أيها السادة . وصفت مدرستي الاولى ليس لاظهر لكم انها كانت احط مدارس زمانها كلاَّ وانما قصدت بذلك ان أُبين طرفاً من حالة التعليم الوطني في بلادنا من عهد ليس ببعيد فان معلمي الاول ربما كان من صفوة معلمي زمانهِ وانهُ انما كان يفعل ما يطلبهُ منهُ ضميرهُ واهل التلامذة وربما كان يحسب اساليبهُ افضل اساليب للتهذيب . على انا اذا تأملنا نجد انهُ لا يزال الى الآن في زوايا سورية خبايا من هؤلاء المعلمين ولا نبالغ اذا قلنا ان القسم الاكبر من معلمي بلادنا غير اهلٍ للجلوس على كراسي التهذيب والتعليم لان معظم الصفات اللازمة للمعلمين الاكفاء لا توجد فيهم وامثال هؤلاء يضرون الجيل اكثر مما ينفعونهُ

وقد ذكرت ما ذكرت عن مدرستي الثانية لابين ان احتكاكنا بالارساليات الاجنبية رقى على نوع ما حالة التعليم في بلادنا من حيث المادة والاسلوب ولا يزال هذا الارتقاء جارياً من يوم الى آخر . ولكن هنا مسئلتان وهما

(١) ما عمق هذا الارتقاء

(٢) ما اتساع دائرة هذا الارتقاء

وتمهيداً للجواب على هذين السؤالين نقول انهُ قضي على بلادنا لاسباب عديدة ان تكون مجمع مذاهب ومشارب واذواق متنوعة . وعليهِ فان ارساليات التعليم التي اتت الينا

…عاً الذين يحبونهُ ولكن اياهُ وان يظهر ميلهُ هذا لئلاَّ يتلاشى

…علم بالتلامذة ناتجٌ عن نقصٍ فيهِ . فهم قد يريدون من كل
…تقدموا في دروسهم الاَّ ان عجز المعلم الاداري يقف في سبيل
…ف والانتهار والقصاص بالضرب كل ذلك لا يقوم مقام الاقتدار

…نهُ يندر خروجهُ الى حيز الفعل والتوبيخ اللطيف من افعل
…يكون على انفراد لئلاَّ يؤَدي الى المقاومة علنًا
…علم يعاقب اليوم على ما يتساهل بهِ غدًا فلا يتوقع احترام

…ن ان السلطة تستدعي ظهور المتسلط دائمًا بمظهر الخشونة والصرامة
… ان يظهر بمظهر التبسم والموآنسة
…رك ما يعلمهُ تمام الادراك وعليهِ ان يستعد خصوصًا لكل درس
…جدة للمواضيع القديمة بحسن اساليبهِ
…رح للتلامذة درسهم وهم غير مصغين اليهِ فاللوم عليهِ لانهُ لا بد
… فعليهِ ان يجري في الشرح على طريقة يشغل بها كل التلامذة
…اعطاء مقالات طويلة . لان عدم اتقان درس المقالة يضر بعقل
…ط فتقل اهمية التسميع عندهُ ويفقد اعتبار نفسهِ . ولا ينبغي
…اء اكثر من البلداء بل بالعكس
… المقالة للصف قبل انصرافهِ على طريقةٍ صريحة بحيث لا يحتاج
…قولهم اين او ما هي المقالة
… وهي قليل من كثير مما ذكرهُ ارباب هذا الفن وهي تنطبق على

جرجس الخوري
المقدسي

نصيب كبيرًا فيهِ للعلوم الرياضية والطبيعية بالنسبة الى العلوم الكلامية . على ان الحكومة المصرية الحالية اخذت تسعى في ادخال الاساليب الجديدة الى الازهر وغيرهِ من المدارس القديمة ولا تسل عن البركات التي يحصدها الوطن من ذلك اذ يخرج من هذه المدارس مئات سنويًّا قادرون على رفع شان البلاد

ولا بدَّ لنا في بحثنا هذا من الالتفات الى هذه الكلية . فالذي يعرف الكلية منذ بضع سنوات ويقابلها بما هي عليهِ الآن يجد فرقًا كبيرًا ليس في عدد التلامذة فقط بل في مواد التعليم والاساليب الجديدة . وهذه المدرسة هي ام المدارس الانجيلية في بلادنا لانها تحذو حذوها في كل امرٍ . وليس ذلك فقط بل مدارس سورية بوجه الاجمال تتمثل بالكلية وسوف تسير كلها على اساليبها وسبب ذلك ان تلامذة هذه المدرسة لفيفٌ من عناصر البلاد المختلفة فمتى خرجوا منها لا بدَّ من تأثيرهم في تحسين نظام التعليم في مدارس طوائفهم المتنوعة . وهي وان تكن اجنبية فقد بنيت في هذه البلاد لترقية شأن سورية

والآن اختم خطابي هذا ببعض نصائح وارشادات جمعتها عن اشهر الكتبة المحدثين بشأن فن التعليم لعلها تفيدنا في مهنتنا

(١) قد يمكن للانسان ان يعمل عملاً ميكانيكيًّا وقلبهُ وعقلهُ بعيدان عنهُ ولكن هذا لا يتهيأُ لهُ في معاملة الانسانية حيث يحتاج الى اظهار شعورهِ بعينيهِ وشفتيهِ وصوتهِ ويديهِ

(٢) على المعلم ان يجذب نحوهُ كبار المدرسة اذ يمكنهُ ان ينشئَ بواسطتهم رأيًا عامًّا وهذا يهون عليهِ ادارة المدرسة

(٣) اذا شعر التلميذ ان القصد من احد القوانين مجرَّد حب السلطة نفر منهُ ونتج عن ذلك تعب . فالطاعة يلزم ان تكون عن رضى القلب وعليهِ فلا نحاول تكليف التلامذة بالطاعة العمياء بل لنطالبهم بالطاعة لقانون يرونهُ لخيرهم . ولا يحسن تكثير القوانين والنظامات المدرسية

(٤) اتخذ التلامذة موضوع ثقتك وكن مخلصًا صادقًا مستقيمًا واعلم ان التلامذة يراقبون المعلّم ويدرسونهُ برغبةٍ وهو مهما تخلّق باخلاق غير اخلاقهِ فلا بدَّ من ظهورهِ امام تلامذتهِ كما هو فعليهِ ان يكون حسب ما يريدهم ان يكونوا

(٥) اذا فعل التلميذ امرًا مستقبحًا فعلى المعلّم ألاَّ يضيع رشدهُ . لان قوَّة المعلم الادبية تتضاعف اذا ضبط نفسهُ في الاحوال المهيجة . والحذر من ان يكون القصاص انتقامًا وتشفيًا فدع التلميذ يشعر انهُ انما يتحمل عاقبة عملهِ الخاص لا نتيجة تكديرهِ المعلم

طعام وامزجة الاجسام
في ذلك بين امة وامة فان الترتيب لازم وهو افيد العادات
بهِ يتمُّ الهضم بسهولة . مثال ذلك اني اعتدت ان اتناول
لت البيض بصنف آخر من الطعام الخفيف . وبعد ذلك
تناول البيض فأَبت معدتي الاَّ معاندتي فعسر الهضم او اخذ
ام الخفيف مدة فلما عدت اتناول البيض وهو اثقل منهُ كانت
راز القدر اللازم من العصارة المعدية لهضمهِ
تقوى وتصير سهلة فاذا احلف الانسان الى بيت الخلاء في
تغنيهِ عن تناول المسهلات الاَّ في حين الحاجة القصوى اليها
على ذلك الاشغال العقلية . ولقد قيل ان بلزاك الروائي
تسيل الاَّ بين الانوار اللامعة والاضواء المنيرة . وكثيرون
خين او شرب القهوة او سماع الموسيقى . وقيمة هذه الوسائل
لا في فعلها . فاذا كنت قد اعتدت التدخين قبيل الشغل
لا تسيل ما لم تدخن سيجارة فاجلس امام مكتبك واستبدل
خهُ فلا تلبث قريحتك ان تجري مجراها العادي
ب رائد اشغالنا واعمالنا وواسطة عقدها اذ مهما يكن لنا من
ها الاَّ اذا كانت موسومة بوسام الحكمة والترتيب وان نحقق
ميع اعمالنا مما يدلنا عليهِ الاخبار والملاحظة
في مقاومة الاميال المعوجة عند ما تبلغ رباها فيهِ ولكن مقاومتها
ستعصي . والغالب انها تأْخذ تستولي على الانسان حوالي سن
الاحتياط حينئذٍ ويستمر الاحتياط في سائر ادوار العمر لان
ات الرديئة ما دام حيًّا فهو في حاجة دائمة الى العلاج
ُّ عمل او فكر او امر من شأْنهِ اذا صار عادة فيك ان يتينك
وية الاميال الحسنة بالمزاولة والتكرار وثق انك بانتهاج هذا
الهناء واللذة في عملك . وما سرُّ نجاح الانسان في عملهِ الاَّ
مل بالترتيب فبها ينجح في الصالحات ويشقى في الطالحات

صالح حمدي حماد

التطبُّع

من مقالة نشرت في " الجورنال " الفرنسوي للدكتور تولوز المشهور

احتفل حديثاً بذكرى " ليبولت " في مدينة ننسي بفرنسا وهو اول من استنبط طريقة علاج الامراض بالتنويم والاستهواء . والغاية من طرق العلاج الادبية ازالة العادات الرديئة التي تأصلت في العقل واحلال غيرها محلها مما هو ادعى الى صحة الجسم وسلامتهِ من العطب . والانسان يمكنهُ ان يستفيد مما يرتبهُ لنفسهِ من القواعد في ذلك فينظم امورهُ ويقوّم أَودهُ

كلُّ عمل يتكرَّر من اعمالنا يصير عادة فينا . مثال ذلك اذا استيقظ الانسان من نومهِ ليلاً لصوت مزعج او سوء هضم او حرٍ او غير ذلك فقد يستيقظ في الليلة التالية في نفس الوقت الذي استيقظ فيهِ في الليلة التي قبلها من غير ان يكون السبب موجودا وربما يتكرَّر الاستيقاظ حتى يبيت عادة فيستولي الارق على الجسم ويورثهُ المرض

وهذا الحال من التعود او التطبُّع اساس التربية والشؤُون الصحية فان اعضاء اجسامنا وانسجتها تحفظ أَثر ما نعتادهُ من الاعمال كما يحفظ الثوب اثر طيهِ . واعصابنا تهيج تهيجاً شديداً عند ما نعمل عملاً ما لاول مرة فاذا كررنا العمل لم تعد تحتاج الآ الى تهييج خفيف قد لا نشعر بهِ فيما بعد فتندفع الى العمل من نفسها

ينتج من هذا انهُ يجب علينا ان نجتنب كلَّ عمل من شأنهِ ان يربي فينا عادة رديئة وخلقاً سيئاً . فالغلام الذي يدخن خفية اول سيجارة لا يلبث ان يزج في غمار المدخنين حتى يستعصي فيهِ فلا يتخلص منهُ الآ بمشقة . والرجل الذي يحقن جلدهُ بالمورفين مرة على سبيل التسلية قد يصير عبد تلك الآفة . وقس على ذلك شرب المسكر ولعب الميسر وما شابههما من العادات الرديئة . ومن هذا تظهر حكمة المثل العامي القائل " ليس من صعوبة الآ في الخطوة الاولى " وما يصح في الامور المعنوية يصح في الامور الحسية فان اصغر دمل واخفّ جرح يترك على بشرة الانسان اثرًا يبقى على مرّ السنين والايام

فبالتكرار يرسخ كلُّ ما نقوم بهِ من الاعمال وما يلابس نفوسنا من الخصال . وما عاداتنا سوى تقاليدنا الفسيولوجية . فقد اعتاد الانسان من قرون طويلة ان يقضي في نومهِ نصف الوقت الذي يقضيهِ في يقظتهِ فرسخت هذه العادة فيهِ حتى بات تغييرها صعباً والاَّ تعرَّضت صحتهُ للخطر . ومثل ذلك يقال في الطعام ولكنهُ اكثر قابلية للتغيير من النوم فالفرنسويين مثلاً لا يتناولون غداءهم في الوقت الذي يتناول جيرانهم الغداء فيهِ بسبب ما هناك من

ـعاء من اشدّ الطرق فعلاً في دفع الجوع (١)
ـرد تناولها في وجبة واحدة فيختلف بحسب العادة . فمعظم
ـوقات معينة . فاذا زادوا عليها شعروا بثقل في المعدة
ـة التي قلما تعتمد على التجارة والزراعة لتدبير معايشها بل
ـعتاد الفرد من افرادها التهام كمية كبيرة من الطعام دفعة
ـان لا يذخر شيئاً لغدهِ بل يعتمد في رزق كلّ يوم على
ـصهِ يرى ان خير ما يعملهُ ان يحشو معدتهُ الى آخر ما



بيت من بيوت قبائل الطنغوس وفيهِ حيوان الرنة

حتى يصيب صيداً آخر . قال احد المرسلين انهُ اضطرَّ هو
ـبي افريقية ان يشدُّوا مناطق الجوع حول خصورهم شدّاً
ـوقوا فيها طعاماً جامداً الى ان ظفروا بحمار وحشٍ فالتهموهُ
ارطال اكلها شواءً ثم غلبهُ النعاس فنام . وأفاق ليلاً فرأى

ـوع في خلال السير جعلوا الحصى في مناطقهم وشدُّوها حول خصورهم
عرب حوران يفعلون ذلك الى الآن

الطعام والجوع

لا أعجب في تاريخ حياة الحيوان ولا أغرب من تمييزهِ تمييزًا لا يقبل الخطاء بين الضارّ غير الضارّ لهُ من الطعام الاَّ نادرًا وذلك اذا قامت في نفسهِ شهوة تفوق في قوتها على الغريزة لأُولى . مثال ذلك اذا زربت المواشي مدة طويلة لم تعلف فيها الاَّ طعامًا جافًّا كالتبن الحبوب ثم سرّحت من مزاربها الى المروج والمراعي النضرة جعلت تلتهم كل ما تصيب في لريقها من العشب حتى انها كثيرًا ما تلتقم عشبًا سامًّا يميتها . ذكر لينيوس النباتي الشهير ثل ذلك منذ زمن طويل فقال انهم كانوا اذا اطلقوا سراح البقر في بعض القرى وارسلوها رعى بعد طول زربها جعلت تأكل الاعشاب السامة التي لم تكن تأكلها في الاحوال العادية كأنها فقدت غريزة التمييز بين ما يؤكل وما لا يؤكل منها . اما الانسان فليست غريزة ختيار الطعام الملائم صحيحة فيهِ صحتها في سائر الحيوان ولا سيما في دور طفولتهِ فان اختيار لعامهِ مناط حينئذٍ بوالديهِ ثم يكون مدارهُ بعد ذلك على العقل والاختبار

والكلام على الطعام يسوقنا طبعًا الى الكلام على شهوة الجوع التي تسبقهُ وماهيتها . ن قائل ان سبب الجوع احتكاك جدران المعدة بعضها ببعض في حال خلوّها من الطعام . من قائل انهُ نتيجة التهيج الحاصل من تجمُّع العصارة المعدية فيها وفعلهِ في جدرانها ومن ائل غير ذلك . ومهما يكن من الامر فالظاهر ان سببهُ مشاركة المعدة لسائر الاعضاء في لشعور بدليل ان فتحتها المعروفة بالبواب (وهي التي بين المعدة والامعاء) قد تصاب بمرض بنع عمل التمثيل فيشعر المريض بالجوع ومعدتهُ ملآنة طعامًا

ومن الناس مَن اذا لم يجد الطعام الملائم لهُ عمد الى طرق شتى يتعلل بها تخلصًا من لجوع . فترى البعض يمضغون التبغ وترى بعضهم يدخنونهُ . وروي انهُ اذا دهم الجوع الجنود ي اثناء السير الشاق الطويل جعلوا الحصى في افواههم تلهيًا عنهُ . وفي الشرق يتعلل الصينيون الافيون . وفي جنوب اميركا يجبلون الدلغان بشيءٍ من نبات الكوكا (الذي يستخرج لكوكايين منهُ) ويصنعون من الجبلة كتلاً صغيرة يبتلعونها عند الجوع . والهوتنتوت . كثيرون من البيض الذين يوغلون في داخلية افريقية للتجارة والابحاث العلمية يحملون ما يسمى بمناطق الجوع وهي مناطق يشدُّونها حول احقائهم اذا قلَّ زادهم وخافوا الموت جوعًا

ُ فدهشت من ذلك وسألت عما اذا كان يفعلهُ عن جوع
ولاعن ذاك بل عن عادة فان اهل ذلك البلد تعودوا منذ
كلوهُ متى اصابوهُ . فأعطيت الغلام شمعة مصنوعة من
ية فثالثة ففعل بهما فعلهُ بالأولى . ثم اعطاهُ احد رجالي
فالتقمهُ باسرع من لمح البصر ثم قطعة كبيرة من الصابون
ي



الثالث شابٌ من قبيلة الطنغوس

ن ما يصادفونهُ مهما اختلف نوعهُ وكميتهُ فغريبة تفوق
ولحم اي حيوان كان ولو انهُ جيفة نتنة فقد رأيت بعضهم

د من رجاله لا يزالون يأكلون وعاد فنام واستفاق مرارًا وهم يأكلون حتى انتفخت
نهم الطاوية وانطرحوا على الارض لا يكادون يستطيعون حراكًا



الشكل الثاني بنتان من بنات الطنغوس

وحكى بعضهم الحكاية الآتية عن قبيلة الطنغوس من اهل روسيا وسيبيريا (انظر الشكل
ول) وهي تدلّ على ما للعادة والاقليم والاميال الوراثية من التأثير في القابلية والقوة
اضمة قال : لما بلغت مدينة تبلاك رأيت غلامًا عمره خمس سنوات وقد انطرح على الأرض

بعد طبخها فاذا وزنها ٢٨ رطلاً فوضعتها امامهُ وكان قد اكل
امامهُ بنهم لم اعهدهُ قبلاً في احد ولم يبدُ عليهِ اقلُّ انزعاج
، من فرط امتلائها



ل الخامس صورة امرأة من نساء الجاكوت

بلية وتأثير النهم في بعض الامراض ان رجلاً أُصيب بحمى
شورًا على عظم حتى لم يعد اطباؤُهُ يرجونهُ فتركوهُ وشأنهُ وكانت
لاطباء يمنعونهُ من الاكل فلما أهملوهُ عزم على توديع هذه الدنيا
ون المآكل المغذية مهما تكن كميتها فطفق يأكل ست مرات
وضانٍ وطيور وغيرها من الاطعمة المغذية وشرابهُ اقوى الخمور

مراراً يأكل اربعين رطلاً من اللحم يومياً · ولا بدَّ ان يكون تركيب معدهم مختلفاً عن تركيب معدنا بدليل ان الواحد منهم يشرب الشاي او المرق دفعة واحدة وهو شديدة السخونة ولا يشعر باقل انزعاج · ورأَيت مرةً ثلاثة منهم اكلوا حيواناً من الرنه وهو يكاد يكون كالثور الصغير ولم يبقوا منهُ شيئاً · ترى في الشكل الثاني صورة بنتين من بناتهم وفي الثالث صورة شاب وفي الرابع صورة كاهن



الشكل الرابع كاهن من كهنة الطنغوس

وروى اميرال روسيٌّ عن قبيلة الجاكوت (في الشكل الخامس صورة امرأَة من نسائها) ما يؤَيد الحكاية المتقدمة قال :

قصَّ لي بعضهم كلَّ غريبة وعجيبة عن رجل اكول منهم فلما رأَيتهُ وجدتهُ نحيفاً ضئيلاً فلم اصدق ما سمعتهُ عنهُ فعزمت على تجربة قدرتهِ على الاكل بنفسي فأَعددت لهُ شوربة

ما يصيب اهل جزائر الهند الغربية من الوطنيين فان المصاب
اد والتراب . والنساء الهستيريات يصبن بشيء مثل هذا فان
كثيرًا مما يضرّهن كالدلعان مثلاً ويأكلنه اذا لم يمنعن من اكله
ف قابلية الانسان احيانًا الى حدّ ان يعيش زمانًا طويلاً
ن هذا القبيل ما سمع عن صيام بعضهم اياما بل اسابيع لا
او يشربون بعض السوائل . فقد روي عن فتاة اسمها جوهنا
تذق فيها سوى عصير الليمون والغالب ان الذين يدعون انهم
الغشّ والخداع جرًّا للربح فيأكلون ويشربون سرًّا اذ قد تبت
م لا يعيش بلا طعام ولا شراب سوى عشرة ايام على الاكثر
على ما هو مسطور فانهُ صبر على الصيام الى اليوم الثامن عشر.
والافعى والسلحفاة والحشرات وهي في دور الريز فانها تصبر عن
انسان ومثل ذلك الحيوانات التي تقضي معظم الشتاء في سبات
حيويتها في تلك المدة هما اهمّ الاسباب في احتمالها الصوم الطويل

زلزلة سان فرنسسكو

سكو ولم ينقضِ خبرها بل لا يزال صداهُ يرنّ في الآذان .
مهمة الجيولوجي والمؤرخ والباحث في العلة والمعلول عبرة
وترى المجلات العلمية ولا سيما الاميركية منها ملأى بتفصيل
ب ودمار وسبب ومسبّب وهذا يبدي رأيًا في ما يجب عملهُ
دفعًا للنكبة او تخفيفًا لوطأتها اذا لم يمكن دفعها . وذاك يخاطب
ليهِ من الحقائق العلمية الجيولوجية
خطبة خطبها الدكتور برانر رئيس احدى الكليات الاميركية
لم فبحث اولاً في علاقة الزلازل بباطن الارض ففيّل الرأي
رض مائع وقال ان الاعتقاد الشائع الآن بين العلماء هو ان بطن
فرقة مملوءة مادة مائعة وعلى ذلك فالمظنون ان ليس ثمة علاقة
ن . وكلّ الطبقات الجيولوجية رسبت في بادىء امرها على

بحيث كان يبلغ وزن ما يأكله كلَّ يوم ١٦ رطلاً من الطعام الجامد فلم يمض عليهِ الاَّ القليل حتى صار يبضهُ اقلّ اسراعاً واكثر امتلاء. واخذت قوتهُ تزيد حتى شفي تمام الشفاء. وهذا مما يدلُّ على ان الحمى قد تنشأُ عن ضعف في القوى(١)

زار احد مشاهير الاطباء بلاد نروج فكتب عنها فصلاً جديراً بان يعيرهُ الاطباء جانب الالتفات قال: يعجب الناظر الى فلاّحي نروج مما يراهُ على اجسامهم ووجوههم من لوائح الصحة والعافية. والنروجيون مشهورون بحسن الذوق المالية والتأنق في اعداد الطعام ومع ذلك لا ترى اثراً لداء سوء الهضم بينهم ولو اكل الكثيري ما يأكلهُ الواحد منهم لا تابي اسوء الهضم وقضى شهراً يأكل المآكل الخفيفة ولا يعلم هل السبب في ذلك العادة او الاقليم. فقد عالجت امرأة ارلندية مصابة بسوء الهضم حتى اعياني العلاج ولم تستفد شيئاً وقضت سنين طوالاً لا تأكل الاَّ ابسط اصناف الطعام ولم تذق الزبدة البتة. فسافرت الى نروج ولم تمض عليها شهور قليلة فيها حتى زال عنها كلّ اثر لسوء الهضم وكانت تأكل ما يأكلون وتكثر اكثارهم ولكنها اقتبست عادات اخرى من عاداتهم فكانت تنهض باكراً وتنام باكراً وتكثر من الرياضة نهاراً في الخلاء

والاطباء عموماً يحسبون سوء الهضم ناشئاً عن داء في المعدة نفسها والحقيقة ان معظم الاصابات بهِ ناشئ عن مشاركة المعدة لسائر الجسم في عواقب ضعف الم بهِ فتضعف مثلهُ. فان فقد الدم وكثرة الهموم وقلة الرياضة والنوم المتأخر وما شابهها آفات تفضي الى اضعاف جميع اعضاء الجسم والمعدة في جملتها فلا يفيد المريض والحالة هذه ان يصف لهُ الطبيب ترتيب امر طعامهِ وادوية يراد بها المعدة والكبد فان ذلك قد يزيد الطين بلّة بل لا بدَّ من تطلب مصدر الداء وسببهِ الحقيقي لا عرضهِ المرافق. فقد تضعف المعدة احياناً من التهاب السمحاق ويكون سبب ضعفها الارق الذي يجلبهُ هذا الداء. وقد تتعطل وظيفة الهضم بواسطة ردّ الفعل الناشئ عن اصابة احد اعضاء الجسم بمرض ما

وكثيراً ما تشتدُّ قابلية الانسان للطعام الى حدّ ان يحاول سدَّها باكل كل ما يتدَّم اليهِ فلا يغنيهِ ذلك عن جوع ولا يشفيهِ من قرم وهذا العارض هو ما يسمى بالجوع الكلبي او البقريّ وقد يصيب الذين بهم البول السكري. ذكر احد الاطباء رجلاً ادركهُ الجوع البقري فاتصل الى ان صار يأكل الاقذار سدًّا لجوعهِ واشتبهوا مرة في انهُ ذبح ولداً واكلهُ.

(١) وعلى هذا المبدإ يعالج المسلولون في مصحات اوربا فان معظم علاجهم يقتصرونهِ على الاكثار من اطعامهم المآكل المغذية وتنسم الهواء النقي مقاومة للحمى وما يعقبها من الهزال وخوار القوى

ف ومنها ما نقل من موضعهِ عدة اقدام ومنها ما نقلت طبقتهُ
ـبط السقف على الطبقة التي تحتهُ
زل ظواهر طبيعية ولولا ضررها لتمنى تكرارها ليتسنى لهُ

العطاس

(لميخائيل هويت)

ودلّ على ان الاوربيين يشمّتون العاطس
ـقاك الله من تترّ الرزايا يمنة وشمالا
لدرسة من أُغنيّة لاتينية . وهو دليل على اهمية العطاس

ونانيين والرومانيين والعبرانيين والهنود والفرس كثيرٌ مما
الشعوب ان الله عطس فكانت الاكوان من عطستهِ . وزعم
ـمالية ان العطسة فألٌ وشؤمٌ اي دليل على حادث مقبل
شرًّا. ولنبتدئ بانفسنا فلست اعلم أفي اهل الولايات المتحدة
، او يتشاءم بهِ ولكن لا مخرج لما من ان بعض اهل الولايات
جاؤوا منها من المزاعم في امر العطاس . وان تشميت العاطس
وج الى اسبانيا . واذا طلب الباحث اصل ذلك اضطرّ الى
ـعلهُ لا يجد لهُ اصلاً في تلك الازمنة فيضطرّ الى البحث عنهُ

، ايطاليا كلها في ايام القديس غريغوريوس ولعل تلك العلة
كانت تبلغ معظم شدتها اذا اخذ المصاب بها العطاس الشديد
"عطاس الموت" وفرض القديس غريغوريوس على من يبقى
ـل لمن يعطس "يباركك الله" او يرحمك الله . و يظن البعض

ـمانيين قبل زمن القديس غريغوريوس بزمن طويل فانهم

ضع افقيّ ولكن الضغط اشتدَّ عليها فتغضنت وتكمشت ثم تشققت عند سطح الارض وكلما
مبطنا في جوف الارض قلَّ التغضن حتى اذا بلغنا عمق ستة اميال كان الضغط على الطبقات
شديدًا جدًّا بحيث يمنعها من الانحناء فتضيع قوتهُ في مرونة الطبقات

هذا وان الاضطرابات التي تنتاب الارض على نوعين فمنها ما تجلبهُ البراكين ومنها ما
تجلبهُ الضغط فاذا حمل قسم من سطح الارض اكثر من طاقتهِ انشقَّ عما يليهِ وعقب انشقاقهُ
هزة ينتقل اثرها الى ما حولهُ في منحنيات غير منتظمة يختلف شكلها باختلاف قدرة الارض
التي تحدث فيها على الايصال ولا ينتقل ذلك الاثر في دوائر كما في الزلازل

وقد ظهر ان زلزلة سان فرنسسكو نشأت عن شقٍّ مثل هذا حدث على ساحل
الباسيفيكي فتوجه الدكتور المذكور لرؤيتهِ بعد حدوث الزلزلة فوجد ان اثرهُ يمتد على مسافة
١٨٠ ميلاً من الشمال الغربي عند مكان على الساحل اسمهُ راس اريناالى الجنوب الشرقي
ويمر على بعد ٨ اميال من سان فرنسسكو غربًا (اي في البحر) ثم يرتدُّ الى الساحل ثانيةً
ويتوغل برا في خطّ مستقيم تقريبًا . فالتموجات الحادثة عنهُ هي التي كانت سبب الزلزلة

والشقوق التي من هذا النوع كثيرة الحدوث في كليفورنيا ولا بدَّ انهُ كان يعقبها هزّة
و زلزلة في هذا المكان او ذاك كلما حدثت . وحركة الارض في الزلزلة الماضية كانت افقيَّة
اكثر منها عمودية وسعتها من عدة عقد الى ١٦ قدمًا اما الحركة العمودية فقد كانت سعتها
عدة عقد ولم تزد على ٣ اقدام فلم تكن كافية لاحداث موجة كبيرة في البحر تطغى على المدينة
وتزيد الكرب كربًا

قال ولحسن الحظّ حدثت الزلزلة ومعظم اهل المدينة نيام والاَّ لمات منهم اكثر ممن
مات اذ ان اكثر فعلها كان في اماكن العمل لا في اماكن السكن . ومن اغرب مشاهد
الزلزلة انها قلبت بعض الصور المعلقة على الجدران وجهًا لقفًا . ولم تلحق ضررًا بمنزل من
المنازل المتينة البناء ما عدا المنازل المبنية على الارض التي رصَّت بالصناعة

وكان يمثل كلامهُ بالفانوس السحري فأرى سامعيهِ صور الشق في اماكن كثيرة من
طريقهِ . فكان الشق اذا اصاب حائطًا من الحجر شطرهُ وكثيرًا ما ترك بين الشطرين فرجة
عرضها بين ١٤ و١٦ قدمًا . واذا اصاب شجرة فاما ان يقطع عروقها و يلقيها على الارض او ان
يشطرها شطرين . واذا مرَّ بجسر ازالهُ عن دعائمهِ . واتلف كل ما اعترض في طريقهِ من
انابيب الماء فكان ذلك ثالثة الاثافي اذ باتت المدينة بلا ماء يستعان بهِ على اطفاء نارها

أما المنازل فاختلف تأثير الزلزلة فيها باختلاف مواقعها ونوع بنائها فمنها ما دكَّ من

ف ومنها ما نقل من موضعهِ عدة اقدام ومنها ما نقلت طبقتهُ
ىبط السقف على الطبقة التي تحتهُ
زل ظواهر طبيعية ولولا ضررها لتمنى تكرارها ليتسنى لهُ

العطاس

(لميخائيل هويت)

ودلّ على ان الاوربيين يشمّتون العاطس
ِقاك الله من تترّ الرزايا يمنة وشمالا
لدرسة من أُغنيّة لاتينية . وهو دليل على اهمية العطاس

ونانيين والرومانيين والعبرانيين والهنود والفرس كثيرٌ مما
الشعوب ان الله عطس فكانت الاكوان من عطستهِ . وزعم
ىمالية ان العطسة فألٌ وشؤمٌ اي دليل على حادث مقبل
شرًّا. ولنبتدئْ بانفسنا فلست اعلم أفي اهل الولايات المتحدة
، او يتشاءم بهِ ولكن لا مخرج لنا من ان بعض اهل الولايات
جاؤوا منها من المزاعم في امر العطاس . وان تشميت العاطس
وج الى اسبانيا . واذا طلب الباحث اصل ذلك اضطرّ الى
لعلهُ لا يجد لهُ اصلاً في تلك الازمنة فيضطرّ الى البحث عنهُ

، ايطاليا كلها في ايام القديس غريغوريوس ولعل تلك العلة
كانت تبلغ معظم شدتها اذا اخذ المصاب بها العطاس الشديد
" عطاس الموت " وفرض القديس غريغوريوس على من يبقى
ل لمن يعطس " يباركك الله " او يرحمك الله . و يظن البعض

. مانيين قبل زمن القديس غريغوريوس بزمن طويل فانهم

ضع افقيّ ولكن الضغط اشتدَّ عليها فتغضنت وتكمشت ثم تشققت عند سطح الارض وكلما
هبطنا في جوف الارض قلَّ التغضن حتى اذا بلغنا عمق ستة اميال كان الضغط على الطبقات
شديدًا جدًّا بحيث يمنعها من الانحناء فتضيع قوتهُ في مرونة الطبقات

هذا وان الاضطرابات التي تنتاب الارض على نوعين فمنها ما تجلبهُ البراكين ومنها ما
يجلبهُ الضغط فاذا حمل قسم من سطح الارض اكثر من طاقتهِ اشقّ عما يليهِ وعقب انشقاقهُ
هزة ينتقل اثرها الى ما حولهُ في منحنيات غير منتظمة يختلف شكلها باختلاف قدرة الارض
التي تحدث فيها على الايصال ولا ينتقل ذلك الاثر في دوائر كما في الزلازل

وقد ظهر ان زلزلة سان فرنسسكو نشأت عن شقّ مثل هذا حدث على ساحل
الباسيفيكي فتوجه الدكتور المذكور لرؤيتهِ بعد حدوث الزلزلة فوجد ان اثرهُ يمتد على مسافة
١٨٠ ميلاً من الشمال الغربي عند مكان على الساحل اسمهُ راس ارينا الى الجنوب الشرقي
ويمر على بعد ٨ اميال من سان فرنسسكو غربًا (اي في البحر) ثم يرتدُّ الى الساحل ثانيةً
ويتوغل برا في خطّ مستقيم تقريبًا . فالتموجات الحادثة عنهُ هي التي كانت سبب الزلزلة

والشقوق التي من هذا النوع كثيرة الحدوث في كليفورنيا ولا بدَّ انهُ كان يعقبها هزَّة
وزلزلة في هذا المكان او ذاك كلما حدثت . وحركة الارض في الزلزلة الماضية كانت افقيَّة
اكثر منها عمودية وسعتها من عدة عقد الى ١٦ قدمًا اما الحركة العمودية فقد كانت سعتها
عدة عقد ولم تزد على ٣ اقدام فلم تكن كافية لاحداث موجة كبيرة في البحر تطغى على المدينة
وتزيد الكرب كربًا

قال ولحسن الحظّ حدثت الزلزلة ومعظم اهل المدينة نيام والاَّ لمات منهم اكثر ممن
مات اذ ان اكثر فعلها كان في اماكن العمل لا في اماكن السكن . ومن اغرب مشاهد
الزلزلة انها قلبت بعض الصور المعلقة على الجدران وجهًا لقفًا . ولم تلحق ضررًا بمنزل من
المنازل المتينة البناء ما عدا المنازل المبنية على الارض التي رصّت بالصناعة

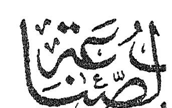
وكان يمثل كلامهُ بالفانوس السحري فأرى سامعيهِ صور الشق في اماكن كثيرة من
طريقهِ . فكان الشق اذا اصاب حائطًا من الحجر شطرهُ وكثيرًا ما ترك بين الشطرين فرجة
عرضها بين ١٤ و١٦ قدمًا . واذا اصاب شجرة فاما ان يقطع عروقها ويلقيها على الارض او ان
يشطرها شطرين . واذا مرَّ بجسر ازالهُ عن دعائمهِ . واتلف كل ما اعترض في طريقهِ من
انابيب الماء فكان ذلك ثالثة الاثافي اذ باتت المدينة بلا ماء يستعان بهِ على اطفاء نارها

أما المنازل فاختلف تأثير الزلزلة فيها باختلاف مواقعها ونوع بنائها فمنها ما دكّ من

ن في امر العطاس فهم يتفاءلون به خيرًا وليس في
يافو البلغ من ان يقول لهم "تعالوا اعطسوا معي"
ثابة ما يفعله او يقوله المضيف من شعوب الارض
الاسكيمو الكورتز ويخلطونهُ بمسحوق التبغ ويتخذونهُ
نظام لا يحتملهُ غير الاسكيمو. قيل ان ليس لهم من
سنشين يمشون على الجليد ليحصلوا على التبغ فتحصيل

ان يعلم شيئًا يمنعهُ من ان يعطس نخير اسباب دفع
و يضغط عليها بها

(عن المشرة الاسبوعية)



في اربعين ساعة

لعمل مركبة كبيرة من مركبات سكك الحديد في
لديد الهندية ببلاد الهند
ثنين الساعة ٨ ونصف صباحًا واعطوا المواد اللازمة
وكانت كلها معدّة لهم فجعل بعضهم يعمل في هيكل
يعملون الى الساعة ٤ ونصف بعد الظهر لان ساعات

لي والثالث الى يوم الجمعة الساعة الرابعة ونصف
حديدها وخشبها وفرشها ودهانها وزجاجها وانوارها
ات التي قضيت في عملها اربعون ساعة
كعبة من الخشب الاسترالي نشرت كلها وجليت
ا . وطول المركبة ٦٢ قدمًا وعرضها ٩ اقدام ونصف

كانوا يتطيرون بالعطاس تطيرًا شديدًا اذا كان في ارضهم وبأٌ ويستدلون بالع
وجوب تقديم صلاة لاحد الآلهة . فاذا عطس احدهم قال ياجوبيتر اعنّي فيدعو له
ويؤمنون . وهذا اصل هذه العادة من تشميت العاطس ومن ايطاليا استطارت ف
ويستدلُّ على اهمية العطاس من القول الشهير " ذلك شيءٌ لا يشمّتُ العاطس ف
ارادوا انهُ امرٌ جللٌ" . واذا عطس اليوناني انحنى الحضور بوقار شديد اذ يذكرون
اليهم اخبارهُ من امر وبأ العطاس الذي فرض مرةً سكان اثينا

والفرس والهنود يعتقدون ان العطاس انذارٌ بحضور روح شرير . اوجب ا
كتب الفرس المقدسة على من يسمع عطاسًا الصلاة فاذا عطس واحدٌ في جما
الصلاة على الجماعة كلها لان الشيطان كان مارًّا في الهواء فابصرهم فاخذ يدوّم ف
النزول ولا يريدهُ . والخلاصة انهم يعتقدون ان حركة الهواء التي احدث
الشريران هي علة عطاس الذي عطس

والعطاس عند الهنود ضدّ ما هو عند الفرس فان الاولين يعتقدون ان اله
تجب التهنئة بهِ فانهم يعتقدون ان علتهُ ان روحًا شريرًا يريد الخروج من حلقوم
فاذا عطس احدهم هتف " عيشوا " فيجيبهُ الحضور " معك " وفيما هم يهتفون يك
واحدٍ منهم فارجًا بين ابهام كلٍّ من يديهِ والوسطى إرهابًا للروح حتى لا يدخ
احد الحضور . وفي الصين حيث تراعى العادات كثيرًا ادابٌ للعطاس تجب مر
اعتناء فاذا رأى الصيني ان منخرَي صديقهِ يتشنجان وعلم انهُ عاطسٌ ادخل اصابـ
يديهِ في فروج الاخرى وانحنى انحناء الساجد حتى اذا عطس صديقهُ قوّم قامتهُ
عطس آملُ ان عظام اسلافك المشهورين لم يقلقها شيطان الارض

ولا يهتمُّ اليابانيون بالعطاس الاّ اذا كان العاطس ثعلبًا فانهم يبادرو
التقدمات في اقرب هيكل لاله الثعالب

ومن اهمّ ما يجب ذكرهُ من امر العطاس تعليق بعض الاقوام بهِ اهمية
اهل شمالي افريقيا في الزمن القديم اذا عطس احد عظمائهم نُفخ بالقرون وضر
إعلامًا لمن في الجوار من الامناء لذلك العظيم فينذرون النذور استرضاءً للآلها
فتبقيهِ معافًى . ولما دخل السبانيون اميركا تعجبوا من ان عند هنودها من الخرافا
هم . حدث يومًا ان واحدًا ممن في حضرة رئيس فلوريدا عطس فسأل الرئيس
يصلوا للشمس ويسألوها ان تدفع الويل المنذر العطاس بهِ

د القطرانية ولا يبقى الاَّ المادَّة الفحمية

الورق من حطب القطن

الورق من حطب القطن ويقدرون ان كل خمسة قناطير
ساً على الاقل . وقد أُلّفت شركة في بلطيمور بامركا رأس
ل الورق من حطب القطن وانتخب لها رئيساً المستر هارفي
نوية

في القطر المصري لعمل الورق من حطب القطن او ليس
عمل الورق وهل يستغني القطر المصري عن حطب القطن
وقود . هذه مسائل تستحق البحث حتى اذا ثبت ان عمل
لاد من حرقهِ وقوداً فالمجال واسع لاقامة معمل لعمل الورق
عية الورق صارت كبيرة جدًّا

تدبير المنزل

كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس
يعود بالنفع على كل عائلة

موسى الحلاقة

لات التي استعملها الناس واتقنوا صنعها منذ الوف من السنين
من قبل ايام داود . وكان المصريون يحلقون رؤُوسهم ولحاهم
ولا بدَّ من انها كانت شديدة المضاء والاَّ ما استمروا على

يس ايضاً في بلدان كثيرة ولا يزال شائعاً الى الآن . وقلما
أسهِ او وجههِ اثر . واذا كان من الذين يحلقون بيدهم فلا
الماضية اذا سنت لتزيد مضاؤُها فقد تبلط اي تكل حسب

وطول حديدها القائمة عليهِ ٦٠ قدماً وهي تمرّ على عجلات اربع في كل طرف بينهما ٤٠ قدماً وهي من المركبات المركَّبة اي ان جانباً منها من الدرجة الاولى يسع ٦ ركاب وسط وجانباً للدرجة الثالثة ويسع ٤٨ راكباً وجانباً للنساء ويسع ١٢ امرأة وفي مقدمها مكان للمدير وفيها ايضاً مكان لامتعة الركاب ويقول مديرو العمل هناك ان الصنَّاع الهنود الذين صنعوا هذه المركبة اثبتوا مهارتهم وخفَّة ايديهم الى حد يفوق الوصف فوق ما اثبتوهُ من اتقانهم لهذه الصناعة . وكان في طاقتهم ان يتموا عمل المركبة في اقصر من ذلك من الوقت ولكن لم يستحسن مديروهم ان يستعجلوهم والاقليم في بلاد الهند شديد الحرارة لا يتيسَّر فيهِ العمل الشاق ساعات كثيرة متوالية . وقد فُتِّشت المركبة جيداً يوم السبت فلم يوجد فيها اقل خلل ولا شيء يستدعي الاصلاح بل كانت تامَّة من كل وجه

فان كان العمال الهنود يستطيعون عمل مركبات الدرجة الاولى في بلاد الهند والعمل اصعب في اقليمها مما هو في القطر المصري فلا نرى ما يمنع العمال المصريين من عمل كل مركبات سكة الحديد في هذا القطر اذا أُحسن تعليمهم وتدريبهم

حفظ الخشب بالكبريت

استنبط بعضهم طريقة لحفظ الخشب من البلى والتشقق بواسطة الكبريت وذلك بان يذاب الكبريت في حياض كبيرة بواسطة البخار السخن وتغطَّس قطع الخشب فيهِ فيخرج منها ما فيها من الرطوبة ويدخل الكبريت بدلاً منها ثم تخرج قطع الخشب من الكبريت وعليها قشرة رقيقة جداً منهُ تظهر عليهِ كقشرة من الزجاج ولا يعود قابلاً للبلى

مسمار جديد

اذا اريد تسمير قطعتين من الخشب احداهما بالاخرى او لوحين من الخشب لا يكون التسمير متيناً الاَّ اذا التوى المسمار بعد دخولهِ في الخشب الاسفل وقد صنع مسمار جديد راسهُ مائل قليلاً من احد جانبيه فيدخل اللوح الواحد واللوح الثاني ولكن لا يبقى مستقيماً بل ينحني في دخولهِ حتى يصير كالقوس وبذلك يتمكن اللوح الواحد بالآخر جيداً

اقلام الفحم وصفائحهُ

ان اقلام الفحم في القنديل الكهربائي القوسي وصفائح الفحم في البطريات الكهربائية تصنع من الكوك اي الفحم الحجري الذي استقطر الغاز منهُ . يجفَّف الكوك ويسحق سحقاً ناعماً ويجبل بقليل من قطران الفحم ويوضع في قوالب ويضغط عليهِ بالمكابس المائية ثم يشوى

مقالة للمستر روزنهين نشرت في مجلة ستراند الانكليزية وسواءٌ
، فلا جدال في ان مضاء المواسي يعود اليها اذا ابطل استعمالها

لسع الحشرات

سع الحشرات ذوات الابر كالزنابير والنحل . فاذا لسعتهم فاول
يكن ذلك تم غسل مكانها بروح الامونيا (النشادر) وهذا
ا لم يتيسر الحصول عليهِ فليدهن مكان اللسعة بزيت الزيتون
رضع عليهِ . ويحسن مصُّ الجرح بالفم بعد نزع الحمة تخفيفاً
عة فلتوضع عليها لرقة بزر كتان

عضُّ الكلاب الكلبة

ساناً في يدهِ او رجلهِ وجب حالاً أن يشدَّ حبلٌ فوق
ّ الجرح بالفم وليس في ذلك خطر على من يمصُّ الجرح الا
ن .ولتصنع لرقة من التراب النقي المجبول بالماء وتوضع على الجرح
مادة كاوية يكوى بها . ومتى امكن ذلك ليغسل الجرح وليكوَ
، حالاً بعد الحادثة

لدغ الافاعي السامة

ب لعضة الكلب الكلِب اي يربط حبل ربطاً شديداً بين
ن الدمّ في الجسم ثم يمصُّ الجرح ويعالج بمثل ما تقدَّم ويسقى
كي او الكنياك مضافاً اليهِ بعض نقط من ماء الامونيا.ويحسن

الرُّضوض

الى الارض وهم يلعبون فيرضُّ مكان السقطة من اجسامهم اي
الم . وسبب الورم والازرقاق انفجار عرْق صغير . وكلُّ لرقة
ض فيمتنع خروج الدم منهُ . ويتغير لون الدم الذي خرج من
خضر ضارباً الى الزرقة فاخضر فاصفر ثم يعود اليهِ لونهُ الطبيعي
هن مكان الرضّ بالفازلين او زيت الزيتون مرتين في اليوم

الظاهر فيضطر ان يجلخها حتى يعود اليها مضاؤها . وقد يعود اليها المضاء بتركها مدة طويلة او قصيرة ولو لم يسنها ويقول الحلاقون ان الموسى صامت ولم تعد تقطع ثم اذا تركت تعود حادَّة كما كانت وقد يعالجونها بالاحماء ولو بالماء السخن فتعود ماضية . وكل ذلك من الغرائب التي لم يظهر تعليلها الاَّ حديثاً

والموسى الماضية دقيقة الحد جداً حتى لو نظر اليها بميكرسكوب يكبر الخطوط الفاً وخمس مئة مرة لم يبن حدُّها فيهِ الاَّ مثل خط دقيق لان الفولاذ (الحديد الصلب) صغير الدقائق متماسكها فيصير بالسن على غاية الدقة لكن اذا نظرت بالميكرسكوب الى حد موسى ماضية وحد موسى مبلطة ظهر حد الموسى الاولى مشرَّماً كانهُ طرف المنشار وحد الموسى الثانية مستوياً صقيلاً فالحد الاول المشرَّم ينشر الشعر نشراً فيحلقهُ بسهولة واما الحد الثاني فيزلق على الشعر زلقاً ولا يحلقهُ مع انهُ قد يكون ادق من الحد الاول

ويظهر بالميكرسكوب ان حد الموسى غير مستوٍ بل مائل الى احد الجانبين حسب الحركة الاخيرة في سنهِ او تطسيمهِ على القايش فاذا طسمتهُ في المرة الاخيرة الى جهة صدرك مال حدهُ الى جهة اليمين واذا طسمتهُ الى الجهة الأُخرى مال حدهُ الى اليسار فالحد المائل الى اليمين يحلق الحد الايمن بسهولة ولكنهُ لا يحلق الحد الايسر الاَّ بصعوبة لانهُ يزلق على الشعر زلقاً والضد بالضد . وامر ذلك واضح لمن ينعم نظرهُ فيهِ

بقي ان حديد الموسى مرن جداً وهو سهل اللي مثل كل قطع الحديد الرقيقة جداً او الدقيقة جداً ولكنك اذا لويت سلكاً من الحديد الى اليمين ثم الى اليسار واعدت ليهُ الى اليمين ثم الى اليسار مراراً كثيرة فانهُ يطاوعك في اول الامر ويلتوي لانهُ لين ولكن اذا كررت ذلك مراراً كثيرة لايعود يلتوي بسهولة بل يصير صلباً ثم يتقصف من شدة صلابتهِ . وقد عرف بالاختبار ان الفولاذ اللين اذا صار صلباً باللي المتوالي ثم ترك مدة طويلة عاد ليناً كما كان قبلاً كأن دقائقهُ تبتعد في بعض النقط وتجتمع في غيرها بسبب اللي المتوالي فاذا تركت وشأنها عادت الى وضعها الطبيعي وهذا يفسر صوم الموسى اذا كثر استعمالها فان التواء حدها بالسن والتطسيم يقلل مرونتهُ ويزيد صلابتهُ فلا يعود يعتدل من نفسهِ اذا التوى فيزول مضاؤُهُ ولكن اذا ترك حينئذٍ مدة طويلة عادت مرونتهُ اليهِ على ما تقدَّم فعاد ماضياً كما كان ولذلك يقولون ان المواسي تتعب بالاستعمال وتستريح بالاهمال وتعود اليها خاصَّة المرونة اذا احميت قليلاً بوضعها في ماءٍ غالٍ ويصدق ذلك على المواسي وعلى كل آلات القطع التي تصوم من كثرة الاستعمال

صدع المفاصل

او تفتتها او تمزقها على اثر سقطة وكثيرًا ما يصحب ذلك
كانفجار الاوعية الدموية وما اشبه . فاذا كان الصدع في
ر المرضوض كما تقدم واذا لم يشفَ الصدع في عدة ايام
يحتاج الى عناية لا تقل عن العناية بالعظم المكسور ومن
راش
او المرفق ولم يكن شديدًا فلا مانع من خروج المصاب
كما يفعل عادة

كسر العظام

ب . فالبسيط هو ما انكسر العظم فيهِ ولم يصحب انكساره
سر العظم فيهِ وصحب انكساره انعطاب شريان او مركز
لجلد او تشقق في العظم نفسهِ . وسواء كان الكسر بسيطًا او
لعظم

التسمم

ث "التسمم" استدعاء الطبيب . والطبيب يبدأ بتفريغ
ب مقيئًا واما بطلمبة المعدة ومن ابسط المقيئات واسلها الخردل
رطل من الماء جرعتين بين الجرعة الاولى والثانية ربع ساعة
لقيء . والماء الحار افضل من البارد وليكثر المصاب من شرب
يغسل المعدة مما فيها . واذا عقب ذلك الم في البطن دلّ
الى الامعاء فيجب والحالة هذه حقن المصاب تكرارًا بكميات
ن من كثرة استعمال الماء شربًا وحقنًا تلطيف السمّ قبل
لاختبار انهُ يمكن تلطيف كلّ السموم بتكرار استعمال الماء
ر منها
رم القيء والبعض الالم الشديد والبعض النعاس . فاذا غلب
ضربهِ بين كتفيهِ وصبّ الماء على رأسه الى ان يحضر الطبيب
رف السمّ وجب ان يؤخذ ترياقهُ حالًا

وقد يتفق احياناً عند سقوط الولد ان يصدم رأسهُ الارض ويغمى عليهِ وحينئذٍ فلتحلّ
ارهُ وليضجع على ظهرهِ وليمسح وجههُ بماءٍ بارد فيفيق والاَّ فاذا امتقع لونهُ واخذ يتقيأ
حسن ان يستدعى الطبيب . وكثيرًا ما تكون سقطة مثل هذه اساسًا لنوب عصبيةّ
ب صاحبها من حين الى حين

الجروح

اذا جرح احدٌ جرحًا انقطع بهِ وعاءٌ دمويٌ كبير فان الحالة قد تكون ذات خطر .
عاء الدمويُّ المقطوع اما ان يكون شريانًا او وريدًا والتمييز بينهما لازم قبل الشروع في
ف النزف . فاما دم الشريان فيكون احمر قانيًا وخروجهُ يكون في دفعات منتظمة متقطعة
افقة لنبضات النبض واما دم الوريد فيكون احمر مزرقًا ونزفهُ مستمرًّا لا متقطعًا
فاذا كان العرق المقطوع شريانًا فاضغط باصبعك عليهِ بين الجرح والقلب وارفع يد
يح او رجلهُ التي انقطع الشريان فيها الى فوق وليبقَ ساكنًا لا يتحرك وليدعَ الجرّاح
لاً . ولتغطس قدما الجريح في ماءٍ سخن في اثناء ذلك وليطعم طعامًا سائلاً مغذيًا وليُسقَ
الخصوص ما استطاع من الماء
واذا كان العرق المقطوع وريدًا فليضغط عليهِ بين الجرح وطرف اليد او الرجل التي هو
الى ان يحضر الجرّاح وليس في انقطاع الوريد من الخطر ما في انقطاع الشريان

الرُّعاف

الرُّعاف نزول الدم من الانف وقد يكون نافعًا في بعض الاحوال وذلك اذا نشأَ عن
لاءٍ دمويٍ فيجب ان لا يُقطع حالاً الاَّ اذا كان المصاب ضعيف البنية فيجب ان يضنَّ
ل نقطة من دمهِ
ولمنع الرّعاف اجلس المصاب على كرسيٍّ وضع اسفنجة مبلولة على انفهِ واجعلهُ يتنفس
فمهِ وامنعهُ من الانحناء الى الامام . وكثيرًا ما يكفي لقطع النزف ان يغسل المصاب وجههُ
ء بارد . ويحسن وضع الثلج على الانف او الجبين او القفا . وليضغط على الشرايين التي
د المنخرين او التي عند اعلى الانف بين العينين . وكثيرًا ما يفيد تغطيس القدمين في ماءٍ
ن لانهُ يحوّل الدم من الرأس اليهما . واذا لم ينفع ذلك كلهُ فليحشَ المنخران بقطن او
الة كتان اما جافةً او مبلولة بمحلول الشب في الماء الحارّ وليبقَ المصاب هادئًا . واذا تكرر
رُعاف كثيرًا فلينتبه للصحة اذ كثيرًا ما يكون السبب ضعفًا في البنية

وموسم القطن الكبير الذي جناهُ الاميركيون سنة ١٩٠٤ بلغ ١٣٦٩٣٢٧٩ بالة وهو ن الولايات التالية

من تكساس	٣١٣٠ ٩٦٤	بالة
« جيورجيا	١٩٩١ ٧١٩	
« مسوري	١٨٠٨ ٧٩٢	«
« الاباما	١٤٧٠ ٦٧٤	«
« كارولينا الجنوبية	١٢٠٧ ٥٩٥	«
« لويزيانا	١١٠٧ ٧٤٦	
« اركنساس	٠٩١٦ ٩٣٠	«
« كارولينا الشمالية	٠٧٥٨ ١٧٠	
« التريتوري الهندية	٠٤٦٨ ٨٩٢	«
« اوكلاهوما	٠٣٤٢ ٠٥٢	«
« تنسي	٠٣٢٩ ٩٥٩	«
« فلوريدا	٠٠٨٨ ٩٠٥	«
« مسوري	٠٠٥٠ ٧٧١	«
« فرجينيا	٠٠١٨ ١٧٤	«
« كنتكي	٠٠٠١ ٩٢٢	«
« كنساس	٠٠٠ ٠١٤	«

وزرع التبغ في العام الماضي في ٧٧٦١١٢ فدانًا فبلغ محصولها نحو ٦٣٣ مليون ليبرة يقدر ثمنها بنحو عشرة ملايين من الجنيهات

وكان في اطيان الولايات المتحدة من المواشي في العام الماضي ما تراهُ في هذا الجدول

بقر	٦١ ٢٤١ ٩٠٧
خنازير	٤٧ ٣٢٠ ٥١١
غنم	٤٥ ١٧٠ ٤٢٣
خيل	١٧ ٠٥٧ ٧٠٢
بغال	٠٢ ٨٨٨ ٧١٠

باب الزراعة

البلدان الزراعية

يحسن بارباب الزراعة في هذا القطر ان يكونوا على بينة من امر البلدان الزراعية واحوال
عة فيها ولذلك جمعنا لهم هذه الفصول وقد ذكرنا فيها البلدان الزراعية وما يزرع في كل
ومقدار ما يزرع منهُ عادةً

(١) الولايات المتحدة الاميركية

هي اوسع البلدان زراعة تكاد كل ولاية منها تكون مملكة زراعية فتبلغ مساحة الاراضي
تزرع فيها اكثر من ٤٠٠ مليون فدان واكثرها اباعد صغيرة مساحة الابعدية منها من
ين فداناً الى خمس مئة فدان وثمن حاصلات هذه الاطيان السنوي اكثر من الف مليون
الجنيهات. ولو كانت الزراعة في القطر المصري على نسبة ما هي عليهِ في اميركا لوجب ان
ن مساحة اطيان القطر المصري ستين مليون فدان وهي اقل من ستة ملايين وان تكون
حاصلاتها السنوية ١٤٧ مليون جنيه وهي لا تزيد على ستين مليون جنيه

وقد زرع الاميركيون في العام الماضي ٩٤ مليون فدان ذرةً بلغ حاصلها ٢٧٠٧ ملايين
وزرعوا ٤٨ مليون فدان قمحاً بلغ حاصلها ٦٩٣ مليون بشل وزرعوا ٢٨ مليون فدان
بلغ حاصلها ٩٥٣ مليون بشل فجملة الاراضي التي زرعوها من هذه الحبوب ١٧٠ مليون
ن بلغ حاصلها ٤٣٥٢ مليون بشل

وقد زرعوا ايضاً الشعير في خمسة ملايين فدان فاستغلوا منها ١٣٧ مليون بشل والكتان
لميونين ونصف من الافدنة فاستغلوا منها ٢٨ مليون اردب من بزر الكتان والارز في
٤ الف فدان فاستغلوا منها ١٣ مليون بشل والبطاطس في ثلاثة ملايين فدان فاستغلوا
٢٦٠ مليون بشل

ولعلف المواشي شأن كبير عندهم كما لهُ عندنا وهم يعتمدون على النبات الذي ينبت في
عي من نفسهِ فترعاهُ المواشي اولاً ثم تبعد عنهُ الى ان يكبر فيجز ويجفف ويحفظ في مخازن
ة لهُ. وكانت مساحة الارض التي فيها نبات العلف في العام الماضي اكثر من ٣٩ مليون
ن وبلغ وزن العلف الجاف منها ستين مليون طن وهو يساوي اكثر من مئة مليون جنيه

ويبلغ صافي دخل الحكومة من حراجها اكثر من ٥٠ مليون

السماد وقصب السكر

بت في تسميد قصب السكر ان السماد لا يفيد القصب الذي
واكثرهُ فائدةً نيترات الصودا حتى يكون مقدار النيتروجين
، الفدان ١٧ طنًّا واربعة اعشار الطن من القصب . ويتلوهُ
دار النيتروجين ٦٠ ليبرة لكل فدان فان الحاصل من
ويأتي بعدهُ نيترات الصودا حتى يكون النيتروجين ٤٠ ليبرة
طنًّا لكل فدان
ان السماد النيتروجيني اصلح من غيرهِ لقصب السكر لكنهُ

القطن المصري

. من القطن المصري حتى ٢٤ اغسطس ٥٨٧٧٢٥٦ قنطارًا
٦٢٢٩ قنطارًا فالنقص في الموسم الاخير عن الذي قبلهُ
، ان الموسم الماضي اقل من ستة ملايين قنطار خلافًا لما قدرتهُ
در منهُ الى البلدان المختلفة على نسبة قلتهِ فالولايات المتحدة
ر وقد اخذت من الموسم الماضي ٦٠٠ الف قنطار وانكلترا
ار وقد اخذت في العام الماضي مليونين و ٩٩٦ الف قنطار.
لمتأخرات عما كانت في العام الماضي نحو ١٤٠ الف قنطار
: قلة الموسم لكن صدر منها اكثر مما صدر في العام الماضي

هذا العام ولكن لا شبهة في ان القطن الذي تأخر ريهُ
، لوزهُ وسقط بعضهُ هذا في الوجه البحري اما الوجه القبلي

ويقدر ثمن هذه المواشي باكثر من ستمائة مليون جنيه . وفي الولايات المتحدة اكثر من ١٨ مليون بقرة حلاَّبة عدا البقر التي في الاطيان وقد حلبت في العام الماضي ٧٧٢٨ مليون جالون من اللبن واستخرجت المعامل ٢٢١ مليون ليبرة من الزبدة وصنعت ٢٨٣ مليون ليبرة من الجبن و١٨٧ مليون ليبرة من اللبن المجمَّد . والبقر التي في الاطيان استخرج من لبنها ١٤٩٣ مليون ليبرة من الزبدة و ٢٩٩ مليون ليبرة من الجبن

وفي الولايات المتحدة ما مساحتهُ ٦٣ مليون فدان من الحراج التي تخص الحكومة عدا الرياض العمومية التي تبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون فدان ومساحة كل الاراضي المغطاة بالحراج مليون ميل مربع او نحو ٦٠٠ مليون فدان نصفها يسهل الوصول اليه لقطع اشجارهِ . والخشب الاميركي مشهور ويباع منهُ في السنة ما ثمنهُ نحو ١١٥ مليونًا من الجنيهات

(٢) روسيا

بلغت مساحة الاراضي التي زرعت حبوبًا في روسيا سنة ١٩٠٤ نحو ٢٢٥ مليون فدان والتي زرعت بطاطس ١٠ ملايين فدان والتي تركت مراعي ٩٢ مليون فدان والجملة ٣٢٧ مليون فدان واكثرها في اوربا وبلغت حاصلات الحبوب سنة ١٩٠٤ نحو ١٥٠٠ مليون قنطار مصري وكان عدد السكان حينئذٍ نحو ١٢٠ مليون نفس نخص النفس منهم نحو ١٢ قنطارًا مصريًّا واذا حسبنا ان كل بيت مؤَلف من ٥ انفس على المتوسط فالحاصل لكل بيت ٦٠ قنطارًا مصريًّا ولا ندري بعد هذا كيف تكون البلاد فقيرة والزراعة منحطة فيها

ثم انهُ يستغلُّ منها في السنة نحو ٥٦٠ الف طن من الكتان و ٤٦٠ الف طن من القنَّب او التيل وفي عبر بحر قزبين كروم كثيرة استخرج منها سنة ١٨٩٩ نحو ١٧ مليون جالون من الخمر وزرع في روسيا سنة ١٩٠٢ نحو ١٦٤ الف فدان من التبغ بلغ حاصلها ٩٩ الف طن ويزرع فيها الرز والقطن وفيها نحو ٤٠ مليونًا من البقر و ٦٤ مليونًا من الغنم والمعزى و ٣٠ مليونًا من الخيل و ١٤ مليونًا من الخنازير

وفي روسيا الاوربية ٤٧٤ مليون فدان من الحراج وفي فنلندا ٥٠ مليونًا وفي بولندا نحو ٧ ملايين وفي القوقاس ١٩ مليونًا ومجموع ذلك ٥٥٠ مليون فدان او نحو ٣٩ في المئة من الارض كلها . ونحو ثلثي هذه الحراج للحكومة الروسية فلها في اوربا ٢٨٩ مليون فدان وفي القوقاس ١٣ مليون فدان وفي سائر البلاد في اسيا ما عدا بلاد امور ٣٦٢ مليون فدان وفي

وسائر المشرق . والكتاب كبير الحجم فيهِ ٣٣٦ صفحة وثمنهُ عشرة غروش صاغ . وهذا الثمن قليل في جنب ما يحتويهِ من الفوائد الجمّة

نحن والرقي . في سبيل الحياة

هذان موضوعا كتابين اهداهما الينا حضرة الكاتب الفاضل صالح بك حمدي حماد . بحث في الكتاب الاول منهما في مواضع ضعف الشرقيين ونقائصهم الادبية وعيوبهم العائلية وسائر احوالهم الاجتماعية من معاش وصناعة وتجارة وثروة وعلم ودين وادب ومبلغهم من التمدن الحديث . وأبان ما يجب رفضهُ من ذلك التمدن وما يجب مجاراة اهلهِ عليهِ . قال في فصل نقائصنا الادبية ما يأتي

نعم نعم ان نقائصنا الادبية بازاء الغرب الآن اشهر من نار على علم اذا افتخر القوم هناك بالصدق مثلاً واتصفوا بهِ خجلنا نحن هنا من حالنا وميل جمهورنا صغاراً وكباراً الى الكذب في المقال . واذا ظهرت في افعالهم العدالة والاستقامة ومراعاة روح القانون والشرع المشروع اي اداء الحقوق والقيام بكل الواجبات الادبية والشرعية اكتفينا نحن بتمجيد تلك الخلال فيهم وتأسفنا على انا لسنا اهلاً لمجاراتهم فيها : واذا التفوا حول الجامعة الوطنية حاولنا نحن الانشقاق والافتراق بواسطة سخف التعصبات الدينيَّة والمذهبيَّة . واذا ظهروا بمظهر الجد والاباء وجودة الآراء والاذواق والاتحاد وعدم التزلف والرياء قلنا هذه القوة نتيجة القوة وتلك السطوة الخصوصية نتيجة السطوة العمومية . والحقيقة ان لا هذا ولا ذاك وانما هي بالاكثر التربية . التربية وحدها هي التي عرفت القوم الحقوق والواجبات وغرست في نفوسهم الفضائل في كنف النظام الجيد العادل منذ نعومة الاظفار فكانت لهم نعم العون كباراً فرادى وجماعات وأهملها او تفاهتها عندنا اضطراراً او اختياراً حتى هذه الغاية مما لا عذر لنا اليوم فيهِ هو الذي عكس حالنا وان لم نتلافاهُ لنزيد حطًّا في آدابنا واحوالنا لاعتبارات كثيرة اهمها قلة المادة الادبية لدفع شرور المدنية العصرية

وبحث في الكتاب الثاني في الحياة من علميَّة وعائليَّة وادبيَّة ودينيَّة وفكريَّة وختمهُ بفصل حكم ونصائح عصريَّة . فنثني عليهِ لاجتهادهِ في خدمة الامة

رواية من الملوم

قصة واقعية حدثت بين شاب سوري وفتاة فرنسوية في كندا سنة ١٩٠٤ وقد افرغها

باب التقريظ والا

ابدع ما نظم في الاخلاق

هذا عنوان ديوان لصاحبهِ الشاعر الاديب يوسف
قسمان قسم من نظمهِ وقسم قال في المقدمة انهُ جمعهُ من
والقسمان متداخلان الواحد في الآخر فيورد صاحب الد
الشاعر او ذاك وهكذا الى آخر الديوان · وقد بدأهُ بق
وهي التي يقول في مطلعها " اوصيكم بما وصّى اباكم "
وفي الديوان ثلاث قصائد من نظم المرحوم الشيخ
المرحوم عبدالله باشا فكري المصري وكلاهما حديث العه
عموم الاوقاف المصرية ويباع في مكتبة البدائع بثما
غروش صاغ

حواء الجديدة

او ايفون مونار اسم رواية وضعها حضرة الكاتب ا
موضوعاً اجتماعياً في خلال قصة غرامية · قال واضعه
الهيئة الاجتماعية تتساهل مع الرجل وتظلم المرأة فان الر
تشقى بهِ وهذا يخالف مبدأ المساواة· ومن الامور التي
الرواية " ان تربية الفتاة غير كافية لصيانة عفافها بل
محتشمة وانها هي وحدها المسأولة عن نفسها وان المرأة ب
ولغة الرواية حسنة صحيحة مثل سائر ما كتبهُ او ترج

القواعد المنطق

اهدى الينا حضرة الاب الفاضل الخوري جرج
المنطقية عرّبهُ عن كتاب فرنسوي الفهُ الاب تونج
وامثلة استخرجها من كلام القوم وقدمهُ الى غبطة البط

وقال احمد بن محمد بن المدبر الكاتب

وكم بالشام من شرف وفضل ومرتقب لدى برٍّ وبحرِ
بلاد بارك الرحمن فيها فقدَّسها على علم وخيرِ
بها غرر القبائل من معدٍّ وقحطان ومن سروات فهرِ
اناس يكرمون الجار حتى يجير عليهم من كل وترِ

وقال البحتري

عنيت بشرق الارض قدماً وغربها اجوّب في آفاقها واسيرها
فلم ارَ مثل الشام دار اقامة لراحٍ اعاديها وكاس اديرها
مصحَّةُ ابدان ونزهةُ اعين ولهو نفوس دائم وسرورها
مقدَّسة جاد الربيع بلادها ففي كل ارض روضةٌ وغديرها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) نور الحباحب

بيروت . احد القراء . نرى نوعاً من الديدان ينير ليلاً كأنهُ سراج صغير وهو المسمَّى عندنا سراج الليل فما هي المادة التي تنير فيهِ وما هي فائدتها لهُ

ج المظنون ان في الاماكن التي تنير من هذه الحشرات حويصلات دهنية يصل اليها الاكسجين من شعب دقيقة كالتراقي ويشعل دهنها فينير الَّا ان ذلك غير محقق . والغالب ان الانارة تكون محصورة في الانثى والغرض منها اهتداء الذكر اليها وقد تكون في الذكر والغرض منها جذب الانثى اليهِ فهي من وسائل حفظ النوع واسم هذه الحشرة الحباحب

(٢) قبر موسى

ومنهُ . اخبرني احد اللبنانيين انهُ رأى مكاناً في لبنان يقال انهُ قبر سيدنا موسى عليهِ السلام وحجارتهُ تحترق كالحطب فهل

في قالب روائي حضرة الكاتب الاديب ميخائيل ناصيف زربطاني من الشبان السوريين في اميركا · وملخصها ان شابًا سوريًا احبَّ فتاة فرنسوية واحبتهُ ثم فُصل بينهما بسبب مقاومة اهل الشاب ولكنهما بقيا حبيبين محبين وخاين وفيين . و يقول المؤلف انهُ لم يذكر في روايتهِ سوى الحقيقة بلا زيادة ولا نقصان

بلوغ الأرب

اسم كرّاس صغير اصدرهُ حضرة الاديب احمد افندي السجاعي الازهري وشرح فيهِ قصيدة السموأل المشهورة التي مطلعها " اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ " وميمية ابي الاسود الدوَلي التي مطلعها " حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيهُ " وهي مثل قصيدة السموأل شهرة . وقصيدة ابي الفتح البستي التي مطلعها " زيادة المرء في دنياهُ نقصان " وهي لا تقلُّ عنهما شهرة . ومرثية ابي الحسن التهامي التي مطلعها " حكم المنية في البرية جارِ " وهي من القصائد التي يتمثل بها · وفيهِ شرح قصيدتين اخريين

منتخبات المؤيد

اصدرت مطبعة المؤيد مجلدًا سمّي منتخبات المؤيد وهو يحتوي نخبة المقالات التي نشرت في جريدة المؤيد للسنة الاولى من صدورها وهو حسن الطبع كثير الفوائد

عجائب البلدان

صدر المجلد الخامس من عجائب البلدان لياقوت الحموي وهو كالاجزاء السابقة في جودة الطبع وينتهي في آخر حرف الضاد اي عند نصف الكتاب

وممَّا طالعناهُ في هذا الجزء كلام مسهَب عن بلاد الشام قال فيهِ " روي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انهُ قال قُسم الخير عشرة اعشار فجعل تسعة اعشار في الشام وعشر في سائر الارض وقسم الشر عشرة اعشار فجعل عشر بالشام وتسعة في سائر الارض · وقال احمد بن عمر بن يزيد الصغاني اني لاجد ترداد الشام في الكتب حتى كأنها ليست لله تعالى حاجة في الارض حاجة الاَّ بالشام· وروي عن النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال الشام صفوة الله في بلادهِ واليهِ يجتبي صفوتهُ من عبادهِ يا اهل اليمن عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام ألا من ابى فان الله تعالى قد تكفَّل لي بالشام

بة على غير
رات تقريباً
ة ابداً بل
ً او نهاراً .
وهو ملازم
لامونيوم .
بعدم اكل
ن ان ذلك
مض الآخر
يجوز له ان
سواء كانت
مل يجوز له
يرة لتحسين
للحم وصفار
لاطعمة التي

ن ولكن
لبقر ويجوز
في النهار
ن لا يجوز
لا لحم الحمام
، باكل
رب كاس
كل سمك
ويحسن به
لا يحسن
الاروروط

والمعكروني والرز والتبيوكا وكل المواد النشوية وهي لازمة لهُ لانها تغذيهِ وتسمنهُ وكذلك يجوز لهُ اكل الموز والعنب والليمون والطماطم ولا يجوز اكل الفاصوليا الناشفة ولا العدس ولا الفول ولا الحلويات ولا الاشربة الروحية على انواعها

(٨) دواء الصرع

ومنهُ ما هو احسن دواء لهذا الداء

ج ان الدواء الذي يستعملهُ الآن من احسن الادوية وربما فضلهُ برومور الزرنيخ ولكن لا يجوز استعمالهُ الاَّ بارشاد الطبيب

(٩) المسامع والاساهي

الاسكندرية . محمد افندي رمضان الفولي . بمطالعتي جزء ابريل من المجلد الحادي والثلاثين وجدت ان من الكلمات التي ليس لها مفرد المسامع والاساهي . وقد بحثت في القاموس في مادة سمع فوجدت ان المسمع كمنبر الاذن السامعة ج مسامع . وايضاً بحثت في مادة سها فوجدت ان الاسهاء كثير الالوان وجمعهُ الاساهي . فما قولكم في ذلك

ج اما المسمع فواردة في القاموس كما قلتم واما الاساهي فلم نجدها في القاموس وعندنا منهُ نسخة بولاق التي طبعت سنة ١٣٠٣ ونسخة الهند المطبوعة في بمبي سنة ١٢٥٩ ولكن وجدنا في لسان العرب قولهُ

تصحيح

ج لا صحة لقولهم ان قمر موسى في لبنان . والحجارة التي تحترق يحتمل ان المراد بها الفحم الحجري وهو موجود في كثيرة في جبل لبنان ويحترق مثل

.

(٣) ترسيب الذهب

منهُ . اذا حلَّ معدن بالماء الملكي فباي رسب ويعاد الى اصلهِ

لعلكم تريدون الذهب الذي يحل الذهب (الكلورو هيدرونتريك) فهذا يتكون منهُ مادة صفراء هي كلوريد وهذه المادة اذا احميت وحدها طار منها وبقي الذهب . وكذلك اذا الى الذهب المحلول مذوب الزاج او الاكساليك او الفصفوروس او رس رسب الذهب منهُ

(٤) بلورات الميكرسكوب

اسكندرية . احد المشتركين . من خذ بلورات المكرسكوب وهل توجد عليهِ ام تصنع صنعاً . واين تباع بالتقريب

تصنع صنعاً وتباع عند كل صانعي البصرية في اوربا واميركا وقد رأَينا مصر عند بائعي الآلات البصرية علانات كثيرة عنها في كل المجلات ا اول جزء وقع في يدنا من جريدة ناتشر رأَينافيهِ اعلانًا عن ميكرسكوبات بيت Carl Zeiss في Jana وهو يرسل الكاتالوغ عن ميكروسكوباتهِ واثمانها واثمان زجاجاتها مجانًا لمن يطلبهُ

(٥) ميكروبات الفم

ومنهُ . اصحيح انهُ يوجد في فم كل انسان الوف من الميكروبات أَوَ لا توجد طريقة لقتل هذه الميكروبات

ج نعم يوجد في الفم الوف والوف الوف من الميكروبات ولا داعي لقتلها لانها سليمة في الغالب ولازمة للهضم واذا كان منها شيء ضارٌّ فغسل الفم بالماء والصابون العادي ينقيهِ منها

(٦) عمل الهوسكي

الشوير . الحواجه فارس عون . كيف يعمل الهوسكي الاسكتلندي

ج الهوسكي شراب مخمر من الذرة او الشعير طريين او محمصين واهالي اسكتلندا يعتمدون على الشعير المحمص في استخراج الهوسكي وهم يستقطرون الهوسكي منهُ استقطاراً كما يستقطر العرق في بلاد الشام ويزيدون تحميص الشعير حتى يتسوط قليلاً فيكون للهوسكي طعم خاص وقد يصير لهُ هذا الطعم باضافة نقط قليلة من الكريوسوت

(٧) طعام المصروع

مصر . مصطفى بك رشيد . شاب في الثلاثين من عمرهِ اصيب بداء الصرع منذ

والشركة تتعهد بعدم حدوث اي ضرر كان لمن استعمل طريقتها وتعتقد بفوائدها الصحية اذا استعملت كما يجب

وقد ارسلت لكما الكتاب المشار اليه بالبوستة وعسى ان يصلكما مع رسالتي هذه فارجوكما ابداء رأيكما فيهِ على صفحات مقتطفكم الاغر واني اقدم لكما الشكر سلفاً

ج وصلنا الكتاب الذي تشيرون اليهِ وطالعنا فيهِ قدر ما مكننا صبرنا من المطالعة فوجدناهُ كثير المبالغات والاقوال البعيدة عن الصحة كقولهِ ان اباءهم (اي اباء الانكليز والاميركان) كانوا اطول منهم قامةً واطول عمرًا والامراض غير صحيحين . وغرض اصحاب الكتاب الكسب المالي على ما يظهر ومتى قصد الناس الكسب تذرَّعوا اليهِ بكل وسيلة . ولا شبهة ان الوسائل التي اشير بها في هذا الكتاب تطيل القامة قليلاً ولاسيما اذا كان مستعملها بين العشرين والثلاثين من العمر فانهُ قد يزيد طولهُ سنتيمترين او اكثر قليلاً ولكننا نرتاب جدًّا في قولهِ ان القامة تزيد احيانًا ثلاث عقد او اكثر فانها ان طالت كذلك فلا يكون من استعمال هذه الوسائل وحدها بل من ان الجسم كان مستعدًّا للنمو ايضاً . وما نشرناهُ في الجزء الثالث من اجزاء هذه السنة وافٍ بالمراد فراجعوهُ فيهِ

سؤال
نعطيه
سلطة
روهُ .
تهِ او
سعاف
تب .
اكان
ن
كتاب
كية
يهِ ان
باسماء
ملت
يصفها
اد ان
المشار
مبلغ
ريقتها

الاساهي الالوان لا واحد لها قال ذو الرمة
اذا القوم قالوا لا عرامة عندها
فساروا لقوا منها اساهيَّ عُرَّما

(١٠) قتل البخيل

مصر. حسين . ر . عظيم اثرى على اكتاف الفقراء وبخيل ولم يصرف درهماً لتخفيف ويلاتهم بل اسرف على شهواتهِ ولم يؤثر فيهِ استعطاف ولا غيره فقتلوه فهل قتلهُ جناية ادبيَّة

ج نعم جناية ادبيَّة ومدنية اما كونها جناية مدنية فلا جدال فيهِ واما كونها جناية ادبية فلأَن الذي يقتلهُ يدَّعي انهُ لا يمكن ان يرعوي ويصير نافعاً لنوع الانسان وهذا الحكم لا يؤيدهُ علم ولو رجَّحهُ الاختبار فان ارعوى هذا الرجل وانفق امواله في الطرق المفيدة كفَّر عن سيئاتهِ الماضية ونفع ابناء نوعهِ فقتلهُ يحرم النوع من هذا النفع . واذا جاز لزيد ان يقتل هذا البخيل جاز لكل احد ان يقتل كل من يعتقد بخلهُ فينقرض النوع وهذا على ضد ما تتجه اليهِ شرائع الكون

(١١) فائدة الملك

ومنهُ . ما فائدة الملك في الدولة الانكليزية او الرئيس كرئيس الجمهورية الفرنسوية اذا كانت الاعمال جميعها في يد الوزراء والنواب

ج ان الذين يعرفون اشغال الملك والرئيس يقولون ان لها فائدة كبيرة جا سياسة البلدان كأَنَّ الناس يقفون في م كثيرة بين وجهين متساويين يتعذَّر تفضيل وجه منهما على الآخر فيودو يكون بينهم حكَم حتى انهم لقد يلجأون الصدفة في تفضيل احد الوجهين على الآ هذا عدا ما يشعر بهِ المرء من الاطمئنا ايدانهُ في حكمه سلطةً عليا . ولا تنس الشعب يطلب رئيساً عالياً بحكم ما ا وغُرس في طبعهِ وتوارثهُ مدى قرون فيصعب عليهِ ان يرفض هذه الرئاسة واحدة . لكن سلطة الرؤساء آخذة الضعف رويداً رويداً ولا يبعد ا تزول اخيراً

(١٢) رواتب الملوك

ومنهُ . الا ترون ان رواتب عظيمة جداً

ج ان ذلك يتوقف على غنى ا وفقرها لكن اذا كان لا بدَّ من سلطة في البلاد وجب ان يكون صاحب السلطة قادراً على الظهور باعظم مظهر وا بعد ان كثر الاغنياء وصار يسهل ان يتمتعوا بغناهم ويظهروا بهِ باعظم

(١٣) رواتب العائلة المالكة

ومنهُ . لماذا تعطي الحكومات الر الطائلة لاولياء العهد وعائلات الملوك . من الصواب ان يشتغل هؤُلاء مثل

واتضح لهُ من تجارب اخرى ان ادخال التولاز بطريق المعدة انفع من الحقن تحت الجلد ومع ذلك فان ما ظهر للاطباء من امكان شفاء السل والخنازيري في الاولاد بهذه المادة بني على تجارب جرت بالحقن تحت الجلد . وقد اخذ بعض الاطباء يدخلون التولاز بطريق المعدة بان يسقوا المصابين لبناً أُدخل فيهِ المكروب المذكور على انهُ لم يعرف الدكتور بهرنج نتيجة تجاربهم بعد

وسيقام مؤتمر السل الدولي في الهاي عاصمة هولندا بين ٦ و٨ الحالي فيبحث في طرق عدوى السل . والادوية الخصوصية المستعملة لهُ . والتدرُّن في الاولاد . وعلاقة التعليم بهِ وما اشبه من المباحث

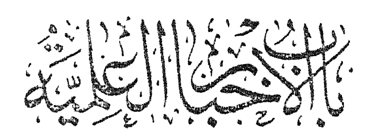
السرطان واوراق البنفسج

قال الدكتور موريس جونسن في مجلة وستمنستر ان اللادي مرغويت مارسام أُصيبت في صيف سنة ١٩٠١ بالتهاب في حنجرتها لم ينجع فيهِ علاج وبعد الفحص شخص اطباؤُها مرضها بانهُ السرطان . واستدعي لها جرّاح فعمل لها عملية جراحية استأصل بها قسماً من الجسم الغريب النامي في حنجرتها ثم عرض على اطباء جمعية البحث الطبي في لندن فحكموا بعد الفحص بانهُ سرطان لا محالة وعظم الورم في حنجرتها حتى منعها من البلع فيئس الجميع من شفائها . وكان بعض اصدقائها قد اشار عليها بوضع لزق سخنة من اوراق البنفسج لا على نية الشفاء بل على نية تخفيف الالم فرضيت بذلك بعد الحاح كثير فخفَّ ألمها واستمرت تضع اللزق حتى زال الورم كلهُ في مدة اسبوعين وشفيت

وذكر الدكتور وليم غردون في مجلة اللانسٽ الطبية الشهيرة فصلاً بهذا الصدد في ربيع السنة الماضية قال فيهِ انهُ شفى رجلاً من السرطان بلزق ورق البنفسج وانهُ يصفها الآن لكل الاورام التي يشتبه في كونها سرطاناً ولا يصلها مشراط الجراح

زلزلة اميركا الجنوبية

لم يكد روع الناس يهدأُ مما اصابهم بزلزلة اميركا الشمالية التي انتابت سان فرنسسكو حتى منيت اميركا الجنوبية بزلزلة اشد منها خربت مدينة ڤلباريزو وسنتياغو من مدن جمهورية شيلي وصحبها اضطرام النار وانقطاع الغاز والكهربائية . بيَّنت الزلزلة تلك البلاد في السادس عشر من شهر اغسطس بين الساعة السابعة والثامنة مساءً ولم يسبقها شيءٌ من العلامات المنذرة ففاجأت الناس مفاجأَة وقتلت منهم خلقاً كثيراً . وقد أثرت بآلات الرصد في اماكن كثيرة فشعرت بها آلات الرصد في وشنطون باميركا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة مساءً ودلَّت على ان حركتها



اوجه القمر في شهر سبتمبر ١٩٠٦

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٣	١	٣٦ صباحاً
الربع الاخير	١٠	١٠	٥٤ مساء
الهلال	١٨	٢	٣٤ "
الربع الاول	٢٥	٨	١٢ صباحاً

السيارات

عطارد نجم الصباح ثم يختفي في اواخر الشهر

الزهرة نجم المساء ترى ساعتين بعد الغروب

المريخ نجم الصباح الشهر كلهُ

المشتري يشرق قبيل نصف الليل

زحل في الاستقبال ويرى الليل كلهُ

علاج التدرُّن

يذكر القراء ان الدكتور بهرنج الالماني اعلن في اوائل اكتوبر الماضي انهُ اكتشف علاجاً يشفي المصابين بالسل ويقي السليمين منهُ وقال انهُ ليس مصلاً ولا لقاحاً ووعد باظهارهِ قبل اكتوبر القادم · ويؤْخذ من اقوال جريدة الماتن انهُ انجز وعدهُ قبل الميعاد المعين وابلغ الجمعية العلمية في مربورج انهُ فرغ من امتحان علاجهِ في المعمل ولكنهُ لا يدفعهُ الى الجمهور الآ بعد ان يجربهُ الاطباء في المستشفيات · ويؤْخذ من التفصيل الذي ذكر في هذا الصدد ان الدكتور رأَى ان هناك طريقتين لانقاء السل الاولى السيروتيرابيا اي المعالجة بالمصل وهي تأُول الى حصانة الجسم · والثانية تشريب الجسم سم مكروب السل شيئاً فشيئاً حتى يتعودهُ · ففضل الطريقة الثانية على الاولى وعالج مكروب السل بالكلورال فنشأَ عن ذلك مادة سماها التولاز وجربها في الغنم واتضح لهُ انهُ اذا حقن الجسم بها تحت الجلد او في الاوردة او أُدخلت اليهِ بطريق المعدة حولتها الخلايا الى مادة مجهولة عبر عنها بحرفي (T X) وادى ذلك الى حصانة الجسم من السل وزيادة تأَثرهِ من لقاح كوخ · اما الجسم السليم فيقتضي لحصولهِ على الحصانة بواسطة التولاز اربعة اشهر ولكن يظهر انها اسرع فعلاً في الاجسام المصابة بالسل · قال ولذلك اعتقد ان للتولاز قوة شافية فعَّالة لا سيما وانهُ ثبت لي ذلك من تجربتها في غنم مصابة في عيونها او في جلدها او في رئاتها

اما الآن فلا
...اع نطاق العمران
...الناس يستعملون
...ن السماد الطبيعي
...ى جوانو وقد كاد
الامونيا وهي لا
...ودا او ملح البارود
... ملح البارود هذا
ينفد بعد عشرين
...م عليهِ الآن .
...ى

استخدام نيتروجين
...ن ثابت فلا خوف
اذ فوق كلّ فدان
٣٣٨٨٠ طنًا .
...ن هذه الامنية .
ولف فرنك من
طريقة لعمل نوع
...ي الجودة بتدايت

...م النيء

...شه الفرنسوي تأثير
. وذلك انهُ جاء
...مها الى سبع فرق
ما عدا السابعة فانهُ
كلاب الفرقة الاولى

لحم خيل مطبوخًا وطعامًا مؤلفًا من الرز واللبن والسكر بالتعاقب مدة خمسة اشهر . وكلاب الفرقة الثانية لحمًا مطبوخًا ولحمًا نيئًا بالتعاقب ايضًا . وكلاب الفرقة الثالثة لحمًا مطبوخًا وجبنًا مطبوخًا باللبن بالتعاقب . وكان يطعمها من كل صنف مدة خمسة ايام ثم يستبدلهُ بالصنف الآخر مدة خمسة ايام ايضًا . اما الفرق الاخرى فصوَّمها مدة خمسة ايام ثم اطعم الفرقة الرابعة لحمًا مطبوخًا مدة خمسة ايام . والخامسة لحمًا نيئًا . والسادسة طعامًا مؤلفًا من رز ولبن وسكر . والسابعة جبنًا مطبوخًا باللبن

وكانت نتيجة ذلك كلهِ ان كلاب الفرق الخمس الاولى كانت متمتعة بالصحة التامة ولم تصب كلاب الفرقة الخامسة باقل ضرر من اطعامها اللحم النيء بعد تصويمها خمسة ايام . اما كلاب الفرقه السادسة فماتت بالتتابع وكلاب الفرقة السابعة مات اثنان منها

ومفاد ما تقدَّم ان اللحم لازم لتجديد العضلات التي اضعفها الجوع وان اللحم النيّ افضل من المطبوخ بكثير

الاستاذ برودل

خسر رجال العلم خسارة لا تقدَّر وفاة الاستاذ بول بروردل توفي في الثالث والعشرين من شهر يوليو الماضي وهو في التاسعة والستين من عمرهِ وكان ثقة في علم

كانت من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وكانت الهزات بطيئة على نوع ما ودام بعضها من ١٨ ثانية الى ٤٠ ثانية . وشعرت بها آلات رصد الزلازل في مرصد كيو ببلاد الانكليز وفي جزيرة ويط فدلت على انها حدثت الساعة السابعة والدقيقة ١٥ بوقت فباريزو ودامت الهزات عدة ساعات من غير انقطاع وكان اشدها بعد الساعة الثامنة باثنين واربعين دقيقة وست وعشرين ثانية

ودلت آلات رصد الزلازل في همبورج على ان هذه الزلزلة كانت اشد من زلزلة سان فرنسسكو

وجاء من فكتوريا ان آلات رصد الزلازل دلت على ان الزلزلة دامت اربع ساعات

ويقال ان الزلزلة خربت جزيرة جوان فراندز التي يقال ان وقائع قصة روبنصن كروزو حدثت فيها

وقيدت آلة رصد الزلازل في مرصد حلوان هذه الزلزلة وكانت حركتها القصوى التي احدثها الزلزال في الساعة ٣ والدقيقة ٥٧ على حساب زمن القاهرة وهي توافق الساعة ٩ والدقيقة ١١ بعد الظهر على حساب زمن فلباريزو ولكن الآلة لم توضح قوة الزلزلة تماماً

ولم يعلم مقدار الخراب الذي جرَّتهُ الزلزلة حتى الآن فقد روت الشركات البرقية في اوائل حدوثها ان عدد الذين قتلوا بها ٣٠٠ نفس والذين جرحوا ٨٠٠ على القليل وروت في ٢٤ الماضي ان عدد الذين قتلوا ودفنوا حتى ذلك التاريخ ١٥٠٠ نفس وان الهزات لا تزال تنتاب تلك النواحي وكان ذلك آخر اخبارها

لزوم النيتروجين للانسان

النيتروجين على نوعين فاما ان يوجد متحدًا بالعناصر الاخرى فيسمونهُ حينئذ ثابتاً واما ان يوجد غير متحدٍ بشيء كما في الهواء فيسمونهُ حرًّا . ومن اهمّ المسائل التي يشتغل العلماء بها الآن تثبيت النيتروجين الحرّ والّا فلا بدَّ ان يجيء يوم يموت فيهِ الناس جوعاً وذلك لان النيتروجين الثابت اهمّ مواد الغذاء في الاطعمة الحيوانية وبعض النباتية كالخبز مثلاً . والحيوانات والنباتات تتناولهُ من التربة . والتربة تستمدهُ من الهواء بواسطة المطر ومن الميكروبات التي تأخذهُ من الهواء . ولكنهُ سريع التحوُّل من حال الى حال وان طاقة مدفع تبدّد في لحظة ما جمعتهُ ملايين المكروبات منذ عدة قرون كثيرة في تكوين ملح البارود . ونحن نسلب التربة نتروجينها باسرع مما تستطيع الطبيعة ان تعوّضها منهُ والنتيجة ان التربة تضعف فنضطر ان نمدها بالمقوّيات كالزبل والسماد والّا لم تعد تخرج نباتها

وقد كان السماد الطبيعي يفي بحاجة

ـن خلال الضباب
لمقلة آلات الاشراف
الطراد الياباني ينبئُ
طولهم ولكن من
اولوا قطع الرسالة
ليل حتى رأوا طرادًا
بهم على بعد نحو ٤
ساعتين . ثم رأوا
وكان مؤلفًا من
نصف الامامي وقد
سطول الروسي .
الروسي ٩ اميال
ني ١٦ ميلاً وهذا
سدق هو الذي مكّن
ـمهِ تحركهُ في طريقهِ
رأى الروس ان
الطريق انقلبوا على
ـا لصف الاسطول
وشرع يطلق النار
بال وكسور . وبال
ترّ القتال فانعطب
يطلق سوى ثلاثة
صابها خمس قنابل
ـة فدخلها الماء ولم
قتال حتى غرقت .
تشتدّ وطيس القتال
بابيين في كل جانب

فلم يمضِ نصف ساعة عليها حتى تركت صف القتال والنار مضطرمة في مقدَّمها ومؤخرها . ثم صبَّ اليابانيون نيرانهم على البارجة اسكندر الثالث عن بعد نحو ثلاثة اميال فلم تقوَ عليها فدارت شرقًا تلتمس النجاة

ومما لحظهُ الراوي كثرة شبوب النيران في البوارج الروسية الجديدة مع انها بنيت على الطرز الحديث فلم يستعمل الخشب فيها الَّا نادرًا . فان النار شبت في البارجة اوريل ٣٤ مرة في يوم واحد . ولما انعطبت البارجة اسكندر الثالث كان جانبها المقابل لليابانيين ملتهبًا لان النار لعبت بما عليهِ من الدهان

ثم وجه اليابانيون مدافعهم الى البارجتين بورودينو واوريل اما الاولى فاصيبت في ٦ دقائق ١٢ مرة من المدافع التي من عيار ١٢ بوصة و٣٠ او ٤٠ مرة من المدافع التي من عيار ٦ و٨ بوصات . وكانت القنبلة التي من عيار ١٢ بوصة اذا اصابت مكانًا غير مصفح بالدرع فتحت فيهِ فوهة قطرها نحو ٧ اقدام وعقب ذلك دخان كثيف يعمي الابصار ويخنق كل من تنسمهُ

ومغزى ذلك كلهِ في عرف الكاتب ان نتيجة المعارك البحرية بين قوتين متكافئتين تتوقف في الاكثر على المدافع واتقان اطلاقها . قال ولما حاول الروس الخروج من بورت آرثر باسطولهم في ١٠ اغسطس سنة

الهيجين والطب الشرعي والطب الباطني

ولد سنة ١٨٣٧ ودرس علم الطب ونال الدبلوما الطبية سنة ١٨٦٥ وجعل استاذًا في مدرسة الطب بباريس وعضوًا في اكادمية الطب ثم عضوًا في اكادمية العلوم ورأس مدرسة الطب سنين كثيرة والَّف كتبًا كثيرة في الطب الشرعي بحث فيها عن قتل الاطفال والمسؤولية الطبية والطب السري والموت الفجائي والاختناق بالغاز والابخرة. وخلف الاستاذ تارديه في تدريس الطب الشرعي في جامعة باريس واقام في هذا المنصب منذ سنة ١٨٧٩ وكان يلقي دروسًا باثولوجيَّة عملية في محل القتلى بباريس ويقال ان فساد الهواء في ذلك المكان اضرَّ بصحتهِ واوردهُ حتفهُ

وناب عن الحكومة الفرنسوية في مجتمعات كثيرة كما في مؤتمر الهيجين والديموغرافيا سنة ١٨٩١ وفي مؤتمر السل سنة ١٩٠١ وخطب حينئذٍ خطبتهُ المشهورة في اساليب منع السل وقد ترجمناها ونشرناها في جزء سبتمبر سنة ١٩٠١ صفحة ٧٨٣ وهي طويلة مفعمة بالفوائد ومما جاء فيها ان شفاء المسلول ممكن فمن الواجب ان يبذل الجهد في تحقيق ذلك . واذا اقتنع الطبيب بشفاء مريضهِ تغير التفاتهُ الى هذا الداء . اما قبلاً فاذ كان قانطًا من انهُ يستطيع عمل شيء لم يجسر ان يخبر المريض ولا اصدقاءهُ بحقيقة المرض. واذا صحَّ انهُ يمكن الشفاء من السل في كل درجاتهِ فمن باب اولى يكون الشفاء ممكنًا اذا تحوَّط المرء في بادئ الامر قلما يتمكن السل منهُ اي حينما تكون المقاومة في جسمهِ قوية . ولا بدَّ للطبيب من ان يخبر المريض وعائلتهُ انهُ مصاب بمرض منهُ خطر شديد ولكنهُ يقبل الشفاء

وكان من رجال السياسة المشهورين في بلادهِ كما كان من اشهر الاطباء المعدودين وقد افاد بلادهُ والعالم فوائد جمة

معركة تسوشيما

مضى على معركة تسوشيما البحرية التي جرت بين الروس واليابانيين ودارت الدائرة فيها على الاولين سنة وثلاثة اشهر ولم ينشر تفصيل وقائعها احد ممن شهدها ورأى ما جرى فيها الآَّ حديثًا نشر هذا المعدَّيل رجل شهد المعركة من ظهر بارجة من البوارج الروسية ولم يكن لهُ شغل غير المشاهدة وتسطير الوقائع قال ما ملخصهُ

كان فجر ٢٧ مايو وهو يوم المعركة "مكفهرًّا مستصعبًا قمطريرًا" . وكانت لوائح اليأس والقنوط تلوح على اوجه البحارة فمنهم من طلب النار للتدفئة ومنهم من استذرى بظلّ ما على ظهور البوارج من وجه الريح . ولما تهلَّل وجه الصباح اذا بطراد

يستخرج منهُ شيء. وما استخرج منهُ في السنوات التي قبلها قليل لا يذكر فقد استخرج سنة ١٨٩٩ ما قيمتهُ ٦٠ جنيهاً وسنة ١٩٠٠ ما قيمتهُ ٣٠ جنيهاً وسنة ١٩٠١ ما قيمتهُ ٢٠ جنيهاً وسنة ١٩٠٣ ما قيمتهُ ١٠ جنيهات. ولكنّ الولايات المتحدة تعتمد على الزراعة ودخلها منها يزيد على الف مليون جنيه سنويًّا اي انهُ اكثر من عشرة اضعاف ما يستخرج من كل مناجم الذهب والماس في الدنيا كلها

فعل الراديوم بالحجارة الكريمة

ظهر من التجارب ان الراديوم اشد تأثيرًا في الحجارة الكريمة الشفّافة منهُ في الحجارة غير الشفّافة. فقد عرّضت ماسة نقية لاشعتهِ ثمانية ايام فاكتسبت لونًا اصفر باهتاً وعرضت ثمانية ايام أُخرى فصارت ذات لون برتقالي. ثم أُحميت الى درجة ٢٥٠ بميزان سنتغراد فزال بعض لونها وأُحميت الى درجة الحمرة ولكن لم يزل اللون الاصفر منها تماما. وعرّضت ياقوتة زرقاء لاشعتهِ فتغير لونها الى اخضر فاصفر فاصفر محمرّ فتبني ثم زال لونها عند الاحماء وبقي اللون الاصفر كما في الماس. اما الياقوت العادي فلم يتغير لونهُ

كلب بحر كبير

اصطيد كلب بحر كبير في خليج سان بدرو على سواحل كليفورنيا يظنّ انهُ اكبر كلب بحر صادهُ انسان. فقد بلغت زنتهُ ١٤٠٠٠ رطل وطولهُ ٣٢ قدماً ومحيط جسمهِ امام الزعنفتين الاماميتين ١٥ قدماً وطول فتحة فمهِ من اعلى الى اسفل ٢ ١/٢ قدم وعرضها من الشدق الى الشدق ٢ ١/٢ قدم. ولما وقع في شبكة الصيادين حاول الفرار منها فمزقها كلّ ممزّق ولكن خيوطها وحبالها التفّت حول خيشومهِ فلم يستطع النجاة ثم أغار الصيادون عليهِ بحرابهم فقتلوه بعد قتال دام ساعة. وقد وجدت معدتهُ ملآنة سمكاً لانهُ كان قد سطا على الشبكة [illegible] ما فيها واصطيد. وقد سلخ جلده [illegible] وحشي وعرض للفرجة. ويقال ان المجمع العلمي الاميركي المعروف بالمجمع السمثسوني يسعى في مشتراه للاحتفاظ به

لون الماء

ثبت منذ زمن مديد ان لون الماء الطبيعي ازرق لا ابيض كما يظن. ولكن من الماء ما هو مخضرّ اللون وسبب اخضراره وجود املاح الكلسيوم فيهِ. ومنهُ ما هو مصفرٌّ وسبب اصفرارهِ وجود املاح الحديد فيهِ

١٩٠٤ لم يحسن اليابانيون اطلاق مدافعهم كما يجب فلم يألوا جهداً بعد ذلك في تمرن على اطلاق المدافع حتى اذا حدثت معركة تسوشيما ابلوا فيها اعظم بلاء · ويقدرون ان مدافعهم التي عيارها ١٢ بوصة اطلقت ١٢٧٥ طلقاً فاصاب العرض ٢٤٨ قنبلة منها وهذا يعد دليلاً على المهارة في الرماية · وكان متوسط المسافة التي اطلقوا بارهم منها نحو ثلاثة اميال اما الروس فاخطأُوا اغراضهم وكل ما اصاب البارجة ميكاسا بارجة الاميرال توجو قنابل قليلة في المعركة كلها

واكثر الروس من استعمال المطارات ولكن كثرة الضباب والغبار المتصاعد من الفحم حالت دون رؤية الاشباح جلياً

مكروب البرص

روت المجلة الطبية الانكليزية ان الدكتور جودهيو مدير مستشفى البرص في جزيرة مولوكاي من جزائر صندويج اكتشف مكروب البرص في اجسام البعوض والبق بعد بحث طويل دام عدة سنين · ومن رأيهِ ان البق افعل من البعوض في نقل جراثيم لداء لان البق يدهم النائم وهو مستغرق في النوم ولأَن اهل الذي يصاب بالبرص ويموت بهِ ينامون على فراشهِ بلا تطهير فيعدَوْن

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الحادي والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٢٤

قبل الولادة وبعد الموت

لما انشأ اليسوعيون مجلَّة المشرق في بيروت منذ تسع سنوات بعثوا الينا بعدد منها فتصفحناهُ واستحسناهُ وقرَّظناهُ ثم لم نرَ من هذه المجلَّة بعد ذلك الاَّ عددين رأَيناهما اتفاقاً منذ بضع سنوات . وقد اتانا احد الآباءِ اليسوعيين قبيل كتابة هذه السطور باعداد هذه السنة طالباً منا ان نبادل المشرق بالمقتطف فاجبناهُ الى طلبهِ شاكرين . وفتحنا العدد الاول من اعداد المشرق الصادر في غرة يناير هذه السنة فوجدناهُ مصدَّراً بردّ على المقتطف او على التمهيد الذي مهدناهُ لما كتبهُ الكولونل ده روشا عن الفتاة التي كانت تنام النوم المغنطيسي وتدَّعي انها تعود الى ما كانت عليهِ قبل ولادتها الاخيرة مّما لم ينسهُ قرَّاءُ المقتطف فلم نقرأ صفحتين من الرد حتى وقفنا مبهوتين لا لاننا نعتقد ان مرادنا خفي على حضرة المعترض بل لانهُ عسر علينا ان نكتشف الحالة العقلية التي كانت متسلطة عليهِ حينما كتب ما كتب . فقد قلنا في ذلك التمهيد

" اين كانت نفوسنا قبلما ولدنا والى اين تذهب بعدما نموت . او ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها . هذه مسأَلة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الاَّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

" ان الاديان المختلفة تحلُّ هذا السؤَال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبني على الحس والمشاهدة "

والمراد " بالاديان المختلفة " اديان البشر كلهم اديان اهالي الصين واليابان والهند وجزائر البحر واهالي افريقية وسكان اميركا الاصليين واليهود والنصارى والمسلمين . فهذه الاديان

فهرس الجزء التاسع من المجلد الحادي والثلاثين

كلها تحلُّ ما سمّاهُ مسألة المسائل وفصل الخطاب في هذه المسائل محتملة بعضها حدس وتخمين وبعضها علم قائم على حس وبديهة في الادلة الالهية ولكن ألم يتّصل العلم الى حل هذه المسألة مع انهُ اتّصل الى حل كثير من الغوامض. والمراد بالعلم في ابحاث المقتطف العلم الطبيعي المبني على التجربة والامتحان والاستقراء وهذا هو المعنى المعروف بهِ الآن عند الاطلاق تمييزا لهُ عن علم ما وراء الطبيعة

وفروع العلم الطبيعي كثيرة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه وهي مبنية على الحس والمشاهدة والاستقراء والامتحان فقد عُلِم بها مثلاً ان الصوت يحدث من ارتجاف الاجسام والصور ترى في المرآة بانعكاس النور والكهربائية تولَّد في الزجاج بالاحتكاك والسائلات تجمد بالبرد والاجسام كلها مؤلفة من جواهر متناهية في الصغر الى غير ذلك مما تراهُ مدونًا في كتب الفلسفة الطبيعية

وعُلِم ان ملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم. والزنجار من الحامض الكربونيك والحديد. والماء من الاكسجين والهيدروجين. وان الحامض يفعل بالنشاء فيحولهُ الى سكر وهلمَّ مما تراهُ مفصلاً في كتب الكيمياء

وعُلِم ان اللقاح يدخل البيضة فتنمو وتصير تعتدي وتنمو. وان الطعام يهضم في القناة الهضمية وتمتص خلاصتهُ وتتحوَّل من صورة الى اخرى الى ان تصير دما يغذي الجسم ويولد فيهِ الحرارة. وان اكسجين الهواء يصل الى الدم بواسطة التنفس ويطهرهُ وان في الدماغ مراكز عصبية متسلطة على حركات اعضاء الجسم ونحو ذلك مما ترى في كتب الفسيولوجيا

وعلم ان في قشرة الارض صخورًا اصلها من متذوبات البراكين وصخورا اخرى اصلها من رواسب المواد التي كانت ذائبة في المياه. وان المتحجرات النباتية والحيوانية اصلها نباتات وحيوانات انطمرت وانحلَّت اجزاؤها الآلية وقام مقامها دقائق غير آلية وان جبال الارض تولدت بفعل الحرارة الداخلية والضغط الجانبي وان التحركات يعلو البر ثم يطي الجبال في اماكن كثيرة فتنخفض الارض وارتفعت عن مساواة البحر وثبتت الارض فيها الى غير ذلك مما تراهُ مدونًا في كتب الجيولوجيا

فهذه العلوم وامثالها مبنية على المشاهدة والاستقراء والامتحان فيعلم بها ما يقع تحت الحس ويفرض فيها احيانًا ما لا بد من فرضهِ لتتم سلسلة التعاليل كفرض الاثير لتعليل تموجات النور والكهربائية لكنهُ يبقى فرضًا لا حقيقة مقررة حتى اذا كشفت الحقيقة زال الفرض. ونريد بالحقيقة المقررة ما اتفق الناس على حسبانهِ حقيقة مقررة كوجود المنظورات والملموسات

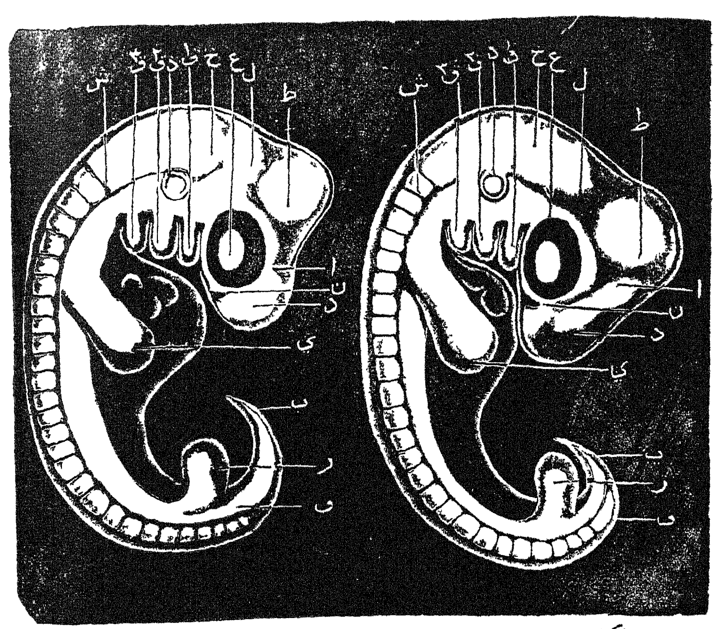
والعلماء المشتغلون بهذه العلوم قد يشتغلون ايضاً بالعلوم الفلسفية او الدينية ويعتقدون ان ارواح الابرار تدخل في اجسام طيور خضر بعد خروجها من اجسادهم او يعتقدون انها تمضي الى جنات فيها من كل فاكهة وريحان او الى مدينة من الذهب التي سورها من يشب ... اساساتها من الحجارة الكريمة . لكن اعتقادهم هذا لا يكون مبنياً على العلم الطبيعي اي على الفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والبيولوجيا والنبات والحيوان او نحوها من العلوم الطبيعية المبنية على الحس والاستقراء والامتحان . بل على اعتقاد ديني او الهام الهي او شعور باطني مهما كان نوعه

ولكن ألا يمكننا بالعلم الطبيعي علم الحس والاستقراء والامتحان ان نعرف اين كانت نفس الانسان قبلما دخلت جسده والى اين تذهب بعدما تفارق الجسد

يتزوج زيد بهند وبعد تسعة اشهر تلد له طفلاً ينمو ويترعرع ويصير رجلاً عاقلاً مفكراً مدبراً . وقد بحث علماء الطبيعة عن كيفية تولده ونموه فوجدوا انه يتولد من جرثومتين صغيرتين جداً من ابيه وامه تتصلان فتصيران جسماً واحداً يمتص الغذاء ويتمثله وينمو به وتتنوع اجزاؤه وتتولد منها اعضاء مختلفة من لحم وعظم وعصب ودماغ ويمر على اطوار مختلفة فيكون في اول امره مماثلاً لجنين الطيور ثم لجنين الكلاب كما ترى في الاشكال المرسومة هنا ثم يرتقي عنها ويظهر فيه مميزات طفل الانسان الى ان يولد في الشهر التاسع او حواليه وينمو بعد ولادته ويأتي مشابهاً لوالديه واسلافهما في امور كثيرة جسدية وعقلية في ملامحه وقوته واطواره العقلية والادبية

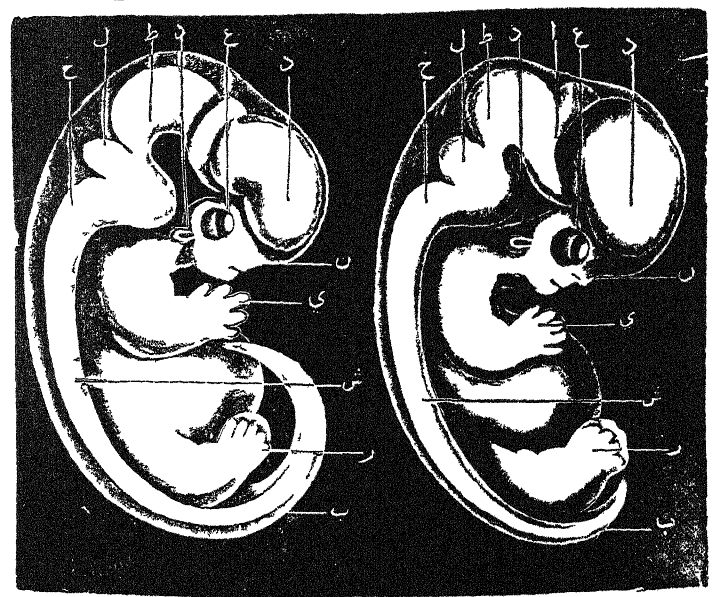
كل هذه الامور بحث عنها علماء الاجنة وعلماء الوراثة وعلماء الفسيولوجيا وعلماء السيكولوجيا الحديثة فعرفوا احوالها ونواميسها اي اسبابها ومسبباتها والنواميس التي تمشي عليها ولكن في اي يوم تحل النفس في هذا الجسد واين يكون مقرها منه واين كانت قبلما حلت فيه وما هي حقيقتها وهل تنمو بنموه او تبقى على حالة واحدة من حين كان نطفة او جنيناً او طفلاً الى ان يبلغ اشده الى ان يكهل وتتكامل قواه العقلية الى ان يشيخ ويضعف الى ان يموت . واين تمضي بعد ان يموت واين كانت نفوس الالف والخمس مئة مليون من الناس الموجودين الآن على وجه البسيطة والذين لم يوجد انسان واحد منهم منذ مئة وعشرين او مئة وثلاثين سنة

هذه المسائل كلها هل يمكن حلها بالعلوم الطبيعية بالكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه او هل يمكن حلها بشيء مما يقع تحت الحس والمشاهدة اي هل يمكن ان نشعر بنفس المولود قبل ان يتصور في بطن امه وبتاً ... كنا اننا غير مخدوعين في شعورنا هذا بل هو حقيقة



جنين الكلب في الاسوع الرابع

جنين الانسان في الاسوع الرابع



جنين الكلب في الاسوع السادس

جنين الانسان في الاسوع الثامن

امام الصفحة ٧٩٥ من مقتطف اكتوبر ١٩٠٦

مفاخر البطالسة

بطليموس الرابع الملقَّب فيلوباتر

هو ابن بطليموس الثالث خلَف اباهُ على عرش مصر سنة ٢٢٢ قبل المسيح واقترن باختهِ ارسنوي فولدت لهُ ابنهُ بطليموس الخامس الملقَّب ابيفانس

في تاريخ هذا الملك امران من احرى الامور بالذكر اولهما ان ما يُدوَّن في التواريخ قد يكون كذبًا وتضليلاً لان اغراض الكتَّاب تحول دون تقرير الحقائق فيقررون الاباطيل · وثانيهما ان من يمتلك بلادًا وينظم جندهُ من اهاليها يجب ان يكون على تمام الحذر لئلا يخرج هذا الجند عليهِ فيصدق فيهِ قول القائل

اعلمهُ الرماية كل يوم فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

مَن يقرأُ تواريخ البطالسة التي كتبت حتى عشرين سنة مضت يحسب هذا الملك خليعًا منغمسًا في الملاذ والمعاصي لا يهتم بامور البلاد ولا براحة العباد ولكنهُ يرى من خلال ذلك امرًا يتعذر على المؤرخ اخفاؤهُ مهما كان جائرًا في حكمهِ وهو ان هذا الملك حارب انطيوخس ملك سورية المعروف بالكبير وقهرهُ وبني الهياكل وعضد العلوم والفنون فيستغرب اجتماع النقيضين فيهِ الانغماس في الملاهي والمعاصي وتنظيم الجيوش وتعضيد العلوم والفنون ولكنهُ اذا طالع اقوال الباحثين المحققين وجد ان بطليموس هذا شدد الوطأة على بعض سكان بلادهِ فسوَّدوا صحيفة تاريخهِ وتركوا ذكرهُ عارةً في الملا

ويقال انهُ لما قهر انطيوخس عند رفح كما سيجيءُ اوغل في بلاد الشام الى ان وصل القدس الشريف فاعجب ببناء هيكل اليهود ودخلهُ وحاول دخول قدس الاقداس فقال لهُ رئيس الكهنة ان ذلك لا يجوز لاحد الاَّ لهُ هو مرةً واحدة في السنة · فقال بطليموس ان هذا المنع يصدق عليكم ولكنهُ لا يصدق عليَّ واصرَّ على الدخول فاصابتهُ نوبة صرع وسقط لساعتهِ فحملهُ رجالهُ واخرجوهُ من الهيكل · فحقد على اليهود بعد عودتهِ الى مصر وامر ان يوسموا على اذرعهم ونكَّل بالذين لم يطيعوا امرهُ تنكيلاً ورمى بعضهم للافيال

قال كاتب سفر المقابيين الثالث ان بطليموس استدعى اليهِ هرمون حارس افيالهِ وامرهُ ان يطعمها طيوبًا فقط ويسقيها كثيرًا من الخمر حتى تسكر ويشتد قرمها وتقوى على الفتك بالناس وجمع اخصَّاءهُ وقواد جندهِ الذين يكرهون اليهود واولم لهم وليمة فاخرة · ثم جيءَ

بالنسبة الينا مثل الشعور بوجود الكتاب والقلم والقرطاس . ونشعر بها ايضاً بعد خروجها من جسم الانسان ونتأكد وجودها كما نتأكد وجود الحيوان والنبات والجماد والنور والصوت والكهربائية

ولماذا نبحث عن غيرنا ولا نبحث عن انفسنا . لنفرض ان قارئ هذه السطور كهل عمرهُ اربعون سنة فاين كان منذ خمس واربعين سنة . اين كانت نفسهُ العاقلة هل يقدر ان يتذكر وجودها حينئذٍ ويثبت ذلك بدليل حسي يقنع غيرهُ وان كان يجهل ذلك فهل يمكن ان يعلمهُ كما كان الناس يجهلون اموراً كثيرة ثم علموها الآن اي هل يستطيع الانسان ان يتوصل يوماً ما الى معرفة الحالة التي كان فيها قبلما ابتدأ تكوّنهُ في بطن امهِ كما ادّعت الفتاة التي ورد خبرها في المقالة المشار اليها آنفاً . فان الناس كانوا يجهلون مثلاً انواع العناصر الداخلة في تركيب الشمس والكواكب وقال بعض علمائهم ان الوصول الى معرفة ذلك ضرب من المحال ولكن لم تمضِ على قولهِ مدة طويلة حتى ثبت ان النور يدل على نوع العناصر التي يصدر منها او يمر فيها فتمكّن العلماءُ بواسطة هذا الاكتشاف البديع من معرفة عناصر الشمس والنجوم كما يعرفون العناصر التي يتركّب منها طعامهم وشرابهم . افلا يمكن ان يكتشف سبيل علمي لمعرفة ما كنا عليهِ قبلما ولدنا وكذلك ألا يمكن ان يوجد سبيل علمي طبيعي لمعرفة ما يمكن ان نصير اليهِ بعد ما نموت لا من حيث اجسادنا فاننا نعلم انها تنحلُّ ويأكلها الدود ويغتذي بها النبات بل من حيث نفوسنا العاقلة

هنا ينقسم العلماءُ الى فئتين فئة تقول ان الوصول الى معرفة ما كنا عليهِ قبل الولادة وما نصير اليهِ بعد الموت غير ممكنة بالوسائل العلمية الطبيعية وفئة تقول ان ذلك ممكن وتدّعي انها وجدت ادلة تؤيّد دعواها

وبديهي ان قول بعض العلماءِ انهُ لا توجد ادلة طبيعية يثبت منها اين كانت نفس الانسان قبلما تصوَّر في بطن امهِ والى اين تذهب بعد ما يموت لا ينفي وجود النفس بل انما ينفي وجود الادلّة الطبيعية المشار اليها

ولا يخفى انهُ اذا قال علماءُ اللاهوت او علماءُ الكلام ان نفوس الابرار تقيم حول العرش والقيثارات في يدها تسبح الله وتمجدهُ او تجلس على سرر من الاستبرق لا يثبتون قولهم هذا بالادلة الطبيعية بل بالنصوص الكتابية . ويرى كثيرون من علماءِ الاديان ان المعتقدات الدينية يجب ان لا تعتمد على علم طبيعي ولا على حكمة الناس بل على الوحي والايمان

وادركه السناء في الطريق ستني في عكاء وقام بطليموس للقائه بخمسين الف راجل وخمسة آلاف فارس و ٧٣ فيلاً مضرّاة · وكانت جنود انطيوخس ٦٢ من المشاة وستة آلاف من الفرسان و ١٠٢ من الافيال وفي اليوم الخامس من خروج بطليموس من مصر نصب خيامهُ على خمسة اميال من مدينة رفح ووصل انطيوخس الى هناك ونزل على مقربة منهُ · ودخل ثيودوتس خيمة بطليموس خلسة ليفتك بهِ ولكن بطليموس لم يكن نائماً في خيمتهِ بل في خيمة اخرى فقتل ثيودوتس اندرياس طبيب بطليموس وجرح اثنين من رجالهِ

ثم اصطف الجيشان للقتال وكانت افيال كل جيش قائمة على جناحيهِ امام فرسانهِ فلما ابتدأ القتال هجم انطيوخس بميمنة جيوشهِ على ميسرة بطليموس وكسرها واقتفى اثرها فابتعد عن جيشهِ · وهجمت ميمنة بطليموس حينئذٍ على ميسرة جيوش انطيوخس وقهرتها لكنها لم تبعد كما ابعدت ميمنة انطيوخس بل اشتركت مع قلب الجيش وهجم الاثنان على قلب جيش انطيوخس فدارت الدائرة عليهِ واستتبَّ النصر لبطليموس ولو اندحرت ميسرة جيشهِ · وقتل من جيوش انطيوخس عشرة آلاف من المشاة وثلثمائة من الفرسان وأُسر منهم اربعة آلاف وقتل ثلاثة من افيالهِ ومات اثنان من جراحهما وقتل من جيوش بطليموس ١٥٠٠ من المشاة و ٧٠٠ من الفرسان و ١٦ من الافيال وأُسر انطيوخس بقيتها

وعاد بطليموس الى مصر بعد ان عقد شروط الصلح مع انطيوخس وبعد ان اقام ثلاثة اشهر جائلاً في فينيقية وفلسطين وبقيت بلاد الشام في حوزة مصر مدة حياتهِ ولم يحاول انطيوخس استرجاعها الاَّ بعد وفاتهِ

وعكف بطليموس بعد رجوعهِ من سورية على تعضيد المعارف وتشييد الهياكل واكرام معبودات المصريين ومعبودات اليونانيين وبنى هيكلاً لهوميروس شيخ الشعراء وبنى هيكلاً في طيبة وهو المسمَّى الآن بدير المدينة وجعلهُ لهاثور الاهة العالم السفلي · وعلى جدران غرفة من غرف هذا الهيكل صورة الدينونة المشهورة التي يرى فيها الالهان هورس وانوبس يزنان قلب الميت في حضرة الاله اوسيرس ونوت يكتب نتيجة الوزن وفي اعلاها صورة الميت يصلي لقضاة الاموات الاثنين والاربعين كما ترى على الصفحة التالية

واتمَّ بناء القسم الداخلي من هيكل ادفو ونقش الرسوم الكثيرة على جدرانهِ

واستمرَّ على بناء هيكل ايسس في اصوان الذي شرع فيهِ ابوهُ · وبنى هيكلاً صغيراً في جزيرة الساحل باصوان وقد ظهر حديثاً من الآثار التي وجدت هناك ان بطليموس الخامس

بالافيال الى امامهم وأُتي باليهود مقيدين وطرحوا امامها وهم يبكون و يضرعون الى الله فابت الافيال ان تنالهم بمكروه وارتدت على رجال بطليموس وفتكت بهم

هذه خلاصة ما رواهُ كاتب ذلك السفر . والمرجح ان بطليموس غاظ اليهود نزلاء القطر المصري اما بابتزاز الاموال منهم او بشيءٍ آخر جاريًا على خلاف الخطَّة التي جرى عليها اسلافهُ من الاعتناء بامَّة لها المنزلة العليا في تدبير الاموال وتوفير الثروة فحقد عليهِ بعض كتَّابهم وبالغ في ذكر سيئاتهِ او نسب اليهِ ما هو بريءٌ منهُ

هذا من جهة الامر الاول . والامر الثاني هو انهُ لما قام انطيوخس على بطليموس وحاول استخلاص بلاد الشام من يدهِ جنَّد بطليموس عشرين الفًا من المصريين وعقد لواءهم لاسين من نخبة رجالهِ وضمهم الى جيشهِ وحارب بهم انطيوخس ففاز عليهِ . فلما عاد هؤلاء الجنود الى بلادهم بثوا روح العصيان في نفوس الاهلين ومن ثم تزعزعت سلطة البطالسة

ولنعد الى تاريخهِ فنقول انهُ اتُّهم بقتل اخيهِ مغاس مخافة ان يخرج عليهِ ومن المحتمل انهُ قتلهُ خوفًا منهُ جاريًا في خطة اسلافهِ ومن المحتمل ان اخاهُ خرج عليهِ او حاول الخروج فقتلهُ . ويقال انهُ كان لوزيرهِ سوسبيوس سلطة تامَّة عليهِ فحملهُ على قتل اخيهِ وامهِ وخالهِ وحملهُ اخيرًا على قتل زوجتهِ . وكان كليومنس صاحب اسبرطة قد لجأَ الى الاسكندريه واقام فيها ضيفًا على البطالسة فالجأَتهُ دسائس الوزير سوسبيوس الى الانتحار

ثم ان ثيودوتس والي الشام وعد انطيوخس ان يسلمهُ القسم الشمالي من ولايتهِ ان هو نهض لقتالهِ . قال بوليبيوس المؤرخ انهُ فعل ذلك غيظًا من بطليموس لانهُ رآهُ غير مهتم بشؤون المملكة ولانهُ لم يعرف لهُ خدمتهُ فجهز انطيوخس جيوشهُ وسار الى سلوقية على نهر العاصي وبعث اليها باسطولهِ بحرًا وكان فيها حامية مصرية ففتحها عنوةً او خيانةً ثم تقدم الى الشام فاستولى على عكاء وصور من غير قتال لان ثيودوتس سلمهما اليهِ

وبلغ بطليموس ذلك فحصَّن مدخل القطر المصري عند فلوزيوم وجعل يذاكر انطيوخس في امر الصلح وتسليم الشام لهُ خداعًا منهُ حتى تمكنهُ الفرصة من تعبئة الجيوش . واستخدم القواد المحنكين لتعليم الجنود وتمرينهم وصنع كثيرًا من الاسلحة فاجتمع عندهُ ثلاثة آلاف من الحرس و٣٣ الفًا من المسترزقة وثلاثة آلاف من الجنود الكريتية وستة آلاف من التراقيين والغاليين وثلاثة آلاف من الفرسان وجنَّد ايضًا عشرين الفًا من المصريين وعقد للقائد نيقولاوس وبعثهُ بثلاثين بارجة فدارت الدائرة عليهِ عند مضيق بورفيريون وقتل من رجالهِ الفان وأُسر منهم الفان آخران فاشتدَّت عزائم انطيوخس وقام قاصدًا القطر المصري

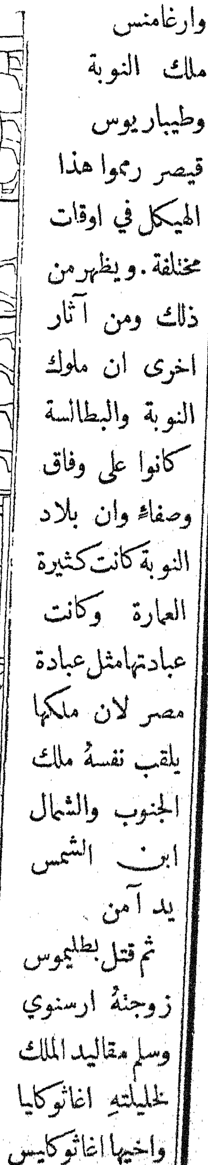
الحيوانات وحيلها

ـفعال الحيوانات تجري بموجب ما فيها من الغرائز ليس الاَّ
ـ خُلق معها . وليس من ينكر ان في الحيوانات كلها من
ـمشاهد ومشهور ولكن يخطئ من يقول ان التعماوات
وسكناتها . وقد أدرك علماء الحيوان الحديثون هذا
ـا ذهبوا اليهِ واثبتوا ان الحيوانات داجنة كانت او برية
ـلعاباً عديدة للتسلي بها كما يفعل الاولاد

ـلى ضفاف الانهر اذا كان منها سطوح مائلة . وكذلك
ـء فانها تختار ضفة مائلة حيث التراب ناعم وتزيل كل ما
تعوقها في تزحلقها ثم تصعد الى رأس الزحلوقة ويقف
ـق صدرهُ بالتراب ويدفع الارض برجليهِ فيندفع نازلاً
ـ البقية حذوهُ وتظل تكرر ذلك حتى تكل فتبطل اللعب
تنقطع عنهُ صيفاً ولا شتاء ولكنها تختار في الشتاء ضفافاً
ـاب لتعذر اللعب عليهِ

ـلعاباً مشابهة لما تقدم . ففي الصيف تصعد الى القنن العالية
ـتار منحدراً صقيلاً تتزلج فيهِ . فينطرح احدها اولاً في
ـ الماء فينحدر الى اسفل ومتى بلغ آخر المنحدر يعود الى
ـك يجري والمعزى التي معهُ تراقب عملهُ لتفعل مثلهُ ولا
ـهُ

ـ بعض اسفارهِ قرداً لعوباً بلغ من تفننهِ في اللعب انهُ
حتى اذا مرَّ قطيع من الخنازير استفرد خنزيراً منها ووثب
ـط مما جرى والخنزير يحاول التملُّص منهُ فلا يستطيع .
ـزير كأنهُ قطعة من جلدهِ ولا يفارقهُ حتى وهو يأكل علفهُ
ـنوع الذي يسميهِ العامة " بالنسناس " وحيواناً من النوع
ـقتاً طويلاً وهما يلعبان يمسك النسناس طرف ذنب كلب



وارغامنس ملك النوبة وطيباريوس قيصر رمموا هذا الهيكل في اوقات مختلفة . ويظهر من ذلك ومن آثار اخرى ان ملوك النوبة والبطالسة كانوا على وفاق وصفاء وان بلاد النوبة كانت كثيرة العمارة وكانت عبادتها مثل عبادة مصر لان ملكها يلقب نفسهُ ملك الجنوب والشمال ابن الشمس يد آمن

ثم قتل بطليموس زوجتهُ ارسنوي وسلم مقاليد الملك لخليلتهِ اغاثوكايا واخيها اغاثوكايس ووزيرهِ سوسبيوس فضعفت شؤُون البلاد في الداخل ولكن بقيت سطوتها في الخارج على ما كانت عليهِ في عهد اسلافهِ . ثم اشرك ابنهُ معهُ في الملك وعمرهُ سنتان وثارت البلاد عليهِ في اخريات ايامهِ وتركها كذلك لابنهِ وكانت وفاتهُ سنة ٢٠٥ قبل المسيح

قعق طائر معروف كثير الخيانة يسلب الاشياء النفيسة من
خر" حتى لقد قيل ان من الناس من كان يربي العقعق

عثر ذات يوم على عش" غراب ملئ قطع نخّار لامعة وزجاج
غراب واقف" بين جواهره ينقدها ويختار جيادها وينظمها
ن العش" فلم يرَ للجواهر اثرًا وسبب ذلك ان الغراب استشعر
خباءه وما ذخره فيه من الكنوز فنقلها الى حيث لا يعلم

رقص طائر في اميركا الجنوبية اسمهُ روبيكولا يجتمع السرب
بها من العيدان والحجارة وينتظم عشرة او اكثر في حلقة
جناحيهِ وينفش ذنبهُ ويأخذ يخطر خطرانًا بطيئًا في بادئ
في خطرانهِ ودورانهِ حتى يشبه " البلبل " الذي يلعب بهِ
منهُ التعب مبلغهُ فيقفز الى خارج الحلقة ويحلّ آخر محلهُ

ان اليهِ لدفع مضرم اوجرّ مغنم كأنهُ يستعمل الجدّ في معرض
عن طائر اسمهُ الغوّاص حيث قال " حكى بعضهم قال
ة فطلبهُ الغراب فاخذ السمكة منهُ فغاص مرة اخرى وطلع
لغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص واخذ برجل الغراب
تى اغرق الغراب وخرج سالمًا " . وقال عن طائر اسمهُ الككم
الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها لكن لا في جميع السنة
تمعت عليهِ العصافير وصغار الطيور مما يكون في الآجام والمياه
كان آخر النهار اخذ واحدًا منها فأكلهُ كذلك فعلهُ في كل
فاذا انقضى انعكست عليهِ فلا تزال تجتمع عليهِ وتطردهُ
لهُ صوت الى فصل الربيع "
بعض انواع القردة التماسًا للطعام فانها تصطف صفوفًا منتظمة
في طليعتها قرد مسن" يصدر الاوامر اليها باصوات تنبه بها
إذن للاستطلاع خشية طارئ مفاجئ ويعزّز الدائرة حرس

الماءَ بيديهِ ويرقص حولهُ فيهجم هذا عليهِ فلا ينالهُ لخفة الاول وثقل الثاني · فاذا فرغا من اللعب اضطجعا جنباً لجنب

والسنجاب من اكثر الحيوانات لعباً واشتهر العابهِ الوثب من شجرة الى شجرة بخفة تفوق خفة سائر الحيوانات · وكذلك جراءُ الحيوانات التي من فصيلة الهرّ كالاسد والفهد والنمر فانها لا تكاد تكلُّ من اللعب ولا تعرف لهُ وقتاً

ويقال ان لصغار افراس النهر والافيال العاباً خاصة بها على ضخامة اجسامها ونقل حركاتها. واشتهر عن الادباب الرقص وتقليد حركات غيرها منذ عهد بعيد · وعند اهل كمشتكا رقصة يسمونها رقصة الدب فيرقصون ويقلّدون جميع حركات الدب وسكناتهِ في رقصهِ ويفتخرون بانهم تعلموا الرقص من الادباب

ومن اغرب العاب الحيوانات ما يفعلهُ نوع من الفار في كاليفورنيا سمي فار التجارة · وسبب هذه التسمية ان الفارة منهُ لا تسرق شيئاً الاّ وضعت شيئاً آخر مكانهُ · فمن حكاياتها ان فارة سطت ذات ليلة على منزل ودخلت المطبخ فرأَت قصعة مملوءة حلوى فسرقت ما فيها ثم ملأَتها مثل ما في جراب الكردي في الحكاية بين قطعة عصاً مكسورة وقطعة حبل وقطع شريط وزجاج وما اشبه

وحكى بعضهم انهُ رأَى جحر فارة في منزل مهجور فاذا فيهِ عوارض حديد منتظمة الوضع ونحو ثلاثين شوكة وملعقة وثلاث سكاكين كبيرة وكيس عتيق وعدة من ادوات النجارة وقطع ساعة وغير ذلك من الاشياء التي لا حاجة بالفارة اليها لغرض من الاغراض وانما جمعتها للتلهو بها كما يفعل صغار الاولاد

ويشبه هذه الفارة حيوان في اميركا الجنوبية يحمل كلّ ما يستطيع حملهُ مما يعثر عليهِ في روحاتهِ وغدواتهِ ويجعلهُ عرماً عند باب وجارهِ · وكثيراً ما يفقد الرعاة بعض ادواتهم فيفتشون عنها امام اوجرة هذا الحيوان فيجدونها

ومثل هذه بين ذوات الاربع الغراب والعقعق بين الطيور فقد اشتهر عن الاول السرقة لغير سبب حتى كان المثل العامي " قالوا للقاق لماذا تسرق الصابون قال الاذى عادة " · وكذلك الثاني وكانت العرب تضرب بهِ المثل في السرقة والخيانة · قال الشاعر

اذا بارك الله في طائرٍ فلا بارك الله في العقعقِ
قصير الذنابى طويل الجناح متى ما يجد غفلة يسرقِ
يقلّب عينيهِ في رأسهِ كانهما قطرتا زئبقِ

م يصفون الانسان في كتب المنطق بالضاحك تمييزًا لهُ عن سائر الحيوان ٠
من رأى الضبع واسنانها بادية يحسب انها تضحك حقيقة

ون غيره من الحيوانات في اختراع الحيل لسد نهمهِ بل ربما كان ادهى
سيادين الانكليز القصة الآتية قال كنت ذات يوم ارقب سربًا من الغزلان
في سهل امامي وحانت مني التفاتة الى احد جوانب السهل فرأيت ستة
قة كأنَّها تعقد جلسة للمشاورة ٠ فجلست حيث أرى ولا أُرى رغبةً
مرها ومعرفة موضوع جلستها ٠ فاضطجع احدها على الارض وتفرقت
ت مختلفة حتى احدقت بالغزلان عن بعد فصمد احدها لها يتحداها للنزال
لجهة المقابلة ولكنها لم تبعد كثيرًا في فرارها حتى لقيت ذئبًا آخر في
ة اخرى لتلقى ذئبًا آخر وما زالت في كرٍّ وفرٍّ واقدام واحجام حتى غلبها
حظها كانت قد دنت من المكان الذي اختبأت فيهِ فاخذتني الشفقة
، واطلقتها على اقرب ذئب مني فقتلتهُ فلما رأت بقية الذئاب ما حلَّ باخيها
ت الفرار ٠ وكانت الغزلان قد اغتنمت فرصة ذلك الارتباك والاختلاط
لا تلوي على شيءٍ

ذئابًا استفردت جاموسًا فخشيت لقاءهُ مواجهة علمًا بما هو عليهِ من شدة
ا على مهل حتى اوصلتهُ الى شفا جرفٍ هارٍ فضيقت حلقة الحصار عليهِ
بعهُ عضًّا فنكص الى الوراء فتدهور الى اسفل وتحطم فتبعتهُ وهاجمتهُ

ضرب العرب الامثال في مراوغهِ فقالوا اروغ من ثعالة ومثلهُ اخوهُ
الكلام عليهما بل نذكر بعض ما عرف عنهما مما لم يشتهر كثيرًا منهُ ان
د عن كثب لا تحيُّنًا لفرص اغتيالهِ ولا اعجابًا بجمالهِ بل تكديًا تلتقم
مائدتهِ ٠ فاذا اصاب صيدًا اكل منهُ بلعة وترك الباقي انفة واستكبارًا
ضلاتهِ بلا دعوة ولا معاودة

عليهِ من الروغان والمكر فان في قلبهِ من الشجاعة والصبر على المكاره ما يندر
وان واصبرهِ ٠ روي ان بعضهم اخذ تعلبًا ليصبرهُ فوجدهُ ثلاث ارجل
جل الرابعة في معدتهِ وبيان ذلك ان الثعلب كان قد وقع في الفخ فاحتال
جلهِ التي علقت بهِ فقضمها وابتلعها ولكنهُ وقع في فخ آخر وكأنهُ فرَّ من
ن فوَّاتهِ

يسير مبتعداً عنها . وفي الوسط الاناث وصغارها . ويحافظ الكلُّ اشدّ محافظة على النظام ما عدا الاناث والصغار فانها لا تكفُّ عن الرقص واللعب واثقة انها من حماية الجنود ورعايتها في حرز حريز . فاذا بلغت حقلاً من الحقول المزروعة ذرةً انبثَّت فيهِ كرجْل الجراد ما عدا الحرّاس فانهما تلزم اماكنها للحراسة حتى اذا ملأَت بطونها الطاوية كرَّت راجعة تحمل ما تطيق حملهُ من الغنائم والاسلاب . ولكن اذا طلع عليها عدوٌّ وهي آخذة في السلب والنهب انذرها الحراس بالخطر فتأْخذ ما تستطيع من الذرة وتنقلب عائدة من حيث اتت كالبرق الخاطف وهي محافظة على النظام في ادبارها محافظتها عليها في اقبالها. اما الحرّاس فلا تشترك في السلب والنهب بل تقتصر مهمتها على الحراسة فاذا بلغ الجيش محلهُ آمنًا وزَّع عليها انصبتها من الاسلاب

والاسد وما كان من فصيلة الهرّ مثلهُ كالفهد والنمر تلعب بفرائسها كما يلعب الهرُّ بالفارة الاَّ ان الفارة ربما كانت اكثر احتمالاً لمداعبة الهرّ من فريسة الاسد لمداعبتهِ اياها لثقل وطأَة الاسد في المزاح. حدّث لفنستون المرسل الافريقي الشهير قال "دهمني الاسد ذات يوم على غرّة فالتفتُّ حولي واذا بي اراهُ يجمع نفسهُ في زورهِ ويدقُّ الحجار بصدرهِ تحفزًا للوثوب عليَّ ثم وثب وثبة صادقة اصاب بها كتفي فكسرهُ وأَلقاني الى الارض وادنى فمهُ من اذني وجعل يزأَر زئيرًا مخيفًا وهو يهزُّني بكفهِ كما يهزُّ الكلب الجرذ فاستولى عليَّ شبه سبات فقدت بهِ الشعور فلم أَعد احسُّ بخوف ولا بأَلم ولكنني لم افقد صوابي بل بقيت أُدرك كل ما يجري لي . والمرجَّح ان هذه الحال تعرو كلَّ فريسة من فرائس الحيوانات آكلة اللحوم فاذا صحَّ ذلك كان لطفًا من العناية الربانية تتدارك بهِ المخلوقات ذات الحسّ تخفيفًا لغمرات الموت" كلُّ ذلك كان يفعلهُ الاسد بلفنستون من قبيل الملاعبة والمضاحكة "ولكنهْ ضحكٌ كالبكا"

ومن خرافات العامّة ان الضبع اذا لقيت انسانًا لم تهاجمهُ بل مرَّت بهِ ماسة اياهُ فتسحرهُ فيركبها الى مغارتها وهناك تشرع في ملاعبتهِ ودغدغتهِ حتى يسمع صوت ضحكهِ وانما يضحك لما يعتريهِ من الذهول فلا يدري ما هو فيهِ . وكان العرب ينسبون الضحك الى الضبع في شعرهم ونثرهم . قال ابن أُخت تأَبط شرًّا

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل

وكان ابن دريد يقول " انما اراد الشاعر انها تكشّر لاكل اللحوم وهذا سهو منهُ فجعل كشرها ضحكاً وقيل معناهُ انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهرُّ بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكًا لان الضحك انما يكون منهُ كتسمية العنب خمرًا . وتستهل الذهاب تصيح وتعوي قالهُ ابن سيده " والغالب انهم قصدوا بالضحك السرور كما تقدم اذ لا يعقل انهم ينسبون

واما الحياة الادبية عندهم فكان المبدأ الرئيسي فيها ان يعيش الانسان بحسب ما يؤدي اليهِ طبعهُ وطبع الكون اي انهُ يطيع القوة العاقلة فيهِ بناءً على ان العمل بحسب الطبيعة هو العمل بحسب العقل وما كان مخالفاً للعقل فهو مخالف للطبيعة وهو عبارة عن الطاعة للنواميس الادبية التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر بحيث يكون الانسان صادقاً مخلصاً عادلاً بارًّا لا كاذباً منافقاً ظالماً شريرًا . وكل ذلك لا يختلف البتة عما تأمر بهِ الاديان او تنهى عنهُ الاَّ ما حللهُ بعضها من الكذب والجور على من لا يدينون بدينهم وهو حكم قاطع على فساد كل مذهب يقول هذا القول . وجلّ تعاليمهم انهُ يجب على الانسان ان يتحرَّر من اهواء النفس وان لا يكترث لفرحٍ او حزن وان يخضع بلا شكوى للضرورة المتسلطة على كل ما يكون

وشدَّدوا في التحريض على امرين الاول انهُ لما كان الانسان جزءًا من النظام الاجتماعي وجب عليهِ ان يوجه اعمالهُ كلها لخير الناس الذين هم اسباؤهُ في الجنسية والعقل . ومن اقوال اوريليوس في ذلك " اننا خُلقنا لمشاركة في العمل كما خُلق اليدان والرجلان والجفنان والفكان وعلى ذلك يكون ما يعملهُ بعضنا ضد البعض الآخر مخالفاً للوضع الطبيعي "

والامر الثاني الصفح عن الذنوب وفي ذلك يقول اوريليوس " افضل السبل للانتقام من المسيء اليك ان لا تصير مثلهُ . اذا اساء اليك احد فانظر في الحال الى ما يسوقهُ الى الخير او الشر فترى انهُ يستحق الشفقة لا الغضب " . غير ان هذا النوع من التجاهل لا يُقبل عند الجمهور وانما يجب الصفح عما لا يضرُّ بالمصلحة العامة او في ما اذا كان المسيءُ لا يعلم ماذا يفعل . ومن هذا القبيل قول المسيح " يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون " واما في غير ذلك حيث يريد الشرير السوءَ عمدًا فكثيرًا ما لا يرتدع الاَّ اذا خاف ان يعامَل بالمثل او خاف من العقاب الذي يوجبهُ الشرع وهو جزاءٌ لهُ وعبرة لغيرهِ . والناس مختلفون في ذلك فيصح فيهم قول الفيلسوف العربي ابي الطيب المتنبي

اذا انت اكرمت الكريم ملكتهُ وان انت اكرمت اللئيم تمرَّدا

سئل كنفوشيوس الذي يدين اهل الصين بدينهِ هل يجب ان يجازى المسيءُ بالاحسان قال فبماذا اذن تجازون المحسن بل يجب ان يجازى المسيءُ بالعدل والمحسن بالاحسان . وقال ان من يكافئُ الشر بالخير يحاول دفع الضرر عن نفسهِ

وقيل بل يجب الصفح عن كل الذنوب كيف كانت وبلا قيدٍ وهو ما ذهب اليهِ اوريليوس ورفقاؤهُ الرواقيون وما جعلهُ الدين المسيحي ركناً ثابتاً وشرطاً لازماً بقولهِ ان الله لا يغفر ذنوبنا الاَّ اذا غفرنا لمن اذنب الينا

منتخبات

من خواطر مركوس اوريليوس

تمهيد

هو مركوس اوريليوس انطونينوس الامبراطور والفيلسوف الروماني

وُلد في رومية سنة ١٢١ م · وكان ابوهُ من كبار الرومانيين وخالهُ انطونينوس بيوس من الذين تولوا الامبراطورية فلما مات سنة ١٦١ تولَّاها مركوس اوريليوس الى زمن موتهِ سنة ١٧٩ وقد قضى اكثر مدة ملكهِ في الحروب · وأُحسنت تربيتهُ في صغرهِ وهو يشكر الآلهة في كتابهِ الاول على صلاح اجدادهِ وابويهِ واخيهِ ومعلميهِ ورفقائهِ وانسبائهِ واصدقائهِ · ولما بلغ السنة الحادية عشرة من عمرهِ لبس ثوب الفلاسفة وهو ثوب بسيط خشن وجدَّ في الدرس ومال الى شظف العيش حتى اضرّ بصحتهِ

وكان مذهبهُ في الفلسفة مذهب الرواقيين الذين تلقَّبوا بهذا الاسم من رواقٍ في اثينا كان يعلّم فيهِ الفيلسوف زينون (نحو سنة ٣٥٠ ق · م) واضع هذه الفلسفة ومن خلفهُ في تعليمها وخلاصتها من حيث الكون انهُ مؤَلف من اصلين ازليين احدهما فاعل والآخر مفعول اما الاول فهو الله الواحد ولو تعدّدت اسماؤُهُ ولا يقال انهُ خلق المادة لانها قديمة مثلهُ بل انهُ الفاعل بها والمكوّن لها حتى صارت لها الصورة الحاضرة المعروفة · وقالوا ان المادة مؤَلفة من دقائق اصلية ينتهي تركيبها بعضها مع بعض الى الكون الطبيعي الذي لا يلبث على حال واحدة لل يتغيّر دوامًا ويركّب اشياء جديدة من القديمة · وقال سنيكا وهو من اكبر فلاسفتهم انهُ ليس في الكون الَّا شيئان هما السبب والمادّة اما السبب فمنتشر في المادّة وهو المحرّك والمدبّر لها وهو عاقل حكيم يدير اعمالهُ فيها لاغراض مقصودة ينشأُ منها نظام العالم · وقالوا ان في الانسان روحًا ونفسًا اما الروح فمشتركة بينهُ وبين بقية الاحياء من نبات وحيوان وهي هالكة واما النفس فهي نفحة من الله وكأَنها قسم منهُ وهي القوة العاقلة المرشدة الى معرفة الخير والشر الحاكمة على الاهواء والاعمال اذا اطاعها الانسان · ولكنهم اختلفوا في بقائها بعد الموت بذاتيها والظاهر من كلام اوريليوس انهُ كان مترددًا في المسئلة مفوّضًا الامر الى الله · وقال بعضهم "ليس الموت شيئًا يُعتَدُّ بهِ ولا هو شرّ بل هو غياب الشر" وقال غيرهم "لا شيءَ بعد الموت ولا الموت نفسهُ شيءٌ"

لا يزعجني الّا امر واحد فقط وهو اذا عملتُ شيئًا لا يبيحهُ الطبع البشري او لا يبيح كيفيتهُ او لا يبيحهُ الزمن الحاضر

يجب ان تقدَّر قيمة المرء بالمطالب التي يسعى اليها

لا تعمل شيئًا بلا تبصُّر وغرض مقصود ولتكن كل اعمالك عائدة لخير العموم

إعتنِ بالامر الذي امامك سواء كان رأْيًا او قولاً او فعلاً

كل ما تدعوك اليهِ عزّة النفس بادر اليهِ في الحال بلا تردّد ولا ارتياب

الغضب

متى هاج الغضب فيك اذكر ان من شيم الرجال الحلم واللين لا اعطاء النفس هواها ٠ وكلما كان المرء خاليًا من حدّة الغيظ كان اقرب الى القوة

الضيق والصبر

لتكن حاجاتك قليلة ولا تبثّ همك الى احد

كل ما يحدث انما يحدث نوع اما انك مجبول بالطبع لاحتمالهِ او لعدم احتمالهِ ٠ فان كان مما تحتملهُ بالطبع فلا تشكُ وان كان مما لا يستطيع طبعك ان يحتملهُ فلا تشكُ ٠ ولكن اذكر انك قادر بالطبع ان تحتمل ما تعلم انهُ يكون لك منهُ فائدة او ما يجب عليك احتمالهُ

في كل مكان وزمان لك طاقة على التسليم بحالتك الحاضرة والانصاف لمن حولك من الناس

ما اتاك من ضيق فمن العدل لانك اخترت الصلاح غدًا لا اليوم

القلق والضجر

لا تقلق فان كل الامور جارية بحسب طبيعة الكون وعما قريب لا يعرفك احد ولا مكان . ثم انظر الى عملك وتدبَّرهُ واسعَ الى الصلاح وقل قولاً عادلاً بالبشاشة والحشمة وبدون رياءٍ

لقد اصاب كتبة الروايات في قولهم اذا اهملتني الآلهة انا واولادي فلذلك سبب وقولهم لا تضجر ولا تقلق مما يقع

وفّق نفسك لاحوال نصيبك في الحياة وأَحبب الناس الذين قدّر لك ان تعيش معهم محبة خالصة ولا تضجر من حالك الحاضرة

لا تقلق لما يأْتي لانهُ اذا اتى فسيكون لك من قوة التدبير ما لك الآن في الامور الحاضرة

"والخواطر" او التاملات المنسوبة الى اوريليوس كتاب صغير مؤلف من اقوال حكمية مفيدة كتبها في ازمنة مختلفة بحسب ما خطرت لهُ . قيل كتبها لنفسهِ وقيل لابنهِ كومودوس لكن ابنهُ لم يعبأ بها والاصل اللاتيني معقّد العبارة بعضهُ لا يفهم ولذلك كانت ترجمتهُ الى لغة اخرى امرًا عسيرًا جدًّا . وقد اخذتُ المنتخبات الاتية عن الملغ ترجمة الى اللغة الانكليزية وعنيت بتوضيح العبارة وتلخيص المعنى وتنسيق المسائل

الصلاح

لا يتمّ الصلاح الاَّ بمراعاة المبادئ العامَّة التي يتعلق بعضها بطبع الكون والبعض الآخر بالطبع الخاصّ بالانسان

لاسبيل لك مع الناس الاَّ المحبة لهم فانظر الى فضائلهم بالمدح والى ذنوبهم بالاشفاق والرّفق والى اذاهم بالصفح

اجعل حياتك صادقة مستقيمة الى غاية ما يمكن واصنع بالهدوّ ما يوجبهُ الزمان والعمل ولا تشغل نفسك بالهمّ في ما قد يأْتي بهِ المستقبل

اذا انتهجتَ الصلاح والحياء والصدق والفطنة والشهامة فاحرص عليها واذا عدلت عنها فارجع اليها في الحال

كما تكون افكارك هكذا تكون اخلاقك . لا تتشدَّق في ما يجب ان يكون المرءُ عليهِ من الصلاح بل كن كذلك

العمل

كثيرًا ما يفرّط الانسان في اهمال العمل كما قد يفرْط في العمل

كلما صادَرك عملٌ سلْ نفسك هل اندم اذا فعلتهُ

اذا عملتَ شيئًا للخير العام فقد نلت ثوابك . فاذكر ذلك دائمًا ايها الانسان ولا تكفّ عن عمل الخير

احصد حصاد الحياة كما تحصد سنابل الحنطة البالغة

مرّن نفسك ولو على الاشياء التي تيأَس من عملها وخذ مثالاً على ذلك اليد اليسرى فانها اقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين

لكل موجود غاية فما هي غاية وجودك . ان قلت هي اللذَّة فالعقل يخالفك في ذلك

اذا لم يكن الشيءُ حلالاً فلا تفعلهُ واذا لم يكن حقًّا فلا تقلهُ

على اعمال غيره . ثالثاً متى ضايقك الناس واحزنوك اذكر ان حياة الانسان ليست الاّ لمحة اذا انقضت صرنا جميعاً تراباً . رابعاً ان ما يأْتي علينا من العضب والقلق اشدُّ مما نشعر بهِ في انفسنا لا مما يكون في الاعمال الجائرة التي تسببهُ . خامساً ان الخلق الطيب لا يقهر اذا كان صحيحاً لا تصنعاً لانهُ ماذا يفعل بك الجائر الظالم اذا دُمت على المعروف والاحسان اليهِ . سادساً انتظار عدم الشرّ من الاشرار جنون ومحال لانك اذا رأيتهم يسيئون الى غيرك فكيف تنتظر انهم لا يسيئون اليك

مذمّة الناس

اذا ذمك احد او ابغضك او قال فيك سوءًا فانظر اليهِ وتبصَّر في حالهِ فترى ان لا داعي للاهتمام بما يظنهُ فيك خيرًا او شرًّا (وهو كقول ابي الطيب المتنبي

واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي باني كاملُ)

لا تمكّن احدًا من قولٍ يصدق فيك انك منافق شرير بل ليكذ نَّ في ما يقولهُ . وهذا في طاقتك لان من يستطيع ان يمنعك عن الصلاح والاخلاص

اذا احتقرني احد فهو وشأْنهُ واما انا فشأْني الحذر من كل قول او عمل يوجب الاحتقار. واذا ابغضني احد فهو وشأْنهُ واما انا فشأْني اللطف والمعروف لكل احد

التعويل على النفس

طب نفساً ولا تطلب عونًا او راحةً من احد فان المرءَ يجب ان يقف منتصبًا من تلقاء نفسهِ لا مسنودًا من غيرهِ

انا لا اختار قبول معروفٍ لا اقدر على مقابلتهِ بالمثل

السعادة

قد عرفت من الخبرة ان السعادة ليست في المباحث العقلية ولا في الغنى ولا في الشهرة ولا في اللذات ولا في مكان . فاين هي اذن . هي في عمل ما يقتضيه العقل وهو انهُ لا خير للمرءِ الاَّ الانقياد الى المبادىء التي ينشأُ منها العدل والعفة والمروَّه والحرية وان لا شر لهُ الا في مخالفة ما ذكر

حِكم متفرقة

لا حاجة الى الخوف لان لك ان تنظر الى ما يجب عملهُ وان كان واضحًا فاذهب فيهِ وان كان مبهمًا فقف واستشير خبيرًا حكيماً

قصر الحياة والموت

عما قريب تنسى كل شيءٍ وعما قريب ينساك كل احد

عما قريب يغطينا التراب جميعاً ثم يتغير التراب وما ينشأُ من هذا التغيير يتغير ايضاً وهكذا الى الابد . فاذا تأَمل الانسان في هذه التقلبات المتعاقبة كتعاقب الامواج ونظر الى سرعة سيرها احتقر كل ما هو فانٍ

انظر الى كل ما هو كائن فتراهُ ينحلُّ ويتغير ويفسد ويتفرَّق وترى ان كل شيءٍ مجبول بالطبع لينتهي الى الموت

اذكر انك عما قريب لا تكون شيئاً ولا يبقى شيءٌ مما تراهُ

اذكر ان الذين تضجروا من نوائب الدهر والذين اشتهروا بالصيت الذائع والذين نالهم حظ من الاسواء والعداوة قد هلكوا كلهم ولم يكن من امرهم الاَّ دخان ورماد وقصة تحكى او لا تحكى

ما اقصر ما قدّر للانسان من الزمان وما اضيق القسم الذي يشغلهُ من المكان وما اصغر البقعة التي يدبّ عليها من مجموع الارض . فلا شيءَ كبيراً الاَّ العمل الصالح

لا تعش كأَنَّ لك عشرة آلاف سنة ترميها ضياعاً فان الموت واقف عند بابك فاصلح لشيءٍ ما دمت حيًّا وانت قادر عليهِ

شرّ الناس

الناس يحتقر بعضهم بعضاً ويتملَّق بعضهم بعضاً ويريدون التفوُّق بعضهم على بعض ويتذللون بعضهم لبعض

ما بلغ احد من السعادة ما اذا جاءَت ساعة موتهِ لم يسرّ بعض الناس بذلك . فانهُ اذا كان صالحاً عاقلاً قالوا قد تخلصنا من هذا المعلم الذي يعيب اعمالنا . هذا ما يقولونهُ في الرجل الصالح واما نحن فكثيرون يريدون موتنا لاسباب شتَّى . فاذكر ذلك ايها الانسان متى اتاك الموت ومت راضياً وقل اني راحل عن الحياة وهو ما يريدهُ رفقائي الذين كثيراً ما سعيت الى خيرهم لعلهم يجدون في ذلك شيئاً من النفع لانفسهم

اذا اخطأَ اليك احد فاذكر هذه الامور . اولاً انك انت ايضاً تخطئُ في اشياءَ كثيرة وانك بشرٌ كغيرك وانك اذا امتنعت عن بعض الذنوب ففيك الميل اليها ولا تعملها جبناً او خشية العار او لسبب آخر حقير . ثانياً انك لا تدري هل ما يعملهُ الناس شرٌّ مقصود او لا لان كثيراً من اعمالهم ناشئٌ عن مقتضى الحال وانهُ كثيراً ما يتعسر على الانسان الحكم المصيب

وفي سنة ١٨٨٨ أَبان الاستاذ هرتز الالماني ان الشرارة الكهربائية تجعل الامواج الكهربائية تنتقل في الاثير الى كل الجهات كما يحدث في بركة ماءٍ اذا القي فيها حجر . وقد سمّيت هذه الامواج امواج هرتز نسبة اليهِ وسرعتها مثل سرعة النور فتدور حول الارض ثماني مرّات في الثانية من الزمان . فخطر لكثيرين من المشتغلين بالكهربائية وفي جملتهم بعض المشاهير مثل اولفر لودج والسر وليم بريس والاستاذ برانلي والاستاذ لنلي والاستاذ سلابي وغيرهم ان يستخدموا الامواج المذكورة في التلغراف فلم يفلحوا اذ لم يكن هناك بدٌّ من امرين الواحد نقل القوة الى مسافة بعيدة والآخر اختراع آلة تؤَثر تلك القوة فيها . ومعظم الصعوبة من الوجه الميكانيكي . وكان السر وليم بريس قد تمكن من ارسال الرسائل البرقية مسافة اميال قليلة بلا سلك وبغير واسطة امواج هرتز وسبقهُ مورس (مخترع التلغراف) فتمكن سنة ١٨٤٤ من ارسال الرسائل البرقية بلا سلك تحت الماء مسافة ميلين ونال بهِ امتيازًا ولكن أُهمل امرهُ ومات قبلما ولد مركوني

وكان مركوني قد شغف بالكهربائية وآياتها الباهرة فجعل يجرب التجارب العديدة لحل هذه المشكلة فلم تأتِ سنة ١٨٩٥ حتى تمَّ لهُ الظفر فسجل اختراعهُ في ايطاليا حالاً ونال بهِ امتيازًا . وفي السنة التالية قصد انكلترا وسجل اختراعهُ فيها ثم في غيرها من البلدان . واول تجربة جرّبها في انكلترا كانت في مجلس النواب حيث ارسل رسالة برقية بطريقتهِ الى الضفة المقابلة من نهر التمس على بعد ٢٥٠ يردًا . وفي يونيو سنة ١٨٩٧ ارسل رسالة اخرى مسافة ٩ اميال . وفي يوليو رسالة ثالثة مسافة ١٢ ميلاً . وفي سنة ١٨٩٨ أَرسل رسالة رابعة الى فرنسا مسافة ٣٢ ميلاً . وفي سنة ١٩٠١ ارسل رسالة اخرى مسافة ٣٠٠٠ ميل . ولما مرض ملك انكلترا الحالي وهو على ظهر يخته سنة ١٨٩٨ (وكان حينئذٍ وليًّا للعهد) كانت اخبار صحتهِ ترسل الى الملكة فكتوريا والدتهِ في اوسبورن بتلغراف مركوني

ولم يمضِ الاَّ القليل حتى استعملت تلغراف مركوني ست عشرة شركة من شركات البواخر الكبيرة ومن ضمنها شركة نوردو يتشرلويد وشركة خط همبرج واميركا وكلتاهما المانيتان . وأُنشئت محطات لهُ في جميع جهات الارض ووضعت آلاتهُ في كثير من البواخر فتستطيع ان تخاطب بعضها بعضاً وهي في عرض البحر وتخاطب المحطات التي على البر . ومنها ما ينشر جرائد يومية تتضمن احدث الاخبار . وترى الماليين يديرون الآن زمام بنوكهم واشغالهم وهم جلوس في البواخر الماخرة في العباب والمرضى يرسلون تقاريرهم اليومية الى اهلهم واصحابهم . والبوستة الانكليزية تقبل الرسائل الواردة بهذا التلغراف من جميع السفن وترسلها الى اصحابها

في الكون إما ضرورة محتومة ونظام لا يُقهر واما عناية ربانية واما تشويش لا قصد فيهِ ولا مرشد لهُ. فان كانت الضرورة التي لا تغلب فما الفائدة من مقاومتها وان كانت العناية التي تلتمسها فكن مستحقًّا لها وان كان التشويش فلا مدبر فاك في نفسك عقل تتدبر بهِ

كيف يمكن ان الله الذي اتقن كل امور الكون واظهر احسانهُ للبشر يهمل اهل الصلاح الذين تقربوا اليهِ متى جاء الموت ويقضي عليهم بالفناء والانقراض

متى شعرت بالهمّ والغمّ لامر اصابك فقد نسيت ان كل ما يحدث انما يحدث تبعًا لنواميس الكون . ونسيت انهُ اذا اضرّك احد فليس ذلك من شأْنك . ونسيت ان كل ما يجري قد جرى كذلك دائمًا وسيجري كذلك وهو جارٍ الان في كل مكان

من أَساء فقد أَساء الى نفسهِ . ومن ظلم فقد ظلم نفسهُ لانهُ صيَّر نفسهُ رديئًا

كما تستقبح في الغسل كل قذرٍ فيك او في الماء الذي تغتسل بهِ فهكذا اكره كل ما تراهُ في الحياة وعلى الارض من القذر

يوحنا ورتبات

التلغراف اللاسلكي

كثر الخلاف الآن بين الانكليز والاميركيين والالمانيين في اي نوع من انواع التلغراف الذي لا سلك لهُ افضل من غيرهِ وايها يجب استعمالهُ دون سواهُ فان الانكليز اعتمدوا على اسلوب مركوني والاميركيين والالمانيين على غيرهِ . والذين خالفوا الانكليز يحاولون سلب مركوني حقهُ في استنباط هذا التلغراف اوحمل الحكومة الانكليزية على جعل الانواع كلها متماثلة حتى تستطيع ان تتبادل الاشارات التلغرافية . والحكومة الانكليزية تفضل ان تستقل بآلات مركوني حتى تبقى اخبارها محصورة فيها لا يطَّلع احد عليها . وقد كتب المستر هنيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي في هذا الموضوع مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر جاء فيها على خلاصة تاريخ هذا التلغراف وتقدمهِ ومزاياهُ على غيرهِ فاقتطفنا منها ما يأْتي

وُلد مركوني في مزرعة جريفون قرب بولونيا بايطاليا سنة ١٨٧٤ وتعلَّم في كلية بولونيا . ولم يبلغ الرابعة او الخامسة من سنهِ حتى ظهر فيهِ الميل الى الاختراع فكان يجني ثمر العلّيق ويعصر منهُ حبرًا يلطخ بهِ ثيابهُ

حقوق الامم

(٢) الحكومات

يطلق لفظ الحكومة الآن على ما يعبر عنهُ بالانكليزية بلفظ Government وايضاً على ما يعبر عنهُ بلفظ State والمقصود بها هنا هذا المعنى الاخير

اما الفرق بين الكلمتين فتاسع في اللغات الافرنجية فان State بالانكليزية او Etat بالفرنساوية مثلاً تطلق على مجموع دائم مستقل من الناس يملكون ارضاً لاحقَّ لغيرهم بها ويكونون متحدين تحت سلطةٍ واحدة لعرض واحد هو المحافظة على ولايتهم والتمتع بحقوقهم .
ولا يخفى ان هذا التحديد اقرب الى كلمة "امة" منهُ الى "حكومة" بالمعنى المتعارف بين الناس ولكنَّ الفرق بينهما واضح ايضاً فانهُ قد تكون الامة مقسومة الى حكوماتٍ مختلفة متعددة كبولونيا مثلاً فانها امة واحدة مقسومة بين روسيا والمانيا والنمسا كما انهُ قد تكون الحكومة مؤَلفة من امم مختلفة كمملكة النمسا والمجر او السلطنة العثمانية فلا يصحّ خلط الاثنتين معاً

واما كلمة حكومة المتداولة بين الناس والتي يتبادر معناها الى الذهن حال التلفظ بها فذات معنًى محدود غير مقصود في بحثنا هذا وهو ما يعبر عنهُ الافرنج بقولهم Government اذ يقصدون هيئة قابلة التبديل والتغيير بيدها ادارة شؤُون البلاد وتنفيذها كمجلس النظار مثلاً في البلاد الدستورية او الملك في البلاد ذات الحكومة المطلقة

فبعد معرفة المقصود من كلمة "حكومة" عند ورودها في هذا البحث نقول :

الحكومات مثل الافراد تولد وتنمو وتتقدم او تتأخر . تكبر وتشيخ وقد تصغر فتفنى . وليس من شأْن علم الحقوق ان يبحث في كيفية وجود الحكومات والاسباب التي آلت الى نقدمها او انقراضها فلم يعد لها اثر فذلك شأْن فلسفة تاريخ الشعوب وسياستهم اما علم الحقوق فينظر اليها كما هي سواءٌ كانت الحكومة المستقلة نتيجة حرب او ثورة او اتفاق وديّ او انفصال قهري او ما شاكل

ولا يخفى ان اهمّ دواعي تكوين الحكومات في القرون الوسطى كان الفتح او الاغتصاب او اقتسام الممالك بين افراد اسرة مالكة او ضمّ دولة الى اخرى عقب عقد زواج بين احد افراد اسرة مالكة او ضمّ دولة الى اخرى عقب عقد زواج بين احد افراد اسرة حاكمة واحد افراد اسرةٍ اخرى . ولكن ليس الامر كذلك في ايامنا هذه بل ترى ان معظم اسباب تكوين الحكومات الجديدة كان اما نتيجة تخلصها من حكومة غريبة كاليونان ورومانيا والسرب

ولشركة تلغراف مركوني اربع شركات مناظرة لها واحدة المانية واثنتان اميركيتان وواحدة انكليزية وكلٌّ منها تدعي ان لها مزية على غيرها . اما الالمانية فتستخدم طريقتها في المانيا وغيرها من بلدان اوربا . واما الاميركيتان فواحدة منهما تستخدم طريقة فسندن وهي ارخص من غيرها . والاخرى شركة دي فورست وقد اشتهرت بان التيمس استخدمتها في حرب روسيا واليابان . واما الانكليزية فتستخدم طريقتها اي طريقة مركوني في نظارة الحربية الانكليزيَّة

ومن اعظم التجارب التي عملها مركوني لاول عهدهِ باختراع التلغراف اللاسلكي تجربتهُ بين انكلترا واميركا وهي التجربة التي اذاع البرق خبرها في حينهِ

واول رسالة رسمية حملها هذا التلغراف هي التي ارسلها الرئيس روزفلت في ١٩ ينايرسنة ١٩٠٣ من ولاية مستشوستس الى ملك انكلترا وهذه ترجمتها :

"جلالة الملك ادورد السابع بلندن

اني اغتنم فرصة الفوز العجيب الذي فازهُ البحث العلمي والمهارة العلمية في اتقان التلغراف الذي لا سلك لهُ واقدم لكم ولكل شعب الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة والدعوات الصالحات بالنيابة عن الشعب الاميركي الامضاء ثيودور روزفلت"

وقد نشرنا ذلك في حينهِ انظر المجلد الثامن والعشرين من المقتطف صفحة ١٨٥

ومن اهم الرسائل التي أُرسلت بتلغراف مركوني رسالة من انكلترا الى البارجة رنون التي كانت تخفر بارجة ولي عهد انكلترا عندسفرهِ الى الهند في اكتوبر الماضي وردت عليها الرسالة وهي عند مدخل ترعة السويس بعد ان مرَّت فوق القارة الاوربية بسرعة البرق بل رسولها البرق عينهُ

وجريدة الديلي تلغراف تنشر صباح كلّ يوم تقريرًا ضافيًا عن حالة الجوّ والهواء في جميع ثغور الاوقيانوس الاتلنتيكي يأْتيها بالتلغراف اللاسلكي فيمكن بذلك انباء البواخر بالاكن الانواء والعواصف وهي ماخرة في اليمّ فتجتنب الخطر

اما تأْثير طريقة مركوني فسيكون تخفيض اجرة الرسائل البرقية فقد عرضت شركة مركوني على الحكومة الانكليزية انها تتكفل بارسال الرسائل البرقية الى الهند بنصف اجرتها الحاضرة ووعد مركوني بجعل اجرة الرسائل التي ترسل الى اميركا بنسة عن كلّ كلمة فيرسل ٢٥ كلمة في الدقيقة . ولا بدَّ من مرور وقت طويل قبلما يحلّ التلغراف اللاسلكي محل التلغراف العادي ولكن النتيجة التي وصل اليها الآن تخفيض الاجرة كما تقدم

فلنفرض ان حكومة فقدت جزءًا من استقلالها او فقدته كلهُ لسببٍ من الاسباب فماذا تكون نتيجة ذلك على المعاهدات والاتفاقات المعقودة بينها وبين باقي الحكومات · او ماذا تكون نتيجتهُ على الديون العمومية التي اقترضتها هذه الحكومة من الحكومات الاخرى · او على العقار والاملاك التي كانت ملكاً للحكومة من قبل

قال موسيو بونفيس الفرنساوي جواباً على هذه الاسئلة (وعن هذا المؤلف اخذت معظم ما جاء في هذا المقال) : "لمعرفة التغيير الذي يطرأ على المعاهدات المعقودة بين حكومة زالت من الوجود واخرى باقية يجب ان ينظر الى الانقلاب الذي طرأ على الحكومة فاما ان يكون انقلاباً داخلياً كأن تتغير هيئة الحكومة من جمهورية الى ملكية او بالعكس او ان يكون انقلاباً عامّاً يفقد الحكومة استقلالها فتلحق باخرى ولا يعود لها شأن في المعاملات الدولية

فاذا كان الانقلاب داخلياً وكانت المعاهدات معقودة بين رئيس الحكومة المنقلبة بصفتهِ الشخصية وبين رئيسٍ آخر بهذه الصفة نفسها فلا شك ان هذه المعاهدة تزول بزوال هيئة الحكومة · وان مثل هذه المعاهدات قليل الان ولكنهُ لم يكن نادرًا في الزمان السالف فهكذا كانت المعاهدة بين سلطان القسطنطينيَّة وبين فرنسيس الاول ومثلها اتفاقية لويس الرابع عشر مع جيمس الثاني الانكليزي ومثلها ايضاً معاهدة نابوليون الثالث مع مكسيمليان النمساوي. واما اذا لم تكن المعاهدة شخصية فلا يؤثر فيها الانقلاب الداخلي الذي يطرأ على الحكومة بل يمتدّ مفعولها الى الهيئة التي تحلّ محل الهيئة السالفة

اما اذا انقلبت الحكومة انقلاباً عامًّا نقض اساس وجودها وجعلها تابعة بعد ان كانت مستقلة او متبوعة فلا ريب ان المعاهدات التي عقدتها تنقرض معها اللهمَّ الاَّ اذا كان هذا الانقلاب نتيجة اتفاق وديّ بين حكومتين امتزجتا او واحدة ضمت طوعاً الى الاخرى فعلى المعترف بها منهما ان تعقد معاهدات مثل المعاهدات المنفسخة او ان تجدّد غيرها

وحكم الاملاك والعقار والمنقولات التي كانت تمتلكها الحكومة الذاهبة حكم الاشياء التي تكون ملكاً لواضع اليد بلا قيد ولا شرط فهي للحكومة المالكة على الاطلاق

على ان ما قيل عن المعاهدات والاملاك لا ينطبق على ديون الحكومة الزائلة بل لا بد للحكومة التي ضمت اليها الاولى طوعاً او كرهاً ان تتحمل كلّ تلك الديون وذلك اتباعاً للمبدإ القائل " الغرم بالغنم " كما فعلت بروسيا عند ما ضمت اليها هانوفر وهيس وناسو وكذلك على الحكومة المنفصلة عن حكومة اخرى ان تتحمل الجزء المناسب من الدين العمومي الاصلي"

سامي جريديني المحامي

نفصال مستعمرة عن الحكومة الاصلية كالولايات المتحدة وجمهوريات اميركا الجنوبية او
مال وديّ باتفاق كانفصال بلجيكا عن هولندا او مهاجرة عدد عظيم من الشعب الى مكان
ن فيهِ وينشئون حكومة جديدة مستقلة كالترنسفال قبل ضمها الى املاك بريطانيا العظمى
على انهُ مهما كانت الاسباب التي تؤدي الى وجود حكومة جديدة فلا بدَّ لهذه الحكومة
ظهورها في العالم الدولي الحقوقي ان تطلب من اخواتها الحكومات الاخرى ان تعترف بها
ومةً مستقلة منفردة والاَّ فاذا أُهملت ولم ترضَ الحكومات الاخرى ان تعترف لها سلطة
جية تمثلها فلا يصح التعامل الدولي بين الفريقين ولا تكون حكومة بنظر القانون وان كانتها بالفعل
وليست الحكومات مجبورات على الاعتراف بحكومة جديدة بل لهن ان يتجاهلن وجود
العضو الجديد في نظام الامم ولهنَّ ان يسرعن او يبطئن في الاعتراف بها وعليهِ ابت
لترا في مؤتمر السلم الذي عقد في الهاي ان تعترف بالترنسفال حكومة مستقلة ورفضت ان
ب الى المؤتمر وفيهِ مندوب عن الترنسفال فوافقتها الدول على ذلك

والعادة ان الحكومة الجديدة او الدولة الجديدة ترسل مندوبين سياسيين الى بقية
كومات يمثلونها امامها او انها تستطلع الآراء قبل ارسالهم فاذا قبلت الدولة المندوب
سلت هي آخر يمثلها لدى تلك تم التعارف واصبحت الحكومتان في درجة واحدة من
قوق والواجبات في نظر علم حقوق الامم · اما اذا اصرَّت احدى الحكومات على رفض
دوب الحكومة الجديدة فيوخذ فعلها هذا دليلاً على تجاهلها وجود تلك الحكومة ويؤدي
ا التناكر الى تعطيل تجارة البلادين والاضرار بالمنتمين الى الحكومتين في معاملاتهم التجارية
لحقوقية اذا رحلوا من بلادٍ الى أُخرى · فان انكلترا لم تعترف بالولايات المتحدة حكومة
ستقلة الاَّ في سنة ١٧٨٣ مع انها استقلت في سنة ١٧٧٦ ولكنها اعترفت بحكومة
طاليا قبل ان تعترف بها فرنسا والنمسا وبروسيا · فالاسراع في الاعتراف بحكومة جديدة او
لابطاء بهِ او رفضهُ مطلقاً تتوقف عادةً على المنفعة التجارية او السياسية التي تجنيها الدول
ن هذه الحكومة الحديثة العهد

ولكن كما ان هناك اسباباً توجد حكومات جديدة كذلك هناك اسباب تؤدي بالحكومات
ى الفناء او الانقراض او الضياع · فقد تكون حكومتان مستقلتان ثم تتحدان وتؤلفان
كومة واحدة · وقد تضمُّ حكومة قوية اخرى صغيرة اليها اما طوعاً او كرهاً وقد ينقرض
سكان كلهم او معظمهم او يهاجرون عن بكرة ابيهم — كل هذه دواعٍ تذهب بالحكومات
ن عالم الحقوق الدولي وتحدث فراغاً البحث في عواقبهِ من الاهمية بمكان

خدمهم ليخدموهم بعد الموت كما كان يجري في بلدان كثيرة ولا يزال يجري الى الآن في بعض جهات افريقية . أضف الى ذلك قتل الرجل في الداهومي ليحمل رسالة من الملك الحي الى احد اسلافهِ في الآخرة

ومن القتل ما تأمر بهِ العقائد الدينية كما كان يفعل الفينيقيون واليونان والرومان القدماء والاشوريون والعبرانيون وغيرهم مثل اهالي المكسيك القدماء فانهم كانوا يضحّون الوفاً من الانفس كلّ سنة على مذابحهم ويشهرون الحروب بحجة ان الآلهة جائعة

ولننتقل الآن من الكلام على ضروب الاعتداء التي اتخذت شكل القتل ولم تنشأ عن ضغينة شخصية ولا عن حزازات بين قبيل وقبيل الى ضروب الاعتداء التي سببها ظمأ الى شرب الدماء . فابدأ باهالي جزائر فيجي فانهم كانوا يعدّون القتل امراً حسناً وهو مما لا يكاد يصدّق لو لم يروِ الثقات ما يشبه ذلك بين امم اخرى . قال لفنستون "جلس رجل من البشمن (في افريقية) ذات يوم امام النار يحدثنا عما لقي في زمانهِ من الاخطار فقال اني قتلت خمسة من البشمن — امرأتين ورجلاً وولدين . فانتهرتهُ وقلت لهُ افٍّ لك اتفتخر بقتل النساء والاولاد من عشيرتك . ماذا يقول لك الله يوم تمثل بين يديهِ . فأجاب انهُ يقول لي لا شلت يمينك ما ابرعك . واتضح لي انهُ كان يكلمني عن الله عزَّ وجلَّ كأنهُ زعيم من زعمائهم"

واغرب من ذلك ما رواهُ ولسن عن شعور اهالي اوغندة من هذا القبيل قال "كان متيسا ملك اوغندة يستخدم شاباً من بطانتهِ (وهو ابن احد الزعماء) لحمل رسائلهِ اليَّ . فجاءني يوماً وهو يكاد يجنُّ من الفرح ويقول انهُ قتل اباهُ . فسألتهُ ولمَ قتلتهُ فأجاب "اني مللت من وجودي خادماً فأردت ان اكون زعيماً واستشرت متيسا في ذلك فقال لي اقتل اباك تخلفهُ في الزعامة . ففعلت حسب مشورتهِ"

وهناك امثلة وشواهد كثيرة تدلُّ على ان القبائل التي تعيش بالغزو والنهب تعدُّ القتل فضيلة والمسالمة نقيصة . قال بعضهم "لا يزال عرب الحجاز يكرمون اسم "حرامي" الى الآن . والذي نعدُّهُ سعيداً لانهُ مات على سريرهِ يسمونهُ هم فطيساً وتندبهُ امهُ قائلة ياليت ابني مات بيد قاتل فتجيبها النادبات العجائز اللواتي التففن حولها قائلات ان هذا الشرَّ حدث بقضاء الله وقدرهِ [1]"

---

(1) هذا ما ذكرهُ سنسر عربناهُ بحرفهِ ولم نقل من ابن اخذهُ ليسهل علينا ردهُ الى اصلهِ . اما ان العرب كانوا يفاخرون بالموت قتلاً فظاهر من اقوال شعرائهم قال السموأل في قصدتهِ الحرية المشهورة

علم الاخلاق

تمهيد

للفيلسوف هربرت سبنسر نظام في الفلسفة سمَّاهُ "نظام الفلسفة التركيبية" وضمنهُ مطالب شتى منها مطلب في مبادئ البيولوجيا (اي علم الحياة) وآخر في مبادئ السيكولوجيا (اي علم النفس او الفلسفة العقلية) وآخر في مبادئ السسيولوجيا (اي علم الاجتماع) وآخر في مبادئ الأثكس (اي الفلسفة الادبية او علم الاخلاق). ومباحث المطلبين الاوَّلين عويصة يشكل فهمها حتى على الراسخين في ذينك العلمين بخلاف المطلبين الآخرين فان مباحثهما اقرب منالاً واقلُّ اشكالاً . وقد نشر المقتطف فصولاً من علم الاجتماع مترجمة بقلم بعض كتابنا واما علم الاخلاق فلم ينشر منهُ شيءٌ بالعربية عن سبنسر فرأينا ان نوافي القراء بفصول منهُ كلما تيسر ومن ذلك هذا الفصل في الاعتداء او العدوان

(١) الاعتداءُ

يراد بالاعتداء اعمال متعددة متنوعة يتعذر الكلام عليها كلها في مقال واحد فأقتصر الآن على الاعمال التي تلحق ضررًا بدنيًّا بالغير من الجرح الى القتل

غير ان بين الاعمال الدموية اي التي تعد قتلاً تامًّا او جزئيًّا صنوفًا شتى لا تندرج تحت الاعتداء على ما يفهم منهُ عادةً . مثال ذلك الاعمال التي لا تنطوي على عداوة او حصام. واولها قتل الاطفال

لم يكن القدماء يحسبون قتل الاطفال جناية ولا يزال بعض الاقوام المعاصرين لنا يجرون هذا المجرى بل ان منهم من يعدُّهُ امرًا واجبًا . من ذلك قتل الاطفال الذي يرتكب إبقاء على البالغين كما لو كانت قبيلة عرضة لحظر المجاعة فان زيادة عددها قد تزيد الطين بلةً وتفضي الى هلاك رجالها . ومنهُ قتل البنات الذي يرتكب مراعاة للحروب بين القبائل المتضاعمة فان البنات يقتلن اذ ذاك لانهنَّ لا ينفعن لحرب ولا لطراد وزيادتهنَّ تضرُّ القبيلة لانهنَّ يساعدنَ على استهلاك طعامها . ومنهُ قتل الاطفال الذي يرتكب مطاوعة لسورة غضب وهذا يعدُّ بين المتوحشين والامم القليلة التمدن امرًا ليس بذي بال. ومنهُ قتل الاولاد بين آكلي لحوم الآدميين اكرامًا لرؤسائهم احياءً كانوا او امواتًا

ومن ضروب القتل المصطلح عليها عند بعض الامم تضحية البالغين عند موت ملوكهم او رؤسائهم. وكذلك تضحية الارامل عند موت ازواجهنَّ ليرافقنهم الى العالم الآخر وتضحية

وكان الغاليّون القدماء اذا قهروا عدوًّا لهم امعنوا في القتل وعادوا يحملون رؤُوس القتلى ثم ينصبونها على اوتاد او يحفظونها في صناديق . قال قيصر وكان الجرمانيون يتباهون كما قل السكان في البلاد المجاورة لبلادهم من فرط اعتدائهم عليهم . وكان اهالي شمالي اوربا يعتقدون ان الجنة مكان قتال دائم مما يدلُّ اعظم دلالة على مبلغ اعتقادهم بفضل الاعتداء على الغير

ومما يدلك على شغف الناس الطبيعي بالاعتداء على غيرهم شغفهم بقراءة قصص المعارك والحروب فوق كل شغف وتراهم يلقبون كلاًّ من الاسكندر وبطرس وفردريك ونبوليون بالكبير مع ما اراقوا من الدماء الزكية . قال اللورد ولسلي في كلامهِ عن واجبات الجندي "وعليهِ ان يعتقد ان واجباتهِ اشرف ما قدر عملهُ لانسان وان يُعلَّم احتقار جميع الاعمال الملكية" . ولا تنحصر تلك الواجبات في دفاعهِ عن وطنهِ — وهو امر لا يفعلهُ البتة في هذه الايام — بل تتناول الاعتداء على بلاد الغير ولا سيما الشعوب الضعيفة . وشهوة الاعتداء تحول الضعة رفعة والدناءة شرفًا . نقرأُ في كتب الهنود ان الاله اندرا انتصر على امرأَة في الحرب ونسمع شاعرهم يطنب في مدح انتصار نعدهُ ضربًا من النذالة والجبن فنعجب من ذلك . ونحوّل انظارنا الى جدران الكرنك فنرى رعمسيس ممثلاً بصورة جبار ممسك بشعور ستة اقزام وقد اطاح رؤُوسهم عن ابدانهم بضربة واحدة من سيفهِ فنعجب ايضًا كيف يرضى أن يصوّر صورة تمثل انتصار القوي على الضعيف بمثل تلك السهولة . ولكن اذا سطت الجيوش المتمدنة بعددها الكاملة ومدافعها الفتاكة وقنابلها المهلكة على جيش ضعيف لا سلاح لهُ يذكر وغلبتهُ كما يغلب الرجلُ الطفل قامت جرائدنا قومة رجل واحد تلتمس الرتب والالقاب لقواد الجيوش الظافرة وحسبت اعمال الجنود المحاربة كريمة واعمال الملكيين المسالمين ذميمة

***

لا ريب اذًا ان العاطفة التي تسرُّ بتفوّق الرجال الباسلين وتطيع من يأْمرها بذبح الاعداء من غير ان تسأَل عن سبب موجب لذلك — تلك العاطفة لا تزال سائدة في القلوب على ان مفعولها ضعف بنمو عاطفة التوادّ بين الامم والشعوب المختلفة . فكما ان نجاح الامم يقاس بعضهُ بقدرتها على الفتح والتملك كذلك يقاس بقدرتها على كبح جماحها عن الاعتداء . وترى كتب الاولين تشير الى نشوء عاطفة التحابّ والتوادّ بازاء عاطفة التعادي والتضاغن . ولكن لما كانت الاشارة الى ذلك خارجة من افواه الشعراء والحكماء فلا يصحُّ ان تجعل مقياسًا للاعتقاد العمومي السائد حينئذٍ اكثر مما يصحُّ قياس اعتقادنا من هذا القبيل الآن بما يوصينا بهِ وعاظنا ورعاتنا من الصفح عن اعدائنا . غير ان الاشارة الى روح الغيرية في

ويغالي بعضهم في حسبان القتل فضيلة الى حدّ ان يقولوا ان الفردوس ميراث من يبالغ في قتل اعدائهِ مدى العمر والذين يقتلهم يكونون عبيدًا لهُ مسخرين لخدمتهِ . وفي الشمال الغربي من الهند قبيلة لا تكاد تجد بينها رجلاً لم تلطخ يداهُ بالدماء وترى كلاًّ يعدُّ الذين قتلهم في زمانهِ

وكان بين آلهة الهنود والقدماء آلهة للقتل وسفك الدماء . فعندهم الاله اندرا وهم يلقبونهُ الفاتح المهلك . والاله أَجني ويقولون انهُ فطر على ذبح الاعداء وتخريب المدن . وكانوا يتشبهون بآلهتهم فيفاخر ابطالهم بالفتوح ويصلُّون الى الاله اندرا قائلين " ليكن لنا نصيب من مال من ذبحتهُ وأْتِ بنا الى منزل الرجل الذي يصعب قهرهُ " وورد في كتبهم الدينية الوصايا الآتية

" ليسعَ الانسان في حمل عدوهِ على الثقة بهِ لسبب حقيقي ثم ليضربهُ في الفرصة الملائمة متى زلَّت قدمهُ قليلاً

" لا يبلغ الانسان مدًى بعيدًا من النجاح الاَّ اذا ضرب عدوهُ ضربة تخترق عظمهُ وتقطع ما فيهِ من النخاع واتى امرًا تصطكُّ الركب لهُ روعًا

" ليُذبح كل ابن او اخ او اب او صديق يلقي العثرة في سبيل نجاح احد "

وكان ملوك اشور يتباهون بذبح الناس جماعات وارتكاب افظع الموبقات كما يستدل من نقوشهم . فقد ورد في وصف اعمال سنحاريب انهُ كان يخوض برك الدماء بمركباتهِ ويفتخر بما علق بعجلها من اللحم والدم . وقال اشور بانبال في وصف الاعداء الذين قهرهم " فكنت اسحب السنتهم من افواههم واقطع اعضاءهم واطرحها للكلاب والادباب والنسور والعقبان وطيور السماء لتأكلها " . وقال تغلث فلا سر في وصف احدى حروبهِ وما حلَّ باعدائهِ " فغطَّت جثثهم الاودية ورؤُوس الجبال " . وكانوا يقصدون بامثال هذه النقوش حفظها لكي يتحدث الخلف باعمالهم الوحشية ويعجبوا بها اي انهم كانوا يعتقدون صلاحها اذ لا يعقل انهم يسعون في تخليدها بالكتابات والنقوش لو كانوا يعتقدون ضد ذلك

تسيل على حدّ الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيلُ
وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ... ولا طلَّ يومًا حيث كان قتيلُ
يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرههُ آجالهم فتطولُ

وقال عنترة العبسي

فيا ربّ لا تجعل حياتي مذمةً ... ولا ميتتي بين النساء النوائحِ
ولكن قتيلاً يدرج الطير حولهُ ... وتشرب غربان الفلا من جوانحي

ومثل هذه الابيات كثير

غيابات تلك المطارح السحيقة هربًا من اعتداء
لاروكوى احدى قبائل هنود اميركا ووصف
، وطوارق الحدثان " فخرهم ان الغرض الاسمى
ائم من الصدور تلك الروح التي آلت الى تلاشي
. ونتيجة ذلك الاتحاد ان الجنايات والجنح لا
' يكاد يكون عندهم قانون للجنايات "
ساد الخصام في جماعة حينًا من الدهر حتى صار
ليهِ وربما صار واجبًا دينيًّا لان في النفس ميلاً
، ذلك الامثلة المذكورة اخيرًا فان فيها ما يدلُّ
كره العاطفة الادبية . خذ العبرانيين مثلاً فانهُ
ة التي كانت تملأُ صدورهم وهم في حالة البداوة
مان ساد فيهِ السلام — ظهرت عواطف الغيرية
لترى في سفر اللاويين تقرير مبدإٍ يعد مسيحيًّا
د بالقريب الفرد من جماعة الاسرائيليين لا غير
قبل التاريخ المسيحي حتى شملت الاعداء فلما جاء
ـّ ان اوصى بتحويل الخد للاطم (لكي لا يقاوم

***

، كلما عظمت العداوات بين القبائل والامم وطال
ة واحتكت بالتصورات والعواطف الحبية التي
التابية وتمتلئ صدور الافراد حقدًا وميلاً الى

، قتل الاطفال وتضحية البالغين اما لاكلهم بين
موات واما اكرامًا للآلهة — كلها من مزايا الامم
هذه القبائل المتناهية من الجهة الواحدة الى مزايا
الارتقاء رأينا انهُ كلما قلَّ الاعتداء الخارجي
وبين سكان فرنسا القدماء اي في نحو القرن

كتابات الاقدمين بعد مرور زمان طويل ساد فيهِ السلام امر يستحق النظر. ومما ينبغي ذكرهُ ايضاً انهُ حدث رد فعل قوي آل الى التبشير بانكار الذات المطلق (الغيرية المطلقة) بعد سيادة الافعال العدائية وما تتصف بهِ من حبّ الذات المطلق. فترى الاجزاء القديمة من كتب الهنود الدينية المسماة "مهبراتا" مفعمة بحديث الدماء وحبّ سفك الدماء بخلاف الاجزاء التي هي احدث عهداً منها فانها تذمُّ الحروب التي تقام بلا داع يدعو اليها. فقد جاء فيها ان القتال شرُّ الذرائع الى الفتح وانهُ يجب على الملك ان يمدّ فتوحهُ بلا حرب. وجاء فيها "عامل الغير كما تريد ان تعامل. ولا تفعل بجارك ما لا تريد ان يفعلهُ جارك بك وقاعدة العمل ان تعدّ جارك مثل نفسك"

وقال معلم هنديٌّ عاش في القرن الثالث قبل التاريخ المسيحي "الرجل الصالح الذي لا يفكر في شيءٍ سوى نفع عدوّهِ لا يضمر لهُ شرًّا ولا يطوي كشحهُ على عداوة ولو كان عدوُّهُ يشرع في قتلهِ"

وقال السعدي من كتَّاب الفرس "اظهر اللطف حتى لاعدائك. فقد سمعت ان رجال الله الصادقي الايمان لا يحزنون قلب احد من الناس حتى اعدائهم"

وقال لاوتسي الصينيّ "السلام غاية الغايات. والرجل الذي يسرُّ بقتل النفوس لا يصلح لأن تسلم اليهِ مقاليد حكم او سلطة في العالم. والذي كان آلة لقتل نفوس كثيرة سيبكيها بدموع مرّة"

وقال كنفوشيوس "اذا قلّدت ازمة الاحكام فلم تعمدْ الى القتل بوجهٍ من الوجوه. اظهر الميل الى الصلاح ترَ الناس صالحين"

وقال منسيوس "ان من لا يسرُّ بقتل الناس يستطيع ضمّ اجزاء السلطنة". وقال "اذا كان سبب القتال النزاع على مُلْكٍ ذبح المحاربون بعضهم بعضاً حتى تغطي الجثث الارض. واذا كان سببهُ النزاع على مدينة ذبح بعضهم بعضاً حتى تمتلئ المدينة دماً. فالموت قليل في جنب جرم مثل هذا". ومع قدم عهد منسيوس فقد كانت عواطفهُ اسمى من عواطف "البرابرة الغربيين" (اي اهل اوربا) الآن. فقد وُصف الرقُّ بانهُ "مجموع القبائح كلها" ولو سئل منسيوس ما تردّد في وصف الحرب العدوانية بمثل ذلك الوصف

لكن من البشر طوائف لا تكاد تعرف الاعتداء حتى انها في غنًى عن شارع يشرع او وازع يزع. وصف مارسدن اهل سومطرة الاصليين بقولهِ انهم "قوم ودعاء مسالمون طويلو الاناة" وبعبارة اخرى انهم لا يعتدون على احد. وقبيلة طاروس الضاربة في بعض سفوح

عل الناظر اليهم وتدهش كل من يقف على نتائج اعمالهم · وهم مثل كاڤن وكلارك مكسول
روكس وريلي وطمسن

وقد ابان بكرل في اول مباحثهِ ان بعض اشعة الراديوم ينحرف اذا مرَّ بين قطبي
نطيس كهربائي قوي · ونتج من ذلك ان قسمت اشعَّة الراديوم الى ثلاثة اقسام لانها ثلاثة
واع النوع الواحد ينحرف قليلاً وقوتهُ على نفوذ الاجسام ضعيفة · والثاني ينحرف بسهولة
انحرافهُ الى الجهة المخالفة لانحراف النوع الاول · والنوع الثالث لا ينحرف ابدًا مهما كان
لمغنطيس قويًّا · وقوة نفوذه للاجسام شديدة جدًّا فينفذ لوحًا من الحديد سمكهُ قدم ويؤثر
في الواح التصوير الفوتوغرافي · وسمي النوع الاول الفا والثاني بيتا والثالث غمًّا من حروف
الهجاء اليونانية الأُول

ثم ثبت ان اشعة الالفا مجارٍ دقائقها صغيرة جدًّا مكهربة بالكهربائية السلبية مثل المجاري
التي تتولَّد من لهب الغاز والمعادن المحماة الى درجة الحمرة · وجرم كل دقيقة منها مضاعف جرم
الدقيقة من الهيدروجين وسرعة سيرها تعادل ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي انها
اسرع من رصاص البنادق اربعين الف مرة · وحرارة الراديوم ناتجة من مصادمة هذه الدقائق
للاجسام التي تقع عليها

واشعة البيتا مجارٍ من الدقائق مشابهة للمجاري السلبية في انبوب مفرَغ وهي مملوءة
بالكهربائية السلبية وتسير بسرعة ١٠٠٠٠٠ ميل في الثانية وحجمها اصغر من حجم دقائق
الالفا ويعادل جزءًا من الف جزءٍ من حجم دقيقة الهيدروجين · واليها ينسب ما في اشعة
الراديوم من النور والتأثير في الواح الفوتوغراف

واشعَّة الغما مثل اشعة رنتجن والمرجح انها ليست مؤلَّفة من دقائق بل هي حركات امواج
في الاثير تحدث وقت سير الدقائق التي تتألف منها اشعة البيتا وتأثيرها مثل تأثير اشعة
ولكنها اشد نفوذًا منها

وهذه الاكتشافات قد قادت علماء الطبيعة الآن الى نتائج مدهشة من حيث ا-
الكيماوي الذي كنا نقول انهُ هو الجزء الذي لا يتجزأ ولكن هذه النتائج لا تنقض ...
القديمة بل توسعها وتنوعها وتطلعنا على تركيب الجواهر التي كنا نظن انها بسيطة حالي
كل تركيب فاذا هي مركبة مثل غيرها من الاجسام ولم يكن العلماء قاطعين بانها بسيطة و
كانوا يجهلون تركيبها فعرفوهُ الآن

الرابع والخامس من التاريخ المسيحي كانت الحروب كثيرة حتى ان المدينة الواحدة كانت تشهر الحرب على اختها فكان الاعتداء كثيرًا ايضًا بين الافراد — الملوك يقتلون الملكات وولاة العهد يقتلون آباءهم والاخوة اخوتهم وكان الناس على دين ملوكهم من هذا القبيل . وفي العصر التالي عصر شارلمان كانت فظائع الحروب كبيرة فان شارلمان قطع رؤُوس ٤٠٠٠ نفس من السكسونيين في يوم واحد وامر بقتل كل من لم يتنصر وكل من اكل لحمًا ايام الصوم الكبير . وهذا كان شأن العصر التالي المسمَّى بعصر الفرسان او عصر الاقطاعات . ثم لما اخذت الممالك تتحد على مرّ القرون والحروب تنحصر في دوائر محدودة والمعايش من صناعة وزراعة وتجارة تتسع دوائرها فتتسع دوائر المعاملات بين الامم المختلفة اخذ الناس يمقتون ما كان من ضروب الاعتداء فاضحًا واضح الخطاء ويصوّبون كل عمل تراعى فيهِ حقوق الغير وتحترم عواطفهُ . ومع ان العصور الحديثة شاهدت حروبًا كبيرة فظيعة الاَّ ان الاميال السلمية اكثر ظهورًا فيها مما كانت عليهِ قبلاً لان الاعمال الحربية اقل انتشارًا . ثم ان معاملة الافراد بعضهم لبعض معاملة بربرية وحشية زادت بزيادة الاميال الحربية وقلّت بانقطاعها في كل زمان ومكان فتغير المقياس الادبي بموجب ذلك

العلم في ربع قرن

تابع ما قبلهُ

لقد ثبت الآن ان اشعة الراديوم موجودة دائمًا في الهواء الجوي وهي كثيرة في هواء الكهوف وفي المياه التي تخرج من باطن الارض وان مواد كثيرة تشع اشعة مثل اشعة الراديوم ومن هذا القبيل القصدير والزجاج والفضة والتوتيا والرصاص والنحاس والبلاتين والالومينوم ولا يعلم هل ذلك ناتج عن وجود دقائق لطيفة جدًّا منتشرة من عنصر قوي الاشعاع او ان هذا الاشعاع خاصَّة من خواص كل العناصر التي يظهر فيها

والمسأَلة الكبرى التي يتجه الذهن اليها تدور على ماهيَّة هذه الاشعة او القوَّة المشعَّة فما هو بناءُ دقائق الراديوم والعناصر التي تشبههُ لاسيما وان قوةً تصدر منها على الدوام ومادتها تتغيَّر تغيرًا مستمرًّا ولو كان قليلاً جدًّا ويتولَّد منها عناصر جديدة

وليس من شأْني الخوض في هذا الموضوع لايضاح غوامضهِ فان لهُ اربابهُ علماء الطبيعة الذين جمعوا بين قوَّتي التصوُّر الشديد والعلم الرياضي الدقيق ولهم مهارة في التجارب العلميَّة

الفوتوغرافيا في الارصاد الفلكية لانهُ صار يمكن تعريضها زمانًا طويلاً فصوَّر الفلكيون بها هو ضعيف النور كالسديم وطيوف النجوم · وعدد النجوم التي تراها العين نحو ثمانية آلاف والتي ترى باقوى تلسكوب صُنع حتى الآن مئة مليون نجم لكن الواح التصوير اوصلتها الى الف مليون نجم · وقد تمَّ ذلك في الخمس والعشرين سنة الماضية · وفيها امكن تخطيط السماء فاشار بهِ مؤتمر باريس سنة ١٨٨٧ وقسم وجه السماء بين ١٨ مرصدًا حتى يصور كل مرصد منها قسمًا منهُ · ولم يشارك الاستاذ بكرنج غيرهُ بل استنبط اسلوبًا لتخطيط السماء بسرعة فخططها كلها مرارًا في مرصد مدرسة هارفرد الجامعة فاذا ظهر نجم جديد فيها منذ اثنتي عشرة سنة الى الآن عرف تاريخ ظهورهِ بالتدقيق بالنظر الى الصور الفوتوغرافية التي صوّر بها وجه السماء · وهذا الاسلوب من ابدع الاساليب وهو ادق تاريخ لكواكب السماء وحركاتها وسيكون منهُ فائدة كبيرة لعلم الفلك · وقد اكتشف بهِ حتى الآن مئات من النجوم الجديد المتغيرة . واكتشفت مئات من النجيمات الجديدة فقد كان عدد النجيمات سنة ١٨٨١ مئتين وعشرين نجيمة وكشف تلك السنة نجيمة واحدة فقط والآن يكشف عشرون نجيمة على الاقل كل سنة وصار عدد المكشوف منها اكثر من ٥٠٠ نجيمة · ومن هذه النجيمات السيار اروس (عدد ٤٣٣) وهو يمتاز على غيرهِ بانهُ اقرب الى الشمس من المريخ فيسهل بهِ التدقيق في معرفة بعد الشمس عن الارض · وكشف قمران جديدان لزحل وقمران للمشتري واحد القمرين الجديدين من اقمار زحل يدور في الجهة المخالفة وذلك يدعو الى تغيير آرائنا في النظام الشمسي

وزادت فائدة البحث السبكتروسكوبي بواسطة التصوير الشمسي في علم الفلك فصورت طيوف النجوم وقسمت الى مراتب وصار يمكن قياس الحركة في خط البصر بالتدقيق التام وهي من ادق الاساليب لمعرفة ابعاد النجوم واقدارها فتعلم بها السرعة بالاميال · وقد كانت هذه الحركة سنة ١٨٨١ من قبيل الغرائب التي لم يبحث فيها الآ هجنس · ثم لما استخدم فوجل الفوتوغرافيا فيها سنة ١٨٨٧ صارت من الاساليب العملية الدقيقة

وكان للفوتوغرافيا شأن كبير في البحث عن الشمس فغيَّرت المباحث القديمة كلها وصار يسهل على الفلكي الآن ان يدرس كل بقعة من الشمس على حدتها . وقد انفق الاميركيون اموالاً طائلة على عمل آلات الرصد الكبيرة

وسنة ١٨٧٧ ابان سلفي في رئاسة هذا المجمع (السر جورج داروِن) طريقة رياضية للبحث اتت بنتائج كبيرة في علم الفلك · وقد قُدمت رسالتان الى الجمعية الفلكية الملكية في

واعيد الآن ما قلتهُ سابقاً وهو اني لا استطيع ان اصف خواص الراديوم بالتفصيل والتوضيح الكافي ولا الوقت يسع ذلك ولكن العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع البحث الكافي استخلصوا من بحثهم علماً ينطبق على كل ما يرى من خواص الاجسام المشعة

ويتصل بالمباحث التي جرت في الخمس والعشرين سنة الماضية عن حقيقة الجواهر وتحولها من نوع الى آخر المباحث الكبيرة الدقيقة التي قام بها السر نورمن لكيَر من حيث بناء الاجرام السموية وتكوُّن العناصر الكيماوية وواظب عليها هذه السنين الكثيرة بهمة لا تعرف الملل

التلغراف اللاسلكي — ان ما تمَّ من الاساليب في استخدام الكهربائية مدة السنين الاخيرة قد بلغ درجة فائقة من النفع . ومن مزايا هذه المدة ان كشفت فيها تموجات هرتز واستخدمت في التلغراف الذي لا سلك لهُ ولا يبرح من الاذهان ان الناس عرفوا منذ مئات من السنين ان الكهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل لكن انتقالها على هذه الصورة الوفاً من الاميال لا يؤيد زعم الذين يزعمون بانتقال القوى العقلية من مكان الى آخر لانهُ لم يكشف في جسم الانسان حتى الآن آلة ترسل الاشارات وآلة تستقبلها واشارات مصطلح عليها

البرد الشديد والحر الشديد — انقنت في الخمس والعشرين سنة الماضية وسائط توليد الحرارة الشديدة والبرد الشديد فتمكن السر جمسن دوَر من تسييل الهيدروجين

والمرجح ان التبريد بلغ الآن الدرجة القصوى . واستخدم البرد الشديد في كثير من المباحث العلمية . وكذلك استعملت الحرارة الشديدة في مباحث اخرى ولاسيما في يد داقيل ومواسان

تقدُّم الكيمياء — حُقق في هذه المدة الناموس الدوري الذي اكتشفهُ مندليف والبحث عن وضع الدقائق والجواهر في المركبات الكيماوية المختلفة بواسطة الفواعل الطبيعيَّة كالنور والكهربائية . وتقدَّم علم الكيمياء بنوع خاص في البحث عن النسبة التي تتركب فيها العناصر بعضها مع بعض وفي تركيب مركبات جديدة فركَّب الكيماويون الوفاً منها ومن اشهرها واكبرها نفعاً النيل الصناعي والفضل في عملهِ لفون بير وهومن

الفلك — ان البيولوجي مثلي لا يسعهُ ان يتكلم من نفسهِ عن هذا العلم الذي هو اقدم العلوم واسماها ولذلك استعنت بصديقي استاذ الفلك في مدرسة اكسفرد فوجه افكاري الى ما يحسن ذكرهُ في هذا المقام . ولا شبهة ان استنباط الواح التصوير الجافَّة سهَّل استخدام

اطئ الكهوف ورؤُوس الجبال وفي البحيرات والانهار الكبيرة . وقد عرفنا كثيرًا من
ع الاحياء وكسمت اسـ ل حد لدة منها وبُحث في الامثلة التي ارسلت الينا من اماكن
ـة بحيا تنة ريجيًا وكروسكوبيًّا . ومما اراهُ حريًّا بالذكر اكتشاف بيض الـملد المطي
ستر الي والسمك الهلامي في امياه العذبة في رحمت ارك والبحيرات الافريقية ونهر دلوار
لد الكيسي الاسترالي والاوكلي وصغار سمك الطين وكباره في استراليا وافريقية واميركا
وبية . وسمك النيل والكعو والسود الارضي دي الخياشيم واسماك قاع البحر الغريبة
اسفيم والملايس

والنتيجة الكبرى من اكثر هذه المباحث في ـروه الاصول التي تولدت منها هذه
حيا . وقد ارى الـ ـن آرا شاملة من ـة اتصال الحيوانات دوات الفقار بغيرها من
ح الحيوان لكن اكثر علماء الحيوان ان انه لا اتصال بين الحيوانات العليا من دوات
ار وغيرها من الانواع الاخرى اكثر من الاتصال بين السمك النمي والمحار والحشرات
كل هذه مم لة لبعضها بعض و دوات الفقار ولكن ليس في اسلافها القريبة بل
سلاف بعيدة جدًّا

والرأي الشائع الآن في اصل اليدين والرجلين في دوات الفقار هو الرأي المنسوب الى
ر ووديمارت ولفور وهو انها مشتقة من الرا ـب في ـمار يـه السمك (اي ان اصل
وانات دوت الفقار حيوان يشبه السمك لهُ زعانف ملـه ثم صارت زعانفهُ يدين ورجلين
ترى في تحاقق الضفدع من الدعاميص)

ومن المكتشفات المهمة ان الحيوانات الموسه من حـم ـاء واحده ان جرايم التذكير
ـيوا ت الكبيرة الحويصلات

واكتشف اكتشاف مثل هذا في النبات وان اللقاح في النباتات دوات الزهر يختلف عن
ح في النباتات التي لا زهر لها كالسرخس والاشنة والاسمن لان لقاح هذه النباتات مثل لقاح
انات المائية يخرج منها ويسبح في الماء ويلتحم البيض الحويصلة . ولكن عالمين من علماء
ان وهما هيراسي وايكنو ادهشا علماء النبات منذ خمس عشرة سنة باكتشافهما سجرتين
. منهما لقاح يجري مثل لقاح النباتات دوات الازهار والنباتات التي لا ازهار لها لان
هما يسبح في كاس تجمع فيها ماء ويصل الى البويضات سابحًا فيه وهاتان الشجرتان هما الحلقة
ـلة بين النباتات دوات الازهار والنباتات التي لا ازهار لها من حيث حركة اللقاح ووصوله
البيوض لانهما من دوات الازهار ولكن لقاحهما يسبح في الماء كلقاح النباتات التي

شهر ابريل الماضي سيثا على طريقة السر جورج دارون المشار اليها وقد جاء في الرسالة الاولى ان الايام تريد طولاً عشرة اضعاف ما كان يظن وفي الرسالة الثانية ان السيارات كلها قد انقلبت من اعلى الى اسفل منذ تكونها الى الآن

ومع كل هذا التقدُّم يدعي المسيو برونتير وانصارهُ ان العلم قد افلس ولم يبقَ فيهِ شيء جديد يستحق الاكتشاف

الجيولوجيا — كان اهم ما في البحث الجيولوجي في الخمس والعشرين سنة الماضية ازدياد الاقتناع بان الحوادث الجيولوجية جرت بموجب ما يقتضيهِ ناموس النشوء لا بموجب قواعد مقررة واعظم كتاب نشر في هذه المدة كتاب سيوس وقد صدر المجلد الاول منهُ سنة ١٨٨٥ وللحال سمي بالجيولوجيا الجديدة فان سيوس حاول استقصاء كل التغييرات الجوهرية التي حدثت في قشرة الارض من حين اخذت تتكوَّن . ومن النتائج الخاصَّة التي وصل اليها الجيولوجيون في هذه المدة الآراء الجديدة المتعلقة بتكون الصخور المبلورة والحقائق التي علمت عن كيفية رسوب المواد في قعر البحر على ما بان من تقارير العلماء الذين كانوا في سفينة الشالنجر . وازدياد استقصاء الاقسام الصغيرة المسماة مناطق وهي من اقسام طبقات الارض ورد الآثار الحيوانية الى ابعد من العصر الذي كان يظن انها ظهرت فيهِ واكتشاف آثار الحيوانات الشعاعية في اقدم الصخور التي وجدت فيها آثار الحيوان (الصخور الليورونية) . وشوهدت الحجارة التي اثرت فيها انهر الجليد في استراليا وجنوبي افريقية من العصر الذي قبل العصر الكربوني فثبت رأي بلانفورد القائل بوجود حجارة مثلها في الهند وترك لايوزون اذ ثبت انهُ من نتاج كائن حي وثبت ان اقدم آثار الاحياء التي وجدت في الطبقات الارضية لا تدلُّ على بداءة وجود الحياة لان هذه الآثار تدلُّ على ان الاحياء التي هي منها فيها حيوانات عالية التركيب . اما الصخور القديمة التي اصلها مائي فلم يوجد فيها حتى الآن شيء من آثار الحيوانات والنباتات التي كانت في البحر حيث رسبت تلك الصخور . ووصل الاستاذ سولاس في ثقب صخور المرجان الى عمق ١١١٤½ قدم وعرف اموراً كثيرة جزيلة الاهميَّة للجيولوجيين

علم بناء الحيوان والنبات (مورفولوجيا) — اذا حاولتُ وصف الحيوانات والنباتات التي كشفت منذ سنة ١٨٨١ وجب عليَّ ان اتلو على مسامعكم جدولاً طويلاً لا لذة فيهِ لان الوقت لا يسعني لاصف كل فرد منها . ولقد اشتغل المكتشفون في كل انحاء الارض في اواسط افريقية وفي انحاء القطب الجنوبي واقاصي الصين وغينيا واستراليا وفي اعماق البحر

فلسفة اليونان في عهد الرومان

تمهيد

كان لعلوم اليونان وفلسفتهم تأثير عظيم في العالم اليوناني قبل التاريخ المسيحي فلم يكد النفوذ الروماني في عهد اغسطس قيصر باوسع نطاقًا وارفع رواقًا من العلوم اليونانية . وقد بلغت الفضيلة الرومانية اوجها في تعليم زينون الرواقي وانتشرت الرذيلة الرومانية كل الانتشار في ظلال تعليم ابيكوروس . وهاتان الفلسفتان شغلتا مكانًا واسعًا من تاريخ البشر الادبي . لكنهما لم تبلغا قط ما بلغتاهُ في صدر التاريخ المسيحي من اتساع نطاق النفوذ والاخذ بمجامع العقول لان زعماءهما واتباعهما لخصوا كل فلسفة العالم وحكمتهِ وانبثوا في اطراف المعمور ينشرون تعاليمهما بين الجمهور

الفلسفة الرواقية

وضع هذه الفلسفة الفيلسوف زينون اليوناني الذي وُلد في قبرس سنة ٣٥٠ ق . م . وقد روي عنهُ انهُ مال في صباهُ الى التجارة فاشترى مرة بضائع وارسلها في مركب الى احدى مدن فينيقية فهبَّت على المركب ريحٌ شديدةٌ اغرقتهُ وقضت على زينون بتحمل خسارة لا مزيد عليها . وكان ذلك آخر عهدهِ بالتجارة لانهُ لم يلبث ان انقطع عنها وبرح وطنهُ شاخصًا الى اثينا حيث عثر في احدى مكاتبها على كتابات زينوفون وسقراط فألَّم منهما بمبادىء الفلسفة وتوسع فيها بما اخذهُ عن كراتس وزينو كراتس حتى اذا رسخت قدمهُ فيها ونال بغيتهُ من التضلع منها أنشأ في عاصمة بلاد الفلاسفة مدرسة طارت شهرتها في البلاد وتقاطر اليها الطلاَّب من كل صقع ونادٍ . ويقال ان بطليموس فيلادلفوس ملك مصر كان يأْمر سفراءهُ في اثينا ان يحضروا مدرسة زينون وينقلوا اليهِ ما يأْخذونهُ عنهُ ويتعلمونهُ منهُ

ومما جاء عن هذا الفيلسوف انهُ ظلَّ منقطعًا للتدريس في هذه المدرسة نحو خمسين سنة ومات شيخًا كبيرًا معروفًا بحسن السيرة وشدة العزم والاقدام . وتخلفا آثارًا ادبية تحيي ذكرهُ مدى السنين والاعوام

وعُرِفت فلسفتهُ بالرواقية نسبة الى الرواق الذي اسس فيهِ مدرستهُ . وانتظم في سلكها ارفع رجال العالم الوثني فكرًا واساهم مبدأً في اواخر الجمهورية الرومانية واوائل حكومتها الملكية

ومن معتقدات الرواقيين ان الانسان انما يمتاز بالفضيلة . وان اللاهوت روحٌ عامٌّ يحيي الكون كلهُ وان جميع البشر اعضاء جسدٍ واحدٍ مشتركون في روح الهيّ واحد

لا ازهار لها · فزال الفاصل المميز الذي كان بين هذين ا
وقد كشفت آثار اجناس من الحيوانات ذوات الثدي
آثارها في كل طبقات العصر الثلاثي في اميركا الشمالية وثب
الطبقات الاقدم منها آثار اجناس من الحيوانات الكبيرة ا
واهم مكتشفات هذه المدة اكتشاف آثار حيوانات من
الدكتور اندروس ورسمها ووصفها وهي تشتمل على حيوان له
ولكن لهُ اوصافاً خاصة بهِ وعلى الحيوانات اسلاف الافيال
واسيا في عصر الميوسين والبليوسين وبعد ذلك في اميركا و
الافريقي · وكان لفيل من الافيال الاوربية المنقرضة فك ا
كبيرة ازميلية · وقد ارتأَيت ان خرطوم الفيل تولَّد من
بعد ان كان مستقرًّا على فكهِ الاسفل فقصر الفك الاسفل
قصيرًا كما هو الآن وتدلَّت الشفة العليا فتكوَّن الخرطوم منه
حيوانين مما وجدهُ في الفيوم لاحدهما فك طويل قوي ووج
رأسهُ مثل رأْس فرس النهر ونا باه قصيران واسنانهُ تشبه ا
الحيوانين حلقتان من الحلقات التي مرَّ عليها الفيل في تسل
الحجم في شكل الخنزير لا خرطوم لهُ ولا انياب · ووجدت
على ان الفقم تولد هناك كما تولَّد الفيل ومنها حيوان يشبه الو
الثدي والزحَّافات

ومن الاماكن التي كشف فيها كثير من المتحجرات ال
حيث كشفت آثار حيوانات كثيرة منقرضة من اكلة ال
والافيال الغريبة الاشكال يمتدُّ تاريخها الى الدور الثلاثي ومر
على ان تلك البلاد كانت متصلة باستراليا لانهُ وجدت فيها
وجدت بقاياها في استراليا دون سواها

(وتوسَّع الخطيب في مكتشفات علم البيولوجيا لانهُ العلم
وربما عدنا الى تلخيص كلامهِ فيهِ في فرصة اخرى)

الجواهر الفردة . ومن متضماها ان الالهيات ادنى رتبة من الطبيعيات وان المعبودات او الآلهة لا تشغل كل مكان تشغلهُ الجواهر وهي دون الجواهر في الاهمية لانها لم توجد الجواهر بل الجواهر اوجدتها على الصورة والمثال اللذين اوجدت فيهما البشر . وقد قال فيها لتريطوس احد مشاهير اتباع ابيكوروس ما تعريبهُ :—

يعيش باوفى الأَمن آلهة العلى بعيدين عنا ما لهم بالورى خبرْ
وكلُّ الهٍ مستقلٌّ بنفسهِ وغير مبالٍ مطلقاً ببني البشرْ

على انهُ قال في كتابٍ لهُ ان الآلهة ليسوا سوى مخلوقات الوهم والخوف

اما فحوى فلسفة ابيكوروس الادبية فهو النفي الصريح لوحدة الذات الالهية وقدرتها وحكمتها وتدبيرها وعدهُ ان النواميس الادبية والطبيعية ليست من الله . وان الانسان وجد اتفاقاً كما ينبت الفطر على الدمن فاذا مات كان موتهُ مؤبداً لا حشر بعدهُ ولا دينونة . فليس للطالحين ان يهابوا عقاباً ولا للصالحين ان يرجوا ثواباً

واساس هذه الفلسفة التعليم بان السعادة الزمنية هي الخير الاعظم وان غاية كل فلسفة اسعاد الناس واعانتهم على تحصيل السعادة فهي اذًا ضد الفلسفة الرواقية على خطٍّ مستقيم

ومع ذلك اعتنقها كثيرون وتذرَّعوا بها الى الاعتذار عما ارتكبوهُ من المنكرات وحللوهُ من المحرمات . والذين يحاولون المحاماة عنها من اتهامها بكونها رذيلة يقولون ان واضعها كان رجلاً بلا عيب وان تعليمهُ كان ضد محبة الشهوات وان العمل بموجب مبادئهِ ينيل الانسان اسمى الفضائل . ولكن هب ان ذلك كذلك فليس كل انسانٍ قادراً على التمييز التام بين انواع التسالي المختلفة وعلى ادراك اسباب السعادة الحقيقية . لان الراحة والفرح والشهوة الساذ مرادفة للسعادة في مذهب اكثر الناس . فمن يعتنق الابيكورية يدمن في الغالب للترف والرخاء ويستسلم للشهوة والرذيلة

هذا ومما يؤيد القول عن انكار هذه الفلسفة للخلود او الوجود بعد الموت مكتوبات اتباعها وما تركوهُ من النقوش على ضرائح القبور وغيرها . فمن امثلة ما كتبوهُ على الضرائح "عشتُ ولم أُؤمن بشيءٍ وراء القبر" . "نحن المضطجعين هنا في قبضة الموت لسنا سوى عظام بالية ورماد" . "لم اكن فكنت . وُجدتُ والآن لم أَعد موجوداً . هذا الصحيح ومن يقل غير ذلك فهو كاذب" . "لم اكن شيئاً ولستُ شيئاً . فكُلْ ايها الحيُّ واشرب وافرح وتعالَ" "حييتُ مرةً والآن انقضت حياتي فلا اعلم عنها شيئاً وهذا لا يهمني" . "يامن يقرأ ما كتب على ضريحي افرح في حياتك لانهُ ليس بعد الموت من فرح ولا سرور"

اسعد داغر

ولما استفحلت الرذيلة نهضت هذه الفلسفة للذود عن حرمة الفضيلة وتأهبت للجهاد في سبيلها حاثةً بلزوم مبايعة الفضيلة والواجب ليحكما على افكار الناس ويسوسا اميال البشر من غير ان يكون لتوقُّع الثواب دخلٌ في الحكم والنفوذ . ولم تأْذن قطُّ لاعتقاد الخلود في ان يكون باعثاً او محركاً على العمل . واليك بعض مبادئها : —

"استودع نفسك القدر مسروراً ودعهُ يستخدمك مقدمةً لاية نتيجة ارادها"

"كن كراسٍ في البحر تتلاطم عليهِ الامواج بلا انقطاع وهو قائمٌ على قدم الرسوخ والثبات يسكّن عجيج الامواج ويكبح جماح التيَّارات"

سر على الدوام في اخصر طريق . فالطريق القصرى هي الطريق الطبيعية الفضلى . واتَّقِ اليأْس بدرع الامل والزم الامانة والاخلاص في كل قول وعمل"

"كل ما هو جميلٌ فهو جميلٌ لذاتهِ وفي ذاتهِ ينتهي جمالهُ وليس للمدح يدٌ في تكوين شيءٍ منهُ"

"من يتعمد نشر فضيلتهِ فهو غير عامل للفضيلة بل للشهرة"

"يظلُّ الرجل العظيم عظيماً ولو عاندتهُ الاقدار ولصق من شدة ذلهِ بالتراب"

"كل من لم يتعلم وجوب اجتناب الرذيلة ولو كانت محجوبةً عن عيون الآلهة والناس فهو ليس على شيءٍ من الفلسفة الحقيقية . واحرى الاعمال بالمدح عملٌ يعمل لغير قصد المباهاة وتقصر عيون البشر عن ملاحظتهِ"

الفلسفة الايكورية

وضع هذه الفلسفة ايكوروس او ابيقوروس (ويقال لهُ ايكور او ابيقور) احد مشاهير حكماء اليونان الذي يُظَنُّ انهُ ولد في جزيرة ساموس في اواسط القرن الرابع قبل المسيح . طلب الفلسفة في حداثتهِ فدرس العلوم في وطنهِ وشخص الى اثينا مهبط الحكمة والفلسفة فاخذ ما شاء من دروس الحكمة عن بمفيليوس وغيرهِ ثم انشأَ مدرسة تسابق اليها الطلاب من كل جانب

وقد قسم فلسفتهُ الى ثلثة اقسام قانونية وطبيعية وادبية . فالقانونية مرجع الحكم وقواعدهُ وفيها قاعدة تعصم من الخطإِ وهي : كل ما ابانتهُ الحواس فهو حقيقي

وكان فحوى فلسفتهِ الطبيعية ان كل ما في الكون من معبودات ومخلوقات انما وجد بعلةٍ واحدةٍ هي اتحاد الجواهر الفردة فلا شيءَ من العدم ولا شيءَ الى العدم . واختلاف صور الاشياء ناتج عن حركة الجواهر وعدم ثباتها على حالةٍ ونتيجتها ان ليس لهذا الكون الهٌ يدبر

تصيب انواع الحيوانات المختلفة واحدة في جوهرها بالرغم مما يرى من عظم تباينها ظاهرًا فلم يتسب ذلك التباين الظاهري عزيمته ولا وجه انتباهه الى الداء الخارجي بل الى سببه فرآه تحت المكرسكوب واحدا في اطواره المختلفة في الانسان بحيث يتعين به نوعه . ولكنه لم يميز بين مكروبات التدرن المستخرجة من الطيور والمواشي والناس وهذا لا يقدح في عظم قيمة اكتشافه لاسيما وانه كان يعلم تمام العلم انه لا يبعد ان يكون هناك فرق في طبيعة المستنبتات يتوقف على مصدرها ولو لم يميزه

ومعلوم ان كوخ كتب قائمة طويلة بالمستنبتات المختلفة وادرجها في رسالته التي كتبها في السل ونشرها سنة ١٨٨٤ وقد قال عن تلك القائمة ما يأتي . " قد يعجب البعض من كثرة عدد المستنبتات التي استحضرتها على حين ان عددًا قليلاً منها يكفي لمراقبة المكروبات فيها . ولكن ترجح عندي انه وان لم يظهر فرق تحت المكرسكوب بين مكروبات التدرن المختلفة سواء كانت من الذئب الأكال او من السل الرئوي او غيرهما فلا يبعد ان يظهر ذلك الفرق بينها اذا وجدت في المستنبتات . ومع اني وجهت اعظم الانتباه الى هذا الامر لم استطع اكتشاف فرق بينها بل رأيتها كلها متشابهة في جميع حركاتها وسكناتها "

وقد زدنا علمًا بطبيعة مكروبات السل حتى صار عندنا عدة انواع مختلفة منها الآن وصار يمكن قسمتها الى ثلاثة انواع اصلية الاول النوع المختص بالبشر . والثاني المختص بالطيور والبقر . والثالث المختص بالحيوانات ذوات الدم البارد (كانواع السمك وسائر الحيوانات المائية) . وهذا النوع الثالث يختلف كل الاختلاف عن النوعين السابقين واختلافه عنهما يظهر من الامر الآتي وهو ان الحرارة العالية (اي التي تقرب من حرارة الدم الطبيعية) لازمة لنمو مكروبات النوعين الآخرين ولذلك يمتنع تكاثر تلك المكروبات في الاحوال العادية التي تكون خارج الجسم (من حرارة وهواء) وعليهِ فهي لا تصلح للمعيشة خارج الجسم الحي الآ اذا ربيت تربية صناعية حيث تلائمها الحرارة . وهذا الامر من الاهمية بمكان في الحرب القائمة بين الانسان والسل اذ به يبيت آمنًا خطر تكاثر مكروبات السل خارج الجسم . اما مكروبات النوع الثالث فان الحرارة الواطئة التي تعيش وتنمو فيها تؤهلها لعيشة مستقلة عن اجسام الحيوانات ذوات الدم البارد ولكن لما كانت لا تستطيع احداث الداء في الحيوانات ذوات الدم الحار وكانت قليلة الانتشار حتى بين الحيوانات ذوات الدم البارد فليس لها شأن يذكر

على ان المسألة التي لها الشأن الاعظم هي ما اذا كان الفرق عظيمًا بين انواع مكروبات السل المختلفة التي تفتك بالحيوانات ذوات الدم الحار . وحل هذه المسألة عظيم الفائدة والعائدة

المناعة في السلّ

من خطبة للدكتور سيمون فلكسنر من اعضاء مجمع ركفلر الطبي في مدينة نيويورك

ابتدأ علم التدرُّن قبل اكتشافات كوخ الشهيرة وافتتح بنقل الداء من حيوان الى حيوان بطريقة التلقيح . فانهُ مهما تكن الآراء في عدوى هذا الداء وقوتهِ على الانتقال من حيوان الى حيوان قبل تجربة التلقيح فلم يكن ثمة غنًى عن هذه التجربة لاثبات العدوى قبل الشروع في بيان سبب الداء ومنعهِ . وقد نسب كوخ في رسالتهِ التي كتبها بهذا الصدد الفضلَ في نجاح التلقيح الى الدكتور كلنكي فانهُ تمكن سنة ١٨٤٣ من تكوين التدرُّن في رئات الارانب واكبادها بتلقيحها بمادة التدرُّن المأخوذة من انسان مصاب بالسل . الى هذا الحدّ وصل كلنكي ثم انقطع عن البحث فنسي ما عملهُ . وفي تلك الاثناء كان فلمن قد شرع في عمل تجاربهِ وما زال يكرّرها حتى اتمها على ما يرام . ولم يقتصر على التلقيح بمادة السل البشري بل جعل يلقح بمادة السل البقريّ ايضاً فأبان بالتجربة على ما يظهر ان سلّ البشر وسلّ البقر واحد وان السلّ داءٌ معدٍ

اما الباحثون الذين تلوا فلمن وجروا على تجاربهِ فوصلوا الى نتائج تناقض النتيجة التي وصل اليها كلّ التناقض . وقام المخالفون لمذهب عدوى السلّ يحاولون ان يثبتوا انهُ يمكن احداث درن السلِ الحقيقي بالتلقيح بمواد ليست درنيَّة . فاختار اثنان منهم مقدَّم عين الارنب لاجراء تجارب التلقيح فيها ومزية هذه الطريقة على سائر الطرق انهما كانا يستطيعان بها مراقبة الاطوار المختلفة التي يتقلّب التلقيح عليها ويتدرّج فيها حتى يبلغ الطور الذي يصاب عندهُ جسم الارنب كلهُ بالتدرن بما فيهِ من الغدد اللمفاوية المجاورة للعين والرئتين والطحال والكبد والكليتين . ومن مزايا هذه الطريقة انهُ لم يقل احد بانهُ رأى السلّ يتولَّد ابتداء في عين الارنب بلا تلقيح

واول من اكتشف مكروب السلّ في الاعضاء المتدرنة الدكتور كوخ وذلك سنة ١٨٨٢ اي بعد تجارب العالمين المذكورين بنحو ٢٠ سنة . فانهُ ابتكر اولاً طريقة لتلوين المكروبات تساعدهُ على بلوغ غايتهِ ثم استعمل طريقة خاصَّة بهِ لتربية المكروب تربيةً صناعيَّة في مستنبت خالصٍ من كلّ شائبة . ثم جعل يلقح بهِ بعض الحيوانات الاهلية فظفر باحداث جميع خصائص السلّ الانساني واعراضهِ فيها . واقتنع من المباحث التي بحثها في تلك المدة ان السبب واحد في جميع انواع السلّ التي تصيب الانسان والحيوانات الاهلية وادرك ان اشكال التدرن التي

الانواع . ويكفي لدحض القول المشار اليهِ ان مكروبات سلّ الطيور والبقر التي توجد في جسم حيوان غريب كالانسان تبقى محافظة على خصائصها المعروفة وهي فيهِ

وقد كان يبوولد سمث ان من خواص مكروبات سل البقر ان الحيوانات ذوات الثدي اكثر تأثراً بها منها بمكروبات سل البشر وجه عمومي وهذه الخاصة وغيرها من خواص مكروبات سل البشر مما يزيد الفرق بين النوعين ويقال الاختصار ان جميع اشكال السل التي تصيب الحيوانات ذوات الثدي اما ان تنشأ عن مكروبات سل البشر او سل البقر ما عدا الاشكال القليلة الشاذة التي ذكرت آنفاً

هذا ولما كان مكروب السل البشري اعظم تأثيراً في الحيوانات المدوية الدنيا من مكروب السل البشري فيها وجب ان يكون مكروب سل البقر شديد التأثير في الانسان ايضاً ولا يخفى ان امتحان ذلك في الجسم الانساني رأساً لا يمكن السماح بهِ ولكن الجمهور على ان سل البقر يضرُّ الانسان كما يظهر من القوانين الكثيرة التي يسنها الناس من يوم الى يوم ويحظرون بها اكل لحم البقرة المصابة او شرب لبنها. هذا كان اعتقاد الناس عموماً حتى قام كوخ وخطب خطبتهُ المشهورة سنة ١٩٠١ فولَّدت في عقول رجال الطب والصحة ريباً شديداً في ما اذا كانت العدوى تنتقل من المواشي المسلولة الى الانسان. ولكن الابحاث التي جرت من عهد تلك الخطبة الى الآن تثبت ان الانسان قد يُعدى بالسل البقري. غير ان عدد الحوادث التي ثبت بها ذلك ثبوتاً لا يحتمل الريب قليل جدًّا. وسبب هذه القلة صعوبة البحث في انواع مكروب السل الذي يصيب الانسان. واعظم الذين انكروا تعميم قول كوخ في هذه البلاد الدكتوران راقنل ويبوولد سمث وابحاثهما في هذا الصدد جليلة تكاد تكون مقنعة

ولا يخفى ان المسألة ذات وجهين الاول عدوى البقر من الانسان او امكان انتقال السل البشري الى البقر. والثاني عدوى الانسان من البقر. فمن جهة الامر الاول اقول انهُ ظهر من تجارب كثيرة قبل كوخ ان المواشي شديدة المقاومة لمكروب السل البشري. على ان اقطع دليل من هذا القبيل ما ورد في الرسالة التي كتبها ثيوبولد سمث سنة ١٨٩٨ حيث لخص تجاربهُ بقولهِ "ويؤخذ من مجموع التجارب التي عملتها في المواشي ان مكروب السل الانساني الذي يؤخذ من بصاق المسلول لا يعدي المواشي بالطرق العادية" (اي بطريق الفم). وادخل كوخ وشوتس مواد متدرنة ومستنبتات من مكروب السل البشري الى اجسام المواشي باطعامها اياها او بحقنها بها فلم تُعدَ بها عدوى واضحة. ولكن هذا الامر لا يحلُّ المسألة كلها ولا يمسُّ الوجه الآخر الاهمّ منها وهو عدوى الانسان من البقر. وقد عرف كوخ ذلك

لما بين الانسان والحيوانات الاهلية من العلاقة الشديدة فان الانسان عرضة لأَن يصاب بالامراض التي تصيب هذه الحيوانات لكثرة اعتياده عليها في طعامهِ وعملهِ وسائر احوال معيشتهِ كما انها هي ايضاً عرضة لأَن تصاب بالامراض التي تصيبهُ فمن هذا تتضح اهميه السعي في حلّ هذه المسأَلة وهي حصر السلّ اما بمنع وصولهِ الى الانسان او بمعالجة جسم الانسان حتى لا يعود يصاب بهِ

فمما لا ريب فيهِ ان مكروبات سلّ الطيور تختلف كلّ الاختلاف عن مكروبات سلّ البشر وسلّ البقر. وقد ظهر من التجارب الكثيرة التي عملت لمعرفة درجة تأَثر الطيور من التلقيح بمكروبات السلّ البشري ما يؤيد ذلك (اي اختلاف سلّ الطيور عن سلّ البشر في النوع) ويثبت ان تأْثير التلقيح يختلف باختلاف نوع الطير الملقَّح ولو كان ذلك التأْثير خفيفاً. وظهر ايضاً ان بعض انواع الحيوانات ذوات الثدي تتأَثر تأَثرًا خفيفاً اذا لقحت بمكروبات سلّ الطيور فخنزير غينيا مثلاً من اكثر الحيوانات تأَثرًا بلقاح السلّ الذي يصيب الحيوانات ذوات الثدي ولكنهُ لا يكاد يتأَثر بلقاح سلّ الطيور. والارنب لا تكاد تتأَثر بلقاح سلّ البشر ولكنها شديدة التأَثر بلقاح سلّ الطيور وفتكهُ بها ذريع. ولكن مما تجب الاشارة اليهِ ان اعراض الارنب الملقحة بلقاح سلّ الطيور تختلف عن اعراض التدرُّن المعروفة فلا يكون فيها درن ولا تجبن بل معظم ما يصيبها تضخُّم في الطحال

اما من حيث تأَثر الانسان بسلّ الطيور فيكفي لغرضنا ان يقال ان الانسان لا يصاب بهِ الاَّ نادرًا وقد صرَّح راسوقتس حديثاً بان البقر والخنازير والخيل والسعادين قد تصاب بسلّ الطيور ولكن لا يخشى كثيرًا من انتشارهِ بين الحيوانات ذوات الثدي. على ان الحيوان الذي يخشى منهُ كثيرًا على الصحة العمومية هو الببغاء وذلك لانها تصاب بالسلين سل الطيور وسلّ البشر

والبحث في سلّ البقر ومكروبهِ من اهمّ المواضيع المتعلقة بمنع السلّ. فقد اثبتت ابحاث تيو بولد سمث ان بين بعض مكروبات السلّ البشري وبعض مكروبات السلّ البقري فرقاً في النوع حتى بتنا الآن نعدُّهما صنفين مختلفين لا يتحول احدهما الى الآخر بالتربية الصناعية ولا يسعني الآن ان ابحث في مسأَلة طال الخلاف فيها وهي تغير الانواع بحسب الوسط المحيط بها وانما اقول انهُ لم يتمكن احد بالتجربة والامتحان من تحويل مكروبات سلّ الطيور والبقر والبشر بعضها الى بعض. فقد قالوا ان تربية نوع من المكروب في جسم حيوان غريب تغير خصائص ذلك النوع تغيرًا عظيماً ولكن الادلة التي تقام على هذا القول ...

واحدة . وقد ظهر خطاء هذا الرأي بامرين الاول اكتشاف تغيرات في قوة السم تختلف باختلاف مصدره . والثاني ضعف مفعول المكروب بطول مدة تربيته خارج جسم الحيوان

واخص الحيوانات التي استخدمها الاساس لامتحان المناعة فيها الارانب والبقر والمعزى اما خنزير غينيا فانهُ من احسن الحيوانات لاكتشاف التدرن بالنظر الى شدة تأثره من الحقن بالمادة الدرنية لكنهُ لا يصلح لتجارب المناعة مثلما يصلح لتجارب اكتشاف التدرن ومع ذلك فقد استخدم فيها وجاء استخدامهُ ببعض الفائدة

واول تجارب المناعة واشهرها تمَّ على يد كوخ في اثناء بحثهِ عن لقاحهِ المعروف باسم التيوركولين وقد استخلصهُ بان ربى مكروب السل واستنبتهُ في المرق ثم فصل المكروب عن المستنبت وكثَّف المستنبت . وقد لُقِّح المسلولون بهِ فلم يأتِ بالفائدة المطلوبة في كل الذين لقحوا بهِ ولكنهُ لا يزال نافعاً من انفع الوسائل الطبية في علاج السل . وليس نفعهُ حاصلاً من فعلهِ التشفائي بل من ان لهُ فائدة عظيمة في تشخيص المرض وفعلهُ في المسلول خاصٌّ بهِ ظاهر كل الظهور الى حدّ انهُ أعان الاطباء اعظم اعانة في كشف النقاب عن الظواهر الكثيرة الاختلاط والاشتباك التي تكوّن الحالة الدرنية

وقد يساعد هذا اللقاح على زيادة قوة الجسم في مقاومة عدوى السل بتلقيحهِ بهِ ولكن هذه الزيادة قليلة لا تذكر . فيمكن ايقاف التدرُّن بهِ عند حدّهِ وهذا الايقاف قد يفضي في بعض الحالات الى الشفاء العاجل او يفضي الى الشفاء الآجل بزيادة قدرة الجسم على الدفاع والهجوم . اما المناعة التامة فلم يتوصل اليها بعد . وسبب ذلك ان اللقاح لا يتضمن جميع القوى الكامنة في المكروب والتي لا بد للجسم من مقاومتها والتغلب عليها دفعاً للعدوى . فان القوى التي فيهِ ليست شديدة السم لجسم السليم من السل . ومن الشروط اللازمة للحصول على المناعة من المكروبات ومتعلقاتها ان يتأثر الجسم من ادخال سمها فيهِ والاَّ فلا تحصل المناعة من الجرعات الكبيرة او السموم التي تكون اشد فعلاً (كالمكروبات نفسها) . نعم ان لقاح كوخ يسم جسم المصاب بالسل ولكنهُ يكاد يكون عديم التأثير في الجسم السليم منهُ . فقد وجد بعد تلقيح الجسم السليم بهِ انهُ كوَّن فيهِ كمية قليلة من المادة التي تقاوم سم المكروب ولو كان سمّاً شديد الفعل في الجسم لكوَّن فيهِ كميات كثيرة من هذه المادة . فلذلك ظنَّ ان المادة الفعالة فيهِ لا توجد مستقلة بل توجد متحدة بغيرها ولا يفصلها سوى الجسم المصاب وان الانفصال يحدث في بؤر الدرن بسبب فعل السمّ فيها . فاذا صح ذلك فقد عُرف السبب في ضعف تأثير اللقاح في الاجسام السليمة

(ستأتي البقية)

ولم يفتهُ ولكنهُ نفى عدوى الانسان من البقر اعتماداً على قلة حوادث التدرُّن الذي يحدث في الامعاء ابتداءً وهو النوع الذي لا بدَّ ان يصاب بهِ من يتناول مكروب التدرن مع الطعام (كما لو اكل لحم بقرة مسلولة او شرب لبنها) غير ان التقارير التي ظهرت بعد خطبة كوخ ابانت ان هذا التدرن في الامعاء ليس قليل الحدوث كما ظن كوخ ولا سيما في الاولاد · والمباحث التي آلت اليها خطبتهُ اثبتت اثباتًا مبنيًّا على الفحص المكرسكوبي ان مكروب السل قد يخترق جدران الامعاء السليمة ويصل الى الغدد المساريقية بواسطة المجرى اللمفاوي وترجح منها ايضًا ان مكروب السل قد يصل الى الرئتين بعد دخولهِ الى الاوعية الدموية التي في الامعاء · واذا جمعنا ما عندنا من المعلومات عن عدوى السل بالطعام رأيناها تناقض ما قالهُ كوخ وتدلُّ على ان مكروبات السل التي تدخل الجسم مع الطعام قد تغرز في غشائهِ المخاطي وتنتقل منهُ الى الغدد اللمفاوية التي في العنق وما جاورها من جهة اللوزتين على المرجح · او تغرز في غشاء الامعاء المخاطي وتخترقهُ من غير ان تحدث المرض فيها اولاً حتى تصيب العقد اللمفاوية المساريقية فتقيم فيها · او تنتقل الى الرئتين مع المجرى الدموي او اللمفاوي · او تتوالد في الامعاء وتحدث التدرن فيها ثم تنتقل الى سائر اجزاء البطن والصدر

ومما يساعدنا على محاربة هذا الداء الذي تزيد مصاعبهُ بنموّ المدن الكبيرة وازدحامها معرفتنا للكيفية التي يخرج المكروب بها من الجسم المصاب ويلوّث الاشياء التي يلمسها ويدخل الجسم السليم · ولا يكاد يؤمل ان اصابات السلّ تقلُّ قلة اصابات الجدري وحمى التيفوس بمجرد التحوُّط ضدَّ العدوى ولكن مما يبشّر بالخير ان الحرب القائمة على السلّ نقَّصت الوفيات بهِ نقصًا ظاهرًا في بعض البلدان ونقَّصت الاصابات ايضًا على ما يرجح · ففي نيويورك قلَّت الوفيات بهِ ٣٥ في المئة منذ سنة ١٨٨٦ · وفي بروسيا بقيت الوفيات بهِ على حال واحدة من سنة ١٨٧٦ الى ١٨٨٦ ولكنها قلّت بعد ذلك ٣٠ في المئة · وهذا يدلُّ على ان اخطار العدوى تقل بانتشار التعليم واصلاح حال الفقراء في طرق معيشتهم وعزل المسلولين في مصحّات ومستشفيات مدة اشتداد الداء عليهم

هذا وان اكتشاف مكروب السلّ احيا الامل باكتشاف طريقة لمعالجتهِ ومنعهِ · ولم يتحقق هذا الامل حتى الآن ولكن ما بذل من المساعي العظيمة في اكتشاف طريقة للوقاية منهُ لم يخل من الفائدة

ومن اهمّ ما كشف عن المكروب ان منهُ انواعًا مختلفة تختلف قوة سمها باختلاف نوعها

وفي هذه الحرب نفسها ارتكب البروسيون غلطة مضحكة في معركة تروتنو . وذلك ان احدى الاورط ارسلت طلائعها تجسس اكواخ ظنت ان قوة من العدوّ كامنة فيها فاحدقت بها من كلّ جانب وبقيت مدة طويلة نتفنن في حركاتها العسكرية ثم هاجمتها فاذا هي زرائب مملوءة خنازير فغنمتها بعد ان قتلت وجرحت نحو ٢٠ خنزيرًا منها في هجومها عليها

ومن خداع المعارك ما فعلهُ عثمان باشا الغازي في معركة بلفنا الثانية فأَكسب بهِ جيشهُ النصر فان الامر كان قد صدر الى الروس بالهجوم على حصن عالٍ كان العثمانيون يحتلونهُ ففعلوا وحمل العثمانيون ايضًا عليهم فالتقى الجيشان وكان لالتقائهما صدمة هائلة تطير لها النفوس شعاعًا . واخيرًا جعل العثمانيون يتقهقرون امام الروس فلما رأَى عثمان باشا ذلك خشي ان تدور الدائرة على جنودهِ فأَمر المدفعية باطلاق مدافعهم على موَّخرة اخوانهم وغرضهُ من ذلك منعهم من التقهقر فنجحت حيلتهُ لان الجنود رأَت ان ما تفقدهُ بالهجوم من نيران الروس يقلُّ عما تفقدهُ بالتقهقر من نيران اخوانها فحملت على العدو حملة صادقة كلّلت بالنصر

وتعدّ حملة الجنود العثمانية على مضيق شبكا سنة ١٨٧٧ من اعظم الحملات في تاريخ الحروب بالنسبة الى عدد الجنود التي اشتركت فيها . فقد كان عدد الجنود العثمانية ٣٠ الفًا ففقدت ١٧ الفًا منها في ساعات قليلة وكان قائدها سليمان باشا وقائد الروس غوركو . ومن غرائب الاتفاق ان سليمان باشا ارتكب في هذه المعركة ما ارتكبهُ غوركو في معركة بلفنا الرابعة فان كليهما خالف اوامر رئيسهِ وجرى في القتال على خطة رسمها لنفسهِ . اما غوركو فلم يُسأَل عمَّا فعل واما سليمان باشا فحوكم امام مجلس عسكريّ بعد انتهاء الحرب بدعوى ان الروس رشوهُ ليحارب في هذه المعركة ويحاول عبور مضيق شبكا مع علمهِ بان ذلك محالٌ بدلًا من ان يعبر جبال البلقان من مضيق آخر وقد كان ذلك سهلًا عليهِ فلا يفقد رجلًا من رجالهِ . وحكم عليهِ بالقتل ولكن السلطان استبدل الحكم بالنفي المؤبَّد . ومات سليمان باشا بعد ذلك بسنوات قليلة والمقول انهُ انتحر

ومثل هذا جرى لبازين بعد انتهاء الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا فانهُ حوكم في مجلس عسكري بتهمة انهُ اخذ رشوة من الالمانيين وحكم عليهِ بالاعدام فاستبدل رئيس الجمهورية الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ولكن بازين فرَّ من سجنهِ الى مدريد ومات فيها بعد ذلك بسنوات قليلة فقيرًا معدمًا

ومن المعارك المشهورة معركة جبورجيفو من معارك حرب القرم سنة ١٨٥٤ جرت بين

نوادر المعارك

اذا كتب المؤرخ تاريخ حرب فاعظم ما يهمهُ ويوجه عنايتهُ اليهِ منها وصف العُدد والعدد وضبط اوقات المعارك وذكر الاسباب والنتائج وغير ذلك مما يفقد التاريخ بهِ جانباً من اللذة والفكاهة فيقرب من العلوم ويبعد عن القصص والحكايات وبذلك يتميز عن الروايات عدا ما كتب منها لتزيين فضيلة او تقبيح نقيصة . ولكنَّ في تاريخ الحروب اموراً قلما ينتبه المؤرخ لها فيذكرها وهي لو ذكرت لراد بها التاريخ لذة لانها لهُ كالملح للطعام او كالمُلَح الهزلية في الخطب الجدّية . وانّا ذاكرون بعض الامثلة والشواهد على ذلك نقلاً عن ضابط انكليزي شهد كثيراً من المعارك التي جرت في النصف الاخير من القرن الماضي قال :

تعدُّ معركة كونجراتز التي جرت بين النمسويين والبروسيين سنة ١٨٦٦ من اعظم معارك الحروب الحديثة لان عدد الجنود الذين قاتلوا فيها بلغ ٢٠٠ الف جنديّ او اكثر . وكاد النمسويون يفنون عن آخرهم لولا استبسال فرقة المدفعية وتضحيتهم مدافعهم ليمكّنوا الجيش من التقهقر بانتظام والوصول الى ڤينّا بسلام

وبينما كان الجيش يجدُّ في السير لبلوغ ڤينا والدفاع عنها من جيوش البروسيين الزاحفين عليها صدرت الاوامر الى كلّ ما في المدينة من المركبات وعربات النقل بالخروج للقاء الجيش النمسوي وحمل جنودهِ استعجالاً لهم . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى وصل ٣٠ الف مركبة وعجلة الى ڤينا مزدحمة بالجنود . وفي اثناء ذلك صدر الامر بمحاكمة الجنرال بنداك قائد الجيش في مجلس عسكري لانهُ غرّر بجيشهِ وجرَّ عليهِ تلك الكسرة المشؤومة . فتوسّط الامبراطور الحالي في امرهِ واوقف محاكمتهُ على شرط ان يعد بشرفهِ أَن يلزم السكوت الى آخر عمرهِ . ففعل وتوفي بعد ذلك بعشر سنوات والناس يعتقدون انهُ لم يكلّم احداً بكلمة وفاءً بوعدهِ سوى امرأتهِ وخادمهِ

ومن غرائب الاتفاق ان قائد الجنود البروسية الذي غلب بنداك كان ملتكي المشهور وقد لقب بالسكوت وذلك لانهُ قضى عشرين سنة عضواً في مجلس النواب فلم يخطب غير خطبة واحدة مؤلفة من كلمة واحدة وهي " اسكتوا " . وبعد معركة كونجراتز بمدة سنوات زار ملتكي بنداك فحيّاهُ بنداك مصافحة وتعشيا معاً ولكن بنداك لم يفهْ بكلمة وجلسا بعد العشاء يلعبان بالشطرنج كانهما يعيدان ذكرى المعارك القديمة كلُّ ذلك وبنداك ملازم للصمت لا يلفظ سوى الكلمات التي يلفظها لاعبو الشطرنج عادة

سباق الخيل والرهان

مهما يُقَل في الدفاع عن الرهان وخصوصاً ما تعلَّق منهُ بسباق الخيل لم يخرج من الوجهة الادبية عن كونهِ ضرباً من ضروب المقامرة · ولا يشفع فيهِ ان المبالغ التي يعقد الرهان عليها هي على الغالب قليلة لا تغني من جوع لان الجرم في نظر الناموس الادبي جرم كبُر او صغُر هذا ناهيك بانهُ كثيرًا ما يكون الرهان على مال طائل يفلس بخسارتهِ زيد ليغتني بربحهِ عمرو فهو من هذا النظر قمار محض يجرُّ من العواقب الوبيلة ما يجرُّهُ القمار · فكم سمعنا بانتحار زيد وموت بكر غمًّا من خسارة كلٍّ مالهما بالرهان · على ان ما يجعل رهان الخيل عند الناس ارفع رتبة من سواهُ من ضروب المقامرة اقبال الكبراء والعظماء عليهِ وعلاقة الملوك بهِ ولو من جهة اقتناء الخيل للسباق · ثم انهم يعدُّونهُ نوعاً من الملاهي فيفقد صفة المقامرة او تتغلب عليهِ صفة التسلية · وزد على هذا وذاك قول انصارهِ انهُ ليس قمارًا محضاً مدارهُ على مجرَّد الصدفة والاتفاق بل انهُ يعتمد على شيءٍ منظور محسوس وهو الفرس الذي وقع الرهان عليهِ · فانك ترى الفرس او تسمع عن تجليتهِ في الحلبات السابقة فتراهن عليهِ بناء على ان ارجحية السبق لهُ فالرهان الذي فيهِ ارجحية ليس مقامرة بل هو ضرب من التجارة · فيجيبهم مقاومو الرهان عموماً ان الفرق بين الرهان على فرس سبَّاق والتجارة هو في درجة تلك الارجحية فقد أَبان الاختبار ان ارجحية الربح من رهان الخيل لا تذكر في جنب ارجحية الربح من التجارة بدليل ان كل المتراهنين يخسرون و ١٠ في المئة من التجار يخسرون على وجه التعديل والباقون يربحون وهذا يجعل الفرق بين الامرين فرقاً في النوع لا في الكم فقط اي ان الرهان والتجارة شيئان مختلفان لا وجه للشبه بينهما

ومن رأْي كثيرين من اكابر علماء القانون ان الرهان حلال وانهُ ليس من القمار في شيءٍ ويؤَيدون رأْيهم هذا بادلة لا محلَّ لايرادها هنا · وقد ذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا ان بعض الالعاب التي يعدُّها الناس عموماً مقامرة ليست كذلك

اما ان المتراهنين يخسرون ولو كانوا من اكثر الناس خبرة بطرق الرهان فواضح من الحكاية الآتية — حكاها رجل انكليزي مارس الرهان على سباق الخيل مدة طويلة وخبر اطوارهُ كلها فلم تجدهِ ممارستهُ وخبرتهُ نفعاً بل كان الخاسر في النهاية · قال

ان قسماً كبيرًا من الجمهور يراهن في سباق الخيل وقيمة الرهان تختلف من ثلاث بنسات

الجنود العثمانية وعددها ٥ الاف والروس وعددهم ٢٠ الفاً · وكانت ا
قائد كبير السن فلما رأى انهُ لا يستطيع قيادة جنودهِ نظرًا الى كبر سنهِ و
الى جنديين انكليزيين كانا معهُ وثلاثة مهندسين انكليز اتفق وجودهم هـ
عمر اكبرهم سناً ٢٢ سنة فحملوا على الروس حملة منكرة وهزموهم ونالوا الغلبة
القائد وهو من قبيل انكارهِ لنفسهِ جازتهُ دولتهُ ودولة انكلترا ودولة فر
المال · ونمي الخبر الى القيصر نقولا الاول فقال " لقد غلبنا حفنة من التر
صبيان المدارس " ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى مرض ومات
ما اصاب جنودهُ في هذه المعركة عجل بموتهِ

ومن النكات المضحكة المبكية ما جرى بين الجنود البلغارية وبعض
سنة ١٨٨٥ · وذلك ان اللصوص اعتصموا بقمة احدى الروابي فهاجمها ا
مختلفتين في وقت معاً · ثم سطا ضباب كثيف على الرابية فاغتنم اللص
هاربين تحت جنحهِ والجنود لا تدري من امرهم شيئاً بل ما زالت تصعد
حتى بلغت قمتها والتقى الفريقان هناك وكلٌّ منهما يظن الآخر عصابة الل
الضباب فالتحما وتقاتلا قتالاً شديدًا مدة ساعة ولم يكتشفا خطاءهما ا
مئات منهما

وجرى مثل هذا الخطاء في حرب البوير الاخيرة · فان الضابط ا
ما تقدم كان يقود اورطة انكليزية في مكان اسمهُ بتولي عند نهر الا
حرس كولدستريم نازلة في مكان اسمهُ أليوال على بعد ٢٠ ميلاً الى ا
من البوير بقيادة فوشه على ضفة النهر المذكور في منتصف الطريق
الانكليزيتين وعادت الكشافة من الانكليز تخبر ان البوير يزحفون من
فخرجت الاورطتان الانكليزيتان للقائهم ولكن البوير انسلوا من اماكنـ
والانكليز لا يدرون بذلك فالتقى فريقاهم ودار القتال بينهم وسقط كثير
قبلما ادركوا خطاءهم · وكيفما كانت الحرب فليس فيها الا الويل وما هذه
ملح مصبوغة بالدماء

ومن اكثر الناس تعلقاً بالسباق واستغالاً بهِ ملك انكلترا الحالي قبلما تولى الملك . فقد مضت مدة وخيلهُ تسبق في كل حلبة تقام في انكلترا ثم خانهُ السعد وفارق خيلهُ السبق . ثم دار دولاب البخت دورتهُ وعاد يربح كما في العهد الاول

ولم يقتصر ولعهُ على تربية الخيل واعدادها للسباق بل انهُ لما كان شاباً كان يركب خيلهُ كاحد سواسهِ ويسابق عليها . وركب مرة جواداً في سباق أُقيم في جزيرة امرالد وكان ولي العهد وسمَّى نفسهُ " الكبتن ملقيل " فجرى الجواد بهِ شوطاً مع المتسابقين ولم يدرِ الّا القليلون انهُ هو ولي العهد عينهُ

ومن افكه ما يحكى عنهُ من حكايات السباق انهُ اشترى فرساً اسمها برديتا الثانية بنحو الف جنيه فانتجت لهُ ثلاثة جياد ربح الواحد منها ٧٨٥٥ جنيهاً والثاني ٣٤٧٠٦ جنيهات والثالث ٢٩١٨٥ جنيهاً . ويقدَّر ثمن الثلاثة بمئتي الف جنيه . وكان ابو احدها من خيل دوق بورتلند فربح منهُ نحو ربع مليون جنيه في السباق . وباع الملك احدها حديثاً لغنيٍّ من بونس ايرس بمبلغ ٣٠ الف جنيه

اما ما ربحهُ من السباق في عشر سنوات ابتداؤها سنة ١٨٩١ فكان ما يأْتي

سنة	جنيه
١٨٩١	٤١٤٨
١٨٩٢	١٩٠
١٨٩٣	٣٧٢
١٨٩٤	٣٤٩٩
١٨٩٥	٨٢٨١
١٨٩٦	٢٦٨١٩
١٨٩٧	١٥٧٧٠
١٨٩٨	٦٥٦٠
١٨٩٩	٢١٨٩
١٩٠٠	٢٩٥٨٥

فالمجموع ٩٧٤١٣ جنيهاً . وفي سنة ١٩٠١ لم ينزل خيلهُ الى الميدان ويقال انهُ ينوي ترك السباق بتاتاً

بسباق الخيل في لندن منذ ٢٥ سنة وعرفت كلَّ من لهُ علاقة بهِ من
الرهان مهنة لهُ فرأْيي بهذا الصدد رأي خبير يعوَّل على قولهِ . وخلاصة
مجنون وقوة جنونهِ قوة مئة حصان . ولكن هذا لا ينفي ان المراهن يربح
بالنسبة الى المبالغ التي يتراهن عليها كما قد يربح المقامر . فان المركيز ه
خسر امواله واملاكه كلها ومات شابًّا مفطور القلب مكسور الخاطر . ف
ما يزيد على مئة الف جنيه . وربح نحو هذا القدر في سباق اخر ثم
مراهن آخر اسمهُ ارنست بنسون نحو ربع مليون جنيه في اشهر قليلة
ومنذ سنوات قليلة قصد اميركي انكلترا للسباق فراهن وكسب قدرًا ع
الى اميركا ضاحكاً مسرورًا . وفي الفصل التالي قصد انكلترا ثانية بعد
في المرة الاولى فراهن فخسر كلَّ ما كان قد ربحهُ وعاد مغتمًّا مكسورًا و
الرهان دين طائل

على ان الذين يربحون هم اصحاب اماكن الرهان كما ان الرابحين
اماكن اللعب والخاسرين زبائنهم . فقد عرفت كثيرين من المراهنين ...
يعرفون سوى الخسارة واخيرًا ادركوا خطأَهم وانقلبوا من مشترى تذاكر
ولم تمضِ عليهم سنوات قلائل حتى كانت لهم خيل وأَنعم وزروع وامو
كيف شاؤُوا . وقد قابلت احدهم منذ مدة قصيرة وهو صاحب معمل ...
المعامل التي من نوعهِ . فقال ان عندي ثلاثة آلاف عامل يعملون اعما
رزقهم وقد عرضت عليهم تذاكر السباق وهم يتناولون طعام الظهر فاشتر

واجتمعت مرة بصديق في سباق أَسكوت قضى عمرهُ ولم يكن
والمراهنة فقال لي " لو لم أُراهن في الثلاثين سنة الماضية لكنت الآن
الصديق من اعظم الخبيرين بالسباق ومتعلقاتهِ يرسل كلَّ سنة ٥٠ ال
اصدقائهِ العديدين يتكهن فيها بالخيل التي يرى انها تكون السابقة والغا
ذلك لم تفدهُ خبرتهُ شيئًا

فاذا اردت المراهنة فافعل ما افعلهُ انا الآن. فاني اكتب مقدار الرهان
انها تربح على ورقة وأُعطيها لامرأَتي والمقدار الذي أُراهن عليهِ صغير دا
مارس الماضي الى الآن (اوغسطس) نحو ٥٠ جنيهًا مع خبرتي وكثرة
الذي خسرتهُ لم يذهب الى ارباب الرهان بل ... امرأَتي ...

بل اعتقد صحتهُ واعتقد ايضاً انهنّ يتقنّ اعمال الرجال اكثر منهم · اما الرجال فلا يستطيعون عمل شيء او شبه شيء مما يستطيع النساء

وهذا صحيح لا ريب فيهِ · فهنّ لا ينفردن في ولادة الاولاد وتربيتهم وتهذيبهم في طفوليتهم بل في ذلك العمل اسمى الاعمال واقربها الى الله — عمل المحبة والتسليم الاعمى الى المحبوب وهو عمل عملتهُ النساء الصالحات البارّات ويعملنهُ الآن وسيعملنهُ الى الابد بغاية الاتقان وتمام السهولة لانطباعهنّ عليهِ بخلاف الرجال · ولعمري ماذا كان يجري بالعالم عموماً وبنا نحن الرجال خصوصاً لو لم تكن للنساء تلك الخلّة ولو لم يمارسنها · فقد نستطيع الاستغناء عن الطبيبات والمحاميات والعالمات والكاتبات ولكن كيف نستطيع المعيشة بلا امهات ومعزّيات من اللواتي يحببن في الرجال اسمى ما فيهم ويرفعن ما هو افضل واشرف . حقًّا ان العيشة على الارض بلا نساء مثل هؤلاء باطلة لا يشتهيها احد · ولولا تلك الصفة لما كان هناك الوف والوف الوف من النساء المجهولات اللواتي هنّ خير النساء مثل كلّ مجهول اولئك اللواتي يعطفن على السكيرين والضعفاء وفاسدي الآداب وهم اشدّ الناس حاجة الى الشفقة وتعزيات المحبة · ففي هذه المحبة اعظم قوة المرأة واهمها تلك القوة التي لا يعتاض شيء عنها

فما هذه الصيحة والجلبة وما تلك المسألة التي يسمونها مسألة النساء وترى معظم النساء وكثيرين من الرجال في شغل شاغل بها عن غيرها · ان المرأة تبتغي اصلاح حالها فنعم البغية ونعم المطلب ما احقهُ "

انتهى كلام الكاتب الذي نقل تولستوي عنهُ ما تقدم ثم عقّب تولستوي عليهِ بقولهِ " ولكن مطلب المرأة غير مطلب الرجل وعليهِ لا يمكن ان تكون الغاية القصوى التي ترمي اليها من الكمال هي نفس غايتهِ . ولو سلمنا جدلاً باننا نعرف تلك الغاية فمن المؤكد انها ليست الغاية التي يرمي الرجل اليها · ومع ذلك فانك ترى المرأة العصرية تحاول مجاراة الرجل في غايتهِ ومسابقتهِ اليها جهلاً وتغريرًا فتسعى الى حتفها بظلفها "

مسألة الخادمات

مسألة الخادمات وخدمتهنّ في المنازل مسألة تشغل العائلات في كلّ بلاد والقطر المصري في الجملة وخصوصاً عاصمتهُ فما من ربة بيت في العائلات الغنية والمتوسطة الاّ وتراها تشكو امر الخدمة في المنزل ولا حديث للنساء في استقبالهنّ الاّ هذا الحديث · وربما كانت الشكوى من هذا الامر اخفّ عندنا منها في انكلترا لاننا كثيرًا ما نستخدم الرجال حيث لا يستخدمهم الانكليز · وقد علت شكوى الانكليز حديثاً من قلة الخادمات [illegible]

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء والسياسة

يرى البعض ان الطبيعة خصَّت الرجال بالدهاء السياسي وضنت على النساء بهِ او حرمتهنَّ اياهُ . ويخالفهم البعض الآخر في ذلك ومنهم المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية فقد نعى في العدد الاخير من مجلتهِ امرأَة من البوير اسمها ما دام كوبانس دي وت وابنها فقال في تأبينها ما يأتي

" ان الذين يعتقدون بان الرجال احتكروا الدهاء السياسي لانفسهم وتركوا النساء يجرين خلفهم مقصرات فيهِ يصعب عليهم ان يعللوا وجود نساء مثل ما دام دي وت - امرأَة قضت ٣٠ سنة وهي اعظم النساء نفوذاً واعلاهن كلمة في جنوب افريقية كلهِ . ولو أُتاح لها القدر فخلقت رجلاً لتولَّت منصب رئاسة الوزارة في مستعمرة الرأْس ولما حدثت حرب الانكليز والبوير اذ لم يكن في جنوب افريقية حيٌّ عاقل اسمى عقلاً واقوى جناناً وابعد نظراً في الامور منها. ولكنها خلقت امرأَة فحرمت كلَّ فرصة لنفع البلاد رأْساً ولما رأَت ابواب مجلس الامة موصدة دونها جعلت بيتها مركزاً للنفوذ السياسي فلما آنت الساعة واستحكمت حلقات الازمة في الترنسفال قبل وقوع الحرب وتوقف انفراجها على كلمة حرة يقولها حرٌّ وعزمة ثابتة يعزمها بطلٌ شنأَها الاعوان والانصار فكانت الحرب . وقد كان رودس يجلُّ قدرها ويعجب بها وكلُّ الذين عرفوها احبُّوها وبالغوا في احترامها واجلال قدرها . وسيبقى ذكرها عوناً لنساء جنوب افريقية خصوصاً ونساء سائر الاقطار عموماً في جهاد هذه الحياة ومناراً ينير ظلماتها المدلهمة "

تولستوي والنساء

قال الكونت تولستوي الفيلسوف الاجتماعي الروسي

قرأْت مرة مقالة عن النساء شفَّت عن حذق وبعد نظر . ومما قالهُ كاتبها " ان النساء يحاولن ان يظهرن لنا انهنَّ يستطعن عمل كلّ ما يستطيعهُ الرجال . ولست أُنازع في ذلك

الاجسام الغريبة في الحنجرة

كثيرًا ما يسرع الاولاد في الاكل و بلع اللقمة قبل تمام مضغها فتقف قطعة كبيرة منها في المريء وتضغط القصبة فيشعرون بضيق في التنفس . او يبتلعون قطعة نقود او زرًّا او حسكة . او يشهقون بغتة وهم يأكلون فتندفع قطعة من الطعام الى القصبة وهذه الحالة الاخيرة اعسر الحالات . وخير ما يعمل فيها ان يقلب الولد راسًا لعقب و يضرب على ظهره بين كتفيهِ فيسقط الجسم الغريب من الحنجرة غالبًا . اما الاشياء التي تقف في المريء ويتعذر انزالها الى المعدة فيمكن ازالتها منهُ بتهييج القيء فتخرج معهُ . واذا وقف الجسم الغريب في اعلى البلعوم فيمكن نزعهُ بالاصابع احيانًا او بمضغ قطعة من الخبز وبلعها وهذه الطريقة تستعمل كثيرًا لازالة الحسك . والعادة ان يشرب الماء عند الغصة اي وقوف اللقمة في المريء . اما اذا استعصى الجسم الغريب فليستدعَ الطبيب حالاً

والاجسام الغريبة التي تدخل المعدة كقطع النقود والازرار وما اشبه لا تضرُّ مبتلعها ضررًا يذكر بل تمرُّ مع الطعام غير المهضوم من المعدة الى الامعاء فالخارج ولكن اذا عقب ابتلاعها قبض في الامعاء فلتؤْخذ شربة لتسهيل خروجها . ويفضل الحقن بماء سخن قبل تناول الشربة

اما ابتلاع الابر والدبابيس وما اشبهها فاكثر خطرًا من ابتلاع قطع النقود والازرار . فيجب اذ ذاك ان يقلل شرب السوائل ويكثر من اكل المواد القليلة الغذاء التي تترك فضلات كثيرة في الامعاء فتكتنف الاجسام الغريبة وتمنعها من جرح الامعاء . وقد عرفت حوادث دخلت فيها الابر الى العروق وجرت مع الدم ثم غرزت في العضلات فأحدثت فيها ورمًا فاذا توصلت منها

وقد يتاح للاولاد قتل [illegible] الابر والدبابيس ولا يجوز في الحالتين شرب المسهلات

الاجسام الغريبة في الاذن

اذا دخل الاذن جسم غريب فلا يجوز نكشها لاخراج ما فيها بل يجب ان يمال الراس على الاذن المصابة ثم تشدُّ قصد تقويم قناتها و يلطم الراس من فوق لطماً خفيفًا فيسقط الجسم الغريب اذا كان صغيرًا . واذا كان حبة حمص او لوبياء او ما شاكل وجب ازالتها حالاً

الخدمة وكتب الكتّاب كثيرًا في هذا الموضوع منهم كاتب نشر مقالة في مجلة اسمها "حسن تدبير المنزل" واقترح فيها اقتراحًا غريبًا في بابهِ لعلاج هذه المسأَلة . قال ما ملخصهُ :

عمد الناس الى وسائل متعدّدة لاصلاح امر الخادمات مثل فتح مكاتب لهنَّ يطلبن منها وجلب خادمات من الخارج وفتح مدارس لتعليمهنَّ الخدمة وتمرينهنَّ عليها فلم تأْتِ هذه الطرق بالغاية المطلوبة . اما انا فأَرى ان تفتح لهنَّ ثكنات مثل ثكنات العساكر يخدمن فيها سنتين ويعلَّمن كلَّ عمل يتعلق بتدبير المنزل ويتمرَّنَّ عليهِ . ويكون لهنَّ في الثكنات حمامات وجمنستيك ومكتبة وغرف للجلوس الخ . ومتى اتمت البنت مدتها وصارت اهلاً للخدمة يعين لها مركز بماهية تفوق ماهية البنت التي لم تتمرَّن على الخدمة . والاَّ بقيت في الثكنة الى ان يوجد لها مركز . ولا تزيد ساعات خدمتها عن ١٠ ساعات او ١٢ ساعة الاَّ اذا دفعت لها علاوة عن الساعات الزائدة وتكون حرَّة في ليلها تقضيهِ حيث تشاء . ويستقطع جزء من ماهيتها كلَّ اسبوع للانفاق على الثكنة

هذا من جهة الخادمة واما المخدومة التي تطلب خادمة من الثكنة فيشترط عليها ان تكون ممن يحسن معاملة الخادمات والاَّ ردّت فارغة . وتطلب منها ماهية تزيد عن الماهية العادية والمكتب يتكفل بان تكون الخادمة ماهرة نظيفة مرتبة حسنة السلوك غير متلافة

المرأَة الاميركية في المنزل

كتبت احدى الكاتبات الانكليزيات مقالة في النساء الاميركيات واشغالهن البيتية ابانت فيها ان ربات المنازل في كثير من ولايات اميركا يستغنين عن الخادمات ويشتغلن في منازلهنَّ بايديهنَّ . قالت "وقد اجتمعت بمئات من النساء المتزوجات اللواتي تربين في المدارس فلم اجد في منازلهنَّ خادمة . ووجدت ان ازواجهنَّ من اطباء ومحامين واصحاب جرائد وملاك وقسوس ينهضون باكرًا ويساعدونهنَّ في اعداد طعام الصباح . والنساء يعملن اعمال البيت الشاقة كلها حتى غسل الثياب وكيها"

فمسأَلة الخادمات لا وجود لها عندهنَّ كما عند اخواتهنَّ الانكليزيات وعند نسائنا . وترى الواحدة منهنَّ تحسن الضرب على البيانو وفهم اليونانية القديمة واللاتينية ولا تأْنف مع ذلك من ان تكون مرضعًا ترضع اولادها وتطبخ الطعام وتغسل الثياب بيديها . فعسى ان تقتدي المرأَة الشرقية بها وتقلل من التشبه بالباريسيات في التنعم والترف فلا نعود نجد بين رجالنا احدًا يشكو عدم الزواج لانهُ فتش عن فتاة تحسن الضرب على البيانو وهزَّ سرير الطفل بيدها فلم يجد كما سمعنا بعضهم يقول

باب الزراعة

البلدان الزراعية

(٣) ايطاليا

لزراعية في ايطاليا ٢٨٦٦٨٢٢١ هكتاراً (الهكتار نحو فدانين
٢٠١ هكتار (٦٫٧٠ في المئة) تزرع وتأتي بموسم و ٤٦٤٧٠٠٠
) من الارض البور و ٣٧٧٣٠٠٠ هكتار (١٣٫٢ في المئة) لاتكاد
لاَ يبيّن مقدار حاصلاتها الزراعية في بعض السنين الاخيرة

سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣
٥٨٠٠٠٠٠٠	٤٨٠٠٠٠٠٠	٦٥٠٠٠٠٠٠
٣٥٤٠٠٠٠٠	٢٥٠٣٠٠٠٠	٣١٣٦٠٠٠٠
٨٨٨٠٠٠٠	٨٤٨٠٠٠٠	٩٦٦٠٠٠٠
٤٤١٨٠٠٠٠	٤١٤٤٠٠٠٠	٣٥١٠٠٠٠٠
٣٢٠٠٠٠٠	١٨٥٠٠٠٠	٣٢٦٠٠٠٠
٥٧٧٦١٢٥	٥٠١٣٢٤١	٥٥٣٨٤٢٥
٤٤٧٥٠٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠٠٠	٥٢٥٠٠٠٠٠٠

لـ راتها من البقر ٣١٠٨٨ راساً وارداتها منها ٢١٤٩٠ . وصادراتها
اتها ٩٢٨٩ . وصادراتها من المعزى ٢٠٤٢ ووارداتها ٧٠٣٦ .
١٦٦٧ وارداتها ٢٧٥٩

لاتها السنوية من الشرانق في كل ... من الخمس السنوات التي تنتهي
١٩٠٤ تبلغ ٥٣٥٠٠٠٠٠ كيلو غرام ومن الحرير بمبلغ ٥٢٠٠٠٠٠

س اسفل الى كلفري في ... و ٢٢ ... في السوائل

لانها تمتصُّ من رطوبة الجسم فيكبر حجمها ويعسر ازالتها بعد ذلك . فاذا لم تزل بالطريقة المتقدمة فليستدعَ الطبيب

وكثيرًا ما تدخل الاذن حشرة تحدث فيها المًا شديدًا فيجب على المصاب حينئذٍ ان يضطجع واذنهُ المصابة الى فوق ثم تملأُ سمنًا حارًّا او زيتًا حلوًا من ملعقة وتسدُّ في اثناء ذلك لتمتلئ قناتها فتموت الحشرة ويستريح المصاب

الاجسام الغريبة في الأَنف

اذا دخل جسم غريب احد المنخرين فالغالب ان يزال بسدِّ المنخر الآخر واخراج النفس بسرعة من المنخر المسدود . واذا سدَّ المنخران يجب ان يتنفس بالفم ويخرج النفس من المنخرين معًا بقوة فاذا لم تنجح هذه الطريقة فخير ان يستشار الطبيب لان محاولة اخراج الجسم الغريب بالقوة قد تفضي الى انفجار وعاءٍ دموي

الاجسام الغريبة في العين

العين اكثر الاعضاء احساسًا وتأَثرًا حتى ان ذرة غبار او هباءٍ منثور تهيجها اذ تعلق بباطن احد الجفنين او بالمقلة نفسها فيشعر المصاب بوخزٍ في عينهِ عند كلّ طرفة . فاذا علق الجسم الغريب باحد الجفنين يزال بتقلب الجفن ومسحهِ بخرقة ناعمة وغسل العين بالماء الحارّ . واذا علق بالمقلة نفسها فلا غنى عن الطبيب لازالتهِ

الاجزاخانة في المنزل

لما كان الاولاد معرضين لآفات كثيرة من رضٍّ او جرح او حرق فالواجب ان يكون في كلّ بيت اجزاخانة صغيرة تحتوي بعض الادوية البسيطة لاستعمالها حين الحاجة . ومن اكثر الاشياء لزومًا ما يأْتي :

زجاجة ارنكا . زجاجة خردل . بعض المنعشات كالكافور او روح النشادر . فازلين او زيت زيتون . لرق خردل . ربط . دواءٌ مضادٌّ للفساد . ملطف . زجاجة او اكثر للماء الحار

فهذه تغني عن الطبيب في الآفات البسيطة المتقدم ذكرها اذ تكون ربة البيت فيها طبيبًا وصيدليًّا

٧ ٤٦٧ ٣٥٠	٧ ٨٧٣ ٣٨٥	٦ ٩٣٦ ٠٠٣
٤٣ ٤٦٢ ٣٩٣	٤٢ ٩٠١ ٥٣٠	٣٦ ٢٨٧ ١٩٢
٢٦ ٠١٧ ٠٨٣	٢٦ ٣٥٥ ٠٢٧	٢١ ٥٠٧ ١١٩
٢٢ ٧٦٤	٢١ ١٢٠	٢٢ ٢٨٨
٣٧ ٦٩٨	٣٣ ٠٧٢	٣٤ ٣٨٠
٢ ٤٧٥ ٦٩٩	٣ ٧٨٥ ٦٩٧	٧ ٢٤٤ ٤٠٨

ا في البلاد كلها ٠٠٠ ٤٣٢ ١٦٨ شجرة ثمر منها ٠٠٠ ٣٣٢ ٥٢
٢٥١ شجرة كمثرى و ٠٠٠ ٤٣٦ ٦٩ شجرة خوخ (برقوق)
كرز . وكان عدد البهائم فيها تلك السنة كما يأتي

٤ ١٩٥ ٣٦١
١٨ ٨٣٩ ٦٩٣
٩ ٦٩٢ ٥٠١
١٦ ٨٠٧ ٠١٤
٣ ٢٦٦ ٩٩٧

القطن الاميركي

لاميركي الخام الى الخارج في السنة المالية التي انتهت حديثًا ما قيمتهُ
لم ما لمهُ حتى الآن على حين ان قيمة الصادر من الحديد والفولاذ
نيه . وقيمة الصادر من القمح والدقيق بلغت ٠٠٠٠٠ ٣٧٢ . وقيمة
طعام ٠٠٠٠٠ ٤٢٣ . ومعظم ما بلغتهُ قيمة صادرات القطن منها قبل
ون جنيه اي انها زادت اكثر من ٣٠ في المئة في خمس سنوات .
ة العظيمة زيادة الكمية الصادرة فقط بل زيادة الثمن ايضًا . فان
ت عن صادرات سنة ١٩٠٥ سبع مئة مليون ليبرة ولكن ثمن صادراتها
ون جنيه عن ثمن صادرات سنة ١٩٠٥
طن المصنوع زادت ايضًا فبلغت قيمة ما بيع منها في البلدان الاجنبيَّة
لها ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ جنيه سنة ١٩٠٥ . فالزيادة ليست كبيرة ولكن
هذه السنة بصادرات سنة ١٩٠٤ ظهر الفرق جليًّا فقد بلغت قيمة

وصناعة السكَّر تتقدم فيها تقدماً سريعاً فقد كان عدد معامل السكَّر اربعة سنة ١٨٩٨ تصنع ٧٩٦٠ طنًّا فاصبح عددها في السنة الماضية ٣٣ معملاً تصنع ٩٥٤٠٩ طنّات

وأُحصي اهالي البلاد سنة ١٩٠١ فبلغ عدد المشتغلين بالزراعة من الذين سنهم ٩ سنوات فما فوق ٦٤١١٠٠١ من الذكور و٣٢٠٠٠٠٢ من الاناث

(٤) المانيا

يظهر من التقارير الرسمية التي وضعت في المانيا بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٠ ان ٩١ في المئة من مساحتها ارض زراعية و٩ في المئة ارض بور. فان مساحة الارض المزروعة والكروم ٢٦٣٩٢٥٢٣ هكتاراً . ومساحة المروج والمراعي الدائمة ٨٦٦٢٨٧٤ . ومساحة الحراج والغابات ١٣٩٩٥٨٦٩ . ومساحة الارض البور ٥٠١٣٥١٩ . وبلغ عدد المشتغلين بالزراعة ٨١٥٦٠٤٥ نفساً. ويلي جدول يتضمن مساحة الاراضي التي زرع فيها اهم الحاصلات في ثلاث سنوات . والقياس بالهكتار

	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣	سنة ١٩٠٤
القمح	١ ٩١٢ ٢١٥	١ ٨٠٧ ٤٧٥	١ ٩١٧ ٥١٣
الذرة	٦ ١٥٤ ٥٤٥	٦ ٠١٢ ٨١٧	٦ ٠٩٩ ٢٧٠
الشعير	١ ٦٤٤ ٠٢٥	١ ٧٠٠ ٤٩٣	١ ٦٢٧ ٠٧٨
الاوتس	٤ ١٥٦ ٢٩٠	٤ ٢٩٠ ٣٩٨	٤ ١٨٩ ٦٨١
البطاطس	٣ ٢٤٠ ٥٧٧	٣ ٢٣٧ ٥٥٨	٣ ٢٨٧ ٨٦١
المراعي	٥ ٩٤٩ ٥٣٣	٥ ٩٢٣ ٨٥٦	٥ ٩٤٦ ٩٩٠
الكرم	١١٩ ٩٢٢	١١٩ ٦٤٩	١١٩ ٨٧٣
الدخان	١٧ ٣٢٥	١٦ ٥٥٢	١٥ ٩٠٦
حشيشة الدينار (لعمل البيرة)	٣٦ ٧٣١	٣٦ ٦٦٧	٣٧ ٨٨٨

وهذا جدول يتضمن حاصلات هذه الاراضي في السنوات المذكورة . والقياس بالطن

	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣	سنة ١٩٠٤
القمح	٣ ٩٠٠ ٣٩٦	٣ ٥٥٥ ٠٦٤	٣ ٨٠٤ ٨٣٨
الذرة	٩ ٤٩٤ ١٥٠	٩ ٩٠٤ ٤٩٣	١٠ ٠٦٠ ٧٦٢

مقتصرًا على السي ايلند بل انهُ ظهر في الانواع الاخرى ايضًا فان
لة منها انما بلغ هذا التحسن بانتقاء البذرة . وقد تمكنوا ايضًا من
من غيرها على مقاومة آفات القطن بانتقاء البذرة من النباتات
عظم ما فيها مصاب

الاخرى اهتمامًا يذكر بانتقاء بذرة القطن الّا حديثًا . فقد كانت
سائر افريقية ان يشتري الزراع البذرة من معامل الحلج من غير ان
صلها . اما الآن فان جميع المكاتب الزراعية ترى اهمية انتقاء
ولا سيما في الهند الغربية ومصر وسائر افريقية وحذت الهند حذو
ليه يؤمل ان ينتج عن ذلك قريبًا نتائج ذات شان مهمّ في معظم

ذرة تختلف كثيرًا . وابسطها انتقاء البذرة من الارض التي يباع
د دلّت النتائج على ان قيمة البذرة تهبط سريعًا ولو اخذت من احسن
صوصية لانتقائها . ففي الارض الواحدة ترى نباتات مختلفة الاوصاف
صيرة متينة او ضعيفة دقيقة او غليظة لمّاعة او غير لمّاعة . وكذلك
فاذا كانت كلُّ نبتة تورث صفاتها لما يخرج من بذورها كما هو
وُخذ من ارض واحدة مثل ما تقدّم تخرج نباتات مختلفة الاوصاف
ة القطن ولا بدّ اذًا من التعويل على طريقة اخرى لانتقاء البذور
ارع

التي عمد بعض المزارعين اليها ان ينتدبوا رجلاً ذكيًّا ماهرًا في
ي الارض التي زرعت قطنا ومعهُ جماعة من الرجال فاذا رأى نبتة
اعمة وتنوعة امر الرجل الذين معهُ باخذ بذورها وهكذا حتى يجمع

اهتمامًا بانتقاء البذرة الولايات الجنوبية التي يزرع السي أيلند
البذرة هناك على امرين الاول انتقاء عدد من احسن النباتات
ور من ذلك الاحسن ثم تزرع البذور في اماكن خصوصية ليزيد
رع في المزارع . وكل سنة تنتقى احسن النباتات من هذه الاماكن
كن خصوصية اخرى في السنة التالية

صادرات القطن المصنوع ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤ على حين انها لم تبلغ مليوني جنيه قبل سنة ١٨٧٧ الاَّ في سنة واحدة

والقطن الخام الذي يصدر من اميركا يباع كلهُ تقريباً في اوربا فقد أُصدر اليها من قطن السنة الماضية ما قيمتهُ ٧٦٥٠٠٠٠٠ جنيه والباقي وقيمتهُ ٣٥٠٠٠٠٠ أُصدر الى غير اوربا . فاشترت انكلترا منهُ بمبلغ ٣٥٤٠٠٠٠٠ جنيه والمانيا بمبلغ ٢٠٢٠٠٠٠٠ جنيه وفرنسا بمبلغ ٩٠٠٠٠٠٠جنيه وايطاليا بمبلغ ٥٤٠٠٠٠٠جنيه وبقية بلدان اوربا اشترت بمبلغ ٦٥٠٠٠٠٠ جنيه . واشترت اليابان مما أُصدر الى غير اوربا بمبلغ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه

اما القطن المصنوع (وقيمة صادراتهِ ١٠٥٠٠٠٠٠ جنيه) فاشترت الصين منهُ بمبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه . وبلغ طول الانسجة القطنية التي اصدرتها اميركا الى الخارج في السنة المالية التي انتهت حديثاً ٧١١ مليون يرد منها ٤٩٨ مليوناً أُصدرت الى الصين و ١٣٣ مليوناً أُصدرت الى اميركا الجنوبية و ٢٥ مليوناً أُصدرت الى سائر اسيا

انتقاءُ بذرة القطن

بقلم المستر توماس ثورنتون مفتش الزراعة المتجول في جزائر الهند الغربية من قبل الحكومة الانكليزية

اصبحت مسأَلة انتقاء بذرة القطن من اهمّ المسائل الزراعية في جميع البلاد التي تزرع قطناً . اذ ما من زارع قطن الاَّ ويعلم شدّة تأَثر نبات القطن من العناية او من الاهمال فقد ظهر بالاختبار ان العناية بهِ حسنت نوعهُ وكميتهُ في سنتين او ثلاث وان اهمالهُ في موسم واحد ذهب بما بذل من التعب عليهِ سنين طوالاً

وقد تقدمت الولايات المتحدة سائر البلدان في امر انتقاء البذرة . وفتح الزراع عيونهم لاختيار النباتات التي تفوق غيرها منذ أُدخل قطن السي ايلند اليها اي منذ اكثر من مئة سنة . فوجهوا همهم اولاً الى انتقاء النباتات التي تنضج قبل غيرها فتمكنوا بذلك من الحصول على نوع من القطن ينضج في وقت اقصر مما ينضج غيرهُ فيهِ . ثم جعلوا ينتقون بذوراً من النباتات ذات الشعرة الطويلة فتمكنوا الآن من الحصول على نوع يبلغ طول شعرتهِ بوصتين ونصف بوصة . ثم جعلوا ينتقون النباتات التي تفوق غيرها في هيئتها وقوة انتاجها ونعومة ملمس قطنها حتى تمكنوا من الحصول على نوع يباع الرطل منهُ بنصف ريال اي القنطار بالف غرش صاغ

قطرنة الطرق

ران للطرق يشيع في فرنسا حتى أُدخل القطر المصري · ففي العام
١٥٠ الف متر مربع من طرق فرنسا فوجدوا نتيجة القطرنة على غاية
الشهر الماضي وادي قبلة المزيت الموصل بين كبري قصر النيل
وهم ساعون الآن في قطرنة غيره من الطرق كما قطرنوا طريق
· ويظهر لنا ان الطرق المقطرنة تكاد تماثل الشوارع الموصوفة
اؤها وسلامتها وهي احسن من الشوارع الموصوفة بالاسفلت من حيث
عليها

ترصف الطريق جيداً ويسوّى سطحها بالحدل ثم يحمى القطران
يتكوَّن منهُ ومن الطبقة السطحية جسم صلب لا يتحات بمر المركبات
منهُ الغبار وتقل الحاجة الى اصلاح الطريق

بس مهندسي الطرق في فرنسا ان الطرق المقطرنة تقل نفقات
انها يساوي اكلاف القطرنة ويتوفر لحكومة ما ان لكل متر مربع
طوله كيلومتر وعرضه عشرة امتار تنال نفقة عشرين جنيها في
ارة وعشرين جنيها فوقها

جروا عليها في القاهرة وهي تسخين القطران على النار وصبهُ
نة الفضلى لان القطران يحترق احياناً من تسخينه على النار · وقد
طران بالبخار ثم تصبهُ على الطرق وتمزجهُ بها · والمركبة الواحدة
ما مساحتهُ الفا متر مربع فعسى ان تهتم مصلحة التنظيم بجلب هذه
العاصمة والاسكندرية لان ذلك يوفر في اصلاح الطرق

موسم القطن

اختلفت التقادير لموسم القطن المصري هذا العام ويرجح كثيرون انهُ لا يزيد على موسم العام الماضي وان زاد فالزيادة قليلة فيبلغ ستة ملايين قنطار وقد اختلفوا ايضاً في تقدير الموسم الاميركي فقدرهُ بعضهم ١١ مليون بالة فقط واوصلهُ غيرهم الى ١٣ مليون بالة وحدث في آخر الشهر انواء وزوابع في جنوبي اميركا يقال انها اتلفت خمس محصول القطن في ولاية مسسبي باميركا وقد كان محصول هذه الولاية سنة ١٩٠٤ نحو مليون وثمانمائة الف بالة اي نحو سبع المحصول الاميركي كلهِ ولا يعلم مقدار ما اصابهُ من الضرر تماماً لان التلغراف لم يعين الاماكن التي وقع الضرر فيها من هذه الولاية ولكن سعر القطن ارتفع حالاً بسبب هذا الخبر اكثر من نصف ريال. والاسعار الحاضرة للقطن المصري وهي من ٣٧٠ غرشاً الى ٤٠٠ غرش جيدة جدًّا فاذا بلغ المحصول ستة ملايين قنطار او اكثر قليلاً كما هو المرجح وباع التجار القنطار باربع مئة الى اربع مئة وعشرين غرشاً بلغ ثمن الصادر من القطن ٢٥ مليوناً من الجنيهات واذا اضفنا الى ذلك ثمن سائر الصادرات غير البزرة وهو نحو مليونين من الجنيهات بلغت قيمة الصادر الذي يشمل موسم هذا العام ما لم تبلغهُ في عام آخر

التعليم الزراعي العمومي

امام نظارة المعارف سبل كثيرة للاصلاح كما امام كل ارباب المدارس الابتدائية في هذا القطر ولكننا نظن ان اهم هذه السبل والزمها للبلاد ادخال التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية اي مبادئ العلوم المتعلقة بعلم الزراعة كمبادئ علم الحيوان ومبادئ علم الطبيعة ومبادئ علم الكيمياء ومبادئ علم الفسيولوجيا. ولينظر في ذلك كلهِ الى ما يتعلق بالزراعة اي بتربية النبات والحيوان وتخصيب الارض وحفظ صحة الفلاحين والمواشي. واذا لم تجد نظارة المعارف وارباب المدارس الكتب اللازمة لذلك فلا يتعذر تأليف هذه الكتب وجعلها مقصورة على ما يلزم لزراعة هذا القطر فلا داعي مثلاً لان تكتب فيها فصول طويلة عن زرع الغابات ولا عن تربية الخنازير ولا عن عمل الجبن بل يقتصر فيها على اعمال الزراعة الشائعة في هذا القطر حتى يخرج منها ابن الفلاح وابن الشيخ وابن العمدة عارفاً اصول الزراعة الاولية فيطبق العلم على العمل وترتقي الزراعة في البلاد كلها . وهذا الامر جارٍ في فرنسا واميركا وغيرهما من البلدان الزراعية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نقد الشعر

لا ريب في ان الجرائد والمجلات هي الوُصَلُ الوحيدة بين ابناء البلاد المتباينة وكان يستحيل قبل وجودها ان يعرف اهل الصين ما يجري في اندية امريكا او يعلم سكان اوربا ما يقع في جزائر اليابان. ولقد كان يتعذَّر على اقدر الناس مالاً وجاهاً ان يتنسم خبر بلدٍ ما او يعرف حركتهُ العلمية والادبية اما الآن فانك ترى العراقي مثلاً يعرف ادباء القاهرة وكتابها واحداً واحداً الاَّ من خمل ذكرهم ومن كان لهم مانع من نشر نفثات اقلامهم ولكن المصري لا يعرف من ادباء العراقيين الاَّ من كان لهُ نصيب من كتابة المجلات لان بلاد العراق محرومة منها واذا لم تكن للصحف ثمة مزية الاَّ هذه — كونها الوصل الادبية — لكانت كافية لرفعة شأنها وعلو مكانتها

وكم رأينا على صفحات "المقتطف" المفيد اسماء ادباء من بلد نحن فيهِ ولكننا لا نعرف اشخاصهم وادباء من بلادٍ لا نعرفها الاَّ في كتب تقويم البلدان وطالعنا لهم فصولاً وقصائد كنا نعجب بها غاية الاعجاب ومن ذلك قصيدة للشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي المشهور بادبهِ الرائع وشعرهِ المنسجم قرأناها في "مقتطف" مايو ولكن ذاكرتنا كانت تنبه الى معانٍ منها كأنها من محفوظاتها فعللنا ذلك بان الانسان اذا ألقي على سمعهِ شيء ثابت مقرر بفقرة لا يعاني كدَّ مخيلتهِ في فهمها رابهُ ذلك الشيء وظنهُ من منسياتهِ ولقد انصرم مايو ويونيه ويوليه واغسطس الاَّ اقلهُ وبعض تلك القصيدة راسخ في ذهننا وذلك من اعجابنا باسلوبها الرشيق وسبكها الرصين

لستك صناعي

يزيد استعمال اللستك (الكاوتشوك) في الصناعة سنة فسنة الى حدّ ان بات المستعمل منهُ في الصنائع المختلفة كلّ سنة يساوي المستخرج من اشجارهِ . فان ما يستخرج منهُ سنويًّا يختلف بين ٦٠ و ٧٠ الف طنٍّ وفي سنة ١٩٠٤ بلغ ما استعمل منهُ في الصناعة ٦٠ الف طنٍّ . ولا بدَّ ان يزيد المستعمل هذه السنة على المستخرج بسبب تقدم صناعة الاوتوموبيل وزيادة استخدام الكهربائية في الاعمال المختلفة ولا غنى عن اللستك فيها كما لا يخفى . وعليهِ جعل اصحاب الشأن يفكرون في تدبير طريقة لحلّ هذه المشكلة فاقترح المسيو كوسته الفرنسوي ثلاثة امور : الاول استخدام اللستك المعدني الذي اكتشف سنة ١٧٨٥ في مناجم كاسلتون بانكلترا وسنة ١٨١٦ في ضواحي انجه بفرنسا وهو نوع من القار المتحجّر . والثاني استخدام مركّب صناعي يشبه اللستك الطبيعي في خواصّهِ وقد صنعهُ رجلان صيدليان سنة ١٨٤٦ من زيت بزر الكتان والحامض الازوتيك وسمي بالفرنسوية "Caoutchouc des huiles" اي اللستك الزيتي وهو يستعمل الآن طلاءً للمنسوجات كالمشمع فلا يعود الماءُ ينفذها . وصنع غيرهما لستكاً صناعيًّا من الزفت او زيت التربنتينا والحامض الكبريتيك . والثالث زيادة محصول اللستك الطبيعي بزيادة العناية بزرعهِ وحرثهِ وهذه الطريقة ابطأُ الطرق الثلاث

اختراع مسواك

كان رجل اميركي يجتاز مستتقعاً في ولايات اميركا الجنوبية وهو راكب حصانهُ فقطع قصبة جعل منها سوطاً واتفق انهُ فصل شظية صغيرة منها لينظف بها اسنانهُ فوجدها متينة مرنة فخطر ببالهِ انها تصلح لعمل المساويك فنال امتيازًا وبنى معملاً خاصًّا بعملها . وفي بلاد العرب شجر الاراك يؤْتى بعيدانهِ الى هذا القطر يستاك بها فتطيب نكهة الفم وقد اخذ رجل اميركي يعمل المساويك منها فيقطعها قطعاً صغيرة تمسك القطعة منها بملقط فضي ويستاك بها فتنظف الاسنان وتطيب نكهة الفم وهي كالفرشاة الصغيرة وكلما اتسخت واحدة منها نزعت من الملقط ووضع فيهِ قطعة غيرها وقد قال لنا صانع هذه المساويك انها تقوي اللثة والاسنان وهو طبيب مشهور من اطباء الاسنان

سعادة الدنيا

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

تلوتُ ما كتبهُ حضرة العالم الحكيم الدكتور ورتبات عن سعادة الدنيا في الجزء الماضي فالفيتهُ يثبت وجود السعادة في الدنيا ويقول انها تحصل بامرٍ من اربعة امور بنيل ما يسعى الانسان اليهِ وبزوال ما يكره الوقوع فيهِ وبالقناعة والرضى وبطاعة النواميس الطبيعية

وهذا كلهُ صحيح فان الانسان يسرُّ بنيلهِ الغاية التي يسعى اليها وبتخلصهِ مما يكره الوقوع فيهِ وبقناعتهِ بما يمكن الحصول عليهِ من غير مشقَّة كثيرة وبطاعتهِ نواميس وجودهِ . ولكن هذا السرور لا يدوم لهُ الَّا اذا كان في طبعهِ فان طالب المال يقصد كسب الف دينار ويحسب ان السعادة تتمُّ لهُ اذا كسبها او يقصد ان يزيد راتبهُ ويبلغ خمس ماية دينار في السنة حاسبا انهُ يبلغ حينئذٍ الغاية القصوى الكافية لمعيشتهِ الراحة والرفاهة لكنهُ اذا كسب الف الدينار او صار راتبهُ خمس ماية فالغالب انهُ يسرُّ اولاً ثم تزيد رغبتهُ في طلب المال فلا يعود يقنع بعشرة آلاف دينار مكسبًا ولا بالف دينار راتبًا لانهُ يجد لهُ حاجات اخرى لم يكن يشعر بها قبلاً ولا الغ اذا قلت ان طمعهُ يزيد على مقدار ما ينال من الاغراض التي يسعى اليها هذا هو الغالب

والذي يتألَّم ويتململ من حادثة مر فيها يسرُّ حالما ينجو منها ولكنهُ ينسى ذلك غالبًا ولا يبقى اثر لسرورهِ والذي يشفى ينسى انهُ كان مريضا والذي يغتني ينسى انهُ كان فقيرًا والذي يشبع ينسى انهُ كان جائعا فتزول اللذة كما جاءت

اذاً فطاعة النواميس الطبيعية قد يسرُّ وقد لا يسر فانا نرى كثيرين من اشد الناس تدقيقا في حفظ الشرائع الدينية والسير بموجب النواميس الطبيعية وهم مع ذلك في بحرٍ من السودا والهم والغم يلاقون لاتفه الاسباب ما لا يلاقيهُ غيرهم ويحملون احمالهم من الهموم واحمال سائر الناس

ولا يخفى على استاذنا الدكتور الفاضل ان الرجل الواحد الذي يسرُّ بكل ما ذكرهُ من اسباب السرور يأكل اكلة فوق الشبع او يتعرض للبرد دقيقة فيسوء هضمهُ ويزول سرورهُ وتسودُّ الدنيا في عينيهِ ولا يعود يسرُّهُ شيءٌ

فلماذا لا نقول ان اللذة والالم او السعادة والشقاوة حالتان طبيعيتان متوقفتان على امزجة

يدي ديوان الفيلسوف العربي ابي العلاء المعري فرأَيت فيهِ قصيدة يرثي بها ابن المهذب هي وقصيدة المنفلوطي من بحر واحد وقافية واحدة وروي واحد ومطلع تلك القصيدة :

احسنُ بالواجد من وجدهِ صبرٌ يعيد النار في زندهِ

راعني من قصيدة المعري ما راعني من قصيدة المنفلوطي فجئت بالثنتين وقابلت بينهما فوجدت اربعة ابيات من قصيدة المعري تضارع اربعة ابيات من قصيدة المنفلوطي فعند ذلك جزمت بان ابيات المنفلوطي او بعضها مأْخوذة من ابيات المعري واليك ابيات الشاعرين :

المعري	بلحظة منهُ فما دونها	يردُّ غرب الجيش عن قصدهِ
المنفلوطي	اقمتهُ كالطود في هضبة	ترد عادي الدهر عن قصدهِ
المعري	فبات ادنى من يد بيننا	كأَنهُ الكوكب في بعدهِ
المنفلوطي	اطلعت فيهِ كوكباً دانيا	اغنى عن الشاسع في بعدهِ
المعري	يا دهر يا منجز ايعادهِ	ومخلف المأْمول من وعدهِ
المنفلوطي	وان هذا الدهر في هزلهِ	يغر بالكاذب من وعدهِ
المعري	امس الذي مرَّ على قربهِ	يعجز اهل الارض عن ردهِ
المنفلوطي	كشارب الكاس يرى عابساً	منهُ ولا يقوى على ردهِ [1]

بعد ان قابلت هذه المقابلة بين كلام الشاعرين عذلت المنفلوطي لتشويههِ احاسن كلامهِ بما يقع لهُ فيهِ احياناً — من غير تعمد فيما اظن — من معانٍ في شعر غيرهِ تمتزج بشعرهِ او عجز بيت لسواهُ يلتئم مع صدر بيت لهُ كما مرَّ عليك والمنفلوطي — فيما ارى — غني عن ذلك فان قصيدتهُ الدالية هذه من احسن ما قيل في معناها وليس فيها عيب الَّا ما ورد على القارىء من انتزاع بعض معانٍ من قصيدة ابي العلاء المعري

كتبنا هذه الكلمات ويقيننا ان المنفلوطي يتقبَّلها بقبول حسن لان مثلهُ يأْبى المكابرة ولا يستنكف عن المذاكرة سيما اذا كانت صادرة من مخلص مثلي معجب بآدابهِ مثنٍ على اجتهادهِ متمنٍ لهُ التقدم والفلاح

القاهرة ٢٤ اغسطس حسين وصفي رضا

---

(١) لقد اوقعت القافية الشاعر في الخطاءِ فانهُ ذكر الكأْس وتذكير الكأْس غلط محض قال ابن سيده في الجزء السابع عشر من المخصص (ص ٥) تحت عنوان : وما يؤنث من سائر الاشياء ولا يذكر : "والكأْس مؤنثة وهي الاناء بما فيهِ"

قواعد للمسلولين

وهي المعوَّل عليها في المستشفيات الانكليزية وملاجئ الصحة

حاجاتك العظمى ثلاث وهي الهواء النقي والراحة والطعام الجيد

اما الهواء النقي فلا يمكن ان يزيد عن الحاجة · ولا بد من قضاء ثماني ساعات على الاقل خارج المسكن في الهواء المطلق · و[illegible] كنت داخله فليكن الهواء فيه كما هو في الخارج ما امكن وذلك بفتح الشبابيك نهارًا وليلًا ولا تنم الَّا وهي مفتوحة ولو كان الطقس باردًا · ومجرى الهواء في الغرفة اقل خطرًا مما اذا كان الهواء محصورًا · اجتنب الاماكن المزدحمة بالناس

الراحة · الحركة السيئة مضرة للمصابين بالسل والمتهيبين [illegible] والواجب عليهم ان يجلسوا او يضطجعوا خارج المنزل بضع ساعات كل يوم ملتفين بالثياب اذا كان الطقس باردًا · ثم اذا [illegible] الى الصحة مشوا مشيًا خفيفًا يزيدونه تدريجًا · اذا ارتفعت الحرارة فوق ١٠٠ درجة ف فهو دليل على وجوب الراحة واذا كانت طبيعية تزاد الرياضة · الركض والوثب و[illegible] والتعرض للغبار ممنوعة · الراحة التامة قبل الطعام وبعده تفيد

الطعام · غذاء المريض كطعام الصحيح ثلاث مرات كافية كل يوم · ليكن الاكل على [illegible] والكمية ما تعودها المريض ولو لم يكن جائعًا وليشرب ما امكن من اللبن (الحليب)

احتياطات من العدوى

النفث هو الحامل لجراثيم السل و[illegible] ضرره اذا جف وتطاير في الهواء وامتزج بغبار [illegible] · و[illegible] في [illegible] فيها شيء من مضادات الفساد ويطرح ما فيها الى النار وتغسل [illegible] مثل [illegible] كل يوم

[illegible] في تمتيعه

اذا [illegible] هذه الاحتياطات وكانت غرفة المريض نظيفة معرضة للهواء والنور فقلما يكون هناك خطر من العدوى · [illegible] في غرفة المريض ولكن لا في الفراش معهُ

من " [illegible] الانكليزية " (تموز ٢٨ — ١٩٠٦)

فيظهر مما سبق ان [illegible] العدوى [illegible] التي [illegible] فيها الكثيرون · واذا حوفظ على الاحتياطات المذكورة كان [illegible] جدًّا لا يجوز [illegible] الدميم

يوحنا ورتبات

الناس فمنهم من مزاجهُ صفراوي وطبعهُ شكس لا يسرُّهُ السرور ولا يرضيهِ الرضى ولا تراهُ الاَّ عابساً مغتاظاً من الدنيا. ومنهم من مزاجهُ لمفاوي او دموي وخلقهُ رضي فيرضى بكل شيءٍ ولو بكسرة من الخبز ويطرب لكل شيءٍ ولو لكلمة طيبة

وقد يأتي الطبع الرضي بالصناعة كما هو بالطبيعة فمتعاطي الافيون او الحشيش يحسب نفسهُ ملك الملوك وسلطان السلاطين وهو تحت فعل الافيون او الحشيش. لقيتُ حشَّاشاً من هؤُلاء ذات يوم فالتفت اليَّ وقال لي انظر كل هؤُلاء فانهم خدمي وعبيدي وبضربة واحدة بسيفي اقطع رؤُوسهم ثم مدَّ يدهُ وبسط كفهُ وأَلاحها من اليسار الى اليمين كمن يضرب بالسيف وقهقه وكاد يقع على ظهرهِ من الضحك

وان قلنا ان هذه الحالة مرَضيَّة لا يعبأُ بها قيل لنا لو اصطلح الناس كلهم على تدخين الحشيش كما يدخنون التبغ لكان سرورهم وهم تحت فعلهِ هو الغالب ولا اقول ذلك تنويهاً بذكر الحشيش وامثالهِ بل ايضاحاً للموضوع الذي نحن فيهِ

والذي اراهُ انهُ اذا امكننا ان نقيس اوقات السرور ودرجاتهِ وجدنا سببهُ الاكبر طبيعيًّا في مزاج الانسان ويتلوهُ الاسباب التي تفعل باعصابهِ فتسكنها وتمنع قلقها كالتبغ والافيون والحشيش. والراحة بعد التعب. والنوم بعد النعس . والشبع بعد الجوع . ولذلك يحدث السرور والكدر للناس الذين شرائعهم الدينيَّة والادبية مثل شرائعنا وللناس الذين شرائعهم الدينيَّة والادبيَّة مخالفة لشرائعنا او مناقضة لها . فالكاهن من كهنة المكسيك كان يسرُّ بشق صدر الاسير بضربة واحدة ونزع قلبهِ وهو يخفق ودفعهِ امام معبودهِ كما كان الكاهن اليهودي يسرُّ بذبح الحمامة ورش قرون الهيكل بدمها وكما كان الاب زقيير يسرُّ بوضع يدهِ في الماء وترطيب جبهة المريض الهندي بها حاسباً انهُ عمَّدهُ فنجَّاهُ من الهلاك. ورائحة اللحم المحروق التي كان بنو اسرائيل يسرون بها في هيكلهم ويعتقدون ان الله يسرُّ بها ايضاً حتى سموها رائحة سرور نحسبها نحن من الروائح الكريهة ونلوم الطباخ اذا فتح باب المطبخ وهو يشوي اللحم لئلاَّ تنتشر رائحتهُ في البيت وعليهِ فالميل الى السرور او الى الكدر خلقيان طبيعيان واسبابهما طبيعيَّة في الغالب

هذا ما اردت بيانهُ على سبيل الاستفادة لا على سبيل الاعتراض راجياً من حضرة استاذنا الفاضل ان يلقي نظرهُ عليهِ ويجيب بما فيهِ فصل الخطاب

احد تلامذتهِ

(٥) تخفيف وطأتهِ

ومنهُ . ما هي الوسائل التي تخفف وطأة

ج الراحة التامة والغذاء الكثير
كن في الاماكن الجيدة الهواء

(٦) الولع بخدمة الحكومة

ومنهُ . هل الولع بخدمة الحكومة
ب المصري

ج كلاّ بل الناس يتهافتون على
ف الحكومة في كل مكان لانهم يجدون
راحةً ورفعة تدرٍ

(١) كتابان

مصر . محمد افندي زكي صالح . اين
كتاب التربية لسبنسر وتاريخ جبون
ثمنهما

ج هذان الكتابان يباعان في كل
تب الانكليزية وثمن الاول منهما نحو
شلنات وثمن الثاني جنيه الى جنيه
ف

(٨) مجلة للتعليم

ومنهُ . ما هي احسن مجلة تبحث في
ليم وما قيمة اشتراكها وعنوانها

نظن ان احسن مجلة للتعليم عند
نكليز "Education Times" وهي
رية وقيمة الاشتراك فيها ٨ شلنات في
[illegible]

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مستحلب سكوت

المطرية بالدقهلية. حسين افندي عبد الفتاح الجمل. ما حكمكم على مستحلب سكوت وهل هو مفيد لمن كان غير مريض وتعاطاهُ لتقوية جسمهِ

ج هو مفيد جدًّا للاولاد والضعاف البنية ولا يضر الاصحَّاء ولكنهم قلما يحتاجون اليهِ. والانسان الذي يستطيع ان يغتذي الاغتذاء الكافي من الاطعمة العادية خير لهُ ان يقتصر عليها لانهُ اذا عوَّد جسمهُ الاطعمة الخصوصية الكثيرة الغذاء التي لا يحتاج هضمها الى تعب كثير تدلَّل الجسم كثيرًا وصار يصعب عليهِ ان يستمدَّ غذاءهُ من الاطعمة الثقيلة التي يحتاج هضمها الى تعب كثير

(٢) المزاج العصبي والسمن

الاسكندرية. محمود افندي الشاعر. أَحقٌّ ما يقال ان ذا المزاج العصبي لا يسمن

ج هذا هو الغالب وهو حالة طبيعية موروثة في الجسم والظاهر ان شدَّة تأثر الاعصاب في اصحاب المزاج العصبي تنبه اعضاء الجسم الى اخذ كفافها من الغذاء وطرح ما زاد على ذلك او حرقهِ بالحركة المستمرة فاذا امكن تسكين الجسم حتى تقل حركتهُ او تنقطع تراكم الغذاء فيهِ وسمن كما يحدث للطيور الكثيرة الحركة فانها تكون نحيفة فاذا منعت عن الحركة واطعمت دوامًا كما يُصنع بالفراخ في بعض البلدان سمنت جدًّا

(٣) اعراض السل

ومنهُ. ما هي اعراض داء السل

ج الهزال والحمى الخفيفة المسماة حمَّى الدق والسعال والنفث وعرق الليل والصوت الخاص بهِ وقت الاستقصاء بالقرع وادلُّ دليل عليهِ وجود ميكروب السل في نفث المصاب

باب الاخبار العلمية

المحم ونحوه) والمقدار اللازم منهُ لقوام الجسم
فقال الاستاذ تشتندن من مدرسه يايل الجامعة
ان نصف القدر الذي يظن عادة انهُ لازم
لحفظ التوازن الفسيولوجي في الجسم كافٍ
لهذا الغرض ... الاستاذ هولدرتن وقال
ان التجرب لا تؤيد هذا القول وان القدر
الذي يصفه الاستاذ تشتندن كافياً لقوام
الجسم لا يبقى منهُ "قوة احتياطية" تدفع
الامراض عن الجسم . فاذا تناول الانسان
من البروتييد اكثر مما يلزم لحفظ التوازن
الفسيولوجي في جسمهِ فربما كان في مايدخرهُ
الجسم منهُ مادة تولد تلك القوة الاحتياطية
التي ستنصرها عند اغارة الادواء والعلل
عليهِ وقال الدكتور روبرت هتشيسن ان
هذه المسألة لا تحل الا بتعاون الفسيولوجيين
والاطباء على حلها لان الامر الذي نريد
معرفتهُ هو اي قدر من البروتييد لازم لحفظ
التوازن الفسيولوجي في الجسم على افضلهِ
لا ما هو اقل قدر يلزم منهُ لحفظ قوام الجسم
فان الانسان يعيش برئة واحدة وبكلية
واحدة ولكن وجود رئتين وكليتين في جسمهِ
افضل له . وزيادة البروتييد في الجسم . مادة

لاني

ط في جلساتهِ
كمدا من ٢١
ستاذ ... حيل
في الاجسام
وزاً ... كتور
من رسالة في
كتور كوس
فيها انهُ
كن ... من
يد الدكتور
ورد عليهِ انهُ
... داء
... د ...
... لم تمكن من
هو الدكتور
كرتيات في
فيها حدث
... ات الكوا
وتناقص بعض
ة المعدية في

(٩) الولايات الهندية الخارجة عن حكم الانكليز

المنصورة . محمود بك نصير . كم عدد الولايات الخارجة عن حكم الانكليز في الهند وكم عدد سكانها

ج عددها ١٣ ولاية وعدد سكانها نحو ٦٣ مليونًا من النفوس وهي هذه حسب احصاء سنة ١٩٠١

	عدد سكانها
حيدر اباد	١١ ١٤١ ١٤٢
بارودا	٠١ ٩٥٢ ٦٩٢
ميسور	٠٥ ٤٤٨ ٩٢٣
كشمير	٠٢ ٩٠٥ ٥٧٨
راجبوتانا	٠٩ ٨٤١ ٧٩٥
الهند المتوسطة	٠٧ ٦٢٨ ٧٨١
ولايات بمباي	٠٦ ٧١٩ ٤٦٦
ولايات مدراس	٠٤ ١٨٦ ٩٦٧
ولايات المديريات الوسطى	٠١ ٩٩٦ ٣٨٣
ولايات بنغالا	٠٣ ٧٤٨ ٥٤٤
ولايات بنجاب	٠٤ ٤٢٤ ٣٩٨
" " العليا	٠٠ ٨٠٢ ٠٩٧
بلوحستان	٠١ ٠٤٩ ٨٠٨
والجملة	٦٢ ٩٦٤ ٠٤٩

وهي مستقلّة في ادارتها الداخلية لكن الحكومة الانكليزية تسود عليها من بعض الوجوه وسياستها الخارجية في يد الحكومة الانكليزية ايضًا

(١٠) عدد المسلمين في الهند

ومنهُ . كم عدد المسلمين في بلاد الهند

ج ظهر من احصاء سنة ١٩٠١ ان عددهم ٠٧٧ ٤٥٨ ٠٦٢ اكثرهم في بنغالا فان فيها منهم ٢٥ مليونًا ونصف مليون وفيها من الهنود البراهمة نحو خمسين مليونًا . وفي ولاية بنجاب فان فيها من المسلمين ١٢ مليونًا ومن الهنود البراهمة عشرة ملايين ومن السيخ مليونان . وفي اغرا واودو نحو عشرة ملايين من المسلمين و ٤١ مليونًا من الهنود البراهمة

(١١) عدد اصحاب الاديان المختلفة

ومنهُ . كم عدد المسلمين في العالم

ج ان عددهم حسب تقويم الدكتور زلر الذي صدر حديثًا نحو ١٧٥ مليونًا وعدد اصحاب الاديان كلها حسب هذا التقويم هكذا

عدد المسيحيين	٠ ٥٣٤ ٩٤٠ ٠٠٠
" اتباع كنفوشيوس	٠ ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
" البراهمة	٠ ٢١٤ ٠٠٠ ٠٠٠
" المسلمين	٠ ١٧٥ ٢٩٠ ٠٠٠
" اليهود	٠ ٠١٠ ٨٦٠ ٠٠٠
" اتباع بقية الاديان	٠ ١٨٨ ٤٢٠ ٠٠٠
والجملة	١ ٥٤٤ ٥١٠ ٠٠٠

لكننا نرجح ان في افريقية شعوبًا كثيرة تدين بالاسلام فيصير بها عدد المسلمين اكثر من مئتي مليون

حتى بلغ عددها ٩٦٠٠٠٠ و بلغ عدد الوفيات ٥٩١٦

ومن رأيهِ ان هذه الحمى اضرّت كثيرًا بعمران بلاد اليونان قديمًا وانها دخلت اليها او زادت فيها ايام جعل اليونانيون يأتون باهالي اسيا الى بلادهم

انخساف انكلترا

عرف منذ عهد بعيد ان البحر يعلو على انكلترا رويدًا رويدًا بدليل ان كنيسة كانت في عهد هنري الثاني (القرن السادس عشر) بعيدة عدة اميال عن شاطئ البحر فباتت الآن حرابًا والامواج تلاطم جدرانها وليس ذلك غورًا حقيقيًا بل انهُ لما كانت شطوط انكلترا مؤلفة من الصخور الدلغانية والكلسية وغيرها من الصخور اللينة فان الامواج تؤثر فيها تأثيرًا عظيمًا فتحتها وتفتتها. وقد نتج عن ذلك مساحة واسعة من الاراضي الزراعية وحسبت بذلك السواحل خسارة باهظة. وكثيرون من الشيوخ يذكرون قرى كانت في صبوتهم زاهية زاهرة واصبحت الآن والماء يغمرها على عمق قامات كثيرة وعلى بعد اميال من الشاطئ داخل البحر

ومتى اشتدت الانواء كثرت الحت والفت الى درجة بهت الخواطر فعين مجلس النواب الانكليزي لجنة لدرس هذه المسألة وابداء الآراء في ما يمكن عملهُ لتخفيف الضرر بعد انهُ لا يخشى من انخساف انكلترا في زمان قصير ولكن مما لا ريب فيهِ ان الخسارة عظيمة من حت الامواج للشواطئ وخصوصًا الجنوبية والشرقية. فقد قدروا ان مساحة الاراضي التي اكلتها الامواج والتيارات مدة الف سنة اي من سنة ٩٠٠ الى ١٩٠٠ تبلغ نحو ٥٥٠ ميلاً مربعًا. ولكن يد الصناعة تُكسب البلاد في جهات اخرى من ردم الاراضي الغامرة ما يعوضها مما تخسرها يد الطبيعة

ادمغة الزنوج

كتب الدكتور بين مقالة في احدى المجلات الانكليزية موضوعها "ادمغة الزنوج" دحض فيها المذهب القائل بان البيض والسود من اصل واحد. فأبان اولاً ان دماغ الرجل القوقاسي اكبر من دماغ الزنجي ويختلف عنهُ في الشكل وفي مقدار المادة السنجابية التي فيهِ (فهي اكثر في ادمغة الجنس الابيض منها في ادمغة غيرهِ من طوائف البشر). ثم قال "ان الرجل الابيض والرجل الاسود متضادان في الامور الجوهرية. فمقدم الدماغ في الابيض اكبر منهُ في الاسود. ومؤخر الدماغ في الاسود اكبر منهُ في الابيض. والاول اعظم عقلاً وفكرًا والثاني اعظم تأثرًا بالانفعالات النفسانية. والاول اكثر ميلاً الى التسلط

الغذاء تفيد كثيرًا في الشفاء من السلّ وضعف الاعصاب

تذكار الفيلسوف سبنسر

كتب بعضهم منذ مدة عريضة وارسلوها الى اسقف كنيسة وستمنستر في انكلترا يستأذنونهُ في وضع لوح فيها ينقشون عليهِ تاريخ حياة سبنسر وتأثير مؤلفاتهِ تذكارًا لهُ . وامضى العريضة كثيرون من رجال العلم والادب منهم اللورد افبري والسر ميخائيل فوستر والمستر فرنسيس غالتن والسر جوزف هوكر . فرفض الاسقف طلبهم لغير سبب معروف . ومضى على ذلك زمان ثم قامت جريدة الديلي كرونكل حديثًا تهتمُّ بهذا الامر وطلبت من الاسقف المشار اليهِ ان يعيد نظرهُ فيهِ فاذا اصرَّ على رفضهِ بحثت في مشروع آخر يحيي بهِ ذكر سبنسر

اما غير العلماء الذين تقدم ذكرهم فمختلفون رأيًا في احياء ذكر سبنسر . فالسر نورمان لكير الفلكي المشهور يرى انهُ لا يستصوب اقامة تذكار وطني لسبنسر بالاكتتاب العمومي ما دام دارون لم يقم لهُ تذكار وطني خارج الكنيسة المذكورة . واللورد كالفن يقول " انهُ لم يكن من رأيي في زمن من الازمنة ان كتابات سبنسر الفلسفية لها من القيمة والاهمية ما نسبهُ اليها كثيرون من العلماء . فلا يليق اقامة تذكار وطني لهُ في رأيي " وهذا رأي السروليم هجنس ايضًا ولكنهُ يستصوب وضع لوح في كنيسة وستمنستر تذكارًا لهُ . ويرى آخرون ومنهم الدكتور ووليس ان تطبع كتب سبنسر طبعة رخيصة بحيث يستطيع اقتناءها كلُّ المعجبين بهِ وربما اشترك الاجانب في ذلك ايضًا

حمَّى الملاريا في اليونان

يذكر القراء اسم رونلدروس وهو الذي اكتشف علاقة البعوض بالحمى الملارية وانتدب لدرسها في الاسمعيلية فجاءها واشار بردم مستنقعاتها فتحسنت الحالة الصحية فيها وكاد كلُّ اثر للملاريا يزول منها . وقد انتدب لمثل هذه المهمة في بلاد اليونان فاتمها على تمام المرام وخطب في الشهر الماضي خطبة في وليمة أُدبت في لفربول اكرامًا للاستاذ ساقاس من كلية اثينا . فقال انهُ ذهب الى بلاد اليونان في مايو الماضي فرأى الحال فيها سيئة جدًّا فان الاهالي يسكنون الاودية لتعذُّر السكن في الجبال . والاودية كثيرة الحمى الملارية . وقد دلَّت الاحصاءات ان سكان اليونان مليونين مليوني نفس ونصف مليون على وجه التقريب وان الذين يصابون بالملاريا منهم كل سنة يبلغون ربع مليون (اي عشرة في المئة) والذين يموتون بها ١٧٦٠ نفسًا . وقد زادت الاصابات بها زيادة عظيمة في السنة الماضية

على غرائبه والبحث عما فيه من الحيوانات ودرس احوال الجوّ فوقه . غادر يخته مرسيليا في ٢٠ يوليو وعاد اليها في ٢٤ سبتمبر اي بعد غياب شهرين واربعة ايام ونشر حديثاً خلاصة ابحاثه فاذا فيها ما يأتي

قاس عمق البحر في ١١٨ موضعاً فكان اعظم عمق قاسه ٥٥٨٠ متراً او ١٨٣٠٠ قدم واخذ منه ٢٨ عينة من الماء . وطرح شبكته مراراً فصاد بها انواعاً غريبة من الحيوانات البحرية كثير منها غير معروف ووصفها يملأ كتاباً كبيراً . وغاص رجاله الى عمق ١٧٧١٢ قدماً بالغواصات وبينا كان يبحث على بعد ٨٤٠ ميلاً من اقرب ارض وقع عليه خمسة من طائر السنونو الاميركي مما يدلّ على قدرة هذا الطائر على الطيران والسفر فيه . ورأى ركاب قوس قزح قمرية مزدوجة فصوّرها [illegible] المرافق [illegible]

تشريح الحيوانات حية

عيّن ملك انكلترا لجنة من كبار العلماء والاطباء والضباط لتحري مسألة عمل التجارب العلمية في الحيوانات الحية سواء كان ذلك بتشريحها او بواسطة اخرى . ولدرس القانون المتعلق بذلك وابداء آرائهم فيه وفي ما اذا كانوا يستصوبون ادخال تغيير عليه . وعسى ان يفضي درسهم الى الغائه تماماً لان العلماء الذين يجربون التجارب العلمية في الحيوانات الحية اشد رأفة بها مما هي بعضها ببعض ولان الحيوانات لا تتألم الماً شديداً مثلنا او لا تتألم مطلقاً . والتجارب العلميَّة التي تجرى فيها تعود على الناس بنفع عميم كما ثبت مما أُجري فيها من التجارب حتى الآن

سباق بالبلون

عيّن يوم ٣٠ سبتمبر الماضي لاقامة سباق بالبلون يشترك فيه ١٦ بلوناً من انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا وايطاليا والبلجيك واسبانيا . ويبتدئ السباق من ساحة الكنكورد في باريس . وجائزته كأس ثمنها ٥٠٠ جنيه تعطى للبلاد التي يكون السابق منها و ٥٠٠ جنيه تعطى للسابق نفسه وقد تبرع بهذه الجائزة المستر غوردون بنت المشهور صاحب جريدة نيويورك هرالد وتكون لمن يقطع اطول مسافة قطعت حتى الآن

مرض النوم

تنوي الحكومة الفرنسوية ارسال بعثة علمية في اكتوبر الحالي الى مدينة برازافيل في ولاية الكنغو الفرنسوية لدرس مرض النوم . وستكون البعثة بقيادة الماجور مارتن من القسم الطبي في الجيش الفرنسوي

وضبطاً لاهواء النفس والثاني اكثر انقياداً وذلاً واقل كبحاً لجماح الاهواء اذا أُثيرت . والاول عنوان التقدم والثاني عنوان التأخر . وهما طرفا نقيض في سلم الارتقاء . فمحاولة تثقيف الاثنين على منوال واحد غباوة محضة ولو كنَّا نرى بعض الزنوج سامين في مداركهم العقلية

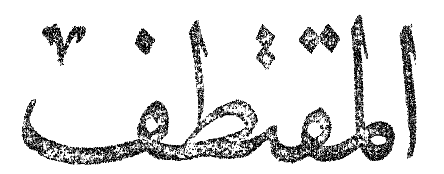
اصل الانسان

اكتشف المسيو دوبوى احد مشاهير علماء الحيوان منذ عدة سنوات عظمة فخذ وعظام جمجمة في جزيرة جاوى تشبه عظام الانسان والسعدان كما ذكرنا في حينهِ . فتحدث العلماءُ كثيراً بهذا الاكتشاف ظنّاً منهم ان الحيوان الذي بقيت من آثارهِ انما هو الحلقة المفقودة المنشودة وبناءً على ذلك سمّى العالم شوالبي هذا الحيوان اسماً لاتينياً طويلاً معناهُ السعدان الانساني المنتصب . وتبين من فحص العظام انها بقايا حيوان عظيم القامة كان يتسلق الاشجار ويعيش معظم عمرهِ فيها وانهُ كان ناطقاً كالانسان . ولكن قام الاستاذ كولمان الالماني من علماء التشريح حديثاً وكتب مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها انهُ وان يكن اكتشاف تلك العظام ذا شان عظيم في علم الاحافير الاَّ ان الحيوان الذي بقيت منهُ ليس ابا الانسان بل قرد لا يختلف في صفاتهِ وعاداتهِ عن القرود المعروفة مثل الشمبانزي والغورلاَّ والاوران اوتنغ . ومن رأْيهِ ان الحيوان الذي تسلسل الانسان منهُ رأْساً ليس من القرود العظيمة القامة المسطحة الجمجمة بل من السعادين الصغيرة الجسم الواطئة في سلّم الحيوانات . فمن هذه تسلسل الاقزام الذين سكنوا الارض قبل زمان التاريخ . ومن الاقزام تسلسل الناس

بحر غريب

في الاوقيانوس الاتلنتيكي قطعة من الماء على شكل مثلث زاويتهُ الواحدة عند جزائر ازورس (نصف الطريق بين انكلترا وكندا) والثانية عند جزائر كناريا (مقابل المغرب الاقصى غرباً) والثالثة عند الراس الاخضر (غرب افريقية الاقصى) واسم هذا المثلث بحر سرجاسو ووجه الغرابة فيهِ انهُ مغطى بنبات اصفر مخضرّ يتكون منهُ طبقة سميكة لا تستطيع السفن اختراقها (مثل السدّ في اعالي النيل) فلذلك تتجنبها ما امكن لانها تعوقها في مسيرها . وقد رأى كولمبس هذا البحر عند سفرهِ من اسبانيا غرباً لاكتشاف اميركا وقال في وصفهِ انهُ اشبه شيءٍ " بمرج متموّج " منبسط امام العين بحيث لا تدرك مداهُ

وفي السنة الماضية ركب البرنس البرت ده موناكو يختهُ وخرج قاصداً هذا البحر للتفرج



الجزء الحادي عشر من المجلد الحادي والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٤ رمضان سنة ١٣٢٤

الجامعة المصرية

مدارس العلم قديمة شادها الكلدانيون والمصريون قبل ان ظهرت تباشير العمران في اوربا وكانوا يعلّمون فيها الطب والفلك والحكمة ثم اقتفى اليونان خطواتهم وتبعهم الرومان . وقبل ان نهض الرومان لاخذ العلم عن اليونان واحياء معالمهِ كان البطالسة قد اخذوا القطر المصري نصيبهم من ملك الاسكندر المكدوني وانشأوا في الاسكندرية مدرسة ومكتبة فاقتا مدارس الدنيا ومكاتبها . وظلت مدرسة الاسكندرية منارًا للعلم ومربعًا للفلسفة نحو سبعة قرون ثم تقوّضت اركانها وهجرها العلم والعلماء

ولم يعنَ المسيحيون في اول امرهم بالعلم الزمني بل حصروا همهم في العلم الديني لانهم كانوا يتوقعون انقضاء العالم وما فيهِ فسبقهم الفرس والعرب وانشأ كسرى انو شروان مدرسة الحكمة والطب في جندبسابور سنة ٣٥٠ للمسيح فدامت الى زمن العباسيين واقتفى الخليفة المنصور العباسي اثرهُ فانشأ دارًا للعلم في بغداد ولما تولّى الخلافة هرون الرشيد رفع منار العلم وقرّب اليهِ العلماء واوجب ان يبنى كتّاب بجانب كل جامع . ثم لما خلفهُ المأمون زهت في خلافتهِ العلوم واينعت حدائق المعارف

وانتشرت بعد ذلك المدارس في دمشق وبغداد والبصرة وبخارى والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس والاندلس وكان في القاهرة وحدها عشرون مدرسة كبيرة سنة الف للميلاد وفي قرطبة من بلاد الاندلس سبعون مكتبة كبيرة حافلة بالكتب النفيسة . وكان في كل كورة من كور الاندلس مدرسة كبيرة عدا المدارس الصغيرة . وحسبوا انهُ كان في قرطبة وحدها سنة ١١٢٦ للميلاد مئة وخمسون مؤلِّفًا وفي المرية اثنان وخمسون وفي برتقال خمسة وعشرون وفي مرسية واحد وسبعون عدا من كان في اشبيلية وغرناطة وبلنسية . وانهُ قام من

فهرس الجزء العاشر من المجلد الحادي والثلاثين

هي المدرسة النظامية المشهورة التي جاء وصفها في المجلد السابع والعشرين من المقتطف)

وكان في احدى مكاتب القاهرة مئة الف مجلد في العلوم والفنون وكان يباح لكل احد ان يطالع فيها ويستعير ما شاء منها وبلغ عدد كتب الفلك والطب فيها ٦٥٠٠ مجلد

هذا ولا نطيل اكثر من ذلك في وصف مدارس العرب وخدمتهم للعلم ولكن لم يدخل القرن الحادي عشر والثاني عشر حتى مالت شمس المعارف من المشرق الى المغرب وجعلت اشعتها تنتشر في ربوع اوربا وتتقلص عن ربوع اسيا وافريقية وكان انتشارها اولاً في ايطاليا . فانشئت مدرسة سالرنو في القرن التاسع واشتهرت بفرعها الطبي في القرن الحادي عشر حتى كان الطلبة يفدون اليها من كل اقطار اوربا . وانشئت مدرسة بولونا في اواخر القرن العاشر واشتهر قسمها الحقوقي في القرن الثاني عشر وصارت سنة ١٣٠٦ تعطي لقب الدكتورية في الطب والحقوق واللاهوت

ونشأَت مدرسة باريس منذ عهد بعيد ثم انتظمت اقسامها الاربعة الحقوق والطب والفنون واللاهوت في اوائل القرن الثالث عشر وانشئت مدرسة سوربون فيها سنة ١٢٥٣ ولم يختم القرن الرابع عشر حتى صار في فرنسا اربعون مدرسة كلية . وانشئت مدرسة سلامنكا سنة ١٢٤٣ وظلت خمس مئة سنة فخراً لاسبانيا . ولا يعلم الزمن الذي انشئت فيهِ مدرسة اكسفورد تماماً ولكنها كانت في بداءة القرن الثاني عشر وناظرت مدرسة باريس في القرن الثالث عشر . وصارت مدرسة كمبردج جامعةً سنة ١٢٣٣ . وانشئت مدرسة براغ الجامعة سنة ١٣٤٨ ومدرسة فينا سنة ١٣٦٥ . ثم كثر انشاء المدارس الجامعة حتى عمَّت اوربا واقتفى الاميركيون آثار اسلافهم الاوربيين وفاقوهم في الانفاق على المدارس الجامعة حتى لا يندر ان يوقف احدهم على المدرسة مليون جنيه او مليوني جنيه او اكثر

وقد طالما وددنا لو انشئت مدرسة جامعة في هذا القطر وخاطبنا بعض اصدقائنا الاميركيين في نقل المدرسة الكلية الاميركية من بيروت الى القطر المصري وتتبعنا الهبات الاميركية التي توهب للمدارس الجامعة حتى صارت مطالبنا الاول في الجرائد العلميَّة فنفتش عنها قبل غيرها ونثبتها في المقتطف لعلنا نثير الغيرة والحميَّة في نفوس بعض الاغنياء فيقتدوا بكرماء الاميركيين وكدنا ننال المراد بما اظهرهُ المرحوم منشاوي باشا من العزم على القيام بذلك قبيل وفاتهِ . ومن المحتمل ان كثيرين اهتموا بهذا الامر مثلنا او اكثر منا ولم يظهر للاهتمام ثمرة الآ حينما قام احد وجهاء بني سويف وهو مصطفى بك كامل الغمراوي ودعا سكان القطر الى هذا العمل واكتتب لهُ بخمس مئة جنيه ونشر منشوراً هذا بعض ما جاء فيهِ

العرب الف وثلث مئة مؤلف في التاريخ فقط . قال المقري ان اهل الاندلس كانوا احرص الناس على العلم " فالجاهل الذي لم يوفقهُ الله للعلم يجتهد ان يتميز بصنعة و يربأ بنفسهِ ان يُرى فارغاً عالةً على الناس لان هذا عندهم في غاية القبح . والعالم عندهم معظَّم من الخاصَّة والعامة يشار اليهِ ويحال عليهِ وينبه قدرهُ وذكرهُ عند الناس ويكرم في جوارٍ او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك"

وبلغ من عناية الحكم المستنصر بالعلم والكتب العلمية ان بعث الى افريقية وبلاد فارس ومصر وبلاد العرب يشتري الكتب او ينسخها اذا لم يتهيأ لهُ ابتياعها وكتب بنفسهِ الى مؤلفي زمانهِ يطلب منهم كتبهم واجازهم عليها خير الجزاء حتى جمع على ما يقال اربع مئة الف مجلد او ست مئة الف مجلد

قال ابو الفرج الملطي نقلاً قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي قاضي طليطلة الذي توفي سنة ٤٦٢ للهجرة " ان العرب في صدر الاسلام لم تعن بشيء من العلوم الاَّ بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية . فلما ادال الله تعالى للهاشميَّة وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبَّت الفطَن من ميتتها فكان اول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعتهِ في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد تمم ما بدأ بهِ جدهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وراسل ملوك الروم وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها ما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت لهُ على غاية ما امكن ثم حرَّض الناس على قراءتها ورغَّبهم في تعلمها فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منهُ بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا في ما يرغب فيهِ الصين والترك . . . فلهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدُّجى وسادة البشر واوحشت الدنيا لفقدهم"

واقتفى كثيرون من العباسيين آثار المأمون واقتدى بهم الفاطميون في مصر والامويون في الاندلس فانتشرت مدارس العرب من سمرقند وبخارى شرقاً الى فاس وقرطبة غرباً . وكان الملوك والامراء ينفقون عليها النفقات الطائلة فقد نقل المؤرخ جبون الانكليزي ان احد الوزراء انفق مئتي الف دينار (نحو ١٢٠ الف جنيه) على انشاء مدرسة جامعة في بغداد واوقف عليها ما ريعهُ خمسة عشر الف دينار (تسعة آلاف جنيه) كل سنة (ولعلهُ نظام الملك الطوسي والمدرسة

بك عثمان اباظه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسن باشا السيوفي واخنوخ
وس وزكريا نامق افندي ومحمود بك التستيني ومصطفى بك كامل الغمراوي اعضاء
تأجيل انتخاب الرئيس العام الى الجلسة القادمة
نشر الدعوة الآتية في جميع الصحف المحلية عربية وافرنجية
الاجتماع مرة اخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واعضاء اللجنة النهائية
تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية

اسماء المكتتبين

	١٠٠	زكريا نامق افندي و ٥٠ سنوياً
قاسم بك امين	١٠٠	الدكتور عبد الحليم افندي
حامد بك سعيد	١٠٠	منشاوي سيد احمد افندي
محمد بك فريد و ٢٠٠ سنوياً	١٠٠	اخنوخ فانوس افندي
محمد بك سليمان اباظه	١٠٠	محمود بك حسيب
صادق بك اباظه	٠٥٠	حسن بك سعيد
حسين بك ابو حسين	٠٢٠	الشيخ عبد العزيز جاويش
علي بك فهمي	٥٠٠	محمد بك راسم
حفني بك ناصي	١٠٠	سعد بك زغلول
محمود بك التستيني	١٠٠	محمد بك يوسف
عثمان بك اباظه	١٠٠	احمد بك رمزي
حفني بك ادهم	١٠٠	محمد بك هاشم و ٢٥ سنوياً
عبد الله بك اباظه	١٠٠٠	حسن بك جمجوم
مصطفى كامل بك الغمراوي	٤٤٨٥	المجموع

صورة الدعوة التي تقرر نشرها للامة المصرية

بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشاراً في جميع
ة . ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانهُ غير كافٍ للقيام
ة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لا تفي بمطالبها ولذلك التجأت
تحرك همم الافراد وتبرر من غيرتهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها
الاكتتاب في انشاء الكتاتيب واقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على

" كثر بحث الجرائد في الزمن الاخير في ارتقاء المعارف في مصر. والمعارف والعلوم كما يعلم الناس حياة الامة وركن ترقيها وتقدمها . وقد استلفت احد المحامين بمقالة نشرها في احدى الجرائد انظار المرحوم منشاوي باشا الى تخليد ذكرهِ بانشاء مدرسة جامعة فصادف الاستلفات اذناً واعية وكان في نية المرحوم انشاؤُها لو لم يعاجلهُ القضاء فهل تعجز الامة المصرية وهي تزيد على عشرة ملايين عن ان تقوم بمشروع حيوي نوى تنفيذهُ فرد واحد لم تكن ثروتهُ تبلغ جزءا يسيراً من ثروة غيرهِ من الافراد ? وهل لا يعد احجام اغنياء الامة عن الاكتتاب دليلاً على انها لا تزال بعيدة عن الترقي الحقيقي وهل يعتقد الناس ان الوطنية تقوم بنقشقة اللسان او ببذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيتهِ بالطرق التي تفيد ولا تضر ? بالطرق التي يجمع عليها العقلاء المعتدلون ?

هذه الامور جالت في خاطري زمناً ووجدت ان من العار علينا ان نقف وغيرنا يتقدم وان نكتفي بالشكوى والتحسر من الزمان والاقدار وحقنا ان نشكو من قلة وطنيتنا وبخلنا على الاعمال العظيمة المرقية للوطن

لذلك ولاعتقادي بان على كل منا ديناً لوطنهِ يجب وفاؤُهُ وعدم المماطلة فيهِ بادرت للاكتتاب بخمسمائة جنيه افرنكي لمشروع انشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية :

اولاً — ان لا تختص بجنس او دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم واديانهم فتكون واسطة للأُلفة بينهم

ثانياً — ان تكون ادارتها في السنين الاولى في ايدي جماعة ممن يصلحون لادارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وتثبت كفاءتهم للملاءِ "

واثبتت الجرائد المحلية هذا المنشور برمتهِ ووافقت عليهِ وحثت القراء على العمل بهِ فلبى الدعوة بعض الفضلاء واجتمعوا في دار القاضي الفاضل سعد بك زغلول وتداولوا في هذا الموضوع ملياً ونشروا خلاصة ما اقروا عليهِ في المنشور التالي

" في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٤ الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ اجتمع في مجلس حضرة عزتلو سعد بك زغلول بجهة الانشاء الموقعون على هذا بصفتهم من المكتتبين الاولين لانشاء الجامعة المصرية وان كلاًّ منهم اكتتب للجامعة كما هو مذكور بعد وقرروا

اولاً انتخاب لجنة تحضيرية مؤَلفة من حضرات

سعد بك زغلول وكيلاً للرئيس العام وقاسم بك امين سكرتير اللجنة وحسن بك سعيد

والسكينة لاكتساب الحقيقة ونشرها في العالم

هذا هو العمل الذي نريد ان نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم ان عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجاتنا وانه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل ان يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الاوهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا ان نبين بالاجمال المقصود منه

اولاً ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح ابوابها لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

ثانياً ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على اي وجه كان

ثالثاً ان تشتمل الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجهيزي والابتدائي ولكن من اقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلاً او آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعملاً ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بدَّ من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يكون عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى ان التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد بمقدار ما يفي بالحاجة على حسب الامكان ويظهر انه يمكننا بدون ان نخشى ضرراً ان نؤجل الاشتغال بهذين النوعين الاولين من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس دينية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وترقى ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في اوسع ما يتلقون منها

دروس تؤخذ عن اساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي اوربا تحت ادارة لجنة علميَّة يرئسها رجل من اهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها واهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد

رابعاً يلزم ان يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون اسماءهم في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون

القيام من انفسهم بمثل هذه الاعمال فانهُ لا يمر يوم الا ونرى فيهِ انشاء كتّاب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد ان نرى عما قليل ان هذا الغرس قد نما وازهر فيجني اولادنا ثمارهُ ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرًا بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل اهملوهُ اهمالاً تامًّا ولا نشك في انهم انما اهتموا اول الامر بما رأَوا ان الحاجة شديدة اليهِ وانهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصًا في التعليم يجب عليها سدهُ وتردد في خواطر كثير من افرادها منذ عشر سنوات تقريبًا انشاء جامعة واخذت هذه الفكرة مكانًا عظيمًا من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير انهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى تخرج من عالم الأمل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأْي العام تيار من نفسهِ لتحقيق هذه الامنية لان الامة انتهت بان تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرتهُ ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيرًا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في اوربا ولا يصل الينا منها الاَّ صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية وما يبحث فيهِ عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئًا منها ولا يهتم بما كل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وابلغ من ذلك انهُ لا يوجد لدينا درس تعرف منهُ قيمة المؤَلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤَلفيها عند الاورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاحترام

ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب ان التعليم يجب ان يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان امتنا لا يمكنها ان تعد في صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة او ان يتعلم بعضهم شيئًا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم اكثر من ذلك

يلزم ان شباننا الذين يجدون في اوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادًا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الأمم الذين يشتغلون اناء الليل واطراف النهار بالهدو

علم الاخلاق

لسبنسر

(٢) الغزو (السلب والنهب)

بين الإضرار بالمرء اما بجرحهِ او بقتلهِ وبين الاضرار بهِ بالاستيلاء على جسمهِ او عملهِ او ملكهِ — علاقة واضحة . وكلا الامرين يندرج تحت باب الاعتداء وقد كان يمكن ردهما اليهِ والكلام عليهما فيهِ ولكنني فضّلت الفصل بين الاعتداء الذي يرافقهُ سفك الدماء والاعتداء الذي لا يسفك فيهِ دمٌ وجعلت الثاني تحت هذا الباب

وسيلة ما ينتهي اليهِ الاعتداء الذي نحن بصددهِ أسر الفرد واسترقاقهُ . وفي إدراج هذا ضمن باب الغزو تساهل لا يخفى على احد ولكن استعباد انسان واستخدام قواهُ لمقاصد ليست مقصدهُ هو ابعد ما بلغهُ الغزو فلا بدع ان يسمى كذلك . لانهُ يحرمهُ ثمرة عملهِ الذي يساق اليهِ اضطرارًا بدلاً من ان يحرمهُ ثمرة عملٍ سابق عملهُ اختيارًا . وسواءٌ كانت تسميتهُ بالغزو صحيحة أَو لا فهو ولا ريب من قبيل الاعتداء وان لم يكن مثل القتل في فظاعتهِ فهو ثانيهِ لا محالة

ولا حاجة بنا في هذا المقام الى ايراد الشواهد والادلة على ان هذا النوع من الاعتداء كان مصاحبًا للحرب منذ اول عهد الانسان بها . وكان الغالبون يأكلون اسراهم او يستعبدونهم . ونشأ عن اخذ الاسرى اتفاقًا اخذهم قصدًا ثم صار الناس يغزو بعضهم بعضًا قصد الحصول على العمل فصار الاسر — وهو ابعد غايات الغزو كما تقدم — مصاحبًا للحرب سواءٌ كان حدث قصدًا او اتفاقًا وكان انتشارهُ ممكنًا لولا الحرب

ولقد اتصل سبي النساء بالغزو وخطف النساء وربما كان خطفهنَّ اقدم من الغزو لانا نجدهُ بين القبائل الهمجية التي لم تعرف الرق . فكان الغالبون يستحوذون على غير المقاتلة من المغلوبين ويتملكونهم والنساء في جملتهم . وجرى ذلك زمانًا طويلاً حتى صار عادة بينهم ووجدوا ان الحصول على النساء بالحرب او الخطف خير الوسائط اذ يكفون بهِ مؤونة الانفاق على تربيتهنَّ وتنشئتهنَّ

فالحقيقة التي يرام تقريرها هنا هي ان العاطفة الادبية في الطبقات الدنيا من المجتمع الانساني لا ترى عارًا في انواع الغزو المتقدم ذكرها بل بالضدّ من ذلك تستصوبها . وفي

لهذه الشهادات قيمة ادبية مع الامل ان الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانهُ يباح لكل راغب في التعلم من غير هؤلاء التلامذة ان يحضر دروساً لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما يتم بهِ كمالهُ العلمي

خامساً ان جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احداهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين · هذا هو مشروع اول من اكتتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجدهُ البعض كبيرًا عليهم محفوفًا بكثير من الصعوبات التي اعتادت ان تقوم في وجه كل مشروع فتقف بهِ دون الغاية فنقول لهؤلاء انا سنسعى جهدنا لتحقيقهِ واذا سعى كلٌّ سعينا فلا شك في نجاحهِ لانهُ لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الاَّ ان يتحد الكل ويعمل الكل فكل يائس يدعو الى الخيبة وكل آمل يدعو الى النجاح · على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو الله ان يوفق لاتمامهِ غيرنا ممن وهب لهم همة اعلى وفكرًا اسمى وحزماً اقوى وآمالاً اوسع

وبعضهم وهم الاكثر يرون مشروعنا جزئيًّا ليس لهُ من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوتهِ وان التدرج في الامور اقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير أَضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيهِ وتوسيع حالتهِ فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيهِ بان في قوتنا ان نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا ايدينا في ايديهم وسرنا جميعاً متكاتفين الى تلك الغاية السامية · والله ولي التوفيق »

وقابلت الجرائد العربية هذا المنشور بالاستحسان التام وجعل المكتتبون يرسلون اسماءهم الى لجنة الاكتتاب وهي تبعث بها الى الجرائد لتنشر فيها لكن الجرائد الافرنجية التي تنشر في هذا القطر اعترضت عليهِ حاسبةً انهُ نتيجة نهضة يراد بها مناوأَة المحتلين ثم عدل بعضها عن ذلك لدى انعام نظرها اذ تبيَّن لها جليًّا ان غرض لجنة المشروع عمليٌّ محض · ولو اتصلت مدرسة الطب المصرية ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة بمدرسة من المدارس الثانوية حتى صارت كلها فروعًا لمدرسة واحدة لحق لهذه المدرسة ان تسمَّى جامعةً ولا ينقصها الاَّ اساتذة يدرّسون او يخطبون في بعض العلوم الفلسفيَّة والطبيعيَّة والاجتماعيَّة لكن ذلك غير ميسور للحكومة الآن على ما يظهر

وغاية ما نرجوهُ مع محبي هذا المشروع ان تزيد الاموال المكتتب بها حتى تكفي لانشاء مدرسة [illegible]

يكونوا يعدّون الغزو حتى بين القبيلة الواحدة امرًا ادًّا الّا في الزمان الاخير . قال بعضهم "ومن العرب ان قبيلة الشكه تعيش بالقتل والنهب ولكنها تحتقر السارق الذي يسرق شيئًا من آخر او من دكّان في السوق" وقال غيره "عقد الغزو مجلسًا من زعمائهم وكنت نازلًا بينهم فأشرت عليهم بالكفّ عن الغزو وشنّ الغارات فأجابني احدهم وهو بين مغتاظ ومدهوش قل لي بحق الله كيف نعيش اذا انقطعنا عن الغزو" . والنساء في بعض القبائل يدعون في صلواتهنّ ان يشبّ اولادهنّ لصوصًا لا يُشقّ لهم غبار ولا يصطلى بنار . واغرب من ذلك ان من اشتهر بالسلب والنهب بين قبائل التركمان حتى فاق الاقران جُعل من الاولياء بعد موتهِ وحجّ الناس مقامهُ يتبركون ويسجدون ويتطهرون بترابهِ ويتهجّدون . وقال دلتون عن قبيلة الكوكيس انها تكرم الماهر في السرقة فوق كل اكرام . وقال جلمور "ان اهل منغوليا يجلون قدر اللصوص المعروفين وما داموا ناجحين في حرفتهم فلا عار عليهم" وقيل عن قبيلة اخرى من القبائل الاسيوية ان رجالها لصوص ماهرون يباهون بحرفتهم . ولا تعدّ السرقة بينهم عارًا يستحق صاحبها العقاب الّا اذا قُبض عليهِ متلبسًا بالجناية كما كانت الحال عليهِ عند اهل اسبارطة القدماء وكما هي الآن عند بعض قبائل اميركا . والذنوب عند بعض قبائل افريقية [illegible]ية لا تعدُّ ذنوبًا الا اذا افتضح امرها فكلّ ما يعمل في السرّ حلال وكلّ ما يكتشف حرام . فترى في الامثال والشواهد المتقدمة ان المهارة او الشجاعة تبرّر الاعتداء على حقوق الغير

ويستفاد من درس احوال الامم المتوغلة في القدم انهُ كلما قلّت اسباب العداء الخارجي وتغلبت عوامل الوفاق الداخلي تغيرت التصورات والعواطف الادبية . ورد في كتاب الهنود الديني المسمّى رك فيدا كثير من اخبار ارتكاب الآلهة للسرقة والنهب فالاله فشنو يسرق ما [illegible] في [illegible] صنع الاله اندرا لشرب الراح . وحذا الهنود حذو آلهتهم عملًا بما [illegible] في كتبهم من مثل قولها "اذا اشتهى احد قنية غيرهِ لزمهُ كهنديٍّ ان يستولي عليها بالقوة لا بالسؤال" ثم تغيرت هذه التصورات والافكار فيما بعد حتى اننا نرى في كتب الهنود التالية ما يناقضها وينافيها

وكان هذا شأن سكان شمالي اوربا القدماء فانهم كانوا يرفعون قدر النهب والقرصنة ويكرمون اللصوص والقرصان. قال يوليوس قيصر يصف الجرمانيين الاوّلين "لم يكن في اعتداء القبيلة على املاك القبيلة الاخرى اقلُّ عار او شنار عندهم . فاذا رأوا الحرب عقدوا مجلسًا

صور المصريين القدماء والاشوريين ونقوشهم التي تمثل تنكيلهم بالا
وعلى رضائهم عن استعباد الاسرى . ولسنا نرى في كتب اليونانيين
انهم كانوا يستقبحون الاسترقاق من الوجهة الادبية . وهكذا يقال
زوجات او سراري" . وكان الآريون القدماء يستحلون حطف النس
"مهراتا" ثم حللتهُ كتبهم الدينية واوصت بهِ

اما الهيئة الاجتماعية الحديثة فامتاز ارتقاؤها بنبذ افطع اش
عاطفة التواد الداخلي وانقراض عاطفة العداء الخارجي . وذلك لا
حتى بلغت الحدّ اللازم لنبذ تلك الاشكال

هذا ولما كان الانتصار في الحرب امرًا ممدوحًا فقد عدّ كذلك
استرقاق الاسرى واتخاذ نسائهم زوجات او حظايا كما تقدم ومثل ا
وانبنى على ذلك ان غزو الاعداء والغرباء في الجملة لانهم كانوا يوضع
صار يفرق بينهُ وبين غزو الاقرباء فكان الاول يستحسن في حين
ذلك ان بعض القبائل الهمجية لم تكن تعدّ الشابّ مستحقًّا لان
المحاربين ما لم يعُد ظافرًا من احدى غزواتهِ . وكانت تعدّ اعا
بالاكرام . ويعتقد اهل بتغونيا (في اميركا الجنوبية) ان الذي لا
لا يستطيع ان يعول امرأة . قال لفنستون عن سكان شرقيّ افري
التي اعتادت سرقة المواشي لم تكن تعدّ سرقتها امرًا محرَّمًا كما تعدّ
مرة لاحد زعمائهم قبلما احسنت لعتهم " انت سرقت مواشي فلان
وانما انتشلتها " . وقال بلاس في كلامهِ على احدى قبائل سيبيريا ا
الغريب لا من القريب . وقال آخر عن قبيلة الكرجس من قبائل
احد من قريبهِ فرسًا او جملاً عوقب على ذلك ولكن اذا نهب
بالاكرام والتعظيم "

وعلى ذلك تجري سائر القبائل الغازية والبدو في جملتها فانها ت
عندها فاذا رحل عنها اتتفت اثرهُ لتسلبهُ ما معهُ . قال احد السيا
زعيم من زعماء الكرجس فاخبرنا عن زعيم آخر كنا ننوي استضافتهُ
عندهُ فاذا ارتحلنا انفذ في اثرنا نفرًا من رجالهِ ليسلبونا ما معنا "

يعرفون الحرب وقد قال فيهم بعض واصفيهم " انهم على اقصى درجات الامانة والوفاء " واما الاسكيمو الذين وصفوا بغير ذلك فهم من الذين اختطوا من اختلاطهم بالتجار البيض. وقال بعضهم في وصف قبيلة نازلة على ساحل غينيا الجديدة الجنوبي ان رجالها اكثر صدقًا وامانة في معاملاتهم التجارية من الاوربيين انفسهم وان فيهم ميلاً طبيعيًّا الى الصدق والعدل وفيهم مبادئ ادبية راسخة فيحسبون السرقة جرمًا عظيمًا جدًّا وهي نادرة بينهم. وقال آخر في كلامهِ على احدى القبائل الهندية " ان الهندي صادق امين وندر ان يسرق ولو عرض لهُ اعظم التجارب " وقال مورجان عن قبيلة الاروكوي " ان السرقة وهي ادنى الجرائم الانسانية قلما يعرف لها اثر عندهم "

عظمة اميركا

ان ما يأتي مقتطف من خطبة خطبها حضرة الاستاذ الفاضل بولس افندي الخولي من اساتذة الكلية الاميركية في بيروت على جمعية شمس البر في احتفالها السنوي الاخير في ابريل الماضي. وكان قد سافر الى اميركا في صيف سنة ١٩٠٤ وشاهد كثيرًا من دلائل عظمتها وارتقائها الغريب. قال بعد المقدمة في كلامهِ عن رومية واذا زرت رومية العظيمة وشاهدت خرائبها وآثارها القديمة ودلائل مجدها السالف فلا تقل كما قال الشاعر

" هي الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركمُ مني ابتسامٌ فقولي مضحك والفعل مبكي "

ولا سبب عند قولهم " ان الله يديل الايام بين الانام " بل قل هو الافراط في الشهوات ولا سيما في الملذات واهمال التربية في العيال وسوء تصرف العمال والضغط على الطبقة المسكينة. هذا ما يدك القصور ويخرب البلدان ويترك الآثار والخرائب شواهد نواطق صوامت

واذا قدر لك ان تؤلف تاريخ قوم فلا تجعل همك سرد الحوادث في اوقاتها وضبط ال[illegible] افسح بين صفحات تاريخك مكانًا لذكر السبب والمسبب وأرِ كيف يكون العدل اساس الملك والعلم دعامة العمران وكيف تتوالى الامم وتسقط أخرى طبقًا لنواميس الطبيعة العاملة في الجماد والحي

واذا بلغت نيويورك لاول مرة فلا اواخذك اذا وقفت حيران تنظر الى ما حولك من مظاهر المدنية الاميركية فلا يأخذ عينك الاَّ الحركة الدائمة — حركة الناس والقطرات

لهم هتاف الاستحسان . واما الذين يحجمون ولا يلبُّون النداء فـ
ويفقدون ثقة قومهم بهم فيما بعدُ " . وقال سان باله يصف
الاقطاعات "كان ابطالنا القدماء يوسمون بالبخل والطمع والغش
والسرقة وسائر الموبقات التي لا شكيمة لها تكبح جماحها وكانوا خلوًا
وفي حرب المئة سنة سادت دولة اللصوصية وبات السلب والنهب
كان اشراف ذلك العهد يستنُّونها • وابتنت سرايا اللصوص وعصا
ناحية وعاثوا في الارض مفسدين يعيشون بالترف والتنعم على الا
الاولاد فيجعلون منهم خدمًا واعوانًا والنساء فيتخذونهنّ وصائف و
على ارواحهم ومتاعهم لقاء مبالغ فاحشة يُنقدونها • ومع السلب و
والنهب على البحر او القرصنة • وفي حرب الثلاثين سنة في المانيـ
وستفاليا سنة ١٦٤٨) كانت حكومة اللصوصية هي الحكومة المر
لصوصًا • ولم يكونوا يقتصرون على السلب والنهب أيان ساروا و
الناس الوان العذاب ليحملوهم على الاقرار بالامكنة التي دفنوا فيها
ايدي السالبين اليها . وكان الفلاّحون يحرثون الارض وهم مد
ذلك ان ضباط الجنود كانوا يغشون جنودهم ويحتالون على سرقتهم
الطائلة منهم

ومع ما هناك من اختلاط الادلة وعدم جلائها فما من احد
الحقيقة وهي انهُ كلما كانت الجماعات تنتظم وترتقي الى حال تتلُ ا
الافراد فيها كان الغدر ينحطّ والوفاء يرتفع وظلّ الاول في انحطا
بات سلب الغريب الآن جرمًا مساويًا لسلب القريب • نعم انهُ
كثير ولكن السرقات اقلُّ عددًا مما كانت قبلاً ووسائل الغش د
وقد ارتقى الناس كثيرًا عن الحال التي كان الملوك فيها يغشون ه
يباهون بقدرتهم على تصريف النقود الزائفة بل ان الفرق واضـ
الاملاك بين الحروب التي انتهت سنة ١٨١٥ (حروب نبوليون
والحروب التي بعدها • واوضح منهُ الفرق بين القبائل الهمجية المحـ
الهمجية المسالمة • قال بعضهم يصف قبيلة مسالمة " ان الواحد مـ
انهُ لا يستطيع ان يتصوَّر كيف ان الانسان يستولي على ما

رأيت ... ي ميدان التجارة و... الاسس فيها ... تناء الأدهى فقلت في نفسي لا بد من ان يدل ... ء الاسس ... تاء الادهى . رجعت في تصوراتي الى الشرق وقلت في نفسي متى ... الشرق من غفلته فيرى مقاصد الغرب فيه ومتى يفتح عينيه على اوربا ويرى انها ... لا لمجرد المعاوة تدهمه بالريث ليسهل عليها ابتلاعه لا لتأمين ... ويقوى . هذا هو عصر الاستعمار والزاحمة الدولية والغربيون يجوبون اقطار الارض لتوسيع متاجرهم ويقتسمون آسيا وافريقية بدعاوى تنوير اهلها وادخال المدنية الحديثة اليهم وبئس ما يفعلون

رأيت عظمة اميركا فتساءلت ما الذي ... اذ لم تشتهر تواريخها ولا ... اليها ولا يقصدها السائح ليقف على ... ويدرس آثارها ولا ليزور كنائسها ويتعهد ... . بلاد فسيحة الارجاء غنية التربة كثيرة المعادن والاحراج كثيرة الانهار والبحيرات ... السهول ... احسن مختلفة الاقاليم ... العمران ... الى درجة حملت بعضهم ان يقول ان ... من اهلها . ولكن هل السر في ... ام في السكان ؟ ومن هم سكان اميركا ؟

عليك من كل امة ولسان . من الذين ... من اجل حريتهم الدينية والسياسية من ... وفقرائها الذين ... في وجوههم ابواب الرزق . من ... الثروة ... عن مقاصدهم ... . من ... هؤلاء جميعا ... وكثرة ... مع كثرة ... صارت في مقدمة الدول الاوربية ... الاخاء والمساواة ... [illegible] ... وهم اليها ... [illegible] ... الى الدنيا ... [illegible] ... مدارسها وتربيتها ... [illegible] ... الروس ... [illegible] ... تجارتها ... [illegible] ... وعمت ... [illegible] ... الاعمال وحليها الذي في اميركا ترى ... [illegible] ... اجة الذكور ... قدرة

والعربات والمركبات على اختلاف انواعها ومنشآتها وكلها تجري بسرعة لم يألفها عينك من قبل
يسافر الواحد منا الى اميركا وفي رأسهِ صور عنها رسمتها اختباراتهُ الماضية من قراءة الكتب وسماع الخطب ومحادثة الاميركيين والدورين وسيرهم — صور مهما كانت متنوعة الالوان والخيالات والنسب فلا يمكن ان تنطبق على الاصل لان الخبر ليس كالعيان فضلاً عن ان الناس قلما يحدثون الآن ويتلون احاديثهم الوان عواطفهم . واذا كان في رأس هذا مثلاً ان الاميركيين كلهم من الطبقة الفاضلة التي يمثلها المرسلون هنا — طبقة اهل العلم والفضل والامانة وانكار الذات فلا يلبث ان يعدل عن رأيهِ هذا لانهُ يرى من المنكرات والمفاسد ما لم يكن يعرف بهِ قبلاً . واذا كان في رأسهِ ان اميركا مهبط العدل والمساواة ورأى فيها تلوُّن الحاكم وتعوج الاحكام وقرأ عن الظلامات الكثيرة التي لم يكن يسمع بها قال في نفسهِ الناس ناس اينما كانوا "وكلنا في الهوى سوا"
واذا كان يعتقد ان اميركا بلاد الغنى والثروة — البلاد التي تفيض ذهباً وفضة وان الناس هناك كيفما ساروا يرون الاموال تنهال عليهم انهيالاً فلا يطول بهِ المطال حتى يغير اعتقادهُ هذا اذ يرى ان تحصيل الرزق في اميركا يقتضي شق الانفس وان فيها من الفقراء من يمضي عليهم ايام لا يذوقون فيها طعاماً . وهكذا القول في اشياء كثيرة نسمعها من الناس ونعتقد صحتها حتى اذا اختبرناها بنفوسنا عدلنا عن اعتقادنا الى ما هو اصح منهُ
بلغت نيويورك في منتصف آب (اغسطس) الماضي فاستقبلتنا سماؤُها ببروق ورعود وامطار من اهول ما رأتهُ عيناي حتى خلت نفسي في ليل أليل من كانون لا اواسط آب وقلت في نفسي اعوذ الله من بلاد صيفها شتاء ثم سافرت غرباً الى سنت لوس وشاهدت معرضها العظيم فتمثلت لدي عظمة المال والعلم ثم رجعت عن طريق شيكاغو وشلالات نياغرا وفيلادلفيا الى نيويورك وكنت في كل هذه المدة مأخوذاً بالظواهر الصور الاشياء ولا ارى ما وراءها شأن كل غريب يرى ما لم يرهُ من قبل
ولكن بعدما اقمت في نيويورك ادرس في احدى جامعاتها المشهورة واسمع خطب اساتذتها واطالع كتب علمائها واتابع حركة الشعب الفكرية كما كانت تتجلى من يوم الى يوم على صفحات جرائدهم ومجلاتهم وفي العابهم وملاهيهم واستقريء الحوادث واحلل الامور صرت ارى ما وراء هذه المظاهر وتجلى لي نوع من فلسفة هذا الوجود فاحتقرت المدنية الحاضرة لانها تقضي بسحق الضعيف لا لانهُ لا يصلح للبقاء بل لانهُ لا يخادع في معاملاتهِ ويظلم الناس كما يفعل الغني

انتِ يا مصر ملجأُ الاحرارِ

ان سجعَ الحمامِ في الاسحارِ وهبوبَ النسيمِ بعد القطارِ
وبريقَ الندى على الازهارِ وخريرَ الماء الزلالِ الجاري
موحياتٌ اليَّ بالاشعارِ

فاذا ما دعا الحمامُ هديلا سحرًا والنسيمُ هبَّ بليلا
وأراني الندى محيًّا صقيلا وجرى الماء حيث الفى مسيلا
جاش [illegible] الشعر في افكاري

فترنمتُ كالطيور صباحا بكلامٍ يُفرّح الارواحا
ذاكرًا سرَّ الهوى بين [illegible] باحا في هتافٍ يولي النفوس ارتياحا
قد تعلمتُهُ من الاطيارِ

حبذا الروض في زمان الربيعِ ان حسن الازهار فيهِ طبيعي
مرَّ فيهِ النسيم غير سريعِ فوق سطحٍ مثل السماء بديعِ
فيهِ تزهو انجمُ الانوارِ

وشدا الطير منشدًا بالبديهِ غزلًا رائقًا تفنَّنَ فيهِ
ايهِ يا طير ايهِ احسنتَ ايهِ ان [illegible] في الروض [illegible]
هو احلى من رنة الاوتارِ

انتَ يا طير [illegible] [illegible] [illegible]
لا [illegible] [illegible] ذي [illegible] انما نحن يا طير مثلك طيرُ
[illegible] [illegible] سوى مختاري

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تحارا
صاح في روض [illegible] [illegible] وكأنَّ الهزار اضرم نارا
عندما صاح في حشى الخمّارِ

وتلا [illegible] السعيد وحلّ طائرًا من مهدٍ هناك لمهدِ
بين نبتٍ يضوع نشرًا وورد من خزامٍ وياسمينٍ ورندِ
وشقيقٍ ونرجسٍ وعرارِ

وحكا العندليبُ دعصًا جميلا نسج الزهرُ فوقهُ اكليلا

القلم وصولة اللسان وسؤدد المال · هنالك يتشرف العمل في
والبيوت آية غير مكتوبة بالحروف — آية مؤداها انهُ ليس من
انما العار كل العار ان يكون الانسان بلا عمل وان يكون حملة يعيش
ترى كل واحد مندفعاً في عملهِ يرمي الى الغاية التي في نفسهِ لا
النساء فمن يزاحمن الرجال في اعمالهم وكنَّ الفائزات في كثير منها

الشغل قبل اللذات . هذه آيتهم الذهبية · يسعون وراء
تحصيلهِ ولو بطرق محرَّمة احياناً لكنهم انما يحصلونهُ لينفقوهُ في الوج
ويعيشوا في الضيق والتقتير · اميركا اليوم في العصر المالي اي ان
كسب المال . هنالك الشركات العظيمة — شركة اللحوم شركة الحليب
السكك الحديدية والترام الكهربائي شركات ضمانة الحياة · شركات
موارد الثروة والاستثمار بها

ومن اهم ما يستخدمونهُ لترويج بضائعهم واعمالهم الاعلانات — و
من غرائب اميركا فانهُ حيثما التفت الناظر او سار يرى منها ما يأخذ
كلماتهِ او كيفية وضعهِ ومعظم هذه الاعلانات حلمات من الكذب
الشرقي بالكذب والمداهنة ولو انصفوا لقالوا الشرقي يكذب بلسانهِ لا
واما الغربي فيكذب بافعالهِ ويجد مسوّغاً تجاريّاً لكذبهِ

واهم الذرائع لنشر الاعلانات ايضاً الجرائد · وهي بكثرتها وس
ورخص اثمانها ومقدرتها على جمع الاخبار وتركيبها وكيفية قراءة الناس
ففي نيويورك وحدها كثير من الجرائد التي تطبع وتنشر عدة مرات
الى اثنتي عشرة صفحة كبيرة وثمنها سنت واحد (مليمان) · ترى با
وموقف وعلى كل زاوية ومجتمع ينادون على جرائدهم والناس يشتر
او راجعون منها ويقرأونها لقصر وقتهم وهم في مركبات الترام والقط
جرّبْ تحزن " يصح على كثير من اخبار تلك الجرائد واعلاناتها ·
خلطها في اخبارها ومبالغاتها في اقوالها وتطرفها في التشيع لاحزابها هي
واطلاقها في مباحثها يجعلها قائدة افكار الامة فلا تسكت عن نقص
الشركات والاحتكارات بل تشنع عليهم وتظهر اعمالهم المجحفة بحقوق
الخلل وكيفية سدّها

ليت ما فيكِ من اذاةٍ بذاتي   بابي انتِ فاسكني من بناتِ
تنحني في الهوى بكل انكسارِ

والتماريُّ حاضاتٌ فروعا   مبدياتٌ بسجعهنَّ خشوعا
يتشاكينَ بينهنَّ الولوعا   واذا صاحتْ اصبُّ دموعا
هنَّ مني على الخدودِ جواري

وتغنّى بعض الحمام غناء   ذا فنون اجادها ما شاء
فتشكّا في غصونها الارجاء   وبكى واستثار مني بكاء
لم يكن منع فيضهِ في اقتداري

اتُرى يا حمام جدّدتَ دائي   بالذي قد رجعتهُ من غناء
[illegible] تبكي مفتتنًا في السماء   أوَ هل يا حمام الفلكَ نائي
ولهُ انت جاثم في انتظارِ

قال والقول من حمامٍ هديرُ   طار الفي صبحًا ولست اطيرُ
قد رماني بسهم غدرٍ شريرُ   فجناحي بما رماني كسيرُ
وانا جاثمٌ هنا باضطرارِ

[illegible] قد بسطتُ واضح عذري   وتعدني خبرًا بما لستُ ادري
ان احبابك استقلوا بفجرٍ   قلّدا والحبُّ للمرء دهري
ما كنتَ انت بعدهم في الديارِ

ان من كان في حبيبهِ قلبٌ   ما كذا يصرم الدين يحبُّ
ليس منى لاحباب من هو صبٌّ   انّ دعواك للحمامةِ كذبُ
وهو عن صنعة الحقيقة عاري

لقد كدت الهوى قد اتتَ الا   مدّعٍ ليس يتبع القولَ فعلا
رحلوا ثم لم ترى انت رحلا   انت لو كنتَ في الحقيقة خلّا
لتتبعتهم على الآثارِ

[illegible] يا حمامُ ضلّك   وانا قد ظلمت آثمُ ظانِّ
يا حمام اتئد ولا تهجني   انا مأمور بالمقام لاني
بين قومي من مطلق الافكارِ

فتدانى منهُ قليلاً قليلا وتلا في العرا
بانَ تأثيرهُ على الازهارِ
وانى زهرةً تألّقُ زهوا فاطالا تنا
ثمّ غنى وقال في الوصف شدْوا موقفٌ جامعي
طال فيهِ عتابهُ واعتذاري
قُربَ جوريةٍ يفوح شذاها ذاتِ لونٍ
في شعاع للشمس وفق هواها قبلت فاهُ
لتلاقٍ من بعد شطِّ المزارِ
ان حسن الربيع للعين فاتن كم بهِ من زه
غير انَّ الزمان يا قوم خائن فلأزهارهِ
هي آهٍ قصيرةُ الاعمارِ
حبَّ بالروض انهُ قد تزيّنْ ببهارٍ واقحو
زرتهُ في الصباح حين تبيّنْ واطلت الجلو
صعدتْ في السماء شمس النهارِ
حيث ظلٌّ للسرو فوقي ظليلُ وعلى السرو
وبساطٌ للزهر تحتي خميلُ وامامي مَرَجٌ
وغديرٌ للماء صوب يساري
وبذات اليمين مني تغورُ عينُ ماءٍ
ذاب لطفًا فاهتز فيهِ النورُ وعلى العين
رفرفت من فواختٍ وقماري
اذ تمشت ريحٌ تريد وصولا لغصونٍ بسة
فتخطّت بنفسجًا مطلولا ثمَّ مرّت
فوق ماءٍ يسيل في انهارِ
عبرتهُ حتى انتهت للغصونِ ولوت من
فبكت من حزن عليها عيوني يا بنات النب
اذ تلوّيتِ في ذرى الاشجارِ

ملخص رواية (الانسان)

هي رواية ظهرت اولاً في نهاية القرن الخامس عشر باللغة الهولاندية وتُرجمت الى الانكليزية وغيرها . والظاهر ان المصنف كان راهباً او قساً قصد بها تنبيه الناس الى صلاح العمل . وقد مثّلوها حديثاً في بعض المراسح الانكليزية فكان لها وقع عظيم عند الجمهور . شهدتها منذ اربع سنوات فرأيت فيها ما يرجى منهُ الفائدة لكل قومٍ ولكل احدٍ فعزمت على ترجمتها الى العربية ولكن لم يتيسر لي ذلك حتى الآن . ولما كانت طويلة مملَّة لمن لا يحضرها ويسمعها في المرسح فقد لخصتها واختصرتها واخترت من عباراتها ابلغها معنىً . واما تسميتها "بالانسان" (واللام لاستغراق الجنس كلهِ) فلأن الكلام فيها موجه الى جميع الناس ولكن يقوم مقامهم واحد منهم فقط في ساحة الملعب

ومضمون الرواية انهُ لما رأى الله الناس عاكفين على اهوائهم وآثامهم غافلين عن سرعة زوال الدنيا ارسل اليهم نذيراً هو الموت يدعو الانسان الى سفرٍ لا فرار منهُ ويأمرهُ ان يُحضِر معهُ كتاب اعمالهِ بلا تأخُّر . ولما وقعت عينا الانسان على النذير وسمع بلاغهُ احتجَّ بقصر المدة وطلب المهلة وعرض عليهِ رشوة كبيرة فابى النذير ان يسمع شيئاً من ذلك واشار عليهِ ان يسأل اهلهُ وخلانهُ لعلَّ احداً منهم يرافقهُ في هذا السفر المحتوم . فاستغاث بهم واحداً بعد الآخر وهم يعرضون عليهِ ان يغيثوهُ بكل ما يكون من امر هذه الدنيا لا مرافقتهُ حتى الموت والنزول معهُ الى القبر . ولما يئس منهم جميعاً تذكر ان لهُ صديقاً هو احد اصدقائهِ يدعى العمل الصالح فدعاهُ واستغاثهُ . فاجابهُ العمل الصالح انهُ يرافقهُ وينحدر معهُ الى القبر ولكنهُ ضعيف لا يكاد يستطيع النهوض لانهُ كان مطروحاً على الارض مكبلاً بخطايا الانسان . ثم لما تاب الانسان بهذا السفر وتاب الى الله وقارب الاحتضار ودَّعهُ رفاقهُ واحداً واحداً وهم الجمال والقوة والحزم ولم يبقَ معهُ الّا العمل الصالح فدخلا معاً القبر ونزل ملاك من السماء وحملهما اليها . وخاتمة الرواية كفاتحتها تتضمن المعنى المقصود بها

وما يلي نخبة مما ورد من الحديث الذي جرى بين الممثلين ومثال لما بقي منهُ واكثرهُ تلخيص

يوحنا ورتبات

الفاتحة للمصنف

اسمعوا ايها الناس طرًّا ما في هذه الرواية من الكناية عن زوال الدنيا [illegible]

فيهادي بهِ على البعد مصرا حيث يلقى الشعر
ان مصرًا ريحانةُ الامصارِ

تبلغُ النفس عند مصرٍ مناها طيّبَ اللّهُ بال
بلدة صيّتُ النجاح سقاها يجد الحرُّ مأمنًا
انتِ يا مصرُ ملجأُ الاحرارِ

يا ربوعَ الهوى عليكِ السلامُ انت للنفس م
في حماكِ النزيل ليس يُضام لأُولي العلم في ذ
واعتبار في الجاه ايّ اعتبارِ

قد رمتني الاحداث فارحمْ الهي بدواءٍ ألممنَ
ما لآلام روعها من تناهي آهِ من روعة ا
انها اذهبتْ جميل اصطباري

ليت شعري هل حالُ همي تحولُ وظلام الكروب
ام كذا في الحياة كربي يطولُ انا كالسيف فيهِ با
بعد ان سلّ وهو ماضي الغرارِ

انني في طبيعتي عصبيٌّ ليَ حسٌّ سام
ما تذلّلتُ منذ اني صبيٌّ ليس يرضى بأ
معشر التاء اطلقوا من اساري

لي طبعٌ عن الاسارة ينبو وفؤادٌ الى الح
ولسانٌ رطبٌ وشعري عذب ونجارٌ عدا نج
فاسألوا ان جهلتمو عن نجاري

خلق الشعرُ لي اخًا وخدينا فاذا ما حزنتُ
مرّ عمرٌ فيهِ جميعًا حيينا فاتلُ شعري تكس
انّ شعري مخبّرٌ عن شعاري

كنسيم في آخر الليل يسري او كظلٍّ يروق
انا منهُ ان لم يرُقْ بتبرّي رقّقتْ حرقة ال
وكذا النور اصلهُ من نارِ

بغداد

الانسان . أتيتني يا الموت وانا ذاهل عنك . إصرف عني هذا الامر الى يوم اخر وأعطيك مالاً جزيلاً

الموت . كلا ايها الانسان لا قيمة لمال عندي ولا قيمة للملوك والامراء . لا أمهلك ساعة . هلم ولا تبطئ

الانسان . امهلني حتى اطلق سبيلي رحمك الله الى ان اجد رفيقا

الموت . لا فائدة من البكاء والنحيب والابتهال . أسرع فان كل حي فانٍ واستنجد بمالك اذا شئت لعلهم يجدوك

الانسان . اذا سرت معك وقدمت حسابي فهل اعود الى الدنيا عن قريب

الموت . كلا فانك اذا سرت ساعة مرة فلن تعود الى هذا الدنيا

الانسان . ربي اسألك ان ترحمني فهل تسمح لي برفيق في هذه الطريق

الموت . نعم ... احد على مرافقتك ولكن ... ولا تتأخر ... اعطيت الاموال ... مدى الدهر

الانسان هكذا ...

الموت . كلا ... هي ... عليك فتتيها من يأتي ... ذهب هو وارثها كما ذهبت ... ايها الانسان أنك ... ولا تصلح حيث كل على الارض حتى افاجئك من ... لا تدري

الانسان . ... ايها ... لا صلح ... يأتي

الموت ... حديث الموت

...

... ولا ... في الوجود ... النهار

... سكري هوذا صديقي متملاً وتمكنا

... اهلا بك ايها الخليل

الخليل . ... اثنا السبب ... اكتشف عمتك

الانسان . ...

الخليل . ... لا اتركك ... لم اكون لك خير رفيق

الانسان . احسنت ...

الخليل . ان كان احد قد اذاك فأنتقم منه ولو قتلت في سبيلك

واذكروا ان الشر الذي ترونهُ شديد الحلاوة في البداية يؤدي اخيرًا الى البكاء وانكم اذا ادرجتم في التراب زالت الرِّفعة والافراح والقوَّة والجمال كما تزول ازهار الربيع وان الله ملك السموات والارض يدعو الانسان الى الحساب . فاسمعوا وانتبهوا الى ما يقولهُ

الله يقول

نسي الناس اجمع اني انا الله إلهم واتَّبعوا الدنيا وملاهي الحياة ونبذوا شريعتي ولم يخشوا عدلي . سعى كل انسان منهم حسب هوى نفسهِ وهو لا يعلم ما سيكون . جانبوني ولم يشكروني على ما انعمت بهِ عليهم وقلَّ مَن يطلب الرحمة التي عرضتها عليهم . استكبروا وطمعوا وحسدوا وحنقوا وفسقوا وفجروا . فاذا تركتهم زاد شرّهم ولذلك ابادر في الحال الى محاسبة كل واحد منهم . تعال ايها الموت لارسلك اليهم رسولاً نذيرًا

الموت . لبَّيك اللهمَّ اني فاعلٌ ما تأْمر بهِ

الله . اذهب الى الانسان وامرهُ بالشروع في سفرٍ لا مفر لهُ منهُ حاملاً في يدهِ كتاب الحساب بلا مطل ولا مهل

الموت (بزيّ رجل قبيح الصورة والثياب والصوت يقرع طبلاً يصمُّ الآذان في ساحة المرسح) يقول

هاك الانسان ماشيًا مشغول البال بشهوات الجسد وكنوز المال

الانسان (بصورة شاب جميل عليهِ الحُلل الحلل وبيدهِ عودٌ يعزف بهِ يدخل المرسح ممثلاً بني آدم)

الموت . قِفْ يا انسان الى اين تذهب وانت لاهٍ هل نسيت خالقك

الانسان . لماذا تسأَل هذا السؤَال وماذا تريد

الموت . اني رسول اليك من الله

الانسان . أَأَرسلك اليَّ

الموت . نعم اليك . سيتهُ وهو لم ينسك كما سترى قبل ان نفترق

الانسان . ماذا يطلب الله مني

الموت . يأمرك بسفرٍ طويل وبيدك كتاب الحساب الذي كتبت فيهِ سيئاتك الكثيرة وحسناتك القليلة

الانسان . لستُ مستعدًّا لهذا الحساب . ولا اعرفك . من انت

الموت . انا الموت ارصد للكل ولا اترك احدًا وقد قضى الله ان يكون الكل طائعين لي

ابن عمهِ . ان كان الامر كما قلت فالعيش على الخبز والماء احب اليَّ من هذه الرفقة

الانسان . ويلي ليتني لم اولد

الاهل . تشجع ولا تندب وتيقن اننا لا نذهب معك

الانسان . يا ابن عمي ألا تسير معي

ابن عمهِ . كلاَّ فان رجلي توجعني وعليَّ ايضاً حساب لا بد من اعدادهِ فاذهب وحدك

ظ الله

الانسان . ربي اهكذا يعدون ولا يفون ثم مني يهربون . الكلام مع هؤُلاء اضاعة

ت فتحيَّ الى من احببتهُ طول عمري . وهو المال لعلهُ يزيل كربتي . اين انت يا اموالي

اكنوزي

المال . من يناديني . ألا ترى اني محوَّط بالصناديق والاكياس لا استطيع حراكاً

ماذا تريد

الانسان . هلمَّ ايها المال لاستشيرك في امرٍ هام

المال . ان كنت يا مولاي في ضيقٍ او شدةٍ فانا أُفرج همك في الحال

الانسان . همي ليس من هذه الدنيا بل انا مطلوب لاقف امام الديَّان وأُحاسب على

. فالتمس منك ان ترافقني لعلك تساعدني في اصلاح حسابي امام الله لانهُ قيل ان

يصلح كل سوء

المال . لا يا ايها الانسان لا اتبع احداً في مثل هذه الاسفار واذا سرت معك فذلك

لك لانك لما أُولعت بي ضمست الدفتر لكي لا يفهم الحساب

الانسان . وا أسفاه . احببتك وعطفت عليك كل عمري أفلا تسعفني وقت حاجتي اليك

[illegible] كنت هذه حبة [illegible] عليك [illegible] لو احببتني اقل وتصدقت ببعضي على الفقراء

[illegible] وجدت في هذه [illegible] . [illegible] في اوقات

الانسان . هكذا [illegible]

المال . اخذتَ اما كنت قرضاً الى اجلٍ مسمًّى واعلم ان تأْتي تقتل الانفس فان خلَّصتُ

ذا اهلكت الفاً . واذا متَّ وتركتني لغيرك خدعتهُ كما خدعتك

الانسان . لعنة الله عليك ايها الخائن . نصبت لي شركاً وخدعتني فاصطدتني فيهِ

المال . انما انت الذي القيت بنفسك الى هذه التهلكة . واني لأفرح بذلك فالضحك

لي لا الحزن

الانسان . لك الشكر حقًّا يا صديقي

الخليل . شكرك وعدمهُ عندي سيّان فاكشف لي همك

الانسان . اذا ابديتُ لك ما في نفسي واعرضتَ عني تضاعف

الخليل . انا لا اقول الاّ ما انا فاعل

الانسان . اذا فعلتَ كنتَ خليلاً صادقًا وهكذا عرفتك في م

الخليل . وهكذا ستعرفني الى الابد فوالله ان ذهبت الى النار ذ

الانسان . أُمرتُ بسفر طويل كثير المشاق والمخاطر الى ان اق

وأُحاسَب على عملي . فاذهب معي كما وعدت

الخليل . ما ارهب ذلك . نعم الوفاءُ بالعهد واجب ولكن هذا السفر

في ما يمكن عملهُ لان كلامك يهول اشدَّ الناس بأسًا

الانسان . الم تقلْ انك لا تفارقني ابدًا بل ترافقني ولو الى ال

الخليل . بلى هكذا قلتُ . ولكن لندع الهزل ونأْتِ الى الج

السفر فمتى نعود منهُ

الانسان . لا نعود ابدًا الاّ يوم الدين

الخليل . اذن لا اذهب معك . من اتاك بهذا الخبر

الانسان . الموت الذي كان عندي الآن

الخليل . اذا كان الموت هو الرسول فان اذهب ابدًا ولو ك

فاذهب وحدك وانا مودّعك

الانسان . آه لقد تركني خليلي وصديقي من قال الاصدقاءُ في

الشدة . فإلى من الجأُ الآن الاّ الى اهلي وذوي قرباي وها هم سائ

الاهل والانسباءُ

الاهل . لبيك فمرْ بما تريد يا ابن العم فاننا ذهبت ذهبنا معك

الانسان . شكرًا لكم يا احبائي وانسبائي الكرام فقد اتاني رسو

وامرني بسفر لا اعود منهُ ابدًا وبأَن اقدم حسابًا دقيقًا

الاهل . ما هذا الحساب الذي يُطلب منك

الانسان . يُطلب مني ان ابين كيف عشت وكيف قضيت ايامي

هي السيئات التي عملتها والحسنات الذي اهملتها فالتمس منكم ان ترافق

الحسنات · أترافقونهُ في سفرهِ

القوّة · نعيبهُ ونريحهُ

الحزم · نذهب معهُ جميعاً

الانسان · (وقد وصلوا الى قبر مفتوح) آه آه حارت قواي وضعفت رجلاي فلا استطيع الوقوف . فالى هذا الكهف ادبُّ واعود الى التراب

الجمال · انا لا ادخل هذا القبر واختنق فيهِ ولذلك اذهب واتركك

القوّة · وانا ايضاً . اوصلتك اليهِ فاتركك هنا

الحزم · وانا كذلك لانهُ حيثما تذهب القوّة ذهبتُ

الحسنات · كلُّ ما عليها فانٍ · الاصحاب والاقرباء والجمال والقوة والحزم كلهم يعدون ويكتمون ثم يهربون الاَّ الا العمل الصالح

الانسان · (يدخل القبر ومعهُ الحسنات) ربِّ ارحمني واليك ايها المدبر اسلم نفسي

الخاتمة

انتبهوا ايها الناس كباراً وصغاراً الى ما ورد من الحكمة في هذه الرواية · اهجروا الكبرياء فتخدعكم · واذكروا انهُ لا يصاحبكم الى الآخرة الا الحسنات ولا تأخذون معكم الى هناك الا العمل الصالح · اللهمَّ وفقنا لذلك ولله الحمد

فتاوى الصحافيين

سرّ النجاح في الصحافة

نشرنا في بعض اعداد هذه السنة مقالة بعنوان "فتاوى الاطباء" منقولة عن المجلة الانكليزية المسماة ستراند مغازين ذكرت فيها آراء كثيرين من مشاهير الاطباء في خير الامور للمحافظة على الصحة · وقد اطلعنا الآن على مقالة في المجلة المذكورة موضوعها "سرّ النجاح في الصحافة" ومن تلك المجلة استفتت نفرًا من اعاظم كتّاب الجرائد في خير الامور للنجاح في الصحافة فأجابها كلٌّ بما حال في خاطرهِ ورآهُ لازماً حسب اختبارهِ

وقد صدَّرت المجلة هذه الفتاوى بتمهيد وجيز قالت فيهِ ان حرفة الصحافة مفتحة الابواب لكلِّ من شاء ولكنَّ ذلك يزيد المصاعب في سبيل من يروم معرفة الشروط اللازمة للنجاح

الانسان . اواه لمن اشكو همي واطلب منه ان يرافقني في ه
الخليل اولاً ان يذهب معي ثم تركني . وقال اهلي كما قال ثم فعلوا
المال الذي احببتهُ اكثر منهم قال ان عمله ُارسال الناس الى النار
لي ملجأ الأ حسناتي وهي ضعيفة لا طاقة لها على السير ولا على الكلا
لعلّي اجد خيراً . تعالي ايتها الحسنات

الحسنات (بزيّ راهبة تحسن الى الفقراء وتعود المرضى وتزو
ها انا مطروحة على الارض مثقلة موثوقة باثامك لا استطيع ح

الانسان . أَعينيني في اعداد حسابي والاّ هلكت الى الابد فار
فيهِ حرفاً

الحسنات . اني حزينة عليك لما اصابك من هذه البلوى وكنـ
لو كنت قادرة على ذلك

الانسان . ما العمل إذن

الحسنات . لي اخت اسمها المعرفة تذهب معك وانا اجرّ نفسي

المعرفة . (وهي الوصايا الدينية التي تهدي الانسان الى التوبة
الانسان واهديك الطريق الى حيث تحاسب لدى الله

الانسان . والحمد لله فقد انفرجت كربتي

المعرفة . لنذهب معاً الى النهر المطهر الذي يقال لهُ التوبة

الانسان . هلمّ هلمّ اين منزل التوبة

المعرفة . ها هي اركع واطلب الرحمة

الانسان . ايها الينبوع المجيد المطهر من كل دنسٍ اغسلني من
انا تائب الى الله واقف عند بابهِ ضارعاً ذليلاً

التوبة . ثِقْ برحمة الله التي لا ريب فيها ولا يُمنع احد منها

الحسنات . الحمد لله . قد صرت الآن قادرةً على السير معك

المعرفة . افرح ايها الانسان وابتهج فان حسناتك قد برأَتْ من
معك . بقي ان تدعو الى رفقتنا هذه الثلاثة وهي الحزم والقوّة والجـ

الانسان . تعالوا يا اصحابي ورافقوني

الجمال . لبّيك . بماذا تأمر

وليم ستد

صاحب مجلة المجلات المشهور . قال

" الصفة الاولى الاساسية اللازمة للنجاح في الصحافة ان يهتمّ الانسان بكلّ شيء و يندفع . كلّ موضوع وهو يجد لذة وسرورًا في ذلك

والثانية قدرتهُ على تصوير ما يريد ان يقولهُ تصويرًا واضحًا في ذهنهِ والتعبير عنهُ شكل جليّ جدًّا حتى لا يشكل فهمهُ على احد

والثالثة قدرتهُ على النوم نومًا عميقًا متى مكنتهُ الفرص من ذلك وعلى استيفاء ما تأخر . منهُ . هذا فضلاً عن امور اخرى لا بدّ منها مثل حسن الصحة والاجتهاد ومعرفة الواجبات ما اشبه . وفوق الكل يجب ان يكون الصحافيُّ بعيد النظر في الامور "

السر جيمس هندرسن

صاحب جريدة بلفاست . قال

" من ألزم صفات الصحافي شدّة المراقبة والملاحظة وهي صفة تهمل غالبًا ولكن اذا عني ا وهذّبت التهذيب الواجب رأى الانسان بها من اللذة والفائدة في شؤُون الحياة العادية الا يراهُ بدونها . ولا بدّ ان يكون قادرًا على وصف ما يعاينهُ و يراقبهُ بلغة موجزة واضحة ستدعي انتباه القارىء لا بلغة مطوّلة مرتبكة . فمن حوى الصفة الاولى واعوزتهُ الثانية لن يصير صحافيًّا

ومن الامور اللازمة لهُ ايضًا قدرتهُ على ادراك النقط الجوهرية في ما يسمع من الخطب يرى من الحوادث والّا جاء وصفهُ لها ناقصًا غير وافٍ بالمراد وهو ان يقع الوصف وقعًا قبولاً في نفس القارىء

ولا حاجة الى القول في هذا العصر الذي يرى الناس فيهِ على اختلاف طبقاتهم لزوم تعليم والتهذيب ان الواجب ان يكون الصحافي على درجة سامية من العلم والتربية . وكلما ادت معرفتهُ زادت اهليتهُ لاتقان حرفتهِ . نعم قالوا " ان القليل من العلم خطر " ولكن صحافي يجد انهُ مهما قلّت معرفتهُ في موضوع من المواضيع لم تخلُ من فائدة لهُ . وهو لا يحتاج الى ما لا يتعلّمهُ في المدرسة فقط بل الى ما يتعلّمهُ من اختبار الناس وممارسة شؤُونهم "

فيها اذ لا بدَّ لهُ من ان يبرهن على كفاءتهِ عملاً لا قولاً . وعليهِ فلا غرابة ان يهتمَّ القراء كل ّالاهتمام بالاجوبة الآتية ويعيروها جانب التفاتهم وهي اجوبة لسؤال سألناهُ رهطًا من كبار الصحافيين وكان السؤال " ما هي الشروط التي ترونها ألزم للنجاح في الصحافة " فاجابوا بما يأتي

السر هيوجلزين ريد

وهو من اعظم الذين اشتغلوا باعلاء فنّ الصحافة في انكلترا . قال

" يصعب التعبير بالكلام عما يحسبهُ الواحد سرَّ النجاح في الصحافة . فاذا رأى احد قرائكم العدد الاول من الجريدة الاولى التي اصدرتها وانا ابن سبع عشرة سنة (اي منذ نحو ٥٠ سنة) انكشف لهُ ذلك السرُّ . فقد تقلّبت في مناصب عديدة بين مخبر ومحرر ورئيس. ثم أُلقيتْ عليَّ مسأولية الجريدة الاولى واطلقت لي الحرية في ادارتها فكان القاء المسأولية عليَّ واطلاق الحرية لي امرين لا يثمَّنان بثمن لما فيهما من التمرين في الحرفة التي اخترتها لنفسي وهاك ما قلتهُ في احد اعداد الجريدة المشار اليها بهذا الصدد : لا يسعني الآن ان اقول لاخواني الصحافيين ما اسعدني بارتقاء الدرجة الاولى من هذا السلَّم (الصحافة) وانا لا ازال غضَّ الاهاب وبتسليم مقاليد الامر اليَّ بما يتبعهُ من الواجبات والحرية التامة والمسأُولية . وقد طالما قلت للشبان الذين اختاروا هذه الحرفة مثلي ولكنهم حاولوا الابتداء من رأْس السلَّم لا من اسفلهِ اذهبوا انتم ايضًا وافعلوا كذلك

وكثيرون من الصحافيين لا ينالون من الارتقاء حظًّا إما لانهم لم يتعلموا التعلم الكافي في حداثتهم ولا تمرنوا التمرُّن الوافي . واما لانهم لا يتقنون عملهم ولا يواظبون عليهِ . فكم را بنا من مخبر يسمع خبرًا ناقصًا فيتمهُ بما يضيف اليهِ من نتف يجمعها من مصادر لا يوثق بها ثم يرويهِ تامًّا في ظاهرهِ ناقصًا في باطنهِ . على ان هناك امرًا لا بدَّ لي من ذكرهِ وهو ان بين المشتغلين بالصحافة مئاتٍ من الاكفاء المجتهدين الطاهري الذمة قضوا العمر في تحرير الجرائد وتحبيرها ولم يكادوا يحصلون قوتهم الضروري منها . فلا ريب ان للبخت يدًا في الامر . على ان اليد الطولى انما هي لاغتنام الفرص متى سنحت وكثيرون لا يغتنمونها

وخلاصة الامر ان الصحافيَّ الصميم مفطور لا مصنوع وسلامة الذوق في كتابة الجرائد وبُعد النظر والقدرة على تنسُّم الاخبار مواهب يزيدها الدرس والاختبار ولكن لا يمكن خلقها "

حوزف هتون

محرر ... سعت ... ن

" لا معرفة تسيع في الصحافة . فقد قال لي مرحوم المستر أدون ارنولد مرة وهو من كبار الصحافيين ان كل ما تعرفه وتراه وتسمعه من امور الحياة تجده مفيداً لك في الصحافة عاجلاً او آجلاً . وما أصيب في ذلك انه يجب على الصحافي ان يتعلم جميع فروع العلوم التي تعلم في المدارس وان يتمرن تمرناً دقيقاً على الاشغال التجارية . فكن في الاول محررا مساعداً في التحرير واتهز كل فرصة لتعمق في كل دقيقة من دقائق مسلك حتى لا تفوتك فائدة . ومما يجب على الصحافي الخاصة عن الوقت في عمله و واجباته والسعي بهمة وإقدام في جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع الذي تحوم الافكار حوله والامانة في ايرادها . وابداء الحزم والسطة ... تواجهه نحو نفسه وزبنه والجمهور . وفي ذلك كله الصحافي كالشاعر " مطبوع لا مصنوع "

المستر دوجلاس ستزايت

محرر المال مال جازيت . ن

" للصحافة عدة فروع . اعني ان الصفات اللازمة لمتبوء الالات الامتحانية تختلف عن الصفات اللازمة لمحرر الجريدة كاختلاف الخبر عن ... . في كل الحالين لا غنى عن الاجتهاد والهمة و... ... ... جازب ولكن الصفات العقلية ... اللازمة ... في احد ... لا تكون لازمة ... في آخر . فقد يكون الصحافي من ... ... الاخبار ولا ... حملة ... وصا و ... ... في الكتاب ... ... كتب ... ... كتابة ساله ... ... ولا يدري ما يقول ... ان شيئا جاء ناقصا او مبهماً لانه ... لا يدري

وواقع الامر انه ليس ... ... الاستعمال بالصحافة ولكن لا بد له من معرفة ... ... وكل شاب يروم احتراف الصحافة يجب عليه اولا ان ... ... دقيقا ليعرف مزاياه العقلية وما هو اليق بها من فروع الصحافة ... . وليكن مستعداً للعمل الشاق ... انه سيلاقي كثيراً من دواعي الخيبة والفشل "

الفرد سبندر

محرّر وستمستر غازت · قال

" اذا فرضنا ان الصحافي قادر على الكتابة فاول ما يلزمهُ بعدها المواظبة والمثابرة · يخرج الشبان من مدارسهم ويأتون اليّ رأساً ليشاوروني في امورهم فيلوح لي من خلال الحديث بينهم انهم يعتقدون بقدرتهم على انشاء مقالات ذات شأن كبير من بدء الامر · وبعبارة اخرى انهم يرومون ان يحسبوا صحافيين اكفاء بلا تمرين ولا تهذيب · وليست الحال كذلك في الفنون الاخرى كالحقوق والطب والتعليم وما اشبهها فان الذين يتعلمونها يعلمون تمام العلم ان لا غنى لهم عن التمرُّن عليها قبل استعمالها · ولست انكر ان المقدرة على الكتابة ضرورية ولكنها ليست كلَّ شيءٍ فان الذي يحترف الصحافة يجب عليهِ ان يتمرن عليها مدة طويلة قبلما تظهر آثار نبوغهِ فيها مهما كان استعدادهُ الفطريُّ لها قويًّا

ومن الصفات اللازمة لهُ ان يكون مطَّلعاً على مجرى العمل في الجريدة التي يساعد في تحريرها وخبيرًا بلهجتها ومذهبها حتى يكتب فيها ما يطابق الزمان والمكان فلا يشذّ عن خطتها ولا يطيل في ما يجب الايجاز فيهِ ولا يوجز في ما يجب التطويل · ويجب على كلّ جريدة ان يكون لها خطة معلومة لا تعريج فيها ولا تذبذب · وافضل الكتَّاب لا يصلح لجريدة ما الاَّ اذا وافقت خطة جريدتهِ موهبتهُ · ومن الواجب على محرر الجريدة ان يتسقط الاخبار حيثما كان وان يبتعد عن المصادر والموارد العادية ويستقي من موارد اخرى اخبارًا يهتمُّ الجمهور بها · فقد حرت قصب السبق مرة باستقاء الاخبار من الجرائد الاجنبيَّة التي ترد من اوربا ومن المستعمرات الانكليزية

ومما يهمُّ في الصحافة الحديثة معرفة احوال الناس واطوارهم في اعمالهم اليومية · فان باب النجاح مقفلٌ في وجه الصحافي الذي يقضي عمرهُ في مكتب جريدة واحدة يكتب المقالات السياسية والاجتماعية على مهل · ولكن باب النجاح مفتوح والمجال واسع في وجه الشاب الذي يوضح المشكلات المستبهمة باختبارهِ الشخصي وكثرة ملاحظتهِ للاشياء التي يراها حولهُ في روحاتهِ وغدواتهِ

وعلى طالب الاشتغال بالصحافة ان يكون شجاعاً مقداماً فان كثيرين يحجمون عنها لانهم سمعوا الناس يقولون انها حرفة غير مأمونة ولكن اذا كان الصحافي مقداماً فلا يخشى بأساً · ولا بدّ ان يكون في صدرهِ نفس من روح المخاطرة واحتقار المناصب السائغة مثل مناصب الحكومة "

المناعة في السلّ

(تابع ما قبلهُ)

في عدوى المكروب ومناعة الجسم انهُ اذا دخلت المكروبات
صةّ بها بمجرد وجودها فيهِ فلا يمكن الحصول على المناعة من
تأثر الجسم من دخول المكروبات فيهِ لا يتوقف على وجود نوع
بل على وجود عدة انواع مختلفة ومنها ما يوجد في جسم المكروب
ـي يعيش ويتوالد فيهِ . وعليهِ وجدوا ان الجسم يحصل على
ـ من بعض انواع المكروبات حية او ميتة بطريقة باستور في
ا بحقنهِ بسوائلها . ومن تلك الانواع البثرة الخبيثة وكوليرا
ـوبات بعد إضعافها

ـ المناعة فيهِ بحقن الجسم المصاب بمستنبت المكروبات بعد
او غيرها . فان المكروبات الميتة سامّة تؤثر في الجسم تأثيرًا
بولّد فيهِ المناعة . ولا يبعد ان المكروبات الميتة تزيد قدرة
ـتن بها بعد ما تسحق جيدًا ليسهل امتصاصهُ لها ولكنها لا
ـة . وقد ظهر من تجارب كوخ التي عملها قبل اكتشاف
ـازير غينيا المصابة بالتدرُّن بمكروبهِ أثر فيها تأثيرًا خصوصيًّا
محلّ الحقنة الثانية وتخرج المكروبات منهُ مع الصديد وتتكون
ـد وافر من المكروبات عند سقوطها ثم يلتئم مكانهُ من غير ان
ـ الغدد المجاورة لهُ كما يحدث بعد الحقنة الاولى . وهذا فعل
ـبة او ميتة فان الجسم يحصل على المناعة بحقنهِ مرتين فلا يعود
ـيؤثر فيهِ ولكن مناعتهُ هذه لا تمنع الحقنة الاولى من بث
ـبًا

اذا سمّ الجسم بمكروب التدرُّن بات شديد الانفعال بسمهِ
تأثر المسلول على اثر حقنهِ مرة ثانية بالتيوبركولين وبمكروبات
الجسم الذي يلقح بسمّ المكروبات الميتة لا يتدرَّن بل يصير

ماريون سبيلمان

من مشاهير المنتقدين والكتاب . قال

" يلوح لي ان اول ما يلزم للنجاح في الصحافة صحة واقدام وادب وحسن سياسة لأَن ميل الكاتب الى الخصام والشحناء يفقدهُ ثقة رصفائهِ بهِ . وكذلك نقل الاخبار عن المصادر الموثوق بها والتدقيق فيها . ويجب ان يعتمد الانسان في ذلك على نفسهِ لا على غيرهِ . ويحسن بالصحافي ان يكون ذا اطلاع خاصّ على بعض فروع المعارف طبقاً للمثل السائر القائل اتقن فرعاً واحداً وتعلم بقية الفروع الماماً وهذا يصدق على الصحافي اكثر مما يصدق على غيرهِ من ارباب الحرف المختلفة

ويجب عليهِ ان يكون متيقظاً ولكن ليس الى درجة يقلق بها راحة غيرهِ . وان يكون كاتباً اي ان ينبذ الجمل والعبارات المطروقة التي يكثر الكتاب من ترديدها وتوقر مسامع ادباء القراء . وان يكون حسن الاسلوب في الانشاء فلا يرتكب الاغلاط السخيفة ولا يتأنق في المحافظة على قواعد اللغة . وخير لهُ ان لا يكون لهُ اسلوب خاصٌّ من ان يكون اسلوبهُ ركيكاً . ولا يقتصر على وصف الحوادث وصفاً سطحيّاً بل ليتعمق فيها ويبحث في اسبابها ونتائجها ويذيلها بشروح يستلذها القارئُ ويستفيد بها . وليمعن في قراءة جياد المؤلفين ولينظر في غيرهم نظراً سطحيّاً من قبيل العلم بالشيء . وليكتب في مذكرتهِ كل ما يستحسنهُ ولينقدهُ جيداً قبل اختيارهِ "

الدكتور تشارلس كوبر

محرر جريدة السكوتسمان . قال

" استقلت من الصحافة الآن بعد ان اشتغلت بها ستين سنة . وآرائي قد تعدُّ قديمة ولكن لا بأْس بايرادها

الزم شرط للنجاح في الصحافة الميل الطبيعي اليها فانهُ يستحيل ان يصير الانسان صحافيّاً بوضعهِ في مكتب الصحيفة وتشغيلهِ بها اي ان فطرة الصحافي مخلوقة لا مصنوعة . واذا كان مفطوراً ليبرع في الصحافة فهو يبرع فيها مهما كانت معارفهُ . ويصعب تعيين الصفات الاخرى اللازمة للصحافي لا سيما وانها كثيرة مختلفة فيجب ان يكون على خبرة تامة بعلم التاريخ مطلعاً على مؤلفات الكتَّاب الاقدمين قادراً على توجيه افكارهِ الى موضوع واحد شديد الانتباه والملاحظة دقيق النظر ماهراً في [illegible] "

فيزول الالتهاب ولا يبقى فيها الاَّ ندب الجرح وهذا كلهُ يتمُّ في ستة اسابيع الى ثلاثة اشهر . فهذه التجربة لا تترك مجالاً للريب في المناعة التي تحصل الحيوانات عليها من حقنها بمكروبات سل الطيور . ومع ان بعض الحيوانات التي كانت تطعم بمكروب سل الطيور كانت تموت بعد تلقيحها بالمكروب الآخر فان هذه التجربة تدلُّ على امكان وقاية الارانب من السل بالتلقيح لا على امكان حصول المناعة التامة

هذا ما اتصل ترودو اليهِ . واما دي شوانتز فنتسر سنة ١٨٩٤ نتيجة تجارب جرَّبها في خنازير غينيا والمواشي . وخلاصتها انهُ لقح الخنازير بمكروبات السلّ البشري بعد توالد المكروبات عشرين مرة في المستنبت حتى ضعفت جدًّا ولكنها كانت كافية لوقاية الخنازير الى حدّ انها لُقحت بعد ذلك بلقاح اخذ من بقرة مسلولة فبقيت سليمة . على حين ان خنازير اخرى لُقحت بهذا اللقاح من غير ان تلقَّح قبلاً لوقايتها فاصيبت بالسل وماتت في نحو سبعة اسابيع . ولقح دي شوانتز المواشي بكميات كبيرة من مكروبات السل البشري فلم تصب بضرر

ومن التجارب التي عملها ترودو انهُ لقح بعض خنازير غينيا بالمكروبات الميتة والبعض بمكروبات حية اخذت من الحيوانات ذات الدم البارد (كالسمك) . والبعض بمكروبات السلّ البشري بعد تربيتها اكثر من عشرين سنة . والبعض بهذه المكروبات بعد تربيتها اكثر من ١٤ سنة . فكانت النتيجة ان الصنفين الاولين لم يقيا الخنازير التي لُقحت بهما . واما الصنفان الآخران فوقيا الخنازير التي لُقحت بهما ولكن الرابع كان احسن وقاية من الثالث لان مكروباتهِ اقوى واشدُّ بخلاف مكروبات الثالث فانها لم تكد تنمو في الجسم

اما في الانسان فقد ظهر من حوادث كثيرة ان الذين أُصيبوا بالتدرن الموضعي في الغدد المفاوية كما في الخنازيري مثلاً او غيره لم يحصلوا على المناعة من السلّ الرئوي . ومع ذلك فان الاحصاءات تدلُّ على ان الانسان يصبح اقلّ تعرُّضاً للداء واكثر مناعة بعد ما يصاب بهِ مرة ويستدل بدليل ان عدد الذين اصيبوا بنوع من انواع التدرن البسيطة في احد ادوار عمرهم كثير جدًّا بالنسبة الى عدد الذين يموتون بالسلّ او يصابون بانواع شديدة منهُ . فقد قدر هرش ان نسبة وفيات السلّ الى سائر الوفيات كنسبة ٣ الى ٢٢ اي انهُ يموت بالسل نفس من كل سبعة انفس . ولكن هذه النسبة لا تدلُّ على عدد الذين يصابون بهذا الداء تماماً فانهم في الحقيقة اكثر مما تشير هذه الارقام اليهِ بكثير . ومن الصعب تحقيق ذلك بالاحصاء في الاحياء ولكن يؤخذ من تشريح جثث الموتى ان ٩ في المئة من الذين يموتون بانة علة كانت قد اصيبوا في [illegible]

يشعر بسم التدرُّن ٠ وعليهِ يقال ان جسم المسلول يحصل على
الذي يلقح بسمّ المكروب يبقى خاليًا منها

واني واصف لكم نتائج التجارب التي بني عليها اعتقادنا با
الصناعية ٠ وقد استعمل في هذه التجارب كلها المكروب الحي
الجسم المناعة تسلك في اثناء اقامتها فيهِ سلوكاً يخلف عن
بالصناعة ٠ وسبب هذا الاختلاف هو ان المكروبات التي في
وخلايا اكثر اختلافًا من السوائل ٠ فاذا اخذت في النموّ فا
المفرزات التي تفرزها في المستنبتات او ان المواد الخميرية الت
لا بدّ للمكروبات من الاختلاط بها تؤثر في المكروبات وت
ولتش سبب هذا الاختلاف فارضًا ان المكروبات في الجسم
خارجهُ ٠ ومهما يكن من ذلك فان ما احرزناهُ من المناعة
التلقيح بالمكروب الحيّ

واول التجارب التي عملت للحصول على المناعة في الحيو
مكروب السل نشرت سنة ١٨٩٠ ٠ولكن اول التجارب التي
سنة ١٩٠٢ ودي شوانتز سنة ١٩٠٤ ٠ اما ترودو فانهُ لقّ
مكروب سلّ الطيور لوقايتها فلقحها مرتين بين الاولى والثاني
اربع وهي شديدة النحول ولكن بلا تدرُّن ٠ واما الارا
في اعينها بمستنبت مكروب سلّ الحيوانات الثديوية ويلتح
فكانت النتيجة ان هذه الارانب لم تكن تتأثر بالتلقيح ا
صحيحة نحو اسبوعين ثم تصاب بمثل ما تقدّم في صدر هذه
نسيج العين كلها ويتجبن محلّ التلقيح فتتلف العين ٠ ولكن
غالبًا مدة اشهر كثيرة وربما لم يتجاوزها وذلك يتوقف على ع

واما الارانب التي كانت تطعم بمكروب سل الطيور ف
ظاهرًا اثر تلقيحها بالمكروب الآخر ٠ فمن اليوم الثاني الى ا
ملتحمة العين تتضخم وتظهر آثار الالتهاب في مقدّم العين و
آخر الاسبوع الثاني واوائل الثالث حين كانت اعين الا
هذه الارانب تتقدم الى الشفاء وبقايا الالتهاب في اع

عن دستور مبتكره . ولا ريب ان الفصل الريح في جعل مسألة وقاية المواشي من السل مسألة يسهل درسها وليس ذلك بالامر القليل

هذا ولم يقتصر العلماء على اجراء تجارب في مختبراتهم لوقاية المواشي من العدوى بل اطلقوا المواشي المطعمة في الحظائر التي ربيت فيها مواشٍ مصابة بالسل ليختبروا نتيجة عملهم فلم تُعدَ . واخبرني الدكتور برن انهُ طعم هو والدكتور دايلند بعض المواشي وزربوها مع مواشٍ اخرى مصابة بالسل مدة سنتين فلم تصب بسوء . وزربا مواشي اخرى لم تطعم قبلاً حيث زربا الاولى فاصيبت بالسل ومنها ما كانت بلواهُ شديدة الى حد انها ماتت في مدة قصيرة

ثم بحث الخطيب في مدة المناعة فقال نقلاً عن الدكتور بيرن ان المناعة تبقى سنة على ما ظهر بالتجربة ولم يثبت بالبرهان حتى الآن انها تبقى مدى عمر الحيوان . ومن رأي بيرنغ ان تكون المدة بين الحقنة والحقنة ثلاثة اشهر ولكن غيره يرون ان تكون اقصر من ذلك . ثم قال

ومن المسائل التي تستوجب الالتفات في هذا الشأن ما اذا كان اكل لحم المواشي التي حقنت لوقايتها من السل وشرب لبنها يضرّان الناس ويعرّضانهم للخطر لا سيما اذا تذكرنا ان المواشي تحقن بمكروبات السل الحية . ويقول انهُ ظهر ان مكروبات السل البشري لا تحدث في المواشي المحقونة بها آثاراً دربية تكتنف المكروبات وتكوّن حولها غلافاً يقيها من الهلاك . ويقول من جهة اخرى انهُ لا يمكن استبدال المكروبات الحية بالميتة للحصول على المناعة لان المناعة متوقفة على بقاء مكروبات حية وربما توقفت على توالدها وتكاثرها الى حدّ محدود . ولكن يجب ان نحقق اولاً كم تبقى المكروبات حية في جسم المواشي المطعمة بها [illegible] . وحول ذلك اقول ان المعلومات التي عندنا [illegible] حتى الآن لتجريد حقيقة علمية يركن اليها ويقبح السكوت عليها وستتم [illegible]

من المسائل التي تخطر على البال في هذا الموضوع انهُ ماذا تكون النتيجة اذا نال المواشي اولاً والناس ثانياً المناعة في السل . هل ينقرض مكروب السل من العالم . واذا كان ذلك كذلك فنعمت النتيجة ولكن الدكتور سمث قال في خطبة خطبها حديثاً انهُ لا بدّ ان تكون النتيجة توازن بين السل والمكروب وعليهِ فان زيادة قدرة الانسان على مقاومة المكروب قد تفضي الى نتيجة الانتخاب الطبيعي المشهور عند علماء البيولوجيا فيبقى المكروب القويُّ الذي هو اصلح للبقاء وينقرض الضعيف الذي لا يصلح لهُ . واذا جرى ذلك ولا يبعد ان يجري

الاصابات يبقى الداء محصوراً في العقد التعبية او غيرها من العقد الل
يضرُّ والحالة هذه بسائر الجسم · وعليهِ يستنتج ان في الجسم الانساني ميلا
على عدوى مكروب السلّ · هذا كلُّ ما يمكن العلم بهِ اما اذا كان الحد
يزيد قدرة الجسم على قهر مكروب السلّ الذي قد يدخلهُ فيما بعدُ فمن
الجزم بها الآن · ومن المؤكد ان الحقائق المتقدمة لا تنفيها · وبعض
الانسان قد يحصل على درجة من المناعة

وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ مُنح بيرنغ جائزة من جوائز نوبل لـ
انهُ يشتغل بدرس المناعة الصناعية في المواشي من جهة السلّ وا
لتطعيم المواشي ضدّ السلّ . وكان مآل تجاربهِ محاولة الحصول على المنا
بالتيوبركولين وغيرهِ من سموم مكروب السلّ مثل المكروبات الميتة
بالمستحضرات الكيماوية والمكروبات الحية · وطرأ على خطة المناعة عد
الحين فصار مدارها الآن على حقن اوردة العجول بمستنبت مكروب
حين يكون عمرها ثلاثة اشهر · وهذا المستنبت يباع الآن بيع ا
الاولى بثلاثة اشهر تحقن مرة ثانية وتكون الكمية التي تحقن بها هذه المرة
ذلك على المناعة اي انها اذا حقنت بكمية معلومة من مستنبت سلّ البقر
دائماً ولكن اذا حقنت المواشي التي لم تطعم قبلاً بمثل تلك الكمية ظهر السـ
اسابيع قليلة · وقد لقح بالمستنبت (المصل) الذي صنعهُ بيرنغ الوف مـ
فيها انزعاجاً يذكر ولو كانت مصابة بالتدرن بل انها كانت تصاب بحمَّى
تصاب بسعال ايضاً ويقلُّ اكلها ويخفُّ وزنها ولكنها لا تلبث ان تعود ا

واكتشف ماك فديان ما اكتشفهُ بيرنغ بل ان هناك ما يدلُّ على
هذا الاكتشاف · وجرَّب بيرسن وجليلند الاميركيان مثل هذه التجارب
الى ابعد مما ذهب بيرنغ اليهِ فانهما سعيا في توقيف سير السلّ في المواشي
الوحيدان في هذا المسعى · والمرجَّح ان المواشي لا تعالج بطريقة التلقيح
العمل بها مهمٌّ في حدّ نفسهِ لا سيما وان المصابين بالسلّ من الناس يعالجو
ولقد قام الجدال بين نيوفلد تلميذ كوخ و بيرنغ في من هو السابق الى
وادَّعى كلٌّ انهُ هو السابق ومهما يكن من ذلك فلا ريب ان الفضل فيهِ
ان لم يكن قد سبقهما · ومبدأ المعالجة الذي ...

ذلك فجعل يحشد الجنود ويجمع الاموال ويولم الولائم لاعوانهِ ويجاهر فيها
لة التي جرى عليها اغاثوكليس واختهُ وبلغ اغاثوكليس ذلك فاتَّهم تلبوليموس
دَّعي انهُ استدعى انطيوخس ملك سورية لاجتياح مصر لكي يوغر صدور
يهِ لكنهُ حبط سعياً لان الشعب كان يحب تلبوليموس ويرجو النجاة على يدهِ من
واختهِ . ولما تفاقم الخطب جمع اغاثوكليس الحرس المكدوني ووقف امامهم هو
لك وجعل يمسح عينيهِ مدعياً ان الدموع تمنعهُ من الكلام ثم ضبط عواطفهُ ورفع
يديهِ وقال خذوا هذا الطفل الذي سلمهُ ابوهُ وهو على فراش الموت لهذه السيدة
اختهِ) خذوهُ ايها المكدونيون واحتفظوا بهِ لان حب هذه السيدة لهُ لا يكفي
الذين ينوون اغتيالهُ فانتم المسؤولون عنهُ منذ الآن وحياتهُ في يدكم لانهُ قد شاع
زمن طويل ان تلبوليموس يتطاول الى ما هو فوق طورهِ وقد عيَّن اليوم الذي
اج الملك على رأسهِ . وانتم لستم مكلَّفين تصديق كلامي لكن اسألوا الذين اتوا
الآن تعلموا صدق قولي
ضر اليهم رجلاً قال انهُ رأى بعينهِ الجنود يهيئون الضحايا ليضحوها ساعة وضع
رأس تلبوليموس فلما سمع الحرس المكدوني ذلك صاحوا باغاثوكليس وهزأوا بهِ
ينهم كاسف البال ولم يرَ سبيلاً للانتقام من تلبوليموس الاَّ بان قبض على حماتهِ
بجرَّ في الشوارع مكشوفة الرأس وتطرح في السجن فزاد غيظ الشعب منهُ وحنقهم
جتمع الجنود المكدونيون وتآمروا فاجمع رأيهم على التنكيل بهِ وباعوانهِ حتى اذا خيم
لأت الشوارع بالغوغاء وبلغ اغاثوكليس ذلك فقام هو واهل بيتهِ واخذ الملك بيدهِ
رب بهِ وكان المكدونيون قد استولوا على جانب القصر الذي فيهِ الملك وطلبوا
اليهم فتوسَّل اغاثوكليس الى حرَّاسهِ ليقولوا لهم انهُ استعفى من الوصاية على الملك
لمناصب التي لهُ ولا يطلب منهم الاَّ ان يعفوا عنهُ وعن ذويهِ وبعث اليهم واحداً
فكادوا يقتلونهُ . ولما رأى ان لا مناص لهُ منهم مدَّ يديهِ اليهم من خادعة صغيرة
وكشفت اختهُ اغاثوكليا عن ثديها وهي تقول ارحموني فمن هذين الثديين ارضعت
ن توسلاتها وتوسلات اخيها لم تجدِها نفعاً بل اصرَّ المكدونيون على طلب الملك
سلاهُ اليهم مع الحرسِ الخاص فاركبهُ المكدونيون على فرس وساروا بهِ بالهتاف الى

قياساً على ناموس بقاء الاصلح اخذ المكروب يرتقي مع الانسان حتى يبلغا غاية القوة والارتقاء وحينئذٍ فاما ان يكون النصر الاخير للانسان او للمكروب

ومهما يكن من ذلك فلا يصحُّ ان نقف مكتوفي الايدي خشية ذلك الخطر المتوقع فان مكروب الجدري" لم يزد قوة منذ شرع الانسان في استعمال التطعيم على ما اتلم ونكن يقال من الجهة الاخرى ان قرناً من الزمان ليس بالزمن الطويل في تاريخ حياة الحيوان · انتهى ملخصاً

مفاخر البطالسة

بطليموس الخامس الملقَّب ابيفانس

هو ابن بطليموس الرابع من اختهِ ارسنوي ولد سنة ٢١٠ قبل المسيح واشركهُ ابوهُ معهُ في الملك في السنة الثانية من ولادتهِ وخلف اباهُ وعمرهُ خمس سنوات · وليس في الآثار المصرية التي كشفت حتى الآن ما يُعلم منهُ كيف استوى على عرش الملك ولا ما هي الحوادث المهمة في ملكهِ فلا بدَّ من الاكتفاء بما ذكرهُ المؤرخون من هذا القبيل

قال بوليبيوس المؤرخ انهُ بعد موت بطليموس فيلوباتر بثلاثة ايام او اربعة اقام اغاثوكليس وسوسبيوس دكَّة واستدعيا الحرس الخاص وقوَّاد الفرسان والمشاة وصعدا على الدكة واعلنا موت الملك والملكة وطلبا ان تحدَّ البلاد عليهما حسب المعتاد ثم وضعا تاجاً على رأس ابنهما ونادیا بهِ ملكاً باسم بطليموس ابيفانس وقرأا وصيَّة مزورةً يقال فيها ان الملك جعلهما وصيين على ابنهِ · ثم اتيا بحقتين من الفضة قالا ان في احداهما رماد الملك وفي الاخرى رماد الملكة · وكانت الحقة الاولى تتضمن رماد الملك حقيقة واما الحقة الثانية فلم يكن فيها شيء

ولما شاع موت الملكة حزن الشعب عليها حزناً مفرطاً لانهم علموا انها قتلت بيد اولئك الاثمة · لكن اغاثوكليس وزَّع على الجند راتب شهرين هبةً واخذ عليهم يمين الطاعة وجعل فيلامون قاتل الملكة والياً على كيرين وسلم الملك لامهِ واختهِ اغاثوكليا واوفد الى انطيوخس ملك سورية يطلب منهُ البقاء على صداقة مصر والى فيلبس ملك مكدونية يستنجدهُ بداعي القرابة لبطليموس · والى رومية واليونان يستدعي المسترزقة منهما . ثم عكف على السكر والخلاعة والفحش في ذلك حتى انَّت البلاد منهُ ومن اعوانهِ

من كل الذين اذوهُ واذوا امهُ فقابل الشعب كلامهُ بالهتاف والتصفيق وذهب الجنود يفتشون عن اغاثوكليس واخته فقبضوا عليه وجروهُ وقتلوهُ · ثم قبضوا على اغاثوكليا واختيها وجردوهنَّ من ثيابهنَّ وجرّوهنَّ عاريات وجرّوا امهنَّ معهنَّ وسلموهنَّ للشعب ففقأوا عيونهنَّ ومزقوا لحمهنَّ تمزيقاً حتى لم يبقَ لهنَّ اثر · وكان فيلامون قاتل الملكة ارسنوي قد عاد من كيرين وعرف بعودته بعض الفتيات اللواتي تربين مع الملكة فهجمنَ على بيته وقتلنهُ رجماً بالحجارة وخنقنَ ابنهُ وهو طفل وجررنَ زوجتهُ في الشوارع عارية وقتلنها · واذا أُطلق العنان للغوغاء فلا حدَّ لفظائعهم ولا سيما في هذا القطر

وجُعل تلبوليموس وزيراً وكان مبذراً متلافاً فانتقلت السلطة من يده الى يد ارستومينس وتحالف انطيوخس ملك سورية وفيلبس ملك مكدونية لما بلغهما موت بطليموس الرابع ونهضا لاسترجاع ما تملكهُ مصر من بلادهما ولاسيما لما علما ان رجالها مشتغلون بانفسهم عن حماية المملكة فنهض فيلبس على بعض الجزائر ومدن الساحل ولكنهُ لم يستطع ان ينجد انطيوخس باسطوله ونهض انطيوخس لاسترداد غربي سورية وفلسطين وكل ما خسرهُ في واقعة رفح فبعث تلبوليموس وارستومينس جيشاً كثيفاً بقيادة القائد سكوباس فدخل سورية واوقع باليهود ثم التقى بجيوش انطيوخس فدارت الدائرة عليه واستولى انطيوخس على اورشليم وسائر مدن فلسطين وغربي سورية . وخاف رجال بطليموس من تقدُّم انطيوخس فكتبوا الى رومية يستنجدونها فارسلت رومية الى انطيوخس تحذرهُ من الامتداد في فتوحه الى مصر وسعى البعض في الصلح بين انطيوخس وبطليموس على ان انطيوخس يزوج ابنتهُ كليوباطرة لبطليموس ويعطيها البقاع والسامرة واليهودية وفينيقيَّة صداقاً

ثم القيت مقاليد البلاد لارستومينس فاحسن سياستها وانقذها من الفوضى والافلاس وردَّ اليها ما خسرتهُ من السلطة فقاومهُ القائد سكوباس المار ذكرهُ فحاكمهُ ارستومينس وحكم عليه وعلى اهل بيته ان يقتلوا انفسهم بشرب السم واستولى على امواله وكانت كثيرة جداً لانهُ كان مشهوراً بالطمع · ورأى رجال السلطنة حينئذٍ انهُ يحسن بهم ان يسلموا الملك ازمَّة الاحكام فيزيد خضوع الشعب لهُ وتنتهي الفتن فاعلنوا انهُ استلم ازمَّتها واحتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً كُتب وصفهُ باليونانية والهيروغلفية والديموتية وهي الكتابة التي وجدت على الحجر الرشيدي وكانت مفتاحاً لقراءة الكتابات المصرية القديمة

وتاريخ الكتابة على هذا الحجر اليوم الثامن عشر من الشهر الثاني من فصل يرت من السنة التاسعة لبطليموس الخامس ويقال فيها ان الكهنة اتوا من البلاد كلها واجتمعوا في منف

احتفالاً بتسليم زمام الاحكام لبطليموس ايفانيس الذي اظهر اكرامهُ للآلهة ووهب النفقات اللازمة لهياكل وتجاوز عن بعض الضرائب وخفّف البعض الآخر واطلق المسجونين وعفا عن العصاة وجهز سفناً وجيوشاً لحماية البلاد وهياكلها وفتح مدينة ليكوبوليس عنوةً بعد ان استولى العصاة عليها وقاصَّ زعماءَهم ووهب الهبات لهياكل التيران المقدسة ورتّب امر دفنها ورمَّم الهياكل والمعابد في البلاد كلها ولانهُ فعل ذلك كلهُ اعتمدوا على ان يزيدوا اكرامهُ واكرام اسلافهِ ويقيموا لهُ تمثالاً في كل هيكل

ويلي ذلك كلام عن كيفية عمل تلك التماثيل وعبادتها وحملها في المواكب . وعن ان يوم ميلاد الملك ويوم تتويجهِ يجب ان يكونا عيدين وطنيين . وان ذلك كلهُ يجب ان ينقش على صفائح من الحجر بالهيروغليفية والديموتية واليونانية وتوضع نسخة منهُ في كل هيكل من هياكل الدرجة الاولى والثانية والثالثة

اما الالقاب التي اختارها بطليموس لنفسهِ او لقبهُ بها وزراؤهُ ومتملقوهُ فهي " الولد الذي نهض مثل ملك الجنوب على عرش ابيهِ . الجبَّار المضاعف القوَّة . مقوي البلادين . مجمّل مصر الطاهر القلب لدى الآلهة محيي الناس . رب مواسم الثلاثين سنة الاله الجميل الحي المنبثق من را ابن ارباب خمانو ابن التاج الابيض وابن التاج الاحمر الذي رضع لبان الالهة رهكات " . الى غير ذلك من الترهات التي كان الكهنة يدجّلون بها على الملوك ويدجل الملوك الكهنة بها على الشعب . وتوجد صورهُ حتى الآن وهو يقدم القرابين للمعبود خونو كما ترى في الشكل الاول او لابساً ملابس الكهنة يطلق البخور امام الالهة كما ترى في الشكل الثاني

وبعد ثلاث سنوات سار بطليموس هذا بموكب عظيم الى رفح لملاقاة عروسهِ كليوباطرة ابنة انطيوخس ملك سورية وتزوّج بها هناك واعطاها ابوها غربي سورية وفلسطين في صداقها لكنهُ ابقى فيهما حامية سورية

وسارت امور البلاد على ما يرام كل المدة التي كان بطليموس يعمل فيها بمشورة وزيرهِ ارستومينس ولكن المتملقين المداهنين صرفوهُ عنهُ واحفظوهُ عليهِ فامرهُ بالانتحار ثم انغمس في الملاهي والملذات

ولم تكتشف آثار كثيرة من عهد هذا الملك لان الثورة التي فشت في الوجه القبلي في السنة السادسة عشرة من ملك ابيهِ لم تخمد نارها الا في السنة التاسعة عشرة من ملكهِ والمرجح انهُ حكم الصعيد في تلك الآونة ملكان وطنيان جعلا كرسي ملكهما في طيبة وهما هرخوتي وانخمخو وكانت مدة ملكهما عشرين سنة



الشكل الاول



الشكل الثاني

على المدفون قبل الترب صونًا وقبل اللحد في كرم الخلالِ

حتى عابوا عليهِ ذلك فقال بعضهم ان وصفهُ ام الملك بالجمال غير مختار . ثم تخلص الى مدح سيف الدولة ورثاء امهِ

أَعود الى موضوعنا الخاص فأَقول ان عيون القصائد في الشعر العربي من باب الفخر . فما من شاعر الاَّ قرأ قصيدة طرفة التي يفتخر فيها بقومهِ واعجب بها وهي التي يقول فيها

سائلوا عنَّا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمّْ

ومن الفخر قول عبيد بن الابرص الاسدي

واني لاطفي الحرب بعد شبوبها وقد اوقدت للغيّ في كلّ موقدِ
واني لذو رأي يعاش بفضلهِ وما انا من علم الامور بمبتدِ

وقول ابي العلاء المعرّي

أَلا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائلُ
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوؤها متكاملُ
يهمُّ الليالي بعض ما انا مضمرٌ ويثقل رضوى بعض ما انا حاملُ
واني وان كنت الاخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائلُ

وقول ابي تمام

انا ابن الذين استرضع الجود فيهم وقد سار فيهم وهو كهل ويافعُ
مضوا وكأَن المكرمات لديهم لكثرة ما اوصوا بهنَّ شرائعُ

وقول ابي فراس الحمداني

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأَن الدهر عني غافلُ
فمثلي من نال الاعادي بسيفهِ ويا ربما غالتهُ عنها الغوائلُ

وقول بشر الاسدي في قومهِ

نعلو القوانس بالسيوف ونعتزي والخيل مشعلة النحور من الدمِ
نحبو الكتيبة حين نفترش القنا طعنًا كإلهاب الحريق المضرمِ

وقول عروة

سلي الساغب المعترّ يا ام مالك اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري
أَأَبسط وجهي انهُ اول القرى وابذل معروفي لهُ دون منكري

وبطليموس الخامس اقل البطالسة شهرة وكان ضعيف الرأي كسولاً كذوباً لا يؤْمن شرُّهُ ولا تصدَّق كلمتهُ عصى عليهِ وجوه ليكو بوليس (اسيوط) ثم امنَّهم فاستأْمنوا لكنهُ خان عهدهُ معهم وعذَّبهم اشد العذاب وعصاهُ غيرهم ثم استأْمنوا فامنهم ولما صاروا في يدهِ ربطهم الى المركبات وجرَّهم في الشوارع ثم عذَّبهم عذاباً اليماً الى ان ماتوا

وسنة ١٨٢ قبل المسيح حاول جمع الجنود والخروج لقتال الملك سلوقس الرابع الذي خلف اباهُ انطيوخس ليسترد منهُ فلسطين وغربي سورية ورأَى وجوه المصريين هذه الحروب عبئاً ثقيلاً عليهم فدسوا لهُ السم فمات مسموماً وعمرهُ ٢٨ سنة وترك ولدين خلفاهُ على سرير الملك

مفاخر اهل الادب

من العجم والعرب

لعلَّ أَبرع شعر نظمهُ العرب جاهليتهم ومحدثوهم انما هو من باب الفخر ولعلَّ اعظم نخيّر فيهم طرّاً ابو الطيب المتنبي اذ لا تكاد قصيدة من قصائدهِ تخلو منهُ · ولو جئت تبوّب الشعر العربي لكفتك اربعة ابواب الغزل والمدح والفخر والرثاء · بل ان القصيدة الواحدة قد تتضمن الاربعة معاً · خذ قصيدة المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة الصغرى فانهُ استهلها بمدح سيف الدولة فقال

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلا تكن الافضل الاعزَّ الاجلاَّ

واتبع الاستهلال باثنين وعشرين بيتاً كلها مدح لسيف الدولة وفيها اشارة خفية الى الحزن والاسى والتعزية والسلوان وغير ذلك مما يتطلبهُ الرثاء · ثم تخلص الى الرثاء ثم عاد يمدح · وخذ قصيدتهُ في رثاء والدة سيف الدولة · فانهُ بدأَها بالفخر بصبرهِ على رزايا الدهر فقال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤَادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصالِ

ثم تخلص الى التغزل بجمالها وخصالها فقال

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمالِ

وبينما هو يمدح منبتها وكرم اصلها يرى من العار ان لا يمدح نفسهُ ايضاً فيقول في بيت واحد

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباكِ الضخم كونك لي أُمَّا

ويقول ايضاً في القصيدة نفسها

لئن لذَّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأَنفهم رغما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي باصعب من ان اجمع الجدَّ والفهما
واني لمن قوم كأَن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

ومن اغرب فخرهِ جمعهُ بين مدح ممدوحهِ ومدح نفسهِ في بيت واحد وهو

شاعر المجد خدنهُ شاعر اللفـ ـظِ كلانا ربُّ المعاني الدقاقِ

وقصيدتهُ المشهورة التي مطلعها

أُطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ

نظمها لمدح احمد بن عامر الانطاكي فجعل معظمها في الفخر بنفسهِ

وليس الفخر من شيمة ادباء العرب فقط بل ترى كتب الادباء في كل عصر وملة موسومة بهِ ولا بدع ان يكون ذلك كذلك ما دام الافتخار بالنفس والاهل والوطن خلة فطر الانسان عليها · وهاك بعض الامثلة على ذلك

قال ارستوفانيس من شعراء اليونان القدماء الذين اشتهروا بكتابة الروايات التمثيلية من نوع الكوميديا عن نفسهِ انهُ افضل شاعر وانهُ يستحق اعظم الاكرام بالمطر الى ما ابدى من الجرأَة في تقبيح المساوىء والمفاسد العمومية والطعن على اصحابها

وقال يوربيدس من شعراء اليونان الذين اشتهروا بنظم الروايات التمثيلية من نوع التراجيديا وقد فاخرهُ متشاعر بكثرة ما نظم " ان اشعارك الكثيرة ستنسى حالاً واما اشعاري فستبقى ذخراً "

وقال هوراس الشاعر الروماني المشهور " لقد نصبت تمثالاً أَبقى على الدهر من تماثيل النحاس وأَفخم من الاهرام· ولست اموت بل أَنمو الى الابد ويكون ذكري جديداً عند الخلق "

وقال ثوسيديس المؤَرخ اليوناني المشهور " كتبت تاريخي ليكون ذخيرة العصور لا مقالة او خطبة يصفَّق لها تصفيق الاستحسان وقتيًّا ثم ينقضي خبرها "

وقال بلينيوس " أَسعد الناس من يتأَكد في حياتهِ ان سمعتهُ طيبة خالدة ويتمتع

وقول الطغرائي

أَبي الله ان اسمو بغير فضائلي اذا ما سما بالمال

وان كرمت قبلي اوائل أُسرتي فاني بحمد الله مبدأ

وقول الفرزدق

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأْنا الى ا

ولا عزَّ الاَّ عزُّنا قاهر لهُ ويسالنا النصفَ الذليل

وتكاد ترى للمتنبي شيئًا من الفخر في كلّ قصيدة من قصائدهِ ولو في

عزم على مدح علي التنوخي فبدأَ بمدح نفسهِ فقال

افكّر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة

زعيم للقنا الخطّيّ عزمي بسفك دم الحواضر

ثم تخلص الى مدح ممدوحهِ · وهكذا فعل في القصيدة التي مدح

فؤَاد ما تسليهِ المدامُ وعيش مثل ما تهب

ودهر ناسهُ ناس صغار وان كانت لهم جث

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذه

ثم تخلص الى مدح ممدوحهِ بعد مدح نفسهِ · وقولهُ في قصيدة مد

ارى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض يجد مرًّا بهِ الماء

وقولهُ

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من

انام ملءَ جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرَّاها

ومن غريب فخرهِ قولهُ

ضاق ذرعًا بان اضيق بهِ ذر عًا زماني واستكرمتني

واقفًا تحت اخمصي قدر نفسي واقفًا تحت اخمصيَّ

وكان يرثي جدّتهُ وقد غلبهُ الاسى فلم ينسَ نفسهُ فبينما هو يقول

حرام على قلبي السرور فانني اعدُّ الذي ماتت بهِ

تراهُ يقول بعد ذلك بعدة ابيات

فاصبحتُ استسقي الغمام لقبرها وقد كنت استسقي الوغى وا

ولم يمنع الفلاسفة حبّهم للحكمة من حبهم للفخر والفخفخة بل ان اكثر الكتّاب فخرًا شوبنهور الفيلسوف الالماني فانهُ كان يهزأُ بكتابات معاصريهِ من الفلاسفة مثل فختي وهيجل وشلنغ ويقول عن هؤلاء الفلاسفة انهم طبول فارغة ومشعوذون . وترك كتابًا بخط يدهِ عنوانهُ "انا" وملؤهُ دعوى وغطرسة . وفيهِ مقالة في تاريخ الفلسفة خصَّ منها فصلاً بذكر محاسن فلسفتهِ وفضائلها فقال "وسيعلم الناس بعد موتي ان كلَّ ما كتبهُ غيري من نوع ما كتبتهُ انا انما هو قول هراءٍ . فقد اعلمت الناس اموراً شتى بهذا الصدد لن ينسوها وسيبقى ما كتبتهُ أبد الدهر". ولا ينكر ان فلسفة شوبنهور من الطبقة الاولى ومن رأْي كثيرين انها تستحق مفاخرهُ

واختم هذا المقال بقول الشاعر الروماني مارسيال "كلما قلّت بضاعة الشاعر وركّت عبارتهُ كثر فخرهُ" فاذا صحَّ ذلك كان المتنبي اقل الشعراء بضاعة واركهم عبارة لانهُ اكثرهم فخرًا ولكنهُ ليس بصحيح لانهُ اشعر من نطق بالضاد بلا خلاف . ويظهر مما تقدم من المفاخر ان شعراء العرب الذين ذكرتهم لم يكادوا يفتخرون بغير نسبهم وكرم عنصرهم وشرف منبتهم وبسالتهم ولم يفتخر بادبهِ منهم سوى المتنبي . واما شعراء العجم الذين نقلتُ ما نقلتُ من الامثلة المتقدمة عنهم فانما افتخروا بما كتبوهُ وصنفوهُ ولم يشر احد منهم الى اصله وفصلهِ فهم وشعراء العرب في ذلك على طرفي نقيض (ن . ش)

حقوق الامم

(٣) حقوق الحكومات وواجباتها

الحكومات مثل الافراد لها حقوق وعليها واجبات

فكما ان الفرد الانساني يحلق مكتنفاً ببني جنسهِ وبعادات وظروف لا بدَّ لهُ من تكييف معيشتهِ بموجبها كذلك الحكومة وسط الحكومات الاخرى لها ان تطالب بحقوق يقضي بها عليها مجرّد وجودها كما ان عليها واجبات لا بدَّ من العمل بها واتباعها اذا شاءت ان تحافظ على كيانها

اما حقوق الحكومات فكثيرة عدّدها بعض المؤلفين وحصرها ولم يقيدها البعض الاخر بروابط بل اكتفى بوضع مبدإٍ عمومي تستنتج هذه الحقوق منهُ

وقال دانتي الشاعر الايطالي ان اسمهُ ومؤَّلفهُ سيكونان عظيمين خالدين

وقال ملتون الشاعر الانكليزي وصاحب "الفردوس المفقود" و"الفردوس المردود" انهُ انما كتب للاجيال المقبلة

وقال شكسبير المشهور "لا الرخام ولا التماثيل المذهبة التي تنصب للامراء تبقى بقاءَ قوافيَّ المتينة"

وكان سرفنتس الاسباني صاحب المؤَلف المعروف باسم "دون كيشوت" يلوم معاصريهِ على كسلهم وتراخيهم ويقول "كلٌّ من ينمُّ شعرهُ عليهِ ويدلُّ على انهُ شاعر يجب ان يعجب بنفسهِ ويصدّق المثل القائل من يظنُّ نفسهُ خبيثاً فهو كذلك"

وتلا جونسن الكاتب الانكليزي على مسمع جولد سمث الشاعر الانكليزي بيتاً من ابيات اوفيد الشاعر الروماني ترجمتهُ "لعلَّ اسماءَنا تمتزج باسمائهم" اشارة الى انهُ يعتقد ان سيكون لما يتركهُ هو وصديقهُ من الآثار الادبية ما لمنظومات اوفيد من الشهرة

وشرع المستر كليمنس الكاتب الاميركي المشهور الذي انتحل اسم "مارك توايْن" في كتابة تاريخ حياتهِ على ان ينشر بعد موتهِ وصدّرهُ بمقدّمة اكثر فيها من الفخر فقال: —

"غايتي ان يكون هذا التاريخ انموذجاً ينسج على منوالهِ من يكتب سيرة حياتهِ. وان يقرأَهُ الناس ويعجبوا بشكلهِ وطريقتهِ قروناً طوالاً. وقد بني على اساس اردت ان يكون على تمام الاختلاط والارتباك. ولا ينتهي حتى اموت. ولو اني وقفت اتلو على كاتب الخط المختزل ما يجول في صدري ويجول في خاطري ساعتين كلَّ يوم مدة مئة سنة ما سطّر عشر ما رأَيت وخبرت من الامور المهمة في هذا العمر

وقد قلت لصديقي هولس ان هذا التاريخ يعيش الفي سنة عفواً بلا جهد ولا كلفة ثم ينتفض ويجدّد شبابهُ ويعيش ما بقي من الزمان. فوافق صديقي على قولي وقال انهُ يعتقد اعتقادي وسأَلني عما اذا كنت انوي ان اجعلهُ مجلدات كثيرة فأَجبتهُ ان هذا غرضي ولكنني اذا عشت طويلاً لا تسع مدينة مجلداتهِ بل تقتضي بلاداً باسرها. ولا يستطيع رجل من ارباب الملايين الكثيرة مشتراها كلها الاَّ اذا دفع ثمنها اقساطاً مقسطة. فأَمَّن صديقي على كلامي وأَطنب في مدحي ونِعْمَ ما فعل اذ لو لم يفعل ذلك لقذفت بهِ من الشباك. فاني احب الانتقاد بشرط ان يكون على مقتضى هواي"

أَقول والذي يعرف انطباع مارك توايْن على الهزل والمزاح في كتاباتهِ يعلم ان ما ابداهُ من الادعاء في هذه المقدمة انما هو هزل في معرض الجد

القوي واختلفوا في القاعدة التي يجب تطبيقها لكي تحصل كل حكومة على قوة معلومة اذا تجاوزتها تصبح خطرًا على جاراتها الحكومات الاخرى · فقال البعض بوجوب وضع مبدإ الجنسية اساسًا لهذا التوازن فلا يدخل تحت حكومةٍ واحدة الّا شعب من جنس واحد فاللاتيني يخضع لحكومة لاتينية والسلافي لسلافية والجرماني لجرمانية . وقال البعض بوجوب عقد محالفات بين الحكومات فتنقسم الدنيا الى محالفتين او ثلاث تحفظ التوازن فيما بينها · على ان في مثل هذه الآراء تحيزًا ظاهرًا من الاوربيين لاوربا وعدم اعتدادهم بما سواها من القارات · فهم يمنعون بعضهم البعض عن الاخلال بالموازنة الاوربية ضمن قارة اوربا ولكنهم لا رادع لهم ولا نظام يسيرون عليهِ في معاملاتهم مع الامم الشرقية والاميركية وظلّوا على هذا الاستبداد — استبداد القوي بالضعيف — الى ان قامت الولايات المتحدة ووضعت حدًّا لمطامعهم فوقفوا دون الوصول الى اميركا الشمالية ثم قلدتهم الولايات المتحدة فوضعت مذهب منرو المشهور رادعًا لاوربا ضامنًا كل ما يسمى باميركا للولايات المتحدة· وطمع الجميع بالشرق اقصاهُ وادناهُ الى ان وقفت اليابان في وجوههم اخيرًا ولكن المجال لا يزال فسيحًا امامهم فالشرق كلهُ ما عدا اليابان لا يزال مطمح ابصارهم

هذه الحوادث الواقعية مما يؤيد قول القائلين بعدم وجود نظام للحقوق يعمل بهِ غير نظام القوة والجبروت وهو قول صحيح من بعض وجوهِ وموافق لمبدإ الكون الاصلي اي مبدإ النشوء والارتقاء وغايتهُ بقاء الاصلح · فلا ريب ان القوي ادبيًا وماديًا سيظلّ غالبًا ظافرًا الى ان يقوى الضعيف وينشط ويصبح مثل القوي وذا تساويا طلبت المسالمات واكتفى كلٌّ بما لديهِ او يصبح الكل شركاء على التساوي في هذا الكون وربما كان الكون جاريًا نحو هذا الغرض فيجيء يوم يصير الناس فيهِ متضامنين لا حاجة تقسيم غير الانسانية فلا يكون هناك شرقي وغربي وانكليزي والماني وفرنساوي يسعى كلٌّ منهم الى نكاية الآخر والايقاع بهِ ولا يرى الخير الّا اذا كان في بني جنسهِ ولا يعمل الّا لهُ فان هذا الداء داء التعصب للجنسية ذميم لا يفرق بشيءٍ عن التعصب الديني وليس هو الّا آلة للوجود اساسهُ الانسانية · بل ليست هذه الجامعات الجنسية بافضل من اخواتها الدينية بشيءٍ اللهمّ الّا اذا كان بقليلٍ من اتباع المعقول وما يوحيهِ العقل ولكنها مع ما يحتويهِ هذا الكون من جمعيات تتألف تلك لغرض سياسي وهذه لخيريّ كالماسونية وما شاكلها ليست الّا بعض مظاهر تقتضيهِ المنافسة في البقاء والمحافظة على الوجود · كلٌّ ذلك مبنيٌّ على العمل للنفس والايقاع بالغير حالة اقتضتها فطرة الانسان الاصلية

الجميع متفقين في المبدإِ ولكنهم يختلفون في تطبيقهِ اذ يغلب على معظمهم داء التحيز للجنسية فيدخل ضمن حقوق الحكومات ما تدّعيهِ حكومتهُ ويخرج ما تخرجهُ

والحقيقة التي لا ريب فيها والتي يجب النظر اليها خالصةً من اختلاف المؤلفين السطحي ومن ضعفهم الطبيعي ان مجرّد وجود الحكومات هو اساس حقوقها وواجباتها

يخلق الانسان في بلدٍ بين اهلٍ ومعارف واجانب فتخلق معهُ عند ولادتهِ حقوق اقتضاها مجرد ظهورهِ في هذا الكون كذلك الحكومة فان مجرد وجودها هو اصل ما لها من الحقوق فتكتسب ما يسمونهُ حق الوجود. ومن حق الوجود هذا تتفرع حقوق اخرى يمكن قسمتها الى قسمين يجمعان كل ما أجمعت الثقات على وضعهِ في هذا الباب — حق المحافظة على الكيان وحق الحرية

حق المحافظة على الكيان . للحكومة ان تتخذ جميع الوسائل التي تؤدي الى انماء ثروتها وزيادة رفاهية افرادها. لها ان تتسلح استعداداً للطوارئ الخارجية والداخلية. وان تشيّد الآثار الفنية او العلمية وترغب الناس في الاقبال على مدارسها فيعظم نفوذها. وان تمنع سكان بلادها من المهاجرة الى الخارج اذا رأت في ذلك ضرراً يعود عليها بشرط ان لا تمسّ حرية الافراد الشخصية. وان ترغب الاجانب في المهاجرة الى ربوعها والتجنس بجنسيتها وان تزيد موارد التجارة في الداخل والخارج. و بالاختصار ان تعمل كل ما يعملهُ الفرد محافظةً على وجودهِ وتطلباً للنجاح والارتقاء

وليس حق الدفاع عن النفس الاّ واسطةً من وسائط المحافظة على الكيان فعلى الحكومة ان تدفع القوة بالقوة وتردّ جنود المهاجمين والفاتحين والغزاة اذا مسوها بسوءٍ وان تحتاط بالقوة المادية لردّ كل ضرر يلحق بتجارتها او صناعتها او شرفها

ومن حقوق المحافظة على الكيان حق حفظ السلم والنظام العام داخل الحدود . فلها ان تزيد عساكرها او تقلل عددهم متخذةً في ذلك الطرق التي تختارها من تقوية الحربية او البحرية او انقاص هذه وزيادة تلك كما ان لها ان تنفي من شاءت من ضمن دائرة نفوذها اذا رأت ان وجودهُ فيها يدعو الى انشغال بالها وزوال اطمئنانها. وقد توسعت الحكومات في المحافظة على هذا المبدإِ مبدإِ حفظ السلم فجعلتهُ يتعدى حدودها الى حدود غيرها لا بل حصرت كلّ قواها في المحافظة عليهِ . وليست هذه المزاحمة في تجييش الجيوش واعداد معدات الهلاك برّاً وبحراً الاّ نتيجة حق المحافظة على الطمأنينة في الداخل والخارج

ولقد اجهد رجال السياسية عقولهم وافنى رجال الحرب رجالهم في المحافظة على الموازنة في

هذا مجمل ما يمكن ذكره من حقوق الحكومات٠ وسننظر في واجبات الحكومات اذ لا بد لمن كانت لهُ حقوق ان يكون عليهِ واجبات اولية ضرورية توجد معهُ عند وجودهِ

سامي الجريديني
محامٍ



ديوان الرافعي

اصدر الشاعر النابغة مصطفى افندي صادق الرافعي الجزء الثالث من ديوانهِ وجعلهُ تمام هذا الديوان ليستأنف الشعر بعد ذلك منطلقًا من هذه القيود التي اخذ بها نفسهُ تقليدًا لغيرهِ من المتقدمين كترتيب الشعر على ابواب معروفة والنظم في طرق مألوفة ونحو ذلك٠ والشعر العربي لو وجد من يجعلهُ في هذا العصر كما حوّلهُ نوابغ المولدين عن زمن الجاهلية الى حالة عصورهم من الرقة والتفنن لساوى بذلك الشعر الافرنجي بل فاتهُ في اشياء كثيرة هي من مميزات اللغة العربية

وذلك هو النمط الذي اخذ الرافعي على نفسهِ إحياءهُ في الشعر العربي ولعلهُ يوفق بما اوتيهِ من توقد الخاطر ورقة الشعور والثبات الى الدأب على ذلك او بعضهِ

اما الجزء الذي بين ايدينا فقد افتتحهُ بمقدمة بليغة في "نوع من نقد الشعر" استهلها بقولهِ "الشعر تصوير عالم حي من المعاني والالفاظ فالمجيد من جعلهُ مختصرًا من صورة العالم كلهِ ولا بد فيهِ من شعاع من الروح اذا تجردت لهُ النفس امتزجت لطافتها بلطافتهِ" ثم قال انهُ ينظر الى نقد الشعر من هذه الجهة التي يتمثل فيها حيًّا من الاحياء تتنازع انواعهُ البقاء٠ وافاض في طبقات الشعر ودرجات الشعراء باعتبار القوة الادبية فيهم وقال في خلاصة ذلك "فاذا لم يكن فكر الشاعر عند ارادتهِ ولم تكن ارادتهُ عند اتجاه عواطفهِ أُخذت عليهِ منافذ القول فاختل واضطربت جهات رأْيهِ فانحل وصار من نضوب المادة في آخرة امرهِ كمن يكتب بقلم ليس عليهِ الاَّ مسحة من ردع المداد فكلما كدَّهُ جمد وكلما هزهُ ركد فاذا كتب مع ذلك جاء الحرف مفرق الجهات لثيماً في الحروف فلا هو كتابة ولا هو

حق الحرية · قلنا ان حقوق الحكومات يجمعها حقَّان — حق المحافظة على الكيان وحق الحرية وقد اوفينا الكلام عن الاول حقهُ

اما حق الحرية فحقٌ اوليٌّ ضروريّ لا بد منهُ للحكومة اذا قصدت ان تتم وظيفتها القانونية وسط الحكومات الاخرى فبدون الحرية لا تكون المسؤولية وبدون المسؤولية لا يجوز لها ان تكون عضواً في المجتمع الاممي ويستنتج من اعطاء الحكومة حق الحرية حصولها على حقوق السيادة الداخلية والسيادة الخارجية

فبالسيادة الداخلية تضمن لنفسها حق التشريع ووضع الدستور لهيئة حكومتها الادارية وسن النظامات القضائية وتنفيذ احكامها ووضع النظام المالي والاداري والصحي وكل ما من شأنهِ راحة الرعايا في علاقاتهم بعضهم ببعض ضمن حدود ملكهم وليس لحكومة اخرى ان تتعرض لها فيما تصنعهُ من هذا القبيل ما زال لا يسري الاَّ في ارض واضعة القانون وعلى رعاياها

وبالسيادة الخارجية تضمن الحكومة لنفسها ملءَ حرية التعامل مع الحكومات الاخرى فتكون مثلهن على السواء كبرت عنهنَّ او صغرت لا فرق في ذلك · فلا تتعرض حكومة لنظام الحكومة الاخرى الداخلي بل يجب ان يعتبر كلٌّ ما يسنهُ الاخر وما يقررهُ وان كان يخالف هذا ذاك · على ان هذه السيادة الخارجية قد تؤدي الى ما لا تحمد عقباهُ بين الحكومات وخصوصاً فيما يختص بمحاكمة حكومة لرعايا حكومةٍ اخرى في محاكمها فقد يحدث ان هذه تطلب بموجب السيادة الخارجية التي لها ان لا يُتعرض لرعاياها اينما كانوا وتلك تطلب الامر نفسهُ ضمن حدودها وكلاهما مصيب فيما يدَّعي · ولا حاجة لنا الآن ان نبحث في هذا الموضوع التضائي المحض بل نكتفي بالقول ان معظم الحكومات يربطها بهذا الشأن معاهدات تعقدها الواحدة مع الاخرى وتسير عليها وليست امتيازات الاجانب والمحاكم المختلطة في هذا القطر الاَّ مظهراً واحداً من هذه الحالة

وقد توسع المؤلفون في تطبيق حق الحرية فادخل المؤلف الانكليزي "السر فردريك تويس" والفرنساوي "بونفيس" حق الاحترام وحق المساواة وحق التجارة تحتهُ وقالا ان كل حكومةٍ عليها ان تحترم الاخرى مثل احترامها لنفسها اولاي حكومة ثانية لا فرق في هذه الحكومة قوية كانت او ضعيفة غنية او فقيرة وان يتساوى الكل في المعاملة الدولية فلا يقدَّم مندوب حكومة على اخرى وان لا تعطي حكومة حقاً تجارياً لا يعطى لاخرى الاَّ اذا كانت احدى الحكومات تمنع صنف تجارةٍ لحكومة اخرى تمنع صنفاً آخر

فيهِ من صدعِ الهوى اثرٌ هو بابُ الهمّ والشجنِ
اغرقتهُ الحادثات الى ان رماهُ شاطئُ الزمنِ

وقال في حالة مصر الاجتماعية سنة ١٩٠٥

ومما يزيدُ الهمَّ لهفاً وحسرةً تصايحُ فتيانٍ بنا ان نقدَّموا
يريدون ان يجري الى مُرتقى العلى رجال ضعافٌ ان جروا يتحطموا
ويبغون ان نرقى وهاتيك حالنا وما عندنا الاَّ لأَسفل سُلَّمُ
كمن يكرهُ الاطفال ان يحفظوا الذي يكلمهم من قبل ان يتكلموا

وقال ايضاً في هذا المعنى

تُعوِزنا الاخلاق نسعى بها فلا يُرى مقبلنا مُدبرا
للجند مهما ظفروا كسرة وعسكر الاخلاق لن يُكسرا

وقال في سقوط الخير بين الناس

الدهر في هزَّتهِ ضاربٌ من اهلهِ الآخر بالاولِ
والناس في كفيهِ قد اشبهوا ما نخلتهُ ربة المنزلِ
فالخير يهوي وحُثالاتهم تُمسكها دائرة المنخلِ

وقال في اصحاب هذا الزمان

ان اصحاب ذا الزمان اذا ما أَملوا الخير ساعدوك على الهمّْ
فاذا لم يؤملوك تخلَّوا عنك والدهر قد بنا وتجهَّمْ
كنساء ينحنَ « مستأْجرات » كل صوت ودمعتين بدرهمْ

وقال في الطبيعة

روحي لماذا لم اكن طائراً في شجر الجنات بين الحمامْ
روحي لماذا لم اكن في السما او ملكاً يسبحُ بين الغمامْ
روحي لماذا لم اكن قطعةً من الضيا او قطعةً من ظلامْ
فكل ما لله تدبيرهُ اسعد مما فيهِ ايدي الانامْ

وقال وقد دعي الى محفل لاحدى مدارس البنات

ارى فتيات كالغصون وانما تنزَّههن ان تلوي بهنَّ النسائمُ
اراهنَّ كالالماس فضلاً وانما مدارسنا هذي لهنَّ مناجمُ
واحقر شيءٍ في يد البنت ابرةٌ ولكنها لم تغنِ عنها الخواتمُ

محو . " وعلى هذا المثال جرى في هذه المقدمة وتناول فيها كثيرًا من ا
بهِ هذا الديوان على كل ديوان آخر مقدماتهُ التي صدّرت بها اجزاؤُهُ ال
ويلي ذلك الابواب التي نظم فيها وهي التهذيب والحكمة والسائيات
والنسيب وباب الاغراض والمقاطيع . والذي يلقي نظره على اجزاء ديوا
الجزء الاول تصوير الشعور وانسجام التعبير وفي الثاني سمو المعنى واحكام
دقة الوصف والخيال وقوة الابتكار والتفنن وللناس في الشعر اذواق لا تت
ومن بدائع هذا الجزء الاخير قوله في فلسفة الحياة والجود

فأعدد همّة الغد كل يوم فما الدنيا سوى يوم ا
وما غير العظائم باقيات يكرر ذكرها في كل
كساعات الزمان تنال ذكرًا وما الاهمال الاّ لل
تجدُّ النفس في الدنيا لتبقي لها اثرًا على ارض الز

وقوله في الطبيعة والناس

إخوةٌ كالغصون ينبتها الجذ ع قصارًا تكون تحت
أيهذي النفوس ملت عن الفطرة م حتى بليت بالا
الثرى ينبت الحبوب جزافًا والورى يقسمون با

وقوله في قلب المرأة من ارجوزة طويلة

وقلب ذات الحسن في اعتباري صحيفة من صحُف ا
اكثر ما تكتب « باحمرار » في لغة الاخيار وا
سطورها اشعة الابصار توقيعها من الاله
عنوانها الى القضاء الجاري مفادها سرٌّ من ا
يجمع بين الصفو والاكدار

وقوله في وصف قِصر الليل من ابيات عنوانها شمس الربيع

والليل مثل السفين باتت يهزها الموج لاند
فلم تكن ساعةٌ واخرى حتى أتى الفجر بالش
ولاحت الشمس من بعيدٍ كأنها قبلة الو

وقوله في وصف القلب المتعب

ليَ قلبٌ كلهُ صدأٌ من غبار الهجر وا

" ابتسامة طفل " واخرى في " واجبات الزوجة " واخرى في " المرأة والملابس " . وقد جاء في مقالة " واجبات الروجة ما يأتي

" ولقد جرى اكثر الناس ولا سيما الشرقيون على تهذيب بناتهم تهذيباً سطحياً لا يتجاوز صقل الظواهر الخارجية فتبدو لعين الشاب لامعة تنبئ بصفاء جوهر النفس وحسن استعدادها ولكن ذلك لا يثبت تحت محك الامتحان فاحرِ بالفتاة ان لا تتخذ الجمال اساساً لبناء مستقبلها ولا تكتفي باللباقة ومعرفة آداب المعاشرة رأس مال لنجاحها وسعادتها ولا ان تجعل العناد والتسلط وسيلة لنيل امانيها وتحقيق رغائبها بل تعتبر ان الزواج عبارة عن ضحية تقدم لهُ نفسها بجملتها فمن كانت لا تقوى على ذلك او تأسف على نفسها ووقتها وقلبها وافكارها ان تضحيها على هذا المذبح المقدس فخير لها ان تبقى عذراء فتنقذ بذلك رجلاً من العذاب واولاداً يشاطرونهما المصاب والشقاء

" وينبغي على الزوجة ان تحفظ اسرار زوجها فان ذلك من مقتضيات الادب والتيقظ التي تعود على رجلها بالفائدة وعليها بالاحترام فان شقشقة اللسان من اعمال الطيش ونتيجتها الخسران والكلمة التي ينطق بها صاحبها تملكهُ واما التي يحفظها فيملكها

" ولا بد من الفكاهة بالحديث فان الابتسام زينة الكلام وهو لازم للحياة لزوم الملح للطعام ولكن مع الحذر خوف ان يقع ذلك في غير محلهِ فتكون النتيجة لطمة لشعائر الروح وداعياً لفتح جراب ملازمهِ وعذابهِ

" وافضل صفاتٍ في المرأة الاقتصاد فانهُ مدعاة الراحة والثقة بين الروحين وهي كلما زادت بالحرص والتوفير زادها في البذل والعطاء لانهُ يعلم حينئذٍ ان امواله لا تذهب من يدها عبثاً وان ما تذخرهُ من المال يحفظ لهُ ولاولادهِ وبعكس ذلك متى رآها مائلة نحو البذخ والزينة فانهُ لا يلبث ان يقتر عليها ويشكو دهرهُ ابداً لديها فلتجتهد ان تكتسب ثقتهُ بتوفيرها ورصانتها وان تجذب رضاهُ وارتياحهُ بتدبيرها وحسن نظام معيشتها فان الدعة والسلام مع المعيشة البسيطة اجمل جداً من كافة زخارف العالم يتبعها التعب والخصام "

وختمت العدد الاول برواية عنوانها " جزاء الاحسان "

والمجلة شهرية وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و ١٢ فرنكاً خارجه . وهي مكتوبة بلغة سهلة ممتنعة كما يظهر لقارئ النبذة المتقدمة ومطبوعة طبعاً جميلاً . ومهما تقل في مدح اجتهاد صاحبتها وغيرتها على الآداب فلا نبالغ . اكثر الله من امثالها

وقال

تالله ما الوردة قد اصبحت ترشف من ريق ا
واختبأت ما بين اوراقها ريح كنفح الزمن
وما العيون النُجل قد كحلت من اثمد الحسن
وانبعثت ما بين اجفانها اسرار حد الصار
ولا شفاه الغيد قد اطبقت على ابتسام كان
واحتبس الوجد بها قبلةً لولا الحيا قد نالها
ما كل ذا مشبهٌ قلبي وما أطهر ما في القلب

وفي هذا القدر كفاية فانهُ يكفي لوصف هذا الشعر ان يقال انهُ
الديوان من المكاتب الشهيرة في مصر وثمن كل جزء خمسة غروش وا

دليل لبنان

اتحفنا حضرة الفاضل عزتلو ابرهيم بك الاسود صاحب جريد
متصرفية لبنان سابقاً بكتاب " دليل لبنان " وهو يحتوي على كل ما
متصرفيهِ ووصف اقلامهِ ودوائرهِ واقضيتهِ ونواحيهِ المختلفة وجرائد
ومناظرهِ الطبيعية واقليمهِ وصناعتهِ وتجارتهِ وزراعتهِ وغير ذلك . وفيهِ
عمومية مثل الاستحمام ومعالجة لدغ الافاعي والحشرات وحفظ الفاكهة
الدول البحرية والامتيازات الاجنبية في الممالك العثمانية وترتيب ال
البوستات وخطوط البواخر المختلفة واسماء المحامين والاطباء في لبنان .
ما تقدَّم مما يضيق المقام عن الاشارة اليهِ فضلاً عن تعدادهِ
وثمنهُ ريال مجيدي في سورية وخمسة فرنكات في الخارج

فتاة الشرق

اهدت الينا حضرة الاديبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم العدد الاول
روائية انشأتها وسمتها " فتاة الشرق " . وقد تصفحناهُ فوجدنا فيهِ مقا
حضرتها من البراعة في الانشاء . ففيهِ مقالة في " رجال الشرق والا

البارلمنت مؤلفاً من ثلاث مراتب — الاكليروس والاشراف والعامة "

تربية النحل

ألّف هذا الكتاب المفيد شابٌ من شبان مصر المجتهدين المشتغلين بما ينفع والمبتعدين عما يضرّ وهو حضرة الاديب محمد افندي نجيب شاهين سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية في الوجه القبلي سابقاً . استعفى من هذه الوظيفة للاشتغال بالزراعة مستقلاً فكان هذا الكتاب باكورة ثمرات اجتهادهِ . وقد اهداهُ الى صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا عمّ الجناب العالي ورئيس الجمعية الزراعية الخديوية . وبحث فيهِ في النحل وتاريخهِ الطبيعي وانواعهِ وغذائهِ واطوارهِ وخلاياهُ وطرودهِ وعسلهِ وشمعهِ وفرز العسل واشمع وسائر ما يتعلق بهذه الصناعة والكتاب نفيس لا غنى لمربي النحل عنهُ وقد زين ببعض الصور ونقلنا فصلاً منهُ في باب الزراعة . فنثني على اجتهاد مؤلفهِ

الاسلام

THE RELIGION OF ISLAM (1)
By the Rev. F. A. Klein.

الدكتور كلين معروف في هذه العاصمة وفي بلاد الشام بانهُ من العلماء المدققين اقام في بلاد الشام احدى وثلاثين سنة وفي هذا القطر احدى عشرة سنة وقد كان عارفاً بالعربيَّة مطَّلعاً على كتبها جمع فيها مكتبة واسعة استخلص منها هذا الكتاب وتوفي قبل ان يطبعهُ فطبعتهُ جمعية التبشير الكنسية في بلاد الهند . وفيهِ شرح مسهب لاصول الدين وعقائد الايمان وقواعد الفقه او علم الاصول وهو بالانكليزية متناً وشرحاً ولكنهُ يذكر الحدود والاقتباسات بالعربية ولعلهُ اصح كتاب في هذا الموضوع نشر في اللغة الانكليزية لانهُ يستند فيهِ الى اشهر الكتب والشروح العربية الموثوق بها . ومما يؤسف عليهِ انهُ لم يطلع على مسوداتهِ رجل عارف بالعربية فوقع في كلماتهِ العربية كثير من الخطإِ المطبعي والتحريف وهو لا يخفى على علماء العربية ولكنهُ قد يخفى على غيرهم فحبذا لو عني طابعوهُ باضافة اصلاح خطاءهِ

(1) Messrs. KEGAN PAUL, TRENCH, TRUBNER & Co. Ltd. 43, Gerrard Street, Soho, London, W. *Publishing Price: 7/6.*

اساس الشرائع الانكليزية

عرّب هذا الكتاب من الانكليزية حضرة الكاتب الاديب ...
حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية ...
في النورمنديين وعهد الاقطاعات من سنة ١٠٦٦ — ١١٥٤ ومجلس ...
والبارلمنت وسلطة آل تيودور وظلم آل ستوارت والثورة الانكليز...
جاء في الكلام على البارلمنت

"كان مجلس الحكماء مؤلفاً من عقلاء الامة الذين يساعدون ...
والتشريعية وكان احترامهُ احتراماً للامة · وكان المجلس الكبير لعهد ...
بلانتجنت مؤلفاً من زعماء المزارعين اي الشرفاء وحدث احياناً ...
المزارعين الذين استقطعوا الارض من اولئك الزعماء · وكان البار...
ايضاً ينتدبون شخصيًّا الى المجلس وكان شيوخ الولايات (الشرفاء)
وزعماء المزارعين الصغار كلهم او العدد الممكن منهم لحضور المجلس ...
البارونات زمام الحكم من يد الملك يوحنا العاجزة اشتمل المجلس ا...
اربعة نواب من كل اقليم وزعيم ذلك الاقليم وجميع الملاك ولكن لما ...
واضطرت الامة ان تحارب لتأييد "اللائحة الكبرى" اصبحت ...
وغير ثابتة وعند حدوث ازمة شديدة وخصوصاً عند جباية ضريبة ...
المجلس قوميًّا اي نيابيًّا اكثر من العادة ومن ثم ابتدأ (المجلس ا...

وفي عام ١٢٩٥ انعقد البارلمنت بامر ادورد الاول اذ كانت ...
فيها من المشاكل واذ احتاج اموالاً غزاراً · وكان على شكل البار...
جميع الاكليروس الشرفاء وكبراء البلاد (الذين كانوا يؤلفون الم...
والاكليروس غير الشرفاء وحينئذ هيأ كل شيخ (شريف) فارسين ...
ولايتهما واخيراً كان يحضر البارلمنت وطنيان من كل مدينة ورجا...
وهكذا كان البارلمنت في سنة ١٢٩٥ ممثلاً الامة التي دام الملك ...
وان يسن لها شرائع

وكان البارلمنت لعهد ادورد الاول مؤلفاً من نواب كنواب ...
مضافاً اليهِ بعض نواب خصوصيين من الاكليروس الذين ليسوا ...

والراحة لا بدّ منها للجسم لانها ناموس طبيعي لا يتغير فاذا لم ينل حاجتهُ منها ابتلي بالاسقام فيستدعى الطبيب حينئذ فاذا شئي عدّ المرض امرًا لا بدّ منهُ بدلاً من ان يعدّ امرًا يمكن اتقاؤُهُ قبل وقوعهِ . وقد اشتهر عن كثيرين من كبار ارباب الاشغال العقلية انهم عرفوا كيف يستريحون بعد التعب فلم تؤْذهم كثرة الاشغال ولا اضرت بصحتهم . يروى ان اديصن الاميركي صاحب المخترعات المشهورة في الكهربائية يشتغل ساعات كثيرة بلا انقطاع ثم اذا احسَّ بحاجتهِ الى الراحة ترك الشغل تمامًا وجلس للطعام وبعد ما يتناول طعامهُ تقرأ لهُ قصة مسلية قبل النوم وهكذا على التوالي

ويروى عن المستر برايان الذي رشح مرارًا لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية وزار القطر المصري في اوائل هذه السنة وخطب في الكنيسة الاميركية — انهُ يدرك قيمة الراحة ويعرف كيف يحصل عليها . فقد ذكروا انهُ لما رشح لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٩٦ دار في الولايات يخطب خطبًا لا تحصى في بيان محاسن سياستهِ والحضّ على تأْييدهِ والاخذ بناصرهِ وبقي متمتعًا بالصحة التامة مع كلّ ما لقي من التعب والمشقة . والسبب في ذلك انهُ كان اذا طلب النوم نام في دقيقة او دقيقتين واذا طلب الراحة بعد الشغل انقطع عنهُ بتاتًا

وقد سمَّى شاعر الانكليز شكسبير النوم "افضل غذاء في وليمة العمر" وهي تسمية لا يدرك صحتها ولا يفقه معناها الاَّ من تولاَّهُ الارق مدة من الزمان . والارق ليس مرضًا بنفسهِ بل عارض غير طبيعيٍّ سببهُ اختلال توازن الجسم وعلاجهُ الانتباه لقواعد الصحة وقد يعالج بالمنوّمات ولكنَّ النوم الطبيعي خير من النوم الصناعيّ بما لا يقاس وذلك لان الاول يفضي الى تجدّد المادة والقوة اللازمين لقوام الجسم ولكن الثاني يخدّر الحواس بغير ان يمكن الجسم من اتمام عمل التجديد

والارق نوعان فمنهُ ما ينشأُ عن الافراط في شرب المنبهات وقلة الرياضة البدنية او زيادتها وعدم انتظام اوقات النوم وسوءِ الهضم وكثرة الهموم والشاغل . وعلاج هذا النوع منع هذه الاسباب فلا حاجة فيهِ الى طبيب . ومنهُ ما ينشأُ عن داءٍ في الجسم فتجب مشاورة الطبيب حينئذٍ ولكن تنظيم امور المعيشة مفيد في الحالين

وكثيرًا ما ينشأُ الارق عن خلل في الجسم مع استعمال بعض العادات المضرة كما اذا اصيب احد بضعف عصبيّ واكثر من شرب المنبهات فلا تنجع المخدّرات فيهِ بل يجب عليهِ ان ينام نومًا كافيًا منتظمًا ولا يطيل السهر وان يأْكل طعامًا بسيطًا مغذّيًا ولا يحمّل معدتهُ فوق طاقتها . وان يستحمّ في مواعيد محدودة . وان يستعمل الحقن بالماء السخن ثلاث

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية ا
والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النوم والارق

من اعظم نعم الطبيعة على الانسان قدرتهُ على التمتع بالراحة بعد
الحياة ومشاغلها بعد انهماكهِ بها . فان هذه النعمة من اعظم الادلَّة
النفس واهوائها ومن اعظم البواعث على حفظ الصحة وبالتالي على التمـ
يحفظ الاصلح للبقاء من الناس طوعاً لناموس الانتخاب الطبيعي المشهو
ترى في مقالة فتاوى الصحافيين قول المستر ستد محرّر مجلة الجا
اللازمة للنجاح في الصحافة قدرة المحرّر على النوم نوماً عميقاً متى مكنته
استيفاء ما تأَخر لهُ منهُ . فان وسائط الراحة بعد التعب كثيرة كالر
في الخلاء والجلوس بلا عمل ولا شغل ولكن النوم اعظمها بل هو من
لا يستغني الانسان عنها البتة وهي لازمة لهُ لزوم الخبز والماء بل اكثر
ومن الناس مَن لا يكلُّ من العمل ولا يملُّ ما دام في اليقظة
شرط لازم والاَّ اختلَّ توازن جسمهِ ودبَّ المرض اليهِ
وفي هذا العصر عصر العمل والدأَب لا نرى الزم للناس من ا
الراحة بحيث يكون تجدُّد قوى الجسم معادلاً لما أُنفق منها والاَّ لم
كان كثير الاسقام قليل الهناء اذ ليس العمر مجرد العيشة بل العيشة

آلة العيش صحة وشبابٌ فاذا ولَّيا عن

وليس الناس متساوين في حاجتهم الى الراحة بل ان للعمر وا
في عدد ساعات الراحة اللازمة . فان الشيوخ والصغار اشدُّ حاجة
والكهول وارباب الحرف العقلية اشدُّ حاجة اليهِ من ارباب الحر
اشدُّ حاجة اليهِ من الاصحاء

حبيب الله ان ذلك يجذب ابصار السابلة نحوهنّ فأَمر سنة ١٩٠٣ ان يستبدل الازار الابيض بازار اصفر غامق للنساء المسلمات واحمر او اصفر فاتح للهنديات ورمادي غامق لغيرهنّ . وامر ان يعمل بهذا الامر بعد صدوره باربعة عشر يوماً ومن خالفتهُ غرمت بدفع ٥٠ روبلاً "

اغنى عروس

ما من احد الاَّ سمع باسم معامل كروب التي تصنع فيها المدافع الضخمة . وهذه المعامل في مدينة اسّن من مدن المانيا وهي تنسب الى كروب صاحبها . وقد توفي سنة ١٩٠٢ عن ثروة طائلة وخلّف ابنتين اسم الكبرى برتا واسم الصغرى برباره . وكان عمر الكبرى عند موت ابيها ثماني عشرة سنة فتولت ادارة المعامل بنفسها وفيها من العمال ٤٠ الفاً وهم وعائلاتهم يبلغون ربع مليون نفس يعتمدون في معاشهم عليها

ولم يكد ابوها يموت حتى جعلت الرسائل ترد عليها تترى من كلّ حدب وصوب يطلب كاتبوها فيها ان تنحهم بالمال وجعل الفوضويون وغيرهم يترصدونها ليقتلوها او يخطفوها ثم يطالبوا بفكاكها . فعين لها حرس من الجواسيس السرّيين يحرسونها نهاراً وليلاً

وكانت تقول منذ ترعرعت انها لا تتزوج الاَّ رجلاً تحبهُ مهما كان مركزهُ في الهيئة الاجتماعية وحالهُ . واخيراً اختارت رجلاً اسمهُ هلباخ وهو من الاشراف الموظفين في احدى السفارات الالمانية ولكنهُ فقير . وقد احتفل بقرانهما احتفال شائق حضرهُ امبراطور المانيا . ولما انتهى الاكليل كان اول من صافحها وهنأَها بقرانهما الميمون ودعا لهما بالصفاء . وشرب نخبها على الطعام وخطب خطبة بليغة عدّد فيها فضائل العروس وذكر ما لها من الاحترام في قلوب اهل اسّن جميعاً

وتبلغ ثروة هذه العروس ٣٠ مليون جنيه وقد وزعت مئة الف جنيه على العمال تذكاراً لعرسها . ولبست يوم الاكليل ثوباً بسيطاً بالنسبة الى ما كان ينتظر ان تلبس ولكنهُ كلّف خمسة آلاف جنيه

وصايا الام لابنتها في اليابان

يوم تزف العروس الى زوجها في بلاد اليابان توصيها امها الوصايا التالية

(١) لم تعودي ابنتي من الآن فصاعداً فيجب عليك ان تطيعي حماكِ وحماتكِ كما كنت تطيعين اباكِ وامكِ

مرات في الاسبوع على الاقل · وان ينـ وحده في نزهة وفي عربة
يروّض جسمهُ باعتدال

واذا شعر احد انهُ لا يستطيع النوم بسبب وجود طعام غير مهضوم
لان النوم افضل للجسم من الطعام المختمر

وكثيرًا ما يفيد الأرق الاستحمام بحمام درجة حرارتهِ بين ١٠٠ و
(نحو ٤٠ س) فيبقى فيهِ بين ١٠ دقائق و ١٥ دقيقة ويضع على رأسهِ
ثم ينشف جسمهُ جيدًا وينام في غرفة مهوّاة ويحسن ان توضع زجاجة
وخرقة مبلولة بماءٍ بارد على رأسهِ

ويعالج الارق بالدلك والكهربائية ايضًا · وكثيرون من الناس لا
جياع فيحسن بهم ان يأكلوا طعامًا خفيفًا وافضلهُ طعام سخن سائل كال

اذواق الناس في الطعام

اشتهرت كلُّ امة من الامم بولعها بلون من الوان الطعام · فعند ال
السوريين الكبيبة وعند الايطاليين المعكرونة وعند الالمانيين السجق وع
وعند الصينيين الرزّ وعند اليابانيين السمك وهلمَّ جرًّا · ولكن اشتهر
على القديم من كلِّ شيءٍ حتى الطعام فلا يقلدون غيرهم ولا يقتبسون
البزّاق مثلاً فان اهل باريس يأكلون كلَّ سنة ٢٠٠ مليون بزاقة او
ومعظم اهالي اوربا يحسبونهُ من المطاعم الانيقة وقد كان كذلك حتى في
الثامن عشر · اما الانكليز فلا يأكلونهُ الآن مطلقًا

وافخاذ الضفادع لا يأكلها الانكليز على حين ان اهل اوربا واميركا
المآكل الفاخرة · وهي تؤكل في بعض بلاد الشرق ويقول آكلوها ا
والطير · وكثيرون يأكلون القنافذ والجراد وفقراء الصينيين يفاخر
وهي زيزان

ملابس النساء في افغانستان

كتب احد كتّاب الانكليز مقالة في احدى المجلاّت النسائيّة
جاء فيها عن تغيير الامير لازياء نساء الافغان ما يأتي :—

"كان نساء افغانستان يلبسنَ الإزار الابيض والبرقع حينما يخر

باب الزراعة

تربية النحل

اقتطفنا ما يلي من كتاب تربية النحل لمحمد افندي نجيب شاهين (انظر باب التقريظ الانتقاد) . قال في تاريخ صناعة خلايا النحل

" في ابتداء الامر كانت النحل تقطن الصخور ذات التشقوق وسيقان الاشجار المجوفة و فروعها المتشبكة ولما تحققت القدماء مزايا النحل وفوائد تربيتها اهتموا بنقل مساكنها من تلك المواضع الخشنة الى بساتينهم بحيث يمكنهم مراعاتها والاعتناء بها ولكنهم لم يهتموا بتغيير شكلها عن اصله تغييراً كبيراً بل حسنوا تلك التجاويف الخشبية واستعاضوا التشقوق الصخرية باسطوانات من الطين كما يرى في بلادنا والذين حسنوا التجاويف الخشبية هم سكان البلاد ذات الاشجار المرتفعة والاحراش العديدة بخلاف البلاد التي ليس فيها مثل تلك الاحراش والاشجار فانها استعملت الخلايا الطينية بدل التشقوق الصخرية

وبما ان راحة النحل وحفظها من التأثيرات المضرة كالبرد والتغييرات الجوية كانت موضوع اهتمام الموكلين بتربيتها اخذوا بتحسين هاتهِ الخلايا بان ابتدعوا لها اولاً اغطية تقيها من الطوارىء والمؤثرات وبتوالي الزمن ارتأوا ثانياً ابدالها بسلات مصنوعة من حشائش يابسة

واليونانيون كانوا اول من صنع الخلايا على تلك الصورة التي لم ترل تستعمل عندهم وعند من نقلها عنهم الى وقتنا هذا وكانت هذه الخلايا مما يرقي معيشة النحل ويحسن احوالها الاَّ انها لم تزل كثيرة العيوب قليلة الفوائد

ثم توالت الازمان وانقرضت الدهور وتلك الخلايا لم تزل بشكلها هذا البسيط حتى اتت سنة ١٨٥١ مسيحية حيث نبغ مهرة النحالين ونهضوا النهضة العظمى وابتدعوا الخلايا العجيبة التركيب والجميلة الشكل واول من وضع الخلايا ذات البراويز المتحركة هما القس لانجستروس الاميريكي والدكتور زيزون الالماني ولكل انسان الحق في عمل خلاياهما على حسب اختراعهما لان مدة امتيازهما قد انقضت "

وقال في انواع النحل

" اشهر انواع النحل هو نحل ايطاليا المسمَّى لوجوريا ونحل قبرص او الشام ونحل تونس

(٢) زوجك سيدكِ الوحيد فتضعي اسمهُ ولاطفيهِ واظهر
التامَّة لزوجها

(٣) يجب ان تظهري الحب لحماتك دائمًا

(٤) اياكِ والغيرة فانها تميت محبة زوجكِ لكِ

(٥) لا تغتاظي من زوجكِ ولو اخطأ بل اصبري ثم كلميهِ بلطف

(٦) لا تكثري الكلام ولا تغتابي جيرانك ولا تكذبي ابدًا

(٧) انهضي من النوم باكرًا ولا تنامي بعد الظهر . ولا تكثر
تدخلي الاجتماعات العمومية قبلما يصير عمركِ خمسين سنة

(٨) لا تستشيري العرَّافات

(٩) احسني تدبير بيتك وكوني مقتصدة

(١٠) لا تكثري من الاجتماع مع صغار السن ولو تزوجتِ صغير

(١١) لا تلبسي ثيابًا زاهية الالوان ولتكن ثيابك ثياب الحشـ
ان تكون نظيفة دائمًا

(١٢) لا تفتخري بغنى ابيك ولا بمقامهِ واذا كان غنيًا فلا
اقارب زوجك

وهذه الوصايا قديمة في بلاد اليابان وكانت مرعيَّة فيها دائمًا

راحة النهار

لا بدَّ من الراحة في النهار وذلك بان يجلس الشخص ويـ
يستريح راحة تامة ويلبث كذلك خمس دقائق على الاقل من غير ا
مرتين او ثلاثًا في النهار انتعش جسمهُ مهما كان شغلهُ شاقًّا

اما ما يسمَّى بالسيجورنو اي نوم نصف النهار او القيلولة فشرطه
تمامًا وان لا تتجاوز مدتها نصف ساعة على الاكثر والاَّ فاذا طالت
الافاقة من النوم بانزعاج واضطراب في جسمهِ . وكثيرون يفضلو
خصوصية مصنوعة لهذا الغرض على النوم في الاسرَّة

نخالينا بالاعتناء بتوليد نحلنا المصري منهُ او من نحل قبرص ليجمع في نتاجهِ كامل الصفات كذا نشير على المبتدئ في تربية النحل بتفضيل نحل كارنيولا على غيرهِ لسهولة التمرين عليهِ

نحل ايطاليا اولوجوريا · موطن هذا النوع في اواسط جبال الالب بين بلاد سويسرا وايطاليا وقد استحسنهُ جميع من باشروا تربية النحل لانهم وجدوهُ وسطاً مناسباً جمع فيهِ لطف المعاملة وجميل الصفات والفضائل ولذا اجمعوا على تفضيلهِ وتوليد نحلهم منهُ ونحن نتبعهم في ذلك"

البلدان الزراعية

النمسا والمجر

بلغت مساحة الاراضي الزراعية في بلاد النمسا ٢٨٢٤٩٨٦٤ هكتاراً سنة ١٩٠٤ وهي مقسومة كما يلي

اراضٍ للزرع	١٠٦٢٤٨٥٢ هكتاراً
بساتين	٣٧١٢٤٢ "
مراعٍ ومروج	٧١٢٧٣٢٧ "
كروم	٢٤٢٠٦٣ "
غابات	٩٧٧٧٩٣٥ "
بحيرات ومصايد سمك	١٠٦٤٤٥ "

وهذا جدول آخر يتضمن مساحة الاراضي التي زرع فيها اهم الحبوب في السنة المذكورة بالهكتار ومحصولها بالهكتولتر

القمح	١١١٥٠٠٠ هكتاراً	١٨٨٤٤٠٠٠ هكتولتر
الشعير	١١٨٤٠٠٠ "	٢١٧٤٩٠٠٠ "
الاوتس	١٨٢٢٠٠٠ "	٣٣٧٧١٠٠٠ "
الراي	١٩٢٦٠٠٠ "	٣٢٨٩٣٠٠٠ "
الذرة	٣٢٨٠٠٠ "	٤٣٥٩٠٠٠ "
القطاني	٢٩٠٠٠٠ "	٣٣٥٠٠٠٠ "
الكروم	٢٤٩٠٠٠ "	٤٤٨٤٠٠٠ "
البطاطس	١٢٧٧٠٠٠ "	١٠٨٣٩٩٠٠٠ قنطار
البنجر	٢١٨٠٠٠ "	٤٠٧٢٠٠٠٠ "

وكارنيولا ومصر غير ان كلاً من هذه الانواع يمتاز عن غيره اما بصفا
والنحل المصري شرس الاخلاق سيئ المعاملة كثير النسل ماهر
ننسب شراستهُ او سوء طباعهِ واخلاقهِ لغريزة فيهِ بل نعزيها الى معا
التي هي اقرب الى الخشونة والهمجية من الملاطفة واللين

نحل قبرص والشام · هو نحل صغير الحجم يشبه النحل المصري
عنهُ في اللون وهو اكثر انواع النحل لمعانًا واجملها منظرًا وشكلاً اما
يكون معتدلها ومنهُ ما يكون فظًّا فتاكاً غير ان النحالين اجمعت
جمع العسل وتكاثر النسل وقد قيل ان خلية واحدة منهُ جمعت مرة ا
فصل واحد وهذا النوع اقوى الانواع الاخرى في الاشغال ولهُ مثابر
ويحمي مسكنهُ جيدًا حتى لا يتأتى لغيرهِ سرقتهِ الاَّ ان في عملهِ عي
يذهب بجميع محاسنهِ وهو كونهُ يملأ بيوت العسل تمامًا حتى لا يدع
يشرع في تغطيتها تقع الاغطية على العسل نفسهُ فاذا لمست الاقراص
بسهولة وسال منها العسل سريعًا ولذا يصعب الشغل بها وقد دلت التجا
مديدة ان حسنات هذا النوع لا توازي سيئاتهِ ولذا نشير بعدم الاهت

نحل تونس · هذا النوع ليس دون النحل المصري في سوء الط
يفوقهُ في جمع الصمغ الغير المطلوب عند نحيي جمع العسل

نحل كارنيولا · هو نحل مقاطعة صغيرة في الجنوب الغربي من
البين وهو ألطف معاملة وارق جانبًا من جميع الانواع الاخرى ويمكن
دخان او قناع وهو ايضًا ماهر في الاشغال وجمع العسل ودائمًا يكون
ومن الغريب انهُ اذا هزت هذه الاقراص حين نزعها من الخلية للبحث
ترى النحل تقع دفعة واحدة داخل الخلية ولا تميل قط للطيران او ا
انهُ متصف بلين العريكة فانهُ يحمي خلاياهُ الى الممات اذا اراد نحل

واقراص نحل كارنيولا بيضاء جدًّا لكونهِ يستعمل فيها قليل من
العسل فيها لا يضاهيهِ شيء من الاعسال الاخرى والعيب الوحيد في
التطريد وبالاخص في الطقوس الحارة لانهُ متعود على البرد في
التناسل ولكنهُ يمكن سد ذلك النقص بتهوية الخلايا وتوسيعها

والآن لمناسبة ما قيل عن لطف معاملة نحل كارنيولا وحسن ا

الراي	١١٣٤٠٠٠	١٢٨٨٩٠٠٠٠	١١١٧٠٠٠	١١٦٦٤٠٠٠
الذرة	٢٦٦٢٠٠٠	٤٠٥٢٢٠٠٠	٢٣٥٩٠٠٠	١٧٩٧٥٠٠٠
البطاطس	٦٠٩٠٠٠	٥٠٢٧٤٠٠٠	٥٩٠٠٠٠	٣٢٥٨٦٠٠٠
بنجر (للسكّر)	٩٦٠٠٠	٢١١٢٥٠٠٠	٩١٠٠٠	١٥٩٩٨٠٠٠
بنجر (للعلف)	١٨٤٠٠٠	٤٩٤٤٥٠٠٠	١٧١٠٠٠	٣١٣١٨٠٠٠
		هكتولتر		هكتولتر
كروم	٢٧٨٠٠٠	خمر ٢٩٤٩٠٠٠	٢٨٩٠٠٠	خمر ٤٣٥٧٠٠٠

وفي سنة ١٨٩٥ كان فيها ٢٣٠٨٤٥٧ رأس خيل و ١٩١١ بغلاً و ٢٣٨٥٨ حماراً و ٦٧٣٨٣٦٥ رأس بقر و ٨١٢٢٦٨٢ رأس غنم و ٧٣٣٠٣٤٣ خنزيراً و ٣٠٨٨١٠ رؤُوس من المعزى و ٣٢٧٦٧٠٨٥ طيراً من الدجاج و ٧٦٩٠٧٤ قفيراً من النحل. والصادر من الخيل والمواشي والغنم يزيد كثيراً على الوارد

وتقدمت تربية دود القز تقدماً عظيماً فقد كان فيها ١٠٥٩ عائلة تعمل في تربية الدود سنة ١٨٧٩ فبلغ عددها ١١٢٧١٢ سنة ١٩٠٤ . وبلغ محصول الشرانق ١٦٣٣٤٥٢ كيلوغراماً سنة ١٩٠٤ ثمنها نحو ٦٣٦٦٥٩ جنيهاً

وكان فيها ٦٥ مدرسة زراعية سنة ١٩٠٤ عدد تلامذتها ٢٦٦١ تلميذاً

وبلغ وزن ما أُصدر منها سنة ١٩٠٤ من الخشب وسائر حاصلات الغابات ١٠٤٤٣٣٠٢ قنطاراً ثمنها ٢٠١٦٣٢٥٠ جنيهاً . وما ورد عليها منها ٥٤٧٤٠٧٤ قنطاراً ثمنها ٦٩٠٠٥٠٠ جنيه

قطن الهند

موسم القطن في الهند اكبر مواسم القطن في العالم كلهِ بعد الولايات المتحدة ولكنهُ مع ذلك صغير بالنسبة الى كبر المساحة التي يمكن زرع القطن فيها وجودتها فانها اكبر كثيراً من مساحة الارض التي تزرع قطناً في الولايات المتحدة . والسبب في ذلك ان حالة الطقس في بعض جهات البلاد لا توافق القطن اذ يكثر وقوع المطر احياناً ويطول القيظ اخرى وكلاهما مضرٌّ بهِ . ولما اشتدت الحاجة الى القطن بسبب الحرب الاهلية الاميركية اقبل الناس على زرعهِ في الهند فارتفع الصادر منها الى انكلترا من نحو مليون بالةقبل الحرب الى ١٣٧٤٠٠٠ بالة في اثناء الحرب ثم لما عادت المياه الى مجاريها في اميركا قلَّ زرعهُ في الهند

ومعظم الشعير والخمر يرسل الى الخارج . واما القمح فيرسل مقدار عظيم منهُ الى الخارج في بعض السنين

وفي سنة ١٩٠٠ كان في النمسا ١٧١٦٤٨٨ رأس خيل و٩٥١١١٧٠ رأس بقر و٢٦٢١٠٢٦ خروفاً و٤٦٨٢٦٥٤ خنزيراً و١٠١٩٦٦٤ عنزة . فقدر ثمنها كلها بمبلغ ٤٨٧ مليون فلورين او نحو ٤٩ مليون جنيه . وصادرات الخيل والبقر والغنم تفوق وارداتها بكثير

وبلغ محصول الشرانق ٢٦٣١٧٦٧ كيلو غراماً سنة ١٩٠٠ و٢٤٤١٧١٠ سنة ١٩٠١ و٢١٥٠٢٦١ سنة ١٩٠٢ و١٦٧٤١٤٩ سنة ١٩٠٣ و٢١٦٥٠١٦ سنة ١٩٠٤

ومساحة الغابات ٩٧٧٧٩٣٥ هكتاراً كما تقدم منها ٩٨٢٨٤١٥ هكتاراً من حراج الصنوبر

بلغ عدد سكان المجر ١٩٢٥٤٥٥٩ نفساً في احصاء سنة ١٩٠٠ منهم ١٣١٦٥٠٨٣ نفساً يعتمدون في معاشهم على الزراعة ومتعلقاتها مثل تربية المواشي ورعايتها وعمل الجبن وما اشبههُ والعناية بالغابات واماكن الصيد والقنص وعمل الفحم . والاراضي الزراعية مقسومة فيها كما يأتي

اراض للزرع	١٣٣٩٤٧٠٥	هكتاراً
بساتين	٤٣٠٩٣٤	"
مراعٍ ومروج	٧٥٦٤١٨٥	"
كروم	٣٣١٧٥١	"
غابات	٨٩٨٧٢٤٣	"
اراضٍ بور	١٥٤٠٣٥١	"

وهذا جدول آخر يتضمن مساحة الاراضي التي زرع فيها اهم الحبوب بالهكتار ومحصولها بالقنطار سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤

	سنة ١٩٠٣		سنة ١٩٠٤	
	هكتار	قنطار	هكتار	قنطار
القمح	٣٧٣٤٠٠٠	٤٨٠٦٩٠٠٠	٣٦٩٥٠٠٠	٣٩٩٨٥٠٠٠
الشعير	١١١٢٠٠٠	١٤٨٩٦٠٠٠	١٠٩٠٠٠٠	١١٣٦٥٠٠٠
الاوتس	١١٢٤٠٠٠	١٣٧٤٠٠٠٠	١٠٩٤٠٠٠	٩٨٢٤٠٠٠

بما فيهِ خير الانسان او الطاعة لما يأمر بهِ الدين من صلاح السيرة وما ينهى عنهُ من المنكرات وحاصل كلامهِ " ان اللذة والالم او السعادة والشقاوة حالتان طبيعيتان متوقفتان على امزجة الناس " . وهذا القول فيهِ شيء من الحق ولكن صدقهُ ليس بالمطلق الذي ذهب اليهِ الكاتب وذلك لسببين الاول لان الغالب جدًّا في الامزجة انها مختلطة لا مفردة فاذا نسبنا السعادة للمزاج الدموي والشقاوة للمزاج الصفراوي او السوداوي انحصر الامر في قليل من الناس . والثاني ان المعهود من اصحاب المزاج الدموي انهم يفرحون ويطربون لاسباب طفيفة حقيرة ويحزنون ويغتمون لاسباب مثلها . وهم الذين لا يكترثون للهمّ الاَّ متى ادركتهم النائبة فيرونها كبيرةً ولا طاقة لهم في احتمالها كما يحتملها غيرهم . وهم الذين يأملون كثيرًا ويطمعون بكثير فاذا لم يدركوا ما تمنوهُ او لم يجدوا فيهِ ما توقعوهُ من السعاده كان كدهم عظيمًا

واما اللذة الاصطناعية التي تنال بالحشيش وغيرهِ فليست من نوع السعادة الحقيقية التي يجب ان يكون مدار الكلام عليها بل هي نوع كاذب ضررهُ اكثر من نفعهِ . ومن هذا الباب ايضًا لذة المقامرة والمضاربة والاكثار من المشروبات الروحيَّة وتدخين التبغ فهي جميعها معًا يجب على العاقل الذي يعرف قيمة صحتهِ وراحة بالهِ وسعادتهِ ان يفرّ منها كما يفرّ من الشيطان واعمالهِ

والنوع الاخير الذي ذكرهُ من اللذة هو ما يأتي من خداع النفس او خداع الدهر واستشهد لهُ ببعض اعمال كهنة بلاد المكسيك القدماء وغيرهم وحكمهُ حكم الخادعة او مغالطة النفس في الحقائق وايثارهُ خطاء ومذمَّة

هذا واني افتخر بهذا التلميذ العاقل الفاضل الذي أخفى اسمهُ واتمنى لو كان كل الناس مثلهُ يتفكَّرون في ما يقرأُون فان ذلك — لا ما يمرُّ في الذهن مرور السحاب — من اول شروط الفائدة من القراءة سواءٌ وافقوا الكاتب او خالفوهُ وسواءٌ أصاب انتقادهم او اخطأَ

بيروت يوحنا ورتبات

خلود النفس

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

جاء في الجزء التاسع من المقتطف في مقالة موضوعها انتقادات وعادات ان اليهود القدماء " كانوا يجهلون الاعتقاد بخلود النفس [illegible] "

ومتوسط محصول الفدان هناك ٦٠ رطلاً من القطن نحو ولا يزيد المحصول عن قنطار على الاكثر. وزاد متوسط مساحة الارض التي زرعت قطناً في الخمس السنوات الماضية حتى بلغ ١٦٤٧٥١٤١ فداناً وكان في الخمس السنوات التي قبلها ١٣٨٦٦٠١٣ فداناً

وزراعة القطن معروفة في الهند منذ اربعة آلاف سنة ولكنها لم تتقدم تقدماً يذكر الا في المئة السنة الاخيرة اي منذ اخذت البلاد تصدر قطنها الى الخارج. ثم اخذ الناس يهتمون بانشاء المعامل في البلاد لنسج القطن وزادت المعامل زيادة عظيمة افضت الى نقصان الصادر منهُ الى الخارج كما جرى في الولايات المتحدة لاسيما وان المعامل الانكليزية قلما تهتم بقطن الهند لرداءة اصنافهِ. وهذا مما يوجب الاسف لان مساحة الارض التي تصلح لزرع القطن عظيمة واجرة العمل قليلة. وسبب هذا كلهِ اهمال الحكومة لزراعة القطن ولا يؤمَّل انها تصلح خطاءها من هذا القبيل فتعير المسألة اهتماماً عظيماً. بل ان جيد ما تسعى اليهِ الآن هو تحسين اصناف القطن الاهلية بانتقاء البزرة واصلاح طرق الحراثة. وقد اخذت بعض البذور المصرية وجربتها فجاءت بالمرام



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

سعادة الدنيا

حضرة مدير المقتطف الفاضل

لم يتيسَّر لي قبل الآن الاطلاع على ما كتبهُ الاديب الذي اكرمني بقولهِ انهُ احد تلامذتي

وقد احتجَّ حضرتهُ بان اسباب السعادة اكثرها في مزاج الانسان لا في السعي الى امر يطلبهُ او ينالهُ ولا في مكروهٍ يزول او رضي في ما يقع او مراعاة السنن الطبيعية التي تقضي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مشاهدة التمثيل

مصر . ت . الرافعي . لماذا نرى اكثر الآباء يمنعون ابناءهم من مشاهدة تمثيل الروايات فاذا كانت مضرة بالاخلاق على زعمهم فما هو وجه ضررها والاَّ فلماذا يمنعونهم عن مشاهدتها

ج انكم لم تبينوا ما هي الروايات التي يمنع الابناء من مشاهدتها ولا ما هو سن الابناء فمن الروايات ما مشاهدتهُ لا تضرُّ المتقدمين في السن الذين تكيفت اخلاقهم على صورة معلومة حتى لم تعد المؤثرات تؤثر فيها كثيرًا ولكنها تضر غيرهم بما فيها من ذكر الحيَل واساليب الغرام او من طرق التهتُّك . ومن مشاهدة الروايات ضرر آخر لاشبهة فيهِ وهو السهر الى نصف الليل او الى ما بعد نصف الليل فان السهر الى هذا الحد يضرُّ كل احد ولا سيما صغار السن ولا عبرة بالذين يعتادونهُ ولا يظهر اثرهُ فيهم فانهم يضطرون ان يتأخروا في نومهم صباحاً وتضيع عليهم

(٢) الصور المتحركة

ومنهُ . ما هي حقيقة الصور المتحركة المتكلمة وغير المتكلمة وكيف تتكلم

ج اذا اردتم بالصور المتحركة صور السيناماتوغراف فهذه صور فوتوغرافية مأخوذة على التوالي للاشياء المتحركة . فاذا نظرت الواحدة منها بعد الاخرى على الترتيب الذي صُوّرت فيهِ ظهر من مجموعها صورة الحادثة التي صُوّرت بها . مثال ذلك اذا وضعنا آلة التصوير الشمسي امام رجل وهو يأكل وصوَّرناهُ حيناً وضع يدهُ في صحفة الطعام وحينما رفعها منها ملآ وحيناً صارت في عشر الطريق الى فمهِ ثم في تسع الطريق الى فمهِ وهلمَّ جرًّا الى ان وصلت اليهِ ثم جعلنا هذه الصور تمرُّ امام العين على ترتيبها وبالسرعة التي تحركت بها اليد من الصحفة الى الفم رأينا امامنا صورة رجل يحرك يدهُ من الصحفة الى فمهِ كأَننا حلَّلنا هذه الحركة الى صور عديدة ثم جمعناها . اما الصوت اذا كان

فكيف ذلك ونحن نرى في التوراة كلاماً صريحاً في خلود
دانيال ما نصهُ "وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون
الابديَّة وهؤلاء الى العار للازدراء الابدي والفاهمون يضيئون
كثيرين الى البر كالكواكب الى ابد الدهر". وهذا السفر كتب
وقبل ولادة سقراط

وجاء في سفر الجامعة ما نصهُ "فيرجع التراب الى الارض كما
الذي اعطاها". وايضاً "فلنسمع ختام الامر كله اتقِ الله واحفظ
كل عمل الى الدينونة على كل خفي ان كان خيراً او شراً"
الانجيل بألف سنة

وجاء في سفر ايوب "اما انا فقد علمت ان وليّ حيٌّ والآخر
يفنى جلدي هذا وبدون جسدي ارى الله الذي اراهُ انا لنفسي و
الى ذلك تتوق كليتاي في جوفي". وهذا الكلام كتب قبل الا
وهذه الآيات وامثالها تثبت ان اليهود كانوا يعتقدون
في المقتطف

حمص

[المقتطف] في العبارة التي وردت في المقتطف شيء من ا
كتب موسى الخمسة وهذا هو المراد بها حقيقة وليس فيها
بالخلود ولذلك بقيت فرقة كبيرة من اليهود الى زمن المسيح لا تعتقد
التي استشهدتم منها فكثيرون من علماء التفسير يعتقدون الآن انها
بزمن قصير ففي سفر دانيال مثلاً اسماء يونانية لا يعقل انها و
اختلاطهم باليونان . ولهذا يقول المسيحيون ان المسيح هو الذي انار
ذلك بقولهم ان عقيدة الخلود كانت غامضة فانارها المسيح . وقد كا
ان النفوس كلها تنزل الى الهاوية (شاول) وهي عندهم قبر واسع ج
النفوس فيها كالجثث في قبورها من غير تمييز ادبي بينها ولم يشيروا الى
اما المزامير التي تشير الى ان النفوس لا تترك في الهاوية فكتبت ب
تفصيل هذا الموضوع في فرصة اخرى

ن فيهنَّ عفريتاً ويستدعين شيخة الزار
لاخراجهِ منهنَّ بهذه الاعمال ونحوها . وقد
وصفنا عملية الزار في رواية فتاة مصر .
والظاهر ان كلمة الزار هي نفس الفعل زار
اعتقاداً بانهُ من زيارة الشيخ للمصاب .
اما القرينة التي يعتقد بها اهالي الشام فليست
مثل الزار بل هي تابع او جان يعتقدون انهُ
يزور الفتاة عند اول بلوغها

(٥) اتقاء النمل

كنستن بمجايكا . الخواجه فريد خليل
حنا . عندي خزانة صغيرة لها اربع قوائم
اضعها في وسط الغرفة واضع تحت قوائمها اربع
صفحات صغيرة مملوءة ماءً ولكن اذا وضعت
في هذه الخزانة خبزاً او لحماً لا تمضي الأ
بضع دقائق حتى يصل النمل اليها فما هي
الواسطة لمنع وصولهِ اليها

ج ابدلوا الماء برماد ناعم جاف وامزجوهُ
بقليل من مسحوق الحشرات وهو مادة صفراء
ناعمة تباع في اماكن الادوية واذا لم توجد
فالرماد الناعم قد يكفي وحدهُ لمنع النمل لانهُ
يستصعب المشي عليهِ

(٦) اراضي البناء في مصر

مصر . امين افندي يوسف . كم
مساحة الاراضي في مصر وضواحيها التي تباع
الآن لاجل البناء وهل يمكن ان تبنى كلها

ج اذا اضفنا الى مساحة القاهرة نفسها

من مصر الى حلوان ومن الدمرداش الى
المرج ومن كبري الجيزة الى الاهرام
والاراضي التي بين الويلي وروض الفرج
والجزيرة والروضة فالمساحة نحو تسعين
كيلومتر مربع اي تسعون مليون متر فاذا طرح
ربعها للشوارع بقي منها نحو ٦٨ مليون متر
مربع فاذا خصص نصفها لبيوت الايراد التي
يشغل البيت منها ٣٠٠ متر وجعل اربع
طبقات في كل طبقة خمس انفس وسعت
هذه المساحة مليونين و ٢٥٠ الف من
السكان والنصف الثاني اذا جعل لسكن
الاغنياء وبني في كل الف متر منهُ بيت
واحد سكنهُ خمسة انفس وسع ١٧٠ الف
نفس فجملة ما تسعهُ هذه الاراضي كلها
مليونان و ٤٢٠ الف نفس اي نحو مليونين
ونصف . وبناؤُها كلها ممكن ولكن لمد زمن
طويل جداً لان عدد السكان لا يبلغ هذا
المقدار في اقل من خمسين سنة

(٧) تاريخ ايران

المنيا . رزق افندي منقريوس . هل
يوجد تاريخ عربي لبلاد ايران واين يباع
وهل لها تاريخ باللغة الانكليزيَّة

ج لا نعرف كتاباً في تاريخ ايران باللغة
العربية معروضاً للبيع اما اللغة الانكليزيَّة ففيها
كتب كثيرة عن ايران احدثها كتاب جكسن
ايران ماضيها وحاضرها طبع في السنة الماضية

رجل يُختفي حول الستار وكيف ...
حسب مدلول الصور . ... كانت الصور
تمثل رجلاً يغني وكان وراء الستار ...
او رجل يغني ظهر كأن الصور نفسها تغني

(٢) المنشاة

المنشاة . غالي افندي مرقس . المنشاة
بلد اثرية بدليل ما وجد فيها وما يوجد من
الآثار وما تحتوي عليهِ من التلال والتنقيب
وبعض الابنية القديمة وهذه اكثرها حياض
للماء مبنيَّة بالطوب والجبس وهي متينة جدًّا
ويوجد فيها كثير من الفصوص القديمة
وتماثيل الغرانيت منقوش عليها حروف
هيروغليفية وعلى بعضها نقوش باللغة اللاتينية
ومع شهرة هذه المدينة وتوجه انظار محبي
الآثار اليها فاننا لم نجد لها اسمًا في التاريخ
لا سيما كتاب العقد الثمين تأليف محمد كمال بك
فانهُ ذكر فيهِ جميع البلاد القديمة المجاورة لنا
ولم يذكر المنشاة فالرجاء افادتنا عما تعلمونهُ عنها

ج ذكر المرحوم علي باشا مبارك المنشاة
في خططهِ وهي منشاة اخميم فقال انها تسمى
المنشاة الكبرى او منشاة النيدة وكانت تسمَّى
في الكتب القديمة ابصاي او بطوليمايس .
قال استرابون وكانت اشهر بلاد الصعيد ولم
تكن اقل من منفيس وكان بها عساكر رومية .
والمنشاة الآن مدينة متسعة شرقي آثار المدينة
القديمة وسميت منشاة النيدة لان النيدة

الزقاريت .
معنى كلمة ازار ...
وهل فيها شيء ...
القرينة التي يقو...
ج يطلق
اعمال يقصد بها
ويدعي النساء
المرض عفريت
ويخرج منهُ ...
واحراق البخور

١٥٠٠ قدم لعلهما يصادفان ريحاً اكثر موافقة لهما . ولما قربا من بحر المانش هبطا الى علوّ ٣٠٠ قدم وقطعاهُ وحبل البلون يمسّ الماء في اربع ساعات . وفي ظهر اول اكتوبر جعلا يفرغان اكياس الرمل التي معهما فصعد البلون بهما الى علوّ نحو ١٠ آلاف قدم واسم هذا البلون " الولايات المتحدة " وهو من صنع الفرنسويين وسعتهُ ٢٢٥٠٠ قدم مكعبة . واسم بلون سنتوس ديمون " لي ديزامويك " وبينما كان يحاول ادارة آلتهِ ليحلّق بهِ في الجوّ علق كمهُ بها فقطعتهُ وجرحت ذراعهُ فنزل وعاد الى باريس

اما البلون الثاني فلرجل ايطالي قطع بهِ ٣٧٠ ميلاً ونزل عند مدينة صغيرة في انكلترا اسمها هولندا الجديدة . والثالث للكونت دي لا فول الفرنسوي

جامعة ابردين

احتفل في ٢٥ سبتمبر الماضي بمرور اربع مئة سنة على تأسيس جامعة ابردين في اسكتلندا وبتدشين البناء الجديد الذي أُقيم لها بمال اهل البرّ والاحسان وخصوصاً اللورد ستراثكونا . ورأس الاحتفال ملك انكلترا وملكتها وحضرهُ ستمئة مندوب من قبل جميع الجامعات الشهيرة والجمعيات العلمية في العالم وجلس الفا نفس على موائد الوليمة التي اقيمت في قاعة اعدت خصوصاً لهذا الغرض ودام الاحتفال ثلاثة ايام فخطب الخطباء بالنيابة عن ممالك الارض المختلفة ومنحت شهادة الجامعة الاكرامية لستين من العلماء والاطباء والمكتشفين والمخترعين وقد رأينا بين اسمائهم اسم الدكتور جورج بوست استاذ الجراحة في مدرسة بيروت الكلية والاستاذ فلندرس بتري والماجور رونلد روس مكتشف علاقة البعوض بالملاريا وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيل المعارف المصرية . وقد حضر الاحتفال ايضاً ثلاثة من الاساقفة الكاثوليك من قبل قداسة البابا وكان قداستهُ قد صنع مدالية مخصوصة تذكاراً لهذا الاحتفال فارسلها مع احد الاساقفة المشار اليهم هدية الى الجامعة . ومما يذكر عن هذه الجامعة انها انشئت بمنشور بابويّ اجابة لملتمس اسقف اسكتلنديّ فاجتماع الاساقفة الكاثوليك الآن في مدرسة انجيلية دليل على زوال التباغض القديم الذي فرّق بين الطائفتين

جزيرة جديدة

ظهرت جزيرة جديدة في بحر بيرين . وسبب ظهورها انفجار جرى تحت الماء على ما يظهر وهي مجاورة لجزيرة اخرى ظهرت مثلها منذ قرن . ويؤْخذ مما رواهُ الصيادون عنها ان كثيراً من الصخور انتثرت عند الانفجار وملأَت مساحة واسعة من الارض

الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر ١٩٠٦

	اليوم	الساعة	الدقيقة
البدر	١	٦	٤٦ صباحاً
الربع الاخير	٩	١١	٤٥ «
الهلال	١٦	١٠	٣٧ «
الربع الاول	٢٣	٢	٣٩ «

السيارات

يظهر عطارد في المساء لكنهُ يتقارب من الشمس في اواسط الشهر

الزهرة نجم المساء

المريخ يشرق قبل شروق الشمس بثلاث ساعات

المشتري يشرق بعد الغروب باربع ساعات

زحل يغيب بعد نصف الليل بقليل

سباق البلون

جرى سباق البلونات الذي اشرنا اليهِ في الجزء الاخير بعد ظهر الاحد الواقع في ٣٠ سبتمبر الماضي . وكان المتسابقون ستة عشر نفساً منهم ثلاثة من الانكليز وثلاثة من الفرنسويين وثلاثة من الالمانيين وثلاثة من الاسبانيين والاميركان والايطاليين والبلجيكيين وثمَّ جوائز ربع الاولى كأس من الفضة ثمنها ٥٠٠ جنيه . والثانية ٥٨٠ جنيهاً نقداً والثالثة ٤٩ جنيهاً . والرابعة ٣٦ جنيهاً

وبدأ السباق من حدائق التويلري قلب باريس واجتاز سبعة من المتسابقين بحر المانش ونزلوا في جهات متفرقة من انكلترا واما التسعة الباقون فنزلوا في فر[نسا] وكان السابق الملازم لاهم من جيش الولايات المتحدة وكان هو وسنتوس ديمون نائبين [عن] اميركا وكلٌّ منهما يركب بلوناً وقطع لاهم ٥[..] ميلاً في ٢٣ ساعة (وفي رواية اخرى [..] ميل في ٢٣ ١/٢ ساعة) ونزل قرب م[كان] اسمهُ هونبي الساعة ٣ بعد الظهر من [..] اكتوبر . اما سنتوس ديمون فلم يعبر ا[لبحر] بل نزل في فرنسا

ومما ساعد الملازم لاهم على قطع المسافة الكبرى مرافقة الماجور هرسي اياهُ نائباً [عن] المكتب المتيورولوجي الاميركي فسارا في [طبقات] لقيا فيها اقل مقاومة وكان متوسط سيرهما [..] ميلاً في الساعة وارتفع البلون اولاً الى ٣٠٠٠ قدمٍ وحملتهُ ريح خفيفة الى [..] الهافر ثم خفت الريح فهبطا بالبلون الى

ولكن تجاربهُ كانت سرّية فلم يبح باختراعهِ حتى تمكن من ايصال الصوت من مكان الى مكان من غير ان يستخدم الارض مولاً لهُ وذلك انهُ وضع تلفونًا وبطرية وعددًا اخرى من هذا القبيل في حديقتهِ ووضع مثلها في غرفة من غرفهِ فاستطاع ايصال الكلام جليًّا على بعد ١٠٠ قدم وهو يؤمل ان يتدرج من ذلك حتى يمكن التخاطب بتلفونهِ على اي بعد كان

اللستك

ذكرنا في الجزء الماضي شيئًا عن اللستك وقلنا ان المستخرج منهُ كل سنة يكاد يساوي ما ينفق في الصناعة واوردنا ما اقترحهُ بعضهم من استخدام اللستك المعدني او الصناعي او زيادة العناية بالطبيعي (انظر صفحة ٨٥٨) وقد قرأنا في جريدة السينتفك اميركان بعد ذلك ان اللستك كان يستخرج الى عهد قريب خصوصًا من حراج افريقية ومن حراج برازيل وفيها الشجرة البرية المعروفة باسم "هيفيا برازيلينسس" ومنها يستخرج لستك بارا المشهور في التجارة . ولكن زيادة طلب اللستك افضت الى الاهتمام بزرع شجرة بارا في سيلان وشبه جزيرة ملقا وهذه الشجرة تخرج اللستك بعد ست سنوات او سبع سنوات من زرعها واللستك المستخرج منها اغلى ثمنًا من لستك برازيل المستخرج من الاشجار البرية . ويقدرون انهُ لا تمضي سبع سنوات حتى تصير الاشجار المزروعة في سيلان وشبه جزيرة ملقا تخرج بين ١٠ ملايين رطل و١٥ مليونًا كل سنة ولا يبعد ان يزيد المستخرج منها على كل ما يستخرج من برازيل بعد ١٥ سنة

تبييض الدقيق

لا ندري لماذا يفضّل الناس ان يكون لون الدقيق شديد البياض وهم يفضلون كثيرًا من الالوان على الابيض في اشياء كثيرة مع ما ثبت من ان شدة تبييض الدقيق تفقدهُ بعض خواصهِ الغذائية . وقد اخذوا هذه الايام يقصرونهُ بالكهربائية وذلك انهم يطلقون مجرى من الهواء في غرفة مسدودة فيها آلة لتوليد الكهربائية فتكهرب الهواء فيطلقونهُ على الدقيق فيقصرهُ . ويقال ان سبب ذلك هو ان المجرى الكهربائي يولد مركبات من النتروجين والاكسجين تبيض الدقيق

اشعة رنتجن والشيب

كان الدكتور إمبر والدكتور ماركه من كلية مونبلييه الفرنسوية يجرّبان التجارب في فعل اشعة رنتجن في الامراض المختلفة فوجدا ان شعر راس احدهما ولحيتهِ اخذ يسودُّ بعد ان كان ابيض . ووجدا وهما

ومما يدل على ان ذلك حدث بفعل بركاني ان مياه البحر كانت حارة جدًّا على مسافة طويلة حول الجزيرة وكان هواؤُها حارًّا الى حدّ ان الصيادين لم يطيقوا الدنوَّ منها

عنصر جديد

شاع منذ مدة قصيرة ان الاستاذ قاتلي من كلية بيزا اكتشف عنصرًا جديدًا اقوى من الراديوم فاقام هذا الخبر الدوائر العلمية واقعدها . وتفصيلهُ ان الاستاذ المذكور رأى شيئًا لامعًا في مياه سان جوليانو منذ سنة فعمل عدة تجارب اثبتت لهُ ان المياه كثيرة المواد المشعة فجمع شيئًا من الغاز المشعّ وضغطهُ ضغطًا شديدًا ووضعهُ في انابيب مخصوصة ثم طهرهُ مما فيهِ من الشوائب ووضعهُ في انابيب اخرى غطسها في الهواء السائل بعد ان طلاها بالاليومنوم . فتكاثف الغاز فيها وصيَّر الاليومنوم اخضر اللون . ولم تعلم ماهية هذا الغاز بعد

فعل الراديوم بالحيوانات

جرَّب الدكتوران الفرنسويان بوشار وبلتوزار عدة تجارب لمعرفة فعل الراديوم بالحيوانات . ومن تجاربهما انهما وضعا ٣٠ قمحة من سلفيد الباريوم الذي يشع الراديوم في كيس من الكولوديون ووضعا الكيس في جوف ارنب فلم تمضِ خمسة ايام حتى خفَّ

تــقل الارنب من
لرض وماتت في
بالسلال من فعل
المذكورة . وظهر
بالحنمان في الرئـ
ذلك بخار من
ايام . واخذا حـ
كيسًا عاديًّا من
بل زاد ثقلهُ .
لحصا دمهُ فوجدا
البيضاء و ...
وجدا ٥٦٠٠ من
الحمراء في الحيو
ذلك انهُ اذا كان
الحيوان ولو كا
ينفرّق في جسم
بعض اعضائهِ و

التلغـ

روت جرائد
من المخترعين المع
بلا سلك وكان
سنوات وعمل ا
فيها موصلاً فاسـ
ميلين . وبعد ذلك
ففاز بايصال الصـ
في جزيرة كورسـ

وقد مرَّ عليها ١٦ شتاءً كانت الحرارة تهبط فيها الى درجة ٧٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت . فأُرسلت الى انكلترا و بقيت بلا زرع حتى ربيع سنة ١٩٠٥ فزرعت فأخرج ٥٠ في المئة منها نجلاً تامّ التشكل وكانت البذور قد اخذت من نباتها نحو سنة ١٨٨٠ والمظنون ان طول تعرضها للمجاري الكهربائية التي تملأُ الجو في الاصقاع المتجمدة الشمالية حفظ قوتها الحيوية اذ قد ظهر ان تلك المجاري تضاعف سرعة نموّ النباتات وتزيد لونها وتقوي الرائحة الذكية في الازهار العطرية

رصاص وبارود قديم

وجدوا حديثاً في سقف قلعة درهام بانكلترا اناءً فيهِ رصاص بنادق وبارود قديم يظن انهُ وضع هناك منذ سنة ١٦٤١ . والرصاص بحجمين مختلفين وقد حلل فوجد فيهِ ٩٩ في المئة من الرصاص والباقي حديد وفضة وبزموت وزرنيخ وانتيمون (حجر الكحل) واما البارود فليس محبباً كبارود هذه الايام مما يدلُّ على ان صانعيهِ كانوا يخلطون مركباتهِ خلطاً بسيطاً . والمواد التي صنعت منهُ على نسبة المواد التي نصنع منها البارود الآن اي ٧٥ في المئة من ملح البارود و ١٥ في المئة من الفحم و ١٠ في المئة من الكبريت هذا اذا كان البارود تام الجفاف واما البارود المشار اليهِ فوجد فيهِ ١ في المئة ماءٌ

ابيضاض الشعر في الشتاء

من المعروف ان شعر بعض الحيوانات وريش بعض الطيور يبيضُّ شتاءً في بعض الاقاليم الباردة ويعود اليهِ لونهُ الطبيعي في الفصول الاخرى . وقد بحث الاستاذ متشنيكوف المشهور في ذلك فعلَّلهُ بوجود خلايا في الجسم تزيل اللون من داخل الشعر والريش وتنقلهُ الى سطح الجلد . وقال انهُ رأَى الخلايا تعمل في الارنب وبعض انواع الطيور ومنها الدجاج

الفحم الحجري في اميركا

تعدُّ الولايات المتحدة الاولى بين بلدان الدنيا في كمية الفحم المستخرجة من ارضها والثالثة في كمية الفحم المصدرة منها الى الخارج فقد بلغت قيمة ما أُصدر منهُ سنة ١٩٠٥ ما يزيد على ستة ملايين جنيه يقابلها مليونا جنيه او اكثر سنة ١٨٩٥ اي انها زادت ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات

جبال القمر

سمّى دوق ابروزي ابن عمّ ملك ايطاليا التلال القمم العالية من جبال القمر التي صعد اليها واحدة باسم الملكة مرغريتا ام ملك ايطاليا الحالي وواحدة باسم الملكة الكسندرا ملكة انكلترا وواحدة باسم الملك ليوبولد ملك البلجيك

يعالجان الذئب الاكّال في خد رجل عمره ٥٥ سنة ان الشعر يسقط من حول اذنهِ وكان ابيض فنما اسود وان شعر شاربهِ الذي عرّض للاشعة صار اقلّ بياضاً من شعر الشارب الآخر . وقد مضى على ذلك عدة اشهر ولا يزال شعر الرجل اسود مع انه يقصهُ من حين الى حين . وهذه احسن بشرى تزفُّ للشائبين ولا سيما الذين ابيضّ شعرهم وهم لا يزالون في عنفوان الشباب . واما الشيوخ الذين اشتعلت رؤُوسهم شيباً فانهم يفضلون اللون الاسود على الابيض ايضاً وان كان المشيب فيهم وقاراً وكمالاً . ورحم الله ابا الطيب حيث يقول

وما خضب الناس البياض لانهُ
قبيحٌ ولكنْ احسن الشعر فاحمهْ

الحامض الكربونيك في الطبيعة

في فرنسا مقاطعة اسمها اوڤرن تحتوي ينابيعها على كثير من غاز الحامض الكربونيك ويتصاعد الغاز منها على الدوام ولكنهُ لما كان اثقل من الهواء فانهُ يتجمع في شقوق الينابيع فاذا ورد حيوان الماء ليشرب تنفَّس الغاز ومات مخنوقاً . ومن هذه الينابيع ينبوع يلقبونهُ "الينبوع المسموم" وذلك لان الحيوانات التي تردهُ تختنق بغازهِ وتموت فترى جثث الطيور والحيوانات كالارانب والكلاب والغنم ملقاة على صعيدهِ تردهُ ولا

تقدر ... يومياً من ... استطاعة مذكور زيادة هذه كمية ... واتخذ ... لارض على عمق ... وجدوا فيها آ... وخيل وبقر وغنم و... على عمق ١٧ ... بالموت واستدلوا ... الضخم جداً

مما يحكى من ... البذور ان التبط... التي سافرت لاك... ١٨٨١ اخذ معهُ ... المضادة الاسكر... كونجر عند الدر... العرض الشمالي ف... وجماعتهُ الحصن ا... سنة ١٨٩٩ عثر ... اخرى من البعثا... القطب على المحطة ... تسكنها في حصن ... وجدوا فيها صرة ... صندوق مفتوح ...



الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

عدوى الطاعون

اشتهرت علاقة الجرذان بالطاعون في الهند من قديم الزمان حتى صار عند الهنود مثل يقول "متى سقطت الجرذان من السقوف فليهجر الناس بيوتهم". وذلك لان الجرذان تعشش في سقوف الاكواخ وجدرانها فاذا ادركها الطاعون وماتت جعلت تتساقط افراداً وازواجاً. والغالب ان يعقب اصابة الجرذان بالطاعون اصابة الناس بهِ . ولم تعلم كيفية اصابة الناس بهِ تماماً بل رجح من مقارنة الاحوال انهُ ينتقل اليهم بالعدوى ولكنهم وجدوا صعوبة عظيمة في اثبات ذلك بالبرهان ووجه الصعوبة تعيين طرق العدوى . على ان هذه الصعوبة زالت منذ عينت حكومة الهند اللجنة العلمية الاخيرة فجعلت توالي ابحاثها وتجاربها ولا تزال تواليها حتى الآن . وقد كان لابحاث السنة الاولى شأن عظيم لاحتوائها على نتائج قاطعة مهمة فقد اثبتت بما لا محل فيهِ للريب ان اعظم واسطة لنقل مكروبات الطاعون من جرذ الى جرذ ومن الجرذ الى الانسان براغيث الجرذان المعروفة بالاسم اللاتيني "Pluex cheopis". وقد شرعت هذه اللجنة في ابحاثها صارفة النظر عن التجارب والآراء المتناقضة التي توصل اليها الباحثون قبلها . لانهُ وان تكن الادلة قد توفرت على وجود علاقة بين طاعون الجرذان وطاعون البشر منذ اكتشف يرسن وكيتساتو مكروب الطاعون فقد ظهرت نتائج سلبية كثيرة عند البحث في اثبات ذلك ايجابياً . واكثر الذين درسوا اطوار الطاعون في الهند نفسها ذهبوا الى انهُ داءٌ اصلهُ خاص بالجرذان ثم ينتقل منها الى الانسان . وقد درس كثيرون علاقتهُ بالانسان ولم يتصل احد الى نتيجة باتّة عن مقدار علاقة الجرذان بنشر الوباء حتى ولا في سنة ١٩٠٣ وهي السنة التي اصدرت فيها لجنة الطاعون الهندية الاخيرة تقريرها بهذا الصدد . فانها قالت في مقدمة التقرير انهُ لم يتضح لها ما اذا كانت الجرذان تصاب بالوباء بعد

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد

مفاخر البطالسة

بطليموس السابع الملقَّب فيلومتور

لما توفي بطليموس الخامس خلفهُ ابنهُ الاكبر بطليموس السادس الملقَّب يو باتور والظاهر انهُ شارك اباهُ في الملك بضع سنوات ولكنهُ لم يملك وحدهُ سوى بضعة اشهر او بضعة اسابيع ولا يعلم عنهُ شيء آخر ولم يذكرهُ احد من المؤرخين ولكن وجد اسمهُ في الآثار القديمة مع اسم ابيهِ

ولما توفي بطليموس الخامس كان عمر ابنهِ الثاني نحو سبع سنوات فجُعلت زوجتهُ كليوباطرة ابنة انطيوخس نائبةً للملك والظاهر انها كانت حازمة حسنة السياسة فاحسنت سياسة البلاد وقرَّبت منها جماعة من اليهود واستعانت بهم على حفظ املاكها في سورية وقرَّبت ايضاً جماعة من وجوه المصريين او ان الذي قرَّبهم زوجها باعهم الالقاب والوظائف بيعاً واقامت بينايوس السوري معلماً لابنها بطليموس السابع حتى اذا بلغ اشدَّهُ سنة ١٧٣ قبل المسيح احتفلت بذلك احتفالاً عظيماً جدًّا حضرهُ الوفود من اليونان والرومان. والظاهر انها توفيت في ذلك الحين و لم تكد تغمض عينيها حتى قام انطيوخس الرابع ملك سورية واستصفى ريع املاكها فعزم بطليموس ان يخرج اليهِ محارباً لكن انطيوخس لم يمهلهُ بل جاءهُ بجيوشهِ ودخل القطر المصري وحارب بطليموس عند بلوزيوم (الطينة) فدارت الدائرة على المصريين ولجأ بطليموس الى الفرار واستولى انطيوخس على بلوزيوم وسار الى منف واستولى عليها وسمَّى نفسهُ ملك مصر وقبض على بطليموس وجاء بهِ الى منف وكان لهُ اخ اصغر منهُ فنادى بنفسهِ ملكاً في الاسكندرية وهو المعروف ببطليموس التاسع. ونزل انطيوخس الى الاسكندرية وحاصرها فخرج اليهِ بطليموس هذا وتغلَّب عليهِ فترك الاسكندرية وعاد الى منف وجعل بطليموس السابع نائباً عنهُ وترك حاميةً سورية في بلوزيوم وعاد الى سورية ولكنهُ لم يكد يخرج من القطر المصري حتى اتفق الاخوان على ان يقتسما حكم البلاد ويملكا معاً وبلغ انطيوخس ما اتفقا عليهِ فعاد الى مصر لكن رومية دخلت بينهُ وبين المصريين وامرتهُ بالرجوع الى بلادهِ

ثم اختصم الاخوان وطرد بطليموس التاسع اخاهُ بطليموس السابع من الاسكندرية فهرب الى رومية ولجأ الى شيوخها فردوهُ الى مصر وامروا اخاهُ ان يذهب الى كيرين ويكتفي بامتلاكها ويترك القطر المصري لبطليموس السابع ففعل بطليموس التاسع كما امروهُ ومضى الى

اصابة الناس به او اذا كانت تصاب به اولاً و د كانت ... س و

ومن المصاعب التي عرضت في هذ ... معرفة طريقه ا

الجرذان الى الناس او من الجرذان الى الجرذان ... من طرق ال

بعضها بعضاً ولكن ظهر بالبحث انهُ لا بدَّ للجرذان ان ... كل مقدار

حتى تعدى بالطاعون · وقد خطر لكثيرين من الباحثين انهُ لا

التي تنقل العدوى ففحصوا الذباب والنمل والبراغيث والبق فوجد

ابدانها · على ان آخرين خالفوا هذا المذهب بأَبين مخالفتهم على اسب

مختصة بالجرذان دون غيرها فلا تلذع الناس ولا الحيوانات الا

بعد ما ثبت ان براغيث الجرذان تلذع الحيوانات الاخرى

وهذه خلاصة نتائج التجارب التي اجرتها لجنة الطاعون لاثبا

(١) وضعت جرذاناً سليمة في صندوق شريط وجرذاناً مط

فأُصيبت السليمة بالطاعون دلالة على ان البراغيث نقلت مكروب

(٢) أَبانت ان خنازير غينيا تعدى بالطاعون بهذه الطر

(٣) اثبتت من وجه آخر ان اختلاط الجرذان السليمة بالم

بل لا بدَّ من وجود البراغيث في المطعونة لتنقل الوباء . حتى ا

صغارها التي ترضع منها اذا كانت خالية من البراغيث

(٤) حالما اطلقت البراغيث بين الجرذان السليمة والمط

بالطاعون وكانت سرعة انتقالهِ على نسبة عدد البراغيث (اي

السرعة) · وقد اتخذت اللجنة الاحتياطات اللازمة لمنع نقل الع

وهكذا ثبت انهُ يمكن نقل الطاعون من حيوان الى حيوا

وترجح ان البراغيث اهمُّ اسباب العدوى بالتجربة الآتية وهي ان

بيوت كانت ملوثة بالطاعون ولكنها طهرت منهُ وأُبقي فيها عدد

الخنازير بالطاعون بواسطة البراغيث التي وجدت عليها وظه

نقل الوباء الى الحيوانات السليمة · ووضعت خنازير اخرى في ...

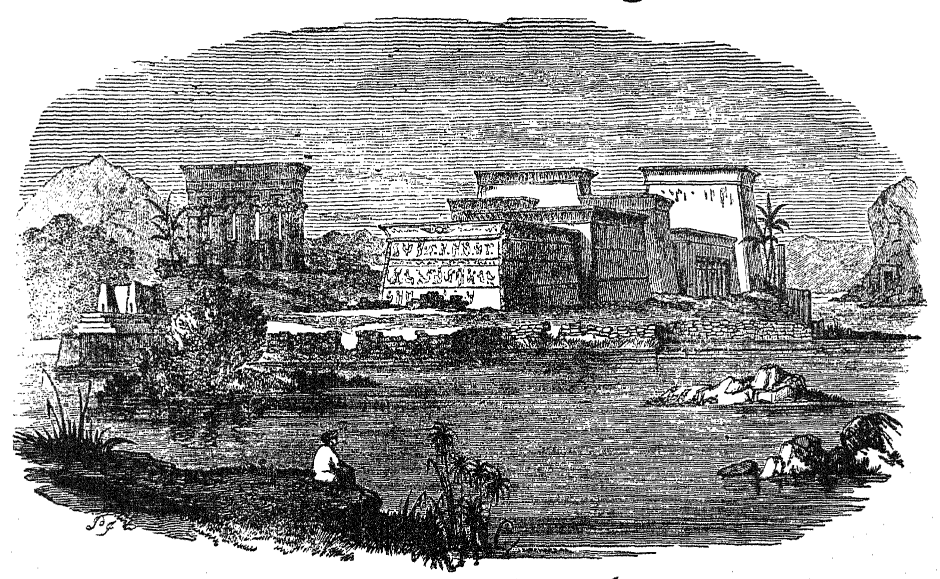
لا تدخلها البراغيث ثم وضعت الصناديق في بيوت ملوثة بالطا

خنازير اخرى في صناديق تدخلها البراغيث فمات بعضها مطعو

علقت بالخنازير في البيوت الملوثة بالطاعون فوجد مكروبات الط



بطليموس السابع يقدم اكليلاً وزوجتهُ كليوباطرة تقدم خشخشين



هيا كل انس الوجود التي بناها البطالسة

كثيرين ثم سار منها الى رومية واقنع مجلس الشيوخ فملكوهُ قبرص ايضاً ولكنهم لم يستطيعوا ان يسلموهُ اياها لان اخاهُ بطليموس السابع كان قد وصل اليها بجيش كثيف . ولما كان الاخوان يختصمان على امتلاك قبرص قام ديمتريوس من سورية لامتلاكها فاغتاظ بطليموس السابع منهُ ونصر اسكندر بالوس عليهِ وملَّكهُ سورية وزوَّجهُ بابنتهِ كيوباطرة وقام الى عكاء ليعينهُ على ديمتريوس . وحاول رجل اسمهُ امونيوس اغتيالهُ وهو في عكاء وكان هذا الرجل من اعوان صهرهِ الاسكندر فاعتقد فيهِ الخيانة واخذ ابنتهُ منهُ وزوجها لديمتريوس وانحاز اليهِ وسار الى انطاكية فقوبل فيها باحتفال عظيم ونودي بهِ ملكاً على سورية اما هو فملَّك ديمتريوس . وقام الاسكندر يحاربهما فحارباهُ وتغلبا عليهِ لكن بطليموس وقع عن جوادهِ بعد ظفرهِ فانكسر رأسهُ ومات وكان ذلك سنة ١٤٦ قبل المسيح

قال بوليبيوس المؤرخ "انهُ كان كريماً محسناً لم يقتل احداً من رجالهِ ولا امر بقتل احد من اهالي الاسكندرية ولكن نجاحهُ المستمر افسد عقلهُ فعكف على الملاهي والملاذ "

وفي عصرهِ اوقع انطيوخس الرابع باليهود فنهب اورشليم وقتل كثيرين من اهاليها لانهُ وجد اليهود في مصر منتصرين للبطالسة ثم عاد اليها بعد سنتين وجرَّد الهيكل من كل ثمين واخذ منهُ المنارة الذهبية ومذبح البخور ومائدة خبز الوجوه ومذبح المحرقة والحجاب ومنع تقديم الذبائح وقتل كثيرين من الرجال والنساء وسبي منهم عشرة الاف نفس وحرق افخر مباني المدينة وهدم اسوارها وبنى حصناً في القسم الاسفل منها ووضع فيهِ حامية مكدونية ونصب صنماً على المذبح وذبح عليهِ خنزيراً وامر الشعب ان يقيموا المذابح و يذبحوا عليها الخنازير ومنع اليهود من الختان وامر بجلد كل الذين يخالفون ذلك وتمزيق اجسادهم وصلب كثيرين منهم . والنساء اللواتي ختنَّ اطفالهنَّ علقهنَّ على الصلبان وعلَّق اطفالهنَّ حول اعناقهنَّ واتلف كل نسخ الشريعة التي وجدها وقتل كل الذين وجدت عندهم (يوسيفوس عاديات اليهود ١٢ : ٥)

ومن الذين هربوا من جورهِ اونياس بن اونياس رئيس الكهنة فهذا وصل الى مصر وقال لبطليموس انهُ ان سمح لهُ ببناء هيكل فيها لعبادة اليهود جعل اليهود كلهم يحاربون معهُ . قال يوسيفوس ان اونياس قدَّم طلبهُ الى بطليموس كتابةً فاجابهُ بطليموس بكتاب هذه ترجمتهُ

"من بطليموس الملك وكيلوباطرة الملكة الى اونياس سلام

قرأنا عريضتك التي تطلب فيها ان نسمح لهُ بتطهير الهيكل المتخرب في ليونتوبوليس في اقليم هليوبوليس المسمَّى هيكل بوباستس باسم البلاد التي هو فيها فاستغربنا كيف يسرُّ الله ان يقام لهُ هيكل في مكان غير طاهر مثل هذا المكان ولكن من حيث انك قلت ان اشعيا

النبي انبأَ بذلك منذ زمن طويل فنحن نأْذن لك في ذلك اذا كان على موجب شريعتكم حتى لا يقال اننا اغظنا الله ". ولذلك بنى اونياس حصناً وهيكلاً ليس مثل هيكل اورشليم بل مثل برج . وكان ارتفاع البناء ستين ذراعاً ولهُ سور من الاجر بابواب من الحجر وفيهِ مذبح مثل مذبح الهيكل في اورشليم ومصباح من الذهب المطروق معلق بسلسلة من الذهب . واسم المكان اونيون وهو على ١٨٠ غلوة من منف على ما قالهُ يوسيفوس

وواضح ان غرض بطليموس من السماح لليهود ببناء هيكل في مصر سياسي محض . وظلت اونيون مدينة عامرة زمناً طويلاً ونهبها لوبوس حاكم الاسكندرية في زمن أسبسيانوس على ما رواهُ يوسيفوس واقفل هيكلها ثم خلفهُ باولنيوس فنهب الهيكل وطرد الكهنة

وقد ذهب المسيو نفيل الى ان اونيون بنيت في المكان الذي كان يسمَّى في عهد رعمسيس الثالث بيت را شمالي انو (هليوبوليس) ويعرف هذا المكان الآن بتل اليهودية وهو قرب شبين القناطر على سكة الحديد بين القاهرة والمنصورة . والمرجح ان يوسيفوس خلط بين اونيون وليونتوبوليس التي هي قرب الزقازيق عند تل بسطة

وابقى بطليموس السابع آثاراً كثيرة في القطر المصري وبلاد النوبة فانهُ رمم هيكل كرنك وعاد الى اتمام هيكل ادفو الذي شرع في بنائهِ بطليموس الثالث ثم تعطل العمل فيه من السنة السادسة عشرة من ملك بطليموس الرابع وهيكل دير المدينة الذي اسسهُ بطليموس الرابع واسس هيكل هاثور في جزيرة انس الوجود الذي اتمهُ اخوهُ بطليموس التاسع واضاف زيادات كثيرة الى هيكل ايسس الذي اسسهُ بطليموس الثاني وبنى هيكلاً في دبوت على ١٣ ميلاً من انس الوجود جنوباً وعلى هذا الهيكل كتابة يونانية فيها ذكر هذا الملك وزوجتهِ كليوباترة وذكر ملك النوبة اركامون

واثار بطليموس كثيرة في الوجه القبلي ولكن لم يكتشف لهُ اثر حتى الآن في الوجه البحري وقد ظن الاستاذ مهافي ان المصريين اقنعوهُ بان اسلافهُ بنوا كل مبانيهم في الوجه البحري واهملوا الوجه القبلي لذلك عصى اهلهُ عليهم ولا سبيل لمصالحتهم واخماد ثورتهم الَّا بالاهتمام بهيا كلهم ومعبوداتهم

وقد استدلَّ الاستاذ مهافي على ان بطليموس السابع كان من اعلى البطالسة همة واشدهم عزيمة وان البلاد ارتقت في ايامهِ واستعزَّت وانهُ لا محل لما اتهمهُ بهِ المؤَرخون من انهُ عكف على الملاهي والملاذ لما سكر من خمرة النجاح



هذا هو المتوسط الشهري وقد يكون مقدار المواد اكثر منهُ او اقل في بعض ايام الشهر فالمواد التي يحملها البحر الابيض تكون في اكثر شهور السنة من ٥٠ الى ٨٠ درهماً في كل مليون درهم من الماء وتزيد في شهر اغسطس حتى تبلغ ١٤٢ درهماً ومن المحتمل ان هذا الزيادة تدخل البحر الابيض من البحر الازرق لان ماء البحر الازرق يطغى في يوليو واغسطس وسبتمبر ويصل الى مجرى البحر الابيض ويوقف ماءهُ عن الجريان فتتكون منهُ بحيرة ترسب فيها الاجزاء الثقيلة من المواد المحمولة بهِ ولا يبقى فيهِ الاَّ الاجزاء الخفيفة ولذلك تقلُّ المواد المحمولة بهِ في سبتمبر واكتوبر

ومهما قلَّت المواد المحمولة بماء البحر الابيض لا تنقص عن ٣٦ في المليون ولذلك لا يصفو ماؤهُ ابداً اما البحر الازرق فتقلُّ المواد التي يحملها ماؤهُ حتى لا يبقى منها الاَّ اربعة في المليون كما تقدم ولذلك يكون ماؤهُ نقيًّا صافيًا كل مدة الشتاء والربيع من يناير الى يونيو ثم تزيد حتى تبلغ اكثر من الف درهم في كل مليون درهم وقد بلغت ١١٦٦ دهماً في ١٢ اغسطس سنة ١٩٠٥

والمواد الذائبة في البحرين تختلف ايضًا باختلاف الفصول والشهور كما ترى في هذا الجدول

	البحر الابيض			البحر الازرق		
	٢٠ دسمبر ١٩٠٤	١٠ يناير ١٩٠٥	٤ حزن ١٩٠٥	٢٠ دسمبر ١٩٠٤	١٢ يناير ١٩٠٥	٤ حزن ١٩٠٥
جوامد محمولة	٦٥	٧٤	٤٩	١٦٫٥	٦	٧
جوامد ذائبه	١٦٥٫٤	١٦٠	١٩٨	١١٠	١١٥	١٦٥
امونيا	٫٠١٥	٫٠٢	٫٠٢٣	اثر	٫٠٠٦	٫٠٣٢
البيمويد	٫٣٨٠	٫٣٤	٫٣٠	٫٠٩٨	٫٠٧٥	٫١٩٤
نيترات	٫٠٨٥	٫٠٩٥	٫٠٨٩	٫٠٣٠	٫٠١٥	٫٠٥٤
كالوريدات	٤٫٩٠	٥٫٣٩	١١٫٥٠	١٫٠٥	١٫٥٠	٤٫٧٠
كربونات	٥٣٫٨٠	٥٧٫٦٠	٩٤٫٠٠	٤٣٫٠٠	٤٧٫٤٥	٥٩٫٨٩
كبريتات	٠٠	٠٠	١٫٢٣	٥٫٤٠	٧٫٠٠	٧٫٦١
كلسيوم	١٢٫٣٠	١٣٫٢٠	٢٠٫٩٦	١٨٫٤٠	٢١٫٨١	٢٥٫٥٣
مغنيسيوم	٣٫٨١	٣٫٩٨	٦٫٤٩	٤٫٣٧	٤٫٦٥	٥٫٨٩
صوديوم	٢٢٫٧٠	٢٣٫٤٠	٣٦٫١٩	٥٫٥٧	٦٫٠١	٧٫٨١

مياه النيل

[illegible]

النيل حياة القطر المصري [illegible] حيوان برتع ولذلك لا عجب اذا [illegible] احلاف مقدرتها العلمية والمالية ولا [illegible] في مصر والسودان اسد ما لقيهُ منذ جرت فيهِ اول قطرة من [illegible]

لما اهتمَّ اللورد كتشنر بجمع [illegible] اهباستكون مصدر نور وعرفان لبلاد السودان [illegible] الايام مؤيدة لذلك . ولدينا الآن تقرير ما جرى في [illegible] عما في ماء النيل من المواد المحمولة فيهِ والذائبة وعن [illegible] الفصول والشهور

وقد جرى البحث في ماء قسميهِ اي البحر الابيض و[illegible] فاخذت المياه التي عرضت للامتحان من البحر الابيض من نقطة على ميلين فوق [illegible] البحر الازرق ومن البحر الازرق من نقطة على ثلاثة اميال فوق ملتقى البحرين

اما المواد الجامدة المحمولة بماء النيل فتختلف كثيراً باختلاف الشهور وباختلاف الفرعين فانها تنقص في البحر الابيض حتى يصل متوسطها الشهري [illegible] درهماً في كل مليون درهم من الماء وتزيد حتى يبلغ متوسطها ١٤٢ درهماً في كل مليون درهم وتنقص في البحر الازرق حتى يبلغ متوسطها الشهري اربعة دراهم فقط في كل مليون درهم من الماء وتزيد حتى يبلغ متوسطها ٩٩٣ درهماً في كل مليون درهم كما ترى في هذا الجدول

	البحر الابيض	البحر الازرق
شهر نوفمبر ١٩٠٤	٨٢٫٧	٥٧٫٦
« دسمبر «	٧٤٫٠	١٩٫٤
« يناير ١٩٠٥	٧٠٫٨	٦٫٦
« فبراير «	٧٦٫٠	٤٫١
« مارس «	٥٥٫٠	٨٫٩
« ابريل «	٥٦٫٢	٦٫٥
« مايو «	٥٢٫٢	٧٫٠
شهر يونيو ١٩٠٥	٤٩٫٠	٧٫٠
« يوليو «	٧٥٫٧	٤٧٢٫٠
« اغطسس «	١٤٢٫٦	٩٩٣٫٥
« سبتمبر «	٢٦٫٥	لم يعين
« اكتوبر «	٣٢٫٥	١١٠٫٠
« نوفمبر «	٤٤٫٠	٦٦٫٠

غوائل الصحة

البحث في فائدة الرياضة البدنية تحصيل حاصل . فقد ادرك الناس فائدتها وعملوا بها منذ قديم الزمان . وكلمة جمنستيك التي تنسب الالعاب الرياضية اليها كلمة يونانية مشتقة من كلمة جمنازيوم وهو مكان عمومي كان اليونان القدماء يقيمونهُ لتمرين اولادهم على الالعاب البدنية مثل المحاضرة والمصارعة ولم يخفض مقام الرياضة على مرّ السنين والعصور بل ربما كان بعض الامم الحديثة اشدّ تعلقاً بها من اليونان القدماء كالامة الانكليزية مثلاً فان اعتمادها على الالعاب الرياضية في تربية ابنائها معروف مشهور

ولكن الحكمة قبل الرياضة . ومن الحكم قولهم الاعتدال خير الامور وقول الشاعر العربي

كثر التناهي غلطُ خير الامور الوسطُ

وهذه الحكمة تصدق على الرياضة البدنية كما تصدق على غيرها . فقد عرف ان المتطرفين في ترويض ابدانهم قصيرو الاعمار على الغالب لانهم يقوون عضلاتهم الصلبة على نفقة اعضائهم الحيوية . فان تمرين العضلات يقويها ولكن اجهادها بين انقباض وارتخاء يؤثر في مرونة الشرايين فتفقد بعضها وفي حركة القلب وسائر الاعضاء الحيوية فيوقع الخلل فيها ويفقدها انتظام عملها . وقد ادرك الاطباء ذلك حديثاً وخافوا ان يفضي الى ذي يميل الى الاضرار بالصحة العمومية فقاموا يكتبون ويخطبون في بيان مضارّه ويحذرون منها . ومن احسن ما كتب في هذا الصدد مقالة من قلم الدكتور الكسندر ريس من مشاهير اطباء الانكليز قال .

لا ينكر احد فائدة الرياضة البدنية هذه الايام حتى ان الاطباء يعالجون بها كثيرًا من الامراض والعوارض التي تطرأُ على الجسم مثل السلّ والسمن ومرض القلب وسوء الهضم وبعض العاهات . ولكن زاد اقبال الناس عليها وتناهيهم فيها الى حدّ ان صار الخطر على الصحة العمومية من ذلك اعظم من الخطر الناشئ عن اهمالها . خذ مثلاً اسوج ونروج والمانيا وانكلترا وهي في مقدمة الدول الاوربية اهتماماً بالرياضة . ففي اسوج يموت ثلث الاهالي قبلما يبلغ الواحد منهم سن الحادية والعشرين ويُرفض ربع الشبان الذين يعيشون بعد بلوغ ذلك السنّ من الخدمة العسكرية لعدم لياقتهم . وفي نروج بات السلّ كثير الانتشار . وفي المانيا يقبل في العسكرية ٥٤ في المئة من الشبان ويرفض الباقون . وفي انكلترا بلاد الالعاب والرياضة في الخلاء ترى الحال شرًّا من ذلك كلهِ

ومعلوم ان غاية الرياضة تأهيل الانسان لاعمالهِ واشغالهِ اليومية حتى يكون على احسن

وتاسيوم	٩,١٤	٨,٩٠	١٤,٣٧	١,٤٠	١,٥	١,٩٠
ملكا	٢٤,٠٠	٣٥,٠٠	٢١,٠٠	٣٦,٠٠	٢٤,٠٠	٢٣,٥٠

لون الماء في البحرين — تقدم ان ماء البحر الابيض لا يصفو ابدًا ولو كانت المواد المحمولة فيهِ قليلة. والمواد التي يحملها هي في الغالب طين دقيق جدًّا ولا سيما بعد ما ترسب منهُ الاجزاء الخشنة واذا وُضع ماؤهُ في اناء زجاجي صافٍ ظهر لهُ لون شبي ابيض ويبقى هذا الطين منتشرًا فيهِ زمانًا طويلاً. واما ماء البحر الازرق فيصفو ولا سيما من يناير الى يونيو ويصير لونهُ ضاربًا الى الزرقة اذا نظر اليهِ في اناء عميق مملوء بهِ مثل كل المياه الصافية التي فيها قليل من المواد الآلية

وسبب ذلك ان ماء البحر الابيض يحوي على قليل من مركبات المغنيسيوم وكثير من كربونات الصوديوم والبوتاسيوم وبي كربوناتهما. واما ماء البحر الازرق فاكثر منهُ في ما يحويهِ من الكربونات القلوية

واذا مزج الماء بالطين العادي لم يرسب الطين كلهُ سريعًا بل بقي فيهِ شيء منهُ ممتزج بهِ مهما مرَّ عليهِ من الزمن ولكن بعض المواد يؤثر بهذا الماء فيجعل الطين يرسب منهُ سريعًا وبعضها يؤثر فيهِ تأثيرًا مضادًّا للتأثير الاول فيمنع الطين من الرسوب فمن المواد الاولى الحوامض ومركبات الكلسيوم والمغنيسيوم وبعض الاملاح ولاسيما ملح الطعام (والشب الابيض من هذا القبيل وكذلك دهن اللوز). واما المواد القلوية فتمنع رسوب الطين والامونيا من اقواها وكذلك مركبات الامونيا. وقد وجد سكلوزنج ان صفاء مياه الانهر وعكرها موقوفان على ما فيها من مركبات المغنيسيوم والكلسيوم فاذا كان في النهر ٧٠ الى ٨٠ درهمًا من المغنيسيا في كل مليون درهم من الماء صفا الماء سريعًا

وتزيد المواد الذائبة في ماء البحر الازرق وماء البحر الابيض حينما يكونان مخفضين ولاسيما من شهر مارس الى شهر يونيو وسبب ذلك ليس من كثرة التبخُّر بل من ان جانبًا من الماء يكون راجعًا من الاراضي التي غمرها ماء الفيضان وفيهِ كثير من الكلس والمغنيسيا ذائبين فيهِ وقد بلغ مقدار الكلس والمغنيسيا في ماء البحر الازرق في شهر يونيو ٤٥ في المليون وهو اقل من المقدار اللازم لتصفية مياه الانهر على قول سكلوزنج ولكنهُ كافٍ لتصفية ماء النيل بسبب طول مجراهُ وبطء جريهِ فيصفو ماؤهُ ويزرقّ. ويكون الكلس والمغنيسيا كثيرين في ماء البحر الابيض ايضًا في هذه المدة ولكن يكون فيهِ مواد قلوية تمنع رسوب العكر المنتشر فيهِ فيبقى عكرًا او مبيضًّا وهذا سبب تسمية الاول بالبحر الازرق والثاني بالبحر الابيض

شرٌّ من لا نظام لانهُ يؤذي الاعضاء الباطنة بسهولة والغالب ان يفضي الى اختلال الصحة تمام الاختلال . هذا وتمكن قسمة الناس عموماً الى قسمين كبيرين من هذا القبيل القسم الواحد الضعفاء والقسم الآخر الاقوياء. ومما لا ريب فيهِ انهُ لا يستطيع كلُّ ضعيف البنية ان يصير قويًّا مهما روَّض جسمهُ اذ الاقوياء مفطورون لا مصنوعون والرياضة البدنية تصيّر الضعيف قويًّا اذا كان من صنف الاقوياء لان القوة صفة طبيعيَّة تزيد بالاستعمال وغاية التربية البدنية ابلاغ قوى الجسم اقصى حدّها الفسيولوجي وهو الحد الذي اذا جاوزتهُ تعرَّض الجسم للخطر

ويقال من جهة اخرى ان كلّ ضعيف الجسم تقريباً يمكن ان يصير صحيح الجسم ولكن من الحمق ان يحاول مجاراة قويّ البنية ومقاربتهُ في قوتهِ مهما بالغ في الرياضة . ومن الاسف ان الضعفاء لا يدركون هذا الامر على الغالب الاَّ بعد ان يصابوا باضرار جسيمة ولا سيما في القلب والجهاز العصبي . فان الافراط في اجهاد الجسم لا يفيد البتة بل يأول غالباً الى ضرر لا يمكن تلافيهِ مثل انفجار وعاءٍ دمويّ او تمدّد في القلب

والسبب الثالث سوء التغذية . قام كثيرون من الكتَّاب كباراً وصغاراً هذه الايام يقولون ويكتبون ان الناس وخصوصاً المتمدنين يفرطون في الاكل الى حد النهم . وفي ذلك من الضرر ما فيهِ . اما انا فقد اقنعني اختباري كما اقنع غيري من زملائي ان فريقاً كبيراً جدًّا من الناس يأكلون دون ما يجب ان يأكلوا فلا تنال اجسامهم من الغذاء ما يكفيها . وحقيقة الخطاء الافراط في تناول البروتييد (المادة المغذية في اللحم) . فقد ابان الاستاذ تشتندن من رجال المكتب الزراعي في الولايات المتحدة الاميركية انهُ يمكن الانسان ان يعيش تامّ الصحة على اوقية (١٢ درهماً) من اللحم مع غيرهِ من الطعام كلّ يوم . ولكن اجراء التجارب في هذا الصدد لا يكفي للاقناع لأن ليس كل الناس سواء في هذا الامر فلا يصحُّ القول ان ما يلائمني لا بدّ ان يلائم غيري

وقد كان المتروضون من قبل يعتمدون في تقوية اجسامهم وترويضها على اكل مقدار كبير من اللحم الهبر وهذا خطاء شديد الخطر وكثيراً ما أفضى الى انحطاط اجسامهم وخسارة صحتهم . نعم ان الطعام الحيواني منبّه للجسم وخواصهُ المقوية اسرع انتقالاً الى انسجة الجسم ولكن المتروضين الذين يعتمدون عليهِ في طعامهم اقلُّ صبراً على المتاعب من الذين يعتمدون على بروتييد الخضر والنباتات وعليهِ ففي المبارزات والمصارعات التي تقتضي احتمالاً او ثباتاً ترجح الغلبة لآكلي المواد النباتية على آكلي المواد الحيوانية

ما يمكن من الصحة ورضى الخلق والقدرة على العمل . وفي تدبير الرياضة يدخل من الهواء في الرئتين سبعة اضعاف ما يدخل فيهما وقت الراحة والنتيجة ان الاوساط الحيوية تقوى لان اكسجين الهواء المتنفس يحرق فضول الجسم ويخلصه من السموم التي تتولد في الانسجة الحيه . فان الأرق والامراض العصبية والبول الزلالي نتيجة قلة الحركة . والرجل الذي لا تستدعي حرفتهُ حركة لا بدّ ان يصاب بسوء الهضم عاجلاً او آجلاً . ولا يُبعد ان تعصمه منها وتبقيه والتيجوحة غير الرياضة فقد اشتهر عن جميع المعمرين انهم كانوا كثيري الحركة في اعمالهم

اذًا فلمَ الصحة العمومية على انحطاط في البلدان المذكورة آنفًا واهلها على ما وصفنا من الاهتمام بالرياضة . لذلك اسباب اولها عدم وجود نظام للرياضة . فان الرياضة التي لا نظام لها قلما تفيد . ويشترط في النظام الذي يوضع لها ان يكون مستوفيًا سهل التنفيذ لا يستغرق وقتًا طويلاً فتحصل الفائدة المطلوبة منهُ حينئذٍ والاَّ فلا . ولا يمكن استنباط نظام شامل للجميع على السواء وافٍ بحاجات كل احدٍ . على اني اوفى تلك النظامات بالحاجة النظام الذي وضعهُ لنغ ثم توسعّ فيهِ وسمي "النظام الاسوجي للتربية البدنية" وغاية منهُ ترويض الجسم لا اجهادهُ وتعليمنا كيف نستعمل كل عضلة من عضلاتنا على احسن ما يمكن ونبلغ كل عضو حدهُ التام من القوة والحيوية والعمل

يقول كثيرون ان الانسان يحصل على قدر كافٍ من الرياضة في اعمالهِ واشغالهِ اليومية حتى اذا فرغ منها لم يجد من نفسهِ ميلاً الى الزيادة منها ولا قدرة عليها . ولكن مما لا ريب فيهِ ان العمل ليس رياضة اذ في العمل يبذل الانسان كلّ حيلتهِ ليقتصد في قوتهِ ويوفر جهدهُ وقلما يجهد عضلة من عضلاتهِ لان غايتهُ توفير تعب العضلات ما امكن والاعتماد على عملها الذاتي اذ يكون دماغهُ مشتغلاً بما امامهُ من العمل لا بعمل العضلات . ولا بدّ لترويض العضلات ترويضًا مفيدًا من توجيه الدماغ كلهِ اليها

ويحسن بالذين يعملون في الخلاء كالبستانيين مثلاً ان يعمدوا الى طريقة من طرق الرياضة منعًا لتشوُّه الجسم من تعود عمل واحد كلّ يوم كما يشاهد في اصحاب الحرف المختلفه . فان البستنة افضل الحرف للصحة ومع ذلك فيندر ان تجد بستانيًّا صحيح البنية سليم الجسم من المرض خفيف الحركة . ومعظم البستانيين يصابون بامراض روماتزمية وتيبّس عضلات ظهورهم تيبسًا غير طبيعي يمكن تداركهُ بالرياضة المناسبة . ومن رأيي ان الخدمة العسكرية الالزامية خير الوسائط لمنع انحطاط اجسام الشبان

والسبب الثاني في انحطاط الصحة العمومية اتباع نظام فاسد للرياضة . والنظام الفاسد

بالماء الشديد الحرارة و يواظبون عليهِ مرة كلّ يوم على القليل ويبقون في الحمام ساعة او اكثر كل مرة . وخير طرق الاستحمام لاكثر الناس الاستحمام بالماء الفاتر صباحاً مع الصابون ثم الفرك بمناشف خاصة بذلك

والسبب الخامس سوءُ الوقوف والجلوس والمشي . فاننا نقف عادة على رجل واحدة فتصير احدى الكتفين اعلى من الاخرى . ونجلس جلسة واحدة واحدى الرجلين فوق الاخرى غالباً فتنفتل السلسلة الفقرارية والجذع وتتعطل اعصاب الرجلين من الضغط . ونعمل اعمالنا بيد واحدة فيختلف شطر الجسم الايمن والايسر توازناً وشكلاً . ونمشي وبطوننا امامنا ورؤُوسنا ممدودة بين اكتافنا بدلاً من ان نمشي منتصبين . وكثير منا يصابون بتشويه في اجسامهم واسقام متعددة وخصوصاً سوءَ الهضم من سوء الجلوس على المائدة . فان من عادات الشرقيين ان يتكئوا على مساند وهم يأكلون وليس هذا ناشئاً عن كسلٍ اذ قد عرف ان الهضم يسهل بالاستلقاء على الظهر نصف ساعة بعد الطعام ورفع الفخذين وسند الراس بمسند

والسبب السادس قلة العيشة في الخلاء واكثر ما يكون ذلك بين ساكني المدن . فانهُ يلزمهم قضاء ساعتين في الخلاء كل يوم لمقاومة النتائج المضرة التي تنتج عن استنشاقهم الغبار في منازلهم واماكن عملهم وسراراتهم . فاذا شئنا اجتناب كثير من الادواء الناشئة عن استنشاق الغبار مثل السلّ وامراض الحنجرة وذات الرئة وغيرها فلا غنى لنا عن التنزه في الخلاء كل يوم . ثم ان كثيراً من امراض القناة الهضمية وخصوصاً الاسهال الحادّ ينشأ عن اكل طعام عرّض لهواء كثير الغبار مثل اللبن واللحم والفاكهة والخضر . فيجب والحالة هذه وقاية ما يعرض من هذه الاطعمة في الدكاكين من الغبار والذباب لانهُ ينقل جراثيم الامراض اليها بوقوعهِ عليها

والسبب السابع شديد العلاقة بالسادس وهو مسأَلة النزهة . فان النزهة والرياضة ليستا شيئاً واحداً . فالأُولى تشمل الالعاب والمسلّيات التي لا تقتضي اجهاد فكر والغرض منها تنزيه العقل من المشاغل لا ترويض الجسم . والثانية تشمل الالعاب الرياضية التي تقتضي توجيه الفكر الى كلّ حركة من حركات اعضاء الجسم وشرطها ان لا تجهد الاعضاء الى حدّ الكلل وان لا تتجاوز مدتها ٢٠ دقيقة يومياً . اما ما زاد منها على ذلك فانهُ يأُول الى مجرّد تقوية العضلات وتكبيرها الى اكثر مما يتطلبهُ الجسم وتحميل اعضاء الدورة الدموية والتنفس فوق طاقتها . فترى المتروضين غالباً سريعي التعب عند الحركة كثيري القلق وسبب ذلك تجمُّع فضول التعب في الجهازين العضلي والعصبي وامتلاؤُهما منها ففي هذه الحالة

هذا وقد ذهب الناس مذاهب في عدد وجبات الطعام التي يجـ
من أشار باثنتين ومنهم من قال انهُ يكتفي بوحدة ولكن الاختبار
وجبات افضل للانسان العاديّ واما الشاي الذي يتناول بعد الظهر
والكعك فلا ريب في انهُ من اعظم البواعث على سوء الهضم وغيره
كشدّة السمن مثلاً فلو أُبطل شرب الشاي على هذه الصورة لخفّ
يشكون شدة السمن فان المادة السكرية السخنة والنشاء والمواد الد
وتوابعهِ كلها تجلب السمن . فطريقة اعداد الشاي خطأ ويكن ت
شربهِ وذلك باقتباس طريقة اليابانيين فانهم يغلون الشاي بـ
العطري الذي هو سبب نكهتهِ من غير ان يحلّ في السائل كثير مـ
في الشاي) ثم يشربونهُ بلا لبن ولا سكَّر

والسبب الرابع الخطاء المستولي على الناس عموماً من حيث
الاوّلي من الحمَّام تنظيف الجسم ولكننا نسينا هذا الغرض او تناسيـ
الاستحمام بالماء البارد صباحاً منبهٌ لاكثر الشبان الاقوياء لابدا
استعمال المقويات غلطٌ مبدئياً وخصوصاً في الصباح لان الجسم يـ
الى ما يقويهِ منهُ في وقت آخر بسبب طول الراحة ليلاً . والمتـ
وعليهِ فان من يكثر منها عادة لا بدّ ان ينالهُ ما ينال الذي يكثر
او آجلاً . ويقاس نفع الاستحمام بالماء البارد بردّ الفعل الذي يعقب
الاستحمام بنشاط وحرارة قيل لهُ ان الحمام البارد ينفعهُ والّا فا
فان الذين لا يشعرون بنشاط وحرارة بعيد الاستحمام بالماء البارد ق
الصحيح لنفع الحمام البارد هو ان يشعر المستحم بذلك النشاط وتلك
كثيرين من الذين يستحمون بالماء البارد يشعرون برد الفعل بـ
حتى يشعروا بتعب وانقباض صدر وبرد وتهيج ولكنهم لا ينسبون ذ
بالماء البارد على حين انها دلائل صادقة على وجوب ابطالهِ . وعليهِ
يشعرون بهِ بعيد الحمام البارد من النشاط والحرارة ولا ينتبهون
والانقباض فيستمرُّون على الاستحمام في حين انهُ يؤذيهم وهم لا يشـ
في امور كثيرة غيرهِ نرى اليابانيين قد سبقونا الى الطريق السويّ
مصارعين ومبارزين وجمنازيين لا يستحمون بالماء البارد مطلقاً ولـ

برًّا وبحرًا . واستخلصت احدى المجلات من هذا الاحصاء بيانًا موجزًا وضعته في قالب الرسم المقابل تقريبًا له الى الاذهان فاوضحت فيهِ باللون الاسود من الخريطة ما للسلطنة البريطانية من الاملاك والمستعمرات على وجه البسيطة وملت فيهِ نسبة الشعب البريطاني القليل العدد الى ما يحكمهُ من الشعوب العديدة في اسيا واميركا وافريقيا وجزائر البحار وما اشبه ذلك بصبي حديث السن ذي عقل راجح قابض على زمام جمل ضخم الجثة يقودهُ بهِ وهو صاغر . وكذلك نسبة اتباع كل دين الى غيرهم من اتباع الاديان الاخرى التي يدين بها سكان السلطنة البريطانية

ويشتمل هذا الاحصاء على خلاصة ما لا يحصى من التقارير المفصلة الواردة الى الحكومة الانكليزية من جميع اجزاء المملكة اصغرها كراسة ذات عشر صفحات من جزائر فوكلندا واعظمها ستون مجلدًا كبيرًا من امبراطورية الهند . وهاك مثال ما جاء في احصاء تلك الجزائر النائية وهي على مقربة من الساحل الشرقي الجنوبي لقارة اميركا الجنوبية يبلغ سكانها ٢٠٤٣ نفسًا يأوون الى ٣٥٩ بيتًا وبها ٥١ بيتًا خاليًا من السكان واهلها اكثرهم رعاة ومزارعون وبينهم صاحب فندق وصانع احذية ومعلمان للموسيقى وثلاث معلمات وثلاثة ائمة للدين وثمانية اصحاب مخازن للتجارة

واما مساحة السلطنة البريطانية العظيمة الآن فاكثر من خمس مسطح اليابسة ناهيك بما لها من السلطان على البحار . وكانت مساحة اراضيها سنة ١٨٦١ ثمانية ملايين ونصف مليون من الاميال المربعة فبلغت سنة ١٨٩١ عشرة ملايين ونصف مليون واصبح الآن ١١٩٠٨٣٧٨ اي نحو اثني عشر مليونًا من الاميال المربعة

هذا وقد زاد سكان السلطنة بنسبة الزيادة في مساحتها فكان تعدادهم سنة ١٨٦١ نحو ٢٥٩ مليونًا وبلغوا في الاحصاء الاخير نحو ٤٠٠ مليون من النفوس وهم موزعون كما يأتي

		مليون					
في اوربا (الجزائر البريطانية)		٤١ ١/٢	من السكان على		١٢١٠٨٩		ميل مربع
في اسيا	"	٣٠١	"	"	"	٢ ١/٣ مليون	"
في افريقية	"	٤٣	"	"	"	٢ ١/٣	" "
في اميركا	"	٧ ١/٢	"	"	"	٤	" "
في اوستراليا	"	٥	"	"	"	٣	" "
المجموع		٣٩٨	"	"	"	١١,٩	" "

يتطلَّب الجسم راحة وتعوُّداً الى متدر الرياضة الطبيعية لدني ذلـ

اما اصحاب الاعمال والاشغال التي لا تقتضي حركة عنيفة فـ

على وجوب الانقطاع عن عملهم واشغالهم والانصراف الى عمل لا

باجهاد الذهن والتريحة مثل لعب البليادرو والكرة . ومشاهدة لعـ

لتنزيه الفكر ولكن يجب ان لا يقتصر على المشاهدة فقط في كل

والسبب الثامن الانغماس في الملذات والملاهي كما هو مذهب

قيل ان تآكُل الحديد خير من صدإِهِ ولكن الانهماك في البسط

الجسم منَ العمل لان الشعور باللذة والالم ينتقل الى الدماغ و

وكثرة تكرار الشعور باللذة لا بدَّ ان يعقبها عاجلاً قبة ذلك الشعو

ضخامة الملك

تستعدُّ الحكومة المصرية منذ الآن لاحصاء سكان القطر احصـ

يكون عدد الانفس في هذا البلد السعيد قد زاد زيادة محسوسة

وتضاعف عدد المتعلمين فيهِ بفضل النهضة العلمية الحديثة وكثر ارباب

الوطنيين بسبب اتساع نطاق الاعمال واحياء موات الارض ومعلو

قطرنا في عهد الفراعنة قديماً نحو سبعة ملايين واخذوا بعد ذلك في

العرب البلاد ودالت عليها الدول فدبَّ الفناء في اهلها ولم يبقَ

مليونين ونصف مليون ثم عادوا الى النموّ السريع فبلغوا خمسة ملايين

ملايين سنة ١٨٨٢ ونحو عشرة ملايين سنة ١٨٩٧

واحصاء عشرة ملايين من النفوس مع ايضاح اسم كل منهم و

ودياناتهِ وعشيرتهِ وسكنهِ الخ ليس بالامر الهين الذي يستخف بهِ .

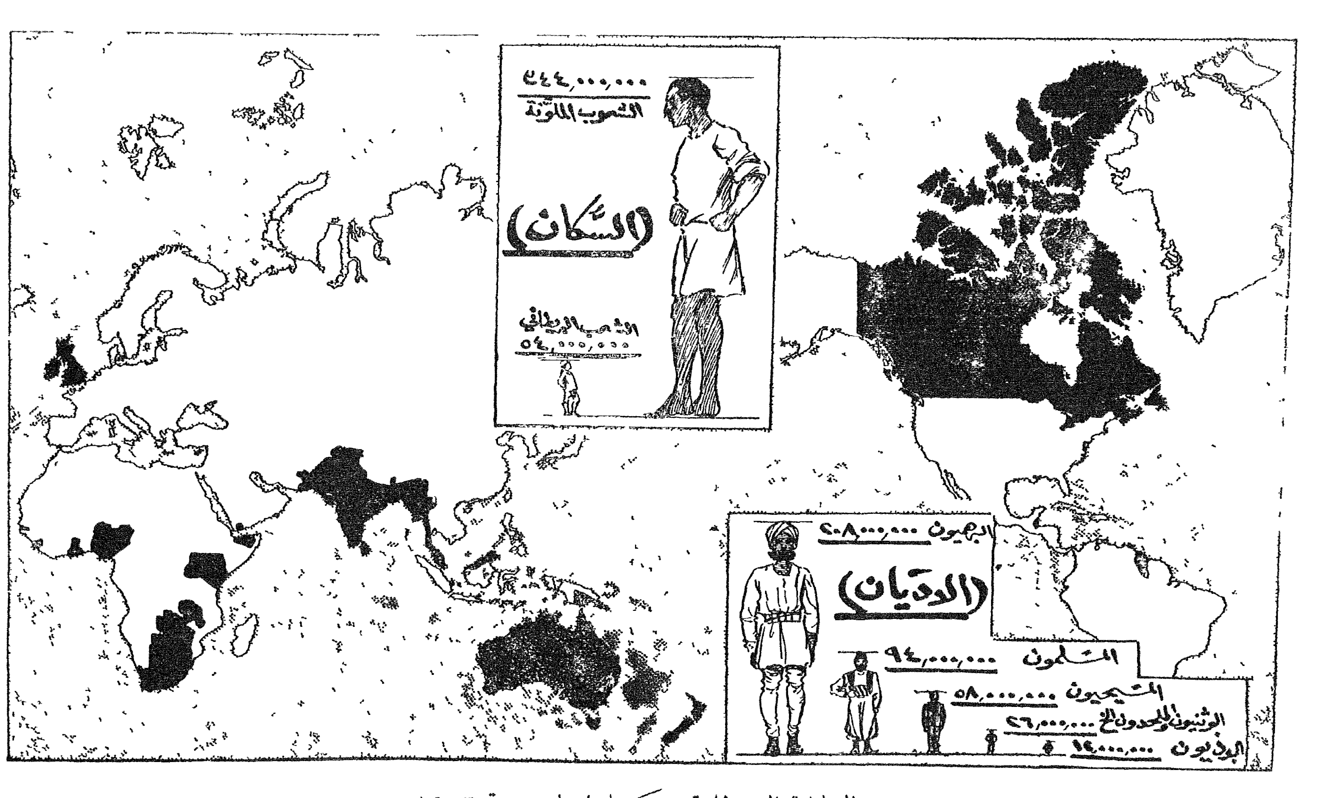
وسكانهِ الى تعداد اضخم البلدان ملكاً واوسعها سلطاناً التي لا تغيب الشمـ

الشعوب المختلفة الالوان واللغات المتنوعة المذاهب والعادات ٤٠٠ مليو

في كافة انحاء المعمورة ومنتشرون على ١٢ مليوناً من الاميال المربعة ا

وقد نشرت الحكومة الانكليزية حديثاً في "كتاب ازرق"

اخيراً في املاكها المترامية الاطراف ومنهُ يثبت بالارقام ما علماهُ



السلطنة البريطانية وسكانها واديانهم سنة ١٩٠٦

ويختلف عدد ما يقيم[illegible] في [illegible] من [illegible] في [illegible] البريطانية باختلاف الجهات معظم ازدحامهم في الجزائر البريطانية حيث [illegible] في الميل المربع واقله في اوستراليا حيث لا يتجاوز ١,٣ [illegible] متوسطه في [illegible] ٥,٣٣ نفس في الميل المربع · وهو في الهند ١٧٢ نفسًا وفي شرقي افريقية ٣ [illegible] وفي [illegible] ١,٤ وفي جزائر الهند الغربية ٨٢,٠ وفي كندا ١,٤ وفي زيلندا الجديدة ٧,٨

ويتلو مدينة لندن في كثرة السكان مدينة كلكوتا [illegible] جلاسكو · وهاك تعداد سبع من امهات المدن في السلطنة البريطانية

لندن (بانكلترا)	عدد سكانها	٤ ٥[illegible]٦ ٥٤١	نفسًا
كلكوتا (بالهند)	« «	٨٤٧ ٧٩٦	«
جلاسكو (باسكوتلندا)	« «	٧٦١ ٧٠٩	«
ملبورن (باوستراليا)	« «	٤٩٦ ٠٧٩	«
مونتريال (بكندا)	«	٣٦٧ ٧٣٠	«
جوهنسبرج (بالترنسفال)	«	١٥٥ ٦٤٢	«
مدينة الراس (بمستعمرة الراس)	«	٧٧ ٦٦٨	«

ويعلم من الاحصاء الذي نحن بصدده ان عدد الاناث في الجزائر البريطانية يفوق عدد الذكور بسبب المهاجرة المستديمة وكثرة الحروب وبعكس ذلك في المستعمرات ففي اوستراليا مثلاً يبلغ عدد الذكور من النازحين اليها ٨٦ الفًا ومن الاناث ٤٥ الفًا · ونسبة الرجال الى النساء في كوينسلند ٥٥ الى ٤٤ وفي الترنسفال ٥٥ الى ٤٥ وفي مستعمرة لاورنج ٥٤ الى ٤٦ وذلك بين المتوطنين فيها (لا الوطنيين) · وعدد المتزوجات من النساء يربو كثيرًا على غير المتزوجات في الهند ويقلُّ عنهُ جدًّا في ايرلندا

وقد ثبت ان ايرلندا بلاد العجائز دون غيرها ففي كل الف من سكانها ٦٤ رجلاً و ٦٣ امرأة يبلغ سن الواحد منهم ٦٥ سنة فاكثر · وما ذلك الاَّ لكثرة الراحلين عنها من الشبان والصبايا

وقد تخوَّف بعض الكتاب من النقص الحاصل في المواليد بين الشعب البريطاني رغمًا عن ازدياد مجموع سكان السلطنة بالنسبة الى دوام اتساع نطاقها فاذا استثنينا سكان الهند كانت الزيادة في المواليد ١١,٨ في المئة من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٧١ فارتفعت الزيادة في العشر السنوات التالية الى ١٤,٥ في المئة ثم اخذت في الهبوط وبلغت ١١,٦ في المئة من سنة ١٨٨١

الى سنه ١٨٩١ و ٦٫٨ فقط من سنة ١٨٩١ الى ١٩٠١ . ومعظم هذا النقص في اوستراليا وفي انكلترا . وهم ينسبون تأخيرهم هذا على الحطاط الممالك العامرة حالما تبدأ معدل مواليدها في النقصان

ويعسر حصر بيان الحرف في مملكة بلغت من التمدن والعمران القدح المعلى كالسلطنة الانكليزية ففيها من جميع انواع المهن المعروفة ومع ذلك فالزراعة لها النصيب الاوفر من العمال بين شعوب السلطنة اجمالاً ففي الهند مثلاً ٩٠ مليوناً او ثلث سكانها يحترفون بها وبرعاية المواشي . وقد تفردت الهند ايضاً ببعض الحرف الغريبة على الاسماع ففيها ٣٧٦ الفاً "من الشحاذين" و ٦٦١٦ "من السحرة والمشعوذين"

ويبلغ عدد المسيحيين في السلطنة البريطانية نحو ٥٨ مليوناً منهم نحو تسعة ملايين ونصف مليون تابعون للكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية والبقية بروتستانت وهم على مذاهب شتى . واليهود ٨٧٢١٤ فقط ويبلغ عدد اتباع كل دين بوجه التقريب ما يأتي بالملايين

البرهميون (ديانة الهند)	٢٠٨
المسلمون	٩٤
المسيحيون	٥٨
البوذيون	١٢
الوثنيون	٢٦
المجموع	٣٩٨

اما نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة الى الاميين (بين سكان الجزائر البريطانية) فمعظمها بين اهالي اوستراليا وهي ٧٫٧٩ في المئة من السكان وأقلها بين اهالي الهند وهي لا تتجاوز ٥٫٣ في المئة

اما السر الذي به تسود الامة البريطانية على عشرة اضعافها من سكان الارض فلا يزال موضوع الكلام الجم . وقد قال الوزير تشمبرلين حديثاً في مجلس النواب بهذا الصدد "ان دعائم المملكة الانكليزية قائمة على العدل والامانة والقوة ومحبة الخير فبهذه المزايا الاربع دون غيرها تقوم اعجوبة العصر الحالي وهي نظام الحكومة الانكليزية على سكانها الحاضر ولولا تلك المزايا لما تمكن شعب هاتين الجزيرتين الصغيرتين ان يسوس قسماً عظيماً كهذا من الكرة الارضية بغاية الحكمة والسداد"

يوسف تشتلي



الاسلام كانوا قد بلغوا الغاية القصوى من المغالاة بها ولذلك
نها كما سيجيءُ وبالغ شعراؤُهم في وصفها في الجاهلية والاسلام ومن
ي صدر الاسلام وهو قولهُ

واصطبروا عليها فانَّ العزَّ فيها والجمالا
ضيَّعها اناسٌ ربطناها فاشركتِ العيالا
بتة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

ية العبسي فارس جروة قولهُ

سائلاً عني فاني وجروة كالشجي تحت الوريدِ
ني ان شتونا والحفها ردائي في الجليدِ

ر التميمي في فرس اسمهُ سكاب وقد طلبهُ احد الملوك فاباهُ عليهِ

ان سكابِ علقٌ نفيس لا تعار ولا تباعُ
مكرَّمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاعُ
ابقين تناجلاها اذا نُسِبا يضمهما الكراعُ
بيتَ اللعن فيها ومنعكها بشيءٍ يُستطاعُ

دخلت البراذين بلادهم وامتزج دمها بدم الخيل العراب فصارت
الهجين والمقرف والبرذون. فالعربي العتيق من الخيل ابوهُ وامهُ
البراذين. والهجين الذي ولدتهُ برذونة من حصان عربي قال الشاعر

َ الهجينُ بجريهِ ولا حليهِ في سرجهِ ولجامهِ

وهُ عجمي وامهُ عربية. والبرذون الذي ابوهْ وامهُ عجميان

راً كل سلهبةٍ واستلحمَ الموتُ اصحابَ البراذينِ

لعتاق الى خمسة اقسام حسب الوانها وهي الاشقر والاحمر والادهم
صاف كلٍّ منهما منقولة عن كتاب الصافنات الجياد
كان اشد حمرةً من الوردي وتحتهُ انواع اشقر مذهب وخلوقي ومدمى
ب هو الذي تعلو حمرتهُ صفرة. والخلوقي هو الذي اشتدت شقرتهُ
والمدمى الذي تعلو شقرتهُ حمرة. والاصغر الذي لبس بناصع الحمرة

الخيل العراب

لم يُجمع الكتّاب من اوربيين وعرب على الاعجاب بشيء كما اجمعوا على الاعجا
بالخيل ولا على مدح نوع منها كما على مدح الخيل العراب

اما الاوربيون الذين يغالون بالخيل الرشيقة حتى يشتروا الجواد منها بثلاثين الف جن
او اكثر فيعترفون لخيل العربية بانها تفوق الخيول سواها و بصبرها على الجوع والعط
وقطع المسافات الشاسعة . ويقولون ان في جيادهم شيئاً من دم الجياد العربية وهو الذ
اكسبها ما تمتاز بهِ من ملاحة الشكل وسرعة العدو

قال كاتب في الجزء الاخير من مجلة وندزور الانكليزية ان دولاً وربا عرفت مز
الجياد العربية فابتاعت منها للذكور لتجنيس الخيل جنودها كما جنست خيل السبق الانكليز
من الجواد الذي اشتراهُ المستر دارلي الذي كان قنصلاً لانكلترا في حلب منذ مئتي سنة
وقد جرت حكومة الهند هذا المجرى الآن فابتاعت الجياد العربية لتجنيس خيل جنودها
والظاهر ان فرسان البوير كانوا يعتمدون على الخيل العربية وقد اعتمد عليها فرسان الجن
المصرية وفرسان الجنود الانكليزية في حرب السودان اما الجنود المصرية فخيلها شامية و
من اصل عربي واما الجنود الانكليزية فربطت خيلها الانكليزية في القاهرة وركبت الخيو
الشامية لانها اخف واصبر . وقد ركب الجياد العربية كل القواد العظام من نبوليون الا
الى لورد روبرتس . والذين يصطادون البقر الوحشية في اميركا الجنوبية يركبون خيو
عربية لانها تعرف كيف تتقي قرون الثيران ولا تعرفها خيول غيرها . انتهى

والجياد العربيَّة اقدم الجياد كلها واعرقها اصلاً ولا يخفى ان المزايا العريقة الراسخة تنت
الى النسل وتتغلَّب على غيرها من المزايا التي هي اقل رسوخاً منها . والظاهر ان مزايا الخي
العربية هي المزايا الاصلية الطبيعية وقد بلغت حدَّها من الكمال قبل الهجرة بثلاثة قرو
وبقي الاصل العربي هذه المدة الطويلة صميماً خالياً من الشوائب فاذا مزج بدم الخيول
الافرنجيَّة الكبيرة تغلبت مزاياهُ على مزاياها لان مزاياهُ اعرق وارسخ من مزايا الخيو
الافرنجية فيصغر قدها ويزيد تحمُّلها للمشاق فتصير اصلح للفرسان من كل وجه . ولذلك باد
اهالي اوربا واميركا والهند واليابان وجاوى الى مشترى الجياد العربية ولتجنيس خيولهم بها

ولا يعلم بالتحقيق الزمن الذي ذلَّل فيهِ العربُ الخيل ولكن المرجح انهم ركبوها في القر

سبقًا اذا جرى　　تُراهِنُ رجليهِ مواقعَ طرفهِ

لاندلسي في استرجاع لمسية

لحباب تحسبهُ　　قد استعار رداءَ الليل واشتملا

طاس موتلف　　كانما خاض ماء الليل فاغتسلا

اس اخذوا الجياد العراب معهم الى تلك البلاد

الذي يعلوهُ سواد . والاحم مثل الاحوى الاَّ انهُ اقل سوادا

" اليمن في الخيل في كل احوى احم " . والاصدى الذي

مر الذي فيهِ غبرة تخالطها دهمة وفي الحديث انهُ ذكر الخيل

دهاحها وشقرها جيادها اللهمَّ بارك في الاخضر اللهمَّ بارك في

اذا غلب عليهِ البياض قرطاسي صريح . فان غلبت عليهِ الحمرة

على لون الرماد والارق الذي فيهِ لمع بيض كالرقط فاذا

الابلق يقال له' ابلق ادرع ومولَّع ومطرَّف فالابلق الادرع

وخل ن عنقهُ ورأسهُ والمطرف ما ابيضَّ رأسهُ وذنبهُ والمولع

والتوليع استطالة البلق . قال ابو تمام يصف فرسًا ابلق حمله'

اسودَّ الدجى　　مبيضٌ شطر كما يفاض المهرقِ

ـا البستهُ　　من سندس بردًا ومن استبرقِ

ومن الاحاديث النبوية " اوتيتُ بمقاليد الدنيا على فرس ابلق

يقال ان الملائكة جاءت يوم بدر على خيل بلق وكذا يوم

اللون الابلق ولذلك قالوا يجري الأبيق ويذمُّ لبيق

لهُ الفاقع والناصع والاصدأُ والابيض والاعفر والاكلف

هُ صفرة تكاد تشاكل الحمرة وشعر عرفهِ وذنبهِ اسود ومن

ظفتهُ سود وهو احسن الوان الاصفر . والناصع الذي صفرتهُ

د حالك . والاصدأُ الذي تعلو صفرتهُ كدرة . والابيض

ن وشعر عرفهِ وذنبهِ اصهب . والاعفر الذي في شعرهِ صفرة

الذي صفرتهُ مشوبة بسواد ومن معرفتهِ الى ذنبهِ خط اسود

ـب شقرتهُ بشيءٍ من الصفرة والعامة [illegible] في [illegible] وتسمى فرقياً والوردي الذي تعلوهُ
تضرب الى الصفرة · ومن الاحاديث النبوية خير الخيل الشقر [illegible] وقال [illegible] صبير واتج
لس اصبر الخيل الشقر وتقول العرب [illegible] الاصلاح الصلدي

يا حسنهُ من اشقر نصرت عند سوق الخيل في الركض
لا تستطيع الشمس من حره [illegible] ترمهُ [illegible] الا [illegible] الارض

لى ما فيهِ من المبالغة يكاد يكون حقيقة لان [illegible] السريع لا [illegible] العين [illegible] لهُ
(٢) الاحمر والكميت - والفرق بين الكميت والاشقر يعرف والذنب فان كانا احمرين
مهبين فهو اشقر وان كانا اسودين فهو كميت · وتحتهُ انواع منها كميت احم ومدمى واحمر
ب ومحلف · فالكميت الاحم هو الذي اشتدت حمرتهُ قال الاصمعي اشدُّ الخيل جلوداً
فر الخيل الكمت الحمُّ · والمدمى هو الذي اشتدت حمرتهُ وسراتهُ اشد حمرةً من سائر
ه · والاحمر اشد حمرةً من المدمى وهو احسن الكمت · والمحلف ادنى الكمتة الى الشقرة
ة ودبة بميلان الى السواد وهو بين الاصهب والاحمر قال الشاعر

كميتٌ غير محلفة ولكن كلون الصرف عُلَّ بهِ الاديمُ

د بمحلفة اي خالصة اللون لا يُحلَف عليها انها ليست كذلك · وفي الحديث التمسوا
نج على الفرس الكميت الارثم المحجل الثلاث المطلق اليد اليمنى (والارثم بياض في الشفة
ا) · وقال ابن امية سألت ابن ثعلبة عن اصبر الخيل فقال الكميت · وسأل عمر بن
ـاب قيس بن زهير العبسي اي الخيل وجدتموها اصبر في حربكم فقال الكميت · وحكى
وردي قال قالت بنو عبس ما صبرت معنا في الحرب من النساء الا بنات العم ومن
ل الا الكمت ومن الابل الا الحمر · والكميت من احب الالوان الى العرب قال عمر بن
ربيعة المخزومي

تشكى الكميت الجري لما جهدتهُ وبيَّن لو يستطيعُ ان يتكلما
لذلك ادني دون خيلي مكانهُ واوصي بهِ ان لا يهان ويكرما

(٣) الادهم — اي الاسود يقال ادهم حالك واحوى واحم واصدى واحضر · فالادهم
لك اشد هذه الانواع سواداً واصفاها شعرةً تراهُ يبرق · ومن الاحاديث النبوية الخير
الادهم الاقرح الارثم محجل الثلاث طلق اليمنى (والقرح بياض دون الغرَّة) قال
ـاهر الجذولي

وادهم كالليل البهيم مطهَّم فقد عزَّ من يعلو بساحة عرفهِ

مع اخوتهم وبين الازواج وفيمن صارت محبتهُ عتقاً وليس كل صديق ناصحاً لكن كل ناصح صديق فيما نصح فيهِ

وحد النصيحة هو ان يسوءَ المرءَ ما ضر الآخر ساءَ ذلك الآخر او لم يسوءهُ وان يسرهُ ما نفعهُ سرَّ الآخر او ساءهُ فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة

واقصى غايات الصداقة التي لا مزيد عليها من شاركك بنفسهِ وبمالهِ لغير علة توجب ذلك وآثرك على من سواك . ولولا اني شاهدت مظفرًا ومباركاً صاحبي بلنسية لقدرت ان هذا الخلق معدوم في زماننا ولكنني ما رأيت قط رجلين استوفيا جميع اسباب الصداقة مع تأتي الاحوال الموجبة للفرقة غيرهما

وليس في الرذائل اشبه بالفضائل من محبة المدح ودليل ذلك انهُ في الوجه سخف ممن يرضى بهِ وقد جاءَ في الأثر في المداحين ما جاءَ الّا انهُ قد ينتفع بهِ في الإقصار عن الشر والتزيد من الخير وفي ان يرغب في ذلك الخلق الممدوح مَن سمعهُ . ولقد صح عندي ان بعض السائسين للدنيا لقي رجلاً من اهل الاذى للناس وقد قلّد بعض الاعمال الخبيثة فقابلهُ بالثناء عليهِ وبانهُ قد سمع شكرهُ مستفيضاً ووصفهُ بالجميل والرفق منتشرًا فكان ذلك سبباً الى إقصار ذلك الفاسق عن كثير من شرهِ

لا تكلف صديقك الّا مثل ما تبذل لهُ من نفسك فان طلبت اكثر فانت ظالم . ولا تكسب الّا على شرط الفقد ولا تتولَّ الّا على شرط العزل والّا فانت مضرٌ بنفسك خبيث السيرة

مسامحة اهل الاستئثار والاستغنام والتغافل لهم ليس مروءة ولا فضيلة بل هو مهانة وضعف وتضرية لهم على التمادي على ذلك الخلق المذموم وتغبيط لهم بهِ وعون لهم على ذلك الفعل السوء وانما تكون المسامحة مروءة لاهل الانصاف المبادرين الى الانصاف والايثار فهؤلاء فرض على اهل الفضل ان يعاملوهم بمثل ذلك لا سيما ان كانت حاجتهم أمسّ وضرورتهم اشد

من اردت قضاء حاجتهِ بعد ان سألك اياها او اردت ابتداءهُ بقضائها فلا تعمل لهُ الّا ما يريد هو لا ما تريد انت والّا فامسك فان تعديت هذا كنت مسيئاً لا محسناً ومستحقاً للوم منهُ ومن غيرهِ لا للشكر ومقتضياً للعداوة لا للصداقة

لا تنقل الى صديقك ما يؤلم نفسهُ ولا ينتفع بمعرفتهِ فهذا فعل الارذال ولا تكتمهُ ما يستضرّ بجهلهِ فهذا فعل اهل الشر ولا يسرك ان تُمدح بما ليس فيك بل ليعظم غمك

وسفيته سود · وكانت العرب [illegible] و اصفر او اشهب

ملوهُ حمرة و [illegible] و [illegible] حجافلهِ نقط

بض و [illegible] وما كان منها صابياً

بتعاً · والوادي [illegible] لاسد · انتهى

ويقال ان الجياد العربية [illegible] في بلاد العرب [illegible] من الاولات الكرائم الا

ثلاثة آلاف وانت في سائر الاقطار [illegible] لاولات من الخيل العتاق

خمسة آلاف لا غير · [illegible] في الحرب كما تستطيع ركوبها في

السلم فلا يبعد ان يقل الاعتماد [illegible] ان يتعرض نوعها بعد ان

خدمت الانسان من العصر الجاهلي الى الآن

الاخوان والصداقة والنصيحة

من كتاب "الاخلاق والسير" للامام ابن حزم الاندلسي القرطبي

المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية

إستبقاك من عاتبك · وزهد فيك من استهان بسيئاتك · العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فإما تصفو واما تطير

من طوى من اخوانك سرّهُ الذي يعنيك دونك أخون لك ممن افشى سرك · لأنَّ من افشى سرك فانما خانك فقط ومن طوى سرهُ دونك منهم فقد خانك واستخونك

لا ترغب فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة والخزي

لا تزهد فيمن يرغب فيك فانهُ باب من ابواب الظلم وترك مقارضة الاحسان وهذا قبيح

لا تنصح على شرط القبول ولا تشفع على شرط الاجابة ولا تهب على شرط الإثابة لكن على سبيل استعمال الفضل وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف

حد الصداقة الذي يدور على طرفي محدوده هو ان يكون المرء يسوؤهُ ما يسوء الآخر ويسرهُ ما يسرهُ فما سفل عن هذا فليس صديقاً ومن حمل هذه الصفة فهو صديق وقد يكون المرء صديقاً لمن ليس صديقهُ واما الذي يدخل في باب الاضافة فهو المصادق فهذا يقتضي فعلاً من فاعلين اذ قد يحب الانسان من يبغضهُ واكثر ذلك في الآباء مع الابناء وفي الاخوة

علم الاخلاق

لسبنسر

(٣) الإِثآر او الانتقام

ان التنازع على البقاء بين المخلوقات العاقلة يستلزم الاعتداء ولما لم يكن هذا الاعتداء مثل اعتداء حيوان من أَكلة اللحوم على آخر قصد افتراسهِ بل اعتداء حيوان على مثلهِ تنازعاً على الطعام لم يفضِ الى قتل احدهما ضرورةً ولو كان في الغالب شديدًا . يعض الجوع الحيوانات فتحاول التهام كل ما تعثر عليهِ من الطعام فتتولد بينها العداوات وهذه تنتهي عادةً باضرار مختلفة الشدة . ثم ان الاعتداء يؤُول الى مثلهِ لمقاومتهِ . واذا كان للفريقين سلاح للهجوم استعملاهُ ولاسيما اذا كان متقاربًا اي اذا كان الحيوانان المتنازعان من نوع واحد

وكلُّ قتال انما هو سلسلة ثارات — عضة بعضة ولطمة بلطمة . والغالب ان الواحدة تتلو الاخرى سريعًا . هذا هو الغالب ولكن كثيرًا ما لا تتلوها حالاً بل تؤَجل الى حين وهذا ما يسمَّى بالانتقام او الإِثآر. والتأْجيل اما ان يكون قصير المدة جدًّا فيستأْنف القتال بعد راحة قليلة كأَنهُ لم يؤَجل واما ان يكون اياماً بل شهورًا وسنين. اذًا فمقابلة المثل بالمثل التي نسميها بالإِثآر او الاخذ بالثار تفترق عن مقابلة المثل بالمثل التي يجري في خلال القتال وافتراقهما تدريجيٌّ لا يكاد يشعر بهِ . وسواءٌ كان الإِثآر عاجلاً او آجلاً فانهُ يعدُّ عقبة في سبيل الاعتداء اي اذا عرف قاصد الاعتداء ان اعتداءهُ يجرُّ اعتداءً آخر عليهِ قصد الإِثآر منهُ وتمت معرفتهُ سدًّا حائلاً دون اعتدائهِ فتمنعهُ منهُ او تعوقهُ عنهُ

وقد كان الناس في عهد همجيتهم يعتقدون ان الاخذ بالثار فرض محتمٌ عليهم . قال السر جورج غراي في كلامهِ عن اهل استراليا الاصليين ما يأْتي : —

" ان اقدس واجباتهم ان ينتقم الواحد منهم من قاتل قريبهِ الاقرب وإِلاَّ عيرتهُ العجائز وهجرتهُ زوجاتهُ اذا كان متزوّجاً . واذا كان عزباً لم تكلمهُ فتاة . وامهُ لا تكفُّ عن العويل والبكاء قائلة ليتني لم أَلد ابناً ساقط الهمة مثل هذا . وابوهُ يحتقرهُ ولا ينثني عن توبيخهِ وتعنيفهِ "

وقال برتون في بعض قبائل اميركا الشمالية " ان شدة ميلهم الى الاخذ بالثار يضرب بها المثل وبغضهم قبيح لا يُدانى . فاذا لم يستطيعوا الانتقام من المعتدي انتقموا من البريء في

بذلك لانهُ تقدك ينبه الناس عليهِ ويُعلمهم اياهُ سخرية منك وهزؤاً بك ولا يرضى بهذا الاَّ احمق ضعيف العقل . ولا تأْسَ ان ذممت بما ليس فيك بل افرح بهِ فانهُ فضلك ينبه الناس عليهِ ولكن افرح اذا كان فيك ما تستحق بهِ المدح وسواءٌ مدحت بهِ او لم تمدح واحزن اذا كان فيك ما تستحق بهِ الذم وسواءٌ ذُممت بهِ او لم تذم

الناس في اخلاقهم على سبعة مراتب فطائفة تمدح في الوجه وتذم في المغيب وهذه صفة اهل النفاق من العيَّابين وهذا خلق فاشٍ في الناس غالب عليهم . وطائفة تذم في المشهد والمغيب وهذه صفة اهل السلاطة والوقاحة من العيَّابين . وطائفة تمدح في الوجه والغيب وهذه صفة اهل الملق والطمع . وطائفة تذم في المشهد وتمدح في المغيب وهذه صفة اهل السخف والنواكة . واما اهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة ويثنون بالخير في المغيب او يمسكون عن الذم . واما العيَّابون البراءُ من النفاق والقحة فيمسكون في المشهد ويذمون في المغيب واما اهل السلامة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب ومن كلٍّ من اهل هذه الصفات قد شاهدنا وبلوناهُ

اذا نصحت ففي الخلاءِ وبكلام ليّن ولا تسند سبَّ من تحدثهُ الى غيرك فتكون نماماً فان خشَّنت كلامك في النصيحة فذلك اغراءٌ وتنفير وقد قال الله تعالى "فقولا لهُ قولاً ليناً" وقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم "لا تنفروا" وان نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ولعلك مخطئٌ في وجه نصحك فتكون مطالباً بقبول خطئك وبترك الصواب

لكل شيءٍ فائدة ولقد انتفعت بمحك اهل الجهل منفعة عظيمة وهي انهُ توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سبباً الى تواليف لي عظيمة المنفعة ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف

لا تصاهر الى صديق ولا تبايعهُ فما رأينا هذين العملين الاَّ سبباً للقطيعة وان ظن اهل الجهل ان فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسهِ والمؤثرون على انفسهم قليل جداً فاذا اجتمع طلب كل امرىءٍ حظ نفسهِ وقعت المنازعة ومع وقوعها فساد المروءة واسلم المصاهرة مغبةً مصاهرة الاهلين بعضهم بعضاً لان القرابة تقتضي العدل وان كرهوهُ لانهم مضمرون الى ما لا انفكاك لهم منهُ من الاجتماع في النسب الذي توجب الطبيعة لكل احد الذبَّ عنهُ والحماية لهُ

وقال برتون عن سكان شرقي افريقية " ان الإيتار خلق تسلط عليهم كما يستدل من الحروب الطاحنة التي تثيرها قبائلهم بعضها على بعض "

فيرى مما تقدم ان الاخذ بالثار يعدُّ واجباً ادبياً سواءٌ كان ذلك صراحة او ضمناً

وكان الاقدمون ينسبون الى آلهتهم حب الانتقام ورد في كتاب الهنود الديني المسمى ريج فيدا " ان الاله اجني يبتلع اعداءه ويمزق جلدهم ويفرم اعضاءهم ويطرحها امام الذئاب لتنهشها او امام العقبان الناعبة لتنقدها " وكانوا يدعون الى الآلهة في صلواتهم ويقولون " أيها الالهان اندرا وسوما احرقا الركشيين وأبيداهم ودوسا ايها الثوران الشعب العائش في الظلام . واحصدا المجانين واخنقاهم واقتلاهم وبددّاهم وادحما الشرهين الرهمن . وانهضا لمقاتلة الشيطان الرجيم . وليحترق كما يحترق الذبيحة في النار وارلا غضبكما الابدي بالقوم اللؤماء "

وهكذا نرى العبرانيين ينسبون النقمة الى الههم ويفعلون ذلك . ورد في سفر التثنية (ص ٢٥ ع ١٩) قوله " تمحو ذكر عماليق من تحت السماء " (والمتمم لتمام امر) الى شاول وصموئيل هذا الامر وبالغا في اتمامهِ حتى دمحا العمالقة ومواشيهم كلها ولما استحيا شاول سمانها نزع الملك منهُ) وكان الآباء يحلمون الانتقام والاخذ بالثار ميراثاً لاولادهم . فان داود الملك اوصى ابنهُ سليمان بان لا يعفو عن ان رجل له قائلاً " وأحدر شيبتهُ بالدم الى الهاوية " (مل ١ ص ٢ ع ٩)

ويضيق بي المقام لو شئت تفصيل ما كان اهالي اوربا عليهِ من هذا القبيل في العصور الوسطى وانما اقول ان الاخذ بالثار كان فرضاً لازماً عندهم كما هو عند المتوحشين في ايامنا واذا خمدت روح الانتقام في صدور الرجال كان النساء يروّحنها بالحض والتحريض . و عصر الفروسية سوى عصر سداهُ الضغينة ولحمتهُ الاخذ بالثار

وقال المتلمس

فمن طلب الاوتار ما حزَّ أنفهُ قصيرٌ وخاض الموتَ بالسيف بيهسُ

وقال المهلهل يمدح قومهُ الاطلسين

لا يردون على وتر يكون لهم وان يمس عدهم وتر أعدى ردوا

وحرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتين اختين هما بكر وتغلب مدة اربعين سنة حتى كادت تفنيان الواحدة الاخرى انما قامت سوقها طلباً بثار كليب اخي المهلهل من قاتلهِ عمرو بن مرة البكري الملقب بجساس وغنيٌّ عن البيان ان الحروب التي كان الثار باعثها كثرت في زمن الجاهلية ثم كان اخذ الثار اقرب الى الفطرة — أروح منها في الاسلام

في التشابه في الجنس واللون بينهما"

وقال آخر عن قبيلة من اميركا الجنوبية "تميت رجالاً من سيما حيال اشتبه في ان الا من احدى العائلات بينهم قربا ... ولا يزال رجل تلك العائلة المكروهة حيًّا"

وقال آخر في قبائل جزائر فيجي "لا ينسى عدوه حتى ساعة موته ولا يصفح عن مذنب اذنب اليهِ . فاذا كان يحتضر ذكر عدوه حتى تبقى عداوته ارثا لاولاده بعده فيقتلونهُ ولو كان واحداً منهم"

وقال غيرهُ عن اهل زيلندا الجديدة ان من لا يأخذ بالثار ... عندهم حسب قانونهم خسيساً جباناً

وقال غيرهُ عن قبيلة القوقس في آسيا "ان القوقس شديدو الانتقام مثل غيرهم من القبائل الهمجيَّة ولا بدَّ عندهم من الدم بالدم . واذا سقط احدهم من شجرة ومات قضاء وقدراً اجتمع كلُّ اقربائهِ وقطعوا الشجرة إرباً إرباً"

وقال بتريك "ان القتل عند العرب جرم لا يمحوهُ مرُّ زمان ولا مرُّ ... فتراهم يتوارثون طلب الثار خلفاً عن سلف ويتناقلونهُ من الاب الى الابن ومن القبيل الى القبيل"(1)

---

(1) الاخذ بالثار من شيم العرب المشهورة ودواوينهم تفيض بذكره ... يلوم قومهُ

يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرةً ومن إساءة اهل السوء احسانا

فليت لي بهم قوماً اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وقال قيس بن الخطيم يفتخر بأخذه بثأر جده عدي وابيهِ الخطيم

متى يأتِ هذا الموت لم يلفَ حاجة لنفسي الاَّ قد قضيت قضاءها

ثأرتُ عدياً والخطيم فلم أُضع ولاية اشياخٍ جعلت ازاءها

وقالت كبشة اخت عمرو بن معدي كرب تحض قومها على الاخذ بالثار وتحذرهم من قبول الدية

ولا تأخذوا منهم افالاً وابكراً واترك في بيت بصعدة مظلمِ

وان انتمُ لم تثأروا واتديتمُ فمشوا بآذانِ النعام المصلمِ

والافال والابكار الجمال . واتديتم قبلتم الدية . ومعنى العجز الاخير سيروا سير الاصم او الذليل

وقال تأبط شراً

قليلٌ غرار النوم أكبر همهِ دم الثأر او يلقى كمياً مسفعا

وقال ايضاً

فادَّركنا الثار منهم ولما ينجُ ملحيين الاَّ الاقلُّ

ملحيين اي من الحيين

في موضع آخر ينهى عن الحنق حيث يقول " اذا ظلمك القريب في شيء فلا تحنق عليهِ " (ص ١٠ ع ٦) وفي هذا النهي جرثومة المبدإ الادبي الذي بنيت الديانة المسيحية عليهِ بعد ذلك بعدة قرون

هذا ويصعب ان يجرّد من الحقائق المتقدمة برهان على ان انحطاط روح الانتقام والاخذ بالثار ونموّ روح الصفح والغفران مصاحبان لانحطاط روح الحرب ونموّ روح التعاون السلمي وسبب الصعوبة ان روح الحرب وروح السلم كانتا متلازمتين في كلّ زمان ومكان على نسب مختلفة . ولكننا نزيد على الادلة العمومية المتقدمة ادلة أُخرى نأخذها من الهيئة الاجتماعية الحاضرة فنقول

ان تضاغن العائلات في كل امة من امم اوربا العظمى زال بقلة اسباب الشحناء بين الامم المختلفة وبزيادة اسباب الاخذ والعطاء وقد كان اسرع الى الزوال حيث كانت الصناعة والتجارة اسرع الى الظهور اي بيننا . وهناك امر آخر ظاهر عندنا وهو زوال روح الانتقام من بين الافراد عما يبدر من اهانة لواحد للآخر خلافاً لما هي الحال عليهِ في سائر اوربا حيث الجيوش ضخمة بالنسبة الى جيشنا والميل الى الحرب اعظم واعمّ بالنسبة الى ما هو عندنا . وقد انحطّ الميل الى الانتقام والاخذ بالثار بيننا الى حدّ انهُ اذا اظهر المعتدى عليهِ عداءً مستمرًّا للمعتدي قابل الناس عملهُ بالاستهجان بدلاً من الاستحسان لان الصفح عن الاساءة صار القاعدة المتغلبة

لكن اذا طلبنا شاهداً على العمل بفضيلة تعدّ مسيحية بوجه خاصٍ وجدناهُ بين الامم غير المسيحية . فاسمع ما يقولهُ بعضهم في وصف بعض القبائل الهندية

" وهم على غاية الصدق والامانة لا يكادون يرتكبون السرقة ولا يكادون يتخاصمون . وترى لهم صفحًا غريبًا عمّن يسيء اليهم اذا أُمهلوا بعد التسرُّع الى الغضب . واذا اعتدى احدهم على الآخر اسرع فشكاهُ الى القاضي ولكنهُ قلما يستمرُّ في دعواهُ بل يفضل غالبًا ان يحل الخلاف بالتحكيم او بالتساهل المتبادل . وهم يكرهون الجندية فلا يسلمون بالانتظام في الجيش الهندي ولو للخدمة المحلية في وطنهم "

فهذه ادلة ايجابية وسلبية على ان روح الانتقام والاخذ بالثار في كلّ طائفة من طوائف البشر هي على نسبة ما بينها وبين الطوائف الاخرى من الحروب وانهُ اذا وجد للانتقام والاخذ بالثار مسوغ ادبي من الجهة الواحدة فللصفح والغفران مسوغ ادبي من الجهة الاخرى

اما العصور الحديثة فانهُ وان تكن حضارة العلم قد تقدمت وصارت قوية لا يزال لروح الانتقام القديم اثر في الصدور . فانك تسمع كل يوم بمشاجرات بين الافراد في مدائن اوربا المختلفة . ومن اعظم الادلة على وجودهِ بين الجماعات تشوق الفرنسويين الى محاربة الالمانيين اخذاً بالثار عما لحقهم منهم في الحروب الماضية حتى ان دعاة الحرية ورافعي رايات المساواة والاخاء لم يستنكفوا سعياً الى هذا الغرض من مدح قيصر مستبد بأمرهِ وعقد محالفتهم المشهورة معهُ . فكأنهم يقولون اننا لسنا نحب الحرية مما كنا عليهِ ولكننا نحب الانتقام اكثر منها

وبينما كانت طوائف الهيئة الاجتماعية تنمو وتتوحد كانت كتبها تشير احياناً الى عواطف وتصورات تخالف ما تقدم ويمكن ان تعدَّ نتيجة تصاعد الاميال الحرية لوقوعها في زمن كانت الهيئة الاجتماعية فيهِ اهدأ حالاً واقلَّ قلقاً فقد جاء في كتاب مانو الهندي قولهُ " لا تجرح احداً ولو أثار غيظك ولا تؤذهِ بفكر او فعل ولا تفه بكلمة تؤلم بني جنسك " وقولهُ " لا تعامل احداً بالازدراء والاحتقار وتحمل بالصبر الكلام البذيء ولا تقابل الغاضب بالغضب بل بارك من يلعنك "

وجاء في كتاب آخر " عدم الاضرار باحد من الناس حتى الاعداء رأْس الفضائل "

وقيل في كتاب للفرس القدماء كتب في القرن السابع " لا تظنَّ ان قيمة الانسان شجاعتهُ وقوتهُ فقط . فاذا تنزهت عن الغضب وصفحت فقيمتك لا تثمَّن "

وجاء في احدى حكايات سعدي قولهُ " اذا اصابك ضرٌّ فاحتملهُ ونقِّ نفسك من الزلَّة بالصفح عن ذنوب الغير "

وتناهى حافظ في ذلك فقال " تعلَّم من الصدفة الشرفية ان تحبَّ اعداءك وتذخر مع اللآلئ تلك اليد التي تنيلك الشرَّ والويل . واسلم من كبرياء النقمة الدنيئة وزيّن بالجواهر المعصم الذي مزّق جانبك "

وقال لاوتسي الصيني " جازِ الضرَّ بالمعروف "

وقال منشو " الرجل الصالح لا يذخر الغضب ولا يكرهُ اخاهُ بل يعاملهُ باللطف والحبّ "

وقال كنفوشيوس " وماذا نقول في مقابلة الشرِ بالاحسان وبمَ نقابل الاحسان اذاً . جازِ الشر بالانصاف والخير بالخير "

ونرى في اواخر عهد تمدن العبرانيين تضارباً في الآراء والتصورات من هذا القبيل فبينا نرى يشوع بن سيراخ يغبط أباً " خلَّف منتقماً من الاعداء " (ص ٣٠ ع ٦) نراهُ

(٢) سكان البلدان الاسيوية

البلاد	الاحصاء	الذكور	الاناث	نسبة الذكور الى الاناث	
الهند البريطانية	١٩٠١	١١٧٧٧٤٤١٢	١١٤٠٨١١٢١	١٠٣	١٠٠
الولايات الاهلية	١٩٠١	٠٣٢١٤٦٨٨٢	٠٣٠٣١٤٦٦٧	١٠٦	١٠٠
سيلان	١٩٠١	٠٠١٨٩٦٢١٢	٠٠١٦٦٩٧٤٢	١١٤	١٠٠
المجموع		١٥١٨١٧٥٠٦	١٤٦٠٦٥٥٣٠	١٠٤	١٠٠
(٣) الربوج					
الترنسفال	١٩٠٤	٠٠٠٤٩٩٧١٩	٠٠٠٤٣٧٤٠٨	١١٤	١٠٠
اورنج	١٩٠٤	٠٠٠١٢٨٥٢٤	٠٠٠١١٦١١٢	١١١	١٠٠
الراس	١٩٠٤	٠٠ ٩٠٠٣٩٦	٠٠٠٩٢٩٦٦٧	١٠٠	١٠٣
الجملة		٠٠١٥٢٨٦٣٩	٠٠١٤٨٥١٨٧	١٠٣	١٠٠
والمجموع لكل المعدودين في السلطنة الانكليزية		١٧٩٢٦٨٤٦٦	١٧٤٢٤٠٣٩٠	١٠٣	١٠٠
الولايات المتحدة الاميركية					
البيض	١٩٠٠	٣٤ ٣٤٩ ٠٠٧	٣٢ ٦٤١ ٧٨١	١٠٥	١٠٠
السود	١٩٠٠	٤ ٣٩٣ ٢٢١	٤ ٤٤٧ ٥٦٨	١٠٠	١٠١
هنود اميركا	١٩٠٠	١٣٤ ٥٦٠	١٣٢ ٢٠٠	١٠٢	١٠٠
اليابان	١٩٠٣	٢٣ ٦٠٠ ٠٣١	٢٣ ١٣٠ ٢٠٧	١٠٢	١٠٠
ممالك اوربا					
روسيا ما عدا فلندا	١٨٩٧	٦٣ ٣٣٩ ٨٨٦	٦٣ ٢٧٦ ٥٤٧	١٠١	١٠٠
فرنسا	١٩٠١	١٨ ٩١٦ ٨٨٩	١٩ ٠٣٣ ٨٩٩	١٠٠	١ ٣
المانيا فوق ٩سنوات	١٩٠٠	٢٧ ٧٣٧ ٢٤٧	٢٨ ٦٢٩ ٩٣١	١٠٠	١٠٣
ايطاليا 〃 〃	١٩٠١	١٢ ٥٤١ ٨٠٨	١٢ ٨٤٤ ٦٩٩	١٠٠	١٠٢
النمسا 〃 〃	١٩٠٠	١٢ ٨٥٢ ٦٩٣	١٣ ٢٩٨ ٠١٥	١٠٠	١٠٣
المجر 〃 〃	١٩٠١	٩ ٥٨٢ ١٧٢	٩ ٦٧٢ ٣٨٧	١٠٠	١٠١
هولندا 〃 〃	١٩٠٤	٢ ٧٣٠ ٥٠٥	٢ ٧٧٩ ١٥٤	١٠٠	١٠٢
بلجيكا 〃 〃	١٩٠٠	٣ ٣٢٤ ٨٣٤	٣ ٣٦٨ ٧١٤	١٠٠	١٠١

الذكور والاناث

تسأل زيداً عن نسبة الذكور الى الاناث في بيوته فيقول لك ان الذكور اكثر من الاناث كثيراً وتسأل عمراً فيقول ان الاناث اكثر من الذكور كثيراً وكلٌّ منهما يعدّد لك بيوتاً كثيرةً اكثر اولادها ذكور او اناث والمعروف انهُ ليس لولادة الذكور والاناث قاعدة على الاطلاق لان هذه المرأة لا تلد الا ذكوراً وتلك لا تلد الا اناثاً والثالثة نصف اولادها ذكور ونصفهم اناث او ذكورهم اكثر من اناثهم او اناثهم اكثر من ذكورهم. ولكن اذا احصينا سكان بلد من البلدان او مملكة من الممالك او قارَّة من القارات وجدنا عدد الذكور مثل عدد الاناث تقريباً او ان عدد الذكور يزيد على عدد الاناث واحداً في المئة او اثنين في المئة الى ثلاثة في المئة او اكثر من ذلك وقد يزيد عدد الاناث على عدد الذكور واحداً في المئة او اثنين في المئة او ثلاثة في المئة او اكثر من ذلك لاسباب معلومة اكثرها مهاجرة الذكور الى بلدان اخرى في طلب الرزق فتزيد نسبة الاناث في البلاد التي هاجروا منها ونسبة الذكور في البلاد التي هاجروا اليها ويتضح ذلك من الجداول التالية

القطر المصري

البلاد	الاحصاء	الذكور	الاناث	نسبة الذكور الى الاناث	
القطر المصري	١٨٩٧	٤٩٤٧٨٥٠	٤٧٨٦٥٥٥	١٠٣	١٠٠

وبعض الزيادة في الذكور من وجود جيش الاحتلال

السلطنة الانكليزية (١) البيض

البلاد	الاحصاء	الذكور	الاناث	نسبة الذكور الى الاناث	
انكلترا وويلس	١٩٠١	١٥٧٢١٧٢٨	١٦٨٠٤٣٤٧	١٠٠	١٠٧
سكتلندا	١٩٠١	٠٢١٧٣٧٥٥	٠٢٢٩٨٣٤٨	١٠٠	١٠٦
ارلندا	١٩٠١	٠٢٢٠٠٠٤٠	٠٢٢٥٨٧٣٥	١٠٠	١٠٣
استراليا	١٩٠١	٠١٩٧٩٤٩١	٠١٧٩٦٧٨٢	١٠٨	١٠٠
زيلندا الجديدة	١٩٠١	٠٠٤٠٥٩٩٢	٠٠٣٦٦٧٢٧	١١١	١٠٠
كندا الخ	١٩٠١	٠٢٨٦٢٩٥٦	٠٢٧٢٥٣٩٦	١٠٥	١٠٠
جنوبي افريقية	١٩٠٤	٠٠٥٧٨٣٥٩	٠٠٤٤١٣٣٨	١٣١	١٠٠
والجملة		٢٥٩٢٢٣٣١	٢٦٦٩١٦٧٣	١٠٠	١٠٣

تغير الاقليم

للاستاذ روبرت وورد من جامعة هارفرد

اعتقاد العامة في تغير الاقليم — من الاعتقادات الشائعة في كل زمان ومكان وبين المتعلمين وغير المتعلمين ان الاقليم يتغير تغيرًا محسوسًا في مدى العمر حتى انك تسمع الشيوخ يقولون في هذه البلاد ان هواءها بات اكثر اعتدالاً مما كان عليهِ وهم شبان وفي تلك ان الشتاء اشدُّ قرصًا الآن مما كان قبلاً او انهُ اكثر جفافًا او اكثر مطرًا . وكلما زاد تقلب الهواء في بلاد حتى توجهت الخواطر اليهِ زاد هذا الاعتقاد تمكنًا وانتشارًا . وتسمع الناس يؤيدونهُ بتغير اوان ظهور الازهار ونضج الاثمار فيقولون لك ان العنب او القمح او الزيتون كانت تنمو عندنا في ايام اجدادنا وآبائنا واما اليوم فلا وما ذلك الاَّ من تغير اقليمنا من حال الى حال

تغيُّر الاقليم في زمن التاريخ — يورد العلماء الدلائل على حدوث تغيرات ظاهرة في اقليم كثير من البلدان . فان ما يكتبهُ المكتشفون والسياح عن اقليم البلاد التي يكتشفونها مبنيٌّ على تغير مساحة البحيرات الداخلية التي توجد فيها او اكتشاف خرائب اماكن كانت مسكونة او خرائب اقنية ماء للشرب او ترع للريّ وما اشبه ذلك . وعليهِ يروون ان قسمًا كبيرًا من اسيا الوسطى كان غامرًا فاخذ ماؤهُ يغور وينضب في زمن التاريخ . وان بحيرات تركستان الشرقية تنضب الآن فبحيرة بلقاش تهبط مترًا كل ١٥ سنة وبحيرة ألاقول تنضب وتترك رواسب الملح في قعرها . ومثل هذا يجري في بحيرات شمالي القوقاس وبحيرات البامير . ومن رأي البرنس كروبوتكين (الكاتب الروسي المشهور) ان نضوب الماء الذي كان يغمر اواسط اسيا جعل الناس يقصدون الاماكن المنخفضة حولها ليسكنوها ثم افضى اجتماعهم فيها الى مهاجرتهم غربًا لغزوة اوربا في اوائل التاريخ المسيحي . وكتب هنتنتون الانكليزي كتابًا في شرق ايران وسستان قال فيهِ ان تاريخ سستان يدلُّ على انها كانت مغمورة بالماء فنضب الماء في عهد التاريخ وان الناس كانوا يهجرون القرية اثر القرية مصعّدين في البلاد على ضفاف الانهر طلبًا للماء . وان الآجام والغياض كانت تكسو بلادًا هي الآن قفرٌ بلقع لا يخرج نباتًا

واستدلَّ بعض الكتاب من كتابات تاريخية قديمة على ان وقوع المطر قلَّ تدريجًا في سواحل افريقية الشمالية منذ ٣٠٠٠ سنة الى الآن وان اطلال المدن القديمة وآثار اعمال الري تدلُّ على ان تلك السواحل كانت اكثر سكانًا واغزر ماء مما هي الآن . ثم ان وجود حيوانات فيها لا وجود لها الآن كما يؤْخذ من الكتابات القديمة يشير الى تغير اقليمها . ورأى

البلاد	سنة الاحصاء	الذكور	الاناث	نسبة الذكور الى الاناث	
الدنمارك ...	١٩٠١	[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٥
اسوج	١٩٠٤	[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٥
نروج	١٩٠٠	[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٦
اسبانيا	١٩٠٠	[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٥
البرتغال	١٩٠٠	[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٩
سويسرا بين الرواج ١٨٨٨		[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٩
والجملة ما عدا روسيا		[illegible]	[illegible]	١٠٠	١٠٣
اميركا الجنوبية					
المكسيك	١٩٠٠	٦٧١٦٠٠٧	٦٨٣٩٤٥٥	١٠٠	١٠٢
البرازيل	١٨٩٠	٧٢٣٧٩٣٢	٧٠٩٥٩٠٣	١٠٢	١٠٠
الارجنتين	١٨٩٥	٢٠٨٨٩١٩	١٨٦٥٩٩٣	١١٢	١٠٠
شيلي	١٨٨٥	١٢٦٣٦٤٥	١٢٦٣٦٧٥	١٠٠	١٠٠
اوروغواي	١٩٠٠	٤٧٤٨١١	٤٤٠٨٣٦	١٠٨	١٠٠
والجملة		١٧٧٨١٣١٤	١٧٤٩٥٩٤١	١٠٢	١٠٠

ومجموع المعدودين من الاوربيين ونسلهم في اميركا الشمالية والجنوبية وافريقية واستراليا وزيلندا ١٦٨٠٦٤٧٠٢٤ من الذكور و ٢٤٨٦٩٩٠٨٠ من الاناث فنسبة الذكور الى الاناث نسبة ١٠٠ الى ١٠١

والنسبة في مجموع الشعوب الاسيوية التي احصيت في الهند ١٠٤ من الذكور الى ١٠٠ من الاناث لان اهالي الهند لا يعتنون ببناتهم وهن في سن الطفولية كما يعتنون بابنائهم. وفي اهالي اليابان ١٠٢ الى ١٠٠ للسبب نفسهِ

وفي مجموع السود الذين احصوا في اميركا ١٠٠ الى ١٠١

ومجموع كل الذين احصوا في اسيا واوربا واميركا وافريقية واستراليا وزيلندا ٤٣٢٨٩١٨٦٥ من الذكور و٤٢٧٥٠٤٢٨٧٤ من الاناث فنسبة الذكور الى الاناث فيهم كلهم كنسبة ١٠١ الى ١٠٠ اي ان الذكور يزيدون على الاناث واحدًا في المئة وذلك يدلُّ على ان الاذكار والاناث يجريان على قاعدة ثابتة في نوع الانسان وعلى ان الإضرار اي التزوج باكثر من زوجة واحدة لا يمكن ان يشيع في الدنيا لان عدد الاناث ليس اكثر من عدد الذكور بل هو اقل منهُ

رصد ظواهرها الجوية . وانما دلّت على تغيرات طفيفة في الحرارة على مساحة واسعة من البلاد وهذه التغيرات متشابهة وخواصُّها تشبه خواصّ امواج للحرارة غير منتظمة فتارة تجيء حارة واخرى تجيءُ باردة ولكن الحرارة لم تكن تختلف عن المتوسط الاَّ درجة او درجتين عند كل تغير فلا يصحُّ والحالة هذه ان يقال ان اقليم البلاد تغير الى احرّ او الى ابرد منهُ . ووجد ايضاً ان الفترة بين كل موجة واخرى من هذه الامواج على ساحل الاتلنتيكي نحو ٢٢ سنة وفي داخل البلاد نحو ٧ سنوات . اما ميعاد تجمُّد الماء في الانهر الصالحة للملاحة مثل نهر هدصن فلم يدلّ على تغير دائم في مئة السنة الماضية فاقليم الولايات المتحدة لم يتغير منذ اول مهاجرة الاوربيين اليها حتى هذا اليوم

لماذا لا يصحُّ الاخذ باعتقاد العامة من جهة تغير الاقليم – لو سأل سائل لمَ ترى اعتقاد الناس بتغير الاقليم عمومياً راسخاً في الاذهان مع ان الارصاد تدلُّ على خلاف ذلك لقلت انهُ ليس من السهل الجواب عن هذا السؤَال جواباً شافياً وربما كان لذلك عدة اسباب اهمها اننا نثق تمام الثقة بذاكرتنا ونحاول الجزم بتقلبات الهواء على كثرتها بناء على ما نتذكرهُ منها مع ان الذاكرة قاصرة لا يعوَّل عليها مهما قويت . والنتيجة اما نبالغ في الحوادث الماضية ونتذكر فصولاً خصوصية اثّرت فينا تأثيراً عميقاً لسبب من الاسباب وننسى غيرها فنخرج حكمنا ناقصاً لا يركن اليهِ

ومن هذه الاسباب اختلاف تأثير التقلبات الجوية في الصغار والكبار فان زوابع الثلج الشديدة تؤَثر تأثيراً شديداً في ذهن الشاب يدوم سنين طويلة فاذا كبر وشاخ وحدثت زوابع مثلها في الشدة لم يرَها كذلك بل رآها دونها . وهكذا يقال في المطر والقيظ والفيضان

ومنها تغير مكان السكن فان الذي يولد في داخلية البلدان الباردة حيث يشتدُّ وقوع الثلج ويعسر جرفهُ من الطرق ثم ينتقل وهو شابٌّ الى المدن حيث الحرارة اعلى والثلج اسهل جرفاً يظنُّ ان الشتاء صار الطف واكثر اعتدالاً مما كان عليهِ وهو اصغر سنًّا ايام كان يسكن في داخلية البلاد . وكذا لو انتقل من الجبل وسكن السهل او انتقل من السهل وسكن الجبل فان لكل انتقال تأثيراً مخصوصاً فيهِ . على ان كثيرين يقتنون موازين للحرارة والمطر ويقيدون نتائج القياس سنين كثيرة ثم يؤَكدون لك ان الحرارة والمطر ليسا على ما كانا عليهِ منذ سنين خلت بل انهما اكثر او اقلُّ . ويكون سبب ذلك ان مقياس الحرارة ومقياس المطر نقلا من مكان الى مكان فكان نقلهما باعثاً على تغيير في مقدار الحرارة والمطر افضى الى ذلك التأكيد

جوتييه وهو يجتاز [illegible] كثيرة جدًا في سالف الزمان وعليه استنتج [illegible] منطقة الامطار الاستوائية تتسع شمالاً اي في جهة [illegible]

اما في الجهة الجنوبية فقد ذكر [illegible] بحيرة تشاد ونجامي وفكتوريا . واكتشف [illegible] وحيوانات تدلّ على ان اقليم السودان كان في مضى [illegible] احجري فيه تنبئ بانهُ كان اكثر عمراناً ورخاء

ويقول كثيرون من العلماء ان وقوع المطر قلّ [illegible] بالتدريج في بلاد اليونان وسورية وغيرها من البلدان التي في شرق بحر الروم فتأخر عن قلة وقوع المطر فيها انحطاط سكانها شيئًا فشيئًا

دلالة الانباء المتيورولوجية — اوردنا في صدر هذه المقالة ما يعتقده اناس عمومًا في تغير الاقليم ونزيد على ذلك انهُ لا يمكن اثبات هذا المعتقد و[illegible] مستندًا الى التقليد او التواتر او اقوال الشيوخ . فان ذاكرة الانسان لا يعوّل عليها وخصوصًا في امر مثل هذا فلا غنى للتوصل الى الحقيقة عن الآلات التي تقيس الحرارة والمطر واتجاه الريح فالآلات الصماء لا تكذب ولا تنسى ولا تعرف الغرض . وقد قورنت ارصاد اقدم هذه الآلات ولا يزيد تاريخها في الغالب على ١٥٠ سنة فلم تدلّ على تغيرٍ في الاقليم ولا في مقدار المطر والتلج . اما دلالة بعضها على زيادة دائمة في الحرارة او المطر او نقصان فيهما فدلالة ظاهرة لا يبنى عليها حكم وسببها خطأ في عمل الترمومتر وميزان المطر . فان القدماء لم يكونوا يعتنون بعمل الآلات المتيورولوجية ولا تركيبها وكانوا ينصبونها غالبًا في المدن فتؤثر حرارة جدرانها في الترمومتر فتجيء دلالتهُ على حرارة الهواء غير صحيحة . واما مقاييس المطر فان قيام حائط او شجرة قربها كافٍ لوقوع الخطاء في مدلولها . ثم انهُ يجب الانتباه لتفسير ما تدل الآلات عليه ولو كانت غاية في الضبط والدقة . فاذا دلّت في مكان ما على زيادة او نقصان في الحرار والمطر مدة سنين متتابعة لم يصح الحكم بان اقليم ذلك المكان تغيّر تغيرًا دائمًا اذ يكون التغيير وقتيًا يعقبهُ رجوع الى الحالة الاصلية

ومنذ عشرين سنة فحص شوت الاميركي جميع التقارير القديمة عن الحرارة والمطر والتلـ في الولايات المتحدة الاميركية من ولاية ماين في اقصى الشرق الى ولاية كليفورنيا في اقصـ الغرب وقابلها بعضها ببعض فلم يجد فيها ما يستدلّ منهُ على تغير في اقليم البلاد منذ شرع

بحيرة بلقاس . واجمع الذين رأوا بحيرة فكتوريا من السيّاح ان ماءها كان يغيض بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٩٣ ولكن عرف عنها الآن ان ماءها آخذ في الارتفاع . وقيل ما يشبه ذلك عن بحر ازوف وبحيرة تشاد وغيرها ثم ظهر انهُ مخالف للواقع وانهُ لا يمكن ان يتخذ دليلاً على انقلاب الاقليم . فان هبوط الماء في هذه البحيرة او تلك قد ينشأ احيانًا عن زيادة استعمال الماء لارواء الاراضي التي حولها كما جرى في بحيرة الملح الكبيرة (في اميركا) . وكثير من البحيرات عرضة للتقلبات بين هبوط وارتفاع مما لا يشير الى تغير في الاقليم البتة

ثالثًا اذا ظهر ان اقليم بلاد ما آخذ في الجفاف وجب ان تسأل هذه السؤالات وهي هل المطر فيها اقلّ وقوعًا مما كان عليهِ . وهل سكانها اقلّ همة ونشاطًا مما كانوا قبلاً . وهل تحولها من بلاد زاكية الزرع والضرع الى بلاد قفراء جدباء نتيجة قلة وقوع المطر فيها او مهاجرة اهليها الى بلاد أُخرى . فربّ بلاد كانت جنة الله في ارضهِ خصبًا بسبب تشديد الحكام على الرعية واكراههم على الحرث والزرع فلما ارتفع التشديد والاكراه تحولت ارضًا بورًا . ثم ان ضعف همة الحكومة وخوار عزيمة الاهالي وكسلهم هي في الغالب سبب جدب الارض حيث عُدّ الجدب نتيجة تغير الاقليم . فقد ظهر بالاخبار ان كثيرًا من البقاع المهملة حول بحر الروم زرعت فزكا الزرع فيها واخرجت ثمارًا يانعة مثلما كانت عليهِ في الزمان السالف بعد ما شاع انها آخذة في الجفاف فلا تصلح للزرع . وكثيرًا ما يراد بازدياد الجفاف نقص مياه الانهر والينابيع وقد عرف واشتهر ان تغيير طرق الحرث واختلاف مساحة الغابات والحراج في بلاد قد يفضي الى تغيير ظاهر في مقدار ماء الانهار والينابيع من غير ان يتغير مقدار المطر . وهذه الطوارئ اكثر حدوثًا في البلاد التي لا يقع الثلج فيها بل يقع المطر اشهرًا قليلة على مدار السنة (مثل سواحل بحر الروم) . واستدلّ بعضهم من درس الكتابات والآثار الرومانية المتعلقة بطرابلس الغرب والتدقيق في مراجعتها ان اقليمها من حيث احوال الجو والتربة لا يزال كما كان عليهِ قدمًا . اما اهمال الزراعة فيها الآن فسببهُ كسل سكانها العرب حتى طويت الآبار وباتت الارض مواتًا بعد ما قضى الرومان عدة قرون يبنون السدود ويحفرون الآبار في بطون الاودية حتى صيروا التربة صالحة للزراعة . فعلى كدّ الانسان وعرق جبينهِ يتوقف نجاح الزراعة في البلاد . فكم من بلاد خصبة التربة كثيرة المياه ترى الزراعة فيها منحطة بسبب كسل اهلها وتراخيهم وكم من بلاد مجدبة قليلة المطر والانهار صيرها اهلها رياضًا زاهرة وجنانًا ناضرة

واخيرًا ان كثيرًا من البلدان التي لا يكاد مطرها يكفي لارواء تربتها قد ينزح اهلها عنها

قيمة الادلة على تغير الاقليم — ب الامور التي يستدلون بها على تغير الاقليم في زمن التاريخ (وقد وردت الاشارة اليها) ليست كافية يبنى عليها حكم عام ولكن هنالك اعتبارات لا بدَّ من النظر فيها قبل الجزم بحدوث تغير في الاقليم . فاولاً [illegible] انهم عدُّوا ما طرأ على وجود الاثمار والحبوب ومواعيد جني الاثمار وحصاد الحبوب من الاختلاف دليلاً صادقاً على اختلاف الاقليم . ولكن هذا الاستنتاج ليس بلازم . فقد ظهر ان كثيرًا من التغير الذي طرأ على زرع الاثمار والحبوب من قلة وكثرة واستبدال هذا الصنف بذاك انما نشأ عن طلب الربح الاكبر . فقد كانت كروم العنب تكسو القسم الشمالي من اوربا في القرون الاخيرة فاخذ غرسها يقلُّ فيها تدريجاً حتى انحصر في بقاع معلومة وجعل ينتقل جنوباً لانهم وجدوا ان الكروم اكثر جنىً واقل نفقة في البلدان الجنوبية (مثل فرنسا واسبانيا وايطاليا) حيث الاقليم اكثر اعتدالاً منهُ في البلدان الشمالية (مثل المانيا وسواحل البلطيق) ثم ان الناس يبطلون زرع صنف معلوم متى رأوا ان جلبهُ من خارج بلادهم اقلُّ نفقة من زرعهِ فيها . فقد كان القمح يزرع قديماً في شمال البلاد الانكليزية لانهُ كان يفي بنفقاتهِ ويزيد ثم لما خفض رسم الجمرك على الحبوب رأى اهل الشمال ان زرعها في بلادهم يعود عليهم بالخسارة فابطلوهُ . وكلما سهل جلب الحبوب من بلاد الى اخرى وقلَّت نفقتهُ تغيرت احوال زرعها في البلادين سريعاً . ثم ان ادخال نبات جديد الى بلاد يكون اكثر ملاءمة لحال التربة والاقليم من غيره يفضي الى حلول الجديد محلَّ القديم . وقد قابل العالم الفرنسوي انجو بين مواعيد قطف الكروم في فرنسا من القرن الرابع عشر الى هذه الايام فلم يجد ما يؤيد الاعتقاد الشائع فيها من ان اقليم البلاد كان في العهد الاول اكثر ملاءمة للكروم منهُ الآن وانما وجد ان المواعيد تتراوح بين مبكرة ومتأخرة . فمن سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٨٧٥ كان متوسط ميعاد قطف الكروم في اوبون ابكر بعشرة ايام منهُ في المئة السنة التي قبلها (١٦٧٥—١٧٧٥) واكثر تأخرًا بثلاثة ايام منهُ في المئة السنة التي قبل هذه (١٥٧٥ - ١٦٧٥) والمتوسط الآن فيها مثلما كان في اواخر القرن السادس عشر . ودرس اجينيتس احوال النخل في البلاد التي الى شرقي بحر الروم منذ القرن الرابع قبل المسيح فحكم بان اقليم تلك البلاد لم يتغير تغيرًا يذكر مدة ٢٣ قرناً . وقابل بيو بين مواسم الزراعة والحرير وقطوع الطيور في الصين ماضياً وحاضرًا فوصل الى مثل النتيجة المتقدمة

ثانياً ان كثيرًا مما يرويهِ السيَّاح واهل الاكتشاف عن البلاد المجهولة متناقض . فقد روى برج حديثاً ان بحيرة ارال تتسع في حين انها اخذت تضيق منذ سنين كثيرة وعكسها

٥ مثالاً من مائها من اماكن مختلفة منها وذلك من سنة
ن الاملاح الذائبة في الدرهم من مائها هي ربع ما في
ان مساحة سطح البحيرة ٢٣٣ مليون متر مربع ومتوسط
مليون متر مكعب ومقدار الاملاح الذائبة فيهِ ١٠٨٤٢

ثر مديرية الفيوم فكانت مساحة سطحها ٢٠٠٠ مليون
' متراً وكان ذلك لما كان ماء النيل يصبُّ فيها عند
بق من تلقاء نفسهِ
لدولة الثانية عشرة من الدول المصرية فتحكموا بما ينصبُّ
الى النيل واستحيوا جانباً من الارض التي كانت تغمرها
وصارت ١٦٠٠ مليون متر مربع وهذا كان حالها في
ور الثاني من ادوارها
طالسة حينما لم تعد تستعمل مثل خزان لتخزين مياه
، من الاسباب وطُمر المجرى الذي كان الماء يخرج بهِ منها
بالتبخُّر الى ان بلغت حالتها الحاضرة وجعلت ملوحتها تزيد
قليلاً من عهد الدولة الثانية عشرة الى زمن البطالسة
ة قد تقيَّد . ثم زادت ملوحتها لما انسدَّ المجرى الواصل
ة سطحها كانت حينئذٍ ١٦٠٠ مليون متر مربع وان
فرضنا ان ملوحة مائها كانت حينئذٍ مثل ملوحة ماء النيل
ل ملوحتهِ الآن (١) فمقدار ما كان فيها من الملح حينئذٍ
مقدار ما في مائها من الملح الآن فماذا جرى بملح المياه التي
ا العهد اي مدة ٢١ قرناً
لاملاح القابلة الذوبان . ومقدار الملح في ما حُلل منها
سبعة اعشار في الالف والغالب ان الطبقة السفلى تحوي
. ويظهر الملح احياناً على سطح الارض الزراعية وهو في

راماً في كل مليون غرام من الماء

توالى القيظ عليها عدة سنوات ولا يعوضه [illegible] وكثر وقوع الامطار
. ومما يستحق الذكر في هذه [illegible] وهو دليل على تغير
ليم في زمن التاريخ [illegible] التي اذا قلّت
رتها او زادت قليلاً كثر وقوع [illegible]
المقتطف [illegible] ويلي هذه المقالة كلام في [illegible] والجيولوجية و[illegible] الشمس
وارها وغير ذلك مما نأتي عليهِ في [illegible]

بركة قارون وملوحتها

في مديرية الفيوم بحيرة مشهورة تسمَّى بحيرة قارون او بركة قارون [illegible] اهالي الفيوم
لهم البركة يعنون بها تلك البحيرة

وقد اطَّلعنا الآن على كلام وجيز عنها في الجزء الاول من مجلة مصلحة المساحة المصرية
باللغة الانكليزية فاقتطفنا منها الفوائد التالية

ينصبُّ في هذه البحيرة كل مياه الصرف التي تصرف من اطيان الفيوم [illegible] اطيان
رق وليس لها مخرج ظاهر تخرج المياه منهُ ومع ذلك لا يزيد [illegible]
د كان سطحهُ اخفض من سطح بحر الروم اربعين مترا سنة ١٨٠٦ [illegible] في اول مارس
نة ١٩٠٥ اخفض من سطح بحر البحر ٤٣ مترًا و ٧٧ سنتيمترًا [illegible] ٣ امتار و٧٧
نتيمترًا في مدة ١٩ سنة وهذا يدل على ان الاراضي المجاورة لها آخذة في الاتساع حالاً لما
ظنهُ البعض من ان ماء البحيرة آخذ في الازدياد وعمْرُ ما يجاورهُ من الاطيان

ومساحة سطح البحيرة الآن ٢٣٣ مليون متر مربع وعمقها الاعمق ٨ امتار و[illegible] ومتوسط
مقها ٥ امتار والارض حولها منبسطة في الغالب

وقد وجَّه الاستاذ شوينفورث الانظار سنة ١٨٩٣ الى ان ملوحة مائها قليلة جدًّا ولذلك
يعيش فيها سمك المياه العذبة مثل سمك النيل كأَن ليس فيهِ ملوحة . وقد استغرب الاستاذ
وينفورث كيف ان مياه المصارف تصبُّ فيها سنة بعد سنة من قديم الزمان وفيها كثير من الملح
المياه تتبخَّر منها وتبقى ملوحتها قليلة الى هذا الحد وعلَّل ذلك بان في قاعها شقوقًا تتصرَّف
لمياه منها . ولكنهُ لم يذكر مقدار الملح في مياه البحيرة ولم يحلّل احدٌ مياهها لمعرفة ما فيها من
لملح قبل مصلحة المساحة

حقوق الامم

) واجبات الحكومة

،واجباتها في كفة اخرى — فكما انها تتمتع بحقوق كذلك
شيء خاضع لناموس الطبيعة — للناموس الذي سماه
ني ناموس المقاصة The Law of Compensation
الحكومات وها نحن نذكر اجمالاً ما عليها من الواجبات ·
لا تقع تحت تعريف واحد كواجبات كل حكومة ان
لاخرى واطمئنانها فلا تسمح بوجود مؤامرة في ارضها
عاياها هي او رعايا دولة اجنبية · او ان تفسح في ديارها
م لكي يحرّضوا على الفتن والثورات ضدّ الحكومة التي
ان تزيف نقود دولة اخرى او تسمح بمثل هذا التزييف
ال نهر او بحيرة او جبل مشترك بينها وبين دولة ثانية
مور اولية تسري على الحكومات سريانها على الافراد
ضع اساسها روحُ الانسانية وحبُّ الجنس البشريّ على
ان لم نقل كلها على الاعتراف بها والعمل بمقتضاها ·
لمساعدة · ويدخل تحت هذا ان كل حكومة مضطرة ان
خرى اللاجئة اليها لتأخذ ذخيرتها من الطعام او الادوية
ض البحار او لجود الاتجاه بسبب هيجان البحر والريح —
الاحتياطات اللازمة وتهيئ كل معدات انتشال الغرقى
رب من موانيها وان تراعي امر تسفير الغرقى المنتشلين

ضع قوانين ولوائح تسهل على الدول المعاملات القضائية
احداها على تمام الاهبة للسير في خطةٍ من الاجراءات
ى توصلاً لاظهار الحق سواء في الامور الجنائية او
ات يتمُّ الاتفاق عليهِ في ايامنا هذه بمعاهدات خصوصية

العالب كريتات الصوديوم وكلوريد الصوديوم وبعض شيئه مثل قريبة الشاع ماؤها شديد الملوحة

ولا يخفى ان جانباً كبيراً من ماء بحر يوسف الذي يدخل الفيوم لا يصل الى البحيرة بل تروى به الارض وتمتص المزروعات معظمه فالمياه التي دخلت الفيوم من حين صار فيها ارض زراعية بقي جانب من ملحها في الارض وقد احدثته المزروعات . والملح الذي بقي في ارض الفيوم لما انحسر ماء البحر عنها داب بعضه في الماء الذي تكونت منه البحيرة . والآن لا يزال الملح كثيراً في الارض الزراعية واكثره في المورد . وقد حملت المحصولات مقداراً كبيراً من الملح منذ ٣١ قرناً الى الآن ولذلك لا داعي لفرض تسرب في قاع البحيرة ينصرف الماء بها كما فرض الاستاذ شوينفورت الا اذا ثبت ان مقدار الملح الذي احدثته المزروعات كان قليلاً او اذا ثبت ان الملح الذي وصل الى البحيرة منذ اخذت الترع تخرج مياهها هو اكثر كثيراً من الملح الموجود فيها الآن . انتهى ملخصاً

وتفصيل رأي الاستاذ شوينفورت ان في كل ١٠٠٠ غرام من ماء البحيرة نحو ١٠ غرامات من الملح ولنفرض ان في كل ١٠٠٠ غرام من ماء الصرف الذي يصب في البحيرة غراماً واحداً من الملح اي اكثر من خمسة اضعاف الملح الذي يوجد عادةً في ماء النيل فكلما صبَّ ١٠٠٠ غرام من ماء الصرف الى البحيرة زاد ملحها غراماً واحداً فاذا كان في قاعها شق ننزح به ١٠٠ غرام فقط من مائها كلما انصبَّ فيها ١٠٠٠ غرام من ماء الصرف بقيت ملوحتها على حالها اي اذا تبخرَّ منها تسعة اعشار الماء الذي ينصب فيها وغار فيها ما يقابل عشره من مائها بقي مقدار مائها على حاله وبقيت ملوحتها على حالها

والفرض الذي فرضناهُ لمقدار الاملاح في ماء البحيرة وفي ماء الصرف الذي ينصبُّ فيها مبنيٌّ على تحليل مصلحة المساحة فقد ظهر من تحليل ماء البحيرة في شهر مارس سنة ١٩٠١ وفي فبراير سنة ١٩٠٦ وفي مارس سنة ١٩٠٦ ايضاً ان متوسط الاملاح الذائبة في الماء هو نحو ١١ درهم في كل الف درهم من الماء . وظهر من تحليل ماء الصرف ان مقدار الاملاح الذائبة فيه يختلف فيكون على اكثره في ابريل وعلى اقله في دسمبر وهو على الغالب ١١ او ١٢ في كل عشرة آلاف درهم فماء البحيرة اشد ملوحةً من ماء الصرف عشرة اضعاف اي اذا كان في الالف الدرهم من ماء الصرف درهم واحد من الاملاح الذائبة فيه ففي الالف الدرهم من ماء البحيرة عشرة دراهم من الاملاح ذائبة فيها . ولكن ان كان بعض ماء البحيرة يغور في ارضها دواماً فالى اين يذهب ومن اين يخرج ثانيةً

ء منتحلاً لذلك اعذاراً لا يقبلها منهُ القويّ القادر ان

مطالبة الدول الضعيفة بالاصلاح وتسكت عن القوية
سد على تركيا مثلاً وتجفل من روسيا . نتعرض لامور
. ان تهديهُ الصراط المستقيم صراط الاصلاح والمدنية ولا

باسم التمدن والاصلاح وهو وان كان حقيقياً في كثير
ي منهُ المنفعة المحضة التي تتطلبها الدولة المتداخلة . سنة
كون . ذلك الناموس الدي لا يعرف وطناً ولا جنساً ولا
ٍ واحدٍ لا يسود فيهِ الاَّ من احسن ادارتهُ
دأ عدم التعرض مبدأٌ معمول بهِ بالقول ولكنهُ لا يعمل
زاحمة الدول بعضها بعضاً حتى تصبح كلها متساوية القوى
ةِ

***

ت ماهية علم حقوق الامم وما هي الحكومات مع مالها من

ابرى علاقاتهِ مع المجمع كلهِ من حيث هو عامل يكوّن

ث ان نحدّد حقوق الفرد في علائقهِ مع الافراد نظيرهِ
لترتيب قواعد معيشتهِ وسيرهِ فتلك دروس خصوصية
. وما شاكلها انما الغرض ان ننظر الى الفرد مع الحكومة
ة اخرى اي الى مواقف لهُ في هذه الحياة ينتج عنها ما
بعضها يحلُّ

سامي الجريديني
المحامي

نوضع لهذا الشأن كالاتفاقية الاخيرة بين مصر والسودان في تنفيذ الاحكام مثلاً

ومن اهمّ ما يقع تحت باب تبادل المساعدة وجوب اتفاق الامم وتعاهدها على سنّ نظام من شأنهِ المحافظة على الصحة العمومية ومنع انتشار الاوبئة والامراض المعدية وانشاء لجان دولية صحية بيدها مراقبة الصحة العمومية واتخاذ الطرق الضرورية الواقية لبعض الشر مما يصاب بهِ البعض الآخر كمجلس الصحة والكورنتينات في مصر

ومختصر القول في واجب تبادل المساعدة انهُ مبنيٌّ على مبدإ سامٍ شريف يقضي باعتبار الناس كلهم اخواناً في الضراء

وهناك واجب آخر على الحكومات بعضها نحو البعض وهو عدم تعرض الواحدة لشؤون الاخرى

وقد اختلف المؤلفون كثيرًا في هذا الموضوع واكثروا من بحث شأنهم في كل امر يتولّد من نفع ماديّ او يتولد عنهُ ذلك النفع . والحكومة القوية لا يوافقها ان تقول بمبدإ عدم التعرض مثلاً لما يأتيها من تعرضها لشؤون غيرها من النفع كما ان الحكومة الضعيفة تتشبث بهذا المبدإ وتطلب العمل بهِ فلا تجد من ينصرها الّا اذا انتفع منها وربح

ولا مشاحة انا اذا نظرنا الى الامر نظرة صادقة مجردة عن الغرض نقول مع القائلين ان لا حقّ لحكومةٍ ان تتعرض لشؤون حكومة اخرى الّا اذا كان تعرضها لقصد دفع الضرر عن نفسها اي ليس لها التعرض لمسائل جارتها الخارجية ولا الداخلية سواء كان ذلك في الامور المادية او الادبية لان الانسان حرٌّ في نفسهِ وفي ملكهِ وفي كل ما يتعلق بشخصهِ وليس لآخر ان يمسّ لهُ هذا الحق او يتعرض لهُ في هذه الحرية التامّة الّا اذا لحقهُ منهُ ضرر

هذا هو المبدأُ العادل المطلق المبدأُ الصحيح نظريًّا ولكنهُ ابعد عن الوقوع لا يُعمل بهِ فان العدل المطلق او الفضيلة المطلقة غير موجودة على ما يظهر وان حسن القول بها فكل شيءٍ نسبيٌّ يختلف باختلاف الظروف والعادات والاميال فالمبدأُ الذي اشرنا اليهِ لا يعمل بهِ لانهُ وان كان حسناً في النظر لكنهُ ليس بالموافق

فمن المعلوم ان المصلحة هي اساس المعاملات بين الافراد وبين الدول — المنفعة لا غير هي محور سياسة الامم وكلُّ ما بني على غير هذا الاساس — اساس العواطف والاميال اساس الوهم لا الحقيقة — فاسد لا يدوم

وما دام الامر كذلك يصبح من المستحيل العمل بمبدإ عدم التعرض . فان الدول كالافراد واقف بعضها للاخر بالمرصاد يغتنم فرصة ضعفهِ او فقرهِ او اختلال ادارتهِ حتى يجرّ

ية ولكنها كثيرة الاشجار الصالحة لبناء السفن فاضطرتهم طبيعة بلادهم الى ركوب البحار
طلب الرزق . ومما يستحق الذكر ان اسم مدينتهم صيداء مشتق من صيد السمك . و يقال
ادوات الصيد اختُرعت في مدينة صور فكان صيد السمك اساس عظمة فينيقية كما كان
س عظمة اثينا والبندقية وجنوى ومرسيليا وهولندا وانكلترا . وموقع فينيقية الجغرافي من
مل المواقع التجارية فان العمران كان على اعظمهِ بين القرن العاشر والخامس عشر قبل المسيح
اشور وبابل ومادي وفارس ومصر . فكانت فينيقية في مركز البلدان العامرة ولذلك برع
نيقيون في التجارة بين تلك الممالك يبدلون بضائع الواحدة ببضائع الاخرى . وقد كشفت
ن آثار تجارهم في نينوى ومنف وهي واسعة النطاق جدًّا وتدلُّ على انهم كانوا على ثروة
ئلة . والسعة تزيد عدد السكان فزاد سكان فينيقية واضطروا ان يجدوا منتجعًا في
لدان المجاورة فجعلوا ينشئون المستعمرات في جزائر البحر المتوسط وعلى سواحل اسيا وافريقية .
ل استرابو المؤرخ انهم انشأوا ثلث مئة مدينة على ساحل افريقية الغربي وشملت تجارتهم البلاد
ندنة واستخرجوا الذهب والفضة والنحاس من مناجم اسبانيا وفتحوا مناجم القصدير في كورنول
بلاد الانكليز) وجزيرة صقلية . وقال هيرودوتس انهم داروا حول رأس الرجاء الصالح
رفوا تلك الارجاء قبلما وصلها احد من الاوربيين بالفي سنة . فهم روَّاد العمران وهم ممدنو
الم ومصلحوهُ . وكانوا يجلبون البضائع من البلدان التي وصلوا اليها ويتعلمون صنائع اهلها
يزيدونها اتقانًا فصاروا اعظم صنَّاع الدنيا . وقد ابان هوميروس في الالياذة والاودسي ان
نيقية كانت في ايامهِ معمل العالم فكانت مشهورة بمنسوجاتها البديعة المصبوغة بابهى الالوان
بآنيتها وادواتها المعدنية والزجاجيَّة . والمهندسون الفينيقيون بنوا هيكل سليمان وجسر
ركسيس . وسفن الفينيقيين كانت تحمل تجارة الارض كلها واساطيلهم كانت متسلطة على
كل البحار . وكان القدماء يعتقدون ان الفينيقيين هم الذين استنبطوا حروف الكتابة وارقام
لحساب وصناعة بناء السفن وسلك الابحر واستعمال الموازين والمقاييس والنقود واخترعوا ما
لا يحصى من المخترعات الصناعية . ولا شبهة ان نسبتهم الى العصور الغابرة نسبة الانكليز الى
ذا العصر

ونمت مستعمرات الفينيقيين وتقدَّمت صناعتها وتجارتها فجعلت تناظر امهما فيهما . ثم ان
لعمران الذي نشرهُ الفينيقيون نشأ عنهُ مراكز جديدة للعمران في سواحل اليونان وايطاليا
جنوبي فرنسا واسبانيا وغربي افريقية قام منها امم اشتهرت بالصناعة والتجارة ففتحت البلدان
لمتوحشة التي وراءها وكان حظ قرطاجنة اوفر من حظ غيرها لوقوعها عند منتصف البحر

قيام الممالك وانحطاطها

ومستقبل المملكة البريطانية

نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة لمستر الس باركر موضوعها مستقبل المملكة البريطانية جاء فيها على خلاصة من تاريخ الممالك العظيمة التي قامت ثم انحطّت وانقرضت منذ ثلاثة آلاف سنة الى الآن فاقتطفنا منها ما يلي

بدأ الكاتب مقالتهُ بثلاثة اقوال حكمية لثلاثة من الفلاسفة الاول قول افلاطون وهو "ان الممالك في حرب عوان بعضها مع بعض وما نسميهِ سلماً انما هو سلمٌ بالاسم · والحقيقة ان الطبيعة اثارت الشعوب بعضهم على بعض فهم في حرب دائمة وان لم تعلن"

وقال ديونيسيوس الهاليكرناسي "أن القوي يتغلَّب على الضعيف وذلك ناموس طبيعي عام"

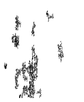
وقال توماس هُبس "ان كثيرين يطلبون شيئاً واحداً في وقت واحد وقد يتعذَّر عليهم ان يشتركوا فيهِ او ان يقتسموهُ فتدعو الحال ان يكون من نصيب الاقوى ولا يُعرَف مَن هو الاقوى الاَّ بالقتال"

ثم شرع الكاتب بعد هذا التمهيد في بسط الحقائق التاريخية التي بنى عليها حكمهُ فقال ان الاختبار ابو الحكمة والتاريخ فلسفة قواعدها الامثلة ونواميسها ثابتة مثل نواميس الطبيعة فاذا شئنا ان نعرف مستقبل بريطانيا العظمى لم نستطع الاعتماد على آراء اهل النظر مهما كان مقامهم رفيعاً بل لا بدَّ لنا من الالتفات الى حوادث الماضي والاسترشاد بوقائع التاريخ التي يقاس عليها وحينئذٍ نستطيع ان نبني حكمنا على العلم والاختبار

بريطانيا العظمى ومستعمراتها اعظم مملكة تجارية بحرية وعظمتها قائمة بتفوُّقها في التجارة وسلك البحر وهذه العظمة حديثة العهد ولا قديم في هذه الدنيا ولا شيءَ يدوم فيها الاَّ التغير فقد تفقد بريطانيا عظمتها وتخسر ثروتها· واذا اردنا ان نعرف ما يمكن ان يأُول اليهِ امرها بعد زمن بعيد او قريب وجب ان ننظر في تاريخ الممالك التي فاقت غيرها في التجارة وسلك البحر ونبحث عن الاسباب التي دعت الى انحطاطها سياسيًّا وماليًّا

فينيقية اقدم الممالك التجارية البحرية التي وصل الينا تاريخها فقد كان الفينيقيون تجاراً وبحَّارين من الطبقة الاولى والداعي الاكبر لذلك طبيعة بلادهم وموقعها الجغرافي فانها جبلية

ة سلامس فصار لهم الشأْن الاكبر في القسم الشرقي من
ت عليهم ميازيب الثروة وصارت اتينا مركز مملكة عظيمة
ة مقابل حمايتها لها من الاعداء حتى صار اليونان يعدون
ن السلع واعلاق البضائع ترسل اليها من كل الاقطار كما
اتينا في كل العالم القديم وكان فيها المحكمة العليا لفصل
يونان والسوق المالية للمملكة اليونانية والمدرسة الجامعة
يها الفنون فاصبحت اتينا مقر الثروة ومنها كانت الاموال
ما قالهُ ديموستانس فجعل اهلها يعيشون من تعب غيرهم
ها من البلدان ومما يأْتيها من الجزية والاتاوة الواردتين
كانها بما نالوهُ من الثروة وحسبوا ان الطبيعة قدَّرت ان
بارة وستبقى ارفعها مقاماً . قال زنيفون
ة بين اليونان وغير اليونان التي تستطيع ان تكون ذات
ن غنية بالخشب الذي تبنى منهُ السفن او بالحديد او
اهلها هذه البضائع ان لم يبيعوها لسيدة البحار ونحن قد
ع بكل خيرات الارض من غير تعب ولا نصب "
ا بتضليل اهل السياسة منهم وعكفوا على الراحة والرفاهة
لطة فيها يعززون مقامهم بتملُّق الجمهور وتضليلهِ فبيت
الدخول اليها مباحاً للجميع مجاناً ثم صار الداخل اليها
ب التي كانت مناصب شرف صارت سُبلاً للكسب وزاد
السكان يعطى الرشوة على سبيل الراتب وصارت مناصب
لحضور الاجتماعات العمومية . قال ارسطوطاليس ان
ن من اموال البلدان الخاضعة لاثينا او المحالفة لها .
فسدت اثينا وامتلأَت بالكسالى الخاملين الذين غرضهم
لهوا وانتظم الغرباء في جيوشها البرية والبحرية بدل رجالها
ن الخاضعة لها لتقوم باجور المسترزقة من جنودها واتسع
لاهمال
جعلت تنظر الى الاثينيين بعين الازدراء وتقول انهم لا



المتوسط فكان موقعها [illegible] الأكثر من
تجارة الفينيقيين لكنهم [illegible] ثم ان اهالي مدن
اليونان الذين تعلموا من الفينيقيين [illegible] تجار الفينيقيين
هناك وتمتد في تجارتها الى بلاد [illegible]

يقال في كتب الاقتصاد السياسي [illegible] وهذا صحيح ولكن فائدتها
مقتصرة على الذين يشترون البضائع [illegible] ولا الذين
يتجرون بها ولا تستفيد امة من [illegible] طريقة من الطرق ا
المناظرة فاذا كانت بين ابناء [illegible] على السواء وا
اذا كانت بين ابناء امم مختلفة [illegible] فما دام
الامة الصناعية التجارية قادرة على [illegible] كانها محتكرة لها
في سعة وغنى ونجاح مستمر ولكن اذ حُرمت هذا [illegible] نجاحها

وكان سكان قرطاجنة من الفينيقيين [illegible] مناظرة
ولكنهم لم يستسهلوا مناظرة اليونان لهم . وكان [illegible] الراع
بينهم وبين الفينيقيين على السيادة في البحر المتوسط [illegible] السيادة يستأ
بالتجارة والثروة ولا يفصل في ذلك الا الحرب [illegible] هيرودوتس ان
الفرس على اليونان كان بتحريض الفينيقيين وقامت [illegible] ومستعمرا
بحرًا لانهُ بينما كانت جنود الفرس والفينيقيين تهاجم بلاد اليونان [illegible]
وقرطاجنة تنازل مستعمرات اليونان في صقلية وهي [illegible] الف بحار
ويقال ان الدائرة دارت عليها في اليوم الذي دارت فيه الدائرة على الفرس والفينيقيين
معركة سلامس المشهورة وكانت سفن اليونان قليلة بالنسبة الى سفن الفينيقيين ولكن اليو
لم يكونوا مترفهين متنعمين كالفينيقيين فتغلبوا عليهم وانتقلت السيادة في النصف الشرقي
البحر المتوسط الى يد اليونان

واتسع نطاق العمران ونطاق المعمور فاتسع المجال لامتين بحريتين تجاريتين قرطا
واليونان وكانت قرطاجنة واقعة بين اسبانيا وبلاد اليونان وبين المغرب الاقصى وا
الصغرى فاستأثرت بالسيادة في النصف الغربي من البحر المتوسط . وكانت بلاد اليونان وا
بين مستعمرات اليونان في اسيا الصغرى وبين مستعمراتهم في ايطاليا فاستأثرت بالسيادة
النصف الشرقي من البحر المتوسط . وبلاد اتكا صخرية كما لا يخفى فلجأ الاثينيون اهلها

[illegible] رجال السياسة [illegible] في
[illegible] تمأن [illegible] لان [illegible]
[illegible] يعملون [illegible] ولم [illegible] وايطاليا [illegible]
[illegible] ارادتهم [illegible]
[illegible] وصرت
[illegible] الطعام الى
[illegible] من مصر
[illegible] يشترون [illegible] التي
[illegible]
[illegible] اكمل [illegible]
[illegible] الحكومة [illegible]
[illegible] الحكومة
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطعام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عليها [illegible] الاعمال [illegible]

[illegible] الطراقي المديع [illegible]
[illegible] لاتحادات
[illegible] سنة ١٤٥٢ [illegible]
[illegible] ستأتي البقية

يستحقون النعمة التي هم فيها وعرفت عن الاثينيين [illegible] حرب [illegible] وسية عيرة من اثينا وبجاحها التجاري فدارت الدائرة على الاثينيين لانهم كانوا قد [illegible] البلاد واعتمدوا على ثروتهم لا على اسلحتهم ففقدوا سيادتهم البحرية والتجارية وفقدوا [illegible] مستعمراتهم ولم يعد احد يؤدي لهم الجزية ولا عاد مستعبدوا اموالهم يدفعون [illegible] فسقطت اثينا من علو مقامها وزالت ثروتها الواسعة وتولاها الانحطاط

وبقيت رودس على الحياد في تلك الحرب فتحولت [illegible] التجارة البحرية اليها فصارت بلاداً تجارية وساعدها على ذلك توسطها بين [illegible] اليونان ومصر وسوريا الشرقي [illegible] وأمن مرافئها ومهارة ملاَّحيها وكان اهاليها غاية في [illegible] والاحتراز والاقتصاد فدانت اليهم تجارة البحرية في شرقي البحر المتوسط فملكوا ناصيتها وحلت رودس [illegible] فصارت اغنى بلدان اليونان واضحت مقرًّا للعلم والحكمة ففيها تعلم شيشرون و[illegible]يوس وكان قيصر ذاهبا الى مدرستها لما اسرهُ القرصان

وبقيت السيادة لقرطاجنة في النصف الغربي في بحر الروم كما [illegible] مصنوعاتها في المسكونة ولم يكن لتجارتها ما [illegible] لولا لاسطولها الغالب فتدفقت ينابيع الثروة على تجارها كما تدفقت على تجار اسلافهم الفينيقيين فأهملت زراعتها وجيوشها [illegible] الآ[illegible] اسمها وجيوشها البحرية حاسبة انهم يكفون لحمايتها كما فعلت فينيقية من قبلها وكانت الحنطة [illegible]ها من صقلية والصوف والمعادن من اسبانيا فشددت روميةُ على [illegible] وحصرتها [illegible] وعزا الرومانيون صقلية واسبانيا وحرموا قرطاجنة موارد رزقها و[illegible] عبيدها عليها فاضطرت ان تحارب لحفظ كيانها ولم يكن لها مندوحة عن الحرب فبنى الرومانيون سفنا حربية على مثال السفن القرطاجنيَّة واستنبط احد قوادهم الخطاطيف وهي ادوات من الحديد لها كلاليب تلقى على سفينة العدو فتمسك بها حتى يتعذر عليها الافلات فتمكنت رومية [illegible] الانتصار [illegible] قرطاجنة والتغلب عليها . وبعد حرب عوان تمكن الشعب الفقير [illegible] من [illegible] على الجنود المسترزقة التي استأجرها الشعب الغني المترفه فقضي امر قرطاجنة

وقد لخَّص شيشرون سياسة البلدان الحربية بقولهِ . هل تصفو الايام لمملكة معروفة [illegible] وهل تترك قواد رومية بلاداً غنية من غير ان يجتاحوها . ولما تغلبت رومية على قرطاجنة امتلكت زمام الثروة وملكت الدنيا سياسيًّا وماليًّا . والرومانيون جنود وفلاَّحون بالفطرة والثروة تنقاد للاقوى ولو لم يكن طالب مال لان القوة ثروة فاكتسحت رومية ثروة العالم واتت بها الى ايطاليا وميزت التجار الرومانيين على غيرهم في كل مملكتها الواسعة فصارت لها السيادة البحرية والتجارية

الراي	٢٠٨٨٩٠٠٠	٢٠٥٠٩٠٣٠	١٦٥٨٠٧١٩	٢٤٢١٧٩٠
الدرة	٧٨٣٤٦٦٠	٩٣٠٠٨٣٦	٨٧٨٤٤٦٩	٨٩٣٦٦٤٤
الخمر	٦٨٥١٤٩٠٦	٦٠٠٧٤١١٠	٤٢٣٥٧٣٣٦	٣٥٢٤ ٢٥٧

والحاصلات الآتية مقيسة بالكوينتال وهو ٢٢٠ ليبرة ونصف

البطاطس	١٢٢٥٤١٢٣٠	١٢٠١٦٥٩٥٩	١١١٨٧ ٧٦٣	١١٦٠٥٣١٥٤
بنجر (للسكر)	٨٥٨٦١٥١٠	٩٠١٧٤٦١٧	٦٢،٢٣٣١٤	٦١١٢٨٣١٠
بنجر (للعلف)	١١٠٢٨٨١٦٠	١٢٤٢٧٥٢٢٣	١٣٨٢١٦١٤٩	١٧٦٦٣٥٨١٥
حشيشة الديبار	٣٥٠١٦٢٧٥	٣١٩٨٤٣١	٣٨١٦٢٠٤٧	١٩٢٦٥٥٩٦
مراعٍ ومروج	١٦٠٧٤٣٤٥٩	١٥٦٧٤٣٩٨٦	١٩٤ ٣٦٩١١	١٩٩٦٩١٠٥٥

وقدّر ثمن حاصلات الكستنا والزيتون وورق التوت وبعض انواع الفاكهة سنة ١٩٠٢ بملغ ٩٠٢ ٦٦٨ ١٧١ فرنكاً وسنة ١٩٠٣ بملغ ٤١٠ ٩٩٣ ١٣٥ فرنكات

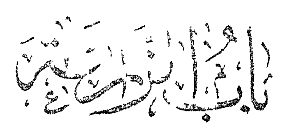
وكان عدد المواشي في آخر ديسمبر سنة ١٩٠٣ ما يأتي الخيل ٣٠٨٢٠٦٣٠ البغال ٢٠٨٤١٥ الحمير ٢٥٨ ٣٥٧ . البقر ٥٠٩ ١٤١ الغنم ٢٣ ١٧٩٥٤ . الخنازير ٧٥٦٠٦٥٠ . المعزى ١٥٦٢٦٠٨

ودود الحرير يربى في ٢٦ مقاطعة والحكومة تمنح الجوائز لمربيه مساعدة لهم واخص تلك المقاطعات جارد ودروم وارديش وفوكلوز وفي سنة ١٩٠٣ كان عدد الذين يعملون في تربيته ٢٦٦ ١٣٠ نفساً وبلغ وزن الشرانق ٤٩١ ٩٨٥ ٥ كيلوغراماً فأصدر منها الى الخارج ٣٤٣ ٢٧٣ كيلوغراماً ثمنها ٧٥٩ ٥٩٦ ٢ فرنكاً و١٧١ ١٠٥ ٤ كيلوغراماً من الحرير الخام ثمنها ٦٦٦ ٩٠١ ٨٤ فرنكاً

اسبانيا

ثلث الاراضي التي تصلح للزراعة في اسبانيا يزرع حبوباً وخضراً و٣,٧ منها مزروع كروماً و١,٦ شجر زيتون و١٩,٧ ينبت فيه العشب لرعي المواشي و٣,٨ مزروع شجر فاكهة وهاك جدولاً يبين مساحة الاراضي التي زرع فيها اهمّ الحبوب ومقدار حاصلاتها في سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣ وقياس المساحة الهكتار والحاصلات الكوينتال

	سنة ١٩٠٢		سنة ١٩٠٣	
	المساحة	مقدار الحاصلات	المساحة	مقدار الحاصلات
القمح	٣٧٠٢٩٢٤	٣٦٣٣٩٠١٥	٣٦٣٥٥٠٦	٣٥١٠٢٤٣٤



البلدان الزراعية

فرنسا

مساحة ارضها ٥٣٦٤٦٣٧٠ هكتاراً منها ٨٣٩٧٠٣١ هكتاراً من الغابات و٣٦٩٧٧ ٩٨ هكتاراً من الاراضي التي تزرع ومن المروج . وهاك جدولاً يتضمن مساحة الاراضي التي زرع فيها اهمُّ الحاصلات في اربع سنوات . والقياس بالهكتار

	١٩٠٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣
القمح	٦٨٦٤٠٠٠	٦٧٩٣٧٨٣	٦٥٦٣٧١١	٦٤٧٥٧٢٨
الشعير	٧٥٧١٩٣	٧٤٤٠٨٩	٦٩٣٩١٤	٦٩٧٠٦٤
الاوتس	٣٩٤١٤٣٠	٣٨٥٥٦٩٤	٣٨٣٢١٣٤	٢٨٤٣٧٧٥
الراي	١٤١٩٧٨٠	١٤١٣١٣٢	١٣٣١٧٥٥	١٢٩٧٣٣٧
الذرة	٥٤١١٩١	٥٤٧٠٨٦	٥٠٣٦١٢	٥٠١٦٢٨
البطاطس	١٥٠٩٨٩٨	١٥٤٥٩٠٢	١٤٥٨٢٤٦	١٤٣٦٠٨٩
بنجر (للسكَّر)	٣٣٩٦١٧	٣٣٨٨٠٨	٢٤٢٥٩٢	٢٤ ٤٥٤
بنجر (للعلف)	٤٩٣٠١٣	٥٠٤٨٩٣	٥٣٣٦١٣	٥٧٥٠٩٧
الكروم	١٦٠٩٣٥٣	١٦١٨٣٩٨	١٥٨٧٧ ٠	١٥٨٨٢٧٤
حشيشة الدينار (للبيرة)	١ ٢٢٤٢٢	١٠٠٥٩٩٧	١٠ ٥٦٥٧	١٠٢٦٥٧٤
مراعٍ ومروج	٥٥٦٦٢٥٨	٥٥٧٦٠١٤	٦٨٨٦٩٢٦	٦٢٢٩١٦

وهذا جدول آخر يتضمن حاصلات هذه الاراضي في السنوات المذكورة . والقياس بالهكتولتر

	١٩٠٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣
القمح	١١٤٧١٠٨٨٠	١٠٩٥٧٣٨١٠	١١٥٥٣٠٦٩٢	١٢٨٣٨٥٥٣٠
الشعير	١٤٣٩٤٣٣٠	١٣٦٩٣١٤٠	١٤٧٨٢٥٢٦	١٥٢٧٤٧٠٤
الاوتس	٨٨٣٠٩٩٣٠	٧٩٣٨٩٣٠٠	٩٧٥٩٦٠٨١	١٠٥٨٤٨٣٣٢

الذرة	٣٠٧٢٠٧٦	٣٨٣٨٧٧٦٠	٣٠٩١٢٧٦٣	٦٩٠٦٢٨٩
الخمر	١١٣٠٠٨	١١٥٤٠٥٥	١٠٢٧٦٦	٨٣٥٦٦٣
الموج	٨٠٠٨٤	١٣٩١٩٩ كويتالاً	٧٦٠٦	٢٨٥١٧٠٢ كويتالاً
الدخان	٥٧٦٩	٤٥٨٧٤	٦٣٧٤	١٨١٣٨

وسنة ١٩٠٥ بلغت مساحة الكروم ٨٩٨٩٠ هكتارا وما استخرج من الخمر ١٧٥٩٦٦٨ هكتولترًا ومساحة الاراضي التي زرعت تبغًا ١٤٥٨ هكتارًا وغلتها ١٢٢٠٤٥ كويتالاً ومساحة الغابات في روابا نحو ٢٠٦ هكتارًا وقيمة غلتها السنوية نحو ٢٣٣٨١٠ فرنكات . ومعظم اشجارها من السنديان

ريّ ما بين النهرين

قالت الايفاست هراك التي تطبع في الاستانة ان جلالة السلطان اصدر ارادة سنية الى عمال الدولة في ما بين النهرين ان يتخذوا التدابير اللازمة لارواء السهل الفسيح الذي بين دجلة والفرات والذي لا يلبث على دوام رؤية القتام المنتشر فيه اي تثبت عن الاهتمام باعمال الريّ في بعض المواضع حسنة ونتيجة ان اصلاح الاراضي التي بين النهرين يعود على البلاد بايراد وافر لخصبها وجودة تربتها . وقد شرع عمال في اصلاح قسم من السهل على ضفتي دجلة قرب خرائب المدينة القديمة وفي جوار احدى الترع القديمة . وذلك الامر قد حفروها قديمًا لارواء الزروع ثم هجرت على ممرّ الزمان فاتت الملاريا مكانها حتى اذا أصبحت اراضي واسعة واقعت دجلة وار

اما مساحة الاراضي التي تصلح للزراعة في تلك البلاد فاربعة ملايين هكتار وهي مهملة الآن اهمالاً تامًا ولكنها تصلح لزرع جميع انواع الحبوب والاثمار . وقد شهد كثيرون من مؤرخي القدماء بجودة تلك التربة مثل هيرودتس وسترابون وغيرهما . وفي سنة ٩٠٠ للميلاد زار ابن سرابيون تلك البلاد ووصف الترع والجسور والقناطر والسدود التي رآها في بابل وبغداد وسلوقية وكتسيفون واوبيس وكانت كلها على غاية الكمال والاتقان

وتربة ذاك السهل او الدلتا جيدة جدًّا تخرج كل سنة موسمًا من القمح وموسمين من الذرة والذرة تخرج مئتي ضعف او تخرج موسمين من القطن وموسمًا من السكّر . اما الاثمار التي تجود فيها فالتمر والتين والزيتون والبرتقال والليمون واشجار البهارات والصمغ

الشعير	١٤٥٦١٥٣	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الراي	[illegible]	[illegible]	١١١[illegible]	٥٧١٨[illegible]
الاوتس	٤٤٩٩٣٩	[illegible]	[illegible]	٣٣٣[illegible]
الذرة	٤٦٢٠١٨	[illegible]	٣١[illegible]٧١٩	٤٧٦٤٩٠
الرز	٣٣٩٣٧	٦٣١٧٩١	٣[illegible]	[illegible]

وفي سنة ١٩٠٣ بلغت مساحة الكروم [illegible] هكتار [illegible] ١٠١٥٠[illegible] هكتوليترات من الخمر وبلغت مساحة [illegible] [illegible] ١٩٧٥٨٠٢ كويتالات من الزيت

واسبانيا تصدر كثيراً من [illegible] وعملت [illegible] كثيرة عمل الخمر وتقديد الاثمار وعمل المربيات [illegible] النسبة ومرسية

وقدّر عدد مواشيها سنة ١٩٠٣ فكانت الخيل [illegible] البقر ٢٢١٧٦٥٩ والغنم ١٣[illegible]٤٧ [illegible]

رومانيا

أُحصي سكان رومانيا [illegible] نحو ٦٤٠٠٠٠٠ [illegible] لعائلات فلاحون ما عدا العيال [illegible] مزروع كروماً و ٤٠ في المئة [illegible] لا تخرج نباتاً

وهذا جدول في بيان مساحة الارض التي زرعت [illegible] ومقدار غلاتها في سنتي ١٩٠٣ و١٩٠٤ والمساحة بالهكتار ومقدار الغلات بالهكتوليتر

	سنة ١٩٠٣		سنة ١٩٠٤	
	المساحة	مقدار الحاصلات	المساحة	مقدار الحاصلات
القمح	١٦٠٥٦٥٦	٢٥٩٧٦١٥	١[illegible]١١٣٤	١٨[illegible]١٥[illegible]
الشعير	٥٣٠٨٩٦	١٠٤٧١٨٩٠	[illegible]٤٢١٨	[illegible]٧٦٢[illegible]
الراي	١٥٨٠٣٠	٢٥١٧٧٩٨	١[illegible]٣٩١٨	٧٧[illegible]٥٨١
الاوتس	٤٢٦٧٢٨	١١٠٦٧١٥٢	٤٢٥٧٢٠	٤٤٤٢٩٦٧

بقوا فيها اربعين سنة وسنة ٥٣٦ قبل المسيح رجعوا الى بلادهم ٠
بقوله " بعد ان قطع سبيهم الخ ٠ "
ن عبارة " حب قريبك كنفسك " كتبت بعد كل الحوادث
من بداوة وحروب وسبي وسلام ٠ وحقيقة الحال ان سفر
وهو متقدم على كل هذه الامور ٠ فقد كتب نحو سنة ١٥٠٠
جوعهم من السبي بالف سنة ٠ وقبل ظهور التوكة الملكية
البلاد وقبلما ساروا في حال البداوة في البرية . اعني في اول
جبل سيناء في حدود مصر ٠ وهذه العبارة وجدت في كتب
سوف بالف سنة وقبل كنفوشو وليتيس الصيبيين بتسعمئة سنة ٠
سبعمئة سنة . وقبل تمدن الفرس واليونان والرومان والبابليين

ن الحاجة الى القول اني لست اقصد بذلك معارضة الفيلسوف
ن الامم في هذه الايام قد تغيرت عن ذي قبل فأصبحوا اميل
، بعد الخشونة بفضل المبادئ الادبية التي نشرت بينهم ولا سيما
، سبنسر انهُ صار يبشر بها ٠ ومعلوم ان الذين نادوا بمبادئ
لاسفة . او بالحري هم فلاسفة غير هذا العالم الوهمي" ٠ فغرضي
بهِ بنسبتهِ العبرية الى عصر هو بعد عصرها باكثر من الف

راة قبل هذه الآية باكثر من الف سنة ما ينافي روح الشراسة
ح " سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمهُ لان الله على صورتهِ
ة تفيد انكار الاعتداء عند الاقوام الاقدمين
ا كثر من الف سنة وردما يفيد انكار الاعتداء وانهُ ليس من
ادثة قايين التي فيها اطهر الله غيظهُ ودينونتهُ على المعتدين . ولما
ن كلّ من يمسهُ باذًى بسبعة اضعاف من الانتقام
قواعدهُ الدينية يحسب الاعتداء وسفك الدم من المفاخر . ولو
كتاب القديم — التوراة — انكار الاعتداء والانتقام للذات .
من الحوادث السياسية التي يجري مثلها بين الدول المتجاورة اليوم



اعتراض على سبنسر

سيديَّ الفاضلين

لا أراكما تملاَّن من جسارة هذا الداعي في انتقاد ما يرد في مقتطفكم الزاهر لان غرضكما فيهِ تمحيص الحقائق . لا سيما وقد نقلتم عن الفيلسوف سبنسر وهو معروف القدر عند اهل الخافقين فورود الخطإِ عنهُ يؤَثر في الآخرين لحاولهِ فيهم محل اليقين . فأَلتمس ان تأْذنوا بنشر هذه السطور في مجلتكم البهية خدمةً للحقيقة واصلاحًا لما ورد في كلام الفيلسوف سبنسر من الخطإِ ولكم الشكر سلفًا

قال الفيلسوف في صفحة ٨٢٣ من مقتطف هذه السنة ما نصهُ

"خذ العبرانيين مثلاً فانهُ بعد ان قطع سبيهم اسباب الشحناء المستعصية التي كانت تملأُ صدورهم وهم في حالة البداوة . وبعد ان انتهت حروبهم وفتوحهم التالية بزمان ساد فيهِ السلام – ظهرت عواطف الغيرية في كتاباتهم وقوانينهم ظهورًا بينًا حتى انك لترى في سفر اللاويين تقرير مبدإٍ يعدُّ مسيحيًا محضًا وهو حبَّ قريبك كنفسك" هذا هو كلام الفيلسوف بحروفهِ . ويلزم ان نوضح للقارىء الكريم نسبة الوقائع التي اشار اليها في تاريخ العبرانيين ليكون على بصيرة مما نقول

العبرانيون هم شعب اليهود . وكانوا يدعون قبلاً عبرانيين نسبة الى ابرهيم العبراني جدهم الاول . وقد دعوا يهودًا في ملك ارتزركسيس الفارسي قبل المسيح بخمسمئة سنة

وفي السنة الالفين قبل المسيح كانوا مجتمعين في شخص واحد هو يعقوب الملقب اسرائيل وقد حدث لهُ ولبنيهِ ما الزمهم ان ينزلوا الى مصر . وبقوا هنالك في الذلة والاضطهاد اربعمئة سنة . وبعدها خرجوا بقوة الله بواسطة موسى النبي وذلك سنة ١٥٠٠ قبل المسيح . وبقوا في حال البداوة اربعين سنة . ثم اجتاحوا ارض كنعان بقيادة يشوع الباسل وتمدنوا فيها ونشأَت فيهم الحكومة الملكية . وظهر فيهم الكتَّاب والشعراء . وكانت لهم وقائع مع الامم المجاورة معروفة في التاريخ . وفي اوائل القرن السادس قبل المسيح — في عصر كنفوشيو

الهي ان خالداً هو السارق واقام ادلة كثيرة على ان الله يوحي اليهِ احياناً فان القاضي لا يقبل دعواهُ ولا يحكم على خالد بالسرقة . وكذلك اذا قال زيد انهُ عرف بشعور داخلي في نفسهِ ان خالداً هو السارق وان هذا الشعور الداخلي صحيح وطالما كشف لهُ الغوامض فان القاضي لا يقبل دعواهُ ولا يحكم بموجبها . ولكن اذا اقام زيد ادلة طبيعية محسوسة على ان خالداً هو السارق وذلك بانهُ اثبت وجود الامتعة المسروقة في بيت خالد واستشهد اثنين من الشهود العدول فشهدا وقالا اننا رأينا خالداً يحاول فتح باب زيد ونهيناهُ عن ذلك فلم ينتهِ فسرنا في طريقنا وبعد نصف ساعة عدنا من ذلك الطريق فرأينا خالداً خارجاً من البيت ومعهُ الامتعة التي يدعي زيد انها سرقت من بيتهِ فمضينا واخبرنا زيداً بذلك . وسأل القاضي خالداً كيف وصلت اليهِ هذه الامتعة فلم يستطع ان يقدم سبباً صحيحاً فان القاضي يأخذ بهذه الادلة المحسوسة ويحكم على خالد بالسرقة مع انهُ لم يأخذ بادلة الوحي ولا بادلة الشعور الوجداني لا لان ادلة الوحي غير صحيحة ولا لان ادلة الشعور الوجداني غير صحيحة بل لان القانون يضطرهُ ان يبني حكمهُ على الادلة المحسوسة او المستنتجة من امور محسوسة . ولو شعر القاضي ان وحياً الهياً نزل عليهِ يقول لهُ ان خالداً هو السارق او لو شعر بوجدانهِ ان خالداً هو السارق لما جاز لهُ قانوناً ان يحكم على خالد بالسرقة لمجرَّد اعتقادهِ صحة الالهام او صحة الشعور بل لا بدَّ لهُ من ان يبني حكمهُ على الادلة والقرائن المحسوسة

هذا واكرر القول اننا فهمنا من كلامكم ان بعض الناس يدَّعون الآن انهُ توجد ادلة علميَّة طبيعيَّة يستدلُّ منها اين كانت النفس قبل الولادة واين تذهب بعد الموت وان ما ذكرتموهُ عن الفتاة متعلق بهذا الاستدلال فلم تنكروا ما تقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرَّضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات . ولم تشيروا الى ما يقولهُ الفلاسفة واصحاب الاديان الاَّ لفرق بينهُ وبين البحث الطبيعي الذي اشرتم اليهِ . فكما اننا لا ننكر الوحي اذا قلنا ان القضاة لا يأخذون بادلتهِ في احكامهم على الجانين ولا ننكر الشعور الوجداني اذا قلنا انهم لا يأخذون بهِ في احكامهم هذه كذلك لا ننكر الوحي ولا الوجدان اذا قلنا ان الادلة الطبيعيَّة العلمية تدل على ان الماء مركب من الاكسجين والهيدروجين وان ملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم وان جسد الانسان ينحل الى عناصرهِ بعد الموت ويدخل بعضها في بناء النباتات التي تنمو على رفاتهِ . ومن قال ضد قولكم او فهم منهُ غير ما فهمناهُ فهو سخيف العقل او فاهم ما فهمناهُ تماماً ولكنهُ متمحِّل محاول مكابر

القاهرة احد المشتركين

وقدماً فلا تورد دليلاً على توحشهم . ان المصريين في دور سموّهم لم يبلغ مبلغاً يحق له عنده ان يهزأ بامة اليهود الذين كانوا ارباب دراية واخلاص في عصرهم اكثر من امدن الممالك الموجودة اليوم . هذا ما رغبت في ابدائه خدمة لحقيقة وعلى قرّاء المقتطف الكرام . مع احترامي حضرة الفيلسوف رأساً لمين عنهُ ومن حذا حذوهُ وحكموهم من رأيي لرأى اهل العلم وخادمي الحق والانسانية اصابوا ام اخطأوا والسلام

حمص حنا جبار

واعظ بروتستانت

[المقتطف] لو كان سبنسر حيًّا وقرأ ما كتبهُ حضرة الكاتب لشكرهُ ولاعتذر بأن علماء التفسير المعروفين الآن باصحاب "الانتقاد العالي" اتفقوا او كادوا يتفقون على ان التوراة لم تكتب قبل السبي بل بعده فان كان هذا القول صحيحاً فلا غبار على كلام سبنسر وان لم يكن هذا القول صحيحاً اي اذا كانت اسفار موسى كتبت قبل المسيح بالف وخمسماية سنة فيكون كلام سبنسر فاسداً ونسأل حضرة الكاتب ان يطالع ما كتب حديثاً في هذا الموضوع ولا سيما في سكلوبيذيا التوراة وغيرها من كتب التفسير والانتقاد العالي

قبل الولادة وبعد الموت

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطَّلعت على ما كتبتموهُ في هذا الموضوع وما كتبهُ احد الجزويت في جريدة المشرق التي يطبعها الجزويت في بيروت وقد استغربت جدًّا تحرُّش جريدة المشرق وتحاملها عليكم ومحاولتها ان تلصق بالمقتطف تهمة لا اثر لها في ما كتبهُ في هذا الموضوع فما قرأنا مقالتكم الاولى وردكم على المشرق انا وجماعة من اهل الادب فهمنا مما قرأناه انهُ لم توجد حتى الآن ادلَّة طبيعيَّة محسوسة على اين تكون نفس الانسان قبلما يولد ولا على اين تذهب بعد ما يموت ولكن بعض الناس ادعوا انهم اكتشفوا الآن ادلة طبيعيَّة تدلُّ على ذلك اي على اين تكون نفس الانسان قبلما يولد واين تذهب بعد ما يموت . ولكي لا يسيءَ احد فهم مقالتكم ابنتم ان العلوم الدينية المبنية على الالهام الالهي او على الاوهام والخرافات والعلوم الفلسفية المبنية على الشعور الداخلي تحلُّ هذه المسأَلة ولكن بحثكم الآن ليس في ادلتها بل في ادلة العلوم الطبيعية

واسمحوا لي ان اوضح ذلك بمثل ذكرهُ احد الادباء الذين كنت اقرأُ مقالتكم معهم وهو لنفرض ان زيداً سرق بيتهُ فاتَّهم خالداً بسرقتهِ وشكاهُ الى المحكمة وادَّعى انهُ عرف بالحلم

باب التقريظ والانتقاد

التشخيص في الامراض الباطنية

اتحفنا حضرة صاحب السعادة الدكتور عيسى باشا حمدي بكتاب طبي نفيس موضو
المعاينة والعلامات التشخيصية للامراض الباطنية وقد جرى في وضعهِ وتنسيقهِ على الطر
الطبيعية وهي شرح التركيب والوظيفة لكل جهاز وعضو على وجه الاجمال ثم ذكر الاعرا
المرضية المدركة للمريض ثم العلامات المرضية الاكلينيكية لكل جهاز . وقد رسم الاعض
والميكروبات المختصة بالامراض المختلفة وفي الكتاب ١٤٧ رسماً من هذا القبيل · وه
حديث في بحثهِ يصل الى حيث وصل علم الطب الآن فتجد فيهِ صورة ميكروب الطاعون وصو
ميكروب الجذام وصور المراكز المخية المتسلطة على الحس والحركة . وينقصهُ كما ينقص اكث
كتبنا العربية فهرس قاموسي مرتب على حروف الهجاء حتى يسهل على المطالع ان يجد الموضو
الذي يطلبهُ · واننا نشكر لحضرة مؤَلفهِ الفاضل اعتناءهُ بنشر الكتب الطبيَّة المفيدة ونتمنى ا
يسد هذا النقص في الطبعة التالية

وقائع الحرب

هذا عنوان اربع قصائد غراء في تاريخ حرب الروس واليابان دبجتها يراعة حضرة الشاع
المجيد فارس افندي الحوري نزيل دمشق الشام · واهداها الى صديقهِ الفاضل الدكتور
حسين افندي حيدر فطبعها على نفقتهِ . وهي جاهلية في نفسها متينة في مبناها بليغة في معناه
على وجه الاجمال

القصيدة الاولى من بحر الوافر وهي تتضمن وصف اعلان الحرب والوقعة البحرية الاولى
وغيرها من الوقائع حتى وقعة مكدن . وهاك مثالاً منها في غرق الاميرال مكروف قال :

على مكروف قد بكت البواكي واطلقت المدامع والشعورا
بمصرعهِ عزوم الروس خارت وحقَّ لها بذلك ان تخورا
رجاءُ القوم معقود عليهِ ليدفع عنهم الخطب العسيرا
فكان بهديهِ قمرًا مضيئًا وكان بكرّهِ اسدًا مزيرا

[المقتطف] اننا نشكركم على ما بينتموهُ في رسالتكم من الشرح والتفصيل ولقد كنا نظن اننا اوضحنا مرادنا لكل القراء . فاذا وجدنا ان مرادنا لم ينجلِ لواحد منهم فلا نلومهُ بل نلوم انفسنا لانهُ يجب على الكاتب ان يوضح مرادهُ حتى لا يبقى في فهمهِ اقل التباس . وعسى ان يكون مرادنا قد اتضح الآن لحضرة مكاتب المشرق وهو هل توجد ادلة علمية طبيعيَّة على وجود النفس وعلى المكان الذي تكون فيهِ قبل الولادة والمكان الذي تذهب اليهِ بعد الموت فان هذا هو المراد من مقالتنا التي موضوعها "قبل الولادة وبعد الموت" كما يظهر لكل من يعيد مطالعتها لا سيما وان بعض العلماء يدَّعون ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة واذا كانت دعاوي الفتاة المشار اليها صحيحة كلها ولم تعلل بتعليل آخر طبيعي فتكون دعوى هؤلاء العلماء صحيحة

ثم اننا نسأَل مكاتب المشرق او محرر المشرق مسائل نطلب منهُ ان يرشدنا الى حلها ونقل في حلها الادلة الكتابية او الفلسفية . وهي اين تكون نفس الانسان قبلما يتكون في بطن امهِ وفي اي وقت تدخل جسم الجنين وهل تكون حينئذٍ كاملة في كل مداركها والى اين تذهب بعد موتهِ . وعسى ان يكون كلامهُ في ذلك محدوداً كأَن يحدد المكان الذي كانت فيهِ النفس والزمان الذي تدخل فيهِ جسم الجنين والمكان الذي تذهب اليهِ والوقت الذي تذهب فيهِ . ونود ان يكون تحديد المكان والزمان واضحاً جدًّا تدركهُ عقولنا القاصرة . ولنفرض ان المسأول عنهُ صيني اسمهُ تيانسي او هندي اسمهُ جهوار او عربي اسمهُ مصطفى ونطلب من حضرة الكاتب ان يجيب عن نفس واحد منهم بعينهِ

ولا يخفى علينا ان مسائلنا هذه تظهر من قبيل التعجيز ولكننا نؤكد لحضرة مكاتب المشرق اننا نودُّ ان نطَّلع على الادلة الكتابية او غير الكتابية التي يُعلم بها اين كانت نفس هذا الرجل او ذاك قبلما دخلت جسدهُ وفي اي وقت دخلت الجسد والى اين ذهبت بعد ما خرجت منهُ ونعطي جائزة عشرين جنيهاً لمن يكتب لنا مقالة في هذا الموضوع تملأُ عشر صفحات من المقتطف على الاكثر ونقرُّ لجنة من كبار علماء القاهرة على انها وفت بالمطلوب وتستحق الجائزة ثم ننشر المقالة تحت اسم كاتبها ولا نعقب عليها بكلمة واذا طلب منا ان نفرض رجلاً مخصوصاً فرضنا لهُ احمد باشا الجزار او الامير بشيراً الشهابي المعروف بالمالطي او يوسف بك كرم ليثبت لنا بالادلة الكتابية اين كانت نفس احدهم قبلما دخلت جسمهُ ومتى دخلت جسمهُ والى اين ذهبت بعد وفاتهِ

كالليث يأتيهِ القضاء برزقهِ وهو المقيم بارضهِ يترقبُ
لمعت بروقهما فبرق صادق في قصد مرماهُ وبرق خُلَّبُ
فكأنهُ اذ هبَّ فيها ضيغمٌ وكأَن هاتيك الدوارع ربربُ

والرابعة في مولد ولي عهد روسيا وهي من الكامل ايضاً . قال يخاطب الطفل

يا ايها الطفلُ الموسدُ هل ترى كيف أستفزَّ اباك هذا المولدُ
لمَّا ظهرت أنجاب افقٌ ادكن بحياتهِ وابيضَّ يومٌ اسودُ
قد جئتهُ والحرب داغرةٌ فما تجتاح مضرب جدهِ وتبددُ
اجمدتَ عبرتهُ على قتلى الوغى ولفاقديهم عبرةٌ لا تجمدُ
بردَّت حسرتهُ وعند جنودهِ لذوي بنيهم حسرةٌ لا تبردُ
امر المدافع فانبرت صعقاتها باذاعة البشرى تعجُّ وترعدُ
هل ذكَّرتهُ ان في منشوريا نار المدافع للكتائب تحصدُ

وهي مصدرة بفصل عنوانهُ "عبارة الاهداء" من قلم حضرة الناظم يليهِ مقدمة بليغة ن قلم حضرة الناشر تتضمن تلخيص وقائع الحرب . ومختومة بالكتاب الذي بعث بهِ الفيلسوف لستوي الى القيصر . فنشكر الناظم والناشر على هذه التحفة السنية

كلمة شاعر
في وصف خطب نادر

اتحفنا حضرة الشاعر السوري الاريب امين افندي ظاهر خير الله نزيل اميركا بوصف مري لزلزال سان فرنسيسكو سماهُ "كلمة شاعر في وصف خطب نادر" وهو ديوان يتضمن ٨٤ بيتاً قسمها الى رباعيات كلٌّ رباعية في معنى مخصوص وصدرهُ بقصيدة مدح فيها جراً سوريًّا مقيمًا في مدينة لوس بكليفورنيا اسمهُ الخواجا نقولا بيضا وذلك لانهُ "لما درى ِإ الفاجعة ركب القطار ذاهباً بنفسهِ الى مواقف الشدة فاجتاز ٤٨٥ ميلاً وولج في قلب دينة التي كانت تفرُّ سكانها منها خوفاً وعامر بنفسهِ بدخولهِ لان الجند كان يطلق النار على نادمين خشية من ان يكونوا من رجال السلب والاعتداء وبقي اسبوعاً كاملاً يتفقد ابناء طن السوري ويهتم بشؤونهم وارسل على نفقتهِ الرسائل البرقية الى حيث يستطاع مبشرة لامتهم ونظر في وجوه مساعدتهم نظر الاب الشفوق غير مدخرٍ سعياً ولا مالاً في سبيل حتهم" وقد تبرَّع بنفقة طبع الكتاب

والثانية من البحر نفسهِ وربما كانت ابلغ القصائد الاربع وهي في وصف وقعة مكدن . شيء منها

ودارت للمنون رحًى طحون | لها الاجساد قد صارت طحينا
وطبَّق كل ناحيةٍ دخانٌ | كثيفٌ اسودٌ يُعمي العيونا
فليس بمبصرٍ احدٌ اخاهُ | ولا هو سامعٌ منهُ الأنينا
فصار الحزن من دكٍّ سهولاً | وصار السهل من جثثٍ حزونا
كأن الارض بالابطال حُبلى | تدفّعهم حيارى صارخينا
كأن حجارها الصمّ استحالت | رجالاً بالحديد مسربلينا
فلا وادٍ بتلك الارض الَّا | ويخرج من معاطفهِ كمينا
ومنفجر الكرات يخطُّ متنًا | وتشرحُ انصلُ السيف المتونا
ترى كرةً تُفجرُ من حشاها | وتبعث مع شظاياها المنونا
وافواه البنادق فاعرات | ترشُّ كراتها غيثًا هتونا
ومصلتة الحراب مسددات | الى الاحشاء تخترق المتونا
والسنة اللهيب بكل وجهٍ | كأن الارض قد صارت اتونا

الى ان قال واصفًا مدافن الصينيين

ويا اشلاء من باتوا قديمًا | بارماسِ القبور مُدفَّنينا
رقدتم في مضاجعكم طويلاً | بمكدن مُكرَمين مبجَّلينا
لئن افنت جسومكم قرونٌ | فان رموسكم تفني القرونا
ترُشُّ ظهورها ندًّا ومسكًا | ويحرسها بنوكم واقفينا
أمنتم في الثرى حَدَثَ الليالي | وهم فوق الثرى متخوّفونا
كذاك الموت راحة كل حيٍّ | ومن نزل الثرى اضحى امينا
جدود بني السماء ألا استفيقوا | فنارُ الحرب تمنعكم سكونا
فها قد اطبقت للرَّوع ريح | تُقصّف من ظلالكم الغصونا
وها قد أُضرمت شُعل المنايا | واصبح عزكم ذلاًّ وهونا

والثالثة في وقائع اسطول البلطيك وعقد الصلح وهي من الكامل . قال في وصف طوغو

حولٌ تمرّس بالصعاب محنكٌ | بطل شديد في الحروب مجربُ
بمضيق سوشيما تخير مجثمًا | حتى اذا ازف القضا يتوثبُ

قال في وصف خطيب وخطيبتهِ

وآخر يعني بمن خطبا فتاة كبدر جلا غيهبا
فلما رأت ذلك الهول امست ووجنتها تشبه الترُبا
فيعضدها قائلاً لا تخافي تقي بي فانتزع الكربا
انا ابن جلا في شداد الخطوب وما ريع في ما مضى ابن جلا

وقال في الكلام على الصحف

واما المجلات والصحفُ فمسلكها كلهُ شرَفُ
واقلامها ومواهبها تبارت معًا سحبًا تكفُ
فلو ان صخرًا وعى قولها لكان الى البر ينحرف
وداب اكتئابًا على من اصيب وسال على الترب سيل الحيا

وقال في وصف خطباء الاميركيين

فحولٌ اذا سابقوا سبقوا ومهما نحَوا مطلمًا شوّقوا
بديع البيان بيانهمُ واصل في المنطق المنطق
وقد نسقوا حكمةً حكمةً كما الدرُّ بالدرِّ ينتسقُ
معانٍ هي الخمر خمر العقولِ بلفظ هو الزهر زهر الربى

والديوان كلهُ على هذا النسق من دقة الوصف والتفنن في ابتكار المعاني مما يشهد بشاعرية الناظم وسلامة ذوقهِ

مقامات بديع الزمان الهمذاني

ما من كاتب بليغ او باني ضليع الأَ قرأ مقامات بديع الزمان الهمذاني متنى وتلات ورباع لعلو كعبهِ في الادب وبعد صيتهِ في بلاغة الانشاء حتى بار ابا بكر الخوارزمي صاحب المقامات المعروفة باسمهِ ومثلهُ ٠ وقد تناول هذه المقامات حضرة الاديب محمد افندي محمود الرافعي فشكلها تشكيلاً تامًّا وفسر معانيها الغامضة والفاظها الغريبة وطبعها على نفقتهِ

ولا يخفى ان الاباء اليسوعيين اقترحوا على المرحوم الشيخ محمد عبده شرح مقامات بديع الزمان فشرحها لهم احسن شرح وقد طبعوا المتن والشرح في مطبعتهم ببيروت

وبديع الزمان مكنًّى بابي الفضل وهو منسوب الى همذان احدى مدائن فارس توفي سنة ٣٩٨ للهجرة او اوائل القرن الحادي عشر من التاريخ المسيحي

وهذه نبذ من الديوان نقلناها مثالاً لما فيهِ من البراعة والفضل

ايا نائمًا في ظلال الصفا أفق حذرًا من ه
فان الدجى والضحى فرسان بمركبة الده
واعجب بمركبة الدهر شانًا ففيها الهوان
وكم حادثات غرائب وقعًا تجارينَ بين الد

وقال في حدوث الزلزال

تأمل ديارًا نتيه نخارا بما بلعتهُ علّى
حبتها الطبيعة ابهى جمالٍ عجيب بهِ مثل الـ
وسكانها في سماء المعالي يسارًا ومعرفةً
فمرّت دقائق كانت كفاء لتدرجها بين ما

وقال في وصف البحر

ترى البحر سجادة سندسيه تعزُّ غرورَ الاماني
وسيع كمتّسع الرغباتِ لمن كان مولى ا
تراءى بنور الضحى موجهُ نظير عقود لجين
وماج كما ماج قلب محبٍّ يودّعهُ الحبُّ يو

وقال في وصف ابنية سان فرنسيسكو

وبعض شوارعها كعقود نُسقن صفوفًا على
فتعلو ارتفاعًا رويدًا رويدًا كما الحب في العقد
وتهبط من بعد ذاك بوادٍ وتصعد من ثم اسم
ثلاثون منعرجًا فاوانًا بقعر وطورًا با

وقال في وصف ام حاملة طفلاً رضيعًا تحاول النجاة بهِ

ترى الامّ ذارية ادمعا مطوّقة طفلها
وقد برزت لا دثار عليها وكشفت الصدر
تريد المسير ولا تستطيع وتبصرُ داعي الرد
فترفع اجفانها للسماء تقول ايا ربِّ

تقرير مصلحة المساحة عن سنة ١٩٠٥

Report on the Work of the Survey Department

اتحفنا جناب العالم الفاضل الكبتن ليونس المدير العام لمصلحة المساحة بهذا التقرير وه
عن اعمال المصلحة في تخطيط الوجه القبلي بالمثلثات حيث اتمت الوصل بين بني سويف
والقليوبية . وعن الارصاد الجوية في مراصدها المختلفة في حلوان والاسكندرية وبورت سع
والمحلة الكبرى والعباسية والجيزة واسيوط واصوان والطور والداخلة من الواحات وفي واد
حلفا ومروي وبربر والخرطوم وكسلا والقلاّبات وود مدني والرصيرص والدويم والابيّ
وكذلك وحلة دليب وواو ومنجلاّ وبورت سودان وسواكن . وعن اعمال المعمل الكيماوي و
ذلك مما يطول شرحهُ . وفي هذا التقرير فوائد جمة تدل على الهمة التي بذلها جنا
الكبتن ليونس ورجالهُ في انجاح هذه المصلحة وسننشر بعض فوائده

مجلة المساحة

Survey Notes

تضمُّ مصلحة المساحة المصرية جمهوراً من العلماء في الرياضيات والطبيعيات فمن
المساحون والفلكيون والجيولوجيون والباحثون عن الاحداث الجوية وما اشبه وقد اتفقوا ع
ان يصدروا مجلة شهرية باللغة الانكليزية ينشرون فيها خلاصة مباحثهم العلمية وصدر م
الآن جزءان في الاول منهما خمس مقالات الاولى عن التسهيل القديم في القطر المصر
والثانية عن ملوحة بحيرة قارون وقد لخصناها في هذا الجزء من المقتطف والثالثة عن مسا
الشلالات والرابعة عن الدور الحار في مصر والخامسة عن ارصاد الزلازل ويتلو ذل
مراسلات وانتقادات مختلفة . وفي الجزء الثاني كلام عن فيضان النيل سنة ١٩٠٦ وعن استعما
الزوايا القائمة في مساحة الصحاري الجبلية وعن الطين القديم المصري والروماني وعن رسو
البيوت المصرية ونحو ذلك من المواضيع المفيدة

صحة المولود

اتحفنا حضرة الدكتور المجتهد عبد العزيز افندي نظمي الطبيب بمستشفيات الاوقاف
بكتاب "صحة المولود" . وقد قال في مقدمتهِ انهُ جعلهُ "في قالب مدرسي حتى يجو

جغرافية جديدة

A NEW GEOGRAPHY

هذا اسم جغرافية بالانكليزية الفها حضرة الاديب احمد
سعادة يوسف باشا سابا مدير البوستة العام وجعلها مطابقة لدر
لفائدة التلامذة المصريين وفيها تفاصيل خصوصية عن مصر والـ
ايدينا من الطبعة الثالثة منقحة ومضافًا اليها

رواية موريس

رواية موريس او الابن الغريب ادبية عصرية تاريخية غ
حضرة الاديب كامل افندي بطرس في قلم حسابات سكة الحديد
صديقهِ الشاعر الاديب محمد افندي امام العبد وهي رشيقة العـ
مطالعتها • وقد جاء فيها عن وصف الحب هذه الابيات الرقيقة

انما الحبُّ كهرباءُ عيون لعيون تسري ا
ما خضعنا لدهرنا وهو ليثٌ وخضعنا لعـ
كان هذا الغرام يجري ورأيي في شبابي فصار

ولعلَّ هذه الابيات من نظم الذي اهديت الرواية اليهِ ثار

مرشد المترجم

هو كتاب لتعليم الترجمة من الانكليزية الى العربية ومن
حضرة الاديبين محمد افندي السيد ناظر مدرسة بنها الاميرية و
في مدرسة راس التين بالاسكندرية . وقد نقحهُ حضرة المستر
راس التين المذكورة والشيخ عبد العزيز جاويش مدرس العربيـ
والكتاب جزيل الفائدة لكل من يروم التمرُّن على الترجمة وخصـ
على كل الكتب التي من نوعهِ بصحة عبارتهِ العربيَّة والانكليز
وقف عليهِ عالمان عالم بالانكليزية وعالم بالعربية ويظهر ذلك بنو
الامثال والحكم فانهُ يعسر على المرء ان يعرف ايها الاصل وايهـ
غروش صاغ

حقٌّ وصواب وما سواهُ بطل وخطأ . وهذا يساعد الجسم على اتمام وظائفهِ الطبيعية ويجلب النوم الهنيّ والآخر يفقدهُ موازنتهُ ويقلق راحتهُ ويجلب لهُ الارق الوبيل. وعجيب اننا نحن الاميركيين مع حذقنا وكثرة سعينا في طلب الحقائق خفيت علينا هذه الحقيقة التي عرفها البوذيون وخصوصاً اليابانيين منذ القدم وجروا عليها

والطريقة التي يجري الناس عليها عادة لطرد الهموم من الراس خطأٌ في خطاٍ فكثيرًا ما سمعنا الطبيب يقول للمريض أبعد عنك الهموم وكن قرير العين منشرح الصدر دائمًا فان هذا أنفى للداء عنك من كل دواء . فيجيبهُ المريض قائلاً ألا أريد انا ذلك ولكني لا استطيعهُ ولو استطعتهُ منذ سنة لما كنت مريضاً الآن . وربما كان قولهُ هذا صحيحًا . والغالب ان الطبيب يقتنع بهِ ولايجد طريقة لمساعدة عليلهِ وخير ما يجب على العليل عملهُ في هذه الاحوال ان يعزم عزمًا صادقًا على التنزه عن الهموم فيرى من الطبيعة خير مساعد لهُ لان الانسان خلق لكي لا يهتمّ والهموم عوارض تطرأ عليهِ فاذا سعينا في طردها كنَّا نساعد الطبيعة على ذلك

حقوق النساء في الانتخاب

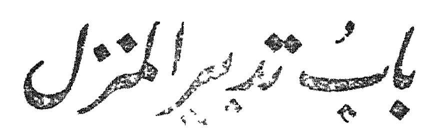
كتبت كاتبة انكليزية مقالة في حقوق النساء الانتخابية في انكلترا قالت فيها انا نطلب مساواتنا بالرجال في الانتخاب اولاً لانهُ ثبت لنا بعد طول الاختبار انهُ يستحيل اصلاح الهفوات القانونية التي نشكو منها ما لم يكن لنا يد في اصلاحها ولاننا ندرك حقّ الادراك الخطر الذي يتهدد خير النساء ورفاهتهنّ من الاستمرار على سنّ الشرائع المضرّة بهنّ المجحفة بحقوقهن

وثانيًا لان مساواة المرأة بالرجل لازمة لنموّ عاطفة العدل الاجتماعي والسياسي في الرجل

وثالثًا لان اعطاء هذا الحق لنساء بريطانيا العظمى يعجل اعطاءهُ للنساء في سائر البلاد المتمدنة ويأول الى ارتقاء شأن الآداب الاجتماعية والسياسية في العالم كلهِ

قالت واني اكتب بقلب منكسر ونفس مرّة عندما اتذكر المساعي الخائبة التي سعيتها بنفسي لتعديل قانون الطلاق الانكليزي على ما فيهِ من الاثم والخطإ وقانون الوصية المعيب وقانون الزواج وغيرها من القوانين التي تتناول علاقة الرجل بالمرأة . وقد تبين لي الآن ان المرأة لا تستطيع ان تنال انصافًا في حقوقها هنا ما لم تكن علاقتها بمجالس الحكومة مساوية لعلاقة الرجل بها

استعمالهُ في المدارس وخصوصاً مدارس البنات وهنَّ احوج الى مثل هذا الكتاب منهنَّ الى باقي العلوم العصرية التي تعتبر بمثابة معلومات ثانوية او كمالية تجاه قوانين صحة المولود وتدبير المنازل اذ لا يخفى ان بنات اليوم هن اللاتي سيتمن تربية الاطفال وهم رجال الغد فان كانت الامهات عالمات عاملات باصول التربية نشأ الاطفال في صحة قوية واخلاق محمودة فيرتقي بهم الوطن وتتقدم البلاد "· ومن مواضيع هذا المؤلف ما يأتي نظافة المولود . كيفية غسلهِ · ملابسهُ · غرفتهُ وسريرهُ · غذاؤهُ · رضاعتهُ . غذاء المرضع · نموُّ الطفل · تسنينهُ . فطامهُ . نومهُ ونحو ذلك . وقد نقلنا فصلاً عنهُ في باب تدبير المنزل



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مضارُّ الهموم

اعظم اسباب ضعف الجسم اشتغال البال وتكاثر الهموم عليهِ · ولقد كتبت احدى الكاتبات الاميركيات مقالة في الهمّ نقتطف منها ما يأتي قالت :—

كان لي جدٌّ لهُ املاك وعقارات واسعة فاذا اشتدَّ الحر وكثرت الرطوبة في الهواء خاف على زرعهِ من التلف واذا برد الهواء وجف خاف عليها من التلف بردًا وفي كلا الحالين كنت أراهُ مشغول البال قلق الخاطر وكانت والدتي مثلهُ كأنها ورثت هذا الخلق منهُ وجئت انا مثلها ايضًا فلما كنت صغيرة السن كنت اخشى ان يدهمني الموت على غرة وانا نائمة غير مستعدة لهُ · ثم لما كبرت تغيرت اطواري وصار همي بشيءٍ آخر · وكنت اظن ان الهم لازم للانسان لزوم الهواء لهُ حتى صرت احسب خليي البال قليلي الهموم قومًا مجرمين لانهم يجهلون ما لهم وما عليهم من الواجبات · ولم يخطر لي ابدًا ان هدوءَ بال الانسان وسعة خلقهِ ومطابقتهُ بين نفسهِ واشغالهِ غاية ما يجب ان يكون عليهِ وهو يعمل اعمالهُ

ولكن شتان ما بين همٍّ وهمٍّ . فان من الهموم ما لا غنى للانسان عنهُ وهو النظر الى المستقبل بسكون بال وتدبير مهام الحياة برصانة واطمئنان في النفس · فهذا النوع من الهموم

حديثاً مقالة في مرور ٣٦ سنة على زواجهِ بعد عشرين شهراً من وفاة قرينتهِ وهي اشبه بالتأبين لها وكان كثير التعلق بها فلما ماتت جزع عليها جزعاً شديداً حتى كاد يفقد رشدهُ ويضيع صوابهُ · وبلغ من تعلقهِ بها انهُ لم يفارقها يوم واحد الاَّ كتب اليها · وهاك بعض ما جاء في التأبين قال:

اول ما رأيت منها تمثال عاج صغير كان في غرفة اخيها وذلك ايام زيارتهِ لازمير في صيف سنة ١٨٦٧ · ثم رأيتها هي لاول مرة في نيويورك في الشتاء التالي وكانت نحيفة البنية جميلة كثيرة الدلال تروع مهابة وتذوب ظرفاً فما تدرى أعجوز هي ام فتاة وقد بقيت امرأة وفتاة الى آخر نسمة من حياتها وكان فؤادها يتقد حبًّا وحناناً وهمة وغيرة وعندها من الرجاء والشجاعة كنز لا يفنى وجعبة لا تنفد · فطرت على الصدق الكامل والامانة الكاملة والحرية التامة صادقة الفراسة صادقة البداهة · وقد قابلتها بمئات من الخلق فكانت احسنهم كلهم "وكان احسن ما في الاحسن الشيم"

وقد قضينا معاً تسع سنوات في الفاقة والدَّين فكانت تبذل مجهودها لتنهض بي من وهدة اليأس والقنوط وتصوّر لي العالم ابيض ناصعاً وتريني اياهُ كذلك · وفي تلك المدة كلها لم اسمعها تفوه بكلمة تذمر او شكوى من انقلاب الزمان بنا ولا سمعت احداً من اولادنا يشكو من شيءٍ لانها علمتهم الصبر على البلوى فرسخ علمها فيهم رسوخ الصخر · وكانت تتودد الى اولادها وتظهر لهم عطفها وحنوَّها بعبارات رقيقة لا تنقطع حتى كنت ادهش لذلك

مقلاة العجة

لا يجوز غسل مقلاة العجة ولا استعمالها لقلي شيءٍ آخر غير البيض وتنظف بمسحها من الداخل والخارج بقطعة ورق ثم بخرقة

طبخ الرز

يغسل الرز جيداً ثم يوضع في الماء وهو يغلي ويترك كذلك ثلث ساعة ثم يوضع على نار خفيفة الى ان ينشف الماءُ فيخرج الرز ناصع البياض · ومن الناس من يأكلهُ بلا ادام والغالب عندنا ان يضاف اليهِ السمن بعد سلقهِ او يسلق بمرق اللحم

لون الخضر المطبوخة

يضع بعض الناس شيئاً من كربونات الصودا مع الخضر المطبوخة لحفظ لونها ولكن طعم

وختمت مقالتها بقولها وانما نأبى قبول اعذار فارغة يراد بها تحويلنا عن مطالبنا وتأْخيرنا عن بلوغ غايتنا. فان ما نعملهُ يجب ان يعمل الآن باوفر سرعة . وانما نستنجد كلَّ امرأَة ذات قلب وشرف نفس وكلَّ رجل منصف ليهبوا الى مساعدتنا فان سبيلنا واضح بيّن وهو ان تكون اخواتنا مستقلات سياسيًّا فيسعينَ الى خلاصهنَّ الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي الى خلاص سائر النساء

وكتب بعضهم مقالة في مجلة القرن التاسع عشر قال فيها ان حركة النساء الانتخابية اصبحت ظاهرة يشعر بها في اوربا كلها حتى تركيا المعروفة بشدة محافظتها على القديم . وقد تشابهت ظواهرها كلَّ التشابه في انكلترا وفرنسا ولكن اختلافها في المكانين جوهريٌّ واعظمهُ انهُ ليس في فرنسا شخص ذو وجاهة ونفوذ يقود الحركة فيها بل ان اصحاب الحركة جماعة من اهل الطبقتين الوسطى والدنيا بخلاف ما هي الحال عليهِ في انكلترا . ومع ذلك فقد نجحت حركة النساء نجاحًا غريبًا فانك لاتكاد تفتح جريدة او مجلة او رواية الاَّ وتجد فيها اشارة الى هذه الحركة الجديدة . ثم ان من النساء محاميات وطبيبات وكاتبات في الجرائد وقد اخذن يتعاطين الفنون الجميلة ويحللن محلاً رفيعًا منها ولكنهنَّ لا يزلن بالمعنى السياسي حيث كنَّ في عصر الرومان تقريبًا. ويستدلُّ من الاحصاءات ان نصف عمل فرنسا وشغلها يتمُّ الآن على يد النساء فلا عجب اذا افضى نيلهنَّ حق الانتخاب الى انقلاب عظيم في حال البلاد

وقال آخر في مجلة اميركا الشمالية انا مقتنعون ان قد حان الاوان الذي يكون فيهِ لمنح النساء حق الانتخاب وتقليدهنَّ المناصب السياسية اليد الطولى في توفير اسباب الخير للشعوب فقد ثبت لنا الآن ان قوى المرأَة العقلية مساوية لقوى الرجل المتوسط وان آداب المرأَة اسمى من آداب الرجل وهذا الامر الاخير هو الذي يحملنا على الاعتقاد بوجوب مشاركة المرأَة للرجل في الشؤُون السياسية ان لم يكن من قبيل الحق فمن قبيل حسن السياسة

هذا وان الاخطار التي تتهدد البلاد الاميركية ثلاثة الاول الانحطاط الادبي في السياسة والاعمال. والثاني اجتماع ثروة الشعب في ايدي افراد قلائل . والثالث استيلاء السخط والاستياء على جمهور الامة لغير سبب معقول . والمرأَة الاميركية قادرة على مقاومة هذه الاخطار ودفعها مثل الرجل الاميركي

شهادة رجل لامرأتهِ

عند الاميركيين كاتب مشهور وهو مستر كليمنس المعروف باسم " مارك تواين " كتب

والحذر كل الحذر من كثرة تغذية الاطفال اذ تسبب لهم تلك الزيادة امراضاً صعبة الشفاء مثل لين العظام اي الراسيتيزم الذي تظهر مباديهِ عند الطفل بكبر البطن وضعف الجسم والشراهة في الاكل

ويجب على الوالدة ان تراعي في غذاء الطفل وهو في السنة الثانية من عمرهِ كل الاحتياطات التي ذكرناها في موضع الرضاعة الصناعية من حيث على الان وتعقيمهِ ونظافة اواني الأكل .. الخ كل هذه النصائح الاساسية

ويجب ان لا تعطي لولدها ما تبقى من غذاءهِ الماضي بل يلزم ان تطبخ لهُ في كل مرة المقدار الكافي لهُ لهذه المرة فاذا تبقى شيء منهُ لا تعطيهِ لهُ مرة اخرى

واذا حصل للطفل امساك من بعض الاغذية سيما من البيض يغير لهُ نوع الغذاء ويعطى لهُ لبن كثير مطبوخ بدقيق الشعير وفي حالة الاسهال يعطى لهُ ارز مطبوخ باللبن وعلى كل حال في حالة حصول اي تغير في تبرزات الطفل ولو في صحتهِ العمومية يجب استشارة الطبيب خوفاً من استفحال الداء

ومن الافضل تغذية الاطفال وحدهم مع القائمة بتؤونهم اي ان لا يحضروا مائدة والديهم خوفاً من تعلقهم بالاكل من شيء غير صالح لصحتهم مثل اللحم او بعض الخضارات او الاطعمة الحريفة فيتسبب لهم من ذلك ضرر عظيم



(١) سور الصين

الاسكندرية . محمود افندي رمضان الفولي . ما فائدة الحائط العظيم المقام شمالي الصين

ج هو سور منيع أُقيم بين الصين الاصلية ومنغوليا ليمنع عن الصين هجمات القبائل الشمالية . بني نحو سنة ٢٢٠ قبل المسيح وطولهُ نحو الف ميل وهو مبني بالحجارة والاجر وارتفاعهُ نحو عشرين قدماً وعرضهُ من اسفلهِ ٢٥ قدماً ومن اعلاهُ نحو ١٥ قدماً وفيهِ ابراج كثيرة ارتفاع البرج منها نحو اربعين قدماً

(٢) اقدام الصينيات

ومنهُ . سمعت ان اقدام جميع النساء الصينيات صغيرة ولذلك لا يستطعن المشي

الصودا كثيرًا ما يؤثر في طعمها فلمع ذلك استبدل الصودا بشيء من السكر العادي فانه يحفظ لون الخضر ولا يغير طعمها

حفظ السمك

يقدد بعض الاوربيين السمك بهذه الطريقة وهي انهم يطفونهُ جيدًا ويرشون شيئًا من السكَّر الاسمر داخله ويتركونهُ على وضع افقي ليتشرب السكر جيدًا ثم يملحونهُ ويدخنونهُ فيحفظ جيدًا من غير ان تتغير نكهتهُ . والنصف اوقية سكر تكفي لثلاثة ارطال سمك

ترتيب غذاء الاطفال المفطومين

من كتاب صحة المولود لحضرة الدكتور عبد العزيز افندي نظمي

كما ان لبن الوالدة هو احسن غذاء للمولود في السنة الاولى فكذا اللبن البقري او الجاموسي والعيش والبيض وبعض اغذية أُخرى يشير بها الطبيب هي احسن غذاء للطفل من نهاية السنة الاولى لنهاية ظهور جميع الاسنان

ويمكن استخراج اشكال كثيرة من هذه الانواع الثلاثة (اللبن والعيش والبيض) فمثلا يمكن جعل اللبن بشكل مهلبية او طبخهُ بالارز المدقوق او الشوكولاته — الخ هذه الاشكال التي تعرفها السيدات . كذلك يمكن ان يكون العيش من القمح او الذرة او الشعير وان يكون على شكل بسكويت ناشف او طري بملح او بسكر او بشكل شعرية او مكرونة او تابيوكا — الخ كل هذه الاطعمة التي تدخلها المواد النشوية . كذلك يمكن تغذية الطفل احيانًا بقليل من البطاطس والبسلة والعدس والفول والفاصولية وتكون مسلوقة ويضاف عليها قليل من لحم والزبدة

وقد تباع في الاجزاخانات ومحلات البقالة انواع اغذية للاطفال بعضها مفيد لغذاء الطفل ولكن فائدتها لا توازي فوائد الاغذية التي ذكرناها فضلاً عن علو ثمنها وعدم قدرة كثير من العائلات على استعمالها دائمًا لغذاء اولادهم

وبالاختصار فان احسن غذاء اساسي للطفل في سنتهِ الثانية هو اللبن وتليهِ الاغذية النشوية ثم البيض

ومن الواجب اعطاء الطفل المقدار الكافي لغذائهِ بدون زيادة عليهِ فمثلاً يعطى لهُ في كل ٢٤ ساعة لتر واحد من اللبن وجزء قليل من الاغذية النشوية وبيضة او اثنتان ولا بأس من استشارة الطبيب لترتيب الغذاء اللازم للطفل حسب صحتهِ وسنهِ

لمديرية الواحدة وتجد اختلافاً مثلهُ بين لغة الانكليز ولغة الاميركان مع انهما لغة واحدة ولم يفرق بينهما الاَّ منذ سنين قليلة لكن الاختلاف بين فرعي اللغة الواحدة لا يبلغ الفرق الذي نراهُ بين اللغة الصينية واللغة العربية مثلاً وما ذلك الاَّ لان عصر الاتصال بين هاتين اللغتين بعيد جداً ·
ويفرض علماء اللغات ومن جرى مجراهم من العلماء الطبيعيين ان الناس الاولين كانوا ينطقون بكلمات قليلة جداً اكثرها مقاطع مفردة مثل اصوات العجماوات وكان ذلك قبلما كثر الناس وتفرقوا على وجه البسيطة ثم ت لغة كل قوم منهم بعد ما تفرقوا وتشعبت كثيراً بتفرقهم فصار ما نراهُ من الاختلاف ي اللغات وهو مثل الاختلاف في اشياء كثيرة افترقت وبعُد بعضها عن بعض تنوعت اسباب التغير التي طرأت عليها تباين بعضها عن بعض تبايناً كبيراً

(٥) السل والغبار

فوقو اورزونت بالبرازيل . الخواجه خليل سطفان · هل يوجد ميكروب السل في كل نواع الغبار وان كان الامر كذلك فما هي طريقة للوقاية منهُ

ج لا يكون ميكروب السل موجوداً الغبار ما لم يصل اليهِ نفث المسلول فاذا ل المسلول في مكان وجفَّ نفثهُ وتطاير الهواء اختلط ميكروب السل الذي فيهِ بالغبار المتطاير في الهواء مهما كان نوعهُ · وقلما يخلو بلد من وجود المسلولين وقلما يخلو مكان كثير السكان من وجود ميكروبات السل في غبارهِ حتى قيل ان ٩٥ من الناس اصيبوا بشيءٍ من السل الرئوي في حياتهم ثم شفوا منهُ وهم لا يدرون · وطريق الوقاية تتوقف على المسلولين انفسهم فانهم اذا لم يتفلوا على الارض بل تفلوا في اناءٍ فيهِ مادة سامَّة او في ورق معدّ لذلك ثم حُرِق الورق قلَّ انتشار ميكروب السل كثيراً · وعلى اصحاب مركبات سكك الحديد وسائر الاماكن العمومية ان يمنعوا القاء النفث فيها

(٦) سنة الزواج

ومنهُ · في اي عهد وضعت سنَّة الزواج ومَن اول مَن وضعها

ج هي قديمة جداً قبل زمن التاريخ فتتعذر معرفة الزمن الذي وضعت فيهِ واسم واضعها . والظاهر انها تولَّدت رويداً رويداً في العصور الغابرة وبلغت درجة سامية عند الكلدانيين قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة كما يظهر من شرائع حمورابي التي ذكرنا خلاصتها في المجلد الثامن والعشرين من المقتطف · ومما ذكر فيها ان عقد الزواج لا يتم الاَّ بتسجيلهِ ويجوز للرجل ان يطلق زوجتهُ اذا كانت عاقراً والاَّ لزمتهُ نفقتها ونفقة اولادها وتعطى من ميراثهِ نصيب ابن من ابنائهِ ويجوز لها ان تتزوج رجلاً آخر .

بسهولة فهل ذلك خلقة او هو حادث بالصناعة

ج هو حادث بالصناعة فان الصينيين يربطون اقدام بناتهنَّ وهنَّ في سن الطفولية لكي يمتنع نموها لكن ذلك خاصٌّ ببنات الطبقة العليا من الصينيين فلا يشترك فيه بنات منشوريا ولا بنات الطبقات الدنيا الاَّ نادرًا والعادة غير قديمة في بلاد الصين فلا يمتد تاريخها الى ابعد من ١٤ قرنًا

(٣) تدبير البلاد

ومنهُ . ايهما افضل تدبير داخلية البلاد ام الحروب وما وجه افضلية احدهما على الآخر مع التمثيل

ج لعلكم تريدون هل الافضل لبلاد مثل فرنسا او انكلترا ان تقصر اهتمامها على تدبير بلادها او ان تهتم بفتح البلدان الخارجية وضمها اليها فان كان هذا هو مرادكم فتدبير داخلية البلاد افضل ما دامت خيراتها كثيرة تكفي سكانها وتزيد عليهم ولكن اذا زاد عدد السكان ولم تعد خيرات بلادهم تكفيهم فلا بد لهم من انتجاع موارد اخرى للرزق ولا بدَّ لحكومتهم من ان تفتح لهم بلادًا اخرى يعيشون منها . واذا كانت بلادهم صناعية كالبلاد الانكليزية فلا بدَّ لحكومتهم من ان تمهد لهم السبيل لبيع بضائعهم في بلدان اخرى واذا استطاعت ان تستولي على تلك البلدان لكي لا يبقى لها مزاحم فيها كان ذلك افضل لرعيتها ولو لم يكن افضل للبلاد

التي تستولي عليها .
واكنهم لا يزالون
او الاستيلاء على
فصاحب منجم الفح
من المعدّنين . و
بنصف تعب مئات م
الوفرة يتمتع بص
من الذين يشتغلون
تسعى الممالك الا
بلدان تستطيع ان
تعمها اعضهم لعضًا
موارد الرزق في ال

(٤)

ومنهُ . ما سب
جميع الناس من ا
ج ان اللغة ت
الحيَّة باختلاف المو
اهلها فاذا كان
وكثروا وتفرَّقوا و
لكنهُ لا يكون كب
لسان البعض الآخ
مصر واهالي الشام
مصر مثل العربية ا
اختلفت الواحدة ع
الازمان . وتجد اخ
عربية الوجه القبلي
وعربية الجهات الش

ألا يوجد كتاب في تاريخ البانيا (بلاد الارناوود) باحدى اللغات العربيَّة والفرنسوية والانكليزية

ج يوجد بالفرنسوية كتاب هرغار Haute Albanie وبالانكليزية كتاب نيط Travel in Albania وكتاب ابنة القنصل وموضوعهُ عشرون سنة بين البلغار واليونان والارناوود والترك والارمن وهو في مجلدين . وليس في العربية كتاب على ما نعلم

(١١) الحمراء والخورنق والسدير والابلق

الاسكندرية . احد المشتركين . ما تاريخ كل من الحمراء والخورنق والسدير والابلق الفرد

ج الحمراء او القلعة الحمراء حيٌّ محصَّن من احياء غرناطة فيهِ بقايا قصر ملوكها ويحيط بهِ سور منيع طولهُ اكثر من ميل عليهِ ابراج كثيرة وفي الابراج الشمالية منها الدار المعروفة بدار السفراء وفي داخلهِ قصر قديم شرع في بنائهِ ابن الاحمر سنة ١٢٤٨ للميلاد واتمَّهُ حفيدهُ محمد الثالث سنة ١٣١٤ ومن المباني الباقية منهُ دار الاسود ودار بركة السمك وفي كل منهما اروقة وغرف كثيرة وحدائق وفساقي وارض مرصوفة بالفسيفساء وليس في مباني البشر ما يفوقها في جمال اعمدتها وقناطرها وما فيها من النقش والزخرفة والادهان المعدنية البديعة الاَّ دار ابن سراج وهي من الحمراء ايضاً وسقفها من الارز مرصَّع بالعاج والفضة والصدف وفيها رواق قناطرهُ وعمدهُ من المرمر

وفي الحمراء يقول الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشاً قطعتهُ ذهبت بهِ للانس والليل قد ذهبْ
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست بشمس الضحى صارت سبيكتها ذهبْ

ولعلَّ الحمراء اجمل مباني العرب الباقية الى الآن

والخورنق قصر كان بظاهر الحيرة بناهُ الملك النعمان ويقال انهُ كان جالساً فيهِ ذات يوم فاشرف على النجف وما يليهِ من البساتين والنخل والجنان والانهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق فاعجبهُ ما رأى من الخضرة فقال لوزيرهِ أرأيت مثل هذا المنظر وحسنهِ فقال لا ايها الملك ما رأيت مثلهُ لو كان يدوم . قال فما الذي يدوم . قال ما عند الله في الآخرة . قال فبمَ ينال ذلك . قال بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عندهُ . فترك ملكهُ في ليلتهِ ولبس المسوح وخرج مختفياً هارباً . وفي ذلك يقول عدي بن زيد

وتبيَّنْ رب الخورنق اذ اشر ف يوماً والهدى تفكيرُ
سرَّهُ ما رأى وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسديرُ
فارعوى قلبهُ وقال فما غبطة حي الى الممات يصيرُ

ويجوز للمرأة ان تطلب طلاقها من زوجها واذا كانت مريضة جاز لهُ ان يتزوج غيرها ولكن لا يجوز لهُ تطليقها حينئذٍ · واذا ارادت ارملة اولادها قصَّر ان تتزوج وجب عليها ان تستأذن القاضي فاذا اذن لها وجب عليهِ ان يسلم الى زوجها الثاني بيت زوجها الاول وممتلكاتهِ كلها ويأخذ عليهِ صكًّا بهامشترطًا عليهِ ان يعتني بالممتلكات وباولاد زوجتهِ من زوجها الاول ويحفظ لهم املاكهُ ولا يجوز لهُ ان يبيع شيئًا منها وان باع أُلزم المشتري برد ما اشتراهُ ويخسر ثمنهُ (انظر المقتطف المجلد ٢٨ صفحة ٣٦٣) ولكن سنة الزواج لم تبلغ هذا الحد من الارتقاء في كل البلدان بل لا تزال حتى الآن في حالة حقيرة جدًّا عند قبائل كثيرة من سكان افريقية واستراليا

(٧) الدخان

ومنهُ · الى اين يذهب الدخان

ج الدخان دقائق فحم صغيرة منتشرة في الغازات والابخرة التي تتطاير من المواد المشتعلة اما الغازات فتبقى منتشرة في الهواء الى ان تمتزج بالمطر ويمتصها النبات · واما الابخرة فتتكاثف وتعود الى الارض وكذلك دقائق الفحم ترسب من الهواء رويدًا رويدًا وتعود الى الارض ولذلك تسود جدران المباني في المدن التي تكثر فيها المعامل من دقائق الفحم الراسبة عليها من الدخان

(٨

ومنهُ · اذا و
نفسهِ رويدًا روي
ج · يطير بخا
الى الارض مع
رطوبة تمتصها الا

(٩)

ومنهُ · ان ا
آخر فما هي اسباب
والسكون لازمان
ج ان السب
الشمس فانها تسخن
فيتمدد ويخف وي
مما حولهُ الى الم
الموازنة وقد يمكن
تشعلوا شمعة ص
وتضعوا وراءها
النور حتى يقع ظ
حول ظل لهبها ظا
مقام الهواء الذي
الحراج والجبال تع
منها رياح شدي
جريانًا بطيئًا ثم
يخرج بسرعة شد
لازمة لانها تُرسَل

(١٠

القاهرة · ع

(١٤) مرض النقطة

الاسكندرية · عبد اللطيف افندي ابو الوفا . ما هو مرض النقطة وهل هو تغيُّر في الدم ولماذا يحدث في وقت لم تتقدمهُ عوارض

ج هو مرض وظيفي مزمن في المجموع العصبي لم يعلم سببهُ الحقيقي حتى الان· كان القدماء يعتقدون انهُ من فعل الارواح لكنَّ بقراط ابا الطب قال انهُ مرض مثل سائر الامراض سببهُ طبيعي مثلها · وقال الشيخ الرئيس ابن سينا ان سبب الصرع الاكثر آفة تصيب البطن المقدَّم من الدماغ فتحدث فيهِ سدَّة غير كاملة فيمنع نفوذ قوة الحس والحركة فيهِ وفي الاعضاء نفوذًا تامًّا من غير انقطاع بالكلية · وقد اطال في هذا المعنى واستشهد بكلام " الفيلسوف الاكبر ارسطاطاليس " لكن مرادهُ غير جلي ومهما يكن منهُ فان علماء هذا العصر شرَّحوا ادمغة المصروعين بعد وفاتهم فلم يجدوا فيها آفة ما ولذلك قالوا عن الصرع انهُ علة وظيفيَّة ولا يبعد ان المباحث الجديدة تكتشف العلة الحقيقيَّة التي تسببهُ

(١٥) كتب المتيورلوجيا

ومنهُ . نرجو افادتنا عن اسماء الكتب العربيَّة التي أُلفت في علم المتيورولوجيا (علم حوادث الجو) غير كتاب الظواهر الجوية المشهور

ج لم يبلغنا انهُ أُلِّف في العربيَّة كتاب غير كتاب الظواهر الجوية حتى الآن

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر دسمبر ١٩٠٦

	اليوم	الساعة	الدقيقة
البدر	١	١	٧ صباحًا
الربع الاخير	٩	٣	٤٥ "
الهلال	١٥	٨	٥٤ مساءً
الربع الاول	٢٢	٥	٤ "
البدر	٣٠	٨	٤٤ "

السيارات

عطارد نجم الصباح ويرى في النصف الاخير من الشهر

الزهرة نجم الصباح

المريخ يشرق قبل الشمس بنحو اربع ساعات

المشتري يرى الليل كلهُ تقريبًا

زحل يغيب قبل نصف الليل

ويظهر ان القصة موضوعة . وقال القزويني ان الحيرة قديمة كانت على ساحل البحر بقرب ارض الكوفة وكان هناك في قديم الزمان شجر والآن ليس بها اثر الشجر ولا المدينة بل هو دجلة وآثار طامسة . وقال القرماني ان بحر فارس كان ممتدًّا الى الكوفة وان الحيرة بقيت عامرة ٥٠٠ سنة ويظهر من التواريخ العربية ان ملوك الحيرة كانوا عمالاً للاكاسرة منذ القرن الثالث للميلاد الى زمن الفتح فبنيت الكوفة حينئذٍ وجعل اهل الحيرة ينتقلون اليها شيئًا فشيئًا فعمرت الكوفة وخربت الحيرة وتمَّ خرابها في زمن المعتضد

والسدير نهر بالحيرة على ما في التهذيب وهذا ينطبق على البيت المتقدم الذي عطف فيهِ السدير على البحر . وقيل السدير كلمة فارسية معناها قبة في ثلاث قباب متداخلة وهي بالفارسية سه ديس اي القبب الثلاث

والابلق الفرد الحصن المنسوب الى السموأل بن عادياء اليهودي . قال ياقوت انهُ مشرف على تيماء بين الحجاز والشام على رابية من تراب فيهِ آثار ابنية من لبن وهو خراب وقال الاعشى ان بانيهُ سليمان بن داود وفي ذلك يقول

بناهُ سليمان بن داود حقبةً
لهُ ازَجٌ عالٍ وطيٌّ موثَّقُ

والمحقق من كل ذلك الحمراء لانها لم تزل قائمة الى الآن وقد وصفها كثيرون من

كتاب الافرنج ورأ
البلور ببلاد الانكا

(١٢)

ومنهُ . ما اصل
في اغلب البلدان و
وبالانكليزية جسـ
ج اصلها من ا
السند فهجرت بلادها
بمصر وانتشرت فيـ
الى اوربا في اوائل

(١٣) صو

ومنهُ . قلتم في
نوفمبر الماضي عن
صور فوتوغرافية مأ
المتحركة ولكن تو
يتأتى حصولهُ حتى
وعودتهُ حيًّا مرارًا
ج ان ما كان
مصنوعة باليد او عر
من صور مختلفة فلا
يشاء من الصور الت
بعد الاخرى على عم
درجاتهِ فاذا نقل
بالفوتوغراف واظهر
الاخرى بان لمن يـ
الذي تدلُّ عليهِ و
عليكم كل ما ترونهُ

خصوصية لهم يوقون فيها خطر العدوى الى ان يفعل اللقاح فيهم فعلهُ المروم"

التنفس الصناعي

اخترع الدكتور ايسنمنجر المجري آلة لاعادة التنفس بتحريك البطن والمعدة دون الصدر . وهي مؤلفة من درع تربط فوق البطن واسفل الصدر ويترك محل فارغ بينها وبين سطح الجلد يملأ هواء ويفرغ الهواء منهُ بنوع من الممص فيزاد الضغط على البطن ويقلل على التوالي ويتصل التأثير الى الحجاب الحاجز فيرتفع ويهبط كما في التنفس الطبيعي وينشط القلب الى العمل

رحلة القومندان بيري

القومندان بيري هو الرحالة الاميركي الذي سافر لاكتشاف القطب الشمالي في صيف السنة الماضية ونقل البرق اخيرا انهُ بلغ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ ثم انقلب راجعاً بسبب ذوبان الجليد . ويؤخذ من اخبار رحلتهِ ان سفينتهُ واسمها "روزفلت" غادرت نيويورك في ١٦ يوليو سنة ١٩٠٥ بقيادة الكبتن بارتلت وكان فيها عشرون من البحارة وسارت قاصدة رأس بريتون حيث انضم القومندان بيري الى رجالها ثم سافرت من رأس بريتون في ٢٦ يوليو الى مكان في لبرادور ثم الى جرينلند . وكان يصحب السفينة سفينة اخرى اصغر منها واسمها "ايريك" فمرت ببعض ثغور جرينلند واستأجرت رجالاً من الاسكيمو وكلاباً لمساعدة الحملة في نقل الاحمال وجرها وكان عدد رجال الاسكيمو ٢٣ والكلاب نحو ٢٠٠

ولم تعلم تفاصيل الرحلة بعد لان بيري لا يزال على الطريق في عودتهِ الى اميركا وكلُّ ما يعلم عنهُ مأخوذ من رسالة بعث بها من هو بدايل في لبرادور وهي التي طيرها البرق الى سائر انحاء المعمور . وهذه خلاصتها

" شتَّت السفينة روزفلت على الساحل الشمالي من جرانت لند . وفي فبراير سافرنا على المزالق شمالاً حتى اذا بلغنا ما بين الدرجة ٨٤ و ٨٥ تأخرنا بسبب وجود بحر امامنا وعاودنا المسير مسافة ستة ايام شمالي الدرجة ٨٥ فهاجت الزوابع والعواصف وكسرت الجليد واتلفت زادنا وقطعت خطوط المواصلات بيننا وبين معسكرنا العام . وحملتنا شرقاً بشمال فبلغنا الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ على الجليد . وفيما نحن عائدون اكلنا ثمانية كلاب و بلغنا ساحل جرينلند الشمالي ونحن على آخر رمق فاصطدنا بعضاً من حيوان الرنة وعدنا متبعين في سيرنا خط الساحل فالتقينا بجماعتين ارسلتا لنجدتنا في ساحل جرينلند الشمالي وكانت احداهما قد ضلَّت السبيل ونفد الزاد منها فادركناها وهي تكاد تتضور جوعاً وانقذناها من الموت . ولما بلغنا سفينتنا استرحنا

ناظر المعارف المصرية

مضت مدة طويلة وليس للمعارف المصرية ناظر خاص بها بل كان ناظرها ناظر الاشغال او ناظر المالية فاشار جناب اللورد كرومر في اواخر الشهر الماضي بتعيين ناظر مخصوص للمعارف يتولى شؤُونها واختار لذلك رجلاً موصوفًا بعلو الهمة وشدة العزيمة والاستقلال في الرأي وهو سعد بك زغلول احد مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية فعينهُ الجناب الخديوي ناظرًا للمعارف ومنحهُ رتبة ميرميران فسر تعيينهُ اهالي القطر على اختلاف اميالهم ويرجى ان يكون للمعارف عصر جديد في ايامهِ ترتقي فيهِ فوق ارتقائها الحالي وتزيد الرغبة في العلوم والفنون

لقاح السل

اكتشف الدكتوران كالمت وجاران من مستوصف باستور في ليل لقاحًا يقي البشر من داء السل. وهاك ما قالهُ الدكتور جاران في عدوى السل ودوائهِ ننقلهُ عن جريدة السينتفك اميركان :

" لما كانت التجارب الكثيرة قد اثبتت ان مكروبات السل التي أُميتت بالحرارة او غيرها من الوسائط تخترق جدران الامعاء مثل المكروبات الحية وتوجد في العقد المساريقية والرئتين عملنا التجارب الآتية وهي

انا كنا نأخذ ا
والجداء ونعطيها
او المكروبات التي
الاولى والثانية ٥
غرامات الى ٢٥
المادة الدرنية التي
ومقدار الجرعة •
ريب في الاحوال
هذه التجارب ان
والجداء من هذه
ان مكروب سل
مدة خمس دقائق
مدة خمسة اشهر
تعيينها الآن وب
المعدة. وانهُ يمكن
من غير ضرر •
المواشي بعد المج
استعمالها في الناس
الاولاد من العدو
جدًا من مكروبات
مع اللبن بعد ا
ولادتهم بايام قليلة
اما الاحتياط الو
يعسر اتخاذهُ فهو
يطعمون بهذه الط
يعرضهم للعدوى
وخير سبيل الى

غرابة في ذلك فان الاقدمين كانوا يصنعون الملابس منهُ . انتهى

ومما يذكر بهذا الصدد ان انكلترا تنفق من الورق كلَّ سنة ما ثمنهُ اربعة ملايين جنيه وتصنع منهُ ما زنتهُ ٢٤٦٠٥١ طنًّا . اما الولايات المتحدة فتصنع منهُ ما زنتهُ ٦٣٩٧٣٤ طنًّا والمانيا ٣٩٣٦٨٣ طنًّا وفرنسا ١٩٦٩٤٢ طنًّا والنمسا ١٤٧٧٠٦ طنَّات وايطاليا ١٦٣٠٣٦ طنًّا . وفي الولايات المتحدة شركة لعمل الورق عندها ٣١ معملاً فيها ٩٦ آلة تعمل بلا انقطاع وتصنع من الورق اكثر مما تصنعهُ معامل النمسا وقدر ما تصنعهُ معامل انكلترا كلها ورأس مالها نحو ٢٠ مليون جنيه

اما من حيث اصدار الورق الى الخارج فان المانيا في المتقدمة فانها تصدر ٥١٠٠٠ طن كلَّ سنة وتليها انكلترا وما تصدرهُ ٤٩٢١٠ طنَّات ثم الولايات المتحدة وما تصدرهُ ١٦٨٨٠ طنًّا ففرنسا وما تصدرهُ ١٣٠٩ طنًّا

واما من حيث الاستهلاك فان الولايات المتحدة الاولى ايضًا اذ يبلغ متوسط ما يستهلكهُ الفرد فيها كلَّ سنة ٣٨٫٦ الرطل وفي انكلترا ٣٤٫١ الرطل . وفي المانيا ٢٩٫٩٨ . وفي فرنسا ٢٠٫٠ . وفي النمسا ١٩ . وفي ايطاليا ١٥٫٤ وآخر الكلِّ السرب ومتوسط ما يستهلكهُ الفرد فيها ١٫١ الرطل . هذا في اوربا واما في اسيا فان متوسط ما يستهلكهُ الهندي ٠٫٢٢ من الرطل سنويًّا . والصيني ١٫١ الرطل ونحو ذلك في مصر . ونصف الورق يستعمل للطبع و ٢٠ في المئة يستعمل في الاشغال والحرف والصنائع المختلفة و ٢٠ في دوائر الحكومة والمدارس والباقي وهو ١٠ في المئة في الاشغال الخصوصية

علاج جديد لدوار البحر

ارتأَى بعض مشاهير السياح ان احسن علاج لدوار البحر وضع خرق مبلولة بالماء الحار على الرأْس تكون حرارتها على قدر ما يحتملهُ الشخص المصاب بالدوار . ولكنَّ هذا ليس ميسورًا لكلّ من يصاب بالدوار ولاسيما اذا كان فقيرًا لا يستطيع ان يستخدم رجلاً يضع لهُ الخرق على رأْسهِ ويغيرها على التوالي ثم انهُ اذا كان غنيًّا وكان خادمهُ يصاب بالدوار مثلهُ فلا فائدة منهُ في هذه الحال . وعليهِ اخترع بعضهم آلة تفي بالحاجة وتغني عن الخادم وهي مؤلفة من قبعة من الجلد مبطنة باللبد فيبلُّ اللبد بالماء وتثبت القبعة على الرأْس وتحمى بشريط يصل بينها وبين الجهاز الكهربائي الذي يوضع في البواخر لانارتها . والنتيجة ان توارد الدم الى الدماغ يزيد فيزيل الانيميا التي تحدث فيهِ وتفضي الى الدوار . وهذه الآلة رخيصة يسهل على كلّ مشتراها ويقال انها وفت بالغرض في

اسبوعًا واستأنفنا المسير عائدين وطريقنا محفوفة بالمكاره من جليد وزواع وعواصف ولم يمت او يمرض احد منا "

والحدُّ الذي بلغهُ بيري شمالاً ابعد مما بلغهُ غيرهُ من السياح كما يتبين من الجدول الآتي

	السنة	الدرجة
بيري	١٩٠٦	٨٧,٠٦
دوق ابروزي	١٩٠٠	٨٦,٣٤
ننسن	١٨٩٦	٨٦,١٤
بيري	١٩٠٢	٨٤,١٧
جريلي	١٨٨٣	٨٣,٢٤
نايرس	١٨٧٦	٨٣,٢٠
بري	١٨٢٧	٨٢,٤٥
هول	١٨٧٠	٨٢,١١
باير	١٨٧٤	٨٢,٠٥
ولمان	١٨٨٩	٨٢,٠٠

وبيري المذكور في هذا الجدول سنة ١٨٩٦ هو القومندان بيري نفسهُ فانهُ سار لاكتشاف القطب اربع مرات

صنع الورق من البرديّ

اشتهرت مصر قديمًا بكثرة ما كان ينبت فيها من البرديّ وعني الاقدمون بزراعتهِ لعمل الورق منهُ وبقيت زراعتهُ زاهية نامية الى القرن السابع بعد المسيح ثم اهملت فلم يعد ينمو . واما ما ينمو الآن على ضفاف النيل ويسميهِ السيّاح بابيرس فليس منهُ ولا يصلح لعمل الورق . قالت الغزت ان المستر نورتن الانكليزي جلب نبات البردي من اقاصي سورية وفلسطين وخصوصًا نواحي بحيرة طبرية ونهر الاردن وزرعهُ في بعض جهات القطر المصري من قبل شركة مخصوصة فنما نموًّا غريبًا وشهد العارفون انهُ هو البردي الذي كان الورق يصنع منهُ قدمًا واستخرج بعض الكيماويين منهُ ربًّا ملائمًا لعمل الورق فلم يبقَ سوى زرع مقادير كثيرة منهُ ليرخص ثمنهُ . ويقدّر الخبيرون انهُ يحلُّ سريعًا محلّ المواد الاخرى التي يصنع الورق منها لا سيما وانهُ يمكن الحصول على ثلاثة مواسم منهُ في السنة . ثم ان من الورق العادي ما يصنع من الخشب حتى قطعت لهُ غابات برمتها في بعض البلاد واضطرت الحكومات مثل حكومة نروج ان تسنّ قانونًا تحظر فيهِ على الاهالي قطع الاشجار لعملهِ . فاذا صنع الورق من البرديّ امتنع قطع الاشجار من نفسهِ . وهو يزرع مرة كل خمس سنوات

وفي نية الشركة المشار اليها ان تزرع اولاً نحو ثماني مئة فدان بحيث تصدر نحو مئة الف طنٍّ من البردي الى انكلترا في خلال سنة تبتدئُ في الربيع القادم فتحولهُ المعامل هناك الى رُب . ثم تبني معامل في مصر لهذه الغاية فتقلُّ بذلك نفقة شحنهِ . وقد ظهر بالتجربة ان الورق الذي يصنع منهُ يفوق سائر اصناف الورق منظرًا وقوة ولا

اللبن النباتي

كتب العالم كتاياما في مجلة المدرسة الزراعية بطوكيو يصف اللبن النباتي الذي يستخرج ويكتشف في بلاد اليابان ليسهل نقله من مكان الى آخر. قال انهُ يصنع بنقع بزر السوجا ومرثهِ واعلاءِ نقاعتهِ فتصير مثل لبن البقر منظرًا وطعماً. وقد اضاف اليها كتاياما سكرًا وقليلاً من فصفات البوتاسيوم وجففها فصارت كاللبن المجمّد وهي تغني عن لبن البقر في الطعام وثمنها رخيص جدًّا

العلف السام

يحدث في بعض الاحيان ان المواشي تأكل حبوبًا غير سامة فتسمُّ بها وقد بحث الدكتور ادر عن سبب ذلك فوجد انهُ يكون في تلك الحبوب مادة من نوع السكر ففعل بها مادة مخمّرة وتحولها الى الحامض الهيدروسيانيك السام وهو مثل المادة الموجودة في اللوز المر فتسم بهِ المواشي التي تأكلهُ

الامتحان في الصين

ذكرنا غير مرة اساليب الامتحان العلمي التي يمتحن بها طلاَّب العلم في بلاد الصين وما يقتضيهِ من الدرس الكثير مدة سنين كثيرة وقد ابطلت حكومة الصين ذلك الآن وابدلتهُ بامتحان بسيط يدخلهُ كل من طلب العلم سواء طلبهُ في بلاد الصين او في اوربا او في اميركا وقد دعي طلبة العلم كلهم الذين بيدهم دبلومات اجنبية للامتحان في نظارة المعارف الصينية فلبى الدعوة ٤٢ طالبًا ٢٣ منهم معهم دبلومات صينية و ٧ منهم دبلومات اميركية وواحد معهُ دبلوما انكليزيَّة وواحد معهُ دبلوما المانية فنال ٩ منهم رتبة الدكتوريَّة الصينية و ٢٣ رتبة معلم في العلوم ورفض عشرة

الملاريا في اليونان

ذكرنا في عدد اكتوبر الماضي ان الماجور رونلد روس الذي اكتشف علاقة البعوض بالملاريا وانتدب لدرسها في الاسمعيلية خطب في لفربول خطبة وصف فيها ما رآهُ في بلاد اليونان من الملاريا واثرها في الاهالي. وقد دعتهُ جمعية اكسفورد الطبية في ٩ الماضي فقرأ امامها مقالة في هذا الموضوع ومما قالهُ فيها انهُ وجد اقل متوسط لحوادث الملاريا بين الاولاد من ٢٥,٥ الى ٤٠,٩ في المئة وذلك في خمسة مواقع من وادي بحيرة كوبايس وهو الوادي الذي زارهُ ودرس فتك الملاريا باهلهِ

جنائن الحيوانات وتاريخها

كتب احد علماء الالمان مقالة في جنائن الحيوانات وقدمها فقال انها كانت معروفة

كل الذين استعملوها فلا بدع اذا عمّ استعمالها قريبًا . ولكنّ ما يقال في هذا العلاج الآن قيل في كثير من علاجات الدوار قبلهُ ثم ظهر انها كلها اخطأَت المرمى

نياشين الجمعية الملكية الانكليزية

منحت الجمعية الملكية الانكليزية هذه السنة نشان كوبلي للاستاذ متشنيكوف على علم الحيوان والباثولوجيا . ونشان رمفورد للاستاذ هيو لونبورن كالندر على تجاربهِ في الحرارة . والنشان الملكي الاول للاستاذ جرينهل على الرياضيات وخصوصاً الخطوط الاهليلجية . والثاني للدكتور هنري سكوت على مباحثهِ واكتشافاتهِ المتعلقة بتركيب النباتات المتحجرة وعلاقتها بعضها ببعض . ونشان دافي للاستاذ رودلف فيتج على مباحثهِ الكيماوية . ونشان داروين للاستاذ هيو دي فريس على تجاربهِ في الوراثة وتغير الانواع ونشان هيوز لمسز ارتون على تجاربها في القوس الكهربائية . وقد قلدوا هذه النياشين في الجلسة التي عقدتها الجمعية في ٣٠ نوفمبر الماضي وهو يوم عيد القديس اندراوس

السرطان

اقترح الدكتور بواريه استاذ التشريح في اكادمية باريس الطبية انشاء لجنة علمية تضمّ معًا مباحث الفرنسويين الذين يبحثون في السرطان على مثال المجامع العلمية التي انشئت في انكلترا وجرمانيا والولايات المتحدة لهذا الغرض . وقد اكتتب الدكتور هنري دي روتشيلد بمبلغ [illegible] في هذا السبيل

النيل الطبيعي والاصطناعي

يتناقص زرع النيل الطبيعي سيما في الهند لمزاحمة النيل الصناعي لهُ . وقد كانت مساحة الارض التي زرعت نيلاً فيها ٢٢٣١٠٠ فدان سنة [illegible] فقلّت حتى بلغت ١٧٧٠٠ فدان في السنة الماضية و٣٨٣٠٠ فدان هذه السنة

الفحم والاشعة الفعالة

وجد الاستاذ ردرفورد ان الفحم يمتص الاشعة الفعَّالة مثل اشعة الراديوم ولا سيما فحم جوز الهند ويمتص ايضًا اشعة الثوريوم والاكتينيوم سواءٌ احمي الفحم حتى خرج الهواءُ من بين دقائقهِ او لم يحمَ وبقي الهواءُ فيهِ . ثم اذا أُحمي الى درجة الحمرة زال اكثر الاشعة منهُ . وهذا الاكتشاف مفيد لحفظ الاشعة الفعالة

مستخرج الفلور

مرَّ عشرون سنة منذ استخرج الاستاذ مواسان عنصر الفلور فاجتمع تلامذتهُ وصنعوا لهُ نشانًا ليهدوهُ اليهِ تذكارًا لذلك

الغذاء في السمك

كتب بعضهم مقالة في احدى الجرائد
قال فيها ان معظم السمك كثير الغذاء
الهضم ولا يقدح فيهِ كونهُ اقلّ غذاء
البقر بل ان الاطعمة الكثيرة الغذاء
افضل من غيرها في كلّ الاحوال
برة بما يهضم من الغذاء لا بما يكون
الطعام

الورق من سوق نبات القطن

شتغل الدكتور روبرتس منذ خمس
بالبحث في نبات القطن وتحليلهِ
ى الى طريقة يحوّل سوقهُ الياقاً دقيقة
ساعة ويصنع من الالياف ورق
سائر انواع الورق

ضباب بركانيّ

ب صباح ١١ اربيل الماضي استولى على
ى ضباب جافّ مصفرّ وكان كثيفاً الى
ن عرقل مسير السفن في نهر السين
لمسيو موبييه المشهور في علم المتيورولوجيا
ةُ هيجان يزوف وليتأكد ذلك اخذ
مدهونة بالجليسرين ووضعها على سطح
يجمع بها شيئاً من الغبار المنتشر في
تم غسلها بالماء فظهر فيهِ كثير من
والمواد الآلية . ثم فصل الذرات
وفحصها بالمكرسكوب فأيدت حدسهُ
وقابلها بذرات الرماد والرمل التي قذفها يزوف
سنة ١٨٢٢ (وعندهُ انموذج منها) فوجدها
متشابهة كل التشبه لها

الأَرَضة الاسترالية

(نقلاً عن النشرة الاسبوعية)

الأَرَضَة وتسمى السرفة ايضاً حشرة
صغيرة تأكل الشجر . والظاهر من اوصافها
في الكتب المختلفة انها صنوف منها صنف
ابيض دودتهُ ضاربة الى الحمرة ومنها الأَرضة
الاسترالية واسمها عند علماء الحيوان الاوربيين
ايكاريا بُرشاسي ويسميها العامة بالقشر القطني
والمنّ الابيض تأكل الاشجار اوراقها وخشبها
وقد ظهرت في هذه الايام في بيروت في
حي المسيطبة منها واضرَّت بكثير من الاشجار
ولاسيما الليمون على اختلاف انواعهِ وصنوفهِ .
وقد اتى رقيم من ادارة المزروعات في قبرس
اطلعنا عليهِ خلاصتهُ " ان الذكر من هذه
الحشرة ذو جناحين والانثى لا جناح لها
تبيض الواحدة بيوضاً كثيرة يمكن ان تبلغ
الالف وهي رقيقة لونها ابيض كالقطن (ولهذا
سماها العامة بالقشر القطني) ومتى تكوَّن
البيض فيها قامت على راسها فلا يرى منها
سوى المبيض والانثى تضرُّ بالاشجار اكثر
من الذكر . وتنقف البيوض عن ديدان
صغيرة خيطية الشكل بيضاء ضاربة الى الحمرة
طول الواحدة جزءٌ من اربعة وعشرين من

عند قدماء الصينيين والهنود واليونان والرومان واهالي المكسيك القدماء . واقدمها جنينة صينية اقيمت سنة ١١٥٠ قبل المسيح وجبُّ الاسود المذكور في سفر دانيال مثال منها . واقدم الجنائن الاوربية التي يصحُّ تسميتها جنينة حيوانات بالمعنى المفهوم الآن هي جنينة الحيوانات في باريس

الفحم الحجري في انكلترا

زاد المستخرج من الفحم الحجري في انكلترا السنة الماضية عن كلّ ما سبقهُ فبلغ ٢٣٦١٢٨٩٣٦ طنًّا منها ٤٧٤٧٦٧٠٧ طنّات أُصدرت الى الخارج و ١٩٢٥٥٥٥٥ طنًّا استعملت في صهر الحديد. وبلغ متوسط ما انفقهُ الفرد منهُ ٣,٩١ من الطن.

الدكتور سليم عطية

فجع ابناء المدرسة الكلية بوفاة احدهم الدكتور سليم عطية توفاهُ الله في ٢٠ اغسطس الماضي وعمرهُ ٥٤ سنة وهو من اول صف درس الطب فيها وكان ماهرًا في صناعتهِ محبوبًا من جميع معارفهِ يجري في العلاج على طريقة كبار الاطباء طريقة الحمية والاقلال من شرب الدواء

وقد بلغنا انهُ اكتشف علاجًا لداء السل الوبيل عالج بهِ كثيرين من المسلولين فشفاهم . وكان بعض فضلاء المصريين الذين

ساح نسماء به قد عر
اباء اسل في جعل لسان
وكن عاجلهُ القضاء قبل
ذلك . وسصف العلاج

الدكتور نق

فجعنا بوفاة الدكتو
احد مستشفي هذه المحلّة
مقالات كثيرة وكما نعتم
عن كثير من المسائل ا
ترجمتهِ في الجزء التالي

الطب واطا

بحث الدكتور الي
تقرير مستشفى جونس هو
فن الطب فتنبأ بانهُ س
آلام المرضى والمسقومين
واستئصال شأفة الامراض
او حصرها في دوائر ضيقة
وقال الاستاذ متشني
يمكن اطالة عمر الانسان
٢٠ الى ٥٠ يجب على الف
وعائلتهِ . ومن ٥٠ الى ٠
ثم يقف الباقي وهو ٤٠ س
ودولتهِ . ومن رأيهِ ان ه
وجهد ما نستطيعهُ تمهيد
واولاد اولادنا ليعمّروا طو

الاميركية فاتاني الجواب مؤخرًا انها حشرة تعرف عمومًا باسم مخدة القطن او باسم الحراشف المضلعة واسمها العلمي المعروفة بهِ (ايكاريا برشاسي) Icerya Purchasi

ان من يرى هذه الحشرة يدرك حالاً سرّ تسميتها اما بمخدة القطن او بالحراشف المضلعة فانها تفرز مادّة قطنية شبيهة بالمخدّة تكون تحت جسمها ومنها سميت المخدة القطنية ثم عند امعان النظر يرى ان هذه المخدة متممة او مقناة كاعمدة الهياكل القديمة ومن هذا سميت الحراشف المضلعة اما هذه الحشرة فهي نفس الفصيله التي من انواعها الفاكسرة Phylloxera الحشرة المسهوره التي تسطو على الكرمة وتضرّ بها ضررها المعروف وقد يوجد من هذه الفصيلة انواع اخرى مضرّة كما ان بينها انواعًا نافعة كحشرة الصبغ الاحمر المعروفة بالدوديّ

وهذه الحشرة اي مخدة القطن موطنها الاصلي في اوستراليا ومنها انتشرت في سنة ١٨٦٣ الى زيلاندا الجديدة وجنوبي افريقيا وكاليفورنيا وقد كثر عددها جدًّا في سنة ١٨٨٦ ونفاقم شرّها حتى خيف منها ان تأتي على اشجار الليمون والبرتقان في كاليفورنيا جميعها وفيما هم كذلك اذ عثروا على خنفساء صغيرة (زيز) تاكل هذا النوع من الحشرات وتغتذي بهِ وهذه الخنفساء او الزيز تشبه شبهًا كثيرًا بعضًا من زيزان هذه البلاد وهي في شكلها نصف كروية حمراء اللون مبقعة باسود واسمها بالانكليزية لايدي بارد Lady-bird (وهي لادي بغ عينها فالاسمان لمسمى واحد) اما اسمها العلمي فهو فيداليا كارديناليس Vedalia Cardinali-

وقد نقل بعض هذه الزيزان من اوستراليا الى كاليفورنيا ووضعت على شجرة مصابة بالمخدة القطنية ثم غطيت الشجرة بالشاش جيدًا بحيث اصبح النوعان الآكل والماكول (الزيزان والدويبات) محصورة معًا فلم تمضِ ٣ اشهر حتى هلكت المخدة القطنية قريبًا عن آخرها وكثر عدد الزيزان حتى انهُ صار ممكنًا ان تنقل الى بقية الاشجار والبساتين ثم كثرت ايضا فاصبحت لكثرتها تفرق من نفسها ولم تمضِ سنوات قليلة حتى قلّ عدد هذه الحشرات المضرّة في كاليفورنيا ولم يعد يخشى منها على الاشجار

ربما يخطر لاول وهلة ان في جلب هذه الزيزان خطرًا اذ يتوهم انها تسطو على النبات والحيوان وتضرّ بها فلرفع هذا الوهم نقول : انهُ قد ثبت ان هذه الزيزان لا تاكل الّا تلك الحشرات تاركةً ما سواها وانها تموت جوعًا اذ لم يتهيأ لها اكلها وقد طلبت الى وزير الزراعة في ولاية كاليفورنيا ان يرسل لي عددًا من هذه الزيزان الى بيروت ويرجى اذا وصلت سالمة انها تلاشي هذه الحشرات المضرّة كما فعلت في كاليفورنيا اه

...ر وهي كثيرة الحركة تنتقل من شجرة الى ...ري . وكثيرًا ما تنقلها الطيور والدبابات ...نحل وتطير بها الى الاشجار فتفضر بها كثيرًا ... تنتشر في سوقها وفروعها واوراقها واحسن ...علاجات ان يُحلّ الصابون في الماء على نسبة ...حد من الصابون الى اربعة من الماء وترش ... الاوراق والعسالج وسائر اجزاء الشجرة ...يكون الرش بالمضخات المعروفة بالطلمبات ...الطرمبات المعروفة عند العامة . وهذا الرش ...يجب ان يكون في مثل هذا الوقت اي آخر ...الصيف وفي اول الربيع . والمبادرة الى ذلك ...لان تمنع خسارة الوف من الليرات"

وانبأنا الدكتور هنري جسب ان ارباب ...البساتين في بعض انحاء المسيطبة قطعوا ...اشجار الليمون وعالجوا الاصول بالكلس ...والكبريت لكن ذلك قلّ ان ينفع . وقال ان ...الدكتور داي احد اساتذة المدرسة ...الكلية السورية الانجيلية في بيروت ارسل الى ...ادارة المزروعات في واشنطون عاصمة الولايات المتحدة الاميركية رقيمًا وبعض الأَرَضات او السرفات المذكورة فاتاهُ الجواب وفيهِ ان اسم الحشرة ايكيريا برشاسي وان اصلها من اوستراليا حملتها السفن الى كاليفرنيا ففتكت ببساتين الليمون وكادت تلاشيها . ثم بلغ الحكومة ان في اوستراليا نفسها حشرة اخرى اسمها لادي بغ lady-bug وهي عدوّ الأَرضة ...الازرق فجلبت تلك الحشرة فتوالدت في اميركا وقضت على الأَرضة المذكورة".

قال صاحب الدكتور ... فمن اين اتت هذه الارضة الى بيروت . واجاب على ذلك بقوله ... بعض ... حمل تلك الأَرضة من اوستراليا الى المسيطبة وهي آخذة في الانتشار ويخشى ان تأتي على كل الاشجار الجيدة في بساتين بيروت وجنّاتها ولكن الاستاذ داي لما تحقق ما ذكر ارسل الى كاليفرنيا يطلب بعض الحشرات المهلكة لهذه الأَرضة فيربيها فتتوالد وتكثر وتوزع في بساتين بيروت وجنّاتها فتنقذها باهلاك متلفاتها

قال ونحن نحذر اهل صيدا وطرابلس واو دي من ان ينقلوا شيئًا من عروس الليمون وغيرها من بيروت في هذه الايام واذا افلح الاستاذ داي كان حصل على بعض مهلكات هذه الأَرَضة نشرنا النبأ في حينهِ

ثم نشر اللسان مقالة للاستاذ الفاصل داي ترجمها الى العربية الاستاذ الفاصل جبر افندي ضومط وهي ما يأتي بحروفهِ

عدوّ البرتقان

منذ اشهر سطت على شجر البرتقان واشجار غيرها في بعض جهات بيروت دويبة (حشرة) تجمع بكثرة على ساق الشجرة واغصانها واوراقها وتسبّب لها ضررًا فاحشًا فاخذت بعض هذه الحشرات وارسلتها الى رئاسة فحص الهوام والحشرات في الولايات المتحدة

امير لبنان

الفصل الاول

النصح بالاخلاص

هضاب لبنان آكام يعلو بعضها بعضاً من ساحل بحر الروم الى قنن صنين مرتصفة على طول البلاد من طرابلس الشام الى ساحل صيداء . رصّعتها القرى والدساكر ووشحتها حراج الصنوبر والبلوط وتخللتها اودية وبحوات تنساب فيها الجداول والغدران وقد قامت على جوانبها الحدائق والبساتين من التوت والزيتون والتين والرمان . ودُبجت ارضها بطرائق الديباج من النرجس والخزام والاقحوان . بلاد المروّة والضيافة والشهامة والعفاف . مضى على سكانها دهور طوال وهم يغرسون كرومهم ويجنون ثمارهم ويذودون عن ذمارهم بالبيض الصفاح جانبهم عزيز وحرزهم حريز . يمرّ بهم العراة من مصر وبابل واليونان والرومان كالطيور القواطع تلتهم ما تراهُ وتغادر البلاد واهلها فيعودون الى زرعهم وضرعهم يغرسون البساتين ويزرعون الحقول ويسومون القطعان ويبنون البيوت ويشيدون القصور آمنين ناعمي البال الى ان يتناهم عازٍ آخر كما تنتاب الاوبئة البلدان فيظاهرونهُ او يتاغبونهُ حسب مقتضى الحال

لما كثر مرور العراة في بلاد الساحل بين بيروت ولبنان انحدر الامراء آل ارسلان من التنوف الى الغرب ونزلوا قرىً تطلّ على طريقهم لاستكشافها فُسمّيت التنويقات وبنوا فيها دورهم حيث ضافهم سلطان دمشق الملك المؤيد المحمودي الخاصكي منذ خمس مئة عام ونزل على الامير سيف الدين ثلاثة ايام

في دار من هذه الدور وقف الامير احمد صباح يوم من اواخر عام ١٨٥٩ وقف في رواق يطلّ على بحر الروم وغابة الزيتون المعروفة بصحراء التنويقات . وكانت سفن الصيادين قد خرجت من بيروت للصيد ونشرت شراعها لنسيم الصبا وقد هب صباحاً من البر الى البحر قبل اشتداد الهجير فجازت خلدة وشقت صدر الماء فارغي وازبد . ونشرت الغزالة اشعتها

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي والثلاثين

رواية امير لبنان ملحقة بالمقتطف

لى اكتافهنّ او رؤوسهنّ والبراقع مسدولة على وجوههنّ
ها لينظرن طريقهنّ . فلما دنا منهنّ وقفن كاسرات الطرف
فون في حوانيتهم ويضعون اكفهم على صدورهم ويحيونهُ
الى السّياح والناس ينظرون اليهِ سُرراً لان قلوبهم كانت
يوت وكان الهجير قد اشتدّ وعلا صوت الصراصير فوقف
قي من الصنوبر الذي غرسهُ الامير فخر الدين المعني وهي
ميم باشا كالجبار بين الاطفال حتى اذا كثر رفس الجواد
ّ في طريق الميدان فالباشورة . وعرف اصحاب الحوانيت
هِ لكنهم لم ينهضوا للسلام عليهِ لاعتقادهم ان اهالي لبنان
من نسل الملوك . ولا هو بادأهم بالسلام انفةً وعتوّاً . ودار
طريق المصيطبة الى بيت الكولونل روز قنصل الانكليز
بن عند الباب وامسكا بركاب جوادهِ فنزل عنهُ ونفح
كبيرة كواها تطل على حديقة غنّاء نسقت فيها اشجار
لورد والياسمين وكانت الغرفة مفروشة بالبسط الفارسيّة
ن نسج دير القمر ومكتب كبير من خشب الجوز مطعم
كراسي انكليزيّة كبيرة مكسوة بالجلد البني امامها موائد
ورحب بهِ ثم أُتي بالقهوة ودار الحديث بينهما على شؤُون
مير من ان نصارى المتن والعرقوب وزحلة ودير القمر قد
عمل لهم الّا سبك الرصاص ولف الفشك فلا عجب اذا
يبلغني ان كسروان كلها متحفزة للثورة وان يوسف بك
ل ازرهُ واكدّ لهُ ان فرنسا لا تتخلى عن الموارنة بوجه
بلغني ان خورشيد باشا قال لكم مثل ما قال قنصل فرنسا
فلم اقابل خورشيد باشا . فقال القنصل نعم لم تقابلهُ انت
ت نكد ومضى اثنان منهم الى خلوات البياضة لهذا الغرض
ك من عواقب الثورة فانهُ اذا استفحل الخطب فلا يبعد
ا نرضاهُ لكم ولا للدولة العثمانية وامس كان عندي سعيد
ليس الخوف من عقّالكم بل الخوف من جهالكم وانا اعلم

الرمال بين الصحراء والبحر فعصفرتها وعبثت بما تجمع على اوراق الزيتون من ندى الليل
ر ضاباً لطيفاً كانعاس المحبين

وقف الامير هنيهة يقلّب طرفهُ في ما يراهُ من جمال الطبيعة ويستنشق نسيم الصباح
صغي الى تغريد الطيور وهمَّ بالخروج للصيد ثم عاد الى التفكير في كتاب ورد عليهِ في الليل
ئت من الكولونل روز قنصل انكلترا في بيروت وقال في نفسهِ لامرٍ ما دعاني القنصل اليهِ
بدَّ من تلبية دعوتهِ . ولم يستغرب دعوة القنصل لهُ وتخصيصهُ اياهُ دون ابناء عمهِ لانهُ
ن يعتمد عليهِ بعد ابيهِ والكتاب ليس من القنصل نفسهِ بل من ترجمانهِ . ثم دخل غرفتهُ
قد الكتاب وقرأهُ ثانية فاذا هو يقول فيهِ

" الجناب الاكرم والملاذ الافخم الامير احمد ارسلان المحترم دام بقاهُ

بعد اداء واجب التحية والاكرام اعرض ان سعادة القنصل امرني كي اكتب اليكم
وكم الى دار القنصلية عدَّ اصباحاً للمذاكرة في بعض الشؤون الهامَّة والمرجو تشريفكم في الوقت
ين وادام الله بقاءكم "

فقال في نفسهِ ما هذه الامور الهامَّة يا ترى ولماذا لم يكتب القنصل نفسهُ اليَّ بالمرسوية
يظن انني اكون آلة في يدهِ كما كان المرحوم والدي تلك ايام مضت ولن تعود . نعم ان
لترا وفرنسا ساعدتا دولتنا على الروس في حرب القرم ولكن تلك المساعدة لا تقضي علينا
ستعباد وليس من صواب الرأي ان نجاري خورشيد باشا في ما طلبهُ ولكن لا يليق بنا
نستميت الى هذا الحد

ثم نظر الى ساعتهِ ونادى مسروراً عبدهُ وامرهُ ان يشدَّ على جوادهِ ولبس ثيابهُ نذلةً
، الجوخ الكحلي وطاقاً مزركشاً بالقصب وتقلد سيفهُ وهو لجدهِ الاعلى الامير جمال الدين
ـهُ بهِ السلطان سليم الفاتح في مدينة دمشق يوم دخلها ظافراً . وتنكَّب قربينة صنعت لابيهِ
بيت شباب صنعها لهُ اولاد نفاع من فضلات نعال الخيل المطرَّقة فجاءت مجوهرةً
السيوف الدمشقية يطلق بها عشرين حوَّاشة معاً فتنطلق منها كالمدفع الرشاش ولا يستطيع
للاقها الاَّ من كان ساعدهُ من الحديد مثل ساعدهِ . والقى على كتفيهِ برنساً ابيض من نسيج
شق ثم اعتلى صهوة جوادهِ ووضع فردين صغيرين في قربوصهِ وهما هدية لابيهِ من ابرهيم
شا اهداها اليهِ قبل واقعة اللجاة . وسار وامامهُ عبداهُ مسرور وسالم وهما بالعدَّة الكاملة
ن كلٌّ منهما يطقان وزوج طبنجات وبندقية نظامية ابرهيمية من البنادق التي القتها جنود
هيم باشا وهي عائدة الى مصر . فمرَّ في طريق متعرّج بين البيوت والحوانيت وكانت نساء

لي باشا الصدر السابق وبيعت مع بعض التحف بعد ما قتل .
نها كانت للسلطان مصطفى . نعم كانت للسلطان مصطفى فاهداها
ترينها بمالي . كل ما عندي اشتريتهُ بمالي لاني اكره المهاداة
نت الآن تشرب القهوة في فنجان من الصين وظرف كان يشرب
لهُ
هذا الرجل وحبهُ للفخر والمباهاة ولذلك لقب ابا فخر فلم يسؤهُ
ة على قدر الامكان فلم يكد يشرب القهوة حتى نهض وقال
بدَّ لي من رؤية دولة الوالي
فانا اذهب معك اليهِ ولكن قد حانت صلاة العصر ولا بدَّ لي
اترك الصلاة مطلقاً فعلى الطائر الميمون
ب اليهِ ان يشرفهُ الى التويفات وركب جوادهُ وسار الى دار
ساعة دار فيها الحديث على شؤُون الجبل وكان الوالي
وقال لهُ انتم سيف الدولة ولا غنى لنا عنكم ولا غرض لنا الاَّ
كف يد الاجانب عنها ولا بدَّ للدولة من ذلك مهما كلفها
ها مثل ابناء عمك
عن خاطر الدولة لان طاعتها فرض علينا ولكن يا حبذا لو
حرب اهلية
دهُ ولكن اذا كان لا بدَّ من الحرب الاهلية فالدولة لا تتغاضى
ي ليفتك بالضعيف وقد ابنت رأيي بالاسهاب لشيخ العقل
لهُ لكم ولا اخفي عليك ان ترددك على القنصل لا يرضينا
ذي اعلمهُ ان دولة الانكليز من اشد الدول صداقة لدولتنا العلية
ولكن ليس كل رجالها على رأي واحد
لاميران مدة الزيارة انقضت فقام وودع فوقف لهُ الوالي
تقبلهُ فيها على خلاف عادتهِ . وكان هذا الحديث باللغة
لما كان في الاستانة مع ابيهِ وهو يحسن التكلُّم بها كما يحسن
قد اذن فركب جوادهُ وعبداهُ معهُ وسار راجعاً الى الشويفات
كان يفكر في كلام القنصل المسهب وكلام الوالي الموجز

طاعتهم للعقال ولكن ما كل وقت يكون العقّال على يقظة من امرهم
طالت المذاكرة نحو ساعتين حتى اذا حان وقت الغداء دعا القنصل الامير للغداء معهُ
ن معهما شاب انكليزي اسمهُ السر هنري بدمونت في غرفة مجاورة لغرفة الاستقبال وجلسوا
غداء يدخنون التبغ ويشربون القهوة ويتكلمون في مصالح الجبل وترتيب امرائهِ وسبب
ب بين اليزبكية والجانبلاطية وبين النصارى والدروز الى غير ذلك مما يهتم بهِ قناصل
ليز خاصة وكان كلامهم بالفرنسوية . وقد سُرَّ السر هنري بحديث الامير احمد وطلب
ن يسمح لهُ بزيارتهِ في دارهِ بالشويفات فقال حباً وكرامة وان سمحت دني آتي بنفسي
ب بك . فقال السر هنري اني لا اكلفك الى ذلك وسازورك بعد غدٍ مع احد قواسة
لية . ثم استأذن الامير احمد في الانصراف فودعهُ الكولونل روز والسر هنري بدمونت
ب القنصلية

ومرَّ وهو راجع في طريقهِ ببيت رجل اسمهُ الشيخ درويش ويكنى بابي نخر. وكان هذا
، قد رآهُ ذاهباً الى دار القنصل فجلس في رواق بيتهِ ينتظر عودتهُ حتى اذا مرَّ بهِ قام
ودعاهُ لينزل ويشرب القهوة . واعتذر الامير عن النزول بفوات الوقت فقال لهُ لأَ رلت
لمرحوم والدك كان يشرفنا كلما نزل الى بيروت وبيتنا مستعد لقبول الزوّار وامس شرفنا
، والسرعسكر . وما زال بهِ حتى ترجّل وصعد معهُ الى رواق كبير يطل على الطريق
لس قال لهُ الشيخ درويش يا سبحان الله انك جلست على الكرسي الذي كان يجلس
المرحوم والدك وهو الكرسي الذي يجلس عليهِ دولة الوالي كلما زارنا هات اخبرني اين
ت ولا تخفِ عني شيئاً فان المرحوم والدك كان يطلعني على كل اخبارهِ واسرارهِ وقد كان
صديقاً لهُ واوصاني لا كون صديقاً لك قل لي اين كنت . فقال الامير كنت في بيت
لونل روز لشغل خصوصي

فقال الشيخ اي نعم لشغل خصوصي اسمع يا ابني ولا تملّك الاجانب منك ولا تحد عن
ة ابيك رحمهُ الله ولماذا لم تذهب الى بيت الوالي مثل سائر مناصب الجبل

فقال الامير اني ذاهب اليهِ

فقال الشيخ احسنت احسنت وتفضّل خذ القهوة . انظر ما اجمل هذه الفناجين فانها من
يني الحر اشتراها المرحوم والدي من دمشق الشام كل فنجان بعشرة فندقليات اذا رميتهُ
الارض لا ينكسر والظروف من صياغة اسطانبول فضة روباص وذهب بندقي والمرجان
اعلى طبقة . الظروف اشتريتها انا من اسطانبول اخذتها من الدلال بثمن بخس بالنسبة

ا الفا رجل وأُخذ الفا اسير وعادت فلولها الى صيداء وذلك قبل
. لكنهُ وجد ان شكل الارض هناك لا ينطبق على الوصف
مدهِ بل ينطبق على جهات خلدة حيث تكثر نواويس الحجر التي
برة بما جاء في دليل اورشليم من ان خلدة على اثني عشر ميلاً
م القديم وهو هلدوى ينطابق على الاسم الجديد فالواقعة حدثت
كهف من الكهوف التي قرب التويفات ولا بدَّ من ان تكون
خادمهُ ولف سدَّ باب الكهف الداخلي عليهِ بعد ان لفهُ بردائهِ
مير احمد وعرف انهُ من امراء التويفات شعر كأن بارقةً من
علم انهُ من طائفة الدروز اصحاب الطريقة السرية الخاصَّة بهم
جعل يسترق اللحظ ويتفرَّس في وجههِ . وكان الكولونل روز يعلم
والاثرية فاشار الى عائلة الامير وقال للسر هنري لا يبعد ان
ند التقى بجد الامير منذ سبع مئة سنة في ضواحي هذه المدينة
اف ان نتقاضياها الآن
اما الآن فانا في جوار الامير والعرب يرعون الجوار ويحمون
، حماكم وضيف عليكم
هنري جاء هذه البلاد للتفتيش عن رفات جدهِ لانهُ توفي فيها
، اكثر رجالهِ وأُسر من بقي منهم حيًّا وارجو ان تبذل جهدك

اني من الساعة في خدمتهِ باذل جهدي في تحقيق بغيتهِ
مروَّتهِ وكرم اخلاقهِ واتفق معهُ على ان يزورهُ بعد يومين ليريهُ
ب القديمة
لامور كلها لامهِ وهو يتعجب من هذا الاتفاق الغريب ويقول
ل لها : — فاذا عدت ومعي الوثيقة وختم قلب الاسد عليها فلا
وت ولا يبقى اعتراض لاقلين ولا لامها . اواه يا اماه لو تعلمين
د آليت على نفسي ان لا اكتب الى اقلين حتى اجد الوثيقة .
يها ختم قلب الاسد وانهُ وضعها على صدر سيدهِ لما لفهُ بردائهِ
خ العائلة وان باب المغارة الى جهة الشمال الغربي وقد سدها من

ـ الجبل وما يكن ان تأول اليهِ اذا نشبت فيهِ حرب اهلية تسفك فيها الدماء وتحرق ـ وراجع ما كان من نتائج الحروب الاهلية السابقة وكيف ضعف على ضعف وذلٌّ على ـال لا بدَّ لي من اتباع نتيجة التعقل وحمل اشد عمي على اتباعها . ووصل الى نهر وهو تائه في فيافي الافكار وحانت منهُ التفاتة فرأى نسوة جالسات وراء مطحنة تخفق ـ وغض طرفهُ وظل سائرًا

ـكانت الشمس قد آذنت بالمغيب وانتشر ذهب الاصيل على ربى لبنان والبس الافق معلمًا من البرفير والارجوان

الفصل الثاني

بارقة الامل

في احوال الناس سرٌّ غامض لا ينطبق على قاعدة معلومة وهو الاتفاقات الكثيرة التي ـلى غير انتظار . يخطر على بالك رجل لم ترهُ منذ سنين كثيرة وفي الساعة التي يخطر ـالك فيها تراهُ آتيًا لزيارتك كأن قوة روحية تقدمتهُ ووصلت اليك وأعلمتك بقدومهِ وتفتش عن عبارة قرأتها في كتاب فتقع عينك عليها حالما تفتح الكتاب وقد تفتش مرةً اخرى فلا تجدها الاَّ بعد العناء الطويل فكيف اتفق ان عثرت عليها في المرة الاولى وينشغل بالك بامر هام وترتبك فيهِ ولا ترى وجهًا لحلهِ ثم تقابل احد اصدقائك ـًا او رجلاً لا تعرفهُ ولم ترهُ قبلاً فتجد عندهُ حل المشكل والخبر اليقين كأنهُ سُخر ـمتك وقت حاجتك اليهِ

على هذا النمط كان الامير احمد في نظر السرهنري بدمونت فلم يكد يخرج من دار ـصليَّة حتى دخل السرهنري مكتبهُ وعاد الى اتمام الكتاب الذي شرع في كتابتهِ الى امهِ ـكرًا فيهِ خلاصة ما جرى لهُ يومًا بعد يوم من حين وصولهِ الى بيروت . وكان قد اخبر عن كل ما رآهُ وسمعهُ من حين قدومهِ وعن درسهِ جغرافية البلاد من بيروت الى صيداء ـيينهِ مكان الواقعة التي جُرح فيها جدهُ الاعلى كونت بدمونت لما اوفدهُ ملك الانكليز ـقَّب بقلب الاسد لفتح بيروت فقد عين مكان الواقعة بالتدقيق وكانت تقاليد عائلتهِ تجعلها ـب نهر الدامور المعروف عند الاقدمين باسم تاميراس او داموراس حيث حدثت المعركة ـموية المشهورة بين انطيوخس ملك سورية ونيقولاوس قائد الجيوش المصرية فدارت الدائرة

الفصل الثالث

الغداء على الغدير

شويفات قرية كبيرة تفضلها في غزارة مائها وكثرة بساتينها
وفخامة مبانيها وهي قرية كفرشيما او قرية الفضة . نزلها الامراء
نزل الارسلانيون الشويفات · وبنى الشهابيون الدور الكبيرة
ن فيها وفي ما جاورها من رياض الغدير وهو نهر شتوي يفيض
يجف في الصيف حتى لا تبقى فيهِ نقطة ماء
امير من آل شهاب اسمهُ الامير عباس لم يتنصَّر مع اخوتهِ
م مثل اقاربهِ في حاصبيا ووادي التيم وكان عندهُ خطيب
لا يجادل اخوانهُ الاَّ بالتي هي احسن ولا منع زوجتهُ واولادهُ
ـيدة التمسُّك بالنصرانية والاكرام لقسوسها · وكثيرًا ما قصدهُ
ً ثم انتهى الجدال بينهما بقولهِ لكم دينكم ولي ديني فيتركان
دخان الجبيلي والتفيقي فان المطران كان مولعاً بالاول والامير
ـ بالسعوط ومع المطران حقَّة مرصعة بالماس اهدتها اليهِ
براطور نبوليون الثالث لما زارها في فرنسا فلم يكن يسعهُ الاَّ استنشاق
ونقديها الى الامير حتى يرى حجارة الماس على غطائها والامير
من صنع الصين لكن حملة شبقهِ كانت من الكهرباء وتحتها
ـعة بالذهب · والتبغ نفسهُ تضيب طويل من الورد الاحضر
ـ وردًا كثيرًا في حديقة دارهِ لهذه الغاية فلا تلبث القصبة
ـها قبلما تجف
ان وابنة اسمها سلمى وفي اليوم الذي مضى فيهِ الامير احمد
لونل روز قامت الاميرة سلمى وطالبت امها بوعدها وهو النزول
اء هناك لان مطر الخريف كان قد كسا الارض بساطاً
ـبجة بطراز معلَم · فنادت امها جاريةً اسمها زهرة وقالت لها
الغدير وقولي للخزندار ان يرسل غداءنا الى هناك ويدعو ام
ـ سلمى الى صفا ابنة عمها تدعوها الى النزهة معهما · ثم ركبت

الداخل على اسلوب يظهر منهُ ن هيبتها عند ث لا بد وان اشدي اليها ان شاء الله ٠
الامير شاب في نحو الرابعة والعشرين تلوح على وجههِ لوائح الشهامة وعزة النفس وهو
الفرنسوية ولا بدَّ من انهُ يحسن لغتهُ العربيّة و كولونل روز يكرمهُ كثيرًا وقل لي ان
كان من اخلص الناس لنا لكنهُ يخشى ان لا يكون مثل ابيهِ لان الذين علَّموهُ
الفرنسوية اثروا في ذهنهِ فضلاً عن ان اسعة وآدابها تكفي هذا التدبير . ولا ادري
لا يسعى رجالنا في نشر اللغة الانكليزيَّة وتعليمها لابناء الامراء والعظماء كما يسعى الفرنس
في نشر لغتهم فاننا اذا فعلنا استفدنا تجارةً وسياسةً . وقد رأيت كثيرين هنا يتكلمو
الفرنسويَّة والايطالية ولم ارَ احدًا يتكلم الانكليزيَّة من ابناء البلاد غير اثنين او ثلاثة
احد يهتم بتعليم اللغة الانكليزيَّة غير بعض المرسلين الاميركيين ٠ وسازور الامير بع
واكتب اليكِ عن زيارتي لهُ بالتفصيل ٠ ثم فصَّل لها كيفية سفرهِ من الاستانة العلي
بيروت لكنهُ لم يذكر لها شيئًا عن المهمة السياسية التي جاء لاجلها

وكانت الباخرة الفرنسويَّة على اهبة السفر فطوى الكتاب وارسلهُ مع مكاتيب القن
وركب هو والقنصل جوادين وخرجا للنزهة على رمل بيروت الى ان بلغا البحر ورأيا غ
الشمس وقد امتدَّت اصابع الشفق حتى بلغت الافق الشرقي وهو منظر بديع قرأ عنهُ
الكتب ولكنهُ لم يرهُ قبل الآن فقال ما اجمل هذا المنظر وما ابدعهُ للتصوير اين مص
الطبيعة يأتون هذه البلاد فيرون فيها كل يوم منظرًا بديعًا تعجز الوانهم عن تصويرهِ

فقال القنصل نعم هي كما تقول وفوق ما تقول ومتى جاء فصل الربيع تعشقها تعشقًا
هضاب اسكتلندا وجبال سويسرا شيئًا مذكورًا في جنب جبال لبنان وهضابهِ ولكن
كيف صار اقرع اجرد من توالي المحن وهذه المدينة التي كانت من اعظم المدائن الرو
تكاد اعلامها تندرس ولولا الاصلاح القليل الذي نالها في زمن الدولة المصرية لصارت
بعد عين٠ اين ارز لبنان وبلوط باشان اين المعاقل والمصانع لا ترى مكانها غير اديرة الر
ومزارع الفلاحين . اما دور الامراء والمشايخ فلا تذكر في جنب ما كانت عليهِ قصور الا
في سالف الزمن ٠ اين المدارس والمشاهد التي كانت بيروت غاصَّة بها في عهد الرومان
منها غير بعض الاعمدة الكبيرة مبثوثة بين الخرائب والانقاض دالة على عظمتها السالفة

فقال السر هنري أَوَ تبقى الحال على هذا المنوال

فقال القنصل كلاَّ لان دوام الحال من المحال فان لم تفلح مساعينا احتلَّت فرنسا ا
كما تعلم وان افلحت فلا بدَّ لنا من وضع حد لسوء الادارة

قبيل السحر الحقيقي اما الاميرة سلمى فقالت ان كان الشيخ بشير ماهرًا
لا يستعمل سحرهُ في ما ينفعهُ وينفع ابناء عمهِ وانا لو كنت مكانهُ اقدر
لتهم يملكونني الدنيا
وجهها وقالت اسكتي ولا تتكلمي بهذا الكلام مَن منا ينكر الجن الم
ولما رآهم ملأُوا المكان الذي كان فيهِ وضاق بهم ذرعًا وهم يرقصون
صرفهم عنهُ الاَّ بان امرهم ليذهبوا و ينقبوا لهُ الارض التي فوق نهر بيروت
في ساعتين من الزمان ولكنهم جعلوا جلالها ممتدةً عرضًا من اعلى الى
ع ولا لشيءٍ ثم عادوا اليهِ يطلبون عملاً يعملونهُ لهُ فحار في امرهِ واخيرًا
فرأى بلاسًا اسود فقال لهم خذوهُ واغسلوهُ لي حتى يصير ابيض فمضوا بهِ
لم يعودوا ولولا هذه الحيلة لخطفوا روحهُ
سف على كلامها وقصَّت عليهنَّ قصَّة القديسة هندية التي كان ملك الجان
تيس من المعزى فتركب عليهِ وتذهب بهِ الى بلاد الصين وتعود منها
لخواجه جاماتي وتذهب وترجع في ليلة واحدة من غير ان يشعر بها احد٠
واجه جاماتي من الحرير الذي جلبتهُ لهُ من بلاد الصين وها دارهُ امامنا
ذلك ما استطاع رجل فلاَّح ان يبني دارًا مثل دور الامراء
سلمى سمعت ابي يقول ان الجاماتي كان يدين الامراء ويستدُّ الحرير
بيبيعهُ لتجار الافرنج بثمن غالٍ وهذا سبب غناهُ
من اين عرف ابوكِ ذلك والجاماتي نفسهُ يقول ان الحرير يأْتيهِ من الصين
صفا الحق مع سلمى وانا سمعت ان ميخائيل طوبيا صار اغنى من قارون
من الامراء والفلاحين بثمن بخس و يبعهِ لتجار الافرنج في مرسيليا
ف انا لم اسمع ان ميخائيل طوبيا استخدم الجن مثل الجاماتي ولكن لا احد
م اللعين خزاهُ الله٠ ثم قصَّت قصة رجل اراد آخر ان يقتلهُ غيله فاتى احد
كتابة سحرية على قطعة من الشحم ومضى وعلقها في مغارة عميقة فجعلت
يب الشحم رويدًا رويدًا وكلما ذاب منهُ شيءٌ نحل جسم الرجل حتى كاد
لاطباءُ عن شفائهِ واخيرًا استشاروا لهُ احد السحرة فعرف بسحرهِ امر
ها حتى وجدوها ونزعوا الكتابة عنها فسلم الرجل من الموت ثم شفي ولولا

الاميرة هند وابنتها وابنة سلفها خيولاً عربية مطهمة تتهادى بما عليها من الحلى ونزلنَ الى الغدير ونزل معهنَّ مرجان وبيدهِ نارجيلة جوزتها من البلور المطرَّس وقلبها من الفضَّة والذهب وقد علَّق على جنبهِ كيس التنباك من المخمل الاحمر المزركش بالقصب ونزلت زهرة ومعها طاس من الفضَّة وجارية اخرى بطاس آخر وخادم يحمل سجادتين وساروا الهوينا وقد تكبَّدت الشمس السماء فلم يصلوا الى الغدير الَّا قبيل الظهر . ثم تبعهم بعض الخدم والحشم ومعهم ما طهاهُ الطهاة من فاخر الطعام وسلتان من العنب والتين . فمدُّوا سماطاً للاميرات ووقفت الجواري في خدمتهنَّ حتى اذا اكتفين من الطعام واكلن الحلوى والفاكهة اتكأْنَ يتطارحنَ الحديث . وكانت ام يوسف من افكه نساء القرية حديثاً واوسعهنَّ رواية فلا يطيب للشهابيات عيش بدونها فيدعونها من بيت الى بيت ولا يخرجنَ للنزهة الَّا وهي معهنَّ تطرفهنَّ بالاحاديث المختلفة بعضها صحيح وبعضها مختلق او مزوَّق فحدثتهنَّ تلك الساعة عن اعمال السحر والتعزيم التي كان يعملها الشيخ بشير تلحوق وكان من اعلم اهل زمانهِ وامهرهم وادهاهم . ومما قصَّتهُ عنهُ انهُ كان يضع ابريقاً بين رجلين و يتلو عليهِ بعض الآيات من القرآن والزبور فيدور الابريق من جهة الى اخرى من تلقاء نفسهِ بقوة السحر وانهُ كان يوقف عصاهُ فتقف ثم يأْمرها فتدور امام الجلوس من امام واحد الى امام آخر من غير ان يلمسها احد . ويضع ابريقين في زاويتين من زوايا الغرفة واحداً ملآناً والاخر فارغاً ثم يتلو بعض الآيات فينتقل الابريق الفارغ من مكانهِ ويسير الى مكان الابريق الملآن ويسير الابريق الملآن من مكانهِ الى مكان الابريق الفارغ هذا والناس ينظرون ويعجبون ولا يشكُّون انهُ يفعل ذلك بقوة سحرية . ويضع بيضة في اناءٍ ويسلقها فتثب من الماء الغالي من نفسها وتبعد عنهُ . واعجب من ذلك قدرتهُ على شفاء المجانين من جنونهم لكنهُ لا يستطع ذلك ما لم يقفل باب غرفتهِ عليهِ ويبقى فيها عشرة ايام او اكثر صائماً جاهداً واخيراً يأْتيهِ ملاك الجن ويقول لهُ اطلب ما تريد فيقول الشيخ ان فلاناً اصيب بالجنون واطلب منك ان تساعدني على شفائهِ فيقول لهُ ملك الجن لبَّيك وسعديك قد اجيب طلبك . ولما تورَّمت امرأَة الشيخ احمد تلحوق حتى ظُنَّ انها حامل وطال الزمن عليها ولم تلد ولا شفيت من الورم امرَّ الشيخ بشير يدهُ عليها فشفيت للحال وزال الورم كلهُ وأُتي اليهِ بالشيخ يوسف تلحوق وهو مجنون جنوناً مطبقاً فابقاهُ عندهُ يومين ثم ارجعهُ الى بيتهِ صحيح الجسم والعقل

وكانت كلما اوردت قصَّة من هذه القصص تستشهد على صحتها باسماءِ كثيرين من الرجال المعروفين في البلاد حتى لم تبقَ شبهة في نفس الاميرة هند وابنة سلفها ان كل ما كان الشيخ

كنهُ درزي وفوق ذلك فانا لا اميل اليهِ مهما كان
لا يرضى بجيد لانهُ شاب خليع
ال اني اريدهُ . انا لا اريد احداً ولا اريد ان افارقك وافارق ابي

الفصل الرابع

ما وراء الستار

دور الاستانة العلية التي تطلُّ على البسفور اجتمع جماعة من وكلاء
توها خفية الواحد بعد الآخر واوصدوا الابواب وجلسوا ينظرون في
ت اليهِ من الضعف وجعل كلٌّ منهم يقصُّ القصص المخافة عن
بها اصدقاء يكاتبونهُ منها او التي كان مأموراً فيها . وبعد ان نظروا
وارد الخزينة وفي ما آلت اليهِ حال الجيش بعد عودتهِ من حرب
الحدود اخذوا ينظرون في الدواء فاشار واحد منهم ان يعيدوا قراءة
ظة بان لا يبوح احد منهم بكلمه مما قيل ويقال في ذلك الاجتماع
لى الكتمان واتباع الخطة التي يقع الاجماع عليها . ولا يُعلم حتى الآن
ها والآراء التي ارتأوها ولكن يعلم انهم اجمعوا اخيراً على ان يعملوا
وربيَّة ويجعلها تساعدهم على تغيير الحالة . وكان بعض المأمورين في
وا اليهم من اطلعهم على القرار الذي اجمعوا عليهِ . واهالي سوريَّة
نهم لا ينبذون ضغائنهم واحقادهم التي اضعفتهم واذلتهم فتعبث بهم
مرين الى كل من يدعي زعامتهم وكيف لا يكون الحال كذلك وقد
لم قروناً طوالاً ولسان حالهم يقول

لضغائن آباءٌ لنا سلفوا فلن تبيد وللآباء ابناء

لاجتماع على ايقاد نار الثورة وان يكون القصد منها التنكيل بالنصارى
ض سياسي . وهذا شأن رجال السياسة في كل زمان يبيعون النفوس
قصدونها ولولا ذلك ما كان لنصف الحروب والثورات سبب معقول .
سالف عهدهم وانما يختلفون في الاساليب التي يبتدعونها وقلَّ من
شكوى منهم او يقول كما قال ذاك الاعرابي لعمر بن عبد العزيز

فقالت سلمى اذا كان الامر كذلك فلماذا لا يستعين ولاة بالسحر على الخلاص من عدائهم بدل المخاطرة بانفسهم ورجالهم . . لا اصدق شيئاً من ذلك

فقالت ام يوسف هاك قصة جرت للمرحوم ابي يوسف بالقرب من المكان الذي نحن فيه الآن . كان ذات ليلة راجعا من بيروت وكان القمر بدراً فلما وصل الى الوروار سمع غناء وزغردة فظن ان على الطريق اناساً آتين بعروس ثم لما قرب من المحلة علا الصوت كثيراً واتاه اربعة اولاد وهم يصفقون ويغنون ويقولون يا ابا يوسف يا ابا يوسف تعال انظر العروس فسار معهم رغماً عنهُ حتى اذا وصل الى قرب الماء رأى عروسا مجوزة وحولها جمهور غفير من الرجال والنساء وهم بالحلى والحلل فقبضوا عليهِ وقالوا له هيّ نكتب الكتاب فصلّب يدهُ على وجهه فانشقت الارض وابتلعت العروس وكل الذين كانوا معها . ولما قالت ام يوسف ذلك ارتجفت مفاصل الاميرة هند والاميرة صفا واما سلمى فقالت ان معلمي قصّ عليّ قصة من هذا القبيل وهي انهُ كان سائراً مرةً في طريق لم يسر فيهِ من قبل فوصل الى بئر سمع صوتاً خارجاً منها فاطلّ واذا في قعر البئر نساء يستقين ماء فلم يشك انهن من الجن فاسرع العدو ولما اتمّ غرضهُ من المكان الذي كان ذاهباً اليهِ خاف ان يعود في الطريق الذي ذهب فيهِ فعاد في طريق آخر يمرّ من تحت البئر وكان هناك درج يوصل الى اسفل البئر والنساء ينزلن بهِ ويستقين من الماء فلو لم يمرّ في ذلك الطريق لاعتقد انهُ رأى نساء الجن في البئر

فقالت لها امها لا يمكننا الا التصديق بوجود الجن والولي يصدق بوجودهم والمطران ايضاً وكل احد يصدق بوجودهم وهم الذين رجموا بيت خالك بالحجارة فقد فتشنا عن الراجمين كل مكان ولم نرَ احداً . وقالت الاميرة صفا دعونا من هذا الحديث فقد صرت اخاف من خيالي ولا يمكنني ان انام وحدي الليلة

وقصّت ام يوسف عليهنّ قصصاً اخرى مضحكة فاطربتهنّ بعد ان خوّفتهنّ بقصص السحر والجن فمضى النهار ومالت الشمس الى المغيب وهن لا يشعرن . ولما مرّ الامير احمد والتفت اليهنّ ثم غضّ طرفهُ نظرت ام يوسف الى الاميرة صفا ثم نظرت كلتاهما الى الاميرة سلمى فرأتاها قد احمرّت واطرقت الى الارض فتغامزتا ولم تقولا شيئاً . وكان العبيد قد اتوهنّ بالخيل فركبنَ وعدنَ الى بيوتهنّ

ودخلت الاميرة هند غرفة ابنتها في المساء وقالت لها اين كان احمد يا ترى الظاهر انهُ لم ينظرنا ألم تغيري فكركِ من جهتهِ تقول خالتكِ ان عمهُ واولاد عمهِ يحسبونهُ رأيس العائلة وركنها

طانهم . والظاهر ان السنيور ود سرَّ بذلك لانهُ كان يود ان يتوسط امر الدروز من مستو
بحتي ان لا تقبل وساطتهُ على حد قولهم كل معروض مرفوض فقبل الوساطة على شرطين
لاول ان يُطلب العفو لاولئك الرجال من الباب العالي . والتاني ان يؤمنوا على ارواحهم
ى ان يأْتيهم العفو . فقال لهُ الوالي احمد باشا اني اسمح لهؤلاء العصاة ان يقيموا في دار
نصلية الى ان يصل فرمان العفو من الباب العالي وأُطلق كل اقاربهم الذين قبض عليهم
دعهم يقيمون معهم في دار القنصلية

فبعث السنيور ود ترجمانهُ الى حوران ومعهُ امر الوالي بالمهادنة الى حين وصول العفو
ى الاستانة وكتب معهُ الى الامراء والمشائخ ضامنًا لهم سلامتهم بناءً على ضمانة الوالي لهُ
اصحًا لهم لكي يسلموا وينزلوا الى دمشق . وبعد ايام قليلة عاد الترجمان ومعهُ الامير اسعد
هاب (وكان قد انضمَّ الى الدروز لانهم وعدوهُ بالولاية على الجبل) والشيخ يوسف عبد
لك وغيرهما من مشايخ الدروز وسبعمائة من اتباعهم . ومضى السنيور ود الى الوالي بمشايخ
روز فرحَّب الوالي بهم واعطى كلاًّ منهم شالاً من الكشمير علامة العفو والرضا . ثم وصل
ية الدروز فضاقت بهم دار القنصلية ورأى السنيور ود انهُ يستحيل عليهِ ان ينزلهم كلهم في
ره الى ان يرد العفو من الاستانة فسمح لهم الوالي العودة الى بلادهم ما عدا سبعين من
ؤسائهم بقوا في دمشق منتظرين فرمان العفو . وبعد شهرين جاء الفرمان المنتظر وفيهِ امر
ريح بالقبض على اولئك المشايخ وقتلهم وارسال رؤُوسهم الى الاستانه وكان احمد باشا قد
ل من ولاية دمشق وولي علي باشا بدلاً منهُ فجاء كاخيتهُ الى دار القنصلية فلما اشهر ما في
رمان وقال لمشايخ الدروز على ما قطعتم عن التردد على دوله الوالي فتمهلوا واشربوا فنجان قهوة
خدع الشيخ يوسف عبد الملك بهذا الكلام وسار معهُ الى دار الولاية فقبض عليهِ حالما
لها وبلغ السنيور ود ذلك فخرج الى دار الولايه وابى ان يجلس الا ويطلق سبيل الشيخ
تاره الوالي مضمون الفرمان ثم قرأه لهُ فالتفت الى احمد باشا وكان جالسًا مع علي باشا وقال
كيف كان الاتفاق بيني وبينك أَلم يكن على كذا وكذا وقصَّ على علي باشا واقعة الحال
قال لاحمد باشا انك لو ذكرت للباب العالي واقعة الحال كما وقفت عليها لجاء الفرمان بالعفو
ا . فاجاب احمد باشا اني ذكرت لهم كل ما حدث بالتدقيق فكانت النتيجة كما ترى .
ل علي باشا لا بدَّ لنا من العمل بالامر العالي

فقال السنيور ود ان استطعتم ان تفعلوا ذلك فافعلوا ولكن اعلموا ان انكلترا لا تخفر ذمة
ل من قناصلها

ان الذين عنت في قصر بدء كذب واستحل المحرم
طأس الشيب على ... رضى كان تحور ... ينعم
واردت ان يلي الامانة منهم ... الامين اسا
او من يقول ما قاله المنصور قبل ولي الخلافة
حتى متى لا نرى عدلاً نسر به ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لا دواء له وقائد ذي عمى يقتاد عميانا
ولا تحسبن العمران الغربي مزيلاً لهذه التشكوى وشافياً من هذا الداء كلا بل ان
مع اهل الغرب تفوق مطامع اهل الشرق ودهشتهم من رجال الدول ورجال السياسة
يسعون الى نيل مآربهم بكل وسيلة ويستحلون كل عمل ويدخل قوادهم بلاداً بعيدة
تلون صاحبها حتى يعاهدهم معاهدة لا بد له من الاخلال بها ثم يتعدونه الى ان
يستولوا على بلاده او على خيراتها بحجة مخالفته لشروط العهد . ولا بد من ذلك ما دام هذا
نزع للبقاء سنة للكون

في غرفة من غرف الدار الكبيرة التي يسكنها الامير احمد ارسلان وقد سكنها ابوه
ومن قبله جماعة من الامراء والمشايخ والعقال اجتمعوا على اثر عودة الامير احمد من عند
الكولونل روز وتداولوا في احوال الجبل فقص عليهم الامير ما قاله له الكولونل وما قاله الوالي
وجعل كل يبدي رأيه ويعيد تاريخ الجبل ويذكر اسباب الاحداث القديمة من عهد آل
تنوخ وآل معن وتعرض الدول الاوربية لابرهيم باشا وكيف استتمت السلطة للباب العالي
على البلاد بمساعدة دولة انكلترا ولولاها ما استطاعت الدولة العلية ان تخرج ابرهيم باشا من
بلاد الشام بل كان نصف رجال الدروز الآن منتظمين في سلك الجنود المصرية . وبعد كلام
طويل في هذا الشأن تناول الحديث شيخ اشيب من التلاحقة وقص عليهم ما فعله السنيور
قنصل الانكليز في دمشق الشام منذ ثماني عشرة سنة لما هرب الامير امين ارسلان والامير
سعد شهاب ونحو الفين من الدروز الى حوران فراراً من عمر باشا الذي اعتقل امراء الدروز
ومشايخها وكاد يوقع بكل عظيم منهم فان والي الشام اوجس منهم شراً لا سيما وانه يعلم
ما فعل الدروز بعساكر ابرهيم باشا في تلك البلاد الوعرة فجمع اعوانه واستشارهم في الامر
فاشاروا عليه ان يلجأ الى السنيور وود لكي يقنع الدروز بالعودة الى الطاعة والرجوع الى

الفصل الخامس

سورية في البارلمنت الانكليزي

غطى الضباب مدينة لندن ووقفت المركبات عن السير والناس عن المشي ولم تعد المصابيح ترى في الشوارع فلم يصل الأعضاء الى دار البارلمنت الا بشق الانفس . ولما انتظم عقدهم وجلس كلٌّ في مكانه حسب درجته دارت المجادلات على نتائج الحرب بين النمسا وسردينيا ومعاهدة زورك وتنازل امبراطور النمسا عن لمبرديا للامبراطور نبوليون الثالث الذي اعطاها لسردينيا وعلى ماجريات الحرب الاميركية الاهلية والقبض على جون براون الذي هاجم الترسانة الاميركية بعد ان قُتل نصف رجاله وعلى ما جرى لسفراء انكلترا وفرنسا واميركا في بلاد الصين وهم ذاهبون الى بكين قصدًا عن دخولها . وطال البحث في هذه المسائل الى ما بعد نصف الليل

وكان العضو النائب عن لنكشير قد طلب من مجلس النواب ان يبحث في ما شاع من قرب نشوب الحرب في سورية وعما يقال عن دسائس بعض الدول الاوربية رغبة في احتلال تلك البلاد واقفال ابوابها دون التجارة الانكليزية . فلما حانت الفرصة للمناقشة في هذا الموضوع نهض وقال ان لنا في سورية تجارة واسعة فنرسل الى مدينة بيروت في السنة ما ثمنه اكثر من ستماية الف جنيه فاذا نشبت حرب اهلية هناك بارت تجارتنا واذا استولت عليها دولة اوربية فقولوا على تجارتنا السلام . وانا اسأل الرئيس عمّا عنده من الاخبار في هذا الصدد وعن التحوّطات التي اتخذتها الحكومة لمنع هذا الضرر عن التجارة الانكليزية

فقال الرئيس ان الوزارة مهتمّة بهذا الامر تمام الاهتمام [illegible] [illegible] علمت الامور التي لا اخفي اطلاع المجلس عليه

فقال العضو انا لا اكتفي [illegible] [illegible] لنا باخبارها [illegible] [illegible] كما تعلمها الوزارة وانما يهمنا ان تتخذ الحكومة [illegible] اللازمة لمنع الحرب الاهلية وان تذاكر الحكومة الطامعة باحتلال سورية وتكف يدها عن ذلك

فقال الرئيس ان الوزارة مهتمة بهذه المسائل كلها وهي ترجو ان تطرح على المجلس نتيجة اعمالها بعد وقت غير بعيد ولا يخفى على حضرة العضو الكريم ان الوزارة تهتم بكل امر له علاقة بنا ولكنها لا تكفل النجاح في كل امر لان زمام الدنيا ليس في يدنا

ونهض المستر غلادستون حينئذٍ وكان ناظرًا للمالية وقال ان مالية البلاد لا تمكن الوزارة

ثم احتدم الجدال بينهُ وبينهم ساعات متوالية في غير جدوى واخيراً قال لهُ انك ان لم تسلمنا كل الرجال الذين عندك رضيت او اضطررت ان نرسل قوة عسكرية ونستلمهم عنوةً

فاطرق برهة يتفكر في امره ثم قال نحن يا ... نحن اصدقاء منذ عهد طويل ولي عليك جميل لا تنكرهُ واذا كان لا بدَّ لك من العمل حسب امر الدولة فارجو من فضلك ان تنذرني قبل ارسال القوة العسكرية بنصف ساعة حتى اخرج انا والاهل من دار القنصليَّة

فقال لهُ علي باشا وهل مرادك ان تقاومنا بالقوة

فقال القنصل حتماً ولا بدَّ لي من الدفاع عن شرف القنصلية ولا يمكن ان تمسوا احداً من كل الذين في حمانا ما دمت في قيد الحياة وانت تعلم ما يفعل الناس مسلَّحون متلما اذا دفعنا في اليأس ولا يخفى عليك ان الدولة الانكليزية لا تدع نقطةً من دمنا تذهب هدراً فاذا شئت ان تلقي دونك في المشاكل فعل ما تشاء

ثم نهض وهمَّ بالخروج فطلب اليهِ علي باشا ان يمهل واخذ يفكر في امره ثم قال لهُ اني اعرف الانكليز واعرف مقدرتهم ولا اريد ان اكون سبب خلاف بينهم وبين دولتنا العلية فآخذُ العهدة على نفسي واوقف الامر العالي وغاية ما يصيبني العزل او الابعاد وهما اهون من حرب دولية

ثم امر بان يطلق سبيل الشيخ يوسف عبد الملك فعاد الى دار القنصلية بين ستة من القواسة . واجتمع اهالي دمشق يرون مقدرة قنصل الانكليز ويعجبون بها

قال المتكلم وبقينا في دار القنصليَّة سبعة اشهر لاني كنت في جملة من لجأ اليها الى ان جاء العفو من الاستانة وقد بلغنا ان العفو صدر منها بواسطة سفير الانكليز فاذا كان قناصل الانكليز وسفراؤُهم يحموننا ويدافعون عنا اينما كنا فكيف لا نسمع مشورتهم ولا نعمل حسب ارادتهم

وكان المتكلم شيخاً جليلاً مسموع الكلمة وكانت هذه الحادثة معروفه عند بعض الحضور شهدوا بصحتها وكاد ينفضُّ الاجتماع على ان لا يحركوا ساكناً ولا يأتوا عملاً من شأنهِ اثارة حرب اهلية في البلاد ولكن قال واحد منهم قبل انفضاض المجلس هب ان خصومنا اعتدوا علينا وتكرَّر اعتداؤُهم فهل نصبر على الضيم فأجاب اكثر الحضور كلاَّ كلاَّ . ثم اتفقوا على ان يرسلوا خبر ما قرَّ عليهِ قرارهم الى الخلوات كلها في الجبل ووادي التيم وحوران

ستأتي البقية

ن علي ما يرام وان دروز الجبل يستعدون للحرب الاهلية وقد استدان رؤساؤهم منهُ نحو
بن الف جنيه بربا عشرين في المئة وطلبوا مئة الف جنيه اخرى وهو لا يرى مانعاً يمنع
هم اياها لانهم وعدوهُ برهن ضياعهم في البقاع وهي تساوي اضعاف ذلك . والدروز
ون في ذمة انكلترا فلا يجسرون ان يهضموا لنا حقًّا عندهم
وقال آخر انني التقيت منذ ساعة باللورد فلان فاخبرني ان الوزارة باذلة جهدها في منع
ب الاهلية من سورية وقد ارسلت الاوامر المتشدّدة الى سفيرها في باريس وسفيرها في
تانة ليبذلا جهدهما في ما يمنع اثارة الحرب
فقال ابن حاييم ان تمّ ذلك فهو اصلح لنا وان لم يتم ونشبت الحرب فلا بدّ من ان تلجأ
ة العثمانية الى التعويض على المنكوبين وخزائنها فارغة فينفتح امامنا سبيل آخر للكسب

الفصل السادس

التفتيش الاول

لما حان الوقت الموعود لذهاب السر هنري بدمونت الى التويفات لزيارة الامير احمد
تيش عن المغارة التي فيها رفات جدهِ كونت بدمونت خاطب الكولونل روز في ذلك
ب منهُ ان يسمح لهُ بذهاب الترجمان معهُ لئلاَّ يجد الامير احمد غائباً فيتعذَّر عليهِ التكلم
حد لانهُ لا يعرف كلمة من العربيَّة . وقام في الصباح وركب جوادهُ وركب معهُ الترجمان
وقوّاس من قواسة القنصلاتو وساروا نحو التويفات فوصلوها بعد ساعتين من الزمان
الامير احمد في انتظارهم عند نهر العدير ومعهُ جماعة من الامراء ابناء عمهِ والخدم
ثم فرحَّبوا بالسر هنري وساروا امامهُ وكان الامراء بالخيول المطهَّمة وقد غطوا سروجها
ئح الذهب الوهاج فوق لبد الشعر الاسود وقلدوا اعناقها برصائف من الذهب لوسواسها
جي تسمعهُ الاصائل وتطرب بهِ فيزيد اعجابها ونهاديها فتظنها ترقص رقصاً وهي تسير
. حتى اذا بلغوا دار الامير احمد استأذنوا السر هنري في نصب الميدان اكراماً لهُ
موا قسمين وجعلوا يكرون ويفرون ويتراشقون بالجريد فطرب لذلك طرباً شديداً .
ت الشمس قد تكبدت السماء واشتدَّ الهجير فشكرهم على ما ابدوهُ لهُ وقال انهُ طالما تمنى
ى ميداناً مثل هذا يلعب فيهِ امراء البلاد على صهوات الصافنات الجياد . ثم ترجَّل
لوا ودخلوا ديواناً جلسوا فيهِ واستراحوا هنيهة وقدمت لهم الشربات والشبقات ومدَّ السماط
فاخر الطعام وأُتي بعدهُ بالحلويَّات وكانوا ثمانيةً الامير احمد وخمسة من ابناء اعمامهِ

من عمل كل ما نتمناه ولكن لوزيرة لا تحس ... ق ... اذ كان ... ساقة
وحفظ متاجرها . ثم قال ولا يخفى على حضرة العضو ... ن جيوش
الصين مع جيوش الدولة التي اشير اليها ولما كانت مصبوغة وحدة ...
في عمل يكون من ورائه الاضرار ...

ففهم الاعضاء مع كلامه تهديدًا خفيًا وكنه لطيف لا يؤاخذ

وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة برئاسة لورد رسل وزير الخارج
سفير انكلترا في الاستانة عن ثورة الافكار التي يراد بها خلع السلطان
كانت ولو بالتنكيل بالمسيحيين حتى تنهض دول اوربا وتنتصر لهم . و...
بيروت عن سعي فرنسا المتواصل في تحريض موارنة الجبل على ...
نظرت في تقرير غرفة التجارة عمّا تستورده سورية من منسوجات انكـ...
الصوف وعرق السوس . وبعد بحث طويل في هذا الموضوع قرّ رأ...
سفيرها في الاستانة والى سفيرها في باريس وخلاصته السعي في ...
واسطة ممكنة وحمل الدروز على الاخلاد الى السكينة وعدم الاعتـ...
يعدونهم بالمساعدة

وفي تلك الليلة اجتمع جماعة من الماليين عند واحد منهم ودار ...
الذي عقدتهُ فرنسا والقرض الثاني الذي طلبهُ فكتور عمانوئيل ملك ...
ضم ممالك ايطاليا بعضها الى بعض

فقال احد الحضور واسمهُ ابن حاييم ان القرض الاول مكّن فكتـ...
على النمسا فاذا تيسَّر لهُ بهذا القرض الثاني ان يضمَّ ممالك ايطاليا بعـ...
ملكًا عليها كلها نكون قد خدمنا اسرة ساڤوى خدمةً لا مثيل لها جز...

وقال آخر ليس من غرضنا ان نخدمهُ او لا نخدمهُ بل ان نستثمر ا...
عليها فيها . اما فرنسا فماليتها ثابتة وشعبها مجتهد مقتصد ولا خوف عـ...
ايطاليا فبلاد فقيرة واكثر خيراتها تذهب الى خدَمة الدين فيها . و...
تطول عشرين سنة اخرى لوثقنا انهُ يصلح البلاد ويبني مالية الحكومـ...
واحوال ايطاليا لا تزال مرتبكة والسلطة الدينية قوية فيها فلا يحسن الـ...

وبعد اخذ وعطاء في هذا الموضوع اتفقوا على ان لا يكتتبوا با...
ثم قال ابن حاييم كتب الينا الخواجه بخور من دمشق ان الا...

ت هند اتاكم ضيوف من اولاد عمكم ملأُوا الدار

فقالت قبحك الله على هذه البشارة نحن نهرب من الناس والناس تلحقنا

فقال اذا اردتِ ان تتخلصي منهم فلا اسهل من ذلك ديّني الفقير منهم فلا تعودي ، وجههُ واطلبي من الغني ان يدينكِ فلا يعود يرى وجهكِ

فقالت اصبت وان كان فراق البدوي بعبا فلا كان البدوي ولا كانت العبا

وقبل ان تتم كلامها وصل الامير احمد والسر هنري والرجال الثلاثة الذين معهم . طربت الاميرات لما رأين رجلاً بثياب افرنجية ولكن لم يطل اضطرابهنَّ لان الامير . كان قد اخبرهنَّ انهُ لقي في بيروت عند القنصل شابًّا انكليزيًّا من عائلة شريفة وانهُ ءُ بزيارة التويفات بعد ايام قليلة فلما رأينهُ ادركنَ حالاً انهُ هو الشاب الذي اخبرهنَّ . وتقدم الامير احمد وعرَّفهنَّ بهِ

فنظرت اليهِ الاميرات معجبات من جمال طلعتهِ واعتدال قامتهِ ونظر هو اليهنَّ فرأى ـــ الشرقي الذي قرأ عنهُ في حكاية الف ليلة وليلة وكتُب الروايات والرحلات وكان ، انهُ من قبيل الشعر والمبالغات

ودعتها الاميرة هند للجلوس معهنَّ وشرب القهوة وقدَّمت لهما السكاير وسألت السر ي عن كيف رأى البلاد وعمَّا اذا كان معهُ احد من اهلهِ وطلبت اليهِ ان يزورهم ىيفهم تلك الليلة . وكان الامير احمد يترجم بينها وبينهُ فاجابها السر هنري انهُ آسف تثقَّل عليهنَّ بمجيئهِ اليهنَّ في تلك الساعة ولكنهُ سُرَّ جدًّا برؤية الاميرات الشهابيات كان يحسب انهنَّ يحتجبنَ مثل سائر نساء الجبل فاذا هنَّ مثل الاميرات في بلادهِ ىحرمن مخلوقات الله من نورهنَّ كما لا تحرم الشمس النبات من باهر اشعتها

فسرّت الاميرة هند بهذا التشبيه واطرت صفا وسلمي اليهِ باسمتين ثم اطرقتا حياءً اما م فكان يتأخر الى الوراء رويدًا رويدًا وهو يزور بعينيهِ ويقلب شفتيهِ . والتفت اليهِ مير احمد وقال لهُ مالي اراك تهرب منا يا عنتر

فقال متى حضرت الملائكة هربت الشياطين . فقال الامير اذًا كان يجب ان تهرب مجيئنا

فقال عنتر كنت عازمًا على الهرب ولكن ام يوسف مسكتني لانهُ لا يطيب لها عيش لبعد عني

فقالت ام يوسف اسكت يا لعين وخلّنا من شرك فانت في كل عرس لك قرص

والمستر هنري و[illegible] وكل [illegible] [illegible] الا
الامير احمد [illegible]

واستراحوا بعد [illegible]

لي من العودة في بيروت [illegible] وارجع [illegible]
ما حول بلدكم من [illegible] الامير احمد [illegible]
او ماشيين . فقال المستر هنري بل [illegible]
او كان المكان بعيداً جداً

فضحك الامير احمد [illegible] اجري [illegible]
لاسيما وانا مضطرون [illegible] في [illegible] لا [illegible]
وحدهما قاصدين المغاير التي كان الامير احمد [illegible]
القرية ودارا الى جنوبيها وشرقيها وهبطا في جهة [illegible]
الامير وكانا كلما وصلا الى باب مغارة [illegible] المستر هنري
وصف المغارة والجهة التي تطل عليها ودخل احمد معه
هذه الحال نحو ثلاث ساعات الى ان اجهدهم التعب [illegible]
هنري مكاناً ينطبق على الوصف الذي عنده

وبينما كان المستر هنري والامير احمد يجولان [illegible]
دفن فيها الكونت بدمونت كانت الاميرة [illegible]
سلفها الى نبع ماء في مكان بين كفرشيما و[illegible]
واتى معها رجل قزم كثير الهزل والمزاح [illegible]
خاطراً يقيم في دور الامراء للهزل والتهريج فلما وصل
تخطفها الجن اذا اتت وحدها فاتت بي معها مع اني [illegible]
ابو يوسف اعمى القلب ما وقع هذه الوقعة ولكن لا [illegible]

فانتهرته ام يوسف وقالت اسكت ياخبيث وخلنا [illegible]
الست سلمى لا تصدق بالجن ولا بالعفاريت

فقالت الاميرة صفا دعونا من سير الجن والعفاريت
طول الليل

فقال القزم الحق في يد الست صفا وانا اخاف

اكثر الشبان الذين يربون في نعمة وينغمسون في الملاهي. فان امهُ ارسلتهُ الى مدرسة اكسفرد وقطعت لهُ مئة جنيه في الشهر فكان ينفقها وينفق فوقها وهذا شأن اكثر الشبان في تلك المدرسة . وكان قليل الدرس ولكنهُ ذكي الفؤاد فحصَّل ما يكفي لنيل الشهادة وخرج من المدرسة ولا مطمع لهُ في الدنيا الاَّ ابنة خالهِ فلا يرى غيرها ولما رأى منها الدل والصدود رهن نفسهُ لمشيئتها وانقطع عن الملاهي وعكف على الدرس وطلب المعالي ولا غاية لهُ الاَّ رضاها حتى حسدها عليهِ اترابها . اما هي فبقي الدلال شأنها والغنج ديدنها . وحدث ذات يوم ان ذكرت القاب الشرف وانساب الشرفاء فقال ان جدَّهُ كان مع الملك ركارد ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد وانهُ كان فارساً مغواراً وانعم عليهِ الملك بلقب كونت قبل وفاتهِ

فتبسمت اڤلين قائلة اراك تصدّق هذه الاقاصيص الموضوعة كأنها حقائق راهنة

فقال لها هذا ليس من الاقاصيص الموضوعة بل هو خبر ثابت بالسند المتصل وانا اصدّق ولف كما اصدّق اصدق الناس . والفارس الباسل لا يكذب ولا يختلق الاخبار . وقد ذكر ولف في الخبر الذي نُقل عنهُ انهُ وضع وثيقة لقب جدي على صدرهِ لما دفنهُ وهذا كلام من رأى بعينهِ ولمس بيدهِ . نعم ان منحهُ هذا اللقب غير مذكور في سجل الالقاب ولكن اي سجل يحفظ بالتدقيق والناس في دار الحرب . ولم تصفُ الايام لقلب الاسد بعد رجوعهِ وخلاصهِ من الاسر حتى تطالبهُ عائلتنا باثبات ذلك في سجلات الحكومة

فبقيت اڤلين على ريبها وقالت لهُ ان انت وجدت الوثيقة اثبتُّ الكونتية لك لانك الوارث الوحيد لهُ الآن

فقال نعم وسأفعل ذلك وابذل دونهُ كل مرتخص وغالٍ ان كان يرضيكِ

وكانت تتكلم معهُ على سبيل المزاح اما هو فاخذ الامر بالجد وجعل يفتش في كتب الانساب والتواريخ وعقد النيَّة على الذهاب الى سورية ليفتش عن الوثيقة فيها . وكان قد انتظم في وزارة الخارجيَّة فطلب ان يُنقَل الى بلاد الشام فنقل اولاً الى الاستانة ثم الى مدينة بيروت وآمالهُ معلقة باكتشاف الوثيقة وارضاء ابنة خالهِ وهو لا يرى غيرها امام عينيهِ . اما الآن فعاد من السويفات على غير ما ذهب فقد ذهب اليها وفي قلبه شخص واحد وامام عينهِ مطلب لا يرى سواهُ وهو ان يعود بالوثيقة فترضى ابنة خالهِ عنهُ وترتفع منزلتهُ في عينيها وعاد وقلبهُ يتنازعهُ شخص آخر شخص الجمال والدلال فتاة لم يرَ اجمل منها في بلادهِ ولا في غيرها فتاة من نسل الامراء الذين حاربوا فرسان الصليب ودحروهم في بلاد الشام . ولقد ربي مع ابنة خالهِ وشبَّ معها واحبها كما يحبُّ الاخ اختهُ ولكنهُ كان يشعر دائماً انها بعيدة عنهُ

والتفت السرهنري الى الامير احمد كأَنهُ يستفهم منهُ عمَّا يقولهُ الفزم فترجمهُ لهُ فضحك وهو يقول في نفسهِ هذا مجلس من مجالس الامراء حقيقة وهذا من الاقزام الذين لا يخلو منهم مجلس انس من مجالس الملوك

وكان الخدم قد غلوا القهوة وارادوا تقديمها للسرهنري قبل غيرهِ فأبى الاَّ ان تقدَّم الى الاميرات اولاً . فقالت لهُ الاميرة هند اذًا العادة عندكم مثل العادة عندنا تقديم الاميرات على الامراء . وترجم لهُ الامير احمد ذلك وقال لهُ ان هذه هي العادة عندنا ايضًا ولكنها خاصَّة بالاميرات واما سائر الناس فرجالهم مقدمون على النساء في كل شيء . فعجب السرهنري من ذلك وقال اذًا لم يفضَّل اميرات الشرق الاَّ لان حقهن في التفضيل اثبت من ان ينكر

وكان مجلسهُ مواجهًا لمجلس الاميرة سلمى فلم يسعهُ الاَّ النظر اليها مرةً بعد اخرى فصبغ الحياء وجنتيها وزادها جمالاً على جمال . ولحظ حرج موقفها وشعر من نفسهِ انهُ في موقف تذوب فيهِ المهج فنهض واستأْذن في الانصراف فنهض السيدات اجلالاً لهُ فودعهنَّ مصافحةً وعاد ادراجهُ هو والامير احمد وهو مبلبل الافكار وخاف ان يظهر امرهُ فجعل يحاول جمع افكارهِ المشتتة وهو ينظر الى ما حولهُ فيرى صورًا تمر امام عينيهِ ولا يفقه لها معنىً الى ان وقعت عينهُ على نبات صغير الورق لهُ ثمر احمر كحبوب المرجان فوقف وقال للامير احمد انظر هذا نبات الفوَّة الذي يستعمل في الصباغة وهذه اول مرة رأَيتهُ نابتًا

وكان عارفًا بعلم النبات مغرمًا بجمع الحشائش فاخذ يصف بعض ما يراهُ منها لكي يخفي ما بهِ من تبلبل الافكار

ولجَّ عليهِ الامير احمد لكي يبيت عندهُ تلك الليلة وارسلت امهُ تلجُّ ايضًا فاعتذر بانهُ لا بدَّ من عودتهِ حالاً لكي يكتب مكاتيبهُ لقيام سفينة البريد في الصباح لكنهُ وعد بالعودة في الاسبوع التالي لاستئناف البحث عن المغارة

الفصل السابع

مطارح النظر

التنازع سنَّة الكون بهِ ارتقت انواع الحيوان والنبات واليهِ مرجع التفاضل بين الشعوب والامم . وهو شامل لاعمق عواطف النفس كما انهُ عامٌّ لما في الكون من العوالم

كان السرهنري بدمونت مغرمًا بابنة خالهِ اڤلين برادن يراها عين الكمال ومجمع الجمال وهي تدلُّ عليهِ ولا ترى في قلبها ما يجذبها اليهِ لانها رأَت منهُ سيرًا على غير الطريق السوي مثل

الفصل الثامن

الاجتماع الثاني

عاد وكلاء الدولة والعلماء الى الاجتماع في دار رشيد افندي وكلهم متشوف الى الاطلاع على ما فعلتهُ اللجنة التنفيذية التي شُكّلت لاجراء ما اقروا عليهِ في اجتماعهم السابق وعلى ما ورد عليها من اشياعهم في سورية فقرئ كتاب وارد من دمشق موٴداهُ ان سكانها على اتم الوفاق والوئام وانهُ يتعذر ايقاظ الفتنة فيها لا سيما وان اميرًا من نزلائها لا يستحل خفر ذمة احد بوجه من الوجوه ولا يصدق ان ما طُلب منهُ يعود بالنفع على احد . واعوانهُ اشداء يفعلون كل ما يأمرهم فيستطيع ان يحمي بهم المدينة كلها

ولما قُرئ هذا الكتاب ضحك احد المأمورين وقال ان كانت كل الكتب التي وردتنا على هذا النسق فلا فائدة من قراءتها غير التضليل فان الامير هو الذي اشار على فرنسا باحتلال سورية وارشدها الى السبيل الموٴدي الى ذلك فوعدتهُ بجعلهِ اميرًا عليها

فناقضهُ مأمور آخر وكثر الحجاج واللجاج بين الطرفين الى ان تصدَّى لهما احد الحضور واطلعهما على كتابة معهُ من سفارة باريس فنظروا فيها ثم نظر بعضهم الى بعض وصمتوا

وقرئ كتاب وارد من بيروت وكلهُ امل وتأكيد وتفاؤل بنيل المراد. فقال احد العلماء اوصوهم ان لا يسرفوا . ثم قرئ كتاب وارد من لبنان يشكو كاتبهُ فيهِ من احد المأمورين ويقول اننا نظنهُ جاسوسًا وطلب ابعادهُ فكلّف احد الحضور بالسعي في نقلهِ الى ولاية اخرى

ودار الكلام على الخطة التي يراد اتباعها في كل انحاء الولاية بناءً على الكتاب المسهب المرسل من سفارة لندن . ومدار هذه الخطة اثارة الرأي العام الاوربي باعمال تستفزُّ الاوربيين الى "التداخل" ولا خوف من فوز المعتدى عليهم لان دولة عظيمة ستمنعهم من ان يعضدوا بعضهم بعضًا ولا يتسع لها مجال التداخل لان الدولة المناظرة لها توقفها عند حدها وتحبط مساعيها وتمنعها من ازدراد اللقمة التي اختطفتها فتحصل الغاية المطلوبة من غير ضرر كبير

وكان بين الحضور رجل اشيب تدلُّ ملامح وجههِ على انهُ عرك الدهر وذاق ما فيهِ من خلٍ وخمر وكان صامتًا لا يتكلم ولكن وجههُ يدلُّ على انهُ كان يتتبع المتكلمين ويزن كل كلمة فلما رأى انهم فرغوا من الكلام التفت الى رئيس المجلس وقال لقد علمتنا التجارب ان العامَّة لا تقف عند حد محدود اذا أُطلق لها العنان والذي اخشاهُ هو ان النتيجة لا تكون حسب التقدير فلو نلنا بغيتنا وافتديناها برجل او رجلين او عشرة او مئة لهان الامر وقلنا ويل اهون

وازداد البعد بتقدمهما في السن فظن انهُ لم يملأ عينيها لسيرهِ في طرق لا ترضيها فغيَّر اسلوب معيشتهِ وبذل جهدهُ في مرضاتها . وكلما ظن انهُ بلغ المراد رأى انهُ لم يزل حيث كان بالنسبة اليها لا هي تقصيهِ ولا هي تدنيهِ لكنهُ لم يفشل ولا قطع الامل وقد تحمَّل مشقة السفر الى بلاد الشام قربةً منها وزلفى

والآن شعر كأن آمالهُ كلها كانت اماني واڤلين لا تحبهُ الاَّ كما تحب الاخت اخاها تهتمُّ بامرهِ وترجو لهُ الخير والفلاح تحزن لحزنهِ وتفرح لفرحهِ . تتألم اذا اصابهُ مكروه وتفتخر اذا فعل فعال الكرام وتفتديهِ بنفسها اذا وقع في شدة ولكنها لا تلقي اعتمادها عليهِ ولا تحسب انهُ الرجل الذي يكفلها في السراء والضراء

ثم قال في نفسهِ ولكن من هذه الاميرة ومن هم قومها وما هي اخلاقهم واطوارهم ومن اي مذهب هم وكيف ينظرون اليَّ وقد لا اراها بعد الآن وقد تكون مخطوبة او متزوجة وقد يكون اهلها ارفع مني حسباً ونسباً فلا يتنازلون لمصاهرة الناس مثلنا . كنت استطيع ان اسأل الترجمان عنها ولكنهُ يعد ذلك فضولاً مني . ولا يبعد ان تكون خطيبةً للامير احمد وهي ابنة خالتهِ ولعلها احمرَّت لما رأتهُ . لم تتكلم على مسمعي غير كلمة واحدة حينما عرَّفها بي فقد قالت بالفرنسوية انها تسر بمعرفتي . ما امهر هؤلاء الفرنسويين في تعليم لغتهم ونشرها في الآفاق . هذا كلهُ فعل الرهبنات . يطردونهم من بلادهم وينفقون عليهم في سائر البلدان لينشروا فيها لغتهم . لا بدَّ من ايضاح ذلك لنظارة الخارجيَّة حتى تهتم حكومتنا بنشر لغتنا اهتمام الفرنسويين بنشر لغتهم

ساكتب لامي عن هذه الفتاة وهي تقرأ كتابي لاڤلين فتثور الغيرة في قلبها ذلك القلب الطاهر . قوتل الرجال ما اقل وفاءهم . لا لا لا انساكِ يا اڤلين ابداً . ان افتكاري بهذه الاميرة السورية من قبيل الجنون الوقتي الذي يعتري الشاب . دقائق جديدة تكونت في دماغي كما يقول العلماء ارتسمت فيها اول صورة وقعت عليها لكنها تزول سريعاً كما ارتسمت سريعاً

خطرت هذه الخواطر على بال السر هنري وناجى نفسهُ بها وهو ماسك القلم وعازم على الكتابة لامهِ ونظر الى ساعة امامهُ وقال حسبي من احلام الصبا وانغض رأسهُ مسرعاً كأنهُ يجزر ذباباً حطَّ عليهِ وغرضهُ نزع هذه الافكار من بالهِ وشرع في الكتابة فملأ صفحات كثيرة وصف فيها كل ما لقيهُ في ذهابهِ الى الشويفات ورجوعهِ منها

الفصل التاسع

العرس والميدان

خُصّت بلاد الشام باقليم لا اعدل منهُ على وجه البسيطة ساحلها من المنطقة الحارّة ينبت فيهِ النخيل والصبر والبرتقال و يقتني سكانهُ الابل لحمل اثقالهم . وجبالها يكللها الثلج اكثر فصل الشتاء والربيع و ينبت فيها الارز والبربريس وتقيم فيها الدباب والارانب . والبلاد بين بين الاعتدالُ بعينهِ لا ينبت نبات في المنطقة المعتدلة الاَّ ويجود فيها — التين والزيتون والكرم والتوت واللوز والجوز والمشمش والتفاح والليمون والرمان والصنوبر والسنديان والدلب والشربين والورد والياسمين . كل شجر مثمر وغير مثمر وكل نبت مزهر وغير مزهر . فصول اربعة تتوالى في مواقيتها كأَنها جارية على قواعد الحساب . الخريف بوسميهِ يعدُّ الارض للزرع والشتاء بمزنهِ يخترق طبقاتها ويروي جذور اشجارها ويمدُّ مياه ينابيعها ويفعم غدرانها وانهارها ويأتي الربيع بشآبيبهِ فيروي نباتها حتى يزهر ويثمر ثم تمسك السماء عن المطر ستة اشهر متوالية بين الاعتدالين من اواسط الربيع الى اواسط الصيف فتنضج الاثمار وتتيسر الاعمال

واذا ترفَّه المرء واراد الابتعاد عن الساحل فلا اكثر من ان يسير ساعتين فيصل مكانًا هواؤُهُ عليل وماؤُهُ نمير كأَنهُ انتقل من وادي النيل الى جبال الالب

ولكن مهما كثر الخير والمير في بلاد صغيرة كبلاد الشام لا تستوفي اسباب الحضارة ما لم يكن لاهلها بضاعة يتجرون بها حتى يشتروا بثمنها ما لا يجدونهُ في بلادهم من الحاجيات والكماليات فاذا كثر عندهم الحديد فقد ينقصهم النحاس واذا كثر الحرير فقد ينقصهم الكتان واذا كثرت الفضة فقد ينقصهم الذهب . ولقد كان السوريون اهل تجارة من قديم الزمان بل هم اول من ركب السفن وخاض البحار وضرب بالقوافل شرقًا وغربًا وامتدت تجارتهم من الهند الى اسبانيا على طول نصف الكرة الشرقي وساروا بسفن سليمان الى جنوبي افريقية وما ذلك الاَّ لانهم وجدوا في بلادهم من البضائع ما تروج سوقهُ في سائر البلدان . وتقلبت الدول وكرت القرون بغيرها واهالي الشام يسعدون و يشقون ولكنهم لم ينفكوا عن التجارة برًّا وبحرًا ومرَّت بهم سنون تشيب الولدان وابتلوا بولاة كانهم زبانية الجحيم ولكنهم لم يفقدوا خصب ارضهم وكبر همتهم

الزمن الذي حدثت فيهِ حوادث هذه الرواية سُبق بقرون كلها ظلم جور وارهاق تلتها فترة صغيرة ساد فيها الامن الفترة التي استتبَّ فيها الامر للامير بشير الشهابي المعروف

من ويلين ولكنني اخاف ان نطلق العنان للغوغاء فيسرفوا في القتل والتنكيل فتفقد البلاد جانبًا كبيرًا من سكانها الذين عليهم اعتمادها في الصناعة والتجارة ويتسع المجال للتداخل الاوربي فوق ما نريد . فمهما بالغنا في التحذير كي لا يسرفوا لا نوفي الامر حقَّهُ ولا بدَّ لنا من انتداب اناس يعوَّل عليهم لكي يديروا هذه الحركة ضمن حدودها المعقولة فوافقوهُ على رأيهِ وانتدبوا ثلاثة ارسلوهم الى بلاد الشام لهذه الغاية

في الليلة التي اجتمع فيها وكلاء الدولة في الاستانة للنظر في امر يمكنهم من ابدال الحالة الحاضرة باصلح منها اجتمع ثلاثة من المرابين في بيت الخواجه بخور بدمشق والبيت في حي اليهود يوصل اليهِ بزقاق ضيق لا يسع الَّا اثنين يمشيان معًا وكذلك باب البيت ضيق واطئ يضطرُّ الداخل منهُ ان يحني رأسهُ حين دخولهِ ولكن البيت واسع رحب في دارهِ فسقية كبيرة يتدفق الماء منها والارض حولها مرصوفة بالرخام المجزَّع وفيها دوائر غرست فيها اشجار الليمون والريحان وامامها ديوان عضائدهُ من الرخام الناصع البياض وابواب الغرف التي حولهُ يحيط بها قوائم من الرخام المنقوش نقشًا بديعًا يمثّل بعض شرفات لها اساطين وحنايا مفرغة

ويدخل من هذه الابواب الى غرف كبيرة مفروشة بالبسط العجمية على جوانبها مقاعد من المخمل المعرَّق او الحرير المحجَّر تنار بمصابيح مدلاة من السقف زجاجها ملوَّن . وفيها منصات عليها مصابيح اخرى من نوع الطلمبا يوقد فيها زيت الزيتون . وفي وسط الغرفة كانون كبير من النحاس الاصفر اوقدت فيهِ نار الفحم لتدفئتها . فدخل الثلاثة غرفةً من هذه الغرف وتداولوا في الانتقال الى بيروت لان اصدقاءهم في اوربا ولا سيما في باريس ولندن كتبوا اليهم انهُ يخشى من حرب اهلية في بلاد الشام وهم لا ناصر لهم تابةً فئة عابث لتطمع باموالهم وتسلبها اما بيروت فلا يخلو مرفأوها من سفينة اجنبيَّة يلجأون اليها اذا دعت الضرورة

وقال واحد منهم اني لا ارى ما يخشى منهُ فبالامس استدان امير من امراء لبنان عشرين الف غرش من محلنا في بيروت لتزويج ابنتهِ فما دام الناس يهتمون بالانفاق على افراحهم فهم غير مشغولي البال بامر مهم مثل الحروب الاهلية

فقال آخر وانا جاءني من ابن خالي في دير القمر ان الناس هناك لاشغل لهم الَّا صب الرصاص وعمل الفشك (الخرطوش) وقد اخبروهُ صريحًا انهم ينتظرون ثورة عامة

فقال الخواجه بخور وهذا هو الصواب فان عملاءنا في كل مكان يقولون ان الفتنة كامنة الآن كالنار تحت الرماد ولا بدَّ من ايقاظها قريبًا ورأيي ان نستشير الامير المغربي في امر انتقالنا فاني اعتقد فيهِ الاخلاص . فاجمعوا على ان يستشيروهُ ويفعلوا حسب مشورتهِ

ولا ضباب في الجو وفاضت اشعة الغزالة على ربى لبنان وانتشرت على ساحل بيروت

وفاخر بحرُ الروم لون سمائهِ   وسارت جواريهِ عليها المطارفُ
وسالت على الكثبان غدران عسجدٍ   من الشمس فيها الظل غرثان وارفُ
وساحل بيروت الخصيبُ ونهرها   وتلك الروابي والقرى والصفاصف
بساط وسيفٌ والنهود ولؤلؤ   نضيد على صدر الربى متراصف

وكان الامراء آل شهاب وآل ابي اللمع قد وفدوا الى الحدث من جهات مختلفة اتى كل منهم بموكبهِ من الخدم والحشم فلم تعد تُسمع الاّ صهيل الخيل واطلاق البنادق واصوات الطبول والدفوف والزمور وكلما وصل وفد منهم قوبل بالاغاني والزغاريد وقماقم العطر ومجامر البخور واجتمع اولاد القرية ووقفوا عن كثب مبهوتين مدهوشين والسعيد منهم من أُعطي فرساً ليمشي بهِ اما آباؤهم فقاموا على خدمة الضيوف والاتباع كأنهم كلهم من خدم الامير

وقام الامراء في الصباح واعتلوا صهوات خيولهم فتألف من ذلك موكب كبير يأخذ الطرف مهابةً وجلالاً سارت في مقدمتهِ الاميرة جلنار ام الامير قاسم على جواد اشهب يتهادى بما عليهِ من الحلى والى جانبيها اثنان من خواص اهل القرية ماسكان بركابها ووراءها سائر الامراء وامامهم وخلفهم خلق كثير فيهِ المغنون والمطبلون والمزمرون . وسار هذا الموكب الهوينا وكلما مرَّ ببيت قابلتهُ نساؤهُ بالزغاريد وقماقم ماء الورد الى ان خرجوا من بين البيوت وساروا في الارض البراح بين الحدث وكفرشيما وكان الماء قليلاً في نهر الغدير فقطعوهُ ولقوا هناك وفداً من كفرشيما آتياً لاستقبالهم والترحيب بهم فتصافحوا وهم على ظهور الجياد واكثر رجالهم من اطلاق البنادق ثم نُصب الميدان في سهل فسيح على ضفة الغدير فانقسم الامراء فريقين وجعلوا يترامون بالجريد يهجم الفارس منهم والجريدة في يدهِ ويرمي بها خصمهُ فتخرج كالشهاب الثاقب لان زخم الفرس يضاف الى قوة الساعد ويراها الخصم مقبلة اليهِ فيحيد من طريقها او يغطس تحت بطن جوادهِ او يستلقيها بيدهِ او يدفعها عنهُ بجريدة اخرى . والفتيان من القريتين يجولون في الميدان وكلما وقعت جريدة التقطوها واعطوها لفارس من الفرسان . وظلَّ اولئك الامراء في كر وفر وهجوم ودفاع الى ان تصبَّبت جباههم عرقاً وسبحت جيادهم في عرقها واذا بفتى يصرخ ويقول اخ يا عيني يا امي . كان هذا الشاب يلتقط الجريد فاصابتهُ جريدة ذهبت بعينهِ فالتفَّ عليهِ غيرهُ من الفتيان واتوا بهِ الى الامير الذي ضربهُ وقالوا لهُ انظر يا سيدي عبدك فلان طارت عينهُ . فقال اربطوها لهُ ثم نادى وكيلهُ وقال لهُ ارسل الى هذا المسكين كيس غلة وخمسمائة غرش فتقدَّم ابو الفتى وقبَّل

بالكبير ثم لابرهيم باشا ابن محمد علي باشا عزيز مصر. في هذه الفترة عاد الناس الى زراعتهم وتجارتهم فنقبوا اراضي الساحل وزرعوا فيها التوت وربوا دود الحرير وبعثوا بهِ الى فرنسا فتدفقت عليهم ميازيب النضار . رجل واحد من اهالي عمشيت لا من الامراء ولا من المشايخ كسب من تجارة الحرير ما استطاع ان يوفي بهِ الاموال الاميرية عن بلاد البترون وبلاد جبيل وبلاد الفتوح دفعةً واحدةً . هذا الرجل واسمهُ ميخائيل طوبيا اقام في عمشيت قريتهِ وجعل يشتري الحرير من اهالي البلاد المجاورة ويرسلهُ الى مرسيليا وبلغ من علو همتهِ انهُ كان يملي على خمسة من الكتّاب في وقت واحد كانهُ نبوليون الاول . ولا يستطيع الانسان ان يدير الاعمال الكبيرة الّا اذا كان كبير الهمة

واقتنى غيرهُ قوافل من الجمال او البغال لنقل بضائع المشرق الاقصى من العراق الى دمشق ومنها الى ساحل بيروت وحمل بضائع اوربا الى داخلية البلاد لنقلها الى المشرق الاقصى . فلا تمرُّ بك ليلة الّا وتسمع غناء المكارين يحدون لجمالهم واجراس بغالهم تحيي ظلمة الليل وتطرب آذان النيام فتتدفق ينابيع النضار على جانب كبير من السكان . خلة جرى عليها اهالي الشام من عهد الفينيقيين واستمروا عليها اكثر من ثلاثة آلاف عام يسعدون بها آونة ويشقون اخرى والدهر في الناس قلَّب

وكان امراء لبنان قد ذاقوا لذة الراحة بعد طول الكفاح وباروا الفلاحين وسبقوهم في زرع التوت وتربية دود الحرير فصارت مزارعهم في البقاع تأتيهم بما يحتاجون اليهِ من الحبوب وحراجهم في الجبل تسوَّم فيها قطعانهم ومواشيهم وبساتينهم في الساحل يربى فيها الدود ويعصر منها الزيت فتمتعوا برفاه العيش وظهر ذلك في اعراسهم ومآتمهم

وكانت الاميرة صفا مخطوبة للامير قاسم من امراء الحدث وجاء الوقت المعيَّن للاحتفال بزفافها اليهِ فجاءها التجّار والصاغة من بيروت بالاطالس والمقصبات الحلبيَّة والحلى المختلفة من عقود وقلائد وخواتم واساور واقراط وضفائر مرصعة باللؤلؤ والماس والياقوت واهدى العريس اليها هدايا فاخرة من انسجة دمشق ودير القمر ومصوغات بيروت وصيداء . وجاء اليوم الموعود للخروج بموكب العروس من كفرشيما الى الحدث وهو يوم احد قبل الصوم الكبير وكانت الاميرة جلنار ام الامير قاسم تخاف ان يكون يوم العرس يوماً مطيرًا فنذرت لمار انطونيوس انهُ اذا كان اليوم صحوًا تصنع لهُ اكليلاً من الذهب وتعلق امامهُ قنديلاً من الفضة . وعلم المطران بنذرها فلما انحبس المطر من اول الاسبوع وغابت الشمس يوم السبت تحيط بها غيوم حمراء خاف ان يأتي الامر على غير ما يودُّ ولكن اصبح الصباح يوم الاحد ولا غيم في السماء

الاناشيد ويطبلون ويزمرون الى ان وصلوا الى دار العريس فقام المطران ولفيف الكهنة بصلاة الاكليل ووزعت الهدايا من اكياس القصب ومناديل الحرير ومدّت اسمطة الطعام وزينت الدار وما حولها تلك الليلة واطلقت فيها السهام النارية

وبينما الناس في لهو وطرب يغنون ويزمرون ويطلقون السهام فتشق عنان السماء علت الجلبة والضوضاء وهجم القوم بعضهم على بعض حتى اختلط الحابل بالنابل . فان شاباً كان يطلق سهماً فاصاب فتى من اولاد الامراء في راسهِ فوقع صريعاً وظن ابوهُ ان السهم ارداهُ فاستلَّ سيفهُ وضرب الشاب بهِ فانتصر لهُ رفاقهُ وهجموا على الامير وهجم اعوانهُ عليهم وعلا الصياح حتى اختلط الجمع كلهُ اختلاطاً وخرج العريس ومن معهُ وخرج النساء ايضاً وتركن العروس في حجلتها . وكان الظلام حالكاً خارج البيت الاّ حيث توقد المشاعل فتركها الرجال الموكلون بها واختلطوا بالغوغاء ومضت ساعتان من الزمان وذلك الجمع كالبحر الزاخر ثم خمد الهيجان رويداً رويداً فانجلى عن كثيرين من الجرحى والعريس في جملتهم فانهُ اصيب بعصىً شدخت رأسهُ فعادوا بهِ الى داخل الدار ولكنهم فتشوا عن العروس فلم يجدوها . وتناقل النساء هذا الخبر وبلغ الرجال فجعلوا يفتشون في جوانب البيت وغرفهِ وعادت الضوضاء ومضت ساعتان في التفتيش على غير جدوى

وتضاربت الاقوال حينئذٍ فمن قائل ان الجن خطفت العروس بحلاها ومن قائل ان اميراً آخر يحبها وتحبهُ ولكن اباها ابى تزويجها منهُ فارسل اتباعهُ اخطفوها وهم الذين صوّبوا السهم الى ذلك الفتى لكي يقلقوا الجمع فيلهو عنهم ومن قائل انها كانت تريد ان تترهب ولكن اباها منعها من ذلك وابى الاّ تزويجها فبعث الراهبات من اختطفها . لكن الاكثرين كذبوا هذا القول الاخير اجلالاً للراهبات عن هذا الفعل المنكر . وكيفما كانت الحال فان التفتيش استمر الى الصباح ولم توجد العروس ولا وجد اثر لها وقام في نفوس الاكثرين ان الجن اختطفوها

وجلست الاميرة هند مع ابنتها تلك الليلة وقالت لها لا ادري لماذا اشعر بضيق في صدري على فراق صفا مع ان حماتها تحبها كما تحب الام ابنتها وقاسم من نخبة الشبان نعم انهُ لا يقاس باحمد ولكنهُ افضل من كل اولاد عمهِ . هل رأيتِ احمد بين الحضور هو والامير الانكليزي . يظهر لي ان احمد تغير كثيراً في هذين الشهرين فصار قليل الكلام كثير التفكير

فقالت الاميرة سلمى الم تسمعي ما قال ابي انهم يطبخون لنا طبخة ويدبرون مهلكاً

د الامير ودعا لهُ بطول العمر · ومن يهن يسهل الهوان عليهِ

وكان الامير احمد ارسلان في جملة المدعوين الى هذا العرس وذكرهُ للسر هنري دمونت في احدى خطراتهِ الى بيروت فود السر هنري ان يكون حاضرًا ليشهد الميدان لعب الجريد، فدعاه الامير احمد الى الحضور وكان يعلم ان الميدان سيقصب على ضفة الغدير وافاهُ السر هنري الى كفرشيما وسارا مع امرائها الذين لاقوا امراء الحدث ووقفا يريان الفرسان تكرّ وتفر ولم يشتركا معهم وحاول كثيرون اغراء الامير احمد النزول الى الميدان لم ينزل معتذرًا بوجود السر هنري معهُ . وهو في الباطن يختشي حدوث ما لا يرضاهُ لان الاحقاد الكامنة بين النصارى والدروز كانت قد اخذت في الظهور . وتطاول احد الفتيان عليهِ ووجهَّ جريدة اليهِ وهو يقول خذها يا امير احمد ولا تقل اني غدرتك فاستلق الامير احمد الجريدة بمحجن كان في يدهِ ولم يحذفهُ بها . وكان ابنا الامير عباس اخوا الاميرة سلمى هناك فبادرا الى الذي رمى الجريدة وتكلما معهُ لان امهما اوجست شرًا من حضور ابن اختها فاوصت ابنيها ان لا يفارقاهُ وقالت لهما ان العيون محمَّرة فلا تدع ابن خالتكما وحدهُ

ولما انتهى الميدان واصيب الفتى بجريدة فقئت عينهُ . قال بعض الحضور ان هذا الامير الافرنجي لا بد وان يكون عارفًا بالطب فاتوا بالفتى اليهِ فنظر واذا العين قد فقئت تمامًا فقال للامير احمد لا ارى ان رد النظر اليها في الامكان ولكن يجب ان تعالج لكي لا تلتهب ويمتد الالتهاب الى اختها ثم نزع ورقة من جيبهِ وكتب لهُ سطرين الى طبيب في بيروت ليذهب اليهِ بها فاخذها الفتى وقبل يدهُ

ثم سار الموكب في طريقهِ كأَن عين ذلك الفتى ذبابة كانت على رأْسهِ فاطارتها الجريدة عنها حتى اذا بلغ الموكب دار العروس في كفرشيما علت الزغاريد وطلقات البنادق واصوات الطبول والزمور وبادر رجال القرية الى استلام الخيول والمشي بها . وتصافح الامراء ودخلت ام العريس واعتنقت كنتها، ثم قُدمت القهوة والشبقات ومُدَّت اسمطة الطعام من الخرفان المحمرة والديوك المقمرة والرز المفلفل والالبان والاسماك وانواع الحلوى . ولما فرغ الامراء من الطعام جلس الاهالي والاتباع افواجًا افواجًا حتى اذا امتلأَت الخواصر وفرغت الجفان انتظم الموكب ثانيةً وقامت العروس فودعتها الاميرة سلمى وكاد يغمى عليها واعتنقتها الاميرة هند وهي تبكي لانها ربتها بعد وفاة امها فكانت مثل ام لها وودعها ابوها وزوجتهُ لانهُ كان قد تزوج بعد وفاة امها . فخنقت العبرات الاميرة صفا لا سيما وانها تذكرت امها وشعرت حينئذٍ باليتم شعورًا اليمًا لم يخامر قلبها من قبل . ثم اركبوها وساروا بها الهوينا وهم ينشدون

الفصل العاشر

المجمع البطريركي

شمالي لبنان مقر المردة ومعقل رجال الدين .عصى قياصرة الروم ولم يخضع لخلفاء المسلمين بل كان ينازعهم السلطة في بلاد الشام . وكان لامرائهِ السيادة المطلقة من اورشليم الى انطاكية يحاربون بني امية كما يحارب الاكفاء بعضهم بعضاً . واستمروا على ذلك الى ان وقع الخلاف الديني بينهم وبين اراخنة القسطنطينية فعاون الروم العرب عليهم وتوالت السنون وهم لا يزيدون قوة ولا تزيد بلادهم اتساعاً فضعف شأنهم رويداً رويداً الى ان انقرضوا وبقيت السيادة لرجال الدين لانهم يتجددون بالانتخاب فبنوا اديرتهم على كل معقل واستأثروا بجانب كبير من املاك البلاد

في دير من هذه الاديرة فوق زوق ميكائيل شمالي الطريق الى بزمّار دير بكركي لرهبنة انشأتها فتاة حلبيَّة اسمها هندية جاءت كسروان واشترت اولاً دير ما عبدا المشمّر وانشأت فيهِ الرهبنة ثم استحسنت موقع بكركي وطلبت من رهبانهِ المقايضة فاعطتهم ديرها واخذت ديرهم وبنت فيهِ بناءً كبيرًا انفقت عليهِ اربعين الف ريال وكانت عازمة ان تزيدهُ فخامةً واتساعاً فجاءتهُ بثلاثين الف حجر منحوت وباعمدة عظيمة من الرخام . ولكن قام عليها مبغضوها وشانئوها ونسبوا اليها السحر والضلال فاضطرَّ البطريرك يوسف التيان الى الاستعفاء لانهُ كان من ناصريها وحرمتها الكنيسة وحرمت اعمالها وحلَّت رهبنتها وبات الدير قفرًا لا يأوي اليهِ غير البوم ويقال ان احد المطارنة احرق الثلاثين الف حجرًا كلساً زاعماً ان الحرم تناولها

وكان بطاركة الموارنة يقيمون في دير قنوبين في شمالي لبنان فاختاروا الاقامة في كسروان في الايام الاخيرة لانها مقر وجهاء الموارنة فكانوا ينزلون في الدير الذي يختارونهُ الى ان تنصَّب البطريرك يوسف اسطفان فعقد المطارنة مجمعاً في دير مار يوسف الحصن في غسطا حضرهُ القاصد الرسولي وقرروا في جملة ما قرروهُ ان يكون الكرسي البطريركي في بكركي ثم تكرَّر هذا القرار في مجمع آخر ولكن لم يعمل بهِ . فلما تنصَّب البطريرك يوسف حبيش عمل بهِ واقام في بكركي وخلفهُ البطريرك يوسف الخازن فراد البناء . وامام الدير ميدان صغير في آخرهِ شجرة ميس قديمة العهد وكثيرًا ما يمشي البطريرك والمطارنة فيهِ يتلون فروض الصلاة

وفي تاريخ الدويهي ان بكركي كانت بلدة كبيرة في اوائل القرن الخامس عشر والمنظر منها جميل جدًّا يطلُّ على كل بلاد الساحل من جبيل الى بيروت وما وراءها جنوبًا

فقالت امها ان احمد اعقل من ان يغترّ بنفسهِ ون بلاد كسرب كلها قائمة قاعدة وفرنسا
منا والانكليز لا يساعدونهم ولو تظاهروا بمساعدتهم . الى كل احد يقول الآن ان هذا
لاميرالانكليزي جاء مع احمد لانهُ حليف لهُ مع انهُ جاء كي يشاهد العرس والميدان لا غير
ا قال لي احمد نفسهُ وقد اوصيت احويك ان لا يفارقهم حوفاً من امر يحدث . ان احمد
ن اعقل الشبان وهو يحبك جدًّا وقد قال لي بالامس انك ما عدت تلتفتين اليهِ
فصمتت الاميرة سلمى ولم تقل شيئاً وانتهى الحديث على هذه الصورة . ولكن لما خلعت
بابها لتنام فكَّرت طويلاً في امر يشغل بالها وذرفت دمعتين سخينتين ثم القت رأسها على
سادتها وسلمت نفسها لسلطان الكرى وهي لا تعلم شيئاً مما جرى لابنة عمها

وعاد السر هنري الى بيروت تلك الليلة وجلس بعد العشاء يكتب لامهِ ووصف لها
ا رآهُ في يومهِ . وصف الميدان ولعب الجريد وتهادي اجياد العربية بما عليها من الحلى .
ملابس الامراء المقصبة . واشار الى الفتى الذي فقئت عينهُ وعجب من رضوخ الناس للذل
إعتقادهم القضاء والقدر . ثم وصف ما رآهُ في بيت العروس واسهب في وصف المآكل
جلوس الامراء حول السماط على المساند وانتقل الى وصف الاميرات وملابسهنَّ وحلاهنَّ .
كان قد رأى الاميرة سلمى واقفة الى جانب ابنة عمها الاميرة صفا كأنهما بدران او لؤلؤتان
لما شرع في وصفهما ارتجف القلم في يدهِ وأرتج عليهِ فكتب يقول اخاف ان اصف لك
جمال هاتين الاميرتين فتطَّلع اقلين على كتابي وتقول اني نسيتها حتى صرت ارى غيرها جميلاً
مثلها . الجمال الشرقي غير الجمال الغربي . الجمال الشرقي مسلَّح والجمال العربي اعزل . تنظر
لفتاة الشرقية اليك بعينيها فتشعرين كأنها راشت سهامها ورشقتك بها اما الفتاة العربية
تنظرين في زرقة عينيها كاساً سائغة تودين ارتشافها . ثم قال
لم اهتدِ حتى الآن الى المغارة ولكن بلغني اليوم انهم عثروا على مغارة قرب التويفات
فيها اسلحة قديمة وسامضي الى هناك في هذين اليومين . اذا وجدتُ رفات جدي والوثيقة
فسأُسمّي نفسي امير لبنان وآتي باقلين الى هنا فتكون اميرة لبنان هذه احلام اهدس بها
احياناً ولكن قلبي يحدثني ان اقلين نسيتني انساها اياي اللورد كارو الذي كتبت لي عنهُ .
اخبريني عن كل ما قالهُ لها بالتفصيل وعن مقام هذا اللورد بين قومهِ فانني لا اعرفهُ
ثم ذكر لها اموراً اخرى عن احوال الجبل وثورة الافكار فيهِ وختم الكتاب وهو يود
الرجوع الى وصف الاميرة سلمى وقلمهُ لا يطاوعهُ كأنهُ يرى حرماً حُظر عليهِ الدنوُّ منهُ

وخاف بعضهم عواقبها وكثر الجدال بينهم ولا سيما بين مطران بيروت ومطران عكاء واخيرًا تكلم مطران دمشق وكان مسموع الكلمة لتقواه ُ وقال ان نحن جرينا على الخطة التي فصَّلها لنا حضرة الترجمان فقد لا يكون الضرر جسيمًا في نواحي لبنان ولكن المدن البعيدة كدمشق لا تسلم من الافراط ونحن هناك شرذمة صغيرة فلا تبقى منا بقية وما فائدتنا من اصطلاح الاحوال بعد ان نمسي من الغابرين. فقال له ُ الترجمان لقد اوصينا بكم اميرًا مقدامًا عندكم وهو تكفل بمنع كل افراط ولا نظن انهُ يصاب اكثر من اثنين او ثلاثة وقد لا يصاب احد بل يكتفي بنهب بعض البيوت وان كانت حادثة البادري توما اقامت اوربا واقعدتها والقاتل مجهول فكيف اذا حدثت ثورة عامة وبدا اعتداء مقصود

وبعد جدال طويل واخذ وعطاء اجمعوا على ارسال جانب من الرجال المسلحين الى ساحل بيروت وجانب آخر الى جهات زحلة ثم يعود الفريقان من حيث اتيا

الفصل الحادي عشر

المشكل الجديد

ركب الامير احمد وركب معهُ ثلاثة من رجالهِ وهم بالسلاح الكامل لان النزول الى بيروت لم يعد مأمون العاقبة تمامًا . ولما وصلوا الى الغدير اضطروا ان يصعدوا الى مخاضتهِ لان الماء كان غزيرًا فيهِ على اثر الامطار الكثيرة التي وقعت في الشهر الماضي . ووصلوا الى بيت الكولونل روز نحو الساعة العاشرة صباحًا . ودخل الامير احمد الى مكتب الكولونل واما رجالهُ فدخلوا غرفة في الدار الخارجيَّة وكان الكولونل في انتظارهِ ومعهُ السر هنري بدمونت فرحَّبا بهِ وكان البرد شديدًا مع ان الجو كان صافيًا والشمس مشرقة وقد اوقد الكولونل نارًا كبيرة في موقد حديدي دفئت بها الغرفة . ولما استقرَّ المقام بالامير قال له ُ الكولونل بلغني ان ابناء عمك وجمهور المشايخ عازمون على مقاومة القوة بالقوة وهم على تمام الاستعداد وان دروز وادي التيم متحفزون مثلكم وقد كاتبتم دروز حوران وعربها وكلهم قلب واحد معكم

فقال الامير لا يمكننا ان نخفي استعدادنا ولكن غرضنا محصور في الدفاع فاذا اعتدوا علينا اضطررنا ان ندافع عن انفسنا

الكولونل — ان كلمة الاعتداء كلمة مبهمة غير محدودة فغدًا يتهارش كلبان او يتخاصم رجلان او يُقتل زيات في احد الخانات فتقوم القيامة ويدَّعي كلُّ فريق انهُ اعتدي عليهِ . وما دامت القلوب ملآنة فلا بدَّ من افراغها وقد كنت اظن ان كلامي لك في السنة

ان حوادث الجبل المشار اليها في الفصول السابقة جعلت بطريرك الموارنة يدعو المطارنة
وه الطائفة الاجتماع والمذاكرة في ما يجب عمله اذا قام الدروز لمحاربة النصارى ·
تمع لديه جماعة منتقاة لا تتجاوز اثني عشر نفساً وهم مطران بيروت ومطران صور وصيداء
ران عكاء ومطران قبرص ومطران الشام والخوري نعمة الله الدحداح كاتب السر
وري يوحنا الحاج قاضي النصارى . ومن الوجوه الامير امين منصور ابو اللمع ويوسف بك
م والشيخ كنعان الخازن والشيخ صالح الخازن وترجمان قنصلاتو فرنسا في بيروت
المجلس رهيب البطريرك في صدره والمطارنة على جانبيه واكثرهم شيوخ عركوا الدهر
ضهم درس في رومية واطّلع على اخبار الامم الغابرة والحاضرة وعرف تاريخ لبنان وما
ب عليه من ايام النعيم والبؤس. فدارت المذاكرة على احوال الجبل من حين تولاَّه عمر باشا
سوي فانهُ تولى امارتهُ واتخذ بتدين داراً للولاية واتخذ لهُ مديرين الشيخ خطار العماد
شيخ منصور الدحداح الاول درزي والثاني ماروني وولى الشيخ فرنسيس ابا نادر الخازن على
سروان والشيخ ظاهر منصور الدحداح على الفتوح · وولى على بلاد جبيل والبترون والكورة
ثة من المشايخ الحمادية فنفرت الخوازنة من الضمام ولا يأتيهم الثلاث الى واحد منهم ونفرت
ارى جبيل والبترون والكورة لان الحمادية مرفوعة ولا يتهم عنهم منذ نحو ستين سنة .
ان عمر باشا اتخذ النصارى احلافهُ ليرضوا بولاية الدولة وجند منهم الجنود وجعل
نتيري وابا سمرا قائدين عليهم وكتب مصطفى باشا والي بيروت الى البطريرك يثني على
برته في خدمة الدولة وارسل اليه هدية نفيسة ظرف فنجان مجوهراً ولكن الافعال التي فعلها
يب باشا بالدحادحة والدسائس التي دُسَّت للدروز لينتقضوا على عمر باشا ويحاربوهُ ثم
سمة البلاد الى قائمقاميتين متناظرتين ثم الى ولايتين وتجدُّد الفتن واستمرارها — كل ذلك
كَّن الضغائن والاحقاد في قلوب النصارى والدروز

هذا من حيث اهالي لبنان ونسبتهم بعضهم الى بعض وكأن الحروب الاهلية التي
ستمرت مئات من السنين لم تكفِ لزعزعة اركان الجبل والتنكيل باهله فتسلَّط عليه عاملان
آخران يرميان بسهم واحد الى غرضين مختلفين الواحد يريد التنكيل بالنصارى لكي يتحزَّب
م اهل ملتهم من الدول الاوربيَّة ويسعوا في تغيير الحالة الحاضرة والثاني يريد التنكيل بهم
كي يجد سبيلاً لحمايتهم واحتلال البلاد

وكان مدار الكلام في المجمع البطريركي على شؤون الجبل وما يجب عملهُ في تلك
الاحوال وكان كثيرون من الحضور غير عارفين الغاية المقصودة فلما شرحت لهم بهتوا

تهيأتم للحرب فالحرب حادثة لا محالة واذا لم تتهيأُوا لها لم تحدث واذا حدثت فلا بدَّ ما تدور الدائرة على النصارى وحينئذٍ تبادر دولة من الدول الاوربية الى احتلال بلادكم وربما لا تمضي بضعة اشهر حتى تروا بوارجها في مرفإِ بيروت وجنودها على رُبى لبنان وانتم ادرى بما تصير حالكم اليهِ حينئذٍ . وقد تقول لي كيف يمكن ان نصل الى هذه النتيجة والوالي يحرضنا على القتال فاقول لك ان الوالي قصير النظر في العواقب وهو واضرابهُ في القسطنطينية يرمون الى غرض آخر وربما تحقق امنيتهم ولكنهم لا يعبأُون بكم لان السلطنة واسعة فلا يحسبون حساب بقعة صغيرة مثل لبنان ولكن لو علموا ان العاقبة تكون كما تقدّر الدول الاوربيَّة لعدلوا عن هذا التحريض

فادرك الامير غرض الكولونل تماماً ولكنهُ كان يرى يدهُ مغلولة عن العمل لا سيما وان امرًا آخر شغل بالهُ منذ شهرين من الزمان فان امهُ كانت تحبب اليهِ الاقتران بالاميرة سلمى ابنة خالتهِ وهذا كان غرض خالتهِ ايضاً وكانت الاميرة سلمى تنظر اليهِ كما تنظر الى اخويها واذا كلمتها خالتها في ذلك تلميحاً غيَّرت الموضوع ولم تبدِ الرفض التام فلما دنا زفاف الاميرة صفا طلبت منها خالتها جواباً صريحاً فاجابتها انت ترين اضطراب الاحوال ياخالتي والشهابيون عن بكرة ابيهم لا يحتملون ذكر الارسلانيين فما هذا وقت النظر في هذه الامور

فعادت خالتها واخبرت ابنها بذلك فزاد انشغال بالهِ وكان قد رأى اضطراب الاميرة سلمى واحمرار وجهها لما شاهدت السر هنري بدموت فاوجس شرًّا حتى لم يعُد يدعوهُ الى الشويفات وكان وهو يكلم الكولونل روز في هذه النوبة ينظر الى السر هنري من وقت الى آخر وهو يحسب انهُ يرى امامهُ خصماً عنيدًا حتى اذا فرغ من الحديث السياسي التفت اليهِ السر هنري باسماً وقال لهُ عسى ان تطمئن القلوب فنعود الى التفتيش عن المغارة

فلم يسعهُ الاَّ العود الى المجاملة فقال لهُ لا ارى الآن ما يمنعنا من التفتيش فتعال شرفنا وقتما تريد . فشكرهُ السر هنري ووعدهُ بان يزورهُ بعد ايام قليلة ثم قال لهُ ولكن ما هذا الخبر الذي سمعناهُ وهو ان العروس التي حضرنا عرسها خُطفت من بيت عريسها

فقال الامير احمد نعم وقد اشاعوا ان الجن خطفتها خرافات العجائز والحقيقة مجهولة حتى الآن فمن قائل ان واحدًا من الفلاحين اي من غير الامراء كانت تحبهُ وقد اتفقت معهُ على الهرب ومن قائل انها كانت تريد ان تترهب فمنعها ابوها من ذلك لكنها اتفقت مع بعض الراهبات فخرجت الى بيت في جوار بيت عريسها ولبست هناك لبس الراهبات وهربت معهنَّ ومن قائل غير ذلك وابوها غير مهتم بها والفتاة التي لا امَّ لها ليس لها من يهتم بامرها

الماضية اقنعك بالعدول عن هذه الخطة وجعلت تقنع ... عمك بالعدول عنها فلا ارى حتى الآن الا ندفع الشر ونحذر القتال فنوفق للاحتياطات في كل خطوة ولا نصغي لمشورة الوالي فقل لابناء عمك ان مساعدتنا لهم ليس لها حد محدود ودفاعنا عنهم لا يجدي نفعًا الا اذا كان الحق في جانبهم فان الحق هو الذي يقوينا على الدفاع

الامير — كن على ثقة يا سعادة القنصل اننا لا نكون البادئين . وانا معكم في ان كلمة الاعتداء غير محدودة المعنى ولكني اؤكد لسعادتكم اننا غير عازمين ان نلجأ الى القوة الاَّ اذا طفح الكيل فاذا قتلوا منا واحدًا هنا وواحدًا هناك واعتدوا علينا في جهات مختلفة فمهما نوفق حاصتنا وبذلوا من الجهد في تسكين العامة والعامة لا تستكن ولا تسكت ومحال على احد الفريقين ان يمنع الشرَّ اذا ارادهُ الفريق الآخر لان الفريق الذي يريدهُ يتذرَّع اليهِ بكل وسيلة فلماذا لا يجتمع القناصل كلهم ويوجبون على النصارى ان يكفُّوا عن الابتداء بالشر

فتنهَّد الكولونل ونظر الى صورة معلَّقة امامهُ على الحائط تمثل ملكة الانكليز والامبراطور نبوليون الثالث واقفًا امامها يقبّل يدها فقال في نفسهِ ما ابعد الظواهر عن البواطن وكيف يركب اهل السياسة كل مركب خشن في سبيل الوصول الى مقاصدهم وكان قد بلغهُ اجتماع المطارنة والمشايخ في دار البطريرك فان قواس القنصلاتو سمع الترجمان يتكلم مع المطران وهما راجعان على الخطَّة التي قرَّ القرار عليها وكان قواس قنصلاتو انكلترا نسيبًا لهُ فاخبرهُ بما سمع وهذا اخبر الترجمان واتَّصل الخبر بالقنصل فرآهُ معقولاً ومنطبقًا على ما اتاهُ الخبر بهِ من وزارة الخارجية بناءً على ما وصلها من السفارة في باريس فاستدعى الامير احمد لكي يحذرهُ وكان يعلم ان الوالي يحرّض الدروز . واذا سمعتَ كلام الفريقين لا تجد عليهما ممسكًا ولا تقطع بان الشر ينتج عنهُ . واي لوم على مَن يقول لك كن على حذر واعلم اني لا اتركك اذا رأيتُ عدوك اعتدى عليك او يقول لك استعد لخصمك ولكنك اذا رأيتهُ اعتدى عليك فلا تقابل القوة بالقوة فتضعف حجتك وتمنع صديقك من مساعدتك بل استمت لخصمك قليلاً فيأتي الصديق لمعونتك وتكون الغلبة اتم . القولان سياسيَّان محكمان واغراض اهل السياسة لا تنال باقل منهما

هذه الخواطر خطرت كلها على بال الكولونل في تلك اللحظة التي كان ينظر فيها الى الصورة فان الافكار اسرع من الكهربائية في حركتها وهي مثل صورة كبيرة تمثل معركةً من معارك القتال او حادثة من حوادث التاريخ تلمحها لمحة واحدة فتتجلى لك تلك الواقعة او الحادثة بملابساتها الكثيرة في لحظة من الزمان

ثم التفت الى الامير وقال لهُ ان الذي اراهُ وتدل الدلائل كلها عليهِ هو انكم اذا

ان بعض اعمامهِ تظاهر بالاسلام ولكن ذلك لم يكن من مذهبهِ فوقع في حيرة ولا حيرة الضب

الفصل الثاني عشر

بوادر الحب

بُذلت الوسائل كلها في التفتيش عن الاميرة صما لا من قبل ابيها لانهُ كان قليل الاهتمام بها بل من قبل عريسها وذويهِ فانهم حسبوا اختفاءها عارًا لايمحى وزادهم قلقًا تلبُّس الامر عليهم فبعثوا بالرسل الى كل ناحية وصوب بعد ان فتشوا بيوت القرية كلها فلم يقفوا لها على اثر وكان يأتيهم كل يوم رجل بخبر جديد فيبحثون و يفتشون فلا يجدون لخبرهِ صحة وجاءهم رجل ذات يوم وقال انهُ كان ذاهبًا الى جهة بسكنتا فامسى عليهِ المساء وغامت السماء فخاف من المطر والليل حالك الظلام والطريق وعر لا يسلك ولا سيما بعد ان مرّ فيهِ السيل وخرّبهُ فقصد ديرًا من اديرة الراهبات قريبًا من الطريق وطلب من البواب ان يسمح لهُ بالنوم عندهُ فامتنع البواب اولاً عن اجابة طلبهِ ثم رأى اشتداد الريح فخاف ان يموت بردًا اذا لم يسمح لهُ بالمبيت عندهُ ونحو نصف الليل قرع الباب فقام البواب وفتح واذا امام الباب رجلان معهما امرأة في زي راهبة وهم راكبون خيولاً فدخلا بها ووقف الثلاثة في الصحن الخارجي ودخل البواب وقرع الباب الداخلي فجاءت راهبة فتحتهُ وادخلت المرأة واقفلت الباب وعاد الرجلان من حيث اتيا

فلما سمع الامير ذلك قام في نفسهِ ان هذه المرأة هي عروسهُ نفسها لانهُ شاع وذاع انها كانت عازمة على الترهب فقام من ساعتهِ ونزل الى بيروت واخبر المطران بما سمعهُ من هذا الرجل فاكد لهُ المطران ان الخبر كاذب لان الراهبات لا يقبلن فتاةً عندهن ما لم يأتِ بها اهلها ولاسيما بعد ما حدث من القيل والقال في مسألة الراهبة هندية اما الامير فلم يكتفِ بهذا النفي بل طلب من المطران ان يرسل ... تحقق لهُ الامر فقال ان هذا خاص بسيدنا البطريرك وسارسل الآن اخبره بما وقع و ننتظر اوامرهُ. وكان مع الامير كيس فيهِ عشرون ذهبًا فقدمه الى المطران اجرة قداديس فامتنع المطران عن اخذها اولاً ثم اخذها وقال للامير كنت اظن انك تسمح لنا بنصف المطحنة كما سمحت امك بالنصف الآخر حتى تصير كلها للكرسي فعبس الامير لان ايجار المطحنة السنوي ثلاثة آلاف غرش ولو اراد ان يبيعها لبيعت بثلاثين الفًا او اكثر ولكنهُ عاد فرأى حرج موقفهِ فقال للمطران الذي تقولهُ سيادتك يصير. واتفقا على ان يكتب لهُ حجة بالنصف الثاني من المطحنة فتصير كلها للكرسي

فقال السر هنري لعلك تقصد [illegible] لا [illegible] بعد [illegible] عنها شيئاً فهل [illegible] اليها

فقال الامير كلا ولا قد اسمع شيئاً [illegible] غير ما يتعلق بالقلاقل التي في الجبل [illegible]

ثم قام وودّع القنصل والسر هنري [illegible] العشاء فاعتذر بانهُ مدعو للعشاء عند احد [illegible] ومرَّ في طريقه على بيت ابي فخر وهو لا يلتفت يمنةً ولا يسرة مخافة ان يرى ذلك الرجل فيبصر به [illegible] فلما رآهُ قادماً قام لاستقباله ودعاهُ لينزل ويشرب فنجان قهوة فاعتذر بقرب اوان الظهر وان عمهُ في انتظاره فجادلهُ ابو فخر وكانت الشمس قد غابت وابتدأ وقوع المطر فلم يرَ لهُ بدّاً من التخلص منهُ باية واسطة كانت فودّعهُ واعمل مهمازه في خاصرة جواده وكان عمهِ دار في بيروت يمشي فيها فسار اليهِ مع رجالهِ الثلاثة وهم يعدون عدواً وكان في الطريق صبية يلعبون تحت المطر فلما رأوا الخيل عادية قاموا ليهربوا من وجهها فهرب واحد منهم اليها فداسهُ فرس احد اتباع الامير وخرجت امهُ في تلك الخطة تجري بسبب عدو الخيل فرأت ابنها يختبط بين قوائم الفرس فجعلت تزعق وتصيح واجتمع الناس على صياحها وعلت الضوضاء وترجل الامير ليرى ما حلَّ بالولد فترجل رجالهُ معهُ وكان في قهوة مجاورة كثيرون من اهل العطلة فالتفُّوا عليهم وكان الولد حيًّا ولكن كسرت ذراعهُ وشدخ رأسهُ ونزف الدم الكثير منهُ واتفق مرور ضابط في ذلك الطريق ومعهُ بعض الجند فراد صياح النساء وعرف الضابط الامير فطلب منهُ ان يذهب معهُ الى الوالي وحمل الجند الولد لكي يمضوا بهِ الى حيث يقيم طبيب العسكر واعطى الامير احمد ام الولد كل ما معهُ من النقود فرمتهُ بها وهي تقول قتلت ابني وانت تبرطلني بغرشين وحاولت ان تلحق بهِ فردها العسكر عنهُ فجعلت تتناول الحجارة وترشقهُ بها ووقع حجر منها على فرسهِ فرفس وجمح وكاد يتفاقم الخطب وبينما هم على هذه الحال مرَّ بهم الوالي ذاهباً الى الجامع لاجل صلاة الجمعة فترجل الامير ورجالهُ حالاً ودعاهُ الوالي للذهاب معهُ فوقع في حيرة لا هو يريد ان يخالف امر الوالي ولاهو يستطيع ان يجيبهُ اليهِ وان اجابهُ فقد لا يُسمَح لهُ بدخول الجامع . واذا جاءت المشاكل ضاقت حلقاتها حتى يضيق المرء بها ذرعاً مهما كان رحب الصدر واسع الحيلة . هنا ولد مضرج بالدماء وامهُ تصيح وتستغيث واهالي بيروت يستخفون باهالي الجبل كلهم و يعدونهم فلاحين ولوكانوا امراء ومن نسل الملوك . والوالي الذي يفضل الامير احمد ان يخسر اية خسارة كانت ولا يراهُ في ذلك الوقت امرهُ بالذهاب معهُ والدخول الى الجامع والصلاة فيهِ وهذه مشكلة اخرى لم يكن ينتظرها نعم

الفصل الثالث عشر

حل مشكلة

وقف الامير احمد امام باب الجامع وهو يضرب اخماساً لاسداس فضاقت في وجههِ المذاهب وتصبَّب جبينهُ عرقاً بارداً ورأى الوالي حيرتهُ فظاهر بانهُ لم يرَ شيئاً ووقف معهُ يكلمهُ في الصحن والجماعة تصلي وراء الامام ثم دار معهُ ومشيا الى جهة الميضئة وكان يحسن التركية والوالي يسرُّ بحديثهِ وقد علم انهُ آتٍ من دار قنصل الانكليز لكنهُ لم يشر الى ذلك بل حصر الكلام في تغلب النصارى على الدروز في حادثة بيت مري التي حدثت في الصيف الماضي وكيف انهم اثخنوا فيهم وحرقوا قراهم . قال وانت تعلم غيرتي عليكم وحسباني اياكم سيف الدولة ولكن الصدر الاعظم لم يكن يهتم بشكاوي حينئذٍ الاهتمام الواجب لانشغال الدولة بامور اخرى اهم من مسائل لبنان فلما تمهَّدت تلك الامور اتجه الالتفات العالي الى الجبل وفي النية قصاص الذين سببوا هذه الفتنة . وها عمك وجميع المناصب والمشايخ موافقون على ذلك ويقيني انك انت معهم ايضاً

فقال الامير انا ابن الدولة وعبدها المطيع . وكان كلام الكولونل روز لا يزال يتردَّد في ذهنهِ وهو انهُ اذا دارت الدائرة على النصارى تبادر دولة من الدول الاوربية الى احتلال بلادكم . وصمت قليلاً ثم قال ولكن هل تأذنون دولتكم لي في الكلام بحرية وصراحة . فقال الوالي قُلْ ما تشاء فقال هبْ ان الحرب الاهلية نشبت وانا انتصرنا على خصومنا بمعونة الله وبتأييد دولتكم لنا افلا تكون النتيجة ان دول اوربا ترسل مراكبها الحربيَّة وتحتل البلاد حالاً

تبسم الوالي وقلب شفتيهِ وقال كن مطمئن البال من هذا القبيل فان دول اوربا متخاصمة متناظرة ولا يمكن لدولة منها ان تسمح لاخرى باحتلال هذه البلاد . واحبُّ ما علينا ان نقيم المنافسة بينهم حتى نخلص من شرهم

الامير احمد . حلمك يا افندينا فاني قرأت في التاريخ ان دولة واحدة منهم تحسب حامية المسيحيين في الشرق والدول الباقيات يسلمن لها بهذا الحق

فقطَّب الوالي وجههُ لكنهُ قال ان هذا الكلام حبر على ورق فدولة فرنسا تدعيهِ ودولة المسكوب تنازعها فيهِ والحق للقوة ألا ترى ان الفرنسويين ساعدوا محمد علي والانكليز قاوموهم وغلبوهم وانا واثق ان الانكليز معنا في هذه النوبة ايضاً ولذلك لا الومك لاجل ترددك على قنصلهم ألا ترى انهُ معنا

وكانت الاميرة سلمى اكثر الشهابيات اهتماماً بهذه الخطبة لانها عشيرة صباها وقد ربيتا معًا وحالما بلغها الخبر عرفت حقيقته ولكنها كانت تحسب ان بنت عمها عدلت عن عزمها ورضيت بأبي قاسم لما رأت من صفاته التي قد احبتها. بما عزمت عليه منذ اكثر من نصف سنة ثم لما لجّ الامير قاسم في طلبها ولم ترَ لها مندوحة من قبوله ولاسيما بعد ما رأت من اضطهاد زوجة ابيها لها ورأت ان سلمى لا تشجعها على عزمها وتتهاون في الامر انها طلبت منها ان تترك بيت ابيها وتأتي وتسكن معها — لما رأت منها ذلك تظاهرت بالقبول ولم تعُد تبوح لها بشيء وكانت كبيرة النفس قليلة الكلام فدبّرت امرها على مهل وكانت تعلم خطر السبيل الذي سارت فيهِ ولكن لسان حالها كان يقول

اذا لم يكن الّا الاسنة مركبٌ فلا يسع المضطر الّا ركوبها

وكانت الاميرة هند كثيرة الاوهام تصدق ما يقال عن الجن والعفاريت فقام في نفسها ان الجن خطفت ابنة سلفها لكنها رأت الامر فادحًا رهيبًا حتى لم تجسر على التفكير فيهِ بل خافت ان تذاكر ابنتها بهِ وسرّت الاميرة سلمى باعتقاد امها ذلك لكي لا تضطر ان تكذب عليها اذا سألتها عمّا تعلمهُ من امر ابنة عمها لكنها بقيت مضطربة البال عليها ولم يعد يهنأ لها عيش ومرت الايام وهي لا تزيد الّا قلقًا. وكثيرًا ما كان يخطر ببالها المستر هنري بدمونت فتسرّ بالخاطر وتجاريهِ او تنفيهِ من ذهنها وتتسلى عنهُ بعمل تعملهُ او كتاب تقرأهُ. ثم كثر تردُّدهُ في بالها ولم يعد يفارقها بسهولة فقلقت اولاً من جراء ذلك ثم رأت انها مدفوعة الى محبتهِ رضيت اوكرهت فلم تعد تحاول المحال بمحو صورتهِ من ذهنها وصارت تودُّ ان تراهُ او ترى منهُ اقل علامة تدلها على ان في قلبهِ مثل ما في قلبها. ولما مضت ايام كثيرة ولم ترهُ ولا سمعت عنهُ شيئًا صارت تقيم في رواق يشرف على طريق الشويفات وكلما رأت فارسًا احدقت بنظرها اليهِ . ولم تنقطع عن لوم نفسها وكثيرًا ما قامت الحرب بين عقلها وقلبها — يقول عقلها هذا شاب اجنبي رأيتهِ مرتين لا غير والمرجح بل المؤكد انهُ نسيكِ الآن ولم تعودي تخطرين ببالهِ فما هذا الغرور بل هذا الجنون. فيجيبهُ قلبها لو لم يكن في قلبهِ عاطفة اليَّ ما كان فيَّ هذه العاطفة اليهِ والّا فما معنى قولهم ان القلوب شواهد والحب متبادل ناهيك عن انهُ في المرتين اللتين رأيتهُ فيهما نظر اليَّ نظرًا غير عادي وفي المرتين كان الحياء يصبغ جبينهُ وكان يسترق اللحظ واذا نظرت اليهِ غضَّ طرفهُ ولم ارَ شيئًا مثل ذلك في كل الشبان الذين عرفتهم ولا في احد . ثم يخفق فؤادها وتشعر كأن حجرًا ثقيلاً وضع على صدرها وهي تحاول كتمان ما بها عن كل احد

وخيمة علينا ولا نعود نستطيع السكن في البلاد بل نضطر ان نرحل منها واروه مكاتيب واردة اليهم من دروز حوران ووادي التيم فقرأها وتمعّن فيها مليًّا وجاراهم في الحديث . ثم جلسوا للطعام وغيَّروا موضوع الكلام امام الخدم وجلسوا بعد ذلك ينظرون في تدبير المال اللازم لما يقصد من الاعمال لان الوالي وعد بكل مساعدة حتى بالرجال والسلاح ولكن خزينته افرغ من جراب ام موسى . وكان الخواجه بخور قد انتقل الى بيروت بعد ما وقف على رأي الامير المغربي فزاره عم الامير احمد وطلب منهُ ان يقرضهُ الف كيس اي خمس مئة الف غرش وهو يرهن لهُ ما يملكهُ من الزيتون في صحراء الشويفات واختلفا على المدة ومعدل الربا فالامير طلب ان تكون المدة اربع سنوات ويكون الربا اثني عشر في المئة والخواجه بخور طلب ان تكون المدة سنتين فقط ويكون الربا عشرين في المئة وان الامير احمد يضمن الدين مع عمهِ ولذلك لم يتفقا

وجاء الخواجه بخور حينئذٍ لرد الزيارة ومشاهدة الامير احمد لانهُ كان يعرف اباهُ وكان بينهما صداقة قديمة . ولم تطل اقامتهُ حتى اتصل الكلام الى مسألة الدين . فقال الخواجه بخور لقد بلغت الديون التي استدانها منا جمهور المشايخ والبكوات حتى الآن اكثر من ثلاثين الف كيس وكلها بفائدة عشرين في المئة فلا يخلصنا ان نعطيكم باقل من هذه الفائدة لان النقود صارت عزيزة في هذه الايام ولا سيما بعد ما عقدت فرنسا قرضاً وعقدت سردينيا قرضاً آخر استغرقا كل الاموال التي في ايدينا وانتم تعلمون مقدار القلاقل المنتشرة في البلاد كلها ولولا علمي ان الفوز يكون لكم اخيراً لان الدولة معكم ما كنت اخاطر بغرش واحد ولكن مع ذلك من يدري ماذا تكون العاقبة

فجعل الامير احمد يتوسَّل اليهِ ليتساهل مع عمهِ ويجعل الربا خمسة عشر في المئة ويعفيهُ من الضمان لان عمهُ يستصعب ذلك . ومما قالهُ لهُ ان الاملاك التي سيرهنها عمي لك تساوي خمسة آلاف كيس على الاقل افلا ترهنها على الف كيس لقد زدتموها يا خواجه بخور وهذا ليس من العدل ولا من الانصاف ونحن اصدقاؤ من زمان طويل

فقال الخواجا بخور ليس في اليد حيلة يا امير احمد وانت تعلم اني لست وحدي وان اولاد عمي لا يتنازلون عن غرش واحد

فاخبرهُ الامير احمد انهُ استدان من بيت طراد ولم يدفع سوى ٩ في المئة نعم ان المبلغ الذي استدانهُ زهيد ولكنهُ لو طلب منهم الف كيس بهذه الفائدة لاعطوهُ

فاجابهُ الخواجه بخور ان هذا يكاد يكون ضرباً من المحال في هذه الايام وانهُ لو طلب

والتفت الامير احمد حينئذٍ الى الباب فرأى الناس قد اخذوا في الخروج فقال في نفسهِ اني اخلص من مشكل واقع في آخر لكنهُ كان قوي البداءة فاجاب الوالي قائلاً نعم اني ارى منهُ كل تشجيع لنا وغيرة على دولتنا ويظهر لي من كلامهِ ان الانكليز لا يزالون مخاصمين للفرنسويين ولا يهون عليهم ان تحتل فرنسا هذه البلاد

وكانت الجماعة قد خرجت من الجامع كما تقدم فسار الوالي والامير احمد معهُ وخرجا من الباب الخارجي كأنهما صليا مع الجماعة وخرجا معها وهو امر عادي للولاة والحكام يدخلون المعابد ويقفون في صحنها يتحدثون مع خواصهم في شؤون مختلفة وهم يحسبون انهم اتوا وعبدوا مثل غيرهم كأن الكبراء معفون من القيام بشعائر الدين . وسرّي عن الامير احمد لانهُ كان يكره الرياء ولكنهُ لم يكد يسير في الشارع مع الوالي حتى رأى المرأة التي ديس ولدها واقفة لهُ في المرصاد وهي تصيح وتصخب فسأل الوالي عن قصتها فقيل لهُ ان جواداً من خيل الامير داس ابنها . فوقف وادار رأسهُ الى الامير وشمخ بانفهِ كأن لسان حالهِ يقول لهُ مسكتك وكيف تنجو من يدي . فقال الامير نعم ان ابنها وقع في الطريق فرفسهُ فرس رجل من اتباعي ولكن المسألة عرضية

فقال الوالي ألم يدسهُ فرسك . فقال الامير كلاَّ بل فرس رجل من اتباعي وهو لهُ ليس لي ومع ذلك فالمسألة عرضية وقد نقل الى المستشفى

فاسف الوالي على ما بدر منهُ واراد ان يمحو تأثير كلامهِ من ذهن الامير احمد فدعاهُ لزيارتهِ حينما ينزل ثانية الى بيروت وقال لرئيس الضابطة وكان سائراً وراءهُ خذ هذه المرأة من هنا ولا تدعني ارى وجهها . ثم ودع الامير احمد وسار في طريقهِ فوقف الامير الى ان ابعد عنهُ ثم ركب جوادهُ واسرع الى بيت عمهِ وهو لا يصدق بالنجاة من هذه المشاكل المتوالية

فلما وصل الى بيت عمهِ وجد عمهُ والبعض من مشايخ البلاد في انتظارهِ فهنأوهُ بالسلامة لان احد اتباعهِ كان قد سبقهُ الى هناك واخبرهم عن التقاء الوالي بهِ واخذهِ معهُ الى الجامع بعد ما جرى للولد ما جرى وكانوا يخافون ان يُمنع من دخول الجامع مع الوالي او يأخذهُ الوالي بجريرة الرجل الذي داس فرسهُ الولد فتفضي الحال الى ما لا تحمد عقباه فلما وصل قصَّ عليهم ما جرى لهُ مع الوالي في صحن الجامع وكلام الوالي لهُ وكانوا كلهم من رأي الوالي ويظنون ان انكلترا تساعدهم نكايةً في فرنسا أما هو فاكَّد لهم ان انكلترا لا تساعدهم بل تطلب منهم ان يلزموا السكينة ولو اعتُدي عليهم . فقالوا لهُ اذن تكون العاقبة

تزويجهِ بها ولكن اخوتهُ وابناء عمهِ منعوهُ من ذلك وهي لم تكن تميل الى ذلك الشاب . واتفق انهُ كان غائباً وقت زواجها فاتهمهُ باحتطافها ولكنهُ عاد من غيبتهِ واتضح انهُ لم يكن عارفاً بما جرى لها لانهُ لما رأى اصرار اهلها على تزويجها بالامير قاسم سافر الى مصر لكي يسلاها . فلما رأى ابوها ذلك اشتغل بالهُ وخاف ان يتحقق امر ترهُّبها فيطلب منهُ ان يسلمها كل ميراثها من امها وكان كذلك فانهُ بينما كان ذات يوم يفكر في هذا الامر جاءهُ رسول من دير العازرية في بيروت ومعهُ كتاب من ابنتهِ لهُ فلما فضهُ وقرأهُ اظلم الضياء في عينيهِ وقام من ساعتهِ وجاء الى بيت اخيهِ الامير عباس ابي الاميرة سلمى لانهُ كان اكبر منهُ سناً واوسع خبرة واراهُ الكتاب فارغى هذا وازبد وشتم ولعن وقال لاخيهِ قلت لك لا تدع هؤلاء الراهبات يدخلن بيتك وليس طمعهن بصفا بل بالخانات والبساتين والسياع والمزارع ما دمتم لاصقين بهذه الطغمة صيروكم على الارض هذا قاسم الحمار وهذه المحنة كلها انطلت لكي ينتش لهُ عن صفا وانا احلق لحيتي ان كان المطران لا يعلم انها ذهبت مع الراهبات وان ذلك بعلمهِ وبدسيستهِ . هذا امر لا نحتملهُ ولا نطيقهُ لم يقع مثلهُ لبيت شهاب من اول مجيئهم الى هذه البلاد الى الآن اسمع ماذا تقول لك في مكتوبها تقول انها فرحة جداً لانها تستطيع الآن ان تصلي لاجل خلاص نفسك واستداء عمها . من كان يمنعها عن الصلاة وهي هنا ألا يسمع الله في لبنان كما يسمع في ايطاليا ولكن ليس العبرة هنا بل العبرة في قولها انها نذرت لله ان تساعد الفقراء والمساكين بكل ما تملكهُ اي بكل ما ورثتهُ تكفيراً عن نفس امها لان نفسها لا تزال في المطهر . قم قم لعبوا عليك واخذوا ابنتك ومرادهم ان يأخذوا اموالك . ثم اسمع ماذا تقول انها مسبوطة جداً ولكن البرد شديد في تلك البلاد وهي مصابة بزكام شديد عدا يتحول معها الى سل في تلك البلاد الباردة وتموت . مَن يذهب من هنا الى ايطاليا في فصل الشتاء غير المجانين

ولم يقل الامير فارس شيئاً بل جلس يفكر في الامر ويمص المصة بدل المصة من التبغ الذي في يده ويطلق دخانها في الهواء حتى صار حوله سحابة من الدخان وهو يقطب حاجبيهِ تارةً ويرفعهما اخرى كأنهُ يفكر في مسألة ادبية والامير عباس يعيد تلاوة المكتوب وينظر في معانيهِ واخيراً قال الامير فارس ليس لنا الا قنصل فرنسا فهو محتاج الينا الآن فأذهب اليهِ انا وقاسم ونطلب منهُ ان يرجعها حالاً والا تخرب طرقهُ كلها

فقال الامير عباس وهذا لا يكفي بل يجب ان نتهددوا المطران بالرجوع الى الاسلام ان هو اصرَّ على عدم اجابة طلبكم واني اخاف ان قنصل فرنسا لا يستطيع ان يفعل شيئاً من

منهم اليوم ودفع لهم عشرين في المئة لرأى انهم يعتذرون عن اعطائهِ مئة كيس بهذه الفائدة

ولكن كلام الامير احمد عن بيت ضراد حلّ عزائم الخواجه بخور فقال في نفسهِ يجب ان نجمع كل اصحاب البنوك الذين يدينون ونتفق على معدل واحد حتى لا يضر بعضنا بعضاً. وبعد جدال طويل اتفقوا على ان يكون معدل الربا ثمانية عشر في المئة وان تكون المدة ثلاث سنوات ويكتفي الخواجه بخور بالرهن ولا يطلب ضمان الامير احمد

ثم التفت الخواجه بخور الى الامير احمد وسأَلهُ عما اذا كانت الاملاك تساوي خمسة آلاف كيس حقيقةً فقال نعم وهذا لا يقبل الغلط فانها خمس مئة قنطار من اغراس الزيتون والقنطار يساوي خمسة آلاف غرش على الاقل

فقال الخواجة بخور اذاً يمكنهُ ان يستدين عليها الف كيس أُخرى فنحن تحت امرك وامر عمك

وعاد الخواجه بخور الى مكتبهِ فوجد انهُ اتاهُ تحويل على خزينة بيروت بثلاثة آلاف كيس لان شركاءَهُ في لندن وفينا كانوا يدفعون الاموال في الاستانة ويأخذون بها تحاويل على خزائن الولايات فأُسقط في يدهِ لان اليوم كان الجمعة والخزينة مقفلة واليوم التالي السبت لا يستطيع ان يعمل فيهِ عملاً فيضيع عليهِ ربا يومين فجعل يشتم ربان السفينة التي لم توصل التحويل يوم الخميس وعدّ ذلك من جملة النحوس التي توالت عليهِ تلك السنة وعاد الى بيتهِ منغص العيش كأَنهُ خسر خسارة كبيرة لا تعوَّض

الفصل الرابع عشر

الاميرة صفا

مضى شهران على اختفاء الاميرة صفا ولم يعلم احد مقرها لكن زادت الاشاعات بانها ترهَّبت في احد الاديرة وكتب المطران الى البطريرك وبحث البطريرك في الدير الذي اشار اليهِ الامير قاسم فلم يجدها فيهِ ولا وجد ان راهبات الدير يعلمنَ شيئاً من امرها . وكان ابوها يظن انها هربت مع شاب من الفلاحين فحُرمت ميراثها من امها لان الشاب غني جدًّا وكان يحبها ويود الاقتران بها ولكن الشهابيين لا يزوجون الفلاحين ولو صاروا من افقر الناس وصار الفلاحون من اغناهم . وقد قال هذا الشاب لابيها انهُ يتنازل لهُ عن ميراثها من امها وكان وافرًا جدًّا فان امها من نسل الامير بشير الكبير وقد ورثت منها جنائن وبساتين في الحدث والشياح ووطإِ نهر الكلب وضياعاً ومزارع في بلاد جبيل وسهل البقاع فمال ابوها الى

كن ماذا نقول وماذا نتكلم ابوك يشمت بنا وخالتك تشمت بنا وابن خالتك يشمت بنا
حمت اولى . قال عمك انهُ سيذهب الى المطران وقنصل فرنسا هو وقاسم ولكن لا فائدة
ذلك وستكون عاقبة تشديدنا انهم لا يعودون يدعونها تأتي الى هذه البلاد . ما خلصنا
سيرة القديسة هندية حتى وقعنا في قصة ابنة عمك . غداً ترين تطويل السنة الفلاحين
بنا الله يهونها

ومرَّت ساعتان وهما في حديث مثل هذا ودخل الامير عباس وجلس الى جانب زوجتهِ
تاها احد الخدم بنقلة وقال الامير عباس اخذت مني عشرين غرشاً امس ولا بدَّ لي من
سترجاعها فقالت لهُ ستخسر عشرين فوقها . ثم اخذا يلعبان لكن الاثنين كانا مشغولي البال
بلما اتما الدق الاول قالت الاميرة هند هل تظن انهم ينجحون في ارجاعها . فقال لا اظن
نهم طامعون باملاكها فان املاكها تساوي اكثر من ستمائة الف غرش ولا بدَّ ما توقفها
كلها للدير وانا خائف على صحتها لانها تقول في مكتوبها الى ابيها انها مصابة بزكام شديد

فتنهَّدت زوجتهُ وقالت يجب ان ندبر بانا على سلمى فان اختي كلمتني عنها مرات كثيرة
حمد ميت حتى ياخذها ولكن هي لا تلتفت اليهِ ولاسيما بعد ان زارنا هذا الشاب الانكليزي

الامير عباس — ماذا تقولين ماذا تقولين الشاب الانكليزي متى زارنا هذا الشاب

الاميرة هند — رأيناه مرةً ونحن عند النجمة كان ماراً هو واحمد ثم دعاهُ احمد لحضور
عرس ألم ترهُ حينئذٍ

الامير عباس — نعم رأيتهُ أهذا هو . نعم رأيتهُ ولكنني لم اسأل عنهُ

الاميرة هند . يقول احمد انهُ وكيل القنصل وانهُ من امراء الانكليز

الامير عباس - من امراء الانكليز ويكون وكيلاً لانهُ على ما يظهر مثل كثيرين
ن الشهابيين

الاميرة هند يقول احمد انهُ من الامراء الاغنياء لان امراء الانكليز مهما كانوا
نياء يخدمون في اصغر الوظائف السياسية وقد جاء الى بر الشام لكي يفتش عن قبر واحد
اجدادهِ قال انهُ قتل قرب بيروت ودفن في جهات الشويفات او كفرشيما . سلمى تعلم
هُ اكثر مني فانها سمعت كل كلمة قالها احمد وسمعت اشياء اخرى عنهُ من الخدم فاذا كانت
علق بهِ فهناك المصيبة

الامير عباس لماذا تكون مصيبة الم يتزوج عبد الله بابنة تشرشل بك الانكليزي فان
كان هذا الامير كريم الاخلاق شهماً فلا مانع عندي ولكن ان كان افاقاً مثل كثيرين

هذا القبيل لان الامبراطورة في يد الاكليروس لا تقدر ان تأمر ولا تجسر ان تطلب منهم شيئاً والامبراطور في يدها . وعلى كل حال لا نقدر من الهرب الا بالالتجاء الى القنصل والى المطران

وكتبت الاميرة صفا الى الاميرة سلمى وارسلت الكتاب ضمن كتاب لحبيبها ليسلمهُ اليها وهو باللغة الفرنسوية وتقول فيهِ

اختي وشقيقة روحي

اطلب السماح منكِ يا حبيبتي ومن والدتكِ لانني فارقتكما على هذه الصورة وقد كنت اود ان اودعكِ بدموعي الا انني قد لا اعود ان اكون في حياتي بالصورة مقدار كآبتي حينما خرجت من بيت ابي ووقع نظري آخر مرة على الوجوه التي احبها وعلى المنازل التي قضيت فيها زهرة عمري . على الاماكن التي كنت ألعب فيها معكِ والاشجار التي كنا نجلس تحتها . كل ما كنت اتسلى بتربيتهِ من الطيور والرياحين والازهار كل شيء من ذلك لهُ مكان في قلبي ولكن المكان الاول فيهِ هو لكِ ولامكِ ولقبر المرحومة والدتي . آه يا سلمى كم اود ان اراكِ الآن واضمكِ الى صدري ونذهب معاً الى قبر والدتي فنجثو عليهِ واغسلهُ بدموعي . صدقيني يا سلمى اني تركتكم كلكم لاجلها كي اخلص نفسها لا بد من ان يكون الناس قالوا اقوالاً كثيرة واتهموني تهماً لا اصل لها الله يسامحهم اما انا فكنت اعرف اني اخترت النصيب الصالح . ولا يحق لقاسم ان يلومني لانني اخبرتهُ صريحاً انهُ يستحيل عليَّ ان اقترن بهِ بعد ان كرست نفسي لخلاصي فليبكِ على نفسهِ وكذلك لا يحق لابي ان يلومني ومع ذلك فاني اصلي لاجلهما دائماً كما اصلي لاجل ابيكِ وامكِ ولا تظني يا حبيبتي اني صرت الآن اسعد مما كنت كلا غير اني ارجو ان يغفر الله لي ولكل الذين احبهم . ارجو عني تقبيل والدتكِ وتقديم الاحترام لوالدكِ

ولما قرأت الاميرة سلمى الكتاب وترجمتهُ لامها جلست الاثنتان تبكيان وشعرت الاميرة سلمى كأن بلاطة وقعت على صدرها فلم تعد تستطيع التنفس ومضت ساعة من الزمان وهي تعود الى البكاء كلما وقع نظرها على امها . وصفقت امها بيديها فاتوها بالنارجيلة والقهوة فجلست تتسلَّى بالتدخين وقالت لابنتها هل كنتِ تعلمين يا سلمى عزم صفا على الترهُّب . فقالت اخبرتني صفا بذلك مراراً ولما رأت اني لم أُصوّب رأيها لم تعد تكلمني بهِ والظاهر انها لم تصمم الَّا قبل العرس بيوم او يومين

فقالت امها لا تخافي الَّا من النهر الهادئ من كان يظن ان صفا تقدر على هذه الحيلة

مسرورًا بهذا العمل وقد كتبت الى سيدنا البطرك ليعترض عليهِ وانا اعترضت عليهِ بنفسي لانا لا نسمح بمداخلة الرهبان اللاتينية في طائفتنا ومع ذلك لا اقدر ان اعدكم بنجاحنا

فقال الامير فارس نحن ذاهبان الى القنصل وبسنا ما رأي سيادتك في ذلك

فقال لا بأس اذهبا اليهِ وهو قادر على مساعدتنا اذا اراد

فقال الامير فارس ان لم يساعدنا فانا اعرف كيف افسد لهم الطبخة

فاضطرب المطران من هذا الكلام وقال ماذا تقول يا ابني لا تخلط شعبان برمضان هذه مسألة وهذه مسألة فمسألة الرتبك مسألة دينية عائلية ومسألة الجبل مسألة سياسية وهذه هي الفرصة الوحيدة لنا للتخلص من هذه الحالة التي لا تحتمل فارجوان لا تحركوا ساكنًا

فقال الامير فارس سياسية او غير سياسية فانا لا اسكت ما لم تردوا لي نفتي

فاطرق المطران وهو ماسك لحيتهُ بيدهِ يفكر في الامر ثم قال للاميرين انتظراني هنا حتى اذهب واقابل القنصل

ونادى قوّاسهُ ولبس جبتهُ وسار الى قنصلاتو فرنسا فقابلهُ القنصل بالترحاب وتذاكرا مليًّا ثم وعدهُ خيرًا

الفصل الخامس عشر

كشف الغامض

اثنان من العملة دخلا مغارة بين التويتات وكفرشيما ظاهرها قد سيط باب في الصخر الكذان الابيض عرضهُ نحو ثلاث اقدام وعلوهُ نحو اربع وقد علاهُ الطحلب وعلت النباتات حولهُ حتى كادت تسده من الاقحوان والشوكران ونحو ذلك وابيضت المراحس داخل الغار ... كل ما كان الشمس ... الطال ... مع ... الركس ... وتحروان ... انما ... حيث ... مزرعًا لا ... وأيا ... من التين ... الملك الارض ... احد منهم من ملك يعمل ... وكثيرًا ما ... في ... او كرمة او توتة او زيتونة

واستمرّ وقوع المطر ساعة من النهار فاضطرّا ان يبقيا في المغارة كل تلك المدة وصارت عيونهما ترى ما لم تكن تراه اولاً لانها اعتادت الظلام واتسعت حدقاتها بجمعت النور القليل المنعكس عن جدران المغارة فانتبها الى حفرة في داخلها كأنها باب مغارة أُخرى فقاما اليها وجعلا يحفران فازالا التراب واذا هما بباب آخر كالباب الاول ولكنهُ مسدود بحجر كبير

من الأمر [illegible]

[illegible]

[illegible] كانت [illegible]

[illegible]

لكنها كانت سريعة [illegible]

فقالت [illegible] رأيت [illegible]

[illegible] من هذا القبيل

[illegible] يتفرس في [illegible] وهي [illegible]

ولم يشأ ان يزيد [illegible]

وقال اذا جاء احمد الى هنا [illegible] لكي [illegible]

عمك ولا تدعي احداً يلعب [illegible] لا [illegible]

هل تعدينني بذلك

فقالت نعم ولكن صفا معذورة لان عمي [illegible]

الى ابنته وحالتها على ما تعلم

فقال ان كانت صفا معذورة فانت غير معذورة [illegible]

وقد كانت امك تود ان تعطيك لابن احتم ولكن [illegible]

اعترضتها واوقفت الامر

فقالت الاميرة هند ولا ازال اود ان تغير فكرها لا [illegible]

اما سلمى فلم تتكلم بشيء بل بقيت صامتة وعادت [illegible]

القراءة في الكتاب الذي كانت تقرأ فيه

وفي اليوم التالي نزل الامير فارس ابو الاميرة [illegible]

وزارا المطران اولاً فوجداه عارفاً بما جرى للاميرة صفا وقال

قبلُ . فقال الامير فارس لقد عرفت الآن وانت [illegible]

فقال المطران ان هذا لا يمكن بعد ان نذرت العفة

الاستغراب وقال ان قانون الرهبان والراهبات واحد في كل الد

يدخل اولاً تحت التجربة مدة سنة او سنتين ويحق له ان يتر

فقال المطران هذا قانون رهبنتنا ونحن لا نعلم قانون ر

. وعامل الحب والاثرة يقول لهُ هذا مناظرك في حب ابنة خالتك ويجب
عنها بكل طاقتك ولا تدع لهُ سبيلاً للتردد الى هذه الجهات فتنساه وتعود
الشهامة ان كانت ابنة خالتك قد فضلت هذا الاجنبي عليك فلا خير فيها
از تساوها وتنساها . فيقول الحب هذا اغترار بالظواهر فقد اغترّت بهِ
باله ابداً فاذا لم تعد تراهُ نسيتهُ ونجت من ورطة كان يمكن ان تقع فيها
نبذل كل واسطة لنجاتها منها
طويل على هذا النمط تغلّب عامل الحب على عامل الشهامة فصمم على ان
لى دارهِ ويخفيها فيها ويسد المغارة ويطمس معالمها . فاستدعى الرجلين
بكل ما يمكنهما حملهُ من الاسلحة ثم يسدا المغارة ولا يخبرا احداً واعطى
رة ريالات فقبّلا يدهُ وذهبا وجعلا ينقلان الاسلحة في حالك الظلام
سيوف والخوذ واما الدروع فتركاها في مكانها وسدّا باب المغارة جيداً وغرسا
نع الدخول اليها
يلة جاءَ كتاب الى الامير احمد من الكرلونل روز يدعوهُ فيهِ الى بيروت
لاد عمهِ عليهِ ولكنهُ خاف من غيرتهم لانهم كانوا يغارون منهُ لمكاتبة
م وكان يود ان يشركهم في المسؤولية معهُ فوقع بين نارين ونام تلك الليلة
جمر الغضا لا يستطيع ان يخالف الوالي ولا ان يعادي القنصل ولا يريد ان
ي لئلا يسأله عما اذا كان قد عرف شيئاً عن المغارة او بلغهُ شيءٌ عنها لانهُ
داومة البحث والتنقيب وكانت الشرور قد تفاقمت وعزم الناس عزماً آكيداً
نة وكانوا ينتظرون انقطاع المطر واهالي الساحل يريدون ان يتهيأوا من
يحدث شيءٌ
ويفات في ذلك الحين شاب من النصارى اسمهُ كامل جريءُ الفؤاد قوي
رصاصهُ من يسددهُ اليهِ . اجتمع عليهِ مرة ستة وحصروهُ في مطحنة
م ونجا من يدهم وانتقل الى المتن وجعل دأبهُ ربط الطرق وشن الغارات .
يحسبون ان الفوز سيكون لهم حتماً لانهم فازوا فوزاً مبيناً في الحركة
ري التي حدثت في الصيف الماضي. واتت الرجال من كسروان وهي بالسلاح
في بعبدا تشجيعاً لنصارى الساحل فخشي الامير احمد ان يذهب بطريق
كامل هذا او باحد من اتباعهِ فيحدث ما لا تحمد عقباهُ فاختار طريق البرج

فتعاونا عليهِ ونزعاهُ من مكانهِ ودخلا المغارة الداخلية وهي اكبر من الاولى وكان ا
فيها الاّ حيث يدخلها قليل من النور من الباب الذي تجاه فمشيا فيها وعادا تا
فاقشعرَّ بدناهما ووقفا حائرين ثم اعتمدا على ان يرجعا الحجر الى مكانهِ ويعود
ومعهما شمعة . فعادا بعد الظهر ولم يكن احد يشك في انهما عائدان لزرع نص
انقطاع المطر لان الارض ارضهما وكانا يزرعان التوت فيها ودخلا المغارة
الداخلي ثانية وانارا الشمعة فدهشا مما رأيا فيها فانهما رأيا عظام عشرين او
وبعض تلك الجثث لم يكن باليًا بل كان جافًّا مسودًّا ومع بعضها اسلحة قديمة
وفؤوس وخوذ كأن الذين وضعوا القتلى هناك من اصدقائهم لا من اعدائهم
تسمح لهم لسلبهم فالقوهم في المغارة باسلحتهم

فاتفق الاخوان على ان يسدا الباب الداخلي كما كان ويعودا في الليل فيأ
شيئًا فشيئًا حتى لا يشعر بهما احد فسداهُ وخرجا وكانت السماء قد صحت فعا
نصب التوت ووضعا الشمعة على حجر الى جانب باب المغارة

ومرَّ بهما الامير احمد حينئذٍ وكان قد خرج للصيد وحدهُ فوقفا للسلام
التفاتة الى باب المغارة لانهُ لم ينسَ غرض السرهنري بدمونت فرأى ا
الحجر فسألهما عنها فارتبكا في الجواب . فوقف مشتبهًا بامرهما وطلب منهما ان
فجعل كلٌّ منهما ينظر الى اخيهِ وكانا كلاهما من حزبهِ يركنان اليهِ فلم
اخبارهِ بما رأيا في المغارة الداخلية فدخل معهما وازاحا الحجر واوقدا الشمعة
وقال لا بدَّ وان تكون جثة جد السرهنري بين هذه الجثث لا سيما
قديمة . نعم ان الصدأ كان قد اكلها ولكن شكلها لا يزال ظاهرًا وهي من ا
التي كانت تستعمل في عهد الصليبيين

فامرهما ان يسدا المغارة ولا يخبرا احدًا ابدًا ووعدهما بمشترى كل
وعاد الى دارهِ وهو حائر في امرهِ هل يخبر السرهنري بما رأى فيكثر تردد
والشويفات ويرى سلمى فيزيد ميلها اليهِ وحبها لهُ او يكتم الامر عن كل ا
هنري ان التفتيش عن جدهِ في تلك الجهات ضرب من العبث وعليهِ ان يفتش
اخرى . فقام في نفسهِ عاملان متنازعان عامل الشهامة وكرم الاخلاق يقول
غريب وقد التجأ اليك واستنجد بك وقد صار في طاقتك الى ترشدهُ الى ما ا
فيجب ان تلبي طلبهُ وترسل تخبرهُ بما اكتشف هذان الرجلان وجزاؤهما

هما يصعب علينا ان نجيب سعادتك على هذا السؤال ولكن لا بدَّ ما يكون
انبول قد وقف عليها كلها
لسنير عارفًا بها ولا مهتمًّا الوقوف عليها وا تحى الكولونل ان يخبرهم بذلك
الامير احمد لا يعلم بها و لشيخين لا يفشيان سرًّا أُوتمنا عليهِ ولم يلح عليهما لكنهُ
كلامهما ان الاوامر ذات شان خطير كما قيل لهُ . ورجا ان يأتيهُ من يخبرهُ
كان يقول ان السياسة تقضي على المرء ان يعرف مقاصد خصمهِ بكل واسطة
رر قبل الوقوع فيهِ الا انهُ ودَّ ان يعرفها ذلك اليوم ليكتب مع البريد يخبر
؛ ورأى ان الشيخ مصيب في طلب مركبين حربيين وعزم ان يكتب بذلك
. وقف على الاوامر السرية التي بلغهُ خبرها لفعل ذلك حتمًا
المذاكرة نهض الامير احمد ونهض الشيخان لنهوضهِ فودعوا وركبوا خيولهم
احمد الى بيت عمهِ والشيخان الى بيتيهما لانهما كانا قد شتيا في بيروت تلك
رون من مشايخ الجبل على خلاف العادة . وكان لا بدَّ لهم من المرور تجاه بيت
ابي نخر وكأنهُ كان جاسوسًا عليهم يرقب حركاتهم وسكناتهم فوقف في باب
م وطلب منهم ان ينزلوا و يشربوا فنجان قهوة فاعتذروا اليهِ بضيق الوقت وبقرب
سك بلجام فرس الامير احمد وقال عليَّ الطلاق ان لم تنزلوا وتشربوا
ضطروا ان ينزلوا فادخلهم بيتهُ واجلسهم حيث اجلس الامير ونادى بالقهوة
ليهم ما سمعهُ من الوالي من المدح والثناء على الامير احمد وذكائهِ قال وقلت
ير احمد ابن ابيهِ وابوهُ كان صديقي والصداقة قديمة بيننا انتم الآن آتون من
نكليز لا بأس فان الانكليز اصدقاء لدولتنا العلية هم والفرنسوي حالفوها على
وكن يُرى لي ان السياسة انقلبت اليوم وان افندينا الوالي ما عاد يركن الى
. . لم يقل لي ذلك صريحًا ولكنني فهمت منهُ . انا التقطها طائرة . ونحن ما لنا
الافرنج ما دام دولتنا في الوجود . ما هو رأي القنصل قل لي يا امير احمد
تستحا ني كما كان يستخصني المرحوم والدك
ير احمد ليس الامر كذلك يا ابا نخر ولكنك انت عارف بكل شيء والذي
تستنتجهُ بذكاء عقلك
و نخر وقال هكذا كان المرحوم ابوك يقول عني نحن احباب من زمان طويل
، معرفة مباركة ان شاء الله تفضلوا خذوا القهوة . هذا بن حجازي يأتيني

وصل الى دار الكولونل روز نحو الساعة العاشرة [illegible] ورحب به الكولونل
اجلسهُ الى جانبهِ ورحب به المسيو [illegible] واستدعى اثنين
آخرين من مشايخ الدروز [illegible] ربع ساعة
لما استقرَّ بهم المجلس وشربوا القهوة [illegible] الاوامر التي
صلتهُ من الاستانة فانا اؤكد لكم ان هذه الاوامر غير صحيحة وان [illegible] بعثوا بها اليه
ير مسؤولين عما يفعلون او هم جهلاء لا يعرفون [illegible] ومصلحة [illegible] الحركة التي امروكم
ها ستعود عليكم بالوبال وتجر الشر على رؤوسكم [illegible] جهالكم
الَّا فالخطب جلل

فجعل الشيخان ينظر كلٌّ منهما الى الآخر اما الامير احمد فكان [illegible] لان الوالي
يعد يأتمنهُ فلم يطلعهُ على تلك الاوامر مع انه ارسلها الى اولاد عمهِ [illegible] عليهِ ان
تظاهر بجهلها امام الشيخين واستنتج ماهيتها من كلام [illegible] فقال [illegible] قبلاً
ننا نحن لا نكون البادئين ولكنهم اذا احرجونا اخرجونا فوافق الشيخان على كلامهِ

ولحظ القنصل ان الامير احمد يتكلم وهو غير [illegible] الاوامر ولكنه [illegible] ان يظهر
ذلك امام الشيخين فقال لهم اني انذرتكم و [illegible] لكم وخامة العاقبة حتى اذا [illegible] عنكم دولة
انكلترا لا يكون عليها لوم

وكان احد الشيخين كبير السن وقور المنظر فقال لهُ اسمع يا سعادة القنصل نحن نعلم ان
دولة انكلترا تحبنا وتودنا وتدافع عن حقوقنا ولكن ذلك كلهُ يتوقف على رأي سفيرها في
الاستانبول وقنصلها في بيروت والسفراء والقناصل يتغيرون كل سنة او كل بضع سنوات واما
دولتنا فلا تتغير وسياستها معنا صارمة كما لا يخفى فاذا لم نطع اوامرها وقعنا في الهلاك
ودولتكم اقوى منا وكما منعت ابرهيم باشا المصري عن البقاء في هذه البلاد يمكنها ان تمنع
رجال دولتنا عن القاء الفتن فيها . فاذا كنتم تريدون ان توقفوا هذه الحركة فالاسهل عليكم
من ان تأتوا بمركبين حربيين وتهددوا بهما بيروت وترسلوا فرقة من عساكرهما الى الشام فيقف
كل واحد عند حدهِ ولا يخفى على سعادتك ان الحركات التي تصير في لبنان اكثرها ليس
منا بل من غيرنا فاذا اوصيتم كل اهالي الجبل حتى يلزموا السكينة لم يحدث فيهِ شيء . ونحن
قد نزلنا الى بيروت خوفاً من القلاقل ونؤكد لسعادتك ان البلاد كلها منتظرة الشهر التالي
ولا بدَّ من قومة عامة اذا كانت بقية القناصل لا توجب على النصارى ان يلزموا جانب السكون

فقال القنصل وما هي هذه الاوامر التي اطلعكم الوالي عليها

في الدنيا اناس يتجّرون بالحروب ويكتسبون بها اسماً وجاهاً او مالاً ومقاماً فهم يوقدون نارها ويذكون اوارها فهي آلة الملوك والوزراء والقواد والرؤساء والمرابين والمورّدين وصانعي الاسلحة والمهمات وكل المرتزقين من مال غيرهم . فما دام هؤلاء يجدون فيها مغنماً فلن تنطفئ نارها

وشر الحروب الحرب الاهلية وشر الناس موقدو سعيرها ولا سيما اذا لم يكن للمتحاربين مصلحة فيها

مضى الشتاء وجاء الربيع فابتسمت الطبيعة ولبست ابهى حللها وحلاها تفجّرت الينابيع واكتست الرياض والغياض اثواباً سندسيّة مطرزة بالوشي المعلم وانحنت الادواح تحت حملها من تفاح فضي ومشمش عسجدي والطيور تتغنّى في افنانها وعبق اريج الازهار يعطّر الآفاق ويسلي النفوس عن اشجانها . استمر الله الطبيعة من نبات وحيوان جذلة طربة الا ابن آدم انتظر انقطاع الامطار لكي يبدلها بوابل من رصاص بنادقه يخطف بها النفوس من الابدان قصاءً للبانات افراد معدودين

وصلت الاخبار الى الكولونل روز ان الرئية وقعت والنار اشتعلت وقد طوح الصوت وأُطلق المدفع وانفضّ رجال كسروان من الساحل اطاعة لامر الوالي والمطران وعادوا ادراجهم واجتمع الدروز حول مشايخهم وهجموا على قرى المتن فالتقاهم النصارى حائري العزائم لان الجنود في الحازمية وراءهم وقد خافوا ان يقعوا بين نارين لا سيما وانهُ كان قد شاع وذاع ان في يد الوالي اوامر سرّية باستئصال شأفتهم

وصعد السرهنري بلمونت الى سطح القنصلية والنظارة في يده فرى كأن ربى لبنان استحالت الى براكين كثيرة تقذف الدخان والنيران من افواهها وتمام اناؤهُ زرافات زرافات مشاة وفرساناً وقد نشروا الاعلام وانتشروا حول القرى يهاجم بعضهم بعضاً ويتراشقون رصاص البنادق من وراء المتاريس ثم يستلون السيوف ويبرون الحتوف الى ان يتغلب فريق على فريق فيلحقهُ ويضرب في اقفيته ثم يضرم النار في مساكنه . والتفت الى كمرتسيا حيث دار الاميرة سلمى فرأى الدخان مسرداً فوقها فوقعت النظارة من يده وجلس على كرسي وسند رأسهُ وقد مرّ في ذهنه صور الحروب القديمة التي كانت تنشب في تلك البلاد وتنتهي بحرق البيوت وسبي النساء والدراري فقال في نفسه ترى ما حلّ بتلك الاميرة واي فارس اردفها وراءهُ الآن وهي تنادي وتستغيث ولا سامع ولا مغيث هل يفعل ما كان يفعلهُ الفرسان في القرون الوسطى فيتقلد سلاحهُ ويركب جوادهُ ويبادر لانقاذها يهجم على الفارس الذي خطفها ويطعنهُ طعنةً تكون القاضية . ولكن انّى لهُ ذلك الآن وهو غريب في بلاد غريبة وقد

هديّة كل سنة لا مثيل لها في كل بيروت ولا في [illegible] وهي جارية اشتريتها من
جواري اسعد باشا كانت محبوسة عنده [illegible] القهوة [illegible] تدق [illegible] بالهاون
حشب ولا تدقها في هاون [illegible] [illegible] الدر
اطيب من غيرها شربتها في [illegible] [illegible] بعثت الى
هناك من قِبَل الوالي لبعض الاشغال وكنت [illegible] من [illegible] طيب من قهوة
الجارية التي عندي . هذا نقول يا حضرة الشيخ [illegible] قهوة [illegible] هذه القهوة
والفناجين والظروف الامير احمد يعرف قيمتها [illegible] في [illegible] كي [illegible] من
هذه القهوة ولما رأى الفناجين [illegible] لآن يقول [illegible] ما شرب من القهوة التي
شربها في بيت الشيخ درويش

فقال احد الشيخين نعم القهوة كما وصفت [illegible] الشيخ ونحن مسرورون بهذه المعرفة
الجديدة والفضل فيها لسعادة الامير وصدق الشيخ الآخر على كلامه ونهضوا وبعد ما
تمكنوا من وداعه وركبوا وساروا في طريقهم والامير احمد يقول [illegible] طريقا
آخر نمر به بعد الآن حتى نخلص من هذا الثقيل

وسار الامير احمد الى بيت عمه والشيخان الى بيتهم [illegible] على ان يجتمعوا في مساء
في خلوة رأس بيروت ويتداولوا في ما يجب عليهم عمله في [illegible]

الفصل السادس عشر

استفحال الخطب

ارى خلل الرماد وميض جمرٍ	ويوشك ان يكون له ضرامُ
فان النار بالعودين تذكى	وان الحرب اولها الكلامُ

وما الحرب الاّ ما علمتم وذقتمُ	وما هو عنها بالحديث المرجّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً	وتضرَ اذا ضرّيتموها فتضرمِ
فتعرككم عركَ الرحى بثفالها	وتلقحْ كشافًا ثم تحملْ فتتئمِ
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم	كأحمرَ عادٍ ثم ترضع فتفطمِ
فتغللْ لكم ما لا تغلُّ لاهلها	قرًى بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ

ليقلْ محبو السلام ما شاؤوا في مذامّ الحرب وليطنب كتّابهم في وصف ويلاتها ما دام

الفصل السابع عشر

واقعة الساحل

لما كان السرهنري واقفاً على سطح القصلية يرى الدخان يتصاعد عن سفح لبنان من قراهُ المنتشرة كالحبب على وجه الماء او كالدراري في كبد السماء كان رجال الساحل قد احيوا الليل بالاستعداد لمقابلة الاعداء وانقسموا فريقين فريقاً تولّى حماية النساء والاولاد والذهاب بهم الى مدينة بيروت مع ما خفّ حملهُ وغلا ثمنهُ من الامتعة وفريقاً تسلّح وودّع اهلهُ واقاربهُ وداعاً قد لا يعقبهُ لقاءٌ . فكنت ترى هنا طفلاً متعلقاً بثياب ابيهِ وهو يقول لهُ كيف تتركنا يا ابتِ ومن يبقى مع امي واخوتي وابوهُ يرفعهُ بيديهِ ويقبلهُ ثم يسلمهُ الى امهِ ويوصيها بهِ . وهناك امرأة تربط زنار الفشك (الخرطوش) على وسط زوجها وتناولهُ بندقيتهُ ويطقانهُ وهي تنظر الى وجههِ تارةً والى اطفالها اخرى وترفع قلبها الى الله وقدّيسيهِ ليردوا لها زوجها سالماً . وهنالك رجلاً يودّع ابن عمهِ ويقول لهُ أُودعك يا اخي المرأة والاولاد فيجيبهُ ذاك بامان الله كن مستريح البال فهم مثل اولادي واعز . واكثر الاولاد نيام يوقظهم امهاتهم فيفركون عيونهم ثم ينامون . والنساء الجبارات يحملن جرار الماء ليجرين وراء الرجال . والجمال باركة تهدر والناس يحملون عليها امتعتهم وهم يتآمرون في ما يجب اخذهُ وما يجب تركهُ . والمكارون يسبُّون ويشتمون وقد علت الجلبة واختلط الحابل بالنابل ووقف العجائز بعضهنّ يشير بما يجب عملهُ وينبئ بحسن المصير وبعضهنّ يضرع الى السيدة ومار الياس ومار انطونيوس وكانت ليلة صفا اديمها واغنت دراريها عن بدرها فانسرت نقابل بين توحش الناس وانس الوحوش

ولما طلع الفجر ركب الامراء وهم بالعدة الكاملة مع كل واحد منهم سيف وقربينة وطبنجان ومشى الرجال معهم ومع كلٍ منهم بندقية ويطقان او بالة وطبنجان او فردان . وسار حملة البيارق في مقدمة الجمع وهم ينشدون الاناشيد الحماسية ومشوا ورتاً ورقاً الى ظهور الوادي رعيدا وتترسوا هناك واشرقت الشمس حينئذٍ وسبت اشعتها عليهم فكادت تعمي ابصارهم وقبل ان يتموا اقامة المتاريس اقبل الدروز عليهم براياتهم البيضاء واعلامهم ارراً حامية ومرّت ساعات والحرب سجال بين الفريقين لكن الدروز كانوا اكثر عدداً واحكم انتظاماً واطوع لقوادهم فانثنى فريق منهم يناوش النصارى ودار فريق من ورائهم وكاد يقطع خط الرجعة عليهم ويئس النصارى من الفوز فجعلوا يرتدون القهقرى ولما وصلوا الى مكان تسهل المترسة فيهِ وقفوا واطلقوا بنادقهم على اعدائهم حتى اذا لم يستطيعوا قهرهم

ي الامر وكدت [illegible] واهل بيته في
غرفتها الى [illegible] وقاوم
اعداء فدارت [illegible] عينيه [illegible]

وكان الكولونل روز [illegible] واخبره
رأى فتلمس في [illegible] وتحفز لمقيم وكم [illegible] عن عزوم [illegible]
بتهم اتوا بالرجال من كسروان [illegible] الحزبية
سكين الخواطر وهم يعلمون مع من [illegible] مواعيد
لا يعلمون ان الدائرة ستدور [illegible]

ثم عاودته نوبة السعال فعجز عن الكلام [illegible] ان
اارين من قرى الساحل قد وصلوا الى بيروت وهم في حالة [illegible] والاولاد مع
ض العجائز ولا طعام لهم ولا شراب ولا يعلمون [illegible] فريق منهم الى دار
لمران الموازنة وفريق الى دار [illegible]
صيطبة وبير النبع ولا بدّ لنا من مساعدتهم [illegible] كما لا يخفى الوالي
عة كل ما يحدث في المدينة فلا امان عليهم ولا عيش [illegible]

السرهنري — القنصل على حاله وانت ادرى [illegible]
ذه الحال فاخبرني بما ترتئيه وانا استشير القنصل [illegible]

الترجمان — لم ارَ الاّ قليلين منهم والباقون لا [illegible]
ريهم ولابدّ ان يبلغ عدد القتلى والجرحى مبلغاً كبيراً لان [illegible] والناس لا [illegible]
ظام الحروب

وودّ السرهنري ان يذهب ويختلط بجموع الفارين يفتش عن الاميرة [illegible]
كان يجهل كل طرق الاستدلال عليها وخاف ان يسأل الترجمان [illegible]
نكرًا ويرى العيون رقيبة عليهِ. ثم لام نفسهُ لانهُ فكّر بامرخاص وقتٍ يجب عليهِ ان لا يهتم
لاّ بالامر العام وبالبليَّة الكبرى التي تشمل الوفًا مثل الاميرة سلمى وقد تكون هي اسعد حالاً
نهم كلهم فجلس مشرَّد الافكار ينظر الى السقف مرةً والى الارض اخرى

وسار الترجمان الى الدار التي يجتمع فيها المرسلون الاميركيون ليستشيرهم في الامر
هو عازم ان يذهب بعد ذلك ويرى قنصل فرنسا وقنصل روسيا ثم يعود ويخبر السرهنري
با وقف عليهِ

ـنـو علينا النجاة بعد ذلك فما لذا ولسلة الامة
وحده في سده الـ.ـحة ... لا انسب من سا

ا حميت الحديدة تركك و ربب
. لامه اني لا اتركه

تأتي ورقته يذهب غصباً عن رقبته. في رأسك.
لفة البيضاء خذها يا ملعون. وسدّد اليه بندقيته
جا من باب داره ومعهُ صندوق صغير فتناوله

ن النصارى ان الدروز تكاثروا عليهم وكادوا
ار وتبعهم الدروز الى قرب الشياح وقتلوا منهم
اسم الملقب بابي طحين
بعد شروق الشمس بساعة او ساعتين وتفرقت في
ن ست سنوات فصاعداً ان يسيروا هذه المسافة
وا معهم لحمايتهم اقيهم الخفر عند فرن الشباك
بامر والي بيروت فلم يعودوا يستطيعون الرجوع

الثامن عشر

ن الاميرة سلمى

اصل واجتمع بالسرعسكري وتذاكرا مع القنصل
ن احوال النصارى الذين وصلوا الى بيروت ذلك
ن الذين اصلوا نار الحرب وهوشوا الدروز الى ان
جهم قد وصلوا الى بيروت وجعلوا يفتشون عن
. ابنها او اخاها لم يعدْ مع الذين عادوا توقن ا
لس تضرب صدرها وتنوح نوحاً يفتت الاكباد

ن بلوغ قراهم الى ان تخرج عيالهم منها وتصل الى بيروت

ـ الحديث التالي بين اثنين من الدروز

د — من هذا الخيّال الذي ينخّي رجالهُ والسيف مسلول بيدهِ

د — اتعني راكب الحصان الازرق او راكب الحصان الاشقر

د — راكب الحصان الازرق فاني اراهُ لا يخاف الموت

د — هذا الامير عبدالله وهذا حصانهُ الابجر وهو مثل الابجر حصان عنتر بن شداد لهُ بين خيول الشهابيين

د — ان بندقيتك نظامية فلماذا لا تطلقها عليهِ

د — نيشنت عليهِ مرتين وانا ارمي العصفور الطائر ولكني لم اصبهُ لان المجال بعيد ن لا يصل اليهِ

مد — لماذا لا يهجم عليهِ الشيخ حمدان وما هو نفع كحيلان ان كان لا يلحق الابجر

ود — اخ

مد — مالك قم نتبعهم فقد قاموا من امامنا

ود — الكاتبه ربك يصير سلّم على ام قاسم وقل لها ربي ابنك حتى يأخذ بتار ابيهِ — يا سيد عبدالله — وارتمى على الصعيد فجرهُ حامد الى وراء صخر ودنا من الشيخ حمدان ان راكب الحصان الازرق هو الامير عبد الله عقيد النصارى . فقال لهُ ومن اين . فقال من حصانهِ . فلما سمع الشيخ حمدان ذلك اغمد سيفهُ وصلى قربينتهُ واغار على عبد الله وهو يقول في نفسهِ كسرنا القوم وقتلنا عميدهم حتى اذا دنا من الامير قال لهُ ولا تقل اني غدرتك واطلق القربينة عليهِ وكان الامير عبد الله قد تنحّى من وجههِ فلم شيءٌ من حوّاشيها ثم ارتدّ اليهِ والسيف في يدهِ واطبق عليهِ وكاد يوقع بهِ ولكن ربعة من اتباعهِ وهجموا عليهِ ببالاتهم فارتدّ عنهُ وهو يقول لهُ ان كنت راعي كحيلان الحيّ وحدك فارساً لفارس

وكان بعض الدروز قد داروا من وراء النصارى واضرموا النار في بيوت الوادي وبعيدا ه والتفت النصارى فرأوا الدخان يتصاعد من بيوتهم فايقنوا ان الجنود المعسكرة في ية لن تدفع عنهم مكروهاً خلافاً لمواعيد الوالي ان لم تكن ممالئة لعدوهم عليهم فارتدوا مض الدور وتحصنوا فيها

والتفت ميخائيل الى منصور وقال لهُ لقد دخل الامير دارهُ وتحصن فيها ويظهر لي اننا

بيروت او بالذهاب الى الشويفات الى بيت خالتها لان الامير احمد ارسل يدعوهم اليهِ ولكن الامير عباساً رجل عنيد لا يسمع رأي احد

ثم قال القزم للترجمان قل للقنصل ان الاميرة سلمى تحبُّ وكانت تريد ان تنزل الى بيروت لاجلهِ. فأبى الترجمان ان يترجم هذا الكلام للسر هنري لكن السر هنري طلب منهُ ان يترجمهُ لهُ فترجمهُ لهُ فتضاحك وقال قل لهُ من اين عرفت ذلك . فقال اجبهُ ان العصفورة اخبرتني وانا وان كنت صغير الجسم لكن عمري اربعون سنة وانا أُضحك الناس واضحك عليهم لاني اعرف ضمائرهم واقرأُ افكارهم في وجوههم وحركاتهم فاننا لما كنا على النجمة ورأيتهُ واقفاً امامها قرأْت في عينيها وعينيهِ رسائل الحب بينهما . وقل لهُ ان الاميرة سلمى في حاصبيا الآن ولا امان عليها هناك لان امراء حاصبيا مع النصارى ولا بدَّ ما تدور الدائرة عليهم وليس لهم هناك مدينة يلجأُون اليها مثل بيروت فان كان يحبها حقيقة فليبذل جهدهُ في انقاذها . ثم نظر الى السر هنري وجعل يكلمهُ بالاشارات ففهم السر هنري بعض مرادهِ وزاد انشغال بالهِ . وقال في نفسهِ ان هذا الرجل المشوَّه الخلقة اذكى فؤَادًا من اكثر الذين رأَيتهم في حياتي فطايب خاطرهُ واخرج من جيبهِ قبضة من النقود الفضية واعطاهُ اياها وعرض عليهِ ان يبقى في القنصلية وينام مع الخدم اذا اراد فقبل ذلك شاكرًا وصار دأْبهُ التردُّد على النازحين الى بيروت والمجيء باخبارهم فكان من افضل المخبرين واذكاهم فؤَادًا واكثرهم تدقيقاً واصوبهم رأْياً

وكان السر هنري يسمع ما يأْتي بهِ من الاخبار وهو يفكّر في الاميرة سلمى وما يحتمل ان يصيبها في حاصبيا اذا وقع بها ما يخشى وقوعهُ او اذا لجأ بها ابوها الى عرب البادية فتاهوا في القفار وغزا بعضهم بعضاً وأُخذت سبية وقد يراها امير من امرائهم فيتزوج بها رغماً عنها . وراجع ما كتبهُ قنصل صيداء عمَّا بلغهُ من اخبار حاصبيا فوجد ان الفتنة ابتدأَت فيها ولا امان على الامراء الشهابيين الذين هناك ولو كانوا مسلمين ولكن الحول والطول في تلك الجهات للست نائفة اخت الشيخ سعيد جنبلاط فعزم ان يكتب اليها لكي تحمي الامير عبَّاساً وعائلتهُ ولكنهُ عاد وتذكر ما قالهُ لهُ القزم وهو ان الامير عبَّاساً عنيد ولا يرضى ان يحتمي باحد من الدروز فرأَى ان لا فائدة من الكتابة

ولا اشد على المرء من ان يرى نفسهُ مغلول اليدين لدى امر يسهل عليهِ عملهُ ولكن لا سبيل لهُ اليهِ . فلو جاء الامير عباس الى بيروت لكانت حمايتهُ وحماية كل الذين يلوذون بهِ من اسهل الامور على السر هنري ولو كان الوالي ضدهُ ولكنهُ اختار الذهاب الى مكان

واجتمع كثيرات من النساء زرافات زرافات قد اسدلن الشعور وجعلن يلطمن بالمناديل ويندبن ويبكين وسمع اولادهم صوت البكاء والنواح فعلا بكاؤهم وعويلهم وقام الرجال ينتهرونهم لكي يسكتوا او يشاركونهم في البكاء واجتمع عليهم نساء بيروت واولادها يأتونهم بالخبز والماء ويرثون لبلواهم وكان لاكابر الاهالي اصدقاء واقارب نزلوا عليهم فوسَّع هؤلاء لهم في منازلهم واحلُّوهم على الرحب والسعة

وسار السر هنري والترجمان من محلَّة الى اخرى يرون الرجال و يستقصون الاخبار والسر هنري يكتب في مذكرتهِ كل ما يراهُ ويسمعهُ وكان يعلم اسم الاميرة سلمى و يعلم انها شهابية ولكنهُ نسي اسم ابيها ولم يكن يدري كيف يسأَل عنها فقضى من العصر الى قرب الغروب ينتقل من محلة الى أُخرى ومن حي الى آخر فلم تقع عينهُ عليها ولا على امها ولا على ابيها فزاد انشغال بالهِ وكاد يبوح بما في نفسهِ للترجمان لعلهُ يساعدهُ على التفتيش عنها . وبينما هو في حيرة ولا حيرة الضب حانت منهُ التفاتة فرأَى القزم الذي رآهُ في كفرشيما لما التقى بالاميرة سلمى وامها على عين الماء بين كفرشيما والشويفات ورآهُ القزم فعرفهُ وجعل يناديهِ قائلاً يا خواجه يا قنصل فهش لهُ السر هنري واخذ بيدهِ وكادت الدموع تهطل من عينيهِ لمَّا قابل الحالة التي رآهُ فيها اولاً وهو يكاد يكون في مجالس انس الملوك والحالة الحاضرة والناس مرتمون على الارض كالانعام واطفالهم يبكون ويتخاطفون كسر الخبز وكأَنهُ كان يرى الف رقيب عليهِ فطلب من الترجمان ان يقول للقزم ليأْتي معهُ الى دار القنصلية ويقص عليهِ ما حدث لهم . فقال لهُ الترجمان ان القنصل يدعوك للذهاب معهُ الى دار القنصلية فقال حبًّا وكرامة . وكان القواسة قد احضروا لهُ فرسًا وللترجمان فرسًا آخر فركبا وعادا الى دار القنصلية وعاد القواسة بالقزم اليها

وجعل الترجمان يسأَلهُ عن الامراء واحدًا واحدًا الى ان وصل الى اسم الامير عباس فقال ان الامير عباسًا تخاصم مع الوالي فان الوالي طلب منهُ ان يوافق الدروز ويكون معهم لانهُ مسلم فرفض ذلك وذهب بزوجتهِ واولادهِ الى ابناء عمهِ امراء حاصبيا منذ اربعة ايام . ثم التفت الى السر هنري وقال لهُ والاميرة سلمى معهم . ففهم السر هنري اسم سلمى واستفهم من الترجمان عما قال فترجمهُ لهُ فاظلم الضياء في عينيهِ ولم ينتبه الترجمان لذلك ولكن القزم انتبه لهُ وقال اني رأَيت الاميرة سلمى يوم ارتحلوا وكانت تشير على ابيها ان ينزلوا الى بيروت وتؤَكد لهُ ان قنصل الانكليز يحميهم وهو مصرٌّ على الذهاب الى حاصبيا ووادي التيم ولما فرغت حيلتها جعلت تبكي وتتوسَّل الى امها لكي تقنع اباها بالنزول الى

كلموهُ في هذا الموضوع وهو كان يعلم ان الحرب الاهلية تأول الى
كن ولاة الدولة من ادلالهم وكان يسفّه رأي القائلين بها
بينهُ وبين والي بيروت الى المغاضبة لكنهُ طلع بسواد الوجه مع
ولا هو ارضى النصارى وارباب كلاهما في احلاصهِ . واقام
طوب وكلما حانت لهُ فرصة وبّخ القائمين بهذه الفتنة وسفّه رأيهم
ذا مقام حتى مطران الموارنة صديقهُ الحميم اغتاظ منهُ وكفّ
الوالي يرى وخامة العاقبة فيأمر الفريقين بالتزام جانب السكينة
لدى عليهِ الى ان جاء الرسول من عند الامير احمد يطلب منهُ
ا . وكان يعلم ان الامير احمد رجل جدّ لا يقول الّا ما يعني
ن لهُ حينئذٍ ان الشرّ واقع لا محالة وان الدروز واثقون بالفوز
هذه الثقة الّا وقد اكّد لهم الوالي انهُ ينصرهم بالجنود وترجّح لهُ
صدقهُ وهو ان الوالي اشترى رؤساء الدروز بالاموال الطائلة
رًا ولما رآهم ممتنعين عن اجابة طلبهِ برأي بعض عقالهم حذّرهم
ال التي عرضتها عليكم اعطيها لخصومكم واساعدهم عليكم ان انتم
غرضهُ كان اثارة الفتنة على كل حال عملاً بشورة الحزب الناقم
د عمل بعض الدروز برأيهِ مكرهين لانهم رأوا انفسهم بين
وما هذه اول مرة استحلّ فيها رجال السياسة اثارة الحروب
بية

ذٍ لقد قضي الامر واتفق الدروز مع الوالي ووافقهم الامير
بجرُّ عليهِ البلاء . فقوي الميل في نفسهِ الى نصرة ابناء عمهِ لانهُ
اء عمهِ في لبنان لا يأتمنونهُ فقال لا بدّ من الرحيل الى حاصبيا
لى الا سلام مثلهُ رهم من حرب النصارى
مير عباسًا عازم على الارتحال الى حاصبيًا فلم يعبأ اهلها بارتحالهِ
، حرب يتمي وكانوا يحسبون ان الفوز سيكون لهم اذا انقدت
ن كانوا في بعبدا وهم ابطال مشهود لهم والدروز يحشون بأسهم

سلمى انا اباها يفضل الذهاب الى حاصبيا على البقاء في كفرشيما

[illegible] داخلية البلاد دون الوصول الى حرب [illegible]

وكانت هذه الافكار تتردد في [illegible] كولونل
[illegible] فظن [illegible] يسأله
[illegible] ثم استطرد الحديث الى احوال اللاجئين [illegible] كلامه مجملاً دل
على انهُ كان مشغول البال بامر آخر

الفصل التاسع عشر

النار ولا العار

ومَن يخشى اطراف الرماح [illegible] من الصبرِ
وان كريهَ الموت حلوٌ مذاقهُ اذا ما مزجناهُ بطيب من الذكرِ
وما رزق الانسان مثل منية اراحت من الدنيا ولم تخزِ في القبرِ

أَلا ربما كان التصبر ذلة وادنى الى الحال التي هي اسمجُ
وقد يركبُ الخطب الذي هو قاتلٌ اذا لم يكن [illegible] مخرجُ

لا اثقل على نفس الحر من الصنيعة يسديها اليهِ مَن ليس اهلها . ولا من الانقياد لرأي ترى من نفسك بطلانهُ . هكذا كان شأن الامير عباس حينما بعث اليهِ الامير احمد يدعوهُ الى الشويفات ليقيم في حماهُ فانهُ لما اخبرتهُ زوجتهُ الاميرة هند بكلام الرسول هزَّ رأسهُ وقال الله الله صار ابن شهاب يحتمي بابن ارسلان لا وتربة احدادي ثم نادى بغلمانهِ وقال استعدوا للسفر فاننا ذاهبون الى حاصبيا . وقال لزوجتهِ لا يمكنني الذهاب الى الشويفات والالتجاء الى بيت ارسلان ولا النزول الى بيروت لان الوالي على ما تعلمين وقد سفَّهت رأيهُ وحذَّرتهُ عواقبهُ فحقد عليَّ . ولا البقاء هنا لانهُ لا بدَّ للدروز من مهاجمة الساحل ولا يستطيع النصارى ان يثبتوا في وجههم بعد ان كفل الوالي لهم الفوز فقولي للاولاد ان يكونوا على استعداد فنذهب الى اولاد عمنا في حاصبيا ووادي التيم فانهم بعثوا يلحون علينا بالذهاب اليهم وربما ذهبنا من هناك ونزلنا على عرب الفضل فان الامير عمر الفاعور ارسل اليَّ مرتين لنذهب اليهِ ونحن باختيارنا منازل البدو على غيرهم نكون قد عدنا الى اصلنا او كما يقول المثل اكلنا الفول وعدنا الى الاصول

وكان الشهابيون في كفرشيما والحدث وبعبدا مرتابين في امرهم هل ينتصر الدروز او

لجواري واضطر الامير عباس ان يعود اليهن و يتهددهنّ
هند والاميرة سلمى فكانتا معتادتين ركوب الخيل فخاض
جسا شرًّا . وتعدوا في البي بوس ووصلوا صيداء بعيد
هو من اصدقاء الامير عباس ومن اهل التقى وقاموا منها
رها عند الغروب وخرج الامراء الشهابيون للقائهم ومعهم
م وانزلوهم على الرحب والسعة . وواست الاميرة سلمى بين
يا وان بعضهنّ كنّ متعلمات في المدارس الانكليزية
امرة . ورأت عندهم كثيرًا من كتب الادب فاخذت
رّ بها في الشتاء الماضي مما شغل بالها ولا يرجى تحققهُ في
قر بهم المقام حتى وردت الاخبار ان الدروز هاجموا
كثيرين من سكانهِ فملا البكاء والنواح في دار الخدم
ند بزوجها وتطلب منها ان ترجعها الى كفرشيما وهي تقول
اقلّ عقلي . وقلق الامراء لانهم رأوا ان الفتنة اوقفت
كلها

الفصل العشرون

شكوى الحب

التقرير الذي شرع في كتابتهِ للسفير وارسل صورتهُ الى
، . ثم دخل غرفتهُ واخذ قلمًا وقرطاسًا وجعل يكتب لامهِ
ديهِ ولا سيما قولهُ ان الاميرة سلمى خطيبةُ كما يحبها فاخذ
، قرى لبنان وما رآهُ من احوال سكانهِ العارف منهُ وما
وم ومما قالهُ لها مهما اطنبت في جمال هذه البلاد لا اوفيها
لمدا في اجمل فصول السنة ورأيت بحيراتها وجداولها
را في فصل الصيف واقمت فيها نحو شهرين ولكني لم ارَ
في فصل الربيع . والناس هنا اهل جد ونشاط الرجال
والنساء يغزلن ويحكن وكلهم يربون دود القز ويستخرجون

او الدروز في بيروت . وكنت اسمع حديث [illegible] يستعدون لحرب اهلية وكثيرًا ما سمعت [illegible] يتكلم عن [illegible] حركة [illegible] بالضعف غالبين كانوا او مغلوبين مستشهد [illegible] حروب لا [illegible] وحسبت كل حساب [illegible] . ولما جاءتها امها تقول لها [illegible] عازم على [illegible] الى امها انظر المستفهم المرتاب [illegible] . [illegible] في [illegible] كتاب الى ابنة عمها الاميرة [illegible] في [illegible] يجري . [illegible] احمد ارسل يدعونا للذهاب الى داره [illegible] . فقالت [illegible] اذا قال ابي قولا لا يرجع عنهُ وانت تعلمين [illegible] لا اتسلم لارادته

قالت ذلك لانها رأت اضطراب امها [illegible] اما هي فكانت كارهة لهذا السفر نافرة منهُ اشد النفور ثم مضت الى غرفة [illegible] وكتمتهُ على [illegible] ان قنصل الانكليز يحميهم اذا نزلوا الى بيروت . [illegible] ذلك [illegible] ولكن بداهتها كانت قوية فقالت لهُ اني اشعر بهذا الامر من نفسي وقد سمعت احمد يقول غير مرة ان قنصل الانكليز مضاد للوالي فاذا عرف [illegible] يحميك منهُ

فقال ابوها هذا قد يكون وقد لا يكون والمسألة مسألة حياة وموت [illegible] ولا القي بيدي الى التهلكة وكانت تعلم انهُ اذا قال كلمة لا يعود عنها [illegible] . [illegible] الى الكتاب الذي كانت تكتبهُ لابنة عمها وهي تقول في نفسها [illegible] احكامي [illegible] مثلها لخلصت من كل هذه الهموم وتجلت امام عينيها حينئذٍ صورة [illegible] وكانت قد مضت ايام كثيرة لم تره فيها ولا سمعت عنهُ شيئًا ولا سمعت اسمهُ بلسان احد فجالت الدموع في عينيها وهي تقول ما اشقى المرأة تحب فتضطر الى الكتمان وتميت قلبها وعواطفها لكي تحافظ على عادات قومها . ولقد طالما عللت نفسي باني اسلوهُ فمضت الايام وانا لا ازيد الا شوقًا اليهِ فاذا يصيبني اذا ابعدت عنهُ ولم يبقَ لي امل ان اراهُ ورآها القزم وهي على تلك الحال ورأى آثار الدموع في عينيها فلم يخفَ عليه امرها

ومضى النهار وهي سكرى لا تدري ماذا تفعل وكان الخدم يهيئون ما يلزم اخذهُ من الامتعة ونهضوا في الصباح وركب الامير عباس وزوجتهُ واولادهُ خيولهم وحملوا الامتعة على ستة بغال وركب عليها بعض الخدم ايضًا وام يوسف معهم اخذتها معها الاميرة هند لتسليتهم حتى اذا بلغوا نهر الدامور وجدوا الماء فيهِ غزيرًا الى بطون الدواب وكاد يحمل

ق عن الاسيرة سلمى التي رأيتها في بلدة قرب بيروت وقد
دار ابيها ثم بلغني ان اباها ارتحل بها الى بلدة تبعد نحو يومين
ءأمن هناك ولا اخفي عليك يا اماه ان لهذه الفتاة في نفسي
لم انس اقلين وجمالي ولكنني كنت اشعر دائماً انها لا تنظر
نها نسيتني الآن او انها كانت تحبني محبة الصداقة او محبة الاقرباء
ة لم تكلمني كلمة تدلُّ على الحب ولا انا ذاكرتها في هذا الموضوع
ك كنت اشعر من قلبي اني وقعت في نفسها كما وقعت في نفسي
على التصوُّر لا غير الى اليوم فسمعت اليوم ما حقق لي ظني
لهرج الذي رأيته في دارهم فاخبرني بامور وفي جملتها انه عارف
ي وان ابن خالتها طلب الاقتران بها ورفضتهُ وهو الامير احمد
ذا الخبر وذهابها مع اهلها الى حاصبيا في هذه الاوقات بلبلا
الغد . لا داعي لاخبار اقلين بشيء من هذا القبيل بل يكفي
الى مساعدتها وكرمها ولقد اعطاها الله ثروة وافرة لتساعد بها
ق بكل ما يمكنها التصدُّق بهِ وانا اراقب توزيعهُ على مستحقيهِ
ي خصوصية من حيث املاكهم وريعها وراتبهُ وطلب في
سورية

الفصل الحادي والعشرون

الشهابيون في بيروت

الى مدينة بيروت بخدمهم وحشمهم واستأجروا دوراً نزلوا بها
ن عما كانت وهم في دورهم لان اكثر مواد الطعام لهم والعلف
املاكهم فلا يدفعون ثمنها اما الآن فاضطروا ان يشتروا الحنطة
ون والحبوب على انواعها والشعير والتبن . وكان لا يزال عندهم
الذي باعوهُ او انزلوهُ معهم الى بيروت فانفقوهُ في ايام قلائل
الاستدانة منهم من تجار بيروت وصيارفتها فاعتدل الدائنون
رويداً رويداً يوماً بعد يوم
ار بينهما الحديث التالي

من الحرير وامراؤهم ليسوا على [illegible] ولا [illegible] مثل قصورنا ولكنهم متمتعون بشيء من بهجة السيادة والاستقلال [illegible] من العبيد والجواري والخيل والبغال ويركب الامير منهم [illegible] وبلادهم من البلاد غنية على ما فيها من سوء الادارة ولكن [illegible] في قوي سوء الادارة ولا تفهمين مرادي لانك لا تستطيعين ان تسوري ان حكومة تقسم شعبها قسمين وتحرض القسم الواحد على الآخر لكي يفتك به ويخرب دياره . هذا هو الامر الواقع الآن وقد بذل الكولونل جهده لكي يمنعهُ فما استطاع لان المغرين بالشر اقوى منا . ومما يسوئني ذكره ان جيرانا عبر البحر مساعدون على هذا التحريض كي يحموا البلاد . وقد ذهبت صحبتها سدى وكان اليوم يوماً مشهوداً رأيت فيهِ الدخان صاعداً من منازل [illegible] وتشاهدت بالنظارة البحرية التي عندنا جماهير الاهالي [illegible] البيضاء والزرقاء واعلامهم الحمراء والبيضاء ومعهم قليلون من الفرسان وهم امراؤهم ومشايخهم يجمعون ويفترقون ويتراموون بالرصاص ويتضاربون بالسيوف ثم يهجم بعضهم على بعض وينحدر بعضهم من امام بعض وجنود حكومة معسكرة في الطريق تصدُّ الفارين عن الفرار وضلعها مع احد الفريقين على الآخر وهي لو ارادت لاطفأَت هذه الحرب بكلمة يقولها قائدها اومدفع يرمي بهِ المعتدين

ونزلت بعد الظهر الى شوارع المدينة واحيائها فرأيت ما تتفتت له الاكباد . رأيت النساء جالسات تحت اشجار التوت او في عرصات البيوت يندبن وينحن والاولاد يبكون طالبين ما يسد الرمق . ورأيت بعض الرجال واقفين حيارى لا يدرون ما يفعلون ولا كيف يمونون عيالهم وعيال الذين قتلوا من اخوانهم وقد نهبت امتعتهم وحرقت منازلهم . ورأيت امرأة بديعة الجمال ومعها ولدان كأنهما بدران وهي تندب ندباً يبكي الترجمان فترجم لي كلامها فاذا هي تقول ” انها ذهبت الى القبر تطالبهُ بحبيبها واجابها ان حبيبها ملقى على الطريق تأكلهُ طيور السماء وتنهشهُ وحوش البرية “

نحن باذلون جهدنا الآن لنجمع من المال ما يخفف بعض الكرب عن هؤلاء المساكين ولو بتقديم الخبز لهم . فابذلي جهدك لتجمعي لنا ما يمكن جمعهُ من احسان المحسنين وقولي لاهلين ان هذا يومها فارسلوا لنا نقوداً وثياباً ان امكن والنقود احسن لان ارسالها اسهل بتحاويل على الصيارفة ولا بدَّ ما تزيد الحاجة لانهُ يبلغنا ان الاوامر صدرت بقتل كثيرين في انحاء سورية او حيثما يمكن الايقاع بهم ويصعب علينا ان نصدق هذا الخبر لغرابتهِ ولكن ما حدث اليوم يدل على صحتهِ وسنرى ما تفعلهُ حكومتنا في هذه الحال

الاملاك حتماً فما العمل ومَن يطلبها لنا من الشهابيين

مارون — ليس لنا الاَّ السمسار غنطوس فهو يدخل فيهم مثل النعس و يلبص عليهم مثل الباطلينوس

ثم استدعياهُ وسأَلاهُ عن الشهابيين وتدرَّجا معهُ في الحديث الى مشترى الاملاك اي الاراضي المزروعة توتًا وجنائن في ساحل بيروت ووطإِ نهر الكلب فوجداهُ على تمام الخبرة باحوال الشهابيين واتفقا معهُ على السمسرة وعلى ان يذهب و يعاين الاملاك و يأتيهما بوصفها

وقام من ساعتهِ لهذا الغرض فاجتمع برجل اسمهُ عبد الله كان مستلمًا اشغال امير من اغنى الامراء واكثرهم اسرافًا . ويحكى عن هذا الرجل انهُ تورَّط في اختلاس اموال مولاهُ حتى اغتنى واقتنى املاكًا و بنى دورًا فاشتكى منهُ اولاد مولاهُ لابيهم وقالوا لهُ ان عبد الله نهبك والناس كلهم يلوموننا لاننا ابقيناهُ عندنا كل هذه المدة فقال لهم ان هذا الرجل كان جائعًا فشبع الآن فاذا عزلناهُ واتينا بانسان آخر يكون جائعًا فيضطر ان ينهب لكي يشبع فخير لنا ان نبقي الشبعان من ان نستخدم رجلاً جوعان

وكان عبد الله هذا على ما يُطلَب من اتساع الذمة فسارَّهُ غنطوس واتفق معهُ على قسمة السمسرة مناصفةً . وكان الامير قد فوَّض اليهِ عقد سلفة بالفي ليرة فجاءهُ في المساء بعد العشاء وجعل يشكو من ارتفاع الفائدة وان المداينين ماسكون السكين ليذبحوا ذبحًا فلا يعطون المئة باقل من خمسة وعشرين في السنة وبعد كل جهد انزلهم الى اثنين وعشرين

وكان الامير اكولاً يأكل دجاجةً او دجاجتين على عشائهِ ومتى شبع اتكأَ على مسند الى ان ينام فينقلب الى وراءهِ قلبًا و ينزل دمهُ الى معدتهِ فلا يبقى منهُ في رأسهِ ما يكفي لتوليد الافكار او لتشغيل العقل فقال لعبد الله وما رأيك الا اظن ان احدًا يدينا باقل من ذلك في هذه الصيغة . فقال عبد الله انني اهتديت الى طريقة أُخرى لاخذ المال المطلوب من غير ان نخسر خسارة تذكر وهي ان الاملاك التي تحت قناطر زبيدة لا يبلغ ايرادها مئة ليرة في السنة ويمكننا ان نبيعها بالفي ليرة وفائدة الالفي ليرة ٤٤٠ ليرة على الاقل فاذا بعناها نكون قد وفرنا ٣٤٠ ليرة في السنة وعندي سمسار يمكنهُ ان يبيعها لنا بهذا الثمن اذا اعطيناهُ سمسرتهُ

ففتح الامير عينيهِ وقال لهُ اعد لي ما قلتهُ ثانية . فكرَّر لهُ الكلام الاول بالتأني . فقال فهمت فهمت نبيع العلقة التي تحت القناطر بالفي ليرة هي والمطحنة طيب ابعث اكتب الحجة حتى امضيها لك

نقولا — هذه فرصة نادرة يا مارون اذا لم نستغنمها سبقنا اليها غيرنا

مارون — وما هي هذه الفرصة النادرة عسى ان لا تكون مثل فرصة الصوف التي خسرنا بها عشرة آلاف ليرة

نقولا — من كان يعلم ان اسعارها تتدنى حتى في سنة واحدة وقد لا تدنى صوفاً ومع ذلك تورّط الى هذا الحد في المشترى والتحريض كان رأيك ورأي عمك وحيد ما هنالك اني بلغتكم الى الصنف وقلت انهُ منتظر الصعود في ... على ما كنت اقرأهُ في الجرائد الغربية وبناء على ما كتب به اليَّ عميلي من البلاد الانكليزية

مارون — ما علينا من مسألة الصوف فما هي هذه الفرصة النادرة

نقولا — الشهابيون في بيروت وقد صاروا على الارض فقد باعوا كل حريرهم وصرفوا ولا امل لهم بشيء من مواسم الغلال وهم يستدينون المئة الآن عشرين وثلاثين ونحو فاقةٌ عازمون ان يسلخوا جلدهم اما انا ولا رأي لي ان نديهم لاني لا استحسن ان ندين عشرين وثلاثين بل ان نشتري منهم املاكهم في سقي بيروت ووطأ بهر الكلب فان كل بساتين التوت هناك لهم ويمكننا ان نشتريها منهم الآن بارخص ثمن

مارون — اتعرف كم ايراد الملك الآن

نقولا — اظن ان الايراد قليل لا يزيد على اربعة وخمسة في المئة ولكن اسعار الحاصلات ستزيد فيزيد معها ثمن الملك

مارون — كيف عرفت ان اسعار الحاصلات ستزيد وما ادراك انها لا تنقص

نقولا — اني اعرف ذلك لسببين السبب الواحد يمكنني ان اخبرك به وهو ان دود الحرير مضروب في فرنسا وايطاليا وقد اجتهد الفرنسويون كثيراً في علاج الضربة ولم يجدوا لها علاجاً فلا بدّ ما يرتفع ثمن الحرير فيرتفع ثمن بساتين التوت هذا هو الامر الاول . والامر الثاني اخبرك بهِ على شرط ان تعدني انهُ يبقى الآن في سرك

نقولا — اذا كان الامر يحتاج الى كتمان فاعدك بكتمانهِ

مارون — لو ما كان يحتاج الى الكتمان ما كنت اطلب منك كتمانهُ

نقولا — قل لي ما هو وانا اعدك بكتمانهِ

مارون — اني اعلم عن ثقة ان عساكر فرنسا ستحتل سوريا والمرجح انهُ لا يمضي شهران حتى يكونوا هنا

فلما سمع نقولا هذا الكلام ابرقت اسرّتهُ وقال اذا كان الامر كذلك فستتضاعف قيمة

صار لهم مصلحة مالية ثابتة في البلاد ولنا نحن ايضاً مصلحة مالية بسبب تجارتنا الواسعة وهي اوسع من تجارة فرنسا بل مثل تجارة اوربا كلها ولكن ليس لنا رأس مال موضوع في البلاد مثل فرنسا الا اذا استثنينا الشركة الفرنسوية . وقد خابرت بعض الماليين في مشتراها فلم ارَ منهم رغبة في ذلك لانهم يظنون ان ترعة السويس ستبطل طريق التجارية البرية بين بيروت وبلدان المشرق وليس الاعتماد على تجارة دمشق نفسها بل على البلدان الشرقية التي تصل تجارتها الى دمشق

فقال وزير الحربية وهل تظن ان الفتنة خمدت واكتفى الفريقان بما حدث

فاجابهُ وزير الخارجية كلا بل يظهر من تقارير قناصلنا ان النار لا تزال مخبوءَة تحت الرماد وانهُ لابدَّ من امتداد الفتنة الى المدن الكبيرة في داخلية البلاد ودمشق نفسها ليست بأمن من ذلك . والقناصل باذلون جهدهم لاخماد الفتنة وحماية النصارى ولكن الامر ليس في يدهم لانهُ يظهر ان اوامر سرية وردت من الاستانة الى رجال العسكرية لايقاد نار الفتنة وليس المراد بها الفتك بالنصارى دون الدروز بل مساعدة فريق على فريق فيصح ان يساعدوا الدروز على النصارى ويصح ان يساعدوا النصارى على الدروز والمراد اثارة الفتنة على كل حال وتضحية بعض النفوس لغرض سياسي وهو تحريك اوربا لالقاء المسؤُولية على الحكومة الحالية . هذا هو الغرض الذي يرمون اليهِ على ما اتصل بنا واخواننا عبر الخليج يرمون الى غرض آخر ولكنهم يتوسلون اليهِ بطريقة نفسها اي بايقاد نار الفتنة في البلاد ونحن نكاد نكون مغلولي الايدي وقد كتب الينا قنصلنا في بيروت انهُ باذل قصارى جهده لايقاف الفتنة عن هذا الحد واطفاء نارها ويساعدهُ على ذلك صديق قديم لنا من مشايخ الدروز لهُ اكبر سلطة على جماعتهِ فاذا نجح في سعيهِ ووقفت الفتنة عند هذا الحد فلا اظن ان جيراننا يصرُّون على ارسال جنودهم الى هناك واذا لم تقف عند هذا الحد بل شملت البلاد كما يخشى فلا بدَّ لنا حينئذٍ من تدبير آخر

فقال وزير الحربية انا نطلب حينئذٍ ان يكون الاحتلال مشتركاً ونرسل فرقة من جنودنا

فقال وزير المالية وهل في الامكان ارسال جيش الآن مع ما نحن فيهِ من الضيق المالي ولا ارى ان الميزانية تساعدنا على ذلك

ونظروا الى رئيس الوزراء كأنهم يطلبون رأيهُ فقال ليس من الحكمة ان نرسل جنودنا مع جنود فرنسا لانهُ قد يتولَّد من وجود الجيشين مشاكل ليست في الحسبان وفوق ذلك فان جيراننا يستسهلون ان يرسلوا عشرة الآن مقاتل الى هناك ونحن لا نستطيع ان نرسل هذا

وفي اقل من خمسة ايام اشترى غندوس حرجه نقولا وخوجه ميرون املاكاً بنحو عشرة آلاف ليرة وهي تساوي عشرين و ... الف ليرة . ودرى غيرهم من التجار بذلك فجعلوا يتسابقون الى مشترى الاملاك وهي من جنى الثمر حين لا يهمهم تحمّل الفلاحين لنقب الارض وحرثها وغرسها ولكن الذين تعبوا على انشائها ماتوا وورثها اناس لم يتعبوا بها فسهل عليهم بيعها وهكذا انتقل جانب كبير من املاكهم الى تجار بيروت . ولقد احسنوا في ما فعلوا من بيع الاملاك بدل استدانة الاموال ورهنها لانهم لو استدانوا ورهنوا املاكهم لتضاعف الدين في ثلاث سنوات فالذين اصروا على البيع لم يضرهم ولكن جاءهم الضرر من جهة اخرى وهي ان كثيرين منهم رأوا نجاح التجار ومكاسبهم الكبيرة فسوّلت لهم النفس ان يبيعوا املاكهم ويتجروا بثمنها وفاتهم ان التاجر يمارس التجارة ولداً ويربى فيها من صغرهِ حتى يتمرّن عليها ويعرف اساليبها واسرارها وبغير ذلك تكون التجارة خاسرة فلم يمضِ عليهم وقت طويل حتى خسروا كل الاموال التي وضعوها في التجارة وهذا شأن كل من يستسهل الاعمال ويتعاطاها قبلما يتمرّن عليها

الفصل الثاني والعشرون

المذاكرات السياسية

اجتمع مجلس الوزراء في بلاد الانكليز للنظر في ما سيطرح على البارلمنت من المسائل ومنها مسألة عن جبل لبنان والفتنة التي اتقدت نارها فيهِ . فقال وزير المستعمرات هذا هو الامر الذي كنت اخشاهُ من حين شرعت الشركة الفرنسوية في انشاء سكة المركبات من بيروت الى دمشق فقد اخذت الآن تقول ان لها مصالح مالية في سورية لايمكنها الاغضاء عنها وانهُ لابد لها من ارسال جنودها لحماية مصالحها هناك

فقال وزير المالية الى اين وصلوا في انشاء ذلك الطريق . قال ذلك موجهاً خطابهُ الى ناظر الخارجية

فاجابهُ وزير الخارجية لايمكنني ان اقول بالتأكيد الى اين وصلوا لانهم ابتدأوا من اماكن مختلفة في وقت واحد على ما كتب بهِ اليَّ قنصلنا في بيروت لان البلاد جبلية وفيها كثير من الآكام والاودية والغدران ولا بدَّ من بناء جسور كثيرة في اماكن مختلفة فبنوا هذه الجسور ومهدوا الطرق بين جانب كبير منها على ميول معتدلة . ولا يسعنا ان نذكر انهُ

الفصل الثالث والعشرون

استفحال الفتنة

سُرَّ الدروز بالفوز المبين الذي فازوهُ في ساحل بيروت وودّوا الاكتفاء بهِ حاسبين انهم قهروا الشهابيين وهم عمدة النصارى الآن والي بيروت لم يكن من رأيهم فجمع بعض امرائهم الى الحازمية خارج بيروت وقال لهم انكم لم تفعلوا شيئاً حتى الآن ولم يزل النصارى اقوى منكم كثيراً ولا بدَّ لهم ان يأخذوا بالثار ولا سبيل لاضعافهم حتى تامنوا شرهم الاَّ بتخريب مدنهم الكبيرة زحلة ودير القمر وجزين وحاصبيا وراشيا فازحفوا عليها والفوز لكم

فدبَّت النخوة في رؤُوس البعض منهم وقالوا لهُ سمعاً وطاعة وخاف البعض الآخر سوءَ العاقبة ولا سيما لانهم كانوا يعلمون ان دول اوربا لا يمكن ان تسكت عن ذلك فقالوا لهُ اننا في المتن والشوف والعرقوب ووادي التيم كثار ولا يعسر علينا التغلب عليهم ولكن لا يخفى على دولتكم ان نصارى كسروان اكثر منا كثيراً فاذا جاءوا لنصرة اخوانهم فلا طاقة لنا بهم

فقال لهم اننا احتطنا لذلك ونصارى كسروان لا يحركون ساكناً ولو تظاهروا بمساعدة اخوانهم ألم تروا كيف انفضَّ جمعهم من بعبدا حالما امرناهم بذلك. ثم انصرفوا من لدنهُ واكثرهم واثق انهُ يفعل ما وعدهم بهِ

ووصل الى دمشق في تلك الاثناء رجل اسمهُ صادق افندي وجعل يجتمع بمشايخ الدروز من حوران وببعض مشايخ لبنان حتى اذا اتمَّ عملهُ الذي حضر لاجلهِ أُمر بالعودة الى الاستانة بعد ان اسرَّ الى الوالي بما جاء لاجلهِ . ويقول اهالي دمشق ان سلوك الوالي تغير معهم بعد سفر صادق افندي

ثم اجتمع الدروز وحاربوا اهالي جزين وبكاسين وحرقوها وقتلوا كثيرين من سكانهما وزحفوا بعد ذلك على زحلة وكان كثيرون من نصارى العرقوب قد قاموا لمعاونة اهاليها فالتقوا بالدروز عند ظهر البيدر وكادت الدائرة تدور على الدروز وقتل هناك ابن عقيدهم علي ابن خطار العماد. وكان الشيخ اسمعيل الاطرش قد جمع دروز حوران وعربها عملاً بامر والي دمشق وقام بهم لنجدة دروز لبنان حتى اذا دخل وادي العجم وجد فيهِ بعض النصارى من اقليم البلان فقتلهم وهم ١٣٥ نفساً وسار برجالهِ الى ان وصل الى زحلة وفي اثناء ذلك وصلت اليها فرقة من الجنود العثمانية وعسكرت امامها وحينئذٍ هجم الدروز عليها من الجنوب والغرب فصد اهاليها هجماتهم وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية وظلت الحرب سجالاً الى ان قدم عليها

العدد ولا يليق بكرامتنا ان يكون عدد جنود ... جنودنا حيث نريد ان يقوى ... يكون ... جنودها اسم اوربا ... وحينئذ ... وربما حينما يتيسر الاستغناء عنهم

واستصوب الجميع هذا الرأي ... روسيا ... وسفير بروسيا قبلما يكلم سفير فرنسا

واجتمع البارلمنت في المساء ... قرأ في ... حرباً اهلية نشبت في سورية وان لبعض الدول الاوربية يداً في ... التي عند الحكومة وما هي التدابير التي عزمت على اتخاذها ...

فاجابهُ رئيس المجلس ان ما قرأهُ حضرة العضو ... والحكومة تنظر الآن في التدابير التي يجب اتخاذها ... المجلس بها

فقال عضو آخر ان لنا مصالح ... كبيرة في مدينة بيروت ... يخشى على تلك المدينة وما هي التدابير التي اتخذتها الحكومة لوقاية مصالحنا هذه

فاجابهُ الرئيس ان الاخبار التي وردت اليهِ حتى الآن لا ... انهُ يخشى على مدينة بيروت وعلى ذلك فقد امرت نظارة البحرية بارجة من ... المتوسط بالذهاب من مالطة الى سواحل بيروت وسواحل سورية

وقال عضو ثالث ان جماعة من المبشرين الانكليز منتشرون في مدن سورية فهل أُخذت الاحتياطات اللازمة لوقايتهم

فقال الرئيس يظهر ان قناصلنا لم يغفلوا عن ذلك ولا عن حماية المرسلين الاميركيين والمرجح ان المتحاربين يحترمون الراية الانكليزية مهما كانوا لان اعمال بحريتنا المجيدة في سورية ولا سيما في بيروت وعكاء لم تنسَ من تلك البلاد حتى الآن

ثم دارت المناقشة في مواضيع اخرى داخلية وخارجية

اما في فرنسا فلم تدخل المسأَلة مجلس النواب بل اكتفت الوزارة بمداولة فيها وبيَّن ناظر الحربية ان الجنود مستعدة للسفر عند اول اشارة وان معارضات انكلترا على ما جاءهم في التقارير السرية لا يعبأُ بها لان انكلترا لا تستطيع ان ترسل جيشاً مثل جيش فرنسا ولا تستطيع ان تمنع ارسال الجيش من فرنسا بعد ان يتفاقم الخطب في سوريَّة وتحفَّز نصارى كسروان للاخذ بثار اخوانهم

عد من الذكور وقد جنَّ بعض النساء ممَّا رأينَ من الفظائع
ذا اطلق العنان لشهوة الغضب وما اقبح التعصب الديني اذا
ين يخالفونهم دينًا . واقبح من هذا وذاك تدبير المذابح وتنظيمها
ك الوالي وزبانيتهُ وتلك الفئة الطاغية في الاستانة فان كان
ول اليهِ الحال ولكنهم اغمضوا عيونهم لكي لا يروا وصموا

ت الى الكولونل روز قنصل الانكليز الجنرال في بيروت
في حاصبيا وراشيا وخلاصتهُ ان الامير سعد الدين كان في
ية على بلاد حاصبيا فاعطيت لابنهِ الامير احمد وكان احمد
طلب منهُ ان يعود الى حاصبيا مع فرقة من الجنود العثمانية
دروزها . واستشار الامير سعد الدين صديقًا لهُ من
هب لئلاَّ يغتاظ الدروز من مطالبتهم بالاموال في ذلك
ن الذهاب لكن الوالي لم يعفهِ بل اضطرَّهُ اضطرارًا
اذا وصل الى حاصبيا وطالب الدروز بالاموال الاميرية
من كل الجهات المجاورة لها . فخرج النصارى منها لمناوشتهم ثم
هجم الدروز على بيوتهم وسلبوها ثم حرقوها وقال امير الاي
ان يحميهم ما لم يسلموهُ اسلحتهم فسلموهُ اياها فبعث بها الى
نعهم من الهرب منها . وبلغ القناصل في دمشق ما حدث
طًا كرديًا من دمشق ليأتي بنصارى حاصبيا اليها وتقرَّ القرار
فطلب ان يؤْذن لهُ بضرب الدروز ان هم منعوهُ من جلب
ذلك فرفض الذهاب على هذه الصورة فاستدعى الوالي
اورًا الى حاصبيا ومعهُ الاوامر اللازمة لامير الاي الجنود
بيوم واحد أُدخل الدروز الى السراي التي فيها النصارى
ح الغنم ومثلوا بهم تمثيلاً ثم صعدوا الى دار الامير سعد
وقتلوا صهرهُ الامير جهجاه واربعة آخرين من الامراء
صارى . وهجم دروز حوران على راشيا فادخلهم الجنود الى
التجأ اليها من النصارى وبلغ قتلى حاصبيا نحو ٧٠٠ نفس

رجال من الدروز من خدمة المشايخ [illegible] لاهالي [illegible] من يوسف بك كرم
فظنوهم نجدة منتظرة [illegible] حتى [illegible] الدارين الحامية
فانهزمت من امامهم ورأى [illegible] في زحلة [illegible] مدينتهم من ورائهم فارتدوا
رويداً رويداً وظلوا [illegible] من امامهم [illegible] في زحلة وساروا الى
جهة بسكنتا . والظاهر ان الخوف من [illegible] استلب ولولا ذلك
لتعذَّر اخذ تلك المدينة

وكان في زحلة رجل من اهالي دير القمر رأى ما جرى [illegible] الحركة مدبَّرة وان
لا بدَّ من الزحف على دير القمر فكتب [illegible] ترجمان قنصل الانكليز في بيروت يخبره بما جرى
في زحلة وبما يوجس منهُ وتوسل اليهِ كي يبذل كل ما في وسعهِ [illegible] على الذهاب
الى دير القمر بانفسهم لانهُ اذا احتط الدروز بهِ لم يبق لاهاليها مهرب منهم

فسعى الترجمان مع غيره من وجوه دير القمر المتوطنين بيروت لدى قناصل الدول
فلبوا طلبهم واتفق قنصل انكلترا مع قنصل فرنسا على الذهاب الى دير القمر ولو ذهبا ما حدث
شيءٌ مما حدث فيها ومما حدث في غيرها بعدها ولكن والي بيروت اقنع قنصل فرنسا بان لا
داعي لذهابهِ وانهُ هو اي الوالي يرسل قومندان مركز الولاية وحاميتها وقال مثل ذلك
لقنصل الانكليز واقنعهُ بان لا داعي لذهابهِ. ثم ارسل القومندان فذهب وجمع مشايخ الدروز
وحرضهم على الفتك بالنصارى . قيل ولما رأى سعيد بك جنبلاط ما دبّر بعث اثنين من
خواصهِ الى اهالي دير القمر يطلب منهم ان ينزحوا اليهِ الى المختارة اذا ورقهم القومندان
فصدَّق بعضهم كلامهُ وساروا اليهِ فحماهم واما الباقون فجمع اميرالاي العساكر العثمانية
سلاحهم بعد ان تهددهم بان لا امان لهم ان لم يعطوهُ السلاح وكانوا قد افنوا كل ما عندهم من
البارود والرصاص فسلموهُ اسلحتهم فادخل الدروز الى مدينتهم فنهبوها ثم ذبحوا كل الذين
التجأُوا من الاهالي الى سراي الحكومة . قيل وكان متسلم دير القمر مخالفاً للاميرالاي في
هذا العمل الوحشي وحمى كل الذين التجأُوا الى دارهِ من الاهالي لكن الاميرالاي امر الجنود
والدروز ان يدخلوا دار المتسلم عنوةً ويقتلوا كل من لجأَ اليها ففعلوا ثم ان المتسلم نفسهُ جرّع
غصص المنون بعد ان عاد الى بيروت

هذا بالاختصار التام اما التفصيل فتقشعرُّ منهُ الابدان وتذوب له النفوس اسىً فانهم
كانوا يذبحون الولد على ركبة والدتهِ وينزعون الطفل من يد امهِ ويضربونهُ بالسيف
فيشطرونهُ شطرين ويردونهُ اليها قائلين خذيهِ فقد اسكتناهُ لكِ ويقطعون اوصال الرجل

مير عباساً ويوده ُلاخلاصهِ ويعلم انهُ على خلاف مع الوالي وانهُ
كنهُ لم يكن يعرف شيئاً عن ابنتهِ ولا عن علاقة السر هنري بها
مة وشعر بسلطة الحب شعور من نسي صديقاً عزيزاً ثم التقى بهِ
قم ولا نتأخر ساعةً واني لاستغرب سكوتك عن ذلك الى
هذهِ الاميرة لك ولكن مهما كان شأنها فليس من الشهامة
ا الوقت وانت قادر على مساعدتها . لو كنت مكانك لذهبت

لك وقال لهُ يشقُّ عليَّ جدًّا ان اتركك في هذا الوقت مع
هذا الحر الذي يكاد يزهق النفوس ولكن ما دام الذهاب

. القواسة ان يعد ما يلزم لذهابهم الى صيداء وجهات مرجعيون
تب الى امهِ بخلاصة ما بلغهم من اخبار المذابح وطلب منها ان
مدقات من اهل البر والاحسان وقال لها ان ما ترسلونهُ من
ليهِ اعظم شكر لان علينا ان نطعم الوفاً من النساء والاطفال
دم لاقلين وبالالتجاء الى كرمها وحنانها

الفصل الرابع والعشرون

حادثة دمشق

ني ولا اشدّ منهُ خطرًا على البلاد لاسيما وانهُ سلاح الرعاع
وشاً ضارية لا تأخذهم شفقة ولا رحمة . ويا ويح بلاد يطلق
الانتقام من مخالفيهم مذهباً فان التاريخ يشهد انهم كانوا
رتكبون اقبح الموبقات مع اسيادهم الذين هم غرس نعمتهم. واي
كيناً في بيتك وتأتمنهُ على اولادك واموالك ثم تراهُ وقت الشدَّة
والخنجر في يدهِ يغمدهُ في صدرك وصدور اولادك لكي يغتنم
تصل الى هذه الشراسة ولكن ابن آدم يقدم عليها عفواً اذا
دبني . كذا فعل اليهود بالنصارى والنصارى باليهود واهل
سنة باهل الشيعة ولا تزال امثال هذه الفظائع تجري في بلدان

قتلى راشيا ٥٠٠ وقتلى دير القمر وما جاورها نحو ١٥٠٠ نفس قُتلوا كلهم في الدم البارد بعد
ن سلموا اسلحتهم لرجال حكومتهم

ولا تحسبنَّ الدروز كلهم اشتركوا في هذا العمل الفظيع -اصتهم وعامتهم · كلاَّ فان
بعض العامَّة وكثيرين من الخاصَّة كانوا اشد الناس مودة للنصارى فدافعوا عنهم وحموهم
في بيوتهم من كل اعتداء ولولاهم ما نجا احد

ولما اطَّلع السر هنري بدمونت على ما حلَّ بحاصبيا حيث كانت الاميرة سلمى ووالداها
جفت شفتاهُ واصطكَّت ركبتاهُ وكاد يغمي عليهِ ثم غلى الدم الاسكتسي في عروقهِ فاحمرَّت
جنتاهُ ونهض وجعل يمشي في غرفتهِ ذهاباً واياباً بل يركض فيها ركضاً كمن يطاردهُ عدو
دخل الكولونل روز عليهِ وهو على تلك الحالة وكان قد قرع الباب مراراً ولم يسمع مجيباً ففتحهُ
خائفاً ان يكون السر هنري مريضاً فلما وقعت عينهُ عليهِ قال لهُ السر هنري قرأت تواريخ البشر
الحاضرين والغابرين فلم ارَ ولم اسمع ان دولةً تقتل رعاياها لغير اثم ولا حرج قضاء لمآرب
شخصية كيف صبرنا على هذا الجور وكيف نصبر عليهِ · اذا رأينا رجلاً يعذب نعجة او
عصفوراً بغير سبب ألا نتعرض لهُ فهب ان هؤلاء المساكين نعاج او عصافير افلا تقضي
الشفقة علينا ان نتعرض لمن يمسك الرجل منهم ويقطع اذنيهِ ويديهِ ثم يذبحهُ ذبحاً. ألا
نتعرض لمن يلقي راس الولد على ركبة امهِ ويذبحهُ عليها ألا نتعرض لمن يأخذ الطفل الرضيع
من يدي والدتهِ ويطعنهُ بخنجر ثم يردهُ اليها والدم يسيل من صدرهِ . ما هذا التوحش
وما هذا الجمود الذي نحن فيهِ. اين الشهامة اين المروءة ثم ما حال اولئك الارامل الثاكلات
النائحات النادبات وما حال بناتهنَّ اذا كنَّ قد تُركن لهنَّ واين مقرهنَّ الآن · وفي تلك
اللحظة عينها خطرت ببالهِ صورة سلمى ممزقة الاذيال تجري بين الصخور والادغال ووراءها
وغد يجدُّ في اثرها فجمد الدم في عروقهِ ثم انتفض كما انتفض العصفور بللهُ القطر وقال
للكولونل روز ألا تظن انني استطيع ان اقوم ببعض ما يجب علينا اذا ذهبت الى صيداء
واستصحبت قنصلنا او بعض القواسة ومضينا الى جهات حاصبيا ووادي التيم نفتش عن الذين
سلموا من القتل والموت فنغيثهم ونأتي بهم الى بيروت

وقبل ان يجيبهُ الكولونل على ذلك شعر انهُ اخطأ في ما قال لان غرضهُ الاكبر من هذا
الذهاب شخصي وقد عبَّر عنهُ على اسلوب يفهم منهُ انهُ مجرد عن كل غاية شخصية فلام نفسهُ
على ما فرط منهُ واستدرك قائلاً ولي في ذلك مأرب شخصي لا اخفيهِ عن الكولونل · ثم
قصَّ عليهِ قصتهُ مع الاميرة سلمى من اولها الى آخرها

رعاياهم . ووحوش البر وطيور السماء قزت نفوسها من اكل
مها الطبع اليها و يبعدها الشبع عنها وهو شعور جديد لم تعرفهُ
ن منازل اكلتها النار والنجوم تتطلّع عليها فلا ترى فيها غير
م الله على خلق الانسان كما ندم في عهد نوح وودّ ملائكتهُ ان
يطهرها من الاشرار
ان كانت ارض الموعد جنة الله في خلقهِ الارض التي كانت
لتي نشأت فيها دمشق وصور وصيداء واورشليم و بيروت وعكاء
د وصناعة الفينيقيين التي طمع فيها الفاتحون من كل الاقطار
. بلاد الضيافة والشهامة وعزة النفس . هذه البلاد اوصلها سوء
يحرّش بينهم ليفترس بعضهم بعضاً

خبر والى اين
ونا راجع الى البيت والله ما عاد لي نفس اجلس في القهوة
جرى
ال ان السفرا والقناصل طلبوا مسك كل مشايخ الدروز وشنقهم .
قل هو خبرني انا القطها طائره من هنا كلمة ومن هنا كلمة . والله
، لطلعوا مقابل كل الافرنج
ت ان فرنسا عازمة ان ترسل عسكراً كبيراً الي هنا
ح من قال لك ذلك . فرنسا كانت مع مولانا السلطان وقت حرب
، الكلام بسرك زادوها قال قتلوا كل النصارى في الشام . هذا
لجار. الله يساعدنا قل آخر زمان قرب وقت المهدي . ما سمعت
الامير احمد انا ربيتهُ و بالي مشغول عليهِ سألت الوالي عنهُ قال
وران . الله يهونها آخر زمان آخر زمان
ر مع قدورا افندي على ما تقدّم كان الخواجه بخور والخواجه شمعون
فتهما من دمشق وفي ما يخشى منهُ على بيروت
ة هائلة وقد انتقمنا منهم على ما جرى لنا في مسألة البادري توما
الذي كان في بيت الخوري وكل شيلان الكشمير

المشرق وان زالت الآن من بلدان المغرب حتى لقد يقف المرء حائرًا بين فوائد الاديان ومضارها وايها اكثر لنوع الانسان وان شئت فقل المتنطعين في الاديان لان الدين بريء مما يفعله المتنطعون فيه باسمه

اهالي دمشق من مسلمين ونصارى من الين الناس عريكة واكثرهم وداعة وقد عاشوا السنين الطوال متآلفين متحابين والنصارى قليلو العدد جدًّا وكأنهم عائشون في حمى المسلمين وهؤلاء اهل تقى ومسالمة ولاسيما الكبراء منهم ولكن لما اراد ذوو الشأن ان يوقعوا الجفاء بينهم وبين المسيحيين لاغراضهم لم يتعذَّر عليهم ان يجدوا من يجيب نداءهم من العامَّة فحرَّضوهم واطلقوهم فانطلقوا كالنار في الهشيم يذبحون ويفتكون الى ان جرت الدماء انهارًا وحلَّ بالمسيحيين هناك ما لم يحلَّ بهم مثلهُ من زمن الفتح الى الآن . ولولا بعض الصلاَّح ذوي الشهامة والنجدة لما ابقى الاشرار على احد· كلُّ ذلك والوالي متسلح بالاوامر السرية التي في يده وغير خائف ان يطالَب بشيء مما فعل

ووصلت اخبار هذه المذابح الى بيروت وهاجر اليها من بقي حيًّا من نصارى دمشق وسائر مدن الشام التي اصابها ما اصاب دمشق فازدحمت بهم منازلها وشوارعها وبساتينها حتى كنت ترى عائلتين او ثلاثًا في غرفة واحدة بل اخرجوا الدواب من مرابطها وسكنوها . والاولاد المعتادون رفاهة العيش كانوا يفتشون عن اوكار النمل ليأكلوا ما فيها من الحبوب واذا اصاب احدهم رغيفًا اجتمع حولهُ عشرون من امثاله يقاسمونهُ اياهُ

وبادر اهل البر والاحسان في اوربا الى معونة اولئك المنكوبين بسخاء حاتمي فارسلوا اليهم اكياس الدقيق واثواب القطن والصوف وكثيرًا من النقود واقيمت اللجان في بيروت لتوزيع الاحسان ولولا ذلك لمات كثيرون جوعًا

وظلَّ المنكوبون في بيروت ينقلَّبون على مثل جمر الغضا ويبحث بعض النساء عن ازواجهنَّ واولادهنَّ وهنَّ لا يعلمن أفي عداد من قتل هم او لم يزالوا في قيد الحياة وكل يوم يصل جريح لم يجهز الاعداء عليهِ فبقي مغطى بالقتلى مغمى عليهِ من كثرة ما نزف من دمهِ الى ان افاق ودفعتهُ بقية الحياة الكامنة فيهِ الى الهرب فجعل يسري ليلاً ويختبيء نهارًا وهو يسدُّ رمقهُ باعشاب الارض الى ان بعُد عن مواقع الخطر. والاطفال الذين ارضعتهم امهاتهم لبن الحزن يموت الواحد منهم بعد الآخر· وقناصل الدول يكتبون الى دولهم يشرحون لها وقائع الحال وهم مجمعون على استقباح ما جرى واستفظاعهِ . ورجال الدولة متربصون ليروا ماذا تكون العاقبة وهم يكذّبون تارة ويشمخون اخرى قائلين ان لا شأن للدول الاجنبية حتى

لفصل الخمس والعشرون

توقّع القضاء

ر احد احياء بيروت قليلة صغيرة متفرقة بين بساتين التوت
سارى الدين سلموا من المذابح فكنت ترى البيت الذي فيه
ولم يكد يستقرُّ بهم المقام حتى اخذ الرجال منهم يفتشون
ا نساء الحي في تسليك الحرير وكبّهِ فاكتسبن ما ساعدن
م يترك الاولاد يلعبون في الشوارع بل أُرسلوا الى المدارس
ولادهم من الضروريات التي لا بدّ منها فترى الرجل يقتصد
رأة تبيع حلاها وتعلم اولادها ولا يكتفون بتعليم الصبيان

ن وهي غرفة واحدة على دائرها مقاعد من الخشب والاولاد
لم جالس على كرسي الى جانب الباب وامامهُ مائدة صغيرة
ـ من الزمان — وقف ثلاثة اولاد امام المعلم وجعلوا يقرأُون
لاميركية وبينما هم يقرأُون والمعلم يصلح اغلاطهم و يأمر المجتهد
طويل القامة اسمر اللون عابس الجبين لابس دامرًا مرخي
لطول قامتهِ فنهض المعلم واقفاً اكراماً لهُ ووقف التلامذة
واسرَّ في اذنهِ كلمتين ثم خرجا من المدرسة ووقفا امام الباب
ن حيث اتى ودخل المعلم وقرع الجرس وقال للتلامذة
ـوا يمنة ولا يسرة ولا تتأخروا في الطريق وقولوا لاهاليكم
ضعة ايام وخذوا كتبكم معكم
كتابهُ او كراستهُ وتكاتفوا وخرجوا في صف واحد ثم
ولم يكادوا يصلون الى بيوتهم حتى وجدوا فيها حركة غير
ين للمجيء بهم وقابلهم امهاتهم بلهفة وادخلنهم حالاً الى
معن القليل من ثيابهم و يرزمنها
سأل الكبار منهم اباءهم وامهاتهم عن سبب هذا الاضطراب
وهي تقول لاخيها "هس قتِل مسلم و بدهم يقتلونا كلنا"

فقال شمعون وما ادرانا انهم لا يرتدون الينا بعد ما يخشون منهم

بحور — كان بالي مشغولاً من هذا القبيل في اول الامر . لكن الآن فقد اطمأن بالي فان سمحاء دبروها في استانبول وتمت مكاتيب توصية منهم الى في الشام وفي بيروت حتى حواننا الذين في دير القمر ما اصابهم شيء لله الحمد على اسرائيل فهو يحرسنا تحت شدة القاضي

شمعون — والصبي الذي اشتروه هل هو شيء يذكر

بحور — شيء لا مثيل له في قصور الملوك فانهم كانوا يتوارثونه الى الآن من جد صحون زبادي وقوارير كبيرة وصغيرة من كل الاشكال وبعضه قديم جداً عمره اكثر من الف سنة وكان الناهبون عازمين على تكسيره ولكن رزقك حميد وصل يوسف اليهم قبلما كسروا شيئاً منه واشتراه كله بليرتين واذاك هو كل الصيني الذي اعرفه فيسوى خمسة آلاف ليرة واشترى ايضاً من شيلان الكشمير ما يسوى الفي ليرة على قوله ولم يدفع ثمنه لا نحو عشرين ليره . اما الفضيات والنحاس فلا تسأل عنها لانها كثيرة جداً وتسابق الناس الى مشتراها

شمعون — اذاً سنة مباركة وهل تظن انه يحدث شيء هنا

بحور — لا يبعد فاني كنت عند الوالي امس وكلمني بالتلميح وهو يفرح بما ...د فاخاف من المراكب الحربية لانه اذا جاء مركب واحد حربي لا يعود احد يقدر على شي

شمعون — والاخبار من لندرا

بحور — الدنيا قائمة قاعدة هناك الاعضاء في مجلس النواب يسألون الوزارة مئة سؤال كل يوم . والقسوس يعظون في الكنائس ويحرضون الناس على الدولة . والنتيجة طيبة على كل حال لانهم يجمعون الاموال ويرسلونها الى هنا . هذه خلاصة آخر مكتوب وصلني اليوم

يوسف — الله يصرفها على سلامة اقول لك مال الدنيا يبقى في الدنيا وانا قلبي رقيق فاني حينما ارى هؤلاء الارامل والاطفال يتفتت قلبي واتذكر الايام التي كنا نصير فيها بما مثل ذلك واخاف ان ينقلب الدهر والدهر دولاب فيصيبنا كما اصابهم . اله اسرائيل حي لا يموت الله ينجينا من اولاد الحرام

بحور — الحق معك مال الدنيا يبقى في الدنيا هذا سلمون مات وماذا اخذ معه ولكن الله أوصانا ان نجمع مال الامم . ألا تتذكر ماذا قال لنا لما أمرنا بالخروج من مصر . والمال قوة كما يقول الانكليز

ودخل ثالث فانقطع الكلام في هذا الموضوع

ـف الكبيرة الدالة على غنًى وافر ولا عجب فان صاحبها جمع ثروة
من التجارة والمرابحة لكنهُ شعر الآن بالخطر كما شعر غيرهُ فاخذ
الى سفينة بخارية كانت راسية في المرفإ ووافاهُ اليها اولاد عمهِ
ـنة وعزموا على السفر تلك الليلة تاركين الدار تنعى من بناها
ـل والرجال يعدون ما وجدوهُ من الاسلحة ليدافعوا بها الدفاع
ـه والى السيدة والاولاد سهروا مع والديهم الى ان غلبهم
ـكنهم وجالت نفوسهم في فردوس الاحلام يحلمون بالعابهم
ـض في تلك الليلة الَّا عيونهم
ـث احدهما الآخر عن حركة الامير بشير الاولى والثانية وعن
بنا التباريح ولكن لم يحلَّ بنا مثل هذا الضيق ايذبحوننا ذبح
ولا احد يدفع وقد تخلَّى الله عن شعبهِ واسلمنا الى يد الاعداء
ـيام كما انبأَنا الجفر ولكن لا بد ما يأْتي المسكوب من اقصى

ـد خراب البصرة وما نفعُ مجيئهِ الآن وقد اجتمعت طوائف
ـي بيروت
ـلا ينزل رجال كسروان لخلاصنا اين يوسف كرم واين

يوسف كرم مخاوذ معهم ولكني لا احط بذمتي وعلى كل

ـف الله على تلك الايام ولكن ما العمل والسن لهُ حق
ـتطيع رفع البندقية ولا يزال الرصاص في فخذي من ايام
الله علينا ولكن لا بد ما يجيءُ المسكوب قلبي يقول لي ان
نراها غداً
وقال لهُ اين عساكر فرنسا التي وعدتنا بمجيئها فاننا لم نسمع
ـا عازماً على النزول في البحر مع الذين نزلوا ولكننا لم نكتب
ـتريناها اخيرًا من الشهابيين واخاف ان يصيبهم شيءٌ

امسكت امها بكتفها وهزّتها وقد ت. ت اسكتي يا مصروبة

ما ارهب تلك الساعة وما تقلّه هي النفوس . الوف مؤلّفة من الارامل والايتام الذين نجوا من المذابح وقصدوا بيروت الاحتماء بها . الوف من النساء اللواتي ذبح رجالهن واولادهن امام عيونهن . الوف من الصبيان والبنات الذين نجوا مع امهاتهم وساروا يوماً بعد يوم مشياً على اقدامهم الى ان بلغوا بلاد الامان . مئات من الرجال الذين ساعدتهم المقادير على النجاة وعلى كلّ منهم ان يعول عائلتين او ثلاثاً من عيال اخوته الذين ذهبوا شهداء السياسة والطمع — كل هؤلاء التجأوا الى مدينة بيروت وهم يحسبون انهم نجوا من كل خطر وفي ساعة واحدة رأوا سيف النقمة مسولاً فوق رؤوسهم فتصوروا المشاهد الفظيعة التي مرّت بهم منذ شهر او شهرين ورأوا فيها اشلاء القتلى لم تزل تتحرك والدم يفور من جراحها وايقنوا ان نجاتهم كانت حلماً مرّ وانقضى وان السيف تابعهم لا محالة ولم يبقَ لهم مهرب ولا نصير . الجبل وراءهم محروق القرى والبحر امامهم يرغي ويزبد

مضى العصر ومالت الشمس الى المغيب وطالت ظلال البيوت والاشجار واكدرّ ماء البحر بعد صفائه وبدت تباشير الشفق فوق جبال لبنان وامتدت اشعة من الشرق الى الغرب . الطبيعة ساكنة جامدة ولكن النفوس خائفة مضطربة

ماذا نعمل يارجل والى اين نذهب بهولاء الاولاد اولادنا واولاد اخيك واولاد صهرك

ليس لنا مهرب الاّ الى بيت ابرهيم فانهُ واسع ولهُ بوابة كبيرة متينة ولا بد ما يجتمع فيهِ كثيرون من اهالينا واقاربنا فندافع عن انفسنا الى ان يفرجها ربنا

وبعد قليل جمعوا ثيابهم وساروا هي وزوجها وسلفتها وابنة حميها واولادهم الى ان وصلوا الى بيت الخواجه ابرهيم وهو من وجوه بلدهم وكان قد نجا مع الذين نجوا احتمى ببيت الست نائفة ثم هرب بعد المذبحة ورحل الى بيروت واستأجر بيتاً كبيراً فيها لانهُ كان على شيءٍ من الثروة . ولما اتت اموال الاحسان جُعل وكيلاً على توزيعها فخص نفسهُ بجانب كبير منها . اما الآن فهرب من بيتهِ الى بيت رجل من وجهاء بيروت لهُ بوابتان الواحدة داخل الاخرى وهو احصن من بيتهِ وكان صاحبهُ مشهوراً بشجاعتهِ وبانهُ من امهر الرجال بلعب السيف لكنهُ كان قد هرب من بيتهِ والتجأ الى دار وجيه كبير من اكبر اغنياء بيروت فلما وصلها وجدها مملوءَة بالناس الذين التجأوا اليها من النازحين ومن اهالي بيروت انفسهم والدار كبيرة ساحتها مرصوفة بالحصى الملونة ولها سور عالٍ على دائرها وفي وسطها حديقة غناء فيها من انواع الازهار والرياحين وفسقية كبيرة يتدفّق الماء منها وعلى جانبي الحديقة بناءان فخيمان

ء واحذ الفرح العقلاءَ والفضلاءَ الذين يعلمون ان الفتن تفضي
الحها
ساعة من الزمان وقال لهُ الحمد لله على انفراج الازمة . فقال
، فقد اويت في بيتي ثلاثين عائلة من هؤلاء المساكين وكنت
وادفع عنهم الاشرار . انا لا افهم هذه السياسة سياسة والينا
شرع وفي اي سنة تحرّض الرعية بعضها على بعض — الله
ـذوا الآن على ايديهم فقد جاءَ المسكوب وسبع دول ما وقفت
ـهِ كسَّر نصف الزجاج في شبابيك بيتي
كبير لم ارَ مثلهُ في حياتي مع اني سافرت الى قبرص والى
لوا بالقاتل
ا وقتلوهُ

ـنهُ لم ينكر انهُ هو القاتل — على كل حال انقضى الاشكال
سفّهت رأيهُ ووافقني اكثر اخواننا ولكن هذا الثرثارة ابا نجو
فة يحضرهُ الوالي في مجلسهِ وقال ان عندهُ كتابات من كل
عدون لاول اشارة حتى ينزلوا على بيروت فقلت للوالي سلمنا
ى حسب رغبتك فمن ينجينا بعد ذلك من الفرنسوي والانكليز
رين على الاروام . فقال لي حلمك يا حاج مصطفى حلمك اما
ك ساكنًا نعم ان اهاليها ترسل الصدقات ولكن رجال الحكومة
لحالة الحاضرة لا بدَّ من تغييرها . وقد انصرفنا من عندهِ
ـهِ ونبهنا في الجوامع حتى لا يصير شيء وقد أتت هذه الفرقاطة
ن ويجامل ويقول انهُ كان باذلاً غاية جهدهِ في حفظ الامن
ميرال
: السلام للفرقاطة
كن كان صوت مدافعنا مثل صوت الفقاعة
قضي الاشكال
ولكن الله يسترنا من عواقبها

مارون — احق بيدك ولكن اذا صابهم شيء وكانت معهم ادلة لم يشبهم فماذا تنفع الحجج

نقولا — صحيح ولكن المال اعز من الروح واذا تأخرت في المخزن حتى صفيت اشغالي وما وصلت الى البيت الآ منذ ساعة ولولا ذلك لالزمني ام متري ان انزل الى البحر مع الذين نزلوا

مارون — هل تظن ان فرنسا عدلت عن ارسال عساكرها

نقولا — كلاَّ ما عدلت ولكن الانكليز وضعوا لها الف عرقولة لانهم لا يريدون ان تأتي وتأخذ البلاد وحدها

مارون — الله ينجينا من مناظراتهم و يصرفها على سلام

نقولا — اظن انها تنصرف فان القناصل اجتمعوا كلهم وذهبوا الى الوالي وذكروهُ بالمسؤولية واجتمع عقلاء المسلمين ونبهوا على الجهلاء في الجوامع ان لا يعملوا شيئاً وقد سمعت الآن وانا داخل انهم قبضوا على القاتل وقتلوهُ ولكن الاشرار كثير ويقال ان العسكر معهم وهذا الذي يخوفنا . وارسل القناصل يطلبون مراكب حربيَّة فاذا وصل ولو مركب واحد لزم الاشرار حدهم

مارون — الله كريم وكيف حال بخور وشمعون واخوانهم

نقولا — ما على قلبهم فان الوالي طمنهم بنفسهِ

مضى الليل بتباريحهِ واشرقت الغزالة وانعكست اشعتها عن وجوه صفراء لم تغمض لها عين وعيون غائرة لم يغمض لها جفن واطفال يبكون وينتحبون طالبين كسرة خبز او شربة ماء ولم يكن الاَّ القليل حتى اهتزت تلك النفوس طرباً كأنهُ بسلك كهربائي وحمل الالوف يستشرفون البحر او يصعدون على السطوح ليتمكنوا من رؤيتهِ وهم يقولون اتى اتى الله ينصرهُ الله ينصرهُ

في اقصى الشمال بارجة تشق سطح الماء وقد رفعت شراعها للنسيم واستعانت بما فيها من البخار يقودها الامل ويسوقها الواجب وكأن اله السلام اوحى الى ربانها ان قم على عجل واقصد مدينة بيروت فهناك مئة الف نسمة حياتهم معلقة بخيط من العنكبوت . فقام لا يلوي على احد واستعان بالرياح والبخار حتى اذا اشرف على المدينة جعل يطلق اكبر ما عندهُ من المدافع فاهتزت المنازل وتكسر زجاج الشبابيك واخذت الدهشة قوماً والفرح آخرين . اخذت الدهشة رعاع القوم الذين يتوقعون الفتن والثورات لكي يطلقوا لنفوسهم المنحطَّة عنانها

لسير شاقًا كما ظنت الاميرة هند ونزلوا في الطريق على مشايخ
لوا المزار في جبل عجلون فالتقاهم الامير عمر بخمس مئة فارس رامح
بهِ وكانت عيونهُ مبثوثة في البلاد فاوصلت اليهِ اخبارهم قبل وصولهم
عباس ترجل الاميران وتصافحا فترجل الفرسان كلهم في اقل من
اد . ثم دنا الامير عمر من الاميرة هند وقبل يدها وعاد الى الاميرة
فحة وقبَّل يدهُ بعد ان صافح بها يدها وكانت مسفوة عن وجه يخجل
الظبي وقد تورَّدت وجنتاها من هواء الصحراء ومما جاش في صدرها
دفق كالسيل المنهمر كأن الاخلاق التي غُرست في نفوس اسلافها
مل لم تزل من خلفائهم بل بقيت آثارها فيهم تظهر كلما حانت لها

في نحو الخامسة والعشرين طويل القامة ابيض الوجه اسود العينين
لى جاري عادة العرب ولا حدل شعر رأسهِ كما يفعلون لان اباهُ
فعلموهُ مبادئ العلوم وزار دمشق غير مرة وتزيا بزي اهلها وكان
الاحمر فوقهُ رداءٌ من الجوخ الرصاصي وعلى رأسهِ كوفية وعقال
يابهُ ورائحتهُ على انهُ عائش في نعمة ونعيم فسرَّت الاميرة سلمى

ب الفرسان لركوبهما وانشقوا سطرين فسار الامير عباس والاميرة
والاميرة سلمى وراءهما واخواها وراءها ثم سائر الخدم والحشم الى
ن السهل قد لثم الجبل فصعدوا فيهِ بين المناهل والغدران وواصلوا
وصلوا الى مضارب الامير عمر فلقيا مئات من النساء بالمزاهر
وهنَّ ينشدن نشيد الترحيب ويقلن

هلا بالضيف امير شهاب عزيز ومهابْ
يوف الفضلْ وكل الفضل لآل شهابْ

تقول الدور والباقيات يرددن عليها على نقر الدفوف والمزاهر
ميرة سلمى ووقفتا هنيهة تسلمان عليهنَّ وتقولان مرحبًا بالزَّينات
الفخار حتى اذا دخلتا الحلَّة وجدتا الاميرة عاتكة ام الامير عمر
ت على الاميرة هند مصافحةً واعتنقت الاميرة سلمى وقبلتها في

وانفرجت قلوب الالوف من سكان بيروت واللاجئين اليها على اثر مجيء البارجة
وسية وجعلوا يعانق بعضهم بعضاً وهنى بعضهم بعضاً بالسلامة وعاد كلٌّ الى منزله

الفصل السادس والعشرون

الذهاب الى العرب

وصل الامير عبَّاس وزوجتهُ واولادهُ الى حاصبيا كما تقدم وخرج الامراء الشهابيون
جالهم للقائهم الى سوق الخان ولم يقابلوهم باطلاق البنادق على جري العادة لان الامير عبَّاساً
سل ينهاهم عن ذلك وامراء حاصبيا نفسهم كانوا يخافون ايقاظ الفتنة باية وسيلة كانت لكن
رهم لم يجدهم نفعاً . ولما وصل الامير سعد الدين الى حاصبيا مرسلاً من قبل والي دمشق
مع الاموال الاميرية من الدروز قصَّ على الامير عبَّاس ما اشار عليهِ بهِ احد اصدقائهِ في
شق وكان الامير عبَّاس يعرف هذا الرجل ويعرف انهُ واسع الخبرة شديد الفراسة فقال
امير سعد الدين لا رأي لي بالاقامة بينكم بعد الآن ولا اظن انهم يضمرون لكم الّا الشر.
د دعاني الامير عمر الفاعور امير عرب الفضل اليهِ فارى في تلبية دعوتهِ السلامة . ثم اخبر
جتهُ واولادهُ بما عزم عليهِ فوقع الخبر على زوجتهِ وقع الصاعقة لانها كانت ترى البدو
ين يشتون في ساحل بيروت وهم في حالة من القذر تشمئز منها النفوس فظنت ان كل
دو مثلهم اما الاميرة سلمى فطربت اولاً لهذا الخبر لانها كانت تودُّ ان تقف على حال
دو في قفارهم وترى معيشة نسائهم وبناتهم وتحقق بالخُبْر ما قرأتهُ عنهم بالخَبَر . وكانت
ب ركوب الخيل فتصورت نفسها راكبة مع اميرات العرب يجبن القفار وينشدن الاشعار
طربت نفسها لذلك ثم تذكرت انها تبعد عن السرهنري وقد لا تعود تراهُ فخفق فؤادها
صعد الدم الى وجهها ثم تقلَّص عنهُ فاصفرَّت وجنتاها وارتجفت شفتاها وجالت الدموع في
ينيها فالقت جبينها على يدها وحاولت ان تنسى كل شيء حتى وجودها

وسرَّ اخواها بهذا السفر لانهما كانا يحبان ركوب الخيل ايضاً ولم يغتظ منهُ الاَّ امها
ام يوسف وكادت ام يوسف تعدل عن الذهاب معهم وودت ان ترجع الى كفرشيما او
روت ولكنها لم تجد من يوصلها اليهما فعادت تندب زوجها واولادها وسلمت بالذهاب مع
لاميرة هند مكرهة وهي لا تنشف لها دمعة

وكان الامير عبَّاس على وفاق مع الست نائفة اخت سعيد بك جنبلاط فارسلت معهُ
ثنين من رجالها ليوصلاهُ الى عرب الفضل ويخبرا الدروز الذين يلتقي بهم في الطريق انهُ

الفصل السابع والعشرون
المأتم

تمرُّ الرزايا بالمرء فيراها عن بُعد ويستعظمها قبلما تصل اليهِ ويظن انها اذا وقعت بهِ ضاق بها ذرعًا لاسيما وانهُ يعظّم امرها في غيرهِ ويعجبُ من صبرهم عليها ثم اذا حلّت بهِ فالغالب انهُ يصبر عليها ويجري معها كأَنها امرٌ عاديٌّ وقع لهُ لان الامل بالنجاة منها يخفف وطأَتها ويحلي مرارتها. ولكن اذا جاءَ المصاب الاكبر ونفذ سهم القضاء وانقطع الامل من البقاء وخطف الموت عزيزًا ورأَى المرءُ امامهُ رزيئة لا يمكن دفعها ولا منعها نفد صبرهُ وغاض ينبوع املهِ وضاقت بهِ الحيل وارتدَّ دمهُ الى قلبهِ فلم يعد يغذي دماغهُ لتذكيرهِ بالمواعظ والحكم. فيسمع منك اقوال التعازي ويقول سمعتُ وفهمتُ ويكون قد سمع وفهم ولكنهُ لم يعِ شيئًا — حالة لا يتصورها الاَّ من وقع فيها ورُزئَ بفقد عزيز ولاسيما اذا كان سندهُ الوحيد ومدبر امرهِ

هذا ما اصاب الاميرة هند واولادها وهي غريبة نزيلة على قوم من البدو في بلاد لم تطأْها قدماها من قبل وبين اقوام لا تعرف احدًا منهم

كان زوجها يعرف الامير عمر ويعرف اباهُ وقد حارب معهُ كتفًا لكتف في عهد ابرهيم باشا لكن ذلك كان قبل ان اقترنت بهِ. وكان الامير عمر يواصلهم بالهدايا ولكنها لم ترَ صورتهُ الاَّ ذلك اليوم فلم تكد تأْنس بهِ وبامهِ حتى وقعت بها هذه الضربة الاليمة

وقد عاشت مع زوجها نحو عشرين سنة على تمام الهناء والصفاء وكانت تهتم بهِ اكثر مما يهتم النساء بازواجهنَّ عادةً لان معرّفيها غرسوا في ذهنها انهُ هالك ولا بدَّ لها من ان تجاهد جهادًا مستمرًّا في الصلاة لاجلهِ. فاكثرت من الصلوات والنذور في السنة الاولى والثانية ثم رأَت ان زوجها افضل سيرةً وسريرةً من كل الذين تعرفهم حتى من رجال الدين وسمعت مرةً واحدًا يتلو آيةً من التوراة مفادها ان كلَّ من يعمل البر فهو مقبول لدى الله مهما كانت امتهُ فانجلى لها وجه الصواب وقالت ان الله لا يأْخذ بالوجوه بل الناس لديهِ حسب اعمالهم ونياتهم. وكانت لا ترى من زوجها الاَّ العمل الطيب والنية الصالحة على ما فيهِ من الرزانة والوقار ومجادلة الناس بالحسنى حتى ان المطران كان يسرُّ بحديثهِ ولا يُسمعهُ كلمة تغيظهُ فزالت الشكوك من نفسها ومنعت القسوس عن الكلام معها في امر زوجها. ثم لما كبر اولادها اتجهَ همها كلهُ الى تعليمهم وتهذيبهم فلم تعُد تهتم بالخلاف الديني الذي بينها

وجنتيها . وجلس الامراء وحدهم في مضرب كبير والاميرات وحدهن وقدمت لهم كلهم القهوة الجديدة وكؤوس الشراب ثم مدّت سفرة الطعام وعليها الخرفان محمّرة وكان عند الاميرة عاتكة جارية تحسن الطبخ التركي فصنعت للاميرات من الطعام والحلوى لم يأكلنَ اطيب منها

ولم يكن الامير عباس ضعيف البنية ولكن الترفه الكثير و... اضعفا جسمهُ فصار لا يقوى على عوادي الادواء وكان قد اكل طعامًا غير صحي وشرب ماء تطرّق اليهِ الفساد وهو آتٍ في الطريق او اثرت فيهِ حرارة الشمس فاصابته ... بعد تناول عشائهِ حتى اصابهُ صداع شديد وكانوا قد اعدّوا له مضربًا خاصًا فقام اليهِ وجاشت نفسهُ فتقيأَ ما اكلهُ وحُمَّ واصابهُ شيء من الهذيان . وأُخبرت زوجتهُ واولادهُ ... وقد تولاهم القلق ولما رأت ام يوسف القيء قالت ان سيدي مسموم قالت ذلك همسًا في اذني الاميرة هند فخرجت تدعو الخدم ليأتوها بكثير من اللبن حتى تسقيهُ وفهم الامير عمر مرادها فاسودّت الدنيا في عينيهِ وقال لها اننا اكلنا معًا من خروف واحد وعن سماط واحد وشربنا القهوة من دلاية واحدة وانا شربت قبلهُ . فاخذت تعتذر عن نفسها وقالت ربما يكون سيدي قد شرب شيئًا او اكل شيئًا في الطريق واتوها بكثير من اللبن لكن الامير ابى ان يشربهُ

وأرسل الامير عمر اربعة فرسان الى دمشق يستدعي طبيبًا من امهر اطبائها

واشتدّت الحرارة على الامير عباس الى درجة لا تطاق حتى كاد يشتعل ثم انحطّت سريعًا وجعل يشكو من ضيق النفَس والعطش الشديد وجعل جلده يجفُّ ثم يتندّى بالعرق البارد ونبضهُ يسرع ثم يبطئ وازرقَّ وجههُ وعنقهُ وانقبضت حدقتاهُ ثم ... واصابتهُ تشنجات صرعية وعقب ذلك سبات عميق

وكان في القبيلة شيخ كبير مارس صناعة التطبيب من غير معلمٍ ومن غير كتاب بل ما يعرفهُ عن ابيهِ وجدهِ ومضيفًا اليهِ ما عرفهُ بالاختبار فاستدعاهُ الامير عمر حالاً فامر بصب الماء الكثير على رأس الامير عباس قائلاً ان ما اصابهُ ضربة شمس . ورأت الاميرة هند ان ما قالهُ الرجل صواب لان الشمس كانت حارة وكان نورها ساطعًا جدًّا حتى اضطرت ان تسدل نقابها على وجهها اكثر الطريق ولم تخفَّ حرارتها بعد غيابها فاذنت لهم في صب الماء على رأسهِ وخالفتها ام يوسف في ذلك وهي تقول مسموم يا ستي مسموم اسمعي مني واسقوهُ اللبن وزلال البيض لكن الاميرة هند لم تصغ اليها بل امرت بصب الماء وكان ماؤُهم باردًا لان الارض جبليَّة فانتعش الامير عباس قليلاً ثم عاودتهُ الحمى واسلم الروح

وقد احضرتكم الآن لاستشيركم في امرين الاول ان الامير عباساً كان مسلماً فهل ندع الامام يغسلهُ وندفنهُ مسلماً والثاني هل ندعو رؤَساءَ العشائر كلهم ونقيم لهُ مأْتماً يليق بهِ . قال ذلك واوماً الى شيخ كبير السن شيبت الايام رأسهُ ولكنها لم تحنِ ظهرهُ كأَنهُ يطلب منهُ الجواب على سؤَاليهِ

فقال هذا الشيخ اما عن الامر الاول فالرأْي عندي ان نستشير زوجة الامير ونعمل بقولها ولاسيما اذا وافقها عليهِ اولادها واما الامر الثاني فواجب الضيافة وعهد الاخوة بين الامير المتوفى وبين المرحوم ابيك يقضي علينا ان نحتفل بمأْتمهِ كما احتفلنا بمأْتم ابيك

ووافقهُ سائر الرؤَساء والمشايخ على ذلك وللحال نادى الامير عمر بالسعاة وبعث معهم الى كل احياء قبيلتهِ وعيَّن وقت الدفن عصر اليوم التالي واعطى الطبيب جرَّة من عطر الورد حتى يصبهُ في الماء الذي يغسل الميت بهِ فيمنع فسادهُ . واوصى مدبر بيتهِ ان ينحر مئة خروف وعشرة جمال ويطبخها كلها غداءً للجموع التي تحضر المأْتم وان يطبخ معها عشرين قفةً من الارز ويخبز ما يكفي ثلاثة آلاف نفس ويفعل كما فعل في مأْتم ابيهِ بحيث تكون مضارب طبخ الطعام مفصولة عن المضارب التي يقام فيها المأْتم ولو لم تكن الارض سهلاً كما كانت حينئذٍ

واتمَّ هذه المهام كلها بما لا مزيد عليهِ من السرعة وعاد الى المضرب الذي فيهِ الميت وكانت امهُ قد جلست الى جانب الاميرة هند تشاركها في البكاء والنوح ووقف خدم الامير خارجاً يبكونهُ ويندبونهُ ولا سيما مربي اولادهِ وكان رفيقاً لهُ في صباهُ وشبابهِ وشهد معهُ المواقع التي حضرها وقضى عمرهُ عزباً منقطعاً لخدمتهِ وخدمة اولادهِ فتعد الآن كأَنهُ فقد ركنهُ الوحيد في الدنيا وجلس عند باب الخيمة يبكي سيدهُ ويعددهُ ويلوم الموت لانهُ لم يأْخذهُ بدلاً منهُ . وجلست ام يوسف الى جانب الاميرة سلمى وهي تندب مرةً وتنوح أُخرى وبات الجميع على هذه الصورة الى ان ثقل سلطان الكرى على الاجفان وألحَّ الامير عمر على الاميرة هند واولادها لينهضوا ويناموا في مضاربهم مؤَكداً لهم انهُ يتولى حراسة الميت بنفسهِ

وقد يُظن لاول وهلة ان مضارب البدو خالية من كل وسائل الراحة والرفاهة ولكن ليس الامر كذلك لان امراءَهم على ثروة واسعة وهم يترددون على المدن القريبة منهم ويقتبسون ما فيها من الكماليات لا سيما وانهُ يزورهم رجال الحكومة احياناً وينزل بعض السياح عليهم ضيوفاً فيضطرون الى اقتناء الامتعة الفاخرة مما يلزم لراحتهم ولذلك تجد عندهم الفرش الوثيرة مهيأَة للضيوف ويقتنون الجواري المعتادات على خدمة اهل الرفاهة وباتت الاميرة هند وابنتها في مضرب مبطن بالحرير على فرش وثيرة تغطيها دثر من الحرير والكتان ونام ولداها في

وبينهُ وما يجهلونهُ [illegible] فيكون [illegible] مدة [illegible] بهِ فلما رأتهُ [illegible] تحدق فيهِ [illegible] وجعلت تناديهِ وتكنيهِ ثم [illegible] بصوت [illegible]

وغلب الحزن الاميرة سلمى [illegible] وكانت تسمع بكاء امها حتى وقعت على الارض وطرحت رأسها على صدر امها وهي تبكي وتقول يا ابي يا ابي . وفاضت الدموع من عيون اخويها وجعلا يبكيان وينتحبان وقد ذهب كلٌّ منهما في زاوية من المضرب

ووقف الامير عمر حائرًا في امرهِ رأى هذا المشهد وسمع نوح يفتت الاكباد واغرورقت عيناهُ بالدموع ولكنهُ لم ينسَ هول الموقف وما يتطلب منهُ ويطالب بهِ موقف فكر في امرهِ

وجلست ام يوسف على الارض وقد غلبها الحزن فلم تحاول الندب على جاري عادتها فانها كانت من النادبات الشهيرات ولكن الحزن الشديد يكمّ الالسنة

وعلا البدر فقصرت ظلال المضارب واشتد حلكها بالنسبة الى النور الذي حولها وبحت الكلاب من كل ناحية فانقطع عواء الذئاب خوفًا ورهبةً . وبركت الجمال وربضت الثيران والاغنام تجترُّ وتلوك جرتها على مهل ووقفت الصافنات الجياد تغمض جفونها ثم تفتحها كلما مرَّ خفَّاش من امامها . وخمدت النيران امام المضارب وعلا نقيق الضفادع من جوانب الغدران حيث تظللها اغصان الصفصاف والبان فامتزج بهِ خرير الماء امتزاج الحسيني بالعشيران . واجتمعت الخفافيش على اشجار الاجاص والزعرور تختصم وتصيح ولكنها لا تتعدى من الحاجات [illegible] لانها تكتفي بالكفاف من الطعام ولا تفعل فعل ابن آدم الذي لا يكتفي بشيء بل همهُ يطمع بما في يد غيرهِ ويجور على ابناء نوعهِ

ودخل الامير عمر مشورَهُ وجمع رؤساء عشيرتهِ الادنين وقصَّ عليهم ما حدث بالاختصار فقال ان اباهُ كان متآخيًا مع الامير عباس من عهد ابرهيم باشا إخاء دم[1] وقد اوصاهُ ابوهُ قبل وفاتهِ ان يحسب الامير عباسًا عمًّا لهُ ويبرَّ بهِ بر الاب بابنهِ وانهُ استدعاهُ الباشا الى جبل عجلون لما علم ان في النيَّة قتال امراء حاصبيا واللاجئين اليهم ولكن يظهر انهُ كان مريضًا فاثَّرت فيهِ الشمس وقتلتهُ والطبيب يقول انهُ مات من ضربة الشمس ولا بدَّ من ان يطالبهُ الشهابيون والحكومة بدمهِ قبلما تنجلي لهم الحقيقة ولكنهُ واثق ان الاميرة هند وابنتها الاميرة سلمى تقرران الحقيقة وهي انهُ وصل المضارب متعبًا ثم اكل من الطعام الذي اكل منهُ ولداهُ واصحاب المنزل واصيب بعد ذلك بصداع شديد وحمى وقضى نحبهُ قبل ان يشرب دواءً . قال

(١) ان يجرح كلٌّ منهما يدهُ ويمص كلٌّ واحد من دم الاخر

والاميرة سلمى فاكنتا مع ام الامير عمر في مكان
عامًا
فن عائلة الامير عمر في سفح ذلك الجبل ودفن فيهِ
ة الكبيرة وودعت الجماهير الامير عمر وابني الفقيد
لى مضاربهِ مضيَّع الرشد لا يعلم ماذا يفعل
'فواجًا افواجًا كل يوم يعزون ولدي الامير بكبيرهم
يل ولما انقضت الثلاثة الايام وثلاثة بعدها جلست
(١) اولادها وجعلوا ينظرون في ما يحسن بهم عمله في
ـة الامير عمر ورجالهِ او يبقون عندهم الى ان تنجلي
'ميرة سلمى وكان لها الرأْي المعلَّى ان الفتنة لا تزال
ق بنا ان نكلّف الامير عمر الذهاب اليها في هذه
خر فصل الخريف وحينئذٍ يرحل الامير عمر من
ان يوصلنا الى دمشق . وقلبي يحدثني ان قنصل
ينا ويُرسل الينا من يردنا الى بيروت ان لم يأْتِ هو
كليز لانهم ينقلون لهم البريد بطريق البر الى خليج
في هذا الموضوع لما زارنا آخر مرة
فانت تعنين السرهنري الذي زارنا مع ابن
بين انهُ يبحث عنا وكيف يستطيع ان يهتدي الينا
'ان . ولنسمع ما يقولهُ اخواكِ وصبيهما
عند الامير عمر الى ان يفرجها ربنا . واما صبيهما
ار الامير احمد وهو يدبر طريقة لحمايتهم وكادت
ـ الاميرة سلمى رفضتهُ ووافقها اخواها لانهما كانا
دَّعٍ
مها وبين الاخوين وصبيهما واخيرًا قالت الاميرة
الزمان الى ان يفرجها الله فاننا لم نر من الامير عمر
لا اظن انهم يسمحون لنا بالرحيل عنهم الآن ما

يربي اولادهم ويذهب بهم الى المدرسة

مضرب آخر متصل بهِ والمضربان الى جانب مضرب ام الامير

واصبح الصباح وسوّمت الانعام واجتمع الخيّامون فخاطوا مضرباً كبيراً من مضارب كثيرة لفقوها معاً وسمكوهُ على عمد عالية وشدوا اطنابهُ فكان منهُ قبة واسعة كقبة نجران ووضعوا الميت في نعش كبير مجلل بشالات الكشمير وصبوا لهُ دكة في وسط القبة وسرجوا اربعة من الخيول المطهمة ووقف السياس بها امام المضرب

ولم يمضِ ساعتان او ثلاث من النهار حتى انتظم عقد النائحات حول النعش وهنّ مسدولات الشعور وقصّ بعضهنّ شعورهنّ وطرحنها عليهِ اكراماً للميت وجعلت ام يوسف وامرأة من البدو تتباريان في انشاد ابيات الندب والرثاء والنادبات يرددن اقوالهما والاميرة هند والاميرة سلمى لا تكفان عن البكاء حتى تقرّحت اماقهما

واعدوا نعشاً آخر يمثل نعش الميت وجعلوا فيهِ حجارة كبيرة وجللوهُ بشيلان الكشمير وجعلوا يحملونهُ ويرفعونهُ فوق رؤوسهم ويطوفون بهِ حول قبة المأتم والجياد الاربعة ماشية امامهُ وعلى جانبي كل جواد رجلان معهما سيفان مسلولان فوق ظهر الجواد ورجل ثالث يقودهُ ووراء النعش شاعر يعددهُ وباقي الرجال يرددون ما يقول ومن ذلك قولهم

يا سيدي ويا سنجق كل القول لك يليق
لما شاعت اخبارك الشركا لبست الازرق

وقولهم

يا سيدي ويا ابن دلال يا رمح الشكل بالمال
قال السيف خبوني لغير سيدي لا تعطوني
اين الكان ينقلني ويرخي بنودي عالشروال

وكلما اقبل فريق من قبائل العرب وقف في اول الميدان هنيهة ونادى بصوت جهوري معدداً مناقب الميت ثم تناول النعش من حامليهِ وطاف بهِ حول القبة على ما تقدّم واستمرّ على ذلك الى ان يصل فريق آخر ويتناول النعش منهُ ودام الحال على هذا المنوال الى ان تكبّدت الشمس السماء

وكان رؤساء القبائل جلوساً مع ولدي الامير في مضرب كبير تجاه قبة النعش يدخّنون التبغ ويشربون القهوة فلما بلغت الشمس الهاجرة جاء الخدم واخبروا الامير عمر ان الاسمطة مدّت للطعام في مضارب الرجال وجاءت الجواري فاخبرنَ امهُ بمدها في مضارب النساء فنهض الامير ودعا رؤساء القبائل وسار امامهم فجلس نحو مئتي نفس من الرؤساء دفعةً واحدةً ولما شبعوا جلس مئتان غيرهم وهلمّ جرّاً الى ان بلغ عدد الآكلين اكثر من الفي نفس

ولما لم يكن لقبائل العرب وازع سام يتقضي بينهم تراهم يلجأون دواماً الى اخذ ثارهم بيدهم وهذا هو السبب الاكبر لما يتع بينهم من العدوان

وكان بين عرب الفضل وعرب بني صخر تارات قديمة واتفق ان عرب بني صخر انسوا الضعف من عرب الفضل او حرّصهم محرض على غزوهم لكي يضعف الفريقان معاً فشنوا الغارة عليهم وبلغ الامير عمر ان بني صخر زاحفون عليهِ فجمع رجالهُ في سفح جبل عجلون وكان هناك سهل فسيح يبتدئ بوادٍ عند اسفل الجبل ثم ينتشر شمالاً وجنوباً وشرقاً وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس وترك النساء والاولاد في الجبل ومعهم نحو الفين من الرجال لحمايتهم واراد ابنا الامير عباس ان يخرجا معهُ للقتال فمنعهما واوصى امهما ان لا تدعهما يخرجان من مضربها واكد لها وللاميرة سلمى انهُ يعود فائزاً مساء ذلك اليوم لان رجال بني صخر لا يقاسون برجالهِ

وخرج هو في مقدمة جيشهِ وكان رجالهُ مسلحين بالسيوف والرماح ومعهم نحو مئتي بندقية من البنادق القديمة ذات الزناد فلما توسطوا السهل رأوهُ يموج بفرسان العدو فتقدم فارس منهم براية بيضاء ومعهُ رسالة الى الامير عمر مفادها ان يسلم للامير حسّان امير بني صخر الرجلين اللذين قتلا ابن خالتهِ ويردّ لهُ احمال البن التي نهبها رجالهُ من قافلة كان فيها عشرون جملاً لبني صخر على كل جمل منها نصف قنطار من البن ويسلم لهُ الامير عباساً واهلهُ ليحميهم عندهُ لان بني صخر اولى بحمايتهم من عرب الفضل

فقرأ الامير عمر الرسالة وقال للرسول قل لمولاك ان الرجلين اللذين قتلا ابن خالتهِ انما قتلاهُ بثار قديم لهما عندهُ وان العرب الذين نهبوا القافلة لم يكونوا كلهم من عرب الفضل ولا هم فعلوا ذلك بامرهِ ولا رأى البن الذي يقال انهم نهبوهُ وان الامير عباساً رحمة الله عليهِ لجأ الى حماهُ واوصاهُ بزوجتهِ واولادهِ قبل وفاتهِ وهو وحدهُ حامي الذمار في تلك الديار وعرب صخر معتدون عليها واوطانهم بعيدة في البلقاء وهو يطلب منهم ان ينكصوا على عتابهم ويعودوا اليها فيعود عنهم والاّ اشبع غربان الجو ووحوش البرّ من لحومهم

فرجع الرسول واخبر مولاهُ بما سمع فالتفت الى الذين حولهُ واخبرهم بفحوى الجواب فاشرعوا رماحهم وقالوا لهُ مرنا بالهجوم عليهم فقال هلموا يا شجعان العرب واستلّ سيفهُ وهمّ بالهجوم معهم فمنعهُ رجالهُ واقسموا عليهِ ان لا يهجم ما لم يبرز لهُ الامير عمر لكن رجالهُ وجّهوا الاسنّة واطلقوا الاعنّة فالتقى الجيشان كانهما جبلان ودار الطعن والضرب وكانت الشمس قد علت عن الافق وارسلت اشعتها في وجوه عرب الفضل فكادت تعمي ابصارهم .

دامت التلاقي قائمة في جبل لبنان وكل البلاد المجاورة له

ودنا اخواها من امهما وحنا يلعبان بتلاهيهم ويتحدثان [illegible] ما [illegible] سلمى بقي هنا ونحرس تربة والدها [illegible] فصل [illegible] مع الامير [illegible] من عيني الاميرة هند لما قال ولداها ذلك وصمتت هنيهة [illegible] بيد [illegible] صمتها شيئًا [illegible] عزم ان يرسل رسولاً يخبر الامير حمد كيف كانت [illegible] وكان الامير حمد يكرمه ويواصله بالهدايا واعطاه مرة خنجر محلّى بالذهب [illegible] من عصبة [illegible] استمالته اليه حتى يمدحه اما الاميرة سلمى [illegible] ذكر اسمه [illegible] هدي اوحس شرًّا وكانت الظنون قد خمرت نفسه قبل الآن [illegible] الامير حمد [illegible] كنه خاف ان يطلب من الامير عمر ارسال الرسول لئلا يرفض ذلك [illegible] الاميرة هند فعزم ان يتصاحب مع غيره من الامراء ويرسل رسولاً من رجاله

وألِفت الاميرة سلمى الاميرة عاتكة ام الامير عمر وجعلت تجلس في مسرتها ساعة بعد ساعة تسمع منها اخبار العرب وقصصهم عن الجن [illegible] وخروب [illegible] احواها يخرجان مع الامير عمر للصيد والقنص وطابت لهما الاقامة [illegible] الاميرة هند [illegible] كثيرًا لبعد كل اقاربها عنها

الفصل الثامن والعشرون

خطر غير منتظر

مضى على قبائل العرب اكثر من اربعة آلاف سنة من حين ورد ذكرهم في التاريخ المكتوب والمنقوش وهم رُحّل يعيشون بالغزو والنهب وتربية المواشي [illegible] ولم تتغيَّر حالهم

قامت ممالك اشور وبابل وصور وصيداء ومصر [illegible] ثم سقطت وتمرضت [illegible] قام اليونان والرومان ودوّخوا المعمور ثم زالت دولهم وخرج من العرب اناس للغزو في موجهم طلب الهند والصين شرقًا واطراف اوربا وافريقية غربًا ولكن اهل البادية استمروا فيها ثابتوا على بداوتهم لهذا العهد يعيشون في الخيام ويضربون في انتجاع الرزق ويغزو بعضهم بعضًا كما كانوا يفعلون منذ الف سنة والفي سنة . وقد يظن ان بداوتهم هذه على تأصّلها فيهم وتمكّنها من عروقهم تفارقهم اذا خالطوا اهل الحضارة ورأوا فيها من الرفاهة ما ليس في البداوة لكنهم لم يروا في البلاد التي حولهم لهذا العهد ما يرغبهم في الحضارة فبقوا بعيدين عنها ما امكن

الفصل التاسع والعشرون

خيبة الامل

وصل السرهنري الى صيداء وبات عند قنصل الانكليز واخبره انهُ ذاهب الى حاصبيا فقال لهُ القنصل ان حاصبيا والقرى المجاورة لها امست رماداً وقتل اكثر رجالها ووصل الفارون من النساء والعجائز الى هنا وهم في حالة يرثى لها. فطلب منهُ السرهنري ان يريهُ بعضهم فارسل القنصل قواساً من قواسته فجاءه بشيخ طاعن في السن فقص عليهِ ما جرى من اول الفتنة الى ان جُمع الرجال في السراي وذُبحوا ذبح الغنم . فسألهُ السرهنري عن الامراء الشهابيين فقال لهُ انهم قتلوا ايضاً فسألهُ عن الامير عباس فقال لهُ انهُ رحل الى عرب الفضل في جبل عجلون منذ عشرين يوماً او اكثر

وطلب السرهنري من القنصل ان يسير بهِ الى حيث يقيم المهاجرون من اهالي حاصبيا والقرى المجاورة لها لكي يراهم فسار بهِ الى الخانات التي كانوا مقيمين فيها فقابلهُ النساء بالبكاء والعويل ورأى مناظر تفتت الاكباد فتداول مع القنصل في امرهم ثم مضى وقابل المتسلم واسمعهُ من الكلام امرّهُ واستأجر سفينة كبيرة ليرسل بها المهاجرون الى بيروت وارسل معهم القوّاس الذي اتى معهُ وكتب الى الكولونل روز يخبرهُ بما سمع ويستأذنهُ في السفر الى جبل عجلون وارسل الكتاب مع رسول وقام يطوف في صيداء ليرى مبانيها القديمة فرأى خان الافرنج وقلعة البحر وصعد الى قلعة الملك لويس ورأى ابراجها وما فيها من المدافع المصرية الباقية فيها من عهد ابرهيم باشا فاعجبهُ منظرها وخرج الى خارج المدينة من عند الميناء القديم ورأى كومة الحلازين البحرية التي كان الصيدونيون يستخرجون الارجوان منها. وركب في اليوم التالي وذهب الى ضواحي المدينة وزار بيت لادي استيرستانهوب واستقصى اخبارها من بعض الذين عرفوها وعاد عند الظهر الى المدينة فوجد الجواب من الكولونل روز ينصح لهُ فيهِ ان لا يوغل في البلاد ما دامت الفتنة قائمة قاعدة ويؤكد لهُ ان الامير عباساً فعل عين الصواب برحيلهِ الى عرب الفضل ولابدَّ ما ينزل هناك على الرحب والسعة لان الامير عمر اميرهم من اكرم امراء العرب ووسائل الراحة والرفاهة متوفرة لديهِ . قال الكولونل وقد زرتهُ منذ سنتين واقمت عندهُ ثلاثة ايام فرحّب بي واكرمني غاية الاكرام ووجدت عندهُ كل وسائل الراحة التي يمكن ان توجد خارج المدن ولو كنت اعلم ان الوصول اليهِ سهل لاشرت عليك بالذهاب اليهِ من غير تردُّد اما والاحوال كما ترى فليس من الحكمة ان تخاطر بنفسك لاسيما وان خصومنا قد

وغفلت كتيبة من [illegible] [illegible]
جانبهم . وحاولت [illegible] [illegible]
للامير حسان [illegible] [illegible]
فرسانهم يستحثون نخوتهم [illegible] [illegible]
واتخذوا [illegible] [illegible]
الشمس كادت تغيب [illegible] [illegible]
فرسان بني صخر [illegible] [illegible]
ويأسرون في اقفيتهم وصعد فريق [illegible] [illegible]
من فيها وفي جملتهم امه والاميرة هند واولادها [illegible]
جهة البلقاء

ولما بلغوا السهل التف حوله فرسان بني صخر [illegible]
رجاله يلمّ شعثهم ويحثهم ليعاودوا الكرة فجمع نحو [illegible]
اسراءه والاميرة هند واولادها فصار [illegible] في عينيه [illegible]
هذا يومكم يا عرب الفضل النار ولا العار من منكم [illegible]
بين العرب الى آخر الدهر وقد مالت الشمس الآن [illegible]
والطعان . ثم اشار بيديه الى الاعداء وهجم عليهم هجمة منكرة
ويسرة حتى دنا من الفرس الذي عليه امه وكاد [illegible]
فسقط واجتمع رجاله حوله يدافعون عنه فسرع الفرسان [illegible]
وابعدا عنهُ . ولم يكن الاّ دقائق قليلة حتى [illegible]
وكانوا قد احاطوا عليه من كل ناحية وسدوا في وجهه [illegible]
يبعث فيها الارواح [illegible] السلاح [illegible]
اسود يحمي ظهرهُ لكنهُ لم يستطع استرجاع الاسرى مع كل [illegible]
استبسالهُ فزادت نخوتهم واستقتلوا كلهم ولكن اجتمع عليهم
الاشداء ومضت ساعة لم تر تلك البطاح مثلها من عهد العماليق
ان الكثرة غلبت الشجاعة وان شمل رجاله قد تمزق فعزه ان يرجع
صخر بهم تلك الليلة

فقال لهُ السر هنري وكيف ينامون هل عندهم فرش مثلنا

فقال نعم عندهم فرش كبيرة محشوَّة بالصوف الناعم وكثيرًا ما يزورهم كبار رجال الحكومة وينامون عندهم والهواء هناك طيب منعش فينام الانسان ساعتين كأنهُ نام الليل كلهُ فان كنت عازمًا على الذهاب الى هناك فاذهب ولا تخف فان كثيرين من السياح قد ذهبوا الى هناك وانا ذهبت مع جماعة من الانكليز الى مصر بطريق البر ومررنا على عرب الفضل وعلى كل العربان الذين في الطريق من هنا الى عريش مصر . نعم ان السياح كانوا ينامون في خيامهم ولكن امراء العرب كانوا يدعونهم للاكل عندهم فيجدون ما يسرهم

فاطمأَن بال السر هنري من هذا الحديث وسلَّم امرهُ لله وصرف الشيخ بعد ان ناولهُ صرةً من النقود وقام في اليوم التالي وعاد راجعًا الى بيروت

الفصل الثلاثون

البحث والتحقيق

لم يكد السر هنري يصل الى بيروت حتى وصل اليها فؤاد باشا الصدر الاعظم جاء ليصلح الحال من اقرب الطرق خوفًا من مداخلة اوربا وقد فُوّض اليهِ ان يفعل ما يرى فعلهُ لازمًا لاطمئنان الخواطر وارجاع الامن الى البلاد فقبض على والي بيروت والقاهُ في السجن وسجن معهُ بعض رجال الحكومة لكنهُ لم يفعل ذلك الاَّ بعد ان جاءهُ كتاب قوي اللهجة من اميرال الاسطول الانكليزي الذي كان راسيًا تجاه بيروت وصف لهُ فيهِ الفظائع التي جرت وابان لهُ ان الامم الاوربيَّة لا تستطيع السكوت عنها وانهُ اذا لم تبادر الدولة الى الاقتصاص من المرتكبين فالدول الاوربية متفقة على ان تتولَّى هي بنفسها الاقتصاص منهم وارجاع الامن الى نصابهِ . واشار في هذا الكتاب الى ان اللوم الاكبر واقع على كبار رجال الحكومة الذين امروا بهذه الفظائع وتولَّوا اجراءها

فوقع هذا الكتاب وقعًا شديدًا في نفس الوزير وصعد الى دمشق وقبض على واليها وامر بقتلهِ وقتل معهُ المأمور الذي كان في حاصبيًا وثلاثة من ضباطهِ ومئة وسبعة عشر جنديًّا ونحو خمسين او ستين من الاهالي . وكان الذين قُتلوا من دمشق وضواحيها نحو ستة آلاف نفس

وسُئِل احد وجوه دمشق ليكتب محضرًا يصف فيهِ ما جرى لهُ وكان قد نجا من المذبحة فكتب ما خلاصتهُ

ينسبون ذهابك لغاية سياسيَّة ولا يخفى عليَّ استعمال باشاوكن ما كل
والصبر مرٌّ ولكن ثمرتهُ حلوة كما يقول المثل الفرنسوي . وما دام الاميرة
الفضل فلا خوف عليهم . وبعد شهر او شهرين نرى كيف تتصرف هذه
من المحال . ولقد اسفت جدًّا لما اصاب هؤلاء المساكين على ما وصفت
تصل السفينة التي ارسلتهم بها اليوم او غدًا فيجدوا هنا بعض الراحة و

لما قرأَ السر هنري هذا الكتاب رأَى ان رجوعه الى بيروت ا
الحاضرة فاستدعى الشيخ الذي رآهُ قبلاً وكان لا يزال باقيًا في صيدا
عرب الفضل ومنازلهم وعدد رجالهم واوصاف اميرهم فقص عليهِ الشيخ
انهم بطون كثيرة تنزل جبل عجلون والسهول المجاورة لهُ فتقيم في الجبل
وهم نحو ستة الاف بيت . واذا خرج اميرهم الامير عمر الفاعور لغزو
فارس وقد حاولت الدولة ادخالهم في طاعتها مرارًا فاخفقت لكنهم لا
ما يظهر بل يكرمون رجالها ويهادون الولاة بالهدايا ويقصدهم التجار وي
والصوف والغنم والجمال والخيل اذا لم تكن كريمة وقد يبيعون الفرس
او اكثر ويشترون من التجار الاقمشة المختلفة والتبغ والرز والبن وال
النحاسية والحلى والاسلحة ويقيم الى جنوبيهم بنو صخر وهم لا يقلون عن
ذهبت اليهم في تجارة منذ عشر سنوات وكان معي ولداي

ولما نطق بهذه الكلمة اغرورقت عيناهُ بالدموع والقى رأْسهُ على عص
الصغير ثم كفكف دموعهُ وعاد الى الحديث فقال نعم ذهبت مع ولدي
بين عرب الفضل وبني صخر لكن العدول من الطرفين اجتمعوا يوم وصول
فاستبشر العرب بنا واشتروا كلَّ ما معنا من البضائع واعطونا غنمًا بدلاً
دوابنا ومعنا قطعان كبيرة من الغنم رزق الله على تلك الايام ياليتني من

فسأَلهُ السر هنري عن حال المعيشة في بيت امير عرب الفضل . ف
اينما كانوا وقد ضافنا امير عرب الفضل في بيتهِ فاكلنا وشربنا مع رجالهِ
يأْكلون وحدهم وطعامهم الرقاق والرز المفلفل والخرفان والامير متأَنق
لهُ الحجال ويطبخون لهُ احيانًا مآكل تركية لان عندهُ الجواري السو
المآكل التركية وعمل الحلويات وهم يكثرون من اكل الحلوى وعندهم ا
من الجبل ويكون في شقوق الصخور العالية . وقد اكلت منهُ وهو اطيب

مصلحة كبيرة · فقال بعضهم هلمَّ نأخذهُ الى البك فاخذوني اليهِ بعد ما سلبوا مني ساعتي وكل ما معي من النقود · وبينما نحن سائرون لحقنا درويش بعمامة خضراء وشعرٍ مسدول وبيدهِ عصا طويلة في رأسها منجل كبيرة وكان يمدّها من فوق رؤُوس الرجال ليجز بها رأسي. حتى اذا وصلتُ الى بيت المحافظ اخذني بيدهِ وصرف الناس عني ووضعني في بيت احد اتباعهِ مع القواس وكان قد صار العصر وليس في البيت الأَّ امرأَة عجوز والتفتُّ فلم ارَ ولديَّ ولا كنت اعلم ماذا جرى لزوجتي وطفلها الرضيع ووالدتها وخالتها وكنت قد فارقتهم في البيت اما ولداي الكبيران فكان اولهما عند قنصل الانكليز والثاني في مدرسة الروم البطريركية ولم اكن اعلم ايضًا ماذا جرى لهما. واصعدوني الى غرفة عالية (قصر) تطلُّ على الشارع فرأَيت منها المحافظ آتيًا الى بيتهِ باناس كثيرين وعيالهم فاستغربت كيف يحمي هؤُلاء في بيتهِ ولا يحميني انا فيهِ بل يضعني في بيت احد اتباعهِ وترجح عندي انهُ يقصد الايقاع بي ليلاً ولا يريد ان يقتلني في بيتهِ امام الجمهور فاخبرت القوّاس بذلك وقلت لهُ الاجدر بك ان تنجو بنفسك . فقال وانت ماذا تفعل فقلت لهُ اني انتظر حتى يخيم الليل وادخل بيت المحافظ فلا اظن انهُ يتجاسر على قتلي في بيتهِ وبيتهُ مملوء بالناس · فقال هذا هو الصواب ولكني لا افارقك الاَّ بعد ان تصل الى بيت المحافظ وحينئذٍ اذهب واخبر الامير عبد القادر. فاستحسنت رأيهُ وانتظرنا الى ان خيم الظلام وحينئذٍ رأينا سبعة رجال جاؤُوا وقرعوا الباب بعنف ففتحت لهم العجوز فسأَلوها هل فلان هنا فقالت نعم هو في القصر (الغرفة العليا) · فقلتُ دنت الساعة واشرت الى القوّاس لينجو بنفسهِ ويخبر عما حلَّ بي · وبينما انا اكلمهُ بذلك صرخ واحد من الرجال قائلاً انزل يا فلان فانا صديقك السيد محمد السوطري جئت برجال الامير عبد القادر لكي انقذك فلا تخشَ بأْسًا فنزلت اليهِ والبسوني برنسًا كالمغاربة ومشيت بينهم وسرنا ندوس على القتلى في الازقَّة حتى وصلنا الى بيت الامير وكان مزدحمًا باللاجئين اليهِ لان الامير بقي ثمانية ايام متسلحًا يطوف في الشوارع وينقذ الناس من القتل . ولما رأى السيد محمد السوطري ان بيت الامير مزدحم الى هذا الحد طلب منهُ ان يسمح لهُ باخذي الى بيتهِ وهو قريب من بيت الامير فسمح لهُ ومضى بي الى بيتهِ وسأَلني عن عائلتي فقلت لهُ ان ابني الكبير في قنصلاتو الانكليز والثاني في مدرسة الروم وكان معي ولدان ففرّقوا بيني وبينهما ولا اعلم ماذا جرى لهما وقد تركت زوجتي وطفلها في البيت · فقال اما ابنك الكبير فلا خوف عليهِ لانهُ لم يدنُ احد من قنصلاتو الانكليز واما الباقون فانا امضي الآن افتش عنهم وهم لا يعرفونني فقد يمتنعون عن المجيء معي فدع القواس يذهب برفقتي لاطمئنانهم

لما فشت الفتنة في لبنان والبلاد المجاورة له اضطربت الافكار
الخبر بالاستيلاء على زحلة كان فرح عظيم وزينت الاسواق لا.
كثيرون الى دمشق من البلاد المجاورة لها وامتلأت بهم كنائس
معقودة بان الامير عبد القادر الجزائري يستطيع منع الفتنة وقد بذل
فاطمأنت الخواطر وعاد الناس الى اعمالهم في السابع والثامن من شهر
استبيحت الارواح ودخل الاشقياء البيوت والاديرة والكنائس وقتلوا
والاعجمي من السكان ومن اللاجئين اليهم من قتلوا المجذومين
للتداوي فيها وحرقوا مكانهم

وكما فعل هؤلاء الاشقياء المنكرات فعل الفضلاء الصالحات
والشريف اسعد حمزة والشيخ سليم العطار والشيخ عمر العابد وامثاله
برجالهم ينقذون الناس ويمنعون الاعتداء عليهم فخمدت الفتنة في اليوم
اليوم الثالث ودامت الشدة الى ان وصل الى دمشق والٍ جديد وا
وانا كنت نائمًا في بيتي فايقظوني صباح الاثنين في ٩ يوليو وا
في المدينة فخرجت الى باب داري لاتحقق الخبر فرأيت الناس يتراكضون
قدوم قواس من قنصلاتو الانكليز لاني تابع لها وبعد قليل حضر قواس
عبد القادر اطلب منه رجالاً يوصلونني اليهِ فرجع القوّاس وحده لا
اعطاهُ ستة رجال ولكن لم يمكنهم الوصول اليَّ لشدة الازدحام و
فانتظرت آملاً ان يتسلحوا ويعودوا اليَّ وبينما انا جالس في انتظار
داري وكسروهُ بالبلطات ودخلوا الدار الخارجيَّة وجعلوا يطلقون الر
فخرجت من باب صغير خارجي ومعي ابني وعمرهُ تسع سنوات وا
والقوّاس واخذت معي مبلغًا من النقود لاستعين بهِ بدل السلاح وك
من الثائرين ورأيتهم هاجمين عليَّ ارميهم بقبضة من النقود فيلتهون
الى زقاق ضيق ظننت اني لا اجد فيهِ احدًا فاصل منهُ الى دار ال
خاب ظني وهجم عليَّ رجالهُ ليقتلوني وضرب واحد منهم ابني ببلطة
واطلق آخر عليَّ الرصاص مرتين فاخطأني وبادرني واحد ببلطة
وأصبت بضربات كثيرة في جنبي الايمن ولم يعد الذين حولي يستطيعو
لئلاَّ يصيب بعضهم بعضًا فقلت لهم اني ذاهب لاقابل حضرة البك محاف

مندوب روسيا — التسعين ما هذا وكيف تحسبون درجات الحرارة

مندوب انكلترا — سيت انكم لا تحسبون الدرجات مثلنا . ان التسعين بميزان فارنهيت تقابل نحو ٣٢ بميزان سنتغراد ولكني اشعر رطوبة هنا لا نشعر بها عندنا وعلى كل حال الحر شديد هنا ولا اظنهُ شديداً في بطرس برج

كلاَّ ولكنهُ يشتد احياناً كثيرة في فصل الصيف . الظاهر ان فرنسا تريد ان تفتح المسألة الشرقية من جديد

مندوب انكلترا — هل انتم من رأْيها

مندوب روسيا — انتم تعلمون انهُ لا يمكن ان نكون من رأْيها . ومولاي الامبراطور مستاءٌ جدًّا مما حدث في سورية ولكنهُ يقول انهُ ان كان الحق في المداخلة لدولة واحدة فذلك الحق هو لروسيا لا لغيرها وقد وصلت بارحة من بوارجنا الى مدينة بيروت في الوقت اللازم فمنعت حدوث مذبحة فيها

مندوب انكلترا — نعم لعلنا ذلك ومولاتي الملكة شكرت لسفيركم لما لمعها الخبر لانها مستاءة جدًّا من هذه الحوادث وانتم مصيبون في قولكم انهُ لا يحسن بدولة واحدة ان تنفرد بالمداخلة اي بارسال جنودها الى تلك البلاد ولكن هل ترون من الحكمة ان ترسل كل دولة من الدول المتحابة فرقة من جنودها

ففكَّر المندوب الروسي هنيهة ونظر في وجه المندوب الانكليزي لعلهُ يقرأُ فيهِ ما يضمر ثم قال لهُ كلاَّ ولكن لماذا نفضل فرنسا على غيرها اذا فضلنا ان تنفرد دولة واحدة بارسال جنودها

فقال المندوب الانكليزي نحن لا فرق عندنا فاذا اردتم فنحن نرسل جنودنا او انتم ترسلون جنودكم او نرسل جنوداً متساوية

فلم يجب المندوب الروسي على هذا الكلام بل بقي صامتاً يفكر في ارسال الجنود الروسية اذا امكن ولكنهُ يحسب ذلك ضرباً من المحال

وتكامل الاعضاء حينئذٍ ودارت المذاكرة بعد ان تليت عليهم تقارير القناصل كلهم وكان حاضراً في ذلك المؤتمر معتمد بريطانيا ومعتمد روسيا ومعتمد تركيا ومعتمد فرنسا ومعتمد النمسا ومعتمد روسيا ولم يسع مندوب تركيا ان ينفي شيئاً مما ذكرهُ القناصل

وبعد بحث طويل اقرَّت الاكثرية على انهُ لا بدَّ من ارسال جنود اوربية لارجاع الامن الى البلاد وتبرَّعت فرنسا بارسال ستة آلاف من جنودها وكانوا مستعدين للسفر عند اول اشارة فشكرها المندوبون على هذه المروءَة . وقال مندوب انكلترا يجب ان نقرر ايضاً

[illegible]

وسألت السيد محمد كيف [illegible]
بباب [illegible] المحكمة [illegible]
[illegible]
الباب [illegible] حينئذ [illegible] واحد [illegible]
فتوجه اليه [illegible]
المتسلحين ليطلبوني [illegible] وتهددو [illegible]
احيه معهم [illegible] مكاني

وفي تلك الليلة [illegible]
[illegible]

ثم اتى رجل تركي الى قنصل الانكليز [illegible]
وكنت قد اسكنت [illegible] الانكليزي في [illegible]
واحفته في بيتها [illegible] ارسل القنصل رجلا من [illegible]

و[illegible] شهرًا في بيت السيد محمد السوطري حتى [illegible]
محمود افندي حمزة الى داره [illegible]
وبقيت في بيت محمود افندي الى ان حضر [illegible]

وعادني السيد محمد الامين الشاعر المشهور [illegible]
الذي تراه. فقال [illegible]
[illegible] اهالي دمشق الذين فعلوا كل هذه [illegible]
الكعبة المشرفة

الفصل الحادي والثلاثون

مؤتمر باريس

ما هذا الحر الذي يزهق النفوس حقًا ان باريس لا تطاق في [illegible]
المتكلم مندوب روسيا والمخاطب مندوب انكلترا
فقال مندوب انكلترا — والحر عندنا شديد ايضًا على خلاف
الحرارة التسعين امس

الفصل الثاني والثلاثون

الحيبة والقتل

رجع الامير عمر الى مضاربهِ كاسف البال يكاد يتشعل غيظاً وكانت الشمس قد آذ
بالمغيب فترجّل عن جوادهِ واجتمع حولهُ شيوخ قبيلتهِ وكان قد اصيب بجرح في ذر
اليسرى فاتى المتطبب وغسل الجرح بالماء وحمي اداة من الحديد وكواهُ بها كأنهُ ي
ميكروبات الفساد ورش على الجرح رماد خرقة محروقة وربطهُ والامير رابط الجاش لا ي
ولا يتكلم . ثم سأل الذين حولهُ عن عدد القتلى فقالوا لهُ زهاء مئتين وقد ابلينا بلاءً ح
فقتلنا اكثر من ذلك . فامر ان يرسل من يهتم بحمل الجرحى ودفن القتلى وان يستر
الرجال ساعتين من الزمان ثم ينهضوا ويلحقوا بالعدو حيث يبيت تلك الليلة

فقال لهُ رجل شيخ من رجالهِ ليس تبييتهم من صواب الرأي لان الليل حالك الظلام و
نصيب احداً من اولاد الامير عباس . والرأي عندي ان نرسل نستنجد عرب عنزه فانهم استنجد
مرتين في حياة المرحوم والدك فانجدناهم ونضرب موعداً نهجم فيهِ على بني صخر من جهتين مختلفة
فإما ان يثوبوا الى رشدهم ويردوا الأسرى ويصالحونا واما ان نخرب ديارهم ونمحوا آثارهم

فقال رجل آخر وهذا ليس من صواب الرأي لان عرب عنزه ارتحلوا الى جهات الجز
او هم على اهبة الارتحال ورأيي ان نرسل الى بني صخر نعرض عليهم افتداء الاسرى ثم نترقّ
الفرص للاخذ بالثار . وقال ثالث ان الامير حساناً ان قبل بافتداء اسرانا لا يقبل بتسليم
الاميرة هند واولادها ولا بدّ ما يكون قد كتب كتابهُ الآن على الاميرة سلمى على جاري عاد

ولما سمع الامير عمر هذا الكلام صار الضياء في عينيهِ ظلاماً فنهض واقفاً وقال من من
احواخته يسير ورائي ويحمي ظهري وعليّ انا وحدي بني صخر كلهم

ولكنهُ كان خائر القوى لكثرة ما نزف من دمهِ فارتجفت ركبتاهُ وكاد يغمى عليهِ فقا
لهُ الطبيب تناول الآن شيئاً من الطعام حتى تسترد قوتك وبعد ذلك تنظر في الامر
وشعر هو بخوران قوتهِ فاتكأ على عمود الخيمة واطرق وهو يكاد يتميز غيظاً من نفسهِ و
سوء طالعهِ لانهُ لو لم يعثر جوادهُ لردّ الاسرى وقهر الاعداء ولولا اشعّة الشمس التي اعم
ابصار رجالهِ لما دارت الدائرة عليهم فكأنّ التقادير كلها كانت معاندة لهُ . فالتفت ا
الذين حولهُ وكادت دموع الغيظ تنفجر من عينيهِ وقال لهم لا بدّ لنا من الراحة على ك
حال فعلقوا خيلكم واستريحوا قليلاً

ان هذه الجنود ذ[illegible] [illegible]

من هذه السياسة الرشيدة [illegible]

المندوب الفرنسوي لا [illegible]

الى ارسال جنوده [illegible]

نرسل جنودنا الى سورية

فقال المندوب الانكليزي [illegible]

توطيد الامن فمتى توطد تعود مشكورة [illegible] ذهبت مشكورة [illegible]

حينئذٍ وكان قد اوجس شرًّا [illegible] مندوب انكلترا [illegible]

كلها قائلاً في نفسه ان هذا يدل على [illegible]

الجنود تخرج من سورية حالما يتوطد الامن فيها [illegible]

المندوبين ولم يقل مندوب فرنسا شيئًا لان كلمة توطيد الامن [illegible]

الكثير والمطل الطويل

وتذاكر اعضاء المؤتمر في امور شتّى تتعلق بهذا الموضوع [illegible]

عقدت بعد حرب القرم سنة ١٨٥٦ والحوا على مندوب الباب [illegible]

حيث المساواة بين كل اصناف الرعية فقال لهم ان الباب العالي [illegible]

بتلك المعاهدة وسيبقى باذلاً اقصى الجهد للقيام بها

وختم المؤتمر وكان ابتداء اجتماعه في الثالث من اغسطس [illegible]

الفرنسوية الى بيروت في السادس عشر منه اي بعد وصول فؤاد [illegible]

في حرش بيروت نصبت خيامها هناك وانتظرت الاوامر · وحالما [illegible]

كل مكان واطمأنت القلوب وراجت الاعمال لاسيما وان الاموال

كانت تتدفق لاعانة المنكوبين · وجعل كثيرون منهم يعيشون

وتصرّف الجنود تصرُّف الكرام فكانوا يدفعون كل ما يطلب منهم

طعامهم حتى ان الفقراء الذين كانوا لا يأكلون الّا الخبز الحاف و

الادام صاروا يأكلون اللحم الغريض مما يعطيهم اياه الجنود وا[illegible]

القديمة التي اعطوهم اياها وظهر كأن البلاد انتعشت بعد ما خيم على

الانكليزي فأكدت لهم ان في دار قنصل الانكليز في بيروت اميرًا انكليزيًّا من اولاد عم ملكة الانكليز وهو خطيب الاميرة سلمى وقد سافر ابوها بها على غير علمهِ وانهُ لا بد وان يكون آتيًا الآن بالعساكر للتفتيش عنها . فطيبوا خاطرها وجعلوا يتداولون في ايصال هذا الخبر الى الامير حسَّان

اما الامير عمر فصمت ولم يعد يتكلم لانهُ رأَى انهُ ان كان ذلك ينجيهِ من خصم يكرههُ هو وتكرههُ الاميرة سلمى ايضًا فهو يوقعهُ في خصم آخر تحبهُ الاميرة سلمى ولا يمكن نجاتها منهُ فرأَى ان الآمال التي احياها في فؤَادهِ اماني فارغة واضغاث احلام فلم يعرف كيف يتقي النبال . فشلٌ وخذلان واسر وذل . ثم هو مضطر ان يحمل العار ليتقذ فتاةً تكون لغيرهِ ولا يعود يراها في حياتهِ . فوجم ولم يعد يتكلم وظن رجالهُ انهُ كان يفكر في طريقة لانقاذ الاسرى من غير فكاك فصمتوا هم ايضًا ثم نظروا اليهِ يستوضحونهُ رأْيهُ فقال وهو لا يدري ما يقول ارسلوا اعرضوا عليهِ الفكاك وخذوا من مالي خمس مئة جمل او اكثر حسب دواعي الحال واخبروهُ ان الاميرة سلمى مخطوبة لامير انكليزي وانهُ لا بد وان يكون آتيًا الآن بعساكر الانكليز ومدافعهم وهو يعلم ما حلَّ بهِ وبرجالهِ يوم خربوا عكاء . وان فسَّح الله لي في الاجل اخذت ثاري بيدي والَّا تركت ثاري لكم لتأْخذوهُ بعدي وقد عاودتني الحمى الآن ولا ادري ماذا اقول . ثم اتكأَ على ذراعهِ واسند رأْسهُ الى كتفهِ . وقام رجالهُ وتشاوروا ساعة من الزمان ثم ارسلوا ثلاثة منهم ومعهم رايات بيضاء ليعرضوا الفكاك على الامير حسان ويخبروهُ بقصة الامير الانكليزي

وكان قد وصل الى القبيلة شاعر دمشقي فنظم ابياتًا في واقعة الحال وانشدها الامير عمر يعزيهِ بها عما حلَّ بهِ ومنها قولهُ

تعزَّ فان الصبر بالحر اجملُ ... وليس على ريب الزمان معوَّلُ
فلو كان يغني ان يُرَى المرءُ جازعًا ... لحادثة او كان يغني التذللُ
اذًا فالتعري عند كل مصيبة ... ونائبة بالحر اولى واجملُ
فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامهُ ... وما لامرئٍ عمَّا قضى الله مرحلُ
فان تكن الايام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعلُ
فما ليّنت منا قناةً صليبة ... ولا ذللتنا للذي ليس يجملُ
ولكن رحلناها نفوسًا كريمة ... تُحمَّل ما لا تستطيع فتحملُ

فشكرهُ الامير وامر لهُ بصلة سنية وفرس كريم

ثم [illegible] وحاول
جمع افكاره [illegible] واتكأ
على مسند [illegible] فزادت
تلك الاشباح [illegible] نجاتهم .
وخيل له [illegible] الاميرة [illegible] وسد الريح
ما كذا تفعل العرب الكرام . [illegible] حولها
ان ابت . [illegible] كانت قد تمكنت
منه وجعلت الاخيلة [illegible] يبغي
رجاله ويحرضهم [illegible] وفي اقل من
لحظة يعاوده الهذيان

و[illegible] خدمة [illegible] ودعوا الطبيب [illegible] بعض الاعشاب
وسقاه علاجها ونزع جزمته من رجليه ونضد عروق [illegible] ثم [illegible] وخلع ثيابه وشرب
قليلاً من اللبن فانتعشت قواه ولكنه لم يستطع ان يصرف عن ذهنه تفكيره في الاميرة
هند واولادها لا لانهُ كان يخشى عليهم شرًّا لان العرب لا يسيئون الى اسراهم ولا سيما اذا
كانوا من كرام القوم بل يحفظونهم ليأخذوا فكاكهم ولكن لان الكلام الذي سمعه عن
الامير حسان كان اوقع في نفسهِ من ضرب الحسام فجعل يضرب اخماساً لاسداس ويوازن بين
الاساليب التي يمكن ان يسترد الاسرى بها و[illegible] عدوهُ [illegible] فلم يرَ
اسلم عاقبة من افتكاكهم ولو بكل ما يتملكهُ . وقال في نفسهِ [illegible]
الا انهُ يفضل المال على كل شيء فان انا اعطيتهُ مئة حصان ومئتي [illegible] جمل
فعل ما اريد فاشتري شرفي الآن بالمال القليل ومتى خرجت هذه الازمة يدركه [illegible] . ثم
استدعى رجالهُ وقال لهم ما قولكم لو عرضنا الفداء على الامير حسان واجزلنا لهُ العطاء .
فاجمعوا على انهُ ممن يشترى بالمال ولكنهم خافوا ان يصر على بقاء الاميرة هند واولادها
عندهُ إما رغبةً في الاميرة سلمى واما طمعاً بان بني شهاب يفتدونها بالاموال الطائلة

وبينما هم في الحديث دخلت ام يوسف وهي تصيح وتقول اين شهامة العرب يا امير عمر
اتترك ستي واولادها في السبي ارسلني الى بيروت حتى اخبر قنصل الانكليز فان الست سلمى
مخطوبة لامير انكليزي واذا عرف ما اصابها اتاكم بالف عسكري انكليزي

فكان لكلامها وقع عظيم في نفوسهم فاجلسوها وسكنوا روعها وسألوها عن قصة الامير

طالبًا الخروج من المضرب فيمسك بهِ عبدهُ ويردهُ الى مكانهِ واذا أكثر من الجلبة والعربدة اتت زوجتهُ اليهِ وتهددتهُ فيضحك لها اولاً ويحاول القبض عليها ثم يقول لها انا الفارس المغوار انا قاهر عرب الفضل هه هه من انتِ حتى تقفي في طريقي تعالي يا حبيبتي هه هه هه ألا تأتين اذهبي عني يا نكاع اغربي من وجهي لا بدَّ ما اطلقك وآخذ الاميرة هند لا لا بل الاميرة سلمى هه هه هه اين الاميرة سلمى اذهب يا لعين وائتني بها اذهب والاَّ قطعت رأسك بهذا السيف . ثم يلوح بيدهِ كمن يستلُّ سيفًا من غمدهِ

ولم يهتم الخدم بسكرهِ لانهم كانوا معتادين ان يروهُ سكران اما زوجتهُ فخافت ان يسمع احد من الاميرات الاسيرات صوتهُ وحاولت وضعهُ في فراشهِ فدفعها عنهُ واراد الخروج لكن السكر كان قد اضعفهُ فتغلبت عليهِ هي والعبد واجلساهُ على فراشهِ ولم يعد يستطيع القيام لكنهُ بقي يعربد ويهذي ساعةً من الزمان ثم جاشت نفسهُ فاستفرغ بعض ما في معدتهِ وانطرح في فراشهِ كالميت الى ان اصبح الصباح

الفصل الرابع والثلاثون

التزلف والنفور

الاميرة هند وابنتها وولداها في خيمة سوداء من الشعر مرفوعة العماد مبطَّنة بشقق الحرير الدمشقي المخطط بالاصفر والازرق وهي جالسة على اريكة متكئة على مسند عابسة الوجه مقطبة الجبين والسيكارة في يدها والامير حسَّان واقف امامها يكلمها بصوت منخفض ويسترق اللحظ الى الاميرة سلمى وهي جالسة الى جانب امها مستندة الى مسند آخر لكنها صامتة لا تتكلم وحاول الامير حسَّان جهدهُ لكي يصلح منطقهُ حتى يكون بلغة مفهومة لدى الاميرة هند فقال لقد ابنت لحضرتك اننا لم نقصدك انتِ واولادك بسوءٍ على الاطلاق ولم يكن لنا غرض الاَّ عرب الفضل لاخذ الثار وكشف العار وانتم آل شهاب من العرب الكرام الذين يعرفون عادات القبائل ولا يرضون لنا بمذلة اذا امكننا ان نرفعها عنا

الاميرة هند – انا لا اجادلك في ذلك ولا اقول لك ان لا تأخذ ثارك من اعدائك ولكن كان في امكانك ان تخبرنا حتى نرحل عن عرب الفضل او ان تخبر رجالك لكي لا يمسونا بمكروه ولا يحملوا اليك بنات شهاب سبايا كما حملونا ما هذا ظني بك يا امير ولا تستطيع ان تعتذر بانك لم تكن تعلم اننا نازلون على الامير عمر لانني ارى انكم تعلمون كل شيءٍ في هذه البلاد

فقال لا انكر عليك انني كنت عالمًا بنزولكم على عرب الفضل وكنت احسدهم على هذا

[illegible]

... الامير ... [illegible] ... ان

أخذوا ... رحالهم من عرب ... [illegible] ... فقتلهم

... [illegible] ... واستاقوا

... كثير من ماشية ... [illegible] ... الاسرى وواصلوا السير

... الى ان ... [illegible] ... واستراحوا

... ثم قاموا في الصباح وساروا ... [illegible] ... والامير

حسان لا يصدق ما يرى ... يحسب انه في حلم ... [illegible] ... في الحلة

وخرجت النساء ... بالدفوف والمزاهر ... [illegible] ... في اليوم التالي

... الولائم واديرت الخمور ... الامير حسان ... الاميرة هند ... الامير عمر

مضرب كبير قرب مضرب زوجته واقام جواريهن على خدمتهن و... الاميرة هند

مضرب آخر. وكان في ... شاعر من ... [illegible] ... قصيدة يمدحه بها

يذكر مناقبه الحسان وبلاءه بالاعداء ويحذره من التمادي في ... [illegible]

تجافَ عن الاعداء بقيًا فربما ... [illegible]
ولا تبرِ منهم كل عودٍ تخافه ... فان الاعادي ينبتون مع الدهر
اذا انت افنيتَ السفيه من العدى ... رمتك المنايا عن يد الحامل [illegible]
وهبك اتقيت السهم من حيث تتقي ... فكيف بمن يرميك من حيث لا تدري

ففطن الامير حسان الى مراده وظن به السوء فبعث ... [illegible] ... ان
يأخذه الى خيمته ويحفظ به الى ان ينظر في امره ... [illegible]
... بخارها فذهبت بعقله وقام قاصدًا مضرب الاميرة هند فالتقت به زوجته ...
... امره فقالت له الى اين يا سيئ الفعال اتريد ان تتركنا عارًا بين قبائل العرب. وامسكت
... وردته من حيث اتى وكان يخشى صولتها وقد طلّق نساء كثيرات قبلها اما هي فملكته وكان
يجلس امامها كالعبد الذليل فعاد الى مضربه سكران بخمرتين خمرة الظفر وخمرة العنب يخيل
له انه راكب على جواده والفرسان تتسابق بين يديه فجعل يضرب يمنة ويسرة كأنه
يجندل الاقران ويصيح مرة بعد اخرى ثم يضحك حتى يستلقي على ظهره ويقوم ويسير مهرولاً

المصيبة ما هذه البليَّة اين اهلي الآن اين اخوتي واخواتي واولاد عمي واولاد خالي

وقالت لهُ الاميرة سلمى هل انتم على يقين من صحة هذا الخبر

فقال نعم وقد سمعتهُ من اكثر من واحد من الذين كانوا هناك وقد ارسل الينا والي دمشق لنزحف مع دروز حوران على جبل لبنان فلم اشأ ان افعل ذلك لان الدروز اعداؤنا ولا اركن اليهم. ولم افهم ما هو غرض الوالي من ذلك ولا كيف استحلَّ قتل الآمنين في دار الولاية نفسها. ونحن نشكر الله لاننا في هذا القفر مستغنون عن الشام وعن النزول اليها. و بلادنا الآن قاحلة لاننا في فصل الخريف ولكن متى جاء الربيع تجدينها من جنان الخلد وسترينها في ذلك الفصل ان شاء الله

قال ذلك موجهاً كلامهُ الى الاميرة سلمى

فقالت لهُ انبقى هنا الى الربيع لا سمح الله . ثم كيف تقيمون في هذه الخيام وقت المطر

فقال ان المطر لا يخرق الخيام ولا سيما اذا كانت محكمة النسج مثل هذه الخيمة . وفصل الشتاء عندنا من ابدع الفصول وسترينهُ ان شاء الله وقد سمعت انكِ تحبين ركوب الخيل فخيلي كلها تحت امركِ وامر اخويكِ وعندي مهرة بيضاء تنجلي كالعروس

ثم صفَّق بيديهِ فدخل عبد اسود فقال لهُ هات غزالة ياشيبوب لتراها الاميرة سلمى . فذهب وبعد دقائق قليلة عاد يقود مهرةً كالريم وقال لها هذه المهرة لا يعلو ظهرها احد غيركِ وهي وديعة كالحمل وسريعة كالنعامة

فشكرتهُ وقالت في نفسها لعل لهُ ابنة من عمري اركب معها . وكانت قد رأَت نساء كثيرات في المضارب وعرفت ان واحدةً منهنَّ زوجتهُ ولكنها لم ترَ لهُ اولاداً وحقيقة امرهِ انهُ كان قد تزوج بابنة عمهِ وولد لهُ منها ولدان ماتا بالجدري ولم يرزق غيرهما ثم طلقها وتزوج كثيرات غيرها وكان كلما سمع بابنة حسناء يخطبها الى ابيها ثم لا يلبث ان يكرهها ويطلقها وعُرف بهذا الخلق حتى كان العرب يخفون بناتهم عنهُ . فلما وقعت الاميرة سلمى في اسرهِ لم يتشكك احد في انهُ يتزوج بها حالاً رضيت بذلك او لم ترضَ. اما هو فهابها في اول الامر وخشي ان ينظر اليها كما ينظر الى غيرها من بنات قبيلتهِ ولكنهُ لما جالسها وسمع حديثها سوَّلت لهُ نفسهُ ان يخطبها الى امها وابت عليهِ عادات قومهِ ان يخاطبها في ذلك قبل ان يريها ضروب الكرم . وكان لهُ نديم ربي معهُ وشاركهُ في كل طرق الفساد فاطلعهُ على مرامهِ فسهلهُ لهُ قائلاً انها اسيرتك وليس لها ملجأ غيرك ويستحيل عليها ان ترفض طلبك

وجاء الرسل من قبل الامير عمر الفضل طالبين فك الاسرى واخبروا الامير حساناً ان

الشرف ولكن [illegible] كنت توقعت ان آخذ بثارنا منهم [illegible] ولكن [illegible] الى ان يبعد عن حمايتهم [illegible] وكان [illegible] هو وقومهُ والله لا ينصر [illegible]

الاميرة هند — والآن [illegible]

الامير حسان — [illegible] الرحب والسعة ونحن ندافع عنكم [illegible] وان شئتم ان نرحل بكم الى مكان آخر [illegible] وغاية ما نتمناهُ رضاؤك ورضاء الاميرة سلمى [illegible]

وكان واقفًا ويدهُ اليسرى على مقبض سيفهِ [illegible] يتكلم وهو كهل في نحو الاربعين من العمر قصير القامة اسود الشعر [illegible] خفيف اللحية عصبي المزاج

فقالت الاميرة هند لماذا تكلمنا وانت واقف [illegible] تجلس وتستريح

فرفع يدهُ الى رأسهِ وقال — العفو يا مولاتي [illegible] امرتي بالجلوس فانا اجلس اطاعة للامر

ثم جلس مكانهُ متربعًا ووضع سيفهُ على حضنهِ [illegible] الكهرباء وماسورتهُ من الكرز فمصَّ منهُ مصتين [illegible] هند اولاً ثم للاميرة سلمى واخويها فتناولتها الاميرة هند [illegible] شربها وكذلك اعتذر اخواها

ولما شربت الاميرة هند بعض فنجانها قالت لهُ يا حبذا لو كنت توصلنا الى [illegible]

فنظر اليها مستغربًا وقال الم يبلغكم ما حدث في الشام فقد حدث فيها اكثر مما حدث في حاصبيا

فلما سمعت هذا الكلام صرخت قائلة ماذا تقول اقتلوا نصارى الشام ايضًا وارتجفت يدها ووقع الفنجان منها وضربت بيدها على المسند وقالت قلت لاحمد ان هذا العمل كلهُ دسيسة والغرض منهُ قتل كل النصارى فلم يصدقني

ثم القت رأسها على يدها وقالت الله يجازيهم الله يجازي الذي كان السبب ما هذه

نفسها فقال اصبت . وامر ان تخرجا من خيمتها وتنتقلا الى خيمة صغيرة وتقدّم لهما لوازم الطعام فقط وتجبرا على اعداده بايديهما من عجن وخبز وطبخ واقام عليها الجواسيس وابقى الولدين بعيدين عنهما

الفصل الخامس والثلاثون

الاحتفال في الحرش

اشرقت الغزالة وانتشرت اشعتها على ساحل بيروت فتململ ندى الليل من حرها وتجمعت نقطة على اوراق التلقاس كالدر وانبسطت على اوراق التوت كاغشية الحرير ثم ركبت متن الهواء وطارت الى اعالي الفضاء فغطى الضباب تلك الهضاب ساعة من الزمان ثم تقشع عنها وصفا اديم الارض ووجه السماء وجفت الرمال الا حيث وقع عليها ظل الصنوبر ثم امتدّ الجفاف اليها كلها وعلا صرير الصراصير

ما هذه النصُب العالية وما هذا الشعاع الذي يزري بشمس الضحى . دكة تعلوها قبة فوقها نصب يناطح السحاب وفي وجههِ سيوف منظومة بعضها مع بعض كالشعاع المنتشر من كوكب درّي حولهُ اكاليل الازهار وشعار الامة الفرنسوية واعلامها منتشرة ومجموعة على اشكال شتى تأخذ بالابصار رونقاً وبهاء

وما هذه الاطناب النازلة من اعلى القبة كاعمدة الصبح وقد التفّت عليها اكاليل الازهار والرياحين وامتدت كالهواجر الى ابعاد شاسعة

الميدان واسع بين الصنوبر والبساتين في ضاحية بيروت تستعرض فيهِ الوف الجنود من عهد ابرهيم باشا ومن قبل عهدهِ وهو الآن مزدحم مكتظ ترمي فيهِ الرمل فيقع على رؤُوس الناس الا في دائرة كبيرة حول الدكة والنصب تركت فراغاً للولاة والقواد ورؤَساء خدمة الدين واعيان المدينة وامامها مركبات المدافع والخيول مقرونة بها والجنود وضباطهم بافخر الملابس والحلل

بُمْ بُمْ بُمْ شهب تلمع ورعد يصقع والناس يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت

بُمْ بُمْ بُمْ ارتفعت اعمدة الدخان وسرادقت فوق تلك الجماهير فحجبت عنها اشعة الهاجرة . ثم صمت كل صوت وسكن كل متحرك وتقشع الدخان وظهر على الدكة تحت القبة حبر جليل القدر بحلتهِ الحبرية حولهُ لفيف من الكهنة يسبح الله بالحان شجيَّة وتحتهُ رؤَساء الانام بملابسهم الرسمية ثياب مقصبة ونياشين تتألق في الصدور . وربات الجمال بالحلى والحلل

الاميرة سلمى مخطوبة للامير انكيزي . فهذا خبر لكنه لم يصدقه وسأل الاميرة هند عن حقيقته فاستغربت ذلك ولم تسألهُ عمّن اخبرهُ به بل قالت له انها غير مخطوبة لاحد . فسرّي عنهُ واستدعى الرسل وقال لهم انهُ يرد ام الامير عمر اليه ان هو افتداها بمئة ناقة ومئتي جمل واما الاميرة هند واولادها فليسوا اسرى بل هم ضيوف عليه وقد انزلهم على الرحب والسعة وهو اولى منهُ بحمايتهم وسيبقون في حماهُ الى ان يسكن الاضطراب في جبل لبنان ثم يردهم الى بلادهم آمنين . وكان معهُ رجال من شيوخ قبيلته فاشاروا عليه ان يرد ام الامير عمر اليه حالاً حسماً لاسباب النزاع وان ما غنموهُ من الماشية يكفي بدل ما فقدوهُ بحربهم فاستصوب رأيهم ونادى الرسل وقال لهم "هوذا ام الامير عمر خذوها لا فداء ولا فكاك لكي تعلموا انا اكرم منكم وان ليس غرضنا الفداء وانما الاخذ بالثار ورد ما سلبتموهُ من رجالنا" ثم امر لها بهودج وارسل معها جارية لخدمتها . فرأوا ان لا سبيل لهم للاعتراض ولا للادعاء بان الاميرة سلمى مخطوبة لانها هي كذّبت الخبر فعادوا من حيث اتوا

ومرّت الايام والامير حسّان يزيد تودداً الى الاميرة سلمى وهي تزيد منهُ نفوراً . وقد ظلم الحبّ من سمّى مثل هذا حباً لانهُ ميل شهواني دنس . وضعفت سلطة زوجته عليه بازدياد شغفه بالاميرة سلمى فصار يتهددها بالطلاق كما لامته . واسقط في يد الاميرة هند ولم تعلم كيف تنجو من هذه البليَّة اما ولداها فاخذتهما الغيرة والانفة وعزما على الفتك به ان لم يرعوِ عن غيه . ولازمت الاميرة سلمى خيمة امها ولم تعد تخرج منها وفقدت اكلها فنحلت وذبلت ومرّت الايام والشهور وهي تزيد سقماً ونحولاً وذاك الطاغية يزيد جرأة ووقاحة واخيراً اتفق مع نديمه على ان يبعد الاميرة سلمى عن امها وينقلها الى خيمة بعيدة ويحضر الشيخ ويكتب كتابهُ عليها غصباً . فاحتال النديم عليها ذات يوم واحتملها هو وغلمانه وساروا بها خلسة الى تلك الخيمة فركضت امها حافية حاسرة الى خيمة ولديها وهي تلطم وتنوح فاختطف احدهما سيفاً والآخر هراوة واسرعا وراء اختهما فلاقاهما الامير حسان ورجالهُ وقبضوا عليهما واعتقلوهما وجاء الشيخ ليكتب كتاب الاميرة سلمى فسأل من وليّ امرها ففطنت الى قوله وقالت انا ولية امر نفسي ولا اريد الاقتران بهذا الرجل مطلقاً قالت ذلك وهي لا تدري كيف اتتها القوة لتنطق بهذا القول لشدّة ما حلّ بها من الجزع ولكن النفوس الكبيرة يظهر مضاؤها في المكاره . فقال الشيخ اذن لا استطيع ان اكتب كتابها . والظاهر ان الامير حساناً لم يكن يتوقع هذا السؤال فوقف مبهوتاً لا يدري ماذا يفعل فاشار اليه نديمهُ وانفرد به وقال لهُ ليس لك الآ ان تذلها هي وامها حتى تصغر نفساهما وتضطر ان تفتدي امها

والذين شاهدوا ذلك الاحتفال من اهالي بيروت وضواحيها حسبوا ان الجنود الفرنسوية احتلت سورية ولن تخرج منها فتمت امنية فرنسا التي غذتها من زمن حروب الصليب وامنية فريق كبير من سكان سورية . ومضت الشهور والجنود تزيد توددا الى الاهالي والاهالي لا يجدون سببا للشكوى بل لم يجدوا الا كل ما يستحق الشكر اذ كثرت الاموال وراجت الاعمال وشيدت المباني الفخيمة في بيروت وساعدت العساكر اهالي لبنان في بناء بيوتهم المحروقة

كان مارون ونقولا التاجران قد اشتريا بساتين كثيرة في سقي بيروت واراضي فسيحة في المدينة فربحا ربحا وافرا بارتفاع اثمانها وبغلاء سعر الحرير ولم يكن نصيب غنطوس السمسار وعبد الله الوكيل قليلا . ورأى الخواجه بخور والخواجه شمعون ان ابتياع الاملاك اربح من تديين النقود فعضا اصابعهما ندامة على فوات الفرص وبادرا الى مشترى ما يمكن مشتراه من الاراضي التي قرب ساحة السمك اذ بلغهما ان المدينة ستمتد من تلك الجهة

واجتمع جماعة من الوجوه في بيت كبير من كبراء بيروت وكان الشيخ درويش ابو فخر معهم اتى من غير دعوة شأن كل فضولي . ودار البحث على الاحوال الحاضرة بعد ما قتل فؤاد باشا والي دمشق وكثيرين من المأمورين والضباط واعتقل والي بيروت . فقال واحد من الحضور ان الافرنج رشوا الوزير حتى فعل هذا الفعل المنكر وقال آخر بل انهُ فعل ذلك باوامر من اسطنبول لكي يسكت دول اوربا . وكان بين الحضور رجل دمشقي اتى حديثا من دمشق وشهد ما حدث فيها فقال لهم ان الوزير لم يفعل عشر معشار ما يطلب منهُ فانا قد شاهدت كل ما حدث في الشام ولولا لطف المولى وشهامة الامير عبد القادر ما ابقوا احدا والعملية مدبرة من اسطنبول اعترفنا بذلك او لم نعترف ولا اقول ان القصد قتل هذا المقدار من الاهالي بل ايقاظ الفتنة لكي تتداخل دول اوربا على ما قال لي احد العارفين بدخائل الامر والظاهر ان اصحابنا لا يهمهم خربت الدنيا او عمرت اذا كان لهم غرض سياسي

فقال لهُ آخر وما هو هذا الغرض السياسي هل يريدون ان يسلموا البلاد للافرنج قبحهم الله وقبح سياستهم فانها كلها نفاق بنفاق

وقال الشيخ درويش الحق في يد الشيخ مصطفى فاني انا سمعت الوالي يقول لمشايخ الدروز انهُ يساعدهم ويحميهم . ولما زارني في رمضان الماضي قال لي يا ابا فخر يجب ان تجتهد وتستميل الامير احمد رسلان . فعملت كل واسطة معهُ والمسأله مدبرة كما قال الشيخ مصطفى ولكن ما عمرهُ خطر ببالي انها تطلع في الآخر من راس الوالي ويلقى كل اللوم عليهِ

فقال الشيخ مصطفى حبسوهُ يومين على عيون الناس وبعدها يفرج عنهُ

[illegible]

[illegible]

وحوله [illegible] من [illegible]

[illegible] لا يحصى عدده [illegible]

[illegible]

[illegible] وصدرت [illegible]

[illegible]

دام الاحتفال ثلاث [illegible]

تتصف واهالي بيروت ينظرون مدهوشين [illegible] فوق رؤوسهم

ثلاث ساعات دام الاحتفال [illegible] ساعات حتى انحل عقدهم وانفض جمعهم [illegible] مزدحمون لا طعام ولا شراب [illegible] مغيبها ولولا باعة الكعك وسقاة السوس [illegible] فقدم لهم افخر انواع الطعام والشراب

ولكن هل كان الوالي اطيب نفسا من سقاة السوس [illegible] وجها من بياعة اللبن . هل كان احد من المجتمعين في [illegible] والاحبار والتجار والشرفاء والاغنياء الذين [illegible] كان احد منهم انعم بالا من المزدحمين حول تلك الدائرة [illegible] قال احد الفضلاء ان في كل متر مربع من اكواخ الفقراء [illegible] ما في كل متر مربع من قصور الاغنياء . ايطاليا افقر [illegible] في مملكة اخرى كما تجد فيها . واسبانيا تتلوها في الفقر ولكن اكثر من سكان انكلترا وفرنسا

كانت مأكلاً لاهل الطمع ولم يصل الى الفقير منها الّا شيء لا يذكر. وقد طُبع الناس على الظلم حتى وهم متساوون فيهِ وراسفون في قيوده يظلم بعضهم بعضاً. خُلق في الانسان موروث من الحيوان لا يفلت منهُ الّا قليلون. وكم من مرة وقفت ارملة مسكينة وطفلها على ذراعها امام بيت رجل كبير من اهالي بلدها تطلب منهُ ان يحنّ عليها بجزء مما سُمح بهِ لها من مسلوباتها وهو ينتهرها ويقول لها لم اقبض شيئاً او هذا كل ما سمحوا لك بهِ ويعطيها ربع ما اخذ. ومما زاد الطين بلة ان المسلوبات قُسِّطت اقساطاً وأُعطيت بها سندات فجعل الصرّافون يشترونها من اصحابها باقل من قيمتها فقلّ ما نال اصحابها منها

ولما انقضى البحث في مسألة التعويض انتقل اعضاء المؤتمر الى البحث في المسألة الاولى اي عقاب المجرمين فطلب فؤاد باشا من رؤساء النصارى ان يكتبوا اسماء كل الذين يعلمون انهم ارتكبوا الجرائم. فارتكبوا الشطط حتى صار اعضاء المؤتمر عليهم بعد ان كانوا معهم فاضطروا ان يعدّلوا طلبهم وما زالوا يعدلون واعضاء المؤتمر يطلبون المزيد في التعديل الى ان انحصر الطلب في نفر قليل من اعيان الدروز فقبض عليهم واودعوا السجن وفي جملتهم الامير احمد ارسلان

وعاد المؤتمر الى النظر في الامر الثالث وهو انشاء حكومة منظمة في جبل لبنان يؤمن بها العودة الى مثل ما حدث فيهِ فبحث في هذا الموضوع طويلاً وقرّر اعضاؤهُ بعد النظر والروية ان يتولّى ادارة الجبل متصرف مسيحي تختارهُ الدولة العلية بالاتفاق مع سفراء انكلترا وفرنسا وروسيا ويساعدهُ مجلس ادارة ينتخب اعضاءهُ سكان الجبل فهو كمجلس الشورى في البلدان الدستورية وقرروا سنّ دستور لادارة الجبل على غاية الدقّة وفرضت المساواة التامة بين جميع سكانهِ وانتهت جلسات المؤتمر في اوائل شهر مارس

الفصل السابع والثلاثون

النجاة من السجن

هذا يومك يا مسرور سيدك في السجن واخاف ان يقتلوهُ لا لانهُ مجرم مثل غيرهِ بل لانهُ كان يتردّد على قنصل الانكليز فلا بد لك من تخليصهِ وقد عرضنا الامر للقنصل فوعدنا خيراً وهو صادق في وعدهِ ولست خائفة منهُ بل من اولاد الحرام ان يغدروا باحمد فخذ ما شئت. هذه عشرة آلاف غرش خذها وبرطل بها السجان او برطل من تريد واذا ما كفت فخذ غيرها لحد مئة الف غرش وانا اعتمادي عليك بعد الله ولا تخبر احداً على

فقال الشيخ درويش وكان [illegible]

فقال الشيخ مصطفى [illegible] حتى
يخفوا [illegible] وكان [illegible] عيونهم
فقال آخر [illegible]

وجد [illegible]
قنصل الانكليز [illegible]
الفرنسوي دخل على هذا [illegible] كلام
من الترجمان والترجمان [illegible]

الشيخ مصطفى [illegible] الى
هنا راجت الاشاعات واضطربت احوال الحكومة [illegible]
العسكرية كما تعفي الدولة [illegible]

فأجابه الشيخ درويش ان الفرنسويين لا يعفون [illegible] وانا قد
تصادفت مع كثيرين منهم [illegible] في بيتي فعرفت منهم [illegible] الجميع
وبعد اخذ وعطاء على هذا النمط [illegible] الى ان يوصوا
الجميع بالتزام السكينة الى ان يروا ما يحدث في الاستانة لانهم كانوا يتوقعون حدوث
امر ذي بال فيها

الفصل الخامس والثلاثون

مؤتمر بيروت

اجتمع معتمدو الدول الست الموقعات على عهدة باريس اجتمعوا في مدينة بيروت لتدبر في
حوادث لبنان وغرضهم البحث عن الجانين وعقابهم والتعويض على من جني عليهم وانشاء
حكومة للجبل يؤمن معها حدوث ما حدث ورأى المؤتمر ان يقدم الاهتمام بالمهم فنظروا اولاً في
مسألة التعويض لان الشتاء كان على الابواب واراد ان يعطي اولئك المساكين ما يسدون
به جوعهم ويكسو عريهم ويساعدهم على بناء بيوتهم اذا ارادوا العودة اليها . وانتقل
بهيئته الى دمشق ورأى ما حلَّ بها من الدمار وقدَّر الخسائر بثلاثة ملايين من الجنيهات
وبعد بحث طويل واهتمام الوزير بتقليل التعويض المطلوب الى اقل ما يمكن الوصول اليه
عيَّن مقدارهُ وقيل انهُ قيمة المسلوبات او ما يراد ردهُ منها وكتبت القوائم في ذلك ولكنها

الامير احمد ومعاتبته ايضاً وكان مراد باشا مؤيداً له وحالفهما لورد دفرن معتمد انكلترا لأن الكولونل روز كان يعتقد براءة الامير احمد ولو لم تكن لديهِ الادلة الكافية على ذلك وقد اعجب بشهامة العبد مسرور كما اعجب بها كل من سمع عنها . وأُرسل الرجال للتفتيش عن الامير احمد في كل انحاء الجبل وجهات الولاية ووصل ثلاثة منهم الى قرية الشيخ نصار الذي كان الامير احمد مختفيا فيها وكانوا متنكرين فلما وصلوا الى العين التي يستقي منها نساء القرية جلسوا واخرجوا زادهم وجعلوا يأكلون وطلبوا الماء من النساء ليشربوا فامتنعن لانهن يتنجسن من كل من يشرب من آنيتهن من غير المتاولة واخيرًا اتت امرأة من نساء النصارى بجرتها وسقتهم ووقفت تحدثت معهم ووقف غيرها من النساء معها واجتمع بعض الاولاد . فاشارت عليهم احدى النساء ان ينزلوا في المنزول في دار الشيخ نصار فقالت اخرى ان عند الشيخ نصار ضيوفًا فقالت الاولى هؤلاء ليسوا ضيوفًا بل هم امير من امراء جبل لبنان وعبده فاسكتتها الثانية قائلة ان هذا الكلام لا اصل له والتفتت اليها وعضّت على شفتها فادرك الرجال حالاً ان ضالتهم المنشودة في بيت الشيخ نصار شيخ تلك القرية لكنهم تجاهلوا ذلك وبقوا في مكانهم الى ان انصرف النساء عنهم وقرّ قرارهم على ان يعود واحد منهم الى بيروت يخبر بما سمعوا ويبقى اثنان منهم في القرية او ينزلا ضيفين على الشيخ نصار ليراقبا حركات الامير احمد وسكناته

فعاد احدهم وسار الاثنان الباقيان الى دار الشيخ نصار ونزلا في المنزول الذي ينزل فيهِ الضيوف وهو غرفة كبيرة فيها فرش كثيرة يزورها الشيخ كل يوم ليرى النزول فيها ويسألهم عن راحتهم . ويقدّم لهم الطعام في اوقاتهِ الثلاثة من غير ان يُسألوا عن غرضهم لكن الشيخ اوجس خيفةً لما رآهما فرحّب بهما على جاري عادتهِ واخبر الامير احمد بذلك واخرجه في ظلمة الليل من باب سري وارسل معهُ اثنين من خدمهِ لوصلاه الى حدود بلاد حوران فيصير في بلاد الامان لان حوران ملجأ الدروز وليس للدولة كلمة نافذة فيها

فسار الامير احمد معهما ماشيًا على قدميهِ بزي فلاّح من فلاحي تلك البلاد الذين يذهبون الى حوران للتعيش فيها ولم يأخذ عبده معهُ لئلاّ يعرف بهِ بل امرهُ بالعودة الى الشويفات ليخبر امهُ بسلامتهِ وبانهُ صار في بلاد الامان . وقد كان معتادًا المشي مسافات طويلة يخرج الى الصيد في الصباح فلا يعود الاّ بعد الظهر وقد يقضي النهار كلهُ ماشيًا على قدميهِ يصعد في التلال وينزل الى الاودية ولا يشكو تعبًا لا لانهُ لا يتعب من المشي بل لان خفة روحهِ كانت تنسيهِ التعب اما الآن فكان الهمّ قد انهك قواهُ واشتدّ لومهُ لنفسهِ

الاطلاق بل دبّرْ كل شيء وحدك ولكن لا بد من العجلة لاني خائفة جداً ان تضيع الفرصة علينا . آه يا ربي ما هذه المصيبة من اين اتتنا هذه البلية . قلت لهُ الف مرة دامك وهذه الاجتماعات قلت لهُ انزل بنا الى بيروت وخاصا من اولاد عمك ومن مشايخ العقال دلت لهُ امش مع قنصل الانكليز مثل ما مشى المرحوم والدك فما سمع مني . الله يجازي الذين كانوا السبب الله يخرب بيوتهم مثل ما خربوا بيوت الناس . قم يا مسرور وخذ ما شئت ولا تدعني ارى وجهك الاَّ واحمد معك (قالت ام الامير احمد هذا القول والدمع ملء عينيها)

فقام مسرور ووضع نصف النقود في كمرهِ ونصفها في كيسهِ وهي مئة ليرة فرنسوية وركب الى بيت الدين حيث كان امراء الدروز ومشايخهم مسجونين وجعل يتردَّد على السجان ويشرب معهُ الدخان ولما استوثق منهُ اعطاهُ عشرين ليرة فجحظت عينا الرجل لانهُ لم يرَ في حياتهِ نصف هذا المبلغ في يدهِ واتفقا على ان يسكرا الخفراء لانهُ خاف ان يرشوهم فلا يكتموا السر كلهم واشترى مبرداً كبيرًا من بيطار واحضرهُ الى السجان فاوصلهُ الى الامير احمد لكي يقطع بهِ القيود من رجليهِ وانتظروا الى ان كانت ليلة مظلمة من ليالي الحاق تلبدت الغيوم في سمائها وحجبت نجومها فدخل السجان واخرج الامير احمد وسار بهِ الهوينا الى ان وصلا الى الباب الخارجي فوجدا الخفراء قد استيقظوا واوقدوا ناراً اضاءت ما حولهم فعاد بهِ من حيث اتى وجاء مسرور في الصباح فاخبرهُ السجان بما جرى . ووصل الى المأمور السجن في ذلك اليوم كتاب من غير امضاء يقال فيهِ ان احد الامراء المسجونين عازم على الفرار فتعهّد ابواب السجن واقفلها بنفسهِ وضاعف عدد الخفراء

واجتمع مسرور بالسجان فاخبرهُ السجان بما حدث فعزم ان يذهب الى المأمور ويرشوهُ ولكنهُ لم يجد اليهِ سبيلاً فعاد يفكر في الامر فلم يجد اسلم من ان يقيم مقام الامير احمد فرجع الى الشويفات واحضر عبداً آخر من عبيد مولاهُ وصباغًا اسود واتى بهِ الى السجان ليعطيهُ للامير احمد حتى يصبغ بهِ وجههُ ويديهِ

فتمت الحيلة ووضع مسرور القيود في يديهِ ورجليهِ بدل مولاهُ وخرج الامير احمد من السجن وسار مع عبدهِ الآخر وجعلا يسريان ليلاً ويختفيان نهارا الى ان وصلا بلاد بشارة واختفيا عند الشيخ نصار احد مشايخها ومرَّت ثلاثة ايام ومسرور يدَّعي انهُ مريض في سجنهِ لا يخرج منهُ واخيرًا دخل المأمور يفتقد المسجونين فرأى العبد مسرورا بدل الامير احمد وشاع الخبر حالاً في بيت الدين وقامت لهُ البلاد وقعدت وقبض على السجان واودع السجن وتحدث مؤتمر المعتمدين بهذا الامر واصرَّ معتمد فرنسا على معاقبة العبد والسجان والتفتيش عن

الفصل الثامن والثلاثون

السلطان عبد العزيز

امي فقد عددتُ منها اكثر من تسعين مدفعاً ولم ابتدئ من الاول"
مام منصبين من الطين فيهما قصب قائم عليهِ قفل من الحرير حسب
تي كان الحرير يحلّ ويلف عليها و بيدها كوفية تكبهُ عليها حتى
هي في نحو العاشرة من عمرها وليس في الغرفة التي كانت فيها غير
مطوية وبعض آنية الطبخ من كانون وقدور وصحاف — غرفة حقيرة
ذرة غبار ولا رائحة خبيثة بل بالضد من ذلك ترى امامها خميلة
لازهار الجميلة الالوان من الريحان والافسنتين والقرنفل والفل
ا في الغرفة وامتزج بهوائها امتزاج الراح بالماء. وهناك ورد جوري
تفتح لكي يخرج منها ماء الورد فان صاحب البيت بنّاء واجرتهُ كافية
ك الوقت اذ ارتفعت الاجور لكثرة المباني التي كانت تبنى تبال
ولكنهُ كان يتقاضاها يوم السبت ويسكر بها يوم الاحد ويقضي
السكر وهذا دأبهُ فتضطر زوجتهُ ان تسلك الحرير وتخرج ماء
تكتسب هي وابنتها ما يكفيهم
المدافع وانا آتية وسمعت الناس يقولون انهُ مات السلطان عبد
عند مدخل البستان فبست يدهُ وسألتهُ عن الخبر فقال انهُ صحيح
كنهُ طمن بالي
ا مدهوشة وقالت "مات السلطان" وحاولت ان تدرك معنى هذا
كرت ايام الخوف الماضية حينما قُتل رجل واحد وكيف انها هربت
لما وتأخر ابوها عن الرجوع الى نصف الليل فقلقوا عليهِ. لكنها فهمت
نها وقال لها انهُ ليس هناك ما يخشى منهُ. وهو رجل صالح وكل الناس
ر سنهِ ولصلاحهِ فصمتت ولم تقل شيئاً ولكنها بقيت تنظر الى امها
اذا كانت مطمئنة او مضطربة
ـ صوت اطلاق المدافع وكان جرجس يكيل ثوباً من القماش
ذرع وهو جالس متربعاً في دكانهِ بسوق البزركان والدكان مرتفعة

نهُ ما فعل حسب مشورة امهِ وانتقل الى بيروت وانقطع عن مجاراة قومهِ لا سيما وانهُ كان
نقد انهم مخطئون في عملهم وكانت صورة ابنة خالتهِ الاميرة سلمى لا تبرح امام عينيهِ وقد
طعت اخبارها عنهُ بعد ان رحل بها ابوها عن حاصبيا ووصلهُ نعيهُ ولكنهُ لم يصلهُ من
مدر يوثق بهِ ولا كتبت اليهِ خالتهُ في هذا الشان ورأى المستقبل كلهُ مظلماً امام عينيهِ
لس على عين ماء في ظل صخر وغسل يديهِ ووجههُ وكان التعب قد اخذ منهُ كل مأخذ
كأ على الصخر وران سلطان الكرى على جفنيهِ وحلم انهُ وصل الى بلاد حوران فاحلهُ شيخها
الرحب والسعة وصار يركب مع قومهِ ويغزو العرب المجاورين لهم فوقع في ايديهم اسيراً
ضعوا القيود في يديهِ ورجليهِ وضيقوا خناقهُ ورأى الاميرة سلمى وهو على تلك الحالة واذا
مع الجواري تحلب البقر وعليها ثياب اسمال وسيدتها تشتمها وتضربها فهب كي ينقذها
ا ونسي قيودهُ وسلاسلهُ فوقع واصاب جبينهُ الصخر فشدخهُ فنهض من نومهِ والدم ينزف
جبهتهِ فقال هو حلم ولكن ما اقبحهُ وعاد يغسل جبينهُ الى ان انقطع الدم

شمعون — قللوا التعويضات حتى لم يبقَ منها شيء يذكر . قدَّروا تعويضات الشام
لاثمئة الف كيس وانزلوها الى مئة وخمسين الفاً والآن مراد الوزير ان ينزلها الى خمسة وسبعين
ا فما عادت تجرز

بخور — ان الدولة لا تدفع نقوداً بل تعطي سندات عليها بالمبالغ التي يلزم دفعها ويمكننا
نشتري هذه السندات باقل من ثمنها الاصلي عشرين او ثلاثين في المئة وهذا باب واسع
بح يجب ان لا نتغاضى عنهُ

شمعون — كلاَّ وليس لنا مناظر الآن فيهِ ولكن بلغني ان مرادهم ان يفتشوا عن المسلوبات
كلها ويستردوها فماذا فعل يوسف بالصيني الذي اشتراهُ وسائر الامتعة المنهوبة

بخور — صرَّف بعضها وارسل البعض الآخر الى مصر وهي مطلوبة هناك

شمعون — لقد احسن في ما فعل لانهُ بلغني ان القناصل والمعتمدين يشددون لاسترجاع
كل المنهوبات . وهل تظن ان العساكر الفرنسوية تبقى هنا

بخور — لا اظن ويظهر من المكاتيب التي اتتني اول امس انهم يرحلون في اوائل الصيف
كانت فرنسا طلبت ان يعين والي الجبل من بيت شهاب ولكن انكلترا اعترضت على ذلك
الدولة معها ولا يبعد ان يعين الوالي من الخارج وعلى كل حال الله آبائنا معنا وهو يدبر
كل الامور لخيرنا

ن ان سياسة الانكليز تغلب سياسة الفرنسويين
ت من الاول ان الانكليز غير راضين عن مجيء العساكر
، بقرش واحد لان سياسة الانكليز دائماً غالبة ألا تذكر ما
كانت معهُ ولكنهم قوّموا اوربا كلها عليهِ حتى ألزموهُ ان
مصر
لا أرى ان الاسعار هبطت ولا هي مائلة الى الهبوط واسعار
لا بدّ ما تصطلح الاحوال في ايام السلطان الجديد
في الاحوال الحاضرة فقال شمعون كتب اليَّ ابن خالتي من
. سيستدين اموالاً كثيرة فتروج الاشغال وتكثر المكاسب في
تب لك ذلك والسلطان لم يجلس الاَّ امس . فاجابهُ شمعون انهُ
سية . ولكن ابن خالتي وكل اصحابنا في فينا وباريس ولندرا
، عبد العزيز من قبل ان يتولَّى وامور مثل هذه لا تخفى عليهم
لعلماء في دار رشيد افندي وهنَّأَ بعضهم بعضاً بانفراج الازمة
ا وخرجت الجنود الفرنسوية من بلاد الشام وجلس السلطان
لنة بعد ان وعدهم المواعيد الوثيقة انهُ يكف ايدي اوربا ولم
دّروا . واعترض احد العلماء على ذلك بان الجنود اسرعت في ما
الامكان ان يفعلوا غير ذلك . واجمعوا على تقديم الشكر لفؤاد
ذي انتدب لهُ
البارلمنت الانكليزي فاشارت الى وفاة السلطان عبد المجيد
. وذكرت الاول بفضائلهِ واشارت الى ما ف الامة الانكليزية
من النفع منهُ لبلادهِ وشكرت فرنسا على ما أَبدتهُ من الغيرة
والى حفظها لوعودها واخراج جنودها منها حالما استتبَّ الامن
بة تعقيداً
مجلس النواب بفرنسا فاعترض زعيم الراديكاليين على خروج
مة ولمح الى ارتشاء قائدهم فانتهرهُ رئيس المجلس واشتدَّ الجدال
خيراً طلب الرئيس الاقتراع على الثقة بالوزارة فكانت الاغلبية
ب مجلس الشيوخ فلم تلقَ من الاهتمام ما لقيتهُ في مجلس النواب

عن ارض السوق قدر ذراع ونصف يشبه حانوتاً يرتفع صاحبه فيه فيصير مثل
مصطبة فوق الدكان تقي الواقفين منها من الشمس والمطر ولا يدخل الى اسفل الا بكد
يصل الى الارض وارتفاع الدكان عن ارض السوق مثل غيرها من الاسواق التي يجري في
اسواق بيروت كلما اشتد وقوع المضروبات ثم سمع صوت المدافع تجففت يده ووضع المكيال
ورد الثوب الى مكانه وخافت امرأة فسدلت منديلها على وجهها وسارت في طريقها مسرعة
واتفق ان مر رجل من التجار الكبار في تلك الساعة وكان جرجس يعرفه فاستوقفه وسأله عن
سبب اطلاق المدافع فاخبره في ذلك الوقت انه مات السلطان عبد المجيد وتبوأ السلطان عبد
العزيز. فسأله جرجس هل من خوف عليه. فرفع التاجر رأسه وهز كتفيه اشارة من يقول لا
اعلم ولكن الامر لا يخلو من الخطر. وكانت عادة اصحاب الدكاكين المجاورة قد تطاولت كي
يسمعوا ما يقوله التاجر ولم يكد جرجس يرى اشارته حتى نزل من دكانه ورفع المروندين
وانزل الغلق الاعلى ورفع الاسفل واقفل الباب فاقتدى به كل اصحاب الدكاكين ولم تكن
الا دقائق قليلة حتى لم تعد ترى دكاناً مفتوحاً في تلك السوق واقفل كثيرون دكاكينهم في
سائر الاسواق واسرعوا الى بيوتهم وجعل الناس يتكلمون همساً ولا يجترئ احد ان يرفع
صوته كأن آثار الجور والظلم رسخت في نفوسهم رسوخ الطبع وتوارثوه خلفاً عن سلف فلا
يحدث حادث حتى تراهم يذعرون ويهربون الى بيوتهم كأنه فعل عصبي منعكس لا دخل
للادارة فيه ولا لقوة اخرى من قوى العقل

وكان نساء مسلمات ومسيحيات في مار الياس يفين بنذورهن فذعرن لما سمعن اصوات
المدافع وجعلن يضرعن الى مار الياس او الخضر الملقب به وفي عيده وشأنهن في ذلك
سواء كأنهن من مذهب واحد لا فارق بينهن

وخرج ابو نخرمن بيته ليسأل عن سبب اطلاق المدافع فلقي الشيخ مصطفى صاعداً
من المدينة فاخبره بموت السلطان عبد المجيد وتنصيب السلطان عبد العزيز فقال الحمد لله قد
نجانا الله من احتلال الفرنسوية لبلادنا واعطانا سلطاناً لا يفضل الافرنج علينا

فقال له الشيخ مصطفى ومن قال ان السلطان عبد المجيد كان يفضل الافرنج علينا فوجاهة
الظاهر انك غائب عن البلد ألا تعلم ان كل هذه الحركات والقلاقل مسببة عن ذلك ولكن
هذا سر لا يعرفه غيري اطلعني عليه الوالي لما زارني في رمضان الماضي

والتقى مارون بنقولا وقال له لم نستفد فائدة تذكر من مجيء الفرنسوية ولم نكد نفرح
بمجيئهم حتى خرجوا عن آخرهم واخاف ان تهبط اسعار العقارات التي اشتريناها

خصوصية في الانضمام الى هذا الفريق او ذاك ولا بدّ ما يفعلون بامر الوالي

فصمت السر هنري وفكّر في الامر هنيهة ثم قال اظن ان هذا هو الرأي الصواب فنطلب من الوالي مئتي فارس وانا اقوده بنفقتانهم

فقال الكولونل ولا اظن انه يمانع اذا ذهب معك عشرة من الجنود الجارة لحمايتك

ووصل فؤَاد باشا في الميعاد وكان راكبًا جوادًا مطهمًا وامامهُ ووراءهُ كوكبة من الفرسان فلاقاهُ الكولونل الى باب المنزل وتصافحا وسلم على السر هنري مصافحةً لانهُ كان قد رآهُ مرارًا في المخابرات السابقة وجلس الثلاثة في غرفة الاستقبال يدخنون التبغ الجبيلي ويتجاذبون اطراف الحديث باللغة الفرنسوية فابان فؤَاد باشا ان مهمتهُ قد انتهت ولا يبعد ان يعود من سورية قريبًا وشكر للكولونل روز وللسرهنري ما ابدياهُ من المساعدة لهُ ولحكومتهما . واستطرد الكولونل روز الحديث الى احوال الدروز في جبل حوران واحوال البدو المجاورين لهم . فرآهُ عارفًا بما بينهم من الضغائن ونشوب الحرب بين عرب الفضل وبني صخر وبانحياز الدروز الى عرب الفضل وحاسبًا ان هذه الحرب ستضعف الفريقين فيسهل كبح جماحهما والتسلط عليهما فاخبرهُ الكولونل ان في أسر بني صخر اناسًا يهمُّ السرهنري انقاذهم منهم ويودُّ ان يذهب اليهم بحامية من الجنود العثمانية

فاستحسن فؤَاد باشا ذلك وعرض عليهِ خمس مئة فارس يرسلهم مع السرهنري فشكرهُ السر هنري على ذلك وانتقلوا الى الكلام على حكومة لبنان وغرض فرنسا من رد ولايتهِ الى الامراء الشهابيين واعتراض اللورد دفرن على ذلك فاران فؤَاد باشا انهُ كان يفضل ان يقسم الجبل الى قسمين يضاف قسم منهما الى ولاية دمشق وقسم الى ولاية بيروت . فبيّن لهُ الكولونل ان الدول الاوربية لا توافق على ذلك فليس من الحكمة محاولتهُ. اما البقاع فلا بأس بضمهِ الى ولاية دمشق لان اكثر سكانهِ من غير المسيحيين

ولما انتهت الزيارة قام فؤَاد باشا فودّع بما قوبل بهِ من الاكرام

الفصل الاربعون

فصل الخطاب

مرَّ على الامير احمد ايام لم يرَ اشد منها الى ان خرج من حدود الشام ودخل بلاد حوران ولم يكد يصل الى تلك البلاد حتى التقى بجماعة من دروز لبنان فعرفوهُ وساروا بهِ الى الشيخ اسمعيل الاطرش فرحب بهِ واكرم وفادتهُ وانزلهُ في افخر بيوتهِ واقام جماعة من رجالهِ على

[illegible]

جلس الكولونل [illegible]
ووقع نظره على [illegible]
تماما ورأى [illegible]
للالان تمر عليهم [illegible] فتذكر [illegible]
وته وشكر [illegible]

وكان فؤاد [illegible]
كان مستعداً لاستقباله حينئذ [illegible] السرهنري وفي
ان الوقت والتفت الكولونل [illegible]
شر دقائق وهو يتدرع على [illegible] من ولاة [illegible] وقت [illegible] التفت الى
سرهنري وقال على ماذا جمع رأيك

فقال السرهنري لا بد لي من الذهاب بنفسي فقد [illegible] من الامير [illegible]
قائم مع الشيخ اسمعيل الاطرش بمعونة الامير عمر الفاعور [illegible]
ور الدائرة فان الامير [illegible]
اسره لتجرعه مرارة الذل فقد رأى ان لا قبل له بمحاربة [illegible]
نوباً او تسرق وزاد في الدلال [illegible] ان ترضى به زوجاً [illegible] وتموت حسرة

فقال الكولونل وكيف تذهب بنفسك [illegible]

السرهنري — يا جنرال [illegible] ان آخذ فرقة من الجنود [illegible]
د[illegible] كل واحد منهم بثة من البدو لتدين اسلحتهم السيف والرمح و[illegible] البندقية [illegible]

الكولونل روز — ان ذلك غير ميسور لانه لا يجوز لنا [illegible] جنوداً في بلاد الدولة
لا بقرار دولي خاص . ولا يزال البارلمنت مجتمعاً فاذا سمع الاحرار انا اخرجنا جنوداً [illegible]
ر اقاموا الدنيا واقعدوها متخذين ذلك حجة ضد المحافظين لاسقاطهم من الوزرة . ولكن قد
نستطيع ان نطلب من الوالي فيعطينا فرقة من الجنود التركية

السرهنري . وما ادرانا انهم لا ينضمون الى بني صخر فنخرج من شر ونقع في شرين

الكولونل — هذا بعيد الاحتمال لانهم اميل الى الدروز منهم الى البدو وليس لهم مصلحة

سهِ وقال في نفسهِ ان دارت الدائرة على رجالي عدت الى المضارب
ها ولو عيرني العرب ابد الدهر لانهم سبب هذه البلية . ثم اغمض
قبض سيفهِ فارتخت اصابعها ووقعت فعلم ان جوادهُ عثر بهِ في حومة
مذعورًا . ثم عادت بهِ الهواجس الى فيافي الخيال ففكَّر بالاميرة
لب النياق والدمع قد قرَّح جفنيها فادارت وجهها عنهُ خجلاً منهُ او
اللئام اذا رأوا الضعيف ذليلاً بين ايديهم وفكَّر باخويها وقد صارت
ُ شفقة عليها ولا رثى لحال امهما بل احتدم غيظًا على زوجتهِ لانهُ
م من طعامها
يفكر الَّا باخذ الثار وكشف العار وتخطر ببالهِ الاميرة سلمى فيردد

مسكنها في السماءِ فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلا
طيع اليها صعودًا ولن تستطيع اليك نزولا

منهُ اليها ابن خالتها وذلك الامير الانكليزي الذي اخبرتهُ عنهُ
العهُ لانهُ اوقعهُ في حب فتاة لا يستطيع الوصول اليها وعزم ان
يسقيهُ دواء السلوان(١)

حمد يطير فرحًا لان المقادير يسَّرت له ان ينقذ حالتهُ واولادها من
ذلك لا بدَّ وان يلين قلب سلمى ويزيل منهُ كل اثر من حب ذلك
تخلَّى عنها وقت الشدة مع انهُ من اقدر الناس على نجاتها كيف لا
البحر وكلمة واحدة منهُ للوالي تقيم البلاد وتقعدها ولا بدَّ لي من ان
ن تجيلهُ

يكن يفكر الَّا بتحالف رجالهِ مع عرب الفضل حاسبًا ان ذلك يعزز
ا من تشديد الوطأة في طلب المتأخر من الاموال الاميرية . وكان قد
نفر قليل من رجال الجبل وعفت عن الباقين فلم يبقَ لهُ همٌّ الَّا ان
ية وودَّ ان تنتهي هذه الواقعة باسرع ما يكون حتى يعود رجالهُ الى

---

(١) يسقاهُ العاشق فيموت حبهُ

خدمتهِ والتفَّ حولهُ كثيرون من دروز الجبل ومشايخهِ الذين هربوا من لبنان وكانت
عيون الشيخ اسمعيل تسقط الاخبار وتأتيهِ بها من كل ناحية فلا يجري شيءٌ في دمشق ولا في
لبنان ولا في بيروت ولا في بلاد الجولان وغيرها الا ويأتيهِ خبرهُ وكان لهُ اصدقاء في بيروت
يرسلون اليهِ بما يبلغهم من اخبار الاستانة واخبار البلدان الاوربية فيقف على هذه الاخبار
السياسية. وقد بلغهُ كل ما حدث في مؤتمر بيروت وما قرَّ عليهِ قرار مندوبيهِ من اختيار والٍ
مسيحي للجبل من غير طوائفهِ فاخذ يتداول مع الامير احمد في طريقة لارجاع دروز الجبل
الى بيوتهم فقرَّ رأيهما على ان الامير احمد يكتب الى قنصل الانكليز الجنرال في بيروت
يطلب منهُ ان يتوسط امرهم عند ولاة الامور فكتب اليهِ واخبرهُ عن احوال بلاد حوران
وما جاورها

ولما بلغ الامير احمد ما حلَّ بخالتهِ واولادها بعث رسلاً الى الامير حسان امير بني صخر
يتودَّد اليهِ ويخبرهُ ان الاميرة هند خالتهُ ويطلب منهُ ان يطلق سبيلها وسبيل اولادها وارسل
مع الرسل هدايا فاخرة من منسوجات دمشق وامتعتها. وكان الامير حسان غائباً في بعض غزواتهِ
فانتظرهُ الرسل الى ان عاد وقدموا اليهِ الهدايا وسلموهُ كتاب الامير احمد فلم يحفل بهِ ولا قبل
الهدايا لان الاميرة هند واولادها كانوا يسمعونهُم الكلام فاضطر الرسل ان يعودوا فارغين ثم
اوعز الى بعض اعوانهِ فاقتفوا اثرهم وقتلوا واحداً منهم وسلبوا ما معهم فعادوا وخبروا بما
جرى لهم فارغى الشيخ اسمعيل وازبد وكتب الى الامير عمر امير عرب الفضل ان يمدهُ بخمس
مئة من فرسان حوران اذا قام لمحاربة بني صخر ودارت المراسلة بينهم ثم اجتمع الاثنان وحضر
الامير احمد معهما وقرروا خطة الهجوم

وفي الوقت المعين خرج فرسان الدروز من حوران وواصلوا السير الى ان اشرفوا على
عجلون فالتقاهم الامير عمر وانزلهم على الرحب والسعة واولم لهم ولائم ثلاثة ايام حسب عادة
الضيافة عند العرب وقاموا في اليوم الرابع وساروا اربعة آلاف فارس ومعهم الجمال تحمل الزاد
والماء وقصدوا البلقاء وكانت اخبارهم قد وصلت الى الامير حسان فجمع رجالهُ وحلفاءهُ وخرج
للقائهم في سهل فسيح يبعد عن الجبل الذي كان ممتنعاً فيهِ نصف مرحلة

ونام الفريقان تلك الليلة في السهل يفصل بينهما غدير صغير وخرائب مدينة قديمة . نام
الخليون واما الشجيُّون فاحيوا الليل بين احلام مرعبة وهواجس مزعجة - الامير حسان متطير من
تلك الواقعة لان غراباً مرَّ عن يسارهِ حالما خرج من مضربهِ وزجرهُ فلم يزدجر والشاعر الذي
غنَّاهُ بالامس ابتدأ نشيدهُ بقولهِ " يا دار غيَّركِ البلى " واليوم الذي اضطرَّ ان يخرج فيهِ

لفريقان في مَن المعنيّ بهذه الغارة ورأوا فرصة للكف عن القتال
ة الحال ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى وصلت الفرسان وقد عقد لواءها
يش العثماني ومعهُ السرهنري بدمونت ونفر من الجنود البحارة فوقعت
مين فانفصلا ووقفا منتظرين الاوامر ولما تم انفصالهما نادى سليم باشا
والشيخ اسمعيل فاقتربوا منهُ وترجلوا في حضرتهِ فامرهم بالركوب ثانية
فلم يكن مجيب واخذ رجالهُ يفتشون عنهُ فوجدوهُ ملقى بين صخرين
ن جوادهِ الواقف امامهُ . فانهُ اصيب برصاصة في صدرهِ فصرعتهُ
فحملوهُ الى امام سليم باشا مغمى عليهِ لكثرة ما نزف من دمهِ وبادر
ومواساة الجرح وعادوا بهِ الى مضربهِ فاسلم الروح وهم في الطريق
عم الامير عباس فنصبهُ اميرًا على قبيلتهِ

الخاتمة

عباس بالرياحين وازهار الخريف وانتظم فيها عقد جمهور منتخب من
اء الشهابيين والارسلانيين ثم حضر والي بيروت ومتصرف لبنان
ة من قسوس اللاتين واقتصر الاحتفال على هؤلاء بسبب الحداد
جرَّبت سفينة الدير فلم تحملها فعادت الى بيت ابيها وخرجت الاميرة
على ذراع عمها واتت امها وابنة عمها وراءها والدموع تتساقط من
ي ووضع يدهُ في يدها فكللهما القاصد الرسولي واهديت اليهما الهدايا
وجدها الامير احمد في المغارة

الى امهِ تلك الليلة يصف لها حفلة اكليلهِ وقال انهُ وجد اسلحة جدهِ
فيها الوثيقة وعليها ختم الملك ركاردس قلب الاسد فلا شبهة في لقبهِ
وطلب اليها ان تعرض ذلك على جلالة الملكة وتطلب منها ان تلقبهُ
ن

ولم يكد ذنب السرحان [illegible] حتى [illegible] معسكر [illegible] وهدير
[illegible] واشتدت الضوضاء وجعل [illegible] تجوب [illegible]
[illegible] الامير عمر واتبع [illegible]
القائدان [illegible] الامير حسان [illegible] كل [illegible]
[illegible] وكل بقعة وسهل [illegible] متشحة [illegible]
[illegible] الكمين الذي [illegible] ولم تكد [illegible]
[illegible] اطلاق البنادق [illegible]
[illegible] وصاح الابطال واصطدم الشجعان [illegible] الرماح
[illegible] العقبان و [illegible] ووقفت [illegible]
[illegible] متهلل الجبين وهو يقول لا تطير [illegible]
الشمس واشتد الهجير والحرب [illegible] كانها [illegible]
[illegible] الاصلال من وقع سنابك الخيل [illegible]
البرابيع . وبينما الجياد تكاد تسبح في عرقها [illegible]
[illegible] ولم تكد الشمس تميل عن الهجرة حتى ظهر [illegible] الامير حسان [illegible]
[illegible] خطوة ويتأخرون خطوتين [illegible]
[illegible] في وجوههم وفي اقفيتهم [illegible]
[illegible] . وكان الامير احمد اسرع [illegible]
[illegible] حوران فجعل يفتش عن [illegible]
[illegible] يكد يصل اليهم حتى [illegible] الامير [illegible]
[illegible] من مكمنه في [illegible]
الامير حسان [illegible]
[illegible] الا الصبر في ذلك المأزق الحرج [illegible] وقف في [illegible]
[illegible] الامير حسان ورجاله . ويا لها من ساعة تكسرت فيها [illegible] الارواح
[illegible] وتطايرت الجماجم عن الابدان واشتمرت [illegible]
[illegible] الموت الزؤام ويحسبون ان لا مناص لهم من شرب كأس الحمام وقد زرت الربى
جيوبها وادارت المنون عليهم خطوبها علا الغبار من الشمال فظنوه اعصارا وماج
بالفرسان فخالوه تيارا . وقال كل لسان الدولة الدولة جنود [illegible] فرسان